

# زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، القيرواني، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد محي الدين عبد الحميد

الجزء الأول

دار الجيل

للشؤون الثقافية والعلمية

بيروت - لبنان

ص. ب. ٨٧٤٧

الطبعة الرابعة





زَهْرُ الْأَطْبَاقِ

## مقدمة الناشر

احياء التراث العربي، بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً وضبطه وشرح ما غمض من معانيه ومراجعة نصوصه الأصلية؛ مهمة جليلة ومسؤولية بالغة تصدى لها العديد من أكفأ وأخلص رجالات الأدب في عصرنا الحاضر، وفي طليعتهم الدكتور زكي مبارك .

.. إن تحقيق هذه الروائع الأدبية وشرحها رسالة سامية ... وكذلك نشرها وتقديمها إلى القارئ العربي بالصورة اللائقة؛ رسالة يتصدى لملها الناشر الواعي لأهمية تراثنا العربي المقدّر لقيمته، الحريص على إغناء الثقافة العربية، والبازل لكل جهد مهما عظم في سبيل تقديم روائع القديم في أبهى وأحدث حلة تبويبا وإخراجا وطباعة .

بين روائع التراث العربي يتألق كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » كالدرة النادرة ، وقد زاد من قيمته جهد لا يقارن به جهد بذله الأديب العملاق، الدكتور زكي مبارك في تحقيقه وضبطه وشرح نصوصه .

كتاب « جمع كل غريبة » . بل خزانة من خزائن الأدب العربي عامرة بأخبار الأدب والأدباء ، حافلة بألوان البلاغة والشعر والانشاء وبكل ما يصور بصدق العصر الذي عاش فيه مؤلفه أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني في القرن الخامس الهجري ، ويبين بوضوح العادات الاجتماعية التي كانت محمودة في عصره ؛ حتى أن دارس الآداب المهتم بذلك العصر ليكتفي بدراسة هذا الكتاب كمرجع رئيسي شامل .

لذلك العصر من حياة الأدب طابع خاص ، أظهر سماته إجادة الوصف ؛ وصف ما تقع عليه العين من مرئيات أو ما يجري في الخاطر من أفكار ، بل ووصف أهواء النفس ونزعاتها الوجدانية ، وصفاً مفصلاً مقصوداً ، حتى أصبح العصر غنياً إلى درجة مميزة بالتعابير الرائعة الناضجة في معظم أبواب الوصف . . يرافقها تنظيم كامل للأفكار ، مما يعود القارئ تذوق الأسلوب البديع ويحبب إليه النثر الجيد وأصوله الفنية .

إننا إذا قسنا أعمال أدباء ذلك للعصر بالمقاييس العصرية لانطبق عليها مفهوم النظرية الحديثة « الفن للفن » . . فقد عرفوا اللغة معرفة جيدة حتى وقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ، فجمعوا شتاتها لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم في نتاج منسّق متكامل .

وان دار الجيل التي تعتر بما قدمت من كتب التراث . . كتاب « العمدة » لابن رشيّق تحقيق الأستاذ محيي الدين عبد الحميد ، ليزيدها اعتزازاً أن تقدم تباعاً مجموعة أعمال الدكتور زكي مبارك : النثر الفني ، الموازنة بين الشعراء ، التصوف الإسلامي ، المدائح النبوية ، الاخلاق عند الغزالي . . ودرة هذه الأعمال هذا الكتاب الذي تقدمه الدار اليوم : زهر الآداب . . إنه دائرة معارف أدبية ، لا غنى للقارئ الأديب الباحث عن المعرفة والمتطلع الى التزيد من بحور الفنون الأدبية ، عن اقتنائه .

والله الموفق

دار الجيل

## مقدمة الطبعة الأولى

الحُصْرَى القِيروَانِي ، أَبُو الحَسَنِ الحُصْرَى ، طَرَفَ مِنْ أَخْبَارِهِ ، حَيَاتِهِ الْأَدَبِيَّةَ ، دَالِيَتَهُ وَدَالِيَةَ شَوْقِي ، أَبُو إِسْحَاقَ الحُصْرَى : شَعْرُهُ وَنَثَرُهُ ، طَرِيقَتُهُ فِي التَّأْلِيفِ ، التَّعْرِيفِ بِزَهْرِ الْأَدَابِ ، إِغْفَالِ المَجُونِ ، تَهْذِيبِ كُتُبِ المُنْتَقَدِمِينَ ، رَأْيَ الدُّكْتُورِ طَه حَسِينِ ، تَهْذِيبِ زَهْرِ الْأَدَابِ ، تَفْصِيلِهِ وَضَبْطِهِ وَشَرْحِهِ ، قِيَمَتُهُ الْأَدَبِيَّةُ .

### الحصري ، القيراوني

الحصري — بضم الحاء المهملة ، وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة — نسبة إلى الحُصْرِ أو يبيعها ، كما ذكر ابن خلكان — والقيراواني : نسبة إلى مدينة القيراوان .

ويعرفُ تاريخُ الأدابِ رجلين بهذا الاسم ، أولهما :

### أبو الحسن الحصري

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الغني ، الفهري ، المقرئ ، الضرير ، القيراواني ، وقد كان — كما ذكر ابن بسام في الذخيرة — بَحْرَ بَرَاعَةٍ ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة .

طراً على الأندلس — كما قال ابن بسام أيضاً — في منتصف المائة الخامسة من الهجرة ، بعد خراب وطنه من القيراوان ، والأدبُ بأفق الأندلس يومئذٍ نافقُ السُّوقِ ، معمور الطريق ، فتهاداه ملوكُ الطوائف تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأنس المقيم .

ولكنه ، فيما نُقِلَ ، لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مُضَضِّ بَيْنَ زَمَانِهِ ،

وَبُعْدِ قَطْرِهِ ، ثُمَّ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ طَنْجَةَ بَعْدَ خَلْعِ مَاوِكَ الطَّوَائِفِ ، وَتَوَفَّى بِهَا  
سَنَةَ ٤٨٨ هَجْرِيَّةً .

### طرف من أخباره

ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقِيمًا بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ  
صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةَ ، وَاسْمِهَا فِي بِلَادِهِمْ حَمَصُ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ لَمْ  
يُخْفَلْ بِهِ ، فَقَالَ :

نَبَّهَ الرَّكْبَ الْمُجُوعَا      وَلَمْ الدَّهْرَ الْفَجُوعَا<sup>(١)</sup>  
حَمَصُ الْجَنَّةِ قَالَتْ      لَغَلَامِي : لَا رُجُوعَا  
رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي      مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وهذه الأبيات غاية في خفة الروح .

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزَّيْدِيِّ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ،  
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَجَبَّزَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بِحَزِيْزَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ  
مُسَيِّمًا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْخُصْرِيِّ ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَكَتَبَ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْسِي كَيْفَ شَابَ أَسَى      وَأَعْجَبَ لَأَسْوَدَ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ  
الْبَحْرُ لِلرُّؤْمِ لَا يَجْرِي السَّفِينُ بِهِ      إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالتَّوْبَةُ لِلْعَرَبِ  
وَكُتِبَ لَهُ الْخُصْرِيُّ :

أَمَرْتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ      غَيْرِي ، لَكَ الْخَيْرُ ، فَاخْصُصْهُ بِذَا الدَّاءِ  
مَا أَنْتَ نُوْحٌ فَتُنَجِّجْنِي سَفِينَتَهُ      وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

### حياته الأدبية

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ وَطُرُقِهَا ، وَأَنَّهُ أَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

(١) فِي الطَّبْعَةِ السَّابِقَةِ « وَلَمْ الدَّعْر » (م) .

بَسْبَتَةً وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها في قراءات نافع ، عَدَدُ أبياتها ٢٠٩ ، وأن له ديوان شعر ، وهو القائل :

أقول لهُ وقد حياَ بكأسٍ لها من مِسْكٍ رِقَّتِه خِتَامُ :  
أَمِنْ لِحْدَيْكَ يُعْصَرُ؟ قال: كلا متى عُصِرَتْ من الورد المَدَامُ ؟  
وأشهر قصائده تلك الدالية التي أفتنَّ في معارضتها الشعراء <sup>(١)</sup> ولنذكرها هنا لقيمتها وأثرها في تاريخ الآداب العربية ، قال :

يا ليل الصب متى غَدُهُ	أقيامُ الساعة موعِدُهُ
رَقَدَ الشَّامُ وأرَقَهُ	أَسَفُ للين يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النِّجْمُ ورق لهُ	مما يرعاه وَيَرْصُدُهُ
كَلِفَ بغزالٍ ذى هَيْفٍ	خَوْفُ الواشينَ يُشْرِدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنايَ لَهُ شَرَكًا	في النومِ فَعَزَّ نَصِيدُهُ
وَكَفَى عَجَبًا أَنى قَنَصُ	للسُّرْبِ سَبَانِي أَعِيدُهُ
صَمَّ للفتنة مُنْتَصِبُ	أَهْوَاهُ ولا أَتَعَبِدُهُ
صاحِ والخرَجَ جَنَى قَمِهِ	سَكَرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضُو من مُقْلَتِهِ سَيْفًا	وَكأنَّ نَعاسًا يُغْمِدُهُ
فِيرِيقُ دَمِ العِشاقِ بهُ	والويلُ مَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَّا لا ذَنْبَ مَنْ قَتَلَتْ	عَيْناهُ ولم تَقْتُلْ يَدُهُ
يا مَنْ جَعَدَتْ عَيْناهُ دَمِي	وعلى خَدَّيْهِ تَوَرَّدُهُ
خَدَاكَ قَدِ اعْتَرَفَا بَدْمِي	فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجِدُهُ
إِنى لأُعِيدُكَ من قَتْلِي	وأظنُّكَ لا تَتَعَمَّدُهُ

(١) تجد هذه المعارضات في مجموعة صغيرة نشرها الأديب محي الدين أفندي رضا

بالله هَبِ المشتاق كَرِّى      فلعلَّ خيالك يُسَمِّدُهُ  
 ماضركَ لو دوايتَ ضَنِّى      صَبِّ يَدْنِيكَ وَتُبَعِدُهُ  
 لم يُبْقِ هَواكَ لَهُ رَمَقًا      فَلَمَّكَ عَلَيْهِ عَوْدُهُ  
 وَغَدًا يَقْضَى أَوْ بَعْدَ غَدٍ      هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ؟  
 يا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقُ      بِالْدمْعِ يَفِيضُ مَوْرِدُهُ  
 يَهْوَى الْمُشْتاقُ لِقَاءَكُمْ      وَضُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِدُهُ  
 ما أَحْلَى الوصلَ وَأَعَذْبَهُ      لولا الأَيَّامُ تَسْكُدُهُ  
 بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرانِ فِىما      لَفَوادى كَيْفَ تَجْلُدُهُ

ومن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القمرأوى إذ يقول :

قد ملَّ مريضك عَوْدُهُ      وَرَثَى لِأَسِيرِكَ حُسَدُهُ  
 لم يُبْقِ جفاكَ سِوَى نَفْسٍ      زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصَعِّدُهُ  
 هَارَوْتُ يُعْنَعِنُ فَنَ السَّحَرِ      إِلَى عَيْنِيكَ وَيُسَدِّدُهُ  
 وَإِذَا أَغْمَدْتَ اللَّحْظَ فَتَكْسَتُ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَجَرُّدُهُ  
 كَمْ سَهَّلَ خَدُّكَ وَجْهَ رِضًا      وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ  
 ما أَشْرَكَ فِىكَ الْقَلْبُ فَلِمَ      فِى نارِ الْهَجْرِ تُحَلِّدُهُ؟

وناصح الدين الأرسجاني إذ يقول :

هل أَنْتَ بِطُولِكَ مُسْعِدُهُ      يالِيلُ فَصْبُحِكَ مَوْعِدُهُ  
 لا كانَ قَصرَ اللَّيْلِ فَتَى      مِيعادُ مَنِيَّتِهِ غَدُهُ  
 فى صَدْرِى مِنْ كَلْفٍ بِكُمْ      جُنْدٌ لِلشَّوْقِ يُجَنِّدُهُ  
 أَعْلِيلُ اللَّحْظِ وَعَلَّتُهُ      مِنْها الْمُتَأَلِّمُ عَوْدُهُ  
 عَيْنَاكَ لِسَفْكَ دَمِي مَجْنَتَا      فَالضَّدْعُ عَلامَ تَجَعُّدُهُ  
 وَدَمِي لا يَحْسُنُ مَحْمَلُهُ      فى النَّاسِ فَلِمَ تَتَقَلَّدُهُ  
 لَمْ أَنْسَ بِرَأْمَةٍ مَوْقِفَنَا      وَالشَّمْلُ أَظْلَّ تَبَدُّدُهُ



رَشَاءٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ شَرَكِي      والبين غدا يتصيدهُ  
 سِرْبٌ قَدْ عَنَّ بَذَى سَلَمٍ      وغدا بفؤادى أغيدهُ -  
 وتطاول يُتَبِعُهُمْ نَظَرًا      صبَّ قَدْ طَالَ تَبَلُّدُهُ  
 حَرَّانَ الْقَلْبِ مُتَتِمَّةُ      حيران الطرف مُسَهِّدُهُ  
 وأُبرِعَ مَنْ عَارِضُهَا مِنَ الْمَعَاصِرِينَ      فخرُ مِصْرَ والشرق أميرُ الشَّعْرَاءِ أَحْمَدُ  
 شوق (بك) إذ يقول :

مُضْنَاكَ جَفَاءُ مَرْقَدُهُ      وبكاهُ وَرَحِمَ عَوْدُهُ  
 حيرانُ الْقَلْبِ مُعَذِّبُهُ      مقروح الجفن مُسَهِّدُهُ  
 أودى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا      يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِذُهُ  
 يَسْتَهْوِي الْوُرُقَ تَأَوُّهُهُ      ويذيب الصخر تَنَهَّدُهُ (١)  
 وَيُنَاجِي النِّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ      وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ  
 وَيُعَلِّمُ كُلَّ مَطْوِقَةٍ      شَجَنًا فِي الدَّوْحِ تَرْدُدُهُ  
 كَمْ مَدَّ لَطِيفَكَ مِنْ شَرَكٍ      وَتَادَّبَ لَا يَتَصَيَّدُهُ  
 فَعَسَاكَ بَغْمُضٍ مُسْعِفُهُ      وَلَعَلَّ خِيَالِكَ مُسْعِدُهُ  
 الْحَسَنُ حَلَقْتُ «يُوسُفِيهِ»      و «السورة» أَنْكَ مَفْرَدُهُ  
 قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ غَسَبَ      حَوْرَاهُ اخْلُدَ وَامْرَدُهُ  
 وَتَمَنَّتْ كُلُّ مَقْطَعَةٍ      يَدَهَا لَوْ تُبْعَثُ تَشْهَدُهُ  
 جِجَدْتُ عَيْنَاكَ زَكِيَّ دَمِي      أ كَذَلِكَ خَدُّكَ يَجْحَدُهُ  
 قَدْ عَزَّ شَهُودِي إِذْ رَمَتَا      فَأَشْرَتْ لِحْدَكَ أَشْهَدُهُ  
 وَهَمَّتْ بِجِيدِكَ أَشْرُكُهُ      فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَصِيدُهُ  
 وَهَزَزْتُ قَوَامَكَ أَعْطَفُهُ      فَبَا وَتَمَنَّى أَمْلَدُهُ (٢)

(١) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة (٢) الأملد والأملود : الغصن اللين الناعم

سببٌ لرضاك أمهدُهُ      ما بال الخصرِ يُعقِّدُهُ  
بينى فى الحب وبينك ما      لا يقدر واشٍ يُفسدُهُ  
ما بال العاذل يفتح لى      باب السُّلوانِ وأوصدُهُ  
ويقول : تكاد تُجنُّ به      فأقول : وأوشِكُ أعبدُهُ  
مولائى وروحى فى يدِهِ      قد ضيَّعها ، سَلَمْتُ يدُهُ !  
ناقوسُ القلب يدقُّ له      وحنايا الأضلعُ مَعْبَدُهُ  
حُسادى فيه أعذرهم      وأحقُّ بعذرى حُسدُهُ  
قَسَمًا بَنَنايا لؤلؤها      قَسَمَ الياقوتَ مُنصَّدُهُ  
ورُضابٍ يوعدُ كوثرَهُ      مقتولَ العشق ومُشْهَدُهُ  
وبخالٍ كاد يُحتجُّ له      لو كان يُقبَلُ أسودُهُ  
وقوامٌ يَرَوِى الغصنُ لَهُ      نسبًا والرمحُ يُفدُّهُ  
وبخَصِرٍ أوهنَ من جَلَدِي      وَعَوادى الهجر تَبدُّهُ  
ماخنت هوائك ولا خَطَرَتُ      سَلَوَى بالقلب تَبزِّدُهُ

وإنما ذكرت حياة أبى الحسن الخُصْرِى ، وشيئًا من أخباره ، لأنى رأيتُ  
أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنى أحب دائماً أن أقدم للقارىء  
ما يُمْتِعُ عقله ووجدانه من المعارف الأدبية ، لأية مناسبة ؛ ولأن أبى الحسن  
الخُصْرِى ابن خالة أبى إسحاق الخُصْرِى صاحب زهر الآداب ، وفى هذه القرابة  
ما يدعو للتتويه به فى هذا المقام ، والظفر للقارىء على أى حال <sup>(١)</sup> .

(١) فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » فصل مسهب فى الموازنة بين الخُصْرِى  
وشوقى ؛ فليرجع إليه القارىء إن شاء .

## أبو إسحاق الحصرى

أما أبو إسحاق الحصرى فهو إبراهيم بن على بن تميم، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية وقد عُني به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه ابن رُشيق في الأنموذج ، وابن بَسّام في الذخيرة ، والزشيد بن الزبير في الجنان ، وابن خلكان في وفيات الأعيان .

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده ، يأخذون عنه ، وكان لديهم من المُكرّمين .

### شعره ونثره

أورد ابن رُشيق من شعره هذين البيتين :

إني أحبك حبًّا ليس يبلغه      فهمٌ، ولا ينتهى وصفٌ إلى صِفتهِ  
أقصى نهاية علمى فيه معرفتى      بالعجز منى عن إدراك معرفتهِ

وأورد له ابن بَسّام هذين البيتين :

أوردَ قلبي الردى      لأم عِذارٍ بدّا  
أسود كالكفر فى      أبيض مثل الهدى

واختار له ياقوت هذه المقطوعة :

يا هل بكيت كما بكتْ      ورُقُ الحماّم فى العُصُونِ  
هتفت سُحيرا، والربى      للقطر رافعة الجفونِ  
فكانها صاغت على      شجوى شجى تلك اللحونِ  
ذكرتني عهداً مضى      للأنس منقطع القرينِ  
فتصرمت أيامها      وكأنها رجعُ الجفونِ

واختار له أيضاً :

كُتِمْتُ هَوَاكَ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي      وَأَدْنَيْتَنِي مَكَاتِنِي لِرَمْسِي  
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِخْفَاءِ حَالِ      يَحُولُ بِهَا الْأَسَى دُونَ النَّاسِي  
وَحَبْسِكَ مَالِكَ لِحَظِي وَلَفْظِي      وَإِظْهَارِي وَإِضَارِي وَحَسِي  
فَإِنْ أَنْطَقْتُ فَبَيْنَكَ جَمِيعُ نُطْقِي      وَإِنْ أَسَكْتُ فَبَيْنَكَ حَدِيثُ نَفْسِي  
وَلَوْ نَقَلْتُ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِهِ طَائِفَةً صَالِحَةً لَأَسْتَطَعْنَا أَنْ نَعَيِّنَ مَنْزِلَتَهُ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ .  
أَمَّا نَثَرُهُ فَمُسْتَمْتَلِحٌ ، وَيَغْلِبُ فِيهِ السَّجْعُ الْمَقْبُولُ ، الْخَالِصُ مِنْ شَوَائِبِ الصَّنْعَةِ  
وَالْتَكْلِيفِ ، وَالسَّجْعُ فِي الْأَصْلِ حَلِيَّةٌ وَزِينَةٌ ، وَإِنَّمَا يَعَابُ عِنْدَ الْعُلُوِّ وَالْإِغْرَاقِ .  
وَالْيَكْمُ أُنْمُوذَجًا مِمَّا جَاءَ مِنْ نَثَرِهِ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ ، قَالَ :  
« وَلَمْ أَذْهَبْ فِي هَذَا الْاِخْتِيَارِ ، إِلَى مَطُولَاتِ الْأَخْبَارِ ، كَأَحَادِيثِ صَعْمَةِ  
ابْنِ صَوْحَانَ ، وَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ، وَنَظَائِرِهَا ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ (يُرِيدُ الْفَقْرَ الصَّغِيرَةَ)  
أَجْمَلَ لَفْظًا ، وَأَسْهَلَ حِفْظًا ، وَهُوَ كِتَابٌ يَتَصَرَّفُ فِيهِ النَّازِرُ مِنْ نَثَرِهِ ، إِلَى شَعْرِهِ ،  
وَمَطْبُوعِهِ ، إِلَى مَصْنُوعِهِ ، وَمَحَاوِرَتِهِ ، إِلَى مَفَاخِرَتِهِ ، وَمَنَاقِلَتِهِ ، إِلَى مَسَاجِلَتِهِ ،  
وَخُطَابِهِ الْمُبْهَتِ ، إِلَى جَوَابِهِ الْمُسَكَّتِ ، وَتَشْبِيهَاتِهِ الْمُصَيِّبَةِ ، إِلَى اخْتِرَاعَاتِهِ الْعَرِييَةِ ،  
وَأَوْصَافِهِ الْبَاهِرَةِ ، إِلَى أَمْثَالِهِ السَّائِرَةِ ، وَجِدِّهِ الْمَعْجَبِ ، إِلَى هَزْلِهِ الْمَطْرَبِ ، وَجَزْلِهِ  
الرَّائِعِ ، إِلَى رَقِيْقِهِ الْبَارِعِ » .

وهذا كما ترى سَجْعٌ يُجْمَعُ بَيْنَ دِقَّةِ الصَّنْعِ ، وَرِقَّةِ الطَّبْعِ ، فَبِهِوَ فِي دِقَّتِهِ  
مَطْبُوعٌ ، لَا مَصْنُوعٌ .

### طريقته في التأليف

الأدبُ لَا مَوْضُوعَ لَهُ ، كَمَا يَقُولُ أَسْتَاذُنَا الْجَلِيلُ الشَّيْخُ سَيِّدُ الْمَرْصُفِي ،  
وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْهَمُهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْخَضْرَى ، فَهُوَ لَا يَحْفَلُ بِتَرْتِيبِ الْمَسَائِلِ ،  
وَلَا بِتَبْوِيبِ الْمَوْضُوعَاتِ . وَإِنَّمَا يَتَصَرَّفُ مِنَ الْجَدِّ إِلَى الْهَزْلِ ، وَمِنْ الْأَوْصَافِ

إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطرق في التأليف ، وإن عابها مَنْ لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية .

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصُون في سر الهوى المكنون » في مجلد واحد ، فيه مُلَح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب ، وثمر الألباب » وإنه ليس جمع حتى في تسمية كُتَيْبِه ، وكذلك كان يفعل في عهده المؤلفون .

### التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يَصِفُون زهر الآداب إلا بأنه « جَمْعُ كُلِّ غَرِيبَةٍ » وهو وصف صادق ، وإني إذا كررُ هنا بعضَ صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تعين منهج مؤلفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه . وإنا لنجده :

أولاً : يهتم ببراعة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة : « الحمد لله الذي اختص الإنسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تمدى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً »

ويختتمه بهذه العبارة :

« وقال ابن الأعرابي : أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس :  
أخذت بجبلٍ من حِبالِ محمدٍ أَمِنْتُ به من طارقِ الخَدَثَانِ<sup>(١)</sup> .  
ثانياً : يُعَنَى عنايةً خاصةً بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدون آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية ، في ذلك الحين .

---

(١) في بعض النسخ الخطية فصل في صفات الله — عز وجل — ختم به الكتاب وذلك توفيق في حسن الختام — هكذا ، وفي نسخة أن ختام الكتاب فصل في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (م) .

ثالثاً: يجعل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب؛ فينقل هذه التعابير:

قد نُعِيَ سَلِيلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعُضْر من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيّ والبتول .

تجدد في بيت الرسالة رُزءُ جدد المصائب ، واستعداد النوائب ..  
إنها المصيبة تحيقت جانب الوحي المنزل ، وذُكِرَت بموت النبي المرسل .  
إلخ إلخ :

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف ، كنقله هذه العبارات :  
« استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتهدأت أغصانه عن كتبة الإمامة ، وتبججت أطرافه في عرصة الشرف والسيادة ، وَتَفَقَّاتَ ببيضته من سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضبعه ، وشقّ الوحي عن بصره وسمعه » إلخ إلخ .

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فصّلتها بعض التفصيل في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وإلا فإن النبي يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » بل الله يقول : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ » .  
رابعاً : يُبْدِئُ الْخُصْرَى وَيُعِيدُ فِي الْكَلَامِ عن البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء ، والإنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهل عصره يهتمون بدر النثر والشعر، ونحن مدّينون لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية .

خامساً : يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس لعهدده، فيذكر ما يحمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب النسخ ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات . وما له من الحقوق .

## إغفال المجون

وقد جرى أبو إسحاق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المجون ، فنحده  
يقول عن راشد بن أرشد :

« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصُنْتُ الكتاب عن ذكره .  
وقد صرحت بإنكار هذا المهج فى « مدامع العشاق » و بينت هناك أن  
حرص الحصرى على الأخلاق ضيَّع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ،  
وكنا فى حاجة إلى أن نعرف كل ما ترك الأولون !

وأحب أن يعلم القارئ أن المجون لون من ألوان الغذاء التى تحيا بها العقول ،  
فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها إلى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من  
المباح ، والحلو ، والمر ، كذلك العقول تحتاج فى تغذيتها إلى المعارف المتباينة :  
من جد القول وهزله ، وحلوه ومره ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يُخل كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ،  
وللقارئ أن يتتبع ما وقع من ذلك فى ألفاف الكتاب ليرى كيف غلب لؤلف  
على أمره ، فأباح ما لا يباح !

## تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب  
 ينحصر في حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا  
 الأسلوب ، والعهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين في نقد مهذب  
 الأغاني الذي أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الخضري منذ أسابيع ، ويرجح أن  
 يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة التي أصابها صاحب  
 حديث الأربعاء .



## تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب ؛ لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارىء فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجد إلى الهزل ، إلى آخر ما قال .

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر ، وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعُنيْتُ بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلاط ؛ ثم رأيت أن أفصله ، والتفصيل فيما أريد سو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في الكتاب من الموضوعات ؛ لأن المؤلف وضع قليلاً من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب . وأرجو أن لا يجد القارىء في هذا الصنع تشويهاً لعمل المؤلف فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه ، وفقره وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين في بُنْط خاص ، فإذا شاء القارىء أن يعرف كيف وضع الكتاب مؤلفه فليرفع فقط ما جدّ من العناوين .

## أهمية هذا التفصيل

على أننى مطمئن إلى ما صنعت ؛ قد كائن الكتاب متقاذف الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارئ إلى مئات المسائل الأدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلمة يتميز بها العنوان الجديد<sup>(١)</sup> .

## الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد<sup>(٢)</sup> ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكفى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثلاً فى المصح والتشويه ، ولتقضى فى قراءته العيون ، وتضل فى فهمه العقول ؛ فأنفقت من جهدى ومن وقتى ، فى تحقيق ما جناه مرَّ السنين وعبثُ الجاهلين ، ما لا أؤمن به على القارئ إلا وأنا آسفٌ محزون ؛ لأننى مدينٌ لمن طبعوه أول مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عما رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصور .

فى الطبعة القديمة كثيرٌ من الأغلاط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه الطبعة على مراجعة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فإن استطاع القارئ أن يلفتنى إلى خطأ فاتنى إصلاحه ، فإنى بشكره خلىق .

(١) قد اتخذنا خطة أخرى فى هذه الطبعة سنتحدث عنها بعد (م)

(٢) وطبع نصفه مستقلاً فى المطبعة الوهية ، بدون تأريخ (م)

أما الشرح فقد اجهدت في أن يكون غاية في الإيجاز ؛ لأن الإطناب في شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ؛ لأننى أمقت التكلف ، وأبغض المتكلفين .

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهى مسألة اعتبارية ؛ لأن الكتاب فى الأصل مبنى على التنقل والاستطراد .

## قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُمنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي علي القالي ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزر مادة ، وأكبر قيمة من جميع تلك المصنفات ؛ لأن ذوق الحُصْرى ذوق أدبى صِرْف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف .  
 إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جناية الليالى والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس .

محمد زكى عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

## مقدمة الطبعة الثانية

موضع زهر الآداب ، الوصف عند كتاب القرن الرابع ، نماذج من  
التعابير الوصفية ، نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والصناعة ، الخصومات  
الأدبية في القرن الرابع

دأى القارئ فى مقدمة الطبعة الأولى إشاراتٍ إلى الخصائص التى امتاز بها  
زهر الآداب ، ونريد فى هذه الكلمة أن ننص على أن هذا الكتاب أريد به أن  
يكون صورة للعصر الذى عاش فيه مؤلفه رحمه الله ، وإنه ليذكر أن أبا الفضل  
العباس بن سليمان رحل إلى المشرق فى طلب الكتب « بأذلا فى ذلك ماله ،  
مستعذباً فيه تعب ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف  
طريفة ، وغرائب غريبة » ثم سأله أن يجمع له من مختارها كتاباً يكتفى به عن  
جملتها ، وأن يضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قار به وقارنه وشابهه ومائله إلخ  
فغاية الكتاب إذ آنحِثِرَ ما طاب من ثمرات العقول فى أواخر القرن الرابع وأوائل  
القرن الخامس .

ولندكر أولاً أن الحصرى توفى سنة ٤٥٣ ، ولكننا نرجح أنه وَضَعَ زهر  
الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاماً ، فقد حدثنا فى أثناء كتابه أنه  
يعاصر الثعالبي ؛ إذ قال « وأبو منصور يعيش إلى وقتنا هذا » حين أشار إلى مختار  
ما كتبه الميكالى إليه . والثعالبي توفى سنة ٤٢٩ ؛ وإنما عَيَّنَا أواخر القرن الرابع  
وأوائل القرن الخامس لأن الحصرى أشار إلى أن فيمن نقل عنهم مَنْ أدركه  
بعمره ، أو لحقه أهل دهره . ولذلك العهد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت  
خصائصه ومميزاته فى كتابي الذى وضعته بالفرنسية عن النثر فى القرن الرابع ،  
وإنى لمشير هنا إلى بعض الجوانب البارزة فى أدب ذلك العصر ؛ ليكون القارئ

على بينة من الروح الذى استوحاه مؤلف زهر الآداب .

أظهر ميزة فى ذلك العصر هى إجادة الوصف ، فقد اهتم كُتّابه اهتماماً عظيماً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى فى خواطرهم ، ولم يكن الوصفُ عندهم ، ما يأتى عفواً عند المناسبات الطارئة ، كما كان الحال فى أوائل العصر الإسلامى ، لا ، بل تعمّدوا استقصاء الموضوعات الوصفية : فأطالوا الحديث عن الأزهار ، والرياض ، والنبات ، والنسيم ، والرياح ، والليل ، والنجوم ، والجداول ، والغدران ، والأنهار ، والبحار ، والأحواض ، والقصور ، ومنازل اللهو ، ومجالس الشراب ، والنساء ، والغلمان ، والجوارى السود ، والقيان ، وآلات الطرب ، ومحاسن الشباب ، وأهوال الشيب ، والرعْد والبرق ، والمطر والثلج ، والصحو ، والبلاغة والشعر والنثر ، والخليل ، والسيوف ، والنار ، والأفاعى . والثعابين ، والطيور ، والأطعمة ، والفواكه ، والسكاكين ، والكنوز ، والخواتم ، والحلى ، والقلائد ، والحجار ، والأقلام ، والسفن ، والدواب ، والجيش ، والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع .

وأطنبوا فى وصف المعانى الوجدانية ، كما أطنبوا فى وصف المراتب ، فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعاتها ، فوصفوا الحقد ، والبغض ، والكرم ، والتبلى ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من المنآت والعورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على أنه كان لهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فعليه أنه حملهم على التكلف والإسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم ، وترتيب أغراضهم ، فإن القارئ يرى لهم قوة فى تصوير المراتب والمعنويات لا يراها لمن سبقوهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذى جعل فى عصرهم مدرسة وصفية لا نراها فى عصر الخلفاء ولا عهد بنى أمية ولا أوائل أيام بنى العباس .

ولا ننكر أن الكتّاب السابقين أجادوا الوصف فى كثير من الموضوعات

ولكننا نقرر أن كَتَّاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ،  
أو يجرى في الخاطر ، أو ينقده العقل ، فوصفوه وصفا مفصلا مقصودا بطريقة  
لم يفكر في مثلها المتقدمون .

\*\*\*

وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن متفرقة من كتابه  
عن الأوصاف التي عُني بها كَتَّابُ ذلك العصر . فلنثبت منها شيئا ليرى القارىء  
صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد إلى إجادة الوصف .

من ذلك قولهم في وصف الماء :

ماء كالزجاج الأزرق .

غدير كعين الشمس .

ماء كالسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سبح النضناض .

ماء أزرق كعين السُّنُور ، صاف كقضيبي البلوز .

غدير ترقرت فيه دموع السحاب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب .

وقولهم في وصف سكين :

« سكين كأن القَدَرَ ساقطها ، أو الأجل ساقبها ، مُرهفة الصدر ، مُنطقة

الخصر ، يحول عليها فرند العتق ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية تبرق من

حدها ، والأجل يلمع من منتهى ، رُكبت في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت

عليه صبغها ، وحب القلوب كستته لباسها ، أخذ لها حديد الناصع يحظ من الروم ،

وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكانها ليل من تحت نهار ، أو حجر

أبدى سنا نار ، ذات غرار ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الأعداء ، وتنفع

نفع الأصدقاء . »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقت لذة التيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكان يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ، والغمام لم يَبْدُ إلا من يمينه » .

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتعابير الوصفية الرائعة في أكثر أبواب الوصف . ومن ذا الذي يرتاب في جمال قولهم في وصف النثر والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب :

نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد .

نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق .

رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالخندرة الرشيقة .

نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر .

وقولهم في أوصاف النساء :

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض .

هي من وجهها في صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس ، كأنها فلقة فر على بُرج فضة .

بدر التَّم يضيء تحت ثقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها .

لها عنق كإبريق اللجين ، وسرة كمدهن العاج .

مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، ومتقط الورد من خدها ،

ومنبع السحر من طرفها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الغصن من قدحها ،

ومهيل الرمل من ردفيها . الخ .



وقولهم في صفات الغلمان :

جاءنا في غلالة تنم على ما يسترد ، وتحنو مع رقنها على ما يظهره .  
الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجمال يتفرق في خده ، ومحاسن الربيع بين  
سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه .  
له طرة كالغسق ، على غرة كالفلق .  
الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره .  
هو قمر في التصوير ، وشمس في التأثير .

وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف بمِرْوَدِ السحر مكحول  
شادن فاطر طرفه ، ساحر لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه .  
السحر في الحاظه ، والشهد في ألفاظه . . إلخ .  
ولقد ظلت هذه التعابير الوصفية منبعاً يستقى منه الكتاب إلى العصر  
الحديث والنقاد في مصر أعجبوا بقول حافظ إبراهيم في وصف الصبياء :

خمرة قيل إنهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس  
وهو خيال سبق إليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة إذ قال :  
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتي عذراء

وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين أن حافظ إبراهيم أول من ألم بهذا<sup>(١)</sup>  
الخيال فنقده وسفّفه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فليقل المعركة إذن إلى  
ميدان القرن الرابع ، وإن كنت لا أدري كيف يعاف الشراب المعصور من  
خدود الملاح .

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكري في وصف النساء  
« صدور كالإغريض ، أو صُدُور البُرْزاة البيض »

(١) الذي أذكره أن أدباء مصر ذهبوا إلى أن حافظا ممتاز بذكر قيد « في  
يوم عرس » فأما أصل التشبيه فما أحسب أنه غاب عنهم أن حافظا مسبوق به ، وإنما  
خص يوم العرس لكثرة ما يغطي الحسان فيه وجوههن بالأصباغ وألوان التحاسين .  
ولهذا مدخل في التشبيه (م) .

وهي عبارة مأخوذة من قول التعالي في وصف آثار السرى الرفاء :  
«كأنها أطواق الحمام ، وصذور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف  
الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح»  
وكذلك يمكن رد أكثر التعابير الوصفية التي يُغرم بها كتابُ الصنعة في  
العصر الحاضر من امثال الأساتذة : صادق عنبر ، ومحمد السباعي ، ومحمد هلال  
وكان القرن الرابع يؤدي للقرن التي تلتها ما أخذته عن القرون التي سبقتها ،  
فقد كان كُتّابه مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعاً ، ولا حيلاً طريفاً إلا  
اقتبسوه ، وأضافوه إلى ثروتهم النثرية

وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية ( الفن للفن ) وإن لم يدركوا ما لهذه  
النظرية من الأوضاع والتقاليد ؛ فقد عودوا القراء تذوق الكتابة البديعة ، وحببو  
إليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ،  
وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولاً فنية يجد القارئ لذة  
ومُتعة حين يراها وقعت موقعاً حسناً وأصاب الغرض الذي وضعت له ، ولو كان  
غرضاً لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود

\* \* \*

ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة في فهم ذلك العصر ؟ بلى ، إنه يدلنا على  
أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ،  
وكان همهم أن يرتبوا الألفاظ والمعاني والتعابير والأخيلة ، حتى استطاع كاتبهم أن  
يحشر أرباب الصناعات في صعيد واحد ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على  
طريقته وبأسلوبه الذي يختاره في مقر مهنته ومهد عمله . وما نحسب كتاب  
القرن الأولى مثلاً كانوا يفكرون في جمع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم  
وأقلامهم ، وإنما كانوا قوماً يكتبون في سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة

الواضحة الموجزة التي يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا في حاجة إلى صفوة تقرأ لهم وتفهم عنهم ؛ إذ أصبح خيالهم قويا ، ولغتهم غنية ، لا يدرك أسرارها الجمهور ؛ فليس كل قارئ ولا كل سامع بمستطيع أن يتذوق تشبيه الخط الجميل بأزهار الربيع ، والألفاظ بقلائد النحر ، والمعاني بلا لى ، ولا أن يدرك كيف تتمنى كل جارحة أن تتكون أذنا تلتقط درر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لسانا يدرس محاسنه ومفآخره .

إذن فالصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حذقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح ، إذ كان الإغراق في الصنعة بابا من الغموض

\*\*\*

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب ؛ فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطماعهم في الحياة المادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المفرضة في العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشعراء ؛ فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك في تكريسهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالخطوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ، ومن الثبيل عند الفقر : « تنسيهم أيام اللدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العذوبة ، ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسعت دورهم ، إلا ضاقت صدورهم ، ولا أوقدت نارهم إلا انطفأ نورهم ، ولا زاد ما لهم إلا :

معروفهم ، ولا وُرمَت أكياسُهم إلا وُرمَت أنوفهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أعمالهم ، ولا فاض جاههم ، إلا غاضت مياههم ، ولا لانت بُرودهم ، إلا صلبت خدودهم <sup>(١)</sup>»

وفي تلك المنافسات الشديدة ، وتلك الدسائس الملعونة ، التي كانت تقع بين الكتاب ، دليلٌ على جشعهم في حب الحياة ، وفهمهم لها فهمًا ماديًا يتناسب مع تلك العبقريات الغنية التي ظهرت في فقرهم ورسائلهم وأبحاثهم ؛ فإنه من المؤلم أن تظل قوة الحقد ويقظة الأثرة ، وشدة العداوة ، في كل عصر من السَّمَّاتِ الغالبة على كبار الكتاب ، ومن النادر أن تجد كاتبًا كريمًا يعطف على زملائه ، ويجب لهم الخير ، ويتمنى لهم السَّداد . وقدما أفرغت هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى — وكان رجلاً نبيلًا — فكتب وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب إلى التعاون ونبذ الأحقاد ، وفي أيامنا تُبعث تلك الشائيل من جديد ؛ فلا نجد كاتبًا في العالم العربي يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، بحيث نظن أن شوب العبقرية يوجب بالطمع ، والاستبداد بالفضل ، والاستئثار بالجاء

وأهم الخصومات التي وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمداني والحوارزمي ، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهمداني والحوارزمي فترجع إلى رغبة الهمداني في الظهور ، وطمعه في الانفراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطولة التي كتبها الهمداني في وصف المناظرة التي قامت بينه وبين الحوارزمي ، وهي رسالة مغرضة مملوءة بالتجامل والصَّغَرنة ، وليس فيها أفكار جدية تجعل خصومة بين عقليين ، إنما هي محاورات لفظية تدل على غلبة الزخرف وتمكنه في السيطرة على عقول أهل

ذلك الجليل . ولو أن الخوارزمي دَوَّن بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين في بَسْطِ ذلك الحادث الأدبي ، واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين ، ولكن الهمداني تكلم وحده ؛ فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطمعه في كِبَتْ كاتِب كان يومئذ على رأس الكاتِبين .

أما خصومة التوحيدى لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم إلى سبب مَادى ، وذلك أن التوحيدى رَغِبَ في مال ابن عباد وجأهه ، فضاق عنه صدره هذا ، فكتب التوحيدى كتابه « أخلاق الوزيرين » وهو كتاب جارح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد . ثم عاد إليهما بالتجريح أيضا في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وأسلوبه في الهجاء أسلوب خطر فطيع ؛ إذ يخلق الحوادث والإشارات وينظفهما برسائل ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض . ويعتبر التوحيدى من الوجهة الفنية رجلا خصب الذهن ، غنى اللغة ، وافر المحصول ، قوى الخيال .

وقد تنبه المتأدبون إلى تحامل التوحيدى وإسرافه في التعصب والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه « أخلاق الوزيرين » كتاب مشنوم ، لا يملكه أحد إلا انعكست أحواله ، ويذكر ابن خلكان أنه جرب هذا وجربه مَنْ يثق به <sup>(١)</sup> فإذا صح هذا الوهم كان التوحيدى قد عوقب على بغيه وظلمه وبهتانه ؛ فقد أنظر صاحب بن عباد بعبارات مخجلة يندى لها وجه القارى ، وينفر منها الطبع والذوق ، وإن كانت وضعت بأسلوب شائق خلاب .

\*\*\*

تلك ، أيها القارئ ، كلمة وحيزة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن تكون كافية في وصف الاتجاهات الفنية والعقلية التي عمل في ظلها مؤلف زهر الآداب ، وإني لأمل أن يكون في هذه الطبعة من آثار الجهد والحرص على الصواب بعض ما يجب في خدمة الأدب العربي الذي أصبح إحيائه ونشره من أظهر محامد مصر في العصر الحديث .

زكى مبارك

مصر الجديدة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩

## بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ ، وصلى الله على محمدٍ خاتمِ  
النبيين ، المرسلِ بالنور المبين ، والكتابِ المستبين ، الذى محدَّى الْجَلْقَ أَنْ  
يَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَعَجَزُوا عَنْهُ ، وَأَقْرَبُوا بِفَضْلِهِ ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ؛ فهذا كتابٌ اخترتُ فيه قطعةً كاملةً من البلاغات ؛ فى الشعر  
والخبر ، والفصول والفقر<sup>(١)</sup> ، مما حُسِّنَ لفظُهُ ومعناه ، واستُبدِلَ بِفَحْوَاهُ على  
مَغْزَاهُ<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن شاردًا حَوْشِيًّا<sup>(٣)</sup> ، ولا ساقطًا سُوقِيًّا<sup>(٤)</sup> ، بل كان جميع ما فيه ،  
من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحترى<sup>(٥)</sup> :

فى نظامٍ من البلاغةِ ما شَكَّ أَمْرُوهُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ<sup>(٦)</sup>  
حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبِ ظُلْمَةٍ التَّعْقِيدِ  
وَرَكْبِنِ اللَّفْظِ الْقَرِيبِ فَأَدْرَكْنَ بِهِ غَايَةَ الْمَرَادِ الْبَعِيدِ

ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صَفْصَعَةٍ

---

(١) الفقر : جمع فقرعة - بكسر الفاء وفتحها - وهى فصل أُوَيْت شعر ، وتقول :  
ما أحسن فقر كلامه ، أى نكته ، وهى فى الأصل حلى تصاغ على شكل فقر الظهر

(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وخفواه : هو ما يفهم منه ذلك المراد

(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتتبع حوشى الكلام .

(٤) السوقى : نسبة إلى السوق ، وهم عامة الناس

(٥) البحترى : شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولد فى منبج - بين الفرات

وحلب - فى سنة ٢٠٦ هـ وتوفى فى سنة ٢٦٤ هـ

(٦) الفريد : هو الدر الذى يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد .

والذهب مفرد ، بتشديد الراء .

ابن صُوحان<sup>(١)</sup> ، وخالد بن صفوان<sup>(٢)</sup> ، ونظائرهما ؛ إذ كانت هذه أجمالَ لفظاً ، وأسهلَ حفظاً .

منهج المؤلف في الكتاب وهو كتابٌ يتصرف الناظرُ فيه من نثره إلى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاورته إلى مفاخرته ، ومناقيلته<sup>(٣)</sup> إلى مُساجلتِهِ<sup>(٤)</sup> ، وخطابه المبهت<sup>(٥)</sup> إلى جوابه المُسكِت ، وتشبيهاته المُصيبة إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجدّه المعجب<sup>(٦)</sup> إلى هزله المُطرب ، وجزله الرائع إلى رقيقه البارِع .

وقد نَرَعْتُ فيما جمعت عن ترتيب البيوت<sup>(٧)</sup> ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ؛ فجعلتُ بعضه مُسلسلاً<sup>(٨)</sup> ، وتركتُ بعضه مُرسلاً<sup>(٩)</sup> ؛ ليحصل مُحرَّر النَّقْدِ<sup>(١٠)</sup> ، مُقدَّر السَّرْدِ<sup>(١١)</sup> ؛ وقد أخذ بطرفي التَّأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف ؛ وقد نَعَيْتُ المعنى ، فألحق الشَّكْلَ بنظائره ، وأعلّق الأول بآخره ، وتبقى منه بقية أفرقتها في سائره<sup>(١٢)</sup> ليسلم من التطويل المملّ ، والتقصير المحلّ ، وتظهر في التجميع إفادةُ الاجتماع ؛ وفي التفريق لذّاعة

(١) صعصعة بن صوحان : خطيب بليغ من سادات عبد القيس . شهد صفين مع علي ، ونفاه المغيرة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية ، فمات فيها حوالي سنة ستين للهجرة (٢) خالد بن صفوان : كان من مشاهير الفصحاء وله أخبار مع عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، توفي نحو سنة ١١٥ .  
(٣) ناقل الشاعر : ناقضه ، ورجل نقل بفتح فكسر وذو نقل بفتححتين ، إذا كان جليلاً مناقلاً (٤) المساجلة : المفاخرة (٥) المبهت : المحير (٦) المعجب : الذي يعجبك جماله (٧) البيوت كالآليات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهي وهي اتصال النثر بالنثر (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) النقد : الوزن (١١) السرد : النسخ ، والتحرير ، ومثله التقدير : الضبط (١٢) سائره : باقيه



الإمتاع ، فيكمل منه ما يُؤنقُ القلوبَ والأسماع<sup>(١)</sup> ؛ إذ كان الخروجُ من جِدٍّ إلى هَزَلٍ ، ومن حَزَنٍ إلى سَهْلٍ<sup>(٢)</sup> أنْفَى للكلال<sup>(٣)</sup> ، وأبعدُ من المللِ ؛ وقد قال إسماعيل بن القاسم [ هو أبو العتاهية ]<sup>(٤)</sup> :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدَابِرَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ<sup>(٥)</sup>

الداعي لتأليف  
الكتاب

وكان السببُ الذي دعاني إلى تأليفه ، وَندَبني إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان — أطال الله مُدَّتَه ، وأدام نعمته! — في الأدب<sup>(٦)</sup> ، وإفناقِ عمره في الطلب وماله في الكتب ؛ وأن اجتهدَه في ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغمضَ في طلبها<sup>(٧)</sup> ، باذلاً في ذلك ماله ، مستعذباً فيه تعبُهُ ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة ، وسألني أن أجمعَ لها من مُختارها كتاباً يكتفي به عن جملتها ، وأضيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين مفاقرَ به وقارَته ، وشابهه ومائله ؛ فسارعتُ إلى مراده ، وأعنته على اجتهداه ، وألّفتُ له هذا الكتاب ، ليستغني به عن جميع كتب الآداب ؛ إذ كان موشحاً من بدائع البديع<sup>(٨)</sup> ، ولآلئ الميكالي ، وشعَى الخوارزمي ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابُوس ، وشذور أبي منصور<sup>(٩)</sup> بكلامٍ يمتزجُ بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رقة ، وبالماء عذوبة .

(١) يؤنق : يعجب (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض ، ويقال به السهل (٣) الكلل : الإعياء ، ومثله الكلال (٤) ديوان أبي العتاهية ٢٢٣ ، وفيه « لن يصلح النفس إذ كانت مدبرة » وفي نسخة « إن كانت مصرفة » (٥) (٦) في الأدب : متعلق بكلمة رغبة (٧) أغمض وغمض : ذهب ، وغمض السيف في اللحم : غاب . (٨) موشح : مرصع (٩) البديع والميكالي والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفاً من منظومهم ومنثورهم ، وهم من رجال القرن الرابع ، وسندكر تراجمهم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

وليس لى فى تأليفه من الافتخار، أكثر من حُسن الاختيار؛ واختيارُ المرءِ  
 قطعةً من عقله، تدلُّ على تحلُّفه أو فضله؛ ولا شكّ - إن شاء الله - فى استجدادة  
 ما استجدت، واستحسانِ ما أوْردت؛ إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفسٌ،  
 ولا اجتمع حسنٌ، ولا مال سِرٌّ، ولا جال فِكرٌ، فى أفضلَ من معنى لطيفٍ، ظهر  
 فى لفظٍ شريفٍ؛ فكسّاه من حسن الموقع، قبولاً لا يدفع، وأبرزه يَحْتَالُ من  
 صفاء السبك [ ونقاء السّلاك ] وصحة الدِّيابحة، وكثرة المائىة، فى أجل  
 حُلة، وأجلى جلية:

يستنبط الروحَ اللطيفَ نسيمه أَرْجاً، ويؤكل بالضمير ويشرب<sup>(١)</sup>  
 وقد رغبتُ فى التجافى عن المشهور، فى جميع المذكور، من الأسلوبِ الذى  
 ذهبتُ إليه، والنحو الذى عوّلتُ عليه؛ لأنّ أوّل ما يقرع الآذان، أدعى إلى  
 الاستحسان، مما مجّته<sup>(٢)</sup> النفوسُ لطول تكراره، وللفظته<sup>(٣)</sup> القولُ لكثرة استمراره؛  
 فوجدت ذلك يتعذّر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتسع<sup>(٤)</sup>؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛  
 وهذا يوجب فى التصنيف دَخَلاً<sup>(٥)</sup>، ويكسب التأليف خالاً؛ فلم أعرض إلاّ عما  
 أهانه الاستعمال، وأذّاله الابتدال<sup>(٦)</sup>؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حِفْظِهِ،  
 ما ظهر من مُستَحْسَن لفظه؛ من بارع عبارة<sup>(٧)</sup>، وناصع استعارة، وعُدُوْبَةٍ مَورِدٍ،  
 وسهولة مقصِدٍ، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل؛ وتطابق أنحاء، وتجانس أجزاء،  
 وتمكّن ترتيب، ولطافة تهذيب، مع صحّة طبع وجودة إيضاح، يثقفه  
 تنقيف القداح، ويصوره أفضلَ تصوير، ويقدره أكملَ تقدير؛ فهو مشرق

(١) يستنبط: يستخرج (٢) مجّته: مقّته (٣) لفظته: رمته (٤) يتسع: يسهل

(٥) الدخّل والدخّل: العيب، ونخلة مدخولة: عفنة الجوف (٦) أذّاله: أهانه

(٧) من إضافة الصفة للموصوف، أى عبارة بارعة، وكذلك ما بعده

في جوانب السمع ، لا يُخلِّقه عَوْدُهُ عَلَى المستعِيد<sup>(١)</sup> :

وهو المُشَيِّعُ بالمُسامعِ إِنْ مَضَى وهو المضاعف حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا .  
وإن كنتُ قد استدركتُ على كثيرٍ من سبقني إلى مثل ما جَرِيتُ إليه ،  
واقصرت في هذا الكتاب عليه ، لِمُلْحِ أوردتها كَنَوَافِثِ السَّحْرِ<sup>(٢)</sup> ؛ وَفَقَرَ نَظْمَهَا  
كَالْفَنَى بعدَ الْفَقْرِ ، من ألفاظِ أَهْلِ الْعَصْرِ ، في محلِّولِ النَّثْرِ ، ومعقودِ الشَّعْرِ ؛  
وفيه من أدركته بُعْزَى ، أو لحقه أَهْلُ دَهْرِي ؛ ولهم من لطائفِ الْإِبْتِدَاعِ ،  
وتوليداتِ الْإِخْتِرَاعِ ، أَبْكَارٌ لَمْ تَقْتَرِعْهَا الْأَسْمَاعُ<sup>(٣)</sup> ، يُضْبِوْ إِلَيْهَا الْقَلْبُ وَالطَّرْفُ ،  
وَيَقْطُرُ مِنْهَا مَاءُ الْمَلَاخَةِ وَالطَّرْفِ ، وتَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ ، وتسترجع نَافِرَ الْأُنْسِ ،  
تَحْدَأُ تَضَاعِيفَهُ ، وَوَشَّحَتْ تَأْلِيفَهُ ، وَطَرَزَتْ دِيَابِجَهُ ، وَرَصَّعَتْ تَاجَهُ ، وَنَظَّمَتْ  
عَقُودَهُ ، وَرَقَّتْ بُرُودَهُ ؛ فَنُورُهَا يَرِفُ ، وَنُورُهَا يَشِفُ ، في رَوْضٍ من الْكَلِمِ  
مُوتِقٍ ، وَرَوْنِقٍ من الْحَكَمِ مُشْرِقٍ :

صفا وَنَفَى عَنْهُ الْقَذَى فَكَانَهُ إِذَا مَا اسْتَشَفَّتْهُ الْعَيُونُ مُصْعَدًا<sup>(٤)</sup>  
فهو كما قلت :

بَدِيعُ نَثْرِ رَقٍّ حَتَّى غَدَا يَجْرِي مَعَ الرُّوحِ كَمَا تَجْرِي  
مِنْ مُذْهَبِ الْوَشْيِ عَلَى وَجْهِهِ دِيَابِجَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الشَّعْرِ<sup>(٥)</sup>  
كَزْهَرَةِ الدُّنْيَا وَقَدْ أَقْبَلَتْ تَرُودُ فِي رَوْنِقِهَا النَّضْرُ<sup>(٦)</sup>  
أَوْ كَالنَّسِيمِ الْغَضِّ غِيبٌ الْحَيَا يَحْتَالُ فِي أُرْدِيَةِ الْفَجْرِ<sup>(٧)</sup>  
ولعل في كثير مما تركتُ ، ما هو أجودُ من قليل مما أدركتُ ؛ إذ كان اقتصاراً  
من كلِّ على بعض ، ومن فيضٍ على برِّض<sup>(٨)</sup> ؛ ولكنني اجتهدتُ في اختيار

(١) لا يخلقه : لا يذهب بجذته وروقه (٢) المالح : جمع ملح ، وهي الكلمة  
المستملحة المستعذبة . والنه افث : جمع نافثة ، وهي الساجرة (٣) اقترع البكر : فض بكارتها  
(٤) تصعد : ارتفع (٥) وشى مذهب : مطرز بالذهب  
(٦) ترود : تختال (٧) غب الحيا : عقب المطر (٨) فيض : كثير ، وبرض : قليل

ما وجدت ؛ وقد تدخل اللفظة في سماعه اللفظ، ويمر البيت في خلال الأبيات، وتعرض الحكاية في عرض الحكايات، يتم بها المعنى المراد، وليست مما يستجد، ويبعث عليها قرط الضرورة إليها [في إصلاح خلل] ؛ فهما تره من ذلك في هذا الاختيار، فلا تعرض عنه بطرف الإنكار ؛ وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب، الموسوم بـ «زهر الآداب، وثمر الألباب» لكنني أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار، إلى فسحة الاعتذار :

ويشئ بالإحسان ظناً، لا كمن يأتنيك وهو بشعره مفتون<sup>(١)</sup>  
والله المؤيد والمسدّد، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[ إن من البيان لسحراً ]

روى عن عبد الله بن عباس - رضوان الله عليهما ! - قال :

وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن بدر وعمر بن الأهم ؛

فقال الزبيران : يا رسول الله ! أنا سيد تميم، والمطاع فيهم، والحب منهم، أخذ لهم بحقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك - يعني عمرا .

فقال عمرو : أجل يا رسول الله ؛ إنه مانع يحوزته<sup>(٢)</sup>، مطاع في عشيرته، شديد العارضة فيهم<sup>(٣)</sup> .

فقال الزبيران : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي !

فقال عمرو : أما لئن قال ما قال ؛ فوالله ما علمته إلا ضيق العطن<sup>(٤)</sup>، زمر

المروءة<sup>(٥)</sup>، أحمق الأب، لئيم الخال، حديث الغنى .

الزبير بن  
بدر وعمر بن  
الأهم بين يدي  
رسول الله

(١) هكذا حور المؤلف البيت، وهو لأبي تمام، ونصه في الأصل :

ويشئ بالإحسان ظناً لا كمن هو بانه وبشعره مفتون

(٢) حوزة الرجل : ما يحوزه ويملكه (٣) العارضة : البديهة وقوة الكلام

(٤) العطن : الناح حول الورد، وضيق العطن : كناية عن البخل

(٥) زمر المروءة - بالراء - أي قليلها، وفي نسخة زمن : أي بالو

فَرَأَى الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اخْتَلَفَ قَوْلُهُ ؛  
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَغَضِبْتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ  
مَا عَلِمْتُ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الثَّانِيَةِ !

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ  
الشَّعْرِ لِحِكْمَةً . وَيُرْوَى مُلْحَكًا ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَالَّذِي رَوَى أَهْلُ الثَّبَتِ ، مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ  
فَخَطَبَا ؛ فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنَ  
الْبَيَانِ لَسِحْرًا ، أَوْ إِنْ مِنْ بَعْضِ الْبَيَانِ لَسِحْرًا <sup>(١)</sup> .

ترجمة عمرو  
ابن الأَهم

وَعَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ هُوَ : عَمْرُو بْنُ سِنَانِ بْنِ سُمَيٍّ [ بْنِ سِنَانِ بْنِ خَالِدِ ]  
ابْنُ مِنْقَرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَالْحَارِثُ هُوَ : مُقَاعِسُ بْنُ عَمْرُو بْنِ كَعْبِ  
ابْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ . وَسُمِّيَ سِنَانُ الْأَهِمِّ لِأَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمِ الْمِنْقَرِيَّ  
سَيِّدَ أَهْلِ الْوَبَرِ ضَرَبَهُ بِقَوْسِهِ فَهَتَمَ فَاهُ . هَذَا قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ  
ابْنِ قَتَيْبَةَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ هَتَمَ فُوهَ يَوْمَ الْكَلَابِ الثَّانِي ، وَهُوَ يَوْمٌ كَانَ  
لِبْنِي تَمِيمٍ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ . وَكَانَ عَمْرُو يُلقبُ الْمَكْجَلَّ لِجَمَالِهِ ، وَبَنُو الْأَهِمِّ أَهْلُ  
بَيْتِ بَلَاغَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْأَهِمِّ هُوَ جَدُّ خَالِدِ  
ابْنِ صَفْوَانَ وَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْخُطَابَةُ فِي آلِ عَمْرُو ، وَكَانَ شَعْرُهُ  
حُمَلًا مَنْشُورَةً عِنْدَ الْمُلُوكِ تَأْخُذُ مِنْهُ مَا شَاءَتْ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

ذَرِنِي فَإِنَّ الْبَخْلَ يَا أُمَّ مَالِكٍ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ  
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ بَآهَلِهَا وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ <sup>(٢)</sup>

ترجمة الزبرقان  
ابن بدر

وَالزَّبْرَقَانُ : اسْمُهُ حُصَيْنُ بْنُ بَدْرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [ بْنِ الْحَارِثِ ]

(١) أَنْظِرِ الْقِصَّةَ كَمَا رَوَاهَا أَوَّلًا فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ ( ٦/١ بُلَاق ) (م)

(٢) هَذَا الْبَيْتُ وَرَدَ أَيْضًا فِي آيَاتِ بَشَارِ التِّي مَطْلَعُهَا :

خَلِيلِي إِنْ الْعِسرَ سَوْفَ يَفِيقُ وَإِنْ يَسَارَا فِي غَدِ الْخَلِيقِ

بِهَذَلَةَ بن عوف بن كعب بن سعيد . وسمى الزبرقان لجماله : . والزبرقان : القمر [قبل تمامه] وقيل : لأنه كان يُزَبْرِقُ عمامته ، أي يصفرها في الحرب .  
وكانوا يسمون الكلام الغريب « السحر الحلال » ، ويقولون : اللفظ الجميل من إحدى التفثات في العقد <sup>(١)</sup> .

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قدم عليه وفود أهل كل بلد ؛ فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فاشترأب منهم غلام للكلام <sup>(٢)</sup> ، فقال عمر : يا غلام ؛ ليتكلم من هو أسن منك ! فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأضعف ريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيار ؛ ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا من هو أحق بمجلسك منك .

فقال عمر : صدقت ، تكلم ؛ فهذا السحر الحلال ! فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن وفد التهينة لا وفد المرزئة <sup>(٣)</sup> ، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ؛ لأننا قد آمنّا في أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا !

فسأل عمر عن سن الغلام ، فقيل : عشر سنين .

وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضراً ، فنظر وجه عمر قد تهلل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ؛ فإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم ، فهبوا في النار <sup>(٤)</sup> . أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة ؛ فبكى عمر حتى خيف عليه ، وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ !

(١) النفثات : جمع نفثة ، وهى أن تتفل الساحرة بريقها على ما تعتقه ، وفى نسخة « النفاثات » جمع نفائة وهى الساحرة نفسها (م) (٢) اشترأب : تطلع (٣) المرزك : الاستجداء وطلب النوال (٤) هبوا : سقطوا ، من هوى يهوى على وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم يعلم فإنه بمعنى أحب

عمر بن عبد العزيز غلام يتقدم وفد قومه

وقد رُوي أن عمر قال للغلام: عِظْنِي، فقال هذا الكلام، وفيه زيادة يسيرة وتقص  
أخذ قولَ عمر: « هذا السحر الحلال » أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد  
محمد بن يوسف الطائي:

إذا ما الحاجة انبَعَثَتْ يَدَاها      جَعَلْتَ الْمَنْعَ مِنْكَ لَهَا عَقَالَا  
فأين قصائدُ لي فيكَ تَأْبِي      وتأنفُ أَنْ أَهَانَ وَأَنْ أَذْأَلَا  
هي السَّحَرُ الحلالُ الْمُجْتَلِيه      ولم أرَ قبلها سِحْرًا حَلَالَا

وكتب أبو الفضل بن العميد<sup>(١)</sup> إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب وردَ إليه من ابن العميد  
لبعض إخوانه [ فأحمده ] :

وَصَلَّ مَا وَصَلْتَنِي بِهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، مِنْ كِتَابِكَ ، بَلْ نَعْمَتِكَ التَّامَّةُ ،  
وَمُنَّتِكَ الْعَامَّةُ ؛ فَقَرَّرْتُ عَيْنِي بِوَرُودِهِ ، وَشَفِيتُ نَفْسِي بِوُفُودِهِ ، وَنَشَرْتُه فَحَكَمِي  
نَسِيمَ الرِّيَاضِ غِبَّ الْمَطَرِ ، وَتَنَفَّسَ الْأَنْوَارِ<sup>(٢)</sup> فِي السَّحَرِ ، وَتَأَمَّلْتُ مُفْتَتَحَهُ ، وَمَا  
اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ لَطَائِفِ كَلِمِكَ ، وَبَدَائِعِ حِكْمِكَ ؛ فَوَجَدْتَهُ قَدْ تَحَمَّلَ مِنْ فَنُونِ  
الْبَرِّ عَنْكَ ، وَضُرُوبِ الْفَضْلِ مِنْكَ ، جِدًّا وَهَزْلاً ، مَلَأَ عَيْنِي ، وَعَمَرَ قَلْبِي ، وَغَلَبَ  
فِكْرِي ، وَبَهَّرَ لُبِّي ؛ بَقِيْتُ لَا أَدْرِي : أَسْمُوطُ ذُرٍّ خَصَصْتَنِي بِهَا ، أَمْ عَقُودُ  
جَوْهَرٍ مَنَحْتَنِيهَا ؟ كَمَا لَا أَدْرِي أَبَكْرًا زَفَقْتَهَا فِيهِ ، أَمْ رَوْضَةٌ جَهَزْتَهَا مِنْهُ ؛  
وَلَا أَدْرِي أَخْدُودًا ضُرِّجَتْ حَيَاءُ ضَمَّتَتْهُ ؛ أَمْ نَجُومًا طَلَعَتْ عِشَاءً أَوْدَعَتْهُ ؛ وَلَا أَدْرِي  
أَجْدُكَ أَبْلَغَ وَالْطَفِ ، أَمْ هَزْلُكَ أَرْفَعَ وَأَظْرَفُ ؛ وَأَنَا أَوْ كَلُّ بَتْنَبُعٍ مَا انْظَوَى  
عَلَيْهِ نَفْسًا لَا تَرَى الْحِظَّ إِلَّا مَا اقْتَنَتَتْهُ مِنْهُ ، وَلَا تَعُدُّ الْفَضْلَ إِلَّا فِيمَا أَخَذَتْهُ عَنْهُ ،  
وَأُمْتَعَتْ بِتَأَمُّلِهِ عَيْنًا لَا تَقْرَأُ إِلَّا بِمَثَلِهِ ، مِمَّا يَصْدُرُ عَنْ يَدِكَ ، وَيَرِدُ مِنْ عِنْدِكَ ،  
وَأَعْطِيهِ نَظْرًا لَا يَمِلُهُ ، وَطَرَفًا لَا يَطْرِفُ دُونَهُ ، وَأَجْعَلُهُ مِثَالًا أَرْتَسِمُهُ وَأَحْتَدِيهِ ،

(١) كان ابن العميد إمام الكتاب في عصره حتى قيل فيه « بدئت الكتابة بعبد الحميد ،  
وختمت بابن العميد » . توفي سنة ٣٦٩ بعد أن تولى كثيرا من المناصب العالية

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون - وهو نوار الزهر

وَأَمَّتْ خَلْقِي بَرَوْنَهُ ، وَأَغْذَى نَفْسِي بِبَهْجَتِهِ ، وَأَمْرَجَ قَرِيحَتِي بِرَقَّتِهِ ، وَأَشْرَحُ صَدْرِي بِقِرَاءَتِهِ ، وَلَئِنْ كُنْتُ عَنْ تَحْصِيلِ مَا قَلَّتْهُ عَاجِزًا ، وَفِي تَعْدِيدِ مَا ذَكَرْتَهُ مُتَخَلِّفًا ؛ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ مَا سَمِعْتُ بِهِ مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ .

من وصف  
الكلام بالسحر

وقال بعض المحدثين يمدح كاتبًا :

وَإِذَا جَرَى قَلَمٌ لَهُ فِي مُهْرَقٍ عَجَلَانِ فِي رَفَلَانِهِ وَوَجِيهِهِ<sup>(١)</sup>  
نَظَّمَتْ مَرَاشِفُهُ قَلَانِدَ نَظْمَتِ بَنَفِيسِ جَوْهَرٍ لَفِظُهُ وَشَرِيفُهُ  
بِدْعًا مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ تَوَلَّدَتْ عَنْ ذَهْنٍ مُصْقُولِ الذِّكَاءِ مَشُوفُهُ<sup>(٢)</sup>  
مَثَلًا لِمُضَارِبِهِ وَزَادَ مُسَافِرٍ جُعِلَتْ وَتَحْفَةً قَادِمٍ لِأَلِيفِهِ

وصف رجل  
محبوب

وعلى ذكر قوله «وتحفة قادم» قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وصف رجلًا رجلاً فقال : كَانَ وَاللَّهِ سَمَحًا سَهْلًا ، كَأَمَّا بَيْنُهُ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ نَسَبٌ ، أَوْ بَيْنُهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ سَبَبٌ ، إِنَّمَا هُوَ عِيَادَةُ مَرِيضٍ ، وَتَحْفَةً قَادِمٍ ، وَوَاسِطَةً عِقْدٍ .

عود إلى وصف  
الكلام بالسحر

وَأَخَذَ بَعْضُ بَنِي الْعَبَّاسِ رِجَالًا طَالِبِيًّا ، فَهَمَّ بِعَقُوبَتِهِ ، فَقَالَ الطَّالِبِيُّ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ أَفْسَدَ دِينِي بِفَسَادِ دُنْيَاكَ لَمَلَكْتُ مِنْ لِسَانِي أَكْثَرَ مِمَّا مَلَكَتْ مِنْ سَوْطِكَ ، وَاللَّهِ إِنْ كَلَامِي لَفَوْقَ الشَّعْرِ ، وَدُونَ السَّحْرِ ، وَإِنْ أَيْسَرَهُ لَيَثْقُبُ الْخَرْدَلُ ، وَيَحِطُّ الْجُنْدَلُ .

وقال علي بن العباس<sup>(٣)</sup> يَصِفُ حَدِيثَ امْرَأَةٍ :

وَحَدِيثُهَا السَّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَمُجِّنْ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ<sup>(٤)</sup>  
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّلْ ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزْ  
شَرَكُ الْعُقُولِ ، وَنَزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِمُطْمَئِنٍّ ، وَعُقْمَلَةٌ الْمُسْتَوْفِزِ<sup>(٥)</sup>

(١) المهرق بفتح الراء : الصحيفة ، والجمع مهراق — عجلان : مسرع — الرفلان :

السير في تبختر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المحلو

(٣) هو ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ (٤) المتحرز : المتحفظ (٥) الشريك : الفخ — العقلة

العقال ، المستوفز : المستعجل — والشاعر يذكّر أن حديث هذه المرأة نزهة للمطمئن وعقال لمن يهيم بالانصراف .



أَلَمْ فِي بَيْتِهِ الْآخِرَ بِقَوْلِ الطَّائِي :

كَوَأَعِيبُ أَتْرَابَ لَغِيْدَاءُ أَصْبَحَتْ      وَلَيْسَ لَهَا فِي الْحَسَنِ شَكْلٌ وَلَا تَرْبُ<sup>(١)</sup>

لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّوَظِرِ لَمْ يَزَلْ      يَرْوَحُ وَيَعْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْخُبُ<sup>(٢)</sup>

وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَثَارَ هَذَا الْمَعْنَى أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكَنْدِيُّ فِي قَوْلِهِ :

وَقَدْ أَغْنَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا      بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ<sup>(٣)</sup>

وَقَالَتْ عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ :

اشْرَبْ عَلَى ذِكْرِ الْغَزَالِ      الْأَغْيَدِ الْحَلَوِ الدَّلَالِ

اشْرَبْ عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ :      يَا غُلَّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ<sup>(٤)</sup>

عليه بنت  
المهدي أخت  
الرشيد

وَكَانَتْ عَلِيَّةُ لَطِيفَةً الْمَعْنَى ، رَقِيقَةً الشَّعْرِ ، حَسَنَةً مَجَارِي الْكَلَامِ ، وَلَهَا  
أَلْحَانٌ حَسَنَةٌ ، وَعَلَقَتْ بِغَلَامٍ اسْمُهُ « رَشَاءُ » وَفِيهِ تَقُولُ :

أَضْحَى الْقَوَادِ بَزِينَا      عَيْنًا كَثِيبًا مُتَعَبَا

فَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةً      وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجَبَا

[ قَوْلُهَا : بَزِينَبُ تَرِيدُ بِرَشَاءَ ] .

فَنَمَى الْأَمْرُ إِلَى أَخِيهَا الرِّشِيدِ ، فَأَبْعَدَهُ ، وَفِيلَ : قَتَلَهُ ، وَعَلَقَتْ بَعْدَهُ بِغَلَامٍ  
اسْمُهُ « طَلٌّ » ، فَقَالَ لَهَا الرِّشِيدُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ذَكَرْتَهُ لَأَقْتُلَنَّكَ ! فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا

(١) الْكَوَاعِبُ : جَمْعُ كَاعِبٍ ، وَهِيَ الْفَتَاةُ تَكْعَبُ ثَدْيَهَا : أَيْ ، تَتَأْ كَالْكَعْبِ ،  
أَتْرَابُ : خَدِينَاتُ ، وَتَارَبَتِ الْفَتَاةُ : خَادَتْهَا ، قَالَ كَثِيرٌ :

تَتَارَبُ بِيضًا إِذَا اسْتَلْعَبَتْ      كَأَمَّ الظُّبَاءُ تَرَفَ الْكَبَائِنَا

وَقَدْ يَرَادُ بِالْأَتْرَابِ الشَّبِيهَاتِ فِي السِّنِّ وَالْحَسَنِ — وَالْغِيْدَاءُ : النَّاعِمَةُ

(٢) قَيْدُ النَّوَظِرِ : هُوَ النَّوَظِرُ كَالْقَيْدِ — الْحَفَارَةُ : الْحَمِيَّةُ (٣) الْوَكْنَاتُ : جَمْعُ  
وَكْنَةٍ ، وَهِيَ الْعَشُّ ، وَالْمَنْجَرْدُ : الْفَرَسُ سَقَطَ شَعْرُهُ مِنَ الضَّمُورِ ، وَالْأَوَادُ : الْوَحُوشُ  
النَّافِرَةُ ، وَالْهَيْكَلُ : الضَّخْمُ (٤) الْغُلَّ : الْغُلَّ : هُوَ الطُّوقُ يَوْضَعُ فِي عُنُقِ الْأَسِيرِ

على حين غفلة وهى تقرأ : فإن لم يُصِبْها وابلٌ فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فضحك ،  
وقال : ولا كل هذا ، وهى القائلة :

يا عاذلى قد كنتُ قبلكِ عاذلاً      حتى ابتليتُ فصرتُ صباً ذاهلاً  
الحب أول ما يكون كجأنة      فإذا تحكمت صار شغلاً شاغلاً<sup>(١)</sup>  
أَرْضَى فَيَغْضَبُ قَاتِلِي فَتَعْجَبُوا      يَرْضَى الْقَتِيلُ وَلَا يَرْضَى الْقَاتِلُ ]

وهى القائلة :

وَضَعُ الْحَبَّ عَلَى الْجُورِ ، فَلَوْ      أَنْصَفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسَمِعَ<sup>(٢)</sup>  
[ وَقَلِيلُ الْحَبِّ صَرْفًا خَالِصًا      لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مَرَجَ ]  
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي نَعْتِ الْهُوَى      عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْحَجَجِ  
وَكُنْهَا ذَهَبَتْ فِي الْأَوَّلِ إِلَى قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :  
وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهُوَى يَوْمُكَ الَّذِي      تُرَوِّعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا      فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكَتَبِ  
وَقَدْ زَادَ التَّمِيرُ فِي هَذَا فَقَالَ :

أشبه الشعر على  
بنت المهدي

رَاحَتِي فِي مَقَالَةِ الْعُذَالِ      وَشِفَائِي فِي قَيْلِهِمْ بَعْدَ قَالَ  
لَا يَطِيبُ الْهُوَى وَلَا يَحْسُنُ الْحَبُّ لَصَبٍ إِلَّا بِخَمْسِ خِصَالٍ  
بِسَمَاعِ الْأَذَى ، وَعَذْلِ نَصِيحٍ ،      وَعِتَابٍ ، وَهَجْرَةٍ ، وَتَقَالِ<sup>(٣)</sup>  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

لَوْلَا أَطْرَادُ الصَّيْدِ لَمْ تَكُنْ لَذَةً      فَتَطَارَدِي لِي فِي الْوَصَالِ قَلِيلًا<sup>(٤)</sup>  
هَذَا الشَّرَابُ أَخُو الْحَيَاةِ وَمَالُهُ      مِنْ لَذَةٍ حَتَّى يُصِيبَ غَلِيلًا<sup>(٥)</sup>

(١) المجانة : العبث (٢) سمج : قبح (٣) التقالى : التباغض

(٤) أطراد الصيد : جريه (٥) الغليل : الظم الشديد

وقال آخر :

دَعِ الصَّبَّ يَصْنُ ' بِالْأَذَى مِنْ حَبِيْبِهِ      فَإِنَّ الْأَذَى مِنْ تَحِبُّ سُرُورُ <sup>(١)</sup>  
غُبَارُ قَطِيعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذَبْهَها      إِذَا مَا تَلَا آثَارُھُنَّ ذَرُورُ <sup>(٢)</sup>  
وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ [ لَجْمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَذْرَى ] <sup>(٣)</sup> :

لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ وَقَفًّا لَا تَحَرَّكُهُ      عَوَاضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَا حَهُ الطَّعْمُ  
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي      لَكُنْتُ أُمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدْعُ  
إِذَا دَعَا بِأَنْمِهَا دَاعٍ لِيَحْزَنَنِي      كَادَتْ لَهُ شُعْبَةُ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ <sup>(٤)</sup>

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي :

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعِشَاقِ      فَكِفَاهُ الْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ  
إِنْ الْبَلَاءُ يَطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ      فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقِ  
لَا تُطْفِئَنَّ جَوِّي بَلَوِّمَ ؛ إِنَّهُ      كَالرِّيحِ تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ  
وَيَشْبَهُ بَيْتَ عَلِيَّةِ الْآخِرِ بَيْتُ أَنْشَدَ فِي شَعْرِ رُؤْيٍ لِأَبِي نَوَاسٍ ، وَرَوَاهُ  
قَوْمٌ لَعْنَانٍ جَارِيَةِ النَّاطِقِيِّ <sup>(٥)</sup> وَهُوَ :

حَلَوُ الْعِتَابِ يَهِيْجُهُ الْإِدْلَالُ      لَمْ يَحُلْ إِلَّا بِالْعِتَابِ وَصَالُ  
لَمْ يَهْوَ قَطُّ وَلَمْ يُسَمَّ بِعَاشِقٍ      مَنْ كَانَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ التَّعْذَالُ <sup>(٦)</sup>

(١) يصلى : يحترق (٢) الذرور : هو الملح يذر على اللحم والفلفل يوضع على الثريد وهو كذلك الدواء في العين . والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل توضع على الطعام

(٣) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب ، ونسب إلى جده أصمعي ، نشأ بالبصرة ، وأخذ عن فصحاء البادية ، واتصل بالرشيد ، وتوفي سنة ٢١٦ (٤) شعبة : قطعة

(٥) الناطقي : رجل من أهل بغداد ، وعنان : شاعرة ماجنة سمع بها الرشيد فاشتراها بعد أن غالى بها سيدها ، ولها أخبار كثيرة مع أبي نواس توفيت في نحو سنة ٢٠٠

(٦) التعذال : اللوم ، ومثله العذل

وجميع أسباب الغرام يسيرة      ما لم يكن غدره ولا استبدال  
تصف القضيب على الكثيب قناتها      ولها من البدر المنير مثال  
ولرب لابس قناع ملاحه      حسناء سار بحسنها الأمثال  
كست الحداة ظرفها وجمالها      نوراً فناء شبابها يختال<sup>(١)</sup>  
وكانها والكأس فوق بنائها      شمس يمدُّ بها إليك هلال  
حتى إذا ما استأنست بحديثها      وتكلمت بلسانها الجريال<sup>(٢)</sup>  
قلنا لها : إن صدقت أقوالها      أفعالها وجرى بهنَّ الفال  
قولي فليس تراك عين نسيمة      حصر النصيح وغابت العذال  
وضمير ما اشتملت عليه ضلوعنا      سرُّ لدى أبوابه أفعال

وقد أخذ أبو الطيب المتنبي معنى «قيد الأوابد» ، فقال يصف كلباً :  
نيلُ المني وحكم نفس المرسل      وعقلة الظبي وحثف التثفل<sup>(٣)</sup>  
كانه من علمه بالقتل      علم بقرط فصاد الأكل<sup>(٤)</sup>  
وقال في بني حمدان :

متصعلكين على كثافة ملهمهم      متواضعين على عظيم الشأن<sup>(٥)</sup>  
يتقبّلون ظلال كل مطهم      أجل الظليم وربقة السرحان<sup>(٦)</sup>  
وقال أعرابي يصف فرساً : إنه لدرك الطالب ، ومنجى الهارب ،  
وقيد الرهان ، وزين الفناء .

(١) يخنال : يترقرق (٢) الجريال : الحجر ، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسناء  
بعدم التحرز في الحديث وقد لعبت برأسها الصهباء .

(٣) التفل : الثعلب ، وفي النسخ القديمة (الثقل) وهو تصحيف (٤) بقرط : من  
كبار الأطباء القدماء ، والأكل : عرق في اليد (٥) متصعلك : متظاهر بالفقر ، والكثافة :  
الضخامة (٦) مطهم : مضمّر دقيق الجسم ، والظليم : ذكر النعام ، والربقة : الرباط ،  
والسرحان الذئب ، والمعنى أنهم يتقبلون ظلال كل جواد في عدوه أجل الظليم وقيد الذئب

وقال بعض أهل العصر في وصف غلام : وَجْههُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ ، وَأَمْدُ  
الْأَفْكَارِ ، ونهاية الاعتبار .

وقال أبو القاسم إسماعيل بن عباد<sup>(١)</sup> :

وَقَدْ أَغْتَدَى لِلصَّيْدِ غُدْوَةً أَصِيدُ أَعَاجِلُ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشُ هُجْدُ<sup>(٢)</sup>  
فَعَنَّتْ ظَبَاءٌ خَفْنَ تَحْتِي مَطْلَقَ الْيَدَيْنِ بِهِ أَيْدِي الْوَحُوشِ تَقِيدُ<sup>(٣)</sup>  
فَأَدْرَكْتُهَا وَالسِّيفُ لَمْعَةٌ بَارِقٌ وَلَمْ يُغْنِهَا إِحْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ رُعْتُهَا إِذْ كَانَ شَعْرِي رَائِعًا وَطَرَفُ مَشْيِي عَنْ عِذَارِي أَرْمَدُ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا بَلَغْتُ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مُدَّتِي وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُمَدِّدُ<sup>(٦)</sup>

وأبيات ابن الرومي من أجود ما قيل في حسن الحديث ، وقد توسّع الشعراء  
في هذا الباب ، وكثر إحسانهم ، كما كثر افتنانهم ، وسأجرى شأواً في مختار  
ما قيل في ذلك ، وأعود إلى ما بدأت به .

قال القطامي - واسمه عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ التُّغْلَبِيُّ<sup>(٧)</sup> ، وسمى القطامي لقوله :

يَحْطُطُّنَّ جَانِبًا فِجَانَنَا حَطَّ الْقُطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا<sup>(٨)</sup>

وقال أبو عبيدة : ويقال للصقر قُطَامِي وَقَطَامِي :

وَفِي الْخُدُورِ غَمَامَاتُ بَرْقَنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدَ نَنَا مِنْ كُلِّ مُضْطَادٍ  
يَقْتُلُنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي<sup>(٩)</sup>

(١) هو صاحب بن عباد المشهور ، المتوفى ٣٨٥ (٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا

(٣) عنت : عرضت ، ومطّقت اليدين : وصف للفرس بالسرعة

(٤) الإحضار : نوع من السير السريع ، وتجهد : تعب (٥) أرمد : كليل البصر ،

يريد أن الشيب لم يسم يصره إلى عذاره

(٦) الطراز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد

(٧) في النسخ القديمة (التغلبى) وهو تحريف (٨) القوارب : طالبات الماء

(٩) يتقين : يخفن ، وباد : ظاهر .

فهنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبَنَّ بِهِ      مواقع الماء من ذى الغلَّةِ الصَّادِى (١)  
وقال أبو حَيَّةِ الثَّمِيرِ ، واسمه الهيثم بن الرِّبيع :

وَخَبَّرَكَ الْوَاشُونَ أَنَّ لَنَا أَحَبَّكُمْ      بلى وسُتُورَ اللَّهِ ذاتِ الْحَارِمِ  
وَإِنْ دَمًا ، لَوْ تَعْلَمِينَ ، جَنَّتِهِ      عَلَى الْحَيِّ جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ (٢)  
أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ      عِزَاءُ بَكُمْ إِلَّا ابْتِلَاعُ الْعَلَاقِمِ (٣)  
حَيَاءٌ وَتُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَيْمَةٌ      بِنَاوَبِكُمْ ، أَفَّ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ (٤)  
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ      إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ (٥)  
وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا      كَغُرِّ الثَّنَايَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاغِمِ (٦)  
إِذَا هُنَّ سَاقِطُنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى      سُقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ (٧)

(١) مواقع الماء من الظمآن : كناية عن الأحشاء ، والمراد أن حديثهن يشفى  
الصب المغرم كما يطفئ الماء لوعة الغليل !

(٢) «لوتعلمين» جملة معترضة، ولو هنا للتمنى (٣) العلاقم: جمع علقم ، وهو الحنظل  
وكل شيء مر . ورواية البرد :

أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ      شفاء لنا إلا اجتراع العلاقم  
والاجتراع : مصدر اجترع الماء أى ابتلعه

(٤) تقيا : خوف ، ورواية البرد بقيا ، وأف لأهل النائم : تباهم !

(٥) أرقلت : أسرعت ، والراعفات والرواعف : الرماح تسيل الرعاف - بضم  
الراء - وهو الدم ، واللهازم : القواطع ، والمفرد لهنم على وزن جعفر (٦) الغر :  
البيض ، والملاغم : هى طرف الأنف وما حوله إلى الشفتين ، والوضوح : البياض  
والإشراق ، وطل : من قولهم دم مطلول إذا مضى هدرًا . وأثبت هذا البيت فى النسخ  
القديمة هكذا :

ولكنه والله ما ظل مسلما      لغير الثنايا واضحات الملاغم

وهو تحريف . هذا ورواية البرد «ولكن لعمر الله» إلخ ، والكاف فاعل «طل»  
فى قوله «ما ظل مسلما كغير الثنايا» . (٧) وقع عن البرد «سقاط حصى المرجان» (م)

رَمَيْنَ فَأَنْفَذَنَ الْقُلُوبَ ، وَلَا تَرَى دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحِيَاظِ (١)  
وقال أيضاً :

حديثٌ - إذا لم تَخْشَ عَيْنًا - كأنه إذا ساقطته الشَّهْدُ أو هو أَطِيبُ  
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ من الموت كادتْ سَكْرَةُ الموت تَذْهَبُ  
إلى هذا ينظر قول الآخر وإن لم يكن منه :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَهُمْ يَعْذِلُونَنِي وَدَمْعُ جُفُونِي دَائِمُ الْعَبْرَاتِ  
بِذِكْرِ مَنِي نَفْسِي فَبَلُّوا ، إِذَا دَنَا خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا ، جُفُوفَ لَهَا قِي (٢)  
وقال سديف مولى بنى هاشم يصفُ نساء :

وَإِذَا تَطَقْنَ تَخَالُفَهُنَّ نَوَاطِمًا دُرًّا يُفَصِّلُ لَوْلُؤًا مَكْنُونًا  
وَإِذَا ابْتَسَمْنَ فَإِنَّهُنَّ غَمَامَةٌ أَوْ أَقْحَوَانِ الرِّمْلِ بَاتَ مَعِينَا (٣)  
وَإِذَا طَرَفْنَ طَرَفْنَ عَنْ حَدَقِ الْمَاهَا وَفَضَلْنَهُنَّ حَاجِرًا وَجُفُونًا (٤)  
وَكُنَّ أَجِيَادَ الظُّبَاءِ تَمُدُّهَا وَخُصُورُهُنَّ لَطَافَةً وَلُدُونَا (٥)  
وَأَصْحٌ مَا رَأَتْ الْعَيُونَ حَاجِرًا وَلَكِنَّ أَمْرَضُ مَا رَأَيْتَ عَيُونًا (٦)

(١) أَنْفَذَنَ الْقُلُوبَ : من قولهم «رَمَيْتَهُ فَأَنْفَذْتَهُ» إِذَا أَنْفَذْتَ فِيهِ السَّهْمَ . ورواية  
البرد «أَقْصَدَنَ الْقُلُوبَ» بِمَعْنَى أَصْبَنَهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَدْتَ الرَّجُلَ إِذَا طَاعْتَهُ فَلَمْ تَخْطِئْ مَقَاتِلَهُ ،  
ومأثر : سائل ، والحيازم : جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر  
(٢) اللهاة : اللحم المشرقة على الحلق ، وهذا البيتان من الشعر الرائع  
(٣) الْأَقْحَوَانِ : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصعه البياض ، والعين :  
المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة .

(٤) طَرَفْنَ : حركن عيونهن ، والمها : الغزلان (٥) الْأَجِيَادُ : جمع جيد - بكسر  
الجم - وهو العنق ، والدون والدونة - بضم اللام - الرقة

(٦) اللام في «لكن» لام الابتداء ، والمقصود بها التوكيد ، وفي هذا المعنى يقول جرير :  
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا (م)

وَكَاثِبُهُنَّ إِذَا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ يَنْهَضْنَ بِالْعَقَدَاتِ مِنْ يَبْرِينَا<sup>(١)</sup>  
وقال الطائي<sup>(٢)</sup> :

تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ لِحَجَّتِي عُدُوبَتِهِ يَمُرُّ بِشَعْرِهَا  
وَأُظْنُّ حَبْلَ وَصَالِهَا لِمُحِبِّهَا أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا  
أَخَذَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِيٍّ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ يَمْدَحُ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ، إِلَّا أَنَّهُ قَلَبَهُ فَقَالَ:  
قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طِيبُ ثَنَائِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الثُّغُورِ عَذَابَا  
وَكَاثِمًا ضَرَبَ السَّمَاءَ سُرَادِقًا بِالزَّابِ، أَوْ رَفَعَ النُّجُومَ قِيبَا<sup>(٤)</sup>  
أَرْضًا وَطِئْتُ الدَّرَرَ رَضْرَاضًا بِهَا وَالْمَسْكَ تَرْبًا وَالرِّيَاضَ جَنَابًا<sup>(٥)</sup>

(١) العقدات : جمع عقدة ، وهى السفح والكثيب ، ويبرين : اسم مكان من  
أصقاع البحرين ، يقول فيه أبو زياد الكلابي .

أراك إلى كَثَبَانِ يَبْرِينَ صَبَّةً وَهَذَا لِعَمْرِى لَوْ قَعَتِ كَثِيبٌ  
وَإِنْ الْكَثِيبَ الْفَرْدِ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى إِلَى ، وَإِنْ لَمْ أَتْهُ ، لِحَبِيبِ

(٢) نسبه شاذة إلى طيء ، وكلما ذكر « الطائي » فالمراد أبو تمام ، وهو شاعر  
فُخْلٍ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَلِدَ فِي جَاسِمٍ - وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ ١٩٠  
لِلْهَجْرَةِ ، وَنَقَلَ صَغِيرًا إِلَى مِصْرَ ، وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً يَسْقَى الْمَاءَ فِي جَامِعِ عَمْرٍو ، ثُمَّ رَحَلَ  
إِلَى مَقَرِّ الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَنْ نَبَغَ فِي الشَّعْرِ وَالْأَدَبِ ، فَاتَّصَلَ بِالْمُعْتَصِمِ وَوَزِيرِهِ مُحَمَّدَ بْنَ الزَّيَّاتِ ،  
ثُمَّ وَلَاهُ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ بَرِيدَ الْمَوْصِلِ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٢٣١ . وَلَهُ دِيْوَانٌ  
(٣) مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ : مِنْ أَكْبَرِ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَأَشْهَرِهِمْ . وَكَانَ يُسَمَّى  
« مَتْنَبِيَّ الْغَرْبِ » لِحِزَالَةِ شَعْرِهِ وَقُوَّةِ عَارِضَتِهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكَافِيَةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي  
يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :

فَتَكَاتَ لِحَظْكَ أُمُّ سَيْوْفٍ أَيْيُكَ وَكُوُوسُ خَمْرٍ أُمُّ مَرَاشِفٍ فَيْيُكَ  
تُوفَى فِي سَنَةِ ٣٦٢ ، بَعْدَ أَنْ جَابَ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْطَارِ وَاتَّصَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ الرُّؤَسَاءِ .  
أَمَّا جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ فَمَدَّوْجُهُ قَقْدَ تُوُفَى سَنَةَ ٣٦٤ .

(٤) الزاب : من أعمال أفريقية (٥) الرضراض : صغار الحصى



وقال الطائي :

بَسَطْتُ إِلَيْكَ بَنَانَةً أَسْرُوعاً      تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعاً<sup>(١)</sup>  
كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا      مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعاً  
وَمِنْ جَيِّدِ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدِيمِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي<sup>(٢)</sup> :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ      عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةً مُتَعَبِّدٍ<sup>(٣)</sup>  
لَرْنَا لِلْهَجْتِهَا وَطِيبَ حَدِيثِهَا      وَخَالَهْ رَشْداً وَإِنْ لَمْ يَرْشُدْ  
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا      نَظَرِ السَّلِيمِ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ<sup>(٤)</sup>  
وَمِنْ مَشْهُورِ الْكَلَامِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا      أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا  
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا      إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوثةٌ لَوْ تُعِيدُهَا<sup>(٥)</sup>  
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُهَا      وَتُرْمَى بِلا جُرْمٍ عَلَى حُقُودِهَا<sup>(٦)</sup>  
وَقَالَ بَشَارُ :

وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا      قَطَعَ الرِّيَاضُ كَسِينَ زَهْرًا  
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَّتْكَ بِالْعَيْنِينَ خَمْرًا<sup>(٧)</sup>  
تُنْسِي الْغَوِيَّ مَعَادَهُ      وَتَكُونُ لِلْحَكَمَاءِ ذِكْرًا  
وَكَأَنَّهَا بَزْدُ الشَّرَا      بَصَفًا وَوَاقِفًا مِنْكَ قَطْرًا<sup>(٨)</sup>

(١) الأسرودع : دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل المخضبة (٢) النابغة : شاعر

جاهلي صلب النعمان بن المنذر وأجاد القول في الاعتذار

(٣) الأشمط : من يخالط بياض شغره سواد ، وصرورة ، وصارورة ، وصرور :  
لم يتزوج ، للواحد والجمع (٤) العود : جمع عائد ، والمراد أنها تنتظر بتكسر وقتور  
كما ينظر السقيم إلى وجوه العواد - والمخنوط «نظر السقيم» وهو نسخة ، وكذلك هو  
في ديوانه (م) (٥) الخفرات : من الخفر - بفتحين - وهو الحياء .

(٦) تحلل : تتحلل وتذوب ، والأحقاد والحقود : جمع حقد ، والجرم : الذنب

(٧) حوراء : من الحور - بفتحين - وهو شدة بياض العين مع شدة سواد

سوادها (٨) في الأصل «وافق فيه قطراً» والذي اثبتناه أوفق

وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يُنْفِثُ فِيهِ سِحْرًا  
وَتَحَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا<sup>(١)</sup>  
وسمع بشارتُ قولَ كُثَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ<sup>(٢)</sup> :

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ إِذَا عَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ  
فَقَالَ : قَاتِلِ اللَّهَ أَبَا صَخْرٍ ! يَزْعُمُ أَنَّهَا عَصَا وَيَعْتَذِرُ بِأَنَّهَا خَيْرُ رَانَةٍ ، وَلَوْ قَالَ  
عَصَا مُخٍّ ، أَوْ عَصَا زُبْدٍ ؛ لَكَانَ قَدْ هَجَّنَهَا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا ، هَلَا قَالَ كَمَا قُلْتَ  
وَدَعَجَاءَ الْحَاجِرِ مِنْ مَعَدٍّ كَانَ حَدِيثُهَا كَثْمُ الْجَنَانِ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثَنَّتْ كَانَ عِظَامُهَا مِنْ خَيْرِ رَانَ

وبعد قول كُثَيْبٍ : « أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ » :

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاءَ فَتَكَ ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ شَجَى فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ  
وَأِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لَأَخْرَجَتْ مِنْ خُلَائِهَا سَتَلِينَ  
وَأِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِحُضُوبِ الْبَنَاتِ يَمِينُ  
وقال البحترى :

وَلَمَّا التَّقَيْنَا وَاللَّوَى مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً  
فَمَنْ لَوْلُو تَجْنِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ  
وقال المتنبي :

أُمْنَعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظُّبَيْةُ الَّتِي بَغِيرَ وَلِيِّ كَانَ نَائِلُهَا الْوَسْمِيُّ<sup>(٤)</sup>  
تَرَشَّفَتْ فَأَهَا سِحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَّفْتُ حَرًّا الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ<sup>(٥)</sup>

(١) يصف جسمها بأنه قطعة من الذهب والعطر .

(٢) هو كُثَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المتوفى في سنة ١٠٥ (٣) دَعَجَاءُ : حوراء .

(٤) الْوَسْمِيُّ : المطر الأول ، والوَلَى : المطر الذي يليه .

(٥) الظلم بفتح الظاء : الثغر ، قال كعب بن زهير :

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظِلِّمْ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مِنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

وفي أساس البلاغة : الظلم كَأَنَّهُ ظَلَمَةٌ تَرْكَبُ مَتُونُ الْأَسْنَانِ مِنْ شِدَّةِ الصَّفَاءِ

فتاة تساوى عقدها وكلامها ومبسمها الدرر في النثر والنظم.

تفسير حديث  
وضبط لفظه

عاد الحديث الأول - قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي :

حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدّي قراءة عليه ، عن أبي داود ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحراً » قال أبو القاسم : هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ ، فقال : نعم ، هو : « إن من الشعر لحكماً » بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال : ووجهه عندي إذا روى هكذا : إن من الشعر ما يلزم المقول فيه كزوم الحكم له حكوم عليه ؛ إصابة للمعنى ، وقصدًا للصواب وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ لَا سَبِيلُ سَنَنِهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تَوَقَّيْتُ الْمَكَارِمَ <sup>(١)</sup>  
يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ وَيُرْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ  
اتتهى كلام أبي القاسم .

الخطيئة  
وبنو أنف  
الناقة

وقد وجدنا في الشعر أبياتاً يُجرى على رسمها ، ويُضَى على حكمها ؛ فقد كان بنو أنف الناقة إذا ذكّر أحدٌ عند أحد منهم أنف الناقة - فضلاً عن أن ينسبهم إليه - اشتدّ غضبهم عليه ؛ فما هو إلا أن قال الخطيئة <sup>(٢)</sup> يمدحهم :  
سِيرِي أُمَامَ فَإِنَّ الْكَثْرَيْنَ حَصَى وَالْأَطْيِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا <sup>(٣)</sup>

(١) البغاة : الطلاب . وفي الأصل « بغاة الندى » وما أثبتناه أدق .

(٢) هو جرول بن أوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، كان سليل للسان لم يكده يسام من هجائه أحد ، وقد سجّنه عمر بن الخطاب لذلك ، توفي نحو سنة ٣٠ .

(٣) سيري : أمر من السير المفردة المؤنثة ، وأمَامَ - بضم الهمزة - مرخم أمامة وهو اسم امرأة ، والأكثرين حصى : أى أكثر الناس عدداً ، ومنه قول الأعشى :  
ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير (م)

قَوْمُ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ شَدَّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا<sup>(١)</sup>  
 قَوْمُ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يَسُوَّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا  
 فصار أحدُهم إذا سئل عن انتسابه لم يَبْدَأْ إِلَّا بِهِ

وَأَنْفُ النَّاقَةِ : هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم .  
 وكان بنو الْعَجْلَانِ يَفْخَرُونَ بهذا الاسم ، ويتشرفون بهذا الوَسْمِ ؛ إذ كان  
 عَبْدُ اللَّهِ بن كعب جدَّهم إنما سَمِيَ الْعَجْلَانِ لتعجيله الْقِرَى لِلضَّيْفَانِ ؛ وذلك أن  
 حَيًّا مِنْ طِيءٍ نَزَلُوا بِهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ بِقِرَاهِمَ عَبْدًا لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : ائْجَلْ عَلَيْهِمْ ،  
 ففعل العبدُ ، فأعتقه لعجلته ، فقال القوم : ما ينبغي أن يسمى إِلَّا الْعَجْلَانِ ؛ فسمى  
 بذلك ؛ فكان شرفًا لهم ، حتى قال النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن حرن  
 ابن الحارث بن كعب يهجوهم :

بنو العجلان  
والنجاشي  
الحارثي

أُولَئِكَ أَحْوَالُ اللَّعِينِ وَأُسْرَةُ الْمُهْجِنِ وَرَهْطُ الْوَاهِنِ الْمُتَذَلِّلِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانِ إِلَّا لِقَوْلِهِ خَذِ الْقَعْبَ وَأَحْلِبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ ائْجَلْ

فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال : كعبي ، ويكنى عن العجلان  
 وزعمت الرواة أن بني العجلان استعدوا<sup>(٣)</sup> على النجاشي لما قال هذا الشعر - ثم  
 ابن الخطاب رضى الله عنه ، وقالوا : هَجَانَا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأشده قوله :

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ  
 فقال : إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَادَى مُسْلِمًا ، قالوا : فقد قال :

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظَاهِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ<sup>(٤)</sup>

(١) العناج : جبل الدلو وزمام الناقة . والكرب أيضا : من جبال الدلو ، والمراد  
 أنهم إذا عقدوا عقداً ربطوه بجبل بعد جبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد

(٢) الأسرة والرهط بمعنى القوم ، والمهجين : غير الشريف ، والواهين : الضعيف

(٣) استعانوا واستنصروا (٤) قبيلة تصغير : قبيلة ، وفي الأصل قبيلته وهو تحريف ؛

والعنى أنهم لا يقدرّون لضعفهم على ظلم أحد .

فقال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا : فقد قال :

تَعَاَفُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمِهِمْ      وَتَأْكُلُ مِنْ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ بِنَهْشَلٍ

فقال : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا : فقد قال :

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً      إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ<sup>(١)</sup>

فقال : ذلك أضفى للماء ، وأقل للزحام ! قالوا : فقد قال :

وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ      خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

فقال : سيّد القوم خادهم ! .

وكان عمر رضى الله عنه أعلم بما فى هذا الشعر ، ولكنه درأ الحدود بالشبهات<sup>(٢)</sup>

وهؤلاء بنو نعيم بن عامر بن صعصعة من القوم أحد جمرات العرب بنو نعيم وجريـ

ر وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجمرات العرب ثلاثة ؛ وإنما سُموا

بذلك لأنهم متوافرون فى أنفسهم ، لم يدخلوا معهم غيرهم ؛ والتجـمير فى كلام العرب :

التجميع ، وهم بنو نعيم بن عامر ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . فطلقت

جمرتان ، وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لأنها حالفت مذحج ، جمرات العرب

و بقيت نعيم لم تحالف ؛ فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له :

مَنْ أَنْتَ ؟ قال : نيمى كما ترى ! إـدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير

ابن [عطية بن] الخطّافى لِعُبَيْدِ بْنِ حُصَيْنِ الرَّاعِي أَحَدِ بَنِي نَيْمٍ بِنِ عامر :

فَغُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ      فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

كعب و كلاب : ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ فصار الرجل منهم إذا قيل له :

مَنْ أَنْتَ ؟ يقول : عامرى ، ويكنى عن نعيم .

ومرّت امرأة بقوم من بنى نعيم ، فأحدّوا النظر إليها ، فقال منهم قائل : والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء إلا إذا انصرف عنه الناس — وذلك

كناية عن ضعفهم وعدم قدرتهم على المزاخرة للوصول إلى الماء ( م )

(٢) هذا الحديث رواه ابن رشيـق فى العمدة بشئ من التفصيل فليراجع هناك .

إنها لَرَشْحَاءُ<sup>(١)</sup>، فقالت : يا بني نمير ، والله ما امتثلتم في واحدة من اثنين ، لا قول الله عز وجل : ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) ولا قول الشاعر :

\* فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِير \* \*

وساير شريك بن عبدالله النخعي يزيدي بن عمر بن هُبيرة الفزاري ، فَبَرَزَتْ بغلة شريك<sup>(٢)</sup> ، فقال له يزيدي : غَضَّ من لجامها ، فقال : إنها مكتوبة أصلح الله الأمير ! فضحك ، وقال : ما ذهبت حيث أردت وإنما عرض بقوله : « غَضَّ من لجامها » بقول جرير :

\* فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِير \* \*

فَعَرَضَ له شريك بقول ابن دارة :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوبِكِ وَاكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ<sup>(٣)</sup>

و بنو فزارة يُرْمَوْنَ بِأَتْيَانِ الْإِبِلِ ، ولذلك قال الفرزدق ليزيدي بن عبد الملك ابن هبيرة لما ولي عمر بن هبيرة<sup>(٤)</sup> العراق :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَأَنْتَ مَرَّةً  
أُولَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَأَفِدِيهِ  
لَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ  
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكِي قُلُوبُ<sup>(٥)</sup>  
أَمِينَ لَسْتُ بِالطَّبْعِ الْحَرِيصِ  
فَزَارِيًّا أَحْذَى يَدِ الْقَمِيصِ<sup>(٦)</sup>

(١) رشحاء : كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء .

(٢) برزت : سبقت (٣) اكتبها : مأخوذ من الكتبة - بضم الكاف وسكون التاء - وهو سير يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها . وكتب الناقة يكتبها - بكسر التاء وضمها في المضارع - ختم حياءها .

(٤) عمر بن هبيرة الفزاري : أمير من الدهاة الشجعان ، ولده عمر بن عبد العزيز الجزيرة ، فأقام فيها إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك ، فولاه إمارة العراق وخراسان ، توفي نحو سنة ١٩٠ (٥) أخذ : مقطوع ، ومقطوع يد القميص كناية عن السارق (٦) القلوص : الناقة ، والخوف على وركي الناقة كناية عن الخوف عليها من أن يأثمها الفزاري !

تَفْهَيْقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَيْصِ<sup>(١)</sup>  
الرافدان : دجلة والفرات .

وقال بعض النُمَيْرِينَ يَجِيبُ جَرِيْرًا عَنْ شِعْرِهِ :  
نُمَيْرِي يَجِيبُ  
جَرِيْرًا

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهِبُ التَّهَابَا  
وَإِنِّي إِذْ أَسْبُ بِهَا كَلِيْبًا فَتَحَتْ عَلَيْهِمُ لِلْخَسْفِ بَابَا  
وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَا نُمَيْرًا وَلَمْ يَسْمَعْ لِشَاعِرِهِمْ جَوَابَا  
رَغَبْنَا عَنْ هَجَاءِ بَنِي كَلِيْبٍ وَكَيْفَ يُشَا تَمُّ النَّاسُ الْكِلَابَا  
فَمَا نَفَعَ نُمَيْرًا ، وَلَا ضَرَّ جَرِيْرًا ، بَلْ كَانَ كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتُمَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ  
وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْذَرٍ مَوْلَى بَنِي صَيْبٍ بَنِي رُبُوعٍ فِي هَجَائِهِ لثَقِيفٍ :  
وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعْفًا هِجَايَ كَمَا وَضَعَ الْمُهَاجِرُ بَنِي نُمَيْرٍ  
وَسَمِعَ الرَّاعِي<sup>(٢)</sup> مَنَشْدًا يَنْشُدُ :

وَعَاوَى عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ بِقَافِيَةٍ أَنْفَازُهَا تَقَطَّرُ الدَّمَ<sup>(٣)</sup>  
خَرُوجٍ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَى هُنْدُوَانِي إِذَا هَزَّ صَمًّا<sup>(٤)</sup>

عَلَيْهِ ، وَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ قِيلَ : لَجَرِيْرٍ ، قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يُلَوِّمُنِي أَنْ يَغْلِبَنِي مِثْلَ هَذَا !  
وَقَدْ بَنَى الشَّعْرُ لِقَوْمِ بَيْتَاتٍ شَرِيفَةٍ ، وَهَدَمَ لِآخَرِينَ أَبْنِيَةَ مَنِيفَةٍ :

وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَتَغْتَدِي لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ<sup>(٥)</sup>  
قَالَ أَبُو عَنِيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّمِيمِي<sup>(٦)</sup> : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ وَرَجُلًا يَقُولُ :

- (١) تَفْهَيْقُ : عَاشَ عَيْشَةَ التَّرَفِ ، وَالْخَيْصُ : طَعَامٌ يَعْمَلُ مِنَ التَّمْرِ وَالسَّمَنِ .
- (٢) الرَّاعِي : هُوَ عَمِيْدُ بْنُ حَصِيْنِ النُّمَيْرِي ، شَاعِرٌ خَلَّ كَانَ يُفَضِّلُ الْفَرَزْدَقَ عَلَى فَهْجَاءِ جَرِيْرٍ ، وَاسْتَمَرَ بَيْنَهُمَا الْعِدَاءُ . تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ٩٠ .
- (٣) أَنْفَازُ : جَمْعُ نَفَذَ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَهُوَ الشَّقُّ تَحْدِثُهُ الطَّعْنَةُ
- (٤) الْهِنْدُوَانِي : السَّيْفُ ، وَالْقَرَى : الشَّقُّ وَالصَّدْعُ ، وَصَمَمَ : أَصَابَ الْفَصْلَ وَقَطَعَهُ
- (٥) مَوَاسِمُ : جَمْعُ مَدَسِمٍ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْوَسْمِ ، وَأَرَادَ بِهِ الْكِي (م)
- (٦) كَانَ مِنْ أَبْصَرِ النَّاسِ بِعِلْمِهِ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تَوَفَّى سَنَةَ ٣٠٩ .

إنما الشعر كالْمَيْسَمِ<sup>(١)</sup>. فقال: وكيف يكون ذلك كذلك؟ والميسم يذهب بذهاب الجلد ويُدْرُسُ مع طول العهد، والشعر يبقى على الأبناء بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء! وإلى هذا نحا الطائي في قوله :

وَأَنى رَأَيْتُ الوَسْمَ في خُلُقِ الفتي      هو الوَسْمُ لا ما كان في الشَّعر والجلد  
وقال عمر رحمة الله عليه : تعلموا الشعر؛ فإن فيه محاسن تُبتغى، ومساوىء تُتنقى.  
وقال أبو تمام :

مثل النظام إذا أصابَ فريدا	إنَّ القوافيَ والمساعيَ لم تَزَلْ
في الشعر كان قلائداً وعُقودا	هيَ جواهرٌ نثرٌ فإن أَلَفَّتْهُ
يدعونَ هذا سُودَداً مجدودا	من أجل ذلك كانت العربُ الألى
جُعِلَتْ لها مِرَرُ القصيدِ قُبُودا <sup>(٢)</sup>	وتندُّ عندهمُ العُلاَ إلا إذا
	وقال علي بن الرومي :



أرى الشعر يُحيي الناسَ والمجدَ بالذي تَبْقِيهِ أرواحُ له عَطِرَاتُ  
وما المجدُ لولا الشَّعْرُ إِلَّا معاهدٌ وما الناسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَحْرَاتُ<sup>(٣)</sup>  
[شذور من كلام الرسول]

رجعت إلى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأَجَلٌ وأَعْلَى ، وهو كلامُ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الكريمُ النَّجْرِيُّ<sup>(٤)</sup> ، العظيمُ القَدَرُ ، الذي هو النهايةُ في البيان ،  
والغايةُ في البرهان ، المشتغل على جَوَامِعِ الكَلَمِ ، وبدائعِ الحِكمِ ، وقد قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أُنَى مِنْ قَرِيشَ ، واستُرْضِعَتْ في سعد  
ابن بكر! وليس بعضُ كلامه بأولى من بعضٍ بالاختيار ، ولا أحقُّ بالتقديم والإيثار ؛  
ولكنني أورد ما تيسَّرَ منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاحاً .

---

(١) اللبسم : المكواة . (٢) المرر : جمع مرة - بكسر الميم - وهي إحكام الفتل ،  
وتند : تنفر وتشرذ . (٣) معاهد : أراد الأطلال الدارسة ، والمقصود أن المجد  
يفنى ويبلى بلاء الأطلال ما لم يدعمه الشعر . (م) (٤) النجر : الأصل .

وهذه شذوْرٌ من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوَجيز ،  
المتضمن بقليلٍ من المباني كثير المعاني :

قوله للأَنْصار : إنكم لَتَقْلُونَ عند الطمع ، وَتَكْثُرُونَ عند الفَرَع .

وقوله عليه الصلاة والسلام : المسلمون تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ  
أَدْنَاهُمْ ، وهم يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ . الناسُ كإِبِلٍ مائةٌ لَا تَجِدُ فِيهَا راحلة . إياكم وَخَضِرَاءُ  
الدِّمَنِ <sup>(١)</sup> . كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا <sup>(٢)</sup> - قاله لأبي سُفْيَانَ صخر بن حرب - .  
الناسُ مُعَادِنٌ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا . المؤمن للمؤمن  
كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا . أصحابي كالنَّجْمِ بَأْيَهُمْ اقْتَدَيْتُمْ أَهْتَدَيْتُمْ . المشبع بما  
لَمْ يُعْطَ كَلَابِسَ ثَوْبِي زَوْرٍ . المرأة كالضلع إن رُمْتُ قِوَامُهَا كَسَرَتْهَا <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ  
دَارَيْتَهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا . الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى . مَطْلُ الْغَنَى ظُلْمٌ .  
يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ . مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ كَالْقَطْرِ ، أَيْنَمَا وَقَعَ  
نَفَعَ . لَا تَجْعَلُونِي فِي أَعْجَازِ كِتَابِكُمْ كَقَدَحِ الرَّائِبِ <sup>(٤)</sup> . أَرْبَعَةٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ :  
كِتَابُ الصَّدَقَةِ وَالْمَرَضِ وَالْمُصِيبَةِ وَالْفَاقَةِ . جَنَّةُ الرَّجُلِ دَارُهُ . النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا  
مَاتُوا انْتَبَهَوْا . كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً . إِنْكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، فَسَعَوْهُمْ  
بِأَخْلَاقِكُمْ . مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهِى . كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ .  
الْيَمِينُ حِنْثٌ أَوْ مَنَدَمَةٌ <sup>(٥)</sup> . دَعِ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ . أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَلَمًا كَانَ

(١) الدمن: جمع دمنة ، وهي مربوط الإبل والحيل ينبت فيها النبات فيكون رائع  
الحضرة لكثرة الماء والسماد ، وخضراء الدمن : كناية عن المرأة الوسيعة تدرج من  
بيت السوء .

(٢) الفراء : حمار الوحش ، (كل الصيد في جوف الفراء) مثل ، ومعناه أن من  
قال الأمر العظيم كان خليقا أن ينسى ما سواه مما ينال الناس .

(٣) القوام بالكسر : التقويم (٤) الأعجاز : الأواخر  
(٥) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب والندم

أومظلوماً . احترسوا من الناس بسوء الظن . الذم توبة . انتظار الفرج عبادة . نعم صومعة الرجل بيته . المستشار مَعان والمستشار مؤتمن . المرء كثير بأخيه . إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلأؤها الاستغفار . اليوم الرهان وغداً السباق ، والجنة الغاية . كل من في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ، والضيف مُرتحل ، والعارية مؤداة .

ومن جوامع كَلَامِهِ عليه الصلاة والسلام مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني : سمعتُ أهلَ العلم يقولون : هذا الحديث ثلثُ الإسلام ، والثلث الثاني مارواه النعمان بن بشير أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحلالُ بين ، والحرامُ بين ، وبينهما أمورٌ مشتهيات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان كالراتع حول الحمى ؛ ألا وإن لكلِّ ملكَ حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » <sup>(١)</sup> .

قال : و [ الثلث ] الثالث مارواه مالك [ عن ] ابن شهاب عن علي ابن حسين أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

---

(١) الحمى : الشيء المحمى المنوع ، والمحارم : جمع محرم بمعنى الحرام ، يعنى أن المحرمات التي نهى الله ورسوله عنها تشبه الحمى ، فكما أنه لا يجرؤ أحد على الاقتراب مما يحميه الملوك ينبغي ألا يقرب أحد شيئاً مما حرمه الله ، وفي رواية « فمن تركها فقد استوثق لدينه وعرضه » (م)

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعرَ وأُثابَ عليه ، وندبَ  
 حسانَ بنَ ثابتٍ إليه <sup>(١)</sup>، وقال : إن الله ليؤيده بروح القدس ما نافع عن نبيه <sup>(٢)</sup>.  
 ولما انتهى شعرُ أبي سفيانَ بنِ الحارثِ بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله  
 عليه وسلم شقَّ عليه <sup>(٣)</sup> فدعا عبد الله بن رَواحة <sup>(٤)</sup> فاستنشدَه فأنشدَه فقال : أنت  
 شاعرٌ كريم ، ثم دعا كعبَ بن مالك فاستنشدَه فأنشدَه ، فقال : أنت تُحسِنُ صِفَةَ  
 الحرب ، ثم دعا بحسانَ بن ثابت فقال : أجبْ عني ، فأخرجَ لسانَه فضربَ به  
 أرنبته <sup>(٥)</sup> ؛ ثم قال : والذي بعثك بالحق ما أُحِبُّ أن لي به مَقُولاً في معدٍّ ؛  
 ولو أن لسانا فرى الشعرَ لفرَّاه <sup>(٦)</sup>. ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
 يمسَّ من أبي سفيان ، فقال : وكيف ، وبينى وبينه الرَّحِمُ التي قد علمت ؟ فقال :  
 أسلُّك منه كما تُسلُّ الشعْرةُ من العَجِين ! فقال : اذهب إلى أبي بكر ، وكان أعلمَ  
 الناسَ بأنسابِ قريش ، وسأُرَ العرب ، وعنه أخذَ جُبَيْرُ بن مُطْعِمٍ علمَ النسب ،  
 فمضى حسانُ إليه فذكر له معايبه ، فقال حسانُ بن ثابت :

وإنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ  
وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ      كرامٌ، ولم يَقْرُبْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ<sup>(٧)</sup>  
وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابْنِ أُمِّهِ      وَلَكِنْ لَيْتِمُ لَا يَقُومُ لَهُ زَنْدُ<sup>(٨)</sup>  
وَإِنَّ امْرَأً كَانَتْ سُمِّيَةً أُمُّهُ      وَسَمَرَاهُ مَغْمُوزٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ<sup>(٩)</sup>  
وَأَنْتَ زَنْيِمٌ نَيْطَ فِي آلِ هَاشِمٍ      كَمَا نَيْطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ<sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) ندب : دعا (٢) نافح : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة : صحابي يعد في الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب في الجاهلية ، شهد العقبة وبدرًا وأحدا . واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته . توفي سنة ٨ .
- (٥) الأرنبة : طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يمحوه ، ومحو الشعر : كناية عن غاية الإيذاء (٧) العجائز : جمع عجوز (٨) الزند : موصل طرف الذراع في السكف (٩) الجهد : التعب . وبلوغه : شدته ، وهذا كناية عن السعي للمجد ، والمغموز : الحامل (١٠) زنيمة : دعى معلق بمن ليس منه ، ونيط بكسر النون : علق

فلما بلغ هذا الشعر أباسفيان قال : هذا كلامٌ لم يَغِبْ عنه ابنُ أبي قحافة<sup>(١)</sup>  
يعنى يبنى بنت مخزوم عبد الله وأباطالب والزبير بنى عبد المطلب بن هاشم [بن  
عبد مناف] ، أُمُّهُمْ فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم  
برّة وأميمة والبيضاء ، وهى أم حكيم ، والبيضاء جدّة عثمان بن عفان أم أمه  
وقوله : « ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام » يعنى أميمة وصفية أم الزبير بن  
العوام أمّها هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة  
وقوله : « ولست كعباس ولا كإبنِ أمه » أمّ العباس : ثبيلة امرأة من النعمان  
ابن قاسط ، وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب  
وقوله : « وإن امرأة كانت سمية أمه » سمية أم أبي سفيان ، وسمراء : أم أبيه  
وليس هذا موضع إطناب فى رفع الأنساب .  
وكان عبدُ الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عَتَبَ على بعض ولد الحارث  
فقال له مُعَرِّضاً بما قال حسان :

إِخَالٌ بِالْعَمِّ وَبِالْجُدِّ      مَفْتَخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ<sup>(٢)</sup>  
الْهَجْ بِحَسَانٍ وَأَشْعَارِهِ      فَإِنِهَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ  
لَوْلَا سَيْفُ الْأَزْدِ لَمْ تَوْمِنُوا      وَلَمْ تَقِيمُوا سُورَةَ الْحَمْدِ  
فَتَوَعَّدُوهُ ، فَخَافَهُمْ ، فَقَالَ :

بَنِي هَاشِمٍ عَفَوْا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ      وَإِنْ كَانَ ثَوْبِي حَشَوُ ثَنِيهِ مُجْرِمُ<sup>(٣)</sup>  
لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا      وَجَمْعُهُ وَمَاضِىَ الْخَطِيمِ وَزَمْزَمُ  
فَإِنْ قَلَسْتُمْ بَادَهْتُنَا بِعَظِيمَةٍ      فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجْلٌ وَأَعْظَمُ

(١) ابن أبي قحافة : هو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (م)

(٢) إخال - بكسر الهمزة - أظن ، والمعنى : أظنك مفتخراً بالقدر الفرد

(٣) حشو ثنیه : أراد لابس ثوبه ، كناية عن نفسه ، وهذا مثل قولهم « المجديين

نريه ، والجود حشو ثوبه » ونحو ذلك (م)

وأسلم أبو سفيان - رحمه الله ! - وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين ،  
 وكان ممسكاً بَعْلَتِهِ حين فرَّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم - على ما ذكره  
 أبو محمد عبد الملك بن هشام - أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، وأبو سفيان  
 ابن الحارث ، وابنه الفضل ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم  
 أيمن بن عبيد قتل يومئذ ، وبعضُ الناس يعدُّ فيهم قُتَمَ بن العباس ، ولا يعدُّ  
 أباً سفيان ، وكان أبو سفيان من أشعر قريش ، وهو القائل :

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرُ فَخْرٍ بَأَنَا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حَصَانًا  
 وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا<sup>(١)</sup>  
 وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

ويروى أن ابن سيرين قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره  
 قد شق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرَّحْلِ إذ قال : يا كعبُ  
 ابن مالك : اأخذ بنا ! فقال كعب :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ حَقٍّ وَخَيْرٌ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَ<sup>(٢)</sup>  
 نَخِيرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُنَّ : دَوْسًا أَوْ تَقِيْفًا

فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لهُي أشدُّ عليهم من رَشَقِ النَّبْلِ !  
 ويقال : إن دَوْسًا أسلمت فرقًا<sup>(٣)</sup> من كلمة كعب هذه<sup>(٤)</sup> ، وقالوا : اذهبوا لخذلوا  
 لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

وقتلَ النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث ، وكان ممن أسير يوم بدر ،  
 النضر  
 ابن الحارث

(١) سابغات : طويلة ضافية (٢) أجمنا : أرحنا (٣) فرقًا : خوفًا (٤) كان  
 كعب بن مالك جيد الشعر ، حتى قال روح بن زنباع : أشجع بيت وصف به رجل  
 ومه قول كعب :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما ، ونلحقها إذا لم تلحق  
 وكانت وفاته سنة ٥٥

وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه صبراً<sup>(١)</sup>  
 فعرضت النبي صلى الله عليه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث - وفي بعض الروايات  
 أن قتيلة أتنه فأنشدته :

يا راكباً إن الأثيل مظنة  
 أبلغ بها ميتاً بأن تحية  
 متى إليه وعبرة مسفوحة  
 هل يسمعني النضر إن ناديت  
 ظلت سيوف بني أبيه تنوشه  
 قسراً يقاد إلى المنية متعباً  
 أحمدها أنت صنيو كريمة  
 ما كان ضرك لو منبت وربما  
 فالنضر أقرب من قتلت قرابة  
 أو كنت قابل فدية فليقدن  
 من صبح غادية وأنت موفق<sup>(٢)</sup>  
 ما إن تزال بها النجائب تغنق<sup>(٣)</sup>  
 جادت بها كفها وأخرى تخنق<sup>(٤)</sup>  
 إن كان يسمع ميت لا ينطق  
 لله أرحام هناك تشق<sup>(٥)</sup>  
 رسف المقيد وهو عان موثق<sup>(٦)</sup>  
 في قومها والفحل فحل معرق<sup>(٧)</sup>  
 من الفتي وهو المغيظ المحنق<sup>(٨)</sup>  
 وأحقهم إن كان عتق يغنق  
 بأعز ما يغلي به من ينطق

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها ودمعت عيناه ، وقال  
 لأبي بكر : لو كنت سمعت شجرها ما قتلته .

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدثة بن عيد مناف بن  
 عبد الدار<sup>(١)</sup> . قال الزبير بن بكار<sup>(١٠)</sup> : وسمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات  
 قتيلة بنت الحارث ويقول : إنها مصنوعة .

(١) صبراً : حبساً (٢) الأثيل : موضع بعينه قتل فيه النضر (م) (٣) تغنق : من  
 العنق ، بفتحين ، وهو السير الخثيث (٤) الواكف : الدائم الجريان (٥) تنوشه : تناه  
 بالظعن (٦) قسراً : قهراً ، والرسف : مشى المقيد ، عان : أسير ، موثق : مقيد (٧) يروي  
 «ولأنت ضيء» وصنو : ابن ، معرق : أصيل (٨) من : صفح ، والحنق : المملوء بالغيط .  
 (٩) كان النضر حامل لواء المشركين يدبر فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم  
 من الواقعة (١٠) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قضاء مكة فتوفي فيها سنة ٢٥٦



رثاؤه  
لرسول الله  
صلى الله عليه  
وسلم

[ من كلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه ]

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى بِثَوْبٍ<sup>(١)</sup> ، فكشَفَ عنه الثوبَ وقال : بأبى أَنْتَ وأُمى ! طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموتِ أحدٍ من الأنبياء من النبوة ، فعظُمَتِ عن الصفة ، وجلَّتْ عن البكاء ، وخَصَصَتْ حتى صرت مَسَلَّةً ، وعمَّتْ حتى صرنا فيك سواء . ولولا أَنَّ موتك كان اختياراً منك لجلدنا لموتك بالنفوس ولولا أَنَّكَ نهيت عن البكاء لأفقدنا عليك ماء الشؤن<sup>(٢)</sup> . فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمدٌ وإدناف<sup>(٣)</sup> بتحالمان ولا يبرحان . اللهم فأبلغه عنا السلام ، أذكُرنا يا محمد عند ربِّك ، ولنسكن من بالك ؛ فلو لا ما خلقت من السكينة لم نُقَمِّ لما خلقت من الوحشة ؛ اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا ، ثم خرج .

قوله رضى الله عنه : « لولا أن موتك كان اختياراً منك » إنَّما يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم : لم يُقَبَضْ نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّر . قالت عائشة رضى الله عنها : سمعتهُ وقد شخس بصره وهو يقول : فى الرفيق الأعلى ! فعلمت أنه خيَّر ، فقلت : لا يختارنا إذن ، وقلت : هو الذى كان يحدثنا . وهو صحيح . وكان أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسَّنج<sup>(٤)</sup> فتواترت إليه الرسلُ ، فأتى وقد ذهل الناس ، فكافوا كالخرس ، وتفرقت أحوالهم ، واضطربت أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصمَّت آخرون فما تكلموا إلا بعد [ التنفير ] ، وخالط آخرون فلائراً<sup>(٥)</sup> الكلامَ بغير بيان ، وحق لهم ذلك للرزية

(١) مسجى : مغطى (٢) الشؤن : عروق الدماغ (٣) الإدناف : المرض الثقيل

(٤) السنج - بضم السين وسكون النون - موضع قرب المدينة ، وكان به منزل أبى بكر

رضى الله عنه .

(٥) لاأوا : خلطوا .

العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هي بيضة العقر<sup>(١)</sup> ، وبيضة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها<sup>(٢)</sup> ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لَتُبْعَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَصَائِبِهِمُ الْمَصِيبَةُ بِى .

حال الصحابة  
عند ما بلغهم  
موت الرسول

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كَذَّبَ بموته ، وقال : ما مات ، وليرجمته الله ، فليقطعنَّ أَيْدِي الْمُنَافِقِينَ وَأَرْجَاهُمْ ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ؛ وإنما واعدته ربه كما واعد موسى ، وهو يأتيتكم .  
وأما عثمان رضى الله عنه فكان ممن أُخْرِسَ ؛ فجعل لا يكلم أحداً ، فَيُؤْخَذُ يده وَيُجَاهَ به فينقاد .

وأما على رضى الله عنه فَلَبِطَ بِالْأَرْضِ<sup>(٣)</sup> قعده ولم يَبْرَحِ البيت حتى دخل أبو بكر ، وهو فى ذلك جَلَدَ الْعَقْلَ وَالْمَقَالَةَ<sup>(٤)</sup> ، فأكبَّ عليه ، وكشف عن وجهه ومسَّحه ، وقَبَّلَ جبينه ، وبكى بكاء شديداً ، وقال الكلام الذى قدَّمته . ولما خرج إلى الناس وهم فى شديد غمِّراتهم ، وعظيم سَكَراتهم ، قام فخطب خطبة جُلِّها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فيها : أشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَاشْرِيكَ لَهُ ، وَأَشهدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَشهدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ

خطبة أبى بكر  
يوم موت  
الرسول

(١) بيضة العقر : مثل للحادث الذى ينسب أن يتكرر ، وهى فى الأصل بيضة الدجاجة التى لاتبيض بعدها ، والذى فى الأصل «بيضة العصر» وهو تحريف .  
(٢) جَلَل : من أسماء الأضداد ، ويطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه على الأمر الخطير قول الشاعر :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي      فَإِذَا رَمَيْتَ يَصِينِي سَهْمِي  
فَلَنْ عَفَوْتَ لِأَعْفُونَ جَلَلًا      وَلَنْ ضَرَبْتَ لِأَوْهَنَ عَظْمِي

والمراد هنا المعنى الثانى ، وهى الحقير من الأمور ؛ لأنه يقصد أن كل مصيبة تهون وتختقر بعد المصيبة الكبرى بموت الرسول (م) .

(٣) لَبِطَ بِالْأَرْضِ ، ولَبِطَ به : سقط من قيام كأنما صرع . والعبارة الثانية بصيغة المفعول (٤) جلد : ثابت .

الْحَقُّ الْمُبِينُ . فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِ ، فَلَا تَدْعُوهُ جَزَعًا ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ ، وَقَبَضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ ، وَسَنَةَ نَبِيِّهِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ ؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَشْفَلَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَيفْتَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ؛ فَعَايِلُوهُ بِالَّذِي تَعْبُزُونَهُ ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ فَيُلْحِقَ بِكُمْ .

فَمَا فَرِغَ مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ : يَا عَمْرُؤُا بَلِّغْنِي أَنْتَ تَقُولُ مِمَّا مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قَالَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا ، وَفِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ) ؟ فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ لَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَبْلُ ؛ مَا نَزَلَ بِنَاءً ، أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ! ثُمَّ جَلَسَ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَجَمَّعَ النَّفَقُ <sup>(١)</sup> . وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ الشَّارِدَةِ ، فِي اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ ، فَحَسَّ أَبُو مَرْثَدَةَ الْجِبَالَ لَهَا ضَمًّا <sup>(٢)</sup> فَوَاللَّهِ إِنْ اخْتَلَفُوا فِي مُعْظَمِ إِلَّا ذَهَبَ بِحُظَّهِ وَرَشَدَهُ . وَغَدَّاهُ . وَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا خَلِقَ لِلْإِسْلَامِ ، فَكَانَ وَاللَّهُ أَحْوَذِيًّا نَسِيجَ وَحْدِهِ <sup>(٣)</sup> ، قَدْ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا .

رثاء فاطمة  
الزهراء لأبيها  
رسول الله

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ فِي مَجْلَسِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ <sup>(٤)</sup> بِالنَّبْصَةِ قَالَ : لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) نَجْم : نَشَأَ (٢) هَاضِمًا : دَكَّهَا وَحَطَّمَهَا (٣) أَحْوَذَى : حَازِقٌ قَاهِرٌ لِلْأُمُورِ لَا يَشُدُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ - وَنَسِيجٌ وَاحِدٌ - لَا نَظِيرَ لَهُ ، كَأَنَّ نَسِيجَ عَلَى نَوَلٍ لَمْ يَنْسَجْ عَلَيْهِ سِوَاهُ (م)  
(٤) يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ : مِنْ حِفَظِ الْحَدِيثِ الثَّقَاتِ ، كَانَ يَهَابُهُ الْمَأْمُونُ تَوَفَّى بِوَسْطِ فِي سَنَةِ ٢٠٦

دُفِنَ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ؛ فاجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

أَغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ ، وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ، وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانُ <sup>(١)</sup>  
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَانِ <sup>(٢)</sup>  
فَلْيَبْكِكُمِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلْيَبْكِكُمْ مَضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ  
وَلْيَبْكِكُمُ الطُّورُ الْمَعْظَمُ جَوْهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانُ  
يَا خَاتِمَ الرِّسْلِ الْمُبَارِكِ ضَوْءُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مَنْزِلُ الْقُرْآنِ <sup>(٣)</sup>

وكان أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إذا أَثْنَى عَلَيْهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، فَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَحْسِبُونَ ، وَاعْفِرْ لِي بِرَحْمَتِكَ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تَوَاضَعْنِي بِمَا يَقُولُونَ .

وقال رحمه الله في بعض خطبه : إِنَّكُمْ فِي مَهَلٍ ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَبَادِرُوا فِي مَهَلٍ آجَالِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَطَعَ آمَالِكُمْ ، فَتَرُدَّكُمْ إِلَى سُوءِ أَعْمَالِكُمْ .  
وذكر أبو بكر الملوكة فقال : إِنْ الْمَلِكُ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللَّهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَبَهُ فِي مَالٍ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِسْفَاقَ ؛ فَهُوَ يَسْخَطُ عَلَى الْكَثِيرِ ، وَيَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، جَذِلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، حَتَّى إِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَضَبَ عَمْرُهُ ، وَضَحَا ظِلُّهُ <sup>(٤)</sup> حَاسِبُهُ فَأَشَدَّ حَسَابِهِ وَأَقْلَ عَفْوِهِ .

وذكر أنه وصل إلى أبي بكر مالٌ من البحرين ، فساوى فيه بين الناس .  
ففضبت الأنصار ، وقالوا له : فَضَّلْنَا ! فقال أبو بكر : صَدَقْتُمْ ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْفَكَكُمْ صَارَ مَا عَمَلْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ! فقالوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَانصرفوا ؛ فَفَرَّقَ أَبُو بَكْرٍ الْمَنْبِرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : الإضطراب (٣) في نسخة « المبارك ضنؤه »  
أى الذى يبارك الله نسله (م) والظاهر أن هذه الأبيات مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفذ - وضحا ظله : كناية عن أنه مات (م)

عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : يا معشر الأنصار ؛ إن شتم أن تقولوا : إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا <sup>(١)</sup> ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يُحصيه العدد ، وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طُفَيْلُ الغَنَوَى <sup>(٢)</sup> :

جزى الله عنا جعفرًا حينَ أَرْزَلَتْ بنا نَعْلُنا في الواطئينَ فَرَلَتْ <sup>(٣)</sup>  
أبوا أن يملؤنا ولو أن أَمَنَّا تُلَاقِي الذي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتْ <sup>(٤)</sup>  
هُمُ أَسْكَنُونَا في ظلال بيوتهم ظلال بيوتِ أدفأتِ وأظَلَّتِ

فَقَرَّ من كلامه رضى الله عنه : صنائعُ المعروف تقي مصارعَ السوء . الموت أهونُ مما بعدد ، وأشدُّ مما قبله . ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . ثلاث مَنْ كَنَّ فِيهِ كَنٌّ عليه : البَغْيُ ، والنكث ، والمكر . إن الله قَرَنَ وَعَدَهُ بِرَعِيدِهِ ؛ ليكون العبد راغبًا وراهبًا .

ولما توفي رضى الله عنه وقفت عائشة على قبره ؛ فقالت : نَصَرَ اللهُ وَجْهَكَ يا أَبَتَ ، وشكر لك سَعْيِكَ ، فلقد كنتَ للدينا مُدْلًا بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أَجَلَ الحوادث بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظمَ المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعِدُّ بحسن الصبر عنك حسنَ العوض منك ، وأنا أستنجز موعودَ الله تعالى بالصبر فيك ، وأستفضيه بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمتَ بأمر الدين ما وهى شَعْبُهُ <sup>(٥)</sup> وتفاقم صدَّعُهُ <sup>(٦)</sup> ، ورجفتَ جوانبه <sup>(٧)</sup> ؛ فعليك

(١) آويناكم في ظلالنا : جعلناها لكم مأوى ، وشاطرناكم أموالنا : قاسمناكم فيها فأعطيناكم شطرها : أى نصفها (م) (٢) شاعر جاهلى من الشعبان ، كان من أوصف الشعراء للخيل ، عاشر النابغة الجعدى وزهير بن أبى سلمى ، ومات نحو سنة ١٣ ق هـ (٣) زلت : سقطت (٤) هذا البيت غاية الغايات فى وصف المواساة والبر الموصول (٥) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح \* شت شعب الحى بعد التمام \* (٦) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدع فى الأصل : كسر الزجاج (٧) رجفت : اضطربت

رثاء عائشة  
أم المؤمنين  
لأبيها الصديق

سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك <sup>(١)</sup>  
 وقال أبو بكر لبلال لما قُتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب  
 بمكة فيخرجه إلى الرّمضاء <sup>(٢)</sup> ، فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام  
 فيعصمه الله من ذلك :

هَبْنَا زادك الرحمنُ خيراً فقد أدركت ثارك يا بلالُ  
 فلا نكسا وُجِدْتَ ولا جباناً غداة تنوشك الأسل الطوال <sup>(٣)</sup>  
 إذا هاب الرجال ثبت حتى تحلّط أنت ما هاب الرجالُ  
 على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال <sup>(٤)</sup>  
 [ من كلام عمر ]

وكتب عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه ! - إلى ابنه عبد الله :  
 أما بعد ؛ فإنه من اتقى الله وقاهُ ، ومن توكل عليه كفاهُ ، ومن شكر له  
 زادهُ ، ومن أقرضه جزاهُ ؛ فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه  
 لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .  
 ودخل عدى بن حاتم على عمر ، فسلم وعمر مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين !  
 أنا عدى بن حاتم ؛ فقال : ما عرفني بك ! آمنت إذ كفروا ، ووفيت إذ غدروا ،  
 وعرفت إذ أنكروا ، وأقبلت إذ أدبروا !  
 وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال : الجواد حين يُسأل ، الحليم حين  
 يُستجمل ، الكريم المجالسة لمن جالسه . الحسن الخلق لمن جاوره .  
 وقال رضي الله عنه : ما كانت الدنيا همّ رجلٍ قطُّ إلا لزم قلبه أربع خصال :

من عمر إلى  
ابنه عبد الله

بين عمر وعدى  
ابن حاتم الطائي

عمر يصف  
السيد

(١) زارية : عابئة (٢) الرّمضاء : هي الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس  
 فحمت ، قال الشاعر :

المستجير بعمر عند كربته كالمتستجير من الرّمضاء بالنار  
 (٣) النكس : الرذل ، والأسل : الرماح (٤) الكلوم : الجروح ، والمشرفي : السيف

فَقَرُّ لَا يَدْرُكُ غِنَاهُ ، وَهَمٌّ لَا يَنْقُضِي مَدَاهُ ، وَشُغْلٌ لَا يَنْفَدُ أَوَّلَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ .

فصول قصار من كلامه رضى الله عنه

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوُلَاةُ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ .  
أَعْقَلُ النَّاسِ أَعَذَرُهُمُ لِلنَّاسِ . مَا الْحَرِصُ فَقًا<sup>(١)</sup> . بَاذْهَبْ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الطَّمَعِ .  
لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا . مُرْذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا ، وَلَا  
يَتَجَاوَرُوا . قَلَّمَا أَذْبَرُ شَيْءًا فَاقْبَلْ . أَشْكُو إِلَى اللَّهِ ضَعْفَ الْأَمِينِ ، وَخِيَانَةَ الْقَوِيِّ  
تَكَثَّرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ بِمَنْ تُرْزَقُونَ . لَوْ أَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ  
بَعِيرَانِ مَا بَالَيْتَ أَيُّهُمَا أَرْكَبُ . مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .

وقال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صِفْ لِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؛ وَصَفَ صَعْسَعَةُ  
فَقَالَ : كَانَ عَالِمًا بِرَعِيَّتِهِ ، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِهِ ، عَارِيًّا مِنَ الْكِبَرِ ، قَبُولًا لِلْعُدْرِ ، سَهْلًا  
لِلْعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، مَصُونًا الْبَابَ ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابٍ  
لِلْقَرِيبِ ، وَلَا جَافٍ لِلْغَرِيبِ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَجَّ فَلَمَّا كَانَ بِضَجْنَانَ<sup>(٢)</sup> قَالَ :  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، الْمَعْطَى مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ، كُنْتُ فِي هَذَا الْوَادِي فِي  
مِدْرَعَةٍ صُوفٍ أَرْعَى إِبِلَ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ فُظًّا يُتَعَبَّنِي إِذَا عَمَلْتُ ، وَيَضُرُّ بَنِي  
إِذَا قَصَرْتُ ، وَقَدْ أَمْسَيْتَ اللَّيْلَةُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتِهِ      يَبْقَى الْإِلَهَ وَيُودِي الْمَالَ وَالْوَلَدَ<sup>(٣)</sup>  
لَمْ تُتَعَنَّ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خِزَانَتُهُ      وَاتَّخَذَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادًا فَمَا خَلَدُوا  
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ لَهُ      وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهُمَا تَرَدُّ

(١) الحمر المصروف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة .

(٣) يودى : يذهب .

عمر  
يذكر ماضيه  
وحاضره

أين الملوك التي كانت نوافلها من كل صوب إليها وافدٌ يَفدُ<sup>(١)</sup>  
 حوضُ هنالك مورودٌ بلا كدرٍ لا بدَّ من وزده يوماً كما وردوا  
 وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة :

من شعر عمر  
 يوم فتح مكة

ألم تر أن الله أظهرَ دينَهُ على كل دينٍ قبل ذلك حائدٍ<sup>(٢)</sup>  
 وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمرٍ من الغي فاسدٍ  
 غداةَ أجال الخيلَ في عرصاتِها مسومةً بين الزبير وخالدٍ<sup>(٣)</sup>  
 فأمسى رسولُ الله قد عزَّ نصرُهُ وأمسى عِداده من قتلٍ وشارِدٍ  
 يريد الزبير بن العوام<sup>(٤)</sup> حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالِدَ  
 ابن الوليد سيفَ الله تعالى في الأرض<sup>(٥)</sup>.

ولما قتله أبو أولوءة غلامُ المغيرة بن شعبه ، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو  
 ابن نفيل زوجته ترثيه :

زوج عمر ترثيه

عينُ جُودى بعبرةٍ ونحيبٍ لا تملَى على الأمين النحيبِ  
 فجَعَتْنِي المنونُ بالفارسِ المُعَلِّمِ يوم الهياج والثويبِ<sup>(٦)</sup>  
 عصمةُ الناسِ والمعينُ على الدهرِ وغيثُ المحرومِ والحروبِ<sup>(٧)</sup>  
 قل لأهلِ الضراءِ والبؤسِ موتوا قد سقته المنونُ كأسَ شعوبِ<sup>(٨)</sup>  
 وقالت أيضاً ترثيه :

وفجَعَنِي قِيْرُوزٌ لا درَّ درُّه بأبيضَ تالٍ للكتابِ مُنيبٍ

- (١) النوافل: العطايا ، في نسخة «من كل أوب» والصوب ، ومثله الأوب : الجهة  
 (٢) حائد : مائل (٣) مسومة: وضعت عليها العلامات  
 (٤) الزبير بن العوام : أحد المبشرين بالجنة ، وأرل من سل سيفه في الإسلام ،  
 كان طويلاً جداً إذا ركب تخط رجلاه الأرض ، توفي سنة ٣٦ .  
 (٥) توفي خالد بن الوليد سنة ٢١ .

- (٦) الفارس المعلم : هو الذي علق عليه صوف ملون في الحرب ، والثويب: الدعا  
 (٧) المحروب : السلوب (٨) شعوب : هي النية : لأنها تشعب الشمل وتبدده



رءوف على الأدنى غليظ على العدا      أخى ثقة في النائبات نجيب  
متى ما يَقُولُ لا يكذب القول فعلاه      سريع إلى الخيرات غير قَطُوبِ

وعاتكة هذه : هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي  
صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهمٌ في  
غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير  
ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحبَّ الشهادة  
الحاضرة فليتزوج بعاتكة !

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ما يَزِعُ الله بالشَّيطان ، أَكْثَرُ مما يَزِعُ بالقرآن<sup>(١)</sup> . سيجعلُ الله بعد عُسْرٍ  
يسراً ، وبعد عَيٍّْ بياناً ؛ وأتم إلى إمام فعَّال ، أحوجُ منكم إلى إمامٍ قَوَّالٍ ،  
قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرتج عليه<sup>(٢)</sup> .

وكتب إلى علي رضى الله عنه وهو محصور : أما بعد ، فقد بلغ السَّيْلُ الزَّبْيَ ، وجاوز  
الحزام الطَّبِيَّينِ<sup>(٣)</sup> ، وطمع في مَنْ كان لا يدفع عنه نفسه ، ولم يعجزك كلثيم ، ولم  
يغلبك كغلب<sup>(٤)</sup> ؛ فأقبل إلى ، معي كنت أو على ، على أى أمرٍ يك أحببت .  
فإن كنتُ مأْكُولاً فَكُنْ أنتَ أَكَلِي وإلاَّ فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزَقِ  
وهذا البيت للممزَّق العبدى ، وبه سمى الممزَّق ، واسمه شأس ، وإمامته به  
عثمان رضى الله عنه ؛ وَخَذَّاقُ أَهْلِ النَّظَرِ يدفعون هذا ، ويستشهدون على فساده  
بأحاديث ثَنَّا قَضَهُ ليس هذا موضعها .

(١) يزع : يزجر ويردع (٢) أرتج عليه باب الكلام : أغلق .

(٣) الزبي : جمع زبية وهى الراية لا يعاوها ماء ، وبلوغ السيل الزبي كناية  
عن اشتداد الأمر ، والطبي - بالضم والكسر - حملات الضرع ، وبلوغ الحزام الطبيين  
كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كغلب : يستعمل في  
المدح والندم .

قالوا : وكان عثمان رضى الله عنه أتقى لله أن يسعى فى أمره على ، وعلى أتقى لله أن يسعى فى أمر عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتله نبي أو قتل نبيًا .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه وأكرم نزله ، وقد تنكبر له الناس : أمر هؤلاء القوم رعا عير ، تطأطأت لهم تطأطأ الدلاء وتلدت لهم تلدد المضطر ، رأيتهم ألحف إخوانًا ، وأوهنى الباطل لهم شيطانًا . أجرت المرسون رسنه ، وأبلغت الرايع مسعاته ، ففرقوا على فرقًا ثلاثًا ، فصامت صمته أنفذ من صول غيره ، وشاهد أعطاني شاهده ومنعنى غائبه ، ومتهافت فى فتنة زينت فى قلبه ، فأنا منهم بين السني لداد ، وقلوب شداد ، عذرى الله منهم ، ألا ينهى عالم جاهلا ، ولا ينذر حليم سفيها ؟ والله حسبي يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتدرون .

سئل الحكم بن هشام فقال : كان والله خيار الخيرة . أمير البررة ، قتيل الفجرة ، منصور النصره ، مخذول الخذلة ، مقتول القتلة .

ونظير البيت الذى أشده قول صخر الجعد :

فإن كنت مأكولا فكأن أنت أكلى فإن منايا القوم أكرم من بعض

قال المتوكل : أتيت بأسارى ، فسمعت امرأة منهم تقول :

أمير المؤمنين سماء إلينا ثموا الليث أخرجه العريف

فإن نسلم فعون الله نرجو وإن نقتل فقاتلنا شريف

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ، وأنشده بعضهم :

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها وإن عضها حتى يضر بها الفقر

وما عسرة - فاصبر لها إن تتابعت - بياقية إلا سيبها يسر

وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى : « ولم يغلبك كمغلب » من قول

امرىء القيس :

فإنك لم يَفْخَرْ عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلبٍ  
وقال أبو تمام وذكر الحمر :  
وضِيفةٌ فإذا أصابتْ فُرْصةً قتلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ  
ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

لا تَكُنْ مَنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بغير عمل ، ويؤخِّرُ التَّوْبَةَ لَطولِ الأَمَلِ . ويقولُ  
فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعملُ فيها بعملِ الراغبين ، إن أُعْطِيَ منها لم يشبع ، وإن  
مُنِحَ لم يَقْنَعْ ، يعجز عن شُكْرِ ما أُوتِيَ ، ويتنغى الزيادة فيما بَقِيَ ، يَنْهَى ولا يَنْتَهَى ،  
ويأمر بما لا يَأْتِى ، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ أعمالهم ، ويُبغِضُ المسيئين وهو منهم ؛  
يكره الموتَ لكثرة ذنوبه ، ويقيمُ على ما يكره الموتَ له ، إن سقم ظِلٌّ نادماً ، وإن  
صحَّ أَمِنْ لَاهِيَا ، يُعْجَبُ بنفسه إذا عُوِفَ ، وَيَقْنَطُ إذا ابْتُلِيَ ، تغلبه نفسه على ما يظُنُّ ،  
ولا يَقْضَاهَا على ما يَسْتَقِينُ ، ولا يَشْتَقِ مِنَ الرِّزْقِ بما ضَمِنَ له ، ولا يَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ  
بما فُرِضَ عليه ، إن استغنى يَطْرُقُ فتن ، وإن افتقر قَنِطَ وحزن ، فهو من الذَّنْبِ  
والنعمة موقر<sup>(١)</sup> ، يتنغى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يؤثّر ، ويَضِيعُ  
من نفسه ما هو أكثر ، ويُبَالِغُ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموتَ ،  
ولا يبادر الفوتَ ، يستكثر من معصية غيره ما يستقلُّ أكثره من نفسه ؛ ويستكثرُ  
من طاعته ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللَّغْوُ مع  
الأغنياء أَحَبُّ إليه من الذِّكْرِ مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكمُ عليها  
لغيره ، وهو يُطَاعُ ويعصى ، ويستوفى ولا يُوفى .

وسئِلَ رضى الله عنه عن مسألة فدخلَ مبادراً ، ثم خرج فى حذاء ورداء ، وهو  
يتبسم ، فقليل له : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت إذا سئِلْتَ عن مسألة كنت فيها  
كالسَّكَةِ الْمُحْجَاةِ<sup>(٢)</sup> ! فقال : إني كنتُ حاقناً ولا رَأَى لِحَاقِنِ<sup>(٣)</sup> ، ثم أنشأ يقول :

(١) موقر : مثقل (٢) السكة : الحديدة (٣) الحاقن : هو الذى احتبس بوله

إذا المشكلاتُ تصدَّينَ لى كُشِفَتْ حَقَائِقُهَا بالنَّظَرِ  
 وإنْ بَرَقَتْ فى مَخِيلِ الصَّوَا بَ عَمِيَاءُ لَا تَجْتَلِيهَا الذِّكْرُ<sup>(١)</sup>  
 بِمَقْنَعَةٍ بِأُمُورِ الْغُيُوبِ وَضَعَتْ عَلَيْهَا صَحِيحَ الْفِكْرِ  
 لِسَانًا كَشَقِشَقَةِ الْأَرْحَبِيِّ أَوْ كَالْحَسَامِ الْيَمَانِيِّ الذِّكْرُ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَلْبًا إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ الْعَيُونُ أَمْرٌ عَلَيْهَا بِوَاهِي الدَّرَرِ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَسْتُ بِإِمْعَةٍ فِى الرِّجَالِ أَسْأَلُ عَنْ ذَا وَذَا مَا الْخَبَرُ<sup>(٤)</sup>  
 وَلَكِنِّى دَرَبُ الْأَصْغَرَيْنِ أَبَيِّنَ مَعَ مَا مَضَى مَا غَبَرُ<sup>(٥)</sup>

وقال معاوية رضى الله عنه لضرار الضدائى : يا ضرار ، صف لى علياً ، فقال :

أَعْفِنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لَتَصِفَنَّهُ ، فَقَالَ : أَمَا إِذَا أذَنْتِ فَلَا بَدَّ مِنْ صِفَتِهِ :  
 كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقَوَى ، يَقُولُ فَضْلًا<sup>(٦)</sup> ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ،  
 يَتَجَبَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطَقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا  
 وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظِلْمَتِهِ ، كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ،  
 يَقْلِبُ كَفَّهُ ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ، يَعْجِبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ  
 مَا خَشِنَ ، وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَيُنَبِّئُنَا إِذَا اسْتَنْبَأْنَاهُ ،  
 وَنَحْنُ - مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا ، وَقُرْبِهِ مِنَّا - لَأَنْكَادُ نَكَلِمُهُ لَهَيْتِهِ ، وَلَا نَبْتَدِئُهُ  
 لِعَظَمَتِهِ ، يَعْظُمُ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوَى فِى بَاطِلِهِ ،  
 وَلَا يَيْئَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، وَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِى بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَقَدْ  
 أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُّوْلَهُ ، وَغَارَتْ نَجْمُوْمُهُ ، وَقَدْ مَثَلَ فِى مَحْرَابِهِ ، قَابِضًا عَلَى لَحِيَّتِهِ  
 يَتَمَلَّمُ تَمَلَّمُ السَّلِيمِ<sup>(٧)</sup> ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، وَيَقُولُ : يَا دُنْيَا إِلَيْكَ

وصف ضرار  
الصدائى لمعاوية  
علياً

(١) مخيل : مظنون ، وهو السحاب تخاله باطراً لرعده وبرقه .

(٢) الأرحبى : الجمل ، وشقشقه : هديره . (٣) نسخة « استنطقته الغيوب » (م)

(٤) الإمعة : الرجل الذى لا خطر له - فهو يكون تابعاً لغيره ولا يكون مستقلاً (م)

(٥) ذرب الأصغرين : حديد القلب واللسان (٦) القول الفصل : هو الحق

(٧) السليم : اللدوغ . سمي بذلك تفاؤلاً .

عَنِّي ! غُرِّي غَيْرِي ، أَلِي تَعَرَّضْتُ ، أُمِّ إِلَى تَشَوَّفَتْ ؟ هِيَهَات ! قَدْ بَايَدْتِكَ  
ثَلَاثًا ، لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ ؛ فَعُمُرُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكَ حَقِيرٌ ، وَخَطْبُكَ  
يَسِيرٌ ؛ آدٍ مِنْ قَلْبِ الزَّادِ ، وَبُعْدُ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةُ الطَّرِيقِ !  
فَبِكِي مَعَاوِيَةَ حَتَّى أَخْضَلْتَ دُمُوعُهُ لَحِيَّتَهُ ؛ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ !  
فَلَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حُزْنُكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَارُ ؟ قَالَ : حُزْنٌ مِنْ دُخْرِ  
وَاحِدِهَا فِي حَبْرُهَا !

وَقَالَ شَيْخُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ فَوَعَى ، وَدُعِيَ إِلَى  
الرِّشَادِ فَدَنَا ، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَجَا<sup>(١)</sup> ، وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، وَقَدَّمَ  
خَالصًّا ، وَعَمَلَ صَالِحًا ، وَاسْتَسْبَ مَذْخُورًا ، وَاجْتَنَبَ مُحْذُورًا ، وَرَمَى غَرَضًا ،  
وَكَبَّرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُنَادُهُ ، وَحَذَرَ أَجَلًا ، وَدَأَبَ عَمَلًا ، وَجَعَلَ الصَّبْرَ  
رَغْبَةً حَيَاتِهِ ، وَالتَّقَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، يُظْهِرُ دُونَ مَا يَكْتُمُ ، وَيَكْتُمِي بِأَقْلٍ مِمَّا  
يَعْلَمُ ، لَزِمَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ ، وَالْحُجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، وَاعْتَمَّ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ،  
وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

وَمَا رَجَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صَفَيْنِ ، فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكُوفَةِ إِذَا قَبْرُهُ ، عَلَى يَمَنِ خَبَابُ  
ابْنِ الْأَرْتِ  
فَقَالَ : قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ<sup>(٢)</sup> ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :  
رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ! أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتَلَى فِي  
جِسْمِهِ أَحْوَالَ ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

وَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِقُبُورِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ عَلَى أُمَامِ الْقُبُورِ  
الْمُوحِشَةِ ، وَاحْجَالِ الْمُتَقَفِّرَةِ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَبِكُمْ — عَمَّا  
قَلِيلٍ — لَاحِقُونَ ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوِزْ عَنَّا وَغَنِّمْ بَعْقُوكَ ! طُوبَى

(١) الْحِجْرَةُ : الْحُضْنُ ، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ فَلَانٍ : اسْتَظْهَرَهُ وَاسْتَعَانَهُ (٢) خَبَابُ بْنُ  
الْأَرْتِ : صَحَابِيُّ جَلِيلٌ ، اسْتَغْفَرَهُ الْمُشْرِكُونَ فَعَذَّبُوهُ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ فَصَبَرَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ  
الْهَجْرَةُ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ٣٧ .

لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع بالكفاف . ثم التفت رضى الله عنه إلى أصحابه ، فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى .

وَدَمَّ رَجُلٌ الدُّنْيَا بِحَضْرَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : دَارُ صَدِيقٍ لِمَنْ عَلَى يَسْفِ الدُّنْيَا صَدَقَهَا ، وَدَارُ نَجَاةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ، مَهْبِطٌ وَخِي اللَّهِ ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ ، وَمَسْجِدُ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَائِهِ ، رَبِحُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ، وَاسْتَبَوْا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذِمُّهَا ، وَقَدْ آذَنْتَ بَيْنَهُمَا ، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا ، وَذَكَّرَتْ بِسُرُورِهَا السُّرُورَ ، وَبِإِلَاقِهَا الْبَلَاءَ ، تَرْغِيًا وَتَرْهِيًا ، فَيَأْتِيهَا الذَّامُ لَهَا ، الْمَلَلُ نَفْسَهُ بِغُرُورِهَا ، مَتَى خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا ؟ أَمْ بِمَاذَا اسْتَدَمَّتْ إِلَيْكَ <sup>(١)</sup> ، أَمْ بِمَصْرَعِ آبَائِكَ فِي الْبَلِي ؟ أَمْ بِمُضْجَعِ أُمَهَاتِكَ فِي الثَّرَى ، كَمْ مَرَضَتْ بِكَفَيْكَ ، وَكَمْ عَلَتْ بِيَدَيْكَ ، تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ ، وَتُسْتَوْصَفُ الْأَطْبَاءَ ، غَدَاةٌ لَا يَنْفَعُهُ بَكَائُكَ ، وَلَا يَغْنَى دَوَائُكَ .

من قصار كلام علي  
فقر من كلامه رضى الله عنه : [ البشاشة فسخ المودة . والصبر قبر المغبون . والغالب بالظلم مغلوب . والحجر المغصوب بالدار رهنٌ بخراجها . وما ظفرٌ من ظفرت به الأيام . فسالم تسلم ] . رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام <sup>(٢)</sup> . الناس أعداء ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا ثمن لها ، يدرك بها ما أفات [ ويحیی ما أمات ] . نقل هذا الكلام بعض أهل العصر ، وهو أبو الفتح علي بن محمد البستي <sup>(٣)</sup> .

(١) استدتمت إليك : فعلت ماتمها عليه - وفي نسخة « استدنت إليك » (م)  
(٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراه رأى العين (٣) علي بن محمد ، ويقال ابن أحمد كما ذكر ياقوت في معجم الشعراء - شاعر ، كاتب مات في بخارى سنة ٤٠٠ هـ ، وفي أبي الفتح البستي يقول عمران بن موسى :

إذا قيل أى الأرض فى الناس زينة أجينا وقلنا: أبهج الأرض بستها  
فلو أننى أدركت يوما عميدها لزممت يد البستي دهرًا وبستها

بقية العمر عندى ما لها ثمن وإن غداً وهو محبوب من الثمن  
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحسب ما أمات ويمتحو السوء بالحسن  
الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال . لا تخافن إلا ذنبك ، ولا ترجون إلا  
ربك . وجهوا آمالكم إلى من تحبه قلوبكم . الناس من خوف الذل في الذل .  
من أيقن بالخلف جاد بالعطية . بقية السيف أنمى عدداً ، وأنجب ولداً . وقد  
تبينت صحة ما قال في بنيه وبنى المهلب - إن من السكوت ما هو أبغ من  
الجواب . الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو<sup>(١)</sup> . خير المال ما أغناك ،  
وخير منه ما كفأك ، وخير إخوانك من واساك ، وخير منه من كفأك شره .

وقال بعض أهل العصر ما يشاكل هذا وهو أبو الحسن محمد بن لئلك البصرى :

عدياً في زماننا      عن حديث الكارم  
من كفى الناس شره      فهو في جود حاتم

أبو الطيب :

إنّا لفي زمن ترك القبيح به      من أكثر الناس إحسان وإجمالاً  
إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . قيمة كل  
أمرىء ما يحسن .

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال :  
فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ،  
ومجزية مغنية ؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية ؛  
وأفضل الكلام ما كان قليلاً يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكان  
الله قد ألبسه من ثياب الجلالة . وغشاؤه من نور الحكمة ، على حسب نيّة  
صاحبه ، وتقوى قائمه . فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ،

(١) الكبوة : السقاية ، والنوبة : عدم الإصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ،  
ولكل سيف نوبة .

بعيداً من الاستكراه ، منزهاً عن الاختلال ، مَصُوناً عن التكلف ؛ صَنَعَ في القلوب  
صَنِيعَ الْغَيْثِ في التَّرَبُّةِ الْكَرِيمَةِ ، ومتى فَصَّلَتِ الْكَلِمَةُ على هذه الشريطة ،  
وَنَفَذَتْ من قائلها على هذه الصفة ، أَحَبَّهَا اللهُ عز وجل من التوفيق ، ومنَحَهَا  
من التأييد ، مالا يمتنعُ من تعظيمها به صدورُ الجبارة ، ولا يذهلُ عن فَهْمِهَا  
معه عقولُ الجُهْلَةِ (١) .

دعاء لعل  
في الحروب

ومن دُعَائِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حروبه : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَرْضَى لِلرَّضَا ، وَأَسْخَطَ  
لِللَّسْخَطِ ، وَأَقْدَرُ على أَنْ تَغَيِّرَ مَا كَرِهْتَ ، وَأَعْلَمُ بما تَقْدِرُ ، لَا تُغْلِبْ على باطل ،  
ولا تعجز عن حق ، وما أَنْتَ بغافل عما يعمل الظالمون .  
وقال على رضى الله عنه :

من شعر على  
رضى الله عنه

لِمَنْ رَايَةُ سَوْدَاهُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقْدَمًا  
فيموردها في الصَّفِّ حتى تردها حياضُ المنايا تَقْطُرُ الموتَ والدَّمَ  
جزى الله قوما قاتلوا في لقاءهم لدى الروعِ قوماً ما أعزوا وأكرمًا  
وأطيب أخباراً وأفضَلَ شِيمَةً إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغْمَغُمًا (٢)

حُضَيْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ : أَبُو سَاسَانَ الْحُضَيْنِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ  
الرقاشي وكان صاحبَ رايَتِهِ يومَ صَفِّينَ .

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها :

أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عِلِيلُ  
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ  
وَإِنْ افْتَقَدَا فَاطِمًا بَعْدَ أَحَدٍ دَلِيلٌ عَلَى الْآلِ يَدُومَ خَلِيلُ

(١) انتهى المؤلف من الاستطراد الذي مضى فيه بمناسبة «قيمة كل امرئ ما يحسن»

ثم عاد إلى الكلام عن علي بن أبي طالب .

(٢) التغمغم : الصوت عند القتال .



ولما قَتَلَ عمرو بن عبد ود سقط فانكشفت عَوْرَتُهُ <sup>(١)</sup> ، فتنحَّى عنه وقال :  
 آلى ابن عبد - حين شدَّ - أَلِيَّةً وحلفت فاستمعوا من الكذاب <sup>(٢)</sup>  
 ألاَّ يَفِرَّ ولا يملل فالتقى أسدان يضطرَّان كلَّ ضِرَابٍ <sup>(٣)</sup>  
 اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ومُصَمِّمٌ في الرَّأسِ ليس بَنَابٍ <sup>(٤)</sup>  
 أعرضتُ حين رأيته متقطراً كالجذع بين دَكَاذِكُ وروابي <sup>(٥)</sup>  
 وعفتُ عن أثوابه ولو أني كنت القطرَ بزني أثوابي <sup>(٦)</sup>  
 نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرتُ دينَ محمد بصواب <sup>(٧)</sup>  
 لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينه ونيبه يا معشرَ الأحزاب  
 في أبيات غير هذه ، و بعضُ الرواة يَنفِيها عن علي رضي الله عنه .

وعمره هذا هو : ابن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، عمر بن ود  
 وكان قد جَزَعَ المذاد ، وهو موضع خُفِرَ فيه الخندقُ يومَ الأحزاب ، وفي ذلك  
 يقول الشاعر :

عمر بن ود كان أولَ فارس جَزَعَ المذاد وكان فارسَ يَدِيلٍ <sup>(٨)</sup>  
 ولما صار مع المسلمين في الخندق دعا [إلى] البراز ، وقال :

ولقد بَحِثْتُ من النِدا ءِ بجمعهم هل مِن مُبارِزٍ <sup>(٩)</sup>  
 ووقفتُ إذ نكَل الشجاء ع بموقفِ البطلِ المناجِزِ <sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) عمرو بن عبدود : فارس قريش وشجاعها ، قتله على سنة ٥ للهجرة  
 (٢) آلى : أقسم ، والألية : اليمين (٣) يملل : يتقلب ، والضراب : المطاردة  
 (٤) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمه ، والمصمم : السيف لا ينبو  
 (٥) متقطر : صريع ، والدكاذك : جمع دكدك وهو الرمل المتلبد بالأرض  
 (٦) بز : سلب . (٧) نصر الحجارة : كناية عن عبادة الأوثان . (٨) جزع المذاد :  
 اجتازه ، والمذاد : الموضع الذي يذاد فيه عن النفس ، أى موضع الحرب ، ويليل : اسم  
 واد في بدر (م) (٩) بع صوته : ضعف من كثرة النداء (١٠) نكل : نكص ،  
 والمناجز : المبادر إلى القتال

إني كذلك لم أزل متسرّعا نحو الهزاهز<sup>(١)</sup>

إنّ الساحة والشجاعة في الفتى خيرُ الغرائز<sup>(٢)</sup>

فبهز علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : يا عمرو ! إنك عاهدت الله  
لقريش ألا يدعوك أحدٌ إلى خلتين إلا أخذت إحداها ، فقال : أجل ! قال :  
فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك ، قال :  
فإني أدعوك إلى المبارزة ، فقال : يا ابن أخي ما أحبُّ أن أقتلك ! قال علي :  
لكني والله أحبُّ أن أقتلك ، فحمي عمرو ، فاقتحم عن فرسه وعرقبه<sup>(٣)</sup> ثم  
أقبل إلى علي :

فتجاوَلَا كغمامتين تكثفت مَنَيهما ريحا صبا وشمال<sup>(٤)</sup>

في موقف كادت نفوسُ كُتاهِ تَبْتَزُّ قَبْلَ تَوَرُّدِ الآجالِ<sup>(٥)</sup>

وعلت بينهما غيرة سترتهما فلم يزع المسلمين إلا التكبير ؛ فعلهوا أن عليا قتله .  
وما قُتِلَ عمرو جاءت أخته فقالت : مَنْ قَتَلَهُ ؟ فقيل : علي بن أبي طالب ،  
فقال : كفءٌ كريم ! ثم انصرفت وهي تقول :

لو كان قاتلُ عمرو غيرَ قاتله لكنت أبكى عليه آخرَ الأبد

لكنَّ قاتله من لا يُعابُ به وكان يُدعى قديما بيضة البلد

من هاشم في ذراها وهى صاعدة إلى السماء تُميتُ الناسَ بالحسد

قوبُ أبي الله إلا أن يكونَ لهم مكارمُ الدينِ والدُّنيا بلا أمد

يا أم كلثوم بكّيه ولا تدعى بكاء مُعولةٍ حرّى على ولد

أم كلثوم : بنت عمرو بن عبد ود . و « بيضة البلد » تمدحُ به العربُ

(١) الهزاهز : الشدائد والحروب لأنها تهزّ الرجال (٢) الغرائز : الطباع ،  
واحدها غريزة . (٣) عرقبه : قطع عرقوبه (٤) تجاولا : تصاولا (٥) الكماة :  
الشجعان . واحدهم كمي ، وتبْتَزُّ : تسلب ، وتورد الآجال : ورود حياض الموت ، يريد  
أن الكماة يموتون من الهيبة (م)

وَتَذَمُّ ؛ فَمَنْ مَدَحَ بِهِ جَعَلَهُ أَصْلًا ، كَمَا أَنَّ الْبَيْضَةَ أَصْلُ الطَّائِرِ . وَمَنْ ذَمَّ بِهِ أَرَادَ أَنَّ لَا أَصْلَ لَهُ . قَالَ الرَّاعِي يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ الْعَامِلِي (١) :

يَا مَنْ تَوَعَّدَنِي جَهْلًا بِكَثْرَتِهِ      مَتَى تَهْدِنِي بِالْعَزِّ وَالْعَدَدِ  
أَنْتَ أَمْوُئَالٌ مِنْ عِرْضِي وَعِزَّتِهِ      كَعِزَّةِ الْعَيْرِ يَرْعَى تَلْعَةً الْأَسَدِ (٢)  
لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوَتَكُمْ      يَا بْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ  
تَأْتِي قَضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا      وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَتَمَّ بَيْضَةَ الْبَلَدِ

وَقَالَ أَبُو عَمِيَّةَ : عَامِلَةٌ بِنُ عَدِيَّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ أَدَ [ بْنِ زِيَادَ ] عَامِلَةٌ قَوْمِ  
ابْنِ يَسْحَبَ ، يُطْعَمُ فِي نَسَبِهِ مِنْ قَحْطَانِ ، وَيُقَالُ : هُوَ عَامِلَةٌ بِنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ قَاسِطِ عَدِيَّ بْنِ الرَّقَاعِ  
ابْنِ أَهْيَبَ ؛ فِذَلِكَ قَالَ الرَّاعِي هَذَا . وَيُقَالُ : إِنْ جَنْدَلَ بْنَ الرَّاعِي قَالَهَا وَقَدْ  
قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَفْصَةَ الْأُمَوِيُّ فِي عَامِلَةٍ :

وَإِسْنًا نُبَالَى نَذَى عَامِلَةٍ الَّتِي      أَجَدَّ بِهَا مِنْ نَحْوِ بُضْرَى انْحِدَارُهَا  
تَدَافَعُهَا الْأَحْيَاءُ حَتَّى كَانَهَا      ثِيَابٌ بَدَاَ لِلْمَشْتَرِينَ عَوَارُهَا  
قَذَفْنَا بِهَا لَمَّا نَأَتْ قَذَفَ حَاذِفُ      بِسُودِ حَصَى خَفَّتْ عَلَيْهِ صِفَارُهَا  
وَيُشَبَّهُ قَوْلُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ » قَوْلَ عَنَتْرَةَ بْنِ شَدَادِ

الْعَبْسِيِّ :

هَلَّا سَأَلْتُ اخِيْلَ يَا بَنَةَ مَالِكٍ      إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي  
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي      أَغْشَى الْوَعْغَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ  
وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي :  
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا      يَوْمَ الْكَرِيهِةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ (٣)

(١) عَدِيَّ بْنُ الرَّقَاعِ : شَاعِرٌ كَبِيرٌ ، كَانَ مُقَدِّمًا عِنْدَ بَنِي أُمَيَّةَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٩٥ .

(٢) الْعَيْرُ : الْخَمَارُ ، وَتَلْعَةُ الْأَسَدِ : الرَّايَةُ الَّتِي يَحْمِيهَا ، وَلَيْسَ لِلْخَمَارِ عِزَّةٌ فِي تَلْعَةِ

الْأَسَدِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثَالُ الْهَوَانِ (٣) السَّلْبُ : الْغَنِيمَةُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَسْلَابٍ

عزم المؤلف  
على ضرب  
من الاختيار

قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ماجردته ، من كلام سيد  
الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار  
الطيبين الطاهرين ، قطعةً من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كلِّ كلام ،  
لتقدمهم على الخلق ، وأخذهم بقصَبِ السَّبْقِ <sup>(١)</sup> ، وهم كما قال بعضُ المتكلمين  
يصف قوما من الزهاد الواعظين . جَلَوْا بكلامهم الأبصارَ العلية ، وشحدوا  
بمواظمتهم الأذهانَ السكيلة ، وَنَبَّهُوا القلوبَ من رَقَدَتِهَا ، وَنَقَلُواها عن سوء  
عَادَتِهَا ، فَشَفَّوْا من داءِ القسوة ، وَغَبَّأُوا الغفلةَ ، ودَاوَوْا من العيِّ الفاضح ،  
ونَهَجُوا لنا الطريقَ الواضح . وآثَرَتْ أن ألحق بعد ذلك جملةً من سليم كلام  
سائر الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج في دَرَجِ كلامهم  
وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التفتَ عليه والتفتَ إليه ، وتعلَّقَ بأغصانه ،  
وتشبَّثَ بأفئانِهِ ، كما تقدَّم ، وأخرج إلى صفات البلاغات ، وآخِذَ بعد ذلك في  
نظم عقود الآداب ، ورَقَمَ برود الألباب .

من كل معنى يكاد الميثُ يفهمُهُ حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

[ من كلام الصحابة والتابعين ] .

من كلام معاوية قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أَفْضَلُ مَا عَظِيَ الرَّجُلُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ ؛  
فَإِذَا ذَكَرَ ذَكَرَ ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أُنْجِزَ .

وصف معاويةُ الوليدَ بن عتبة فقال : إِنَّهُ لَبَعِيدُ الْغَوْرِ ، سَاكِنُ الْفُورِ <sup>(٢)</sup> ،  
وَإِنْ الْعُودَ مِنْ حِلَائِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَالْوَلَدَ مِنْ آبَائِهِ ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَنَبَاتُ أَصْلٍ لَا يَخْلَفُ ، وَنَجْلُ

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق : كناية عن الفوز

(٢) الغور : القعر من كل شيء ، وبعد الغور : كناية عن أصالة الرأي وعمق  
التفكير ، والفور : الغضب ، ويقال : فلان ثار ثائرة ، وفار فأثره ، إذا اشتد  
غضبه . وبنو فلان تفور علينا قدرهم : قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فنديعها ونفثوها عنا إذا حميا غلا

وسكون الفور : كناية عن الحلم (٣) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم ( لحاء الله )  
أى قشره ، وإذا قشر الإنسان هلك !

فَخَلَّ لَا يَقْرِفُ<sup>(١)</sup> .

ومرض معاوية مرضاً شديداً فَأَرْجَفَ<sup>(٢)</sup> به مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ وسَاعَدَهُ قَوْمٌ عَلَى ذلك ، ثم تماثل وهم في إرجافهم<sup>(٣)</sup> ، فحمل زياد مَصْقَلَةَ إِلَى معاوية وكتب إليه : « إِنَّهُ يَجْمَعُ مُرَاقًا مِنْ مُرَاقِ الْعِرَاقِ<sup>(٤)</sup> فَيُرْجِفُونَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ لِيَرَى رَأْيَهُ فِيهِ » .

فَقَدِمَ مَصْقَلَةُ وَجَلَسَ مَعَاوِيَةَ لِلنَّاسِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : اذْنُنْ مِنِّي ! فذنا منه ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَذَبَهُ فَسَقَطَ مَصْقَلَةُ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :

أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيلِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ الْمَرَاثِمِ<sup>(٥)</sup>

صُلْبًا إِذَا خَارَ الرِّجَالُ لُ أُبْلَى مَمْتَنِعَ الشَّكَاثِمِ<sup>(٦)</sup>

قَدْ رَامَنِي الْأَعْدَاءُ قَبْلَكَ فَاثْمَنَنْتُ عَنْ الْمَظَالِمِ

قال مصقلة : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ مِنْكَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ [بَطْشًا] وَحِلْمًا [رَاجِحًا] وَكَلًّا وَمِرْعَى لِأَوْلِيَاءِكَ ، وَسَمَا نَاقِعًا لِأَعْدَائِكَ ، كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ فَكَانَ أَبُوكَ سَيِّدَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ ؛ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَامَ .

فَوصله معاوية ، وَأَذْنُ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْكُوفَةِ . فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ مَعَاوِيَةَ ؟ فَقَالَ : زَعَمْتُ أَنَّهُ لَمَّا بِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَاللَّهِ لَقَدْ غَزَنِي غَزْمَةً كَادَ يَخْطِئُنِي ، وَجَذَبَنِي جَذْبَةً كَادَ يَكْسِرُ عُضْوًا مِنِّي !

(١) لَا يَقْرِفُ : مِنَ الْقِرَافِ بِالْكَسْرِ وَهُوَ دَاءٌ يَقْتُلُ الْبَعِيرَ ، يُرِيدُ أَنَّهُ قَوِيٌّ مَتِينٌ لَا تَقْرِبُهُ الْأَدْوَاءُ

(٢) الْإِرْجَافُ : الْخَوْضُ فِي أَخْبَارِ الْفِتَنِ ، وَمِنْهُ (وَالرَّجْفُونَ فِي الْمَدِينَةِ)

(٣) مُرَاقٌ : جَمْعُ مَارِقٍ ، وَهُوَ الْخَارِجُ عَلَى الْجَمَاعَةِ

(٤) الْجَنْدَلَةُ : الصَّخْرَةُ (٥) الشَّكَاثِمُ : جَمْعُ شَكِيمَةٍ ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الْمُعْرَضَةُ فِي فَمِ

الْفَرَسِ ، وَفُلَانٌ شَدِيدُ الشَّكِيمَةِ : أَنْفٌ أَيْ لَا يَنْقَادُ

(٦) زَعَمْتُ أَنَّهُ لَمَّا بِهِ : يُرِيدُ زَعَمْتُ أَنَّهُ ضَعْفٌ لَمَّا بِهِ مِنَ السَّقَمِ

بين معاوية  
والأحنف بن  
قيس

ودخل الأحنفُ بن قيسٍ على معاوية وافداً لأهل البصرة ، ودخل معه النمر بن قُطبة ، وعلى النمر عبادة قَطَوَانِيَّةٌ <sup>(١)</sup> ، وعلى الأحنف مِدْرَعَةٌ صوف وشَمْلَةٌ ، فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتَهما عينُه <sup>(٢)</sup> ؛ فقال النمر : يا أمير المؤمنين ! إِنَّ العبادة لا تَكَلِّمُكَ ، وإنما يَكَلِّمُكَ مَنْ فيها ! فأومأ إليه فجلس ، ثم أقبل على الأحنف فقال : ثم مَه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أهلُ البصرة عدد يسير ، وعَظْمُ كسير ، مع تتابع من المَحُول <sup>(٣)</sup> ، واتصال من الدُّحُول <sup>(٤)</sup> فالكَثْرُ فيها قد أطرق ، والمَقْلُ قَدَامَتِي <sup>(٥)</sup> ، وبلغ منه المَخَنَقُ ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشَ الفقير ، وَيَجْزُرَ الكسير ، ويسهل العسير ، وَيَصْفَحَ غن الدُّحُول ، وَيُدَاوِيَ المَحُول ، ويأمر بالعطاء ؛ ليكشف البلاء ، وَيُزِيلَ اللأواء <sup>(٦)</sup> . وإنَّ السيدَ من يعم ولا يَحْصُ وَمَنْ يدعو الجفلى ، ولا يدعو النقرى <sup>(٧)</sup> إنَّ أَحْسَنَ إليه شكر ، وإنَّ أَسْيءَ إليه غَفَر ، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عَمَاداً يَدْفَعُ عنها المَلَمَات ، ويكشفُ عنهم المضلات .

فقال له معاوية : ها هنا يا أبا بحر ! ثم تلا : ( وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ لِقَوْلٍ ) .

ومِنْ جميل المحاورات ما رواه المدائني ، قال : وَفَدَ أهل العراق على معاوية رحمه الله ، ومعهم زيادٌ ، وفيهم الأحنف ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ؛ أَشْخَصْتُ إِلَيْكَ أَقْوَاماً الرَغْبَةُ ، وَأَقْعَدَ عَنْكَ آخِرِينَ العُذْرُ ، فقد جعلَ الله تعالى في سَعَةِ فضلك ما يُجَبِّرُ به المتخلف ، ويكافئُ به الشاخص . فقال معاوية :

محاوره بين  
معاوية وأهل  
العراق

(١) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

(٢) اقتحم : احتقر (٣) المحول : جمع محل ، وهو الضيق (٤) الدحول : جمع

ذحل ، وهو الثأر (٥) أملك : من الإملاق ، وهو الفقر (٦) اللأواء : الشدة

(٧) يدعو الجفلى : يدعو الجماعة ، والنقرى : دعوة الفرد . قال طرفة :

نحن في اللأواء ندعو الجفلى لا ترى الآدب منا ينتقر

مرحبا بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم  
الرحم ؛ إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم  
بأن تخير لكم بلادا تجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى الفضة  
البيضاء من خبثها ؛ فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ،  
فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقبیح منكم أقبح لبعدهم عنه .  
فقال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدّم منكم قائلا جزيلا<sup>(١)</sup>  
ورأيا أصيلا ، ووعدا جميلا ؛ وإن أخاك زيادا لم يتبع آثارك فينا ، فنستمع الله  
بالأمير والمأمور ، فإنكم كما قال زهير ، فإنه ألقى على المدّاحين فصول القول :

وما يك من خير أتوه فإتما توارثه أباء آبائهم قبل  
وهل يُنبت الخطي إلا وشيجه<sup>(٢)</sup> وتفرس إلا في منابتها النخل<sup>(٣)</sup>

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل  
على كثيرهم رزق من يعترهم وعند المقلدين الساحة والبذل  
سعى بعدهم قوم لكني يذركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا<sup>(٣)</sup>

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله : « ولم يألوا » ؛ لأنه لما  
ذكر السعى بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن  
ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ؛ فأخبر أنهم لم يألوا ، وأنهم كانوا غير مقصرين  
وأنهم — مع الاحتهاد — في المتأخرين ؛ ثم لم يرخص بأن يجعل مجدهم طارفا

(١) القائل الجزيلى : الذى يقول جزل الكلام ، وهو العاقل الأصيل الرأى ،  
وفى نسخة « نائلا جزيلا » (م)

(٢) الخطي : نسبة إلى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب إليه الرماح ،  
لأنها تباع به لأنه منبتها - والوشيخ : عروق القصب (٣) لم يألوا : لم يقصروا .

فيهم ، ولا جديداً لديهم ، حتى جعله إرثاً عن الآباء ، يتوارثه سائرُ الأبناء ، ثم لم يَرْضَ أن يكونَ في الآباء حتى جعله موروثاً عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في المنشور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار .

منزلة شعر زهير      وكانت قريشٌ معجبةً بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا ابن أبي سلمى قد سمعنا كلامَ الخطباء والبلغاء ، وكلامَ ابن أبي سلمى ، فما سمعنا مثلَ كلامه من أحد ؛ فجعلوا ابنَ أبي سلمى نهايةً في التجويد ، كما ترى .

وذَكَرَ أن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم زهيراً ، كان لا يُعَاطَلُ بين الكلام<sup>(١)</sup> ، ولا يتبع حُوشِيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال .

وأخذ معنى قولِ زهير : \* سعى بعدهم قوم لى يدر كوهم \* طَرِيحُ بن إسماعيل الثَّقَفِي<sup>(٢)</sup> ، فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغْتَ وَلَمْ      يَأْتُوا فَمَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهَدُوا<sup>(٣)</sup>  
فِهِمْ مُلُوكٌ مَا لَمْ يَرَوْكَ ، فَإِنْ      لَاحَ لَهُمْ مِنْكَ بَارِقٌ خَدُّوا  
تَعْرُوهُمْ رَعْدَةٌ لَدَيْكَ كَمَا      قُرُقِفَ تَحْتَ الدَّجْنَةِ الصَّرْدُ<sup>(٤)</sup>  
لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَا قَلِيَّ خُلُقٍ      لَكِنْ جَلَالًا كَسَاكَهُ الصَّمَدُ<sup>(٥)</sup>  
مَا يُبْقِيكَ اللَّهُ لِلْأَنَامِ قَمًّا      يُفْقِدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مَفْتَقَدُ<sup>(٦)</sup>

معاوية يبين      وقال معاوية رحمه الله : المروءة : احتمالُ الجريرة<sup>(٧)</sup> ، وإصلاحُ أمر العشيرة ؛ النبيل والمروءة      والنبيلُ : الحلم عند الغضب ، والغفوة عند المقدرة .

(١) يعاظم : يكرر ويردد . وفي الأصل « يفاضل » وهو تحريف

(٢) شاعر مجيد توفي نحو سنة ١٧٠ (٣) جهدوا : تعبوا

(٤) قرُقِفَ على صيغة المفعول : أرعد ، والدجنة : الظلمة ، والصرد : الندى

يشكو قسوة البرد (٥) القلي : البغض (٦) ما في هذا البيت شرطية (٧) الجريرة :

الجناية ، واحتمال الجريرة : كناية عن دفع الندية لئلا يؤخذ الجاني بجنايته



فَقَرَّ مِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ تَبْذِيرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ . أَنْقَضَ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ . أَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَقْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَالِيكَ مِنْ لَوْثِ الْمَقْدَرَةِ وَسُوءِ الْمَمْلَكَةِ .  
 وقال يحيى بن خالد : مَا حَسُنَ أَدَبُ رَجُلٍ إِلَّا سَاءَ أَدَبُ غِلْمَانِهِ <sup>(١)</sup> .  
 وقال معاوية : إِصْلَاحُ مَا فِي يَدِكَ أَسْلَمَ مِنْ طَلَبِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . غَضَبِي عَلَى مَنْ أَمْلَكَ ، وَمَا غَضَبِي عَلَى مَنْ لَا أَمْلَكَ ؟ .

\*\*\*

ولما تَوَقَّى معاويةُ رحمه الله واستخلف يزيدُ ابنه اجتمع الناسُ على بابهِ ، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبدُ الله بن همام السُّلُوى ، فدخل عليه فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَةِ ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، فَقَدْ رُزِّتَ عَظِيمًا ، وَأُعْطِيتَ جَسِيمًا ، فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا أُعْطِيتَ ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رُزِّيتَ ؛ فَقَدْ فَقَدْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَمُنِحْتَ خِلَافَةَ اللَّهِ ؛ فَفَارَقْتَ جَلِيلًا ، وَوُهِبْتَ جَزِيلًا ؛ إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نَحْبَهُ ، فَغَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ ؛ وَوُلِّيتَ الرِّيَاسَةَ ، فَأُعْطِيتَ السِّيَاسَةَ ؛ فَأَوْرَدَكَ اللَّهُ مَوَارِدَ السَّرُورِ ، وَوَفَّقَكَ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ ، وَأَنْشَدَ :  
 اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ      وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَضْفَا <sup>(٢)</sup>  
 لَارْزُءَ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ      كَمَا رُزِّتَ وَلَا عَقْبِي كَعُقْبَا كَا  
 أَصْبَحْتَ وَإِلَى أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ      فَأَنْتَ تَرَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرَعَا كَا  
 وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ      إِذَا نُعِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَا كَا <sup>(٣)</sup>  
 يريد أبا ليلى معاوية بن يزيد ، ووُلِّيَ بعد أبيه شهورًا ، ثُمَّ انْخَلَعَ عَنِ الْأَمْرِ ، فَقَالَ الْقَائِلُ :

(١) يظهر أن هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وإذ كان الغرض ذكر

فقر من كلام معاوية

(٢) الحباء : العطاء (٣) «لا» حرف دعاء ، ولذلك جزم بها الفعل إلحاقا بالناحية

\* والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا \*

الجمع بين التهنئة والتعزية  
وأول مَنْ فَتَحَ الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بن همام ، فَوَلَّجَهُ  
الناس ، ومن جَيِّد ما قيل في ذلك قصيدة أبي تمام الطائي يمدح الوائق ويرثي  
المعتصم يقول فيها :

إن أُصْبِحَتْ هَضْبَاتُ قَدَسٍ أزالها      قَدَرٌ فما زالت هِضَابُ شَمَامٍ<sup>(١)</sup>  
أو يُفْتَقَدُ ذُو النون في المَهِجَا فقد      دَفَعَ الإلهُ لنا عن الصَّمَامِ  
أو كنت منا غاربا غدوا فقد      رُحْنَا بِأُثْمِي غَارِبٍ وَسَنَامٍ<sup>(٢)</sup>  
تلك الرزِيَّةُ لا رزِيَّةٌ مثلها      والقَسْمُ ليس كسائرِ الأقسامِ<sup>(٣)</sup>  
وهذا المعنى كثير.

وكان معاوية رحمه الله قد تركَ قولَ الشعرِ في آخر عمره ، فنظر يوماً إلى  
جارية في داره ذاتَ خَلْقٍ رائع ، فدعاها فوجدها يكرأ فافترعها ، وأنشأ يقول :

سُتِمْتَ غَوَايِتي فَأَرَحْتُ حِلْمِي      وفيَّ عَلَى تَحْمَلِي اعْتِرَاضُ  
على أني أُجِيبُ إذا دَعَتْنِي      ذَوَاتُ الدَّلِّ وَالْحَدَقِ المِراضُ  
فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة ، فلا تردُّوا صدقته<sup>(٤)</sup> . لكل داخلٍ  
هيبة فابدهوه بالتحية ، ولكل طاعم حشمة فابدهوه باليمين .  
ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها همومٌ ، فما كان منها في سرور فهو ربح .  
عمرو بن العاص : مَنْ كَثُرَ إِخْوَانُهُ كَثُرَ غُرْمَاؤُهُ . وقال : أكرِّمُوا سفهاءكم ،  
فإنهم يكفونكم العارَ والنار .

المغيرة بن شعبة : العيشُ في بقاءِ الحِشْمَةِ . في كل شيء سَرَفٌ إلا في المعروف .

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) الغارب : الكاهل (٣) القسم : النصيب  
(٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه كتقصير الصلاة ، وإباحة الفطر للمسافر

هذا كقول الحسن بن سهل<sup>(١)</sup> — وقد أُنْفَقَ في دخول ابنته بُورَانَ على  
المأمون أموالاً عظيمة — فقيل له : لا خيرَ في السَّرَفِ . قال : لا سَرَفَ في  
الخير . فرد اللفظَ واستوفى المعنى :

معاذ بن جبل : الدين هدم الدين .

زياد : أرض من أخيك إذا وُلِّيَ ولايةً بعُشر ودَّه قبلها .

مصعب بن الزبير<sup>(٢)</sup> : التَّوَّاضَعُ من مصاديد الشرف .

الأحنف بن قيس : من لم يَصْبِرْ على كلمة سَمِعَ كَلَامٍ ! وقيل له : مَنْ السيد ؟  
قال : الذي إذا أَقْبَلَ هابوه ، وإذا أَدْبَرَ عَابُوهُ . وله : سِرُّكَ مِنْ دِمِكَ<sup>(٣)</sup> . وله : مَنْ  
تَسَرَّعَ إلى الناس بما يَكْرَهُونَ قالوا فيه ما لا يَعْلَمُونَ . وله : الكامل مَنْ عُدَّتْ هَفْوَاتُهُ .  
وقال يزيد بن محمد المهلب<sup>(٤)</sup> :

ومن ذا الذي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى المرءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

الحسن البصري : أَلَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طُولِ مَا لَا تَسْتَحْيُونَ ! ابْنُ آدَمَ رَاحِلٌ  
إِلَى الآخِرَةِ كُلِّ يَوْمٍ مَرِحَلَةً . مَا أَنْصَفَكَ مَنْ كَلَّفَكَ إِجْلَالَه ، وَمَنَعَكَ مَالَه . بدن  
لا يشككي مثل مَالٍ لَا يَزْكِي . إن امرءاً ليس بينه وبين آدَمَ أَبٌ حَتَّى لَمُعْرِقٍ فِي الْمَوْتِ .  
قال الطائي :

تَأْمَلْ رَوِيدًا هَلْ تَعُدُّنَّ سَالِمًا إِلَى آدَمٍ أَوْ هَلْ تَعُدُّ ابْنَ سَالِمٍ

وقال أبو نواس :

وما الناسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْمَالِكِينَ عَرِيقُ

(١) كان وزير المأمون ، ومن أعلام زمانه ، توفي سنة ٢٣٦ بعد أن تغير عقله بمرض  
السوداء (٢) أحد الأبطال المشاهير ، وله مواقف معروفة في التاريخ ، توفي سنة ٧١  
(٣) تصحفت هذه العبارة على كل من نشر هذا الكتاب من أدباء هذا العصر  
قرواها « سرك من ذمك » وضبطوها على أن أولها فعل ماض من السرور وآخرها  
فعل ماض من الذم ، وأى سرور يدخل على من يسمع ذمه ؟ وإنما هي كاضبطناها  
والمراد الوصية بكتمان السر (م)

(٤) كان يزيد بن محمد شاعر التوكل وقد رثاه بعد وفاته أبلغ رثاء . توفي ببغداد سنة ٢٥٩

إِذَا أُمْتُحَنَ الدُّنْيَا لِيَبْ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ  
وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : لَوْ قِيلَ لِلدُّنْيَا : صِفِي نَفْسَكَ مَا عَدَّتْ هَذَا الْبَيْتَ ؟  
وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ مُزَاحِمِ الْعَقِيلِي :

قَاضِيْنَ الْهَوَى ثَمَّ ارْتَمَيْنَا قُلُوبَنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءِ وَهْنِ صَدِيقٍ  
عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا الْجَزَعُ مِمَّا لَبَدَّ مِنْهُ ؟ وَمَا الطَّمَعُ فِيمَا لَا يُرْجَى ؟  
لَا تَكُنْ مَنَّ يَلْعَنُ إِبْلِيسُ فِي الْعَالِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السَّرِّ .

الشَّعْبِي : إِنِّي لَأَسْتَجِي مِنْ الْحَقِّ إِذَا عَرَفْتُهُ أَلَّا أَرْجِعَ إِلَيْهِ .

قِطْعَةٌ مِنْ كَلَامِ لُبْنَى عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَهْلَ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : [ أَهْلُ  
الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ ، وَنَبْعَةُ الْإِيمَانِ ، وَصُؤَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ ] وَلَهُمْ  
كَلَامٌ يُعْرَضُ فِي حَلِيِّ الْبَيَانِ ، وَيُنْقَشُ فِي فَصِّ الزَّمَانِ ، وَيُحْفَظُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ ،  
وَيَفْضَحُ قَلَانِدَ الدُّرِّ ، وَيُخْجِلُ نَوْرَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ ، وَلَمْ لَا يَطْثُونَ ذُيُولَ  
الْبَلَاغَةِ ، وَيَجْرُونَ فَضُولَ الْبَرَاةِ ، وَأَبُوهُمْ الرَّسُولُ ، وَأُمُّهُمْ الْبَتُولُ <sup>(١)</sup> ، وَكَلِمَتُهُمْ  
قَدْ غَذَى بِدَرِّ الْحَكْمِ <sup>(٢)</sup> ، وَرُبِّيَّ فِي حِجْرِ الْعِلْمِ :

وصف أهل  
البيت

مَا مِنْهُمْ إِلَّا مُرَبِّي بِالْحِجْبِيِّ أَوْ مُبَشِّرٌ بِالْأُخُوذِيَّةِ مُؤَدِّمٌ <sup>(٣)</sup>

آخر :

نَمَّتْهُ الْعَرَانِينَ مِنْ هَاشِمٍ إِلَى النَّسَبِ الْأَصْرَحِ الْأَوْضَحِ <sup>(٤)</sup>

(١) الْبَتُولُ : لَقَبُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لِأَنَّهَا انْقَطَعَتْ عَنِ الزَّوْجِ وَظَلَّتْ عَذْرَاءً ، ثُمَّ

قِيلَ لِقَاطِمَةِ الْبَتُولِ تَشْبِيْهَا بِهَا فِي الْمَرْثَةِ عِنْدَ اللَّهِ

(٢) الْحَكْمُ : بَضْمُ الْحَاءِ هُوَ الْحِكْمَةُ ، وَمِنْهُ ( وَآتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيًّا )

(٣) الْأُخُوذِيَّةُ : الْحَذَقُ وَالْحَفَّةُ ، وَهُوَ مُبَشِّرٌ بِالْأُخُوذِيَّةِ وَمُؤَدِّمٌ : يَعْنِي أَنَّ بَشْرَتَهُ

وَأُدِّمَهُ أَيْ جَلَدَهُ حَتَّى بِالْمَهَارَةِ وَالنَّشَاطِ (٤) الْعَرَانِينَ : الْأَوَائِلُ

إلى نَبْعَةٍ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ وَمَغْرَسُهَا فِي ذُرَى الْأَبْطَحِ<sup>(١)</sup>

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدى — وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبةً لم يُرَ أحسن منها ، فلا يُدرى أَوْجَهه أحسن أم خطبته ؛ فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يُشْرِقُونَ ، ولسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل :

لَوْ كَانَ يُوجَدُ عَرَفٌ مَجْدٍ قَبْلَهُمْ لَوَجَدْتَهُ مِنْهُمْ عَلَى أُمِّالٍ<sup>(٢)</sup>  
إِنْ جِئْتَهُمْ أَبْصَرْتَ بَيْنَ بِيوتِهِمْ كَرَمًا يَتَّقِيكَ مَوَاقِفَ التَّنَّالِ  
نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْمَكَارِمِ فِيهِمْ مَتَوَقَّدٌ فِي الشَّيْبِ وَالْأَطْفَالِ<sup>(٣)</sup>

وسُئِلَ سعيد بن المسيب : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ ؟ فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال السائل : إنما أعنى مَنْ دونه . فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإنَّ ابنَ الزبير لحَسَنُ الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فأين أنتَ من عليّ وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال : إنما عَنَيْتَ مَنْ تَقَارَبَتْ أَشْكَالُهُمْ ، وَتَدَانَتْ أَحْوَالُهُمْ ، وَكَانُوا كَسِبَاهِمُ الْجَفَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَبَنُو هَاشِمٍ أَعْلَامُ الْأَنْامِ ، وَحُكَّامُ الْإِسْلَامِ<sup>(٥)</sup> .

### فصل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

في ذكر قريش ، وبني هاشم

قد علم الناسُ كيفَ كَرَّمُ قريش وسخاؤها ، وكيف عَقُولُها ودَهَاوُها ، وكيف رَأْيُهَا وذَكَوُها ، وكيف سِيَاسَتُها وتَدِيرُها ، وكيف إِيْمَازُها وتَحْيِيرُها<sup>(٦)</sup>

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الریح (٣) الشيب جمع أشيب (٤) الجمعة : السكانة توضع فيها السهام والفتاب (٥) يلاحظ القارىء أن المؤلف لم يذكر ماسماه «قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب» وإنها تكلم عن أهل البيت وما قيل فيهم ، ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سنرى كيف يعود إلى أبناء على بعد قليل (٦) في نسخة «وتحسيرها» والمراد ما يقابل الإيجاز ، وهو الإطباب والغرض وصف قريش بأنها تجيد إطالة القول حين تشاء

وكيف رجاحة أحلامها إذا خفَّ الحليم ، وحدة أذهانها إذا كَلَّ الحديد<sup>(١)</sup>  
 وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللاأواء<sup>(٢)</sup> ، وكيف وفاؤها إذا استحسن  
 الغدر ، وكيف جودها إذا حبَّ المال ، وكيف ذِكْرُها لأحاديث غدٍ  
 وقلة صدودها عن جهة القصد<sup>(٣)</sup> ، وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ،  
 وكيف وصفها له ، ودعاؤها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعراقها ،  
 وكيف وصلوا قديمهم بجدِثهم ، وطريفهم بتليدِهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم  
 وقولهم فعلهم . وهل سلاية صدر أحدكم إلا على قدر بُعد غوره<sup>(٤)</sup> ؟ وهل  
 غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟

وقال عمر : إنك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه .

قال أوس بن حجر<sup>(٥)</sup>

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ السُّظْنَ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقال آخر :

مليحٌ نجيحٌ أخو مازنٍ فصيحٌ يحدثُ بالغائبِ

وقال بلعاء بن قيس :

وَأُبْنِي صَوَابَ الرَّأْيِ أَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ

بل قد علم الناس كيف جماها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف

سروها ونجابتها<sup>(٦)</sup> ، وكيف يباؤها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبداهتها ،

(١) الحديد : القوى الذهن (٢) اللاأواء : الشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الغور : القعر من كل شيء . وفلان بعيد الغور : متعمق

النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره ، وفي الأصل « بعد غدره » بالدال ، وأحسب أنه

تحريف (٥) أوس بن حجر : هو شاعر تميم في الجاهلية ، مات قبيل الإسلام ، وهو

صاحب العينية التي قيل في مطلعها إنه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيها النفس أجلى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف . والنجابة : كرم الحسب

فالعَرَبُ كَالْبَدَنِ وَقَرِيشٌ رَوْحُهَا ، وَقَرِيشٌ رَوْحٌ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلُبُّهَا ،  
 وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا ، وَبَنُو هَاشِمٍ مِلْحُ الْأَرْضِ ، وَزَيْنَةُ الدُّنْيَا ، وَحَلَى  
 الْعَالَمِ ، وَالسَّنَامُ الْأَضْحَمُ ، وَالكَاهِلُ الْأَعْظَمُ ، وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ ، وَسِرُّ  
 كُلِّ غَنْصَرٍ شَرِيفٍ ، وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ ، وَالْمَعْرَسُ الْمُبَارَكُ ، وَالنَّصَابُ الْوَثِيقُ <sup>(١)</sup> ،  
 وَمَعْدَنُ الْفَتَنِمْ ، وَيَنْبُوعُ الْعِلْمِ ، وَهَذَا لَأَنَّ ذُو الْهَضَابِ فِي الْحِلْمِ <sup>(٢)</sup> ، وَالسِّيفُ الْحُسَامُ  
 فِي الْعَزَمِ <sup>(٣)</sup> مَعَ الْأَنَاةِ وَالْحَزَمِ ، وَالصَّفْحُ عَنِ الْجُرْمِ ، وَالْقَصْدُ عِنْدَ الْمَعْرِفَةِ ،  
 وَالْعَفْوُ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ ، وَهُمْ الْأَنْفُ الْمَقْدَمُ ، وَالسَّنَامُ الْأَكْرَمُ ، وَكَلِمَاءُ الَّذِي  
 لَا يَنْجِسُهُ شَيْءٌ ، وَكَاشَمُ السُّمِّ الَّذِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَكَالذَّهَبُ لَا يُعْرِفُ  
 بِالنَّقْصَانِ ، وَكَالْنَجْمُ لِلْحَيَرَانِ ، وَالْبَارِدُ لِلظَّمَانِ ، وَمِنْهُمْ الثَّقَلَانِ ، وَالشَّهِيدَانِ ،  
 وَالْأَطْيَانِ ، وَالسُّبُّطَانِ ، وَأَسَدُ اللَّهِ ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ ، وَذُو قَرْنَيْنِهَا ، وَسَيِّدُ  
 الْوَادِي ، وَسَائِقُ الْحُجَيْجِ ، وَحَلِيمُ الْبَطْحَاءِ ، وَالْبَخْرُ ، وَالْخَبَرُ <sup>(٤)</sup> ، وَالْأَنْصَارُ  
 أَنْصَارُهُمْ ، وَالْمُهَاجِرُونَ مَنْ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ أَوْ مَعَهُمْ ، وَالصَّدِّيقُ مَنْ صَدَقَهُمْ ،  
 وَالْفَارُوقُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِيهِمْ ، وَالْحَوَارِيُّ حَوَارِيَّهُمْ ، وَذُو الشَّهَادَتَيْنِ  
 لِأَنَّهُ شَهِدَهُ لَمْ ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا لَهُمْ أَوْ فِيهِمْ أَوْ مَعَهُمْ ، أَوْ يُضَافُ إِلَيْهِمْ ، وَكَيْفَ  
 لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ وَمِنْهُمْ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَإِمَامُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ،  
 وَنَجِيبُ الْمُرْسَلِينَ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، الَّذِي لَمْ يَتِمَّ لِنَبِيِّ نُبُوءَةٌ إِلَّا بَعْدَ التَّصْدِيقِ  
 بِهِ ، وَالْبَشَارَةُ بِمَجِيئِهِ ، الَّذِي عَمَّ بِرِسَالَتِهِ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَى الدِّينِ  
 كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ؟ .

قال الحسن بن علي عليهما السلام لحبيب بن مسleme الفهرى : رُبَّ مَسِيرٍ لَكَ بَيْنَ الْحَسَنِ بْنِ

عَلَى السَّبِيحِ

وحبيب بن

مسleme الفهرى

(١) النصاب : الأصل (٢) شهلا : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع

(٤) تلك ألقاب اختص بها فريق من أشرف قريش ، يرجع إليها من شاء في كتب

السير والغزوات

في غير طاعة الله ! قال : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أَيْكَ فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ! قال : بلى !  
أَطَعْتَ فَلَانَا عَلَى دُنْيَا بَسِيرَةٍ ، وَلَعُمْرِي لَنْ كَانَ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ  
فِي دِينِكَ ، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :  
( خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) وَلَكِنَّكَ كَمَا قَالَ :  
( كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) .

صفة الحسن بن علي السبط  
وكان الحسن عليه السلام جواداً ، كريماً ، لا يرذُّ سائلاً ، ولا يَقْطَعُ نائلاً ،  
وأعطى شاعراً مالا كثيراً ف قيل له : أَتُعْطِي شَاعِرًا يَعْصِي الرَّحْمَنَ ، ( ويطيع  
الشیطان ) ، ويقول البهتان ؟ فقال : إِنَّ خَيْرَ مَا بَدَلْتُ مِنْ مَالِكَ مَا وَقَّيْتُ بِهِ  
عِرْصَتَكَ ، وَإِنْ مِنْ ابْتِغَاءِ الْخَيْرِ اتِّقَاءَ الشَّرِّ .

وقد روى مثل ذلك عن الحسن رضي الله عنه ، وقيل : إِنَّ شَاعِرًا مَدَحَهُ  
فَأَجْزَلَ ثَوَابَهُ ، فَلِمَ عَلَى ذَلِكَ ، فقال : أَرَأَيْتَ خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ ابْنِ فَاطِمَةَ  
الزَّهْرَاءِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ! وَلَكِنِّي  
خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ كَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا كَعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛  
فِيُضَدَّقَ ، وَيُحْمَلَ عَنْهُ ، وَيَبْقَى مُخَلِّدًا فِي الْكُتُبِ ، مُحْفُوظًا عَلَى أَسْنَنِ الرِّوَاةِ . فقال  
الشاعر : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَفُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنِّي .

محمد بن الحنفية  
يرثي أخاه  
الحسن بن علي  
ولما تَوَفَّى الْحَسَنُ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ الْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ وَقَفَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَبْرِهِ وَقَدْ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدموعِ ، وَقَالَ :  
رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا مُحَمَّدٍ ! فَلَنْ عَزَّتْ حَيَاتُكَ ، لَقَدْ هَدَّتْ وَفَاتُكَ ، وَلَنِعْمَ الرُّوحُ  
رُوحٌ تَضَمَّنَتْ بِدُنُوكَ ؛ وَلَنِعْمَ الْجَسَدُ جَسَدٌ تَضَمَّنَتْ كَفَنُكَ ، وَلَنِعْمَ الْكَفَنُ كَفَنٌ  
تَضَمَّنَتْ لِحْدُوكَ ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ سَلِيلُ الْهَدْيِ ، وَخَامِسُ أَصْحَابِ  
الْكِسَاءِ ، وَخَلَفُ أَهْلِ النَّقْيِ ؟ جَدُّكَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ، وَأَبُوكَ عَلَى الْمُرْتَضَى ،  
وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ ، وَعَمُّكَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى ، وَغَدَاؤُكَ أَكْفُ  
الْحَقِّ ، وَرُبِّيَّتِي فِي حَبْرِ الْإِسْلَامِ ، وَرَضَعْتَ ثَدْيَ الْإِيمَانِ ، فَطُبِّتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛



فلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك ؛ إنها غير شاكّة أن قد خير لك ، وإنك وأخاك لبيدا شباب أهل الجنة ، فعليك يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب على قبره ، فقال : رجل من ولد أنى سفيان بن الحارث يرثى إن أقدامكم قد نقلت ، وإن أعناقكم قد حملت إلى هذا القبر وليا من أولياء الله يبشر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبهج الحور العين بلقاءه <sup>(١)</sup> ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجا والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تحتسب المصيبة به .

#### ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة

قد نعى سليل من سلالة النبوة ، وفرغ من شجرة الرسالة ، وعُضُو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيِّ والبتول <sup>(٢)</sup> . كتبت وليتني ما كتبت وأنا ناعي الفضل من أقطاره ، وداعى المجد إلى شق ثوبه وصداره ، ونخبر أن شمس الكرم واجبة <sup>(٣)</sup> والمآثر مودعة ، وبقايا النبوة مرتفعة ، وآمال الإمامة منقطعة ، والدين منخزل واجم <sup>(٤)</sup> ، وللتقوى دمعان هام وساجم . كتابي وقد شلت يمين الدهر ، وقفيت عين المجد ، وقصرت باع الفضل ، وكسفت شمس المساعي ، وخسفت قمر المعالي ، وتجددت في بيت الرسالة رُزء جدّد المصائب ، واستعاد التوائب ؛ كل هذا لفقْد من حطّ الكرم بربعه ، ثم أدرج في بُردِه ، وامتزج المجد به ، فدفن بدفنه ، إنها لمصيبة عمّت بيت الرسالة ، وغضت طرف الإمامة ، وتحيفت جانب <sup>(٥)</sup> الوُحى المنزل ، وذكّرت بموت النبي المرسل . كتبت والدهر ينعى مُهجته

(١) الحور العين : لقب نساء أهل الجنة ، والحور : جمع حوراء ، من الحور بالتحريك وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، أو هو اسوداد العين كلها مثل عيون الأطباء ، والعين : جمع عينا وهى الخلوة العينين

(٢) الوصى : هو على بن أبى طالب ، والبتول : لقب فاطمة الزهراء (م)

(٣) وجبت الشمس : غابت (٤) واجم : مضرق عبوس (٥) تحيفت : انتقصت (م)

والمجد يُنْدُبُ بِهَجَّتِهِ ، ومهابط الوَحْيِ والرسالة تمنحني ظهورها أسفا ، وما في الإمامة والوصية والرسالة تُذَرِّي دموعها لهفاً ؛ وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروءة .

[ رجع إلى كلام أهل البيت ]

بين الحسن بن علي وأخيه محمد ابن الحنفية  
 ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية<sup>(١)</sup> لحاء ، ومشي الناس بينهما بالتمائم ، فكتب إليه محمد بن الحنفية : أمّا بعد فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب ؛ لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأُمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيراً منها ؛ فإذا قرأت كتابي هذا فأقدم حتى ترضاني ، فإنك أحق بالفضل مني .

خطبة للحسين بن علي  
 وخطب الحسين بن علي رضوان الله عليهما غداة اليوم الذي استشهد فيه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ؛ ثم قال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ؛ فإن الدنيا لو بقيت على أحد [ أو بقي عليها أحد ] لكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، [ وأرضى ] بالقضاء ؛ غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر<sup>(٢)</sup> ، منزل تلعة ، ودار قلعة<sup>(٣)</sup> ؛ فزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .

(١) محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي ، أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تميزا له عن أخويه . ولد في المدينة سنة ٢١ وتوفي بها سنة ٨٠ .  
 (٢) مكفهر مغبر (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انهدم منها ، فهي من الأضداد ، وهي كذلك مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي ، ومنازل التلاع لا ثبات لها لأنها عرضة لهجمات السيل ، ودار قلعة : أي انتلاع وذهاب . وفي الأصل « والمنزل تلعة والدار قلعة » وما أثبتناه أنسب .

وكان لمعاوية بن أبي سفيان عَيْنٌ بالمدينة يكتبُ إليه بما يكونُ من أمورِ بين معاوية الناس وقريش ، فكتب إليه : إِنَّ الحُسَيْنَ بنَ عَلِيٍّ أَعْتَقَ جَارِيَةً لَهُ وَتَزَوَّجَهَا ؛ والحسين بن علي فكتب معاوية إلى الحسين : مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ معاوية إلى الحسين بن عليٍّ .  
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزَوَّجْتَ جَارِيَتَكَ ، وَتَرَكْتَ أَكْفَاءَكَ مِنْ قُرَيْشٍ ، مَنْ تَسْتَنْجِبُهُ لِلوَلَدِ ، وَتَعْبُدُ بِهِ فِي الصُّبْرِ ، فَلَا لِنَفْسِكَ نَظَرْتُ ، وَلَا لَوَلَدِكَ انْتَقَيْتَ .

فكتب إليه الحُسَيْنُ بن علي : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ ، وَتَغْيِيرُكَ إِلَيَّ بِأَنِّي تَزَوَّجْتُ مَوْلَاتِي ، وَتَرَكْتُ أَكْفَاءِي مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللَّهِ مُنْتَهَى فِي شَرَفٍ ، وَلَا غَايَةً فِي نَسَبٍ ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ مِلْكٌ يَمِينِي ، خَرَجْتُ عَنْ يَدِي بِأَمْرِ التَّمَتُّ فِيهِ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ ثُمَّ ارْتَجَعْتُهَا عَلَى سَنَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ الْحُسَيْسَةَ ، وَوَضَعَ عَنَّا بِهِ النَّقِيسَةَ ؛ فَلَا لَوْءَ عَلَى أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي أَمْرِ مَاثِمٍ ، وَإِنَّمَا اللَّوْمُ لَوَمِ الْجَاهِلِيَّةِ .  
فَلَمَّا قَرَأَ مُعَاوِيَةُ كِتَابَهُ نَبَذَهُ إِلَى يَزِيدَ فَقَرَأَهُ ، وَقَالَ : لَشَدَّ مَا فَخَّرَ عَلَيْكَ الْحُسَيْنُ ! قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهَا أَلْسَنَةُ بَنِي هَاشِمٍ الْحِدَادِ الَّتِي تَقْلِقُ الصَّخْرَ ، وَتَغْرِفُ مِنَ الْبَحْرِ !

والحسين - رضي الله عنه ! - هو القائل :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لِأَحَبُّ دَارًا تَحُلُّ بِهَا سُكِينَةُ وَالرَّبَابُ  
أَحَبُّهُمَا وَأَبْذُلُ كُلِّ مَالِي وَلَيْسَ لِلْأُمِّ عِنْدِي عِتَابُ

من شعر  
الحسين بن علي

سُكِينَةُ: ابنته، والرباب: أُمُّهَا، وهى بنت امرئ القيس [بن الجرول] الكلبيَّة.  
وفى سُكِينَةَ يَقُولُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِيْعَةَ الْحَزْرَمِيُّ كَذِبًا عَلَيْهَا <sup>(١)</sup> :

(١) غير مطبوعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فيه فصل  
مُطَوَّرٌ عَنْ أَسِيدَةِ سُكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَحَيَاتِهَا الْأَدَبِيَّةِ وَالوُجْدَانِيَّةِ وَعِلَاقَتِهَا بِعُمَرَ بْنِ  
أَبِي رِيْعَةَ لَتَرَى أَيْكَانَ يَكْذِبُ عَلَيْهَا كَمَا يَحْدِثُنَا صَاحِبُ زَهْرِ الْأَدَابِ ؟

لابن أبي ربيعة  
في سَكينة بنت  
الحسين

قالت سَكِينَةُ والدُمُوعُ دَوَارِفُ  
لَيْتَ الْمُغِيرَى الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ  
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا الْغَنَى أَأَيَّامَنَا  
خَبِرْتُ مَا قَالَتْ قَبْتُ كَأَنَّمَا  
أُسْكِنَ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطِيبُهُ  
بِالَّذِ مِنْكَ ، وَإِنْ نَأَيْتِ ، وَقَلَمَا  
إِنْ تَبَدَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفَى بِهِ  
وَعَصَيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَعْتُ  
فَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوَصَالِ مُتَمَعًا  
فَقَعَدْتُ كَلَامُ هَرِيقٍ فَضْلُهُ مَائِهِ  
تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجَلْبَابِ  
فِيمَا أَطَالَ تَصِيدِي وَطِلَابِي  
إِذْ لَا نُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِ  
يُرْمَى الْحَشَى بِنَوَافِذِ النَّشَابِ  
مِنِّي عَلَى ظَمَأٍ وَقَدْ شَرَابِ  
تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ  
دَاءِ الْفَوَادِ فَقَدْ أَطْلَتِ عَذَابِي  
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ غُرَى الْأَسْبَابِ  
مِنْهُمْ ، وَلَا أَسْعَفَتْنِي بِشَوَابِ  
فِي حَرٍّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعِ سَرَابِ

سَكِينَةُ تَرَى .  
مصعب بن الزبير قد جَمَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ؛ فَلَمَّا قُتِلَ مِصْعَبُ  
قَالَتْ سَكِينَةُ :

فَإِنْ تَقْتُلُوهُ تَقْتُلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي  
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحُسَيْنُ مَنِيَّةً  
يَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِالسَّيْفِ حَرَامًا  
إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى أَوْرَدُوهُ حِمَامًا

لعلى بن الحسين  
وقال على بن الحسين (١) رحمه الله : لو كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ جُمْلَةَ الْخَلِ  
فِي فَضْلِ الْإِسْتِبَانَةِ ، وَجُمْلَةَ الْحَالِ فِي فَضْلِ التَّبَيُّنِ ، لَأَعْرَبُوا عَنْ كُلِّ مَا يَبْتَغِي  
فِي صُدُورِهِمْ ، وَلَوْ جَدُّوا مِنْ بَرْدِ الْيَقِينِ مَا يَغْنِيهِمْ عَنِ الْمَنَازِعَةِ إِلَى كُلِّ حَالٍ سِوَى

(١) كَانَ عَلَى بْنُ الْحُسَيْنِ مُضْرَبُ الْمَثَلِ فِي الْحِلْمِ وَالتَّقْوَى وَالسَّخَاءِ . أُحْصِيَ بَعْدَ  
مَوْتِهِ عِدَدٌ مِنْ كَانَ يَقُوتُهُمْ سِرًّا فَإِذَا هُمْ بِمِثْلِ مِثْلِ بَيْتِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْعَاقَ : كَانَ  
نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعِيشُونَ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ مَعَاشُهُمْ وَمَا كَلِمُهُمْ ، فَلَمَامَاتِ عَلَى بْنِ  
الْحُسَيْنِ فَقَدُوا مَا كَانُوا يُؤْتُونَ بِهِ لَيْلًا إِلَى مَنَازِلِهِمْ . وَلَدَ أُنَابَةَ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٣٨  
وَتُوفِيَ سَنَةَ ٩٤ .

حالمهم ، على أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة المدّة ،  
والفكرة القصيرة المدّة ، ولكنهم من بين مغمورين بالجهل ، ومفتونين  
بالمعجب ، ومعدولين بالهوى عن باب الثبّت ، ومصرفين بسوء العادة عن  
فضّل التعلم .

وقال رضى الله عنه : المرآة يُفسدُ الصداقة القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ،  
وأقلّ مافيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة .  
ومن دعائه : اللهم ارزقني خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعد ، حتى لا أرزجو  
إلا ما رجيت ، ولا أخاف [ إلا ] ماخوفت .

وحجّ هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام  
الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبرٌ فجلس عليه ؛ فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن  
الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن الناس  
وجهاً ، وأعظم راحة ، وأكثرهم خشوعاً ، وبين عينيه سجادة <sup>(١)</sup> ، كأنها رُكبة  
عنز ، وطاف بالبيت ، وأتى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبة وإجلالا ،  
فغاض ذلك هشاماً ؛ فقال رجلٌ من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا  
الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لأعرفه ، لئلا يعظم في صدور  
أهل الشام ؛ فقال القرزدي وكان حاضراً :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقيّ التقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
إذا رآته قريشٌ قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلم <sup>(٢)</sup>

(١) المراد بالسجادة أثر السجود .

(٢) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويقينه بأنها من سلالة الرسول

فِي كَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهُ عَبِقٌ  
 يُغْفِي حَيَاءً وَيُغْفِي مِنْ مَهَابَتِهِ  
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ  
 يُنَمِّي إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ  
 يَنْجَابُ نُورُ الْهَدْيِ عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ  
 حَمَلُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَحُوا  
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ  
 اللَّهُ فَضْلُهُ قَدَمًا وَشَرْفُهُ  
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ  
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ  
 كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا  
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ  
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيْمُونٌ بَغْرَتُهُ  
 مَا قَال «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدُهُ  
 مِنْ مَعْشَرِهِمْ دِينَ، وَبَعْضُهُمْ  
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْبُلُوَى بِجِبْهِمْ  
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ  
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقْيِ كَانُوا أُمَمَتَهُمْ  
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ

فِي كَفِّ أُرْوَعٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ<sup>(١)</sup>  
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَبِسِمُ  
 طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالْخَيْمُ وَالشِّيمُ<sup>(٢)</sup>  
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ<sup>(٣)</sup>  
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَمَمُ<sup>(٤)</sup>  
 حُلُوُ الشَّمَالِ تَحُلُوُ عِنْدَهُ نَعَمُ  
 بِحُدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا  
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ  
 وَفَضْلُ أُمَمِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ  
 عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ<sup>(٥)</sup>  
 تَسْتَوَكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا الْعُدَمُ<sup>(٦)</sup>  
 تَزِينُهُ الْإِثْنَانِ الْحِلْمُ وَالْكَرَمُ  
 رَخْبُ الْفَنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ<sup>(٧)</sup>  
 لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ  
 كُفْرُهُ، وَقُرْبُهُمْ مَنَجَّى وَمُقْتَضَمُ  
 وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ<sup>(٨)</sup>  
 فِي كُلِّ بَدْءٍ وَخَتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ  
 أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ  
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

(١) أُرْوَع: ذكي الروع، بضم الراء، وهو الفؤاد. والعرنين: الأنف، والشمم: الارتفاع  
 (٢) الخيم: الأصل (٣) يسمى: ينسب (٤) القمم والقتام: الغبار (٥) الغيبة: غيبة  
 الرشد، والإملاق: الفقر (٦) تستوكفان: تجريان، والعدم بضم العين: الفقر.  
 (٧) الأريب: وافر العقل (٨) يسترب: يصلح.

هُمُ الْغِيُوثُ إِذَا مَا أَرْزَمَهُ أَرْزَمَتْ      الْأُسْدُ اسْدُ الشَّرَى وَالْبَاسُ مُحْتَدِمٌ <sup>(١)</sup>  
 يَأْتِي لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الدَّمُ سَاحَتَهُمْ      خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالْنَدَى هُضْمٌ <sup>(٢)</sup>  
 لَا يَنْقُصُ الْعَسْرُ بَسْطًا مَنْ أَكْفَهُمْ      سَيِّانَ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا  
 أَى الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ      لِأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمٌ <sup>(٣)</sup>  
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّتَهُ      فَالْدِينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمُّ  
 وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ      الْعَرُبُ تُعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجَمُ  
 وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحَزِينَ الْكَدَانِي وَفَدَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ  
 وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ فَأَنَشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضُجِّى      وَقَدْ تَعَرَّضْتَ الْحُجَّابُ وَالْخَلْدُمُ  
 حَيْثُهُ بِسَلَامٍ وَهُوَ مُرْتَفِقٌ      وَضَجَّةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَزْدَحِمُ <sup>(٤)</sup>  
 فِي كَفِّهِ خَيْرَ زَانٍ ... - وَالْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ .

وَيُقَالُ : إِنَّهَا لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمٍ فِي قُتَمِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ  
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَخْطَلُ :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِمَسْمَحٍ      هَرَّتْ عَوَازِلُهُ هَرِيرَ الْأَكْلَبِ <sup>(٥)</sup>  
 لَذَّ يَقْبَلُهُ النِّعَمُ ، كَأَنَّمَا      مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءِ مُذْهَبٍ <sup>(٦)</sup>  
 لِبَاسٍ أَرْدِيَةِ الْمُلُوكِ تَرُوقُهُ      مِنْ كُلِّ مَرْتَقَبٍ عَيُونُ الرَّبَّزِ <sup>(٧)</sup>  
 يَنْظُرْنَ مِنْ خِلَلِ السُّتُورِ إِذَا بَدَا      نَظَرَ الْمُهْجَانِ إِلَى الْفَنِيْقِ الْمُضْعَبِ <sup>(٨)</sup>

(١) الْأَزْمَةُ : الشدة ، والشرى : جيبٌ بهامة كثير السباع .

(٢) هُضْمٌ : جمع هَضِمَ ، وهو كثير الإنفاق (٣) المراد بالأولية الآباء والأجداد

(٤) مرتفق : متكئ على مرقفه (٥) هرت : صاحت .

(٦) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، والمذهب : المزوج بالذهب .

(٧) الربز : الأطباء . والمراد بها النساء (٨) المضعب : الجمل الذى لم يركب .

والفنيق : المسكرم . والمهجان : الأبلد البين .

ويقال : بل قالها في علي بن الحسين اللعين المنقري ، وسمى اللعين لأن عمر سمعه يُنشد شعراً والناس يُصلُّون ، فقال : مَنْ هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم <sup>(١)</sup> وليقله مَنْ شاء ، فقد أحسن ماشاد وأجاد وزاد <sup>(٢)</sup> .

لدى الرمة يدح  
بلال ابن أبي  
بردة

وقال ذو الرمة في بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري :  
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَانَهُمُ الْكَرْوَانُ عَيْنٌ بَارِزَا <sup>(٣)</sup>  
فَمَا يَعْرِفُونَ الصُّحُكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْبَسُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيًا <sup>(٤)</sup>  
وَمَا الْفُحْشَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ ، وَلَا الْخُلَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ هَيْبَةً هِيَ مَا هِيَ  
فَتَى السِّنِّ ، كَبَلُ الْحِلْمِ ، يُسْمَعُ قَوْلُهُ يُوزِنُ أَدْنَاهُ الْجِبَالَ الرَّوَّاسِيَا  
وَمِنْ أَجْوَدَ مَا لِلْمُحَدَّثِينَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ فِي الْفَتْحِ  
ابن خاقان :

للبحترى يدح  
الفتح ابن  
خاقان

ولما حضرنا سُدَّةَ الإِذْنِ أَخَّرَتْ رَجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ  
فَفَضِيتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مِهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرًا لَمْ حِينَ أَقَابِلُهُ  
بَدَأَ لِي مَحْمُودُ السَّجِيَّةِ شُمْرَتْ سَرَايِلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ حَمَائِلُهُ <sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّكَ انْتَصَبَ الرُّمُحُ الرَّدَائِيَّ تَقَفْتُ أَنَابِيَهُ وَاهْتَرَأَ لِلطَّعْنِ غَامِلُهُ <sup>(٦)</sup>  
وَكَا لِبَدْرٍ وَاقِفَتُهُ لَمْ تُسْعِدْهُ وَتَمَّ سَنَادٌ وَاسْتَهْلَتْ مَنَازِلُهُ  
فَسَلَّمْتُ فَاغْتَاقَتْ جَنَائِي هَيْبَةً تَنَازَرُ عَنِّي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ <sup>(٧)</sup>

(١) اللعين المنقري : هو أبو الألكندر مبارز بن زمعة . وفي الأصل « اللعين استنقري » وهو تحريف (٢) يريد أن الشعر جيد بغض النظر عما ينسب إليه من الشعراء (٣) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحها مع سكون الراء وهو طائر مغرد ، والبارى : الصقر (٤) ينبسون : ينطقون .

(٥) السرايل : الثياب . والهمائل : جمع حمالة - بالكسر - وهي علاقة السيف (٦) عامل الرمح : صدره (٧) اعتاق وعاق : منع ، والجنان : القلب .



إلى مُسْرِفٍ في الجود لو أنَّ حاتمًا      لَدَيْنِي لأُضْحِي حاتمٌ وهو عاذِلُهُ  
فلمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَأَنْثَى      إِلَى بِيْشِرٍ أَنْسَنِي مَخَالِلُهُ<sup>(١)</sup>  
دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى مِنْ يَدِ امْرِئٍ      جَمِيلٍ حَمِيَّاهُ سَبَاطٍ أُنَامِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
صَفَّتْ مِثْلَ مَا تَصْفُو الْمَدَامُ خِلَالَهُ      وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ

ووقعت حرب بالجزيرة بين بني تغلب، فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحتري فيما تعلق بعضه بذكر الهيبة :

بني تغلبٍ أَعَزُّزَ عَلَيَّ بَأْنَ أَرَى      دِيَارَكُمْ أُمْسَتْ بِلَيْسَ لَهَا أَهْلُ<sup>(٣)</sup>  
خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ      مَرَابِعُ مَنْ سَنَجَارِ يَهْمِي بِهَا الْوَبْلُ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا مَا اتَّقَوْا يَوْمَ الْهِيَاجِ تَحَاجَرُوا      وَلَمُوتٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَسَمَةٌ عَدْلُ  
كَفَى مِنَ الْأَحْيَاءِ لَأَقَى كَفِيَّةُ      وَمِثْلُ مَنْ الْأَقْوَامُ زَاخَفُهُ مِثْلُ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا مَا أَخْجَرَ الرِّمَاحَ انْتَهَى لَهُ      أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّعَانِ وَلَا وَغْلُ<sup>(٦)</sup>  
تَحَوُّطُهُمُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ ، وَضَمَرُّ      عِتَاقُ ، وَأَنْسَابُ بِهَا يَدْرِكُ التَّبْلُ<sup>(٧)</sup>  
بَطْنِي يَكْبُ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ      وَضَرْبُ كَمَا تَرَعُو الْخَزْمَةَ الْبُزْلُ<sup>(٨)</sup>  
تَجَافَى أُمَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التِّي      عَلِمْتُ ، وَلِلْجَانِّينَ فِي مِثْلِهَا الشُّكْلُ<sup>(٩)</sup>

(١) المخاليل : جمع مخيلة ، وهي الدلالة (٢) سباط : طوال ، كناية عن الكرم

(٣) هذه القطعة من قصيدة جيدة طويلة مطلعها :

ضمان على عينيك أني لا أسلو وأن فؤادي من جوى بك لا يخلو

(٤) سنجار : مدينة في نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والوبل :

المطر الشديد ، ويهمي : ينسكب (٥) كفي : نظير ، زاحفه : نازله ، من الزحف .

وفي الأصل « راجعه » وهو تحريف (٦) الوغل : الضعيف النذل (٧) البيض

الرقاق : السيوف المرفهة ، والضمير العتاق : الحيل الضامرة الكريمة ، والتبل : الثأر

(٨) الدارعون : لا بسو الدروع ، ودراكه : تتابعه ، وترعو : تصيح ، والخزمة :

التي وضع في شذقها الحرام ، والبزل : جمع بازل . وهو البعير يبلغ تسع سنين

(٩) الشكل : الفقد

- وكانت يدُ الفتح بن خاقان عندكم  
ولولاهُ طَلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ  
تَلَفَيْتَ يَا فَتْحُ الْأَرَقِمِ بَعْدَ مَا  
وَهَبْتَ لَهُمُ بِالسَّلَامِ بَاقِي نَفُوسَهُمْ  
أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يُثْنُونَ بِالَّذِي  
فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ سُودَدًا  
تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاءِ فَتَضَرَّعُوا  
وَلَمَّا قَضَوْا صَدَرَ السَّلَامُ تَهَافَّتُوا  
إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتَهُمْ  
إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ  
نَصَبْتَ لَهُمْ طَرْفًا حَدِيدًا ، وَمَنْطِقًا  
وَسَلَّتْ سَخِيمَاتِ الصُّدُورِ فَعَالِكَ الْكَرِيمِ  
بِكَ التَّأَمُّ الشَّعْبِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ  
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَعَاظَتْ أَعْكَفَهُمْ  
وَجَرُّوا ذِيُولَ الْعَصَبِ تَضْفُو ذِيُولَهَا
- يَدَ الْغَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدَبَهَا الْحُلُ (١)  
فَلَا قَوْدَ يُعْطَى الْأَذَلُّ وَلَا عَقْلُ (٢)  
سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سُمِّهِ الْأَرْقَمُ الصَّلُ (٣)  
وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَمْتَهُمُ الْقَتْلُ (٤)  
تَقَدَّمَ مِنْ نِعْمَاكَ عَنْدهُمْ قَبْلُ  
مِنْ الْيَوْمِ ضَمَّتَهُمْ إِلَى بَابِكَ السُّبُلُ (٥)  
خُطَاهُمْ ، وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عَجُلُ (٦)  
عَلَى يَدِ بَسَّامٍ سَجِيَّتُهُ الْبَذَلُ  
جَلَالَةُ طَلْقِ الْوَجْهِ جَانِبُهُ سَهْلُ (٧)  
وَمَالُوا بِلَحْظِ خِلْتِ أُنْهَمُ قَبْلُ (٨)  
سَدِيدًا ، وَرَأْيَا مِثْلَ مَا انْتَضَى النَّصْلُ (٩)  
الْكَرِيمِ ، وَأَبْرَأُ غَلْهَا قَوْلُكَ الْفَضْلُ (١٠)  
عَلَى حِينِ بُعْدٍ مِنْهُ ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ (١١)  
قِرَاكَ ، فَلَا ضِعْفَ لَدِيهِمْ وَلَا دَخَلَ (١٢)  
عَطَاءُ كَرِيمٍ مَا تَكَا دَهْ بَحْلُ (١٣)

(١) الحُل: الجذب (٢) طلت : هدرت ، والقود: القصاص ، والعقل : الدية  
(٣) أوحى : أسرع ، والسلم الوحي : السريع ، والأرقم الصل : الحية التي لا تنفع  
فيها الرق (٤) شارفوا : قاربوا . وفي الأصل (اسرفوا) وهو تحريف (٥) السبل :  
جمع سبيل ، وهو الطريق ، والمراد به الحاجة (٦) عجل : جمع أعجل وهو المسرع  
(٧) طلق الوجه : وافر البشر (٨) قبل : جمع أبل ، وهو الذي ينظر بانحراف  
كأنما ينظر إلى أنفه (٩) النصل : السيف (١٠) السخيمات : جمع سخيمة ،  
وهي الحقة

(١١) التأم الشعب: اجتمع (١٢) القرى بكسر القاف: ما يتناوله الضيفان ، والدحل:  
الغل (١٣) تكأده : منه وشقه عليه (م)

وما عَمَّهُمْ عمرو بن غنم بنسبةٍ كما عَمَّهُم بالأَمْسِ نائِلُكُ الجَزَلُ  
فهما رَأَوْا من غبطةٍ في اصطلاحهم فنك بها النعمى جَرَتْ وَلَكَ الْفَضْلُ

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط .

وللطائين [ أبى تمام والبحترى ] فى ذلك أشعار كثيرةٌ مختارة ، منها قول  
البحترى يحذر عاقبة الحرب <sup>(١)</sup> :

أما لربيعَةِ الفَرَسِ انتهاء	عن الزلزالِ فيها والخُرُوبِ <sup>(٢)</sup>
وكانوا رَقَعُوا أَيَّامَ سَلَمٍ	على تلك الضغائنِ والندوبِ <sup>(٣)</sup>
إِذَا ما الجَرْحُ رَمَّ على فسادٍ	تَبَيَّنَ فيه تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ
رَزِيَّةٌ هَالِكٌ جَلَبَتْ رَزَايَا	وخطبُباتٍ يكشفُ عن خُطُوبِ
يُشَقُّ الجِيبُ ثُمَّ يَجِيءُ أَمْرُهُ	يُصَغَّرُ فيه تشقيقُ الجيوبِ
وقبرٍ عن أَيَّامٍ برقِعِــــــــــــد	إِذَا هِيَ نَاحَرَتْ أَفْقَ الجَنُوبِ <sup>(٤)</sup>
يســــــــحُ تَرَابُهُ أَبَدًا عليها	عَهَادًا من مُرَاقٍ دَمٍ صَبِيبِ <sup>(٥)</sup>
فهل لِابْنِ عَدِيٍّ مِنْ رَشِيدٍ	يَرُدُّ شَرِيدَ حُلُمَيْهِمَا العَزِيبِ <sup>(٦)</sup>
أَخَافُ عليهما إِمْرَارَ مَرَعَى	من الكَلَالِ الذى عُقْبَاهُ تَوْبَى <sup>(٧)</sup>
وَأَعْلَمُ أَنَّ حَرْبَهُمَا خَبَالٌ	على الدَّاعَى إِلَيْهِمَا والمُجِيبِ
لَعَلَّ أبا العَمَرِ يَتَلَبَّاهُ	بِبُعْدِ الهَمِّ وَالصَّدْرِ الرَّحِيبِ <sup>(٨)</sup>

(١) اختار المؤلف هذه القطعة من بائية البحترى التى مطلعها :

أمنك تأوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى من حبيب

(٢) ربيعة الفرس : أبو قبيلة . وهوابن نزار بن معد بن عدنان

(٣) فى الأصل (وقعوا) والتصحيح عن الديوان والندوب : جمع ندب . وهو الجرح

(٤) برقعيد : بلدة الموصل ، وناحرت : قابلت ، وفى الأصل «فاخرت» . وعوت تحرف .

(٥) العهد : أمطار الربيع ، واحداثها عهدة ، تقول : حديدة معهودة وبستان

(٦) العزيب : من العزوب وهو الغيبة والذهاب ، وفى الأصل (الغريب) . وعنه

(٧) توبى : تهلك . (٨) يتلها : يتبعها ، والهَمُّ هنا : معنى المهمة

فكم من سوء ديد قد بات يُعطى عطيةً مُكثِرٍ فيها مُطيب  
 أهيم يابن عبد الله، دعوى مشيرٍ بالنصيحة أو مُهيب<sup>(١)</sup>  
 تناس ذنوب قومك إن حفظ الذنوب إذا قد من من الذنوب<sup>(٢)</sup>  
 فليسهم السديد أحب غيباً إلى الراى من السهم المصيب<sup>(٣)</sup>  
 متى أحرزت نصر بني عبيد إلى إخلاص ود بني حبيب  
 فقد أصبحت أغلب تغلي على أيدي العشرة والقلوب  
 يناسب قوله :

\* إذا ما الجرح رَمَّ على فساد \*  
 قول أبي الطيب المتنبي لعل بن إبراهيم التنوخى أحد بني القصيص :  
 فلا تفرزك السنة موالٍ تقلبن أفئدة أعادى<sup>(٤)</sup>  
 وكن كالموت لا يرثي لباك بكى منه، ويروى وهو صاد  
 فإن الجرح ينغر بعد حين إذا كان البناء على فساد<sup>(٥)</sup>  
 وفي هذه القصيدة :

كان الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد  
 وقد صفت الأسنّة من هموم فما يخطرن إلا في فؤاد  
 كان البيت الأول من هذين ينظر إلى قول مسلم بن الوليد من  
 طرف خفي

ولو أن قوماً يخلقون منية من بأسهم كانوا بني جبريلا  
 قوم إذا احمر الهجير من الوغى جعلوا الجاهم للسيوف مقبلا<sup>(٦)</sup>

(١) مهيب: داعى (٢) في هذا البيت حكمة بالغة (٣) غبا : عاقبة

(٤) الموالى : جمع مولى وهو الصديق (٥) ينغر : يحيش بالدم

(٦) احمرار الهجير - وهو وقت الظهر - كناية عن سيل الدماء فيه

وإنما أخذه [ أبو الطيب ] من قول منصور النيرى ، وذ كر سيفاً :  
 ذَ كَرْتُ ، بَرَوْنَه الدِّمَاءُ ، كَأَنَّمَا يَفْعُلُو الرِّجَالَ بِأَرْجُوَانٍ نَاقِعٍ<sup>(١)</sup>  
 وَتَرَى مَسَاقِطَ شَفَرَتَيْهِ كَأَنَّمَا مِلَخَ تَبَدَّدَ مِنْ وَرَاءِ الدَّارِ عِ  
 وَتَرَاهُ مُفْتَمًّا إِذَا جَرَّدَتْهُ بَدَمَ الرِّجَالِ عَلَى الْأَدِيمِ النَّاقِعِ<sup>(٢)</sup>  
 وَكَأَنَّ وَقَعْتَهُ يَجْمَعُ الْفَتَى خَدَرُ الدَّمَاءِ أَوْ نَعَاسُ الْهَاجِعِ<sup>(٣)</sup>  
 أردت هذا البيت ، وقول النيرى :

\* وَتَرَاهُ مُفْتَمًّا إِذَا جَرَّدَتْهُ \*

يشير إليه قول أبي الطيب ، وذ كر سيفاً :

يَبْسُ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُفْتَمٌ<sup>(٤)</sup>  
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْفَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمَهَجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ<sup>(٥)</sup>

وبنو عبيد ، وبنو حبيب - اللذان ذكرها البحتري - هم : بنو عبيد  
 ابن الحارث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وحبيب بن المهجرس  
 ابن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيهم  
 حبيب بن حرقه بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، فلا  
 أدري أيهما أراد !

(١) سيف ذكر : من الذكرة بضم الدال وهى الحدة . والأرجوان : صبغ أحمر ،  
 وفاقع : صفة ترادفها مبالغة . وكل ناصع اللون فاقع ، وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر  
 (٢) مغم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة ، والناقع : الذى تروى بالدم .  
 وفى الأصل (الفاقع) وهو تحريف (٣) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشه فعله بفعل  
 المدام والنعاس (٤) النجيع : الدم يتجمد

(٥) ريان : ممتلئ بالرى ، وقذف : ألقى وطرح ورمى ، وبحر مزبد : يرمى  
 بالزبد ، وذلك كناية عن كثرة ما يجرى فيه وعن شدة موجه (م)

للبحترى أيضا

وقال البحترى :

أُسَيْتُ لَأَخْوَالِي رُبْعَةً أَنْ عَفَتْ  
بَكَرْهُمِي أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِيَارُهَا  
إِذَا افْتَرَقُوا مِنْ وَقْعَةٍ جَمْعُهُمْ  
تَذَمُّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شِمَةَ بَعْدَهَا  
كَلَابِيَّةٌ شَعْبٌ جَاهِلِيٌّ وَعِزَّةٌ  
وَفَرَسَانٌ هَيْجَاءٌ تَجْدِشُ صَدُورَهُمْ  
تُقَاتِلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا  
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا  
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقَطَّعَ بَيْنَهَا  
فَكُنْتُ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا  
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي :

لأبي تمام

مَهْلًا بَنِي مَالِكٍ لَا تَجْلِبُنَّ إِلَى  
لَمْ يَأْ لِكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفِرَةً  
أَخْرَجْتُمُوهُ بِكَرْهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ  
أَوْ طَأْتُمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْعُقُوقِ ، وَلَوْ  
حَى الْأَرَاقِمِ ذُؤُلُولَ ابْنَةِ الرَّقَمِ (٧)  
لَوْ كَانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحَمِ (٨)  
وَالنَّارِ قَدْ تُلْتَضَى مِنْ نَاضِرِ السَّلْمِ (٩)  
لَمْ يُخْرِجِ اللَّيْثُ لَمْ يُخْرِجْ مِنَ الْأَجَمِ (١٠)

(١) أُسَيْتُ : حَزَنْتُ ، وَالْمَصَائِفُ : جَمْعُ مَصِيفٍ ، وَفِي الْأَصْلِ «مَصَانِعُهَا» وَهُوَ تَخْرِيفٌ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الدِّيَوَانِ ، وَأَقْوَتْ : خَلَتْ .

(٢) الْمَغَانِي : جَمْعُ مَغْنَى ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ الَّذِي غَنَى بِهِ أَهْلُهُ : أَيْ أَقَامُوا .

(٣) يَطْلُ : يَهْدُرُ (٤) الرُّودُ : الْجَمِيلَةُ الْوَافِرَةُ الْحَيَاءِ (٥) الْوَتَرُ : الثَّأْرُ .

(٦) الشَّوَاكِرُ : الْقَوَاطِعُ ، أَوْ الرُّوَاطِطُ ، فَهِيَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَضْدَادِ .

(٧) الْأَرَاقِمُ : حَى مِنْ تَغْلَبَ ، وَابْنَةُ الرَّقَمِ : الْحَيَّةُ ، وَالذُّؤُلُولُ : السَّمُ ، يُرِيدُ لَا تَقْدَمُوا السَّمَّ بِأَنْفُسِكُمْ إِلَى حَى الْأَرَاقِمِ لِقَتْلُوكُمْ بِهِ (٨) الْقَيْنُ : الْحَدَادُ .

(٩) تُلْتَضَى : تَسْتَخْرِجُ ، وَالسَّلْمُ : اسْمُ شَجَرٍ (١٠) الْأَجَمُ : مَأْوَى الْأَسَدِ

لولا مناشدةُ القرُبي لغادرَكم  
حصائدُ المرفقينِ السيفِ والقلمِ  
لا تجعلوا البغىَ ظهراً إنهُ جملٌ  
من القطيعِ يرعى وادى النقمِ  
وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن غنمٍ ؛ إنكم  
ما منكم إلا مُردى بالحجى  
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمك لا يُسهم<sup>(١)</sup>  
خلقت ربيعةً من لدن خلقت يدًا  
جشمُ بن بكرٍ كفها والمعصم<sup>(٢)</sup>  
تغزو فتغلب تغلب مثل اسمها  
وتسيح غنمٌ في البلاد فتغنم<sup>(٣)</sup>  
وستان كرون غداً صنائعَ مالكٍ  
إن جلَّ خطبُ أوندو فمع مغرم<sup>(٤)</sup>  
مالي رأيتُ ثراكم يبسالةً  
مالي أرى أطوادكم تهديم<sup>(٥)</sup>  
ما هذه القرُبي التي لا تُصطفى  
ما هذه الرحيمُ التي لا تُرحمُ؟<sup>(٦)</sup>  
حسدُ القرابة للقرابة قرحةً  
أغيت عوائدُها وجرح أقدم<sup>(٧)</sup>  
تلکم قريش لم تكن آباؤها  
تهفؤ ولا أجلامها تنقسم<sup>(٨)</sup>  
حتى إذا بعث النبي محمد<sup>(٩)</sup>  
فيهم غدت شحناؤهم تنضم<sup>(١٠)</sup>  
عزبت عقولهم، وما من معشرٍ  
إلا وهم منه ألب وأخزم<sup>(١١)</sup>  
لما أقام الوخى بين ظهورهم  
ورأوا رسول الله أحمد منهم

(١) الهدف : الغرض (٢) مردى بالحجا : يتخذ رداء ، والأحذية : الحفاة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : اتخذ منها بشرته وأدمه ، ولأدم : الجلد (٣) لا يسهم : لا يغلب (٤) من لدن : من منذ (٥) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (٦) من معاني البسالة لهلاك ، ورأيت ثراكم يبسالة : أى في بسالة - كذا ، والذي في الديوان « مالي رأيت ثراكم يبسالة » يريد جافاً لا يبيله ندى ؛ فليس يثبت شيئاً ، وهذا معنى جيد ( م ) .

(٧) يريد من العوائد النكسات التي تعود بها القروح (٨) لا تنقسم أحلامها : لاتتفرق آراؤها (٩) الشحاء : البغضاء (١٠) عزبت : غابت ، ألب : أعقل (٦ - زهر الآداب ١)

ومن الحزامة لو تكون حزاماً<sup>(١)</sup> ألا تؤخر من به تتقدم<sup>(٢)</sup>  
ومالك هو : ابن طوق<sup>(٣)</sup> بن مالك بن عتاب بن زُفَر بن مرة بن شريح  
ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك [ بن عتاب ] بن سعد بن [ زهير  
ابن ] جُشَم بن بكر [ بن وائل ] بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيه  
يقول دُعَيْل<sup>(٤)</sup> يهجوهُ :

الناسُ كلُّهمُ يَعدُّو لحاجتهِ من بين ذى فَرَحٍ منها ومهمومٍ  
ومالكٌ ظِلٌّ مشغولاً بنسبتهِ يَرُمُّ منها بناءً غيرَ مرْمُومٍ<sup>(٥)</sup>  
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيسَ بها ما بين طوق إلى عمرو ابن كلثوم  
والتكثير من المعنى المُعْتَرِض ، يرمح عن ثغرة العَرَض<sup>(٥)</sup> ، لكنى أجرى  
منه إلى حلبة الإجابة ، وأقصدُ قصدَ الإفادَةِ ، ثم أعود حيثُ أريدُ ؛

وقال ابن الخياط المكي - واسمه عبد الله بن سالم - في باب الهيبة ، في مالك  
ابن أنس<sup>(٦)</sup> الفقيه ، رحمة الله عليه ؛ وقيل : إن هذا من قول ابن المبارك :  
لابن الخياط  
يُدح الإمام  
مالك بن أنس

### (١) الحزامة : الحزم

(٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذى بنى « رجة مالك » على  
شاطئ الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائفة  
التي يقول فيها :

وماني خوف أن أموت ، وإننى لأعلم أن الموت شيء مؤقت  
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تفتت

وتوفي سنة ٢٥٩

(٣) هو دُعَيْل بن علي ، الحزاعي ، المتوفى سنة ٢٤٦ ، كان دُعَيْل بذي اللسان  
مولعا بالهجو والخط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ، ولكنه عمر  
طويلاً مع تعرضه للخلفاء .

(٤) يرم : يصلح (٥) الثغرة : الطريق

(٦) هو الإمام مالك ، أحد الأئمة الأربعة ، المتوفى سنة ١٧٩



يَابَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً      والسائلون نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ<sup>(١)</sup>  
أَدَبُ الْوَقَارِ، وَعِزُّ حُلَاطَانِ التَّقَى،      فهو الْمَهْيَبُ وليس ذَا سُلْطَانِ

\*\*\*

وقول الفرزدق :

\* يَكَادُ يَمْسُكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ \*

قَدْ تَجَادَبَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ؛ قَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيِّ<sup>(٢)</sup> لَجَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ : لِأَشْجَعِ السَّلْمِيِّ  
حَبْدًا أَنْتَ قَادِمًا تَرُدُّ الشَّا      مَ فَتَخْتَالُ بَيْنَ أَرْحُلِ عِيرِكَ  
إِنَّ أَرْضًا تَسْرِي إِلَيْهَا لَوَاسِطًا      عَتِ لَسَارَتِ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِ سَيْرِكَ  
وإليه أشار أبو تمام الطائي في قوله :

دِيمَةٌ سَمِيحَةُ الْقِيَادِ سَكُوبُ      مُسْتَفِئْتُ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ      لأبي تمام  
لَوْ سَعَتْ بَقْعَةٌ لِإِعْظَامِ نُعْمَى      لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ  
وفي هذه القصيدة في وصف الدَّيِّمَةِ ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(٣)</sup> :

(١) نواكس الأذقان : مطرقون إلى الأرض خشوعاً

(٢) كان أشجع السلمي شاعراً فحلاً يجيد المديح ، ولد في اليمامة ، ونشأ في البصرة ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى ، فمقربه من الرشيد .

ومن أبياته السائرة قوله :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد      رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته ، وإذا غفا      سلت عليه سيفوك الأحلام

وكانت وفاة أشجع نحو سنة ١٩٥

(٣) هو وزير المعتصم والواثق ، وأحد مشاهير الكتاب والشعراء ، عرف حلو

الحياة ومرها ، وهو القائل في سجنه :

من له عهد بنوم      يرشد الصب إليه

رحم الله رجماً      دل عيني عليه

سهرت عيني ونامت      عين من هنت لديه

وكانت وفاته سنة ٢٣٣

لَذَّةُ شَوْبُوبِهَا وَطَابَ فَلَوْ تَسَطَّيْعُ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ<sup>(١)</sup>  
 فَهُوَ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعَزَالَ تَنْشَا وَأُخْرَى تَصُوبُ<sup>(٢)</sup>  
 أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيٌّ أَهْلًا بِمَعْدَا لَكَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوُوبُ<sup>(٣)</sup>  
 لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلِيقٌ تَحْكِيهِنَّ قَدْ يَشْبُهُ النَّجِيبَ النَّجِيبَ

بين أبي تمام وابن الزيات وأنشدها أبا جعفر بن الزيات ، فقال : يا أبا تمام ؛ والله إنك لتحلّي شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ، ما يزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب ؛ وما يُدْخِرُ لَكَ شَيْءٌ مِنْ جَزِيلِ الْمَكَافَاةِ إِلَّا يَقْصُرُ عَنْ شِعْرِكَ فِي الْمَوَازِنَةِ . وكان بحضرته رجلٌ من الفلاسفة ، فقال : هذا الفتى يموتُ شاباً ! فقيل له : مِنْ أَيْنَ حَكَمْتَ عَلَيْهِ بِهَذَا ؟ فقال : رَأَيْتُ فِيهِ مِنَ الْحَدَّةِ وَالذِّكَاةِ وَالْفُطْنَةِ مَعَ لَطَافَةِ الْحَسَنِ مَا عَلِمْتُ بِهِ أَنَّ النَّفْسَ الرُّوحَانِيَّةَ تَأْكُلُ عَمْرَهُ كَمَا يَأْكُلُ السِّيفُ الْمُهَنْدُ غَمْدَهُ ! قال الصولي : مات وقد نَيْفَ عَلَى الثَّلَاثِينَ .

لأبي تمام  
في أبي دلف

وَقَالَ فِي أَبِي دَلْفٍ الْعَجَلِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى<sup>(٤)</sup> :  
 تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يُغَوِّذْهَا بِنِعْمَةِ طَلَالِبِ  
 تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاضُهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ<sup>(٥)</sup>

(١) الشَّوْبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ .

(٢) عَزَالَ : جَمَعَ عَزْلَاءً ، وَهِيَ مُصَبُّ الْمَاءِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا السَّحَابَةُ ، وَتَصُوبُ : تَنْسَكِبُ

(٣) تَوُوبُ : تَرْجِعُ (٤) أَبُو دَلْفٍ : كَانَ أَمِيرَ الْكُرْخِ ، وَسَيِّدَ قَوْمِهِ ، وَأَحَدُ قَوَادِ

الْمَأْمُونِ الشَّجْعَانِ ، وَلِلشَّعْرَاءِ فِيهِ مَدَائِحُ كَثِيرَةٌ ، مِنْ أَرْوَعِهَا هَذَا الْبَيْتَانِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْتَضَرَةٍ

فَإِذَا وَلَّى أَبُو دَلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢٢٦ (٥) الْعَرَاصُ : جَمْعُ عَرَصَةٍ ، وَهِيَ : سَاحَةُ الدَّارِ

وقال البخترى :

لَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْئِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمَنِيرُ

وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار :

طَرَبْتُ مَرَارِكُنَا فَخَلْنَا أَنَهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِبَاهَا رَقَصَتْ بِنَا  
لَوْ تَمَقَّلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَنَاءَ

رجع ما انقطع

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين <sup>(١)</sup> رضى الله عنه : هل رأيت الله حين عَبَدْتَهُ ؟ فقال : لَمْ أَكُنْ لِأَعْبُدْ مَنْ لَمْ أَرَهُ ، قال : فكيف رأيتَهُ ؟  
قال : لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان ، ورأتهُ القلوبُ بحقائق الإيمان ، لا يدرك بالحواسِّ ، ولا يُشَبَّه بالناس ، معروفٌ بالآيات ، منعوتٌ بالعلامات ، لا يجورُ في القضايا ، ذلك الله الذى لا إلهَ إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالته .

قال الجاحظ : قال محمد بن علي : صلاحُ شأنِ الدنيا بخذافيرها في كلمتين ؛ لأنَّ صلاحَ شأنِ جميعِ الناسِ [ فى التعايش و ] التعاشر وهو ملءُ مكيال : ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل .

قال الجاحظ : لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ؛ لأنَّ الإنسان لا يتغافلُ عن شيء إلا وقد عرفه وفطن له ، قال الطائي :

ليس الغيبُ بسيدٍ فى قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

وقال ابن الرومي لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تَظَلَّ إِذَا نَامَتْ عَيُونُ ذَوَى الْعَمَى وَإِنْ حَدَّوْا زُرْقًا إِلَيْكَ جَوَاحِظًا <sup>(٢)</sup>

(١) ولد محمد بن علي بالمدينة سنة ٥٧ ودفن بها سنة ١١٤ ، وكان مشهوراً بالعلم والتقى ، وله آراء فى تفسير القرآن

(٢) جواخط : جمع جاحظة ، وهى : الناتئة الحدقة

تَغَاضَى لَهُمْ وَسَنَانَ ، بِلِ مَتَوَاسِنَا ، وَتَوَقَّظُهُمْ يَقْظَانِ بِلِ مَتِيَاظَا<sup>(١)</sup>

[ وأبو جعفر هذا هو الباقر ] ، وكان أخوه زيد بن علي رضي الله عنه ديناً ،

زيد بن علي  
ابن الحسين

شجاعاً ، ناسكاً ، من أحسن بني هاشم عبارةً ، وأجملهم شارةً .

وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة

من حضور زيد بن علي ؛ فإن له لساناً أقطع من ظبة سيف وأحد من شبا  
الأسنة<sup>(٢)</sup> ، وأبلغ من السحر والكهانة<sup>(٣)</sup> ، ومن كل نفث في عقدة .

وقيل لزيد بن علي : الصمت خير أم الكلام ؟ فقال : قبح الله المساكنة ،

ما أفسدها للبيان ، وأجلبها للعي والخصر<sup>(٤)</sup> ! والله للمماراة أسرع في هدم العبي<sup>(٥)</sup>  
من النار في يبس العرفج ، ومن السيل إلى الحدود<sup>(٦)</sup> .

وقال له هشام بن عبد الملك : بلغني أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها

لأنك ابن أمة ؟ قال زيد : قد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ابن أمة ،

وإسحاق ابن حرة ؛ فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم ! فقال له : قم !

فقال : إذا والله لا تراني إلا حيث تذكره ! فلما خرج من الدار قال : ما أحب

أحد الحياة قط إلا ذلك ، فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك

أحد ، وكان زيد كثيراً ما ينشد :

شرد الخوف وأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلاذ<sup>(٧)</sup>

منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبه أطراف مرو حداد<sup>(٨)</sup>

(١) متواسن : متناوم وليس بنائم ، ومتياقظ : متظاهر باليقظة (٢) ظبة السيف :

طرفه ، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة : نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب

(٤) الخصر : عسر السكلام (٥) في الأصل «هدم الفتى» وهو تحريف (٦) الحدود :

المنحدرات يجرى إليها الماء (٧) الجلاذ : الحرب .

(٨) الرو : الحجارة البيض الرقاق ، والحداد : جمع حديد .

قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد  
وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد  
رويت لأخيه موسى .

قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد : حدثني رجل من بني هاشم قال : كنا  
عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجل من أهل الكوفة زيد بن علي  
فقال له محمد بن علي : إنك لتزوي طرائف من نوادر الشعر ، فكيف قال  
الأنصاري لأخيه ؟ فأنشده :

لَمَعْرُكٍ مَا إِنَّ أَبَا مَالِكٍ      يَوَانٍ وَلَا بَضْعَيْفٍ قَوَاهُ  
وَلَا بَالِدٍ لَهُ نَازِعٌ      يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَاهُ  
وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مَخْلَافَةٍ      كَرِيمِ الطَّبَاعِ خَلَوُ نَنَاهُ<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ      وَمَهْمَا وَكَذَتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

فوضع محمد يده على كتف زيد ، فقال : هذه صفتك يا أخى ؛ وأعيدك  
بالله أن تكون قتيل أهل العراق !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله  
عليهم منازعة في وصية ، فكانا إذا تنازعا انشأ الناس عليهما ليسمعا  
محاورتهما ؛ فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظ  
الآخر اللفظة من كلام زيد . فإذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا  
لصاحبه : قال في موضع كذا وكذا ، وقال الآخر : قال في موضع كذا وكذا ؛  
فيكتبون ما قالوا ، ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والناذر من الشعر ،  
والسائر من المثل ! وكانا أعجوبة دهرهما وأحدوثة عصرهما .  
ولما قتل زيدا يوسف بن عمر<sup>(٢)</sup> وصلب جثته بالكناسة<sup>(٣)</sup> وبعث برأسه

(١) النشأ : الحديث عنه . يريد أنه لا يقال عنه غير الخير (م)

(٢) أحد الولاة في العصر الأموي ، كانت وفاته سنة ١٢٧ (٣) الكناسة : محلة  
بالكوفة يقول فيها الشاعر :

مع شَبَّة بن عقال ، وكَلَف آل أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطبائهم بذلك : فكان أولَ مَنْ قام عبدُ الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأَوْجَزَ في كلامه ثم جلس ، وقام عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأُطْب - وكان شاعراً خطيباً لِسِنَا ناسباً - فانصرف الناسُ وهم يقولون : ابن الطيَّارِ مِنْ أخطَبِ الناسِ ، فقليل لعبد الله بن الحسن في ذلك ؛ فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامُ سرور ، وإنما كان مقامُ مُصِيبَةٍ !

من كلام عبد الله بن الحسن بن الحسين  
وعبدُ الله هذا هو : أبو محمد وإبراهيم الخارِجِيُّ على أبي جعفر المنصور . وهو القائلُ لابنه محمد أو إبراهيم : أَيْ بُنَى ! إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيبِكَ . فذَّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي الاسْتِمَاعِ مِنِّي ؛ أَيْ بُنَى ! كَيْفَ الْأَذَى ، وَاِرْفُضِ الْبَذَى <sup>(١)</sup> واسْتَعِزْ عَلَى الْكَلَامِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْكَلَامِ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ . واحذَرُ شُورَةَ الْجَاهِلِ . وَإِنْ كَانَ نَاصِحاً ، كَمَا تَحذَرُ مَشُورَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ غَاشِياً ؛ لِأَنَّهُ يُرَدِّدُكَ بِمَشُورَتِهِ ؛ وَاعْلَمْ يَا بُنَى أَنْ رَأْيَكَ إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ وَجَدْتَهُ نَاقِماً ، وَوَجَدْتَ هَوَاكَ يَقْضَانُ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ هَوَاكَ ؛ وَلَا تَفْعَلْ فِعْلاً إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ عَاقِبَتَهُ لَا تُرَدِّدُكَ ، وَأَنْ نَتِيجَتَهُ لَا تَجْنِي عَلَيْكَ . وهو القائلُ : إِيَّاكَ وَمُعَادَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدَمَ مَكْرَ حَلِيمٍ ، أَوْ مُعَادَاةَ لُئِيمٍ . وكتب إلى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِمَنْ اتَّقَاهُ الْخُرْجَ مِنْ حَيْثُ يَكْرَهُ ، وَالرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .  
وعبدُ الله هو القائلُ :

يا أيها الراكب العادي لطيفه      يوم بالقوم أهل البادية الحرم  
أبلغ قبائل عمرو إن أتيتهم      أو كنت من دارهم يوماً على أدم  
إنا وجدنا فقروا في دياركم      أهل الكناسة أهل اللؤم والعدم  
(١) البذى : مقصور البذاء ، وهو خشن القول . ومن حقه أن يكسب بالألف (م)

أُنْسٌ حَرَّائِرُ مَا هَمَّ مِنْ بَرِيَّةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صِيدَهُنَّ حَرَامٌ <sup>(١)</sup>

يُحْسِنُ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَصْدَهُنَّ عَنِ الْخَنَاءِ الْإِسْلَامُ <sup>(٢)</sup>

قال : وهذا كما روى أنَّ عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن عبد الملك ابن مروان وأخبر بيمه المخزومي ، فقال له : قد علمتُ قريشُ أنك أطولها صَبْوَةً ، وأبعدُها تَوْبَةً ، وَيَمْحَكَ ! أَمَّا لك في نساء قريش ما يَكْفِيكَ من نساء بني عبد مناف <sup>(٣)</sup> ؟ ربيعة أَلست القائل :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْحَصَبِ مِنْ مِيٍّ وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّحُ عَارِمٌ <sup>(٤)</sup>

قُلْتُ : أَصْبِيحُ أَمْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجَفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ <sup>(٥)</sup>

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنُوفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ <sup>(٦)</sup>

فقال : يا أمير المؤمنين ، فَإِنَّ بَعْدَ هَذَا :

طَلَبِنِ الْهُوَى حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْنَهُ صَدَرْنَ وَهُنَّ الْمَسَامَاتُ الْكَرَامُ <sup>(٧)</sup>

فاستحيا منه عبدُ الملك ، وقضى خواججه ووصله .

وقال آخر في هذا المعنى :

تَعَطَّلَنَّ إِلَّا مِنْ مُحَاسِنٍ أَوْجُهُ فَهِنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلُ <sup>(٨)</sup>

كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ بِعَفِّ الْكَلَامِ بِاخِلَاتٍ بَوَازِلُ <sup>(٩)</sup>

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ <sup>(١٠)</sup>

(١) أنس : آنسات (٢) الخنا : الفحش ، وفي نسخة « زوانيا » .

(٣) كذا ، وأعتقد أن صوابه « ما يكفك عن نساء بني عبد مناف » (م)

(٤) عارم بالراء المهملة : طامع شرس وفي الأصل « عازم » بالزاي المعجمة ،

وأرجح أنه تحريف (٥) السحف بفتح السين أو كسرهما : الستر (٦) القرط : حلى

يعلق في الأذن . وبعد مهوى القرط : كناية عن طول العنق (٧) صدرن : رجعن

(٨) حوال : جمع حالية ، والعواطل : جمع عاطل ، وهى التى تعطلت من الحلى .

(٩) كوأس : جمع كاسية ، والعف : العفيف (١٠) شيب : مزج

فدو الحلم مرتادٌ وذو الجمل طامعٌ وهنّ عن الفحشاء حيدٌ نواكل<sup>(١)</sup>

وقال العذيل بن الفرخ فيما يتطرف طرفاً من هذا المعنى :

لعب النعيمُ بهنّ في أطلاله حتى لبسَ زمانَ عَيشٍ غافلٍ<sup>(٢)</sup>

يأخذن زينتَهُنَّ أحسنَ ما ترى فإذا عَطِلْنَ فهُنَّ غَيْرُ عَوَاطِلٍ

وإذا خَبَأْنَ حدودَهُنَّ أَرِيذَنِي حَدَقَ لَمَّهَا وأخذنَ تَبِلَ القتالِ<sup>(٣)</sup>

يرميننا لا يَسْتَتِرْنَ بِجَنَّةٍ إِلَّا الصُّبَا وعلمنَ أينَ مقاتِلِ<sup>(٤)</sup>

يلبسنَ أَرْدِيَةَ الشَّبابِ لأهلِهَا وَيَجْرُ بِأَطْلَهِنَّ ذَيْلَ الباطِلِ

وتعرَّضَ لعبدِ الله بن الحسنِ رَجُلٌ بما يَكْرَهُ، فقال فيما أنشده ثعلب :

أظنَّتْ سَفَاهَا من سَفَاهَةِ رأيِهَا أنْ أَهْجُوهَا لما هَجَّتْنِي مُحَارِبٌ<sup>(٥)</sup>

فلا وأبيهِمَا إِنِّي بعشيرتي ونفسيَ عن ذاكِ المقامِ لَرَاغِبٌ<sup>(٦)</sup>

وأنشد هذين البيتين أبو العباس المبرد لرجل لم يسمه في رجلٍ يُعرَفُ بـابز

البعير، وقبلهما :

يقولون أبناءُ البعيرِ وما لَهُمُ سَنَامٌ ولا في ذِرْوَةِ المجدِ غَارِبٌ<sup>(٧)</sup>

وسايرَ عبدُ الله بن الحسنِ أبا العباس السفاح بظُهُرِ مَدِينَةِ الْأَنْبَارِ وهو

وعبدُ الله بن يَنْظُرُ إلى بناءٍ قد بناه أبو العباس ويدور به ، فأنشد عبدُ الله :

ألم تَرَ جَوْشَنَا لما تَبَنَّى بِنَاءَ نَفَقِهِ لَبْنِي بُقَيْلِهِ

يُؤْمَلُ أنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ وأمرُ الله يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ

وكان أبو العباس له مُكْرِمًا ، ولحقه معظماً ؛ فتنبَّسَ مفضباً ، وقال : لو عَلِمْنَا

للعديل  
ابن الفرخ

بين عبد الله بن  
الحسن ورجل  
تعرض له بما  
يكره

بين السفاح  
وعبد الله بن  
الحسن

(١) حيد : جمع حيداء ، وهي التي تحيد عن مواطن التهم ، والنواكل : جماع ناكلة ، وهي النافرة من الفحش .

(٢) الأطلال : نجمع طلل ، وهو الدار : والمراد أنهم نشأوا في مدارج النعيم ،

وفي نسخة « في أطلاله » (م) (٣) لها : واحداها مهابة ، وهي الظبية

(٤) الجنة : ما يتقى به المرء السهام (٥) محارب : اسم قبيلة (٦) رغبت

عن الشيء : زهدت فيه (٧) الغارب : الكاهل ، وذروة الشيء : أعلاه .



لا شترطنا حقَّ المسيرة ! فقال عبدُ الله : بوادرُ الخواطر ، وأغفال المسامح ؛ والله ما قلْتُها عن رَوِيَّة ، ولا عارَضني فيها فكر ؛ وأنتَ أجلُّ من أقال ، وأولى من صَفَح ، قال : صدقت ؛ خُذْ في غير هذا .

المصور  
وعبد الله  
ابن الحسن

ولما قتل المنصورُ ابنَه محمدًا - وكان عبدُ الله في السجن - بعث برأسه إليه مع الربيع حَاجِبِه ؛ فوَضَعَ بين يديه ، فقال : رحمك الله أبا القاسم فقد كنتَ من « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ! ثم تمثل :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ مِنَ الذِّلِّ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ - وَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا  
ثم التفتَ إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بُؤْسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ؛ والموعدُ الله تعالى ! قال الربيع : فما رأيت المنصور قطَّ أ كثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة <sup>(١)</sup> .

أخذ العباس بن الأحنف <sup>(٢)</sup> هذا المعنى ، وقيل : عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير <sup>(٣)</sup> فقال :

فَإِنْ تَلَحَّظِي حَالِي وَحَالِكَ مَرَّةً      بنظرة عين عن هوى النفس تُحْجَبُ  
تَجِدِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ عِشْتِي      يمرُّ بيوم من نعيمك يُحْسَبُ

بين المنصور  
وامرأة محمد  
ابن عبد الله  
ابن الحسن

وسا قتل المنصورُ محمدَ بن عبد الله اعترضته امرأةٌ معها صبيان ، فقالت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أنا امرأةُ محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، أَيْتَمَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضْرَعَهُمَا خَوْفُكَ <sup>(٤)</sup> . فناشدتُك الله يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُصَغَّرَ لهما خَدَّكَ ،

(١) كانت وفاة عبد الله بن الحسن في سجن المنصور سنة ١٤٥ .

(٢) العباس بن الأحنف : شاعر غزل رقيق الإحساس ، توفي سنة ١٩٢ .

(٣) عمارة بن عقيل : شاعر فصيح ، كان النحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة ،

توفي سنة ٢٣٩ . (٤) أضرعه : أذله

أَوْ يَذَى عَنْهُمَا رِفْدُكَ<sup>(١)</sup>؛ وَلَتَعْطِفَنَّ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ، وَأَوَاصِرُ الرَّحِمِ<sup>(٢)</sup> فَالْتَفَتَ إِلَى الرِّبْعِ، فَقَالَ: ارْدُدْ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ.

بين المنصور وجعفر الصادق فلما ظفر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق ، فقال له :

قَدْ رَأَيْتَ إِطْبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يُغَوِّرُ عِيُونَهُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَيَجْمَرُ نَجْلَهُمْ<sup>(٤)</sup> . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ سَلِمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدَّرَ فَغَفَرَ ؛ فَاقْتَدِ بِأَيْهِمْ شِئْتُ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنْ أَحَدًا لَا يُعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَمَمْتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ؛ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قُدْرَتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ .

وعزى جعفر بن محمد رجلاً ، فقال : أَعْظَمُ نِعْمَةٍ فِي مَصِيبَةٍ جَلَبَتْ أَجْرًا تَعْزِيَةً لَجَعْفَرِ الصَّادِقِ وَأَفْظِعُ بِمَصِيبَةٍ فِي نِعْمَةٍ أَكْسَبَتْ كُفْرًا هَذَا كَقَوْلِ الطَّائِي :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَذَلِّي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنِّي لَأَمْلِكُ أَحْيَانًا فَأُتَاجِرُ اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ فَيُرْبِحُنِي .

وقال جعفر رضي الله عنه : مَنْ تَخَلَّقَ بِالْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَهُ خُلُقٌ سَوْءٌ أَصِيلٌ فَتَخَلَّقْهُ لَا حَالَةَ زَائِلٍ ، وَهُوَ إِلَى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ آيِلٌ ، كَطَلَى الذَّهَبِ عَلَى النَّحَاسِ مِنْ كَلَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ يَنْسَحِقُ وَتُظْهِرُ صَفَرَتَهُ لِلنَّاسِ .

وهذا كقول العرجي :

يَأْيِهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شِمِيمَةٍ وَمِنْ خِلَائِقِهِ الْإِقْصَارُ وَالْمَلَقُ<sup>(٥)</sup>

(١) الرد : العطاء (٢) الشوابك والأواصر : هي الروابط

(٣) يغور عيونهم : يطمسها ويذهب ماءها بالعين المهملة أو بالعين المعجمة (م) ،

وفي الأصل «نور» وهو تحريف . (٤) جمر النخلة تجميرا قطع جمارها .

(٥) المراد من الإقصار القصور والضعف ، والملق : إظهار الود ذلة وخضوعا .

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ<sup>(١)</sup>  
 وكان يقول : ما تَوَسَّلَ إِلَى أَحَدٍ بِوَسِيلَةٍ هِيَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ يَدٍ سَبَقَتْ مِنِّي  
 إِلَيْهِ أَتَّبِعُهَا أَخْتَهَا لِتَحْسَنَ رَبَّهَا وَحِفْظَهَا<sup>(٢)</sup> ؛ لِأَنَّ مَنَعَ الْأَوَّاهِ يَقْطَعُ لِسَانَ الْأَوَائِلِ .  
 وقيل لجعفر رحمه الله : إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ لَا يَلْبَسُ مَذْ صَارَتْ إِلَيْهِ  
 الْخِلَافَةُ إِلَّا الْخُشْنَ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا الْجُشْبَ<sup>(٣)</sup> . فقال : يَا وَيْحَهُ ! مَعَ مَا مُسْكِنٌ  
 لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَجُبِّي إِلَيْهِ مِنَ الْخُرَاجِ ! قَالُوا : إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بُخْلًا وَجَمْعًا لِلْمَالِ .  
 فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ مِنْ دُنْيَاهُ مَا تَرَكَ لَهُ مِنْ دِينِهِ . انتهى .

قال : ومن دعاء جعفر رضي الله عنه : اللهم إنيك بما أنت أهل له من العفو  
 أولى بما أنا أهل له من العقوبة .

وكان عبدُ الله [ بن معاوية بن عبد الله ] بن جعفر عالمًا ، ناسبًا ، وكان من عبد الله  
 ابن معاوية خطيبًا مفوهًا ، وشاعرًا مجيدًا ، وكتب إلى بعض إخوانه :  
 ابن عبد الله أما بعدُ ، فقد عاقبني الشكُّ في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك  
 ابن جعفر إلى ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ؛ ثم أعقبني جفاء عن غير جريرة ؛ فأطمعني أولئك  
 بعض إخوانه في إخوانك ، وأيأسني آخرك عن وفائك ؛ فلا أنا في غير الرجاء بجمع لك  
 أطراحًا ، ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف  
 بإيضاح الشكِّ في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ؛ فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا  
 على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل :

رَأَيْتُ فُضِيلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَعًا فَكَشَفَهُ التَّمْحِصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا<sup>(٤)</sup>

(١) التخلق : تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق . (٢) رب الشيء : أصلجه

(٣) الجشب : هو الطعام القفار الذي لا إدام فيه (٤) ملفع : مغطى ، وتقول :

نافع الشجر بالخضرة - ولعل الأصل « ملففا » بقاءين (م) .

فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً  
 كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ  
 فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا  
 فَعِينَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةً  
 وَالْقَائِلُ أَيْضًا :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ  
 يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَنْكِحُ  
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا  
 تَنْبِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا  
 وَهَذَا كَقَوْلِ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ :  
 أَنَشِدْنِي مُحَمَّدَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُرُونَ لِعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ (١) :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىَ : مَا لَكَ بَعْدَ مَا  
 أَرَاكَ صَحِيحًا كَالسَّلِيمِ الْمَعْدَبِ (٢)  
 فَمَلْتُ لَهَا : هَمَّى الَّذِي تَعْرِفِينَهُ  
 مِنْ الثَّأْرِ فِي حَيِّ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ  
 إِنَّ أُغْزُ زُبَيْدًا أُغْزُ قَوْمًا أُعْزَةً  
 مَرْكَبُهُمْ فِي الْحَيِّ خَيْرَ مَرْكَبِ  
 وَإِنْ أُغْزُ حَيِّ خُثْعَمٍ فِدْمَاؤُهُمْ  
 شِفَاءٌ وَخَيْرٌ مِنَ الثَّأْرِ لِلتَّائِبِ (٣)  
 فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقِ  
 بِأَجْرَدَ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمُشْدَبِ (٤)

لعامر  
ابن الطفيل

(١) عامر بن الطفيل: أحذفتك العرب وشعرائهم في الجاهلية ، ولد ونشأ بنجد وكان يامر مناذيا ينادى في عكاظ : هل من راجل فنحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه ؟ أدرك الإسلام وهو شيخ ، فوفد على الرسول وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد العذر به ، ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول إلى الإسلام ، فاشتراط أن يجعل له نصف ثمار المدينة ، وأن يجعله ولي الأمر من بعده ، فردده النبي ، فرجع مغظا مخفيا ، وسمعه أحدهم يقول : لأملأنها خيلا جردا ، ورجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا ! مات في طريقه قبل أن يبلغ قومه سنة ١١ (٢) السليم : اللدوغ .

(٣) أصل التائب : الذي يطرق ليلا ، وأراد الشاعر (م)

(٤) الطاوى : الضامر ، والأجرد : الحصان سقط شعره من الضمور ، والعسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشف حوصها ، والمشدب : القلم . .

وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ      وَزَغْفٍ دِلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ<sup>(١)</sup>  
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدٍ عَامِرٍ      وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْدَبِ  
 فَإِذَا هُوَ وَدَدْتَنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَائِهِ      أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ  
 وَلَكِنِّي أَحْيَى حَمَاهَا، وَأَتَقَى      أَذَاهَا، وَأَرْمَى مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِ

وقال أيضاً يهنئ بعض الهاشميين بإملاك<sup>(٢)</sup> : زاد الله في نعمته ، وبارك  
 في قَوَاضِيهِ ، وَجَمِيلِ نَوَافِلِهِ ؛ وَنَسَأُلُ اللَّهَ - الَّذِي قَسَمَ لَكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنَ السَّرُورِ -  
 أَنْ يُجَنِّبَكُمْ مَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحُذُورِ ، وَيَجْعَلَ مَا أَحَدَثَهُ لَكُمْ زِينًا ، وَمَتَاعًا حَسَنًا ،  
 وَرَشْدًا ثَابِتًا ، وَيَجْعَلَ سَبِيلَ مَا أَصْبَحَتْ عَلَيْهِ ، تَمَامًا لِمَا صَحَّحَ مَا سَمَّوَتْ إِلَيْهِ ؛ مِنْ  
 اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ ، وَحُسْنِ مَوَاقِفَةِ الْأَهْلِ ؛ أَلَفَ اللَّهُ ذَلِكَ بِالصَّلَاحِ ، وَتَمَمَهُ بِالنَّجَاحِ ،  
 وَمَدَّدَ لَكَ فِي ثَرْوَةِ الْعَدَدِ ، وَطَيْبَ الْوَلَدِ ، مَعَ الزِّيَادَةِ فِي الْمَالِ ، وَحُسْنِ السَّلَامَةِ فِي  
 الْحَالِ ، وَقُرَّةِ الْعَيْنِ ، وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ .

وهجأ أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمي المدني الحسن بن زيد بن الحسين<sup>(٣)</sup> بن علي  
 ابن أبي طالب رحمة الله عليه ، فقال :

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ      وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ  
 وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يُرَى حَقُّوqًا      عَلَيْهِ لَغَيْرِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ

فلما ولي الحسن المدينة أتاه متنكراً في زى الأعراب ، فقال :

سَتَأْتِي مِدْحَتِي الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ      وَتَشْهَدُ لِي بِصِفِّينَ الْقُبُورِ<sup>(٤)</sup>  
 قُبُورٌ لَمْ تَزَلْ مُدَّةً غَابَ عَنْهَا      أَبُو حَسَنٍ تُعَادِيهَا الدُّهُورُ  
 قُبُورٌ لَوْ بِأَحْمَدٍ أَوْ عَلِيٍّ      يَلُودُ مُجْبِرُهَا حُمَيَّ الْمُجْبِرِ  
 هُمَا أَبُو الْكَ مِنْ وَضَعًا فَضَعُهُ      وَأَنْتَ بَرَفَعٍ مَنْ رَفَعَا جَدِيرُ

(١) الأسمر الخطي : هو الرمح ، والأبيض الباتر : السيف القاطع ، والزغف ،  
 الدروع ، والدلاص : اللينة اللساء ، والغدير للثوب : النهر الممتلئ (٢) الإملاك : الزواج  
 (٣) في نسخة «الحسن بن زيد بن الحسين» والذي تولى المدينة هو الحسن بن زيد  
 ابن علي بن أبي طالب ؛ فكلمة «بن الحسن» زائدة (م) (٤) ضفين : موضع واقعة مشهورة

فقال : من أنت ؟ قال : أنا الأسلى . قال : ادنُ حيَّاكَ الله ! وبسط له رداءه ، وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

بين الحسن بن زيد وداود ابن سلم التيمي  
وكان الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بني تميم أن يصله ، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن علي - وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد - أغضبه ذلك<sup>(١)</sup> ، وقدم الحسن من حجّ أو عمرة ، فدخل عليه داود بن سلم مهتئاً ، فقال : أنت القاتل في جعفر بن سليمان بن علي :

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر      وكان المنى في جعفر أن يؤمراً<sup>(٢)</sup>  
حوى المنبرين الطاهرين كليهما      إذا ما خطا عن منبر أمّ منبرا<sup>(٣)</sup>  
كان بني حواء صفواً أمامه      فخير في أنسابهم فتخيّر  
فقال داود : نعم ، جعلني الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره ! وأنا القاتل :  
لعمري لئن عاقبت أو جُدت مُنعماً      بغيري عن الجاني وإن كان مُعذراً<sup>(٤)</sup>  
لأنت بما قدمت أولى بمدحة      وأكرم فخراً إن فخرت وءنصرا  
هو القرة الزهراء من فرع هاشم      ويدعو عليا ذا المعالي وجعفر<sup>(٥)</sup>  
وزيد الندى والسبط سبط محمد      وعمك بالطف الزكي المطهر  
وما نال منها جعفر غير مجلس      إذا ما نفاه العزل عنه تأخراً<sup>(٦)</sup>  
بحقكم نالوا ذراها وأصبحوا      يرون به عزاً عليكم ومظهرا  
فعادله الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصله ويحسن إليه إلى أن مات .

(١) في الأصل «غصه ذلك» وهي عبارة جيدة (٢) يؤمر : يولى الإمارة  
(٣) أم : قصد (٤) المعذر : ذوالعذر (٥) القرة : في الجبين ، ولها جمال خاص  
(٦) العزل : الضعف - وما أراه أراد غير العزل عن الولاية (م)

وقوله : « وإن كان مُعْذِرًا » ، لأن جعفرًا أعطاه على آيياته الثلاثة ألفَ دينار .  
ولما ولى الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيم بن علي بن هَرَمَةَ ، فقال  
له الحسن : يا إبراهيم ؛ لستُ كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ،  
فقد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجَنَّبني المقابح ،  
وإنَّ من حقه عليَّ ألا أُغْضَى على تقصير في حقِّ وجب ؛ وأنا أقسم لئن أتيتُ  
بك سكران لأضربنك حدًّا للخمر ، وحدًّا للسكر ؛ ولأزيدنَّ لموضع حُرمتك  
بي ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنِّ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم .  
فنهض ابن هَرَمَةَ ، وهو يقول :

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدام      وأدبني بأداب الكرام  
وقال ليْ أَصْطَلِبُ عنها ودعها      لخوفِ الله لاخوفِ الأنام  
وكيف تصبُّرى عنها وجبي      لها حُبٌّ تمكَّنَ في عظامي  
أرى طيفَ الخيالِ على خُبْنًا      وطيب العيش في خبث الحرام  
وكان إبراهيم منهومًا في الخمر ، وجلده خَنِيمٌ بنِ عِرَاك<sup>(١)</sup> صاحبُ شُرْطَةِ  
المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس .

ولما وفد على أبي جعفر المنصور ومدحه استحسن شعره ووصله ، وقال له :  
سَلْ حاجتك ، قال : تكتب لي إلى عامل المدينة ألاَّ يَحْدُثَني إذا أُتِيَ بي سكران  
فقال أبو جعفر : هذا حدٌّ من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطله ، قال : فاحتل  
لي يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة : « مَنْ أَتاكُ بـابنِ هَرَمَةَ سكران  
فاجلده مائة ، واجلد ابن هَرَمَةَ ثمانين » .  
فكان الشُّرَطُ يمرُّون به مطروحًا في سِكَكِ المدينة ، فيقولون : مَنْ يشتري  
مائة بَمانين ؟!

وقال موسى بن عبد الله<sup>(٢)</sup> بن علي بن أبي طالب :

(١) في نسخة « عثيم بن عراق » (م)

(٢) في نسخة « بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي » (م)

من شعر موسى  
ابن عبد الله  
الطالبي

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلَّ ما  
إلى الله كلُّ الأمر في الخلق كلهم  
تعودتُ مَسَّ الضر حتى ألفتُهُ  
ووسَّع صدرى للأذى الأنسُ بالأذى  
وصيَّرتني يَأْسِي من الناس راجياً  
وموسى بن عبد الله هو القائل :

تولّت بهجة الدنيا فكل جديدها خَلَقُ<sup>(١)</sup>  
وخان الناسُ كلُّهم فما أدري بمن أُنقُ  
رأيت معالمَ الخيرا ثِ سُدَّتْ دونها الطرُق  
فلا حَسَبٌ ولا نَسَبٌ ولا دينٌ ولا خُلُق  
فلست مُصَدِّقَ الأقوا م في شيء وإن صدقوا

بعض أخبار  
موسى

وكان المنصورُ حبسهُ لخروجه عليه مع أخويه ، ثم ضربه ألفَ سَوْطٍ ، فما  
نطقَ بِحَرْفٍ واحدٍ ؛ فقال الربيع : عَذَرْتُ هؤلاءِ الفساقَ في صَبْرِهِمْ ؛ فما بَالُ  
هذا الفتى الذى نشأ فى النعمة والدَّعة ؟ فقال :

إِنِّ من القومِ الذين يَرِيدُهُمْ جَلْدًا وَصَبْرًا قسوةُ السلطان  
وولدت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمعة موسى ، ولها ستون سنة ،  
ولا يعلم امرأةٌ ولدت بنتَ ستين سنة إلا قرشيّة .

اجتاز على بن محمد العلوى بالجسر بِحَدَثَانِ<sup>(٢)</sup> قَتَلَ عمر بن يحيى بن عبد الله  
ابن الحسين ، وقتلهُ الحسينُ بن إسماعيل هناك قد جرَّد رجالا للقتل ، فلما رأت  
أُمُّ الرجل عليها سألته أن يشفع فيه ، فقال علىٌّ إلى الحسين فأنشده :

بين على بن  
محمد العلوى  
والحسين بن  
إسماعيل

(١) الخلق - بفتحيتين - البالى .

(٢) حدَثَانِ الأمر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال - والباء بمعنى فى (م)



قَتَلَتْ أَبْرَءَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَجِئْتُكَ أَسْتَلِينَكَ بِالْكَلَامِ  
وَعَزَّ عَلَى أَنْ أَلْقَاكَ إِلَّا وَفِيَا بَيْنَا حَرْدُ الْحَسَامِ  
وَلَكِنْ الْجَنَاحَ إِذَا أُصِيبَتْ قَوَادِمُهُ يَرْفُ عَلَى الْإِكَامِ<sup>(١)</sup>  
فَقَالَ لَهُ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : الْعَفْوُ عَنْ ابْنِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ! فَتَرَكَهُ .

العباس بن الحسين بن رجلٍ ، فقال لجليسه : أطرب من الإبل على الخدء ، ومن التمل على الغنء .  
العباس بن الحسين الهاشمي

وَذَكَرَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا فَقَالَ : مَا الْجَمَامُ عَلَى الْأَخْرَارِ ، وَطُولُ السَّقَمِ فِي الْأُسْفَارِ ، وَعِظَمُ الدِّينِ عَلَى الْإِقْتَارِ ، بِأَشَدِّ مِنْ لِقَائِهِ .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ لِلْمَأْمُونِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ لَسَانِي يَنْطَلِقُ بِمَدْحِكَ غَائِبًا ، وَقَدْ أُحِبِبْتُ أَنْ يَتَزَيَّدَ عِنْدَكَ حَاضِرًا ، أَفْتَأْذَنُ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ ؟ فَقَالَ لَهُ : قُلْ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ فَتُحْسِنُ ، وَتَخْضُرُ فَتَزَيِّنُ ، وَتَغِيبُ فَتَوُتِّمَنُ ، فَقَالَ : مَا بَعْدَ هَذَا كَلَامٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَفْتَأْذَنُ بِالسَّكُوتِ ؟ قَالَ : إِذَا شِئْتَ .

وَذَكَرَ رَجُلًا بَلِيغًا فَقَالَ : مَا شَبَّهْتُ كَلَامَهُ إِلَّا بِشُعْبَانٍ يَنْهَالُ بَيْنَ رِمَالٍ ، وَمَاءٍ يَتَغَلَّغِلُ بَيْنَ جِبَالٍ .

وَسَمِعَ الْمُنْتَجِعَ بَنَ نَبْهَانَ كَلَامَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ يَدُلُّ سَائِرَهُ عَلَى غَايِرِهِ<sup>(٢)</sup> وَأَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ .

وَسَأَلَ الْمَأْمُونُ الْعَبَّاسَ بْنَ الْحُسَيْنِ عَنْ رَجُلٍ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُ لَهُ حِلْمًا وَأَنَاةً ، وَلَمْ أَسْمَعْ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً<sup>(٣)</sup> ؛ يَحْدِثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَطَاوِيهِ<sup>(٤)</sup> ، وَيُنْشِدُكَ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ .

(١) القوادم : مقدم الريش ، ولا كذلك الخوافي ، والإكام : جمع أكمة .

(٢) سائرُه : باقيه ، وغايرُه : ماضيه (٣) الإحالة : التكلم بالحال

(٤) على مطاويه : على خفياه

وكان المأمون يقول : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ لَهُوًّا بَلَا حَرْجٍ فَلْيَسْمَعْ كَلَامَ الْعَبَّاسِ  
وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ أَشْعَرِ الْهَاشِمِيِّينَ ؛ وَهُوَ يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ إِبْرَاهِيمَ  
ابن المهدي ، وهو القائل :

أَتَاكَ لَكَ الْهُوَى بِيضٌ حِثَّانٌ      سَيِّئَكَ بِالْعِيُونِ وَبِالشُّعُورِ<sup>(١)</sup>  
نَظَرْتُ إِلَى النُّحُورِ فَكَدْتُ تَقْضِي      وَأَوَّلَى لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْخُصُورِ<sup>(٢)</sup>  
وهو القائل أيضاً :

صَادَتْكَ مِنْ بَعْضِ الْقُصُورِ      بِيضٌ نَوَاعِمٌ فِي الْخُدُورِ  
حُورٌ تَحُورُ إِلَى صَبَا      كَ بَاعَيْنِ مِنْهُنَّ حُورِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَاثِمًا بَغْـوَرَهُنَّ      جَنَى الرُّضَابِ مِنَ الْخُورِ<sup>(٤)</sup>  
يَصْبُغْنَ تَفَاحَ الْخُدُودِ      بِمَاءِ رُمَانِ الصُّدُورِ

وهو : العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه ، وأم عبيد الله جدة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم  
محمد بن علي أبي الخلفاء .

وكان الرشيد والمأمون يُقَرَّبَانِ الْعَبَّاسَ غَايَةَ التَّقَرُّبِ ؛ لِنَسَبِهِ وَأَدَبِهِ ؛  
قَالَ أَبُو دَلْفٍ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ فِي طَارِمَةِ عَلَى طَنْفَسَةٍ<sup>(٥)</sup> وَمَعَهُ عَلَيْهَا شَيْخٌ  
جَمِيلُ الْمَنْظَرِ ؛ فَقَالَ لِلرَّشِيدِ : يَا قَاسِمُ ؛ مَا خَبَرُ أَرْضِكَ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
خَرَابٌ يَبَابُ ، أَخْرَبَهَا الْأَكْرَادُ وَالْأَعْرَابُ . فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا آفَةُ الْجَبَلِ ،  
وَهُوَ أَفْسَدُهُ ، فَقُلْتُ : أَنَا أَصْلَحُهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَفْسَدَتْهُ  
وَأَنْتَ عَلَيَّ وَأَصْلَحِهُ وَأَنْتَ مَعِيَ ! قَالَ الشَّيْخُ : إِنْ هَمَّتْ لَتَرِمِي بِهِ مِنْ وَرَاءِ سَنَةِ

(١) أتاح : هيا ، وسينك : أسرنك ( م ) (٢) تقضى : تهلك .

(٣) تحور : تميل (٤) الرضاب : الريق

(٥) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

مَرَمَى بَعِيداً ؛ فسألت عن الشيخ قتيب : العباس بن الحسين ، وكان أبو ذُلَفَ ذلك الوقت صغير السن .

ولقي موسى بن جعفر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه محمد بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى بن جعفر والفضل بن الربيع : عَاتِبَ هذا ، فقال له الفضل : كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي إن طَلَبْتَ عليها لم تَسْبِقْ ، وإن طُلِبْتَ عليها تلحق ، فقال : لست أحتاج أن أطلب ، ولا إلى أن أطلب ؛ ولكنها دابةٌ تنحط عن خِيَلَاءِ الخيل ، وترتفع عن ذِلَّةِ العَيْرِ<sup>(٢)</sup> ، وخيرُ الأمور أوسطها .

أَصِيبَ على بن موسى بمصيبة ، فصار إليه الحسن بن سهل ، فقال : إنا لم نَأْتِكَ مُعَزِّينَ ؛ بل جُنَّاءَ مُفْتَدِينَ ؛ فالجِدُّ لله الذي جعل حياتكم للناس رَحْمَةً ، ومصائبكم لهم قَدْوَةً .

وكان على بن موسى الرضا رحمه الله قد ولَّاه المأمون عَهْدَهُ ، وعقد له الخلافة بعده ، ونزع السواد عن بني العباس ، وأمرهم بلباس الخضر<sup>(٣)</sup> ، ومات على بن موسى في حياة المأمون بطوس ، فشَقَّ [ المأمون ] قبر الرشيد ودُفِنَ فيه تبركا به ، وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك<sup>(٤)</sup> ؛ ولذلك قال دعبل بن علي الخزاعي :  
ارْبَعُ بطوس على قَبْرِ الزكيِّ بها إن كنت تربع من دين علي وطر<sup>(٥)</sup>  
ما ينفع الرِّجس من قُرْبِ الزكي ، ولا على الزكيِّ بقرب الرِّجس من ضَرَرِ  
هيهات كل امرئ رَهْنٌ بما كسبت له يده فخذ من ذاك أو فذر

(١) كان موسى بن جعفر سيّداً من سادات بني هاشم ، وإماماً مقدماً في العلم والدين ولد في الأبواء - قرب المدينة - سنة ١٢٨ وتوفي في بغداد سنة ١٨٣ (٨) العير : الحمار  
(٣) وكان لباس الخضر شعار أهل البيت ، وكان من أثر نزع السواد عن بني العباس أن اضطرب العراق ، وثار أهل بغداد ، فخلعوا المأمون وهو بطوس وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي ، فقصدهم المأمون بجيشه ، فاخْتَبَأَ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون .  
(٤) كانت وفاة علي بن موسى سنة ٢٠٣ (٥) ربع : أقام ، والوتر : الحاجة

قبران في طوس : خَيْرُ الناسِ كلِّهم وقبر شرِّهم ، هذا من العِبرِ  
وكان دعبِل مداحاً لأهل البيت ، كثير التعصُّب لهم ، والغلوِّ فيهم . وله  
المرثية المشهورة ، وهي من جيد شعره ، وأولها :

مَدَارِسُ آيَاتٍ عَفَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحْيٍ مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ<sup>(١)</sup>  
لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ  
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحِزَّةِ وَالسَّجَّادِ ذِي النَّفْنَاتِ  
قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَتْ أَهْلَهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ  
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ مُفْتَرَقَاتِ<sup>(٢)</sup>  
أَحِبُّ قَصِيٍّ الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أُسْرَتِي وَثِقَاتِي  
وهي طويلة .

رثاء دعبِل  
لآل البيت

ولما دخل المأمون بغداد أخضر دعبِلًا بعد أن أعطاه الأمان ، وكان قد  
هجاه وهجاً أباه ، فقال : يادعبِل ، من الخضيض الأوهْد ! فقال : ياأمير المؤمنين ،  
قد عفوت عنن هو أشدُّ جرماً مِنِّي ! أراد المأمون قول دعبِل يهجوهُ :  
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُفُوهُ قَتَلَتْ أَخَاكَ وَشَرَفَتْكَ بِمَقْعَدِ  
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ خُمُولِهِ . واستنقذوك من الخضيض الأوهْدِ  
يفتخِرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مِصْغَبِ ذِي الْيَمِينِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ،  
وطاهر مولى نُلُزَاعَةَ ، فاستشده هذه القصيدة الثائِية<sup>(٣)</sup> ، فاستغفاه ، فقال : لا بأسَ  
عليك ، وقد رويتهَا ، وإنما أَحَبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ ، فأنشدها دعبِل ؛ فلما  
انتهى إلى قوله :

أَلَمْ تَرَأْنِي مَذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ

(١) العرصات : الساحات (٢) غربة النوى : بعده

(٣) في المطبوعات كلها « الثانية » وهو تحريف ما أثبتناه (م) .

أرى فيهم في غيرهم مُتَقَسِّمًا      وأيديهم من فيهم صفرات<sup>(١)</sup>  
 إذا وتبروا مدوا إلى أهل وترهم      أكفأ عن الأوتار مُنْقَبَضَاتِ  
 وآل رسول الله نُحِفُ جُسُومهم      وآل زياد غُلْظُ القَصَرَاتِ<sup>(٢)</sup>  
 بنات زياد في القصور مَصُونَةٌ      وبنات رسول الله في الفلواتِ  
 بكى المأمون ، وجدده الأمان ، وأحسن له الصَّلَّةَ .

والشيء يستدعى ما قرع بابه ، وجذب أهدابه<sup>(٣)</sup> ، قال سليمان بن قتيبة :  
 لسلیمان بن قتیبة : برثی آل البيت  
 مررت على أبيات آل محمد      فلم أر ما عهدى بها يوم حُلَّتْ<sup>(٤)</sup>  
 فلا يبعد الله الديار وأهلها      وإن أصبحت من أهلها قد تَخَلَّتْ<sup>(٥)</sup>  
 وكانوا رجاء ثم عادوا رزيةً      ألا عَظُمَتْ تلك الرزايا وجلَّتْ<sup>(٦)</sup>  
 وإن قتيل الطف من آل هاشم      أذلَّ رقاب المسلمين فَذَلَّتْ<sup>(٧)</sup>  
 ويشبه قوله : « وكانوا رجاء ثم عادوا رزية » قول امرأة من العرب مرّت  
 بالجسر بحثة جعفر بن يحيى البرمكي مَضْلُوباً<sup>(٨)</sup> ؛ فقالت : لئن أصبحت نهاية في  
 البلاء ، لقد كنت غاية في الرجاء .

## الفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف

لها في هذا الموضع موقع

فلان من شرفِ العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم . أصله راسخ ،

(١) صفرات : خاليات (٢) القصرات : أصول العنق ، جمع قصرة بفتحيتين  
 (٣) هكذا وقع هذا الكلام في النسخ التي بأيدينا والظاهر أنه سقطت بعض عبارات  
 يراد بها التمهيد للذي في ذكر بعض الشواهد التي تتحدث عن بكاء أهل البيت .  
 (٤) رواية الحماسة « فلم أرها أمثالها » (٥) رواية الحماسة « وإن أصبحت منهم برغمي  
 تَخَلَّتْ » (٦) رواية الحماسة « وكانو غيائنا » (٧) الطف : موضع قرب الكوفة ، ورواية  
 الحماسة : « ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت » (٨) جعفر بن يحيى : كان وزير  
 الرشيد ، يرم وينقض في الدولة ماضاء ، إلى أن ثار الرشيد بالرامكة قتلته فيمن قتل منهم ،  
 وكان جعفر فصيح النطق بليغ القول ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي سنة ١٨٧ هـ

وفرع شامخ ، وَجَدَّ بَاذِخ<sup>(١)</sup> ، وَحَسَبَ شَادِخ .

فلان كريمُ الطرفَين ، شريفُ الجارَين ، قد رَكَّبَ الله دَوَحَتَهُ في قرارةِ  
الْجَدِّ ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ في محلِّ الفضل . أَصْلُ شَرِيف ، وَعِرْقُ كَرِيم ، وَمَغْرَسٌ  
عَظِيم ، وَهَـ غَرَزَ صَمِيم . المجد لسانُ أوصافه ، والشرفُ نَسَبُ أسلافه . نسبٌ فَخْمٌ ،  
وشرفٌ ضَخْمٌ . يستوفى شرفَ الأرومة<sup>(٢)</sup> بكرم الأبوَّة والأُمومة ، وشرف  
الْخُوُلَّةِ والعمومة . ما أَتَتْهُ الْحَاسِنُ عن كَلَالَةٍ<sup>(٣)</sup> ، ولا ظَفَرٍ بالهدى عن ضلالة ،  
بل تناول المجدَ كَباراً عن كابر ، وأخذ الفخرَ عن أَسِيرَةٍ ومنابر :

شرفٌ تَنَقَّلَ كَباراً عن كابر كالرمح أنبوا على أنوب<sup>(٤)</sup>

استقى عِرْقَهُ من منبعِ النبوة ، ورضعت شَجَرَتُهُ من ثَدْيِ الرسالة ، وتهدلت  
أغصانه عن نَبْعَةِ الإمامة ، وتبججت أطرافُهُ في عَرَصَةِ الشَّرَفِ والسيادة<sup>(٥)</sup> ،  
وتفَقَّأت بيضته عن سُلالةِ الطَّهارة<sup>(٦)</sup> ، قد جَذَبَ القرآنُ بَضْبِعَهُ<sup>(٧)</sup> وشقَّ الوَحْيُ عن  
بصره وسَمِعِهِ ، مختار من أكرمِ المناسِب ، منتخَب من أشرفِ العناصرِ ، مُرْتَضَى  
من أعلى المحامد<sup>(٨)</sup> ، مُؤَثَّر من أعظمِ العشائر ، قد وَرِثَ الشرفَ جامعاً عن جامعٍ ،  
وشهد له نداء الصوامع ، هو من مُضَرَّ في سُويداءِ قَلْبِهَا ، ومن هاشم في سَوَادِ  
طَرَفِهَا ، ومن الرسالة في مَهْبِطِ وَحْيِهَا ، ومن الإمامة في موقف عَزِّهَا ، ينزع إلى  
الحامدِ بنفسِ وعِرْقٍ ، وينحِنُ إلى المكارمِ بوراثَةِ وخلقٍ ؛ يتناسب أصلُهُ وفرعُهُ ،  
ويتناصف نَجْرُهُ وطَبْعُهُ ، وهو الطَّيِّبُ أصلُهُ وفرعُهُ ، الزَّاكِي بذره وزرعُهُ ، يجمع

(١) شامخ وباذخ وشادخ : مترادفات بمعنى عال (٢) الأرومة : الأصل .

(٣) الكلاله : ماعدا الولد والوالد من الأقرباء (٤) الأنوب : القصة

(٥) تبججت : تمكنت ، والعروة : الساحة (٦) تفقأت : تفتحت

(٧) جذب بضبعه : نوه به

(٨) المناسب : جمع منسب ، والعناصر : جمع عنصر ، والمحامد : جمع محمّد ،

وكلها بمعنى الأصل (م)

إلى عزِّ النَّصاب، مَزِيَّةَ الآداب، لا غَرَوْا أن يجرى الجِوَادُ على عِرْقِهِ، وتلوح مخابِلُ  
الليثِ في شُبُلِهِ، ويكون النجيبُ قُرْعاً مشيداً لأصله. له مع نباهة شرفِهِ، نزاهة  
سَلَفِهِ، ومع كرم أرومته وحَزْمِهِ، مَزِيَّةُ أدبه وعلمه، لن تحلف ثمرة غَرْسِ ارتيْدَ  
لها من المنابت أَرْزُكها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأنماها؛ قد جمع شرفَ  
الأخلاق، إلى [شرفِ الأعراق، وكرمِ الآداب، إلى] كرمِ الأنساب؛ له في المجد  
أولٌ وآخر، وفي الكرم تليدٌ وطَّارِفٌ، وفي الفضل حديثٌ وقديمٌ؛ لا غَرَوْا أن  
يغمر فضله، وهو نَجْلُ الصَّيْدِ الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيضُ البحور الخضارم<sup>(١)</sup>  
دَوْحَةٌ رَسبَ عِرْقُهَا، وَسَمَقَ فَرْعُهَا<sup>(٢)</sup>، وطاب عُوْدُهَا، واعتدل عمودُهَا،  
وتَفَيَّأتْ ظِلَالُهَا، وتهدَّأتْ ثَمَارُهَا، وتفرَّعتْ أغصانُهَا، وبرد مَقِيلُهَا. مجدُّهُ  
يلحظ الجوزاء من عَالٍ، ويطولُ النجمُ كُلَّ مَطَالٍ. شَرَفٌ تَضَعُ له الأفلاكُ  
خُدودَهَا وجِبَاهَهَا، وتَلْتَمِهُ النجومُ أرضَهُ بأفواهِها وشِفَاهِهَا. نسبُ المجدِّ به  
عَرِيقٌ، وَرَوْضُ الشرفِ به أُنَيْقٌ. ولسانُ الثناء بفضله نَطَوِقٌ. فَلَكُ المجدِّ عليه  
يَدُورُ، ويدُ العَلَا إليه تُشِيرُ. محله شَاهِقٌ، ومجدُّه بَاسِقٌ.

(١) الخضارم: جمع خضرم بكسر الخاء والراء، وهو الواسع (٢) سَمَقَ: ارتفع

## بدء الكتاب

الكلام في  
حمد الله

قد تمَّ ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به ، وانضاف إليه ، والتفَّ به ، وانعطفَ عليه ، ورأيتُ أن أبتدىء مقدّمات البلاغات ، بغرر التحاميد وأوصافها<sup>(١)</sup> ، وما يتعلقُ بانئائها وأطرافها .

وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله : يجب على كل مبتدئ مقالة أن يبتدئ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بُدئ بالنعمة قبل استحقاقها .  
ولأهل العصر : أولى ما ففر به الناطقُ منه<sup>(٢)</sup> وافتتح به كليمه ، حمدُ الله جلَّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه . حمدُ الله خيرُ ما ابتدئ به القول وختم ، وافتتح به الخطابُ ونمّم .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله : إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يُمثَّلُ بنظير ، ولا يُغلبُ بظهير<sup>(٣)</sup> ، جلَّ عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطُفَ عن الحاظ خطرات الفكر ، لا يُحمدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً ، فمَن تَحصى نعمائه ، وتكافأ آلاؤه ؟ عَجَزَ أَقصى الشكرِ عن أداء نعمته ، وتضاءل ما خلق في سعة قدرته ؛ قَدَرَ فَقَدَّر ، وحكَمَ فأحكم ؛ وجعل الدِّينَ جامعاً لشمْلِ عبادته ، والشرائعَ مناراً على سبيل طاعته ؛ يَدبَعُها أهل اليقين به ، ويَحِيدُ عنها أهلُ الشك فيه .

أخذ أبو العباس قوله : « ولا يحمد إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً » من قول محمود بن الحسن الوراق :

إذا كانُ شُكْرِي نعمةَ اللهِ نِعْمَةً      علىَّ له في مِثْلِها يَجِبُ الشُّكْرُ  
فكيف بلوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بفضلِهِ      وإن طالت الأيام واتَّصلَ العمرُ

(١) كذا في المطبوعات كلها ، ولو كان « وأوصاحها » لكان أطرف ، وإن لم يتم به التسجيع على الشائع من طريقة المؤلف (م) (٢) فعر : فتح (٣) الظهير : المعين



إذا عمَّ بالسَّراء عمَّ سرورها وإن مَسَّ بالضراء أعقَبها الأجرُ  
فما منهما إلَّا له فيه نِعْمَةٌ تَضِيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبَحْرُ  
وإنما أخذه محمود من قول أبي العتاهية :

أحمد الله فهو ألهنى الحمد على الحمد والمزيدُ لدَيْه  
كم زمانٍ بكيتُ فيه فلَمَّا صِرْتُ في غيره بكيتُ عليه  
وقد اضطربت الروايةُ في هذين البيتين وقائلهما، وهذا البيت الثاني كثير<sup>(١)</sup>،  
قال إبراهيم بن العباس :

كذلك أيامنا لاشكَّ نندُبُها إذا تَقَضَّتْ ونحنُ التَّيَوْمَ نَشْكُوها  
آخر :

وما مرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأفقدُهُ إلَّا بكيتُ على أمسٍ  
ومحمود هو القائل أيضاً :

من شعر  
محمود الوراق

تفصى الإلهَ وأنتُ تُظْهَرُ حَبَّهُ هذا محالٌ في القياسِ بديعُ  
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتهُ إنَّ الحبَّ لمن أحبَّ منطبعُ  
وكان كثيراً ما ينقلُ أخبارَ الماضين ، وحِكَمُ المتقدمين ، فيحلى بها  
نظامه ، ويُرَيَّنُ بها كلامه ، وهو القائل :

إني وَهَبْتُ لظالمٍ ظُلْمِي وشكرتُ ذاكَ له على عِلْمِي  
ورأيتُهُ أَسْدَى إلى يَدَا لَمَّا أبانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي  
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عليه ، وَلِي فَضْلُ فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ  
فكأنما الإحْسَانُ كانَ لَهُ وأنا المَسِيءُ إِلَيْهِ في الزَّعَمِ  
ما زال يَظْلِمُنِي وأرحمُهُ حتَّى رَثَيْتُ لَهُ من الظُّلْمِ

(١) يريد أن الشعراء رددوا هذا المعنى كثيراً . ومن جيد ماصور به هذا المعنى  
قول سعيد بن حميد :

لم أبلُك من زمنٍ ذممتُ صروفه إلَّا بكيتُ عليه حين يزول

وهو القائل :

أراني إذا ما ازددتُ مالا وثرَوةً      وخَيْراً إلى خَيْرٍ تزيّدتُ في الشرِّ  
فكيف بشُكر الله إن كنت إنما      أقومُ مقامَ الشُّكرِ لله بالكُفْرِ  
بأىِّ اعتِدَارٍ أوْ بآيَةٍ حُجَّةٍ      يقولُ الذي يدرى من الأمرِ ما أدرى  
إذا كان وجهُ العُذرِ ليسَ ببيّنٍ      فإنَّ أطراحَ العُذرِ خيّرُ من العُذرِ

[ البيان والبلاغة ]

لابن المعتز  
في فضل البيان

ولابن المعتز: البيان ترُجَمَانُ القلوب ، وَصَيقلُ العقول ، وَمُجَلَّى الشبهة ،  
وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرّق بين الشكّ واليقين ،  
وهو من سلطان الرُّسل الذي انقَادَ به المصعَبُ <sup>(١)</sup> ، واستقام الأُصَيْدُ <sup>(٢)</sup> ،  
وبُهِتَ الكافر ، وسَلِمَ الممتنع ، حتى أَشْبَ الحقُّ بأنصاره <sup>(٣)</sup> ، وخَلَا رَنعُ الباطلِ  
من عُمّارة ؛ وخيرُ البيان ما كان مصرّحاً عن المعنى ؛ لِيُسْرَعَ إلى الفهم تلقّيه ،  
وموجزاً ليخفَّ على اللفظ تعاطيه .

فضل القرآن  
على سائر  
الكلام

وفَضْلُ القرآن على سائر الكلام معروفٌ غيرُ مجهول ، وظاهرٌ غيرُ خفي ؛  
يشهدُ بذلك عَجَزُ المتعاطين ، وَوَهْنُ المتكلفين <sup>(٤)</sup> ، وتَحْيِرُ الكذابين ، وهو المبلغُ  
الذي لا يُبل ، والجديد الذي لا يخلُق <sup>(٥)</sup> ، والحق الصّادع ، والنور الساطع ،  
والمساحي لُظُمُ الضلال ، ولسانُ الصّدق النافي للكذب ، ونذيرُ قَدَمَتِهِ الرحمةُ  
قبل الهلاك ، وناعِي الدنيا المنقولة ، وبَشِيرُ الآخرةِ المخلّدة ، ومِفْتَاحُ الخير ، ودليلُ  
الجنة . إن أَوْجَزَ كان كافياً ، وإن أَكْثَرَ كان مُذَكِّراً ، وإن أَوْمَأَ <sup>(٦)</sup> كان  
مُتَعْنِئاً ، وإن أَطَالَ كان مُفهِمًا ، وإن أَمَرَ فَنَاحِجًا ، وإن حَكَمَ فَعَادِلًا ، وإن أَخْبَرَ  
فصَادِقًا ، وإن بَيَّنَّ فشافيا ، سَهْلٌ على الفهم ، صَعْبٌ على المتعاطي <sup>(٧)</sup> ، قَرِيبُ المَأْخَذِ ،

(١) المصعب : الفحل الصعب القيادة . وفي الأصل «المستصعب» وأرجح أنه تحريف  
(٢) الأصيد : المائل العنق كبيرا (٣) أشب : تجمع وقوى (٤) الوهن : الضعف (م)  
(٥) لا يخلق : لا يبلى (٦) أومأ : أشار (٧) يريد بالتعاطى المتكلف مجاراته (م)

بعيد المرام ، سِرَاجٌ تَسْتَضِيءُ به القلوب ، حُلُوٌّ إِذَا تَذَوَّقَتْهُ العقول ، بَحْرُ العوَم ، وديوانُ الحُكْم ، وجَوْهَرُ الكَلَم ، وَزُهِدَةُ المتوسِّمين ، وَرَوْحُ قلوب المؤمنين ، نزل به الرُّوحُ الأَمِينُ على محمد خاتم النبيين : صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فخصمَ الباطل ، وصدَّعَ بالحق ، وتألَّفَ من النِّفَرَةِ ، وأنقَذَ من الهَلَكَةِ . فوصل الله له النصر ، وأضرع به خَدَّ الكُفْرِ<sup>(١)</sup> .

تفسير الرماني  
للبلاغة

قال علي بن عيسى الرماني<sup>(٢)</sup> : البلاغةُ ما حُطَّ التكلفُ عنه<sup>(٣)</sup> ، وبُنِيَ على البَيِّن ، وكانت الفائدةُ أغلبُ عليه من القافية ، بأنَّ جَمَعَ مع ذلك سهولةَ الخرج ، مع قُرْبِ المتناول ؛ وعذوبةَ اللفظ ، مع رِشَاقَةِ المعنى ؛ وأن يكون حُسْنُ الابتداءِ كحُسْنِ الانتهاء ، وحُسْنِ الوصل ، كحُسْنِ القطع ، في المعنى والسمع ، وكانت كلُّ كلمةٍ قد وقعتْ في حقِّها ، وإلى جُنُبِ أختها ، حتى لا يقال : لو كان كذا في موضع كذا لكان أولى ! وحتى لا يكونَ فيه لفظٌ مختلف ، ولا معنى مُستكره ؛ ثم ألبسَ بهاءَ الحكمة ، ونورَ المعرفة ، وشرفَ المعنى ، وجَزَالَه اللفظ ، وكانت حلاوته في الصدر وجلالته في النفس تفتقُ الفهم ، وتنثر دقائقَ الحكم ، وكان ظاهرُ النفع ، شريفَ القصد ، معتدلَ الوزن ، جميلَ المذهب ، كريمَ المطلب ، فصيحاً في معناه ، يَبِينُ في فَجْواه ؛ وكلُّ هذه الشروط قد حواها القرآن ، ولذلك عَجَزَ عن مُعَارَضَتِهِ جميعُ الأنام .

(١) أضرع : أذل

(٢) وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، وبالوراق ، وهو بالرماني أشهر - كما ذكر السيوطي في بغية الوعاة - كان إماماً في العربية علامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما تقوله نحن فليس معه منه شيء . وكان معتزلياً بصيراً بعلم الكلام . ولد سنة ٢٧٦ وتوفي في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٨٤

(٣) الضمير عائد على الكلام البليغ المفهوم من البيان

## ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن

القرآن حَبْلُ اللَّهِ الممدود ، وَعَهْدُهُ المعهود ، وظلُّهُ العيم ، وصِرَاطُهُ المستقيم ، وَخُجَّتُهُ الكبرى ، ومحجته الوُسْطَى ، وهو الواضح سبيلُهُ ، الراشدُ دليلُهُ ، الذى مَنِ استضاء بمصابيحه أَبْصَرَ ونَجَّى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عنه ضَلَّ وَهَوَى ؛ فضائل القرآن لَا تُسْتَقْصَى فى أَلْفِ قَرْنٍ ، حجة الله وَعَهْدُهُ ، ووَعِيدُهُ ووَعْدُهُ ، به يعلمُ الجاهلُ ، ويعملُ العاْمِلُ ، ويتنبَّه السامى ، ويتذكَّرُ اللاهى ، بِشِرِّ الثواب ، وَنَذِيرِ العقاب ، وشفاء الصدور ، وَجَلَاءَ الأمور ؛ من فضائله أَنَّهُ يُقْرَأُ دَائِمًا ، وَيُكْتَبُ ، وَيُمْلَى ، وَلَا يَمِلُ . ما أَهْوَنَ الدنيا على مَنْ جعل القرآن [ إمامه ، وتصور الموت أمامه ، طوبى لمن جعل القرآن ] مصباحَ قَلْبِهِ ، ومفتاحَ لُبِّهِ . من حق القرآن حِفْظُ ترتيبه ، وحسنُ ترتيله .

قال بعض الحكماء : الحكمة مَوْقِظَةٌ للقلوب من سِنَةِ <sup>(١)</sup> الغفلة ، وَمُنْقِذَةٌ للبصائر من سَكْرَةِ الخَيْرَةِ ، وَمُخَيِّمَةٌ لها من مَوْتِ الجهالة ، وَمُسْتَخْرِجَةٌ لها من ضيقِ الضلالة ؛ والعلمُ دواءٌ للقلوب العلية ، وَمِشْحَذٌ لِلأذهان الكليّة <sup>(٢)</sup> ، ونورٌ فى الظلمة ، وَأَنْسٌ فى الوحشة ، وصاحبٌ فى الوحده ، وَسِمِيرٌ فى الخلوة ، ووصلةٌ فى المجلس ، ومادةٌ للعقل ، وتَلْقِيحٌ للفهم ، ونافٍ للعنى المزرى بأهلِ الأَحْسَابِ ، المقصِّرِ بذوى الألباب ؛ أنطق الله سبحانه أهلَه بالبيان الذى جعله صفةً لكلامه فى تنزيله ، وأَيَّدَ به رُسُلَهُ إيضاحًا للمشكلات ، وفضلاً بين الشبهات ؛ شَرَّفَ به الوضع ، وأعزَّ به الدليل ، وسوَّدَ به المسود ، من تحلَّى بغيره فهو معطلٌ ، ومن تَعَطَّلَ منه فهو مغفلٌ ، لَا تُبْلِيهِ الأيام ، وَلَا تَحْتَرِمُهُ الدهور ، يتجددُ على الابتدال ، وَيَزْكَو على الإنفاق ؛ لله على مامنٍ به على عبادِهِ الحمدُ والشُّكْرُ .

(١) السنة - بكسر السين - أول النوم ، ومثله الوسن - بالتحريك (م)

(٢) الكليّة : وصف من الكلال ، وهو الإعياء ، وأراد غير الماضية فيما تبحث ،

شبهها بالسكين التى لا تنفذ فى ضريتها (م)

## [ أقوال في البلاغة ]

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة ، وعدك بك عن رأي عمرو بن النار ، وبصرك مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وعواقب غَيْبِكَ . قال السائل : ليس هذا أريد ، عبيد في البلاغة قال : من لم يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ لم يُحْسِنْ أَنْ يَسْتَمِعَ ، ومن لم يُحْسِنِ الاستماع لم يُحْسِنِ القول ، قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَكٌّ » أي قلةٌ كلام<sup>(١)</sup> ؛ وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فِتْنَةِ القول ومن سَقَطَاتِ الكلام ما لا يخافون من فِتْنَةِ السكوت ، وسَقَطَاتِ الصَّمْتِ ، قال : ليس هذا أريد ، قال عمرو : يا هذا ؛ فكأنك تريدُ تَحْيِيرَ اللفظ<sup>(٢)</sup> في حسن الإِفْهَام ، قال : نعم ، قال : إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة عن المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المرئيين ، بالآلفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة في الأذهان ، رغبةً في سُرْعَةِ إيجابتهم ، ونَقْيِ الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة - كنت قد أوتيت الحكمةَ وَفَضَلَ الخطابِ ، واستوجبت من الله جزيلَ الثواب ، فقيل لعبد الكريم بن روح الغفاري : مَنْ هَذَا الَّذِي صَبَرَ لَهُ عَمْرُو هَذَا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمري ، فقال : ومن يَجْتَرِيءُ عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم ؟

وعمر بن عبيد بن باب هو رئيسُ المعتزلة في وقته ، وهو أوَّلُ من تكلم على عمرو بن عبيد من أخبار المخلوق ، واعتزل مجلس الحسن البصري ، وهو أول المعتزلة .

(١) وفي الأصل «فينا تلسكأ» وهو تحريف

(٢) تحيير اللفظ : تحسينه ، قالوا : «وكان مهامل يحبر شعره» - وفي نسخة

«تخير» بمعنى الاختيار (م)

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور ، فقال : عِظْنِي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ اللهَ أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشترِ نفسك منه ببعضها ؛ يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا الأمرَ لو كان باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك ، ألمَ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ! قال : فبكى المنصور حتى بَلَ ثوبه . ثم قال : حاجتك يا أبا عثمان ! وكان المنصور لَمَّا دخل عليه طَرَحَ عليه طِيلَسَانًا ، فقال : يُرَفِّعُ هذا الطيلسان عني ! فرفع ، فقال أبو جعفر : لا تَدْعُ إِيَّانَا ! قال : نعم ، لا يَضُمُّنِي وإياك بلدٌ إلَّا دَخَلْتُ إِلَيْكَ ، ولا بَدَتْ لِي حاجة إلَّا سَأَلْتُكَ ، ولكن لا تُعْطِنِي حتى أسألك ، ولا تَدْعُنِي حتى آتِيكَ ، قال : إذا لَاتَيْنَا أَبَدًا ! وقد رَوَى مثل هذا لابن السماك مع الرشيد

وقوله «لو كان هذا الأمر باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك» كقول ابن الرومي :  
 لعمرُك ما الدنيا بدارِ إقامةٍ      إذا زال عن عَيْنِ البصيرِ غِطاؤها  
 وكيف بقاء الناس فيها وإنما      يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤها ؟  
 ووعظ شبيب بن شبة المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله لم يجعل فوقك أحداً ، فلا تَجْعَلْ فوق شكره شكراً .

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له : هذا ابنُ أخيك المهدي ، وليُّ عهد المسلمين ، فقال : سَمِيَّتُهُ اسماً لم يستحقَّ حمله ، ويفضى إليك الأمر وأنت عنه مشغول<sup>(١)</sup> .

وكان عمرو بن عبيد يقول : اللهم أَغْنِنِي بِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، ولا تُفْقِرْنِي بِالْاِسْتِغْنَاءِ عَنْكَ .

وقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛ أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ : قال : يا أمير المؤمنين ؛ أَظْهِرِ الْحَقَّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ .

وقال عمر الشمرى : كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم ، وإن تكلم لم يكذُ  
 (١) كذا في المطبوعات كلها ، ولعل أصل العبارة «يفضى إليه الأمر وأنت عنه مشغول» يريد بالأمر الذي يصل إليه الخلافة ، ولن تصل إليه إلا وقد مات أبوه (م)

يُطِيل ؛ وكان يقول : لا خيرَ في التكلُّم إذا كان كلامُه لمن يشهدهُ دونَ قائله ،  
وإذا طال الكلامُ عرَضَتْ للمتكلِّم أسبابُ التكلف ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتيك  
به التكلف<sup>(١)</sup> .

البلاغة عند  
أهل الهند

قال معمر بن الأشعث : قلت لبهامة الهندي أيام اجتلبَ يحيى بن خالدٍ أطباءَ  
الهند : ما البلاغةُ عند أهلِ الهند ؟ قال بهامة : عندما في ذلك صحيفةٌ مكتوبةٌ ،  
ولكنني لا أحسن ترجمتها ، ولم أعالج هذه الصناعةَ ، فأثِقَ من نفسي بالقيام  
بخصائصها ، ولطيف معانيها . قال ابنُ الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة  
فإذا فيها : أولُ البلاغة اجتماعُ آلةِ البلاغة ، وذلك أن يكونَ الخطيبَ رابطَ  
الجبَّاش<sup>(٢)</sup> ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللَّحْظِ ، متخيرَ اللفظ ، لا يكلمُ سيدَ الأئمة  
بكلام الأئمة ، ولا الملوك بكلام السُّوقَة ، ويكون في قُوَاهُ فَضْلُ التصرف في  
كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كلَّ التدقيق ، ولا يُنقِّحُ الألفاظ كلَّ التنقيح ،  
ولا يصفِّيها كل التصفية ، ولا يهذبها غايةَ التهذيب ، ولا ينعل ذلك حتى  
يصادفَ حكيمًا ، أو فيلسوفًا عليًا ، ومن قد تعودَ حَذَفَ فُضُولَ الكلام ،  
وإسقاطَ مشتركات الألفاظ ؛ وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ،  
لا على جهة التصفح والاعتراض<sup>(٣)</sup> ، ووجه النظرُف والاستطراف .

البلاغة عند  
ابن المقفع

قال إسحاق بن حسان بن قوهي : لم يفسر أحد البلاغة تفسيرَ عبد الله  
ابن المقفع إذ قال : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجرِي في وجوهٍ كثيرة ، فمنها ما يكونُ  
في الاستماع ، ومنها ما يكونُ في السكوت ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها  
ما يكونُ في الحديث ، ومنها ما يكونُ في الاحتجاج ، ومنها ما يكون شعراً ،

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبّيد سنة ١٤٤

(٢) الجبَّاش : الصدر ، ومثله الجبَّاشوش بضم الجيم

(٣) التصفح : تقليب الصفحات .

ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فغاية هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى ؛ والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب فيما بين السامعين<sup>(١)</sup> وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير خطب<sup>(٢)</sup> ، والإطالة في غير إملال ، ولكن ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته ( كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التّواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على مجزئه<sup>(٣)</sup> ) فإنه لاخير في كلام لا يدل على معنالك ، ولا يشير إلى مغزالك ، وإلى العمود الذي إليه قصّدت ، والغرض الذي إليه نزعت .

فقل له : فإن ملّ المستمع الإطالة التي ذكرت أنها أحقّ بذلك الموضع ؟ قال : إذا أعطيت كلّ مقام حقه ، وقت بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت من يعرف حقوق ذلك ، فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فإنهما لا يرضيان بشيء ؛ فأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا يُنال .

### [ الإطالة والإيجاز ]

وقد مدحوا الإطالة في مكانها ، كما مدحوا الإيجاز في مكانه . قال أبو داود [ ابن جرير ] في خطباء إباد :

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ ، وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظِ خِيفَةَ الرِّقَبَاءِ<sup>(٤)</sup>  
قال أبو وجزة السعدي يصف كلام رجل :

(١) بين السامعين : الصفيين . (٢) الخطل : السخف  
(٣) ما وضعناه بين قوس أثبتته المؤلف توضيحاً لكلام ابن المقفع  
(٤) المراد من وحى الملاحظ إشارة العيون .



يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ ، وَكَثِيرُهُ ثَبِتٌ ، إِذَا طَالَ النَّضَالُ ، مُصِيبٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ<sup>(٢)</sup> وَلَمْ يَسْمِ قَائِلَهُ ، وَهُوَ مَوْلِدٌ وَلَمْ يَنْقُصْهُ  
تَوَلِيدُهُ مِنْ حِظِّ الْقَدِيمِ شَيْئًا :

طَبِيبٌ بَدَأَ فَنُوبَ الْكَلَا مَ لَمْ يَعْنَى يَوْمًا وَلَمْ يَهْزُرْ  
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلطُّيَلِ عَلَى الْمُنَزَرِ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمَقِلِّ عَلَى الْمُكْرِ  
وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ خَطِيبًا :

فَإِذَا تَكَلَّمَ خِلَتَهُ مُتَكَلِّمًا بِجَمِيعِ عِدَّةِ السُّنَنِ الْخَطْبَاءِ  
فَكَأَنَّ آدَمَ كَانَ عَالِمَهُ الَّذِي قَدْ كَانَ عَالِمُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ  
وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَقُولُ : تَلْخِصِ الْمَعْنَى رَفِقًا ، وَالِاسْتَعَانَةَ بِالْغَرِيبِ عَجْزًا ،  
وَالْتَشَدُّقَ فِي الْإِعْرَابِ نَقْصًا ، وَالنَّظْرُ فِي عَيُونِ النَّاسِ عِيًّا ، وَمَسُّ اللَّحْيَةِ هُلَاكًا ،  
وَالْخُرُوجُ عَمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابًا .  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو رَجُلًا بِالْعِي :

مَلِيٌّ يَهْزُرُ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةِ عُثُنُونٍ وَفَتَلِ الْأَصَابِعِ<sup>(٤)</sup>  
وَوَصَفَ الْعَتَابِيَّ<sup>(٥)</sup> رَجُلًا بَلِيغًا فَقَالَ : كَانَ يُظْهِرُ مَا تَغْضُ مِنْ الْحِجَّةِ ،  
الْعَتَابِيَّ يَصِفُ  
الرَّجُلَ الْبَلِيغَ

(١) ثبت : مثبت (٢) كان المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه ، وكان فصيحاً  
بليغاً مغوها صاحب نوادر وظرف ، وكان جميلاً ، لاسياً في صباه ، ولما صنف المازني  
كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له :  
قم فأنت المبرد ، بكسر الراء ، أى المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء . ولد  
في سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ (٣) المنزر : المقل .

(٤) الهر : تابع النفس وانقطاعه من الإعياء . والعثنون : اللحية .  
(٥) العتابي : هو كلثوم بن عمرو . أصله من الشام من أرض قنسرين ، صحب  
البرامكة ، ثم صحب طاهر بن الحسين وعلى بن هشام القائدين ، وكان حسن الاعتذار =

وَيَصَوِّرُ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ ، وَيُفْهِمُكَ الْحَاجَةَ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ .  
 قِيلَ لَهُ : وَمَا الْاسْتِعَانَةُ ؟ قَالَ : يَقُولُ عِنْدَ مَقَاتِعِ كَلَامِهِ يَا هِنَا ، وَاسْتَمِعْ ، وَفَهِمْتَ !  
 وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَهَذَا مِنْ أَمَارَاتِ الْعَجْزِ ، وَدَلَائِلِ الْحَصْرِ ! وَإِنَّمَا يَنْقَطِعُ عَلَيْهِ  
 كَلَامُهُ فَيَحَاوِلُ وَضْلَهُ بِهَذَا ، فَيَكُونُ أَشَدَّ لَا نَقْطَاعَهُ .

عدة الخطابة  
 عند أبي داود

وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَقُولُ : رَأْسُ الْخُطَابَةِ الطَّبَعُ ، وَعَمُودُهَا الدُّرْبَةُ ، وَجَنَاحَاهَا  
 رِوَايَةُ الْكَلَامِ ، وَحَلْيُهَا الْإِعْرَابُ ، وَبَهَاوُهَا تَحْيِيرُ اللَّفْظِ ؛ وَالْحَبْصَةُ مَقْرُونَةُ  
 بِقَلَةِ الْاسْتِكْرَاهِ .

منزلة اللفظ  
 من المعنى عند  
 الجاحظ

وَقَالَ أَبُو عِثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَا حِظْ : قَالَ بَعْضُ جِهَابِذَةِ الْأَلْفَاظِ ، وَنَقَادِ  
 الْمَعَانِي : الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، الْمُخْتَلِجَةُ فِي نَفْسِهِمْ ، وَالْمَتَّصِرَةُ فِي أَذْهَانِهِمْ  
 الْمُتَّصِلَةُ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَالْحَادِثَةُ عَنْ فِكْرِهِمْ ، مُسْتَوْرَةٌ خَفِيَّةٌ ، وَبَعِيدَةٌ وَحْشِيَّةٌ ،  
 وَمُحْجُوبَةٌ مَكْنُونَةٌ ، وَمَوْجُودَةٌ فِي مَعْنَى مَعْدُومَةٍ ، لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ ضَمِيرَ صَاحِبِهِ ،  
 وَلَا حَاجَةَ أَخِيهِ وَخَلِيطِهِ ، وَلَا مَعْنَى شَرِيكِهِ وَالْمُعَاوَنَ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَعَلَى  
 مَا لَا يَبْلُغُهُ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ إِلَّا بَغْيَرِهِ ، وَإِنَّمَا يَحْيِي تِلْكَ الْمَعَانِي ذِكْرُهُمْ لَهَا ، وَإِخْبَارُهُمْ  
 عَنْهَا ، وَاسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا .

وَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ الَّتِي تَقْرُبُهَا مِنَ الْفَهْمِ ، وَتَجَلِّيْهَا لِلْعَقْلِ ، وَتَجْعَلُ الْخَفِيَ مِنْهَا  
 ظَاهِرًا ، وَالْغَائِبَ شَاهِدًا ، وَالْبَعِيدَ قَرِيبًا . وَهِيَ الَّتِي تَلْخُصُّ الْمُلْتَبَسَ ، وَتَحُلُّ الْمُنْعَقِدَ ،  
 وَتَجْعَلُ الْمُهْمِلَ مَقْيَّدًا ، وَالْمَقْيَدَ مُطْلَقًا ، وَالْمُجْهُولَ مَعْرُوفًا ، وَالْوَحْشِيَّ مَأْلُوفًا ،  
 [وَالْغَفْلَ مُوسُومًا<sup>(١)</sup> ، وَالْمُوسُومَ مَعْلُومًا] ؛ وَعَلَى قَدَرِ وَضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَصَوَابِ

== فِي رِسَائِلِهِ وَشِعْرِهِ ، يَشْبَهُ فِي الْمَحْدِثِينَ بِالنَّابِغَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي  
 جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَقَدْ كَانَ بَلَغَ الرِّشِيدَ عَنْهُ مَا أَهْدَرَ بِهِ دَمَهُ نَفْلَاصَهُ جَعْفَرُ :

مَا زِلْتُ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ مَطْرَحًا يَضِيقُ عَنِّي فَيْسِحَ الرَّأْيِ مِنْ حَيْلِ  
 فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْعَى بِلُطْفِكَ لِي - حَتَّى اخْتَلَسْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيِ أَجَلِ

وَكَانَتْ وَقَاةُ الْعَتَابِي سَنَةَ ٢٢٠

(١) الْغَفْلُ : الَّذِي لَا عِلَامَةَ لَهُ ، وَالْمُوسُومُ : ذُو الْعِلَامَةِ ، مِنَ الْوَسْمِ (م)

الإشارة ، وحُسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهورُ المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أًبين وأنور ، كانت أنفع وأنجع في البيان . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحثُّ عليه ؛ بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .

والبيان : اسمٌ لكل شئٍ كُشفَ لك عن قناع المعنى ، وهتَكَ لك الخُجُبَ دون الضمير ، حتى يُفِضِيَ السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصولة ، كأنَّ ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائلُ والسامعُ إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأى شئٍ بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

ثم اعلمْ - حَفِظَكَ اللهُ ! - أَنَّ حُكْمَ المعانى خلافُ حُكْمِ الألفاظ ؛ لِأَنَّ المعانى مبسوطَةٌ إلى غير غاية ، وأسماء المعانى محصورة معدودة ، ومحصَّلة محدودة . وجميعُ أصنافِ الدلالات على المعانى من لفظٍ أو غيره خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللَّفْظ ، ثم الإشارة ، ثم المُقد ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نُصبَةً . والنُصبَةُ هى الحالُ الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تَقْصُرُ عن تلك الدلالات .

ولكل واحدةٍ من هذه الدلائل الخمسة صورةٌ بائنة<sup>(١)</sup> من صورةٍ صاحبها ، وحِلْيَةٌ مخالفةٌ لِحِلْيَةِ أُختها ؛ وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، وعن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها فى السارِّ والظار ، وعما يكون منها لقواً بهزجاً<sup>(٢)</sup> ، وساقطاً مُطرَحاً .

(١) صورة بائنة : متميزة يظهر فرق ما بينها وبين صاحبها (م)

(٢) بهرج : ردى .

وفي نحو قول أبي عثمان « إنَّ المعاني غير مقصورة ولا محصورة » يقول  
 أبو تمام الطائي لأبي دُلَفَ القاسم بن عيسى العجليّ :  
 ولو كان يَفْنَى الشعرُ أَفْنَتَهُ مَا قَرَّتْ حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ <sup>(١)</sup>  
 ولكنه فَيَضُ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَابُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ  
 كما أشار إلى قول أوس بن حَجَر الاسدي :  
 أقول بما صَبَّتْ على غمامتي وجهدي في حبل العشيّة أحطِبُ <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وقال بعضُ البلغاء : في اللسان عشرُ خصالٍ <sup>(٣)</sup> محمودة ، أداءةٌ يظهر بها البيان ،  
 وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل الخطاب ، وواعظٌ ينهى عن القبيح ،  
 وناطقٌ يردُّ الجواب ، وشافعٌ تُدْرِكُ به الحاجة ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ،  
 ومُعْرِبٌ يُشْكِرُ به الإحسان ، ومُعَزِّزٌ تذهب به الأُخْزَانُ ، وحامِدٌ يذهبُ الضغينةُ  
 ومونقٌ يلهمي الأسماع .

وقال أبو العباس بن المعتز : لحظةُ القلب أسرعُ خطرةً من لحظةِ العين ، وأبعدُ  
 كجلاً ، وهي الفائضة في أعماق أودِيَةِ الفكر ، والمتأملّة لوجود العواقب ، والجامعةُ  
 بين ما غاب وحَضَرَ ، والميزانُ الشاهدُ على ما نفعَ وضَرَّ ، والقلبُ كالمُغْلَى للكلامِ  
 على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبت ، والعاقِلُ يكسو المعاني وَشَى الكلام في  
 قلبه ، ثم يُبْدِيهَا بِالْفَافِظِ كَوَاسٍ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ ، والجاهلُ يُسْتَعَجِلُ بِإِظْهَارِ الْمَعَانِي  
 قبل العناية بتزيين معَارِضِهَا ، واستكمال محاسنها .

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط  
 بمعناك ، وَيَكْشِفُ عَنْ مَعْرَاكَ ، ويخرجه من الشركة ، ولا يُسْتَعَانُ عَلَيْهِ  
 البيان  
 عند جعفر بن  
 يحيى البرمكي

(١) قرت : أخذت (٢) يحطب في حبل العشيّة : أي يستعين بها كما يستعين  
 الحاطب بالحبل . (٣) إذا عددت مذكوره وجدته إحدى عشرة خصلة (م)

بالفكر ، ويكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل .

وذكر سهل بن هارون <sup>(١)</sup> - وقيل ثمامة بن أشرس - جعفر بن يحيى فقال : قد  
 جَمَعَ في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل <sup>(٢)</sup> والجزالة والحلاوة ، وكان يُفهم إِنْهاما  
 يُغْنِيهِ عن الإعادة للكلام . ولو كان يَسْتَغْنِي مستغن عن الإشارة بمنطقه لاستغنى  
 عنها جعفر . كما استغنى عن الإعادة فإنه لا يَتَحَبَّسُ <sup>(٣)</sup> ولا يتوقَّف في منطقهِ  
 ولا يتلَجَّجُ ، ولا يتسَعَّل ، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بُعد ، ولا يتلمس  
 معنى قد عصاه بعد طلبه له .

\*\*\*

وقيل لبشار بن بُرْد : بِمَ فَقَتَ أَهْلَ عَمْرٍ ، وسبقت أَهْلَ عَصْرِكَ ، في  
 حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنني لم أقبل كلَّ ما تُورِدُهُ عَلَيَّ  
 قريحتي ، ويُنَاجيني به طَبْعِي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مغارس الفطن ،  
 ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسيرتُ إليها بفهمٍ جيد ، وغريزة قوية ،  
 فأحكمت سَبْرَهَا ، وانتقيت خُرْها ، وكشفتُ عن حقائقها ، واحترزتُ من متكلفها  
 ولا والله ما ملك قيادي قَطُّ الإعجابُ بشيء مما آتاني به .

وكان بشار بن برد خطيباً ، شاعراً ، راجزاً ، سَجَّاعاً ، صاحب منشور ومزدوج ،  
 ويلقب بالمرعث لقوله :

(١) كان سهل بن هرون من الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل  
 الطوال والقصار . وقعت آراؤه في الأدب وتدير الملك مفرقة في الكتب ، ولم يصل  
 إلينا من مؤلفاته الكثيرة شيء يستحق الذكر . وقد أطلعني المسيو مارسيه في باريس  
 على مذكرات مهمة قيد فيها ما عثر عليه من آثار ذلك الكاتب البليغ . وكانت وفاة سهل  
 ابن هرون في سنة ١٧٣ (٢) الهد: السرعة (٣) في الأصل (يتحسن) وهو تحريف

مَنْ لَطَّيْ مُرْعَثٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ<sup>(١)</sup>  
 قَالَ لِي لَنْ تَنَالَنِي قَلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره ، وسأستقبل ذلك إن شاء الله .

### [ وصية أبي تمام للبحترى ]

وقال الوليد بن عبيد البحتري : كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أُرُومُ الشَّعْرَ ، وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفْ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذِهِ ، وَوَجْوهِ اقْتِضَابِهِ ، حَتَّى قَصَدْتُ أَبَاتَامَ ، وَانْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَاتَّسَكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عُبَادَةَ ؛ تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ ، صَفْرُ مِنَ الْغُمُومِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْيِيبَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا ، وَالْمَعْنَى رَقِيقًا ، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ ، وَتَوَجَّعِ الْكَآبَةِ ، وَقَلِّقِ الْأَشْوَاقَ ، وَلَوَاعَةَ الْفِرَاقِ ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدٍ ذِي أَيْدٍ فَأَشْهِرْ مَنَاقِبَهُ ، وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ ، وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ ، وَشَرَفِ مَقَامَهُ ، وَنَضَّدِ الْمَعَانِي<sup>(٢)</sup> ، وَاحْذَرِ الْجَهْلُولَ مِنْهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شَعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ ، وَلِتَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَمْلِكُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ . وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجَرُ فَأَرِحْ نَفْسَكَ ، وَلَا تَعْمَلْ شَعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ ، وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِيعَةَ<sup>(٣)</sup> إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ

(١) مرعث : يلبس الرعثة - بالضم - وهي القرط .

(٢) نضد : من التنضيد ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض .

(٣) الذريعة : الوسيلة .

نعم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء قاصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله .

قال : فأعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقالوا : البليغ مَنْ يَحْكُمُ الكلامَ على حسب الأمانى ، ويخطط الألفاظ على وصف البلوغ قدود المعانى .

ولذكر الطائى الليل ذكر بعض أهل العصر - وهو أبو على محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمى<sup>(٢)</sup> - الليل فقال: فيه تَجَمُّ الأذهان<sup>(٣)</sup>، وتنقطع الأشغال، ويصح النظر، وتولَّف الحكمة، وتدرّ الخواطر، ويتسع مجال القلب، والليل أضواءً في مذاهب الفكر، وأخفى لعمل البر، وأعون على صدقة السر، وأصح لتلاوة الذكر، ومُدَبِّرُو الأمور يختارون الليل على النهار، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير، فى دَفْعِ المَلَمِّ، وإمضاء المهَمِّ، وإنشاء الكتب، وتصحيح المعانى، وتقويم البانى، وإظهار الحُجَج، وإيضاح المَنَهِج، وإصابة نَظْمِ الكلام، وتقريبه من الأفهام .

وقال بعض رؤساء الكتّاب : ليس الكتّابُ فى كل وقتٍ على غير

(١) ارجع إلى نقد هذه الوصية فى كتاب ( الموازنة بين الشعراء ) .

(٢) كان الحاتمى حسن التصرف فى الشعر ، يجمع بين البلاغة فى النثر والبراعة فى النظم ، وكان من خصوم المتنبي ، وله فى شعره عدة أبحاث . ومن جيد شعره قوله فى وصف الثريا :

وليل أقنأ فيه نعمل كأسنا      إلى أن بدا للصبح فى الليل عسكر  
ونجم السّريا فى السماء كأنه      على حلة زرقاء جيب مدر  
مات فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨      (٣) تجم : تستريح .

نسخة لم تحرّر بصواب ؛ لأنه ليس أحدٌ أولى بالآناة وبالروية من كاتب يعرض عقله ، وينشر بلاغته ؛ فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها ، ويقبل عفوَ القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له ، عارفون بكتابه ، منتقدون عليه ، متفرغون إليه .

فضل الروية  
والآناة

وقال آخر : إنَّ لا ابتداء الكلام فتنة تروق ، وجدة تعجب ، فإذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن فرحه بإحسانه ، مساوياً لغمه بإساءته ؛ فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي : نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك ، فقال : دَعُوا الرَّأْيَ حَتَّى يَبْلُغَ أَثَانَتَهُ ، فإنه لا خيرَ في الرَّأْيِ الفطير ، والكلام القضيبي <sup>(١)</sup> .

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك في كذا وكذا ؟ فقال : أريد أن أصقلَ عقلي بنومة القائلة <sup>(٢)</sup> ، ثم أروح فأقول بعدما عندي قال الشاعر :

إِن الْحَدِيثَ تَغَرُّ الْقَوْمَ جَلَوْتُهُ      حَتَّى يَغْيِرَهُ بِالْوَزَنِ مَضْمَارُ <sup>(٣)</sup>  
فَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْتَكْفِي بِلَاغَتُهُ      أَوْ يَسْتَمِرُّ بِهِ عَيٌّْ وَإِكْثَارُ  
وَقَالُوا : كُلُّ مُجْرٍ بِالْخَلَاءِ يُسَرُّ <sup>(٤)</sup> ، وقال أبو الطيب المتنبي :  
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ      طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّه وَالنِّزَالَ

\*\*\*

وكان قلم بن المقفع يقف كثيراً ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدهم في صدري ، فيقف قلبي لمتخير .

تخير ابن المقفع  
ما رد عليه  
من الكلام

(١) الرأى الفطير : الذى لم ينضج ، والكلام القضيبي : المرتجل (٢) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذى يجرى فرسه بالخلاء يسر بظفره حيث لا مناضل ، وهو مثل فى التهكم .



وقالوا: الكتابُ يُتصفحُ أكثر مما يتصفحُ الخطابُ؛ لأنَّ الكاتبَ متخيرٌ،  
والخطابَ مضطرٌّ، ومن يَرُدُّ عليه كتابك فليس يعلمُ أَسْرَعَتْ فيه أم أبطأتُ؛  
وإنما ينظرُ أخطأتُ أم أصبتُ؛ فإبطاؤك غيرُ قادحٍ في إصابتك، كما إن إسرَاعَكَ  
غيرُ مُعْطٍ على غَلَطِكَ.

ووصف بعضُ الكتابِ النسخَ فقال: ينبغي أن يصحَّبه الفكرُ إلى استقْرارِها،  
ثم تُستبرأ بإعادة النظر فيها بعد اختيارها<sup>(١)</sup>، ويوسَّع بين سُطُورِها، ثم تحرر على  
ثقةٍ بصحتها، وتُتأمل بعد التحرير حَرْفًا حَرْفًا إلى آخرها.

فقد كتب المأمونُ مُصْحَفًا اجتمع عليه؛ فكان أوله: بسم الله الرحيم، فأغفلوا  
الرحمن؛ لأنَّ العينَ لا تعتبرُ ذلك؛ ثقة أنه لا يُفْلَطُ فيه، حتى فُطِنَ المأمون له.  
وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن بن وهب: حرَّرتُ هذه النسخة وبكَّرُ  
بها، فتصبَّح الحسن<sup>(٢)</sup> فقال له: لم تصبَّحت؟ قال: حتى تصفحت!  
وقال أحمد بن إسماعيل بطاحه: كان بعض العلماء الأغبياء ينظر في نسخته  
بعد نفوذ كُتبه، فقال بعض الكتاب:

مُسْتَلَبُ اللَّبِّ غَوِيُّ الشَّبَابِ      عَذْبُهُ الْهَجْرُ أَشَدُّ الْعَذَابِ  
يُؤْمَلُ الصَّبْرُ وَأَتَى لَهُ      بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَابُ  
كَنَاظِرٍ فِي نَسْخَةٍ يَبْتَغَى      إِصْلَاحَهَا بَعْدَ نَفْوذِ الْكِتَابِ

### أوصاف بليغة في البلاغات

#### على السنة أفوام من أهل الصناعات

قال بعضُ من ولَّد عقائل هذا المنشور، وألَّف فواصل هذه الشذور: تجمَّع

(١) تستبرأ: تجفف - كذا وليس بمقصود، ولكن المراد معاودة النظر فيها ليتعرف  
كاتبها ما فرط منه إن كان فيتداركه (م) (٢) تصبح: تأخر عن الحضور صباحاً.

قوم من أهل الصناعات ، فوصفوا بلاغاتهم ، من طريق صناعاتهم <sup>(١)</sup> :  
 فقال الجوهري : أحسنُ الكلامِ نظاماً ما ثبته يدُ الفكرة ، ونظمته الفطنة ،  
 ووُصِلَ جوهرُ معانيه في سُمُوط <sup>(٢)</sup> ألفاظه ، فاحتملتُه نحوُ الرواة .

وقال العطار : أطيبُ الكلامِ ما عُجِنَ عَنْبَرُ ألفاظه بِمِسْكِ معانيه ، ففاح  
 نَسِيمُ نَشْقِهِ ، وسطعت رائحة عَبَقِهِ ، فتعلقت به الرُّوَاة ، وتعتطرت به السَّراة .

وقال الصائغ : خيرُ الكلامِ ما أحميته بِكِبَرِ الفكرِ <sup>(٣)</sup> ، وسبكتُه بِمَشَاغِلِ  
 النَّظَرِ ، وخلصته من خَبَثِ الإطناب ، فبرز بروزُ الإبريزِ <sup>(٤)</sup> ، في معنى وَحيز .  
 وقال الصيرفي <sup>(٥)</sup> : خيرُ الكلامِ ما نَقَدَتْهُ يدُ البصيرة ، وجَلَّتْهُ عَيْنُ الرواية ،  
 ووزنته بِمَعْيَارِ الفصاحة ، فلا نظَرَ زَيْفُهُ <sup>(٦)</sup> ، ولا سَمَعَ يُبْهَرِجُهُ <sup>(٧)</sup>

وقال الحداد : أحسن الكلام ما نصبت عليه مِنْفَخَةِ القريحة ، وأشعلت عليه  
 نارَ البصيرة ، ثم أخرجته من فحم <sup>(٨)</sup> الإلخام ، ورققته بِفَطْيَسِ الإفهام <sup>(٩)</sup> .  
 وقال النجار : خيرُ الكلام ما أَحْكَمْتَ نَجْرَ معناه بِقُدُومِ التقدير ، ونَشَرْتَهُ  
 بِمَنْشَارِ التدبير ، فصار باباً لِيَتِ البیان ، وعارِضَةً لِسَقْفِ اللسان .

وقال النجاد : أحسنُ الكلام ما لَطَفْتَ رَفَافِ ألفاظه <sup>(١٠)</sup> ، وحسنتَ مَطَارِحَ

(١) هذا نوع من فن المقامات الذي ذاع في القرن الرابع بفضل أبي بكر بن دريد  
 وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث إلى اللغة الفرنسية في كتابي .

La prose arabe au IV<sup>e</sup> siècle de l'hegire

(٢) السُمُوط : جمع سُمُوط - بالكسر - وهو خيط النظم

(٣) الكير بالكسر : هو منفخة الحداد (٤) الإبريز : هو الذهب الخالص

(٥) الصيرفي : صراف الدراهم ، والجمع صيارفة ، وجاء في الشعر صياريف

(٦) زاف الدراهم وزيفها : حكم برداءتها (٧) يبهرجه : يحكم بأنه بهرج ،

والبهرج : الباطل والردى (٨) الإلخام : العجز عن البیان ، ومنة : ساعر

مفحم ، على صيغة المفعول (٩) الفطيس : المطرقة

(١٠) الرفارف : الأطراف ، مفرد هارفرف - وهي ثياب خضر تبسط (م)

معانيه، فتزهت في زرابي محاسنه عيون الناظرين<sup>(١)</sup>، وأصاحت لمارق<sup>(٢)</sup> بهجته  
أذان السامعين .

وقال الماتح : أبين الكلام ما علقت وذم ألفاظه بكرة معانيه<sup>(٣)</sup> ، ثم  
أرسلته في قلب الفطن<sup>(٤)</sup> فتحت به سقاء يكشف الشهات ، واستنبطت به  
معنى يروى من ظما المشكلات .

وقال الخياط : البلاغة قميص ؛ فجر بأنه البيان<sup>(٥)</sup> ، وجيبه المعرفة ، وكماه  
الوجازة ، ودخايريه الإفهام<sup>(٦)</sup> ، ودروزه الحلاوة<sup>(٧)</sup> ، ولا بس جسد اللفظ ،  
وروحه المعنى .

وقال الصباغ : أحسن الكلام ما لم تنض بهجة إيجازه<sup>(٨)</sup> ، ولم تكشف  
صبغة إعجازه ، قد صقلته يد الروية من كدود الإشكال ، فراع كواعب  
الآداب ، وألف عذارى الألباب .

وقال الحايك : أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى معانيه<sup>(٩)</sup>  
فخرج موفوفاً مثيراً ، وموشى محبباً .

وقال البزاز<sup>(١٠)</sup> : أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه ، وحسن نشر معانيه  
فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستهم عليك طى .

وقال الرائض : خير الكلام ما لم يخرج عن حد التخليع<sup>(١١)</sup> ، إلى منزلة

(١) الزرابى : واجدها زربى - بالكسر ويضم - وهو كل ما بسط واتكى عليه

(٢) المارق : واحدتها المارقة - بالتثنية - وهى الوسادة الصغيرة

(٣) الوزم : الدلو (٤) القلب : البئر

(٥) الجربان : الطوق (٦) الدخايرىص : فتحات الأزرار

(٧) الدروز : الأطراف الرقاق (٨) لم تنض : لم تمح

(٩) اللحمة والسدى : ما سدى ويلحم به الثوب (١٠) البزاز : بائع البز . بالفتح ،

وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب (١١) التخليع : هز المنسكين فى المنى (م)

التَّقْرِيبُ <sup>(١)</sup> إلا بعد الرياضة ، وكان كالمُهْر الذي أطمع أولُ رياضته في تمام ثقافته .  
وقال الجمال : البليغُ من أخذَ بخِطامِ كلامه ، فأناخه في مَبْرَكِ المعنى ، ثم  
جعل الاختصار له عِقْلاً ، والإيجاز له مَجَالاً ، فلم يَنْدَ عن الآذان ، ولم يشد  
عن الأذهان .

وقال الخنث : خيرُ الكلام ما تَكَثَّرَتْ أطرافُه ، وتَنَتَّ أعطافُه ، وكان  
لفظه حُلَّةً ، ومعناه حِلِيَّةً .

وقال الخمار : أبلغُ الكلام ما طَبَخَتْهُ مَرَاجِلُ العلم ، وصَفَّاه رَاوُوقُ الفهم ،  
وَضَمَّتْهُ دِنَانُ الحكمة ، فتمشَّت في المفاصل عُدُوبَتُهُ ، وفي الأفكار رِقَّتُهُ ، وفي  
العقرب حِدَّتُهُ .

وقال الفقاعي : خيرُ الكلام ما رَوَّحَتْ ألفاظُه غَبَاوَةَ الشكِّ ، ورفعت  
رِقَّتَهُ فظاظَةَ الجهل ، فطاب حِسَاءُ فطنته ، وعدُّب مَعَى جُرْعِهِ .

وقال الطيب : خيرُ الكلام ما إذا باشر [دواء] بيانه سَقَمَ الشبهة استطلقت  
طبيعة الغباوة ؛ فشَفِي من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم .

وقال الكحال : كما أن الرمدَ قَذَى الأبصارِ ، فكذا الشبهة قَذَى البصائرِ ،  
فاكْحَلْ عَيْنَ اللكنة بِمِيلِ البلاغة ، واجْلُ رَمَصَ الغفلة <sup>(٢)</sup> بِمِرْوَدِ اليقظة .

ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغُ الكلام ما إذا أشرقت شمسُه ، انكشف  
لَبْسُه ، وإذا صدقت أنوؤه <sup>(٣)</sup> اخضرت أحماؤه <sup>(٤)</sup> .

### فَقَرُّ في وصف البلاغة لغير واحد

قال أعرابي : البلاغةُ التقرب من البعيد ، والتباعد من الكُلْفَةِ ، والدلالة  
بقليل على كثير .

(١) التقريب : ضرب من العدو ، أو هو أن يرفع الجواد يديه معا ويضعهما معا

(٢) الرمص : وسخ أبيض يجتمع في موق العين

(٣) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والمراد به هنا المطر

(٤) الأحماء : جمع حمى ، وهو المكان يحميه الرجل ويمنعه

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغةُ تقريرُ المعنى في الأفهام ، من أقرب وجود الكلام .

ابن المعتز : البلاغةُ البلوغُ إلى المعنى ولم يطل سَفَرُ الكلام .

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، ورَوْضُ القلوب ، وقال : العقل رائدُ الروح ، والعلم رائدُ العقل ، والبيان ترجمان العلم .

إبراهيم بن الإمام : يكفي من البلاغة ألا يُؤتَى السامعُ من سوء إفهام الناطق ، ولا يُؤتَى الناطقُ من سوء فهم السامع .

العتّابي : البلاغةُ مدُّ الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحُسن التأليف إذا طال .

أعرابي : البلاغةُ إيجاز في غير عَجْز ، وإطناب في غير حَطل .

[ وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وَحْشِيَّ الكلام : إياك وتتبع الوحشى طمعاً في نَيْلِ البلاغة ؛ فإن ذلك العيُّ الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى .

وقال الصولي : وصف يحيى بن خالد رجلاً فقال : أخذ بزمام الكلام ، فقاده أسهل مقاد ، وساقه أجل مساق ؛ فاسترجع به القلوب النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله ، فقال : والله إنه لفصيح إذا نطق ، نصيح إذا وعظ .

قال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حَوَاشِي الكلام ، عَذْبَ ينابيع اللسان ؛ إذا حاور سدّد سهمَ الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلم الخاصة بكلام العامة ، ولا العامة بكلام الخاصة .

وقال أبو العباس المبرد : قال الحسن بن سهل لسالم الحراري : ما المنزلة التي إذا نزل بها الكاتب كان كاتباً في قوله وفعله واستحقاقه ؟ قال : أن يكون مطبوعاً على المعرفة ، مُحْتَنِكاً بالتجربة ، عارفاً بحلال الكتاب وحرامه ، وبالدهور في تصرفها

وأحكامها ، وبالملوك في سَيْرِها وأيامها ، وأجاس الخط ، وبادية الأقلام ، مع تشاكل اللفظ وقرب المأخذ . قال الحسن : فليس في الدنيا إذاً كاتب [ .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقال علي بن عيسى الرُّمَّاني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ .

ومن كلام أهل العصر ، في صفة البلاغة والبلاء

[قال علي بن عيسى الرماني] : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازده ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه .

أبلغ الكلام ما يؤنس مُسمِّعَه ، ويؤنس مضيقَه .

البليغ من يحتجى من الألفاظ أنوارها <sup>(١)</sup> ، ومن المعاني ثمارها .

ليست البلاغة أن يُطال عَنانُ القلم أو سِنانه ، أو يُبسَّط رِهان القول ومِيدانه ، بل هي أن يبلغ أمد المراد بألفاظ أعْيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيِّد على الحاجة ، ولا إخلال يُفِضِي إلى الفاقة .

البلاغة ميدان لا يُقْطَع إلا بسوابق الأذهان ، ولا يُسَلَّك إلا ببصائر البيان . فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بالبين زمام ، حتى كأنَّ الألفاظ تتَحَاسَدُ في التسابق إلى خواطره ، والمعاني تتغايَرُ في الانثيال على أنامله .

هذا كقول أبي تمام الطائي :

تَغَايَرَ الشعرُ فيه إذ سَهَرَتْ لَهُ حتى ظننتُ قوافيه ستَقْتَتِلُ

(١) الأنوار : جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر ، أو الأيض منه (م)

فلان مشرفى المشرق ، وصَيْرَفَى المنطق . البيانُ أَصغر صفاته ، والبلاغةُ عَفْوُ خطراته . كأنما أوحى بالتوفيق إلى صَدْره ، وحسن الصواب بين طَبْعِهِ وفكره .

فلان يَحْزَنُ مَفَاصِلَ الكلام ، ويسبق فيها إلى دَرَكِ المرام ، كأنما جمع الكلام حَوْلَهُ حتى انتقى منه وانتخَبَ ، وتناول منه ما طَابَ ، وترك بعد ذلك أَذْنَابًا لارءوسًا ، وأجسادًا لا نفوسًا .

فلان يَرْضَى بِعَفْوِ الطَّبْعِ ، ويقنع بما خَفَّ على السمع ، ويُوْجِزُ فلا يُخِلُّ ؛ وَيُطْنِبُ فلا يُيْمِلُ ، لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ، ويجذبها أنى شاء ، فلا تعصيه بين الصَّعب والدَّلول ، ولا تسامه عند الحَزْونة والسهول ، كلامه يشتد مرة حتى تقول الصَّخْرُ الأملس ، ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس ، يقول فيصُول ، ويُجِيب فيصِيب ، وَيَكْتُبُ فيصُبُّ المَفْصِلُ ، أو يُنَسِّقُ الدَّرَّ المَفَصَّلَ ، ويردُّ مِشَارِعَ الكلام وهي صَافِيَةٌ لم تُطَرِّقْ ، وجامَّةٌ لم تُرَنَّقْ<sup>(١)</sup> ، خاطِرُهُ البرقُ أو أسرع لها ، والسَّيْفُ أو أَحَدُ قِطْعَا ، والماءُ أو أسلس جَرِيًا ، والفلَكُ أو أقوم هَدْيًا ؛ هو من يسهلُ الكلام على لفظه ، وتزاحمُ المعاني على طَبْعِهِ ، فيتناول المَرْمَى البعيدَ بقريب سَعْيِهِ ، ويستنبِطُ المَشْرَعَ العميقَ بيسير جَرِيهِ ، لسانه يَفْلِقُ الصُّخُورَ ، ويغِيضُ البحورَ ، وَيُسْمِعُ الصَّمَمَ ، ويستنزل العُصْمَ<sup>(٢)</sup> ، خطيبٌ لا تناله حُبْسَةٌ ، ولا ترهنه لُكْنَةٌ ، ولا تتمشى في خطابه رنة ، ولا تتحيف بيانه عُجْمَةٌ ، ولا تعترض لسانه عُقْدَةٌ .

فلان رقيق الأسئلة ، عذب العذبة<sup>(٣)</sup> لوُضِعَ لسانه على الشعر حَلَقَه ، أو

(١) جامئة لم ترنق : ساكنة لم تعكر (٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل يعتمص بالجبال (٣) المراد من الأسئلة والعذبة طرف اللسان

على الصَّخْرَ فَلَقَهُ ، أو على [ الجرأ حرقه ، أو على ] الصَّفَا حرقه <sup>(١)</sup> ؛ قد أحسن  
السَّفارة ، واستوفى العبارة ، وأدَّى الألفاظ ، واستغرق الأغراض ، وأصاب  
شواكلَ المراد <sup>(٢)</sup> ، وطَبَّقَ مَقَاصِلَ السَّدَاد ، وبسط لسانَ الخطاب ، ومدَّ أظناب  
الإظناب <sup>(٣)</sup> ، وطلب الأمدَ في الإسهاب ، قالَ حتى قال الكلامُ : لو أُعفيت !  
وكتبَ حتى قالت الأقالِمُ : قد أُحفيت ، قد اتَّسعَ له مَشْرَعُ الإظناب ، وانفرجَ له  
مَسَلَكُ الإسهاب ، أرسلَ لسانَه في مِيدَانِه ، وأرخى له من عنانه ، قالَ وأطال ،  
وجالَ في بَسْطِ الكلامِ كلَّ بَجال ، إذا اسْحَنَفَر في الكلامِ طَفَحَ آذِيَه ، وسالَ  
أُتْيَه <sup>(٤)</sup> ، واثالَ عليه الكلامَ كاثِيالَ الغمام ، واستجابَ له الخِطاب كصَوْبِ  
الرَّباب <sup>(٥)</sup> . ألفاظٌ كغمزات الألفاظ ، ومعانٍ كأنها فكُّ عَانٍ <sup>(٦)</sup> ! ألفاظ  
كما نوَّرت الأشجار ، ومعانٍ كما تنفَّست الأسحار . ألفاظٌ قد استعارت حلاوة  
العِتابِ بين الاحباب ، واستلَّنتْ كَتَشَكَّى مَشَاقِ يومِ الفراق . كلامٌ قريب  
شَاسِعٍ <sup>(٧)</sup> ومُطْمَعٍ مانِعٍ ، كالشمسِ تَقُربُ ضياءً ، وتبغِدُ علاءً ؛ أو كالماءِ  
يَرَخُصُ موجوداً ، ويغلو مفقوداً . كلامٌ لا تَمَجُّهُ الآذان ، ولا تُبْلِيهِ الأزمان ،  
كالْبُشْرَى مسموعة ، أو أزهير الرياضِ مجموعة ، ومعانٍ كأنفاسَ الرياحِ ،  
تَعْبِقُ بِالرَّيْحَانِ والراح .

كلامٌ سهلٌ متسلسل ، كالمدام بماء الغمام ، يقربُ إذنه على الأفهام .  
كلامٌ كَبَرْدُ الشَّرَابِ على الأكبادِ الحِرَارِ ، وبُرْدُ الشَّبَابِ في خلعِ العِذار .  
كلامٌ كثيرُ العَيُونِ ، سَلِسُ المَتُونِ ، رقيقُ الحواشي ، سهلُ النواحي .

(١) الصفا : الصخر (٢) الشواكل : جمع شاكلة ، وهى ما بين الأذن والصدغ

(٣) الأظناب : الجبال ، واحدها ظنب بضمين ، نظير عنق وأعناق (م)

(٤) الآذَى : الموج ، والآئى : السيل ، واسحنفر : اتسع - وأصل معناه مضى

مسرعاً (م) (٥) الرباب : السحاب . (٦) عان : أسير . (٧) شاسع : بعيد



كلامٌ هو السَّحَرُ الحلالُ ، والماء الزُّلال ، والبُرود والحَبَر ، والأمثال والعِبَر ،  
والنعيم الحاضر ، والشباب النَّاصِر .

نظرت منه إلى صورة الظَّرَف بِحَمَتًا ، وصورة البلاغة سَبَكًا ونَحَتًا ، ألفاظًا  
هى خُدَع الدهر ، وعُقَد السحر .

كلامٌ يسرُّ الحزون ، ويُسهِّلُ الحُزُون<sup>(١)</sup> ، ويعطل الدرَّ الحزون . كلامٌ بعيد  
من السَّكَلَف ، نَقَى<sup>(٢)</sup> من السَّكَف

كلامٌ كما تنفس السَّحَر عن نسيمه ، وتبسم الدرُّ عن نظيمه . ألفاظ تأنَّق  
الخطر في تذهيبها ، ومعانٍ عني الفهم تَهْذِيبُها . ألفاظ حسبتها من رِقَّتْها منسوخة  
في صحيفة الصَّبَا ، وظننتها من سلاستها مكتوبةً في نَحْر الهوى .

كلامٌ كالْبُشْرَى بالولد الكريم ، قُرِعَ به سَمْعُ الشيخ العقيم .

كلامٌ قُرُب حتى أطمع ، وبعُد حتى امتنع ، وقُرُب حتى صار قابَ قَوْسَيْنِ  
أو أدنى ، ثم [ سما و ] علا حتى صار بالمنزل الأعلى . رقيق المزاج ، حُلُو السماع ،  
نقى السَّبْك ، مقبول اللَّفْظ . قرأت لفظًا جليًّا ، حَسَى معنى خفيًّا ، وكلامًا  
قريبًا ، رَمَى غرضًا بعيدًا . لو أنَّ كلامًا أُذِيبَ به صَخْر ، أو أُطْفِئَ به بَحْر ،  
أو عُوفى به مريض ، أو جُبِرَ به مَهِيبُ<sup>(٣)</sup> لكان كلامه الذى يقودُ سامعيه إلى  
السجود ، ويجرى فى القلوب كَجَرَى الماء فى العُود . ألفاظُهُ أنوار ، ومعانيه  
ثمار . كلامُهُ أنسُ المقيم الحاضر ، وزادُ الراحل المسافر . كلامُهُ يُضْنِي إلى المقبور ،  
وينتفضِ له العُصفور . كلامٌ يقضى حقَّ البيان ، ويملك رِقَّ الحُسْن والإحسان ،  
كلامٌ منه يحتنى الدرُّ ، وبه يُعْقَدُ السَّحَر ، وعنده يُعْتَب الدهر<sup>(٤)</sup> ، وله  
يُنْشَرَحُ الصدر .

- 
- (١) الحزون : جمع حزن — بفتح الحاء — وهو ماغلظ من الأرض .  
(٢) السَّكَلَف : تمش فى الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر ! (٣) مهيب : مكسور  
(٤) يعتب : يصفو ، من أعتب إذا ترضى وأزال أسباب العتب

## ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

نثر كثير الورد ، نَظْمٌ كَنَظْمِ الْعِقْدِ . نثر كالسَّحَرِ أَوْ أَدَقُّ ، ونظمٌ كالماء  
 أَوْ أَرَقُّ . رسالة كالرَّوْضَةِ الْأَنْيَقَةِ ، وقصيدة كالخُدْرَةِ الرَشِيقَةِ . رسالة تَقَطَّرُ ظَرْفًا ،  
 وقصيدة تَمْرُجُ بِمَاءِ الرِّاحِ لَطْفًا . نثره سِجَرُ الْبَيَانِ ، ونظمه قِطْعُ الْجَمَانِ . نثرٌ  
 كما تَفْتَحُ الزَّهْرُ ، ونظمٌ كما تَنْفَسُ السَّحَرُ . نثرٌ تَرَقُّ نَوَاحِيهِ وَحَوَاشِيهِ ، ونظمٌ  
 تَرُوقُ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ . نثرٌ كالْحَدِيقَةِ تَفْتَحُ أَحْدَاقَ وَرْدِهَا ، ونظمٌ كالتَّخْرِيدَةِ  
 تَوَرَّدَتْ أَسْرَارُ خَدَّهَا<sup>(١)</sup> . رسالة تَضْحَكُ عَنْ غُرَرِ وَزْهَرٍ ، وقصيدة تنطوي  
 عَلَى حَبَرٍ وَدُرَرٍ . لم تَرْضَ فِي بَرِّكَ ، بِأَخَوَاتِ النَّثْرِ مِنْ نَثْرِكَ ، حَتَّى وَصَلَتْهَا  
 بِنَاتُ الشُّعْرِى مِنْ شِعْرِكَ<sup>(٢)</sup> . كلامٌ كَاهِبٌ نَسِيمُ السَّحَرِ ، عَلَى صَفْحَاتِ الزَّهْرِ ،  
 وَلَذَّ طَعْمُ الْكَرَى بَعْدَ بَرْجِ السَّهْرِ<sup>(٣)</sup> . وشِعْرٌ فِي نَفْسِهِ شَاعِرٌ ، تُوسِّمُ بِهِ الْمَوَاسِمُ  
 وَالْمَشَاعِرُ . كلامٌ أَنْسَى حَلَاوَةَ الْأَوْلَادِ بِحَلَاوَتِهِ ، وَطَلَاوَةَ الرِّبْعِ بِطَلَاوَتِهِ ، وَشِعْرٌ مِنْ  
 حَلَّةِ الشَّبَابِ مَسْرُوقٌ ، وَمِنْ طِينَةِ الْوِصَالِ مَخْلُوقٌ . قصيدة ، فِي فَنِّهَا فَرِيدَةٌ ، هِيَ  
 عُرُوسٌ كُنُوسُهَا الْقَوَافِي ، وَحَلِيَّتُهَا الْمَعَانِي . شِعْرٌ يَتَرَقُّ فِيهِ مَاءُ الطَّبْعِ ، وَيَرْتَفِعُ  
 لَهُ حِجَابُ الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ . شعرٌ لَا مَزِيَّةَ الْإِعْجَازِ أَخْطَأَتْهُ ، وَلَا فَضِيلَةَ الْإِيجَازِ  
 تَخَطَّطَتْ . شعرٌ رَوَيْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ ، وَحَفِظْتُهُ لَمَّا لَحِظْتُهُ . أَيْبَاتٌ لَوْ جُعِلَتْ خَلْعًا  
 عَلَى الزَّمَانِ لَتَحَلَّى بِهَا مُكَاتَرًا ، وَتَجَلَّى فِيهَا مُفَاخِرًا . شِعْرٌ رَاقِيٌّ ، حَتَّى شَاقِيٌّ ،  
 فَإِنَّهُ مَعَ قُرْبِ لَفْظِهِ بَعِيدُ الْمَرَامِ ، مُمَرَّ النَّظَامِ<sup>(٤)</sup> ، قَوَى الْأَسْرَ<sup>(٥)</sup> ، صَافِي الْبَحْرِ .  
 نَظْمٌ قَدْ أَلْسَ مِنَ الْبَدَاوَةِ فَصَاحَتَهَا ، وَغَشَى مِنَ الْحَضَارَةِ سَجَاحَتَهَا<sup>(٦)</sup> ؛ فَإِنْ

(١) الخريدة : الفتاة الخدرة (٢) النثر : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعري

(٣) برج السهر : شدته (٤) ممر النظام : قويه محكمه (م)

(٥) الأسر ، إحكام الحلقة (٦) السجاجة : استواء الصورة

شئت قلت عَمِيدٌ وَلَبِيدٌ، وإن شئت حَبِيبٌ وَالْوَلِيدُ<sup>(١)</sup>. قَصِيدَتُهُ رَوْضَةٌ تَجْتَنِي  
بِالْأَفْكَارِ، وَتَقْلُ يُتَنَاوَلُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ<sup>(٢)</sup>، وَتَقْلُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ، أَلَذُّ مِنْ نَقْلِ  
الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ، وَفَاكُهُ الْكَلَامِ، أَطْيَبُ مِنْ فَاكِهِ الطَّعَامِ. نَظْمٌ كَنَظْمِ  
الْجَمَانِ، وَرَوْضٌ كَالْجَنَانِ، وَأَمِنْ الْفَوَادِ، وَطَيْبُ الرُّقَادِ. قَصِيدَةٌ لَمْ أَرِ غَيْرَهَا بَكْرًا،  
اسْتَوْفَتْ أَقْسَامَ الْخُنُكَةِ، وَاسْتَكْمَلَتْ أَحْكَامَ الدَّرَجَةِ<sup>(٣)</sup>؛ فَعَلِيهَا رَوْثُ  
الشَّبَابِ، وَلَهَا قُوَّةُ الْمُدِّ كِيَاتِ الصَّلَابِ<sup>(٤)</sup>، رُوحُ الشَّعْرِ، وَتَاجُ الدَّهْرِ، وَمَقْدَمَةُ  
عَسَاكِرِ السَّحْرِ. كُلُّ بَيْتٍ شَعْرٌ خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ تَبْرُ. شَعْرٌ يُحْكَمُ لَهُ بِالْإِعْجَازِ وَالتَّبَرُّيزِ،  
وَيُشَبَّهُ فِي صِفَاءِ سَبْكِهِ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ. شَعْرٌ تَاتَلَفَ الْقُلُوبُ عَلَى دُرِّهِ اثْنَا لَفَا،  
وَتَصِيرُ الْآذَانُ لَهُ أَصْدَافًا. لِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَحْلَى شَعْرَهُ! وَأَذْنَى دُرِّهِ، وَأَعْلَى قَدْرِهِ، وَأَعْجَبُ  
أَمْرِهِ! قَدْ أَخَذَ بِرِقَابِ الْقَوَافِي، وَمَلَكَ رِقَّ الْمَعَانِي، فَضْلُهُ بُرْهَانٌ حَقٌّ، وَشَعْرُهُ  
لِسَانٌ صَدَقَ. فَلَانٌ يُغْرِبُ بِمَا يَجْلِبُ، وَيُبْدِعُ فِيمَا يَصْنَعُ، حَسَنُ السَّبْكِ،  
مُحْكَمُ الرَّصْفِ، بَدِيعُ الْوَصْفِ، مَرْغُوبٌ فِي شِعْرِهِ، مُتَنَافِسٌ فِي سَحْرِهِ. هُوَ  
ضَارِبٌ فِي قِدَاحِ الشَّعْرِ بِأَعْلَى السَّهَامِ، آخِذٌ فِي عِيُونِ الْفَضْلِ بِأَوْفَى الْأَقْسَامِ، شِعَارُهُ  
أَشْعَارُهُ، وَدَابَهُ آدَابُهُ، هُوَ مَنْ يَبْتَدِعُ فَيَتَدَعُ، طَبْعُهُ يُمَلِّى عَلَيْهِ، مَا لَا يُمَلُّ الْإِسْتِمَاعُ  
إِلَيْهِ. قَرِيحَةٌ غَيْرُ قَرِيحَةٍ، وَطَبْعٌ غَيْرُ طَبْعٍ<sup>(٥)</sup>، وَخِيمٌ غَيْرُ وَخِيمٍ، لَبِيدٌ عِنْدَهُ بَلِيدٌ،  
وَعَمِيدٌ لَدَيْهِ مِنَ الْعَمِيدِ، وَالْفَرْزَدَقُ عِنْدَهُ أَقْلٌ مِنْ فَرْزَدَقَةِ خَمِيرٍ<sup>(٦)</sup>، وَجَرِيرٌ يُقَادُ  
إِنِّيهِ بِجَرِيرٍ<sup>(٧)</sup> قَدْ نَسَجَ خُلَالاً لَا يُبْلَى جَدَّتْهَا الْجَدِيدَانِ، وَلَا تَزْدَادُ إِلَّا حُسْنًا عَلَى

(١) عَمِيدٌ بَنُ الْأَبْرَصِ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ وَلَبِيدٌ بَنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ : شَاعِرٌ مَخْضَرٌ ،  
وَحَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَّامٍ بَنُ أَوْسٍ الطَّائِي . وَالْوَلِيدُ هُوَ أَبُو عَبَادَةَ الْوَلِيدِ الْبَحْتَرِيُّ : شَاعِرَانِ  
مِنْ شُعْرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ (م) . (٢) التَّمَلُّ : مَا يَتَقَلَّبُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقَوَائِدِ عَلَى الشَّرَابِ

(٣) الْخُنُكَةُ : التَّجَرُّبَةُ ، وَالْدَّرَجَةُ : التَّمَرُّنُ

(٤) الْمَذَكِيَّاتُ وَالْمَذَاكِي : الْحَيُولُ بَلَغَتْ سِنْنَ الْقُوَّةِ

(٥) غَيْرُ طَبْعٍ : غَيْرُ لَيْثٍ ، وَهِيَ مِنْ طَبْعِ السَّيْفِ ، عَلَى وَزْنِ عِلْمٍ ، إِذَا رَكِبَهُ  
الْصَّدَأُ الْكَثِيرُ (٦) الْفَرْزَدَقَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْعَجِينِ (٧) الْجَرِيرُ : الْحَبْلُ .

تَرُدُّ الْأَرْمَانَ . نَظْمُهُ قَدْ نَظَّمَ حَاشِيَتِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ ، وَأَدْرَكَ نَاحِيَتِي الشَّرْقِ  
وَالْغَرْبِ . أَشْعَارُهُ قَدْ وَرَدَتِ الْمِيَاهُ ، وَرَكِبَتِ الْأَفْوَاهُ ، وَسَارَتْ فِي الْبِلَادِ ، وَلَمْ تَسِرْ  
بِرَآئِهِ ، وَطَارَتْ فِي الْآفَاقِ ، وَلَمْ تَمْسُ عَلَى سَاقِ . شَعْرُهُ أَشْيَرُ مِنَ الْأَمْثَالِ ، وَأَسْرَى  
مِنَ الْخِيَالِ ، سَارَ مَسِيرَ الرِّيحِ ، وَطَارَ بَغِيرَ جَنَاحِ . أَشْعَارُهُ سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ ،  
وَهَبَّتْ هُبُوبَ الرِّيحِ ، وَطَبَّقَتْ تُخُومَ الْأَرْضِ ، وَانْتَضَمَتْ الشَّرْقُ إِلَى الْغَرْبِ .  
قَدْ كَادَتْ الْأَيَّامُ تَنْشُدُهَا ، وَاللَّيَالَى تَحْفَظُهَا ، وَالْجَنُّ تَدْرُسُهَا ، وَالطَّيْرُ تَتَغَنَّى بِهَا .  
أَبْيَاتُ أَشْفَرِ عَنْهَا طَبَعَ الْمَجْدِ ، فَعَلِمْتُ كَيْفَ يَتَكَسَّرُ الزَّهْرُ عَلَى صَفْحَاتِ الْحِدَائِقِ ،  
وَكَيْفَ يَغْرَسُ الدَّرُّ فِي رِيَاضِ الْمَهَارِقِ <sup>(١)</sup> . شَعْرُهُ قَدْ أَحْسَنَ خِدْمَتَهُ بِكَمَالِ فِكْرِهِ ،  
وَوَقَفَ كَيْفَ شَاءَ عِنْدَ عَالِي أَمْرِهِ . شَعْرُهُ يُعَلِّقُ فِي كَعْبَةِ الْمَجْدِ ، وَيَتَوَجَّعُ بِهِ مَفْرَقُ  
الدَّهْرِ . جَاءَتْ الْقَصِيدَةُ وَمَعَهَا عِزَّةُ الْمُلْكِ ، وَعَلَيْهَا رَوَاهُ الصَّدَقُ ، وَفِيهَا سِيَاءُ الْعِلْمِ ،  
وَعِنْدَهَا لِسَانُ الْمَجْدِ ، وَلَهَا صِيَالُ الْحَقِّ ، لَا غُرُورَ إِذَا فَاضَلَ بَحْرُ الْعِلْمِ عَلَى لِسَانِ  
الشُّعْرِ أَنْ يَنْتِجَ مَا لَا عَيْنَ وَقَعَتْ عَلَى مِثْلِهِ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ بِشَبْهِهِ . شَعْرُ يَكْتُبُ فِي  
غُرَّةِ الدَّهْرِ ، وَيُشْرِحُ فِي جَبْهَةِ الشَّمْسِ [ وَالدَّرِّ ] .

### وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضوع

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي محمد خلاد الرامهرمزي القاضي  
«وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتفقدك ، وضروب برِّك  
وتعهدك ؛ فارتحت لكلِّ ما أوَّلت ، وابتهجتُ بجميع ما أهديت ، وأضفت  
إحسانك في كلِّ فصل إلى نظائره التي وكلت بها ذِكْرِي ، ووقفت عليها  
شُكْرِي ، وتأملتُ النظم فلسكى العجبُ به ، وبهرَّني التعجبُ منه ، وقد  
رُمتُ أن أجري على العادة في تشبيهه بمستحسنٍ من زهر جنِّي ، وحُلَّالٍ وحُلِّي ،  
وشذور الفرائد ، في نخور الخرائد .

من ابن العميد  
إلى خلاد  
الرامهرمزي

(١) المهارق: جمع مهرق - على صفة المفعول - وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

والعذارى غَدَوْنَ فِي الحلال البية ض وقد رُخِّنَ فِي الخطوط السُّودِ  
فلم أَرِدْ لشيء عَدَلًا ، ولا أَرْضَى ما عَدَدْتُهُ لَهُ مَثَلًا ؛ وَاللَّهِ يَزِيدُكَ مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَا يُخْلِيكَ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيُلْهِمُكَ مِنْ بَرٍّ إِخْوَانِكَ مَا تَتَمَمُّ بِهِ صَنِيعَكَ لِدِيهِمْ ،  
وَيُرَبِّبُ مَعَهُ إِحْسَانُكَ إِلَيْهِمْ .

وكتب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب إلى أبي سعيد الشيبى :

« قد رأى شيخُ الدولتين كيف الكَلَفُ بَسَادَتِي مِنْ أَهْلِ مِيكَال - أَيْدِهِمُ  
الله ! - بَيْنَ وَدٍّ أَضْمَرَهُ عَلَى الْبُعْدِ ، وَإِثَارَ أَظْهَرَهُ عَلَى تَرَاحِي الْمَزَارِ ، وَتَقْرِيطَ يَمِيلِهِ عَلَى  
الْمَلَوَانِ <sup>(١)</sup> ، وَمَدْحَ أَنْطِقُ فِيهِ بِلِسَانِ الزَّمَانِ ، حَتَّى إِنْ ذَكَرْتَهُمْ إِذَا جَرَى عَلَى  
لِسَانِي اهْتَزَّتْ لَهُ نَفْسِي ، وَفَضَّلْتُهُمْ إِذَا جَرَى عَلَى سَمْعِي انْفَرَجَ لَهُ صَدْرِي ، فَتِلْكَ  
عَصْبَةُ خَيْرٍ فَضْلُهَا بَاهِرٌ ، وَشَرْفُهَا عَلَى شَرَفِ النَّمَاءِ زَاهِرٌ ، وَشَجَرَةُ طَيِّبَةِ أَصْلُهَا  
ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ [ نَاطِرٌ ] ، وَاللَّهِ يَتَمَمُّ أَعْدَادُهَا ، وَلَا يَعْدَمُنِي وَدَادُهَا ،  
وَإِذَا كَانَ إِكْبَارِي لَهُمْ هَذَا الْإِكْبَارُ فَكُلُّ مَنْتَسِبٍ إِلَى جَنْبِهِمْ أَثِيرٌ <sup>(٢)</sup> لَدِي <sup>(٣)</sup> ، كَثِيرٌ فِي  
يَدَيَّ . وَطَرَأَ عَلَى فَلَانٍ مَنَسَبًا إِلَى جِلَّتِهِمْ ، وَحَبِذَا الْجَلَّةُ ، وَمُعْتَزِيًّا إِلَى  
خِدْمَتِهِمْ ، وَنِعِمَّتِ الْخِدْمَةُ ، فَفَرَرْنَا عَنْ طَبْعِ سَمْعٍ <sup>(٤)</sup> ، وَلَقَطِ عَذْبٌ ، وَصَلَاةٌ  
نَثْرٌ بِنَظْمٍ ؛ فَإِنْ شَاءَ قَالَ : أَنَا الْوَلِيدُ ، وَإِنْ شَاءَ قَالَ : أَنَا عَبْدُ الْجِيدِ ؛ وَلَمْ أَعْظَمْ مِنْ  
خَرَجْتِهِ تِلْكَ النِّعْمَةُ وَتَنْجَتِهِ تِلْكَ السُّدَّةُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ حَسَنَةٍ بَعْرُوتُهُ ، وَيَقْدَحَ  
فِي كُلِّ نَارٍ بِجَدْوَةٍ ؛ وَأَسْتَأْذِنُ بِالْمَقَامِ مُدَّةً ، أَكْثَرُهَا شَوَائِعَ عِدَّةً ، إِلَى أَنْ تَذْكَرَ  
مَعَاهِدَ رَأْيٍ فِيهَا الدَّهْرَ طَلْقًا ، وَالزَّمَانَ غُلَامًا ، وَالْفَضْلَ رَهْنًا ، وَالْإِفْضَالَ إِزَامًا ؛  
فَخِنْ حَنِينَ الرَّكَّابِ ، وَرَكِبَ عَزِيمَ الْإِيَابِ <sup>(٥)</sup> .

فصل [ من كتاب ] كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحد الميكالى إلى

(١) الملوان : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فررناه : اخترناه ، والفر  
في الأصل : اختبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة (٤) العزيم : الجري الشديد

أبي القاسم الداوودي جواباً عن كتاب له ورد عليه . وأبو الفضل رئيس نيسابور وأعمالها في وقتنا هذا<sup>(١)</sup> ، وسنمرٌ من كلامه ونثره ونظامه ما يغني عن التثويه ، ويكفي عن التنبيه ، ويحلُّ عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الأخفش على بن سليمان : [ استهدى إبراهيم بن المدبر ] أبا العباس محمد بن يزيد جليلاً يَجْمَعُ إلى تأديب ولده الإمتاع يابئاسه ؛ فندبني لذلك ، وكتب إليّ معي : قد أنفذت إليك - أعزّك الله - فلانا ، وجملة أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زُرتَ الملوكَ فإن حَسبي شفيعاً عندهم أن يَحْزُرُونِي

من أبي الفضل  
الميكالي إلى أبي  
القاسم  
الداوودي

وفصل أبي الفضل : وقفتُ على ما تحفني به الشيخ : من نظمهِ الرائع البديع ، وخطّه المزري بزهر الربيع ، مُوشِجاً بغُررِ ألفاظه ، التي لو أُعيرت حِسْمَتُها لعطّلت قلائد النحور ، وأبكارِ معانيه التي لو قُسمت حلاوتها لأعذبت مَوَارِدَ البحور ، فسرّحتُ طرفي منها في رياضٍ جادتها سحائبُ العلوم والحكم ، وهبَ عليها نسيمُ الفضل والكرم ، وابتسمتُ عما تغورُ المعالي والهِمم ، ولم أدِرْ - وقد حيرتني أصنافُها ، وبهرتني ثغورُها - وأوصافُها ، حتى كسّنتني اهتزازاً وإعجاباً ، وأنشأت بيني وبين التماسك سِتراً وحجاباً ، ولم أدِرْ<sup>(٢)</sup> أدّهنتني لها نَشْوَة راح ، أم أزدّهنتني نعمة ارتياح ، وانتظم عندي منها عقد ثناء وقرّيض<sup>(٣)</sup> ، أم قرع سمعي منها غداء مَقْبَدٍ وغرييض ، وكيفما كان فقد حوى رتبة الإعجاز والإبداع ، وأصبح نُزْهة القلوب والأسماع ، فما من جَارِحَةٍ إلا وهي تؤدُّ لو كانت أذناً فتلتمقط درره وجواهره ، أو عيناً تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لساناً يدرُس محاسنه ومفاخره .

ومنه  
إلى الثعالبي

وه فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي : « وصل كتاب مولاي وسيدى . أبدع الكتب هوادى وأعجازاً<sup>(٤)</sup> ، وأبرعها بلاغة

(١) توفي أبو الفضل الميكالي سنة ٤٣٦ هـ ، وقد توفي مؤلف هذا الكتاب في سنة ٤٥٣ هـ (م)

(٢) هكذا . وكلمة « ولم أدِرْ » تكرارها للتي سبقت (م) (٣) كذا ، ولعل

لأصل « عقد نشر وقرّيض » (م) (٤) الهوادى والأعجاز : البدايات والنهايات

وإعجازاً ، فحسبت ألفاظه درّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديّة ، ومعانبه درّ السحاب<sup>(١)</sup> ، بل أوفى قدراً وقيمة . وتأملت الأبيات فوجدتها فائقة النظم والرّصف ، عميقة النسيم والعرف ، فائزة بقداح الحُسن والظرف ، مالكة ليزم القلب والظرف ؛ ولا غرّو أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هدف الفقر والنوادر ، وصدف الدرر والجواهر ، والله يُمتّع بما منحه من هذه الغرر والأوضاع ، كما أطلق فيه السنة الثناء والامتداح .

\*\*\*

وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا [ على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين ] وهو فريدُ دهره ، وقريع عصره ، ونسيجٌ وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب ، وقد فرّقت ما اخترته منها في هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشاكلته من الخطاب<sup>(٢)</sup> ؛ منها كتاب سماه « سحر البلاغة » قال في صدر هذا الكتاب : « أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض ، ونُكّت أعيان الفضل ، من بُلغاء العصر ، في النثر ، وحللت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مُلح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر ، فلفقت جميع ذلك وحرّرت ، وسقته ونسّقته ، وأنفقت عليه مارزقته ، وعملت به كد الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمّدت فيه لذّة الجدة ، وروّنت الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهُ بشيء من كلام غير أهل العصر ، إلا في قلائل وقلائد من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخلّلت أثناءه ، وتوشّحت تضاعيفه ، ولم أُخل كلماته - التي هي وسائط الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتّع أنفسُ

(١) السحاب : قلادة من القرنفل

(٢) كان الثعالبي فراءً يخطط جلود الثعالب ، فنسب إلى صناعته ، ثم أقبل على الأدب والتاريخ فنبغ ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها بيتيمة الدهر ، وكانت وفاته

الأدباء ، وتلذّ أعين الكتاب - من لفظ صحيح ، أو معنى صريح ، أو تجنيس أنيس ، أو تشبيه بلاشبيه ، أو تمثيل بلا تمثيل ولا عدل ، أو استعارة مُختارة ، أو طباق ، ذى رَوْنَقٍ باق ؛ فمن رَافَقَ هذا الكتاب قَرَبَ تناوُلُهُ من الكتاب ، إذا وشّوا ديباجةَ كلامهم بما يقتبسونه من نُورِهِ ، وساحة قيادِهِ لأفراد الشعراء إذا رصّعوا عقودَ نظائيرهم بما يلتقطونه من شدُورِهِ ، فأما المحاطبات والمحاورات ، فإنها تتبرّج بغرّة من غرهِه ، وتُتَوَجّ بدرة من دُرَرِهِ .

وقد ذكر جملة مَنْ أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم : الصاييان <sup>(١)</sup> ، والخالديّان <sup>(٢)</sup> ، وبديع الزمان ، وأبو نصر بن المرزبان [وعلى بن عبد العزيز القاضي ، وأبو محمد القاضي ، وأبو القاسم الزعفراني ، وأبو فراس الحمداني ] ، وابن أبي العلاء الأصبهاني ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البستي ، وأبو الفضل الميكالي ، وشمس المعالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم في كتابه ، فكل ما مرَّ أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلتُ ، وعليه عوّلت .

وفى أبي منصور يقول أبو الفتح على بن محمد البستي :

قلبي رهين بنيساور عند أخ ما مثله حين تُستقرى البلادُ أخُ  
له صحائف أخلاق مهذبة من الحِجَاوِ العُلاوِ الطَّرْفِ تُنْتَسَخُ

وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فسأظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمن .

(١) هما إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن الحسن المتوفى سنة ٤٤٨

(٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠

وكان هذان الأخوان يعرفان بالخالديين ، وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة وتُنسب إليهما معا ، أصلهما من الخالدية - من قرى الموصل - وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان ، ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة



فصل لأبي الفضل : وصل كتابُ الشيخِ المبشر من خبر سلامته التي هي غُرّةُ الزمانِ البهيم<sup>(١)</sup> ، وعذر الدهرِ المليم<sup>(٢)</sup> ، بما أشرقت له آفاقُ الفضلِ والكرم ، وتمتَّ به نفائسُ الآلاء والنعم ، فسرَّحتُ طَرْفِي من محاسن ألفاظه ، في أنوارِ تَرُوقِ أزاهِرُها ، وقلائدِ تروَعُ دُرُرها وجواهرها ، ومَبَارَّ يَسْتَرِقُ الرِّقَابَ باطِبُها وظاهرها<sup>(٣)</sup>

وله إلى أبي سعيد بن خلف الحمداني :

وصل كتابُكَ متَحَمِّلاً من أخبارِ سلامتك ، وآثارِ نعمِ اللهِ بِساحتك ، ما أَدَّى رُوحَ البَرِّ ونسيمه ، وجمع فنونَ الفضلِ وتقاسيمه ، ومجدِّداً عندِي من عمرِ مواسلته ، ومعسول كلامه ومحاورته ، ماترك غُصْنَ المَقَّةِ غُصّاً تروَقُ أوراقه<sup>(٤)</sup> ، ووَجَّةَ الثِّقَةِ طَلَقاً يتهلَّلُ إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمرِ مَسَرَّةٍ كانت عوائقُ الأيامِ تحاذِرُ بنيهِ ، وحويت به من عِلْقِ مَضَنَّةٍ قلما يجود الدهرُ بمثله لبنيهِ<sup>(٥)</sup> .

وله فصل إلى بعض الحكام بجوين<sup>(٦)</sup> :

وصل كتابُ الحاكم وقد وشَّحه بمحاسنِ فِقَرِهِ ، وتناجَّحَ فِكْرِهِ ، من لفظِ شهيٍّ أعطته القلوبُ فَضْلَ المقادَةِ ، ومعنى سنيٍّ جاده صَوْبُ الإصَابَةِ والإجَادَةِ ، وبرٍّ هنيٍّ اتَّفَقَتْ على الاعترافِ بفضله ألسنةُ الثناء والشهادة ، فسرَّحتُ طَرْفِي فيما حواه من بدائع وطُرَف ، قد جمعت في الحسن والإحسان بين واسطة وطُرَف ، حتى لم تبقَ في البلاغة يتيمة إلا جبرتها وتممتها .

وله إلى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم .

كتبت وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابه بعد المشيب ، وارتدى برداء من العمر

(١) البهيم : المظلم (٢) المليم : المذنب

(٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقة : الحب (٥) العلق : الشيء النفيس

(٦) جوين : كورة كبيرة في خراسان

قَشِيب<sup>(١)</sup> ، والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاي مبشراً من خبر عَوْدِهِ  
إلى مقرِّ عزِّه وشرفه ، محروساً في حفظ الله وكفِّه ، بما لم تزل الآمال تتنَّسَّم  
روائحَه ، وتترقَّب غاديَ صنْع الله فيه ورائحَه ، واثقةً بأنَّ عادةَ الله الكريمةَ عندد  
تَسَايِرِد وتُرَافِقَه ، وتلزم جنابه فلا تُفَارِقَه ، حتى تخرجه من غمرة الغماء خروجَ  
السيف من الغمدِ ، والبدر بعد السَّرارِ<sup>(٢)</sup> إلى الانجلاء ، فعددتُ يومَ وُروْدِهِ عيداً ،  
أعاد عيد السُّرُورِ جديداً ، وردَّ طَرْفَ الحسود كليلاً وقد كان حديداً ،  
ولم أَشَبِّهْهُ في إهداء الرُّوح والشفاء ، وتلافي الرُّوح بعد أن أَشَقَّى على المكروه  
كلَّ الإِشفاء<sup>(٣)</sup> إلَّا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوبُ عليه السلام من البشير ،  
والتقاء على وجهه فنظر بعَيْنِ البصير ، فكم أوسعته لثماً واستلاماً ، والتقطت منه  
بَرْدًا وسلاماً ، حتى لم تبق غُلَّةٌ في الصدر إلَّا بَرَدَتْهَا ، ولا عُمةٌ في النفس  
إلَّا طَرَدَتْهَا ، ولا شريعة من الأنس إلَّا وردَّتْهَا .

وله فصل من رسالة :

وكان فرطُ التعجب مرَّةً وعَظُمُ الإعجاب تارة يقفُ بي عند أول فصل  
من فصوله ، ويثبطني عن استيفاء غُرَرِه وحُجُولِه ، ويُوْهِنِي أَنَّ الحاسنَ ماحوْتُهُ  
قلائدُهُ ، ونَظْمَتِه فرائدُهُ ؛ فليس في قوس إحسان وراءها مِنزَعٌ<sup>(٤)</sup> ، ولا لاقتراح  
جَنَانٍ فوقها مُتَطَلِّعٌ ، حتى إذا جاوزته إلى لفه وتزَيُّدِه ، وأجلَّتْ فكري  
في نُكْتِه وعُيُونِه ، رأيتُ ما يُحَيِّرُ الطَّرْفَ ، ويُعْجِزُ الوَصْفَ ، وَيَعْلُو على الأول  
مَعْنًى ومكاناً ، ويفوقه حسناً وإحساناً ، فَرْتَعْتُ كيف شئتُ في رياضِه وحدائِقِه ،  
واقْتَبَسْتُ نُورَ الحِكْمِ من مطالعه ومُشارِقِه ، وسأمت لمعانيه وألفاظه فضيلةَ السَّبَقِ

---

(١) قشيب: جديد (٢) السرار- بكسر السين - آخر ليلة من الشهر ، ولا يظهر فيها القمر (م) (٣) أشقى على المكروه : أشرف عليه (٤) منزع- على وزن منبر- السير الذي ينزع به ، ويقولون : لم يبق في قوس الصبر منزع ، يريدون أن الصبر لقدت أسبابه .

والبراعة ، وتلقيتها بواجبها من النسر والإذاعة ؛ فإنها جمعت إلى حُسن الإنجاز درجة الإعجاز ، وإلى فضيلة الإبداع جلاله الموقع في القلوب والأسماع .

وله من فصل :

وصل كتاب الشيخ فذُشِرَ عندي من حُلل إفضاله وإكرامه ، ومحاسن خطابه وكلامه ، ما لم أشبهه إلا بأنوار النُجُود<sup>(١)</sup> ، وحَبَر البرود ، وقلائد العُقود .

وذكر أبو منصور الثعالبي الأمير أبا الفضل في كتاب ألقاهُ ، فقال في بعض فصوله : مَنْ أراد أن يسمع سِرَّ النظم ، وسِحْرَ الشعر ، ورُقِيَّةَ الدهر ، ويرى صَوْبَ العقل ، وذَوْبَ الظرف ، ونتيجة الفضل ؛ فليستشده ما أسفر عنه طبعُ مجده ، وأثمره على فكره ، من مُلَحٍ تَمزجُ بالنفوس لنفاستها ، وتشرب بالقلوب لسلاستها :

قوافٍ إذا ما رَوَّاهَا المشو      ق هزَّتْ لَهَا الغايات القدودا  
كسَوْنٌ عبيداً ثيابَ العبيد      وأضحى لبيدٍ لبيها بليدا

وأيُّمُ الله ما مرَّ يومٌ أسعفني فيه الزمانُ بمواجهةٍ وجَّهه ، وأسعدني بالاعتباس من نوره والاعتراف من بحره ، فشاهدتِ نَمَارَ المجدِ والسُودَ تَنْتَشِرُ من شمائله ، ورأيت فضائلَ الدهرِ عيالاً على فضائله ، وقرأتُ نسخةَ الفضلِ والكرم من أخطائه ، وانتهبتُ فضائلَ الفوائد من ألقائه ، إلاَّ تذكرت ما أنشدني أدام الله تأييده لابن الرُّومي :

لولا عجائبُ صنْعِ الله ما ثبتت      تلك الفضائلُ في لَحْمٍ ولا عَصَبٍ  
وقول الطائي :

فلو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لم تَزِدْهَا      على ما فيكَ من كَرَمِ الطَّبَّاعِ

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، وفيه يوضع الزهر .

وقول كشاجم :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عَيْبٍ يُؤْقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ

وربّت بقول أبي الطيب :

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

ثم استعرت فيه بيان أبي إسحاق الصابى حيث يقول للصاحب « وَرَبَّهِ  
الله أعمارها ، كما يُلَغِّه في البلاغة أنوارها »

اللهُ حَسْبِي فَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا تَعَوَّدُ الْعَبْدُ عَلَى الْمَوْلَى

فَلَا تَزَلْ تَرْفُلُ فِي نِعْمَةٍ أَنْتَ بِهَا مِنْ غَيْرِكَ الْأَوَّلَى

وقال في فصل منه : وما أنسى لا أنسى أيامى عنده بفيروزاباد إحدى قرأه

برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكى أخلاقَ صاحبها من سَيْلِ الْقَطْرِ ، فإنها

كأت - بطلعته البدرية ، وعشّته العطرية ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية

مع جلائل نعمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ،

ومحاسن أقواله وأفعاله التى يعنى بها الواصفون - أتمودجات من الجنة ، التى وعد

المتقون ، وإذا تذكرتها فى المربع التى هى مَرَاتِعُ النَّوَاطِرِ ، والمصانع التى هى

مطالع العيش الناضر ، والبساتين التى إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت

طرائف مطارفها ، طوى لها الديباج الخشروانى ، وثقى معها الوثنى الصنعانى ،

فلم تشبه إلا بشيمه ، وآثار قلمه ، وأزهار كلمه ، تذكرت سحرأوسيا ، وخيرا

عميا ، وارتياحا مقيا ، وروحا وريخانا ومجا

وكثيراً ما أحببى للاخوان أنى استغفرت أربعة أشهر بخضرته ، وتوفرت

على خدمته ، ولازمت فى أكثر أوقاى عالى مجاسه ، وتعطرت [عند ركوبه]

بغبار موكبه ؛ فبالله يمينا كنت غنيا عنها لو خفت جنتاً فيها إني ما أنسكت

طرفاً من أخلاقه ؛ ولم أشاهد إلا مجدداً وشرفاً من أحواله . وما رأيتُه اغتَابَ

عود إلى ذكر  
فصول من كلام  
الميكالى

غائبًا ، أو سبَّ حاضِرًا ، أو حرَمَ سائلًا ، أو خَيَّبَ آملاً ، أو أطاع سلطانَ  
القُصْبِ في الحَضَر ، أو تَسَلَّى بنار الصَّجَرِ في السَّفَر ، أو بطشَ بَطْشَ المتجَبَّر ؛  
ولا وجدت الماترَ إلا ما يتعاطاه ، والماتمَ إلا ما يتخطاه .

وقال في فصل منه يصفه : وأما فنونُ الأدب فهو ابنُ بَجْدَتِها<sup>(١)</sup> ، وأخو  
جملتها ، وأبو عُذْرَتِها<sup>(٢)</sup> ، ومالكُ أَرَمَتِها ، وكأنما يُوحى إليه في الاستئثار بمحاسنها ،  
والتفرُّد ببدائعها ، والله هو إذا غرس الدُرَّ في [ أرض ] القراطيس ، وطرَّزَ  
بالظلامِ رِداءَ النهار ، وألقت بِحَارُ خواطره جواهرَ البلاغة على أنامله ، فهناك  
الحُسْنُ برُمَّتِه ، والحُسْنُ بكليَّته .

وذكر عمر بن علي المطوع في كتاب ألفه في<sup>(٣)</sup> شعر أبي الفضل ومنشوره المطوع يذكّر  
والشعراء ، فقال : رأيتُ أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طُرُق ، وانقسموا على  
ثلاث فرق ، فمنهم من اكتسب كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب ثم يذكر اليك  
كالمكتسبين من الشعراء بالمدايح ، المترشحين بها لأخذِ الجوائز والمناح ، وهم  
الأكثر من أهل هذه الصناعة ؛ ومنهم من شَرُفَتْ بناتُ فكره عند أهل  
العقول ، وجلبت ليدهم فضائل القبول ، لَشَرَفَ قائلها ، لا لِكثَرَةِ عقائلها ، وكرم  
واشيها ، لا لِرِقَّةِ حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجم الغفير ، من الخلفاء والأمراء  
والجِلَّة والوزراء ؛ ومنهم من أخذ بحبل الجَوْدَةِ من طَرَفَيْهِ ، وجمع رداء الحُسْنِ  
من حاشِيَتَيْهِ ، كأمري القيس ابن حُجْر الكندي في المتقدمين ، وهو أميرُ الشعراء  
غير مُنازع ، وسيدهم غير مُجاذَب ولا مدافع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين  
في المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرعُ أنشاء الدولة العباسية ، ومن

(١) ابن بجدتها : هو الخير بها ، وتقول : فلان عالم يبجدة أمرك ، أي بحقيقته

(٢) أبو عذرتها . العذرة : البكارة ، وأبو عذرها : أول من اقتضاها ، كناية عن

التفوق في أمر من الأمور (٣) لعل كلمة « في » هذه مقحمة (م)

جلَّ كلامه في التشبيه ، عن أن يُمثَّلَ بنظير أو شبيه ، وعَلَّتْ أشعاره في الأوصاف .  
 عن أن تتعاطها ألسنة الوُصَّاف ؛ والأمير أبي فراس بن خَمْدَان فارس البلاغة .  
 ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبةً بالسيادة ، واعترفت لكلامه  
 بالإحسان والإجادة ، حتى قال أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب : بُدِيَءَ  
 الشعرُ بملك وخُتِمَ بملك ، يعنى امرأ القيس وأبا فراس ؛ وهذه الطائفة أشهر  
 الثلاثة تقدماً ، وأثبتها في مواطن الفخر ومواطن الشرف قدماً ، وأسبق الشعراء  
 في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميدان البراعة ؛ فإنَّ الكلام الصادر عن الأعيان  
 والصدور ، أقرُّ للعيون وأشقى للصدور ، فشرف القلائد بمن قلدَّها ، كما أن شرف  
 العقائل بمن ولَّدَها :

وخيَرُ الشعرِ أكرمُهُ رجَلاً      وشَرُّ الشعرِ ما قالَ العَمِيدُ  
 وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك المحاسن .  
 كان خليقاً بأن تُخلَّدَ في صحائف القلوب أشعاره ، وتُدوَّنَ في ضمائر النفوس  
 آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديراً بأن يختصَّ بسرعة  
 المجال في المجالس ، وخِفَّةِ المدار في المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا :  
 أبي الفضل من نال السماء بفضله      ومن وعدته نفسه بمزيد  
 تودُّ عقود الدر لو كنَّ لفظه      فينظمها من تَوَّأَمَ وفريد

وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة

قال أبو الفتح البُستِي :  
 مدحْتُكَ فالناتمت قلائدُ لم يَفِرْ      بأملها الصَّيْدُ الكِرَامُ الأعَظَمُ  
 لأنك بحرِّ والمعاني لآلي      وفكري غَوَّاصٌ وشعري نَاضِمُ  
 وقال أيضاً :

لأبي الفتح  
 البستي

ما إن سمعت بنواري له ثمرةً      في الوقت يُمتنع سَمْعُ المرء والبصرا

حتى أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ  
فكان لفظك في لآلآئه زهراً  
تسابقاً فأصاباً القصد في طلقٍ  
وقال أيضاً :

لَمَّا أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مَبْتَسِمٌ  
عَنْ كُلِّ بَرٍّ وَلَفْظٌ غَيْرٌ مَحْدُودٌ<sup>(١)</sup>  
حَكَتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أُسْطُرِهِ  
كَأَنَّهُ أَلَمَ بِقَوْلِ الطَّائِي :

يَرَى أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةَ أَمَلٍ  
كَسَتْهَا يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبٍ  
وَأَحْسَنَ مِنْ نُورٍ تَفْتَحُهُ الصَّبَا  
بِيَاضِ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ  
وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

جَمَعَ اللَّهُ فِي الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرِ خِصَالاً تَعْلُو بِهَا الْأَقْدَارُ  
رَاحَةً بَرَّةً وَصَدْرًا فَضَاءً وَذَكَاءً تَبْدُو لَهُ الْأَسْرَارُ<sup>(٢)</sup>  
خَطُّهُ رَوْضَةٌ ، وَأَفْظَاظُهُ الْأَرْ  
هَارُ يَضْحَكُنْ ، وَالْمَعَانِي ثِمَارُ

وقال عمر بن علي المطوعي يمدح أبا الفضل الميكالي من قصيدة :

وإلى الأمير ابن الأمير المعلى  
بِكَمَالٍ سُودَدِهِ عَلَى الْأُمَرَاءِ  
وَطِئْتُ بِي الْوَجَنَاءَ وَجَنَّةَ مَهْمَةٍ  
مُقَادِفِ الْإِكْنَافِ وَالْأَرْجَاءِ<sup>(٣)</sup>  
كَيْمَا أَلَا حَظَّ مِنْهُ فِي أَفْقِ الْعُلَا  
فَلَكَا يُدِيرُ كَوَاكِبَ الْعَلْيَاءِ  
كَالْبُدْرِ غَيْرِ دَوَامِهِ مُتَكَامِلًا  
كَالْبَحْرِ غَيْرِ عَذُوبَةٍ وَصَفَاءِ  
بِالْفَضْلِ يُكْنَى وَهُوَ فِيهِ كَامِنٌ  
كَارِئِي يَكْنُ فِي زَلَالِ الْمَاءِ  
يَا مَنْ إِذَا خَطَّ الْكِتَابَ يَمِينُهُ  
أَهْدَى إِلَيْنَا الْوَشْيَ مِنْ صَنْعَاءِ

للمطوعي  
يمدح الميكالي

(١) في نسخة «عن كل بروفصل» (م) (٢) في نسخة «راحة» والراحة : اليد ،  
والثرة : التي تفيض بالعتاء (م) (٣) الوجناء : الناقة الصلبة ، من الوجين ، وهي  
الأرض الغليظة ، والمهمه : الوادي القفر ، ومتقاذف الإكفاف : متباعد الأطراف  
( ١٠ - زهر الآداب ١ )

لم تجرِ كَفْكَ في البياض مَوْقِعًا      إِلَّا تَجَاتَ عَنْ يَدٍ بِيضَاءِ  
قَرْنُكَ بِدَاهٍ وَقَائِبُهُ مَا مِنْهُمَا      فِي النِّظْمِ وَالْإِعْطَاءِ إِلَّا الثَّانِي <sup>(١)</sup>  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

كَلَامُ الْأَمِيرِ النَّدْبِ فِي ثَنَى نَظْمِهِ      يَنْوِبُ عَنِ الْمَاءِ الزَّلَالِ لِمَنْ بَظَلَمَا <sup>(٢)</sup>  
فَرَزَوِي مَتَى تَرَوِي بِدَائِعِ نَظْمِهِ      وَنَظْمًا إِذَا لَمْ تَرَوْا يَوْمَالَهُ نَظْمًا  
وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا :

أَقُولُ وَقَدْ جَادَتْ جُفُونِي بِأَذْمَعِ      كَأَنِّي قَدِ اسْتَعْمَلْتُ شَهْرًا مِنَ الشَّخْبِ  
وَقَدْ غَلِقْتُ بِي لِلنِّزَاعِ نَوَازِغَ      كَيْتَبِينَ مَعَانَاةَ الْعَنَاءِ عَلَى قَابِ  
إِلَى سَيِّدٍ أَوْفَى عَلَى الشَّمْسِ قَدْرُهُ      وَرَادَتْ مَعَالِيهِ ضِيَاءُ عَلَى الشَّهْبِ  
أَبَى الْفَضْلَ مَنْ رَاحَتْ فَوَاضِلُ كَفِّهِ      وَرَاحَتُهُ تُرْنِي عَلَى عَدَدِ التَّرَبِّ <sup>(٣)</sup>  
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلًّا فِيهَا سَحَابًا      كُنَائِلَهُ الْفَيَاضُ أَوْ لَفْظُهُ الْعَذْبُ  
سَحَابٌ يَخْدُوهَا نَسِيمٌ كَخَلْقِهِ      وَيَقْدُمُهَا بَرْقٌ كَصَارِمِهِ الْعَضْبِ <sup>(٤)</sup>  
وَلَا زَالَ أَفْلاكُ السَّعُودِ مُطِيفَةً      بِخَضْرَتِهِ تَنْتَابُهَا وَهُوَ كَالْقُطْبِ  
وَقَالَ أَبُو مَنْصُورِ الشَّعَالِيِّ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ :

لَكَ فِي الْفَضَائِلِ مَعْجَزَاتُ جَمَّةٍ      أَبَدًا لَغَيْرِكَ فِي الْوَرَى لَمْ تُجْمَعِ  
بِحِرَانٍ بَخْرٌ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَةٌ      شِعْرُ الْوَلِيدِ وَحُسْنُ لَفْظِ الْأَصْمَعِيِّ <sup>(٥)</sup>  
كَالنَّوْرِ أَوْ كَالسَّحَرِ أَوْ كَالدُّرِّ أَوْ      كَالْوَشِيِّ فِي بُرْدٍ عَلَيْهِ مَوْشَعٌ <sup>(٦)</sup>  
تَسْكُرُوا فِكُمْ مِنْ قَفَرَةٍ لَكَ كَالْفَنَى      وَافِي الْكَرِيمِ بَعِيدَ قَفَرٍ مُدْقِعٍ <sup>(٧)</sup>

(١) التَّوَرُّمُ : السَّيِّدُ ، وَالطَّائِي فِي الْكَرَمِ هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي . وَفِي النِّظْمِ أَبُو تَمَامٍ

(٢) النَّدْبُ : الشَّهْمُ - وَهُوَ أَيْضًا الْخَفِيفُ فِي الْحَاجَةِ . وَالنَّجِيبُ (م)

(٣) تَرْنِي : تَزِيدُ (٤) الصَّارِمُ الْعَضْبُ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ (٥) الْوَلِيدُ : هُوَ الْبَحْرِيُّ

(٦) مَوْشَعٌ : ذِي رَقُومٍ وَطَرَائِقَ (٧) قَفَرٌ مُدْقِعٌ : شَدِيدٌ ، لَصِقَ صَاحِبُهُ بِالْمَدْقَعِ ،



وَإِذَا تَفَتَّقَ نَوْرُ شَعْرِكَ نَاضِرًا فَالْحَسَنُ بَيْنَ مَرَصَعٍ وَمُصَرَّعٍ  
أَرْجَلَتْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ وَرَضَتْ أَفْرَاسُ الْبَدِيعِ وَأَنْتَ أَمْجَدُ مُبْدِعٍ  
وَنَقَشْتَ فِي فَصِّ الزَّمَانِ بَدَائِعًا تَزْرِي بِآثَارِ الرَّبِيعِ الْمَعْرِعِ<sup>(١)</sup>  
[ وقال في وصف فرس أهداد إليه ممدوحه :

وللشعالي في  
وصف فرس

يَا مُهْدِي الطَّرْفِ الْجَوَادِ كَأَنَّمَا قَدْ أَنْعَمَ بِالرِّيحِ الْأَرْبَعِ<sup>(٢)</sup>  
لَا شَيْءَ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَّا خَاطِرِي فِي شُكْرِ نَائِلِكَ اللَّطِيفِ الْمَوْقِعِ  
وَلَوْ أَنَّي أَنْصَفْتُ فِي إِكْرَامِهِ لَجَلَّ مُهْدِيهِ الْكَرِيمِ الْأَرْوَعِ<sup>(٣)</sup>  
أَنْظَمْتَهُ حَبَّ الْقُلُوبِ لِحُبِّهِ وَجَعَلْتُ مَرْبَطَهُ سَوَادَ الْمَدَامِعِ  
وَحَلَمْتُ ثُمَّ قَطَعْتُ غَيْرَ مُضْطَيِّقٍ بَرْدَ الشَّبَابِ لِحُلَّةِ وَالْبَرْقِعِ

وكتب إليه في جواب كتاب ورد عليه :

للشعالي جوابا  
على الميكالي

أَنْسِيمُ الرِّيَاضِ حَوْلَ الْغَدِيرِ مَا زَجَّجَتْهُ رِيًّا الْحَبِيبِ الْأَثِيرِ<sup>(٤)</sup>  
أَمْ وَرُودُ الْبَشِيرِ بِالنَّجْحِ مِنْ فَكِّ أَسِيرٍ أَوْ يُسْرِ أَمِيرٍ عَسِيرٍ  
فِي مُلَاءٍ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدٍ تَحْتَ أَيْكَ مِنَ التَّصَابِي نَضِيرِ<sup>(٥)</sup>  
أَمْ كِتَابُ الْأَمِيرِ سَيَدُنَا الْفَرِّ دِيَّ فَيَا حَبْذَا كِتَابُ الْأَمِيرِ  
وَتِمَارُ الصُّدُورِ مَا أَجْتَنِيهِ مِنْ سُطُورٍ فِيهَا شِفَاهُ الصُّدُورِ  
تَمَقَّتْهَا أَنْامِلٌ تَفْتَقُ الْأَنْبَارَ وَالزَّهْرَ فِي رِيَاضِ السُّطُورِ  
كَأَلَمْنِي قَدْ جُمِعْنَ فِي النِّعَمِ الْفَرِّ مَعَ الْأَمْنِ مِنْ صُرُوفِ الْبُهِورِ  
يَا أَبَا الْفَضْلِ وَابْنَهُ وَأَخَاهُ جَلَّ بَدْرِيكَ مِنْ لَطِيفِ خَيْرِ  
شَيْمٍ يَرْتَضِعْنَ دَرَّ الْعَالَى وَيَعْبَرْنَ عَنْ نَسِيمِ الْعَبِيرِ

(١) الممرع : المملوء . بالكلا والعشب (٢) الطرف : الحصان

(٣) الأروع : الذي لروع . بضم الراء . وهو القواد

(٤) الأثير : العزيز (٥) الأيك : الشجر الشاف

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ لَدَى النُّشُورِ رُضَابُ الْحَيَا بِأَرْيَ مَشُورٌ<sup>(١)</sup>  
وَمُحْيَا لَدَى الْمَلُوكِ مُحْيَا صَادِقُ الْبَشْرِ مُخْجِلٌ لِلْبُدُورِ  
فَأَجَابَهُ أَبُو الْفَضْلِ بِأَيَّاتٍ يَقُولُ فِيهَا فِي صِفَةِ أَيَّاتِهِ :

جواب الميكالي  
على أبيات  
الثعالبي

وَهْدَى زُقَّتْ إِلَى السَّمْعِ بِكُرٍ تَهَادَى فِي حَلِيَّةٍ وَشَدُورٌ<sup>(٢)</sup>  
عَجِبَ النَّاسُ أَنْ بَدَتْ مِنْ سَوَادٍ فِي بِيَاضِ كَلِمَتِكَ فِي الْكَافُورِ  
نُظِمَتْ فِي بِلَاغَةٍ وَمَعَانٍ مِثْلَ نَظْمِ الْعُقُودِ فَوْقَ النَّحُورِ  
كَمْ تَذَكَّرْتُ عِنْدَهَا مِنْ عُهودٍ لِلتَّلَاقِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ نَضِيرِ  
فَذَمَمْتُ الزَّمَانَ إِذْ ضَنَّ عَنَّا بِاجْتِمَاعِ يُضْمُ شَمْلَ السَّرُورِ  
وَلَنْ رَاعَنَا الزَّمَانُ بَيْنَيْنِ أَلْبَسَ الْأُنْسَ ذِلَّةَ الْمُهْجُورِ  
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُعِيدَ اجْتِمَاعًا فِي أَمَانٍ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْورِ  
إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا فَاتَا تَوَسَّيْتُ كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرِ

للصابي يمدح  
الوزير المهلبى

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الصَّابِي فِي الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ :  
قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي قَدْ أَعْجَزَتْ كُلَّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ  
لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مَنْطِقُ يَشْفِي الْجُودَى وَيَسُوعُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ<sup>(٣)</sup>  
وَكُنْ لَفْظُكَ جَوْهَرٌ مُتَخَلِّلٌ وَكُنَّا أَدَانًا أَصْدَافُهُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد  
ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وَزَرَ لِأَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِي ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ سَنَةَ تِسْعٍ  
وِثْلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ سَرَواتِ النَّاسِ وَأَدْبَائِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ وَأَعْفَاءِهِمْ ؛  
وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي :

ترجمة الوزير  
المهلبى

(١) الْأَرَى : الْعَسَل ، وَالْمَشُور : الْمَصْفَى ، تَقُولُ : شَارَ الْعَسَلَ وَاشْتَارَهُ ، إِذَا عَفَاهُ  
مِنَ الْأَقْرَاصِ (٢) الْهَدَى - عَلَى وَزْنِ غَنَى - هِيَ الْعُرُوسُ ، وَالشَّدُورُ : قَطْعُ الذَّهَبِ -  
وَاحِدُهَا شَذْرَةٌ (م) (٣) السُّلَافُ - بَضْمُ السَّيْنِ - فِي الْأَصْلِ : الْحَمْرُ (م)  
(٤) مُتَخَلِّلٌ - بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ - مُخْتَارٌ

نَعَمْ اللهُ كَالْوَحُوشِ فَمَا نَأَى لَفُ إِلَّا الْأَخَايِرَ النَّسَاكَ  
 نَفَرَتْهَا آثَلُمُ قَوْمُ وَصَيَّرَ نَ لَهَا الْبَرَّ وَالتَّقَى أَشْرَاكَ  
 وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد ، على طريق الفقر والتصوف ،  
 قال أبو علي الصوفي : كنت معه في بعض أوقاته ، أماشيته في إحدى طرفاته ،  
 فضجِر لضيق الحال ، فقال :

أَلَا مَوْتَ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ      فهذا العيشُ مالا خَيْرَ فِيهِ  
 أَلَا رَحِمَ الْمَيِّمِنِ نَفْسَ جَرٍّ      تصدَّقْ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

ثم تصرف بما يُرِضِيهِ الدهر ، وبلغ المهلى مبلغه . قال أبو علي : دخلت البصرة  
 فاجترت بسرّاً من رأى ، وإذا أنا بناشطيات وحرقات وزيارب وطيّارات في  
 عدّة وعدّد ، فسألتُ : لِمَنْ هذا ؟ فقيل : للوزير المهلبى ، ونعتوا لى صاحبي ؛  
 فوصلتُ إليه حتى رأيته ، فكتبتُ إليه رقعة ، وتوصلتُ حتى دخلتُ فسأمت ،  
 وجلستُ حتى خلا مجلسه ، فدفعتُ إليه الرقعة وفيها :

أَلَا قُلْ لِلْوَزِيرِ بَلَا اخْتِشَامٍ      مقال مُذَكِّرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ  
 أَتَذَكِّرُ إِذْ تَقُولُ لَضَيْقِ عَيْشٍ      « أَلَا مَوْتَ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ »

فنظر إلى وقال : نعم ، ثم نهض وأنهضنى معه إلى مجلس الأُنس ، وجعل  
 يُبْذِرُ كِرْنِي مَا مَضَى ، وَيَذَكِّرُ لى كيف تَرَقَّتْ حاله ، وَقَدَّمَ الطَّعَامَ فَطَعِمْنَا ،  
 وَأَقْبَلَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْعُلَمَاءِ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ ثَلَاثُ بَدَرٍ<sup>(١)</sup> ، ومع الآخر تخوت  
 وثياب ، ومع الآخر طيبٌ وبخور ، وأقبلتُ بَغْلَةً رَائِعَةً بِسَرَجٍ ثَقِيلٍ ؛ فقال :  
 يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ تَفَضَّلْ بِقَبُولِ هَذَا ، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنْ حَاجَةِ تَعَرُّضِ لَكَ ، فَشَكَرْتَهُ  
 وانصرف ، فلما هممتُ بالخروج من الباب استردتني وأنشدنى بديها :  
 رَقَّ الزَّمَانُ لِفَاقَتِي      وَرَثَى لَطُولَ تَحَرُّقِي

(١) البدر : جمع بدرة . وهى كينس الدنانير

وَأَنَا لِي مَا أُرْتَجِي وَأَجَارَ مِمَّا أَتَقَى  
فَلَا غَفْرَ لَه الْكَثِيرَ مِنَ الذُّنُوبِ الشَّقِيقِ  
إِلَّا جَنَائِتِهِ الَّتِي فَعَلَ الْمَشِيبَ بِتَقَرُّقٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

منزلة العقل  
وطريق رياضته

قال بعضُ العلماء : العقول لها صُورٌ مثلُ صورِ الأجسام ، فإذا أنتَ لم تسلكْ  
بِهَا سَبِيلَ الأدبِ حَارَتِ وَضَلَّتْ ، وَإِنْ بَعَثْتَهَا فِي أَوْدِيَّتِهَا كَلَّتْ وَمَلَّتْ ، فَاسْلُكْ  
بِعَقْلِكَ شِعَابَ الْمَعَانِي<sup>(٢)</sup> وَالْفَهْمِ ، وَاسْتَنْبِقْهِ بِالْجَلَامِ لِلْعِلْمِ<sup>(٣)</sup> ، وَارْتَدِّ لِعَقْلِكَ أَفْضَلَ  
طَبَقَاتِ الأدبِ ، وَتَوَقَّ عَلَيْهِ آفَةُ الْعَطَبِ ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ شَاهِدُكَ عَلَى الْفَضْلِ ،  
وَحَارِسُكَ مِنَ الْجَهْلِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَغَارِسَ الْعُقُولِ كَمَغَارِسِ الْأَشْجَارِ ؛ فَإِذَا طَابَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ  
لِلشَّجَرِ زَكَتْ ثَمَرُهَا ، وَإِذَا كَرُمَتِ النُّفُوسُ لِلْعُقُولِ طَابَ خَيْرُهَا ، فَاعْمُرْ نَفْسَكَ  
بِالسَّكْرِ ، تَسْلَمْ مِنَ الْآفَةِ وَالسَّوْمِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَقْلَ [ الْحَسَنَ ] فِي النَّفْسِ اللَّثِيمَةِ ، بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرَةِ الْكَرِيمَةِ فِي  
الْأَرْضِ الذَّمِيمَةِ ، يَنْتَفِعُ بِثَمَرِهَا عَلَى خُبْثِ الْمَغْرَسِ ؛ فَاجْتَنِبْ ثَمَرَ الْعُقُولِ وَإِنْ أَتَاكَ  
مِنْ لِثَامِ الْآنَفْسِ . [ وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « رَبِّ حَامِلِ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْعَى  
لَهُ » . وَقِيلَ : رَبِّ حَامِلِ فَقِهِ غَيْرَ فَقِيهِ ، وَرَبِّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ] .

الحكمة  
وواجب العاقل  
إزاءها

وقيل : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا أَخَذَهَا . وَسَمِعَ الشَّعْبِيُّ الْحُجَّاجُ  
ابْنَ يُوسُفَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ ، وَعَلَى  
الْآخِرَةِ الْبَقَاءَ ، فَلَا فَنَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ ، وَلَا بَقَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ،  
فَلَا يَغْرُنْكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الْآخِرَةِ ، وَأَقْصِرُوا مِنَ الْأَمَلِ ، لِقِصَرِ الْأَجْلِ .

(١) وكانت وفاة انوزيرالاهلي سنة ٣٥٢ (٢) الشعاب: جمع شعب - بكسر الشين -  
وهو الطريق في الجبل (٣) اجمام - بكسر الجيم - الراحة .

فقال : كلامُ حكمةٍ خَرَجَ من قلبِ خَرَابٍ ! وأخرج المواجه فكتب  
وقد روى ذلك عن سفيان الثوري .

وقد سَمِعَ إبراهيم بن هشام وهو يخطُبُ على المنبر ويقول : إن يوماً أشاب  
الصغير ، وأسكر الكبير ، ليومٌ شرُّه مُسْتَطِير !  
وصف الكتب :

قال الجاحظ : الكذب وعاءٌ مليٌّ علماً ، وظرفٌ حشِيٌّ ظرفاً ، وبُستَانٌ  
يُحْمَلُ في رَدْنٍ<sup>(١)</sup> ، وروضةٌ تَقَلَّبُ في حِجَرٍ ، ينطق عن الموتى ، ويُستَرَجَمُ كلاماً  
الأحياء .

وقال : من صَنَّفَ كتاباً فقد استهدف<sup>(٢)</sup> ؛ فإن أحسن فقد استعطف ، وإن  
أساء فقد استنقذ<sup>(٣)</sup> .

وقال : لا أعلم جباراً أبرّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا مُعَاماً  
أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقلّ جناية ، ولا أقلّ إملالاً وإبراماً ، ولا  
أقلّ خالفاً وإجراماً ، ولا أقلّ غيبةً ، ولا أبعد من عضيه<sup>(٤)</sup> ، ولا أكثر أعجوبة  
وتصرفاً ، ولا أقلّ صلَفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من مرءٍ ، ولا أترك إشغب ، ولا أزهد  
في جدال ، ولا أكفّ عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريباً أحسن مؤاتاة ، ولا  
أعجل مكافأة ، ولا أخضر مَعُونَةً ، ولا أقلّ مَثُونَةً ، ولا شجرةً أطولَ عمراً ، ولا  
أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مُجْتَنًى ، ولا أسرع إدراكاً ، ولا أوفى  
ولا أوجد في غير إِيَّانٍ ، من كتاب . ولا أعلم تشجافاً حَدَاثَةً سنّة . وقرب ميلاده ،  
ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التداوير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن  
آثار العقول الصحيحة ، وبحمود الأخبار عن القرون الماضية . والبلاد المترامية ،  
والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يُجْمَعُ الكتب .

(١) الرَدْنُ : السِّم . (٢) استهدف : صير نفسه هدفاً للبهائم النكد

(٣) استنقذ : عرض نفسه للقدف (٤) العضية : الإلف و عهد الكذب

ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب ، فقال : ما هذا ؟ فقال :  
 أمون يصف كتاب لأبيه الرشيد  
 كتاب يشجذ الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال : الحمد لله الذي رزقني من يرى  
 بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكُتُبِكَ ؟ فقال : هي إن  
 خلوت لذتي ، وإن اهتممتُ سلواتي ، وإن قلت : إن زهر البستان ، ونور  
 الجان ، يحلوان الأبصار ، ويمتعان بحسبهما الألفاظ ؛ فإن بستان الكتب  
 يخلو العقل ، ويشجذ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوى القريحة ، ويعين الطبيعة ،  
 وينبعث نتائج العقول ، ويستثير دافئ القلوب ، ويمتع في الخلوة ، ويؤنس في  
 الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسر بغرائبه ، ويقيد ولا يستفيد ، ويعطي ولا  
 يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب ، من غير سامة تدركك ، ولا مشقة  
 تغرض لك .

وقال أبو الطيب المتنبي :

وللسرّ مني موضع لا يناله  
 وللخود مني ساعة ، ثم يئمننا  
 وما العشق إلا غيرة وطاعة  
 وغير فوادي للغواني رمية  
 تركنا لأطراف القما كل لذة  
 نصرّفه للطعن فوق سواج  
 أعز مكان في الدنيا سرج ساج  
 نديم ، ولا يفضي إليه شراب  
 فلا إلى غير اللقاء تجاب<sup>(١)</sup>  
 يعرض قلب نفسه فيصاب  
 وغير بناني للرخا رخ ركاب<sup>(٢)</sup>  
 فليس لنا إلا بهن لعاب<sup>(٣)</sup>  
 قد انقصت فيمن منه كعاب<sup>(٤)</sup>  
 وخير جليس في الزمان كتاب

لأبي الطيب  
المتنبي

(١) الخود : الفتاة الجميلة . وتجاب : تقطع (٢) رمية : فريسة ، والرخا : جمع رخ . وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو الملاعبة (٤) السواج : الخيول .  
 والكعب : أطراف القما

## فقر في الكتب

إنفاق الفضة على كتب الآداب ، يُخلفك عليه ذهاب الألباب . إن هذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزيمة . كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله . ابن المعتز : من قرأ سطرًا من كتاب قد خط عليه فقد خان كاتبه ؛ لأن الخط يُخرز ماتحته .

بزرجمهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم .  
بعض الكتاب : إعجام الخط يمنع من استعجابه ، وشككه يؤمن من إشكاله .  
كان هذا الكاتب نجحًا إلى قول أبي تمام :  
تري الحادث المستعجم الخطب معجمًا لديه ، ومشكولًا إذا كان مشكلاً  
ما كتب قرء ، وما حفظ قرء . الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة .  
وقال ابن المعتز يصف كتاباً :

وذى نكت موسى نقتنه وحاكته الأنامل أى حوك  
بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطورَه أغصانُ شوك

## جملة من ألفاظ أهل المضر

في صفة الكتب وتهاديبها ، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاي تجل عن أن يهتدى إليها غير الكتب ، التي لا يترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خطير ، وقد فكرت فيما أنفذت به مقيا للرسم في جملة الخدم ، وحافظ الاسم في غمار الخشم ، فلم أجِد إلا الرق الذي سبق ملكه له ، والمال الذي منحه وخوله ، فعدلت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا ولا تكسد . وتهب ريحه بجانبه ولا تركد . وأنفذت كتابي هذا راجياً أن أشرف بقبوله ، ويوقع إلى بحصوله ؛ وأما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا إهداء ما جرت العادة بتسابق الأولياء إلى الاجتهاد في إهدائه<sup>(١)</sup> ، وجب العدول في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع

(١) في نسخة « بتسابق الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه » (٢)

ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجلّ عند ذوى الألباب قيمته ، وتحو  
ثمرته : وهو عمّ يُقْتَنَى ، وأدب يُعْتَنَى .

قال أبو الحسن بن طباطبا العلوى :

لابن طباطبا

لَا تُسْكِرُنْ إِهْدَاءَنَا لَكَ مِنْطَقًا      مِنْكَ اسْتَفْدَانَا بِحُسْنِهِ وَنِظَامِهِ  
فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشُكْرٍ فَعَلَ مِنْ      يَتَنَوَّعُ عَلَيْهِ وَخِيهِ وَكَلَامِهِ  
وأهدى أحمد بن يوسف<sup>(١)</sup> إلى المأمون في يوم مِهْرَجَانٍ هديةً قيمتها ألف  
ألف درهم ، وكتب :

لأحمد بن  
يوسف

على العبد حقٌّ فَهَوَّ لَا بَدَّ فَاعِلُهُ      وَإِنْ عَظُمَ الْمَوْلَى وَجَلَّتْ فُضَائِلُهُ  
أَلَمْ تَرْنَا نَهْدِي إِلَى اللَّهِ بِأَمَلِهِ      وَإِنْ كَانَ عَيْنُهُ ذَا غِيٍّ وَهُوَ قَابِلُهُ  
وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح  
البستي

لَا تُسْكِرُنْ إِذَا أَهْدَيْتَ نَحْوَكُ مِنْ      غُلُومِكَ الْغَرَّ أَوْ آدَابِكَ التُّنْفَا  
فَقِيمِ الْبَاغِ قَدْ يَهْدِي لِمَا لَمْ يَكُنْ      بِرِسْمِ خِدْمَتِهِ مِنْ بَاغِهِ التُّنْفَا<sup>(٢)</sup>

وكتب أبو إسحاق الصابى إلى عضد الدولة فى هذا المعنى : العبيد تُلَاطِفُ  
وَلَا تُكَاثِرُ الْمَوَالِي فِي هَدَايَاهَا ، وَالْمَوَالِي تَقْبَلُ الْمَيْسُورَ مِنْهَا قَبُولًا هُوَ مُحْسَبٌ فِي  
عَطَايَاهَا . وَمَا كَانَ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّادًا - مَبْرَرًا عَلَى مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي الْخِطَرِ  
الَّذِي قَعَبُوا عَنْهُ شَدِيدًا ، وَالسَّعْيُ الَّذِي وَقَفُوا عَنْهُ بَعِيدًا ، وَالْآدَابُ الَّتِي عَجَزُوا عَنْ  
اسْتِعْلَامِهَا فَضْلًا عَنْ عِلْمِهَا ، وَالْأَدْوَاتُ الَّتِي نَسَكَلُوا<sup>(٣)</sup> عَنْ اسْتِغْنَائِهَا فَضْلًا عَنْ فَهْمِهَا ،  
وَجِبَ أَنْ يُعَدَّلَ عَنْ اخْتِيَارَاتِهِمْ فِيمَا تَحْتَطَّى بِهِ الْجُسُومُ الْبَيْمِيَّةُ ، إِلَى اخْتِيَارِهِ

لأبي إسحاق  
الصابى

(١) أحمد بن يوسف بن كاتب بايع كان يشول ديوان الرسائل للمأمون . وله أخبار كثيرة تدل على أنه كان مع مركزه فى الدولة كثير العبث والخبون . شتمه رجل بين يدى المأمون فقال مخاطب المأمون : فذوالله بأمر المؤمنين وأبيه يسلم من ذنوبه ما يلقى به . وسيعود صاحب ربح الآداب فى الكلام عنه فى هذا الموضوع . كتابه سنة ٢١٣  
(٢) الباغ : الطيب (٣) نكل عن الشيء . - من باب قصر وحرب وفتح . - من باب وأخر (م)



فما تحطى به النفوس العلية ، وعمد ينفق في سوقهم الغامية . إلى ما ينفق في  
سوقه الخاصة ، أفراداً لرتبته العليا ، وغايته القصوى ، وتميزاً له عن لا يجرى  
معه في هذا المضمار ، ولا يتعلق منه بالعبارة : وقد حملت إلى الخزانة - عمرها الله -  
شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم ، فإن رأى مولانا أن يتطول<sup>(١)</sup> على عبده بالإذن  
في عرض ذلك عليه مشرفاً له وزائداً في إحسانه إليه فعلى إن شاء الله تعالى .

وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبي الفضل بن العميد في يوم نوروز قصيدة من أبي نسيب  
مدحه فيها<sup>(٢)</sup> يقول في آخرها :

كثُرَ الفِكرُ كيف هُدَى كاتِبُدى إلى ربِّها الرئيسِ عبادة  
والَّذى عندنا من المأى والخيالِ قَمِينَةٌ هِبَةٌ وفيادة  
فبعثنا بأربعين مَهَارٍ كُلُّ مَهْرٍ مِيدَانُهُ إِنْشَادُهُ  
فارتبطها فإنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الجيادَ جِيَادُهُ

وفي هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد في تجويد ألفاظها ومعانيها .  
فَعَقَّبَ عليه أبو الفضل في مواضع وقف عليها فقال<sup>(٣)</sup> :

هل نَعْدُرِي إلى الهمام أبنِي الفضلِ قَبُولُ سَوَادِ عَيْنِي . . .  
أَنَا من شِدَّةِ حَيَاءٍ عَائِلٌ مَكْرُمَاتُ الْمُعَمَّلِ عَوْدِي . . .  
مَا كَفَانِي تَقْصِيرٌ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عَلَادَةٍ حَتَّى تُعَدَّ الْمُقَدَّرُ . . .

(١) يتطول : يتفضل (م) (٢) مطلع هذه القصيدة :

حاء نبروزنا وأنت مراده وورث نالدى أراد زناده .

(٣) نيس الأمر كما ذكر المؤلف . وإنما لاحظ ابن العميد ملاحظته على . . . في

مقدمة الرائية التي يشير إليها المؤلف بعد ذلك . فذهب شدة الأثر . . .

في تباعيف الذالية التي فصدتها تهنة من العميد ليس لنوروز

(٤) أنعله : من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله

ما تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى بِكَابِي الْفَضْلَ ، وَهَذَا الَّذِي أَنَاهُ اعْتِيَادُهُ  
 غَمَرَتْني فَوَائِدُ شَاءَ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادُهُ  
 مَا سَمِعْنَا مِنْ أَحَبِّ الْعَطَايَا فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ مِنْهَا فَوَادُهُ  
 وَقَدْ كَانَ مَدْحُهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْهَاهُ :

بَادِرِ هَوَاكَ صَبْرَتْ أُمٌّ لَمْ تَضْمِرْ وَأُبْكَكَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مَعَكَ أَوْ جَرَى  
 وَفِيهَا مَعَانٍ مَخْتَرَةٌ ، وَأَبْيَاتٌ مَبْتَدَعَةٌ ، يَقُولُ فِيهَا :

مِنْ مُبْلَغِ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا جَالَسْتُ رَسْطَالِيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا  
 وَمَلَأْتُ نَحْرَ عَشَارَهَا فَأَضَافَنِي مِنْ يَنْحَرِ الْبَدْرِ النَّضَارِ لِمَنْ قَرَى <sup>(١)</sup>  
 وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتِبِهِ مَتَمَلَّكَ مَتَبَدِيَاً مَتَحَضَّرَا <sup>(٢)</sup>  
 وَرَأَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُ نَفُوسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا  
 نُسِقُوا لَنَا نَسْقَ الْحَسَابِ مَقْدَمًا وَأَتَى بِذَلِكَ إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرَا  
 وَفِيهَا يَقُولُ :

فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالَقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا  
 خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعْيُونِ كَلَامَهُ كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَا  
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الطَّائِي يَصِفُ قِصَائِدَهُ :

بِقُرْبِ يَرَاهَا مِنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ وَيَدْنُو إِلَيْهَا ذَوَالْحِجَا وَهُوَ شَاسِعُ <sup>(٣)</sup>

[ فَمَرَّ فِي وَصْفِ الْكُتُبِ ]

كِتَابُ كَتَبَ لِي أَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ ، وَهَنَانِي فِي أَيَّامِ الْعَمْرِ . كِتَابُ أَوْجِبَ  
 مِنَ الْإِعْتِدَادِ فَوْقَ الْأَعْدَادِ ، وَأَوْدَعَ بَيَاضَ الْوُدَادِ سَوَادَ الْفَوَادِ . كِتَابُ النَّظَرُ فِيهِ

(١) البدر : جمع بدرة ، وهي الكيس فيه عشرة آلاف دينار ، والنضار - بالضم -  
 الذهب ، وقرى : أضاف (٢) متبديا : في أخلاق أهل البداوة (٣) شاسع : بعيد

نعيم مقيم ، والظفرُ به فتح عظيم . كتاب ارتحت لعيانه ، واهتززت لعُنْوانه .  
 كتاب هو من الكتب الميامين <sup>(١)</sup> ، التي تأتي من قبل اليمين . كتاب عدته  
 من حُجُول العُمَرِ وغرره <sup>(٢)</sup> ، واعتدَدته من فُرْص العيش وغُرَره <sup>(٣)</sup> .  
 كتابٌ هو أنفُس طالع ، وأكرم متطلع ، وأحسن واقع ، وأجلُّ  
 متوقع . كتابٌ لو قُرئ على الحجارة لانفجرت ، أو على الصواكب  
 لانتشرت . كتابٌ كدتُ أبلّيه طيًّا ونشرًا ، وقبّلتُهُ ألفًا ، ويدَ حامله  
 عشرًا . كتابٌ نسيتُ لحسنه الرّوضَ والزّهر ، وغفرتُ للزمان ما تقدّم من  
 ذنبه وما تأخر . كتابٌ أمْلَيْتُهُ هِزَّةَ المجدِ على بنانك ، ونطقَ به لسانُ الفُضْلِ  
 عن لسانك . أنا ألتقطُ من كلِّ حَرْفٍ تَديرُهُ أناملكُ مُحفّةً ، وأخذُ  
 من كلِّ سطرٍ تتجشَّمُ تخطيطه نزهةً . إذا قرأتُ من خطك حَرْفًا ، وجدتُ  
 على قلبي خِفًّا <sup>(٤)</sup> ، وإذا تأملتُ من كلامك لفظًا ، ازددتُ من أنسِي حَظًّا .  
 كتاب كتبَ لي أمانًا من الزمان ، وتوقيعٌ وقعَ مِنِّي مَوْقِعَ المَاءِ من  
 العطشان . كتاب هو تَعَلَّةُ المسافر <sup>(٥)</sup> ، وأنسَةُ المستوحش ، وزبدة الوصال ،  
 وعُقْلَةُ المُستوفز <sup>(٦)</sup> . كتاب هو رُقية القلب السليم <sup>(٧)</sup> ، وغرّة العيش البهيم <sup>(٨)</sup> .  
 كتابٌ هو سَمَرٌ بلا سَهَرٍ ، وصفوٌ بلا كَدَرٍ . كتابٌ تمتعتُ منه بالنعيم  
 الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلمته استلام الحجر الأسود <sup>(٩)</sup> ، ووكلتُ  
 طرفي من سَطُورِهِ بوشىٍ مُهلَّلٍ ، وتاج مُسكَلٍ ، وأودَعْتُ سَمْعِي من محاسنه

---

(١) الميامين: جمع ميمون (٢) الحُجُول: جمع حجل، وهو يبيض في القوائم تحمل به  
 الخيول ، والغرر: جمع غرة، وهى يبيض في الجهة (٣) غرر: جمع غرة بكسر الغين وهى  
 الزرق ، وقد يحلو في الشباب (٤) الخف والخفة : الارتياح (٥) تعلقة المسافر :  
 ما يلبس به لقطع الوقت (٦) المستوفز : المتبهيء للوثوب (٧) السليم : المداوغ  
 (٨) البهيم : المظالم (٩) يريد أنه استلمه مقيمنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى  
 الله باستلام الحجر الاسود

١. أنشأت سماع الأغاني من مطربات الغواني<sup>(١)</sup>. نشأت سحابة من لفظك ، غيمها نعمة سابقة ، وغيتها حكمة بالغة ، سقت روضة القلب ، وقد جهدها يد الجذب<sup>(٢)</sup> ؛ فاهتزت وربت ، واكتست ما اكتسبت . كتاب حبيبته ساقطاً إلى من السماء ، اهتزازاً لطلعه ، رابتهاجاً بحسن موقعه ، تناولته كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفيض الرحيق الختم<sup>(٣)</sup> . كتاب كالمشترى شرف به المسير ، وقميص يوسف جاء به البشير . كتاب هو من الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، وفي شرح النفس وبسط الأنس برّد الأكياد والقلوب ، وقميص يوسف في أحضان يعقوب . قد أهديت إلى محسن الدنيا مجموعة في ورقه ، ومباهج الحلى والخلل محصورة في طبقه . كتب الصقته بالقلب والكبد ، وشمته شم الولد . ورد منك المسك ذكياً ، والزهرة جنيّاً ، والماء مريّاً<sup>(٤)</sup> ، والعيش هنيّاً ، والسحر بابليّاً<sup>(٥)</sup> . كتاب مطاعه أهلة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد . كتاب وجدته قصير العمر ، كليالي الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى استكمل ، وقارب الآخر منه الأول . كتاب منتقض الأطراف ، منقطع الأكتاف ، أبتز الجوارح ، مضطرب الجوانح ، كتاب كأنه توقيع متحرّز ، أو تعريض متبرز<sup>(٦)</sup> ، كاد يلتقي طرفاً ، ويتقارب مفتحه ومفتهاً . كتاب التقت طرفاه صغيراً ، واحتومت حاشيتهما قصراً . ما أظنني

---

(١) الغواني : جمع غانية ، وأصلها المرأة التي استغنت بمجالها عن الزينة ، أو التي استغنت ببيت أبيها عن الأزواج ، وأراد هنا القيان (م)  
 (٢) أجهدها : أشقها ، والجذب : القحل (٣) الرحيق الختموم : الحمر المعتقة التي لم تفيض عن دناتها الأختام (٤) مريء : هنيء . (٥) بابل : مدينه يناسب إليها السحر ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (م) (٦) متبرز : متعفف : ورجل برز ، وامرأة برزة : عفيف وعفيفة : وكلاهما يسكون نـ .

ابتدأته حتى ختمته ، ولا استفتحته حتى أتمته ، ولا لحنه حتى استوفيته ،  
ولا نشرته حتى طويته ، وأحسبني لو لم أجود ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ،  
نظار حتى يختلط بالجو ، فلا أرى منه إلا هباءً منثوراً ، وهواء منشوراً .  
كتاب حسبه يطير من يدي لخفته ، ويلطف عن حسي لقلته ، وعجبت  
كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بالهواء عند وصوله لـدى .  
كتاب قص الاقتصار أجنحته ، فلم يدع له قوادم ولا خوافي ، وأخذ  
الاختصار جثته ، فلم يبق ألقاظاً ولا معاني . طلع كتابك كإيماء بطرف ،  
أو وحي بكف .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : استعرت من علي بن يحيى المنجم جزءاً فيه  
أخبار مأميد بخط نجاد بن إسحاق الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث إلى بست  
ورقات لطاف ، فردتها وكتبت إليه : « إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزء  
الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءاً فيه فائدة للقارىء ، وممتعة  
للسامع ، فقد أحلت<sup>(١)</sup> ؛ وقد ردّته عليك بعد أن طار اللحظ  
عليه طيرة . »

فأجابني : إذا كان السفر عندك منجاةً فما أصنع<sup>(٢)</sup> ؟

[ المحادثة والمجالسة ]

وقال أبو العباس : دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً .  
فقال : ما ينقضي يوم من عمرى لأراك فيه إلا علمت أنه مبنور القدر ، منحوس  
الحظ ، مغبون الأيام .

فقال الحسن : هذا لأنك توصل إلى بحضورك سروراً لا جدار عند عيناك ،

(١) أحوال : تسكلم بالحوال (٢) المنجاة: ما يظهر به من ورق أو مد .

وَأَتَلَسَّمْ مِنْ أَرْوَاحِ عِشْرَتِكَ مَا تَجِدُ الْخَوَاسِ بِهِ يُغَيِّبُهَا ، وَتَسْتَوِي مِنْهُ لَذَّتُهَا ،  
فَنَفْسُكَ تَأَلَّفَ مِنِّي مِثْلَ مَا آلَفَهُ مِنْكَ .

وكان يقال : محادثة الرِّجال تَلْقِيحُ الأَلْبَابِ <sup>(١)</sup> .

وقال ابن الرومي :

وَلَقَدْ سَسِئْتُ مَارِبِي فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ  
إِلَّا الْحَدِيثَ ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

قال مخارق : لقيني أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله  
صَبُّ بكَ ، وَلَوْعَ إِلَيْكَ ، مَعْمُورُ الْقَلْبِ <sup>(٢)</sup> بِشُكْرِكَ ، وَاللِّسَانِ بِذِكْرِكَ ، مَتَشَوِّفٌ إِلَى  
رُؤْيَيْتِكَ وَمُفَاوَضَتِكَ ، وَقَدْ طَالَتِ الْأَيَّامُ عَلَى مَا أَعِدُّهُ نَفْسِي مِنَ الْاجْتِمَاعِ مَعَكَ ،  
وَمِنْ قَضَاءِ الْوَطَرِ مِنْكَ ؛ فَمَا عِنْدَكَ ؟ أَنَا الْفِدَاءُ لَكَ ! وَتَزُورُنِي أَمْ أَزُورُكَ ؟

قلت : جعلني الله فداءك ! ما يكونُ عند مَنْ هو منك بهذا الموضع وفي هذا  
الحلَّ إلا الانقياد إلى أمرِكَ ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَكَ ، وَلَوْلَا أَنْ أَسَىءَ الْأَدَبَ فِي  
أَمْرٍ بَدَأْتُ فِيهِ بِالْفَضْلِ لَقُلْتُ : إِنْ كَثِيرَ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ يَقْلُ فِيمَا عِنْدِي  
مِنَ الشَّوْقِ إِلَيْكَ ، وَالشَّغْفِ بِكَ ، دُونَ مَا حَرَّكَ هَذَا الْقَوْلُ مِنِّي ، فَوَجَبَتْ لَكَ بِهِ  
الْمَنَّةُ عَلَيَّ ، وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَاتْنِ عِنَايَ إِلَى مَا أَرَدْتُ ، وَقَدْ نِي كَيْفَ شِئْتُ ،  
تَجِدُنِي كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَا تَشْتَهِيهِ فَإِنِّي الْيَوْمَ فَاعِلُهُ وَالْقَلْبُ صَبٌُّ فَمَا جَشَمْتَهُ جِشْمًا  
وَذَكَرَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهِمًّا جَلِيلًا ، وَلَا تَفْهَمًا لَدَقِيقٍ  
أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَنُوعٍ تَعَرَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَوَلٍ  
فَصَرْتُ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَقَرَّ إِلَى ذِهْنٍ جَلِيلٍ <sup>(٣)</sup>

(١) التلقيح : ما تلقح به النخلة لشمر (٢) كذا . وأحسبه « معمور القلب » بعين

مبهمة (م) (٣) في ديوان أبي تمام (ص ٥٠٣) « به فقر إلى فهم جليل » (م)

وقال سعيد بن مسلم للمؤمنون : لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن بين المأمون وسعيد بن مسلم ما أبلانى من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ؛ لقد كان فى ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجب الحزمة . فقال : يفعل أمير المؤمنين ذلك ؛ لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لا يجده عند أحد من مضى ، ولا يظن أنه يجده عند أحد من بقى ، فإنك لتستقصى حديثى ، وتقف عند مقاطع كلامى ، وتخبر بما كنت أغفلته منه .

وقال المتوكل لأبى العيناء : ما تحسن ؟ قال : أفهم وأفهم .  
 وقال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد ضرب الموسيقى : أفهمت ؟ قال : نعم ، قال : بل لم تفهم ؛ لأنى لا أرى عليك سرور الفهم ! وقد قيل : من نظر إلى الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يتهيج كان عديم حس ، أوسقيم نفس .  
 ومر أبو تمام بامرئ شمر من أرض فارس ، فسمع جارية تغنى بالفارسية ، أبو تمام يصف جارية تغنى بالفارسية فشقاه شجى الصوت ، فقال :

ومُسَمِّعَةٌ تروقُ السَّمْعَ حَسَنًا      ولم تصممه ، لا يصمم صداها !  
 لوت أوتارها فشجت وشافت      فلو يستطيع حاسدها فدأها  
 ولم أفهم معانيها ، ولكن      ورت كبدى فلم أجهل شداها  
 فكنت كأنتى أعمى معنئى      يُحبُّ الغانياتِ ولا يراها

قال أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : قلت لأبى تمام : أخذت هذا المعنى من أحد ؟ قال : نعم ، أخذته من قول بشار بن برد :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة      والأذن تغشُّ قبل العين أحيانا  
 قالوا : بمن لا ترى تهذى ؟ فقلت لهم :      الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وقال بشار أيضاً فى هذا المعنى :

قالت عَمِيلُ بن كعب إذ تعلقها      قلبى فأضحى به من حُبِّها أثرُ :

أَنْى وَلَمْ تَرَهَا تَهْدَى ! فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ الْقَوَادِرَ لَا يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ  
وقال :

يُرْهِدْنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعَشَرٌ      قُلُوبُهُمْ فِيهَا مَخَالِفَةٌ قَلْبِي  
فَقُلْتُ : دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَقَى      فَيَا قَلْبَ لَا بِالْعَيْنِ يُبْصِرُ ذُو اللَّابِ  
وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى      وَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانِ إِلَّا مِنْ الْقَلْبِ  
وقد قال أبو يعقوب الحريري في هذا المعنى ، وكان قد أعور ثم عمى ، وقيل :  
إنها للخليل بن أحمد :

قَالَتْ أَنَّهُ زَأْبِي غَدَاةَ لَقِيْتَهَا      يَا لِلرِّجَالِ لَصَبُوءَ الْعَمِيَانِ  
فَأَجَبْتُهَا : نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّمَا      أَذْنِي وَعَيْنِي فِي الْهَوَى سَيَّانِ  
وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر :      إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ :  
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ مَعِيَ قَالِدُكَ مِنْكَ مَعِيَ      يَرْعَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبَتْ عَنْ بَصَرِي  
الْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقِدُهُ      وَنَظَرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ  
وقال آخر :

أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ الْهَوَى      لَنْ غِيبَتْ عَنْ عَيْنِي فَمَا غِيبَتْ عَنْ قَلْبِي  
تُرِينِيكَ عَيْنُ الْوَهْمِ حَتَّى كَأَنِّي      أَنَا جِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي <sup>(١)</sup>  
وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم :

لَنْ كَانَ عَنْ عَيْنِي أَحْمَدُ غَائِبًا      فَمَا هُوَ عَنْ عَيْنِ الضَّمِيرِ بَغَائِبِ  
لَهُ صُورَةٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ يُقْصِهَا النَّوَى      وَلَمْ تَتَخَطَّفْهَا أَكْفُ النَّوَابِ

(١) ومن هذا الباب قول أحمد بن يوسف :

تَطَاوَلَ بِاللِّقَاءِ الْعَهْدُ مِنَا      وَطَوَّلَ الْعَهْدُ يَدْحَ فِي الْقُلُوبِ  
أَرَاكَ وَإِنْ نَأَيْتَ بَعْضَ قَلْبِي      كَأَنَّكَ نَسَبَ عَيْنِي مِنْ قُرْبِ  
فَهَلْ لِي فِي الرُّوْحِ إِلَى حَبِيبِ      يَقْرُبُ بَعِينَهُ قُرْبُ الْحَبِيبِ



إذا ساءنى منه شُحوطُ مزاره وضائق بقلبي في نَوَاهِ مَذَاهِبي<sup>(١)</sup>  
 عطفتُ على شَخْصٍ له غير نازِحٍ مَحَلَّتُهُ بَيْنَ الْحَشَا وَالْثَرَائِبِ<sup>(٢)</sup>  
 وذَكَرَ أبو عبيدة كيسان مُسْتَمْلِيه في بعض الأمر ، فقال : مَا قَهَمَ ، ولو كيسان مُسْتَمْلِي  
 فهِم لَوْ هُمْ<sup>(٣)</sup> . وكان كيسانُ يوصف بالبلادة والغفلة .

قال الجاحظ : كان يكتبُ غيرَ ما يسمع ، ويستقنى غيرَ ما يكتب ،  
 ويقرأ غيرَ ما يستقنى<sup>(٤)</sup> ، ويُعَمِّلِي غيرَ ما يقرأ ، أُمْلِيتُ عليه يوماً :  
 عَجِبْتُ لِمُعْشِرٍ عَدَلُوا بِمُعْتَمِرِ أبا عمر  
 فَكُتِبَ أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستقنى أبا زيد .

ما يجب  
 للمحدث على  
 جلسه

قال أبو عباد : للمحدث على جلسه ، السامع لحديثه ، أن يَجْمَعَ له بآله ،  
 وَيُضْنِي إلى حديثه ، ويكتم عليه سِرَّهُ ، ويبسط له عذرَه .  
 وقال : ينبغى للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يَسْتَفْهَمَهُ عن مَعْنَى حديثه ، فإن  
 وجدده قد أخلَصَ له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمة حُسْنِ  
 الإقبال عليه ، ونفع الموانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث .  
 وقال : نَشَاطُ المحدث على قَدْرِ فهم المستمع .

وكان عبد الله بن مسعود<sup>(٥)</sup> - رضى الله عنه ! - يقول : حَدَّثِ النَّاسَ مَا حَدَّثَ جُوكَ  
 بِأَسْمَاعِهِمْ<sup>(٦)</sup> ، ولحظوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك .  
 وقال أبو الفتح البستي :  
 إذا أَحْسَسْتَ في لَفْظِي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيان

(١) الشحوط : البعد (٢) التازح : البعيد (٣) وهم : غلط (٤) استقنى : سود  
 (٥) صحابي جليل ، كان من السابقين إلى الاسلام ، وكان أول من جهر بقراءة  
 القرآن في مكة . وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة ، كان رضى الله عنه  
 يكثر من التطيب . وكان من المتفوقين في رواية الحديث ، توفي سنة ٣٢  
 (٦) حدِّثوك بأسماءهم : وجهوها نحوك

فلا تَرْتَبْ بِفَهْمِي إِنَّ رَقْصِي عَلَى مَقْدَارِ إِيْقَاعِ الزَّمَانِ  
وقال عامر بن عبد قيس : الكلمةُ إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ،  
وإذا خرجت من اللسان لم تُجَاوِزِ الْآذَانَ .

وقال الحسن — وقد سمع متكلمًا يَعْظُ فلم تَقَعْ مَوْعِظَتُهُ مِنْ قَلْبِهِ ولم يَرْقَ لها — : يا هذا ؛ إن بقلبك لشرًّا ، أو بقلبي !

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن انسك لجاريته : كيف ترين ما أَعْظُ  
الناس به ؟ قالت : هو حَسَنٌ ، إلا أنك تكررُه ، قال : إنما أُكْرِرُهُ ليفهمه مَنْ  
لم يكن فهِمَهُ ، قالت : إلى أن يفهمه البطىء يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِ الذَّكِيِّ .

واستُعِيدَ ابنُ عباسٍ حديثًا فقال : لولا أنى أخافُ أن أغضَّ من بهائه ،  
وأريق من مائه ، وأُخْلِقَ من جدِّه ، لأعدته .

وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده :

مُنْزَهَةٌ عَنِ السَّرِقِ الْمُؤَدَّى مَكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمَعَادِ  
أخذَه البحتري فقال :

لا يعمل اللفظ المكَرَّرَ فِيهِ وَاللَّفْظُ الْمُرْدَّدُ  
والإطالة مملولة كما يُمَلُّ التكرير .

وقد قال الحسن بن سهل : الآدابُ عشرة ؛ فثلاثةٌ شَهْرَجَانِيَّةٌ ، وثلاثةٌ  
أَنْوَشِرَوَانِيَّةٌ ، وثلاثةٌ عَرَبِيَّةٌ ، وواحدةٌ أُرْبَتُ عَلَيْهِنَ ؛ فأما الشَهْرَجَانِيَّةُ فضرِبُ الْعُودِ .  
ولعب الشَطْرَنْجِ ، ولعب الصَّوَالِجِ . وأما الْأَنْوَشِرَوَانِيَّةُ فالطَّبْ ، والهندسة .  
والفروسية . وأما العربية فالشَّعْرُ ، والنَّسَبُ ، وأيام الناس . وأما الواحدة التي  
أُرْبَتُ عَلَيْهِنَ : فمقطعات الحديث ، والسمر ، وما يتلقاه الناسُ بينهم في المجالس .

وكان يُقال : حُذِّدْ مِنَ الْعُلُومِ نَتْفَهَا ، وَمَنِ الْآدَابِ طَرْفَهَا .

وكان يُقال : مَقْطَعَاتُ الْأَدَبِ ، قُرَاصَاتُ الذَّهَبِ .

تكرار  
الحديث

الآداب

لسمروتنف  
الأحاديث

وحضر بشار بن بُرْدٍ مجلساً فقال : لا تجعلوا مجلسنا غناً ، كلةً ، ولا شعراً  
كله ، ولا سمرّاً كله ، ولكن اتبهوه انتهباً .

وقال الحسن رحمه الله : حدثوا هذه القلوبَ فإيهما سريعةُ الدُّنور ، وأدْعُوا<sup>(١)</sup>  
هذه الأنفسَ فإنها طُلعة<sup>(٢)</sup> ؛ وإنكم إلا تزعوها<sup>(٣)</sup> تنزعُ بكم إلى شرِّ غاية .

وقال أزدشير بن بابك : إن للأذهان كلالاً ، وللقلوبَ ملالاً ، ففرّقوا بين  
الحكمتين يكن ذلك استجماماً .

ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِى نفسه من أربع :  
عُدَّةٌ لِمَعَادِهِ ، وصَلاحٌ لِمَعَاشِهِ ، وَفِكْرٌ يَقِفُ به على ما يُضْلِحُهُ من فساده ،  
ولذة في غير مُحَرَّم يستعينُ بها على الحالات الثلاث .  
وما أحسن ما قال أبو الفتح بن كشاجم<sup>(٤)</sup> :

عَجَبِي مِمَّنْ تَنَاهَتْ حَالُهُ	وكفاه الله ذِلَاتِ الطَلَبِ
كيف لا يُقَسِّمُ شَطْرِي عَمْرِي	بين حَالَيْنِ نَعِيمٍ وَأَدَبٍ؟
سَاعَةٌ يُمْتَسَعُ فِيهَا نَفْسُهُ	من غِذَاءٍ وَشَرَابٍ مُنْتَخَبِ
وَدُنُوٌّ مِنْ دُمِّي هُنَّ لَهُ	حين يَشْتاقُ إِلَى اللَّعْبِ لُعبِ <sup>(٥)</sup>
فَإِذَا مَا نَالَ مِنْ ذَا حَظِّهِ	فحديثٌ وَنَشِيدٌ وَكُتُبُ
مَرَّةً جِدًّا ، وَأُخْرَى رَاحَةً	فَإِذَا مَا غَسَقَ اللَّيْلُ انْتَصَبُ
فَقَضَى الدُّنْيَا نَهَاراً حَقّاً	وَقَضَى لِلَّهِ لَيْلاً مَا وَجَبُ

(١) من القدح . بالقاف ، وهو ازجر . وفي الأصل (افدعوا) بالقاف وهو تحريف

(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) زع - بالزاي المعجمة - زجر ، وفي الأصل (ترعوها)  
بالراء المهملة وهو تحريف — وفي نسخة «تقدعوها» وفي أخرى «تزعوها» بزيادة  
نون بين حرف المضارعة والزاي ، وفي أخرى «إلا تطيعوها» وهذه لا يصح المعنى عليها (م)

(٤) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب ، المتوفى سنة ٣٥٠ .

(٥) الدمي : جمع دمية . وهى الصورة توضع في الخراب لتمثل الحور العين

تلك أقسام متى يعمل بها دهره يسعد ويرشد ويصيب

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قسّم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم  
الريح للنوم ، ويوم الغنم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس  
لقضاء الحوائج .

نظام كسرى  
في حياته

قال الحسن بن خالويه<sup>(١)</sup> : ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَاهُمْ ، يعلمون ظاهراً  
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد  
جزأ نهاره ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزأ جزأه  
بينه وبين الناس ؛ فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني  
حاجة من لا يستطيع إبلاغي ؛ فإنه من أبلغ إذا سلطان حاجة من لا يستطيع  
إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفرع الأكبر .

رسول الله صلى  
الله عليه وسلم  
يجزى نهاره  
على المصالح

أعود إلى الإطالة والإيجاز

وقال شبيب بن شيبة<sup>(٢)</sup> : إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم  
إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطأ ، قبل التقدم من إحكام البلوغ في

(١) هو الحسين « لا الحسن كما ورد في الأصل » ابن أحمد ، إمام اللغة والعربية في  
عصره ، طلب العلم في بغداد ، ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ،  
وهناك انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي في بغية الوعاة :  
سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً  
وجمعه مقصوراً ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : مات قول أنت ؟ فقال : أنا أعرف اسمين  
قال : فما هما ؟ قال صحراء وصحاري ، وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر من أصاب  
حرفين آخرين هما صلفاء وصلافي وهي الأرض العليظة ، وخبراء وخباري وهي أرض  
فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفاً خامساً . وهو سبتاء وسباتي وهي الأرض الحشنة  
(٢) كان شبيب بن شيبة مشهوراً بالفصاحة والدهاء ، وكان ينادم خلفاء بني أمية

ويفرغ إليه أهل بلده في حوائجهم ، توفي سنة ١٧٠

شَرَفِ التَّجْوِيدِ ؛ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَعْدِلَ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا ، فَقَلِيلٌ كَافٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ .

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لِكُتَّابِهِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُكُمْ كُلُّهُ مِثْلَ التَّوْقِيعِ فَافْعَلُوا .

وَقَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ : لَمْ أَرَقَطْ أَنْطَقَ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ إِيجَازٍ .

وَكَانَ أَبُو وَائِلَةَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ - عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفَضْلِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ - بِالْإِكْثَارِ مَعِييًّا ، وَإِلَى التَّطْوِيلِ مَنْسُوبًا ، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَبْرَمَةَ : أَنَا وَأَنْتَ لَا تَتَّفَقُ ، أَنْتَ لَا تَشْتَهِي أَنْ تَسْكُتَ ، وَأَنَا لَا أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَ . وَقِيلَ لَهُ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ كَلَامِكَ : قَالَ : أَقْتَسِمُونَ صَوَابًا أَمْ خَطَأً ؟ قَالُوا : بَلْ صَوَابًا ، قَالَ : فَالْزِيَادَةُ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ .

قَالَ الْجَاهِظُ : وَلَيْسَ كَمَا قَالَ ، بَلْ لِلْكَلامِ غَايَةٌ ، وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ نَهَايَةٌ ، وَمَا فَضْلٌ عَنْ مَقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ ، وَدَعَا إِلَى الْاسْتِقْطَالِ وَالْكَوَالِ ؛ فَذَلِكَ هُوَ الْفِضَالُ <sup>(١)</sup> وَالْهَذَرُ وَالْخَطْلُ وَالْإِسْهَابُ الَّذِي سَمِعْتُ الْخَطْبَاءَ يَعْينُونَهُ .

وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ ابْنَ هُبَيْرَةَ لَمَّا أَرَادَ إِيَّاسًا عَلَى الْقَضَاءِ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَضْلِحُ لَهُ ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي دَمِيمٌ حَدِيدٌ ، وَلَأَنِّي عَيْيٌّ ، قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : أَمَّا الْحِدَّةُ فَإِنَّ السَّوْطَ يُقَوِّمُكَ ؛ وَأَمَّا الْعِيُّ فَقَدْ عَبَّرْتَ عَمَّا تَرِيدُ ؛ وَأَمَّا الدَّمَامَةُ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَحَاسِنَ بِكَ .

وَلَمْ يَصِفْهُ أَحَدٌ بِالْعِيِّ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُعَابُ بِالْإِكْثَارِ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ الْمُدَافَعَةَ عَنْ نَفْسِهِ وَالْحَدِيثَ ذُو شَجَوْنِ <sup>(٢)</sup> .

(١) الْفِضَالُ ، عَلَى وَزْنِ كِتَابٍ ، الْمُبْتَدَلُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ غَيْرِهِ

(٢) شَجَوْنُ : ضُرُوبُ

إِيَّاسُ بْنُ  
مَعَاوِيَةَ يَحْتَجُ  
لِلْأُطْنَابِ

الْجَاهِظُ يَرُدُّ  
عَلَيْهِ

ابْنُ هُبَيْرَةَ  
يُرِيدُ إِيَّاسًا  
عَلَى الْقَضَاءِ

أبو العيناء قال أبو العيناء ، ذُكِرْتُ لبعض القِيَّانِ فَعَشَقْتَنِي عَلَى السَّمَاعِ ، فَلَمَّا رَأَتْنِي وبعض القيان. استقبحتني ، فقلت :

وشاطرةٍ لما رَأَتْنِي تَنَكَّرْتُ وقالت : قَبِيحٌ أَخْوَلُ مَالَهُ جِسْمُ  
فَإِنْ تُشْكِرِي مِنِّي أَخْوِلًا لَأَفِئْتَنِي أديب أريب لا عيٌّ ولا قَدَمٌ<sup>(١)</sup>  
[ فاتصل بها الشعر ، فكَتَبْتُ إِلَى : إِنَّا لَمْ نَرِدْ أَنْ نُؤَلِّيكِ دِيوانَ الزَّمامِ !  
وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدى بن أرطاة<sup>(٢)</sup> : إِنْ  
قَبَلَكِ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزِينَةٍ — يَعْنِي بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ — فَوَلِّ  
أَحَدَهُمَا قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ؛ فَأَحْضِرْهُمَا ، فَقَالَ بَكْرٌ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنُ الْقَضَاءَ ؛ فَإِنْ كُنْتُ  
صَادِقًا فَمَا تَحِلُّ تَوَلِّيَتِي ، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَذَلِكَ أَوْجِبُ لِرَجُلِي ، فَقَالَ إِيَّاسُ :  
نَعَمْ وَقَفَّئِمُوهُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَافْتَدَى مِنْهَا بِيَمِينٍ يَكْفُرُهَا ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى  
إِنَّهَا ، فَقَالَ لَهُ عَدَى : أَمَا إِذَا اهْتَدَيْتِ لَهَا فَأَنْتِ أَحَقُّ بِهَا ، فَوَلَّاهُ .

وَدَخَلَ إِيَّاسُ الشَّامَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَقَدَّمَ خَصْمًا لَهُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ ،  
وَكَانَ الْخَصْمُ شَيْخًا ، فَصَالَ عَلَيْهِ إِيَّاسٌ بِالْكَلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : خَفِّضْ عَلَيْكَ  
فَإِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، قَالَ : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ، قَالَ : اسْكُتْ ! قَالَ : فَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي ؟  
قَالَ : مَا أَرَاكَ تَقُولُ حَقًّا ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! فَدَخَلَ الْقَاضِي عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ  
فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : أَفْضَلُ حَاجَتِهِ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ لَا يُفْسِدِ أَهْلَهَا<sup>(٣)</sup> !

\*\*\*

الحديث المملول وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي<sup>(٤)</sup> :

(١) القدم : العي عن الكلام (٢) عدى بن أرطاة : أمير من أهل دمشق ، ولاء  
عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ فاستمر إلى أن قتله معاوية ابن يزيد سنة ١٠٢ هـ .  
(٣) وكانت وفاة إياس سنة ١٢٢ هـ (٤) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره ،  
وأحد أبناء الملوك من كندة ، نشأ في البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وكان من أعرف  
الناس بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلak . وقد ترجم عدد من كتبه إلى  
اللاتينية ، وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠ هـ

كنتُ يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حَبَّبَ الله إليه أن يتحدَّثَ ، فأخذ يتحدثني ، ويتنقلُ من حديثٍ إلى حديثٍ ، وكنا في صَحْنٍ له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضع آخر ، حتى صار الظلُّ قَئِيئاً ؛ فلما أَكْثَرَ وَأَضْجَرَ ، ومِلَّتْ حُسْنُ الأدبِ في حُسْنِ الاستماعِ ، وذَكَرْتُ قولَ الأوزاعي : إن حَسْنَ الاستماعِ قُوَّةٌ للمحدثِ ، قلتُ له : إذا كنتُ وأنا أسمعُ قد عَمِيتُ بما لا كُفَّةَ علىَّ فيه ، فكيف أراك وأنتَ المتكلمُ ؟ فقال : إنَّ الكلامَ يَحُلُّ الفضولَ اللَّزجةَ الغليظةَ التي تعرض في اللَّهَوَاتِ وَأَصْلُ اللسانِ ومنايِبِ الأَسنانِ ، فوثِبْتُ وقلتُ : لا أرايَ معكَ اليومَ إلا « إِيَارَجَ الْفَيْقَرَا » ؛ فَأَنْتَ تَتَغَرَّ غَرُّ بِي ! فَاجْتَهِدْ في أنْ أَجْلِسَ فلم أَفْعَلْ .

قال أحمد بن الطيب : كنا مرَّةً عند بعض إخواننا ، فتكلَّم وأعجَبَهُ من نفسه البيان ، ومِنَّا حَسْنُ الاستماعِ ، حتى أَفْرَطَ ، فعرض لبعض مَنْ حَضَرَ مَلَلٌ ، فقال : إذا بارَكَ اللهُ في الشيءِ لم يَفْنَ ، وقد جَعَلَ اللهُ تعالى في حديثِ أَخِينَا البركة ! .

ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام :  
 لى صاحبٌ في حديثه البركة    يزيدُ عند السكونِ والخَرَكةُ  
 لو قال لا في قليلٍ أحرُّ فيها    لردَّها بالحروفِ مُشْتَبِكُهُ  
 ومن طرائف التَّطْوِيلِ ما أنشأه البديع ، وسيمرَّ من كلامه ما هو آتٍ من زَهْرِ الرَّبِيعِ .

[ الملح ]

قال الأصمعي : بالعلم وصلنا ، وبالملح نلنا ، وقال الأصمعي أيضاً : أنشدت منزلة الملح محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أعقلَ مَنْ رَأَيْتُهُ :  
 يَأْيِهَا السَّائِلُ عَنْ مَنَزِلِي    نَزَلْتُ فِي الْخَانِ عَلَى نَفْسِي

يغدو على الخُبْزُ من خَابِزٍ لا يقبل الرَّهْن ولا يُنْسَى<sup>(١)</sup>  
 آكلٌ مِنْ كَيْسِي وَمِنْ كِشْرَتِي حتى لقد أوجعني ضِرْسِي  
 فقال : اكتب لي هذه الآيات ، فقلت : أصلحك الله ! هذا لا يشبهُ مثلكَ ،  
 وإنما يَرَوِي مثل هذا الأحداثُ ، فقال : اكتبها فالأشرافُ تُعْجِبُهُمُ الْمَلَحُ .  
 وقد قال أبو الدَّرْدَاءِ رحمه الله تعالى : إني لَأَسْتَجِمُّ نَفْسِي ببعضِ الباطلِ ،  
 ليكونَ أَقْوَى لها على الحقِّ .

[ وقال ابن مسعود رحمه الله : القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فاطلبوا لها  
 طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ ] .

وقال ابن الماجشُون : لقد كُنَّا بِالْمَدِينَةِ وَإِنِ الرَّجُلَ لِيُحَدِّثَنِي بِالْحَدِيثِ مِنْ  
 الْفَقْهِ فَيُمْلِئُهُ عَلَيَّ ، وَيَذْكُرُ الْخَبَرَ مِنَ الْمَلَحِ فَأَسْتَعِيدُهُ فَلَا يَفْعَلُ ، وَيَقُولُ : لَا أُعْطِيكَ  
 مُلَجِي ، وَأَهْبُوكَ ظَرْفِي وَأَدْبِي .

وقال ابن الماجشُون : إني لَأَسْمَعُ بِالْكَلِمَةِ الْمَلِيحَةِ وَمَالِي إِلَّا قَمِصٌ وَاحِدٌ ؛  
 فَأَذْفَعُهُ إِلَى صَاحِبِهَا ، وَأَسْتَكْسِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وقال الزبير بن بكار<sup>(٢)</sup> : رَوَى الْغَاضِرِيُّ يَنْزَارُ عُ أَشْعَبَ الطَّمَعِ عِنْدَ بَعْضِ  
 الْوُلَاةِ ، وَيَقُولُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ! إِنَّ هَذَا يَدْخُلُ عَلَيَّ فِي صِنَاعَتِي ، وَيَطْلُبُ  
 مِشَارَكَتِي فِي بِضَاعَتِي ، وَهَيَأَتُهُ هَيَأَةُ قَاضٍ ، وَالْأَمِيرُ يَضْحَكُ ، وَكَانَا جَمِيعًا فَرَسِي  
 رَهَانٍ وَرَضِيعِي لِبَانٍ فِي بَيَانِهِمَا ؛ إِلَّا أَنَّ الْغَاضِرِيَّ [ كَانَ ] لَا يَتَخَلَّقُ بِالطَّمَعِ  
 تَخَلَّقَ أَشْعَبُ .

بعض ملح  
 الغاضري

وَأَتَى الْغَاضِرِيَّ يَوْمًا الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ : جُعَلْتُ فِدَاكَ ! إني عصيت الله  
 ورسوله ، قال : بئس ما صنعت ! وكيف ذلك ؟ قال : لأن رسول الله صلى الله

(١) ينسى : ينسى ، من النسيئة وهي التأخير .

(٢) كان الزبير بن بكار عالما بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير  
 ابن العوام ، ولد في المدينة ، وتولى قضاء مكة فتوفي فيها سنة ٢٥٦



عليه وسلم قال : لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ ، وَأَنَا أَطْعَمُ امْرَأَتِي ، فَاشْتَرَيْتُ غُلَامًا فَهَرَبَ .

قال الحسن : فاختر واحدةً من ثلاث : إن شئتَ فمَنُ الغلام ، قال : بأبي أنت ! قفْ عند هذه ولا تتجاوزَها ! قال : أَعْرِضْ عَلَيْكَ الحصلتين ، قال : لا ، حَسْبِي هذه .

وقد رَوَى نحوُ هذا عن أشعب ، أنه قال له بعضُ إخوانه : لو صرتَ إلى العشيّة تنفرج ؟ قال : أخاف أن يجيءَ ثَقِيلٌ ، قلت : ليس معنا ثالث ، فمضى معي ، فمّا صلينا الظهر ودعوتُ بالطعام ، فإذا بدَأَ يدقُّ البابَ ، قال : ترى أن قد صرنا إلى ما نكره ، قلت له : إنه صديق ، وفيه عشرُ خصال إن كرهتَ واحدةً منهن لم آذنْ له ، قال : هاتِ ، قلت : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التمسْ لك ! قل له يدخل !

ورأى سفيان الثوري<sup>(١)</sup> الغاضريّ وهو يَضْحِكُ الناسَ ؛ فقال : يا شيخُ أو ماعمتَ أن الله يوماً يَحْسَرُ فيه المُبْطِلونَ ؟ فوجمَ الغاضري ، وما زال ذاك يُعرِفُ فيه حتى أتى الله عزّ وجلّ .

وأشعب الطَّمِيع هو أشعب بن جُبَيْر ، مولى عبد الله بن الزبير ، وكان أحمَلُ الناسِ . قال الزبير بن أبي بكر : كان أهلُ المدينة يقولون : تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا مَلَحَ أشعب ، وخُبِرَ أبي الغيث ، ومِشْيَةُ بَرَّةَ<sup>(٢)</sup> ؛ وكان أبو الغيث يعالج الخُبْزَ بِمَدِينَةِ ، وبرّة بنت سعيد بن الأسود كانت مِنْ أَجْمَلِ النساءِ وأحسنهنّ مِشْيَةً ، وأشعب يضربُ به المثلُ في الطَّمِيع ، وكان أشعبُ قد نشأَ في حِجْرِ عائشة

(١) ولد سفيان الثوري في الكوفة سنة ٩٧هـ ، ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين برواية الحديث . وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١هـ .

(٢) انظر جمال المشية وما قيل في ذلك من الشعر الجميل في كتاب (أفان الجمال)

بنت عثمان - رحمه الله ! - مع أبي الزناد<sup>(١)</sup> ، قال أشعب : فلم يرَ أن يعْلُو وأنْحَطَّ حتى بَلَغْنَا الغَايَةَ .

وقال أشعب : أَسَلَمْتَنِي أُمِّي إِلَى بَرَّازٍ ، فَسَأَلَتْنِي بَعْدَ سَنَةٍ ، أَيْنَ بَلَغْتَ ؟ فَقُلْتُ : فِي نِصْفِ الْعَمَلِ ، قَالَتْ : وَكَيْفَ ؟ قُلْتُ : تَعَلَّمْتُ النَّشْرَ وَبَقِيَ الطِّيَّ ، قَالَتْ : أَنْتَ لَا تَفْلَحُ .

وَسَأَلَتْنِي صَدِيقَةٌ لَهُ خَاتِمًا ، فَقَالَتْ : أَذْ كُرِّكَ بِهِ ، قَالَ : أَذْ كُرِّى أَنْكَ سَأَلَتْنِي وَمَنْعَتُكَ !

وقيل له : كم كان أصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ؟ قَالَ : ثَلَاثَةُ عَشَرَ دَرَاهِمًا ! ثُمَّ تَسَكَّ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَغَزَا وَمَاتَ عَلَى خَيْرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ! .

وقيل لأشعب : أَرَأَيْتَ أَطْمَعُ مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، كَلْبَةُ آلِ فُلَانٍ ، رَأَتْ رَجُلَيْنِ يَمْضُغَانِ عِلْكَا<sup>(٢)</sup> ، فَتَبَعَتْهُمَا فَرَسَخِينِ تَظُنُّ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ شَيْئًا .

وأهدى رجلٌ من ولدِ غامر بنِ لؤي إلى إسماعيل الأعرج قالودجة وأشعبُ حاضِرًا ، فَقَالَ : كُلُّ يَا أَشْعَبُ ، فَأَكُلُ مِنْهَا ؛ فَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهَا ؟ فَقَالَ : عَلَيْهِ الطَّلَاقُ إِنْ لَمْ تَكُنْ عَمِلْتَ قَبْلَ أَنْ يُوحِيَ رَبُّكَ إِلَيَّ النَّخْلَ ! أَيْ : لَيْسَ فِيهَا حَلَاوَةٌ<sup>(٣)</sup> .

وروى أبو هفان قال : دخل أبو نُوَاسٍ الحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ لَهُ : أَنَشِدْنِي بَعْضَ مَا قُلْتَ ، فَأَنَشَدَهُ :

إِنِّي أَنَا الرَّجُلُ الْحَكِيمُ بِطَبِيعِهِ      وَيَزِيدُنِي عِلْمِي حِكَايَةُ مَنْ حَكَى  
أَتَّبَعُ الظُّرَفَاءُ أَكْتُبُ عَنْهُمْ      كَمَا أَحْدَثَ مَنْ أَحَبَّ فَيَضَحَّكَ

ظرف  
أبي نواس  
وسرعة بديهيته

(١) أبو الزناد هو : عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ، كان من كبار المحدثين .  
وكان كثير الأتباع من طلاب الفقه والشعر والعريية ، توفي بخاء بالمدينة سنة ١٣١  
(٢) العاك : اللبان (٣) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

فقال له يحيى [ بن خالد ] : إن [ أول ] زَنَدُكَ لِيُورِيَ بِأَوَّلِ قَدْحَةٍ ، فقال ارتجالاً في معنى قول يحيى :

أما وزَنَدُ أبي عليّ إنه زَنَدُ إِذَا اسْتَوْرَيْتَ سَهْلَ قَدْحَكَ  
إنّ الإلهَ لِعِلْمِهِ بعباده قدصَّاعَ جَدَّكَ للسَّماحِ وَمَنْحَكَ  
تَأْتِي الصَّنَاعَ هِمَّتِي وَقَرِيحَتِي من أَهْلِهَا وَتَعَافُ إِلَّا مَدْحَكَ

ووصف أبو عبد الله الجمار أبا نواس فقال : كان أَظْرَفَ النَّاسِ مَنْطِقًا ، وأغزَرَهُمْ أدبًا ، وأقدرَهُمْ على الكلام ، وأسْرَعَهُمْ جوابًا ، وأكثرَهُمْ حياءً ، وكان أبيضَ اللَّوْنِ ، جميلَ الوَجْهِ ، مليحَ النِّعْمَةِ والإشارة ، ملتفَّ الأَعْضاء ، بين الطَّويلِ والقَصِيرِ ، مَسْنُونُ الوَجْهِ <sup>(١)</sup> ، قائِمُ الأنفِ ، حسنُ العينينِ والمُضْحَكِ <sup>(٢)</sup> ، حُبُّ الصُّورَةِ ، لَطِيفُ الكَفِّ والأطرافِ ؛ وكان فصيحَ اللسانِ ، جَيِّدَ البيانِ ، عَذْبَ الألفاظِ ، حُلُوَّ الشِّمائلِ ، كثيرَ النوادرِ ، وأَعْلَمَ النَّاسِ كيفَ تكلمتِ العربُ ، رَأْيِيَّةً للأشعارِ ، عَلَّامَةً بالأخبارِ ، كُنَّ كَلَامُهُ شِعْرٌ موزون .

وأقبل أبو شراعة العبسي ، والجَمَّازُ في حديثه ، وكان أقبحَ النَّاسِ وجهًا ، وكانت يدُ أبي شراعة كأنها كَرَبَةٌ تَحُلِي <sup>(٣)</sup> ؛ فقال الجمار : فلو كانت أطرافه على أبي شراعة لَمَّ حُسْنُهُ ؛ فغَضِبَ أبو شراعه وانصرفَ يَشْتُمُهُ .

والجمار هو : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا ترجمة الجمار يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ حِمْيَرَ ، نَالَهُمْ سِيبَاءٌ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُمْ مَوَالِيهِ . وَسَلَّمَ الْخَاسِرَ عَنْهُ <sup>(٤)</sup> ، وكان الجمار من أَحْلَى النَّاسِ حكايةً ، وأكثرَهُمْ نَدْرَةً .

قال بعضُ جلساءِ المتوكِّل : كُنَّا نَكْثِرُ عِنْدَ المتوكِّلِ ذِكْرَ الجمارِ حتَّى

(١) مسنون : مخروط (٢) المضحك : الفم (م) (٣) الكربة — بالتحريك — أصل السعفة (م) (٤) سلم الخاسر هو : سلم بن عمرو بن حماد التوفي سنة ١٨٦ ، كان شاعرا ماجدا خيعة . وسمى الخاسر لأنه باع مصحفًا واشترى بشعنة طنبورا .

اشتاقه ، فكتبَ في حمله إليه ، فلما دخل أُنْفِجَ ، فقال له المتوكل : تكلمْ  
 فإني أريدُ أن أَسْتَبْرِثَكَ ، فقال : بِحَيِّضَةٍ أَوْ بِحَيِّضَتَيْنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقال  
 له الفتح <sup>(١)</sup> : قد كَلَمْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَلِّيكَ عَلَى الْقُرُودِ وَالسُّكَلَابِ ! قال :  
 أَفَلَسْتَ سَامِعًا مَطِيعًا ؟ فضحك المتوكل وأمر له بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ  
 وَكَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ لَضِيقَةٍ ؛ فَدَعَا ثَلَاثَةً ، أَجَاءَهُ سِتَّةٌ ،  
 وَقَرَعُوا الْبَابَ ، وَوَقَفُوا عَلَى رَجُلٍ رَجُلٍ فَعَدَّ أَرْجُلَهُمْ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ ؛ فَلَمَّا  
 حَصَلُوا عِنْدَهُ ، قَالَ : أَخْرِجُوا عَنِّي ، فَإِنَّمَا دَعَوْتُ نَاسًا وَلَمْ أَدْعُ كَرَائِي .

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :

لأبي تمام يمدح  
 عمرو بن طوق

الْجِدُّ شِمَّتُهُ ، وَفِيهِ فَكَاهَةٌ سَجَحٌ وَلَا جِدَّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ <sup>(٢)</sup>

شَرِسٌ ، وَيَتَّبِعُ ذَاكَ لَيْنُ خَلِيقَةٍ لَا خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا مِ تَقَطَّبِ <sup>(٣)</sup>

وقال في الحسن بن وهب :

وله يمدح  
 الحسن بن  
 وهب

لِلَّهِ أَيَّامٌ خَطْبُنَا لِيْنَهَا فِي ظِلِّهِ بِالْخَنْدَرِيسِ السَّلْسَلِ <sup>(٤)</sup>

بِمَدَامَةٍ نَعْمُ السَّمَاعُ خَفِيرُهَا لَا خَيْرَ فِي الْمَعُولِ غَيْرَ مَعْلَلِ <sup>(٥)</sup>

يَفْشَى عَلَيْهَا وَهُوَ يَجْلُو مُقْلَتِي بَارِ ، وَيَغْلُو وَهُوَ غَيْرُ مُغْفَلِ

لَا طَائِشٌ تَهْفُو خِلَاتُهُ ، وَلَا خَشِنُ الْوَقَارِ كَأَنَّهُ فِي مُحْفَلِ

فَبِكُهُ يَجْمُ الْجَدُّ أَحْيَانًا ، وَقَدْ يُنْصَى وَيُهْزَلُ عَيْشُ مَنْ لَمْ يَهْزَلِ

وقال فيه :

وَلَقَدْ رَأَيْتَكَ وَالْكَلامُ لَأَلِيٌّ تَوْمٌ فَبِكْرٌ فِي النَّظَامِ وَثَبٌّ <sup>(٦)</sup>

وَكُنَّا قُسًا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ وَابْنُ الْمُقَفِّعِ فِي الْيَتِيمَةِ يُسْهَبُ <sup>(٧)</sup>

(١) الفتح : هو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل ونديعه ، وقتل معه في ليلة

واحدة (م) (٢) سجع : سهل ، وفي الديوان (ص ١٣) « سجع » بالميم (م)

(٣) تقطب : تمزج (٤) الخندريس : الحُر (٥) المعول : الذي يشرب العلل

بفتحيتين ، وهو الشرب الثاني ، بخلاف النهل فهو الشرب الأول

(٦) توم : أشباه الدر (٧) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

وَكَاْنٌ لَّيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ تَنْدُبُ      وَكَثِيرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَنِينَ يَنْسِبُ  
يَكْسُو الْوَقَارَ وَيَسْتَخْفُ مَوْقَرًا      طَوْرًا فَيُبْنِي سَامِعِيهِ وَيُطْرِبُ  
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

أَفْذِ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً      بِرَاحٍ ، وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ  
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ      بِمَقْدَارٍ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمَرْحِ  
[ المَرْحَ ]

وما زال الأشراف يَمْزَحُونَ ، ويسمحون بما لَا يَقْدَحُ فِي أَدْيَانِهِمْ ،  
ولا يَغْضُ مِنْ مُرُوءَاتِهِمْ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَعَثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّحَّةِ .  
وَقَالَ : إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا .

وَقِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ السَّيِّبِ <sup>(١)</sup> : إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَرَوْنَ إِشَادَ الشَّعْرِ  
فَقَالَ : لَقَدْ نَسَكُوا نَسَكًا أَعْجَبِيًّا .

وَقِيلَ لِابْنِ سِيرِينَ : إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ إِشَادَ الشَّعْرِ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ ، فَأَنْشَدَ :  
لَقَدْ أَصْبَحَتْ عَرَسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِرًا      وَلَوْ رَضِيَتْ رَشَحَ أَسْنَتِهِ لَاسْتَقَرَّتِ <sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ يُصَلِّي ! وَقِيلَ : بَلْ أَنْشَدَ :  
أُنْبِئْتُ أَنَّ عَجُوزًا جِئْتُ أُخْطِبُهَا      عُرُقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ

[ النَّسِيبُ ]

وَقِيلَ لِأَبِي السَّائِبِ الْخَزْزَمِيِّ : أَتَرَى أَحَدًا لَا يَشْتَهِي النَّسِيبَ ؟ فَقَالَ : أَمَا مَنْ  
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا .

(١) أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ بِالْمَدِينَةِ : جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَالزَّهْدِ ، وَكَانَ يَعِيشُ  
مِنَ التَّجَارَةِ بِالزَّيْتِ ، وَكَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ لِأَحْكَامِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَقْضَيْتِهِ حَتَّى سَمِيَ  
رَاوِيَةَ عَمْرِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٩٤

(٢) عَرَسُ الرَّجُلِ — بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الرَّاءِ — زَوْجُهُ (م)

لعروة بن أذينة وروى مصعب بن عبد الله الزبيري<sup>(١)</sup> عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيري قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ أَذِينَةَ<sup>(٢)</sup> نَازِلًا فِي دَارِ أَبِي بِالْعَلِيقِ ، فَسَمِعْتُهُ يُنْشِدُ لِنَفْسِهِ :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا      خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَايَ لَهَا  
فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا ، وَكَلَّا كَمَا      أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا  
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا      يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذْنُ لَأَظْلَمَهَا<sup>(٣)</sup>  
فَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ      شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا  
بِیضَاءٍ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا      بِلَبَاقَةٍ فَادْقَهَا وَأَجْلَهَا<sup>(٤)</sup>  
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلَّمًا ، لِي حَاجَةٌ      أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا<sup>(٥)</sup>  
مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي :      مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا  
فَدَنَا وَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ      فِي بَعْضِ رِقَبَتِهَا ، فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا<sup>(٦)</sup>

قال : فَأَتَانِي أَبُو السَّائِبِ الْخَزُومِيُّ فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ التَّرْحِيْبِ بِهِ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ .

(١) رواية أديب محدث ، وهو عم الزبير بن أبي بكر ، وكان شاعرا ، وكان أبوه عبد الله بن مصعب من أشرار الناس ، وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ شوال سنة ٢٣٣ ، وفي الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» بحث مفصل عن طريقة مصعب بن عبد الله في النقد ، ورأى الدكتور طه حسين فيه ، فليرجع إليه القارئ إن شاء (٢) هو عروة بن يحيى المتوفى سنة ١٣٠ ، كان شاعرا غزلا ، فضلا عن تقدمه في الفقه والحديث ، وهو القائل :

لَا أُرْكَبُ الْأُمُرُتْزَى بِي عَوَاقِبِهِ      وَلَا يِعَابُ بِهِ عَرْضِي وَلَا دِينِي  
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنَى النَّفْسَ تَعْرِفُهُ      وَمِنْ غَنَى فَقِيرٍ النَّفْسَ مَسْكِينِ  
(٣) ضَحِيَتْ : تَأَذَّتْ مِنَ الشَّمْسِ ، وَفِي الْأَغَانِي قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَبَيِّتَ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبَّ لَهَا      لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لِأَقْلَاهَا  
(٤) أَذْقَهَا وَأَجْلَهَا : أَذَقَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ دَقِيقَةً ، وَأَجَلَ الْمَوَاطِنَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ جَلِيلَةً ، فَهِيَ مِثْلًا دَقِيقَةُ الْخَصْرِ ، وَثِيْرَةُ الرِّدْفِ .

(٥) ذَلَمَا : أَرَادَ سَهْوَةَ قَضَائِهَا وَتَذْلِيلَهَا (م)

(٦) رِقَبَتَهَا — بِكسر الراء وسكون القاف — هُنَا الْحَذَرُ وَالْخَوْفُ (م)

فقال : نعم أبياتٌ لعروة بلغنى أنك سمعته يُنشدُها ، فأنشدته الأبيات ، فلما بلغت قوله :

\* فدنا وقال لعلها معذورةٌ ... البيت \*

طرب ، وقال : هذا والله الدائمُ الصَّباة ، الصادق العهد ، لا الذى يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً عني فأهلى بي أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره ، وانى لأرجو أن يغفر [ الله ] لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها : قال : فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل ، وانصرف .

وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ، وأخبارٌ مشهورة ، وكان جدّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نِعَمَ الخليط كان أبو السائب ! لا يُشارى ولا يمارى <sup>(١)</sup>

واسمُ أبي السائب عبدُ الله ، وكان أشرفُ أهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه لشرف منصبه ، وحلاوة ظرفه .

وكان عروة بن أذينة - على زُهدِهِ ، وورَعِهِ ، وكثرةِ علمِهِ وفهمِهِ - رقيقَ الغزل كثيره ، وهو التائل :

إذا وجدتُ أوارَ الحب في كبدى أقبلتُ نحوَ سقاءِ القوم أبتردُ  
هَبْنِي بَرَدْتُ ببردِ الماءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ؟  
وقد رَوَى هذانِ البيتانِ لغيره

(١) الإشارة والممارسة : العنف في المجادلة

ومرّت به سَكِينَةُ بنتُ الحسين بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم! -  
فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ غَيْرُ عَاشِقٍ ، وَأَنْتَ تَقُولُ <sup>(١)</sup> :

قَالَتْ وَأَبْنَشْتُهَا سِرِّي فَبُحْتُ بِهِ      قَدْ كُنْتَ عِنْدِي تَحِبُّ السَّتْرَ فَاسْتَتِرْ  
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهُ :      غَطَى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي  
وَاللّٰهُ مَا خَرَجَ هَذَا مِنْ قَلْبِ سَلِيمٍ ذَا .

وَرَوَى الزَّيْزَعُ عَنْ رَجُلٍ لَمْ يَسْمَعْهُ ، قَالَ : قَالَ لِي أَبُو السَّائِبِ : أُنْشَدْنِي  
لِلْأَحْوَصِ <sup>(٢)</sup> فَأَنْشَدْتُهُ :

قَالَتْ - وَقُلْتُ : تَحَرَّجِي وَصَلِي      حَبَلَ أَمْرِي بِوَصَالِكُمْ صَبَّ - :  
صَاحِبِ إِذْنٍ بَعْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا :      الْغَدْرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ ضَرْبِي <sup>(٣)</sup>  
شِئَانٌ لَا أَذْنُو لَوْصَلِهِمَا      عِرْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ  
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ      وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي  
عَوَجًا كَذَا نَذَرْتُ لِفَانِيَةٍ      بَعْضَ الْحَدِيثِ مَطْيَكُمُ صَحْبِي <sup>(٤)</sup>  
وَنَقْلُ لَهَا : فِيمَ الصَّدُودُ وَلَمْ      نَذْنِبْ ، بَلْ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ؟  
إِنْ تُقْبِلِي نَقِيلُ وَنُنْزِلُكُمْ      مِنَّا بِدَارِ السَّهْلِ وَالرُّحْبِ  
أَوْ تَهْجُرِي تَكْذُرُ مَعِيشَتَنَا      وَتُصَدِّعِي مُتَلَائِمَ الشَّعْبِ  
فَقَالَ : هَذَا وَاللّٰهُ الْحَبُّ حَقًّا ، لَا الَّذِي يَقُولُ :

وَكُنْتُ إِذَا حَيِبٌ رَامَ هَجْرِي      وَجَدْتُ وَرَأَى مُنْفَسِحًا عَرِيضًا

لِلْأَحْوَصِ .  
فِي الْغَزْلِ

(١) عبارة الأغاني «أنت الذي تزعم أنك مروة وأن غزلك من وراء عفة وأنت تقي؟ قال : نعم، قالت : أفأنت الذي تقول ، إلخ» (٢) الأحوص هو: عبدالله بن محمد الأنصاري ، شاعر هجاء رقيق النسيب، كان معاصرا لجرير والفرزدق ، وهو من سكان المدينة ، ونفاه الوليد بن عبد الملك إلى اليمن ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه ، وله أخبار كثيرة بين الجد والمجون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ . (٣) ليس من ضربى : ليس من طبعى وخلقى (٤) عوجا معطيك : قفا مطيك أميلوا بها



ثم قال : اذْهَبْ ، فلا صَحَبَكَ اللهُ ، ولا وَسَّعَ عَلَيْكَ <sup>(١)</sup> !

وخرج أبو حازم يوماً يَرْمِي الجمار ، فإذا هو بامرأة حَاسِرٍ <sup>(٢)</sup> قد فَتَنَتْ ظرف أهل الناسَ بِجُسْنِ وجهها ، وألْهَتْهُم بِجَمَالِها ، فقال لها : يا هذه ، إِنَّكَ بِمَشْعَرٍ حَرَامٍ ، وقد فَتَنَتْ الناسَ وَشَقَلَتْهُم عن مَنَاسِكِهِم ، فاتقِ الله واستَتِرِي ؛ فَإِنَّ الله عز وجل يقول في كتابه العزيز : ( وَلْيَضْرِبَنَّ بِجُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ) ؛ فقالت : إني من اللاتي قيل فيهن :

أما طَتَّ كِسَاءُ أَخْزَعْنَ حُرَّوْجَهَا وَأَرْخَتَ عَلَى الْمُتَيْنِ بُرْدًا مَهْلَهَا  
من اللاء لم يحجبْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكن لَيَقْتُلَنَّ البرىء المَغْفَلَا <sup>(٣)</sup>

الشعر للحارث بن خالد الخزومي . فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا نَدْعُ الله لهذه الصورة الحسنة أَلَّا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يَدْعُو وأصحابه يُؤْمِنُونَ ، فبلغ ذلك الشعبي ، فقال : ما أَرَقَّكُمْ يَاهْلَ الحجاز وأظرفكم ! أما والله لو كان من قُرَى العراق لقال اعزبي عليك لَعْنَةُ الله !

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلامٌ محفوظ يدلُّ على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تَكَرَّرَ مِنْ أَجْلِهِ الموتُ فافتركه ، ولا يضرك متى مَتَّ . وكان يقول : ما أَحْبَبْتَ أَنْ يكون معك غذا فَقَدَّمَهُ اليوم . وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته ، وأنا وإياهم من غَدٍ على وَجَلٍ ؛ وإنما هو اليوم ، فما عسى أَنْ يكون اليوم ؟ وقال أبو العتاهية :

لأبي العتاهية

حتى متى نَحْنُ في الأيام نَحْسِبُهَا وَإِنَّمَا نَحْنُ فِيهَا بين يَوْمَيْنِ  
يومٌ تَوَلَّى ، ويومٌ نَحْنُ نَأْمُلُهُ لَعَلَّهُ أَجْلَبُ اليومينَ لِلْحَيْنِ <sup>(٤)</sup>

(١) الخطاب لقائل البيت الأخير (٢) امرأة حاسر وسافر : ليس على وجهها قناع  
(٣) المغفل : الطيب القلب (٤) الحين — بفتح الحاء وسكون الياء — الهلاك

وروى الزبير بن أبي بكر قال : قدمت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلةً ، ومعها ابن لها صغير ، وهي أيم<sup>(١)</sup> ، فخطبها الناسُ وأكثروا ، فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أَحِبُّكَ حُبًّا لَا يَحِبُّكَ مِثْلُهُ      قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدُ  
أَحِبُّكَ حُبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِبَعْضِهِ      لَجَدْتَ وَلَمْ يَصْعُبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ  
وَحَبِّكَ يَا أُمَ الْعِلَاءِ مُتِمِّمِي      شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ فَذَاكَ شَهِيدُ  
وَيَعْلَمُ وَجَدْنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ      وَعُرْوَةُ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدُ  
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سُلَيْمَانُ كُلَّهُ      وَخَارِجَةُ يَبْدِي لَنَا وَيَعِيدُ  
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتَخْبَرِي      فَلَلْحُبُّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

لعبيد الله  
ابن عبد الله  
ابن عتبة

فقال له سعيد بن المسيب : قد أيم<sup>١</sup> أن تسألنا ، ولو سألنا ما شهدنا لك بزور .  
وكان عبيد الله أحدَ الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علمُ المدينة ، وقد ذكرهم عبيد الله في هذه الأبيات ؛ وهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي . والقاسم بن [ محمد بن ] أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير ابن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد ابن ثابت الأنصاري .

فقهاء المدينة  
السبعة

وقيل لعبيد الله : أتقول الشعر على شَرَفِكَ ؟ فقال : لا بد للمصدر أن يَنْفُثَ<sup>(٢)</sup> ؛ وعبيد الله هو القائل :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ      هَوَاكِ فَلَيْمٍ وَالتَّامُ الْفُطُورُ<sup>(٣)</sup>  
تَغْلَغَلَ حُبُّ عَنَمَةٍ فِي فُؤَادِي      فَبَادِيهِ مَعَ الْخَلْفَى يَسِيرُ  
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ      وَلَا حَزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

لعبيد الله  
المسعودي أيضاً

(١) أيم : لا زوج لها (٢) هذامثل ، والمصدر : المريض صدره ، وأصل النفث .  
تفل الزيق ، ويقال « هذه نفثه مصدر » أيضاً ( م ) .  
(٣) ليم والتأم معناهما واحد ، والفظور : جمع فطر - بالفتح - وهو الصدع .

آشياء  
لقول السعوى

أخذه سلم بن عمرو الخاسر فقال :  
سقتنى بعينيهما الهوى وسقيتها  
وقال أبو نواس :

أحبُّ اللومَ فيها ليس إلاَّ لترداد اسمها فيها الألف  
ويَدْخُلُ حبُّها في كلِّ قلبٍ مَدْخِلٌ لا تَغْلُقُهَا المَدَامُ<sup>(١)</sup>

ومنه قول المتنبي :

وللسرِّ مَتَى مَوْضِعٌ لَا يَنْأَلُهُ نَدِيمٌ ، وَلَا يُفَضِّى إِلَيْهِ شَرَابٌ  
وقال بعض الخدّامين :

ما زلت تعوينى وتطلب خلّتى حتى حلت بحيثُ حلَّ شرابى<sup>(٢)</sup>  
ثم انصرفت بنير جرّيم كان لى ما هكذا الأخباب للأخباب

أخذ أبو نواس قوله : « أحب اللوم فيها » . . . البيت من قول (أبى محمد) لآبى أمية :  
ابن أبى أمية :

وحَدَّثنى عن مجلسٍ كُنْتُ زِينَهُ رسولُ أمينٍ ، والنساءُ شهودُ  
فقلت له رُدِّ الحديث الذى مضى وَذِكْرُكَ من بَيْنِ الحديثِ أريدُ  
أناشدهُ باللهِ إِلَّا أَعَدَّتْهُ كَأَنى بطىء الفهم عنه بَعِيدُ  
وقول أبى نواس فى البيت الأول كقوله :

إذا غاديتنى بَصْبُوحِ لَوِّمٍ فمزوجاً بتسميّة الخيبِ  
فإنى لا أَعَدُّ اللومَ فيها عليك ، إذا فعلت ، من الذنوب  
ولا أنا إن عمدت أرى جَنَاناً وإن ضنت بمبخوس النصيب  
مقنعة بثوبِ الحسن ترعى بغير تكلف ثمر القلوبِ  
وفى جنان هذه يقول أبو نواس :

(١) لا تغلقها المدام : لا تغلق قلبها . (٢) الخلة - بالضم - الصداقة والمحبة (م) .

ياذا الذى عن جنان ظلَّ يُخبرُنا      بالله قُلْ وأَعِذْ يا طيِّبَ الخبيرِ  
قالوا اشتكتك وقالت ما ابتليتُ به      أراه من حيث ما أقبلتُ فى أثرِى  
ويرفع الطرفَ نحوى إن مررت به      حتى ليخجلنى من شِدَّةِ النظرِ  
وإن وقفت له كما يُكلِّمُنِي      فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصر<sup>(١)</sup>  
ما زال يفعل بى هذا ويُدْمِنُهُ      حتى لقد صار من همِّي ومن وطْرى<sup>(٢)</sup>  
وفى جنان أيضاً يقول أبو نواس، وكان بها صباً، ولها محبّا :

جنان تسبى ذِكْرَتِ بخير      وتزعم أنى رجلٌ خيىث  
وأن مودَّتى كذبٌ ومينٌ      وأنى للذى تطوى بثوث<sup>(٣)</sup>  
وليس كذا، ولا ردُّ عليها،      ولكنَّ الملول هو النكوثُ  
ولى قلبٌ يُنازِعُنِي إليها      وشوقٌ بين أضلاعى حَيْثُ  
رَأَتْ كَلْفِي بها وقديمَ وَجْدِي      فمَلَّتْنِي، كذا كان الحديثُ

[وكانت جنان مولاة لبعض الثقيين] .

وفى معنى قول ابن أبى أمية يقولُ العباسُ بن الأحنف :

وحدثتنى يا سعد عنها فزدتنى      جنونا فزدنِي من حديثك يا سعدُ  
وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً ،      وأكثرهم طيباً ، وأحلام مزاجا ،  
وأشدُّهم اهتزازاً للسمع ، وحسن أدب عند الاستماع . وقال عبد الله بن جعفر :  
إن لى عند السماع هِزَّة لو سُئِلت عندها لأعْطَيْتُ ، ولو قاتلت لأبْلَيْتُ .

شيم  
أهل المدينة

وروى أبو العيناء قال : قال الأصمعى : مررت بدار الزبير بالبصرة ، فإذا شيخٌ  
قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ريمانة جالس بالباب عليه شَمْلَةٌ  
تَسْتُرُهُ ، فسَلَّمْتُ عليه ، وجلسْتُ إليه ؛ فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سويداء

طرب  
أبى ريمانة

(١) الحصر : العى (٢) الوطر : الحاجة

(٣) بثوث : كثير البث لسره والتحدث عنه .

تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها ، فقال لها : بالله غنى صوتاً .  
 فقالت : إن موالى أعجلونى ، فقال : لا بدّ من ذلك ، قالت : أما والقربة على  
 كفى فلا ، قال : فانا أحملها ، فأخذ القربة منها ، فاندفعت تُعسى :  
 فَوَادِي أَسِيرَ لَا يُفَكُّ ، وَمُهَجَّتِي تَفِيضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ  
 وَلِي مُقَلَّةٌ قَرَحَى لَطُولَ اسْتِيقَاها إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ هُمُولُ  
 فديتك ، أعدائى كثيرٌ ، وشقتى بعيدٌ ، وأشياعى لَدَيْكَ قَلِيلُ <sup>(١)</sup>  
 فطرب وصرخ صرخةً ، وضرب بالقربة إلى الأرض فشَقَّها ؛ فقامت الجارية  
 تبكى ، وقالت : ما هذا يجرأى منك ؛ أسَعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ فَعَرَضْتَنِي لِمَا أكره  
 من موالى . قال : لا تغتمى فَإِنَّ المصيبة عَلَى حصلت ، ونزع الشملة ووضع يداً  
 من خلف ويداً من قُدَّام ، وباع الشملة وابتاع لها قربةً جديدةً ، وقعد بتلك  
 الحال ؛ فاجتاز به رجلٌ من ولد على بن أبى طالب - رضى الله تعالى عنه ! - فعرف  
 حاله ، فقال : يا أبا ريحانة ! أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم : ( فَمَا رََبِّحَتْ  
 تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ) . قال : لا يا بنَ رَسُولِ الله ، ولكنى من الذين  
 قال الله تعالى فيهم : ( قَبَشَرُ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ )  
 فضحك ، وأمر له بألف درهم .

ومرّ بالأوقص الخزومى ، وهو قاضى المدينة ، سكرانٌ [ وهو ] يتغنى بليل ،  
 فأشرف عليه ، وقال : يا هذا ، شربت حراماً ، وأيقظت نياماً ، وغنيت خطأ ؛  
 خُذْهُ عَنى ، وأصلح له الغناء .

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد :

فلم تر عيني مثل سربٍ رأيتهُ خرجن من التنعيم مُعْتَمِرَاتِ <sup>(٢)</sup>  
 ابن السيب  
 يستمع إلى  
 منشد شعر

(١) فديتك : كنت فداء لك ، وشقتى بعيد : أى أن ما بينى وبين أهلى بعيد ،  
 والأشياخ : الأنصار ( م ) .

(٢) السرب : القطيع من البقر والظباء ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء

مَرَزَنَ يَفْنَحْ، ثُمَّ رُخْنَ عَشِيَّةً      يُلَبِّسِينَ لِلرَّحْمَنِ مُؤْتَجِرَاتِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ      وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ  
 دَعَتْ نِسْوَةَ شَمِّ الْعَرَانِينَ بُزْلًا      نَوَاعِمَ، لَا شَعْنًا وَلَا غَبَرَاتِ<sup>(٢)</sup>  
 فَأَبْرَزْنَ لَهَا قَمْنَ يَحْجِبْنَ دُونَهَا      حِجَابًا مِنَ الْقَسَى وَالْخَبَرَاتِ<sup>(٣)</sup>  
 تَضَوَّعَ طَبِيبًا بَطْنُ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ      بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتِ  
 يُحْبِسْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى      وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ<sup>(٤)</sup>  
 فقال سعيد : هذا والله مما يلزأ استماعه ، ثم قال :

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا      وَأَبَدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلْجَمَرَاتِ  
 وَغَالَتْ بَيَانَ الْمَسْكِ وَخَفَا مَرْجَلَا      عَلَى مِثْلِ بَذْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ<sup>(٥)</sup>  
 وَقَامَتْ تَرَاءَى بَيْنَ بَعْجٍ فَأُفْتِنَتْ      بِرُؤْيَيْهَا مِنْ رَاحٍ مِنْ عَرَافَاتِ  
 قال : فكانوا يرون أنَّ الشعرَ الثاني له ، والاول لحمد بن عبد الله بن نمير  
 الثقفى يقوله فى زينب بنت يوسف أخت الحجاج ؛ [ وطلبه الحجاج ] حتى  
 ظفّر به فقال : أنت القائل ما قلت ؟ قال : وهل قلت أصليح الله الأمير إلا :  
 يُحْبِسْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى      وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ  
 قال له : كم كنتم إذ تقول :  
 \* وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ \*

بين الحجاج  
والنميرى

(١) فنع : موضع بمكة (٢) العرائن : جمع عرين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل  
 وهو البعير يبلغ تسعينين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن  
 السن التى ينقلن فيها القلب من مكان إلى مكان .

(٣) القسى : نوع من اللباس ينسب إلى قرية مصرية بقرب العريش ، وأهو القزى  
 فأبدلت الزاى .

(٤) الاعتبار : لبسة خاصة للمرأة (٥) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ،  
 ونثر جل : المسيح .

قال : والله ما كنت إلا أنا وصاحب لي على حمارٍ هزيل ! فضحك وعفاه عنه ،  
وهو القائل :

لمحمد بن عبد الله  
ابن عمر الثقفي

أَهَاجَتَكَ الطَّعَانُ يَوْمَ بَانُوا      بِذِي الزُّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأُنَاثِ <sup>(١)</sup>  
طَعَانٌ أَسْلَكَتْ فِي بَطْنِ قَوْ      تَحْتِ إِذَا رَنْتِ أَىِ اخْتِثَاثِ  
كُنَّ عَلَى الْمَوَادِجِ يَوْمَ بَانُوا      نِمَاجًا تَرْبَعِي بَقْلَ الْبِرَاثِ <sup>(٢)</sup>  
يَهَيِّجُكَ الْحَمَامُ إِذَا تَغَيَّ      كَمَا سَجَعِ النَّوَادِبِ بِالْمَرَاثِ  
[ من أدب ابن المعتز ]

وقال ابن المعتز : وَعَدُّ الدُّنْيَا إِلَى خَلْفٍ ، وَبَقَاؤُهَا إِلَى تَلَفٍ ، وَبَعْدُ عَطَائِهَا  
الْمَنَعِ ، وَبَعْدُ أَمَانِهَا الْفَجْعِ ، طَوَّاحَةٌ طَرَّاحَةٌ ، آسِيَّةٌ جَرَّاحَةٌ ، كَمْ رَاقِدٍ فِي ظِلِّهَا  
قَدْ أَقِظْتَهُ ، وَوَاتِقٍ بِهَا قَدْ خَانَتْهُ ، حَتَّى يَلْفِظَ نَفْسَهُ ، وَيُوَدِّعَ دُنْيَاهُ ، وَيَسْكُنَ  
رَمْسَهُ ، وَيَنْقُطِعَ عَنِ أَمَلِهِ ، وَيُشْرِفَ عَلَى عَمَلِهِ ، وَقَدْ رَجَحَ الْمَوْتَ بُحْيَاةَ <sup>(٣)</sup> ، وَنَقَضَ  
قُوَى حَرَكَاتِهِ ، وَطَمَسَ الْبِلَى جَمَالَ بَهْجَتِهِ ، وَقَطَعَ نِظَامَ صُورَتِهِ ، وَصَارَ كَخَطٍّ مِنْ  
رَمَادٍ تَحْتَ صَفَائِحِ أَنْضَادٍ <sup>(٤)</sup> ؛ وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْأَحْبَابُ ، وَافْتَرَشَ التُّرَابُ ، فِي بَيْتِ  
نَجْرَتِهِ الْمَعَاوِلِ <sup>(٥)</sup> ، وَفُرِشَتْ فِيهِ الْجُنَادِلُ ، مَا زَالَ مُضْطَرَبًّا فِي أَمَلِهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ  
فِي أَجَلِهِ ، وَبَحَثَ الْأَيَّامُ ذِكْرَهُ ، وَاعْتَادَتْ الْأَلْحَاطُ فَقْدَهُ .

بين ابن المعتز  
وأستاذه ثعلب

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى  
ثعلب <sup>(٦)</sup> يتشوقه :

مَا وَجَدُ صَادِرَ الْجِبَالِ مُوْتَقٍ      بِمَاءِ مُزْنٍ بَارِدٍ مُصَفَّقٍ <sup>(٧)</sup>

(١) الطعائن : جمع ظئنة ، وهى المرأة فى الهودج ، والأنثا : متاع البيت .  
(٢) البراث : الأرض السهلة . (٣) رحج : مال كما ترجح كفة الميزان (م) .  
(٤) صفائح أنضاد : انصافح الحجارة العريضة ، وأنضاد : جمع نضد ، وهو المنحوت  
باستواء (٥) العاول : جمع معول ، وهو آلة كالقندوم (٦) كان ثعلب من أصدق أهل  
العربية لسانا ، وأبعدهم ذكرا ، وأثبتهم حفظا ، وكان فى رأى البرد أعلم الكوفيين . توفى  
فى جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٧) مصفق : صفقته الريح : أى لعبت به حتى لكأ أنه يصفق

بالريح لم يكدز ولم يرتق جادت به أخلاف دجن مطبق<sup>(١)</sup>  
 بصخرة إن تر شمساً تبرق ماد عليها كالزجاج الأزرق<sup>(٢)</sup>  
 صريح غيث خالص لم يمدق إلا كوجدني بك، لكن أتق<sup>(٣)</sup>  
 يا فاتحاً لكل باب مغلق وصيرفياً ناقداً للنطق<sup>(٤)</sup>  
 إن قال هذا بهرج لم ينفق إنا على البعاد والتفرق  
 نلتقى بالذكر إن لم نلتق

فأجابه : أخذت أطل الله بقاءك أول هذه الآيات مما أملتُهُ عليك من قول جميل<sup>(٥)</sup> :

وما صاديّاتُ مُحَنّ يوماً وليلةً على الماء يخشين العصى حَوَانِي  
 كواعب لم يصدُرْنَ عنه لوجهة ولا هنّ من برد الحياض دَوَانِي  
 يرين حباب الماء والموت دونه فهنّ لأصوات الشفاعة رَوَانِي  
 بأكثر منى غلة وصبابة إليك، ولكن العدوّ عرَانِي  
 وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج<sup>(٦)</sup> :

(١) الأخلاف : الأثناء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق : هو السحاب المترام  
 (٢) ماد : مال (٣) لم يمدق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوي بالحجر الصرفة تصرع الشاربين  
 (٤) الصيرفي : الرجل الحاذق في تمييز النقود ، ويريد به هنا البصير بنقد القول  
 (٥) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين إلى معشوقته بثينة ، وكانت سكينه بنت الحسين تقدمه على الشعراء الغزلين ، لقوله :  
 يقولون : جاعداً بجميل بغزوة ، وأى جهاد غيرهن أريد ؟  
 لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد  
 وكانت وفاته سنة ٨٢

(٦) راجز فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه بالبصرة ، ومات في البادية سنة ١٤٥ فقال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة .



إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَرَنِي فَإِنِّي أَخُوكَ وَالرَّاعِي إِذَا اسْتَرْعَيْتَنِي  
أَرَاكَ بِالْوُدِّ وَإِنْ لَمْ تَرَنِي  
قال : فاستخفني في ذلك ونسب إلى سوء الأدب .

بعض أخبار  
ابن المعتز  
والمختار من  
قوله

وكان أبو العباس عبدُ الله بنُ المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي  
النهاية في إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان . وكان كما قال  
ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر ،  
وليس بعد ذى الرمة<sup>(١)</sup> أكثر اقتناناً وأكبر تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه .  
وإنما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ؛ لئلا أخرج  
عما تقدم به التمرط في البسط ، وآتى ههنا ببعض ما اختاره له ، قال :

وَفَتَيَانِ سَرَوْا وَاللَّيْلُ دَاجٍ      وَضَوْهُ الصَّبْحُ مَتَهُمُ الطَّلُوعُ  
كَأَنَّ بَرَاتِهِمْ أُمْرَاءَ جَيْشٍ      عَلَى أَكْتَافِهِمْ صَدَا الدَّرُوعُ  
وقال أيضاً :

فِي لَيْلَةٍ أَكَلُ الْحَاقُ هِلَالَهَا      حَتَّى تَبْدَى مِثْلَ وَقْفِ الْعَاجِ<sup>(٢)</sup>  
وَالصَّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرَى فَكَأَنَّهُ      عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَا بِسَرَّاجِ<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً يصف فرساً :

وَلَقَدْ غَنَدَوْتُ عَلَى ظَمِرٍ سَابِحٍ      عَقَدْتُ سَنَابِكُهُ عَجَاجَةً قَسَطَلٍ<sup>(٤)</sup>

(١) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة، أحد فحول الشعر في عصره ، قال فيه أبو عمرو  
ابن العلاء : «فتح الشعر بامريء القيس وختم بذي الرمة» ولعل ذلك لأنه كان يكثر  
من التشبيب وبكاء الأطلال، ولأن ديباجته كانت بدوية خالصة ، توفي بأصبهان سنة ١١٧  
(٢) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالدبوس ونحوه  
(٣) الدجي : جمع دجية ، وهي الظلمة (٤) ظمر : حصان سريع الجرى كأنما هو  
من طمار : أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد : حوافره ، والعجاجة : السحابة ،  
والقسطل الغبار .

مثلَّمُ الْجَمِّ الحَديدُ يُوكِّها      لوَّكُ الفتاةِ مساوِكاً من إِسْجَلٍ<sup>(١)</sup>  
وَمُحَجَّلٍ غَيرِ اليمينِ كأنَّه      متبخَّرٌ يَمْشِي بكمِّ مُسَبِّلٍ  
وقال :

قد أَغْتَدِرِي بِقَارِحٍ      مَسْـوِّمٍ يَعْبُوبِ<sup>(٢)</sup>  
ينفِي الحَصَى بِخَافِرٍ      كالْقَدَحِ المَكْبُوبِ  
قد ضَحَكَتْ غُرَّتُهُ      في مَوْضِعِ التَّقْطِيبِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

ولقد وَطَّئْتُ الغَيْثَ يَحْمَلُنِي      طِرْفٌ كَلَوْنُ الصَّبَاحِ حينَ وَفَدُ  
خَمَاعُ أَطْرَافِ الصُّوَارِ فما أَلْـأُخْرَى عليه إِذَا جَرَى بأَشَدِّ<sup>(٤)</sup>  
يَمْشِي فيعْرِضُ في العِنانِ كما      صَدَفَ المَعْشَقُ ذُو الدَّلَالِ وَصَدُ  
فَكَأَنَّهُ مَسْـوُوجٌ يَذُوبُ إِذَا      أَطْلَقَتْهُ فَإِذَا حَبَسَتْ جَمْدُ  
وقال أيضاً يَصِفُ سَيْفًا :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ المَنَازِلُ كَوَامِنِ      فَمَ يُنْتَضَى إِلَّا لِسْفِكَ دِنَاءِ  
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الفِرْدَوْسَ كَأَنَّهُ      بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ  
وقال يَصِفُ نارًا :

مُشْمَرَةٌ لَا يَحْجُبُ النُّخْلُ ضَوْءَهَا      كَأَنَّ سَيْفًا بَيْنَ عِيدَانِهَا تُجَلِّي  
يُفَرِّجُ أَغْصَانِ الوُقُودِ اضْطِرَامُّها      كَمَا شَقَّتِ الشَّقَرَاءُ عَن مَتْنِهَا جُلًّا<sup>(٥)</sup>

(١) اللجم : جمع لجام ، والإسجل بالكسر : شجر يستاك به

(٢) القارح من ذى الحافر : ما طلع نابه ، وذلك في السنة التاسعة . والنسوم

المعلم ، واليعيوب : السهل الجرى في مدوه

(٣) التقطيب : العبوس

(٤) الصوار : القطيع

(٥) الشقراء : فرس زهيد بن جذية ومتنها : ظهرها ، والجل بالضم : انسرج (م)

للسرى الرفاء

وقال بعض أهل العصر ، وهو السرى الموصلى<sup>(١)</sup> :

يوم رذاذ مُمَسِّكَ الحُجُبِ      يَضْحَكُ فِيهِ السُّرُورُ مِنْ كُتْبِ<sup>(٢)</sup>  
 ومجلسٍ أُسْبِلَتْ سِتَائِرُهُ      على شُمُوسِ البِهَاءِ والحَسْبِ  
 وقد جرت خيلُ راحنا خَبِيئًا      فِي حُلِيِّهَا أَوْ هَمَمِنَ بِالْحُبِّ<sup>(٣)</sup>  
 والتهمت نارنًا فمَنَظَرُهَا      يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنَظَرٍ عَجَبِ  
 إِذَا ارْتَمَتْ بِالْشَّرَارِ فَاطْرَدَتْ      عَلَى ذَرَاها مَطَارِدُ اللَّهَبِ  
 رَأَيْتَ يَاقُوتَةً مُشْبَكَةً      تَطِيرُ عَنْهَا قُرَاصَةُ الذَّهَبِ  
 فَانْهَضَ إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي ابْتَسَمَ      فِيهِ رِيَاضُ الْجَمَالِ وَالْأَدَبِ  
 وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو الفرج البيهقي<sup>(٤)</sup> :

لأبي الفرج  
البيهقي

فَحَمًا قَدَّمَ الْعِلَامُ فَأَهْدَى      فِي كَوَائِنِهِ حَيَاةَ النُّفُوسِ  
 كَانَ كَالْأَبْنُوسِ غَيْرَ مُحَلٍّ      فَعَدَا وَهُوَ مُذْهَبُ الْآبُوسِ  
 لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابٍ حِـدَادٍ      فَكَسَتْهُ مُصَبَّغَاتِ عَرُوسِ  
 وقال أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل  
الميكالي

كَأَنَّ الشَّرَارَ عَلَى نَارِنَا      وَقَدْ رَاقَ مَنَظَرُهَا كُلَّ عَيْنِ  
 سَحَابَةٌ تَبِيرُ إِذَا مَا عَلَا      فَأَيُّهَا هَوَى فُتُتَاتِ اللَّجَيْنِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

لابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة :

(١) هو السرى الرفاء ، المتوفى ببغداد سنة ٣٦٦ . وسمى الرفاء لأنه كان في صباه يرفو الثياب ، وهو جيد الشعر ، كثير الولع بالأوصاف والتشبيهات (٢) الرذذ : نظر الضعيف . والكُتْب بالتحرّك : القرب (٣) الحُب : ضرب من العدو ، وهو أن يتقلد الفرس أيامه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد بن نصر ، المتوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين ، واتصل بسيف الدولة ، ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء (٥) السحالة : النخالة

وَمُوقِرَةٌ بِثِقَلِ الْمَاءِ جَاءَتْ تَهَادَى فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيحِ (١)  
فَبَاتَتْ لَيْلَهَا سَحًا وَوَبَلًا وَهَطْلًا مِثْلَ أَفْوَاهِ الْجِرَاحِ  
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَسَتْ تَجَلَّتْ خِلَالَ انْجُمِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ  
رِيَاضُ بَنَفْسَجٍ خَضِلٍ ثَرَاهُ تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَفَاحِ (٢)  
وقال :

وَأُجَّةٌ لِلْمَنَاسِكِ خُضْتُ غَمَرَتَهَا بِصَارِمٍ ذَكَرٍ صَمْصَامَةٍ خَذِمِ (٣)  
وَقَارِحٍ صَبَغَ الْخِلَانَ دُهِمَّتَهُ بُشْبَةً كَاخْتِلَاطِ الصُّبْحِ بِالظُّلَمِ (٤)  
وقال :

وَلَيْلٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ خُضْتُ ظِلَامَهُ بِأَزْرَقَ لَمَاعٍ وَأَبْيَضَ صَارِمٍ  
وَمَضْبُورَةُ الْأَعْضَادِ حَرْفٍ كَأَنَّهَا تَصَافِحُ رَضَارِضَ الْحَصَى بِمَنَاسِمِ (٥)  
وقال يصف حيّة :

نَعْتُ رِقْطَاءَ لَا تَحْيَا لَدَيْغَتُهَا لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَلْعَاقَ بِهِ بَلَلُ (٦)  
تَلْقَى إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا كَأَنَّهَا كَمُ دِرْعٍ قَدَّهُ بَطْلُ  
وقال أيضاً :

وَأَسَارَ مَنِي الدَّهْرِ عُضْبًا مُهِنْدًا يَفْلُ شَبَا حَظِي ، وَقَلْبًا مَشِيْعًا (٧)  
وَرَأَى كَمَرَاةَ الصَّنَاعِ أَرَى بِهِ سِرَاطَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَاسَعَى

(١) موقرة : مثقلة (٢) خضل : ندى (٣) خذم : قاطع (٤) قارح : الفارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل ، وهو الذى قوى يبلوغه تسع سنين ، والخيлян : جمع خال وهو شامة فى البدن ، والدهمة : السواد ، والشهية : لون بين السواد والبياض (٥) الأعضاد : جمع عضد ، ومضبورة : محكمة الخلق مكتنزة اللحم . وحرف : ضامرة . ورضاراض الحصى : صغارها ، والناسم : جمع منسم وهو خف البعير

(٦) رقطاء : منقطة - وانظر ديوانه (١١٣/٤) (٧) أسار : أبقى ، والمشييع : الشجاع

أخذه من قول المنصور لابنه المهدي : لا تُبْرِمَنَّ أُمراً حتى تفكر فيه ؛ فإن  
غفيرة العاقل مرآته ، تريحه قبجه وحسنه .

ولما دُفِنَ المنصور وقف الربيعُ على قبره فقال : رَحِمَكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وغفر لك ! فقد كان لك حِمِّي من العقل لا يطيرُ به الجهل ، وكنت ترى باطنَ  
الأمر بمرآة من الرأي ، كما ترى ظاهره . ثم التفت إلى يحيى بن محمد أخى المنصور  
فقال : هذا كما قال أبو دَهَبَل الجحى <sup>(١)</sup> :

عُقِمَ النساءُ فما يَلِدْنَ شَبِيهَهُ      إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقِمَ <sup>(٢)</sup>  
وبعده <sup>(٣)</sup> :

متَهَلِّلْ بِنَعَمٍ ، بِلَا مَتَبٍّ — اَعْدُ      سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعَدَمُ <sup>(٤)</sup>  
نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ      ضَمِنًا ، وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سَقَمُ <sup>(٥)</sup>  
أخذ البيت الأخير من قول ليلي الأخيلية <sup>(٦)</sup> :

لَا تَقْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ      إِنَّ ظُلماً يَوْمًا وَإِنْ مَظْلُوماً

(١) فى الأصل «أبو دعبل» وهو تحريف (٢) عقم: جمع عقيم، وهى المرأة العاقرة  
وقبل هذا البيت كما فى الحماسة :

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضحى  
والنجار : الأصل (٣) هذا استطراد من المؤلف (٤) الوفروالعدم : الغنى والفقر  
(٥) ضمن : مريض (٦) هى ليلي بنت عبدالله، اشتهرت بأخبارها مع توبة، وله  
فيها شعر جميل ، وهى أشهر النساء الشواعر بعد الخنساء ، توفيت نحو سنة ٧٥  
وأول هذه المقطوعة كما فى ديوان الحماسة :

يا أيها السدم الملوى رأسه      ليقود من أهل الحجاز بريما  
أتريد عمرو بن الخليع ودونه      كعب ؟ إذن لوجدته مرءوما  
إن الخليع ورهظه فى عامر      كالقلب ألبس جوجوا وحزما  
السدوم : الفحل الهائج . والبريم : الجيش المؤلف من أخلاط الناس . والمرءوم :  
الخوواطء بالعطف ، والجوجوؤ : الصدر

قوم رِبَاطُ الخيل حَوْلَ بُيُوتِهِمْ      وأسِنَّةُ زَرْقٍ يُخَلِّنَ نُجُومًا  
ومَزَّقَ عَنْهُ القميصَ تَخَالَهُ      وسطَ البيوت من الحياءِ سقيمًا  
حتى إذا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ      يومَ الهياجِ على الحميسِ زعيمًا<sup>(١)</sup>  
وقال :

يُشَبِّهُونَ ملوكًا في تجلَّتْهُمْ      وطولَ أنْصِبَةِ الأعناقِ واللِّمَمِ<sup>(٢)</sup>  
إذا بَدَأَ المسكُ يُجْرِي في مَقَارِقِهِمْ      راحوا كأنهم مُرَضَى من الكرمِ  
وقال أبو على الحاتمي : وما أحسنَ أبياتا أنشدَها أبو عمر المطرز غلام ثعلب  
يعترض في أنشائها هذا المعنى :

تَخَالَهُمْ للحلمِ صَمًّا عَنِ الْخَلَا      وَخُرُوسًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاتُرِ<sup>(٣)</sup>  
وَمُرَضَى إِذَا لَاقَوْا حَيَاءً وَعِفَّةً      وعند الحروب كالليوث الخَوَادِرِ<sup>(٤)</sup>  
لَهُمْ عِزٌّ، إِنْصَافٌ وَذِلٌّ تَوَاضَعَ      بِهِمْ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ الْعِشْطَرِ  
كَانَ بِهِمْ وَصَمًّا يَخَافُونَ عَارَهُ      وليس بِهِمْ إِلَّا اتِّقَاءُ الْمَعَايِرِ<sup>(٥)</sup>  
وأنشد :

أَحْلَامُ عَادٍ لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ      - وَإِنْ نَطَقَ الْعَوْرَاءُ عَيْنِبَ لِسَانٍ  
إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يُخْشَ سِوَهُ اسْتِماعَهُمْ      وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِحُسْنِ بَيَانٍ

\*\*\*

(١) اللواء: الراية، والحميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقاب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والزعيم: الرئيس

(٢) الأنصبه: جمع نصاب، وهو الأصل الذي ركب فيه العنق

(٣) التهاتر: تبادل السباب الباطل (٤) الخوادر: جمع خادر، وهو الليث يلزم

أجمته (٥) المعايير: المعايير

وقال ابن المعتز :

وعاقِدِ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْآسِ      دَقِيقِ الْمَعَانِي مُخْطَفِ الْخَصْرِ مَيَّاسٍ <sup>(١)</sup> لابن المعتز  
سَقَانِي عُقَارًا صَبَّ فِيهَا مِرَاجِهَا      فَأَضْحَكَ عَنْ نَغْرِ الْحَبَابِ قَمَّ الْكَاسِ

وقال :

يَالَيْلَةَ نَسِيَ الزَّمَانُ بِهَا      أَخْدَانَهُ ، كُونِي بِلَا فَجَرٍ  
فَاحِ الْمَسَاءِ بِيَدِهَا ، وَوَشَّتْ      فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ  
ثُمَّ انْقَضَتْ وَالْقَلْبُ يَنْتَبِهُهَا      فِي حَيْثُ مَا سَقَطَتْ مِنَ الدَّهْرِ <sup>(٢)</sup>

وقال :

يَا رَبِّ إِخْوَانٍ صَحْبَتَهُمُ      لَا يَمْلِكُونَ لِسُلُوءَةٍ قَلْبًا  
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ نَفَرَتْ      أَجْسَادُهُمْ فَتَعَانَقَتْ حُبًّا <sup>(٣)</sup>

هذا كقول ابن الرومي :

أَعَانَهُ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ      إِلَيْهِ ، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي ؟ لابن الرومي  
وَأَتَمَّ فَاهُ كَيْ تَزُولَ حَرَارِي      فَيَشْتَدَّ مَا أُلْقِيَ مِنَ الْهَيْمَانِ  
وَلَمْ يَكْ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى      لِيُرْوِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفَتَانِ  
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلُهُ      سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانُ يَمْتَرِجَانِ

ومن مشوره : لا يزال الإخوان يسافرون في المودّة ، حتى يبلغوا الشُّقة ، من ثرا ابن المعتز  
فإذا بلغوها ألقوا عصا التسيار ، واطمأنّت بهم الدار ، وأقبلت وفود النّصائح ،  
وأمنت خبايا الضمائر ، فخلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلُّق .  
وله : سار فلان في جيوش عليهم أزدية السيوف ، وأقمصة الحديد ،

(١) الزنار : رباط يشد به الخصر - ومخطف الخصر : ضامره ، ومثله أخطف  
ومخطوف (٢) هذا البيت غاية في روعة الخيال (٣) نفرت : سعت - والذي  
في الديوان ( ١٢٦ ) فقدت \* أجسادها وتعانقت حبا (م)  
( ١٣ - زهر الآداب ١ )

وَكُنَّ رِمَاحَهُمْ قُرُونُ الْوُغُولِ<sup>(١)</sup> ، وَكَانَ دُرُوعُهُمْ زَبَدُ الْعِيُولِ ، عَلَى خَيْلِ  
تَمَّا كُلُّ الْأَرْضِ بِمَحَافِرِهَا ، وَتَمَدَّ بِالنَّقْعِ سُرَادِقُهَا<sup>(٢)</sup> ، قَدْ نُشِرَتْ فِي وَجُوهِهَا  
غُرُورٌ كَأَنَّهَا صَحَائِفُ الرُّقَى<sup>(٣)</sup> ، وَأَمْسَكَهَا تَحْجِيلٌ كَأَنَّهُ أَسُورَةُ اللَّجِينِ<sup>(٤)</sup> ، وَفُرِّطَتْ  
مُذْرَأٌ كَأَنَّهَا الشُّنْفُ<sup>(٥)</sup> ، تَتَلَقَّفُ الْأَعْدَاءَ وَأَوَائِلُهُ وَلَمْ تَنْهَضْ أَوَاخِرُهُ ، قَدْ صَبَّ  
عَلَيْهِمْ وَقَارُ الصَّبْرِ ، وَهَبَّتْ مَعَهُمْ رِيحُ النَّصْرِ .

وله في عليل : آذَنَ اللَّهُ فِي شَفَائِكَ ، وَتَلَقَّى دَاكَ بِدَوَائِكَ ، وَمَسَحَ يَدَيْ  
الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ ، وَوَجَّهَ وَفَدَّ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ ، وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لَذُنُوبِكَ ،  
مُضَاعِفَةً لثَوَابِكَ .

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب<sup>(٦)</sup> في يوم عيد : أَخَّرْتَنِي الْعَمَلَةَ  
عَنِ الْوَزِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ ، فَخَضِرْتَ بِالْإِدْعَاءِ فِي كُـ . يُوبَ عَنِي ، وَيَعْمُرُ مَا أَخْلَلْتَهُ  
الْعَوَائِقُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ أَكْثَمَ الْأَعْيَادِ السَّالِفَةِ  
بِرِزْقِهِ عَلَى الْوَزِيرِ ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ وَيُحِبُّ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلُ  
بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيَضَاعِفُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ ، عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ ، وَيَمْتَنِعَهُ بِصُحْبَةِ  
النِّعْمَةِ وَلِبَاسِ الْعَافِيَةِ ، وَلَا يُرِيهِ فِي مَسَرَّةٍ نَقْصًا ، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهُ مَزِيدًا ، وَيَجْعَلُنِي  
مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِدَاءً ، وَيُصْرِفُ عَيُونَ الْغَيْرِ عَنْهُ ، وَعَنْ حَظِّي مِنْهُ .

(١) الوغول : جمع وعل ، وهو التيس الجبلي . (٢) النقع : غبار الحرب

(٣) الرق ، بالفتح ويكسر : جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين : الفضة

(٥) الشنف ، بالفتح : القرط ، والمذر بضمين : جمع عذار

(٦) وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتمد على الله وأقره بعده المعتضد ،

واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوما ، وكانت وفاته سنة ٢٨٨ . وهو الذي قال

فيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزر للمعتضد :

أَبَى دَهْرُنَا إِضَافَتَا فِي نَفْسِنَا وَأَنْصَفْنَا فِيمَنْ نَحِبُ وَنَكْرَمُ

قُلْتُ لَهُ : نَعْمَاكَ فِيمَ أَتَمَّهَا وَدَعِ أَمْرَنَا ؛ إِنَّ الْأَهْمَ مُقَدَّمُ



وله إلى بعض الرؤساء : لَا تَشْنِ حُسْنَ الظَّفَرِ بَقُبْحِ الانتقامِ ، وتجاوز عن كل مُذْنِبٍ لَمْ يَسْلُكْ مِنَ الإِعْذَارِ طَرِيقًا <sup>(١)</sup> حَتَّى اتَّخَذَ مِنْ رَجَاءِ عَفْوِكَ رَفِيقًا .

وله اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله : تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بُرِيئًا ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ ، وَأَلْتَمِسَ الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُ ؛ لَتَزِدَادَ تَطَوُّلًا ، وَأَزْدَادَ تَذَلُّلًا ؛ وَأَنَا أُعِيدُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ، وَأُخْرِسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يَحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ ، بِقَدْرِ وَدِّي لَكَ ؛ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ ، بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنْكَ .

وله إليه : لَوْ كَانَ فِي الصَّمْتِ مَوْضِعٌ يَسَعُ حَالِي لَخَفَفْتُ عَنْ سَمْعِ الْوَزِيرِ وَنَظَرِهِ ، وَلَمْ أَشْغَلْ وَجْهًا مِنْ فِكْرِهِ ، وَمَا زَالَتِ الشُّكْوَى ، تُعْرِبُ عَنْ لِسَانِ الْبَنُوَى ، وَمِنْ اخْتَلَّتْ حَالَتُهُ ، كَانَ فِي الصَّمْتِ هَذَكَّتُهُ ، وَقَدْ كَانَ الصَّبْرُ يَنْصَرُّنِي عَلَى سِتْرِ أَمْرِي حَتَّى خَذَلَنِي .

وهذا كقول أحمد بن إسماعيل : فَصَاحَةُ الشُّكْوَى ، عَلَى قَدَرِ الْبَلْوَى ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِالشَّاكِي انْقِبَاضٌ ، وَبِالشُّكْرِ إِلَيْهِ إِعْرَاضٌ .

[ وصف الماء وما يتصل به ]

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أنشدتها آتفاً ، لابن المعتز  
يصف ماء  
وقد قال في قصيدة له وذكر إبلاً :

فَتَبَدَّى لَهْنَ بِالنَّجْفِ الْمُدِّ بِرِ مَاءِ صَافِي الْجَمَامِ عَرِي <sup>(٢)</sup>

(١) الإِعْذَارُ : إبداء العذر ، وفي الأصل «الأقدار» وهو تحريف

(٢) النجف ، محرّكوهاء ، مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ويكون في بطن الوادي وقد يكون يبطن من الأرض . والجمام : جمع جم ، وهو الماء الكثير ، والمرى : الهنيء

يتمشى على حصي يسلب الما  
وإذا داخلته دُرَّةُ شمسٍ  
وقال (٢):

وله أيضاً  
بحن للدورة  
ويصف ماء

لا مثل منزلة الدَّويرة منزل  
بؤساً لدهرٍ غيرتكِ صروفه  
لم يحلُ للعينين بعدك منظر  
أى المعاهد منك أنذب طيبه  
أم برّ دُظلك ذى النصوص وذى الجنى  
وكانما سطعت مجامر عنبر  
وكانما حصبناه أرضك جوهراً  
[وكانما أيدى الربيع ضحية  
وكان درعاً مفرغاً من فضة  
يادارُ جادك وإبلُ وسقاك (٣)  
لم يَمْنَحْ من قلبى الهوى ومحاك  
ذمّ المنازل كلهم سواك  
مُمسك بالأصال أم، صدك  
أم أرضك الميثاء أم ريباك (٤)  
أوفت فأر المسك فوق ثراك (٥)  
وكان ماء الورد دسغ نذاك  
نشرت ثياب الوفاء فوق رباك (٦)  
ماء الغدير جرت عليه صباك (٧)

لعاتكة المرية  
في وصف ماء

وعشقت عاتكة المرية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت :  
فما طعم ماء أى ماء تقوله  
بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت  
نفث جرية الماء القذى عن متونه  
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه  
وأشد الأصمى قال : أنشدنى أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرق ، وقال :  
هو أحسن ما قيل فى معناه :

(١) من حق العربية عليه أن يقول « فتمته مجلو » فإن فعله جلاء مجلوه (م) .  
(٢) هذه الكافية من أروع ما قال ابن المعتز ، وقد ترجمتها إلى الفرنسية فى كتابى

La prose arabe au I<sup>er</sup> siècle de l'hegire

(٣) الدورة : محلة يبعث (٤) رواية الديوان ( أم برد ظلك ذى العيون وذى  
الحيا ) والميثاء : اللينة (٥) فأر المسك : ماتجمد من دم الغزال (٦) ضحية : تصغير  
ضحوة ، واتصابه على الظرفية الزمانية (م) (٧) مفرغ : مصبوب

أَيَاوَيْحَ نَفْسِي كَمَا التَّخْتُ لَوْحَةً<sup>(١)</sup> عَلَى شَرْبَةٍ مِنْ مَاءِ أَخَوَاضِ مَارِبِ<sup>(٢)</sup>  
 بَقَايَا نَطَافٍ أَوْدَعَ الْغَيْمِ صَفْوَهَا مَصْقَلَةُ الْأَرْجَاءِ زُرْقُ الْمَشَارِبِ<sup>(٣)</sup>  
 تَرَقَّرَقَ دَمْعُ الْمُزْنِ فِيهِنَّ وَالتَّوَتَّ عَلَيْهِنَ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْغَرَائِبِ  
 وَأَنْشَدَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلأَيُّرِدِ الْيَرْبُوعِي ، وَرَوَيْتَ لِمُضَرَّسِ بْنِ رَبِيعِ  
 الْأَسَدِي :

فَأَلْقَيْتُ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا ، وَخَيَّمْتُ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرْقَ مَحَافِرُهَا  
 أَزَالَ الْقَذَى عَنْ مَائِهِ وَأَفِدَّ الصَّبَا يَرْوَحُ عَلَيْهِ نَاسِمًا وَيُبَاكِ كِرَهُ  
 وَأَوَّلَ مَنْ أَتَى بِهَذَا زَهِيرُ بْنُ أَبِي مُلَيْمٍ فِي قَوْلِهِ :  
 فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَاهِمُهُ وَضَعَنَ عَصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ<sup>(٤)</sup>  
 وَقَالَ ابْنُ الرَّومِي :

وَمَاءٌ جَلَّتْ عَنْ حُرِّ صَفْحَتِهِ الْقَذَى مِنَ الرِّيحِ مُعْطَارُ الْأَصْدَائِلِ وَالْبُسْكَرُ  
 بِهِ عَبَقٌ مِمَّا تَسَحَّبَ فَوْقَهُ نَسِيمُ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى النُّورِ وَالزَّهَرُ  
 [ وَصِفِ الدُّورَ وَالْقُصُورَ ]

وَيَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْبَابُ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ بَرَكَةَ الْجَعْفَرِيِّ<sup>(٥)</sup> وَهُوَ قَصْرُ  
 ابْنَتَاهُ الْمُتَوَكِّلُ فِي سُرٍّ مَنْ رَأَى :

(١) التَّخْتُ : عَطَشْتُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ لَاحَهُ الْعَطَشُ وَلَوْحُهُ إِذَا غَيَّرَهُ ، وَهُوَ مُلْتَاحٌ ،  
 وَبِهِ لَوْحٌ شَدِيدٌ ، وَبَعِيرٌ مُلَوَّاحٌ وَإِبِلٌ مُلَاوِيحٌ : سَرِيعَةُ الْعَطَشِ  
 (٢) مَارِبُ : هِيَ بِلَادُ الْأَزْدِ بِالْمِنْ ، وَهِيَ غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ لِأَنَّهَا وَرَدَتْ كَذَلِكَ فِي الْخُطُوطِ  
 الْحَمِيرَةِ كَمَا أَخْبَرَنَا السِّنُورُ نَلِّينُ . وَهَذَا لَا يَنَافِي أَنَّهَا هَمَزَتْ فِي بَعْضِ الْأَشْعَارِ ، وَلَسَدُ  
 مَارِبٍ وَسِيلُ الْعَرَمِ قِصَصٌ طَوِيلَةٌ ذَكَرَ بَعْضُهَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .  
 (٣) النَطَافُ وَالنَطَفُ : جَمْعُ نَطْطَةٍ ، وَهِيَ الْمَاءُ الصَّافِي قُلٌّ أَوْ كَثَرُ (٤) الْمُتَخَيِّمُ : الْمَقِيمُ  
 (٥) الْجَعْفَرِيُّ : اسْمُ قَصْرِ بَنَاءِ الْمُتَوَكِّلِ قَرَبَ سَامَرَاءَ ، فَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَيْهِ انْتَقَلَ مَعَهُ  
 أَهْلُ سَامَرَاءَ حَتَّى كَادَتْ تَخْلُو ، وَفِي هَذَا الْقَصْرِ قَتْلُ الْمُتَوَكِّلِ فِي شَوَالِ سَنَةِ ٢٤٧ ، وَسُمِّيَتْ  
 الْبَرَكَةُ بَرَكَةَ لِإِقَامَةِ الْمَاءِ فِيهَا ، مِنْ بَرُوكِ الْبَعِيرِ

يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ وَرَوَّعَهَا      وَالْآنَسَاتِ إِذَا لَاحَتْ مَعَانِيهَا<sup>(١)</sup>  
 مَا بَالُ دَجَلَةٍ كَالْغَيْرَى تُنَافِسُهَا      فِي الْحُسْنِ طَوْرًا وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا !  
 إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبَّكََا      مِثْلَ الْجَوَاشِنِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا<sup>(٢)</sup>  
 فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُغَازِلُهَا      وَرَيْقُ الْغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِهَا<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا      لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءَ رُكْبَتٍ فِيهَا  
 كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ      مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرَى فِي مَجَارِيهَا  
 تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُجَلَّةٌ      كَالْخَلِيلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا<sup>(٤)</sup>  
 كَأَنَّ جَنِّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وَلُوا      إِبْدَاعَهَا فَأَدَقُّوا فِي مَعَانِيهَا  
 فَلَوْ تَمَرُّ بِهَا بَلْقَيْسُ مِنْ عَرُضٍ      قَالَتْ : هِيَ الصَّرْحُ تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهَا<sup>(٥)</sup>  
 [ لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَقْصُورَ غَايَتَهَا      لُبَعْدٍ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا ]  
 يَعْمَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنِّجَةٍ      كَالطَّيْرِ تَنْشُرُ فِي جَوْ حَوَافِيهَا  
 وَلَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْبِنَاءِ مَا أَنْفَقَهُ التَّوَكُّلُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ  
 أَنْفَقَ فِي أَبْنِيَتِهِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، وَفِي أَبْنِيَتِهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ<sup>(٦)</sup> :

(١) رواية الديوان « الحسناء رؤيتها »

(٢) الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع ، وفي الأصل «من الجواشن» وهو

تحريف (٣) رواية الديوان «يضاحكها» وهي أنسب

(٤) الوفود: جمع وفد ، وهو هنا تيار الماء (٥) عن عرض : من جانب ، وفي

الأصل «معرضة» وقد آثرنا رواية الديوان .

(٦) شاعر فحل من معاصري أبي تمام والبحترى، وهو صاحب الرائية المشهورة

التي يقول في أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر      جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

أعدن لي الشوق القديم ، ولم أكن      سلوت ، ولكن زدن جمرأى إلى جمر

اختص بالمتوكل . ثم غضب عليه ففاه إلى خراسان ، فأقام بهامدة ، ورحل إلى

حلب ، فقتله بقرها بعض بني كلب سنة ٣٤٩ .

لعلى بن الجهم  
يصف قصور  
التوكل

وما زلتُ أسمعُ أنَّ الملو  
وأعلمُ أنَّ عقولَ الرجا  
صُحُونُ تسافرُ فيها العيونُ  
وقبَّةُ ملكٍ كأنَّ النجو  
إذا أُوقِدَتْ نارُها بالعراقِ  
لها شُرُفاتُ كأنَّ الربيعَ  
فهنَّ كمصطحباتٍ خرَّجنَ  
نظمنَ القيسى كنظم الحلى  
فمن بين عاقصةٍ شَعرَها  
وللبحتري فيها شعرٌ كثيرٌ منه :

أرى التوكليَّة قد تعالتُ  
قصور كالكواكب لا مِمَاتُ  
وروض مثل بُرْدِ الوشَى فيه  
غرائب من فنون النور فيها  
تُضاحِكُها الضحى طوراً وطوراً  
ولو لم يستهلَّ لها غمامُ  
وقال أيضاً :

قد تمَّ حُسنُ الجعفرى ولم يكن لِيَتِمَّ إلا للخليفة جعفر

- (١) تحسر : تكل ، والأفطار : النواحي والأرجاء (٢) الفصح : من أعياد النصارى  
(٣) عون : جمع عوان ، على وزن سجاب ، وهى التى كان لها زوج .  
(٤) الزنار : رباط يشد به الحصر (٥) مصانعها : مبانيها ، وفى الديوان « محاسنها »  
(٦) الحوذان والحزامى : من النباتات المزهرة (٧) فى الأصل « يضاحك نورها »  
وقد آثرنا رواية الديوان (٨) ريق القطر : الغزير منه .

ملكٌ تبوأَ خيرَ دارٍ أنشئت [ في خير مبدئٍ للأَنَامِ ومَحْضَرٍ ]  
 [ في رأسٍ مشرفةٍ حصاها أولُوهُ ] وتراها مِسْكٌ يَشَابُ بَعْنِرٍ<sup>(١)</sup>  
 ومضينة والليل ليس بِمَقْبِرٍ وظلَّ الغمام الصيَّبَ المستعبر<sup>(٢)</sup>  
 وبعده :

ورفعت بُنْيانا كان زُهاءُهُ أعلامُ رَضَوَى أو شواهِقِ ضَيِّيرٍ<sup>(٣)</sup>  
 عالٍ على لَحْظِ العيونِ كأنما ينظرنَ منه إلى بياضِ المشتري<sup>(٤)</sup>  
 ملأت جوانبُهُ الفضاءَ ، وعانقتُ شُرفاته قِطْعَ السحابِ المطرِ  
 وتسيل دجلة تَحْتَهُ ففناؤُهُ من جِلْوةٍ فُرِشتَ وروُضٍ أخضرٍ  
 شجرٌ تُلاعِبُهُ الرياحُ فتثنى أعطافُهُ في سَاحِجٍ متفجِّرٍ  
 أخذ أبو بكر الصنوبري<sup>(٥)</sup> قولَ البحترى في صفة البركة فقال يصف موضعاً :

للصنوبري  
 يصف موضعاً  
 في حلب

سقى حلباً سافكٌ دَمْعُهُ بَطِيءُ الرُقْوَى إذا ماسَفَكَ<sup>(٦)</sup>  
 مَيَادِينُهُ بُسْطُيْنِ الرِياضِ وساحاته يَنْهِنُ البَرَكُ  
 ترى الرِّيحَ تَنْسِجُ من مائه دُرُوعاً مُضَاعَفَةً أو شَبَكُ  
 كأن الزجاجَ عليها أذيبَ وماءَ اللَّجَيْنِ بها قد سُبِكَ  
 هي الجَوْ من رِقَّةٍ غير أنَّ مكانَ الطيورِ يَطِيرُ السَّمَكَ  
 وقد نُظِمَ الزهر نظم النجوم ففترق النّظم أو مشتبِكُ

(١) يشاب : يمزج (٢) الصيب : الكثير الانهمال ، ورواية الديوان :

ظهرت لمحترق الشمال وجاورت ظلل الغمام الصائب المستعزر

(٣) رضوى وضير : جيلان ، وفي الأصل « شواهِق منبر » وهو تحريف

(٤) المشتري : اسم نجم . (٥) هو أحمد بن محمد الحلبي التوفي سنة ٣٣٤

(٦) الرقواء : السكون ، يقال : رقا دمه ودمه ، ولا رقأت دمه فلان ، ولا

أرقأ الله عينه . ومن كلامهم : اليأس رقواء الدمع ، وقال ذو الرمة :

لئن قطع اليأس الحنين فإنه رقواء لتذراف الدموع السوافك

كَمَا دَرَجَ الْمَاءُ مَرَّ الصَّبَا وَدَبَّحَ وَجْهَ السَّمَاءِ الْخُبُكَ  
يُبَاهِينَ أَعْلَامَ قُمْصِ الْقِيَانِ وَنَقَشَ عَصَائِبَهَا وَالتَّكْكَ  
وَأَخَذَ قَوْلَهُ :

\* إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا \*

فَقَالَ :

وَلَمَّا تَعَالَى الْبَدْرُ وَامْتَدَّ ضَوْؤُهُ بِدَجَلَةٍ فِي تَشْرِينَ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ  
وَقَدْ قَابَلَ الْمَاءُ الْمَفْضُضَ نَوْرَهُ وَبَعْضُ نَجُومِ اللَّيْلِ يَقْفُو سَنًا بَعْضُ<sup>(١)</sup>  
تَوْهَمَ ذُو الْعَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَنَّهُ يَرَى بَاطِنَ الْأَفْلَاكِ مِنْ ظَاهِرِ الْأَرْضِ  
وَلَأَهْلَ الْعَصْرِ فِي هَذَا النَّحْوِ كَلَامٌ كَثِيرٌ :

قَالَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ ، يَصِفُ بَرَكَةَ وَقَعَ عَلَيْهَا شِعَاعُ الشَّمْسِ فَالْتَقَتْهُ : لِلْمِيكَالِيِّ  
عَلَى مَهْوٍ مَطْلٍ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهَا يَقُولُ :

أَمَّا تَرَى الْبَرَكَةَ الْغَرَاءَ قَدْ كَبَسَتْ نُورًا مِنَ الشَّمْسِ فِي حَافَاتِهَا سَطْعًا  
وَالْمَهْوُ مِنْ فَوْقِهَا يُلْهِمُكَ مَنَظَرُهُ كَأَنَّهُ مُلْكٌ فِي دَسْتِهِ ارْتَفَعًا  
وَالْمَاءُ مِنْ تَحْتِهِ أَلْقَى الشِّعَاعَ عَلَى أَعْلَى سَمَائِهِ فَارْتَجَّ مُلْتَمِعًا  
كَأَنَّهُ السِّيفُ مُصْقُولًا تُقْلِبُهُ كَفُّ الْكَمِيِّ إِلَى ضَرْبِ الْكَمِيِّ سَقَى<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيُّ يَمْدَحُ الْمَعْرَةَ وَيَصِفُ دَارَ الْبَحْرِ بِالنَّصُورِيَّةِ<sup>(٤)</sup> :

وَلَمَّا اسْتَطَالَ الْمَجْدُ وَاسْتَوْلَتْ الْبُنَى عَلَى النَّجْمِ وَاشْتَدَّ الرِّوَاقُ الْمُرَوِّقُ<sup>(٥)</sup>  
بَنَى قُبَّةً لِلْمَلِكِ فِي وَسْطِ جَنَّةٍ لَهَا مَنَظَرٌ يُزْهِى بِهِ الطَّرْفُ مُوْتَقٍ  
بِمَعشُوقَةِ السَّاحَاتِ ، أَمَّا عِرَاصُهَا فَخُضْرٌ ، وَأَمَّا طَيْرُهَا فَهَيْ نَطَقُ<sup>(٦)</sup>

لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ  
الْإِيَادِيِّ يَصِفُ  
دَارَ النَّصُورِيَّةِ

(١) يَقْفُو : يَتَّبِعُ ، وَالسَّنَا : الضَّوْءُ . (٢) الْمَهْوُ : الْحَصَى الْأَبْيَضُ (م)

(٣) الْكَمِيُّ : الشَّجَاعُ (٤) الْمَنْصُورِيَّةُ : مَدِينَةٌ بِقَرْبِ الْقَيْرَوَانِ (٥) الْبُنَى : جَمْعُ

بَنِيَّةٍ ، بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ (٦) الْعِرَاصُ : هِيَ الْبَاحَاتُ

تَحْفَ بَقَصْرٍ ذِي قَصُورٍ كَأَنَّمَا  
 لَهُ بَرَكَةٌ لِلْمَاءِ مِلْءُ فَضَائِهِ  
 لَهَا جَدُولٌ يَنْصَبُ فِيهَا كَأَنَّهُ  
 لَهَا تَحْلِسُ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَائِهَا  
 كَأَنَّ صَفَاءَ الْمَاءِ فِيهَا وَحُسْنَهُ  
 إِذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ  
 وَإِنْ صَاغَتْهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّمَا  
 كَأَنَّ شُرَافَاتِ الْمَقَاصِرِ حَوْلَهَا  
 يَذُوبُ الْجَفَاءُ الْجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا  
 وَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ :

لَعَبْدِ الْكَرِيمِ  
 ابْنِ إِبْرَاهِيمَ  
 يَصِفُ مَوْضِعًا

وَالشَّمْسُ كَالدَّيْفِ الْمَعشُوقِ فِي الْأَفْقِ  
 تَرُوحُ الْفُصْنُ الْمَطُورُ فِي الْوَرَقِ  
 تَقَلَّدَتْ عِقْدَ مَرْجَانٍ مِنَ النَّزَقِ  
 كَأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيغَتْ مِنَ الْحَدَقِ  
 فَالْمَاءُ مَا بَيْنَ مَحْبُوسٍ وَمُنْطَلَقِ  
 وَأَبْيَضُ تَحْتَ قَيْظِي الضَّحَى يَقَقُ<sup>(١)</sup>  
 لِلزَّجَرِ خَفَقَ فَوَادٍ الْعَاشِقِ الْقَيَاقِ  
 مَنَاطِقًا رُصِّمَتْ مِنْ لَوْلُو نَسَقِ  
 يَارَبَّ فُتَيَانَ صِدْقُ رُحْتُ بَيْنِهِمْ  
 مَرَضَى أَصَائِلُهَا حَسْرَى شِمَائِلُهَا  
 مَعَاطِيَا شَمْسٍ إِبْرِيْقٍ إِذَا مُرْجَتْ  
 عَنْ مَاحِلِ طَافِحٍ بِالْمَاءِ مُعْتَلِجِ  
 تَصْمُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا، وَتَفَرُّقُهُ  
 مِنْ مَأْخُضٍ نَاضِرٍ وَالطَّلُّ يَلْحَقُهُ  
 تَهْرُؤُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا فَيَمْنَحُهَا  
 كَأَنَّ خَافَاتِهِ نُطْقَنَ مِنْ زَبَدٍ

(١) متاق : ملائ (٢) تخب وتعنق : من الحب والعنق بفتحيتين وهما من أنواع السير (٣) القين : الحداد (٤) الحورنق : اسم قصر (٥) الصحصان : موضع بين حلب وتدمر ، والآل : السراب (٦) قيطي : منسوب إلى القيط وهو الحر الشديد . وفي الأصل « قبطي » وهو تحريف ، واليقق : الناصع البياض .



كَانَ قَبِيَّتَهُ مِنْ سُندُسٍ نَمَطٍ      حَسَنَاءَ مَجْلُوَّةٍ اللَّبَّاتِ وَالْعُنُقِ  
 إِذَا تَبَلَّجَ فَجَرٌّ فَوْقَ زُرْقَتِهِ      حَسْبَتُهُ فَرَسًا دِهَاءً فِي بَلَقِ<sup>(١)</sup>  
 أَوْ لَا زُورْدًا جَرَى فِي مَتْنِهِ ذَهَبٌ      فَلَاحَ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرْقِ  
 عَشِيَّةٍ كَمَلَتْ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا      لَيْلٌ يُمَدِّدُ أَطْنَابًا عَلَى الْإُفُقِ  
 تَجَلَّى بِغُرَّةٍ وَضَّاحَ الْجَبِينِ لَهُ      مَا شَتَّتَ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقِ

### ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزُّجَاجِ الأزرق ، غدير كعين الشمس ، مَوَارِدُ كالمبارد ، وماء كلسان  
 الشعمة ، في صفاء الدَّمْعَةِ ، يسبح في الرِّضْرَاضِ ، سَبَحَ النَّضْنَضُ ، ماء أزرق  
 كعين السَّنُورِ<sup>(٢)</sup> ، صاف كقضيب البلور ، ماء إذا مَسَّتْهُ يَدُ النَّسِيمِ حَكِي سَلَسِلِ  
 الفضة ، ماء إذا صاحته زاحة الريح ، لبس الدَّرْعِ كالمسيح ، كَأَنَّ الْغَدِيرَ بِتَرَابِ  
 الْمَاءِ رِذَاةً مُصْنَدَلٍ ، بركة كأنها امرأة السماء ، بركة مَفْرُوزَةٌ بِالْخَفِزَةِ ، كأنها  
 مِرْآةٌ مَجْلُوَّةٌ ، على ديباجة خضراء ، بركة ماء كأنها مِرْآةُ الصَّنَاعِ<sup>(٣)</sup> ، غدير  
 تَرَقَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ ، وتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْغَرَائِبِ ، ماء زُرْقِ  
 جِجَامِهِ ، طَلَمِيَّةٌ أَرْجَاوُهُ ، يَبْثُوحٌ بِأَسْرَارِهِ صَفَاوُهُ ، وتَلَوَّحُ فِي قَرَارِهِ حَضْبَاوُهُ ،  
 ماء كأنما يَفْقَدُهُ مَنْ يَشْهَدُهُ ، يَتَسَلَّلُ كَالزَّرَافِينِ<sup>(٤)</sup> ، ويرضع أولاد الرِّيَاحِينَ ،  
 انْخَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ ، وَوَهَى عَقْدُ الْأَنْوَاءِ ، انْخَلَّ سَلَكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْبَحْرِ ، أَسْعَدَ  
 السَّحَابُ جَفُونَ الْعُشَّاقِ<sup>(٥)</sup> ، وَأَكْفَ الْأَجْوَادِ ، وانْخَلَّ حَيْطُ السَّمَاءِ ، وانقطع

(١) البلق : ارتفاع التحجیل إلى الفخذین (٢) السنور : القط .

(٣) الصنّاع : المرأة الماهرة فيما تصنع وكأنما يراد بها هنا المرأة التي تهتم بزينة النساء

(٤) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقاً ولعناً

(٥) أسعد : من الإسعاد ، وهو المشاركة في البكاء

شَرِيَانُ الغَمَامِ ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفرض علينا عقود الدّر ، سحبٌ  
 حكى الحبّ في انسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلّوعه ، سحابة تحدو من الغيوم  
 جمالاً ، وتمدّ من الأمطار حبّالاً ، سحابة ترسل الأمطار أمواجاً ، والأمواج  
 أفواجاً ، تملكت عقد السماء بالديمة الهطلاء ، غيث أجش<sup>(١)</sup> يروى الهصّاب  
 والآكام<sup>(٢)</sup> ، ويحيى النبات والسّوام<sup>(٣)</sup> ، غيث كغزارة فضلك ، وسلاسة طبعك ،  
 وسلامة عقدك ، وصفاء ودّك ، وبل كالنبل ، سحابة يضحك من بكائها الرّوض ،  
 وتخضّر من سوادها الأرض ، سحابة لا تجفّ جفونها ولا يخفّ أُنيتها ، ديمة  
 روت أديم الثرى ، ونهت عيون النّور من الكرى ، سحابة ركبت أعناق الرياح ،  
 وسجّت كافواه الجراح ، مطر كافواه القرب ، ووحل إلى الركب ، أنديّة من الله  
 معها على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، أقبل السيل ينحدر انحداراً ،  
 ويحمل أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جنة ، أو في أحشائه أجنة .  
 وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلّول نظام ما تقدم إنشاده .

### ولهم في مقدمات المطر

لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحاب أذيالها ، قد احتجبت الشمس في  
 سرّادق القيم ، ولبس الجو مطرّفه الأدكن ، باحت الريح بأسرار النّدى ،  
 وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغرورقت مقلّة  
 السماء ، وبشّر النسيم بالندى ، واستعدت الأرض للقطر ، هبت شمائل الجنائب ،  
 لتأليف شمل السحاب . تألفت أشتات الغيوم ، وأسبلت الشّور على النجوم .

(١) أجش : ذو صوت (م) (٢) الآكام : جمع أكمة وهي التل .

(٣) السوام : جمع سائمة ، وهي الماشية (م)

## وفي الرعد والبرق

قام خطيبُ الرَّعْدِ ، ونبضُ عِرْقِ الْبَرْقِ ، سحابة ارتجزت <sup>(١)</sup> رَوَاعِدُهَا ، وأذهبت  
ببروقها مطاردها ، نطقَ لسانُ الرعد ، وخفق قلبُ البرق ، فالرعدُ ذو صَخَبٍ ،  
والبرقُ ذو لَهَبٍ ، ابتسم البرقُ عن قهقهة الرعد ، زارت أشد الرعد ، ولعت سيوف  
البرق ، رعدت [ سيوفُ ] الغمام ، وبرقت ، وانحلت عزَّ إلى السماء فطبقت ،  
هدرت رَوَاعِدُهَا ، وقربت أَبَاعِدُهَا ، وصدقت مَوَاعِدُهَا . كأن البرق قلبُ مَشُوقٍ ،  
بين التهاب وخُفُوقٍ .

## ويتصل بهذه الأنحاء

ما حكاه عمر بن علي الطوعى قال : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله  
ابن أحمد - أدام الله عزه! - أيام مُقَامِهِ بِجُوَيْنَ أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى  
نحاج على سبيل التنزه والتفرُّج ، فكنت في جملة من استصحبه إليها من  
أصحابه ، وانفق أنا وصلنا والسماء مُصْحِيَةً ، والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام ،  
والأفق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب ؛ فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة  
الفروع <sup>(٢)</sup> ، متسقة الأوراق والفصوص ، قد سترت ما حواليتها من الأرض طولاً  
وعرضاً ، فنزلنا تحتها مستظليين بِسَاقَةِ أَفْنَانِهَا <sup>(٣)</sup> ، مستترين من وهج الشمس  
بستارة أغصانها ، وأخذنا نتجاذبُ أذيال المذاكرة ، ونسالب أهداب المناشدة  
والمحاورة ؛ فاشعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت ، وأظلمت بعدما أشرقت ، ثم جادت  
بمطارٍ كَأَفْوَادِ الْقِرْبِ فَأَجَادَتْ ، وحكت أنامل الأجواد ومدامع العشاق <sup>(٤)</sup> ، بل

(١) ارتجزت : أراد صوت (م) (٢) باسقه : عالية مرتفعة (م) .

(٣) السماوة : السماء وهو السقف - والأفنان : جمع فتن ، بالتحريك ، وهو

الغصن (م) (٤) الدامع : جمع مدمع ، وهو هنا مكان الدمع .

أَوْقَتَ عَلَيْهَا وَزَادَتْ، حَتَّى كَادَ غَيْثُهَا يَعُودُ عَيْنًا<sup>(١)</sup>، وَهَمَّ وَبَلَهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيَلَّا  
فَصَبَرْنَا عَلَى أَذَاهَا، وَقَلْنَا: سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَمَّا قَلِيلٍ تَقْشَعُ، فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمْطَرْتَنَا  
بَرْدًا كَالثَّقُورِ، لَكِنَّا مِنْ ثُغُورِ الْقَذَابِ، لَا مِنَ الثُّغُورِ الْعَذَابِ، فَأَيَّقْنَا بِالْبَلَاءِ،  
وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ؛ فَمَا مَرَّتْ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ،  
وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِّيَّ<sup>(٢)</sup>، وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقِيْعَانَ وَالرَّبِّيَّ<sup>(٣)</sup>؛ فَبَادَرْنَا إِلَى  
حِصْنِ الْقَرْيَةِ لَا يُذِينَ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيَّتِهَا، وَعَائِذِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَّتِهَا، وَأَثَوَانَا  
قَدْ صَدَدَلْ كَافُورِيَّهَا مَاءَ الْوَبْلِ، وَغُلْفَ طِرَازِيَّهَا طِينُ الْوَحْلِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ  
اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكَامِ وَالْأُرْدَانِ، وَنَشْكُرُهُ  
عَلَى سَلَامَةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَرْوَاحِ، شُكْرَ التَّاجِرِ عَلَى بَقَاءِ رَأْسِ الْمَالِ إِذَا فُجِعَ  
بِالْأَرْبَاحِ؛ فَبِتْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي سَمَاءٍ تَكْفٍ وَلَا تَكْفٍ<sup>(٤)</sup>، وَتَبَكَى عَلَيْنَا إِلَى الصَّبَاحِ  
بِأَدْمُعٍ هَوَامٍ<sup>(٥)</sup>، وَأَرْبَعَةَ سَجَامٍ؛ فَلَمَّا سُلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غِمْدِ الظَّلَامِ،  
وَصُرِفَ بَوَالِي الصُّحُوفِ عَامِلُ الْغَمَامِ، رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ تُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا  
رَفْضًا، وَتَتَخَذَ الْارْتِحَالَ عَنْهَا فَرَضًا؛ فَمَازَلْنَا نَطْوِي الصَّحَارَى أَرْضًا فَأَرْضًا، إِلَى  
أَنْ وَافَيْنَا الْمُسْتَقَرَّ رَكُضًا؛ فَلَمَّا تَفَضُّنَا غُبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ، الَّذِي جَمَعْنَا فِي رُبْقَةٍ  
الْأَسِيرِ، وَأَفْضَيْنَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ، بَعْدَ مَا أَصْبَبْنَا بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ، وَتَذَاكُرْنَا  
مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَطَى تِلْكَ الشُّقَّةَ، أَخَذَ الْأَمِيرُ  
السَّيْدَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - الْقَلَمَ فَعَلَقَ هَذِهِ الْآيَاتِ ارْتِجَالًا:

دَهْتَنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ      بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٍ  
فَجَاءَ بَرْعِدٍ لَهُ رَنَّةٌ      كَرَنَةً تَكْلَى وَلَمْ تَكْلِ

(١) العيث: الفساد (٢) الربِّي جمع زبية، وهي الراية لا يعلوها ماء

(٣) القيعان: جمع قاع، والربِّي جمع ربوة (٤) تكف: تسيل، وتكف: تمتنع

(٥) هوام: جمع هامية، وسجام: جمع ساجة، أى ممطرة

وَمَنِّي بَوْبِلٍ عَدَا طَوْرَهُ      فَعَادَ وَبَالًا عَنِ الْمُحِلِّ (١)  
 وَأَشْرَفَ أَضْحًا بُنَا مِنْ أَدَاهُ      عَلَى حَظَرٍ هَائِلٍ مُفْضِلٍ  
 فَمِنْ لَائِذٍ بِفَنَاءِ الْجِدَارِ      وَأَوَّ إِلَى نَفَقٍ مُنْهَمِلٍ (٢)  
 وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِي: الْغَرِيقَ      هُنَاكَ، وَمِنْ صَارِخٍ مُفْعُولٍ  
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ      بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يَهْمِلِ  
 كَأَنَّ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى      يَبِيسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْلَلِ  
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ      فَأَذْبَرَ كُلَّ عَنِ الْقَبْلِ  
 يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ      وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ بِمَحْمِلِ  
 كَأَنَّ بِأَخْشَاتِهِ إِذْ بَدَا      أَجَنَّةَ حُبْلَى وَلَمْ تَحْبِلِ  
 فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا      وَمِنْ مُعَلِّمٍ عَادَ كَالْمَجْمَلِ (٣)  
 كَفَانَا بِبَيْتِهِ رَبُّنَا      فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ  
 فَقُلْ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي      فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ (٤)

أخذ المطوعى قوله : « فلما سُلَّ سيفُ الصبحِ من غمَدِ الظلامِ » من قول

لأبي الفتح  
البستي

أبي الفتح البستي :

رُبَّ لَيْلٍ أَعْمَدُ الْأَنْوَارِ إِلَّا      ثَوْرَ ثَغْرِ أَوْ مَدَامَ أَوْ نَدَامَ  
 قَدْ نَعَمْنَا بِدِيَاجِهِ إِلَى أَنْ      سُلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غَمَدِ الظَّلَامِ

[ وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو العباس الناشيء ] :

لأبي العباس  
الناشئ

خَلِيلِي هَلْ لِلْمُزْنِ مُقَلَّةٌ عَاشَتْ      أَمْ النَّارُ فِي أَحْشَائِهَا وَهِيَ لَا تَذْرَى  
 أَشَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ فَأَصْبَحَتْ      وَكَاللَّوْلُو الْمَشُورِ أَدْمَعُهَا تَجْرَى

(١) المحل : المجذب (٢) النفق : السرداب

(٣) غامر : خراب ، ومعلم ومجهل : معلوم ومجهول

(٤) هذا البيت غاية في خفة الروح

سحاب حَكَتْ تُكَلَّى أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ  
تَسْرِبِلَ وَشَيْئاً مِنْ حُزُونٍ تَطْرَزَتْ  
فَوْشَى بِلَا رَقْمٍ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ،  
وَقَالَ آخَرُ :

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ شَدِيدِ الْوَمِيزِ  
كَأَنَّ تَأَلُّفَهُ فِي السَّمَاءِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لَا بِنَ الْمُعْتَزِ

كَأَنَّ الرَّبَابَ الْجَوْنَ دُونَ سَحَابِهِ  
إِذَا لَحِقَتْهُ خَيْفَةٌ مِنْ رَعُودِهِ  
وَقَدْ قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ :

لِحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ

كَأَنَّ الرَّبَابَ دَوْنِ السَّحَابِ  
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لَا بِنَ الْمُعْتَزِ أَيْضاً

بَاكِية يَضْحَكُ فِيهَا بَرْقُهَا  
رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقُهَا مِنْذُ بَدَأَ  
جَرَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا حَتَّى بَدَأَ  
تَحْسِبُهُ طَوْرًا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ  
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ كَأَنَّهُ  
مَوْصِلَةٌ بِالْأَرْضِ مَرْخَاةُ الطُّنْبِ  
كَمَثَلِ طَرَفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبِ يَجِبِ<sup>(٣)</sup>  
مِنْهَا لِي الْبَرْقُ كَأَمْثَالِ الشَّهْبِ<sup>(٤)</sup>  
أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شَجَاعًا يَضْطَرِبُ<sup>(٥)</sup>  
أُبْلِقُ مَالَ جُلُهُ حِينَ وَثَبَ<sup>(٦)</sup>

(١) الرباب : السحاب ، والجون : الأسود

(٢) دوين : تصغير دون (٣) يجب : يضطرب (٤) رواية الديوان :

ثم حدث بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب  
(٥) الشجاع : الثبان . ورواية الديوان :

إذا تعرى البرق فيها خلته بطن شجاع في كشيبي يضطرب

(٦) الأبلق : الجواد يرتفع تحجيلة إلى الفخذين ، والتحجيل : يياض في القوائم ،

والجل : ما يوضع على ظهر البعير والجواد

وتارةً تحسبه كأنه سلاسل مفصولة من الذهب  
وقال الطائي :

ياسهم للبرق الذي استطارا صار على رغم الدجى نهارة  
آض لنا ماء وكان نارا<sup>(١)</sup>

وينشد أصحاب المعاني :

نارٌ تجدد للعنين نضرتها والنار تلفح عيدانا فتحترق  
وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصَّخْوِ ، ويدمته في المطر :

أنا لا أشتهى سماء كبطان السَّيْرِ والشَّربُ تحتها في خراب<sup>(٢)</sup>  
بين سَقْفٍ قد صار مُنْخَلٌ ماءً وجدارٍ ملقى وتلٌّ تُراب  
وبيوت يوقع الوَكْفَ فيهنَّ وإيقاعُهُ بغيرِ صواب<sup>(٣)</sup>  
إنما أشتهى الصُّبُوحَ على وَجْهِهِ سماءٍ مَصْقُولَةُ الْجِلْبَابِ  
ونسيم من الصَّبَا يتنَشَّى فوق رَوْضٍ نَدِيدِ الشَّبَابِ  
وكان الشمس المضيئة دينا رُجْمَتُهُ حَدَائِدُ الضَّرَابِ  
في غداة وكأسها مثل شمسٍ طَلَعَتْ في مَلَأَةٍ من ثَرَابِ<sup>(٤)</sup>  
أو عروس قد ضُمَّخَتْ بِخُلُوقٍ فَهِيَ صَفْرَاءُ فِي قَيْصِ حَبَابِ  
وغناء لا عُدْرَ للعودِ فيه بتندى الأوتارِ والضرابِ  
ونقاء البساط من وَضَرِ الطَّيْنِ وَمَسَحِ الْأَقْدَامِ فِي كُلِّ بَابِ  
ونشاط الغلمان إن عَرِضَتْ حَا جَانِئًا فِي مَجِيئِهِمُ وَالذَّهَابِ  
وجفاف الرياحِ والنَّرجس الغضَّ بِأَيْدِي الخِلَانِ وَالْأَصْحَابِ  
لا تَدْدَى أَنْوْفُهُمْ كُلَّمَا حِيْتُ وَابْضَعْتَ نَدَى أَنْوْفِ الْكَلَابِ

(١) آض : رجع وصار (٢) الشرب - بالفتح - جماعة الشاربين (م) .

(٣) في الديوان (٥٣/٤) « وإيقاع الوكف غير صواب » . التوقيع : الضرب على آلة الغناء ، والوكف : انهمال المطر (م) (٤) هذا البيت ملفق من بيتين وهما كما في الديوان :

في غداة قد تمتعتك يرد الـ سماء في يومها وضو الشراب  
من عقار في الكأس تشبه شمساً طلعت في غلالة من سراب (م)

لابن المعتز  
يمدح الشرب  
في الصخو

ذاك يومٌ أراه غمًا وحظًا من عطاء المهمين الوهاب  
وقال الصنوبري :

أنيس ظباء بوخش الضبا وصبغ حياء مثل صبغ الحيا  
ويوم تكلله الشمس من صفاء الهوى وصفاء الهوا  
بشمس الدنان وشمس التبان وشمس الجنان وشمس السما  
وشبهه بالأبيات التي كتبها تغلب إلى أبي العباس بن المعتز الجميل <sup>(١)</sup> قول الآخر:  
وما وجد منوا من الهيم خلّيت عن الورد حتى جوفها يتصلصل <sup>(٢)</sup>  
تحوم وتغشاها العصي وحولها أفاطيع أنعام تغل وتهل  
بأكثر مني لوعة وصباة إلى الورد إلا أنتي أنجمل <sup>(٣)</sup>  
وقال أبو حية النيري :

وصف شدة  
الشوق

لأبي حية  
في هذا المعنى  
كفى حزناً أني أرى الماء معرضاً لعيني ولكن لاسيل إلى الورد <sup>(٤)</sup>  
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكف أعز الناس كلهم عندي

[ وصف رجل حازم لابن المقفع ]

قال ابن المقفع : كان لي أخ أعظم الناس في عيني <sup>(٥)</sup> ، وكان رأس ما أعظمه  
في عيني صغير الدنيا في عينه ، وكان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهي مالا

(١) قد مرت هذه الأبيات في ص ١٨٦ (٢) الملواح : الناقة أصابها اللوح وهو  
الظمأ الشديد ، والهيم : جمع هيماء ، وهي التي أصيبت بداء الهيماء ، وهو شدة الظمأ ،  
ويتصلصل : يصوت (٣) ومثل هذا أيضا قول الشريف الرضي :

وما حائمات يلتفتن من الصدى إلى الماء قد موطن بالرشقان  
إذا قيل هذا الماء لم يملكوا لها معاجا بأقران ولا بثمان  
بأظما إلى الأحباب مني وفيهم غريم إذا رمت الديون لواني  
(٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

إني وإياك كالتمادي رأي نهلا ودونه هوذ يخفى ههنا التلغا  
يرى بعينه ماء عز مورده وليس بملك دون الماء منصرفا  
(٥) عبارة اليتيمة : « إني مخبرك عن رجل كان أعظم الناس في عيني »



مجد ، ولا يُكثِر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطانِ فرجه ، فلا تدعوه إليه مؤنة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً . وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجاً من سلطانِ لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يُمارى فيما علم ، وكان خارجاً من سلطانِ الجمالة ، فلا يتقدم<sup>(١)</sup> أبداً إلا على ثمة بمنفعة ، وكان أكثر دهره صامتا ، فإذا قالَ بَرَّ القائلين<sup>(٢)</sup> ، وكان ضعيفا مستضعفا ، فإذا جاءَ الجد<sup>(٣)</sup> فهو اللَّيْثُ عاديا<sup>(٤)</sup> . وكان لا يدخل في دَعْوَى ، ولا يُشارك في مِرَاء<sup>(٥)</sup> ، ولا يُدلى بخِجَّةٍ حتى يَرى قاضيا فهُما<sup>(٦)</sup> وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحداً فيما يكونُ العُذْرُ في مثله حتى يعلمَ ما عذَرُهُ .

وكان لا يَشْكُو وجهه إلّا عند مَنْ يرجو عنده البُرء ، ولا يستشيرُ صاحباً إلّا أنْ يرجوَ منه النصيحة . وكان لا يتبرّم<sup>(٧)</sup> ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يففل عن الولي ، ولا يخصُّ نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوّته . فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتها ، وإن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

وعلى ذكر قوله : « وإن قال بَرَّ القائلين » قال ابن كناسة — واسمه محمد بن عبد الله ، ويكنى أبا يحيى — في إبراهيم بن أدهم<sup>(٨)</sup> الزاهد :

رَأَيْتُكَ لَا تَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَا وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَلِكَ ابْنُ أَدِّهَا

لابن كناسة  
يصف ابن أدهم

(١) عبارة اليتيمة « فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة »

(٢) ز: غلب ، بالذال والزاى ، ومنه : من عزيز (٣) في الأصل « فإذا وجد الجد »

وهو محريف . وعبارة اليتيمة « فإذا جاء الجد » (٤) عاديا : منصوب على الحال

(٥) المراء : الجدال (٦) رواية اليتيمة « قاضيا عدلا » (٧) يتبرم : يتضرر

(٨) إبراهيم بن أدهم : شخصية قوية ترى أثرها في كتب الدين والأخلاق . كان

يعيش من عرق جبينه ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، تعفف عن ميراث أبيه واكتفى بحياة التقشف والحشونة ، وكان معروفاً بالفصاحة والحرص على صواب القول ؛ فكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يهظ أو جز سفيان في كلامه مخافة أن يزل . وكانت وفاته نحو سنة ١٦١ .

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها      وكان لأمر الله فيها مظلماً  
وأكثر ما تلقاه في الناس صامتا      وإن قال برز القائلين فافحماً  
يشيع الغنى في الناس إن مسه الغنى      وتلقى به البأساء عيسى بن مريما  
أهان الهوى حتى تجنبه الهوى      كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

الفاظ لأهل العصر في ذكر التقى والزهد

فلان عذب المشرب ، عفا المطلب ، نقي الساحة من المائيم ، يرى  
الذمة من الجرائم ، إذا رضى لم يقل غير الصدق ، وإذا سخط لم يتجاوز جانب  
الحق ، يرجع إلى نفس أمارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدولة على سبيل البر :  
أعرض عن زبرج الدنيا وخدعها ، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة وممتعها .  
كف كفه عن زخرف الدن ، ونصرتها ، وغض طرفة عن متاعها وزهرتها ؛  
وأعرض عنها وقد تعرضت له بزيتها ، وصد عنها وقد تصدت له في حليتها .  
فلان ليس ممن يقف في ظل الطمع ، فيسب إلى حضيض الطبع <sup>(١)</sup> ، نقي  
الصحيفة ، علي عن الفضيحة ، عفا الإزار ، طاهر من الأوزار ، قد عاد لإصلاح  
المعاد ، وإعداد الزاد .

\*\*\*

وكان ابن المقفع من أشرف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات  
كثيرة ، ورسائل مختارة ؛ وكان مخجماً عن قول الشعر ، وقيل له : لم لا تقول  
الشعر ؟ فقال : الذي أراضه لا يجيئني ، والذي يحى لا أراضه <sup>(٢)</sup> .

من أخبار  
ابن المقفع

(١) الطبع - بفتح الباء - الحسة . وفي الأصل ( التصنع ) وهو تحريف .

(٢) ومع هذا فقد تيسرت له الإجابة ، حتى اختار له مؤلف الحماسة الأبيات الآتية

رزئنا أباعمرو ، ولاحي مثله      فله ريب الحادثات بمن وقع  
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا      ذوى خلة ما في انسداد لها طمع  
فقد جرنقنا فقدنا لك أننا      أمنا على كل الرزايا من الجزع

أخذ هذا بعضهم فقال :

أَبَى الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَنْفَى رَدِيئُهُ إِلَى ، وَيَأْتِي مِنْهُ مَا كَانَ مُحْكَمًا  
فِيالْيَتْنِي إِذْ لَمْ أُجِدْ حَوْكَ وَشِيهِ وَلَمْ أَكُ مِنْ فُرْسَانِهِ كُنْتُ مُفْجَعًا<sup>(١)</sup>  
وكان ظريفا في دينه<sup>(٢)</sup> ، وذكر أنه مرَّ بيت النار فقال :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أُتْعَزَلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَازُ مُوَكَّلُ<sup>(٣)</sup>  
أصبحت أُنحَك الصدودَ ، وإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَا مُمِيلُ<sup>(٤)</sup>

البيتان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري أخى  
ترجمة  
للأحوص بن عمرو بن عوف . وعاصم بن ثابت حَمِيَّ الدَّبْرِ<sup>(٥)</sup> قتله بنو لحيان من هُذَيْل  
يوم الرَجِيع ، فأرادوا أَنْ يَبْعَثُوا بِرَأْسِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وكانت سُلَافَةُ بِنْتُ سَعْدٍ نَذَرَتْ  
كَتَشْرَبَنَّ فِي رَأْسِهِ الْحُمْرَ . وكان قَتَلَ بَعْضَ وَلَدِهَا مِنْ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَحَدِ  
بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أَحَدَ . فلما أَرَادُوا أَخْذَ رَأْسِهِ حَمَتُهُ الدَّبْرُ . وهى النحل . فلم  
يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وجعلوا يَقُولُونَ : إِنَّ الدَّبْرَ لَوْ قَدْ أَمْسَى صِرْنَا إِلَى حَشْوِ اسْتِهِ ،  
فَمَا أَمْسَوْا بِعَثَ اللَّهُ أَتَيْتُ فَوَارَاهُ مِنْهُمْ<sup>(٦)</sup> . وعاتكة التى ذكره هى عاتكة  
بنت يزيد بن معاوية .

[ أَلْطَفَ تَعْرِيفُ ، وَأَدَقَ فَهْمُ ]

ومادخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع : أُنْفِى رَجُلًا سَاقِلًا عَلَانَا  
بِامْدِينَةِ لَيْتَفَنِي عَلَى دَوْرِهَا ؛ فَقَدْ بَعْدَ عَهْدِي بِدِيَارِ قَوْمِي ؛ فَالْتَمَسَ لَهُ الرَّبِيعُ فَنَى

- 
- (١) منحهم : مغلوب (٢) يريد أنه كان متهمًا ؛ لأنه كان قبل إسلامه مجوسياً  
عبد النار . نوفي سنة ١٤٢ (٣) أنْعَزَلَ : أُنْجِبَ . وفى الأصل (أُنْعَزَلَ) وهو تحريف  
(٤) انظر ما كتب عن هذا الشعر فى كتب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)  
(٥) الدبر . المتح . جماعة النحل والزناير (٦) الأى . على وزن غنى . هو السيل

من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يتدري ، ياخيارٍ حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجازه ، فاجتاز بيت عاتكة ، فقل : يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص : « يا بيت عاتكة الذي أتزَل » . . . البيت ، فذكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ <sup>(١)</sup>  
فقال : ياربيع ، هل أوصأت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرته عنه - لعله ذكرها الربيع - فقال : عجزته له ، ضاعفاً ، وهذا ألطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور .

### [ الحسد والحساد ]

ومن كلام ابن المقفع : الحاسد لا يزال زاراً على نعمة الله ولا يجدها مزالاً ، ومكدراً على نفسه ما به من النعمة فلا يجدها طعماً ، ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه ، ومتسخطاً لما [ لا ] ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شئ بمظلوم ، محروم الطلبة ، منقص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له يقنع ، ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرة للسرور . ممهلاً فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صير الحاسد على ما به لكان خيراً له ؛ لأنه كلما أراد أن يطفيء نور الله أعلاه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

لابن المقفع في  
صفة الحاسد

قال الطائي :

لأني تمام في  
فضل الحاسد  
على المحسود

لِلْحَاسِدِ الثُّغْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ  
طَوَيْتَ أَتَّاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ  
مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبَ عَرَفِ الْعُودِ

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ  
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ

أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ :

للبحتری  
في هذا المعنى.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ وَنُصْعَ نِعْمَةٍ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا  
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَحْدُ  
لَا أَرْتَقِي صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أُرِدُ<sup>(١)</sup>

لابن الرومی

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَأَمِّهِمْ  
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ  
أَنَا الَّذِي يَحْدُونِي فِي صَدُورِهِمْ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ لَصَاعِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ :

وَلَا يَرَحْتُ أَنْفَاسَهُ تَتَصَعَّدُ<sup>(٢)</sup>  
وَيُغْفِضِي عَنْ اسْتِحْقَافِكُمْ فَهِيَ يُفَادُ<sup>(٣)</sup>  
لَأَطْفَاءُ نَارًا فِي الْحُشَا تَتَوَقَّدُ  
وَأَحْسَنَ مِنْ سِرِّهَا الْمُنْتَجَرِدُ<sup>(٤)</sup>

لمعن بن زائدة

وَضِدٌّ لَكُمْ لَا زَالَ يَسْفُلُ جَدُّهُ  
يَرَى زَبْرَجَ الدُّنْيَا يُرْفُ إِلَيْكُمْ  
وَلَوْ قَاسَ بِاسْتِحْقَافِكُمْ مَا مُنِحْتُمْ  
وَأَتَّقِ مِنْ عِقْدِ الْعَقِيلَةِ جِيدَهَا

وَقَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ :

لَاعَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودِ  
بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ ، أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي

مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فُضَائِلِهِ

(١) لا أرتقي صدرًا ولا أورد : لأصعد ولا أهبط ؛ فأنا كالشجي الدائم الذي لا سلامة لأعدائي منه . وهذه الأبيات غاية في جمال البيان (٢) الجد - بالفتح - الحظ (٣) يفاد : يحرق فؤاده .

(٤) يقول : إن جيد العقيلة أجمل من العقد الذي يظن أنه يزيه ، والتجرد - أي الجسم العريان - أجمل من السربال وهو القميص .

## ألفاظ لأهل العصر في ذكر الحسد

دَبَّتْ عِقَارِبُ الْحَسَدَةِ ، وَكُنْتُ أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرَّصِدٍ . فلان مَعْجُونٌ مِنْ طِينَةِ الْحَسَدِ وَالْمَنَافَسَةِ ، مَضْرُوبٌ فِي قَالِبِ الضُّيْقِ وَالْمُنَاقَشَةِ . قَدْ وَكَلَنِي لِحِظًا يَنْتَضِلُ بِأَسْهُمِ الْحَسَدِ . فلان جَسَدٌ كُلُّهُ حَسَدٌ ، وَعَقْدٌ كُلُّهُ حِقْدٌ . الْحَاسِدُ يَعْمَى عَنْ مَحَاسِنِ الصُّبْحِ ، بَعِينَ تَذَرِكُ حَقَائِقَ الْقُبْحِ .

[ التلطف في الطلب ]

كتب محمد بن حماد يَهْرُضُ فِي حَاجَةٍ لَهُ بِيْتِي شِعْرًا إِلَى الْوَائِقِ يَقُولُ :  
 يَبْنَ الْوَائِقِ  
 وَمُحَمَّدُ بْنُ حَمَادٍ  
 جَذِبَتْ دَوَاعِيَ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمُنَى      وَقَلْتُ لَهَا كُنْفِي عَنْ الطَّلَبِ الْمُزْرِي  
 فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّهِ      مَدَارُ رَحَى بِالرَّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي  
 فَوَقَعَ تَحْتَهَا : جَذَبَكَ نَفْسَكَ عَنْ امْتِنَانِهَا بِالسَّأَلِ دَعَانِي إِلَى صَوْنِكَ بِسَعَةِ  
 فَضْلِي عَلَيْكَ ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا .

يَبْنَ الْحَسَنُ بْنُ  
 سَهْلٍ وَعَلَى  
 ابْنِ عُبَيْدَةَ  
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : أَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ بِفَمِ الصُّلْحِ ؛ فَأَقَمْتُ بِيَابَهُ ثَلَاثَةَ  
 أَشْهُرٍ لَا أُحْظِي مِنْهُ بِطَائِلٍ ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

مَدَحْتُ ابْنَ سَهْلٍ ذَا الْأَيْدِي وَمَالَهُ      بِذَاكَ يَدٌ عِنْدِي وَلَا قَدَمٌ بَعْدُ  
 وَمَا ذَنْبُهُ ، وَالنَّاسُ - إِلَّا أَقْلَهُمْ -      عِيَالٌ لَهُ ، إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدُّ  
 سَأَحْمَدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ      لَهُ فِي رَأْيٍ عَادَ لِي ذَلِكَ الْحَمْدُ

فَكُتِبَتْ إِلَيَّ : بَابُ السُّلْطَانِ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ : عَقْلٌ وَصَبْرٌ وَمَالٌ ،  
 فَقُلْتُ لِلْوَسِيطَةِ : تَوَدَّى عَنِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : تَقُولُ لَهُ : لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَا غِنَانِي  
 عَنْ الطَّلَبِ إِلَيْكَ ، أَوْ صَبْرٌ لَصَبَرْتُ عَنْ الذُّلِّ بِبَابِكَ ، أَوْ عَقْلٌ لَأَسْتَدَلْتُ بِهِ عَلَى  
 الْبَرَاهَةِ عَنْ رِفْدِكَ ! فَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وقال علي بن عبيدة الريماني يوما ، وقد رأى جارية يهواها : لولا البقيا على الضمائر لبحنا بمأجنته السرائر ، لكن نيران الحب تتدارك بالإخفاء ، ولا تعاجل بالإبداء ؛ فإن دوامها مع إغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها في فتح مصارع الإعلان .  
وقد قال محمد بن يزيد الأموي :

لا وحبيك لا أصا فحج بالدمع مدمعا  
من بكى حبه استرا ح وإن كان موجعا

ومن كلام علي بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبدل من ودك ، وضن الاسترسال منك ، حتى تبدل له مستحقا ؛ فإن الأنس لباس العرض ، ونخفة الثقة ، وحياء الأكفاء ، وشعار الخاصة ، فلا تخلق جدته إلا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك .

وقال : لولا حركات من الابتهاج أجد حسنها عند رؤيتك في نفسي لا أعرف لها مثيرا من مظانها إلا مؤانستك لي ، لأبقيت عليك من العناء ، وخففت عنك مؤونة اللقاء ؛ لكنني أجد من الزيادة بك عندي أكثر من قدر راحتك في تأخر عني ، فأضيق عن احتمال الخسران بالوحدة منك .

وقال : لوجلي من طلوع الملاللة بكر اللقاء أستخف التجافي مع شدة الشوق ، لتبقى جدة الحال عند من أحب دوامه لي ؛ ورد طرف الشوق باطنا أبسر من معاناة الجفاء مع الود ظاهرا .

وقال بعض الحديثين :

كم استراح إلى صبر فلم ير حـ صب إليكم من الأشواق في ترحـ  
تركت قلبه من حزن فرتكم لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرحـ  
وقال أعرابي :

ألا قل لدار بين أ كسبة الحمى وذات العصى جادت عليك المواضب<sup>(١)</sup>

بعض كلام علي  
بن عبيدة  
الريماني

لبعض الحديثين  
من الشعراء  
في الشوق

أَجِدْكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَتَابَعْتُ دُمُوعٌ ، أَضَاعَتْ مَاحْفَظَتُ ، سَوَاكِبُ  
 دِيَارُ تَنَسَّمْتُ الْمُنَى نَحْوَ أَرْضِهَا وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهُوَى وَالْخُبَائِبُ  
 لِيَالِي لَا الْمَجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَضَلٍ مِّنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبُ  
 [الأدب في مجلس الحكم]

بين إبراهيم بن  
 أدهم والطبيب  
 ابن بختيشوع  
 عند ابن  
 أبي دؤاد

تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد  
 في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فأرَبَى عليه إبراهيم وأَغْلَظَ له ، فحفظ  
 ذلك ابن أبي دؤاد ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعت في مجلس الحكم بحضرتنا أمرنا  
 فلا أعلن أنك رفعت عليه صَوْتًا ، ولا أشرتَ بيد ، وليكن قضدك أتمًّا<sup>(١)</sup> .  
 وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم ،  
 والتوقير ، والاستكانة ، والتوجه إلى الواجب : فإن ذلك أشكلُ بك . وأشملُ  
 لمذهبك في محنتك ، وعظيم خطرُك ، ولا تعجلن ، فربَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رِيثًا . والله  
 يعصمك من خطئ القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبيوك من قبل .  
 إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : أصلحك الله تعالى : أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد :  
 ولستُ عائدًا لما يَكِلُ مُرُوءَتِي عندك ، ويُسْقِطُنِي من عينك ، ويخرجني من  
 مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فيأنا معتذرًا إليك من هذه البادرة اعتذار مُقَرَّرٍ  
 بذنبه ، مُعْتَرِفٍ بِجُرْمِهِ ، ولا يزال الغضبُ يستفزني بمواده ، فيردني مثلك بجلمه ،  
 وتلك عادةُ الله عندك وعندنا منك ؛ وقد جعلتُ حقِّي من هذا العقار لابن بختيشوع ،  
 فليت ذلك يكون وافيًا بأرُش الجناية عليه<sup>(٢)</sup> ؛ ولم يتنف مالُ أفاد موعظةً :  
 وحسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(٣)</sup> .

(١) أمم : قريب

(١) الأرش : الدية (٢) هذا الحديث يمثل جانباً من الحظ الذي ظفر به أحمد  
 ابن أبي دؤاد في عصره . وقد صاحب هذا الرجل المأمون والمعتصم والواثق وعمل معهم  
 جميعاً . توفي سنة ٢٤٠



## [ حكمة أردشير وحضه على العلم ]

لما استوثق أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف . وتم له ملكه ، جمع الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الألفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة صفوف ؛ فخرؤا له سجدًا ، وتكلم متكلمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبوباً من الله تعالى بعز النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد ، ولازلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع إليك الذمامات <sup>(١)</sup> حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ، وتصل إلى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلفى عنده والمكانة منه ، ولازال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علو قدرك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد توقد نيرانها ، ففضلك الذي لا يدرك بوصف ، ولا يحُدُّ بنقث .

فقال أردشير : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان للاجابة أهلاً .

وقيل لأردشير : أيها الملك الرفيع الذي حلب العصور ، وجرب الدهور ، أى الكنوز أعظم قدراً ؟ قال : العلم الذى خف محمله ، فتقلت مفارقه ، وكثرت مراقبته ، وخفى مكانه ، فأمن من السرقة عليه ؛ فهو فى الملاء جمال ، وفى الوحدة أنيس ، يُرأس به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك . قيل له : فالمال ؟ قال : ليس كذلك . محمله ثقيل ، والهمل به طويل ؛ إن كنت فى ملاء شغلك الفكر فيه ، وإن كنت فى خلوة أتعبتك حراسته .

(١) الذمامات : جمع ذمام — بكسر الدال ، بزنة كتاب — وهو العهد ونحوه

## [ أخلاق الملوك ]

قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسلُ الملوك إذا جاءت بالهدايا يُعْمَلُ اختلافُهم إلى ، فتكون المؤامراتُ فيما معهم من ديواني ، فكنتُ أسألُ رجلاً رجلاً منهم عن سيرِ ملوكهم ، وأخبار عظمائهم ، فسألتُ رسولَ ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بَذَلْ عُرْفَهُ ، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . لَا يُنْظَرُ جُنْدُهُ ، وَلَا يُخْرَجُ رَعِيَّتُهُ ؛ سَهْلُ النَّوَالِ ، حَزَنُ النِّكَالِ ، الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ ، مَعْقُودَانِ فِي يَدِهِ .

وصف ملك  
الروم

قلت : فكيف حكمه ؟ فقال : يَرُدُّ الظَّالِمَ ، وَيَرُدُّعُ الظَّالِمَ ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ؛ فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ : رَاضٍ ، وَمُعْتَبَطٌ .

قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : يُتَنَصَّرُ فِي الْقُلُوبِ ، فَتُعْطَى لَهُ الْعْيُونُ .

قال : فنظر رسولُ ملك الحبشة إلى إصغاني إليه ، وإقباله عليه ، فسأل الترحمان : مالذي يقوله الرومي ؟ قال : يَذْكُرُ ملكهم ، وَيَصِفُ سيرته ؛ فتكلم مع الترحمان بنبي ، فقال لي الترحمان : إنه يقول : إِنَّ مَلِكَهُمْ ذُو أُنَاةٍ عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَذُو حِلْمٍ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمَغَالِبَةِ ، وَذُو عَقُوبَةٍ عِنْدَ الْاجْتِرَامِ ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتَهُ جَمِيلَ رِعْمَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ عَسْفَ رِقْمَتِهِ ؛ فَهُمْ يَتَرَاءَوْنَهُ رَأْيَ الْهَلَالِ خِيَالًا ، وَيَخَافُونَهُ مَخَافَةَ الْمَوْتِ نِكَالًا ، وَسَمِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَرَدَّ عَنْهُمْ سَطْوَتَهُ ، فَلَا تَمْتَنِيَهُ مَرْحَةً ، وَلَا تَوَمِّنِيَهُ غَفْلَةً ؛ إِذَا أُعْطِيَ أَوْسَعُ ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعُ ؛ فَالنَّاسُ اثْنَانِ : رَاجٍ وَخَائِفٌ ، فَلَا الرَّاجِي خَائِبُ الْأَمَلِ ، وَلَا الْخَائِفُ بَعِيدُ الْأَجَلِ . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : لَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْعْيُونُ أَجْفَانَهَا ، وَلَا تَنْبِيهُهُ الْأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا ، كَأَنَّ رَعِيَّتَهُ قَطَأَ رَفْرَفَتْ عَلَيْهَا صُقُورٌ صَوَائِدُ .

وصف ملك  
الحبشة

فحدثتُ المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ؟ قلت : ألفا درهم.

قال : يا فضل ؛ إن قيمتهما عندى أَكْثَرُ مِنَ الْخَلَافَةِ ، أَمَا عَرَفْتَ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ

أبى طالب كرم الله وجهه : قيمة كل امرئ ما يحسن . أفنعرف أحداً من الخطباء البلغاء يُحسِنُ أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت : لا . قال : فقد أمرتُ لها بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينهما في الجائزة [ على المعوز ] ؛ فلو لا حقوق الإسلام وأهله لرأيتُ إعطاءها ما في بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه .

فضل أخت  
ملك الخزر

وقال الجاحظ : حدثني حميد بن عطاء قال : كنتُ عند الفضل بن سهل ، وعنده رسولُ ملك الخزر ، وهو يحدثنا عن أختٍ لملكهم ، قال : أصابتنا سنةٌ احتدم شواظها علينا بجرِّ المصائب ، وصنوف الآفات ؛ ففرَّع الناسُ إلى الملك ، فلم يذَرِ ما يُحبِّبهم به ، فقالت أخته : أيها الملك ؛ إن الخوفَ لله خلق لا يخلقُ جديدهُ ، وسببُ لا يمتنُّ عزيزه ، وهو دالُّ الملِكِ على استصلاح رعيَّته ، وزاجرُهُ عن استفسادها ، وقد فرَّعتُ إليك رعيَّتكَ بفضلِ العجزِ عن الانجاء إلى مَنْ لا تزيدُه الإساءة إلى خلقه عزاً ، ولا ينقصه العودُ بالإحسان إليهم مُلكاً ، وما أحدٌ أولى بحفظ الوصية من الموصي ، ولا بركوب الدلالة من الدال ، ولا بحُسن الرعاية من الراعي . ولم تزل في نعمة لم تغبرها نعمة ، وفي رضا لم يكدره سُخط ، إلى أن جرَّى القدرُ بما عصى عنه البصر ، وذهل عنه الحذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ؛ فعُدَّ إليه بشكرِ النعم ، وعُدَّ به من فطيع النقم ، فتى تنسه يَنسَكَ ، ولا تجمعنَّ الحياء من التذلل المعزَّ المذل سترًا بينك وبين رعيَّتكَ ، فتستحق مذمومَ العقوبة ؛ ولكن مُرَّهم ونفسك بصرف القلوب إلى الإقرار له بكنو القدرة ، وبتذلل الألسن في الدعاء بمحضِ الشُّكرِ له ؛ فإن الملك ربما عاقب عبده ليرجمه عن سيِّئٍ فعِلٍ إلى صالحٍ عملٍ ، أو ليبيعه على دائبٍ شُكرٍ ليُخرِّزَ به فضلَ أجرٍ .

فأمرها الملك أن تقومَ فيهم فتذرهم بهذا الكلام ، ففعلت ، فرجع القومُ وقد

علم الله منهم قبول الوَعظِ في الأمر والنهي ؛ فعال عليهم الحول وما مهم مفتقد  
 رِفعةٍ كان سُلْبَهَا ، وتواترت عليهم الزيادات بحمِل الصنْع ؛ فاعترف لها الملك  
 بالفضل ، فقلدها الملك ؛ فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحجوب  
 قال : وهذا هم أعداء الله تعالى ، وضرائر نعمته ، ومستوجبو نِقْمَتِهِ ، أعادَ لهم  
 بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالإقرار له بكنه قدرته ما تمنّوا ، فكيف بمن يجمعه على  
 الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت  
 على الافتقار إليه الطلبات ؛ لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما علموا ، فأنقلب  
 جدهم هزلاً ، وسكوتهم خَبَلاً .

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد همهم

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرازفته ، فقال : يُحِطُّ عن مرتبته ،  
 ولا ينقص من صلته ؛ فإن الملوك تؤدّب بالهجران ، ولا تعاقب بالحُرمان .  
 واصطنع أنوشروان رجلاً قفيل له : إنه لا قديم له . قال : اصطنعنا  
 إياه شرفه .

قال معاوية رضي الله عنه : نحن الزمان ، من رفَعناه ارتفع ، ومن وضعناه  
 اتضع . وكان يقول : إني لَأَنفُ من أن يكون في الأرض جَهْلٌ لا يسعُه حِلْيِي ،  
 وذَنْبٌ لا يسعُه عَفْوِي ، وحاجة لا يسعُها جُودِي .

عبد الملك بن مروان - أفضل الناس من تواضع عن رِقعة ، وعفا عن قُدرة ؛  
 وأنصف عن قُوّة .

زياد - استشفعوا لمن وراءكم ؛ فليس كلُّ أحدٍ يصلُ إلى السلطان ، ولا كلُّ  
 من وصل إليه يَقْدِرُ على كلامه .

المهلب - عَجِبْتُ لمن يشتري الممالك بماله ، كيف لا يشتري الأحرار

بمعروفه ! وقد روى هذا لابن المبارك . وقال لبنيه : يا بني ؛ أحسن ثيابكم ما كان على غيركم .

قال أبو تمام الطائي يَسْتَهْدِي فَرَوْأ ، وعَرَّضَ بقول المهلب :  
 فهل أنت مُهْدِيهِ بِمِثْلِ شَكِيرَةٍ من الشُّكْرِ يَعْلُو مُضْعِداً وَيَصُوبُ<sup>(١)</sup>  
 فانتَ العَليمُ الطَّبَّ أَيْ وَصِيَّةٍ بها كان أَوْصَى في الثيابِ المَهْلَبُ<sup>(٢)</sup>  
 يزيد بن المهلب — استَكْثِرُوا من الحمد ؛ فَإِنَّ الدَّمَ قَلٌّ من يَنْجُو منه .  
 السفاح — ما أَقْبَحَ بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالُونَ من أثرها .  
 المأمون — إِنَّمَا تُطَلَّبُ الدنيا لَتُمْلِكَ ، فإذا مُلِكت فلتوهب . وقال : إِنَّمَا  
 يَتَكَثَّرُ بالذهب والفضة من يَقْلَانِ عنده .

الحسن بن سهل — الأطراف مَنَازِلُ الأشراف ؛ يتناولون ما يزيدون بالقُدْرَةِ ،  
 وينتاجهم مَنْ يريدُهم بالحَاجَةِ . وتعرض له رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا  
 الذي أحسنتَ إلىَّ يومَ كذا وكذا . فقال : مرحباً بمن تَوَسَّلَ إلينا بنا .  
 ولما أراد المعتصم أن يشرَّفَ أَشْناسُ التُّرْكِ بعقب فَتَحَ الخُزْمِيَّةَ أمرَ أصحابِ  
 المراتب بالترجُّلِ إليه ، فترجَّلَ إليه الحسنُ بن سهل ، فنظر إليه حاجبُه يمشي ويتعثر  
 في مَشْيِهِ ، فبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ إن الملوك شَرَفَتْنَا وشَرَفَتْ بنا .

### ومن كلام أهل العصر

للأمير شمس المعالي قابوس بن وَشْمَكِير<sup>(٣)</sup> — مَنْ أَعْدَتَهُ نِكَايَةُ الأيامِ أَقامته  
 إغَاةُ الكرامِ ؛ ومن ألبسه الليلُ ثوبَ ظلماته نزعَه النهارُ عنه بضِيائِهِ .

(١) شَكِيرَةٌ : شعرة ، يريد أن هديتك لاتساوى شعرة من شكره ، ويعلو ويصوب : يرتفع وينخفض :

(٢) الطَّبَّ — بالفتح — الماهر الحاذق بعمله ، وهو أيضاً الفحل الحاذق بالضراب

(٣) له ترجمة في ابن خلكان ( رقم ٥١٢ بتحقيقنا ) وقيمة الدهر للشعالبي ( م )

وله : ابتناه المناقب باحتمال المتاعب ، وإحراز الذِّكر الجليل بالسَّنى في الخطب الجليل .

الصاحب بن عباد :

وقائلة : لِمَ عَزَّتْكَ الهُمومُ وَأَمْرُكَ مُمْتَلِئٌ فِي الْأُمَمِ ؟

قلت : ذَرَيْتَنِي لِمَا أَشْتَكِي فَإِنَّ الْهَمومَ بِقَدْرِ الْهَمِّ

أبو الطيب المتنبي :

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُهُ لِيَذَا الزَّمَنُ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمُ مِنَ الْفِطَنِ

أبو الفتح البستي :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ هُمومٍ تَعْتَرِيهِ وَغَمٍّ وَالَّذِي يَرَكِبُ بَحْرًا سَيَرَى قَحَمَ الْأَهْوَالِ مِنْ بَعْدِ قَحَمِ<sup>(١)</sup>

### ومن كلام الملوك الجارى مجرى الأمثال

أردشير - إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة .

أفريدون - الأيام صحائف آجالكم ، فخلدوها أحسن أعمالكم .

وقيل للإسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدِّبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟

قال : لأنَّ أبى سببُ حياتى الفانية ومؤدِّبى سببُ حياتى الباقية .

ودخل محمد بن زياد مؤدِّب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثر

إعظامه ، ف قيل له : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أولُ من فتق لسانى بِذِكْرِ اللَّهِ ، وأدنانى من رحمة الله .

وأشير على الإسكندر بتبئيت الفرس<sup>(٢)</sup> ، فقال : لا أجعل غلبتى سرقة . وقيل

له : لو تزوجت بنت دارا ؟ فقال : لا تغلبنى امرأةٌ غلبت أباه .

(١) قحمة : جمع قحمة ، وهى الشدة (٢) التبئيت : الهجوم بغتة بالليل

أنوشروان - الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتله من قواعد بنيانه .

أبرويز - أطيع مَنْ [ فوقك يطعك مَنْ ] دونك .  
السفاح - إن من أذنى الناس ووضعا بهم مَنْ عدَّ البخل حَزْماً ، والنفو ذُلًّا .  
وكان يقول : إذا كان الحلم مَفْسَدَةً كان العفو مَفْجَرَةً ، والصبرُ حَسَنٌ إلا على ما أوقع بالدين ، وأوْهَى السلطان ؛ والأمانةُ محمودة إلا عند إمكان الفرصة .  
وقد قال ابن المعتز :

كم فرصةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً    تُشْجِي بِطُولِ تَلَهُّفٍ وَتَنْدُمٍ <sup>(١)</sup>  
ولما عزم المنصور على الفَتْكِ بأبي مسلم فزِعَ من ذلك عيسى بن موسى ،  
فكتب إليه :

إذا كنتَ ذَارَ أَيْ فِكَنٍ ذَاتَ دَبْرٍ    فَإِنْ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَحَلَّأَ  
فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ :  
إذا كنتَ ذَارَ أَيْ فِكَنٍ ذَاعِزِيْمَةٍ    فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا  
وَلَا تُتَهَلِّ الْأَعْدَاءُ يَوْمًا بِغُدُوِّهِ    وَبَادِرُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَاً <sup>(٢)</sup>  
وهذا في موضعه كقول الإمام علي ، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : من فكر في العواقب  
لم يشْجَعْ  
وقال سعد بن ناشب فأفرط <sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) القصة : ما اعترض في إلحلق ، وتشجى : تحدث الشجبا وهو القصة ، وغصبت ، بالكسر والفتح ، تغص ، بالفتح ، غصصا ، فأنت غاص وغصان .  
(٢) في نسخة « ولا تهمل الأعداء يوما بقدرته » (م) .  
(٣) وأول هذه القطعة :

سأغسل عني العار بالسيف جالبا    على قضاء الله ما كان جالبا  
وأذهل عن داري وأجعل هدمها    لعرسى من باقى المذمة حاجبا  
(١٥ - زهر الآداب ١)

لسعد بن ناشب

عليكم بدارى فهدموها ؛ فإنها<sup>(١)</sup> تراث كريم لا يخاف العواقب<sup>(٢)</sup>  
 إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً  
 ولم يستشِرْ في رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً  
 سأغسل عنى العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جانباً  
 ويصغرفى عيني تلادى إذا اثلثت يميني بإذرائك الذى كنت طائفاً  
 وكان سعد من مردة العرب وشياطين الإنس . وفيه يقول الشاعر :  
 وكيف أُميق الدهر سعد بن ناشب وشيطانُه عند الأهنه خُصره  
 كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبدالله بن علي يسأله حفظ حرمه . فقال  
 له : الحق لنا فى دمك ، وعلينا فى حُرْمِك .

وقال الرشيد لإسماعيل بن صبيح : إياك والدالة<sup>(٣)</sup> فإنها نخسد حرمة ، ومنها  
 أتى البرامكة .

وقال المأمون : الملوك تحتل كل شىء إلا ثلاثاً : إفساء السر ، والقدح  
 فى الملك ، والتعرض للخرم .

المعتصم إذا نصير الهوى بطل الرأى .

المنتصر - لذة العفو أطيب من لذة التشقى : وذلك أن لذة العفو يلحقها  
 حُمدُ العاقبة ، ولذة التشقى يلحقها ذمُّ الندم .

(١) رواية الحماسة : « فإن تهدموا بالغدر دارى »

(٢) وبعد هذا البيت : روى صاحب الحماسة :

أخى غمرات لا يريد على الذى بهم به من مفضع الأمر صاحب  
 إذا هم لم تردع عزيمة همه ولم بات ما يأتى من الأمر هائباً  
 فإلزام رشحوا به مقدماً إلى الموت خواصاً إليه الكنايب

(٣) الدالة : ما تدل به على صديقك من خير قدمته . وفى الأصل (المدة) وهو تحريف



والمنتصر يقول عن تجربة ؛ لأنه قتل أباه المتوكل ، والأمر في ذلك أشهر من أن يُذكر ، ولكني أُلِمِعُ منه باليسير :

مقتل المتوكل  
العباسي

كان المتوكل قد عَقَدَ لولده المنتصر والمعتز والمؤيد ولاية العهد ، ثم تَغَيَّرَ على المنتصر دون أخوينه ، وكان يسميه المنتظر ، ويقول له : أنت تتمنى موتي ، وتنتظر وقتي ! ويأمرُ الندماء أن يعيشوا به ، إلى أن أوغر صدره ، وأقلَّ صبره ؛ فلما كانت ليلة الأربعاء ثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكل يشربُ مع الفتح في قمره المعروف بالجعفرى ، ومعه جماعة من الندماء والمغنين ، وكان المنتصر معهم ، فلما انصرفت ثلاث ساعات من الليل قال لزرافة التركي : ألا تسمنى ساعة حتى أشكو إليك ما يمرُّ بى ؟ قال : بلى ، وجعل يماطله ويطوئه ، وغلقُ بَعا الشرائى الأبواب كلها إلا باب الماء ، ومنه دخل الذين قتلوه ، فَوَلَّ من ضربه باغر التركي ضربة قطع بها حبل عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه ، فقتلا جميعاً ، وبويع المنتصر من ساعته ، وكانت مدة المنتصر في الخلافة مدة شيرويه ابن كسرى — حين قتل أباه — ستة أشهر .

لإبراهيم بن  
أحمد الأسدى  
يرثى المتوكل

وقال إبراهيم بن أحمد الأسدى يرثى المتوكل :

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناي ومزهر ومدام  
بين كأسين أروتاها جميعاً كأس لذاته وكأس الحمام  
يقط في السرور حتى أتاه — قدر الله — حنقه في المنام  
والمنايا مراتب يتفاضلن بالمرهفات موت الكرام  
لم ير نفسه رسول المنايا بصنوف الأوجاع والأسقام  
هابه معلنًا فدب إليه في سُتور الدجى بمد الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن إبراهيم التيمي ، فقال يرثى عيسى بن خلف لعبد الكريم صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواء فمات بسببه :

منايا سدَّت الطرق عنها ولم تدع لها من ثنائيا شاعقي متطلعا

التيمي يرثى  
صاحب خراج  
المغرب

فلما رأت سُورَ المهابة دونها      عليك ولما لم تَجِدْ فيك مَطْمَعَا  
 تَرَقَّتْ بِأَسْبَابِ لِطَافٍ ولم تَكُدْ      تُوَاجِهْ مَوْفُورَ الْجَلَالَةِ أَرْوَعا  
 فبجاءتك في سِرِّ الدَّوَاءِ خَفِيَّةً      على حينَ لم تَحْذَرْ لداءِ تَوَقُّعا  
 فلم أَر مَالاً يُتَّقَى مِثْلَ سَهْمِهَا      ولا مِثْلَهَا لم تَخْشَ كَيْدًا فترجعا  
 وقد رثاه البحرى ويزيد المهلبى بمرثيتين من أجود ما قيل فى معناها ، وكانا  
 حاضرين ليلة قَتْلِهِ . فاخفى أحدهما فى طىّ الباب ، والآخر فى قناة الشاذرِوان ؛  
 فمن قصيدة البحرى :

تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنَسُهُ      وَقَوَّضَ بِإِدَى الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ  
 تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً      فَآضَتْ سِوَاءُ دُورِهِ وَمُقَابِرُهُ <sup>(١)</sup>  
 وَلَمْ أَر مِثْلَ الْقَصْرِ إِذْ رِيعَ سِرْبُهُ      وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذِرُهُ <sup>(٢)</sup>  
 وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَكَتْ      عَلَى عَجَلٍ اسْتَأْزَرُهُ وَسَتَأْرُهُ  
 إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الْأَمَى      وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ  
 فَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوَيةٍ      تَنْوِبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ <sup>(٣)</sup>  
 تَخْفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ      وَأَوَّلَى لِمَنْ يَفْتَالُهُ لَوْ يَجَاهِرُهُ  
 صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السُّيُوفُ حُشَّاشَةً      يَجُودُ بِهِمَا وَالْمَوْتُ حُمْرُ أَظْلَافِرُهُ  
 حَرَامٌ عَلَى الرَّاحِ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى      دَمًا بِدَمٍ يَجْرَى عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ  
 وَهَلْ يُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ طَالِبٌ      مَدَى الدَّهْرِ وَالْمَوْتُورُ بِالْدمِ وَاتِرُهُ <sup>(٤)</sup>  
 فَلَا مَلَى الْبَاقَى تَرَاثَ الَّذِي مَضَى      وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدَّعَاءَ مَنَابِرُهُ

للبحرى فى رثاء  
التوكل

(١) آضت: صارت (٢) الأطلاء: جمع طلاء، وهو ولد الظلة ، والجاذر: جمع  
 جؤذر، وهو ولد البقرة (٣) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصعب حيث عنعت بهبتها أبوابه ومقاصره  
 وأين عميد الناس — إلخ (٤) الموتور هو الوائر ؛ لأن الذى قتل التوكل هو ابنه

وهي طويلة<sup>(١)</sup>، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها : ما قليت هاشمية أحسن منها ، وقد صرح فيها تصرّح مَنْ أذهلته المصائبُ عن تحوُّفِ العواقب .  
وفد كان البحتري يرتاح في كثير من شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان ،  
فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه :

من شعر  
البحتری

تداركني الإحسانُ منك ، ونالني  
ودافعت عني حين لا الفتحُ يرتجى  
على فاقة ذاك الندى والتطوُّلُ  
لدفع الأذى عني ولا المتوكلُ  
وقال :

مضى جعفرُ والفتحُ بين مؤسِّدٍ  
أأطلبُ أنصاراً على الدهر بعدما  
وبين قتيل في الدماء مضرَّج  
توى منها في التراب أوسى وخزرجي<sup>(٢)</sup>  
وقال في غلام له :

عسى آيسُ من رجعةِ الوصل يوصلُ  
أيا سكناً فات الفراقُ بنفسه  
ودهرٌ توَلَّى بالأحبة يُقبلُ  
وحالُ التَّعادى دونه والتَّزِيلُ  
أتعجبُ لما لم يفعلْ جسمي الضنا  
فقبلك بانَ الفتحُ مني مودَّعاً  
ولم يخترم نفسي الحجامُ المعجَّلُ  
وفارقتي شفعاً له المتوكلُ  
ولا فعل الوجدُ الذي خِلت يفعلُ  
فما بلغ الدمعُ الذي كنت أرتجى  
وقال أبو خالد يزيد بن محمد المهلبی في قصيدة أولها :

لا وَجَدَ إلا أراه دُونَ ما أَجَدُ  
ولا كَمَنْ فَقَدَتْ عَيْنَايَ مَفْتَقَدُ  
ليزيد بن محمد  
المهلبی يرثی  
المتوكل

(١) ومن جيدها قوله :

أدافع عنه باليدِين ، ولم يكن  
ولو كان سيفُ ساعةِ الفتك في يدي  
ليثي الأعداى أعزل الليل حاسره  
درى الفاتك العجلان كيف أساوره  
أكان ولي العهد أضمر غدره  
فمن عجب أن ولي العهد غادره  
(٢) مات أوسه وخزرجه : مثل في فقد النصير لأن الأوس والخزرج يضرب بهما  
المثل العالي في النصرة .

يقول فيها :

لا يَبْعَدَنَّ هَالِكُ كَانَتْ مَنِيتُهُ      كما هَوَى من عَضَاهِ الزُّبْيَةُ الْأَسَدُ<sup>(١)</sup>  
جاءت مَنِيتُهُ والعَيْنُ هَادِيَةٌ      هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قُصْدُ<sup>(٢)</sup>  
غَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَالِكِ مُنْجَدِلًا      لم يحمه مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ  
لَا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ      إِذْ لَا يُهْزُ إِلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ  
عَدْلِكَ أَسْيَافُ مَنْ لَادُونَهُ أَحَدٌ      وليس فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ  
إِذَا بَكَيْتُ فَإِنَّ الدَّمْعَ مُنْهَمِلٌ      وَإِنْ رَثَيْتُ فَإِنَّ الشَّعْرَ مُطَرِّدُ  
إِنَّا قَدْ نَاكَ حَتَّى لَا اصْطَبَارَ لَنَا      وماتَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فَمَا فَقِدُوا  
قَدْ كُنْتُ أُسْرِفُ فِي مَالِي فَتُخْلِفُهُ      فَعَلِمْتَنِي اللَّيَالِي كَيْفَ أَقْتَصِدُ

وقال فيها يذكر الأتراك . ويحضر على اصطناع العرب :

لَمَّا اعْتَمَدْتُمْ أَنْاسًا لَا حِفَاطَ لَهُمْ      ضِعْتُمْ وَضِعْتُمْ مَنْ كَانَ يُعْتَقَدُ  
وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نَعَمَتَكُمْ      حَتَمَكُمُ الذَّادَةُ الْمُنْسُوبَةُ الْحَشْدُ<sup>(٣)</sup>  
قَوْمٌ هُمْ الْأَصْلُ وَالْأَسْمَاءُ تَجْمَعُكُمْ      وَالِدِينَ وَالْمَجْدُ وَالْأَرْحَامُ وَالْبَلَدُ  
إِنَّ الْعَبِيدَ إِذَا أَذَلَّتْهُمْ صَلَحُوا      عَلَى أَهْوَانٍ وَإِنْ أَكْرَمَتْهُمْ فَسَدُوا  
وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ<sup>(٤)</sup> :

رَمَتْهُ فِتْسَةٌ مِنْ رِبْعَةِ عَامِرٍ      نَوُومُ الصَّحْحَى فِي مَأْتَمٍ أَيْ مَأْتَمٍ<sup>(٥)</sup>

لأبي حية  
النميري

(١) العَضَاهُ : جمع عَاضِيَةٍ . وهى الحية تقتل لساعتها ، والزُّبْيَةُ : تلمعة الأسد

(٢) قُصْدُ : جمع قصد - على وزن كَتَفَ - أى متكرر .

(٣) الذَّادَةُ : جمع ذَائِدُوهُوَ المدافع ، والحشد بضمين جمع حشد ، على وزن كَتَفَ ،

وهو من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال (٤) هو الهيم بن ربيع  
لتوفى نحو سنة ١٦٠ (٥) رواية الحماسة «رمته أناة» والأناة : المرأة فيها تور عند القيام .

والمأتم : كل مجتمع فى حزن أو فرح ، أو هو خاص بالنساء . أو بالشباب من =

فَقَنَّ هُنَا فِي السَّرِّ: نَفْدِيكَ لِأَيْرَاحٍ صَحِيحًا وَإِلَّا تَقْتُلِيهِ فَالْمَيِّ  
فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفَّ وَمَعَصَمَ  
وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغْتُ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قَالَتْ لَهُ نَمِ  
فَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي أَفِي طَلْعَةِ الضُّحَى تَرَوْحُ أَمْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ (١)  
أَخَذَ قَوْلَهُ: « فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ » مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي:  
قَامَتْ تَرَأَى بَيْنَ سَجْنِي كَلَمَةً كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ (٢)  
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تَرُدْ إِسْطَاطَهُ فَتَنَاولَتْهُ وَاتَّقَمْنَا بِالْيَسَدِ

وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ يَرْثِي سَلْمَةَ بِنَ عِيَاشٍ: لَأَبْنَى حَيَّةَ  
كَأَنَّ أَبَاحْفَصٍ فَتَى الْبَاسِ لَمْ يُجِبْ بِهِ اللَّيْلَ وَالْبَيْضَ الْقِلَاصُ النُّجَابُ الْفَيْرِيُّ يَرْثِي  
إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى، وَلَمْ تَهْدِ فَنِيَّةً سَلْمَةَ بِنَ عِيَاشٍ  
وَيُؤْمِلُ عَتَاقَ الْعَيْسِ حَتَّى كَانَهَا إِذَا وُضِعَتْ عَنْهَا الْعَلَايَا الْمَشَاجِبُ (٣)

= النَّبَاءُ ، وَنَوْمٌ : كَثِيرَةُ النُّوْمِ ، وَنَوْمُ الضُّحَى كُنَايَةٌ عَنِ الْمَرْأَةِ التَّرَفَةِ . وَبَعْدَ هَذَا  
الْبَيْتِ كَمَا فِي الْحَمَاسَةِ :

جَاءَ نَحْوُطُ الْبَانِ لَا مَتَابَعٍ وَلَكِنْ بِسِيَاذِي وَقَارٍ وَمِيسَمٍ  
وَالْحَوُطُ : الْعَصَنُ الرُّطِيبُ ، وَالْمِيسَمُ - بِالْكَسْرِ - أَثَرُ الْحَسَنِ ، وَمِثْلُهُ الْوَسَامَةُ .  
(١) مُؤَدَى الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ أَنَّهُ نَامَ فِي حِمَى تِلْكَ الْفَتَاةِ ، وَلَكِنْ رَوَايَةُ الْحَمَاسَةِ  
تُؤَدِي مَعْنَى يَخَالِفُ هَذَا ؛ إِذْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ رَحَلَ مَزِيدًا بِالْحَسْرَةِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ :  
وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغْتُ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قُلْنَ لَهُ قُمْ  
فَوَدَّ بِجَدْعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي النَّاسِ لَهُ نَمِ  
فَرَاخٍ وَمَا يَدْرِي أَفْنَى سَاعَةِ الضُّحَى تَرَوْحُ أَمْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ  
وَالظَّاهِرُ أَنَّ صَاحِبَ زَهْرِ الْأَدَابِ كَانَ يَسْتَعْلَى ذَا كَرْتِهِ فَتَخَوَّنَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .  
(٢) الْكَلَمَةُ : النَّامُوسِيَّةُ (٣) الْعَيْسُ : الْجَمَالُ ، وَالْعَلَايَا : الْأُمْتَعَةُ ، مَفْرَدُهَا عَلِيَانُ ،  
بِالْكَسْرِ . وَالْمَشَاجِبُ : أَعْوَادُ مِنْ خَشَبٍ تَعْلَقُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ ، مَفْرَدُهَا مَشَجَبٌ ،  
وَفِي نَسْخَةٍ « إِذَا وَضَعْتَ عَنْهَا الْوَلَايَا » وَالْوَلَايَا : جَمْعُ وَلِيَّةٍ - بوزن عطية - وَهِيَ الْبَرْدُوعَةُ .

بعيد مثاني الهم يُنسي وماله  
يرؤم جسيات الملا فينالها  
فلن ينس وحشا بابه فلربما  
يحيون بساماً كان جينسه  
وما غائب من غاب يُرجى إياه  
ولكنه من ضمن اللحد غائب

وزعم الصولي أن أباحية إنما قالها في محمد بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن العباس .  
وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر .

[مجنون بنى عامر]

وسئل الأصمعي عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنما  
كانت به لؤثة كلؤثة أبي حية <sup>(٣)</sup> ، وهو القائل :

رمتني وسر الله بيني وبينها  
رميم التي قالت لجارات بيتها :  
ألا رب يوم لورمتني رميته  
فيا عجباً من قاتل لي أوده  
يرى الناس أني قد سلوت ، وإنتي  
وأنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي في مثله ، ولم يسم قائله :  
هل الأدم كالآرام والزهر كالدمي معاودتي أيامهن الصالح <sup>(٤)</sup>

- (١) السريحي : نسبة إلى سريح ، وهو قين كان مضرب المثل في صنع السيوف  
(٢) وحش : موحش لا أنيس به (٣) اللؤثة — بالضم — مس الجنون  
(٤) أشاط : أحرق (٥) اللدنف : هو المريض تقل عليه المرض ، والأحناء : جمع  
حنو ، بالكسر والفتح ، وهو كل مافيه اعوجاج من عظم البدن (٦) الأدم : جمع آدماء  
وهي السمراء ، والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء . وفي الأصل (الدهر) وهو تحريف —  
و « كالآرام » متعلق بمحذوف حال من الأدم ؛ ومثله « كالدمي » وقوله « معاودتي »  
خبر مبتدأ (م)

زَمَانَ سِلَاحِي يَنْهِنُ شَيْبَتِي لَهَا سَائِفٌ مِنْ حَسَنِهِ وَرَامِحٌ<sup>(١)</sup>  
فَأَقْسَمَنْ لَا يَسْقِينِنِي قَطْرَ مَرْئَةٍ لَشَيْبَتِي وَلَوْ سَأَلْتُ بِهِنَ الْأَبَاطِحِ  
وَقَالَ هَارُونُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمُ: <sup>(٢)</sup>

هارون بن علي  
ابن يحيى المنجم  
في الشباب

الغَانِيَاتُ عَهْدُهُنَّ إِلَى انْصِرَامٍ وَانْقِصَابِ  
مَنْ شَابَ شَيْبَةً لَهَ الْمَوَدَّةُ بِالْخُلْدِيَةِ وَالْكَذَابِ<sup>(٣)</sup>  
فَانْعَمَ بِهِنَّ وَزَنْدُ سِنِّكَ فِي الشَّيْبَةِ غَيْرُ خَابِي<sup>(٤)</sup>  
مَا دُمْتُ فِي رَوْقِ الصَّبَا وَغَصُونِهِ الْخَضِرِ الرَّطَابِ<sup>(٥)</sup>  
فَافْخَرْ بِأَيَّامِ الصَّبَا وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي  
وَاعْطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ مَا دُمْتُ تَعْذُرُ بِالشَّبَابِ

لأشجع السلي  
في الشباب

وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِيِّ:  
وَمَا لِي لَا أُعْطِيَ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ وَغَصْنَاهُ يَهْتَزُّ فِي عُودِهِ الرَّطْبِ  
رَأَيْتُ اللَّيَالِي يَتَّبِعُنَّ شَيْبَتِي فَأَسْرَعْتُ بِاللَّذَاتِ فِي ذَلِكَ النَّهْبِ  
فَإِنَّ بَنَاتَ الدَّهْرِ يَخْلُسْنَ لَدُنِّي فَقَدْ جُزِنَ سَلْمِي وَاتَّبَعُنَّ إِلَى حَرْبِي  
وَقَدْ حَوَّلْتُ خَالِي اللَّيَالِي وَأَسْرَجْتُ عَلَى الرَّأْسِ أَمْثَالَ الْقَتِيلِ مِنَ الْعَطَبِ  
وَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ ذَا حَالٍ يَضْبُو وَلَا يُضْبِي  
وَقَالَ آخَرُ:

مَا الْعِيشَ إِلَّا أَنْ تَحِبَّ وَأَنْ يُحِبَّكَ مَنْ تُحِبُّ

فَقَرَّرْتُ تَصِلَ بِهِذِهِ الْآيَاتُ ، فِي وَصْفِ الشَّبَابِ

أَطَاعَ الشَّبَابَ وَغَرَّتُهُ ، وَأَجَابَ الصَّبَا وَشَرَّتُهُ . جَرَّ إِزَارَ الصَّبَا ، وَأَذَالَ

(١) سائِف : اسم الفاعل من «ساف يسيف» أي ضرب بالسيف ، ورامح :

اسم الفاعل من «رمح يرمح» أي ضرب بالرمح ، والكلام على الاستعارة (م)

(٢) هو منجم اشتهر بعلم الهيئة وعمل آلاها ، توفي في بغداد سنة ٣٧٦

(٣) شبن : مزجن (٤) غير خاب : غير منطفيء ، ويقال خباله إذا سكن فور غضبه

(٥) روق الصبا : أوله ، وفي الأصول «ورق» تحريف جلبه ذكر النصوص (م) .

ذبول الهوى<sup>(١)</sup>، ورَكْض<sup>(٢)</sup> في ميدان التصابي، وجنى ثمرات الملاهي. هو في اقتبال شبابه، وحداثة أترابه<sup>(٣)</sup>، ورِيْعَانُ عمره، وعُنْفُوَانُ أمره. هو في إِبَّانِ شبابه واعتداله ورِيْعَانِ إقباله واقتباله. بعثه على ذَلِكَ أَشْرُ الصبا، ولَبِنُ الغُصْنِ، وشرخُ الشبيبة وسكر الحداثة. فَتَى السِّنْ، رطيب الغُصْنِ، عمره في إقباله. ونشاطه في استقباله، وشبابه في اقتباله، وماؤده بحاله. فلان في حكم الأطفال، الذين لم يَعْصُوا على نَوَاجِذِ الرجال. هو في عُنْفُوَانِ شبيبةٍ تُخَافُ سَقَطَاتِهَا وَهَفَوَاتِهَا، ولا يؤمن جَنِيحَاتِهَا وَنَزَوَاتِهَا. هو في سُكْرِيِ الشباب والشراب. وبين نزوات الشبان. وَنَزَغَاتِ الشيطان. شبابه أُنْعَمَى عن الرشد، أُسْمِ عن العذل، قد لَبَّى دَاعِيَ هَوَاهُ، وانغمس في لُجَّةِ صِبَاه. قد هَجَمَ بِسُكْرِ الحداثة على سكرات الحوادث. يَجْرِي إلى الصَّبَا جَرَى الصَّبَا. فلان غُفْلٌ من سِمَةِ التَّجَرِبَةِ، جَامِحٌ في عِذَارِ الْعَقْلَةِ، صَعْبُ الرَّأْسِ<sup>(٤)</sup> على لجام العظة. هو مِنْ سُلْطَانِ الصَّبَا في التَّوْبَةِ الأولى. قد خلع عِذَارَهُ وَمِقْوَدَهُ، وَأَلْقَى إلى البطالة بَاعَهُ وَيَدَهُ. هو بين حُمَارِ الغدَاة وسكر العشي<sup>(٥)</sup> لا يعرف الصَّحْو، ولا يفارق اللهو. فلان لا يفتيق، ولا يذكر التوفيق. هو بين غَرَرِ الشباب، وغَرَرِ الأحباب.

ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي قد جمع نَصَارَةَ الشباب إلى أَيْبَةِ المشيب، وهو على حدوث ميلاده وقرب إسنده شيخ قَدَرٍ وَهَيْبَةٍ، وإن لم يكن شيخ سِنٍ وَشَيْبَةٍ. هو بين شباب مُقْتَبِلٍ، وعقل مُكْتَمِلٍ. قد نبس بُرْدَ شبابه على عقل كهل، ورَأَى جَزَلَ، وَمَنْطَقَ فَضْلٍ. للدهرفيه مقاصد، وللأيام فيه مَوَاعِدُ، أرى له في فَضْلِ ضَمَانِ الأيام وودائع الحظوظ

(١) أذال : أهان (٢) ركض : جرى

(٣) الأتراب : المتساوون في السن. (٤) أحسبه « صعب المراس » (م)

(٥) الحمار بالضم - ما يعترى - الشارب من الأثم عند قعد الشرب



والأقسام ، تَبَاشِيرَ نَجَح ، وَتَحَايِلَ نَضْرٍ وَفَتْح . قد استكمل قوّة الفضل ، ولم يتكامل له سِنُّ الكَمَل . ما زالت تَحَايِلُهُ وَلِيدًا وَنَاشِئًا ، وَشَمَائِلُهُ صَغِيرًا وَيَافِعًا ، نَوَاطِقَ بِالْحَسَنِ عَنْهُ وَضَوَامِينَ النُّجُجِ فِيهِ ! قد سما إلى مراتبِ أَعْيَانِ الرِّجَالِ ، التي لَا تُدْرِكُ إِلَّا مَعَ الْكَمَالِ وَالْاِكْتِهَالِ . مُحَدِّثَ عَزَائِمُهُ ، قَبْلَ أَنْ حُلَّتْ تَمَائِمُهُ ، وَشَهِدَتْ مُكْرَمَاتِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَدْرَجَ لِذَاتِهِ <sup>(١)</sup> .

للبحترى

وقال البحترى :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ مِنْ صَغَرٍ      فِي السَّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي شَادَا  
إِنَّ النُّجُومَ نَجُومَ الْأَفْقِ أَصْغَرَهَا      فِي الْعَيْنِ أَذْهَبَهَا فِي الْجَوِّ إِصْغَادَا  
وقال آخر :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ اتِّهَابًا      وَلَمْ يُقَسِّمْ عَلَى قَدْرِ السِّنِّينَا  
فَلَوْ أَنَّ السِّنِّينَ تَقَسَّمَتْهُ      حَوَى الْآبَاءُ أَنْصَبَةَ الْبَنِينَا

للفضل بن جعفر  
السكراتب

وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

فَإِنْ خَلَقْتَهُ السَّنُّ فَالْعَقْلُ بَالِغٌ      بِهِ رُتَبَةُ الْكَمَلِ الْمُؤَهَّلِ لِلْمَجْدِ  
قَدْ كَانَ يَحْيَى أَوْتَى الْحُكْمَ قَبْلَهُ      صَبِيًّا وَعَيْسَى كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

[ مما قيل في أثر الأيام والليالي

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر حتى التقى بابن مناذر فاستنشه شعره ، فاستنشه أبو حية :

بين أبي حية  
وابن مناذر

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا      لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا  
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ      تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلَأُ التَّقَاضِيَا  
حَتَّتِكَ اللَّيَالِيَا بَعْدَ مَا كُنْتَ مَرَّةً      سَوَى الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا

(١) اللذات : جمع لذة وهو الترب بالكسر ، أى التماثل في السن وفي الأصل  
« اللذات » بالذال لمعجمة وهو تحريف - وندرج : غنى ، وهو خاص بالصبي والشيخ ،  
ونسخة « تدج » - بتشديد الجيم ، وبغير راء - ومعناه تدب (م)

فقال ابن منذر: أو شعره هذا؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب، غير أنك تسمعه.

وفي هذه القصيدة يقول أبو حية:

ولما أبت إلا التواء بؤدها وتكديرها الشرب الذي كان صافيا  
شربت برنتي من هواها مكدر وكيف يعاف الرثق من كان صاديا<sup>(١)</sup>  
وقد قال عمرو بن قميئة<sup>(٢)</sup> في معنى قول أبي حية:

لعمر بن قميئة

كانت قناتي لا تلين لغامز فالأنها الإصباح والإنساء  
ودعوت ربي في السلامة جاهدا ليصحني فإذا السلامة داء  
وقال النمر بن تولب<sup>(٣)</sup>:

للنمر بن تولب

يود الفتى طول السلامة والتب فكيف يرى طول السلامة يفعل  
يعود الفتى من بعد حسن وصحة ينوء إذا رام القيام ويحمل<sup>(٤)</sup>  
وقد روى في الحديث الشريف: «كفى بالسلامة داء».

لمجد بن تور

وقد أحسن حميد بن ثور في قوله:

أرى بصري قد رأيتني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

(١) ماء رنق - بفتح فسكون، وفيه لغة أخرى بفتح فكسر - أي غير صاف، وتقول: رنق الماء - بالتضعيف - أي كدره، وكأنه ذهب برونقه وحسنه، ويعاف: يكره (م).  
(٢) شاعر جاهلي، نشأ يتيمًا، وأقام في الحيرة مدة، وخرج مع امرئ القيس حين توجه إلى قيصر، فمات في الطريق. وفيه يقول امرؤ القيس:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

قلقت له: لا تبك عينك؛ إنما نحاول ملكا أو نموت فعندرا

وقد سمته العرب «عمرا الضائع» لموته في غربة وفي غير مطلب ولا أرب

(٣) شاعر محضرم، من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو كبير السن، فوجد على الرسول، وكتب عنه كتابا تقومه، وكان جوادا واسع القهرى كثير الأضياف (٤) ينوء: ينهض بتثاقل وإعياء.

ولن يَلْبَثَ العُصْرَانِ يَوْمَ وَلِيْلَةٍ إِذَا طَلَبَا أَنْ يَدْرَكَ مَا تَيْمَمَا  
وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهى أجود شعر حميد<sup>(١)</sup> ، ومن أجود

ما فيها :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إِلَّا حَامَةً      دَعَتْ سَاقَ حَرِّ رَحَّةٍ وَتَرَنُماً  
ثُرُوحَ عَلَيْهِ وَالْهَامَا ثُمَّ تَفْتَدِي      مَوْلِيَّةً تَبْغِي لَهُ الدَّهْرَ مَطْعَمًا  
تُؤْمِلُ مِنْهُ مُؤْنِسًا لَا يَفْرَادِهَا      وَتَبْكِي عَلَيْهِ إِنْ زَقَا وَتَرَنَّمَا  
كَأَنَّ عَلَى إِشْرَاقِهِ نَوْرَ خَمْرَةٍ      إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا  
فَلَمَّا كُنْتَسَى الرَّيْشَ الشَّحَامَ وَلَمْ تَجِدْ      لَهَا مَعَهُ فِي سَاحَةِ الْحَيِّ مَجْنَمًا<sup>(٢)</sup>  
تَنَحَّتَ قَرِيبًا فَوْقَ غُصْنٍ تَذَابَّتْ      بِهِ الرِّيحُ صِرْفًا أَيْ وَجْهَ تَيْمَمًا<sup>(٣)</sup>  
فَأَهْوَى لَهَا صَفْرُ مُسِفٍّ فَلَمْ يَدْعُ      لَهَا وَلَدًا إِلَّا رِمَامًا وَأَعْظَمَا  
فَأَوْفَتْ عَلَى غُصْنٍ ضَحِيًّا وَلَمْ تَدْعُ      لِنَائِحَةٍ فِي نَوْحِهَا مُتَلَوَّمَا  
عَجِبْتُ لَهَا أَيْ يَكُونُ غِنَاؤُهَا      فَصِيحًا وَلَمْ تَقْفَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا<sup>(٤)</sup>  
فَلَمْ أَرِ مِثْلَى شَاقِهِ صَوْتُ مِثْلِهَا      وَلَا عَرِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْصَمَا

ومن حيث الهجاء قوله فى هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثما :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامِرٍ      وجاوزتما الحيين نهذا وخشعما  
تريعان من جرَمِ بن زِيَّانِ أَنَّهُم      أبوا أن يريقوا فى الهزاهزِ محجَمًا<sup>(٥)</sup>  
وما هَجِيتِ جرَمَ بأشدَّ من هذا ، يريد أنهم لذتهم لم يتروا أحدا  
فيطلبهم بدخل .

(١) من شعراء الإسلام ، أدرك عمر بن الخطاب ، وقال الشعر فى أيامه ، وقد

أدرك الجاهلية أيضا

(٢) الشحام : الأسود ، والمجثم : مكان الرقاد (٣) تذابت : أتت من كل جانب كما

فعل الذئب (٤) تقفر : تفتح (٥) الهزاهز : الحروب ، والمجثم : وعاء الحجاماة والقصد

وقال الأصمعي : قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؛ قال : كيف حال من  
يَفْنَى ببقائه ، وَيَسْتَقِم بِسلامته . وَيُؤْتَى من مآمنه

لمحمود الوراق

وقال محمود الوراق :

يُحِبُّ الْفَتَى طَوْلَ الْبَقَاءِ كَأَنَّهُ      عَلَى ثِقَةٍ أَنْ الْبَقَاءَ بَقَاءُ  
إِذَا مَا طَوَى يَوْمًا طَوَى الْيَوْمَ بَعْضَهُ      وَيَطْوِيهِ - إِنْ جَنَّ الْمَسَاءُ - مَسَاءُ  
زِيَادَتِهِ فِي الْجِسْمِ نَقْصُ حَيَاتِهِ      وَأَنَّى عَلَى نَقْصِ الْحَيَاةِ نَمَاءُ <sup>(١)</sup>  
جَدِيدَانِ لَا يَبْقَى الْجَمِيعُ عَلَيْهِمَا      وَلَا لهما بَعْدَ الْجَمِيعِ بَقَاءُ  
وقال المتنبي :

زِيَادَةُ شَيْءٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي      وَقُوَّةُ عَشْقٍ وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ  
وبيت محمود الأخير كقول البحتری :

للمتنبي

أَنَاةٌ أَيْهَا الْفَلَكَ الْمُدَارَ      أَنَهَبُ مَا تُصَرِّفُ أَمْ جُبَارُ <sup>(٢)</sup>  
سَتَفَنِي مِثْلَ مَا تُفْنِي وَتُبْلِي      كَمَا تُبْلِي فَيُدْرِكُ مِنْكَ ثَارُ  
تُنَابُ النَّائِبَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ      وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ  
وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ غَيْرَ كَبِيرٍ      مَطَايَاهُمْ رَوَاحُ وَابْتِكَارُ  
ويقول فيها :

للبحتری

لِنَافِي الدَّهْرِ آمَالٌ طَوَالٌ      نُرَجِّبُهَا وَأَعْمَارُهَا قِصَارُ  
أَمَا وَأَبَى بَنِي حَارٍ بَنِي كَعْبٍ      تَقْدِرُ الزَّمَانُ بِهِمْ فَسَارُوا  
أَصَابَ الدَّهْرُ دَوْلَةَ آلِ وَهَبٍ      وَنَالَ اللَّيْلُ مِنْهُمْ وَالنَّهَارُ  
أَعَارَهُمْ رِذَاءَ الْعَمْرِ حَتَّى      تَقَاضَاهُمْ فَرَدَّوْا مَا اسْتَعَارُوا  
وَقَدْ كَانُوا وَأَوْجُهُهُمْ بِدُورٍ      لِبَصْرِهَا وَأَيْدِيهِمْ بِخَارٍ <sup>(٣)</sup>  
أخذ قوله : « سَتَفَنِي مِثْلَ مَا تُفْنِي » أبو القاسم بن هاني فقال :  
تَفْنِي النُّجُومُ الزَّهْرَ طَالِمَةً . وَالنَّيِّرَاتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

لابن هاني

(١) الخاء : الزيادة (٢) حار : مهدر لا قود فيه

(٣) في ديوان البحتری « وأيديهم محوّر مختبط » والمختبط . ها : السائر ليلا (م)

ولئن تبدت في مطالعها      منظومة فلسوف تنتشر  
ولئن سعى الفلك المدارُ بها      فسوف بسامها وينفطر

وقد استقصى على بن العباس الرومي المعنى الأول فقال :

والدهرُ يُبلى الفتي من حيثُ يُنشئه      حتى تَكَرَّرَ عليه لَيْلَةُ القَرَبِ <sup>(١)</sup> لابن الرومي  
يَغْذُوهُ فِي كُلِّ آنٍ وَهُوَ يَا كُلَّهُ      وَيَخْتَسِي نَقَبًا مِنْهُ عَلَى نَقَبِ <sup>(٢)</sup>  
يُودِي بِحَالٍ فَحَالٍ مِنْ شَبِيبَتِهِ      تَسْرِبُ الْمَاءُ فِي مُسْتَانَفِ السُّكْبِ <sup>(٣)</sup>  
حَسْبُ أَمْرِي مِنْ خَنِي دَهْرٍ تَطَاوُلُهُ      وَإِنْ أَجَبْتُ فَلَمْ يُنْكَبْ وَلَمْ يُنْجَبِ  
فِي هَذِهِ الدَّهْرِ كَافٍ مِنْ وَقَائِعِهِ      وَالْعُمْرُ أَقْدَحُ مَبْرَاةٍ مِنَ الْوَصَبِ

وقال أيضاً :

يَكْبَانِي الْحَصْنُ أُرْسَادُ وَشِدَّةُ      حِرْزًا لِشَيْءٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَسْجُونِ <sup>(٤)</sup>  
انْظُرْ إِلَى الدَّهْرِ هَلْ قَاتَتْهُ بَقِيَّةُ      فِي مَطْمَحِ النِّسْرِ أَوْ فِي مَسْبِجِ النُّونِ <sup>(٥)</sup>  
وَمَنْ تَحَصَّنَ مُنْخَوِبًا عَلَى وَجَلٍ      فَإِنَّمَا حَصْنُهُ رَجُلٌ لِمَسْجُونِ  
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ جَهْلًا قَدْ أَضَرَّ بِنَا      بَلْ لَيْسَ جَهْلًا وَلَكِنْ عِلْمٌ مَمْسُونِ  
وقال الطائي :

وإن تُبْنِ حيطان عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقله

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع ، فبعث إليه الرشيد : خُتِنِي فَأَتَهْمَتِي ، فقال : إذا انقضت المدة كان الخُتْفُ في الحيلة ، والله ما انصرفتُ إلا تخفيفاً .

أحد ابن الرومي فقال وقد فصد بعض الأطباء ، فزعم أن الفصد زاد في علته : غلط الطيبُ على غَلْطَةِ مُورِدٍ عَجَزَتْ مَحَالَّتُهُ عَنِ الْإِصْدَارِ <sup>(٦)</sup>

(١) ليلة القرب - بفتح القاف والراء جميعاً أن تسير الليل كله لترد الماء عندك (م) .

(٢) نقب - بضم ففتح - جمع نقبة ، وهي الجرعة (م) . (٣) الكتب : جمع كتبة ، وهو السير الذي تخز به قربة الماء (م) .

(٤) شلو : جزء ، ومشجون : مشعوب ومكسور (٥) النون : الحوت (٦) المحالة :

الحيلة ، ومنه « المرء يعجز لا المحالة » ويخطئ من يقول : المرء يعجز لا محالة

والناسُ يَلْحَوْنَ الطيبَ، وإنما غَلَطَ الطيبُ إصابةَ المقدارِ

[ وصف الثغور ]

وقال أبو حَيَّةَ النَميرى :

لأبي حية  
النميرى

سَقَتْنِي بِكَأْسِ الْحَبِّ صِرْفًا مَرُوءًا      رِقَاقُ الثَنَاءِ عَذْبَةٌ مَتَرَنِي <sup>(١)</sup>  
وَحُصَانَةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مَتَشَقٍّ      كَنْزُورِ الْأَفَاحِي طِيبِ الْمَتَذُوقِ <sup>(٢)</sup>  
إِذَا امْتَضَتْ بَعْدَهُمُ مَتَاعُ مِنَ الضَّحَى      أَنْايِبَ مِنْ عُودِ الْأَرَاكِ الْخَلْقِ <sup>(٣)</sup>  
سَقَتْ تُمَسَّبَ السَّوَاكِ مَاءَ غَمَامَةٍ      خَضِيضًا بَخْرَ طُومِ الرَّحِيقِ الْمَرُوقِ <sup>(٤)</sup>

وأنشد الثوري :

تَرَى الدَّرَّ مَنشُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتُ      وَكَالدَّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ  
تُعَبِّدُ أَحْرَارَ الْقُلُوبِ بِدَلِّهَا      وَتَمْلَأُ عَيْنَ النَّاضِرِ الْمَتَوَسِّمِ

والبيت الأول من هذين كقول البحترى :

فَمَنْ لَوْ لَوْ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا      وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ <sup>(٥)</sup>

وقد تقدّم .

لدى الرمة قال أبو الفرج الراشبي : سمعت الأصمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذى الرمة :

وَتَجَلُّوْ بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ      مِنَ الْقَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبِحُ <sup>(٦)</sup>

(١) المترق : العين ، وتقول : رنق النوم في عينه خالطهما (٢) خصانة : ضامرة البطس ، والمتنشق : الثغر ؛ لأنك تنشق منه نكهته العطرة ، والمتذوق : هو الريق لأنك لذ تذوقه (٣) المخلق : المدهون بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب (٤) القضيض : ما تاتر من الماء (٥) قبل هذا .

ولما التقينا واللوى موعدا لنا      تعجب رأيي الدار حسنا ولاقطا  
(٦) أراد بفرع من أراك السواك تجلو به أسنانها ، وكفى بما وصف به السواك عن طيب رائحة فيها (م) .

جُرَى أَقْحُوَانِ وَاجِهَ اللَّيْلَ نَارَتَقَى  
إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَرْوَحِ  
هَجَانِ الثَّنَا يَا مُعْرِبٌ لَوْ تَبَسَّمتْ  
لَأُخْرِسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُنْصَحُ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ قَدِيمِ هَذَا الْمَعْنَى وَجِيدهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي فِي صِفَةِ الْمُتَجَرِّدَةِ امْرَأَةٍ

النعمان بن المنذر :

للنابغة الذبياني

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتَيَّ حَمَامَةٍ أَيْكَةٍ  
بَرْدًا أَسِفَ لِسَانُهُ بِالْإِنْمَدِ<sup>(٢)</sup>  
كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ  
جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى  
زَعَمَ الْهَمَامُ بَأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ  
عَذْبٌ مُقْبَلُهُ شَهِيُّ الْمَوْرِدِ  
زَعَمَ الْهَمَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ أَنَّهُ  
يَشْفِي بَرِيًّا رِيْقَهَا الْعَطِشَ الصَّدَى  
وَمِنْ قَوْلِهِ : « وَلَمْ أَذُقْهُ » أَخَذَ كُلٌّ مِنْ أَتَى بِهَذَا الْمَعْنَى ، فَفَتَقَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ ،

قال المتوكل الليثي :

للمتوكل الليثي

كَأَنَّ مُدَامَةَ صِهْبَاءٍ صِرْفًا  
تَرَقَّرُقُ بَيْنَ رَاوُوقٍ وَدَنٍّ  
تُعْمَلُ بِهَا الثَّنَا يَا مِنْ سُلَيْمِي  
فِرَاسَةٌ مُقْلَتِي وَصَحِيحُ طَنِي  
وَقَالَ بَشَّارُ :

لبشار بن برد

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُحْتَبَرٍ  
إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ  
قَدْ زُرْتُ نَامِرَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً  
كُنْتُ وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةً الدَّيْكِ  
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلَى فِي مَنَازِلِنَا  
حَسْبِي بِرَأْحَةِ الْفَرْدُوسِ مِنْ فَيْكِ  
وَقِيلَ لِبَشَّارٍ : يَا أَبَا مَعَاذٍ ، كَمْ بَيْنَ قَوْلِكَ ، وَأَنْشُدْ هَذِهِ الْآيَاتِ . وَيَبِينُ أَنْ يَقُولَ :

إِنَّمَا عَظُمُ سُلَيْمِي خَلَّتِي  
قَصَبُ السَّكْرِ لَا عَظُمُ الْجَمَلِ  
وَإِذَا قُرْبٌ مِنْهَا بَصَلٌ  
غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

(١) هجان الثنايا : يريد أن ثناياها ناصعة البياض . من قولهم : إبل هجان ، أي

بيض كرام

(٢) الإنمد . الكحل

فقال : إنما الشاعر المطبوع كالبحر : مرة يَقْذِفُ صَدْفَهُ ، ومرة يَقْذِفُ حَيْثَهُ <sup>(١)</sup> .

[ تفضيل السواد ]

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الرومي من أقرب تناول  
هنا وكشفه بأوضح عبارة - في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح  
السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها وكان قد اقترح عليه ، صفها :

وَصَفْتُ فِيهَا الَّذِي هَوَيْتَ عَلَى السَّوْمِ وَلَمْ تَخْتَبِرْ وَلَمْ تَذُقْ  
إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي رُقِعَتْ مِنْكَ إِلَيْنَا عَنْ ظُيُوسِ الْبَرْقِ <sup>(٢)</sup>  
حاشا لسوداء منظرٍ سَكَنَتْ ذِرَاكَ إِلَّا عَنْ مَخْبِرٍ يَبْقَى <sup>(٣)</sup>

لابن الرومي  
في وصف  
جارية

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على  
البياض ، حتى أغلق فيه الباب بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان  
مقصر السهم عن غرض الإحسان . وقد تبه على بن عبد الله بن العباس [المسيب  
على] فضائلها ، وأجاد التشبيه ، وكشف عن وجوه الإبداع ، وضروب الاختراع  
وقد مدح الناس السواد والسود فأكثرُوا ؛ فمن جيد ما قالوا فيه قول  
أبي حفص الشطرنجي :

لأبي حفص  
الشطرنجي

أَشْبَهَكَ الْمِسْكُ وَأَشْبَهْتَهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَائِدَةٌ  
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ  
فأخذ ابن الرومي هذا المعنى ، وأضاف إليه أشياء أخر توسعاً واقتداراً ، فقال :  
يَذْكُرُكَ الْمِسْكُ وَالْقَوَالِي وَالسَّكَّ ذَوَاتِ النَّسِيمِ وَالْعَبَقِ <sup>(٤)</sup>

لابن الرومي

(١) يريد أن الشاعر المطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت سقطات المتنبي مثلاً  
فاضحة ؛ لأن الإجابة المطلقة فوق طاقة الإنسان ، وقد يطرده هذا الحكم في كثير من  
نواحي الحياة الإنسانية . (٢) البرق : جمع برق - بالضم - وهي مكان تكثر  
فيه الظباء (٣) يبق : ناصع البياض (٤) السك : نوع من الطيب - والعبق ،  
بفتح العين والباء جميعاً ، طيب الرائحة ( م ) .



وهذه الأشياء وإن كانت ناقصة عن المسك ، فهي ممدوحة بالطيب ، خير مستغنى عن ذكرها في التشبيه ؛ فأما زيادته على جميع من تعاطى لمدح السواد فقوله :  
سوداء لم تنتسب إلى برص الشقشقر ولا كلفة ولا بهق<sup>(١)</sup>  
والأبيض الشديد البياض معيب ، وقد دلّ عليه قوله :

وبعض ما فضل السواد بر والحق ذو سلم وذو نفق  
ألا يعيب السواد خلصكته وقد يُعابُ انبياضُ البهق<sup>(٢)</sup>  
قوله : « الحق ذو سلم وذو نفق » أراد أن الحق يتصرف في جهات ،  
وضرب الصعود والنزول لذلك مثلاً ؛ ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في  
الصفة ؛ ومن عيب السودان أن أكتفهم عابسة<sup>(٣)</sup> متشققة ، وأطرافهم ليست بناعمة  
لينة ، وكذلك لا يزال الفلج في شفاههم ، وهي الشقوق المذمومة الموجودة في  
أكثر السودان في أوساط الشفاه ، وأيضاً فإن الأسود مهجو بمحبث العرق ، فنفي  
هذه الصفات المذمومة الموجودة في أكثر السودان عنها ، فقال :

ليست من العيب الأكتف ولا الفلج الشفاه الخبائث العرق  
ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المذمومة ، فقال :  
في لين سمورة تخيرها إل فراه أولين جيد الدلق<sup>(٤)</sup>  
ومن بديع مدح السواد قوله :

أكسبها الحب أنها صيغت صبغة حب القلوب والحدق  
فانصرفت نحوها الضائر والأبصار يعشقن أيما عشق  
فأخبر أن القلوب إنما أحبتها بالمجانسة التي بينها وبين حب القلوب من  
السود ، وكذلك الحدق .

(١) الكلفة : النمش يوجد في الوجه ، والبرص والبهق معروفان

(٢) الحلكة : شدة السواد ، ومنه قولهم : ظلام حالك (٣) عابسة : يابسة ، وطفله

عبس — من باب فرح — أى ييس (م) . (٤) الدلق : دوية كالسمورة

لأبي نواس

ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبّه نديما لمصباح فأخبر عن حاله وقال :  
 ققام والليل يُجَلُّوهُ الصّباحُ كما جَلَّ التّسبيم عن غُر النّثيّاتِ  
 ولعلّ بن العباس عليه التّقدم بقوله :

لابن الرومي  
أبضا

يَفْتَرُ ذاك السّوادُ عن يَبْقَى من ثغرها كاللّاليء النّسق<sup>(١)</sup>  
 كأنها والـ راح يُصَحِّكُها ليلٌ تَعَرَّى ذُجَاهُ عَنْ فَلَقٍ<sup>(٢)</sup>  
 وفضلُ هذا الكلام على ذاك أن هذا قدّم لمعناه في التشبيه مقدّمة أيّدته ،  
 ووطّأت له الآذان<sup>(٣)</sup> ، وأصغت الأنفهام إلى الاستحسان ، وهي قوله :  
 \* يَفْتَرُ ذاك السّوادُ عن يَبْقَى \*

وفي هذه السّوداء يقول ، وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق صفات  
 محاسنها الظاهرة والباطنة ، فقال :

لها حِرٌّ يستعير وقْدَتَهُ من قلب صبٍّ وصدر ذى حَنَقٍ<sup>(٤)</sup>  
 كأنما حِرٌّ — رُهُ لِخَابِرِهِ ما ألْهَبَتْ في حِشاه من حُرْقٍ  
 يَزْدَاد ضيقاً على المراس كما تَزْدَاد ضيقاً أنشوطَةُ الوَهَقِ<sup>(٥)</sup>  
 ثم فكَّرَ فيما فكَّرَ فيه النابغة ، وقد أمره التّعمانُ بوصف المتجرّدة ،  
 فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا  
 يسوغ بمثله أن يذكر منها ، فردّ الإخبار عن تلك الفضائل إلى صاحبها ، وهو  
 الملك ، فقال :

زَعَمَ ألْهَمامُ بأن فاهَا باردٌ عَذْبٌ إِذا قَبِلْتَهُ قَلْتَ أَرْدَرُ  
 فاحتذى على بن العباس هذا ، فقال بعد ما سأله أن يستغرق في وصف  
 فضائلها الظاهرة والباطنة :

خُذْها أبا الفضل كسوةً لَكَ مِنْ خَزٍّ الأُمادِجِ لا مِنْ الخُرَقِ

(١) نسق : متسق (٢) تعرى : تكشف (٣) وطّأت : مهدت (٤) الحر - بكسر  
 الحاء - هو القرج (٥) الوهق : الجبل يرمى في أنشوطه فتؤخذ به الدابة والإنسان

وصفت فيها التي هويت على الوهم ولم تختبر ولم نذق  
إلا بأخبارك التي وقعت منك إلينا عن ظبية البرق  
حاشا لسوداء منظر سكنت ذراك إلا عن مخبر يقين  
وهذا المعنى أو ما إليه النابغة إيماء خفياً تذهب معرفته عن أكثر الناس ،  
ولو آثر النابغة ترك الاختصار ، وهم بكشف المعنى وإيضاحه ، ما زاد على هذا  
الكشف الذي كشفه ابن الرومي :

وأصحاب المعاني ينشدون للفرزدق :

للفرزدق

وجفن سلايح قدرزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكياً  
وفي بطنه من داريم ذو حفيظة لو أن الناي أنساه ليالياً<sup>(١)</sup>  
ومعناه عندهم أنه رأى امرأة توفيت حاملاً ، فقال على بن العباس وقد وصف  
هذه المرأة السوداء :

لابن الرومي

أخلق بها أن تقوم عن ذكر كالسيف يفرى مضاعف الخلق  
إن جفون السيوف أكثرها أسود والحق غير مختلق  
فهذه زيادة بينة ، وعبرة واضحة ، لم تحتج إلى تفاسير أصحاب المعاني ،  
وقال مما لم ينشده المتنبي :

غصن من الالبوس ركب في مؤثرٍ معجب ومتنطق  
يهتز من ناهديه في ثمر ومن دواحي ذراه في ورق  
وهذا معنى قد بلغ قائله من الإجماع ، فوق الإرادة ، وامتلأ أبو الفضل الهاشمي  
ما أشار به ابن الرومي ، فأولدها ، فأنجبت .

وفي معنى معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكروا لدين توأمين ماتا لعبد الله  
ابن طاهر :

(١) الحفيظة : قوة الإباء والنأياء : جمع منية ، وهي الموت ، وأنساه : أخرته (م)

إن تُرْزَ في طَرْقِ نهارٍ واحدٍ      رُزَاينَ هاجاً لَوْعَةً وَبَلَايلاً  
 فَالْتَقَلُ ليس مضاعفاً لِمِطْيَةٍ      إلا إذا ما كانَ وَهْمًا بِإِزَالَةٍ<sup>(١)</sup>  
 لُفَى على تلكَ الشاهدِ منهما      لو أمهاتُ حتى تكونَ شمائلاً  
 لَعَدَا سكونهما جَجِي ، وصباها      جُحْماً ، وتلكَ الأريحيةُ نائلاً  
 إن الهلالَ إذا رأيتَ نماءَهُ      أيقنتَ أن سَيكونُ بدرًا كاملاً

### وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل المصر في التهنته بتوأمين

تيسرتَ مِنْجَتَانِ في وطن ، وانتظمتَ مَوْهَبَتَانِ في قَرَنٍ<sup>(٢)</sup> ، طلع في أفقِ  
 الكمالِ نَجْمًا سَمَدً ، وشبهًا بِأَعِزٍّ ، وَكَوْكَبًا بَجْدٍ ، فتَاهَلَتَ مَهما رُبوعُ المحاسنِ ،  
 ووُطِئَتْ لَهَا أَكْنَافُ المكارمِ ، واستشرفتَ إليهما صدورُ الأسرَّةِ والمَنابرِ . بلغنى  
 خَبَرُ الوهبةِ المشفوعةِ بِمِثْلِهَا ، والنَّعْمَةُ المقرونة بِبِدْلِهَا<sup>(٣)</sup> في الفارسينِ المقبلينِ ،  
 وضيعي العزَّ والرفعةَ ، وقَرِّيني المجدَّ واللَّعْمَةَ ، فشملني من الاغتباطِ ما يُوجِبُهُ  
 ارْدِوَا جُ البُشرى ، واقتِرَانُ غَادِيَةٍ<sup>(٤)</sup> بِأُخْرَى .  
 والشئُ يُذَكِّرُ بِمَا قاربَ ناحيةً من أنحائه ، وجاذبَ حاشيةً من  
 رِدَائِهِ<sup>(٥)</sup> .

[ شئ من الهجاء يشتمل على تضمين ]

وقال بعض أهل المصريهجو رجلاً وضمن قول النابغة :

\* كالأفحوان غداةً غِبَّ سَمَائِهِ \*

(١) الوهم : الجمل الضخم القوى ، والبازل : المكتمل السن

(٢) القرن : الجبل المقتول من لواء الشجر أو من الصوف

(٣) العدل - بالكسر - النظير .

(٤) الغادية : السحابة تُمطر غدوة ، وفي نسخة «عارقة» (م) .

(٥) هذه العبارة من كلام المؤلف ، لبيان موجب الاستطراد في الكلام عن التوأمين

وأزاحه عن بابه ؛ فجاء مليحاً في الطبع ، مقبولاً في السمع :

ياسائل عن جعفر ، عَهْدِي بِهِ      رَطَبَ الْعِجَانِ وَكَفَّهُ كَالْجَلْدِ<sup>(١)</sup>  
كَالْأُقْحُونِ غَدَاةً غِيبَ سَمَائِهِ      جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي<sup>(٢)</sup>

ومن مستحسن ما روى في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتاً لمهلل  
ابن ربيعة :

وسائلة عن الحسن بن وهب      وَعَمَّا فِيهِ مِنْ كَرِيمٍ وَخَيْرِ  
قللت هو المذهب ، غيرَ أَنِي      أَرَاهُ كَثِيرَ إِرْخَاءِ السُّتُورِ  
وأكثر ما يغنيهِ قَتْلُهُ      حُسَيْنٌ حِينَ يَخْلُو بِالسُّرُورِ  
فلولا الريحُ أُسْمِعَ مِنْ بَحْجَرٍ      صَلِيلَ الْبَيْضِ يُقْرِعُ بِالذُّكُورِ

وهذا البيت لمهلل مما يعدونه من أول كذب العرب ، وكانت قبل ذلك  
لا تكذب في أشعارها<sup>(٣)</sup> ، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي  
بالجزيرة وبين حَجَرٍ وهي قَصَبَةٌ باليمامة مسافةً بعيدةً ، فأخرجَه هذا الشاعر بقوة  
مُنْتَه ، ونفاذِ فِطْنَتِهِ ، إلى معنى آخر مستظرف في بابه . وهذا المذهبُ أحسنُ مذاهب

(١) العجان : الاست . والجلد : الصخر (٢) هذا التضمين يذكر بقول  
بعض المولدين :

تصدى إلى ابرى قللت له اتد      وعيشك لو أبصرته وهو ثائر  
رأيت الذي لا كله أنت قادر      عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر  
والأصل :

وكنيت إذا أرسلت طرفك رائدا      لقلبك يوماً أتعبتك المناظر  
رأيت الذي لا كله أنت قادر      عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

(٣) هذا ترديد للفكرة الشهورة من أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون  
الواقع حين يصفون ، وهذا فيما أرى غلو في تقدير أهل البادية ، والمعقول أن طبيعة  
الناس تبيح المغالاة ، بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

التضمين . ومن ملبح مافى هذا الباب تضمينات الحمدونى فى طيلسان أحمد بن حرب المهلبى ، وسيأتى ما اختاره من ذلك فى غير هذا الموضع .

[ عَوْد إلى وصف الثغور ونقامها ]

وقد جاء فى صفة الثغور والأفواه والرّيق شعرٌ كثير . قال جميل :

تمنيتُ منها نظرةً وهى واقِفٌ      تُرِيكَ نَقِيًّا وَاِضْحَ الثَّغْرَ أَشَدَّ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ عَرِيضًا مِنْ فَضِيضِ غَمَامَةٍ      هَزِيمٌ الذُّرَى تَمْرِي لَهُ الرِّيحُ هَيْدَبَا<sup>(٢)</sup>  
يُصَفِّقُ بِالمَسْكِ الذَّكِيَّ رُضَابُهُ      إِذَا النَّجْمُ مِنْ بَعْدِ الهُدُوءِ تَصَوَّبَا<sup>(٣)</sup>

جميل بن معمر  
العدري

وقال :

وَكأن طَارَقَهَا عَلَى عِلَالِ الكَرَى      وَهَنًا قَدْ بَدَأَ لِثَغْوَرٍ  
بِسَنَافٍ رِيحٌ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ      رُضَابٍ مَسْكٍ فِي ذِكَا العَنَبِرِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة الخزومى :

يَمِجُّ ذِكَا المِسْكِ مِنْهَا مُقَلَّجٌ      تَقِيّ الثَّنَايا دُو غُرُوبِ مُؤَشَّرٍ<sup>(٤)</sup>  
يَرِفَ إِذَا تَقَرَّرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ      حَصَى بَرَدٍ أَوْ أَقْحَوَانِ مُنَوَّرٍ .

لعمرو  
ابن أبى ربيعة

وقال الهذلى :

وَمَا صَهْبَاهُ صَافِيَةٌ لُصْبٍ      كَلَوْنَ الصَّرْفِ مُنْجَابٌ قَدَّاهَا  
تُشِجُّ بِنُطْقَةٍ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ      أَحْلَتْهُ بَرَضَارِضٍ عُرَاهَا  
بِأَطْيَبِ مَشْرَعًا مِنْ طَعْمٍ فِيهَا      إِذَا مَا طَارَ عَنْ سِنَةِ كَرَاهَا

للهمذلى

(١) أشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان

(٢) العريض : القطعة من السحاب ، والفضيض : ماتاثر من المطر والماء ، والهزيم :

الصوت ، والذرى : الأعلى ، والهيدب : ذيل السحاب (٣) تصوب : انحدر (٤) مؤشر : من :

الأشمر - بالتحريك - وهو تحزير أطراف الثنايا ، والغروب : جمع غرب - بالفتح - وهو الريق

وقال آخر :

وشوقٌ عنها قِنَاعُ الخَزْزِ عَنْ بَرَدٍ      كاللُّدْرِ لَا كَسَسَ فِيهِ وَلَا تَعَلَّ (١)  
كَأَنَّهُ أَقْحَوَانٌ بَاتَ بَضْرِبُهُ      طَلَّ مِنَ الدَّجَنِ سَقَاطُ النَّدَى عَطَلُ  
كَأَنَّ صِرْفًا كَمِيتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً      شَجَّتْ بِمَاءِ سَمَاءِ شَنَّةِ جَبَلٍ (٢)  
فُوهَا إِذَا مَا قَصَصَتْ مِنْ نَوْمِهَا سِنَةً      أَوْ اعْتَرَاهَا سُبَاتُ النَّوْمِ وَالْكَسَلِ  
وقال الآخر :

هَبْجَانُ اللَّوْنِ وَاضِحَةٌ الْحَيَا      قَطِيعُ الصَّوْتِ آذِنَةٌ كَسُولٍ (٣)  
تَبَسُّمٌ عَنْ أَغْرَ لَهُ غُرُوبٌ      فُرَاتُ الرِّيْقِ لَيْسَ بِهِ فُلُولٍ (٤)  
كَأَنَّ صَبِيبَ غَادِيَةٍ لَصِبٍ      تُشَجُّ بِهِ شَامِيَةٌ شَمُولٍ  
عَلَى فِيهَا إِذَا الْجَوْزَاءُ عَالَتْ      مُحَلَّقَةٌ وَأُزْدَفَهَا رَعِيلٍ (٥)  
وقال ابن المعتز :

يَا نَدِيمِي أَشْرِبَا وَاسْقِيَانَا      قَدْ بَدَا الصَّبْحُ لَنَا وَاسْتَبَانَا (٦)  
وَاقْتُلَا هُمَى بِصِرْفِ عُقَارٍ      وَاتْرَكَ الدَّهْرَ فَمَا شَاءَ كَانَا  
إِنْ لِلْمَكْرُوهِ لَذْعَةٌ شِرِّ      فَإِذَا دَامَ عَلَى الْمَرْءِ هَانَا  
وَامْزِجَا كَأْسِي بِرِيقَةِ أَلْسِي      طَابَ لِلْعَطْشَانِ وَرِدًا وَحَانَا  
مَنْ فَمٍ قَدْ غُرِسَ الدَّرُّ فِيهِ      نَاصِحَ الرِّيْقِ إِذَا الرِّيْقُ خَانَا (٧)  
وقال ابن الرومي :

يَا رُبَّ رِيْقٍ بَاتَ بِدَرُّ الدُّجَى      يَمَجُّهُ بَيْنَ ثَنَائِيَا كَا  
لابن الرومي

- (١) الكسس : قصر الأسنان . والتعل : زيادة سن أو دخول سن تحت سن .  
(٢) كميء اللون : فها سواد وحمرة ، وشجت : مزجت ، وشنة : صبه متفرقا وبرده .  
(٣) هبجان اللون : بيضاء ، وقطيع الصوت : هي التي يتكسر كلامها لرقته .  
(٤) فرات : عذب (٥) الرعيل : جماعة النجوم (٦) رواية الديوان « لا تَعَلَا  
حَنَّا وَاسْقِيَانَا » (٧) ناصح الريق : لم تتغير نكهته

يُرْوَى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شَرِّهِ وَالْمَاءُ يُرْوِيكَ وَيَنْهَاكَ

ولمبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن طاهر:

عبد الله بن وإذا سألتك رشف ريقك قلت لي: أخشى عُقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاقِ

طاهر

ماذا عليك؟ جعلت قبلك في الثرى! من أن أكون خَلِيفَةَ الْمِسْوَالِكِ

أيجوزُ عندك أن يكون مُتِمٌّ صَبَّ بِحَبِّكَ دُونَ عُدُوِّ أَرَاكَ

وهذا المعنى يجاوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء؛ وكله مأخوذ من قول

امرى القيس:

لامرى القيس كَانَ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغَامَ وَرِيحَ الْخُرَامِي وَنَشَرَ الْقَطْرَ<sup>(١)</sup>

يُمَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرَ<sup>(٢)</sup>

فجمع ما فرقوه، وأخذة الجفري فقصر عنه:

للجفري كَانَ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغَامَ وَرِيحَ الْخُرَامِي وَذَوْبَ الْعَسَلِ

يُمَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا النَّجْمُ وَسَطَ السَّمَاءِ اعْتَدَلَ

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل العصر قول أبي علي محمد بن الحسين بن

للحامي المظفر الحامي - وذكر خمرًا:

مِنْ كَفِّ سَاقٍ أَهْيَفٍ حَرَكَاتُهُ قَتْنُ تَقَنَعَ بِالْمَلَاةِ وَاعْتَجَرَ<sup>(٣)</sup>

ناولته كأسِي وكسُرُ جُفُونِهِ يُوحِي إِلَى أَنْ ارْتَقَبَهُمْ وَاضْطَلَبَ

فَتَنِي لَهَا أَقْلَامَ دُرٍّ رَخْصَةٍ تَهْوِي إِلَى أَفْرَادِ دُرِّ ذِي أَشْرٍ<sup>(٤)</sup>

فَتَحَدَّرَتْ مِنْ كَأْسِهِ فِي نَعْرِهِ كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي هِلَالٍ مِنْ قَر

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكا وكتب إليها:

قَدْ بَعَثْنَاهُ لَكَ تَجَلُّو بِهِ وَاضْحًا كَاللُّزْلُزِ الرُّطْبِ أَعْرُ

لأبي الفتح  
كشاجم

(١) القطر - بالضم - العود الذي يتبخر به (٢) المستحر: الحران

(٣) اعتجر: من الاعتجار، وهو لبسة خاصة بالنساء والعلمان (٤) رخصة: لينة



طَابَ مِنْهُ الْعَرَفُ حَتَّى خِلْتُهُ      كَانَ مِنْ رَيْقِكَ يُسْقَى فِي الشَّجَرِ<sup>(١)</sup>  
 وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ يَمْلِكُ مَا      حَظَّهُ مِنْكَ لِأَتْنَى وَشَكَرَ  
 لِيَتَنَّى الْمَهْدَى فَيَرْوِي عَطَشِي      يَزِدُّ أُنْيَا بَكَ فِي كُلِّ سَحَرٍ<sup>(٢)</sup>  
 [ شعر عمر بن أبي ربيعة ، وشعر الحارث بن خالد ]

وكان ذُكِرَ بحضرة ابن أبي عتيق شعرُ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد الخزوميين ، فقال رجلٌ من ولد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة : صاحبنا الحارث أشعر ، فقال ابنُ أبي عتيق : دَعِ قولَكَ يَا بَنَ أَخِي ، فَلِشِعْرِ ابنِ أبي ربيعة لَوْطَةٌ بِالْقَلْبِ<sup>(٣)</sup> ، وَعَنْقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَ لِشِعْرِ الحارث ؛ وما عَصَى اللهُ شِعْرِي قَطُّ أَكْثَرَ مما عَصَى بِشعر ابنِ أبي ربيعة ، فخذُ عني ما أَصِفُ لك : أَشَعْرُ قَرِيشٍ مَنْ رَقَّ مَعْنَاهُ ، وَلَطْفٌ مَدْخَلُهُ ، وَسَهْلٌ مَخْرَجُهُ ، وَتَعَطَّفَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ صَاحِبِهِ ، فقال الذي من ولد خالد بن العاص : صاحبنا الذي يقول :

إِنِّي وَمَا تَحَرُّوا غَدَاةَ مِنِّي      عِنْدَ الْجَارِ تَتَوَدَّهَا الْعُقْلُ<sup>(٤)</sup>  
 لَوْ بَدَّلْتَ أَعْلَى مَنَازِلَهَا      سُبُلًا وَأَصْبَحَ سُبُلُهَا يَعْلُو  
 فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا      فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَخْلُ<sup>(٥)</sup>  
 لَعَرَفَتْ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ      مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال ابنُ أبي عتيق : يَا بَنَ أَخِي ، اسْتَزْ عَلَى صَاحِبِكَ ، وَلَا تَشَاهِدِ الْمُحَاضِرَ بِمِثْلِ هَذَا ، أَمَا تَطَيَّرَ الحارثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رَبْعَهَا فَيَجْعَلُ عَلَيْهِ سَافِلَهُ ، مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللهَ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . ابنُ أبي ربيعة كان أَحْسَنَ النَّاسِ لِلرَّبِّعِ مَخَاطَبَةً وَأَجْمَلَ مَصَاحِبَةً إِذْ يَقُولُ :

(١) لا يطيّب الرّيق في السحر إلا عند اكتمال القوة (٢) يتمنى لو أنه كان المسواك  
 (٣) لوطة بالقلب : علوق به (٤) العقل : جمع عقال (٥) الإقواء : خلاء الديار ،  
 والمخل : الجذب

سَائِلًا الرَّبَّعَ بِالْبُلْبُلِيِّ وَقَوْلًا هَجَيْتَ شَوْقًا إِلَى الْعِدَاةِ طَوِيلًا  
 أَيْنَ أَهْلُ حَلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَسْرُورٌ بِهِمْ أَهْلٌ أَرَأَيْكَ جَمِيلًا  
 قَالَ: سَلِزُوا، وَأَمْعَنُوا، وَاسْتَقْلُوا وَبَكَرْهِي لَوْ اسْتَطَعْتُ سَيْلًا  
 سَمُونًا وَمَا سَمْنًا مُقَامًا وَاسْتَحْبُوا دَهَانَةً وَسَهُولًا<sup>(١)</sup>

وهنا حكاية تَأْخُذُ بِطَرْفِ الْحَدِيثِ ، دخل يزيد المدني على مَوْلَى  
 لبعض أهل المدينة ، وهو جالسٌ على سريرٍ مَهْدٍ ، ورجلٌ من ولد أبي بكر الصديق  
 وآخرٌ من ولد عمر - رضى الله عنهما ! - جالسان بين يديه على الأرض ؛ فلما رأى  
 المولى مَزِيدًا تَجَهَّمَهُ ، وقال : يا مَزِيدُ مَا أَكْثَرَ سِوَالِكَ ! وَأَشَدَّ إِخْلَافِكَ !  
 جِئْتَ تَسْأَلُنِي شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ  
 الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ :

إِنِّي وَمَا تَحْرُوْا غِدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَتَوَدُّهَا الْعُقْلُ  
 لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَنَازِلِهَا سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلَهَا يَزَلُّو

فلما رأيتك ورأيتُ هذين بين يديك عرفتُ معنى الذى قال . فقال :  
 اعزُبْ فى غير حِفْظِ اللَّهِ ! وَضَجَّكَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ .

وأخذ الحارثُ قوله :

لَعَرَفْتُ مَفْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

من قول امرئ القيس ؛ قال على بن الصباح وَرَأَى بَنَ أَبِى مُحَلِّمٍ قَالَ لى  
 أَبُو مُحَلِّمٍ : أَعْرِفُ لِامْرِئِ الْقَيْسِ أَيْبَاتًا سِينِيَةً قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ فِى قُرُوحِهِ وَالحَالَةِ  
 الْمُسْمُومَةِ ، غَيْرَ قَضِيدَتِهِ الَّتِى أَوْهَاهَا :

(١) فى الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » شذرات مهمة  
 عن الحارث بن خالب الخزومى ، الذى وقف شطرا من حياته وجاهه فى مغازلة  
 لحسان ، وأخباره مع عائشة بنت طلحة تعين مذاهبه فى الحياة الوجدانية

\* أَلِمَّا عَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بَعْسًا \*

قلت : لا أعرف غيرها ، فقال : أنشدني جماعة من الرواة :

لَمَنْ طَلَّلَ دَرَسَتْ آيَهُ      وَغَيْرَهُ سَالَفُ الْأَحْرُسِ<sup>(١)</sup>  
تَنَكَّرَهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ      وَيَعْرِفُهُ تَغَفُّ الْأَنْفُسِ

لطريح الثقي

وقد أخذه طريح بن إسماعيل الثقي ، فقال :

تَسْتَخْذِرُ الدَّمْنَ الْقِفَارَ وَلَمْ تَكُنْ      لَتَرَدَّ أَخْبَارًا عَلَى مُسْتَحْزِرٍ  
فَظَلَّتْ تَحْكُمَ بَيْنَ قَلْبٍ عَارِفٍ      مَغْنَى أَحَبَّتِهِ وَطَرْفٍ مُنْكَرٍ

وقال الحسن بن وهب ، إشارة إلى هذا المعنى :

للحسن بن  
وهب

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جَدَّتِهِ      فَمَا تَكَادُ الْعَيُونُ تُبْصِرُهُ  
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنَزَلٍ خَلَقِي      تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَنَكَّرُهُ

وقال يحيى بن منصور الدهلي :

ليحيى بن  
منصور الدهلي

أَمَّا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا ابْتَرَى لَهُ      تَذَكُّرُ طَيْفٍ مِنْ سُعَادٍ وَمَرْبَعٍ  
أَخَادِعٍ مِنْ عِرْقَانِهِ الْعَيْنِ ؛ إِنَّهُ      مَتَى تَعْرِفُ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَذْمَعُ

وقال آخر :

هِيَ الدَّارُ الَّتِي تَعْرِفُ      فِإِنْ لَمْ لَا تَعْرِفِ الدَّارَا  
تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَابِكَ أَعْلَامًا      وَآثَارَا  
فِي يَدَيِ الْقَلْبِ عِرْقَانَا      وَتَبْدَى الْعَيْنُ إِنْكَارَا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لأبي نواس

مَلَّاحَتَهَا ؛ إِذْ كَانَ الْغَرَضُ فِي هَذَا التَّصَرُّفِ هُوَ إِيرَادَةُ الْإِفَادَةِ :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي امْتَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ      تَغَضَّ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْمِي<sup>(٢)</sup>  
أَتَتْ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَظَنِّي كَلَّا ظَنٍّ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمٍ

فَطِيبُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ<sup>(١)</sup>      وَسَابِقَةُ بَيْنَ الْمَرَاهِقِ وَالْحُلَمِ<sup>(٢)</sup>  
 ضَعِيفَةُ كَرِّ الطَّرْفِ تَحْسَبُ أَنَّهَا      قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُفْمٍ  
 يَفُوقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ      تَفُوقِي الصَّبَاءِ مِنْ حَلَبِ الْكَرَمِ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنِّي لَأَتَى الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُبْتَغَى      وَتَعْلَمُ قَوْسِي حِينَ أَنْزَعَ مِنْ أَرْمِي<sup>(٤)</sup>

[ شعر أبي نواس ]

وَرَوَى أَبُو هَفَانٍ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيُّ<sup>(٥)</sup> يَطْعَنُ عَلَى  
 أَبِي نَوَاسٍ ، وَيَعِيبُ شَعْرَهُ ، وَيَضَعُفُهُ ، وَيَسْتَلِينُهُ ؛ فَجَمَعَهُ مَعَ بَعْضِ رِوَاةِ شَعْرِ  
 أَبِي نَوَاسٍ مَجْلِسُ الشَّيْخِ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ أَبِي نَوَاسٍ : أَتَعْرِفُ  
 — أَعْرَاكَ اللَّهُ! — أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ وَأَنْشَدَهُ : «ضَعِيفَةُ كَرِّ الطَّرْفِ...» الْآيَاتِ  
 فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَلَمَّحَ هُوَ؟ قَالَ : لِلَّذِي يَقُولُ :

رَسْمُ الْكَرْمِيِّ بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ      عَنِّي عَلَيْهِ بَكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلٌ  
 يَا نَاطِرًا مَا أَقْدَمَتْ لِحَظَاتَهُ      حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ  
 فَطَرَبَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ : وَيَحْكُ ! لِمَنْ هَذَا؟ فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَجْوَدَ مِنْهُ لِقَدِيمٍ

(١) رواية الديوان « من نديم موافق » (٢) بين المراهق والحلم : يريد أن سنّها  
 قاربت سن الاحتلام ، وليست مع ذلك طفلة ، فهي كما قال صاحب البدائع : « طفلة في  
 النظر ، وغادة في الخبر » (٣) تفوق مالى : تأكله ، من قولهم « تفوق ناقته » حلبها ،  
 و « تفوق الفصيل اللبن » شربه (٤) رواية الديوان « وإني لأتّى الأمر » وهى أدق  
 (٥) هو ابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ . وكان نحويا عالما باللغة والشعر ، ولم  
 يكن أحد من الكوفيين أشبه برواية برواية البصريين منه ، وكان يزعم أن الأصمعي  
 وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا . قال ثعلب : شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر  
 مجلسه زهاء مئة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه ويحجب من غير كتاب ، قال : ولزمته يضع  
 عشرة سنة ما رأيت يده كتابا قط ، وما أشك في أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال

ولا لحدّث ! فقال : لا أخبرك أو تكتبه ؛ فكتبه ، وكتب الأول ، فقال : للذي يقول :

رَكِبْ تَسَاقُوا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ      كَأْسُ الْكَرَى فَاتَشَى الْمَسْقَى وَالسَّاقِ  
كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا      عَلَى النَّاكَبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَغْصَانِ  
سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ      حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ  
مِنْ كُلِّ جَانِلَةٍ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ      مُشْتَقَّةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَقِ  
فقال : لمن هذا ؟ وكتبه . فقال : للذي تَدُمُّهُ ، وَتَعِيبُ شَعْرَهُ ، أبى على  
الحكمى ! قال : اكْتُمُ عَلَى ، فوالله لا أعود لذلك أبداً .

\*\*\*

أخذ قوله : « كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا » . أبو العباس بن المعتز ، فقال لابن المعتز  
يصف شرباً :

كَأَنَّ أَبَارِيقَ اللَّحْيَيْنِ لِدَيْهِمْ      ظِلَاءُ بَأْغَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ  
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانَ رُءُوسُهُمْ      مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامُ  
البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة<sup>(١)</sup> :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَنِّي عَلَى شَرَفٍ      مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَكْثُومٌ<sup>(٢)</sup>  
أراد بسباب<sup>(٣)</sup> ، فحذف . وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله :

لمسلم بن الوليد

إِبْرِيْقُنَا سَلَبَ الْغَزَالَةِ جِيْدَهَا      وَحَكَى لِلدِّرِّ مُقْلَتَيْهِ غَزَا لَا  
يَسْتَقِيكَ بِالْأَلْحَاطِ كَأْسَ صَبَابَةٍ      وَيُدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جِرِيَالًا<sup>(٤)</sup>

(١) هو علقمة الفحل ، أحد معاصري امرئ القيس

(٢) مقدم : مسدود ، والفدام هو : السدادة ، والمثوم : الذى وضع عليه اللثام

وهو كالقدم (٣) السباب : جمع سبية ، وهى الجبل (٤) الجريال : الحمر

وأنشد الحارث بن خالد أبياته :

إني وما تحروا غداة مني . . . . .

لعبد الله بن عمر ، فلما بلغ إلى قوله :

لعرفتُ مغناها بما احتملتُ مني الضلوعُ لأهلها قبيلُ

قال له ابن عمر : قل إن شاء الله ، قال : إذا فسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ،

فقال : لا خير في شيء يُفسده إن شاء الله .

[ تشبيب الحارث بن خالد ] -

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشبيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك ، وإنما يقوله نظراً وتخلعاً ؛ وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما قُتل عنها مُصعب بن الزبير قيل له : لو خطبتُها ! قال : إني لا أكره أن يتوهم الناسُ على أني كنت معتقداً لما أقول فيها ، وهو القائل :

يا أمَّ عمرانَ ما زالت وما برحتُ بنا الصَّبابةُ حتى مسَّنا الشَّفَقُ<sup>(١)</sup>

القلبُ تاقَ إليكم كني يلافيكم كما يتوقُ إلى منجاةِهِ الفرقُ<sup>(٢)</sup>

تُوفيك شيئاً قليلاً وهي خائفةٌ كما يمسُّ بظَهْرِ الحَيَّةِ الفرقُ<sup>(٣)</sup>

أخذ هذا الطائي حسنه فقال :

تأبى على التَّصْرِيدِ إلَّا نائلاً إلَّا يكنُ ماءً قرأحاً يُمدَّقُ<sup>(٤)</sup>

نزرأ كما استكرهت عابر نفجةٍ من فأرةِ أنسك التي لم تُفتَقِ

وحجَّت عائشة بنتُ طلحة ، فوجَّه إليها يستأذنُها في الزيارة ، فقالت : نحن

حرام ، فأخَّر ذلك حتى نحلَّ ، فلما أحلتْ أدبجتْ ولم يعلم ، فكتب إليها :

ما ضرَّكم لو قلتمُ سَدَدًا إنَّ المنيَّةَ عاجلٌ غَدُها<sup>(٥)</sup>

ولها علينا نعمةٌ سلفتُ لسنا على الأيام نَجِدُها

(١) الشفق : الخوف (٢) تاق : اشتاق (م) (٣) الفرق : الخائف (٤) التصريد .

التقليل ، وإسقاء مالا يروى (م) . (٥) سدا : يريد كلاماً مستقبلاً لا تغيره (م) .

لَو تَمَمْتُ أَسْبَابَ نِعْمَتِهَا      تَمَّتْ بِذَلِكَ عَنْ دَنَايَدُهَا  
إِنِّي      وَإِيَّاهَا      كَفَتَتِنِ      بِالْأَسَارِ تَحْرِقُهُ وَيَعْبُدُهَا

[ من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة ]

وابنُ أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ،  
رضي الله عنه ! وكان من أفاضل زَمَانِهِ عِلْمًا وَعِفَاقًا ، وكان أَخْلَى النَّاسِ فُكَاهَةً ،  
وأظرفهم مِرَاحًا ، وله أخبارٌ مستظرفة سيمرُّ منها ما يُستحسن إن شاء الله .

روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة — يعني بنت طلحة ، رضي الله  
عنهما ! — وهي لما بها ؛ فقال : كيف أنت جُمِلْتُ فداكِ ؟ قالت : في الموت ، قال :  
فلا إذاً ، إنما ظننت في الأمر فُسْحَةً ، فضحكت ، وقالت : ما تدعُ مَرْحَكِ بِحَالٍ .  
وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي :

ليت شعري هل أقولن لركب      بفلاةٍ هم لديمها خشوعُ  
طالما عرستم فاستقلوا      حان من نجم الثريا طلوعُ  
إن همي قد نفي النوم عني      وحديث النفس مني يرؤعُ  
قال لي فيها عتيق مقالاً      فجرت مما يقول الدموعُ  
قال لي : ودع سليمي ودعها      فأجاب القلب : لا أستطيعُ  
لا تلمني في اشتياقي إليها      وابلك لي مما تجنُّ الضلوعُ

[ مُثَل من التعريض ]

قال أبو العباس محمد بن يزيد<sup>(١)</sup> قوله : « حان من نجم الثريا طلوع » كناية ، وإنما

(١) أبو العباس محمد بن يزيد ، هو المعروف بالمبرد ، كان شيخ أهل النحو  
والعربية ، وإليه انتهى علمهما بعد طبقة أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني ، وقد أخذ  
عنهما وعن أبي حاتم السجستاني وغيرهم ، ومات في شوال من سنة ٢٨٥ الهجرة ( م )

يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت موصوفةً بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فنقلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر، وضرب لها المثل بالنجمين :

أيها المنكح الثرياً سهيلاً      عمرُك الله كيف يلتقيان  
هي شاميةٌ إذا ما استقلتْ      وسهيلٌ إذا استقلَّ يَمَانِي

بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك  
فات سهيل عنها، أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تطلب في دين عليها، فينهاه عنده أم البنين ابنة عبد العزيز إذ دخل الوليدُ فقال : مَنْ هَذِهِ عِنْدُكَ ؟ قالت : الثريا، جاءتك تطلبُ في دين ارتكبتها، فأقبل الوليد عليها، فقال : أتروين من شعرِ عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم، أما إنه رحمه الله كان عفيفاً، عفيف الشعر، أروى له قوله :

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيْنِ لَوْ بَسَّيْنِ رَجَعَ السَّلامِ أَوْ لَوْ أَجَابَا  
فَأَنَّى قَصُرَ ذِي الْعُشَيْرَةِ بِالصَّا      ثَفِ أُمْسَى مِنَ الْأَنْبِيسِ يَبَابَا  
وَبِمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَيَّ صِدْقٍ      ظَاهِرِي الْعَيْشِ نِعْمَةٌ وَشَبَابَا  
وَحَسَانًا جَوَارِيَا خِفَرَاتٍ      حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الْأَحْسَابَا  
لَا يُكْثَرْنَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَتَبَعْنَ يَنْعَمْنَ بِالْبِهَامِ الظَّرَابَا<sup>(١)</sup>

فلما خلا الوليد بام البنين قال : لله درُّ الثريا ؛ أتدري ما أَرَادَتْ بِإِنْشَادِهَا مَا أَنْشَدَتْ مِنْ شَعْرِ عُمَرَ ؟ قالت : لا ، قال : فَإِنِّي لَمَاعَرَضْتُهَا بِعَمْرِ عَرَضْتُ بِأَنْ أُمِّي أَعْرَابِيَّةٌ ؛ وَأُمُّ الْوَلِيدِ وَلَادَةُ ابْنَةِ الْعَبَّاسِ بْنِ جَزْءِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ، وَهِيَ أُمُّ سُلَيْمَانَ ، وَلَا تُعَلِّمُ امْرَأَةً وَلَدَتْ خَلِيفَتَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَهَا ، وَغَيْرِ الْخَلِيزَرَانِ ، وَهِيَ سَبِيَّةٌ مِنْ خَرَسَنَةِ ، وَلَدَتْ مُوسَى الْهَادِي وَهَارُونَ الرَّشِيدَ ابْنَيْ مُحَمَّدِ الْهَدِيِّ ، وَشَاهِسْفَرَمُ بِنْتُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجَرْدِ بْنِ شَهْرِيَارِ بْنِ كَسْرِيِّ أَبْرُويزَ ؛ فَإِنَّهَا

(١) الظراب : جمع ظرب - بزة كتف - وهو الجبل المنبسط ، أو الراية



ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد الخلويع ؛  
جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان  
آخر ملوك بني أمية فخلعه ووُلِّي بعده .

وشَبَّهه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عَزَّةً على عبد الملك بن  
مروان ، فقال لها : أنتِ عَزَّةٌ كثير؟ قالت : أنا أم بكر الضميرية ، قال لها :  
يا عَزَّةُ ؟ هل تروين من شعر كثير شيئاً ؟ قالت : ما أعرفه ، ولكن سمعت  
الرواة ينشدون له :

قَصَى كُلَّ ذِي دِينَ فَوَفَّى غَرِيمَهُ      وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُمَنَّى غَرِيمُهَا  
قال : فتروين قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ  
تغير حالي والخلقة كالذي      عَهْدَتْ وَلَمْ يُخْبَرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرُ  
قالت : ما سمعت هذا ، ولكن سمعته ينشدون :

كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ      مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ<sup>(١)</sup>  
غَضُوبًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ      فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ<sup>(٢)</sup>

[ بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله ]

قال : وكلُّ ما ذَكَرَ ابنُ أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبي عتيق ، فإنما  
هو ابنُ أبي عتيق ، وكان عمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وأسمُ أبي ربيعة حذيفة ،  
ابن المغيرة بن عبد الله [ بن عمر ] بن مخزوم ، ويكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد  
سبية من حضرموت ، ويقال من حمير ، ومن ثم أتاه الغزل ؛ لأنه يقال : « عَشِقْتُ  
يَمَانِي ، وَدَلَّ حِجَازِي » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

(١) كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً : يريد أنها لا تجيب النداء ، والصم : جمع أصم أو صماء ،  
والعصم : جمع أعصم ، وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدها بياض  
وسائره أسود (م) (٢) في الأغاني وغيره « صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة » (م) .

إن قلبي بالتلّ تلّ عزازٍ مع ظبي من الظباء الجوازي<sup>(١)</sup>  
شادين لم ير العراق وفيه مع ظرف العراق دلّ الحجاز  
وقال الطائي وذكر نفسه :

قد تفتت منه الحجازُ ، وسهّلتُ منه العراق ، ورقفته المشرق<sup>(٢)</sup>  
وهجرت الثريا عمر ، فقال :

قال لي صاحبي ليتعلم ما بي : أتحبُّ القتلَ أخت الربّاب ؟  
قلت : وجدى بها كوجدك بالما إذا ما قدت برد الشراب  
أزهقت أم نوقل إذ دعّتها ما لقاتلي من متاب  
أبرزوها مثل الهاة تهّادى بين خمس كواعب أتراب  
وهي مكنونة تحدر منها في أديم الخدين ماء الشباب  
ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بهراً عدد الرمل والحصى والتراب  
ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله :

من رسولى إلى الثريا ؟ فإني ضقتُ ذرعاً بهجرها والكتاب

قال : إياي أريد ، وبى هتف ونوّه ، لا جرم لا ذقت طعاماً أو أشخص إليها ،  
وأصلح بينهما ؛ قال مولى لبني تميم : فنهض وتهضت معه ، ثم خرج إلى السوق إلى  
الضمرتين ، فأتى قوماً من بني الديل بن بكرٍ يكرّون النجائب ، فقال : بكم  
تكرؤونتى راحلتين إلى مكة ؟ قالوا : بكذا وكذا درهما ، فقلت لبعض التجار :  
استَوْضِعُوا شيئاً ، فقال ابن أبي عتيق : ويحك ! إن المكاس ليس من أخلاق  
الناس<sup>(٣)</sup> . ثم ركب واحدة وركبت أخرى ، وأجد السير ، فقلت : ارفق بنفسك ،

(١) الجولزى : هى الظباء التى تجترى بالعشب عن الماء

(٢) الشرق : مخلاف باليمن (٣) المكاس : الشدة فى الأخذ والعطاء

فقال : ويحك ! أبادر حَبْلَ الوصل أن يتَقَضَّبَا . وما أملك الدنيا إذا تمَّ الوصلُ بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة وأتى بابَ الثريا ، فقالت : والله ما كنتَ لَنَا زَوَّاراً ، فقال : أجل ، ولكن جئتُ برسالة ، يقول لك ابنُ عمك عمر : ضِقتُ ذُرْعاً بهجرها والكتاب . فلامه عمر ، فقال ابنُ أبي عتيق : إنما رأيتك مبادراً تَلْتَمِسُ رسولاً ، فحَفَفْتُ في حاجتك ، فإنما كان ثوابي أن أشكر .

ووصف ابنُ أبي عتيق لعمر امرأةً من قومه ، وذكر جمالاً رائها ، وعقلاً فائقا ، فراها عمر ، فشَبَّ بها ؛ فغَضِبَ ابنُ أبي عتيق وقال : تشَبُّ بامرأة من قومي ؟ فقال عمر :

لَا تَلْمِني عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي    إِنَّ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي  
إِنْ بِي مُضْمَرًا مِنَ الْحُبِّ قَدْ أَبْلَى    عِظَامِي مَضْنُونُهُ وَبِرَانِي  
لَا تَلْمِني فَأَنْتَ زَيَّلْتَهَا لِي  
فقال ابنُ أبي عتيق :

أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

فقال عمر : هكذا ورَبَّ الكعبة قلت .

فقال ابنُ أبي عتيق : إِنَّ شَيْطَانَكَ وَرَبَّ الْقَهْرِ بِمَا أَلَمَ بِي !  
وَحَجَّتْ رَمْلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُلْفٍ أُخْتُ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، فقال عمر فيها :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا    مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الطَّاعِنِينَ  
وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ سِرًّا    قَبْلَ وَشْكِ مِنْ بَيْنِكُمْ نَوَلِينَا  
أَنْتَ أَهْوَى الْعِبَادِ قَرَبًا وَبَعْدًا    لَوْ تَوَاتَيْنِ عَاشِقًا مُحْزُونَا  
قَادَهُ الْحَيْنُ يَوْمَ سَرْنَا إِلَى الْحَجِّ    جَهَارًا وَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَحِينَا  
فَإِذَا نَعْجَةٌ تَرَاوَى نَعَاجَا    وَمَهْمَا نُجِّلَ النَّوَاطِرُ عَيْنَا  
فَسَبْتَنِي بِمَقْلَةٍ وَبِحَيْدٍ    وَبَوَجْهِ يَضِيءُ لِلنَّاطِرِينَا

قلتُ من أتمُّ فصَدَّتْ وقالت أُمَيْدُ سؤَالِكَ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>  
 قلتُ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالَةِ لِمَا أَنْ تَبَلَّتِ الْفُؤَادَ أَنْ تَصْدُقِنَا  
 أَىِّ مِنْ تَجْمَعِ الْمَوَاسِمُ أَنْ تَمُّ فَأَيُّنِي لَنَا وَلَا تَكْذِبِنَا  
 فَرَأَتْ حِرْصِي الْفِتَاةُ ، فَقَالَتْ أَخْبِرِيهِ بِعَلْمٍ مَا تَكْتُمِنَا  
 نَحْنُ مِنْ مَا كُنِيَ الْعِرَاقُ ، وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا  
 قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَنْتَ عَسَى يَجْرُ شَأْنُ شُؤُونَا  
 وَنَرَى أَنَّنَا عَرَفْنَاكَ بِالذَّمِّ ظَنُونَا وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا  
 بِسِوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنَعْتٍ قَدْ نَرَاهُ لَنَاظِرٍ مُسْتَبِينَا  
 قَوْلُهَا : « وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا » أَرَادَتْ إِذْ كَانَتْ مَكَّةَ لِحَرْاعَةِ .

صفقة أى  
 غبشان الذى  
 باع مفتاح  
 الكعبة  
 وكان آخر من نَبَذَ مفتاح الكعبة من خُزَاعَةِ أَبُوْغُبْشَانَ ، فَبَاعَهُ مِنْ قُصَيِّ بْنِ زَيْدٍ  
 خمر ؛ فَقِيلَ فِي الْمَثَلِ : « أَخْصَرُ صَفْقَةٍ مِنْ أَبِي غُبْشَانَ » . وَكَانَ أَبُوْغُبْشَانَ  
 إِذْ بَاعَ الْمِفْتَاحَ قُصَيًّا مَرِيضًا قَدْ يَثْسُ مِنْ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ لَأَمَهُ قَوْمُهُ ،  
 وَسَأَلُوهُ اسْتِزْجَاعَهُ ، وَذَلِكَ الَّذِي هَاجَ الْحَرْبَ بَيْنَ خُزَاعَةِ وَقُرَيْشٍ ، فَظَفَرَ قُصَيٌّ  
 وَاسْتَوْلَى عَلَى مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قُرَيْشًا بِهَا ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ جَمْعًا ، قَالَ مَطَرُ بْنُ الْحَرَاظِيِّ :  
 أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ رَهْرِ  
 وَقَالَ الطَّائِي :

وَلَمَّا نَصَا ثَوْبَ الْحَيَاةِ وَأَوْقَعَتْ بِهِ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ مَا يَتَوَقَّعُ  
 غَدًا لَيْسَ يَذَرِي كَيْفَ يَصْنَعُ مُعْذِمٌ ذَرَى دَمْعُهُ فِي خَدِّهِ كَيْفَ يَصْنَعُ  
 وَلَمْ أَنْسَ سَعْيَ الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْثَفِ بَالٍ يَسْتَقِلُّ وَيُظْلَعُ<sup>(٢)</sup>  
 وَتَكْبِيرُهُ نَحْمًا عَلَيْهِ مَعًا لَنَا وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرُ الْمُصْلِينَ أَرْبَعُ  
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي يَعْلَمُ اللَّهُ قَبْلَهَا بِأَنَّ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَتَشَبَّعُ

(١) أُمَيْدُ سؤَالِكَ الْعَالَمِينَ : أى هل أنت مقسمه بددا وتفارق على الناس بحيث  
 يعمهم جميعاً (٢) يستقل ويطلع : ينهض ويستقظ

غَدَاؤًا فِي زَوَايَا نَعْشِهِ وَكَأَنَّمَا قَرِيشٌ قَرِيشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعٌ  
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي أَمْرِ قَصِيٍّ وَأَيُّ غُبْشَانٍ :

أَبُو غُبْشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قَصِيٍّ وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فَهْرِ خِزَاعِهِ  
فَلَا تَلْحَوْا قَصِيًّا فِي شِرَاهُ وَلَوْ مَوَا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهُ  
وَكَانَ عَمْرُ أَسْوَدَ الثَّنِيثَيْنِ .

قال مولى ابن أبي عتيق بلال : أتيتُ الثريا مسلماً عليها ، فقالت : أنشدني  
لعمري ، فأنشدتها :

\* أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا \*

فقالت الثريا : إني والله ، لئن سلمت له لأردنَّ من شأوه ، ولأنتنَّ من  
عنانهِ ، ولأعرفنَّه نفسه ! فمررت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمْبِدُّ سَوَّالِكَ الْعَالَمِينَا  
فقالت : أو قد أجابته بهذا ؟ أي وقت ؟ فلما انتهيت إلى قوله :

\* وَتَرَى أَنَّنَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْتِ \*

قالت : جاءت النوءُ كاءُ بآخر ما عندها في مَوْقِفٍ واحد<sup>(١)</sup> .

وسأله أخوه الحارث - وهو المعروف بالقباع ، وكان من أفاضل أهل دهره - أن  
يترك الشعر ، ورغب إليه في ذلك ، ووعظه ، فقال : أما ما دمتُ بمكة فلا  
أقدرُ ، ولكنني أخرج إلى اليمن ، فخرج ؛ فلما سار إلى هناك لم تدعُ نفسه وترك  
الشعر ، فقال :

هِيَهَاتَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَّابِ مَنْزِلَنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنٍ<sup>(٢)</sup>  
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ لُجَيَّادًا ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذَكُّرُ أَوْ حِطُّ مِنَ الْحَزَنِ  
بَلْ مَا نَسِيتُ غَدَاةَ الْخَلِيفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي ، وَكَلَّا نَا نَمُّ ذُو شَجَنِ

(١) النبوة : الحمقاء (٢) سيف البحر - بكسر السين - ساحله

وقولها للثريا وهي مطرقة<sup>(١)</sup> والدمع منها على الخدين ذوسنن<sup>(٢)</sup>  
 بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في الين  
 إن كنت حاولت دنيا وظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن  
 فلما بلغ الشعر الحارث قال : قد علمنا أنه لا يفي<sup>(٣)</sup>.

بين ابن جريج  
 ومعن بن أوس

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال : لزماني دين مرة فضاقت  
 ساحتي وبلادي بي ، فتوجهت إلى معن بن زائدة باليمن ، فقال : ما أقدمك  
 هذه البلدة ؟ قلت : دين طردني عن وطني . قال : يُقضى دينك ، وتُرد إلى  
 وطنك محبواً محبوراً ، قال : فأفت عنده ، ثم رأيتُ الناس يرحلون إلى الحج ،  
 فخننت إلى مكة<sup>(٤)</sup> ، وذكرت قول ابن أبي ربيعة ، وذكر الأبيات ... فأتيتُ باب  
 معن ، فقلت للحاجب : استأذن لي على الأمير ، فلما دخلت عليه قال : إن  
 لك لحادث خبير ! قلت : أستودعُ الله الأمير وأستحفظه عليه . قال : وما حاج  
 هذا منك ؟ قلت : رأيتُ خروجَ الناس إلى الحج ، وذكرت قول عمر ؛ فخننت  
 إلى مكة ، فقال : أنت وحنينك ، وإن كنتُ بفراقك ضنيماً ، وسيبتلعك  
 ما تحتاج إليه ؛ فسرّ مضاحباً ، قال : فسرتُ إلى رَحلي ، فأتبعني بمالٍ وثياب  
 ومطايا ودواب ، وسرت إلى مكة من فوري .

عفة عمر

وكان عمر - على غزله ، وما يذكره في شعره - عفيفاً . حدث المغيرة بن عبد الرحمن  
 عن أبيه قال : دخلت مع أبي مكة ، فجاءه عمر ، فسلم عليه ، وأنا غلام شاب<sup>(٥)</sup>  
 وعلى جبة ، فجعل يأخذُ بخصلة من شَرى فتمتدّ في يده ، ثم يرسلها فترجع ،  
 فيقول : واشباباه ! فقال لي : يا ابن أخي ، قد سمعتَ قولي : « قلت لها وقالت لي » ؛  
 وكلّ ملوك لي حرّ إن كنت قطّ كشفت عن فرج حرّام ! قال : فقمتم وفي

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع إلى نقض هذا الرأي في كتاب « حب ابن  
 أبي ربيعة وشعره » في الفصل الذي عنوانه « الجوانب الجديدة في حياة ابن أبي ربيعة »

نَفْسِي مِنْ يَمِينِهِ شَيْءٌ ؛ فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ ، قَقِيلَ لِي : أَمَا فِي هَذَا الْحَوْلِ فَسَبْعُونَ .  
وَيَسْتَحْسِنُ قَوْلَ عَمْرِ فِي الْمُسَاعَدَةِ :

وَخِلَّ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِئًا مُطِيعًا  
أَطَافَ بِغِيَّةٍ فَتَنَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ : أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا  
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا  
وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصَّمَّة الجُشَمِيُّ (١) :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَيِّنُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَا الْغَدِ  
فَقُلْتُ لَهُمْ : ظَنُّوا بِالْفَتَى مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرُودِ (٢)  
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتَى غَيْرُ مُهْتَدِي  
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أُرَشَّدُ  
ومن جيد شعره :

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أُرْعَاكِ حِينَ أُغِيبُ  
فَمَا بَالُ طَرَفِي عَفَّ عَمَّا تَسَاقَطَتْ لَهُ أَنْفُسُ مِنْ مَعْشَرِ وَقُؤُبُ  
عَشِيَّةٍ لَا يَسْتَنْكِرُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا سَفَاهَ حِجِّي مِمَّنْ يُقَالُ لِيْلِبُ  
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ لَهُ بَعَيْنُ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبُ (٣)  
تَرَوِّحَ يَرْجُو أَنْ تُحْطَ ذُنُوبُهُ فَاَبَّ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ  
وَمَا النَّسْكَ أَسْلَانِي ، وَلَكِنْ لِلْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مَتَى وَالْفَوَادِ رَقِيبُ

ونظر عمر بن أبي ربيعة إلى فتى من قريش يكلم امرأة في الطواف ، فعاب ذلك عليه ، فذكر أنها ابنة عمه ، فقال : ذلك أشنع لأمرك ، قال : إني خطبتها

(١) أحد الشعراء الأبطال ، غزا نحو مئة غزوة ، ولم يغب في واحدة منها ، عمر طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قتل على دين الجاهلية يوم حنين (٢) ظنوا ، هنا معناها تيقنوا . والمدجج : التام السلاح . والمسرد : الحكم الذئج . وهو صفة للدرع (٣) أومضت له : سارفته النظر

إلى عمي ، وإنه زعم أنه لا يزوجني حتى أصدقهما أربعمائة دينار ، وأنا غير قادر على ذلك ، وذكر من حاله وحبّه لها ؛ فأتى عمرُ عمّه ، فكلّمه في أمرها ، فقال : إنه مُملق ، فزوجه ، وساق عمرُ عنه المهر .

وكان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيتا إلا أعتق رقبة ، فانصرف إلى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جاريته تكلّمه ولا يجيبها ؛ فقالت : إن لك لسانا ، وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال :

تقول وليدتي لما رأيته	طربت : وكنت قد أقصرت حيناً
أراك اليوم قد أخذت أماً	وهاج لك الهوى داء دينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء	إذا ماشئت فارتق القرينا
لعمرك هل رأيت لها سماً	فشاقت أم لقيت لها خدينا
فقلت : شكا إلى أخ محب	كبهض زماننا إذ تعلمينا
ففض على ما يلقي بهند	فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزى	مشوق حين يلقي العاشقينا
فكم من خلّة أعرضت عنها	لغير قلى ، وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصددت عنها	وإن جنّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم .

قال عثمان بن إبراهيم : حججت أنا وأصحاب لنا ، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة ، فرأينا عمر بن أبي ربيعة ، وقد نسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فلننا إليه ، وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا : أيعجبك قول الفرزدق :

سرت لعينك سلمى بعد مفاتها	فبت مستلهياً من بعد مسراها
فقلت : أهلاً وسهلاً ! من هداك لنا ؟	إن كنت تمثالها أو كنت إياها
تأتى الرياح التي من نحو بلدكم	حتى تقول : دنت منا برياًها



وقد تراخت بهم عَنَانَوِي قَذْفٌ هِيَاهُ مُصْبَحَهَا مِنْ بَعْدِ مُسَاهَا<sup>(١)</sup>  
 من أجلها أُنَمَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي من نحو بِلَدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا  
 كَمَا أَقُولُ : افْتَرَقَ لِاجْتِمَاعِ لَهُ ، وَتَضَمَّرَ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا  
 وَلَوْ تَمَوْتُ لِرَاعَتِي وَقَلْتُ لَهَا : يَا بُوْسُ لِلدَّهْرِ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاهَا  
 فلم يهش لذلك ! فقال الآخر : أيعجبك قول العُذْرَى :

لَوْ حَزَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمَرَّ يَهْوَى سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأْسِي  
 وَلَوْ بَلَى تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدِي لَكُنْتُ أُبْلَى وَمَا قَلْبِي لَكُمْ نَاسِي  
 أَوْ يَقْبِضُ اللَّهُ رُوحِي صَارَ ذِكْرُكُمْ رُوحًا أَعِيشُ بِهِ مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ  
 لَوْلَا نَسِيمٌ لَذَكَرَاكُمْ يَرْوِحُنِي لَكُنْتُ مُحْتَرَقًا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي  
 فتحرك ثم قال : يَا وَيْحَهُ ! أَبْعَدَ مَا يَحْزُ رَأْسُهُ يَمِيلُ إِلَيْهِ ؟

ثم أنشأ يحدِّثنا ، فقال : أَنَا نِي خَالِدُ الدَّلِيلِ ، فقال : إِنْ هَذَا وَاتُّرَابُهَا بِمَوْضِعِ  
 كَذَا وَكَذَا مِنَ الصَّحْرَاءِ أَيَّامَ الرِّبْعِ ، فَقُلْتُ : كَيْفَ الْحِيلَةُ ؟ فقال : تَتَلْتَمَسُ وَتَكْتَفِلُ<sup>(٢)</sup>  
 كَأَنَّكَ طَالِبُ ضَالَّةٍ ، ففعلت ، فدُفِعَتْ إِلَيْهِنَّ ، فَقُلْنَ : يَا أَعْرَابِي ، مَا تَطْلُبُ ؟ قُلْتُ :  
 ضَالَّةٌ لِي ، فَقُلْنَ : قَدْ كَلِمْتُ يَا أَعْرَابِي ، فَلَوْ جَلَسْتَ فَأَصَبْتَ مِنْ حَدِيثِنَا وَأَصْبْنَا مِنْ  
 حَدِيثِكَ ، وَلَعَلَّكَ تَرْوِحُ إِلَى وَجُودِ ضَالَّتِكَ ، فَزِلْتُ ؛ فَلَمَّا امْتَدَّ الْحَدِيثُ بَنَّا حَسَرْتُ  
 هِنْدًا لثَامِي ، وَقَالَتْ : أَتُرَاكَ خَدَعْتَنَا ؟ نَحْنُ وَاللَّهِ خَدَعْنَاكَ ، وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ خَالِدًا ،  
 رَأَيْنَا خَلَاءً وَمَنْظَرًا فَارَدْنَاكَ ، وَنَظَرْتُ فِي دِرْعِي فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ ، فَقُلْتُ :  
 يَا أَبَا الْخَطَّابِ ! قَالَ عَمْرٌ : فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا يَبْطُنِ حُلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقْمَا<sup>(٣)</sup>

(١) نوى قذف : بعيدة

(٢) اكتفل : ركب فوق الكفل . بالكسر ، وهو شيء مستدير يتخذ من

خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير (٣) حليات : اسم موضع

إلى السَّرح من وادى الغمَّس بُدلت  
 فيخْلَن أو يخبرن بِالْعِلْم بَعْدَمَا  
 هُنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهَنْدٍ إِذِ الْهَوَى  
 وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا زَرَى  
 وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِرَاجُهُ  
 تُنَوِّعُن حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ خَبْلُهُ  
 قَلَّتْ لِمَطْرِ يَهْنُ بِالْحُسْنِ : إِنَّمَا  
 وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَقَدْ كَانَ قَدْ صَحَا  
 لَنْ كَانَ مَا حُدِّثْتُ حَقًّا فَأَرَى  
 فَقَالَ : قُمْ فَانْظُرْ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ لِي  
 فَقَالَ : اكِتْفِلْ ثُمَّ التَّمْ فَأَتِ بَاغِيَا  
 فَأَقْبَلْتُ الْهُوَى مِثْلُ مَا قَالَ صَاحِبِي  
 فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ  
 تِبَالَهْنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي  
 وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهُوَى لِمَتِّمْ  
 فَلَمَّا تَنَازَعَنَ الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي

مَعَالَهُ وَبَلَاءٌ وَنَكْبَاءٌ زَغَرَعَا<sup>(١)</sup>  
 نَكَانَ فُوَادًا كَانَ قَدِمًا مُوجَعًا<sup>(٢)</sup>  
 جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا  
 لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الْمَجْرَى مَطْمَعَا  
 كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرِّحْقَ الْمُشْعَشَعَا  
 وَحَتَّى تَذَكَّرْتَ الْحَبِيبَ الْمَوْدَعَا  
 ضَرَرْتُ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا؟  
 فُوَادَ بِأَمْثَالِ الْمَاهَا كَانَ مُوَلَّمَا<sup>(٣)</sup>  
 كَثَلَ الْأَلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعَا<sup>(٤)</sup>  
 أَخَافُ حَدِيثًا أَنْ يَشَاعَ فَيُشْنَعَا  
 فَسَلِّمْ وَلَا تُكْثِرْ بَأْنَ تَتَوَرَّعَا  
 لِمَوْعِدِهِ أَبْنَى قَلُوصًا مَوْقَعَا<sup>(٥)</sup>  
 وَجُوهٌ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا  
 وَقَلْنَ : أَمْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا<sup>(٦)</sup>  
 يَقِيسُ ذِرَاعَا كَمَا قَسَنَ إِضْبَعَا  
 أَخَفَّتْ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّرَ وَنُخَدَّعَا

(١) الغمَّس : موضع قرب مكة في طريق الطائف، والنكبَاء : الريح التي تتكبد عن مهاب الرياح، وريح زغزع : شديدة

(٢) نكأ الجرح : أصابه من جديد (٣) أشربته فاستشربى : هجته فهاج، وشربى الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشربى زيد : غضب وبلج ، ومثله استشربى ، ومنه الشراة للخوارج ، سموا بذلك للجاجتهم وإبعائهم في الخروج ، لا لأنهم شربوا أنفسهم وباعوها في الطاعة كما وهم بعض الناس (٤) الإطراء : البالغة في الشناء

(٥) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٦) أكل راحلته وأوضعها : أتعها

فبالأُمس أُرْسَلْنَا بِذلك خالداً      إليك ، وَبَيْنَا لَهُ الأَمْرَ أَجْمَعَا  
فما جئنا إِلَّا على وَفَى مَوْعِدٍ      على مَلَأَ مَدَا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا  
رَأَيْنَا خِلاءَ مَنْ عُيُونٍ وَمَنْظَرًا      دَمِثَ الرَّبِّي سَهْلَ الحِجْلَةِ مُمَرَّعًا<sup>(١)</sup>  
وَقُلْنَ : كَرِيمٌ نَالٌ وَصَلَ كَرَامُ      خَفَقَ لَهُ فِي اليَوْمِ أَنْ يَمْتَعَا  
وقوله : « وجوه زهاها الحسن أن تنقعا » يقول : هذه الوجوه مُدِلَّةٌ بِجِمالِها  
فلا تختمر ، فتستر شيئاً عن الناظرين إليها . وقد أشار إلى هذا المعنى الشماخ بن  
ضِرَارٍ<sup>(٢)</sup> يصف ناقته :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعُ مُدِلَّةٍ      بُعِيدَ الشَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تُعْذَرَ<sup>(٣)</sup>  
مِنَ البَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا انْصَلَّتْ دَعَتْ      فِرَاسَ بَنِ غَنَمٍ أَوْ لَقِيطَ بَنِ يَمْرُ  
بِهَا شَرْقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ      أَطَارَتْ مِنَ الحَسَنِ الرِّدَاءَ الحَبْرَا

[ مَنْ لَا تَرَى سِتْرَ الْوَجْهِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَاحْتِجَاجُهَا لِذَلِكَ ]

قال : وكانت عائشة بذت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها ، فلما دخلت  
على مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ قَالَ لَهَا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمْنِي بِمِيسَمِ جَمَالٍ ،  
فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا بِي وَصْمَةٌ اسْتُرْتُ لَهَا .

وقال علي بن العباس الرومي يصف قينة :

لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ      وَلَا انْضَوَى وَجْهُهَا إِلَى السِّتْرِ  
وقد ردد معنى قوله : « لم يعتصم عودها بزامرة » فقال : يصف برعة  
الكبيرة :

غنت فلم تحوج إلى زامرٍ      هل تحوج الشمس إلى شمعه

(١) دميث : سهل ، والمرع : الخصب

(٢) هو معقل بن ضرار ، المتوفى سنة ٢٢ ، كان أرجز الناس على البديهة ، شهد

القادسية ، وتوفى في غزوة موقان (٢) في نسخة « ذراعا مدلة » (م)

كأنما غتت لشمس الضحى      فألبستها حُسْنَهَا خَلَعَهُ  
 كأنما رَنَّةٌ مسموعها      رقة شكوى سبقت دَمْعَهُ  
 تهْدِي إلى قلبك ما يشتهي      كأنها قد أطلعت طلعه  
 يجتمع الظرفُ لجلالِها      والحسنُ والإحسانُ في بُقْعِهِ  
 طفلٌ على من حصلت عنده      فبعض تطفيل الفتى رُفْعَهُ (١)  
 ربيع غيثٍ فانتجع رَوْضَهُ      فلن يُعابَ الحرُّ بالنجعه (٢)

### [ ستر الرأس لإخفاء الصلع ]

وكان ابن الرومي لا يزال معتمًا ، وكان يفضض إذا سُئِلَ عن ذلك ، وسأله  
 بعضُ الرؤساء : لِمَ تَعْتَمُ ؟ فقال بديها :

يأتيها السائلُ لِأَخْبَرَهُ      عَنِّي لِمَ لَا أَرَاكَ مُعْتَجِرًا  
 أستر شيئًا لو كان يُمْكِنُنِي      تعريفُهُ السائلينَ مَا سَتَرَا  
 وقد بين العلة التي أوجبت اهتمامه في قوله :

تعممت إحصانًا لرأسي بُرْهَةً      من القرَّ يومًا والحرُّورِ إِذَا سَقَعُ  
 فلما دَهَى طولُ التَّعَمُّمِ لِمَتِي      وأودى بها بعد الإطالة والفرع  
 عزمت على لبسِ العمامة حيلةً      لتستر ما جَرَّتْ عَلَى مِنَ الصَّلَعِ  
 فيالك من جانٍ على حِنايَةٍ      جعلت إليه من جنائته الفرع  
 وأعجب شيء كان دأى جعلته      دَوَائِي عَلَى عَمْدٍ وَأَعْجَبُ أَنَّ نَفْعُ

وهذا كقولهِ ، وإن لم يكن في معناه ، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم :

طرُبتُ إلى المِرَاةِ فَرَوَّعَتْنِي      طَوَالِغُ مُيْتَبِينَ أَلْمَتَا بِي  
 فأما شَيْبَةٌ فَفَرَزَعْتُ مِنْهَا      إِلَى الْمِقْرَاضِ حُبًّا لِلتَّصَانِي

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة

(٢) النجعة: الارتحال في سبيل الكلا

وَأَمَّا شَيْبَةُ فَصَفَحَتْ عَنْهَا لَتَشْهَدَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ خِضَابِي  
فَأَعْجِبُ بِالذَّلِيلِ عَلَى مَشْيِي أَقْتُ بِهِ الدَّلِيلَ عَلَى شَبَابِي  
وهو القائل في صفة رجل أصلم :

يَجْذِبُ مِنْ نَقْرَتِهِ طُرَّةً إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ مِيلِهِ  
فَوْجُهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ أَخَذَ نَهَارَ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ

وقال أعرابي :

قد ترك الدهرُ صَفَاتِي صَفْصَفًا فصار رَأْسِي جَهَّةً إِلَى الْقَفَا<sup>(١)</sup>  
\* كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ رُبْعًا فَعَنَّا \*

[ من كلام الأعراب ]

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك : إني أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام بين سليمان  
بن عبد الملك  
وأعرابي  
فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ماتجه ، قال : ها تبه يا أعرابي ؛ فنحن نَجُودُ بِسَعَةِ  
الاحتمال على مَنْ لَا نَأْمَنُ غَيْبَتَهُ ، وَلَا نَرْجُو نَصِيحَتَهُ ، وَأَنْتَ لِلْأَمُونِ غِيَا ، النَّاصِحُ  
جَيِّبًا<sup>(٢)</sup> . قال : فَإِنِّي سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا خَرِسْتَ عَنْهُ الْإِسْنُ ، تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ  
تَعَالَى ؛ إِنَّهُ قَدْ اكْتَنَفَكَ رِجَالُ أَسَاءُوا الْإِخْتِيَارَ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَابْتَاعُوا دُنْيَاكَ مَدِينَهُمْ ،  
وَرِضَاكَ بِسَخَطِ رَبِّهِمْ ، وَخَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فَيْكَ ، فَهَمَّ حَرْبٌ  
لِلْآخِرَةِ ، وَسَلَمٌ لِلدُّنْيَا ، فَلَا تَأْمَنُ مِنْهُمْ عَلَى مَا أَتَمَّنُّكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا  
الْأَمَانَةَ تَضِيْعًا ، وَالْأَمَةَ كَسْفًا وَخَسْفًا ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَمُوا ، وَلَيْسُوا  
مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَمْتَ ؛ فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ؛ فَإِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ  
عِنْدَ اللَّهِ غَبْنًا مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ .

فقال سليمان : أَمَا أَنْتَ يَا أَعْرَابِي فَقَدْ سَلَلْتَ لِسَانَكَ وَهُوَ سَيْفُكَ ، قَالَ :  
أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَكَ لَاعَلِيكَ .

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن

وصف المطر  
لاعرابي

وروى العتيبي عن أبيه عن مولى لعمر بن حريث قال : شخصت إلى سليمان ابن عبد الملك ، فقبل لي : إنك ترد علي أفصح العرب ، وسيألك عن المطر ، فانظر ما تجيبه ، فقالت : ما عندي من الجواب إلا ما عند العامة ، فقبل لي : ما ذلك بمقنع عنده ، فلقيني أعرابي فقلت : هل لك في درهمين ؟ فقال : إني والله محتاج إليهما ، حريص عليهما ، فما شأنك ؟ فقلت : لو سألك سائل عن هذا المطر بم كنت تجيبه ؟ قال : أو يعنيا بهذا أحد ؟ قلت : نعم ، سأئلك ! قال : أتعنيا أن تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرى ، وقامت منها الغدر ، وأنتك في مثل وجار الضبع ، فكتبت الكلام ، وأعطيتهم درهمين : فكان هجيراي على الراحلة <sup>(١)</sup> ؛ فإذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسي كأنني واقف بين يديه ، وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألني عن المطر !

فلما انتهيت إليه سألتني فاقصصت الكلام ، فكسر إحدى عينيه ، وقال : إني لأسمع كلاما ما أنت بأبي عذرتك <sup>(٢)</sup> . قلت : صدقت ! وحياتك يا أمير المؤمنين اشتريته بدرهمين ! فاستغرب ضحكا ، ثم أحسن صلاتي .

وقال أعرابي يمدح رجلا :

أعرابي  
تمدح رجلا

حليم مع التقوى ، شجاع مع الجدا  
ند حين لا يندى السحاب سكوب  
ويحمل أمورا لو تصيغن غيره  
لمت خفانا أو لكاد يذوب  
شديد مناع القلب في الموقف الذي  
به لقلوب العالمين وجيب  
فتى هو من غير التخلق ماجد  
ومن غير تأديب الرجال أديب  
وقال بعض المحدثين يمدح :

(١) كان هجيراه على الراحلة : أي لم يزل يكرره وهو سائر

(٢) ليس بأبي عذرتك : ليس صاحبه . والعذرة : البكارة ، وهو أبو عذرة هذا

الكلام : أي أول من اقتضى بكارته . . . يعني أنه مبدعه

فَتَى يَجْعَلُ المَعْرُوفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ      وَيَجْعَلُ دُونَ العُذْرِ فَضْلَ التَّكْرِمِ  
أَغْرَى مَتَى تَقْصِدُ بِهِ فَضْلَ حَظِهِ      تُصِيبُ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ النِّعَمَ تَقْنَمُ  
عَلَى رَأْيِهِ يَنْضُمُ مُنْصَدِغُ الصَّفَا      وَبِنَحْلٍ مِّنْ عَقْدِ العُرَى كُلِّ مُبَرَّمِ  
لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الْجَيْشِ فِي الْوَعَى      وَخَطَرَةٌ رَأَيْمِ كَالْخُسَامِ الْمَصْمَمِ

جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني<sup>(١)</sup> بديع الزمان

وهذا اسمٌ وافق مُسَمَّاهُ ، وَلَفْظٌ طَابَقَ مَعْنَاهُ ، وكلام غَضُّ المَكاسِرِ ،  
أَرْنِيقُ الجَوَاهِرِ ، يَكَادُ المَوَاءَ يَسْرِقُهُ لُطْفًا ، وَالْهَوَى يَمْشِقُهُ ظَرْفًا

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي<sup>(٢)</sup> أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر كيف استوحى  
أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبدأها للأبصار صنع المقامات  
والبصائر ، وأهداها للأفكار والضائر ، في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء  
أكثر ما أظهر تذبُّوع عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حُجُبُهَا الأسماعُ ، وتوسَّع فيها ؛  
إذ صرَّف ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها  
بأربعائة مقامة في الكُدَيَّة ، تذوب ظَرْفًا ، وتقطر حُسْنًا ، لامناسبة بين  
المقامتين لفظًا ولا معنى ، وعطف مُسَاجَلَتَهَا ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سَمَى  
أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري ، وجعلهما يتهديان الدُّر ،  
ويتنافثان السَّحَر ، في معانٍ تُضْجِكُ الحزین ، وتحرك الرِّصين ، يتطلع منها  
كلَّ طريفة ، ويوقِفُ منها على كلِّ لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ،

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع ، وأبقاهم أثرًا . كانت وفاته سنة ٣٩٨ وسيتحدث  
عنه صاحب زهر الآداب في مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو محمد بن الحسن  
« لا الحسين كما ورد في الأصل » المتوفى سنة ٣٢١ ، كان فمًا وصفوه أعلم الشعراء  
وأشعر العلماء

وخصَّ أحدهما بالرواية ؛ وسأذكر منها ما لا يُحِلُّ طولُه بالشرط المعقود ، ولا ينافي حصولُه الفرضَ المقصود<sup>(١)</sup> .

كتاب  
من البديع  
لأبي نصر  
الميكالي

كتب إلى أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

كتابي - أعز الله الأمير! - وبودى أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكنَّ الحريصَ محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه . فرَّق الله بين الأيام ، تفریقها بين الكرام ، وألهمها أن تورِد بعقل ، وتُصدر بتمييز ، وما ذلك على الله بعزيز ، وأنا في مفاتيح الأمير ، بين ثقة تعد ، ويد ترعد ، ولم لا يكون ذلك ؟ والبحر وإن لم أره ، فقد سمعتُ خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد عاين أكثره ، والليث وإن لم ألقه ، فلم أجهل خلقه ، وما وراء ذلك من تاليد أصلي وحسب ، وطارف فضل وأدب ، وبُعد همة وصيت ، فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقلُّ الحواس إدراكا ، والأذن أكثرها استمساكا ، وإن بعدت الدار فلا ضير ؛ إن أيسر البعدين بُعد الدارين ، وخير القرين قرُب القلبين .

وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

ومن البديع  
إلى الميكالي أيضا

الأمير الفاضل ، والشيخ الرئيس ، رفيع مناصب الهمة ، بعيد منال الحرمة ، وفسيح مجال الفضل ، رحيب مُنخَرَقِ الجود ، رطيب مكسِرِ العود

(١) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وأنه حاكي ابن دريد في أحاديثه ؛ وقد استغلت هذا النص في كتابي الذي وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع . وقد دهش المسيو مارسيه لهذه الفكرة ، وعجب كيف اتفق الناس إلى اليوم على أن البديع هو منشئ فن المقامات ، ولكني من جانب آخر أذكر أني لم أزل هذا الكلام في غير زهر الآداب ، ولا أزال أتلس له مصدراً آخر ، وم أعثر على شيء إلى اليوم ، ويزيد في الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروى السألة على أنها مقبولة معروفة لمتمس بنقض ولا تكذيب ، وقد نقلها عنه ياقوب في «حجم الأدباء



فلو نظمت الثريا والشعرين قريضا  
وكاهل الأرض ضربا وشعب رضوى عروضا  
وصنعت لادر ضدًا وللهواء نقيضا  
بل لو جلوت عليه سود النواذب بيضا  
أو ادعيت الثريا لأخصيه حضيضا  
والبحر عند لهاؤه يوم العطاء مفيضا

لما كنت إلا في ذمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعدُ الحالة في المدح ، قاصرُ الآلة عن الشرح ؟ ولكني أقول : التناء مُنْجِحٌ أُنَى سلك ، والسخرى جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرّةً لأتحة فَمُنْحَةٌ دالة ، وإن لم يكن صداءُ فماء<sup>(١)</sup> ، وإن لم يكن خمر فخل ، وإن لم يُصِبْها وابل فطل ، وبذل الموجود غاية الجود ، وبعض الجهد آخر المجهود ، وماش خير من لاش<sup>(٢)</sup> ، ووجودها قلَّ خيرٌ من عدم ما جلَّ . وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب ، وجهد القل خيرٌ من عذر الخل ، وحمار أيس خيرٌ من فرس ليس<sup>(٣)</sup> ، وكوخ في العيان خيرٌ من قصر في الوهم . وزيت<sup>(٤)</sup> خير من ليت ، وما كان أجود من لو كان ، وقد قيل : عصفور في الكف أجودٌ من كركي في الجو ، ولأن<sup>(٥)</sup> تقطف خيرٌ من أن تقف ، ومن لم يجد الجيم رعى المشيم<sup>(٦)</sup> ، ومن لم يحسن صهيلاً نهق ، ومن لم يجد ماء تيمم ؛ والأمير الرئيس - أدام الله نعماءه - لا ينظر في قوافي صنيعته إلى ركاكة ألفاظها ، وبعْدُ أغراضها ، ولكن إلى كثرة جذرها<sup>(٧)</sup> ، وثقل مهرها ، وقِلَّة

(١) صداء : ماء يضرب به المثل في الحلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء

(٢) لاش : لاشيء ، ويقال له ماش ، وهي عبارة مولدة

(٣) الأيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المعدوم

(٤) زيت : هي هكذا بالزاي في الأصول عامة ، وأنا أخسبه «ذيت» بالذال ، وهي

من الألفاظ التي يكفى بها فيقال «كيت وذيت» (م) . (٥) تقطف : تسير ببطء (م) .

(٦) الجيم : البت الغزير ، والمشميم : اليابس (٧) الجذر : ما تكافأ به المغنية

كفّتها ، وإنتى منذ فارقت قَصَبَةَ جرجان ، ووطئت عَتَبَةَ خراسان ، ما زفقتها  
إلا إليه ، ولا وَقَفْتُهَا إلا عليه ، هذا على تمرغى فى أعطاف الحن ، وضرورتى  
إلى أبناء الزمن ، وإن كان الأمير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ، ويُفَسِّحُ  
لكل شعر فناء طبعه ، فهناك من النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى :

أَدْهَقِ الْكَاسَ فَعَرَفُ الْفَجْرِ قَدْ كَادَ يَلُوحُ  
فهو للناس صباحٌ ولذى الرأى صَبُوحُ  
والذى يمرح بى فى حَلْبَةِ اللّهُو بَجُوحُ  
فاسقنيها والأمانى لها عَرَفٌ يَفُوحُ  
إنّ للأيام أسرا رأبها سوف تَبُوحُ  
لا يغرّتك جسمٌ صادقُ الحس وروح  
إنما نحن إلى الآ جال نَعْدُو ونروح  
ويك هذا العمر تهريجٌ وهذا الروح ريجُ  
بينما أنت صحيح الجسم إذ أنت طَريجُ  
فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذبيح  
قبل أن يضرب فى الدَّهْرِ بى القِدْحُ السَّيِّحُ <sup>(١)</sup>  
إنما الدَّهْرُ غَرُورٌ ولمن أضغى نصيحُ  
ولسان الدَّهْرِ بِالْوَعْظِ لَوَاعِيهِ فَصِيحُ  
نستبيح الدَّهْرَ والأَيَّامَ منا تَسْتَبِيحُ  
نحن لاهون وآجاء لُ المنايا لا تريح  
يا غلامُ الكأسِ فالياً سُ من الناس مُريحُ  
ضاع ما نحميه من أنفسنا وهو مبيح

(١) هكذا ، وهو فى الرسائل « السفيح » بالفاء ، وهو صواب ملائم المعنى  
المراد ، والسفيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح اليسر ليست تريح شيئاً ، وثانيتها  
يسمى الوغد ، وثالثتها يسمى المنيح (م) .

وقنوعا فقام الذل بالمرء قبيح  
 أنا يا دهر بأبنا نك شقّ وسطيح<sup>(١)</sup>  
 وبأبكار القوافي لا على كفء شجّيح  
 يا بني ميكال والجو د لعلاتي نزيح  
 شرفا إن مجال الفضل فيكم نفسيح  
 وعلى قدر سنّا الممدوح يأتيك المديح  
 فهناك الشرف الأرفع والطرف الظمّوح  
 والندى والخلق الطاهر والخلق<sup>(٢)</sup> الصّبيح  
 مرتقى مجد يحار الطرف فيه ويطيح  
 أيّ هذا الكرم المثل والخلق السّجّيح<sup>(٣)</sup>  
 كان هذا الجود ميثا عاده منك المسيح

هذه - أطال الله بقاء الأمير! - هدية الوقت، وغفوة الساعة، وفيض البديهة،  
 ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للفم، وجمرات الحدة، وثمرات المدّة، ومجاراة الخاطر  
 للناظر، ومباراة الطّبع للسمع، ومجازبة الجنان للبيان، والشعر إذا لم تقدمه رويّة،  
 ولم تنضجه نية، لم يفتح له السمع بابه، ولم يرفع له القلب حجابيه، وإذا لبس الأمير  
 هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ماهو أفتن وأحسن وأرضن، فراهيه أيده  
 الله في الوقوف عليها موقفا إن شاء الله .

كتاب عتب

من البديع إلى  
 الميكالي

وله إليه معاتبه :  
 كَئِنْ سَاءَ نِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّ نِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ  
 الأمير الفاضل الشيخ الرئيس ، أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء ، في حال برّه  
 وجفائه مُتَفَضِّل ، وفي يومئذٍ ! اده وإذ نأته مُتَطَوَّل . وهنئاله من حمانا ما يحلّه ،

(١) شقّ وسطيح : كاهنان من كهان الجاهلية كانوا يضربون بهما المثل في معرفة الغيب (٢) الخلق السّجّيح : السهل .

ومن عُرانا ما يَحُلُّه ، ومن أَعْرَاضنا ما يستَحِلُّه ؛ بلغنى أَنَّهُ — أدام اللهُ عِزَّهُ! — استزاد صِتيَعته ، وكنت أَظُنُّني مَجْنِيًّا عليه ، مُسَاءً إِلَيْهِ ، فإذا أَنانِي قِراءة الذَّنْبِ ، وبمَثابة العُتْبِ ، وليت شعري أَىِّ مُحْظُورٍ في العِشرة حَضَرْتُهُ ، أو مَفْرُوضٍ من الخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ ، أو وَاجِبٍ في الزِيارَةِ أَهْمَلْتُهُ ؟ وهل كنتُ إِلَّا ضِيفًا أَهْدَاهُ بِلَدُّ شاسِعٍ ، وأَدَّاهُ أَمَلٌ وَاسِعٌ ، وَحْدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ ، وَهَذَاهُ رَأْيِي وَإِنْ ضَلَّ ، ثُمَّ لَمْ يُلْقِ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ حَبْلَهُ ، وَلَمْ يَنْظِمْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ ، وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرَهُ ؛ ثُمَّ مَا بَعُدَتْ صَحْبَةُ إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةُ ، وَلَا زَادَتْ حُرْمَةُ إِلَّا نَقَصَتْ صِيَانَةُ ، وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنْهُ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنَزِلَةُ ، وَلَمْ تَزَلِ الضَّعْفَةُ بِنَاحَتِي صَارَ وَابِلُ الإِعْظَامِ قَطْرَةً ، وَعَادَ قَيْصُ الْقِيَامِ صُدْرَةً ، وَذَلِكَ التَّقَرُّبُ أَرْوَرَارًا ، وَطَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا ، وَالْاهْتِرَازُ إِيْمَاءً ، وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً ؛ وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلٌ إِعْتَابُهُ ، وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرْ جَوَابَهُ ، وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِيْجَابَهُ ، أَجَابَ بِالسَّكُوتِ ، وَأَعْتَبَ بِالْقُنُوتِ ، فَمَا زِدْتُ إِلَّا لَهُ وَلَا ، وَعَلَيْهِ ثَنَاءٌ ؛ لَا جَرَمَ إِنِّي الْيَوْمَ أَيْبُضُ وَجْهِ الْعَهْدِ ، وَاضِحٌ حَجَّةِ الْوُدِّ ، طَوِيلُ عِنَانِ الْقَوْلِ ، رَفِيعُ حِكْمَةِ الْعُذْرِ ؛ وَقَدْ حَمَلْتُ فَلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ مَا تَجَنَّبَ عَنْهُ الْقَلَمُ ؛ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُوْرِدُهُ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللهُ .

وله إليه في هذا الباب :

أَنانِي خِدْمَةُ الْأَمِيرِ الرَّئِيسِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ! — مُتَرَجِّحٌ بَيْنَ أَنْ أَشْرِبَهَا رِيقَةَ كِتَابِ عِتَابٍ مِنْ الْبَدِيعِ إِلَى الْمِيكَالِ أَيْضًا وَلَا أُسَيِّفُهَا ، وَأَجْلِجُ مِنْهَا مُضْغَةً وَلَا أُجِيزُهَا ، وَبَيْنَ أَنْ أَطْوِيَهَا عَلَى عَرِّهَا ، وَلَا أَرْتَضِعُ أَخْلَافَ دَرِّهَا .

فَلَا نَفْسِي تَطْلُو عَنِّي لِرَفْضِي وَلَا هِمِّي تُؤْطِنُنِي لِحَفْضِي  
وَبَقِيَ أَنْ أَقْرُصَهُ بِأَنَامِلِ الْعُتْبِ ، وَأَخْشَمَهُ بِالْحَاظِ الْعَذْلِ ، وَأَعْرِفُهُ أَنِّي مَا أَطْوَى مَسَافَةَ مَزَارٍ إِلَّا مُتَجَشِّمًا ، وَلَا أَطَاعَتَبَةَ دَارٍ إِلَّا مُتَبَرِّمًا ؛ وَلَسْتُ كَمَنْ يَنْسُطُ يَدَهُ مُسْتَعْجِدِيًا ، أَوْ يَنْقُلُ قَدَمَهُ مُسْتَعْدِيًا ؛ فَإِنْ كَانَ الْأَمِيرُ الرَّئِيسُ — أَيْدَهُ اللهُ! — يَسْرَحُ طَرْفَهُ مِنِّي فِي طَامَحٍ أَوْ طَامِيعٍ ، فَلْيُعِدْ لِلْفِرَاسَةِ نَظْرًا .

فما الفقرُ من أرضِ العثيرة ساقني إليك ، ولكننا بِقُرْبَاكَ ننجحُ  
وأجِدُنِي كلما استغزيتُ الشوقُ إلى تلك المحاسن ، أطيرُ إليها بجناحين عَجَلًا ،  
وأرجعُ بعَرَجَاوَيْنِ خَجَلًا ، ولولا أَنَّ الرضا بذلك ضربٌ من سقوطِ الهمة ، وأن  
العتابَ نوعٌ من أنواعِ الخدمة ، لصُنْتُ مجلسه عن قلبي ، كما أَصُونُه عن قَدَمِي ،  
ولمِلْتُ إلى أرضِ الدعاء فهو أنجعُ ، وإلى جانبِ الثناء فهو أوسعُ ، وسأفعلُ  
لتخفَّ مؤنتي ، ولا تثقلَ وطأتني

إذا ما عَتَبْتُ فلم تُعْتَبِ وَهَنْتُ عليك فلم تُعْنِ بِي <sup>(١)</sup>  
سَلَوْتُ ، ولو كان ماء الحياة لَعَفْتُ الورودَ ولم أَشْرَبِ

قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معاني شتى

تجربى مجرى الأمثال

أبو فراس الحمداني :  
إذا كان غيرُ الله للمرءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايا من وُجوهِ المَكَّاسِبِ  
وله :

عَفَاكَ عِيٌّ ، إنما عِفَّةُ الفَتَى إذا عَفَّ عن لَذَّاتِهِ وَهُوَ قَادِرٌ <sup>(٢)</sup>  
وقال المتنبي :

كُلُّ حِلْمٍ أَيْ بَغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لِأَحْيٍ إِلَيْهَا اللَّثَامُ  
وله :

وإذا كانتِ النَّفُوسُ كِبَاراً تَعَبَتْ في مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

(١) أعتبه : أزال عتبه (٢) كذا ، وأحسبه « عفاك عجز » (م)

وله :

وَإِذَا أَتَتْكَ مَدَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ      فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

وله :

لَا يُعْجِبُنِي مَضِيماً حُسْنُ بَرَّتِهِ      وَهَلْ تَرَوْقُ دَفِيناً جُودَةُ الْكَفَنِ ؟

وله :

مَنْ أَطَاقَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غِلَاباً      وَاعْتَصَاباً لَمْ يَلْتَمِسْهُ سَوْلاً

وله :

وَالظُّلُمُ مِنْ شِيمِ النُّفُوسِ ، فَإِنْ تَجِدْ      ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلُمُ

وله :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجِبُهُ      أَنِي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مَخْشُودٌ

وله :

ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي ، وَحَاجَتُهُ      مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

وَالْمُتَنَبِّي أَكْثَرُ الْحَدِيثَيْنِ افْتِنَانًا وَإِحْسَانًا فِي الْإِغْرَابِ بِهَذَا الْبَابِ ؛ وَالِاسْتِقْصَاءُ

يُخْرَجُ عَنْ شَرْطِ الْكِتَابِ .

وَقَالَ السَّرِيُّ الْمَوْصِلِيُّ :

لِلسَّرِيِّ الرَّفَاءُ

خُذُوا مِنَ الْعَيْشِ فَلَأَعْمَارٍ فَائِةٌ      وَالدَّهْرُ مُنْصَرِّمٌ وَالْعَيْشُ مُنْقَرِضٌ

وله :

فَإِنَّكَ كُلَّمَا اسْتُودِعْتَ سِرًّا      أَمَّمْتُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي :

لِلصَّابِيِّ

الضَّبُّ وَالتُّونُ قَدْ يُرْجَى التَّقَاؤُهُمَا      وَلَيْسَ يُرْجَى التَّقَاءُ اللَّبِّ وَالذَّهَبِ <sup>(١)</sup>

لَا بِنِ بِنَاتَةٍ

وَقَالَ ابْنُ بِنَاتَةٍ :

مِثْلَ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمَانِ زِدَاءً      عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

(١) الضب : من حيوان الصحراء ، والنون : الحوت ، من حيوان الماء .  
واللب : العقل (م) .

وله :

يهـ — روى الشتاء مبرزاً ومُقَصِّرٌ  
حمى الشتاء طبعاً الإنسان

للسلامى

وقال أبو الحسن السَّلامى :

تَبَسَّطَ — نأنا على اللَّذَّاتِ لَمَّا  
رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ تَمَرِ الذُّنُوبِ

لابن لنكك

وقال ابن لنكك البصرى :

وماذا أُرْجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ  
ولو قد صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامٍ نَأْمٍ

للمأمونى

وقال أبو طالب المأمونى :

لِى فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ سِرٌّ كَامِنٌ  
لَا بَدْءَ أَنْ نَسْتَلَّهُ الْإِقْدَامُ — دَارُ

لابن العميد

وقال أبو الفضل بن العميد :

الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْخُسَامِ لِعَارِضٍ  
يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَقُّهُ التَّنَكُّبُ

لابن الفتح

وقال أبو الفتح :

بَطِرْتُمْ فِطْرَتَكُمْ وَالْهَازِجُ مِنْ عَصَى  
وَتَقْوِيمِ عَيْدِ الْهُونِ بِالْهُونِ رَادِعٌ

وله .

إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَمَالَهُ  
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُقْتَرَحٌ

لابن عباد

وقال الصاحب إسماعيل بن عباد :

إِنْ أُمَّ الصَّقَرِ فِي الْوَدِّ  
دِ لِمَقْلَاةٍ تَزُورُ

وله :

مَنْ لَمْ يَعْدُنَا إِذَا مَرِضْنَا  
إِنْ مَاتَ لَمْ نَشْهَدْ الْجَنَازَةَ

وله :

حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ  
فَاخْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِاحْسَانِ

للناشي

وقال إسماعيل الناشي :

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ  
فَخَانَتْ ثِقَاتُ النَّاسِ حَتَّى التَّحَارِبِ

وقال أبو الفتح البستي :

لا تَرْجُ شَيْئًا خَالصًا نَفْعُهُ      فالغيثُ لا يَخْلُو من الغَيْثِ (١)

وله :

ولم أرَ مثل الشكر جَنَّةَ غَارِسٍ      ولا مثل حُسْنِ الصبر جُبَّةَ لَاسٍ

وله :

وطول مُقَامِ الماءِ في مُسْتَقَرِّهِ      يُفْـيـِرُهُ رِيحًا وَلَوْنًا وَمَطْعَمًا

وله :

ما استقامت قَنَاءُ رَأْيِي إِلَّا      بعد ما عَوَّجَ الْمَشِيبُ قَنَاتِي

وقال أبو الفضل الميكالي :

للميكالي

هو الشوك لا يُعْطِيكَ وافرَ منَّةٍ      يدَ الدهرِ إِلَّا حينَ تَضُرُّ به جِلْدَا

وله :

ذو الفضل لا يَسْلَمُ من قَدَحٍ      وإنْ غَدَا أَقْوَمَ من قِدَحٍ

وقال شمس المعالي :

الشمس المعالي

وفي السماءِ نجومٌ مالهَا عَدَدٌ      وليس يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

هذا مأخوذ من قول البطائي :

إن الرياحَ إذا ما استعصفت قَصَفَتْ      عيدانَ نَجْدٍ فلمْ يعبَأَنَّ بالرَّثَمِ

بناتُ نَعَشٍ ونَعَشٍ لا كُسوفَ لها      والشمسُ والبدرُ منها الدهرُ في الرِّقَمِ

وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي :

للجرجاني

الهجرُ أَرْوَحُ من وَضَلٍ على حَذَرٍ      والموتُ أَطْيَبُ من عَيْشٍ على غَرَرٍ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

للخوارزمي

لا تَغَرَّنَكَ هَذِهِ الْأَوْجُهَ الْغُرُ      فَيَا رَبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ



[ من تُبْطِرُهُ النِّعْمَةُ لِمُيُوسِفَ عَلَى زَوَالِهَا عَنْهُ ]

قال أبو العيْناء : كان عيسى بن فرخان شاه يَتِيهٌ عَلَى فِي وِلايَتِهِ الْوِزَارَةَ ، بين أبي العيْناء  
فلما صُرِفَ رَهْبَنِي ، فلقيني فسلمَ عَلَى فَأَخْبَنِي . فقلت لعلامي : مَنْ هَذَا ؟ قال : وابن فرخان  
أبو موسى ؛ فدنوتُ مِنْهُ وقلت : أعزَّكَ اللهُ ، والله لقد كنتُ أَقْنَعُ بِإِيْمَانِكَ دُونَ  
بَيَانِكَ ، وَبَلَحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ ، فالحمدُ لله عَلَى مَا آتَى إِلَيْهِ حَالُكَ ، فلئن كانت  
أَخْطَأْتُ فِيكَ النِّعْمَةَ ، فلقد أَصَابَتْ فِيكَ النِّقْمَةُ ، ولئن كانت الدُّنْيَا أَبَدَتْ مَقَابِحَهَا  
بِالْإِقْبَالِ عَلَيْكَ ، لقد أَظْهَرَتْ مُحَاسِنَهَا بِالْإِنْصِرَافِ عَنْكَ ، وَللهِ الْمِنَّةُ إِذَا غَنَانَا عَنْ  
الْكَذِبِ عَلَيْكَ ، وَنَزَهْنَا عَنْ قَوْلِ الزُّوْرِ فِيكَ ، فقد والله أَسَاءَتْ حَمْلَ النِّعَمِ ،  
وَمَا شَكَرْتُ حَقَّ الْمُنْعَمِ ، قليل له : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ؛ لقد بالغت في السَّبِّ ،  
فما كان الذَّنْبُ ؟ قال : سألته حاجةً أَقْلَ مِنْ قِيَمَتِهِ ، فَرَدَّ عَنْهَا بِأَقْبَحَ مِنْ خِلْقَتِهِ .

وقال علي بنُ العباس الزُّومِي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق  
بين أبي الرومي وأبي الصقر  
ابن أحمد وألم في بعض قوله بقول أبي العيْناء :

لَا زَالَ يَوْمُكَ عِبْرَةً لَعْدُكَ	وَبَكَتْ بِشَجْوِ عَيْنِ ذِي حَسَدِكَ
فَلئن نُكِبْتَ لَطَالَمَا نُكِبْتَ	بِكَ هِمَّةٌ لَجأتُ إِلَى سَنَدِكَ
لَوْ تَسَجَّدَ الْأَبَامُ مَا سَجَدْتُ	إِلَّا لِيَوْمٍ فَتَّ فِي عَضُدِكَ
يَا نِعْمَةً وَلَّتْ غَضَارُهَا	مَا كَانَ أَقْبَحَ حَسَنَهَا بِيَدِكَ
فَلَقَدْ غَدَتُ بَرْدًا عَلَى كَبْدِي	لَمَّا غَدَتُ سَحَرًا عَلَى كَبْدِكَ
وَرَأَيْتُ نِعْمَى اللهِ زَائِدَةً	لَمَّا اسْتَبَانَ النِّقْصُ فِي عَدَدِكَ
وَلَقَدْ تَمَنَّتْ كُلُّ صَاعِقَةٍ	لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى كَعْدِكَ <sup>(١)</sup>
لَمْ يَبْقَ لِي مِمَّا بَرَى جَسْدِي	إِلَّا بَقَاءُ الرُّوحِ فِي جَسَدِكَ

(١) الكند : مجتمع الكتفين

وله فيه أهـاج كثيرة لما نك ، منها قوله :

خَفَضَ أبا الصَّقَرِ فكم طائرٌ خَرَّ صَرِيحاً بَعْدَ تَحْلِيْقِ  
رُؤِجَتَ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَاهَا فَصَانَهَا اللهُ بِتَطْلِيْقِ  
لَا قُدْسَتْ نَعْمَى تَسْرِبَلَتَهَا كَمْ حِجَّةٍ فِيهَا لِزَنْدِيقِ<sup>(١)</sup>

وكان أبو الصقر لما ولي الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها :

مدحة

لابن الرومي  
في أبي الصقر

أَجْنَيْنِكَ الْوَرْدَ أَغْصَانُ وَكُثْبَانُ فِيهِنْ نَوْعَانُ تَفَاحٌ وَرِمَانُ  
وَفَوْقَ ذَيْنِكَ أَعْنَابٌ مُهْدَلَةٌ سَوْدٌ لَهْنٌ مِنَ الظَّامَاءِ أَلْوَانُ  
وَتَحْتَ هَاتِيكَ عُنَابٌ تَلُوحُ بِهِ أَطْرَافُهُنْ قُلُوبُ الْقَوْمِ قِنْوَانُ  
غُصُونُ بَآنٍ عَلَيْهَا الزَّهْرُ فَأَكْهَةٌ وَمَا الْفَوَاكِهُ مِمَّا يَحْمِلُ الْبَآنُ  
وَتَرْجَسُ بَاتٍ سَارَى الْطَّلِ يَضْرِبُهُ وَأَقْحَوَانُ مُنِيرُ الْأَوْنِ رِيَّانُ  
أَلْفَنْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسَنٌ فَهَنْ فَأَكْهَةٌ شَتَّى وَرَفْجَانُ  
ثَمَارِ صِدْقٍ إِذَا عَايَنْتَ ظَاهِرَهَا لَكِنَهَا حِينَ تَبْلُو الطَّعْمَ خُطْبَانُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا يَدْمُنْ عَلَى عَهْدٍ لِمُعْتَدٍ وَالْفَانِيَاتُ كَمَا شُبْنُ بَسْتَانِ  
يَمِيلُ طَوْرًا بِحَمَلٍ ثُمَّ يَعْدُمُهُ وَيَكْتَسِي ثُمَّ يُنْفَى وَهُوَ عُرْيَانُ  
وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ مَائَتِي بَيْتٍ ، مَرَّ لَهُ فِيهَا إِحْسَانٌ كَثِيرٌ ، فَأَنْشَدَهَا أَبُو الصَّقَرِ ،

فلما سمع قوله :

قَالُوا أَبُو الصَّقَرِ مِنْ شَيْبَانٍ قُلْتَ لَهُمْ كَلَّا لِعَمْرِي وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ  
قَالَ : هَحَانِي ، قِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَدَحِ ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا بَعْدَهُ :  
وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرَى شَرَفٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ

(١) يريد أن النعم التي تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، مما تقوى به حجة الزنادقة في جحود الإله ؛ لأنه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللثام وجميع الطيبات (٢) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل ، فيقال : أمر من نقيع الخطبان ، وهو بضم الحاء المعجمة

قال : أنا بشيان لا شيان بي . فقليل له فقد قال :

ولم أقصر بشيان التي باعت بها المبالغ أعراق<sup>١</sup> وأغصان  
لله شيان قوم لا يشوبهم روع إذا الروع شابت منه ولدان<sup>٢</sup>  
فقال : لا والله لا أثيبه على هذا الشعر ، وقد هجاني .

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : كنت يوما عند عبيد الله بن عبد الله  
ابن طاهر ، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه النونية ، فقال : هذه دار البطيخ ،  
فاقرأوا تشبيها لها تعلموا ذلك ! فضحك جميع من حضر .

وفى هذه القصيدة يقول من اختار فى النسب :

ياربَّ حُسَّانةٍ منهن قد فعلت سُوءًا ، وقد يفعلُ الأسوءاءُ إحسانًا  
تشكى الحبَّ وتلفى الدهرَ شاكِيَةً كالقَوْسِ تُصمى الرِّمَايا وهى مِرْنان<sup>(١)</sup>  
وهذا كقوله فى قصيدة يَصِفُ فيها قوس البندق :

لها رنة أولى بها من تصيبه وأجدر بالإعوال من كان موجعا  
يقول فيها :

لا تلحيانى وإياها على ضرعى لا تلحيانى وإياها على ضرعى  
إنى ملكت فبى الرق مسكنة وملكت فلها بالملك طفيان  
لى مذنات وجنة ريا بمشر بها من عبرتى وفم ما عشت ظمان  
وفىها فى مدح بنى شيان :

قوم سماحتهم غيث ، ونجدتهم غوث ، وآراؤهم فى الخطب شهبان  
تلقاهم ورماح الخط حولهم كالأسد ألبسها الآجام خفان<sup>(٢)</sup>  
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتدلوا منهن فى سبل العلياء ما صانوا

(١) تشكى الحب : يحمله بظلمها على الشكاية ، والرمايا : جمع رمية بمعنى مرمية ،  
وتسمى : تقتل وتبيد (٢) خفان - بفتح الخاء المعجمة - أجمة فى سواد الكوفة

المنعون وما مثوا على أحد يقول فيها في أبي الصقر :

يَقْدِيهِ مَنْ فِيهِ عَن مِّقْدَارِ قَدِّيَّتِهِ  
قَوْمٌ كَانَهُمْ مَوْتَى إِذَا مُدِحُوا  
صَاحِي الطَّبَاعِ إِذَا سَابَتْ هَوَاجِسُهُ  
يُضْحِيهِ ذَهْنٌ وَيَأْتِي صَخْوَهُ كَرَمٌ  
فَرْدٌ جَمِيعٌ يَرَاهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ  
وهذا كقول أبي الطيب :

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا  
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا  
وقد تقدم .

وقال :

فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مَكْرَمٍ انْقَضَى  
مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ  
وقال البحتري :

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا  
لَدَى الْمَجْدِ، حَتَّى عَدَّ أَلْفُ بُوَاهِدٍ

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت ، فمن ذلك قوله في قصيدة طويلة

لابن الرومي  
في أبي الصقر  
أيضاً

فِي وَجْهِهِ رَوْضَةٌ لِلْحَسَنِ مَوْثِقَةٌ  
طَلُّ الْحَيَاءِ عَلَيْهَا سَاقِطٌ أَبَدًا  
مراد في مثلها طَرْفٌ وَلَا سَرَحًا<sup>(٢)</sup>  
كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ لَوْ رَقَرَتْهُ سَفَحًا

(١) مان : كذب ، والاسم المين ، بالفتح (٢) راد وارتاد معناهما واحد

أنا الزعيم لمكحولٍ بغرته  
 مهمأتى الناس من طولٍ ومن كرمٍ  
 يعطى المزاح ويعطى الجد حقهما  
 وافى عطارد والمريخ مولده  
 إن قال : لا ، قالها للأمريه بها  
 فى كفه قلم ناهيك من قلمٍ  
 يمحو ويثبت أرزاق العباد به  
 كأنما القلم الملوى فى يده  
 لما تبسم عنك المجد قلت له  
 أثنى عليك بنعمك التى عظمت  
 أمطر بذالك جناتى تكسهُ زهراً  
 أنشدتها على متوالى الاختيار ، وكذلك أجرى فى كثير من الأشعار .

وله إليه أيضاً

وقال يعاتبه ويستبطئه :

عقيد الذدى ، أطلق مدائح جمّة  
 وكنت متى تشد مديحاً ظلمته  
 عذرتك لو كانت سما تَقشَعُ  
 ولكنها سُقياً حُرمت رويها  
 وأكلأ ، معروفٍ حرمت مريعها  
 عرّضت لأورادى وبحرّك زاخراً  
 فلو لم ترد أذواد غيري غماره  
 حَبائسَ حَسَرى قدأبت أن تسرحا  
 يرى لك أهجى ما يرى لك أمدحا  
 سحائبها أو كان رَوْضٌ تصوّحا  
 وعارِضها ملقٍ كلالٍ كلّ جُنْحاً<sup>(٢)</sup>  
 وقد عاد منها السهل والحزن مسرحاً  
 فلمّا أوردن الورد ألفين ضحّضحاً  
 لقلت : سَرابٌ بالمِتانِ توَصّحاً<sup>(٣)</sup>

(١) وحى : كتب ، قال رؤبة « لقدركان وحاه الواحى » (٢) النفل

والقلح : فساد الأسنان (٣) الكلال : الصدور، وجنع : جمع جأنح، وهو المائل

(٤) الأذواد . جمع ذود ، وهو من الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وفى المثل

« الذود إلى الذود إبل » ووقع فى نسخة « أوراد » وفى أخرى « أزواد » وكلاهما تعريف (م)

مباليك عذرا لم أحد فيه مشرنا وإن كان غيرى واجداً فيه مسجحا  
 مديحي عص موسى ، وذلك أنى صربت به بحر الندى فتصحصح  
 سأمذح بعض الساجدين لعنه إذا اطرَد المقياس أن يتسمجحا  
 فيا ليت شعري إن صربت به الصفا أبيعث لي منه حداول سيجحا  
 كتلك التي أبدت ثمرى الأرض يابساً وشقت عيوناً فى الحجارة سفحا  
 ملكت فأسجج يا أبا الصقر إنه إذا ملك الأحرار مثلك أسجحا  
 وماضرع إلى أحد هذه الصراعة ، ولا فى طوقه هذا الاحتمان ؛ وهذه الأبيات  
 الأخيرة إما ولاد أكثرها من قول أبى تمام الطائى لمحمد بن عبد الملك الزيات :  
 فلو حاردت شول عذرت لقاحها ولكن حرمت الدر والضرع حافل  
 أكبرنا عطفاً علينا ؛ فإننا ما ظمأ رزح وأتم مناهل  
 وفيه يقول :

هذا مفامى يا بنى وائل من مستجيركم عائداً  
 أنشَبَ فيه الدهر أظفاره وعضه بالناب والناجد  
 فأنصموا منه أخاً حرمة لاذ بكم منه مع اللائد  
 فما أرى الدهر على حوزره يخرج من حكمم النافذ  
 وقال أيضاً

يا أيها السيد الذى هنت أنصار أمواله ولم يهين  
 فأضحكت فى يد الضعيف ودى القوهِ والباقل<sup>(١)</sup> واللسن  
 غيرى - على أننى مؤملك الأقدم - سائل بذاك واستجن  
 مادح عشرين حجة كملاً محرومها عنك غير مضطعن  
 فضلك أو عدلك الذى ائتمن الله عليه أجل مؤتمن  
 إن كنت فى الشعر ناقداً فطنا فلتعطني حق حصه القطر  
 وإن أكن فيه ساقطاً زمناً فلتعطني حق حصه الزمن

(١) الباقل : المنسوب إلى باقل ، وهو مضرب المثل فى العي (م)

سم بى ديوانك الذى عدلت جَدَوَاهُ بين الصحيح والضمين<sup>(١)</sup>  
 كثر بشخصى من استطعت من الناس فإن لم أزنك لم أشن  
 ما حق من لأن صدره لك بالود لقاء بجانب خشن  
 وقال أبو العباس الرومى لرجل مدحه فى كلمة :

أبعدَ لِقَاىَ دونك كلَّ قفرٍ يلدق الشخصُ فيه أن يُلاقى لابن الرومى  
 وإعماى إليك به المطايا وقد ضربَ الظلامُ له رِواقا  
 ورَفَضِى النومَ إلا أن ترانى أعانق واسط الكور اعتناقا  
 تسوق بنا الحداة فليس تدرى أسوقا كان ذلك أم سيقا  
 أصادف درّة المعروف شكرى لديك ولا أذوق لها ذواقا<sup>(٢)</sup>  
 يقول فيها :

غدا يعلو الجياد وكان يعلو - إذا ما استلهمه - السبب الرقاق<sup>(٣)</sup>  
 أعنتها الشُّعُوعُ فإن عراها حقاء انكد أنقلها طراقا<sup>(٤)</sup>  
 فروج بعد قفر منه نعيمى أرانى الله هُبَحَّتْهَا الطلاقا

[ ترجمة أبى العيناء وطرف من أحباره ]

قال أبو القاسم على بن حمزة بن شمردل : حدثنى أبى قال : سألت أبا العيناء  
 عن نسبه ، فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومى  
 من بنى حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سبلاء فى أيام المنصور ؛ فلما صار ياسر  
 فى قيده أعتقه ، فولأونا لبني هاشم ؛ وكان أبو العيناء ضيرير البصر ؛ ويقال :  
 إن جده الأكبر لى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فأساء مخاطبته ؛ فدعا  
 عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى منهم صحيح اللبس !

- (١) الضمن - على وزن كتف - المريض (٢) شكرى - على وزن سكرى - ملائنة  
 (٣) استفره : طلب الفاره القوى من الخيل ، والسبائك - بكسر السين المهملة -  
 جلود البقر ، يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب .  
 (٤) الطراق : جمع طرق ، وهو كل ما يحصف به النمل (م)

بين المتوكل  
وأبي العيناء

قال الصولى : حدثني أبو العيناء ، قال : لما أُدْخِلْتُ على المتوكلِ فدعوتُ  
له وكلمته استحسن كلامي ، وقال لى : بلغني أن فيك شراً ! فقلتُ : يا أميرَ  
المؤمنين ؛ إن يكن الشرُّ ذِكرَ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد رَكَّى اللهُ تعالى  
وذمَّ ، فقال فى التزكية : ( نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) ، وقال فى الذم : ( هَمَّازٍ مَشَاءٌ  
بَنِمِيمٍ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٌ ) . وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدحْ على الخيرِ أهلهُ      ولم أذمَّ الجُنُبَ اللثيمَ المذمما<sup>(١)</sup>  
فقيمَ عَرَفْتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ      وشقَّ لى اللهُ المسامعَ والفما؟  
وإن كان الشرُ كفعل العقربِ التى تَلْسَعُ السَّيَّ والدنْيَ بَطْنِعٍ لا بتميز فقد  
صانَ اللهُ عبدك عن ذلك !

فقال لى : بلغني أنك رَافِضِيٌّ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، وكيف أكونُ  
رافضياً وبلدى البصرةَ وَمَنْشَى فى مَسْجِدِ جامِعِها ، وأستاذِ الأَصْمَعِي ، وليس  
يَخْلُو القومُ أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ؛ فإن كانوا أرادوا الدينَ فقد أجمع  
الناس على تقديم مَنْ أُخْرُوا ، وتأخير مَنْ قَدِمُوا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فَأَنْتَ  
وَأَبَاؤُكَ أمراءُ المؤمنين ، لا دينَ إِلَّا بكَ ، ولا دنياً إِلَّا مَعَكَ .

قال : كيف ترى دَارِي هذه ؟ قال : قلت : رأيت الناس بَنَوْا دورهم فى  
الدنيا ، وأنت بنيتَ الدنيا فى دارك .

فقال لى : ما تقول فى عبيدالله بن يحيى ؟ قلت : نِعَمَ الْعَبْدُ لله ولك ؛ مَقَسَمٌ  
بين طاعته وخدمتك ، يؤثرُ رِضَاكَ على كل فائدةٍ ، وما عاد بصلاحٍ ملكك  
على كل لذةٍ .

قال : فما تقول فى صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ - وكان قد علم أنى

(١) الجبىس : هو الدنىء الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال :

ماض إذا أجباس بعد الكرى      تناكت أزواج أحلامها



ووجد عليه بتعصير وقع منه في أمرى - فقلت : يا أمير المؤمنين ، يد تسرق واست تضرط ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيته ، فله إقدام بما أدى ، وإحجام بما أبقى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف !

قال : قد أردت لك المجالسى ، قلت : لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلاً بمالى فى هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محجوب ، والمحجوب تختلف عليه الإشارة ، ويخفى عليه الإيحاء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غصبان ووجهك راض أو بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال : صدقت ، ولكن تلمنا ، قلت : لزوم القرص الواجب اللازم ، فوصلنى بعشرة آلاف درهم . ولأنى العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها فى بعض ، وسأورد مستظرفها إن شاء الله :

قال له المتوكل يوماً : يا أبا العيناء ؛ لا تكثر الوقعة فى الناس ، قال : إن لى فى بصرى لشغلاً عن الوقعة فيهم ، قال : ذلك أشد لحيفك فى أهل العافية ! وقال له يوماً : هل رأيت طالبيا حسن الوجه قط ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت أحداً قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ، قال المتوكل : تجده كان مؤجراً ، وتجده كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيناء : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أترانى أدع موالى على كثرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال : اسكت يامأبون ؟ قال : موالى القوم منهم ! قال المتوكل : أردت أن أشتى به منهم فاشتى لهم منى .

وكان أبو العيناء أحد الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً ، وأبلغهم خطاباً .

والتوكل أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته ، أظهر الانهماك وكان أصحابه يتسحفون ويستخفون بحضرته ، وكان يهأثر المجلساء ، ويفاخر الرؤساء ، على شهوته

وهو مع ذلك من قلوب الناس مُحَبَّب ، وإليهم مُقَرَّب ؛ إذ أمت ما أحياء  
الوائق من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجدال .

قال محمد بن مكرم الكاتب : مَنْ زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي  
العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم .

منزلة أبي العيناء  
في الكتابة

كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ، وهما يُطالبان  
بمال يبيعان له ما يَمْنِكَا من عَقَارٍ وَأَنْثَى وَعَبْدٍ وَأَمَةٍ . وقد أعطى بخادم أسود  
لعبيد الله خمسون ديناراً :

قد علمت — أصدقك الله ! — أن الكريم المنكوب أجراً على الأحرار من  
اللئيم الموفور ؛ لأن اللئيم يزيد مع النعمة لوئماً ، والكريم لا يزيد مع المحنة إلا  
كرماً ، هذا مُتَكِل على رازقه ، وهذا يُسِيء الظن بخالقه ، وعبدك إلى ملك «كافور»  
فقير ، وثمنه على ما اتصل بي يسير ؛ لأنه بخدمة السلطان يعرفني الرؤساء والإخوان ؛  
ولست بواجب ذلك في غيره من الغلمان ؛ فإن سمحت به فتلك عادتك ، وإن أمرت  
بأخذ ثمنه فمالك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك . فأمر له به .  
وسمع ابن مكرم رجلاً يقول : من ذهب بصره قلت حيلته ، قال : ما أغفلك  
عن أبي العيناء !

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان : أنا — أعزك الله تعالى ! —  
وولدي وعيالي زرع من زرعك ، إن سقيته راع وزكا ، وإن جفوته ذبل  
وذوي ؛ وقد مستى منك جفاء بعد بر ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدو ،  
وشمت حاسد ، ولعبت بي ظنون رجال كنتُ منهم لاعباً ، ولهم مجرّساً<sup>(١)</sup> ، والله  
در أبي الأسود في قوله :

من أبي العيناء  
لعبيد الله بن  
سليمان

لا تُهِنِّي بعد إذ أكرمتني وشديداً عادةً مُتَزَعَةً  
فوق في رقعة : أنا — أسعدك الله ! — على الحال التي عهدت ، وميلى إليك كما

(١) كنت لهم مجرّساً : أي كنت أكثر التسميع بهم . (م)

عامت ، وليس من أنساناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا ، وكان من حَقِّك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرَك ؛ وقد وقعت لك برزق شهرين ؛ لتريح غلتك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ، لِأُطْلَقَ لك باقَى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام .  
 وكان إذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعودُ بك من الرِّكبِ والرُّكبِ ، والآجرِ والخشبِ ، والروايا والقربِ .

قطعة من خطابه وجوابه :

من أجوبة  
 أبي العيَّاء

دخل على أبي الصقر بعد ما تأخر عنه ، فقال : ما أخرَك عنا ؟ قال : سُرق حمارى ، قال : وكيف سُرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال : فلم تأتِنا على غيرِه ؟ قال : قعدتُ عن الشراء قلةً يسارى ، وكرهتُ ذلةً المكارى ، ومنه العوارى وزجه رجل بالجرس على حماره ، فضرب يديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى ، قلْ للحمار الذى قوَّك يقول : الطريق !

ودخل على إبراهيم بن المدبر ، وعنده الفضل بن اليزيدى ، وهو يلقى على ابنه مسائل من النحو ، فقال : فى أى باب هذا ؟ قال : فى باب الفاعل والمفعول به ، قال : هذا بابى و باب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل وانصرف ؛ وكان البحرى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المدبر التى أولها :  
 ذكركَ نيلك رَوْحَةَ الشَّمولِ      أوقدتَ لَوْعَتِي وهاجتَ غَلِيلِي  
 أى شئ أهلك عن سر من را      وظلَّ للعيش فيها ظليل<sup>(١)</sup>  
 وفيها يقول :

أقتصاراً على أحاديثِ فضلٍ      وهو مستكرهٌ كثيرُ الفضولِ  
 فعلام اصطفتِ مُنكسفِ البَا      ل معادِ المخراقِ نَزْرَ القَبولِ<sup>(٢)</sup>

(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى

(٢) فى ديوان البحرى « فعلام اصطفتِ منكسف الزيف » (م)

إِنْ تَزَرَّهُ تَجِدْهُ أَخْلَقَ مِنْ شَيْبِ الْعَوَايِ وَمَنْ تَعَفَّى الطَّوْلُ  
 مُسْرَجًا مَلْجَمًا وَمَا مَتَعَ الصُّبْحُ حِجَّ ادْلَاجًا لِلشَّحْدِ وَالتَّطْفِيلِ (١)  
 غَيْرَ أَنَّ الْمَعْلَمِينَ عَلَى حَالٍ قَلِيلِ التَّمْيِيزِ ضَعْفَى الْعُقُولِ  
 فَإِذَا مَا تَذَاكَرَ النَّاسُ مَعْنَى مِنْ مَتَبِنِ الْأَشْعَارِ وَالْمَجْهُولِ  
 قَالَ : هَذَا لَنَا وَنَحْنُ كَشَفْنَا غَيْبَهُ لَلِاسْتِوَالِ وَالْمُسْتَوَالِ  
 ضَرْبِ الْأَصْمَعِيِّ فِيهِمْ أُمُّ الْأَحْمَرِ أَمْ أَلْقَحُوا بِأَيْرِ الْخَلِيلِ (٢)  
 جُلَّ مَا عِنْدَهُ التَّرَدُّدُ فِي الْفَا عِلِّ مِنْ وَالِدَيْهِ وَالْمَعْمُولِ

تعزية أبي العيناء لبعض الأمراء ، وإذا كنت البقية فالرزقية عطية ، والتعزية تهنية .

سؤاله عن مالك بن طوق : وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق ، فقال : لو كان في زمن بني إسرائيل  
 و نزل ذبئ البقرة ما ذبح غيره ! قيل : فأخوه عمر ؟ قال : كسرأب ببيعة  
 يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

سؤاله عن موسى بن عبيد الملك : وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شراب شر به عنده ،  
 فقال المتوكل بعد ذلك لأبي العيناء : ماتقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : ما قال الله  
 تعالى : فوكره موسى فقضى عليه ! فاتصل ذلك بموسى ، فلقى الوزير عبيد الله  
 ابن يحيى ابن خاقان ، فقال : أيها الوزير ، أردت قتلي فلم تجد إلى ذلك سبيلا  
 إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لي ؛ فعاتب عبيد الله  
 أبا العيناء في ذلك ، فقال : والله ما استعذبت الواقعة فيه حتى دمت سريره  
 لك ؛ فأمسك عنه .

ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال :  
 في أحوال مختلفة ، خيرها رؤيتك وشرها غيبتك ، فقال : قد والله اشتقتك !

(١) متع الصبح : ظهر ، والشحد والتطفيل : التسول والسؤال

(٢) الأحمر : هو خلف الأحمر

قال : إنما يَشْتَأِقُ الْعَبْدُ ؛ لأنه يتعَذَّرُ عليه لقاء مولاه ، وأما السَّيِّدُ فمَتَّى أَرَادَ عَبْدَهُ دَعَاهُ .

وقال له المتوكل : مَنْ أَسْخَى مَنْ رَأَيْتَ ؟ قال : ابنُ أَبِي دُوَادَ ، قال المتوكل : تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال : إنَّ الصَّدَقَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ليس في موضعٍ من المواضع أَتَفَقُّ منه في مجلسك ؛ وإنَّ الناسَ يغلطون فيمن يَنْسُبُونَهُ إلى الجود ؛ لأنَّ سخاء البرامكة منسوبٌ إلى الرشيد ، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوبٌ إلى المأمون ، وجودُ ابن أبي دُوَادَ منسوبٌ إلى المعتصم ؛ فإذا نَسَبَ الناسُ الْفَتَحَ وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاء فذلك سَخَاوُكُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : صدقت ؛ فمن أَبْجَلُ من رأيتَ ؟ قال : موسى بن عبد الملك ، قال : وما رأيتَ من يُخْلُهُ ؟ قال : رأيتُه يخدم القريب كما يخدم البعيد ، وَيَعْتَذِرُ من الإحسان كما يَعْتَذِرُ من الإساءة ، فقال له : قد وَفَّقْتَ فيه عندى مرتين ، وما أَحَبُّ لك ذلك ؛ فَأَلْقَهُ واعتذر إليه ، ولا يعلم أَنَّ وجهت بك ، قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، من يستكتمني بحضرة ألف ؟ قال : لن تخاف ، قال : على الاحتراش من الخوف .

فصار إلى موسى فاعتذر كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صلح ؛ فلقبه بعد ذلك بالجعفرى ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد اصطلحنا ، فمالك لا تأتينا ؟ قال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟ فقال موسى : ما أرانا إلا كما كُنَّا .

وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصراني وَاجِدْهُ عليك ، قال : ولن تَرْضَى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبِعَ ملتهم ! قال : إن جماعة من الكتاب يلوُمونك ! فقال :

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَى لِثَامِهَا  
قال المتوكل له : أكان أبوك في البلاغة مثلك ؟ قال : لو رأى أمير المؤمنين  
أنى لراى عبدا له لا يَرْضَانِي عبدا له .

وقيل لأبي العيناء : إن المتوكل قال : لولا أنه ضرير البصر لنادته ، فقال :  
 إن أعفاني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الفصوص ، فأنا أصلح للمنادمة .  
 ولقيه رجل من إخوانه في السّحر ، فجعل يُعجّب من بُكوره ، فقال :  
 أراك تشاركني في الفعل وتُفردني بالتعجب !

ووقف به رجل من العامة فأحسّ به ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : رجل من  
 بني آدم ! قال : مرحباً بك ، أطل الله بقاءك ! وبقيت في الدنيا ، ماظنتُ هذا  
 النّسل إلا قد انقطع !

ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : أَقْرُبْ مِنِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فقال :  
 أعزّ الله الوزير ، تقريبُ الأولياء ، وحزْمُ مَنْ الأعداء ، قال : تقريُّمك غنم ،  
 وحزْمُ مَنْك ظلم ؛ وأنا ناظرٌ في أمرِك نظراً يُصلِحُ مِنْ حالِك إن شاء الله .  
 وقال له يوماً : اعذرني فإنّ مشغول ، فقال له : إذا فرغت من شغلك لم  
 نَحْتَجْ إِلَيْكَ ، وأنشده :

فلا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا ؛ فَإِنَّمَا تُنَاطِبُكَ الْأَمَالُ مَا تَصِلُ الشُّغْلُ  
 ثم قال : ياستيدي قد عذرتك ، فإنه لا يصلحُ لشُكْرِك مَنْ لا يصلحُ لِعُذْرِكَ .  
 وأقبل إليه يوماً فقال : مِنْ أَيْنَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ قال : من مَطَارِحِ الْجَفَاءِ !  
 وقال له مرة : نحن في العطلة مَرَحُومُونَ ، وفي الوزارة محرومون ، وفي القيامة  
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ .

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد ، فقبل : هو مشغولٌ يُصَلِّي ، قال : لكل  
 جديدٍ لَذَّةٌ ! وكان صاعدهُ نصرانياً قبل الوزارة .

ودخل إلى عبيد الله بن سليمان ، فشكا إليه حاله ، فقال : أَلَيْسَ قَدْ كَتَبْنَا  
 لَكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ ؟ فقال : كتبت إلى رجلٍ قد قَصَرَ مِنْ هِمَّتِهِ طَوْلُ  
 الفقر ، وذُلُّ الأُسْرِ ، ومعاناةُ حِجْنِ الدَّهْرِ ، فأخففته في طَلْبَتِي ! قال : أَنْتَ  
 اخْتَرْتَهُ ؟ قال : وما لي - أعزّ الله الوزير ! - في ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سَبْعِينَ

جلا، فما كان منهم رَشِيدٌ ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابنَ أَبِي سَرَحٍ كَاتِبًا ، فرجع إلى المشركين مرتدًّا ، واختار على بن أبي طالب أبا موسى حاكما فحَكَمَ عليه !

[ إبراهيم بن المدبر ]

وكان إبراهيم بن المدبر أَسْرَهُ صاحبُ الزنج بالبصرة وحبسه ؛ فاحتال حتى نَقَبَ السَّجْنَ وهَرَبَ ، فلذلك ذَكَرَ أَبُو الْعَيْنَاءِ ذُلَّ الْأَمْرِ ، وكان قد ضُرِبَ فِي وَجْهِهِ ضَرْبَةً بَقِيَ أَثَرُهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَمُبَيَّنَةٌ شَهَرِ الْمَنَازِلِ وَسَمَهَا	وَالْخَلِيلُ تَكْبُو فِي الْعَجَاجِ الْكَابِي	لِلْبَحْتَرِيِّ
كَانَتْ بِوَجْهِكَ دُونَ عَرْضِكَ إِذْ رَأَوَا	أَنَّ الْوُجُوهَ تُصَانُ بِالْأُخْصَابِ	فِي ابْنِ الْمَدْبَرِ
وَلَمَّا أُسِرْتَ فَمَا الْإِسَارُ عَلَى أَمْرِي	نَصَرَ الْإِسَارَ عَلَى الْفِرَارِ بِعَابٍ <sup>(١)</sup>	
نَامَ الْمُضِلُّ غِنَى سُرَاكَ وَلَمْ تَخَفْ	عَيْنَ الرَّقِيبِ وَقَسْوَةَ الْبَوَابِ	
فَرَكِبَتْهَا هَوْلًا مَتَى تُخْبِرُ بِهَا	يُقِلُّ الْجَبَانَ : أَتَيْتَ غَيْرَ صَوَابِ	
مَا رَاعَهُمْ إِلَّا اسْتِرَاقَكَ مُضِلَّتَا	فِي مِثْلِ مُرْدِ الْأَرْقَمِ الْمُنْسَابِ <sup>(٢)</sup>	
تَحْمِي أَعْيِلِمَةً وَطَائِشَةً اخْطَى	تَصِلُ التَّلَافُتَ خَشْيَةَ الطَّلَابِ	
قَدْ كَانَ يَوْمَ نَدَى بِطَوْلِكَ بَاهِرًا	حَتَّى أَضْفَتَ إِلَيْهِ يَوْمَ ضِرَابِ <sup>(٣)</sup>	
ذِكْرُكَ مِنَ الْبَأْسِ اسْتَعَدْتَ إِلَى الَّذِي	أَعْطَيْتَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ	
وَوَحِيدَةً أَنْتَ انْفَرَدْتَ بِفَضْلِهَا	لَوْلَاكَ مَا كُتِبَتْ عَلَى الْكُتَّابِ	

[ حديث صاحب الزنج ، ودعواه ، و بطلانها ]

قال أبو بكر الصولي : حدثني محمد بن أبي الأزهر ، وقد ذاكرته خبره على صاحب الزنج ، قال : ادَّعَى أَنَّهُ عَلَى بَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ

(١) العاب : العيب (٢) المصلت : السيف ، والأرقم : الحية

(٣) الضراب : الطعان

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد ابن أحمد الذي ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان لحمد بن أحمد ولد اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى أنه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن علي .

قال أبو عبيدة محمد بن علي بن حمزة : ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره ؛ لأنه قُتل ابن ثمانى عشرة سنةً ولا ولد له .

قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن رحيب : هو ابن عم أبي لَحَا علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين من ضياع الري ، وهو القائل لبني العباس :

بنى عمنّا إنا وأنتم أناملُ      تضمنها من راجعَيْها عُقودُها  
بنى عمنّا وَلَيْتُمُ التُّركَ أَمْرَنَا      ونحن قديماً أصلُها وعمودُها  
فما بالُ عَجْمِ التُّركِ تقسمُ فَيَتَنَّا      ونحن لديها في البلادِ شُهودُها  
فأقسمُ لَأَذُقَ القَراحَ وإنْ أذُقُ      فبَلغةٌ عَيْشٍ أو يُبَادِعُ عِيدُها<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

كُفَّ نَفْسِي عَلَى قُصُورٍ بِبَغْدَا      دَوماً قد حَوَتْهُ مِن كُلِّ عَاصِ  
وَحُورٍ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا      ورجال على المعاصي حِراسِ  
نستُ بَابِنِ الفَواطِمِ الزُّهَرِ إِن لَمْ      أَقْجِمِ الخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ العِراسِ  
وله في هذا المعنى شعرٌ كثيرٌ قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نَجِمَ إلى أن قتل أربعَ عشرةَ سنةً ، وجملة مَنْ قتل ألفُ ألفٍ وخمسمائة ألف .

(١) البلغة - بضم الباء وسكون اللام - ما يبلغ به



[ عَوْدٌ إِلَى مَسْحِ ابْنِ الْعَيْنَاءِ ]

وذكر أبو العيْناء رجلاً ، فقال : ضحكك كالبكاء ، وتودّد كالغزاء ، ونوادر كندب الموتى !

وكان يُهاوتر ابن مكرم كثيراً ، وكتب إليه ابن مكرم يوماً : قد ابتعثت لك غلاماً من بني ناشر ، ثم من بني ناعِظ ، ثم من بني نهـد . فسكتب إليه : فأتنا بما تَمِدُّنا إن كُنْتَ من الصادقين .

وولد لأبي العيْناء ولد ، فأتى ابن مكرم فسلم عليه ، ووضع حجراً بين يديه وانصرف ، فأحس به ، فقال : مَنْ وضع هذا ؟ فقيل : ابن مكرم ، قال : لعنه الله ! إنما عرّض بقول النبي صلى الله عليه وسلم : الولدُ للفراش وللعاهر الحجر .

وقال لابن مكرم ، وقد قدم من سفر : مالك لم يُهدِ إلينا هدية ؟ قال : لم آت بشيء ، وإنما قدمت في خف . قال : لو قدمت في خف لخلّفت رُوحَكَ !

وأتى إلى باب إبراهيم بن رياح ، فحُجِب ، فقال : إذا شغل بكأس يميناه وبحر يُسْرَاه ، وانتسب إلى أبٍ لا يعرف أباه ، لا يحفل بحجاب مَنْ أتاه .

وقدّم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة ، فجعل لا تقع يده إلا على عظم ؛ فقال : جعلت فداك ! هذه قدر أو قبر ؟ .

ودعا ضريراً ليعشيه ، فلم يدع شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا ، دعوتك رحمةً فتركتني رحمة .

---

قد تم — بحول الله وقوته ، وحسن دعوته — الجزء الأول من كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » لابن إسحاق الحصري ، ويليهِ — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحةً بقول المصنف « ألفاظ لأهل العصر في صفات انطعام ومقدماته ، وموائد وآلاته » نسأل الله — جلت قدرته ! — أن يعين على إكمله ، إنه ولي ذلك .

# فهرست الجزء الأول

## من كتاب زهر الآداب

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٩	جواب علي شعر جرير		مقدمة الطبعة الأولى
٥٩	فضل الشعر		مقدمة الطبعة الثانية
٦٠	شذور من كلام الرسول	٣٠٠	مقدمة المؤلف
٦٣	شعراء الرسول	٤٠	إن من التينان لسحرا
٦٥	أبو سفيان بن الحارث	٤٠	عمرو بن الأهمم والزرقان بن بدر
٦٥	شعر كعب بن مالك		بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٥	قصة النضر بن الحارث	٤١	ترجمة عمرو بن الأهمم
٦٧	رثاء أبي بكر لرسول الله		— ترجمة الزرقان بن بدر
٦٧	مناقب أبي بكر	٤٢	غلام يتكلم في حضرة عمر بن عبدالعزيز
٦٨	خطبة أبي بكر يوم مات الرسول	٤٣	كتاب من ابن العميد لبعض إخوانه
٦٩	رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله	٤٤	السحر الحلال
٧٠	عود إلى المختار من كلام أبي بكر	٤٤	وصف رجل محبوب
٧١	رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها	٤٥	عليه بنت المهدي
٧٢	عمر بن الخطاب	٤٨	قيد الأوابد
٧٤	بكاء عمر	٤٦	عود إلى حلاوة الحديث
٧٥	عاتكة بنت زيد	٥٥	الشعر والبيان
٧٥	عثمان بن عفان	٥٥	تفسير حديث وضبطه
٧٨	علي بن أبي طالب		— الخطيئة وبنو أنف النافعة
٨٣	عمرو بن عبدود	٥٦	بنو العجلان والنجاشي
٨٤	بيضة البلد	٥٦	حكومة عمر في الشعر
٨٥	هوان قبيلة عاملة	٥٧	جرات العرب
٨٦	كلام الصحابة والتابعين	٥٧	انتقام امرأة
٨٦	آثار معاوية	٥٨	تعريض قاذح

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٨٨	الأخف بن قيس ومعاوية	١٢٥	عبد الله بن معاوية
٩٠	شعر زهير	١٢٧	الحسن بن زيد
٩١	التهنئة والتعزية	١٢٩	إبراهيم بن هزيمة
٩٤	أهل البيت	١٣٠	موسى بن عبد الله
٩٥	وصف قریش وبنی هاشم	١٣٠	بين علي بن محمد العلوي والحسين بن إسماعيل
٩٧	الحسن بن علي وجيب بن مسلمة	١٣١	العباس بن الحسين الهاشمي
٩٩	المصيبة بأبناء النبوة	١٣٣	موسى بن جعفر
١٠٠	بين الحسن ومحمد بن الحنفية	١٣٣	علي بن موسى
١٠٠	الدنيا في رأي الحسين	١٣٤	دعبل بن علي يرثي آل البيت
١٠١	معاوية والحسين	١٣٤	أوصاف الأشراف
١٠٢	ابن أبي ربيعة وسكينة بنت الحسين	١٣٨	الابتداء بحمد الله
١٠٢	علي بن الحسين زين العابدين	١٣٩	من شعر محمود الوراق
١٠٣	قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين	١٤٠	البيان والبلاغة
١٠٦	لذي الرمة يمدح بلال بن أبي بردة	١٤٠	فضل القرآن على سائر الكلام
—	للبحرئ يمدح الفتح بن خاقان	١٤١	ماهية البلاغة لابن الرمانى
١٠٩	عاقبة الحرب	١٤٢	ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن
١١٢	للبحرئ في قتال الأقارب	١٤٣	أقوال في البلاغة
١١٢	لأبي تمام في المعنى	١٤٣	عمرو بن عبيد
١١٤	لابن الحياض يمدح مالك بن أنس	١٤٥	البلاغة عند أهل الهند
١١٥	لأشجع السلمي	١٤٥	البلاغة في رأي ابن المقفع
—	من شعر أبي تمام	١٤٦	الإطالة والإيجاز
١١٧	محمد بن علي بن الحسين الباقر	١٤٨	المعاني والألفاظ
١١٨	مصرع زيد بن علي	١٥١	بشار بن برد
١٢٠	عبد الله بن الحسن	١٥٢	وصية أبي تمام للبحرئ
١٢١	بين عبد الملك بن مروان وعمر بن أبي ربيعة	١٥٣	فضل الليل للحاتمي
١٢٢	للعديل بن الفرخ	١٥٤	فضل التروى والأناة
١٢٢	عود إلى عبد الله بن الحسن	١٥٥	واجب النساخ
١٢٣	امرأة محمد بن عبد الله	١٥٥	صور مختلفة للبلاغة
١٢٤	جعفر بن محمد		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٦٠	صفة البلاغة والبلغاء	٢٠٠	فطنة إياس بن معاوية وفوة لسنه
١٦٤	وصف النثر والشعر	٢٠٠	الفرار من الحديث المملول
١٦٥	كتاب لابن العميد	٢٠١	طرف أدبية
١٦٧	كتاب للصاحب بن عباد	٢٠٢	ملح الغاضرى
١٦٨	أبو الفضل الميكالى	٢٠٣	ملح أشعب
١٦٩	أبو منصور الثعالبي	٢٠٤	أبو نواس
١٧١	رسائل الميكالى	٢٠٥	الجماز
١٧٣	وصف أبى الفضل الميكالى	٢٠٦	أبو تمام يمدح عمرو بن طوق
١٧٦	وصف البلاغة	—	ويمدح الحسن بن وهب
١٧٦	لأبى الفتح البسى	٢٠٧	رواية الشعر والنسيب
١٧٧	للطوعى يمدح الميكالى	٢٠٨	عروة بن أدينة
١٧٨	لثعالبي يمدح الميكالى	١٧٧	أبو السائب المخزومى
١٧٩	لثعالبي فى وصف فرس	٢٠٩	عود إلى عروة بن أدينة
١٧٩	لثعالبي يوجب الميكالى	٢١٠	حب الأحوص
١٨٠	للميكالى يوجب الثعالبي	٢١١	ظرف أهل الحجاز ورقمهم
١٨٠	الوزير المهلبى	١٧٩	أبو حازم
١٨١	الحكمة ضالة المؤمن	٢١٢	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
١٨٢	وصف الكتاب للجاحظ	١٨٠	فقهاء المدينة السبعة
١٨٥	تهادى الكتب	٢١٣	أبى نواس
١٨٨	أوصاف الكتب	١٨١	لأبى محمد بن أبى أمية
١٩٣	المحادثة والمجالسة	٢١٤	ظرف أهل المدينة
١٩٣	الفهم والإفهام	٢١٦	لتشبيب بأخت الحجاج
١٩٥	واجب الجاليس	١٨٥	وصف الدنيا لابن المعتز
١٩٦	الحديث المعاد	٢١٨	بين ابن المعتز وثعلب
١٩٦	أنواع الأدب	٢١٩	شعر ابن المعتز
١٩٨	تقسيم الأبياء	٢٢٠	وصف النار للبيضاء
١٩٩	إياس بن معاوية يحتج للأطناب	٢٢١	عود إلى شعر ابن المعتز
—	الجاحظ يرد عليه	١٦١	رثاء المنصور
—	ابن هبيرة يريد إياسا على القضاء	٢٢٣	وصاف الرجال
٢٠٠	أبو العيناء وقينة	٢٢٥	نثر ابن المعتز

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢١٢	يصف الماء وما يتصل به	٢٥٨	كلام الخلفاء
٢١٩	كة الجعفرى للبحترى	٢٥٦	مقتل المتوكل
١٩٩	فصور المتوكل لابن الجهم	٢٦٠	وفاء البحترى
٢٢١	وصف موضع للبحترى	٢٦١	رثاء المتوكل للسبلي
٢٢٢	صنوبرى يصف موضعاً فى حلب	٢٦٢	أبو حية النمرى
٢٢٢	ليكالى يصف بركة	٢٣٣	وصف الشباب لهارون بن يحيى
—	لعلى بن محمد الإيادى يصف داراً بالمنصورية	٢٦٥	قعر فى وصف الشباب
٢٢٥	الماء والغدران	٢٦٧	بين ابن مناذر وأبى حية النمرى
٢٢٧	وصف الرعد والبرق	٢٣٦	أعباء الكهولة لعمرو بن قميصة
٢٤١	الشرب فى الصحو	٢٦٨	للنمر بن تولب
٢٤٢	وصف شدة الشوق	٢٦٩	من شعر حميد بن ثور
٢١٠	وصف رجل حازم لابن المقفع	٢٧٠	لمحمود الوراق
٢٤٣	إبراهيم بن أدهم	—	للمتنى
٢٤٤	وصف التقي والزهد لابن كناسة	—	للبحترى
٢١٢	من أخبار ابن المقفع	—	لابن هانى
٢٤٥	ترجمة الأصوص	٢٧١	لابن الرومى
٢١٣	فهم المنصور	—	لأبى تمام
٢٤٦	بلية الحسد لابن المقفع	٢٧٢	وصف الثغر
٢٤٧	ألسنة الحساد	٢٧٤	وصف الجوارى السود
٢١٦	وصف الحسد	٢٧٥	التهنئة بنوأمين
٢٤٨	التلطف فى الطلب	٢٨٠	وصف الأفواه
٢٤٩	من كلام على بن عبيدة الرىحاني	٢٨١	شعر أبى نواس
٢٥٠	بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن أبى دواد وبختيشوع الطيب	٢٨٢	طرفة أديبة
٢٥١	أردشير بن بابك	٢٨٧	تظرف الحارث بن خالد
٢٥٢	أخلاق الملوك	٢٥٧	من أخبار عائشة بنت طلحة
٢٥٣	أخت ملك الحزر	٢٨٩	مثل من التعريض
٢٥٤	أقوال الملوك والحكام	٢٩٠	الثريا بنت على
٢٥٧	همة سعد بن ناشب	٢٩١	عزة كثير
		٢٩٢	ظرف ابن أبى عتيق
		٢٩٣	كمثل الشيطان

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
أبيات مختارة في معان شتى	٢١١	رملة بنت عبد الله	٢٦١
أبو العيناء	٢٨٣	صفقة أبي غبشان الذي باع مفتاح	٢٩٨
بين أبي الصقر وابن الرومي	٣١٥	الكعبة بزق خمر	
ترجمة أبي العيناء، وطرف من أخباره	٣٢١	عفة ابن أبي ربيعة	٢٩٥
أحاديثه مع التوكل	٣٢٢	بين ابن جريج ومعن بن أوس	٢٩٦
التوكل أول من أظهر الانكباب	٣٢٣	عائشة بنت طلحة	٣٠١
على الشهوات من العباسيين ..		نمامة ابن الرومي	٣٠٢
منزلة أبي العيناء في الكتابة	٣٢٤	سليمان بن عبد الملك وأعرابي	٣٠٣
— من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان		وصف رجل ماجد	٣٠٤
نواذره، وفكاهاته، وأجوبته	٣٢٥	البديع الهمداني، وكيف استوحى	٣٠٥
إبراهيم بن المدبر	٣٢٦	صنع المقامات	
صاحب الزنج	٣٢٧	كتابه إلى أبي نصر الليكالي	٣٠٦
عود إلى ملح أبي العيناء	٣٣٠	عتابه لليكالي	٣٠٩

تمت فهرس الجزء الأول من « زهر الآداب » والحمد لله أولاً وآخراً  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

زَهْرُ الْأَعْيُنِ





# زهرا الاكابر

وثمر الالباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني ، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان

ص. ب. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

## ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام

ومقدماته ، وموائد ، وآلاته

أَفْرِشْ طَعَامَكَ اسم الله ، وَالْحَفْهُ حمد الله . لَا يَطِيبُ حُضُورَ الْخِوَانِ ،  
إِلَّا مَعَ الْإِخْوَانِ . الْبَخْلُ بِالطَّعَامِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الطَّعَامِ . الْكَرِيمُ لَا يَحْظُرُ ، تَقْدِيمَ  
مَا يَحْضُرُ . قَدْ قَامَتْ خُطْبَاهُ الْقُدُورِ . قُدُورُ أَبْكَارٍ ، بِخَوَاتِمِ النَّارِ . قَدْرُ طَارِ  
عَرَفُهَا ، وَطَابَ غَرَفُهَا . دَهْمَاءُ تَهْدِرُ كَالْفَتَنِيقِ <sup>(١)</sup> ، وَتَفُوحُ كَالسَّيْنِكِ الْفَتَنِيقِ .  
مَائِدَةُ كِدَارَةِ الْبَدْرِ ، تَبَاعَدُ بَيْنَ أَنْفَاسِ الْجَلَّاسِ . مَائِدَةُ مِثْلُ عُرُوسٍ . مَائِدَةُ  
لَطِيفَةٍ ، مَحْفُوفَةٌ بِكُلِّ طَرِيفَةٍ . مَائِدَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى بَدَائِعِ الْمَأْكُولَاتِ ، وَغَرَائِبِ  
الطَّيِّبَاتِ . مَائِدَةُ كَأَنَّهَا عَمَلُهَا صُنَاعُ صُنْعَاءَ ، تَجْمَعُ بَيْنَ أَنْوَارِ <sup>(٢)</sup> الرِّبْعِ ،  
وَيَمَارِ الْخَرِيفِ ..

وقال الجمار : جَاءَنَا فُلَانٌ بِمَائِدَةٍ كَأَنَّهَا زَمَنُ الْبِرَامِكَةِ عَلَى الْعَفَاةِ !  
وَذَمَّ آخَرَ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَحْضُرُ مَائِدَتَهُ إِلَّا أَكْرَمُ الْخَلْقِ وَالْأَكْرَمُ . يُرِيدُ  
الْمَلَأْنِكَةَ وَالذَّبَابَ .

وقال ابن الجباج لرجل دعاه وأخر الطعام :  
قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ  
وَلِبَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ يَذَمُّ رَجُلًا :  
خِوَانٌ لَا يُبْلَى بِهِ ضُيُوفٌ وَعَرِضٌ مِثْلُ مَنْدِيلِ الْخِوَانِ  
رُغْفَانٌ كَالْبَدُورِ الْمُنْطَقَةِ بِالنَّجُومِ . حَمَلٌ ذَهَبِي الدَّمَارِ ، فِضْيُ الشَّعَارِ . أَطِيبُ  
مَا يَكُونُ الْحَمْلُ ، إِذَا حَلَّتْ الشَّمْسُ الْحَمْلَ <sup>(٣)</sup> . جَدْيٌ كَأَنَّهَا نَدَفٌ عَلَى جَبِينِهِ الْقَزَ .  
زَيْرَبَاجَةٌ ، هِيَ الْمَائِدَةُ دِيْبَابَجَةٌ ، تَشْفِي السَّقَامَ ، وَلَوْهَا لَوْنُ السَّقِيمِ . سِكْبَاجَةٌ تَفْتَقُ

(١) الفتيق : الفجل الهائج (٢) في الأصل « أنواع » وهو تحريف .

(٣) الحمل الأول : الصغير أولاد الضأن ، والحمل الثاني : برج في السماء (م)

الشهوة ، واسفيداجة تُغذَّى القرم<sup>(١)</sup> ، وطبَاهِجَة يُتَفَسِّكُه بها ، وَخَبِيسَ يَحْتَمِ  
 بخير. طبَاهِجَة من شرط الملوك ، كأَعْرَافِ الديوك ، وَقَلِيَّةٌ كالعود المَطْرَى. مغمومة  
 تفرج غَمَّ الجائع . هريسة نَفِيسَة ، كأنها خيوط قَرَمَشْتَبِكَة ، كأن المرءى<sup>(٢)</sup> عليها  
 مُصَارَةُ المسك على سبيكة الفضة . أرزة مَلْبُونَة ، في السكر مدفونة . شواء شراش<sup>(٣)</sup>  
 وفالودج رَجْرَاج<sup>(٤)</sup> . طبَاهِجَة تغذى ، وفالودجة تعزى ، واسفيداجة تصفع قفًا  
 الجوع<sup>(٥)</sup> . لا فِرَاشَ للبيذ ، كالحمل الحنيد<sup>(٦)</sup> . دجاجة سميطة ، لها من الفضة  
 جسم ، ومن الذهب قشرة . دجاجة دينارية ثمنًا ولونا .

لابن الرومى  
 في وصف طعام  
 وهذا محلول من قول على بن العباس الرومى يصف طعاماً أكله عند أبي بكر  
 الباقتانى :

وسميطة صفراء دينارية	ثمنًا ولونًا زفها لك حزور <sup>(٧)</sup>
عظمت فكادت أن تكون أوزة	وغلت فكاد إهابها ينفطر
طفقت تجود بذوبها جودابة	فأتى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها	فكان تبرأ عن لجين يقشر
وتقلقمتها قبل ذاك ثرائد	مثل الرياض بمثل ذاك تصدّر
ومرقت كلهن من خرف	بالببيض منها ملبس ومدثر
وأنت قطائف بعد ذاك لطائف	ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها	دمع العيان من الدهان يعصر

(١) في نسخة « تغزو القرم » والقرم : شديد الشهوة إلى أكل اللحم (م)

(٢) المرئى : ضرب من الإدام (م)

(٣) الشواء : اللحم المشوى ، وشراش : سمين (م) (٤) من كلام أبي بكر الخوارزمي

(٥) تلك أسماء الأطعمة التي كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها

أسماء فارسية تغيب عنا مسمياتها الآن ؛ لأن للأطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها

تركية وفرنسية (٦) الحنيد : المشوى (م) (٧) الحزور : السريع إلى إكرام الضيف .

قال البديع : حدثني عيسى بن هشام قال : اشتهيت الأَزَادَ ، وأنا بَعْدَازٍ<sup>(١)</sup> ،  
وليس معي عَقْدٌ ، عَلَى نَقْدٍ<sup>(٢)</sup> ، فخرجتُ أَنْتَهَزُ محالَهُ ، حتى أَحلَّني الكَرْخُ<sup>(٣)</sup> ؛  
فإذا أنا بسَوَادِيٍّ يَحْدُو بِالْجَهْدِ حمارَهُ ، وَيُطَرِّفُ بِالْعَقْدِ إِزارَهُ<sup>(٤)</sup> ؛ فقلتُ :  
خَفَرْنَا والله بصَيِّدٍ ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ ! مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ ؟ ومتى  
وَأَفَيْتَ ، فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ . فقال السَّوَادِيٌّ : لستُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وإنما أَبُو عُبَيْدٍ !  
فقلتُ : نعم لَعَنَ اللهُ الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ ، أَنَسَانِي طُولُ الْعَهْدِ بِكَ ،  
كَيْفَ أَبُوكَ ، أَشَابَ كَعَهْدِي ، أَمْ شَابَ بَعْدِي ؟<sup>(٥)</sup> قَالَ : قد نَبَتِ الْمَرْعَى  
عَلَى دِمْنَتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّاللهُ ، وَلَا قُوَّةَ  
إِلَّا باللهُ ، ومددت يَدَ الْبِدَارِ ، إِلَى الصَّدَّارِ<sup>(٧)</sup> أُرِيدُ تَمْزِيْقَهُ ، وَأُحَاوِلُ تَخْرِيقَهُ<sup>(٨)</sup>  
فقبض السَّوَادِيٌّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ<sup>(٩)</sup> ؛ وقال : نَشَدْتُكَ باللهُ لَامَرْقَتِهِ ، فقلتُ :  
فهلم إِلَى الْبَيْتِ نَصِبْ غَدَاءً ، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً ؛ والسُّوقُ أَقْرَبُ ، وَطَعَامُهُ

مقامة  
لبديع الزمان  
فيها وصف طعام

- 
- (١) الأَزَادُ : من أجود أنواع التمر ، وبغداد : هي بغداد  
(٢) ليس معي عقد على نقد : أي ليس معي نقود يعقد عليها الكيس والثوب  
(٣) المحال : جمع محل ، والكَرْخُ : من الجانب الغربي من بغداد  
(٤) السَّوَادِيٌّ : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السَّوَادِ ، وسمي العراق سواداً  
لأنه كثساء أرضه بالخضرة ، ومعنى «يطرف بالعقد إزاره» أي يرد أحد طرفيه إلى الآخر  
(٥) كعهدي : أي كعهدي به حين عرفته  
(٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا ينبت الربيع على الدمنة إلا حين يبعد عهدها  
بالخراب ، يريد أن أباه مات منذ زمن طويل .  
(٧) البدار : المسارعة ، والصدار : قبض صغير يلى البدن  
(٨) يريد أنه هم بتمزيق ثوبه من الحزن  
(٩) جمع الكف - بضم الجيم - قبضته

أطيب ، فاستنزته حُمَةُ الْقَرَمِ <sup>(١)</sup> ، وعَطَفَتْهُ عطفة النَّهَمِ ، وطَمِعَ ، ولم يعلم أنه وقع ، ثم أتيت شَوَاءً يتقاطرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا ، ويتسائل جُودَابُهُ مَرَقًا <sup>(٢)</sup> ، فقلت : أبرز لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زِنْ له من تلك الحُلُوءِ ، واختر من تلك الأطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيثا من ماء السَّمَاقِ <sup>(٣)</sup> ؛ ليأكله أبو زيد هنيئا . فأنحى الشَّوَاءَ بساطوره <sup>(٤)</sup> ، على زُبْدَةِ تَنْوَرِهِ ، فجعلها كالكمحل سَحَقًا ، وكالطحين دَقًا ، ثم جلس وجلست ، ولا نَبَسَ ولا نبست ، حتى استوفيناها . وقلت لصاحب الحُلُوءِ : زِنْ لأبي زيد من اللوزينج رطلين <sup>(٥)</sup> ، فإنه أجرى في الحُلُوقِ ، وأمرى في العروق ، وليكن ليليَّ الْعُمَرِ ، ويوميَّ النَّشْرِ <sup>(٦)</sup> ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصَّمغِ ، قبل المضغ ، ليأكله أبو زيد هنيئا . فوزنه ، ثم قعد وقعدتُ ، وجردَ وجردتُ <sup>(٧)</sup> . واستوفيناها ، ثم قلت : يا أبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يُشَعِّعُ بالثلج ، ليقمع هذه الصَّارَةَ <sup>(٨)</sup> ، وَيَفْتَأَ هذه اللَّقْمَ الحارَةَ <sup>(٩)</sup> ؛ اجلسْ أبا زيد حتى آتاك بسقاء ، يُخَمِّينَا بِشَرْبَةٍ من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراد ولا يرانى ، أنظر ما يُصْنَعُ به . فلما أبطأتُ عليه قام السَّوَادِيُّ إلى حماره ، فاعتلق الشَّوَاءَ بإزاره .

(١) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم

(٢) الجوداب : خبز يوضع في التنورة ومعه طائر أو لحم

(٣) السماق : حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان

(٤) الساطور : آلة يقطع بها الجزار اللحم

(٥) اللوزينج : نوع من الحُلُوءِ يصنع من نوع من الحبز يسقى بدهن اللوز ،

ويحشى بالجوز .

(٦) ليلي العمر : صنع من ليلته ، ويومي النشر : نشر في يومه

(٧) جرد وجردت : يريد أن كلا منهما جرد يده من ثيابه استعداداً للمائدة

(٨) الصارة العطش

(٩) يفتأ : يسكن

وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ قال : ما أكلته إلا ضيفا ! قال الشّواء : هاك وآك متى دعوناك ؟ زن يا أبا القعجة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين ! فجعل السّوادى يبكى ويمسح دموعه بأردانه ، ويحلّ عُقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ ، ويقول : كم قلت لذلك القُرَيْد ، أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبوزيد ! ؟ فأنشدت :

اعمل لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ لَا تَقْعَدَنَّ بَدْلَ حَالِهِ

وإنهَضَ بِكُلِّ عَزِيمَةٍ فَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا الْمَحَالَةَ<sup>(١)</sup>

لعلى بن يحيى  
المنجم

ومن مליح ما قيل في التّطائف قول على بن يحيى بن أبى منصور المنجم :

قَطَائِفٌ قَدْ حُشِيَتْ بِاللُّوزِ وَالسَّكْرِ الْمَادِي حَشْوَ الْمَوْزِ<sup>(٢)</sup>

يَسْبَحُ فِي آدِي<sup>(٣)</sup> دُهْنِ الْجَوْزِ سُرِرْتُ لَمَّا وَقَعْتُ فِي حَوْزِي

سُرُورِ عَبَّاسٍ بِقُرْبِ فَوْزِ<sup>(٤)</sup>

ومن ألفاظ أهل العصر في الحلواء : فالزوج بلُبابِ البرِّ ، ولُعَابِ النَّحْلِ ،  
كَأَنَّ اللُّوزَ فِيهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ ، فِي سَمَاءٍ عَقِيقِ .

لابن الرومى  
يصف اللوزينج

ولم يقل أحد في صفة اللوزينج أحسن من قول ابن الرومى :

لَا يُحِطُّنِي مِنْكَ لَوْزِينَجٌ إِذَا بَدَأَ أُعْجِبَ أَوْ عَجَبَا

لَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ فِي صَخْرَةٍ لَسَهَّلَ الطَّيْبُ لَهُ مَذْهَبَا

لَمْ تُغْلِقِ الشَّهْوَةُ أَبْوَابَهَا إِلَّا أَبَتْ زُلْفَاهُ أَنْ يُحْجَبَا

يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْلَبَا<sup>(٥)</sup>

(١) قد ترجمنا هذه المقامة الطريفة إلى الفرنسية في كتابنا

La prose Arabe au IV siècle de l'Hégire

(٢) المادى : العسل

(٣) الآدى : الموج

(٤) فوز : هى معشوقة العباس بن الأحنف

(٥) اللولب : استدارة الماء

عَاوَنَ فِيهِ مَنَظَرٌ نَخِيرًا      مُسْتَحْسَنٌ سَاعِدَ مُسْتَعْدَبَا  
 مُسْتَكْنَفُ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهُ      أَرْقُ جِلْدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا<sup>(١)</sup>  
 كَأَنَّمَا قُدَّتْ جَلَابِيْبُهُ      مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَبَّيَا<sup>(٢)</sup>  
 يُخَالُ مِنْ رِقَّةٍ خِرْشَائِهِ<sup>(٣)</sup>      شَارَكَ فِي الْأَجْنَحَةِ الْجُنْدُبَا<sup>(٤)</sup>  
 لَوْ أَنَّهُ صُورَ مِنْ خُبْرِهِ      تَغَرَّرَ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْنَبَا<sup>(٥)</sup>  
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ يَوَدُّ الْفَتَى      أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرْكَبَا  
 مَذْهُونَةً زَرْقَاءَ مَدْقُوقَةٍ<sup>(٦)</sup>      صَهْبَاءَ تَحْكِي الْأَزْرَقَ الْأَشْهَبَا  
 قَرَّةَ عَيْنٍ<sup>(٧)</sup> وَفَمٍ حُسْنَتْ      وَطَيَّبَتْ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا  
 دِيفٌ لَهُ اللَّوْزُ ؛ فَمَا مُرَّةٌ      مَرَّتْ عَلَى الذَائِقِ إِلَّا أَبِي<sup>(٨)</sup>  
 وَانْتَقَدَ الشُّكْرَ نُقَادُهُ      وَشَاوَرُوا فِي نَقْدِهِ الْمَذْهَبَا  
 فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ      وَلَا إِذَا الضَّرْسُ عَلَاهُ نَبَا  
 لَا تُنْكِرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ      وَجَّهَ تَلَقَّاءُكُمْ الْمُطْلَبَا

هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد  
 ابن عبد الله بن بشر المرثدي ، ويهنيه بابن ولده ، وأولها :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَوَكَبَا      أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أُتْجِبَا  
 قَالَ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاجِمُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ وَهُوَ يَعْمَلُ هَذِهِ

- 
- (١) رواية الديوان « أرق قشرا »  
 (٢) حجب : صار ذا حجب ، بالتحريك . ورواية الديوان « من أعين القطر  
 الذي قبا » وفي رواية أخرى « طبا »  
 (٣) الخرشاء : الجلدة الرقيقة (٤) الجندب : الجراد  
 (٥) الأشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعدوبة في الأسنان  
 (٦) كذا في الأصل . وفي الديوان « مدقونة » (٧) رواية الديوان « ملذعين »  
 (٨) يريد أن صانع اللوزينج كان يختبر اللوزليطرح منه ما يحذفه مرارة



القصيدة ، فقلت : لوتفَاءَلَتْ فيها لأبى العباس بسبعة من الولد ؛ لأن أبا العباس منكوساً سابعٌ ، لجاء المعنى ظريفاً ، فقال :

وقد تفاءَلْتُ له زاجِراً كُنَيْتَه ، لا زاجِراً ثَعْلَبَا  
إِنِّي تَأَمَّلْتُ له كُنَيْتَهُ إِذَا بَدَأَ مَتْلُوبُهَا أَعْجَبَا  
يَصْنُوعُهَا الْعَكْسُ أَبَا سَابِعٍ لَا كَذَّبَ اللَّهُ وَلَا خَبِيبَا  
بَلْ ذَاكَ قَالَ ضَامِنٌ سَبْعَةً مِثْلَ الصَّقُورِ اسْتَشْرِفَتْ مَرْقَبَا  
يَأْتُونَ مِنْ صُلْبِ فِتْيٍ مَاجِدٍ وَذَاكَ قَالَ لَمْ يَعُدْ مَعْطَبَا  
وَقَدْ أَتَانَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ فَلَنَنْتَظِرْهُمْ سِتَّةَ غُمَيَّا  
فِي مُدَّةٍ تَغْمُرُهَا نِعْمَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ لَهُ تَرْتُبَا (١)  
حَتَّى نَرَاهُ جَالِسًا بَيْنَهُمْ أَجَلَ مَنْ رَضَوِي وَمَنْ كَبَّكْبَا (٢)  
كَالْبَدْرِ وَافِي الْأَرْضِ مِنْ نُورِهِ بَيْنَ نَجُومٍ سَبْعَةٍ فَاجْتَبِي (٣)  
وَلْيُشْكِرِ النَّاجِمُ عَنْ هَذِهِ فَإِنَّهَا مِنْ بَعْضِ مَا يَوَبَا  
سَدَّيْ وَالْحَمْتُ أَخْ لَمْ أَزَلْ أَشْكُرُ مَا أَسْدَى وَمَا سَبَّيَا

وكان ابن الرومي منهوماً في المآكل ، وهي التي قتلته ، وكان مُعْجَباً بهم ابن الرومي بالسّمك ، فوعده أبو العباس المَرثَدِي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تَمْتَطِع ، وحبّه السمك فبعث إليه يوم سَبْتٍ ، ثم قطعه ، فقال :

مَا لِحَيَاتِنَا جَفَّتْنَا وَأَنْى أَخْلَفَ الزَّائِرُونَ مَنْتَظِرِيهِمْ  
جَاءَ فِي السَّبْتِ زُورُهُمْ فَأَتَيْنَا مِنْ حِفَاطٍ عَلَيْهِ مَا يَكْفِيهِمْ (٣)

(١) الترتب - على وزن قنْفَذ وجندب - الشيء المقيم الثابت

(٢) رضوى وكبكب : جيلان (٢) احتبى : جمع بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها . وهي جلسة معروفة عند أشرف العرب - كذا ، والصواب « فاجتبي »  
بالجيم - أى اختار واجتبي (٢) (٤) الزور : الضيف

وجعلناه يوم عيد عظيم  
وأراهم مُصَمِّينَ عَلَى الْهَجْرِ فَلَمْ يُسَخِّطُونَ مَنْ يُرْضِيهِمْ  
قد سَبَّنا وما أَتَّنا وكانوا يوم لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ

فاتَّصل ذلك بالناجم ، فكتب إلى ابن الرومي :

من الناجم إلى  
ابن الرومي

أَبَا حَسَنِ أَنْتَ مَنْ لَا تَزَالُ تَحْمَدُ فِي الْفَضْلِ رُجْحَانَهُ  
فَكَمْ تُحْسِنُ الظَّنَّ بِالْمُرْتَدِّ وَقَدْ قَلَّلَ اللَّهُ إِحْسَانَهُ  
أَلَمْ تَذَرِ أَنْ الْفَتَى كَالسَّرَابِ إِذَا وَعَدَ الْوَعْدَ إِخْوَانَهُ  
فَبَجَرَ السَّرَابُ يَفُوتُ الطَّلُوبَ فَقُلْ فِي طَلَابِكَ حَيَاتَانَهُ

وخرج ابن الرومي إلى بعض المنزهات وقصدوا كرمًا رازقيًا ، فشرّبوا

لابن الرومي

هناك عامّة يومهم ، وكانوا يتهمونهم في شعره ، فقالوا : إن كان ما تُنشدنا لك  
فَقُلْ فِي هَذَا شَيْئًا ، فقال : لَا تَرِي مَا حَتَّى أَقُولَ فِيهِ ، وَأُنْشِدْهُمْ لَوْ قَتَلْتَهُ :

يصف العنب  
الرازقي

وَرَاذِقٌ مُخْطَفٍ الْخُصُورِ كَأَنَّهُ تَحَاوَزَ الْبُلُورِ  
قَدْ ضُمَّتْ مَسْكَاً إِلَى الشُّطُورِ وَفِي الْأَعَالَى مَاءُ وَرْدٍ جُورِيٍّ (١)  
بَلَا فَرِيدٍ وَبَلَا شُدُورٍ لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ (٢)  
وَبَرْدٌ مَسَّ الْخِصْرَ الْمَقْرُورِ وَنَكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ (٣)  
وَرَقَّةُ الْمَاءِ عَلَى الصُّدُورِ بَاكَرَتُهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ  
بِفَتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ أَمْسَلاً لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُذُورِ  
حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذَّرُورِ (٤)

(١) جورى : نسبة إلى جور ، وهى مدينة فيروزاباد

(٢) من «شار العسل يشوره» أى جناه

(٣) من الخصر - بالتحريك - وهو البرد ، والقر - بالضم - ومعناه البرد أيضا

(٤) الذرور : الطلوع ، والناطور : جافظ الكرم والنخل

فَانْحَطَّ كَالطَّائِرِ مِنَ الصُّقُورِ      بِطَاعَةِ الرَّائِبِ لَا الْمَقْهُورِ  
 وَالْحَرْثُ عَبْدُ الْحَلَبِ الْمَشْطُورِ      حَتَّى أَتَانَا بِضُرُوعِ حُورِ <sup>(١)</sup>  
 مَمْلُوءَةٍ مِنْ عَسَلٍ مَحْصُورِ      وَالطَّلُّ مِثْلُ التُّلُوِّ الْمَشُورِ  
 ثُمَّ جَلَسْنَا جِلْسَةَ الْحُبُورِ      بَيْنَ حِفَائِي جَدُولِ مَسْجُورِ <sup>(٢)</sup>  
 أَيْبُضٌ مِثْلُ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ      أَوْ مِثْلُ مَتْنِ الْمُنْصَلِ الْمَشْهُورِ <sup>(٣)</sup>  
 يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ      بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرِ مَسْطُورِ <sup>(٤)</sup>  
 نَاهِيكَ لِلْعُقُودِ مِنْ ظُهُورِ      فَنِيلَتِ الْأَوْطَارُ فِي سُرُورِ  
 وَكُلُّ مَا يُقْضَى مِنَ الْأُمُورِ      تَعَلَّةٌ مِنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ <sup>(٥)</sup>  
 وَمُتَعَةٌ مِنْ مُتَعِ الْفُرُورِ

ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار

كَرَّمْ نُسْلِفُهُ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ، وَيَقْضِينَا أُمَهَاتِ الرِّاحِ. عَنْقُودٌ كَالثَّرِيَّةِ، وَعِنَبٌ  
 كَمَخَازِنِ الْبَلُّورِ، وَضُرُوبِ الثُّورِ، وَأَوْعِيَةِ السَّرُورِ. أُمَهَاتِ الرِّحِيقِ، فِي مَخَازِنِ  
 الْعَقِيقِ. نَخْلٌ نُسْلِفُهُ الْمَاءَ، وَيَقْضِينَا الْعَسْلَ. رُطَبٌ كَأَنَّهَا شُهُدَةٌ بِالْعَقِيقِ مُقْتَنَّةٌ،  
 وَبِالْعَقِيقَانِ مُقْتَنَّةٌ. رُمَّانٌ كَأَنَّهُ صُرَّرَ الْبَاقُوتِ الْأَحْمَرِ. سَفَرَجُلٌ يَجْمَعُ طَبِيبًا، وَمَنْظَرًا  
 حَسَنًا عَجِيبًا، كَأَنَّهُ زَيْتُونٌ <sup>(٥)</sup> الْخَزْ الْأَغْبَرُ، عَلَى الدِّيْبَاحِ الْأَصْفَرِ. تَنْفَاحٌ نَفَّاحٌ <sup>(٦)</sup>،  
 يَجْمَعُ وَصَفَ الْعَاشِقِ الْوَجِلِ، وَالْمَعْشُوقِ الْخَجِلِ، لَهُ نَسِيمُ الْعَبِيرِ، وَطَعْمُ السَّكَّرِ،  
 رَسُولُ الْحُبِّ، وَشَبِيهِ الْحَبِيبِ. تَيْنٌ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى عَسَلٍ. مَشْمَشٌ  
 كَأَنَّهُ الشَّهْدُ فِي بَيَادِقِ الذَّهَبِ.

(١) جمع أحور (٢) الحبور : السرور ، ومسجور : مملوء

(٣) المهرق : الصحيفة (٤) السباط : الصف

(٥) الزيتون - بكسر الزاي وسكون الهمزة وكسر الباء الموحدة - هو ما يظهر من

درز اثوب (٦) ينفخ بالرائحة العطرة

[ بعض ما جاء في وصف الليل ]

قال بعضُ الرواة : أنشدت أعرابيا قولَ جرير بن عطية بن الخطّافي :

أَبْدَلُ اللَّيْلُ لَاتَسْرِي كَوَاكِبُهُ أُمّ طَالَ حَتَّى حَسِبْتَ النِّجَمَ حَيْرَانَا

لأعرابي في صف ليل لقاء من قولي ، وأنشدني : فقال : هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ؛ ولكني أنشدك في ضده

وليلٍ لم يُقَصِّرْهُ رُقَادٌ وَقَصَّرَ طَوْلَهُ وَصَلُ الحَبِيبِ  
نَعِيمُ الحَبِّ أَوْ رَقَ فِيهِ حَتَّى تَنَاوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبِ  
بِمَجْلَسٍ لَذَّةٍ لَمْ تَقَوْ فِيهِ عَلَى شَكْوَى وَلَا عَدْلُ الذُّنُوبِ  
بَخِلْنَا أَنْ نَقْطَعَهُ بِلَفْظٍ فَتَرَجَمَتِ الْعْيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

لأعرابي يصف وفاءه لصاحبه فقلت له : زدني ، فما رأيت أظرف منك شعراً ؛ فقال : أمّا هذا الباب خُسبك ، ولكن أنشدك من غيره :

وَكُنْتُ إِذَا عَلِقْتُ حَبَالَ قَوْمِ صَحْبَتُهُمْ وَشَيْئَتِي الْوَفَاءُ  
فَأَحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهم وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا  
أَشَاءُ سِوَى مَشِيئَتِهِمْ فَآتِي مَشِيئَتِهِمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءُ

الجرير يصف يوم صيد قال الأصمعي : قرأتُ على أبي مُحَذَّرٍ خَلْفَ بَنِ حَيَّانِ الْأَحْمَرِ شِعْرَ جَرِيرٍ ، فلما بلغت إلى قوله :

وَيَوْمَ كَأَيْهَامِ الْقَطَاةِ مُحِبِّبٍ إِلَى صِبَاةٍ غَالِبَةٍ لِي بَاطِلُهُ  
رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْعَزِيزَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبِلُهُ مُحَرُّومَةً وَحَبَائِلُهُ  
فِيَالِكَ يَوْمٍ خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ وَاشِيَهُ وَأَقْصَرَ عَازِلُهُ

فقال خلف : وَيَحْه ! فما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ ؟ فقلت له : كذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء ، فقال لي : وكذا قال جرير ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ماسمعا ، قلت : فكيف كان يجب أن يكون ؟ قال : الأجود أن

يقول : خيرُهُ دون شرِّه ، فَأَرَوْهُ كذلك ، فقد كانت الرواة قديماً تُصْلِحُ أشعارَ الأوائل ، فقلت : والله لا أرويه بعدها إلاّ كذا .

لإبراهيم بن  
العباس يصف  
قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قِصْرِ الليل قول إبراهيم بن العباس :  
وليلةٍ من الليالي العُرِّ قابلتُ فيها بَدْرَهَا بِيَدْرِي  
لم تَكُ غَيرَ شَفَقٍ وَفَجَرٍ حتى تَقَضَّتْ وهى بِكُرِّ الدَّهْرِ

للأصبهاني  
يصف يوم لهُو

وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار :

كيف يُرْجَى لَمُتَتِي هُدُوٌّ ورُقَادَى لَطَرْفِ عَيْنِي عَدُوٌّ  
بَأبَى مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ بِيَوْمٍ لم يَزَلْ لِلسرورِ فِيهِ نَمُوٌّ  
يوم لهُوٍ قَدِ التَّقَى طَرْفَاهُ فَكَأَنَّ العَشِيَّ فِيهِ عَدُوٌّ  
إِذْ لِشَخْصٍ الرَقِيبِ فِيهِ ثَمَاءٌ وَلِبْدَرٍ السَّمَاءِ مِنِّي دُئُوٌّ

لابن المعتز  
يصف ليل  
سرور

وقال ابن المعتز :

يا رب ليلٍ سَحَرَهُ كُلُّهُ مَفْتَضَحَ البَدْرِ عَلِيلِ النَّسِيمِ  
تَلْتَقِطُ الأنفَاسُ بَرْدَ النَّدَى فِيهِ فَنَهْدِيهِ لِجَرِّ الهُمُومِ  
لا أعرفُ الإصباحَ لما بدا فِي ضَوْئِهِ إِلَّا بِسُكْرِ النَّدِيمِ  
لَبَسْتُ فِيهِ بِالتَّاذَاذِ الهَوَى وَلَذَّةِ الرَّاحِ ثِيَابَ النِّعَمِ

### (١) وصف منبج

بين الرشيد  
وعبد الملك بن  
صالح

أخذ قوله : « سَحَرَكْهُ » من قول عبد الملك بن صالح بن عليّ ، وقد قال له الرشيد لما دخل منبج : أهذا منزلك <sup>(٢)</sup> ؟ قال : هو لك ، ولي بك يا أمير المؤمنين ، قال : كيف بناؤه ؟ قال : دون منازل أهلِي ، وفوق منازلِ الناس ، قال :

(١) بلد قديم ينسب إليه كثير من الشعراء أشهرهم البحتري وأبو فراس

(٢) رواية ياقوت : « أهذا البلد منزلك ؟ »

وكيف ذلك وقد رُك فوق أقدارهم؟ قال : ذلك خُلِقَ أمير المؤمنين أناسي به ،  
وأقفوا أثره ، وأخذوا حذوه ، قال : فكيف طيب منبج؟ قال : عذبة الماء ،  
قليلة الأذواء ، قال : فكيف ليئلهما؟ قال : سحر كله (١) ؟  
وأخذ هذا الطائي فقال :

لأبي تمام

أيامنا مصقولة أطرافها بك ، والليالي كلها أسحار

\*\*\*

ولأهل العصر ، قال أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي :  
يارب ليل سرور خيلته قصرًا كعارض البرق في أفق الدجابر قفا  
قد كاد يعثر أولاه بأخيره وكاد يسبق منه فجره الشفقا  
كأنما طرّفاه طرف انفق الجفنان منه على الإطباق وأفترقا

للحاتمي

### ألفاظ في هذا المعنى لأهل العصر

ليلة من حسنات الدهر ، هواؤها صحيح ، ونسيمها عليل . ليلة كبُرِدِ  
الشباب ، وبردِ الشراب . ليلة من ليالي الشباب ، فضية الأديم ، مسكية  
النسيم . ليلة هي لُمة العمر ، وغرّة الدهر . ليلة مسكية الأديم ، كافورية النجوم .  
ليلة رقد الدهر عنها ، وطلعت سعادها ، وغابت عذالها . ليلة كالمسك منظرها  
ومخبّرها . ليلة هي باكورة العمر ، وبكر الدهر . ليلة ظلماتها أنوار ، وطوال  
أوقاتها قصر .

(١) زاد ياقوت في معجم البلدان «قال: صدقت، إنها طيبة، قال : بل طابت بأمر  
المؤمنين ، وأين يذهب بها عن الطيب؟ وهي برة حمراء ، وسنبلة صفراء ، وشجرة خضراء ، في  
فيف فيح ، بين قيصوم وشيح؟» قال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن من الدر النظيم

[ سعيد بن هريم ، وصِلَتْهُ بِالْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ]

كان سببُ اتصال سعيد بن هُرَيْمٍ بِذِي الرِّيَاسَتَيْنِ الْفَضْلِ <sup>(١)</sup> - وسمي ذا الرِّيَاسَتَيْنِ لأنه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون - أنه دخل عليه يوماً ، فقال : « الْأَجَلَ آفَةُ الْأَمَلِ ، وَالْمَعْرُوفُ ذُخْرُ الْأَبَدِ ، وَالْبِرُّ غَنِيمَةُ الْحَازِمِ ، وَالتَّفْرِيطُ مَصِيبَةُ أَخِي الْقُدْرَةِ ، وَإِنَّا لَمْ نَصُنْ وَجُوهَنَا عَنْ سُؤَالِكَ ، فَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّنَا ، وَضَعْنَا مِنْ إِحْسَانِكَ بِحَيْثُ وَضَعْنَا أَنْفُسَنَا مِنْ تَأْمِيلِكَ » .

فأمر أن يُكْتَبَ كَلَامُهُ ، وَسَمَاءُ سَعِيداً النَّاطِقِ ، وَوَصَلَهُ الْمَأْمُونُ <sup>(٢)</sup> فَخَصَّ بِهِ . فلحقته في بعض الأوقات جَفْوَةٌ مِنَ الْفَضْلِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : « يَا حَافِظَ مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَيَا ذَا كَرَمٍ مَنْ نَسِيَ نَصِيْبِهِ مِنْهُ ، لَيْسَ كِتَابِي إِذَا كُتِبَتْ اسْتِبْطَاءً ، وَمَا إِسْمَاكِي إِذَا أَمْسَكَتُ اسْتِغْنَاءً ؛ فَكُتِبَتْ مَذْكُراً لِامْتِقْصَرِ أَفْعَالِكَ » فوصله وأحسن إليه

وقد رَوَى بَعْضُ هَذَا الْكَلَامِ الْمُنْسُوبِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ هُرَيْمٍ لِأَبِي حَفْصٍ الْكِرْمَانِيِّ مَعَ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ .

ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

للتعظيم يمدح  
الفضل بن سهل

لَعَزُّكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ  
تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَعًا      إِذَا مَا بَدَأَ ، وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ  
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً      وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

وقال إبراهيم بن العباس :

لإبراهيم بن  
العباس يمدح  
الفضل

الفضل بن سهل يد      تقاصر عنها المثل

(١) هو الفضل بن سهل ، ولد سنة ١٥٤ في سرخس ، وتوفي بهاسنة ٢٠٢ ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يده سنة ١٩٠ ، وصحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولي أجعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً . وقد مات قتيلاً في الحمام وهو في سرخس . وقيل : إن المأمون أعان على قتله ليخلص من سلطانه (٢) كذا ، ولعله « ووصله بالمأمون » (م)

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ  
وَبَسْطَتُهَا لِلْغِنَى وَسَطَوَتْهَا لِلْأَجْلِ

أخذه ابن الرومي فقال لإبراهيم بن المدبر :

لا ابن الرومي  
يمدح إبراهيم  
ابن المدبر

أَصْبَحْتُ بَيْنَ ضَرَاةٍ وَتَجَمَّلُ وَالْمَسْرُءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا  
فَأُمَدِدُ إِلَى يَدَا تَعَبٍ وَدَّ بَطْنُهَا بَذَلَ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلُ

وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وزاد في هذا المعنى تشبيها ظريفاً :

لا ابن الرومي  
يمدح ابن طاهر

مَقْبَلُ ظَهْرِ الْكَفِّ وَهَابُ بَطْنِهَا لَهَا رَاحَةٌ فِيهَا الْخَطِيمُ وَزَمَزَمُ  
فَقَاطِرُهَا لِلنَّاسِ رُكْنٌ مَقْبَلٌ وَبَاطِنُهَا عَيْنٌ مِنَ الْعُرْفِ عَمِيمٌ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وكان ذو الرياستين يَقْبَلُ صَوَابَ الْقَائِلِينَ بِمَا فِي قُوَّتِهِ مِنْ صَفَاءِ الْغَرِيزَةِ ،

من ترجمة  
الفضل بن سهل

وَجُودَةِ النَّحِيزَةِ<sup>(٢)</sup> فهو كما قال أبو الطيب :

مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ نَدِيهِ يَضَعُ الثَّوبَ فِي يَدَيْ بَرَّازٍ

وكانت مخايل فضاه ، ودلائل عفله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين  
الجوسية ، فقال له : أَسْلِمَ أَجْدُ السَّبِيلِ إِلَى اصْطِنَاعِكَ ، قال : فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ  
المأمون ، ولم يزل في جَنَبَتِهِ<sup>(٣)</sup> ، إلى أن رقى إلى رُتَبَتِهِ .

وذكره يحيى عند الرشيد فَأَجْمَلَ الثَّنَاءَ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَفْحِمَ ؛ فَنَظَرَ  
الرشيد إلى يحيى كالمستفهم ؛ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى  
فَرَاهَةِ الْمَمْلُوكِ أَنْ تَمْلِكَ هَيْبَةً مَوْلَاهُ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ ، فقال الرشيد : لئن كنت  
سكتَ لَكِي تَقُولَ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنْتَ ، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الْحَصْرِ  
لقد أجذت ؛ وزاد في إكرامه وتقريبه ، وجعل لا يسأله بعد ذلك عن شيء إلا  
أجابه بأفصح لسان ، وأجود بيان .

(١) عيلم : كثيرة الماء ، والعيلم أيضاً : البحر

(٢) النحيزة : الطبيعة

(٣) جنبته جا : نبه (م) .



قال سهل بن هارون : وما حُفِظَ من كلام ذى الرياستين مما رأينا تَحَامِيدَهُ  
 فى السكتب ؛ لِيُؤْتَمَّ بِهِ ، وَيُنْتَفَعَ بِمَقُولِ حِكْمَتِهِ ، قَوْلُهُ : مَنْ تَرَكَ حَقًّا فَقَدْ غَبِنَ  
 حَقًّا ، وَمَنْ قَضَى حَقًّا فَقَدْ أَحْرَزَ غَنًّا ، وَمَنْ أَتَى فَضْلًا فَقَدْ أَوْجَبَ شُكْرًا ،  
 وَمَنْ أَحْسَنَ تَوَكُّلاً لَمْ يَعدِمِ مِنَ اللَّهِ صُنْعًا ، وَمَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ لِمَا تَرَكَ  
 فَقْدًا ، وَمَنِ اتَّسَعَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ حَمْدًا عَادَ ذَلِكَ عَلَى مُلْتَمَسِهِ ذِمًّا ، وَمَنْ طَلَبَ  
 بِخِلَافِ الْحَقِّ لَهُ دَرَكَاءَ عَادَ مَا أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ لَهُ مُوْبِقًا<sup>(١)</sup> ؛ وَذَلِكَ أَوْجَبُ الْفَلَاحِ -  
 لِلْمُحْسِنِينَ ، وَجَعَلَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسِيئِينَ الْمُقْصِرِينَ .

وَوَقَّعَ فِي رُقْعَةٍ سَاعٍ : نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ؛ لِأَنَّ السَّعَايَةَ  
 دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبَلَهِ وَأَجَازَهُ ؛  
 فَاتَّقُوا السَّاعِيَ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا لَكَانَ فِي صِدْقِهِ آثَمًا ؛ إِذْ لَمْ يَحْفَظْ  
 الْحُرْمَةَ ، وَلَمْ يَسْتِرِ الْعَوْرَةَ .

\*\*\*

وَالشَّيْءُ يُقَرَّنُ مَعَ جَنْسِهِ : كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،  
 وَكَانَ الْوَالِيَا عَلَى أَرْمِينِيَةِ لِلرَّشِيدِ : إِنْ قَوْمًا صَارُوا إِلَى سَبِيلِ التَّضَحُّحِ فَذَكُرُوا ضِيَاعًا  
 بِأَرْمِينِيَةِ قَدْ عَفَتْ وَدَرَسَتْ<sup>(٢)</sup> ، يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَإِنِّي وَقَفْتُ  
 عَنِ الْمَطَالِبَةِ حَتَّى أُعْرِفَ رَأْيَكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَرَأْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الْمَذْمُومَةَ ، وَفَهَّمْتُهَا ، وَسَوَّقُ السَّعَايَةَ  
 بِحَمْدِ اللَّهِ فِي أَيَّامِنَا كَاسِدَةً ، وَالسَّنَةَ السَّعَايَةِ فِي أَيَّامِنَا كَلِيلَةً خَاسِئَةً ؛ فَإِذَا قَرَأْتُ  
 كِتَابِي هَذَا فَاجْهَلِ النَّاسَ عَلَى قَانُونِكَ ، وَخُذْهُمْ بِمَا فِي دِيوَانِكَ ؛ فَإِنَّا لَمْ نُوَلِّكَ  
 النَّاحِيَةَ ، لِتَتَبَيَّنَ الرُّسُومُ الْعَافِيَةُ ، وَلَا لِإِحْيَاءِ الْأَعْلَامِ الدَّائِرَةِ ، وَجَنَّبْنِي وَتَجَنَّبْ  
 بَيْتَ جَرِيرٍ يَخَاطِبُ الْفَرَزْدَقَ :

(١) الدرك - بالتجريك - اللحاق ، والموبق : المهلك (م)

(٢) عفت ودرست : كلاهما بمعنى ذهبت معالمها (م)

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارِ فَوْجٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا  
وَأَجْرَ أُمُورِكَ عَلَى مَا يَكْسِبُ الدُّعَاءَ لَنَا لَا عَلَيْنَا ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا مَدَّةٌ تَنْتَهِي ،  
وَأَيَّامٌ تَنْقَضِي ، فَإِمَّا ذِكْرٌ جَمِيلٌ ، وَإِمَّا خِزْيٌ طَوِيلٌ .

رجل يريد أن  
ينصح المهدي

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمُهْدِيِّ: عِنْدِي نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : لِمَنْ نَصِيحَتُكَ  
هَذِهِ ؟ لَنَا ، أَمْ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(١)</sup> ، قَالَ :  
لَيْسَ السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَبْلِ سِعَايَتِهِ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ أَنْ  
تَكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ ، فَلَا تَشْفِي غَيْظَكَ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا نَعَاقِبُ لَكَ عَدُوًّا ! ثُمَّ  
أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا فِيهِ لِلَّهِ رِضًا ، وَلِلْمُسْلِمِينَ صَلَاحٌ ؛  
فَإِنَّمَا لَنَا الْأَبْدَانُ وَلَيْسَ لَنَا الْقُلُوبُ ؛ وَمَنْ اسْتَتَرَ عَنَّا لَمْ نَكْشِفْهُ ، وَمَنْ بَادَانَا طَلَبْنَا  
تَوْبَتَهُ ، وَمَنْ أَخْطَأَ أَقْلَنَا عَثَرَتْهُ ؛ فَإِنِّي أَرَى النَّادِيَّ بِالصَّفْحِ أُبْلَغَ مِنْهُ بِالْعُقُوبَةِ ،  
وَالسَّلَامَةَ مَعَ الْعَفْوِ أَكْثَرُ مِنْهَا مَعَ الْمُعَاجَلَةِ ، وَالْقُلُوبَ لَا تَبْقَى لِوَالٍ لَا يَنْعُطِفُ إِذَا  
اسْتَعِطِفَ ، وَلَا يَعْفُو إِذَا قَدَّرَ ، وَلَا يَغْفِرُ إِذَا ظَفَرَ ، وَلَا يَرْحَمُ إِذَا اسْتُرْحِمَ .

وَوَقَعَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ إِلَى تَمِيمِ بْنِ خَزِيمَةَ : الْأُمُورُ بِتَامَها ، وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِها ،  
وَالصَّنَائِعُ بِاسْتِدَامَتِها ، وَإِلَى الْغَايَةِ يَجْرِي الْجَوَادُ ؛ فَهَنَّاكَ كَشَفْتَ الْخُبْرَةَ قِنَاعَ  
الشَّكِّ ؛ فَحَمْدُ السَّابِقِ ، وَذَمُّ السَّاقِطِ

بعض توقعات  
الفضل بن سهل

وذو الرياستين هو القائل :

أَضَيْتِ أَحْرَفَ «لَا» مِمَّا لَفَظْتَ بِهَا فَوَلَّى رَحْلَهَا عَنَّا إِلَى نَعَمٍ  
أَوْ صَيَّرَهَا إِلَيْهَا مِنْكَ مَنَعَةً إِنْ كُنْتَ حَاولْتَ فِيهَا خِيفَةَ الْكَلِمِ <sup>(٢)</sup>

(١) لَمْ تَرَفِي الْأَصْلَ ذِكْرًا لِلنَّصِيحَةِ . وَالظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ الْمُهْدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ «الناصح»  
ذَكَرَ أَصْحَابَ الْمُهْدِيِّ بِسَوْءٍ ؛ فَقَالَ الْمُهْدِيُّ : لَيْسَ السَّاعِي الْخ . فَيُلاحِظُ الْقَارِئُ  
تِلْكَ الْجُمْلَةَ الَّتِي ضَاعَتْ لِيُظْهِرَ لَهُ رِبْطَ الْكَلَامِ . قُلْتُ : لَيْسَ هَذَا بِإِلْزَامٍ ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ الْمُهْدِيُّ قَدْ قَطَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى بِمَا أُجَابَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ (م)

(٢) الضَّمِيرُ فِي صَيَّرَهَا « يَعُودُ إِلَى «لَا» وَفِي «إِلَيْهَا» يَعُودُ إِلَى «نَعَمْ» وَكَأَنَّهُ  
قَالَ : صَيَّرَ لَا إِلَى نَعَمْ (م)

قَسَّمْ عَلَيْنَا فَعَارَضْنَا قِيَاسَكُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ  
وَمَا قَتَلَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ : لَا تَجْزَعِي فَإِنِّي ابْنُكَ  
بَعْدَ ابْنِكَ . فَقَالَتْ : أَفَلَا أَبْكَى عَلَى ابْنٍ أَكَسَبَنِي ابْنًا مِثْلَكَ ؟

[بعض أوصاف الخيل]

ووصف ابن القُرَيْبَةِ<sup>(١)</sup> فرساً أهْدَاهُ الْحَجَاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ : لَابْنِ الْقُرَيْبَةِ  
حَسَنُ الْقَدِّ ، أَسِيلُ الْخَدِّ ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ ، وَيَسْتَفْرِقُ الْوَصْفَ .

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المأمون فرساً وكتب إليه : قد بعثتُ إلى  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِفَرَسٍ يَلْحَقُ الْأَرَانِبَ فِي الصَّعْدَاءِ ، وَيَجَاوِزُ الظُّبَاءَ فِي الْإِسْتَوَاءِ ،  
وَيَسْبِقُ فِي الْحُدُورِ جَرَى الْمَاءِ ، فَهُوَ كَمَا قَالَ تَابُطُ شَرًّا :

وَيَسْبِقُ وَفَدَا الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمَتَدَارِكِ

وقال رجل لبعض النخاسين : اشتر لي فرساً جيِّدَ التَّمِيصِ ، حَسَنَ  
الْقُصُوصِ ، وَثِيقَ الْقَصَبِ ، نَقِيَّ الْعَصَبِ ، يُشِيرُ بِأُذُنَيْهِ ، وَيَنْدِسُ بِرِجْلَيْهِ<sup>(٢)</sup> ،  
كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ .

جمع محمد بن الحسين<sup>(٣)</sup> هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ وَزَادَ فَقَالَ يَصِفُ فَرَسًا : هُوَ حَسَنُ  
الْقَمِيصِ ، جَيِّدُ الْفُصُوصِ ، وَثِيقُ الْقَصَبِ ، نَقِيَّ الْعَصَبِ ، يُبْصِرُ بِأُذُنَيْهِ ،  
وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ<sup>(٤)</sup> ؛ وَيُدْأَخِلُ بِرِجْلَيْهِ ، كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ ،  
يَنَاهِبُ الْمَشَى قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَلْحَقِ الْأَرَانِبَ فِي الصَّعْدَاءِ ، وَيَجَاوِزُ جَوَارِيَ  
الظُّبَاءِ فِي الْإِسْتَوَاءِ ، وَيَسْبِقُ فِي الْحُدُورِ جَرَى الْمَاءِ ، إِنْ عُطِفَ جَارَ ، وَإِنْ أُرْسِلَ  
طَارَ ، وَإِنْ كَلَّفَ السَّيْرَ أَمْعَنَ وَسَارَ ، وَإِنْ حُبِسَ صَقِنَ<sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ اسْتَوْقَفَ فَظَنَ ،  
وَإِنْ رَعَى ابْنٌ<sup>(٦)</sup> ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ تَابُطُ شَرًّا ، وَذَكَرَ الْبَيْتَ .

لمحمد بن  
الحسن بن  
الحرون

(١) هو أيوب بن يزيد التوفي سنة ٨٤ هـ (٢) يندس - يضرب (٣) سماه النويري  
في نهاية الأرب (٦٩/١٠) محمد بن الحسن بن الحرون (م) (٤) التبوع : إبعاد خطو الفرس  
في جريه (٥) صقن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة (٦) ابن : ترقب

آيات لتأبط  
شرا

وأول هذه الآيات :

وإني لمَهْدٍ من ثَنائي قَاصِدٌ  
أَهْزُ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفَهُ  
قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمِلِّ يُصِيبُهُ  
يُظَلُّ بِمَوْمَةٍ وَيُسَيِّ بِغَيْرِهَا  
وَيَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي  
إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومِ لَمْ يَزَلْ  
إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْعَدُوِّ فَتَفَرُّهُ  
وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْبَةً قَلْبِهِ  
إِذَا هَزَّهُ فِي عَظَمِ قِرْنٍ تَهَلَّتْ  
يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسُ الْأَنْسُ وَيَهْتَدِي

به لابن عم الصدوق شمس بن مالك  
كما هزَّ عطفِي بالهيجانِ الأوارِكِ<sup>(١)</sup>  
كثيرُ الهوى شَتُّ النُّوى والمَسالكِ  
جَجِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمِهَالِكِ<sup>(٢)</sup>  
بُتْنُخَرِقَ مِنْ شَدِّهِ الْمُتَدَارِكِ  
له كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ فَاتِكِ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى سَلَّةٍ مِنْ صَارِمِ الْعَرَبِ بَانِكِ  
إِلَى ضَرْبَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقِ صَائِكِ<sup>(٤)</sup>  
نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَّاحِكِ  
بَحِيثٌ أَهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ<sup>(٥)</sup>

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر ،  
فعُرِضَتْ عليه ، وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي ، فقال له معاوية : كيف  
تَرَى هَدَايَانَا يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟ فَإِنْ أَخَاكَ عَمراً قَدْ أَطْنَبَ فِي وَصْفِهَا ، فَقَالَ : أَرَاهَا  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا وَصَفَ ، وَإِنِّهَا لِمُخَيَّلَةٍ<sup>(٦)</sup> بِكُلِّ خَيْرٍ ؛ إِنِّهَا لِسَابِيَةُ الْعُمَيْيُونَ ،  
لَا حَقَّ الْبَطُونِ ، مُصْغِيَةِ الْأَذَانِ ، قَبَاءَ الْأَسْنَانِ<sup>(٧)</sup> ، ضِيخَامِ الرُّكَبَاتِ ، مُشْرِفَاتِ

عقبة بن سنان  
يصف خيلاً  
أهداها عمرو  
ابن العاص  
لمعاوية

(١) الندوة : المجتمع ، والهيجان : الإبل الكريمة ، والأوارك : راعية الأراك  
(٢) المومة : الفائزة ينعدم فيها الماء ، وججيش : منفرد ، ويعروري : يركب  
على العري ، يريد أنه يركب ظهور المهالك بلا سرج وهو تعبير بدوي  
(٣) الكالي : الحافظ ، والشيجان : الحازم ، يريد أن قلبه يقط وإن نامت  
عينه ، وفي الأصل « سبجان »

(٤) الربيثة : الرقيب ، والصائك : القاطع ، وفي الأصل « صابك »  
(٥) أم النجوم الشوابك : هي الشمس (٦) مخيلة : مبشرة (٧) قباء : لها صرير

الحجبات<sup>(١)</sup>، رَحَابُ الْمَنَاحِرِ، صِلَابُ الْخَوَافِرِ، وَقَعُهَا تَحْلِيلٌ، وَرَفَعَهَا تَعْلِيلٌ<sup>(٢)</sup>  
فهذه إنْ طُلِبَتْ سَبَقَتْ، وَإِنْ طُلِبَتْ لَحِقَتْ. قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَصْرَفَهَا إِلَى  
رَحْلِكَ؛ فَإِنْ بَنَى عَنْهَا غَنَى، وَبَقِيَّتَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ.

للنابغة الجعدي

وقال النابغة الجعدي:

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَعُودُ حَيْلِنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا  
وَنُكْرِيَوْمَ الرُّوْعِ أَلْوَانَ حَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا<sup>(٣)</sup>  
فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحًا، وَلَا مُسْتَنْكَرٌ أَنْ تُعَقَّا

لبعض العرب

وقال بعض العرب:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ<sup>(٤)</sup>  
فَدَعَوْا: نَزَالٍ! فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

ووصف أعرابي فرسا فقال: لَمَّا أُرْسِلْتُ الْخَيْلَ جَاءُوا بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانِ<sup>(٥)</sup>،  
فَارْسَلُوهُ، فَلَمَعَ لَمْعَ الْبَرْقِ، وَاسْتَهْلَّ اسْتِهْلَالَ الْوَدْقِ<sup>(٦)</sup>، فَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ  
الَّذِي يَتَعُ عَيْنُهُ مِنْ بُعْدِهِ عَلَيْهِ.

وذكر أعرابي رجلا فقال: عِنْدَهُ فَرَسٌ طَوِيلُ الْعِذَارِ، أَمِينُ الْعِثَارِ؛  
فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ ظَنَنْتُهُ بَازِيَا عَلَى مَرْبَا، عَلَيْهِ رُمُحٌ طَوِيلٌ يَقْصُرُ بِهِ الْأَجَالُ.

لأعرابي

وقال بعض المحدثين في هذا التطابق:

لَقَيْنَاهُمْ بِأَرْمَاحٍ طَوَالٍ تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَارٍ قِصَارٍ

(١) جمع حجة - بالتحريك - وهي من الفرس ما أشرف على صفاق البطن من  
وركبه (٢) التحليل والتعليل: من حركات الخيل

(٣) الجون: الأسود (٤) الأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع  
والساق من الخيل والإبل وغيرها، والهيك: الفرس الطويل

(٥) الأشطان: جمع شطن - بالتحريك - وهو الحبل (٦) الودق: المطر

أعرابي يصف ووصف أعرابي خيلا لبني يربوع فقال : خرجت علينا خيلٌ من مستطير  
خيله بنى يربوع نَقَعٌ<sup>(١)</sup> ، كأن هَوَادِيَهَا أَغْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَقْلَامٌ ، وفرسانها أَسْوَدُ آجَامٍ<sup>(٢)</sup> .  
ولما أنشد العَمَّانِي الرشيذ يصف فرسا :

كَأَنَّ أَذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

ولحن ، ففهم ذلك أَكْثَرُ من حضر ؛ فقال الرشيذ : اجعل مكان « كَأَنَّ »  
تَحَال ، فَعَجَبُوا لِسُرْعَةِ تَهْدِيهِ .

وللطائيين في هذا النوع أشعارٌ كثيرةٌ من اختيارها كثرةُ اشتهارها ؛  
يصف فرسا ولأبي تمام وسأشد بعض ذلك ، قال أبو تمام :

ما مُقَرَّبٌ <sup>(٣)</sup> يَحْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ	مَلَانٌ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلْهُوقٍ <sup>(٤)</sup>
بِحَوَافِرِ حُفْرٍِ وَصَلَّتْ أَصْلَتُ <sup>(٥)</sup>	وَأَشَاعِرِ شُعْرِ <sup>(٦)</sup> وَخَلَقَ أَخْلُقَ
ذُو أُولُقٍ تَحْتِ الْعَبَاجِ ، وَإِنَّمَا	مِنْ صَحَّةٍ إِفْرَاطُ ذَاكَ الْأُولُقِ <sup>(٧)</sup>
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهُ	مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرَقِ
إِمْلِيسَةً إِمْلِيدَةً لَوْ عُلِّقَتْ	فِي صَهْوَتِيهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقْ <sup>(٨)</sup>
مُسْوَدَّ شَطْرٍِ مِثْلَ مَا اسْوَدَّ الدَّجَى	مَبِيضٌ شَطْرٍِ كَابْيَاضِ الْمُهْرَقِ <sup>(٩)</sup>

(١) النقع : غبار الحرب

(٢) الآجام : جمع أجمة - بفتحات - وهي مسكن الأسود (م)

(٣) المقرب والمقربة - على صيغة المفعول - الفرس التي تدنى وتقرّب لئلا يطرقها

غل لثيم (٤) التلهوق : بريق البياض في الفرس (٥) الصلت : احشيتن الواضح

(٦) الأشاعر : جمع أشعر ، وهو ما استدار بالحافر من منتهى الجلد

(٧) الأولوق : الجنون (٨) الصهوة : موضع السرج منج الفرس ، والشاعر

يصف الفرس بأنه إمليسة إمليدة أي ناعم الملمس براق .

(٩) المهرق : الصحيفة

وقال أبو عبادة :

للبحترى يصف  
فرسا

وأغرَّ في الزَّمنِ البهيمُ مُحجَّلٌ  
وَأَفَى الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ  
يهوى كَاهَوْتِ الْعِقَابُ إِذَا رَأَتْ  
مَتَوَحَّشٍ بِدَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا  
كَالْأَرْنَحِ النَّشْوَانُ أَكْثَرُ مَشِيهِ  
وَيُظَنُّ رَيْنَانُ الشَّبَابِ يَرَوْعُهُ  
هَزَجُ الصَّهِيلِ كَانَ فِي نَبْرَاتِهِ  
تُتَوَهَّمُ الْجَوَازُ فِي أَرْسَائِهِ  
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُيِّنَتْ لَهُ  
وَكَأَنَّمَا كَمَى الْخُدُودَ نَوَاعِمًا  
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا  
قَدْ رَحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرِ مُحجَّلٍ (١)  
يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَى مُعِمِّ مُحْوَلٍ  
صِيدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابُ الْأَجْدَلِ (٢)  
تُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ (٣)  
عَرَضَ عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ  
مِنْ نَشْوَةٍ أَوْ جِنَّةٍ أَوْ أَفْكَلٍ (٤)  
نَعْمَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ  
وَالْبَدْرُ غُرَّةٌ وَجْهَهُ لِلتَّهْلِيلِ  
بِصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِكُ صَيَقِلٍ (٥)  
مَعَهَا تَلَا حِظَهَا بَلْخَظٍ يَخْجَلِ  
صَهْبَاءَ الْبَرْدَانِ (٦) أَوْ قَطْرُ بَلٍ (٧)

- (١) البهيم : المظلم ، والغرة والتحجيل : بياض في الجهة والقوائم ، والأغر المحجل هو الفرس ، وهو مجازاً الرجل الكريم  
(٢) الاجدال : الصقر (٣) الدقيقتان : صفة للساقين (٤) الأفكل : الرعدة  
(٥) المداوك : جمع مدوك ، وهو المصقلة بكسر الميم فهما ، يقال : داك الصيقل السيف وسنه بالمدوك . وأخذنا في الدوك وهو تسوية الحلية وتزيينها  
(٦) البردان ، بالتحريك ، اسم لعدة أما كن ، والمراد به هنا الموضع الذي كان بهذا الاسم قرب بغداد ، وكان مشهوراً بالتمر ، وفيه يقول جحظة :  
ادفع ورود الهم عنك بقهوة مخزونة في حانة الحمار  
جازت مدى الأعمار ؛ فهي كأنها عند المذاق تزيد في الأعمار  
يسعى بها خنث الجفون منعم في خده ماء النضارة جار  
في رقة البردان بين مزارع محفوفة ببنفسج وبهار  
بلد يشبه صيفه بخريفه رطب الأصائل بارد الأسحار  
(٧) قطربل بضم فسكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، اسم قرية

مَلَكَ الْعِیُونَ ؛ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِیْنَهُ      نَظَرَ الْمَحَبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ  
وقال إسحاق بن خلف النـروانی لأبی دُلْفَ ، وكان له فرسٌ أدهم

لإسحاق بن  
خلف يصف  
فرس أبي دلف

كَمْ كَمْ تَجَرَّعَهُ الْمَنُونُ وَيَسْلُمُ      لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ لَهُ الْفَمُ  
من كل منبت شعرة من جلده  
مَا تُدْرِكُ الْأَرْوَاحُ أَذْنَى جَرِيهِ      حَتَّى يَفُوتَ الرِّيحَ وَهُوَ مُقَدَّمُ  
رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا      وَاللَّوْنُ أَدْهَمُ حِينَ ضَرَجَهُ الدَّمُ  
وَكَاثِمًا عَقْدَ النُّجُومِ بِطَرَفِهِ      وَكَأَنَّهُ يُعْرَى الْمَجَرَّةَ مُلْجَمُ

وقال أبو الطيب :

جَفَّتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمَهَا      وَأَطْعَمَهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورِ الدُّهْمِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

قَدْ رَاحَ تَحْتَ الصُّبْحِ لَيْلٌ مُظْلَمٌ      إِذْ لَاحَ فِي السَّرْجِ الْحَلَّ الْأُدْهَمُ  
دِيْبَاجُ أَلْوَانِ الْجِيَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ      لِيُخَصَّ بِالْدِيْبَاجِ إِلَّا الْأَكْرَمُ  
ضَحِكَ اللَّجَيْنُ عَلَى سَوَادِ أَدِيمِهِ      وَكَذَا الظَّلَامُ تُنِيرُ فِيهِ الْأَنْجَمُ  
فَكَأَنَّهُ يَبْنَاتُ نَعَشٍ مَلْبَبٌ      وَكَأَنَّمَا هُوَ بِالثَّرِيَّا مُلْجَمُ

لأبي الفتح  
كشاجم

قلت : هذا من قول ابن المعتز :

أَلَا فَاسْقِيَانِي وَالظَّلَامُ مُقَوَّضٌ      وَنَجْمُ الدُّجَى تَحْتَ الْمَغَارِبِ يَرُ كُضُ

لابن المعتز

= بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الحمر . وكانت لها أخبار كثيرة تتسع لكتاب في عدة مجلدات كما قال ياقوت ، إذ كانت ملعبا للاهين من شعراء الحمر والمجون  
(١) الخدم : القاطع



كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا  
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ :

تَفْتَحُ نَوْرٍ أَوْ لِجَامٍ مَفْضُضٌ

لأبي الفتح  
أيضاً

فِيهِ وَبَيْنَ يَقِينِهِ الْمِضَارُ

مَنْ شَكَّ فِي فَضْلِ الْكُمَيْتِ فَبَيْنَهُ

أَخْبَارُهُ إِذْ تُبْتَلَى الْأَخْبَارُ

فِي مَنْظَرٍ مُسْتَحْسَنِ مَحْمُودَةٍ

فَإِذَا اسْتُدِرَّ الْخَضِرُ فِيهِ فَنَارُ

مَاءٍ تَدْفُقُ طَاعَةً وَسَلَاسَةً

لِتُدِيرَهُ فَكَأَنَّهُ بِرُكَّارٍ

وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى نَاوِرِهِ

أَهْدَى الْخُلُوقَ أَدِيمَهُ فَكَأَنَّمَا

وَصَفَ الْخُلُوقَ أَدِيمَهُ فَكَأَنَّمَا

وَالرَّسْعُ ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَاقِ قِصَارُ

قَصَرَتْ قِلَادَةُ نَجْرِهِ وَعِذَارِهِ

وَكَأَنَّمَا لِلضَّيْعِ فِيهِ وَجَارُ<sup>(٢)</sup>

وَكَأَنَّمَا هَادِيهِ جِدْعٌ مُشْرِفٌ

وَيَرُودُ طَرْفَكَ خَلْفَهُ فَتَحَارُ<sup>(٣)</sup>

يَرِدُ الضَّحَا ضَحْ غَيْرِثَانِي سُنْدُكٍ

حَاكَّتَهُ مِنْ أَشْكَالِهَا الْأَطْيَارُ

لَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْخَيْلِ نِسْبَةُ خَلْقِهِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَنَايِبُ سُمْرٍ مِنْ قَنَا اَلْخَطِّ دُؤْبَلُ

وَخَيْلٍ طَوَاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَأَنَّهَا

فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

صَبِينَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - سَيَاطِنَا

قَوْلُهُ : « ظَالِمِينَ » مِنْ أَوَّلِ حَشْوٍ جَرَى فِي بَيْتٍ ، وَكَأَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِ أَشَارَ

لأعرابي مولد

إِلَى قَوْلِ أَعْرَابِي مَوْلِدٍ :

إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذِكْرُ<sup>(٤)</sup>

وَعَوْدٍ قَلِيلِ الذَّنْبِ عَاوَدْتُ ضَرْبَهُ

لَكَ الضَّرْبُ ، فَاصْبِرْ إِنْ عَادَ تِلْكَ الصَّبْرُ<sup>(٥)</sup>

فَقُلْتُ لَهُ : ذَلْفَاءُ - وَيَحْكُ - سَبَبْتُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

كَقَدْحِ النَّبْعِ فِي الرَّيْشِ اللَّوَامُ<sup>(٦)</sup>

أَرَا جَعَلْتِي فِدَاكَ بِأَعْوَجِي

لأبي المعتز أيضاً

(١) الخلق : نوع من الطيب (٢) هاديته : صدره (٣) الضحاضح : بقايا الماء

(٤) العود : البعير (٥) ذلفاء : اسم امرأة ، يريد أن حب السرعة إلى لقاءها هو

السبب في ضرب راحلته (م) (٥) الأعوجي : الفرس الكريم ، منسوب إلى أعوج ،

واللوام : الحكم

بَادَهُمْ كَالظَّلَامِ أَغْرَى يَحْلُو  
تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ  
بَغْرَتُهُ دَيَاجِيرَ الظَّلَامِ  
صُعُودَ الْبَرْقِ فِي جَوْ النَّعَامِ  
وقال أيضاً :

قَدْ أَغْتَدَى وَالصُّبْحُ كَالشَّيْبِ  
بِقَارِحِ مُسَوِّمٍ يَعْجُوبِ  
فِي أَفْقٍ مِثْلِ مَدَالِئِ الطَّيِّبِ  
أَوْ آسَةٍ أَوْفَتْ عَلَى قَضِيبِ  
ذِي أُذُنٍ كَخَوْصَةِ الْعَسِيبِ (١)  
أَسْرَعَ مِنْ مَاءٍ إِلَى تَضْوِيبِ  
يَسْبِقُ شَاوَ النَّظَرِ الرَّحِيبِ  
وَمِنْ رُجُوعِ لَحْظَةِ الْمُرِيبِ (٢)  
وقال :

رُبَّ رَكْبٍ عَرَّسُوا ثَمَّ هَبُّوا  
وَعَدُونَا بِأَعْنَةِ خَيْلِ  
نَحْوِ إِمْرَاجٍ وَشَدَّ رِحَالِ  
زَيْنَتِهَا غَرَرُ ضَاحِكَاتِ  
تَأْكُلُ الْأَرْضَ بِأَيْدِ عِجَالِ  
كَبُورٍ فِي وَجْهِهِ لِيَالِ  
وقال علي بن محمد الإيادي :

لعلي الإيادي

مَسَحَ الظَّلَامُ بَعْرُفَهُ يَدَهُ  
وَمَشَى فَقَبَّلَ وَجْهَهُ الْبَدْرُ  
وقال الناشيء أبو العباس عبد الله بن محمد :

لأبي العباس  
الناشيء

أَخْوَى عَلَيْهِ مَسَاحٌ مِنْ لِبْطَةٍ  
فَكَأَنَّهُ مُتَلَفَعٌ قُبْطِيَّةً  
شُهْبٌ تَسِيلُ عَلَى نَوَاشِرِ سَاقِهِ (٣)  
أَتْنَاوْهَا مَشْدُودَةً بِنَطَاقِهِ  
فَسَوَادُهُ كَاللَّيْلِ فِي إِظْلَامِهِ  
صَافِي الْأَدِيمِ كَرِيمَةٍ أَنْسَابُهُ  
وَبَيَاضُهُ كَالصُّبْحِ فِي إِشْرَاقِهِ  
أَخْلَاقُهُ عَيْنٌ عَلَى أَعْرَاقِهِ

(١) القارح : الفرس القوى ، ومسوم : وضعت عليه السومة ، وهي العلامة ،  
واليعبوب : الفرس السريع الطويل ، والعسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة  
والذي لم ينبت عليه الخوص من السعف  
(٢) تصويب : انحدار (٣) الليطة - بكسر اللام - قشر القصب والقوس والقناة

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي إلى الأمير أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال ، وقد زاره الأمير في داره :

لا زال بحمدك للسمك رسيلا      وعلو جَدِّكَ بالخلود كفيلا<sup>(١)</sup>  
يا غُرَّةَ الزمنِ البهيمِ إذا غدا      أهلُ العَلَا لزمانهم تحجيلا  
يا زائراً مدَّتْ سَحَابُ طَوَّله      ظِلًّا عَلَى مِنَ الجمالِ ظليلا  
وأنت بصوبِ جواهرٍ من لفظه      حتى انتظمنَ لِمُفرِقِ إكديلا  
بأبي وغيرِ أبي هلالٍ نُورُهُ      يستعجلُ التسييحَ والتهلِلا  
نقشت حوافِرُ طرفه في عَرَصَتِي      نَقْشًا مَجَّوْتُ رِسومِهِ تَقِيلا  
ولو استطعت فَرَشْتُ مَسْقَطَ خَطْوِهِ      بعيونِ عَيْنٍ لا تَرَى التَّكْحِيلا  
وَنَثَرْتُ رُوحِي بعد ما مَلَكْتَ يَدِي      وَخَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ هَوَاهُ قَتِيلا

وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز :

له المقرَّبَاتُ الجُرْدُ يُنْعِلُهَا دَمًا      إذا فَرَعَتْهَا مَ الكِماءُ السَّابِكُ  
يُرِيقُ عَلَيْهَا اللُّؤْلُؤُ الرُّطْبُ مَاءُهُ      وَيَسِيكُ فِيهَا ذَائِبَ التَّبْرِ سَابِكُ  
صَقِيلَاتُ أَجْسَامِ البرُوقِ كَأَنَّمَا      أَمَرْتُ عَلَيْهَا بِالشَّمُوسِ المَدَاوِكُ

وقال يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون :

تَهَلَّلَ مَصْقُولَ النَوَاحِي كَأَنَّهُ      إذا جَالَ مَاءَ الحُسْنِ فِيهِ غَرِيقُ  
مِنَ البُهْمِ وَرَدَ اللُّونَ شَيْبَ بَكْمَتِهِ      كَمَا شَيْبَ بِالمَسكِ الفَتِيقِ خَلُوقُ<sup>(٢)</sup>  
فَلَوْ مِيزَ مِنْهُ كُلُّ لَوْنٍ بِذَاتِهِ      جَرَى سَبِجٌ مِنْهُ وَذَابَ عَقِيقُ<sup>(٣)</sup>

وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني :

فَتَقَتْ لَكُمْ رِيحُ الجِلَادِ بَعْنَبِرٍ      وَأَمَدَّكُمْ فَلَقُ الصَّبَاحِ المُسْفِرِ

(١) رسيل : قرين (٢) البهم : جمع بهيم ، وهو الأسود ، وشيب : خلط

(٣) السبيج : السواد ، والعقيق : أراد الأحمر

لابن هاني  
يصف خيل  
المعز

ولابن هاني  
أيضاً

وجنيتُم ثمَرَّ الوقائع يانعا  
أبني العوالى السَّهْمِيَّةَ والسيو  
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ  
القائد الخليل العِتَاقِ شِوَازِبًا  
شُعْتَ النَّوَاصِي حَسْرَةَ آذَانِهَا  
تنبؤ سنا بكهن عن غفرِ الثَّرى  
فى فتية صدأ الحديدِ عَيْرُهُمْ  
لا يأكل السَّرْحَانُ شِلْوُ عَيْرِهِمْ  
بالتَّصْرِ من ورق الحديد الأَخْضَرِ  
ف المَشْرِفِيَّةَ والعديد الأَكْثَرِ  
تحت السَّوَابِغِ تُبَعِّعُ فى حَيْبِ  
خُزْرًا إلى لحظ السَّنَانِ الأَخْزَرِ<sup>(١)</sup>  
قُبَّ الأَيَاطِلِ دَامِيَاتِ الأَنْسَرِ<sup>(٢)</sup>  
فِيظَانٍ فى خَدِّ العَزِيزِ الأَصْغَرِ<sup>(٣)</sup>  
وخلوقهم علق النَّجِيعِ الأَحْمَرِ<sup>(٤)</sup>  
مما عليه من القنَا المتكسِّرِ<sup>(٥)</sup>

وقال فى قصيدة يمدح بها إبراهيم بن جعفر بن على :

غُخِرَ لَطْرَفُ أَعُوجَى أَنْتَ فى  
صَهْوَاتِهِ وَالْحَسَنِ وَالتَّطْهِيمِ<sup>(٦)</sup>  
يُبْدِي لِعَزْكِ نَحْوَةً ، فَكَأَنَّهُ  
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ عَظِيمُ  
هَادٍ عَلَى الْخَلِيلِ الْعِتَاقِ ، كَأَنَّهُ  
بَيْنَ الدُّجْنَةِ وَالصَّبَاحِ مَرِيمِ<sup>(٧)</sup>

(١) شِوَازِب : جمع شازب ، وهو الفرس الضامر ، والخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه

(٢) الأَيَاطِل : جمع أياطل وهو الخصر ، وقب : جمع أقب وقباء من القبب بالتحريك وهو دقة الخصر وضمور البطن ، والأنسر : جمع نسر ، وهوما ارتفع فى باطن حافر الفرس من أعلاه .

(٣) الأصغر : الذى يصغر خده ويميله عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا

(٤) النجيع : دم الجوف ، والعلق : الدم الغليظ ، والخلوق : الطيب

(٥) السرحان : الذئب ، والشلو : العضو والجسد

(٦) التطهيم : الحسن ، يقال : جواد مطهم ، ورجل مطهم ، وامرأة فى خلقها تطهيم

(٧) العتاق : الخيل الجياد ، والدجنة : الظلمة ، والصريم : المنقطع ، وأصله

الرملة المنصرمة من الرمال . والمراد أن لونه وسط بين السواد والبياض فهو كمت

سَامِي الْقَذَالِ بِمِسْمَعِيهِ عِيَافَةً<sup>(١)</sup>      تَحْتَ الدَّجَى وَلَطَرَفِهِ تَنْجِيمٌ<sup>(١)</sup>  
 أَذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ ، وَقَلْبٌ أَصْمَعٌ<sup>(٢)</sup>      وَحَشًّا أَقْبُ ، وَكَلْكَلٌ مَلُومٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَالطَّوْدُ مِنْ صَهَوَاتِهِ مُتَزَلِّزٌ<sup>(٣)</sup>      وَالْجَيْشُ مِنْ أَنْفَاسِهِ مَهْزُومٌ<sup>(٣)</sup>  
 خَرَقَ الْعَيُونََ فَضَلَّ عَنْهَا لَوْنُهُ<sup>(٤)</sup>      وَصَفَا قُلُوبَنَا مَا عَلَيْهِ أَدِيمٌ<sup>(٤)</sup>  
 فَكَأَنَّمَا جَدَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ<sup>(٥)</sup>      وَاجْبَابَ عَنْهُ عَارِضٌ مَرَّ كَرَمٌ<sup>(٥)</sup>  
 وَكَأَنَّمَا نُحِرَتْ عَلَيْهِ بَوَارِقٌ<sup>(٦)</sup>      وَكَأَنَّمَا كُسِفَتْ عَلَيْهِ نُجُومٌ<sup>(٦)</sup>  
 وَكَأَنَّكَ ابْنُ الْمَنْذِرِ النِّعْمَانُ فَوْ<sup>(٧)</sup>      قِ سِرَاتِهِ ، وَكَأَنَّهُ الْيَحْمُومُ<sup>(٧)</sup>

لعلى بن محمد  
الإيادي

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيُّ يَصِفُ فَرَسَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقَاسِمِ :  
 وَأَقْبُ مِنْ لَحْقِ الْجِيَادِ ، كَأَنَّهُ<sup>(٥)</sup>      قَصْرُهُ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ مِنْ رُكْنِهِ<sup>(٥)</sup>  
 لَدَيْتُ قَوَائِمَهُ عَصَائِبَ فِضَّةٍ<sup>(٦)</sup>      وَغَدَّتْ بِسُورٍ صَفَا الْمَسِيلِ وَدُكْنِهِ<sup>(٦)</sup>  
 وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ<sup>(٧)</sup>      حُسْنًا ، أَوْ اخْتَبَسَ الظَّلَامُ بِمَتْنِهِ<sup>(٧)</sup>  
 قَيْدُ الْعَيُونَِ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ<sup>(٨)</sup>      وَرَضَا الْقُلُوبُ إِذَا اصْطَلَيْنَ بِضَعْفِهِ<sup>(٨)</sup>  
 مُنْسَيِّطٌ بِالرَّاكِبِينَ ، كَأَنَّهُ<sup>(٩)</sup>      بَازٍ تَرُوحُ بِهِ الْجُنُوبُ لَوْ كُنْهِ<sup>(٩)</sup>

(١) القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية ، والعيافة : زجر الطير وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشأم ، والعائف : المتسكهن بالطير أو غيرها ، والتنجيم : النظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، والمراد أن أذن هذا الجواد تدلانه على مواقع الخير والشر في الظلام

(٢) مؤللة : من قولهم «أل الفرس» إذا نصب أذنيه وحددهما ، والقلب الأصمع : هو الذكي المتيقظ ، والأقب : الضامر ، والكلكل : الصدر ، ومن الفرس ما بين محزمه إلى مامس الأرض منه إذا ربض ،

(٣) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والمركوم : المتراكم الذي جمع بعضه

فوق بعض . (٤) اليحوم : علم على فرس النعمان بن المنذر (م)

(٥) أقب : ضامر دقيق ، ولحق : ضمير (م) (٦) متنة : ظهره (م)

(٧) الوكن : العش ومثله الوكنة .

يستوقف اللحظات في خطراته  
 حلوا الصهيل تحال في لهواته  
 متجبر يُذني بعنق نجاره  
 ذو نخوة شمخت به عن نده  
 وكأنه فلك إذا حرّكته  
 قد راح يحمل جعفر بن محمد  
 بكال خلقتِه ودقة حُسِنه  
 حاد يصوغ بدائعا من لحنه (١)  
 إشراف كاهله ودقة أذنه (٢)  
 وشهامة طمحت به عن قرنه (٣)  
 جار على سهل البلاد وحزنه  
 تحمل النسيم لوابل من مرنه

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي :

لأبي الطيب  
 المتنبي

ويوم كآون العاشقين كمنته  
 وعيني إلى أذني أغر كأنه  
 له فضلة عن جسمه في إهابه  
 شقت به الظلمات ، أذني عنانه  
 وأصرع أي الوحش قفيته به  
 وما الخيل إلا كالصديق قليلة  
 إذا لم تشاعد غير حسن شياتها  
 أراقب فيه الشمس أيان تغرب (٤)  
 من الليل باق بين عينيه كوكب (٥)  
 تجي على صدر رحيب وتذهب (٦)  
 فيظفي ، وأرخيه مرارا فيلعب (٧)  
 وأنزل عنه مثله حين أركب (٨)  
 وإن كثرت في بن من لا يجرب  
 وأعضائها فالحسن عنك مغيب (٩)

(١) اللهوات : مجارى الحلق

(٢) عتق النجار : كرم العنصر (٣) الند ، ومثله القرن : النظير

(٤) كمنته : أي كنت فيه واستترت (٥) أغر : من الغرة وهي البياض في جهة الفرس

(٦) الإهاب : الجلد ، وهو يصف الفرس بعرض الصدر وسعة الجلد لتسهيل عليه

سرعة العدو

(٧) العنان : اللجام

(٨) قفيته : اتبعته ، ومثله : منصوب على الحالية من الضمير في (عنه). يريد وصف

الحصان بدوام النشاط فهو عند النزول مثله عند الركوب

(٩) الشيات : الألوان

وينخرط في سلك هذا المعنى مقامة<sup>(١)</sup> من مقامات الإسكندري في الكدية<sup>(٢)</sup> مما أنشأه بديع الزمان وأمله في شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة .  
قال البديع :  
مقامة لبديع الزمان في وصف فرس

حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عرض عليه فرس \* متى ماترق العين فيه تسهل<sup>(٣)</sup> \* فلحظته الجماعة ؛ فقال سيف الدولة : أيكم أحسن صفته ، جعلته صليته ؛ فكل جاهد جهده ، وبذل ماعنده ؛ فقال أحد خدمه : أصلح الله الأمير ! رأيت بالأمس رجلاً يطأ الفصاحة بعمليه<sup>(٤)</sup> ، وتقف الأبصار عليه ، يسأل الناس ، ويشفي الياس ، ولو أمر الأمير بإحضاره ، لفضلهم بحضاره<sup>(٥)</sup> .

فقال سيف الدولة : على به في هيئته ، فصار الخدم في طلبه ، فجاءوا للوقت به ، ولم يعلموه لأى حال دعي به ، ثم قرب واستدنى ، وهو في طمرين قد أكل الدهر عليهم وشرب<sup>(٦)</sup> ، وحين حضر السباط ، لثم البساط ، ووقف . فقال سيف الدولة : بلغتنا عنك عارضة<sup>(٧)</sup> ، فاعرضها في هذا الفرس وصفه . فقال : أصلح الله الأمير ! كيف به قبل ركوبه ووئوبه ، وكشف عيوبه [ وغيوبه ] ؟ فقال : اركبه ، فركبه وأجراه ، ثم قال : أصلح الله الأمير ! هو طويل الأذنين ،

(١) هذه المقامة شرحها مؤلف زهر الآداب فليعد القارىء إلى شرحه في الصحيفة التي تلى المتامة ، وليكتف منا بما نراه من الشرح القليل ( وانظر مقامات البديع ١٥٠ بيروت ) (٢) الكدية : قسوة الدهر ، والمراد هنا الاستجداء (٣) يريد أن أعلاه وأذناه مستويان في الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من معلقة امرئ القيس

(٤) كناية عن اتقائها له (٥) الحضار - بالكسر - أصله جودة السير وسرعته (٦) الطمران : ثوبان باليان (٧) العارضة : سرعة البديهة

قليل الاثنين، واسع المراث<sup>(١)</sup>، ثلث الثلاث، غليظ الأكرع<sup>(٢)</sup>، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف الخنس، ضيق القلت<sup>(٣)</sup>، رقيق الست، حديد السمع، غليظ السبع، رقيق اللسان<sup>(٤)</sup>، عريض الثمان، شديد الضلع<sup>(٥)</sup>، قصير التسع، واسع السخر<sup>(٦)</sup>، بعيد العشر، يأخذ بالسابع، ويطلق بالرامح، ويطلع بلائح، ويضحك عن قارح، يحز وجه الكديد<sup>(٧)</sup>، بمداق الحديد، يحضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج.

فقال سيف الدولة: لك الفرس مباركاً فيه. فقال: لازلت تأخذ الأنفاس، وتمنح الأفراس، ثم انصرف، وتبعته، وقلت: لك على ما يليق بهذا الفرس من خيلة إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحبت.

فقلت: ماعنى قولك: بعيد العشر؟ فقال: بعيد النظر، والخطو، وأعلى الجنين<sup>(٨)</sup>، وما بين الوقبين والجاعرين، وما بين الغرائين، والمنخرين، وما بين الرجلين، وما بين النقبة والصفاق، وبعيد القامة في السباق.

فقلت: لا فض فوك! فما معنى قولك: قصير التسع؟ قال: هالك: قصير الشعرة، قصير الأطرّة، قصير العسيب، قصير القضيب، قصير العضدين، قصير الرؤسفين، قصير النساء، قصير الظهر، قصير الوظيف.

فقلت: لله أنت! فمات معنى قولك: عريض الثمان؟ قال: عريض الجبهة، عريض الصهوة، عريض الكتف، عريض الجنب، عريض الورك، عريض العصب، عريض البلدة، عريض صفحة العنق.

فقلت: أحسنت، فما معنى قولك: غليظ السبع؟ قال: غليظ الذراع،

- (١) المراث: خوران الفرس، وهو المبر (٢) الأكرع: جمع كراع، وهو مادون الكعب (٣) القلت: النقرة في رأس الورك (٤) في المقامات «دقيق اللسان» (م) (٥) وفيها «مديد الضلع» (م) (٦) وفيها «واسع الشجر» وفي نسخة «واسع النحر» (م) (٧) الكديد: الأرض الغليظة، وفي المقامات «وجه الجديد» (م) (٨) بعد أعلى الجنين كناية عن متانة الخلق



غليظ المخزوم ، غليظ العكوة ، غليظ الشوى ، غليظ الرنغ ، غليظ الفخذين ، غليظ الجبال<sup>(١)</sup> .

فقلت : لله درك ! فما معنى قولك : رقيق الست ؟ فقال : رقيق الجفن ، رقيق السالقة ، رقيق الجحفة ، رقيق الأديم ، رقيق أعلى الأذنين ، رقيق العريضين<sup>(٢)</sup> .

فقلت : أجدت ، فما معنى قولك : لطيف الخمس ؟ قال : لطيف الزور ، لطيف النسر ، لطيف الجبة ، لطيف العجاية ، لطيف الركبة .

فقلت : حياك الله ! فما معنى قولك : غامض الأربع ؟ قال : غامض أعلى الكتفين ، غامض المرفقين ، غامض الججاجين ، غامض الشطى .

قلت : فما معنى قولك : لين الثلاث ؟ قال : لين المردعتين ، لين العرف ، لين المتان

قلت : فما معنى قولك : قليل الاثنين ؟ قال : قليل لحم الوجه ، قليل لحم المتنين .

قلت : فمن أين نبات هذا العلم ؟ قال : من الثغور الأموية ، وبلاد الإسكندرية .

فقلت له : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل ؟! فأناشأ يقول :

ساحف زمانك جدًّا فالدهر جدُّ سخيِّف

دع الحمية سنيًّا وعش بخير وريف

وقل لعبدك هذا ينجى لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في « لين الثلاث »<sup>(٣)</sup> ، وأكثر هذا التفسير يحتاج إلى

(١) الجبال : جمع جبل ، والمراد بها هنا العروق ، وهكذا وقع هذا « اللفظ »

وسبكره المؤلف في شرح ألفاظ هذه المقامة : ووقع في أصل المقامات (١٥٥) بيروت « غليظ الحاذ » والحاذ : الظهر ، أو موضع اللبد من الفرس (م)

(٢) في المقامات « العريضين » بالعين المهملة (م)

(٣) قول المؤلف : « سقط عنا تفسيره في لين الثلاث » يدل على أن المقامة التي

أثبتها لم يكن فيها تفسير « لين الثلاث » ولكن النص الموجود فيه تفسير ذلك ،

فمن المرجح إذن أن يكون بعض النساخ أضاف هذا التفسير إلى المقامة نقلًا عن

إحدى نسخ المقامات ، وقد فات ذلك الناسخ أن يشير إلى أن المؤلف نقل عن نسخة لم يكن فيها تفسير « لين الثلاث »

تفسير، ولم يُردّ بما أُورد إفهام القوام ، والبلاغة لحة دالة ، وبلاغة النثر أخت بلاغة الشعر ؛ وقد قال البحترى :

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبته

وسأقول فى شرحه بكلام وجيز زيادة فى الإفادة : الوَقْبَان : نُقْرَتَان فوق العينين . والجاعِرَتَان من الفرس : موضع الرِّقَّتَيْن من الحمار ، وهما منتهى ضَرْبِهِ بذَنْبِهِ إذا حَرَّكَه . والغرابان : الثَّانِثَانِ من أعلى الوركين ، وذكر النقة هنا ، وهو الذى يُعرف بالمنقب ، وهو من الشَّرَّةِ حيث ينقب البيطار . والصفاق : الخاصرة ، وقد قيل : جلد البطن كله صفاق ، والذى أرادته الخاصرة . وأراد ببُعد القامة فى السباق امتدادَهُ إذا جرى مع الأرض . والأطَرَّة هنا : طرف الأبهَر ، وهى طِفْطِفَةٌ غليظة . والأبهر : عِرْقٌ يستبطن الظهر ، فيتصل بالقلب ، وقيل : هو الأكل . والعسيب : عظم الذنب . والرُشْع من الفرس : موضع القيد . والنَّسَا : عرق مستبطن الفخذين ، وقصره محمود فى جرى الفرس ، ولكنه لا يسمح بالمشى . والوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرُشْع إلى الساق . والصَّهْوَة : الظهر . والبَلْدَة : ما بين عينيه . والعُكْوَة : مغرز الذَّنْب . والشَّوْى : الأطراف . والحبال : حبال العاتق والظَّهْر . والجَحْفَلَة من ذوات الحافر : كالشفة من الإنسان . والغُرْضَان من الفرس : ما انحدر من قَصْبَةِ الأنف من جانبيها . والزور : الصدر . والنَّسْر فى الحافر : لحة يابسة أسفلها يشبهها الشعراء بالنوى . والجَبَّة : التى فيها الحوشب . والحَوْشَب : حشو الحافر . والعُجَاية : عَصَب فى قوائم الفرس والبعر مركب فيه فصوص من عظام كأمثال الكعاب تكون عند الرِّسْع . والحِجَاجَان : العظام المطبقان بالعين . والشَّطَى : عظم لاصق بالذراع . والمتنان : جانبا الظهر ؛ وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة <sup>(١)</sup> .

(١) تلك الثلاث هى « لين المردغتين » والمردغة : ما بين العنق إلى الترقوة ، ثم « لين العرف » وهو الشعر الغزير النابت على عنق الفرس ، ثم « لين العنان » وهو سير اللجام ، ولين العنان : كناية عن طاعة الجواد

[ قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه ]

قال الجاحظ : قال أبو القاسم بن معن السعودي لعيسى بن موسى : أيها الأمير ؛ ما انتفعتُ بك مُنْذُ عرفتُك ، ولا إلى خيرٍ وصلتُ منك منذَ صَحِبْتُكَ ، فقال : ولم ؟ ألم أكلّمُ لك أميرَ المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال : بلى ! فهل استنجزتَ ما وعدتَ ، وعادتَ ما ابتدأتَ ؟ فقال : حالتُ دون ذلك أمورٌ قاطعة ، وأحوالٌ عاذرة . قال : أيها الأمير ، فما زدَني على أن نبهتَ الهمَّ من رَقَدَتِه ، وأثرتَ الحزنَ من رُبُصَتِه ، إنَّ الوعدَ إذا لم يصحِّبه إنجازٌ يحقِّقه كان كلفظٍ لا معنى له ، وجسمٍ لا روحَ فيه .

وكلم منصورُ بنُ زيادٍ يحيى بنَ خالدٍ في حاجةٍ لرجلٍ ، فقال : عِدَّةُ قَضَاءِهَا . بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد قال : قلت : أصلحك الله ! وما يدعوك إلى العِدَّة مع وجود القدرة ؟ فقال : هذا قولٌ من لا يعرفُ موضعَ الصَّنائع من القلوب ، إنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدّمها مَوْعِدٌ ينتظر به نُجْحُهَا لم تتجاذبِ الأنفسُ سرورها ؛ إنَّ الوعدَ تطمئنم والإنجازَ طمأنينة ؛ وليس من فاجأه طعامٌ كمن وجدَ رائحته ، وتمطّق به ، وتطعمه ثم طعمه ؛ فدفع الحاجةَ تُختمُ بالوعد ؛ ليكونَ بها عند المصطنع حُسْنُ مَوْقِعٍ ، ولُطْفُ مَحَلٍّ .

ووعده المهديُّ عيسى بنَ دأبٍ جاريةً ، ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مضعب الزبيرى معرضاً يقول مضرّس الأسدى :

فلا تياسَنَّ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَمْلَأَهُ      وَإِنْ كَانَ قَدِمًا بَيْنَ أَيْدٍ تَبَادِرُهُ

فضحك المهديُّ ، وقال : ادفعوا إلى عبد الله فلانة ، لجاريةٍ أخرى ؛ فقال عبد الله بن مصعب :

أَنْجِزْ خَيْرُ النَّاسِ قَبْلَ وَعْدِهِ      أَرَأَيْتَ مِنْ مَطْلٍ وَطُولٍ كَدَهُ

فقال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حَلَاوَةٌ الْفَضْلُ بَوَعْدٍ يُنَجِّزُ . لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهَبٍ يُنْهَزُ  
فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا تَقَدَّمَ بِهِ ضَمَانُ

وقد قال أبو قابوس النصارى يمدح يحيى بن خالد :  
رَأَيْتُ يُحْيِي ، أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ، يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ  
يَنْسَى الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرِفِهِ أَبَدًا إِلَى الرِّجَالِ ، وَلَا يَنْسَى الَّذِي يَبْدُو  
وقال أبو الطيب المتنبي :

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكِمَاةِ لَا الْحُلُمُ  
كَأَنَّمَا يُؤَلِّدُ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صِفْرُ عَادِرَتِهِ وَلَا هَرَمُ  
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا  
تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا<sup>(١)</sup>

ودخل أبو علي البصير على الفضل بن يحيى ، فأنشده :

وَصِفَ الصَّدُّ لَمَنْ أَهْوَى فَصْدٌ وَبَدَا يَمْزَحُ بِالْهَجْرِ . فَجَدَّ  
مَالَهُ يَعْدِلُ عَنِّي وَجْهَهُ وَهُوَ لَا يَعْدِلُهُ عِنْدِي أَحَدٌ  
لَا تَرِيدُوا غِرَّةَ الْفَضْلِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْغِرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ<sup>(٢)</sup>  
مَلِكٌ نَدَفَعُ مَا نَخَشَى بِهِ وَبِهِ نُصْلِحُ مِمَّا مَافَسَدُ  
يُنَجِّزُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا أُنْجَزَ الْفَضْلُ وَعَدُ

وقال ابن الرومي في هذا المعنى :

لَهُ مَوَاعِدُ بِالْخَيْرَاتِ بَادِرَةٌ لَكِنَّا تَسْبِقُ الْمِعَادَ بِالصَّفَدِ<sup>(٣)</sup>  
يُعْطِيكَ فِي الْيَوْمِ حَقَّ الْيَوْمِ مَبْتَدَأًا وَلَا يُضَيِّعُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ

لأبي قابوس  
يمدح يحيى بن  
خالد

لأبي الطيب  
المتنبي

لأبي علي البصير  
في الفضل  
بن يحيى

لابن الرومي

(١) الاعتداد : الاهتمام ، وفي طبعة بولاق « اعدادهم »

(٢) خيس الأسد : عرينه (٣) الصفد : العطاء

[ من عرف قدر النعمة استدماها ]

خطب سليمان بن عبد الملك فقال : أيها الناس ، مَنْ لم يعلم أبوابَ مدخله بين سليمان بن عبد الملك وأبي وائل حاجبه في الكرامة ، وجهل طريقته التي وقعت به على النعمة كان بعرضِ رجوع إلى دار هوان ، وانقلابٍ بفادحِ خسران .

فقام إليه أبو وائل السدوسي ، وهو حاجبه ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا كما قال الله تعالى : ( هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ) ، ثم صرنا كما قال زهير :

يَدُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ تَنَاوَلَتْهُمْ      بِإِحْسَانٍ فَلَيْسَ لَهَا مُزِيلُ  
لَأَنَّ الْخَيْرَ أَجْمَعَ فِي يَدَيْهِ      وَرَبِّي بِالْجَزَاءِ لَهُ كَفِيلُ

فقال سليمان : هذه والله المعرفة بقدر النعمة ، والعلم بما يجب للمنعم .

وروى يونس بن المختار في دار المأمون ، ومرتبته في أعلى مراتب بني العباس ، قاعداً على الأرض ، فقال الحاجب : ارتفع يا أبا المعلى إلى مرتبتك ، قال : قد رفعني الله إليها بأمر المؤمنين ، وليس لي عمل يفي بها ، فلم لأكرمها عن القعود عنها<sup>(١)</sup> إلى أن يتهياً لي الشكر عليها ؟ فبلغ الكلام المأمون ؛ فقال : هذا والله غاية الشكر ، وبمثله تدرّ النعم .

وقال رجل للمعلى بن أيوب ، وقد رفعه المعتصم إلى مرتبة أهل بيته : ما يزيدك التقريب إلا تباعداً . فقال : يا هذا ؛ إني أصون تقريبه إياي بتباعدي منه ؛ لئلا تفسد حُرمتي عنده بقلّة الشكر على نعمته .

ولما استعان المنصور بالحارث بن حسان قال له : يا حارث ؛ إني قد مكنتك من حُسن رأيي فيك ، فاحفظه بتركِ إغفال ما يجبُ عليك ! قال : يا أمير حسان

المؤمنين ، مَنْ أَغْفَلَ سَبَبَ حُلُولِ النِّعْمَةِ ، وَلَهَا عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَصَارَتْهُ إِلَيْهَا ،  
استصحبَ اليأسَ مِنْ نَيْلِ مِثْلِهَا ، وانقطعَ رجاؤه مِنْ الزِّيَادَةِ فِيهَا ، فَقَالَ  
أَبُو جَعْفَرٍ : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ دَامَتْ النِّعْمَةُ لَهُ ، وَبَقِيَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ .

وَمَا قَالَ الْمَأْمُونُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عِنْدَ قُدُومِهِ مِنْ مِصْرَ : مَا سَرَّنِي اللَّهُ  
مِنْ دَوْلَتِ الْخِلَافَةِ بِشَيْءٍ عَظُمَ مَوْقِعُهُ عِنْدِي ، بَعْدَ جَمِيلِ عَافِيَةِ اللَّهِ ، هُوَ أَكْثَرُ  
مِنْ سُرُورِي بِقُدُومِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِذَنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَفْرِيقِ  
أَمْوَالِي مِنْ طَارِفٍ وَتَالِدٍ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : شُكْرًا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؛ وَإِلَّا  
قَصَّرَ بِي الْحَيَاءُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ لَمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ  
بَيْتِهِ وَقَوَّادِهِ : مَا شِئْتُ مِنَ الْخِلَافَةِ يَنْبَغِي لِعَبْدِ اللَّهِ بِبَعْضِ شُكْرِهِ .

بين المأمون  
وعبد الله بن  
طاهر

وقال أبو نواس :

لأبي نواس  
في المعنى

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَذِرًا      عَنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا  
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا      أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا<sup>(١)</sup>  
فإِلَيْكَ مِنِّي الْيُسُومُ تَقْدِمَةً      تَلْقَاكَ بِالتَّضَرُّجِ مِنْكَ شَفَا  
— لَا تَسْدِينَنِي إِلَى عَارِفَةٍ      حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

عارضه الناشئ واعترض معناه ، فقال :

للناشئ يعارض  
أبا نواس

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُحَدِّثْ إِلَيَّ يَدًا      حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا  
لَمْ أَخْظَ مِنْكَ بِنَائِلٍ أَبَدًا      وَرَجَعْتُ بِالْخُرْمَانِ مُنْصَرِفًا

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

مَا قَنَّا أَنْ نَعُودَ أَنْكَ أَوْ لَيْتَ أُمُورًا يَضِيقُ عَنْهَا الْجَزَاءُ  
غَمَرْتَنَا مِنْكَ الْأَيْدَى اللَّوَاتِي      مَا لِمِعْشَارِهَا لَدَيْنَا كِفَاءُ

(١) جللتني نعمًا : يريد غمرتني بها ، وأوهت : أضعفت (م)

فَهَيَّا نَا عَنْكَ الْحَيَاءَ طَوِيلًا      ثُمَّ قَدْ رَدَدْنَا إِلَيْكَ الْحَيَاءَ  
وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ قَرُبْتَ التَّنَائِي      وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ بَرَزْتَ الْجَفَاءَ  
غَيْرَ أَنَا أَنْضَاءَ شُكْرِ أُرِيحَتْ      وَقَدِيمَا أُرِيحَتْ الْأَنْضَاءُ<sup>(١)</sup>

### ألفاظ لأهل العصر

#### في المعجز عن الشكر لتكاثر الإِنعام والبر

عندى من برّه ما ملك الاعتذار بأزمته ، وقبض السنة أمراء الكلام  
وأئمتّه . عندى له مبارّ<sup>(٢)</sup> أعجزنى شكرها ، كما أعوزنى حضرها . شكره  
شأؤه بعيد لا تبلغه أشواطى ، ولا أتلاقى التفريط فى حقه بإفراطى . إحسانه  
يُعِيد العرب عجباً ، والفصحاء بكما . قد زحمتى من مكارمه ما يحصر عنه  
المبين ، ويصحبه العى وبئس القرين<sup>(٣)</sup> .

وقال أعرابى :

رَهْنَتْ يَدَى بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ      وَمَا فَوْقَ شُكْرِى لِلشُّكْرِ مَزِيدُ  
وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يَسْتَطَاعُ اسْتِطَاعُهُ      وَلَكِنْ مَا لَا يَسْتَطَاعُ شَدِيدُ  
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : كُنْتُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ ، فَأَتَى بَرَجْلُ تَرْعَدُ فَرَايَصُهُ<sup>(٤)</sup> ؛  
فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ الْمُؤْمِنُ : كَفَرْتَ نَعْمَتِي ، وَلَمْ تَشْكُرْ مَعْرُوفِي ، فَقَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَيْنَ يَقَعُ شُكْرِى فِي جَنْبِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَلَيَّ ، فَنَظَرَ إِلَى  
الْمُؤْمِنِ وَقَالَ مَتَمَثِّلًا :

وَلَوْ كَانَ يَسْتَعْنَى عَنِ الشُّكْرِ مَا جَدُّ      لَرَفَعَهُ قَدْرٌ أَوْ عَلَوْ مَكَانُ  
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ      فَقَالَ : اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانُ

(١) الأنضاء : المهازيل - واحدها نضو بكسر النون وسكون الضاد (م)

(٢) جمع مبرة (٣) نسخة بولاق « وبيز القرين » وهو تحريف

(٤) الفرائص : أوداج العنق

ثم التفت إلى الرجل فقال : هلاً قلت كما قال أصرم بن حميد :

ملكت حمدي حتى إنني رجلٌ      كلّي بكل ثناء فيك مشغلٌ  
خولت شكرى لما خولت من نعمٍ      فحُرُّ شكرى لما خولتني خولٌ<sup>(١)</sup>  
وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح  
البستي

لئن عجزت عن شكرِ برك قوتي      وأقوى الورى عن شكرِ برك عاجزٌ  
فإن ثنائي واعتقادي وطاقتي      لأفلاكٍ ما أو ليتنيها مرا كزٌ  
وقال أبو القاسم الزعفراني :

لي لسانٌ كأنه لي مُعادي      ليس يُنبئني عن كُنه ما في فؤادي  
حكم الله لي عليه فلو أنصف قلبي عرفت قدرَ ودادي  
وقال إسماعيل بن القاسم ، أبو العتاهية ، يمدحُ عمر بن العلاء :

بين أبي العتاهية  
وعمر بن  
العلاء

إني أمنتُ من الزمان ورَّيبه      لما علقتُ من الأمير حبَّالاً  
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله      لحدّوا له حرَّ الوجوهِ نعالاً  
ما كان هذا الجودُ حتى كنت يا      عمر ، ولو يوماً تزولُ لزالا  
إنَّ المطايا تشتكك لأمَّها      قطعتُ إليك سبَّاساً ورِّمالا  
فإذا وردن بنا وردن مُخِفَّةً      وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهي قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول .

وروي أن عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فحسده الشعراء ، وقالوا : لنا بباب الأمير أعوامٌ نتخذُ من الآمالِ ، ما وصلنا إلى بعض هذا ! فاتصل ذلك به ، فأمر بإحضارهم ، فقال : بلغني الذي قُلتُم ؛ وإنَّ أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبب فيها فلا يصلُ إلى المدح حتى تذهب لَذَّةُ حلاوته ، ورائقُ طلاوته ؛

(١) خولتني : أعطيتني وملكتني (م) - و الخول : حاشية من العبيد والإماء للواحد والجمع والمذكر والمؤنث



وإنَّ أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات يسيرة ، ثم قال : إنَّ اللطايا تشتكيك لأنها ...  
وأنشد الأبيات . وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه بره قليلا ،  
فكتب إليه يستبطئه :

أصابك علينا جودك العين يا عمر  
أصابتك عين في سخائك صلبة  
سنزقيك بالأشعار حتى تملها  
وقال :

يأبى العلاء ويأبى القرم مرداس  
أثنى عليك ولي حال تكذبني  
حتى إذا قيل : ما أولاك من صفد  
فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : لا تدخله علي ، فإني أستحي منه .  
وذكر بعض الرواة أن المهدي خرج متصيِّداً ، فسمع رجلا يتغنى من القصيدة  
التي مرَّت منها الأبيات في عمر بن العلاء آنفا :

يا مَنْ تفرَّد بالجمال فما ترى  
أكثر في قولي عليك من الرُّقى  
فأبيت إلا جفوة وقطيعة  
بالله قولي إن سالتك واصد في  
أم لا ، فقيم جفوتني وظلمتني  
كم لاثم لو كنت أسمع قوله  
عني على أحد سيواه جَمَلا  
وضربت في شِعري لك الأمثالا  
وأبيت إلا نخوة ودلالا  
أوجدت قتلي في الكتاب حلالا  
وجعلتني للعالمين نكالاً  
قد لامني ونهني وعدّ وقالاً

(١) النشر : جمع نشرة بالضمّة ، وهي الرقية يداوى بها المريض والمجنون .

(٢) القرم - بالفتح - القحل .

(٣) الصفد - بالتحريك - العطاء .

فقال المهديّ : عَلَيَّ بِهِ ، فجاءه ، فقال : لِمَنْ هَذَا الشَّعْر ؟ قال : لِإِسْمَاعِيلَ .  
ابن القاسم أبي العتاهية ، قال : لِمَنْ يَقُولُهُ ؟ قال : لِعُتْبَةَ جَارِيَةِ الْمَهْدِيِّ ، قَالَ :  
كَذَّبْتَ ، لَوْ كَانَتْ جَارِيَتِي لَوَهَّبْتُهَا لَهُ ، وَكَانَتْ عُتْبَةُ لَرِيْطَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ  
السَّفَّاحِ ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهَا كُلِّ مَبْلَغٍ ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِيمَا زَعَمَ  
الرَّوَاةُ تَصْنَعُ ، وَتَخْلُقُ ؛ لِيُذَكَّرَ بِذَلِكَ .

[ من أخبار أبي العتاهية ]

قال يزيد [بن] حوراء المغني : كَلَّمَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَنَّ أَكْلَمَ الْمَهْدِيِّ فِي عُتْبَةٍ ؛  
فَقُلْتُ : إِنَّ الْكَلَامَ لَا يُمْكِنُنِي ، وَلَكِنْ قُلْ شِعْرًا أَغْنِيَهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ :

نَفْسِي بَشِيءٌ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ      اللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يُكْفِيهَا  
إِنِّي لَا يُبَاسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي      فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
فَعَمِلْتُ فِيهِ لُحْنًا وَغَنِيَّتُهُ الْمَهْدِيُّ ؛ فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَأَخْبَرْتَهُ خَبَرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ،  
فَقَالَ : نَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ؛ فَكَثَّ أَشْهَرًا ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ :  
هَلْ حَدَّثْتَ خَبَرَ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، فَقَالَ : غَنِّهِ بِهِذَا الشَّعْر :

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي      إِنَّمَا آخِرُ الْجَوَابِ لِأَمْرِ  
مَا جَوَابٌ أَوْلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ      مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرِ  
قَالَ يَزِيدُ : فَغَنَيْتُ بِهِ الْمَهْدِيُّ ، فَقَالَ : عَلَيَّ بِعُتْبَةٍ ، فَأَحْضَرْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ  
أَبَا الْعَتَاهِيَةَ كَلَّمَنِي فِيكَ ، وَعِنْدِي لَكَ وَلَهُ مَا تَحْبَبَانِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَلِمَ مَوْلَايَ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ حَقِّ مَوْلَاتِي ، فَأُرِيدُ أَنْ أَذْكَرَ لَهَا ذَلِكَ ؛ قَالَ :  
فَاعْمَلِي ؛ فَأَعْلَمْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ بِمَا جَرَى ، وَمَضَتْ الْأَيَّامُ ؛ فَسَأَلَنِي مَعَاوِدَةُ الْمَهْدِيُّ ،  
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ عَرَفْتُ الطَّرِيقَ فَقُلْ مَا شِئْتَ حَتَّى أَغْنِيَهُ ، فَقَالَ :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ      عَنَقُ إِلَيْكَ يَخْبُ بِي وَرَسِيمٌ<sup>(١)</sup>

وأملتُ نحو سماءِ صوبِكِ نَظَرِي      أرعَى مَحَابِلَ بَرَقِهَا وَأَشِيمُ<sup>(١)</sup>  
ولقد تَنَسَّمتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي      وإذا لها من رَاحَتِكَ نَسِيمُ  
ولربما استيأست ثم أقولُ : لا      إنَّ الذي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

فغنيتها بالشعر ، فقال : عَلَى بُعْتَبَةٍ ، فَأَتَتْ ؛ فقال : ما صنعت ؟ قالت : ذكرت  
ذلك لمولاتي فَأَبَتْهُ وَكَرِهَتْهُ ، فليفعلُ أميرُ المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنتُ  
لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قَطَّعتُ منك حَبَائِلَ الآمالِ      وَأَرَحْتَ من حلٍّ ومن ترحالِ  
ما كان أشامَ إذ رجاؤك قَادَتَنِي      وبناتُ وعدك يَفْتَلِجْنَ بِنَالِي  
ولئن طَمِعْتُ لَرُبَّ بَرَقٍ حُلْبٍ      مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلَمْعَةٍ آلِ<sup>(٢)</sup>  
وقد نُقِلَتْ هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، والله أعلم بالحق في ذلك .

المهدي يضرب  
أبا العتاهية  
مائة سوط

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله :

أَلَا إِنَّ ظَبِيًّا لِلْخَلِيفَةِ صَادِنِي      ومالي على ظَنِي الخليفة من عدوى

وقال : أباي يَتَمَرَّسُ<sup>(٣)</sup> ، ولحرمي يَتَعَرَّضُ ، وَبِنِسَائِي يَغْبَثُ ؟ ونَفْسَاهُ  
إلى الكوفة .

وفي ضربه يقول أبو دُهَّان :

لَوْلَا الَّذِي أَجَدَّثَ الْخَلِيفَةُ لِلْعَشَّاقِ من ضَرْبِهِمْ إذا عَشَقُوا  
لُبَحْتُ بِاسْمِ الَّذِي أَحَبُّ ، وَلَسَكُنِّي امْرُؤٌ قَدْ ثَنَانِي الْفَرْقُ<sup>(٤)</sup>

(١) أشيم : أنظر .

(٢) البرق الحلب : ما لامطر فيه ، والآل : السراب .

(٣) يقال : تمرس بالشئ وامترس ، إذا احتك به .

(٤) الفرق - بالتجريك - الخوف - وثناني : صرفني ومال بي عما أريد (م) .

من شعره  
في عتبة  
وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفي يذكُر عتبة ، ويكنى باسمها ، فمن ذلك قوله :

بقل لمن لَسْتُ أَسْمَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي  
بأبي أَنْتَ لَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي  
ولقد قلت لأهلي إِذْ أَذَابَ الْحُبُّ لَحْمِي  
وَأَرَادُوا لِي طَبِيبًا فَاسْتَفَوْا مِنِّي بَعْلِي :  
من يَكُنْ يَجْهَلُ مَا أَلْقَى فَإِنَّ الْحَبَّ سُقْمِي  
إِنَّ رُوحِي لِبَغْدَا دَ ، وَفِي الْكُوفَةِ جِسْمِي  
وقوله :

أَمْسَى بِبَغْدَادَ ظَنَيْتُ لَسْتُ أَذْكُرُهُ  
إِنَّ الْحَبَّ إِذَا شَطَّتْ مَنَازِلُهُ  
يَا رَبِّ لَيْلٍ طَوِيلٌ بَتُّ أَرْقَبِهِ  
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ إِلَّا مَذْعَرَفَتِكُمْ  
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى  
إِلَّا بَكَيتُ إِذَا مَا ذِكْرُهُ خَطَرًا  
عن الحبيب بكى أَوْ حَنَّ أَوْ ذَكَرَا  
حتى أَضَاءَ عَمُودُ الصُّبْحِ فَانْفَجَرَا  
أَنَّ الْمَضَاجِعَ مِمَّا تُنْبِتُ الْإِبْرَا  
عَيْنِ الشَّجِي إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

بين المهدي  
وأبي العتاهية  
ولما قدمت عتبة ببغداد قدم معها أبو العتاهية، وتلطّف حتى اتّصل بالرشيد في  
خلافة أبيه المهدي ؛ وتمكّن منه ، وبلغ المهدي خبره ، فأحضره ؛ فقال : يا يائس ؛  
أنت مستقتل ، وسأله عن حاله ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

أَنْتَ الْقَائِلُ الْمُدَا بِرٍ فِي الْمُنَاسِبِ وَلِلْعَدِيدِ  
بَيْنَ الْعُمُومَةِ وَالْخُصْوَةِ لِهُ وَالْأَبُوءِ وَالْجُدُودِ  
فَإِذَا أَنْتَمَيْتَ إِلَى أَبِيكَ فَانْتَ فِي الْمَجْدِ الْمَشِيدِ  
وَإِذَا أَنْتَمَى خَالٌ فَكَ خَالٌ بِأَكْرَمٍ مِنْ يَزِيدِ

يريد يزيد بن منصور ؛ وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري  
وأنشده :

عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّ الْمَنَايَا      سَامِعَاتُ لَكَ فِيمَنْ عَصَاكَ  
فَإِذَا وَجَّهَتْهَا نَحْوَ طَائِفِ      رَجَعَتْ تَرْغُفُ مِنْهُ قَنَّاكَ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا      فِي سَمَاحٍ قَصَّرَتْ عَنْ نَدَاكَ

وأنشده:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً      إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا  
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ      وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا  
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ      لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا  
وَلَوْ لَمْ تَطْعِهِ بَنَاتُ الْقُلُوبِ      لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بضربٍ وجيع ؛ لإقدامك على ما نهيت عنه ،  
وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزةً على مدحك لنا . وإن شئت عفوًا عنك فقط .  
فقال : بل يُضَيَّفُ أميرُ المؤمنين إلى كريم عفوهِ جميلٍ معروفه ؛ ومكرُمتان  
أكثرُ من واحدة ، وأميرُ المؤمنين أولى من شفعِ نعمته وأتمِّ كرمه . فأمر له  
بثلاثين ألف درهم وعفاً عنه .

ولما قدم الرشيدُ الرَّقَّةَ أظهر أبو العتاهية الزَّهد والتَّصوف وترك الغزل ، فأمره الرشيدُ بحبسه  
الرشيد أن يتغزل ، فأبى ، فحبسه ، فغنى بقوله :

خَلِيلِي مَالِي لَا تَزَالُ مَضَرَّتِي      تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَمًّا مِنَ الْحَتَمِ  
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي      فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلَمِ  
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وَقُوَّتِي      أَلَا مُسْعِدٌ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جِسْمِي

فأمر بإحضاره وقال : بالأمس ينهك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل ،  
فتأبى إلا لجاجاً ومَحْكاً ؛ واليوم آمرُك بالقول فتأبى جرأة على وإقداماً ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ إن الحسنات يُذهبن السيئات ، كنت أقول الغزل ولى شباب  
وجدة ، وبى حراك وقوة ، وأنا اليوم شيخٌ ضعيف لا يحسن بمثلِ تصابٍ ؛  
فردّه إلى حبسه ؛ فكتب إليه :

أنا اليوم لى ، والحمد لله ، أشهرٌ      يروح على الغم منك ويُبكرُ  
تذكرُ ، أمين الله ، حتى وحرمتي      وما كنت توليني ، لعلك تدكرُ  
ليالى تدني منك بالقرب مجلسي      ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ  
فمن لى بالعين التى كنت مرةً      إلى بها من سالف الدهر تنظرُ  
فبعث إليه : لا بأس عليك ؛ فقال :

كان الخلق ركب فيه روحٌ      له جسدٌ وأنت عليه رأسُ  
أمين الله إن الحبس بأسٌ      وقد وقعت : ليس عليك بأسُ

فأخرجه .

أخذ البيت الأول من هذين على بن جبلة وزاد فيه ، فقال لأبي غانم الطوسى :

دجلة تسقى وأبو غانمٍ      يُطعم من تسقى من الناسِ  
والخلق جسمٌ ، وإمام المهدي      رأسٌ ، وأنت العين فى الرأسِ

\*\*\*

وكان عمر بن العلاء ممدّحاً ، وفيه يقول بشار بن برد :

بشار يمدح  
عمر بن العلاء

إذا أيقظتك خروبُ العدى      فتنبه لها عمراً ثمّ نَمِ  
دعاني إلى عمرٍ جوده      وقول العشيرة بخرٍ خضمِ

ولولا الذي ذكروا لم أكن لأمدح ريحانة قبل شم  
فتى لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم<sup>(١)</sup>

لأبي سعد  
الحزومي

أخذ هذا البيت أبو سعيد الحزومي<sup>(٢)</sup>، فقال :

وما يُريدون ، لولا الجبن ، من رجل بالليل مشتمل بالجمر مُسكتحل  
لا يضرب الماء إلا من قليب دم<sup>(٣)</sup> ولا يبيت له جارٌ على وجل

وقال أبو الطيب :

تعود ألا تقضم الحب خيله إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق<sup>(٤)</sup>  
ولا ترد الغدران إلا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق<sup>(٥)</sup>  
وقال أبو القاسم بن هاني :

لأبي الطيب  
المتنبي

(١) الدمنة هنا معناها الحقد الثابت .

(٢) كان أستاذنا الرحوم الشيخ سيد الرصفي أملانا أنه « أبو سعد » بدليل قول من هجاء :

إن أبا سعد فتى ماجد يعرف بالكنية لا الوالد  
ينشد في حى معد أبا ضل عن المنشود والناشد  
فرحمة الله على مسلم يرد مفقوداً على فاقد

(٣) القليب : البر .

(٤) القضم : أكل اليابس ، والهام : الرؤوس ، والعلائق : جمع علاقة وهي ما يتعلق به الشيء ، والمراد الخالي . قال ابن جني : سألت أبا الطيب عن معنى هذا البيت ، فقال : الفرس إذا علقت عليه الخلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل نخيله أبدأ إذا أعطيت عليها جعلته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة ما هناك منها .  
(٥) الغدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ؛ وفي الأصل « الغريان » ، والشقائق : جمع شقيق . وهو زهر أحمر

لاين هانيء

مَنْ لَمْ يَرِ الْمَيْدَانَ لَمْ يَرِ مَعْرَكَاً أَشْيَاءَ ، وَيَوْمًا بِالْأَسْنَةِ أَكْهَبًا<sup>(١)</sup>  
 وَكَتَابًا تُرَدِّي غَوَارِبَهَا الْعِدَى وَفَوَارِسًا تَعْدُو صَوَالِجَهَا الظَّبَا  
 لَا يَوْرِدُونَ الْمَاءَ سُنْبُكَ سَابِجٍ أَوْ يَكْتَسِي بِدَمِ الْفَوَارِسِ طُحْلُبًا<sup>(٢)</sup>  
 [ رجع إلى عمر بن العلاء ]

قال : وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتبه عليه في هَنَاتٍ نالها منه  
 في مجلس ، وكان كثير الانقطاع إليه ، فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر ، فكتب إليه :  
 قد بلغني الذي كان من تجنبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني ،  
 فصرت مُتَرَدِّدًا من العمى في يَلَامِيعِ الشبهة<sup>(٣)</sup> ؛ ولو كان معك من علمك دافع  
 إلى لقائي لكشفت لك مؤرَدَ الأمر ومصدره ، لترجع إلى الصَّلَّة ، فتقال أو تأتي  
 إلَّا الصَّريمة فتَضَرِّم ؛ وقد قال الأول :

بين عمر بن  
 العلاء وأبي  
 العتاهية

وَمُسْتَعْتَبٌ أَبْدَى عَلَى الظَّنِّ عَتَبَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْحَفِظَاتِ غَلِيلُ  
 كَشَفْتُ لَهُ عُذْرًا فَأَبْصَرَ وَجْهَهُ فَعَادَ إِلَى الْإِنْصَافِ وَهُوَ ذَلِيلُ  
 فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : لَمْ أَجْزُ بِعَتْبِي الْحَقِيقَةَ إِلَى الشَّبْهَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَعَةً مَعَ  
 عَظِيمِ قَدْرَتِكَ إِلَى حَمْلِ اللَّائِمَةِ ، فَقَصَّرَ بِي الْخَوْفُ مِنْ سَخَطِكَ ، عَلَى تَرُكِ  
 مَعَاتِبَتِكَ ؛ لِأَنَّ الْمَعَاتِبَةَ لَا تَجْتَنِي إِلَّا مِنَ الْمَسَاوِي ، وَلَوْ رَغِبْتَ عَنِ الصَّلَةِ إِلَى الْقَطِيعَةِ  
 لَتَقَاضَيْتَكَ ذَلِكَ عَنْ طَوْلِ الصُّحْبَةِ ، وَسَالَفِ الْمَدَّةِ ، وَأَنَا أَقُول :

رَضِيتُ بِبَعْضِ الذَّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَلَيْسَ لِمَثَلِي بِالْمُلُوكِ يَدَانِ  
 وَكُنْتُ أَمْرًا أَحْشَى الْعِقَابَ وَأَتَّقِي مَعَبَّةَ مَا تَجْنِي يَدَيَّ وَلِسَانِي  
 فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَضْمَنُ تَوْبَتِي فَإِنِ امْرُؤٌ أَوْفَى بِكُلِّ ضَمَانِ  
 فَتَرَجَعَا إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَا عَلَيْهِ

(١) أشب: مختلط ، وأكهب: مظلم

(٢) الطحلب: خضرة تعلو الماء الزمن

(٣) اليلاميع: جمع يلع ، وهو البرق الخلب والسراب ، ويشبه به الكذاب .



وإنما ألم أبو العتاهية في قوله « إنَّ المطايا تشتكك ... وما يليه » بقول أبي  
الحجَّناء نُصِيبُ الأَكْبَر :

فعاجوا فأنثوا بالذى أنتَ أَهْلُهُ      ولوسكتوا أنثتَ عليك الحَقَائِبُ  
وقال أبو الطيب في أبي العشائر الحمداني :

للمعنى

تُنْشِدُ أَثْوَابَنَا مَدَامَحَهُ      بِالسُّنِّ مَالَهْنَ أَفْوَاهُ  
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا      أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ  
وهذا المعنى من النُصْبَةِ <sup>(١)</sup> الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في  
أقسام البيان .

\*\*\*

وقال بعضُ الخطباء : أشهد أن في السموات والأرض آياتٍ ودلالاتٍ ،  
وشواهدَ قَائِمَاتٍ ؛ كلُّ يُوْدَى عنك الحِجَّةُ ، ويشهد لك بالربوبية .  
ونظيرُ هذا قولُ أبي العتاهية ، وروى أنه جلس في دكان ورَّاق ، وأخذ  
كتاباً فكتب على ظهره :

لأبي العتاهية

فَوَاعِجِبَا كَيْفَ يُعْصَى الْمَلِكُ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَاهِدُ  
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ      وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ      تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وانصرف ، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات ، فقال : لِمَنْ هذا ؟ لأبي نواس  
فلو دُثِّمَتْهَا لِي بِجَمِيعِ شِعْرِي ، فقليل : لإسماعيل بن القاسم ، فوقع تحتها :  
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخُلُقَ      مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ  
فَصَاغَهُ مِنْ قَرَارٍ      إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ  
يَحُولُ شَيْئًا فَشَيْئًا      فِي الْحُجْبِ دُونَ الْعِيُونِ <sup>(٢)</sup>  
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ      مَخْلُوقَةٍ مِنْ سُكُونِ

(١) النُصْبَةُ : ما ينصب من العلامات لتدل على معان جرى العرف بدلالاتها عليها (م)

(٢) يحول : يتحول من حال إلى حال أخرى (م)

وقال الفضل بن عيسى الرّفاشي : سَلِ الْأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَشَقَّ  
أَنْهَارَكَ ، وَجَنَى ثَمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حَوَارَا ، أَجَابَتْكَ عَتَبَارًا .

وهذا شبيه بقول عدي بن زيد ، وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سَرَحَةٍ<sup>(١)</sup> ؛  
فقال : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ السَّرَحَةُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قال : وما تقول ؟ قال : تقول :  
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالماءِ الزُّلَالِ  
ثُمَّ أَضْحَوْا لِعِبِّ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ  
ويروى « عَكَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَتَوَّأ<sup>(٢)</sup> » . فتكدر حال النُّمْنان وما كان  
فيه من لَذَّةٍ .

### ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال

لو سكت الشَّاكِرُ لَنَطَقَتِ الْمَآثِرُ . لو صَمَتَ الْمُخَاطِبُ لَأَثْنَتِ الْحَقَائِبُ ،  
وَأَشْهَدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ . إِنْ جَعَدْتُ مَا أَوْلَانِيهِ ، وَكَفَرْتُ  
مَا أَعْطَانِيهِ ، نَطَقَتْ آثَارُ أَيَادِيهِ عَلَيَّ ، وَلَمَعَتْ أَعْلَامُ عَوَارِفِهِ<sup>(٣)</sup> لَدَيَّ .

لأبي الفضل  
الميكالي

ولأبي الفضل الميكالي من رسالة : وردَ فلانٌ فتعاطى من شُكْرِهِ على نِعَمِهِ  
التي ألبسه جملها ، وأسجبه أذْيالها ، ما لو لم يتحدثْ به ناشراً ومُثْنِياً ، ومُعِيداً  
ومُبْدِياً ، لَأَثْنَتْ به حَالُهُ ، وشَهِدَتْ به رِجَالُهُ ، حتى لقد اِمْتَلَأَتْ بِذِكْرِهِ  
الحفافلُ ، وسارت بحِجْرِ الرُّكْبَانِ والقوافلُ ، وصارت الألسنةُ على الشكرِ والثناءِ  
إِسَانًا ، والجماعةُ على النَّشْرِ والدِّعَاءِ أنصاراً وأعواناً ، على أنه وإن بالغَ في هذا  
الباب ، وجاوزَ حَدَّ الإِكْثَارِ والإِسْهَابِ ، نَهَيْتُهُ الْقُصُورَ دُونَ وَاجِبِهِ ، وَالسَّقُوطَ  
عَنْ أَدْنَى دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ .

(١) السَّرحة : الشجرة العظيمة ، أو هي كل شجرة لاشوك لها (م) ، وقد تطلق  
مجازاً على المرأة (٢) كذا ، ولا يستقيم وزنه ، ولو كان « عكف الدهر بهم ثم تَوَّأ » لم  
(٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي النعمة (م)

لأن الفتح  
البقي

ومما يقتزن لهم بهذا المعنى من ذِكْرِ الشكر : قال أبو الفتح البستي : الحرُّ نَحْلُ الشكر ، إن أجنأه المرء من خيره شكراً أجنأه من برِّه شهاداً .

غيره : الشكر ترجمانُ النِّيةِ ، ولسانُ الطَّوَيَّةِ ، وشاهدُ الإخلاصِ ، وعنوان الاختصاص . الشكرُ نسيمُ النِّعمِ ، وهو السببُ إلى الزيادة ، والطريقُ إلى السعادة . الشكرُ قَيْدُ النِّعمَةِ ، ومفتاحُ المزيد ، وَثَمَنُ الجنةِ . مَنْ شَكَرَ قليلاً ، استحقَّ جزيلاً . شُكْرُ المَوْلَى ، هو الأوَّلَى . الشكرُ قَيْدُ النِّعمِ وشِكَالُها . وعِقالُها ، وهو شبيه بالوَخْشِ التي لا تقيم مع الإيحاش ، ولا تَرِيمُ <sup>(١)</sup> مع الإيئاس . مَوْقِعُ الشكرِ من النعمة مَوْقِعُ القِرَى من الضيفِ ، إن وجده لم يَرِم <sup>(١)</sup> ، وإن فقدَهُ لم يُقِم . الشكرُ غرسٌ إذا أودِعَ سَمْعُ الكريمِ أَثْمَرَ الزيادة ، وحفظَ العادة . الشكرُ تعرُّضٌ للمزيد السائغ ، والنِّعمِ السَّوانِغِ . شُكْرُهُ شكرُ الأسيرِ مَنْ أطلَّقه ، والمملوكِ مَنْ أعتقه . أَثْنَى عليه ثناء الرِّوَضِ المُمَحِّلِ ، على الغَيْثِ المُسْبِلِ . أَثْنَى عليه ثناء لسان الزَّهَرِ ، على راحة المطر . أَثْنَى عليه ثناء العطشانِ الواردِ ، على الزُّلالِ الباردِ . شُكْرُهُ شكرُ الأرضِ للدِّيمِ <sup>(٢)</sup> ، وزُهيرُ لَهْرِمِ . بَسَطَ لسانَ الثناء والدعاء ، وبلغ عنانَ الشكرِ عَنانَ السماء . شَكَرَهُ شكراً ترتاحُ له المكارم ، وتهتزُّ له المواسم . لأشكرَته شُكْراً تَشِيْعُ أنواعه ، وتَنْبَسِطُ أنواعه <sup>(٣)</sup> ، ويلد ذكره وسماعه . شَكَرَ ماأ القلبَ واللسانَ ، كشكر حَسَّانَ لآلِ غَسَّانِ . أَطالَ عِنانَ الشكرِ ، وفسح مجالَه ، ورفع أعمدته ، ومدَّ أروقتَه . شَكَرَ كَأَنفاسِ الأَحبابِ ، أو أَنفاسِ الأسحارِ ، أو أَنفاسِ الرِّياضِ غِبَّ القِطارِ .

[ من أخبار نُصَيْب وشعره ]

رجع ما انقطع :

كان سببُ قولِ نُصَيْب :

(١) لا تريم : لا تنطلق ولا تذهب ولا تفارق (م)

(٢) الدِّيم : جمع ديمة - بكسر الدال - وهى السجاية التى يدوم مطرها (م)

(٣) الأَبْوَاع : جمع باع ، وهو مسافة ما بين أطراف أصابع يديك حين تبسطهما

موازين لصدرك (م) .

\* فَعَاجُوا فَأَتْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ \*

أنه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال سليمان بن عبد الملك : يا فرزدق ؛ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال : لماذا ؟ قال بقولي :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالعَصَائِبِ  
سَرَوْا وَسَرَتْ نَكْبَاءُ وَهِيَ تَلْفَهُمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا آتَسُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ، وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

يريد أباه - وهو غالب بن صَفْصَمَةَ بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع - فأعرض عنه سليمان كالمغضب ؛ لأنه إنما أراد أن يُنْشِدَ مدحاً فيه : ففهم نصيب مراده ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد قلتُ أبياتاً على هذا الروي ليست بدونها ، فقال : هايتها ؛ فأنشأ نصيب يقول :

أَقُولُ لِرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقِيْتَهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ<sup>(٢)</sup>  
فَقَدْ أَخْبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ أَنِّي لَمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ<sup>(٣)</sup>  
فَعَاجُوا فَأَتْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنَتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ  
فَقَالُوا : تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبُ  
وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفَعْلِ مِنْكَ يَقَارِبُ  
لَقُلْنَا : لَهُ شَبَهُ ، وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبُ  
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلُهُ وَهَلْ تُشَبِّهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ

فقال سليمان : أحسنت ، والنفث إلى الفرزدق ، فقال : كيف تسمع يا أبا فراس ؟ قال : هو أشعرُ أهلِ جِلْدَتِهِ ، قال : وأهلِ جِلْدَتِكَ ؛ فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) النكباء : هي الريح التي تميل عن مهاب الرياح ، والأكوار : جمع كور بالضم وهو الرجل ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب .

(٢) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة - ووقفا : منصوب تقديرًا على أنه ظرف مكان ، أي لقيتهم في هذا الموضع (م)

(٣) حفظي «قفوا خبروني» وهو أدق (م)

وخيّر الشعر أكرمهم رجالاً وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

[ من المديح ]

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وهذا بابٌ في المدح حسن متجاوز مُبتدع لم يُسبق إليه .

قول نصيب : « من أهل ودّان » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ذكر محمد ابن كناسة والزيدي أن نصيباً من أهل ودّان ، وكان عبداً لرجل من بني كنانة هو وأهل بيته ، وزعم أبو هفان أنه عبداً لعبد العزيز بن مروان ، وكان نصيب شديداً السواد ، وهو القائل :

كسيتُ - ولم أملك - سواداً ، وتحتهُ  
فما ضرَّ أئوابي سوادِي ، وإنّي  
قيصٌ من القوهي<sup>(١)</sup> بيضٌ بناثُهُ  
لكالمسك لايسلُو عن المسك ذاتُهُ

لسجيم

وقال سَجِيمُ عبد بنى الحسحاس :

أشعارُ عبد بنى الحسحاس قَمَنَ لَهُ  
إن كنتُ عبداً فنفسى حُرّةً كَرَمًا  
عند الفَخار مَقَامَ الأَصْلِ والوَرَقِ  
أو أسودَ اللَّوْنِ إني أبيضُ الخُلُقِ

وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الإخشيدي :

إنما الجِلْدُ ملبَسٌ وابيضاضُ السَّخْلِ خَيْرٌ من أبيضاضِ القَبَاءِ  
وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية : إن لى بنات نفَضْتُ عليهن من سوادِي ،

المتنبي

فقال : ما أحسن ما تَلَطَّفتَ لهنَّ ! وأمر له بصلّة .

وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التى أولها :

لَهَانَ غَلِينَا أَنْ نَقُولَ وَنَفْعَلَا وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتَفْضَلَا

وهي من أحسن شعره ، وقَعَ له على ظهرها :

رَأَيْتَكَ سَمَحَ الْبَيْعَ سَهْلًا ، وَإِنَّمَا يُغَالَى إِذَا مَاضَ بِالشَّيْءِ بَائِعُهُ

(١) القوهي : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان . والبنائق : الجيوب ، مفردها بنيةة

فأما إذا هانت بضائعُ بَيْعِهِ فيوشك أن تبقى عليه بضائعُهُ  
هو الماء إن أجمته طاب وردهُ ويفسد منه أن تباح مِشَارِعُهُ  
فأجابه بقصيدة طويلة ، واحتج عليه واعتذر إليه في مدحه لغيره ؛ فقال في  
بعض ذلك :

أما القوافي فقد حصنت غرَّتَها فما يُصْتابُ دَمٌ منها ولا سَلَبُ  
منعت إلا من الأكفاء أَيْمَها وكان منك عليها العطفُ والحدبُ  
ولو عضلت عن الأكفاء أَيْمَها ولم يكن لك في إظهارها أَرْبُ<sup>(١)</sup>  
كانت بنات نصيب حين ضنَّ بها على أموالى ولم تحفل بها العربُ  
وقد قيل إن أبا تمام أجابه بقوله :  
أبا جعفر إن كنت أصبحتُ شاعرا أَسامح في بَيْعِي له من أبايَعُهُ  
فقد كنت قَبْلِي شاعراً تاجراً به تساهلُ من عادت عليك مَنافِعُهُ  
فصِرتَ وزيراً والوزارة مَكْرَعُ يَفْصُ به بعد اللَذَاذَةِ كَارِعُهُ<sup>(٢)</sup>  
وكم من وزير قد رأينا مُسَلَّطاً فعادَ وقد سُودَّت عليه مَطَالِعُهُ  
ولله قَوْسٌ لا تطيشُ سِهَامُهَا ولله سيفٌ لا تفلُ مَقَاطِعُهُ

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب ،  
وليس مثل أبي جعفر في جلالة قدره واصطناعه لحبيب يُعامل بمثل هذا الجواب ،

(١) عضل المرأة : منعها عن الزواج ظمناً ، والأيم : من لا زوج لها ، بكرراً أو ثيباً .  
ومن لا امرأة له ، وتأييم : مكث زماناً لم يتزوج .

(٢) المكراع : المكان الذى تشرب منه الدواب ، وكان كذلك لأن الحيوان  
لا يكاد يشرب إلا بإدخال أكارعه فيه ، والمكراع - بالضم - هو ما دون الكعب  
في الدابة وما دون الركبة من الإنسان ، وكراع في الماء : أدخل فيه أكارعه بالخوض  
فيه ليشرب .

وَلَا يَنْتَهَى جَهْلُ حَبِيبٍ أَنْ يَقَابِلَ مَأْمُولَهُ وَمَنْ يَرْتَجَى جَلِيلَ الْفَائِدَةِ مِنْهُ  
بِهَذِهِ الْأَيَّامِ .

وقد قيل : بل قالها ، ولم ينشدها أحداً ؛ وإنما ظهرت بعد موته .

لابن الزيات  
يمدح الحسن  
بن سهل

وكان ابنُ الزيات كما قال شاعراً ، ومدح الحسن بن سهل في وزارته للمأمون ؛  
وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال :

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ      لَكِنْ لِيُتْلِسِنِي التَّحْجِيلَ وَالْفَرَارَ  
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى رَجُلٌ      لَا أَقْرَبُ الْوَرْدَ حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرَ

قال الصولي : وكان السببُ الذي أوجد <sup>(١)</sup> أبا جعفر على أبي تمام حتى

لأن عدم مدح  
أبي أبي دواد

قال « لقد رأيتك سهلَ البيع - الأبيات » قولَ أبي تمام قصيدته المشهورة في  
ابن أبي دَوَادٍ التي أولها :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبْلُ الْعِهَادِ      وَرُؤْيَى حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادٍ <sup>(٢)</sup>

نَزَحَتْ بِهِ رَكِيٍّ الدَّمْعَ لَمَّا      رَأَيْتَ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْقَتَادِ <sup>(٣)</sup>

يقول فيها في مدحه :

هُمْ عَظُمُ الْأَثَافِي مِنْ نَزَارٍ      وَأَهْلُ الْهَضْبِ مِنْهَا وَالنَّجَادِ <sup>(٤)</sup>

مُعْرَسُ كُلِّ مُعْضَلَةٍ وَخَطْبٍ      وَمَنْبِتُ كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَآدٍ <sup>(٥)</sup>

(١) أوجده : أثار موجدته ، وهي الغضب

(٢) العهداء : أمطار الربيع ، والواحدة عهدة .

(٣) الركي والركايا : الآبار ، والمفرد ركية ، وارتكى على صديقه : نول عليه ،

والعتاد : العدة ، والعتيد : المعد الحاضر .

(٤) الأثافي : جمع أنفية ، وهي الحجر أو الجبل .

(٥) المعرس : موضع التعريس وهو النزول لئلا ، والآد والأيد : القوة ، وآد

يشيد أيذا : اشتد وقوى .

إذا حَدَّثُ القِبَائِلَ سَاجِلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ بَنُو المَجْدِ التَّلَادِ<sup>(١)</sup>  
 تُفَرِّجُ عَنْهُمْ الغِمَرَاتِ بِيضٌ جِلَادٌ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الجِلَادِ<sup>(٢)</sup>  
 وَحَشَوْهُ حَوَادِثُ الأَيَّامِ مِنْهُمْ مَعَاقِلُ مِطْرَدٍ وَبَنُو طِرَادٍ<sup>(٣)</sup>  
 لَهُمْ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا المَنَآيَا تَمَشَّتْ فِي الوَغَى وَخُلُومٌ عَادِ  
 لَقَدْ أُنْسَتْ سُلُوسَى كُلِّ دَهْرٍ مُحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ  
 مَتَى تَحْلُلُ بِهِ تَحْلُلُ جَنَابَا رَضِيعًا لِلسَّوَارَى وَالغَوَادِي<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا اشْتَبَهَتْ سَبِيلُ المَجْدِ إِلَّا هَذَاكَ لِقِبَلَةِ المَعْرُوفِ هَادٍ  
 وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدَّوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي  
 مَقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَعْتَ رِكَابِي فِي البِلَادِ  
 وَهَذِهِ النِّسْكَتُ<sup>(٥)</sup> الَّتِي أَحَقَقْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ، وَأَعْتَبْتَهُ عَلَى أَبِي تَمَامٍ ، وَفِي هَذِهِ  
 الْقَصِيدَةِ يَقُولُ مَعْتَذِرًا إِلَيْهِ فِي الَّذِي قُرِفَ<sup>(٦)</sup> بِهِ عِنْدَهُ مِنْ هِجَاءٍ مُضَرٍّ :  
 أَتَانِي عَائِرُ الْأَنْبَاءِ تَسْرَى عَقَارِبُهُ بِدَاهِيَةٍ نَادٍ<sup>(٧)</sup>  
 نَشَاخَبْرَا كَانَ الْقَلْبَ مِنْهُ يُجَرُّ بِهِ عَلَى شَوَاكِ الْقَتَادِ  
 بَأْنَى نِلْتُ مِنْ مُضَرٍّ وَخَبَّتْ إِلَيْكَ شَكِيَّتِي خَبَبَ الْجَوَادِ

- 
- (١) التلاد : جمع تليد ، وهو المجد القديم .  
 (٢) الغمرات : جمع غمرة وهي الشدة ، والبيض الجلاذ : هي السيوف القوية ، وقسطلة الجلاذ : شدة الحرب .  
 (٣) الطراد : القتال ، قال الزخشرى في الأساس : « وطارد قرنه ، وتطاردا ، وبينهما طراد ومطاردة ، وهي حمل أحدهما على صاحبه ومقاتلته وإن لم يكن ثم طرد ، كما قيل للمحاربة جلاذ ومجالدة وإن لم يكن ثم مسابقة » .  
 (٤) السوارى : جمع سارية وهي السحابة تمطر ليلا ، والغواذى : جمع غادية وهي السحابة تمطر نهاراً .  
 (٥) المراد بالنسكت الإشارات .  
 (٦) وقع في كافة المطبوعات « في الذى قرب به » تحريف ما أنبتاه ( م )  
 (٧) ناد : شديدة الأذى .



وما رُبَّعِ القطيعةُ لي برُبِّعٍ      ولا نادى الأذى مني بِنَادٍ  
وأين يجوز عن قصْدٍ لسانِي      وقلبي رانحٌ برِضَاكَ غَادٍ  
ومما كانت الحُكماءُ قالتْ :      لسانُ المرءِ من خَدَمِ الفُؤَادِ  
وقد ما كنتُ معسولَ القوافي      ومأدومَ المعاني بالسَّدَادِ  
[ من أخبار ابن أبي دُوَاد ]

وكان ابن أبي دُوَاد غالباً في التعصّب لإياد وإلحاقها بنزار، على مذهب نُسَاب غلوه في التعصّب  
العدنانيين . قال : وكلُّ من بالعراق من إياد دخلوا في النَّخَع ، وإليهم يُنسَبون ؛  
ومن كان بالشَّام فلم<sup>(١)</sup> على نسبهم في نزار ، وابن أبي دُوَاد يرمي بالدعوة ؛ والتكثير  
من أخباره يُخرِجُ إلى ما أخافهُ من تطوُّيلِ التصرُّف ، في مملول التكلف .  
وكان ابن أبي دُوَاد عالماً بضروب العلم والأدب ، متصرفاً في صناعة الجِدال ،  
على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوة بينه وبين ابن الزيات بيّنة ، والنفاسة  
في الرياسة بينهما متمكّنة ، وقال له بعض الشعراء :

أَكَلَّ أبا دُوَادٍ مِن إيادٍ      فكلُّ أبي ذؤيبٍ من هُدَيلٍ  
قال مسلم : ماتاه إلاّ وضيع ، ولا فاخر إلا سقيط ، ولا تعصّب إلاّ دَخيل .  
وقال مدني لرجل : ممن أنت ؟ فقال : من قريش ، والحمد لله ، قال : بأبي أنت !  
التحميد هاهنا ريبية ! واسم أبي دُوَاد دُعَمي ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة  
يقال لها بنو زهرة إخوة بني جدّان ، وقد ذكره الطائي في قوله :  
والغيث من زهرٍ سحابةٌ رَافَةٌ      والركنُ من شيبانٍ طَوْدُ حَديدٍ  
ذكر شيبان ، لأن خالد بن يزيد الشيباني شَفَعَ له عند ابن أبي دُوَاد فيما  
ينساقُ الحديثُ إليه من مَوْجِدَتِهِ عليه .

قال محمود الوراق : كنتُ جالساً بطرفِ الجُسُرِ مع أصحاب لي ، فرتبنا  
أبو تمام ، فجلس إلينا ، فقال له رجل منا : يا أبا تمام ، أيُّ رجلٍ أَنْتَ لو لم تكن  
من اليَمَنِ ! قال : ما أَحِبُّ أُنّى بغيرِ الموضعِ الذي اختاره الله لي ، فَمِنَ<sup>(٢)</sup> نَحْبٍ أَنْ

(١) هكذا ، وأحسبه « فهم على نسبهم - إلخ » (م)

(٢) في جميع المطبوعات « فمن تحب - إلخ » (م)

غضبه على  
ي عام م  
رصاد عنه

أ كُونَ؟ قَالَ: مِنْ مُضَرٍّ، قَالَ: إِنَّمَا شَرُفَتْ مُضَرٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
وَلَيْلَا ذَلِكَ مَا قِيسُوا بِمُلُوكِنَا وَأَذْوَانِنَا، وَفِينَا كَذَا، وَمِنَّا كَذَا - يَفْخَرُ؛ وَذَكَرَ  
أَشْيَاءَ عَابَ بِهَا مُضَرٌّ، وَنَمِي الْخَبْرُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادَ وَزَيْدٍ فِيهِ، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ  
أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ، فَقَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ أَوْهَا:

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادٍ فِي طُلُوعِ الْإِثْمَامِ وَالْإِنْجَادِ  
يَقُولُ فِيهَا:

بَعْدَ أَنْ أَصَلْتَ الْوُشَاةَ سُوفَاً	قَطَعْتَ فِي وَهْيٍ غَيْرِ حِدَادٍ
فَنَفَى عَنْكَ زُخْرَفَ الْقَوْلِ تَمَعٌ	لَمْ يَكُنْ فَرَضُهُ لَغَيْرِ السَّدَادِ
ضَرْبَ الْحِلْمِ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ	دُونَ غُورِ الْكَلَامِ بِالْأُسْدَادِ
مَلَأَتْكَ الْأَخْسَابُ أَيْ حَيَاةٍ	وَحْيَا أَرْزَمَةٍ وَحْيَةٍ وَادٍ
عَاتِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا	مِنْ مُقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نِجَادٍ
لِلْحِمَالَاتِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ	كَلْحُوبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ <sup>(١)</sup>

فَارَضَى عَنْهُ حَتَّى تَشَفَّعَ إِلَيْهِ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ، فَقَالَ  
فِي قَصِيدَةٍ:

أَسْرَى طَرِيداً لِلْحَيَاءِ مِنَ التِّي	زَعَمُوا، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدٍ <sup>(٢)</sup>
كُنْتُ الرَّيِّعَ، أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ	قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ
وَعْدًا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٍ سَاحَتِي	لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَامِي وَنَجُودِي
لِلَّهِ دَرْكُ أَيِّ بَابٍ مُلَمَّةٍ	لَمْ يُزَمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِالْإِقْلِيدِ <sup>(٣)</sup>

(١) الأعداد: جمع عد بالكسر وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع، واللحوب: الموضوع. والمعنى أن عاتق المدوح تظهر فيه آثار الحمالات والحمائل ظهور قنوات الماء الذي لا ينقطع (٢) الذي في الديوان « وليس لرهبه بطريد » (م)  
(٣) الإقليد: المفناح، وكذلك المقلاذ والمقلاد

لما أظلمتني غمامك أَصْبَحْتَ تلك الشهودُ على وهي شهودى  
من بعد ما ظنُّوا بأن سيكونُ لى يومٌ بزعمهم كيوم عبيد  
يريد عبيد بن الأبرص الأسدى ، وكان النعمان بن المنذر نقيه يوم  
بؤسه فقتله .

وكان ابن أبى دؤاد كريماً فصيحاً جزلاً . قال أبو العينا . كن عند ابن أبى  
دؤاد ومعنا محمود الورّاق وجماعةٌ من أهل الأدب والعلم ؛ فجاءه رسول إيتاخ  
فقال : إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضى السلام ، ويقول : القاضى يتعنى <sup>(١)</sup>  
ويجىء فى الأوقات ؛ وقد تفاقم الأمرُ بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن  
الزيات ، فصار يضربنا عند قصده القاضى ، وما أحبّ أن يتعنى إلى لهذا السبب ؛  
إذ كنت لا أصل إلى مكافأته . فقال : أجيبوه عن رسالته ، فلم ندر ما نقول ،  
ونظر بعضنا إلى بعض ، فقال : أما عندكم جواب ! قلنا : القاضى - أعزه الله ،  
أعلمُ بجوابه منا ، فقال للرسول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : ما أتيتك متكرراً  
بك من قلة ، ولا متعزّزاً بك من ذلّة ، ولا طالباً منك رتبة ، ولا شاكياً  
إليك كربة ، ولكنك رجلٌ ساعدك زمان ، وحرّكك سلطان ، ولا علم  
يؤلف ، ولا أصل يُعرف ؛ فإن جئتك فبسلطانك ، وإن تركتك فلنفسك !  
فَعَجِبْنَا مِنْ جَوَابِهِ .

[ من برّاعة خالد بن عبد الله القسرى ]

صعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر يوم الجمعة ، فخطب وهو إذ ذاك أميرٌ  
على مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته ، وأثنى عليه خيراً ، فلما كان فى الجمعة  
الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمرُ فيه بِشَمِّ الحجاج وذكْرِ

عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، وصعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان مَلَكًا من الملائكة ، وكان يُظهِر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلا ، وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتَه ابتلاه<sup>(١)</sup> بالسجود لآدم ؛ فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلمعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلا ، وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غلّه وخُبئته على ما خفي عنا ، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، فآلمعنوه ، لعنه الله . ثم نزل .

وكان أبو تمام قد مدح الأفشين التركي، واسمه خيذر<sup>(٢)</sup> بن كآوس ، وكان من أجل قُوَادِ المعتصم ، وأبلى في أمر بابك الخرمي بلاء حمده له ؛ فلما سخط المعتصم عليه لما نسب إليه من سوء السيرة ، وقبح السريرة ، وأنه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضي أحمد بن أبي دُواد عليه أنه على غير الإسلام ، قال أبو تمام معتذرا للمعتصم من تقديمه واجتبائه ، ولنفسه من مدحه وإطرائه :

أبو تمام يعتذر  
للمعتصم عن  
سابق مدحه  
للافسين

ما كان لولا فخشُ غدره خيذر  
هذا الرسول وكان صفوة ربه  
قد خص من أهل النفاق عصابة  
واختار من سعدٍ لعين بني أبي  
حتى استضاء بشعلة الشور التي  
ثم ذكر في هذه القصيدة أن قتل الأفشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ، ولا لصحة سريرة ، فقال :

(١) ابتلاه : اختبره . (٢) في بعض الأصول «خيذر» وفي بعضها «حيدر» (م)

والهاشمون المستقلة طعنهم عن كَرْبَلَاءَ بِأَثْقَلِ الْأَوْزَارِ  
فشفاهم المختارُ منه ولم يكن في دينه المختارُ بالمختارِ

[المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم]

أما من ذُكر من أهل النفاق ، فقد كانوا يظهرون غَيْرَ ما يُسرُّون ، حتى  
أطلع الله نبيَّه عليه السلام على أخبارهم ، ونَشَرَ له مَطْوِيَّ أسرارهم .

عبد الله بن  
أبي سرح

وأما ابنُ أبي سرح فهو عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح بن الحسام بن الحارث بن  
حبيب بن خزيمة بن نصر بن مالك [بن حِسل] بن عامر بن لؤي ، أسلم قبل الفتح ،  
واستكتبه النبي عليه السلام ؛ فكان يكتبُ موضعَ « الغفور الرحيم » العزيزِ  
الحكيم ، وأشباه ذلك ؛ فأطلع الله عليه النبي عليه السلام ، فهرب إلى مكة  
مرتدًّا ؛ وأُنزل فيه : (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) . فأهدر النبي صلى الله عليه  
وسلم يوم الفتح دمه ، فهرب من مكة ، فاستأمن له عثمانُ رضي الله عنه ؛ فأمنه  
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو عثمان من الرضاة ، وأسلم فحَسُنَ  
إسلامه ، ووَلَّى مصر سنة أربع وعشرين ، فأقام عليها إلى أن حُصر عثمان ، ومات  
بقيسارية الشام ، ولم يدخل في شيء من الفتن الحجازية في ذلك الوقت .

المختار بن أبي  
عبيد الحارثي

وأما المختارُ الذي ذكره فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير  
ابن عوف بن عفدة بن عروة بن عوف بن قسي وهو ثقيف ؛ وكانت لأبيه في  
الإسلام آثارٌ جميلة ، وأختُ المختار صفية بنت أبي عبيد زوجُ ابن عمر ، والمختار  
هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث ، وكان يزعمُ أنه يُوحى إليه في قتالهِ  
الحسين ؛ فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله بن زياد ، وله أسجاع يصنعها ،  
والفاظ يتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه ، وتوحى إليه .

وقيل للأحنف بن قيس : إن المختار يزعم أنه يُوحى إليه ! فقال : صدق ،  
وتلا : (وإن الشياطين ليوحى بعضهم إلى بعض) . وأخباره كثيرة ليس هدام موضعها .

بين أمية بن  
خالد وعبد الله  
بن الأهم

لما هُزم أمية بن خالد بن أُسيْدٍ لم يَدْرِ الناس كيف يقولون له ، فدخل  
عبدُ الله بن الأهم عليه ، فقال : الحمد لله الذي نظر لنا أيها الأمير عليك ،

ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهديك ، إلا أن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك ، فأبقاك لهم بخذلان من معك . فصدر الناس عن كلامه .

### ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكتات

كتب حمدون بن نهران إلى عامل عزل عن عمله :

من حمدون  
بن نهران لعامل  
عزل عن عمله

بلغني أعزك الله أنصرفك عن عملك ، ورجوعك إلى منزلك ؛ فسُررت بذلك ، ولم أستفطع وأجزع له ؛ لعلمي بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عملك تتولاه ، أو يضعك عزل عنه ؛ والله لو لم تختار الانصراف وتريد الاعتزال لكان في إطفاء تدبيرك ، وثقوب رويتك ، وحسن تأتيك ، ما تزيل به السبب الداعي إلى عزلك ، والباعث على صرفك ؛ ونحن إلى أن نهنتك بهذه الحال أولى بنامن أن نعزيك ؛ إذ أردت الانصراف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك في منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها .

وكتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم :

من ابن مكرم  
نصراني أسلم

أما بعد فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وظهر من الارتباب قلبك ، وما زالت تخاطبك ممثلة لنا حقيقة ما وهب الله فيك ، حتى كأنك لم تر بالسلام مؤسوماً ، وإن كنت على غيره مقبلاً ، وكنا مؤملين لما صرت إليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى إذا كاد إشفاقنا أن يستغلي رجاءنا أنت السعادة بما لم تزل الأنفس تعد منك ؛ فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رشدك أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ويقيقك عذاب النار .

قال بعض الكتاب : من الحق ما يستحسن تركه ، ويستهجى عمله ، وقد يقع من ذلك فيما يحل الشرع ، ويكرهه الأدباء ؛ وكثير ممن يغلب على طبعه هذا المعنى يراه سمو نفس ، وعلو همة . حتى رأينا من لا يحضر ترويح

بعض ما  
يستحسن تركه  
وإن كان حالاً

كريمته ، ويؤلى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يُجَاوِز ذلك إلى ألا يُنكِحَ مستنكحها ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ؛ وكنا عرفنا حال إنسان تزوجت أمه ؛ فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن أصفائه ؛ حياء من لقائهم ، وكرها لتهنئتهم له أو عزائمهم ، واضطرتته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المُسَكَّة في تحامى خطابه فيما اجتنب لأجله خلّاته ، وفارق بسببه إخوانه ، وتخيّل ذلك المتصوّد أنه إنما لجأ إليه ليسلّيه ؛ فأفاض معه فيما قدّر أنه قصد له من المعنى الذى جعله وحيداً خوف المفاوضة .

ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة ؛ فكان عنده من لم يخاطبه أخطى ، وفي نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخفّ ، وفي نفسه أشفّ ، ونقم على ذلك الصديق وعتب ؛ إذ لكلّ من الناس - إلا من طاب محتدّد وطال سوّده - حال من الإلف والرغبة تحسن المساوى ، ثم حال من الملل والزّهادة تقبّح الحاسن ؛ واعتذر المتكلّف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يُرِده صفئه ، فإنه فعل ما أوجبه الأخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة ؛ ودبت عقارب الظنون والوشاية ، إلى أن خرجا بالملاحاة إلى المعاداة ؛ فلما وقع بعض الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الماقت بقرع سين الأسف على تحيّل النهى والوقار من المقوت ، وظاهر المقوت بتقريع الماقت ، بتزويج أمّه الذى تجشّم من كلامه فيه فضلاً ، وتكلّف من خطابه عليه ما من حسرة خلا ؛ فأفضى الأمر بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثّار .

فإن اضطرّ إلى القول فى هذا المعنى أحدٌ بأمر قاهر من السلطان ، أو حوادث الأزمان ، أو تطارح الإخوان ، فليقل وليكتب ما مثّلنا إن لم يجد منه بداً : أنت - بفضل الله عليك وإحسان تبصيره إياك - من أهل الدين ، وخصوص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة فى محظور تبهيجه ، فكذا لا تتبع الأنفة فى مباح تحظره ؛ وقد اتّصل بنا اختارده الله والقضاء لذات الحقّ عليك ، المنسوبة - بعد نسبك إليها - إليك ،

ما يقال لمن  
تزوجت أمه

مما كرهه إياؤك الدُّنيوى لك ولها ، [ وَرَضِيَهُ الْحَلَالُ الدِّينِى لَهُ وَلِهَا ] ، فنحن نغزيك عن فائت محبوبك ، ونهنتك فى الخيرة فى اختيار القدر لك ، ونسأل الله أن يجعلها أبداً معك فيما رضيت وكرهت ، وأبيت وأتيت .

فهذا ونحوه أضوب وأسلم ، إن اضطررت إليه ، وتركه أحسن وأحزم .  
إن ملكت رأيك فيه ؛ والتلفُّ للكتابة عما يُستهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الأشياء وأسدها .

من أبى الفضل بن العميد لمن تزوجت أمه وكتب أبو الفضل بن العميد فى بابه: الحمد لله الذى كشف عنا ستر الخيرة .  
وهذاننا لستر العورة ، وجدع بما شرع من الحلال أنف الفيرة ، ومنع من عضل الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استنزأ للنفوس الأبية ، عن حمية الجاهلية .  
ثم عرض للجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضائه ؛ وعوض جزيل الثواب لمن صبر على نازل بلائه ؛ وهنالك الله ، الذى شرح للفقوى صدرك ، ووسع فى البلى صبرك ، ما ألهمك من التسليم بمشيئته ، والرضا بقضيته ، ووفقك له من قضاء الواجب فى أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ؛ وجعل الله تعالى حده<sup>(١)</sup> ما تجرّعته من أنف<sup>(٢)</sup> ، وكظلمته من أسف ، معدوداً يعظم الله عليه أجرك ، ويُجزل به ذُخرك ؛ وقرن بالحاضر من امتعاضك لِفعلها المنتظر من ارتماضك لدَفنها<sup>(٣)</sup> ، وعوضك من أيررة فرشها أعواد نَفْسها ؛ وجعل ما يُنمُّ به عليك من بعدها من نعمة مُعرّى من نعمة ، وما يوليك بعد قبضها من منحة مبرأ من محنة .

(١) الحد : البأس ، ومثله الجد .

(٢) الأنف والأنفة : الحمية .

(٣) الارتماض : الحزن .



## ألفاظ لأهل العصر في التهناني بالبنات

هنا الله سيدي ورَدَ الكريمة عليه ، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه ؛  
وجعلها مؤذنةً بإخوة بررة ، يعمرون أندية الفضل ، ويغفرون<sup>(١)</sup> بقية الدهر .  
اتصل بي خبر المولودة ، كرم الله غرتها وأنبتها نباتاً حسناً ، وما كان من  
تغيرك بعد اتضاح الخبر ، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر ، وقد  
علمت أنهم أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب ، فقال جل  
من قائل : ( يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ) . وما سماه  
هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ،  
وأُم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، وأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ،  
ونُجباء يتلاحقون .

فلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفَضَّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرَّجَالِ  
فَمَا التَّائِيثُ لاسمِ الشَّمْسِ غَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ  
والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة في موقعها ، فادّرع اغتباطا ،  
واستأنف نشاطا . الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها . والنار مؤنثة ، والذكور  
يعبدونها . والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء  
مؤنثة ، وقد خلقت بالكواكب ، وزُيِّنَتْ بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة ،  
وهي قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام  
ولا عُرِفَ الأنام . والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ؛ فهناك  
الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عُرِفَ  
النسل والولد ، وما بقي العصر والأبد ؛ إنه فعال لما يشاء .

(١) يغفرون : ييقون (م) .

[ بعض ما لا يُمدح النساء به ]

والتصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يُمدح به الرجال ذمهن ، ووَحْمٌ عليهن ، قال ابن الرومي :

ما لِلْحِسَانِ مَسِيئَاتٍ بِنَا ، وَلَنَا إِلَى الْمَسِيئَاتِ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحَنُّانُ  
فَإِنْ يَبْخُنَ بِمَهْدٍ قُلُنْ : مَعْدَرَةٌ إِنَّا نَسِينَا ، وَفِي النِّسْوَانِ نَسْيَانُ  
لَا تُلْزَمُ الذِّكْرُ ، إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ وَلَا مُدِحْنَاهُ ، بَلْ لِلذِّكْرِ ذُكْرَانُ  
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شِيمَهُمْ جُودٌ وَبَاسٌ وَأَحْلَامٌ وَأَذْهَانُ  
وَأَنْ مِنْهُمْ وَفَاءٌ لَا نَقُومُ لَهُ وَهَلْ يَكُونُ مَعَ التَّقْصَانِ رُجْحَانُ ؟  
وقال أبو الطيب المتنبي :

بِنَفْسِي الْخِيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي : بَعْدَنَا الْقُمْصُ تَطْعَمُ  
مَلَامٌ فَلَوْلَا الْبُخْلُ وَالْخَوْفُ عِنْدَهُ لَقُلْنَا أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ  
أَلَا تَرَى أَنَّ الْجُودَ ، وَالْوَفَاءَ بِالْعُودِ ، وَالشَّجَاعَةَ وَالْفُطْنَ ، وَمَا جَرَى فِي  
هَذَا السَّنَنِ ، مِنْ فَضَائِلِ الرِّجَالِ ، لَوْ مُدِحَ النِّسَاءُ بِهِ لَكَانَ نَقْصًا عَلَيْهِنَ ،  
وَذِمًّا لَهُنَّ ؟

ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب :

أنشد رجلٌ زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور :

أَرْبَيْدَةَ بِنَةَ جَعْفَرٍ لُجُوبِي لَزَائِكَ الثَّابِ  
تُعْطِينِ مِنْ رِجْلَيْكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُ مِنَ الرَّغَابِ

فوثب إليه الخدمُ يضربونه ، فمنعهم من ذلك ، وقالت : أراد خيراً وأخطأ ،  
وهو أحبُّ إلينا من أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم « شمالك أنذني من يمين غيرك »  
ففلن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمّل ، وعرفوه ما جهل .

وقال كثير :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سَحُ

رجل يمدح  
زبيدة أم  
الأمين

لكثير عزة

وَشَدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَطَايَا رِحَالَنَا  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبْنِنَا  
تَقْمِنًا قُلُوبَنَا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَفْتِ  
وَلَمْ تَحْشَرْ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ  
وَلَا يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ  
وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ  
بِذَلِكَ صُدُورٌ مُنْضِجَاتٌ قَرَائِحُ<sup>(١)</sup>  
وَلَا رَاعِنًا مِنْهُ سَنِيعٌ وَبَارِحٌ

وقال :

ولكن كثيرا أيضا

تَفَرَّقَ الْأَفُ الْحَجِيجُ عَلَى بَنِي  
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكٌ بَطْنُ تَحْلَةٍ  
فَلَمْ أَرْ دَارًا مِثْلَهَا دَارَ غِبْطَةٍ  
أَوَّلَ مَقِيماً رَاضِياً بِمَكَانِهِ  
فَأَصْبَحَ لَا تَلْقَى خِباءَ عَيْدَتِهِ  
فَشَاقُوا لَنَا وَجْهًا كُلَّ وَجْهَةٍ  
وَشَتَّتْهُمْ شَخْطُ النُّوْيِ مَشَى أَرْبَعُ  
وَأَخْرُ مِنْهُمْ جَارِعٌ ظَهَرَ تَضْرُعُ  
وَلَهُوَ إِذَا التَفَّ الْحَجِيجُ بِمَجْمَعِ  
وَأَكْثَرُ جَارًا ظَاعِنًا لَمْ يُودَّعِ  
بِمَضْرِبِهِ أَوْ تَادَهُ لَمْ تُنْزَعِ  
فَبَانُوا وَخَلَّوْا عَنْ مَنَازِلِ بَلْقَعِ

ودخل كثير على عزة يوما ، فقالت : ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس ،  
فقال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنني رأيت الأحوص ألين جانبا عند الغواني منك في  
شعره ، وأضرع خدًا للنساء ، وأنه الذي يقول :

يَأْيِهِنَّ اللَّائِي فِيهَا لِأَضْرِمَهَا  
أَكْثَرُ فَلَسْتُ مُطَاعًا إِذْ وَشِنْتُ بِهَا  
وَأَكْثَرْتُ لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ إِكْثَارُ  
لَا الْقَلْبُ سَالٍ وَلَا فِي حُبِّهَا عَارُ  
وَيَعِجِبُنِي قَوْلُهُ :

أُدُورٌ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ  
وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا ، وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى  
لَقَدْ مَنَعَتْ مَعْرِفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ  
بِأَيِّائِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ  
إِذَا لَمْ يُرْزَأْ لِابْنَةٍ أَنْ تَسِيرُ زُورُ  
وَإِنِّي إِلَى مَعْرِفِهَا لَفَقِيرُ

(١) تقع : روى ، ومنضجات قرائح : أنضجها الحزن وقرحها

عزة تفضل  
الأحوص على  
كثير

ويعجبني قوله :

كم من دنيٍّ لها قد كنتُ أتبعهُ  
لا أستطيعُ نزعاً عن محبَّتِها  
أدعُو إلى هجرِها قلبي فيتبعني  
وزادني رغبةً في الحبِّ أن منعتُ ،  
ولو صحَّ القلبُ عنها كان لي تبعاً  
أو يصنع الحبُّ بي فوق الذي صنعا  
حتى إذا قلتُ هذا صادقُ نزعاً  
أشهى إلى المرء من دُنياه ما منعاً  
وقوله :

إذا أنت لم تعشَق ولم تدّر ما الهوى  
وما العيشُ إلا ما تكدُّ وتشتهى  
وإني لأهواها وأهوى لقاءها  
علاقة حبٍّ حَجٍّ في سنن الصبا  
فكن حَجراً من يابس الصخر جَلَمداً  
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا  
كما يشتهي الصادي الشراب المبرداً  
فأبلى ، وما يزدادُ إلا تجدداً  
هذان البيتان أحقهما العُتي وغيره بشعر الأصوص ، وأنشدها أبو بكر بن  
دريد لأعرابي ، فقال كثير : قد والله أجاد فما استقبحت من قولي ؟ قالت :  
قولك :

وكنْتَ إذا ما حِثْتُ أَجْلَنَ مَجْلِسِي  
يُحاذِرُنْ مَنِي غَيْرَةً قد عَرَفْنَهَا  
تراهنَّ إلا أن يخالِسَنَ نظرةً  
كواظِم لا يَنْطِقن إلا مَخُورَةً  
وكنَّ إذا ما قُلْنَ شيئاً يسرُهُ  
وقولك :

وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ ، وَأَنِّي مُصْغَبٌ شَمِ شَهْرُبٌ (١)

(١) هجان : يضاء ، والمصغب : الفحل ، ورواية صاحب الموشح :-

ألا ليتنا باعز كنا لدى غنى بهيزن نرعى في الخلاء ونعزب

كَلَّا لَنَا بِهِ عُرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ      عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُتَعَدَّى وَأَجْرَبُ<sup>(١)</sup>  
 نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مَغْفَلٍ      فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ  
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ      عَلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نُؤْذَى وَنُضْرَبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَيَحْكُ ! لَقَدْ أَرَدْتَ بِي الشَّقَاءَ ، أَمَا وَجَدْتَ أُمْنِيَةً أَوْ طَأً مِنْ هَذِهِ ؟ فَخَرَجَ  
 خَجَلًا .

[ مِنَ الْأَمَانِي ]

لأبي صخر  
الهدلي

وَقَدْ تَمَّتْ بِمَثَلِ هَذِهِ الْأُمْنِيَةِ الْفَرَزْدَقُ . وَأَغْرَبَ مِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي صَخْرٍ الْهَدَلِي :  
 تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عَلَيْهِ أَنَّنَا      عَلَى رَمَثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفَرُ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَى دَائِمٍ لَا يَبْعُرُ الْفَلَكَ مَوْجُهُ      وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَالْأَجَجُ الْخُضْرُ  
 فَتَقْضَى هَمُّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رِقْبَةٍ      وَيُغْرَقُ مَنْ نَحْشَى نَيْمَتَهُ الْبَحْرُ  
 وَقِيلَ : الْأَمَلُ رَفِيقُ مُؤْنِسٍ ؛ إِنْ لَمْ يُبْلَغْ فَقَدْ أَتَاهَا .

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ      وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى الْأَمَانِي كَوَاذِبًا

وَقَالَ آخَرُ :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى      وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا  
 أَمَانِيٍّ مِنْ كَيْلِي حِسَانٍ كَأَنَّمَا      سَقَتْنِي يَهَا كَيْلَى عَلَى ظَلَمٍ بَرْدًا

وَقَالَ آخَرُ

رَفَعْتُ عَنْ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ حُبِّهَا      فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَسْتَزِيدُهَا  
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَا أَمْتَعَ لَذَاتُ الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : مِمَّا زَحَتْهُ الْحُبُّ ، وَمِمَّا دَاوَتْهُ الصَّدِيقُ ،

(١) العر - بالفتح ويضم - الحرب

(٢) رواية صاحب الموشح :

إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا هَاجَ أَهْلُهُ      إِلَيْنَا ، فَلَا نَنْفَكُ نَزْمِي وَنُضْرَبُ

(٣) الرمث بالنحر يك خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب في البحر

وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد :

عَلَّيْنِي بِوَعْدِ وَأَمَلِي مَا حَيَّتْ بِهِ  
وَدَعَيْتِي أَفْزُ مِنْكَ بِنَجْوَى تَطْلُبُهُ  
فَعَسَى يَعْثُرُ الزَّمَانُ نَحْطِي فَيَذْتَبِيهِ  
[ بعض أخبار كثير وعزة ]

حق كثير

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جعدة الخزاعي — ويعرف بعزة ، على حدة خاطره ، وجودة شعره — أحمق الناس .

دخل عليه نفر من قريش وهو عليل يهزون به ، قال بعضهم : فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلت : نعم ، سمعتمهم يقولون : إنك الدجال . فقال : والله لئن قلت ذلك إني لأجد في عيني النبي ضيقاً منذ أيام .

كان راضياً

وكان راضياً يدين بالرجعة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل في شعب باليمن في أربعين من أصحابه ، ولا بد من ظهوره ، وفي ذلك يقول :

أَلَا إِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ      وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ  
عَلَيَّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ      هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ  
فَسَبْطُ سَبْطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ      وَسَبْطُ غَيْبَتِهِ كَرُّ بَلَاءِ  
وَسَبْطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى      يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللُّوَاءُ  
تَغِيَّبَ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا      بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ  
وكان خلفاء بني أمية يعلمون ذلك منه ، ويلبسونه عليه .

بين كثير  
وعبد الملك  
بن مروان

دخل يوما على عبد الملك بن مروان فقال : نشدتك بحق علي بن أبي طالب ، هل رأيت أعشق منك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو سألتني بحقك لأخبرتُك ، نعم ، بينا أنا أسيرُ في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حَبَابِلَهُ ، فقلت له :

ما أَجْلَسَكَ هاهنا؟ قال : أهلكنى وأهلى الجوع ، فنصبت حَبَائِلِي لِأَصِيبَ لَهْمٍ  
ولنفسى ما يكفينى سَجَابَةَ يَوْمِنَا ، قلت : أَرَأَيْتَ إِنْ أَقَمْتُ مَعَكَ فَأَصْبَحْنَا صِيدًا  
أَتَجْعَلُ لِي مِنْهُ جِزْءًا؟ قال : نعم ، فبينما نحن كذلك إِذْ وَقَعَتْ ظِلِيَّةٌ ، فخرجنا  
مُبْتَدِرِينَ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهَا فَخَلَّهَا وَأَطْلَقَهَا ؛ فقلتُ : ما حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قال  
دخلتنى لها رَقَّةٌ لَشَبْهَها بِلَيْلى ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَيَا شِبْهَةَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّى      لك اليوم من وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ  
أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا      لَأَنْتَ - لَيْلَى - مَا حَيَّيْتَ طَلِيقُ  
وروى الكلبي وابن دَأْب أَنَّهُ لَمَّا حَلَّهَا قَالَ :

أَذْهَبِي فِي كِلَالَةِ الرَّحْمَنِ      أَنْتِ مَنِي فِي ذِمَّةٍ وَأَمَانِ  
لَا تُخَافِي بَأْنَ تُهَاجِي بِسَوْءِ      مَا تَغْنَى الْحَمَامُ فِي الْأَغْصَانِ  
تَرْهَبِينِي وَالْجَيْدُ مِنْكَ لِلَّيْلِ      وَالْحَشَا وَالْبُعَامُ وَالْعَيْنَانِ؟

وقال قيس بن الملوِّح :

راحوا يَصِيدُونَ الطُّبَاءَ وَإِنِّى      لأرى تَصَـيِّدَهَا عَلَى حَرَامِ  
أَشْبَهْنَ مِنْكَ مُحَاجِرًا وَسَوَافِئًا      فأرى عَلَى لَهْمَا بِذَاكَ ذِمَامَا  
أَعَزُّزُ عَلَى بَأْنَ أَرُوعَ شَبِيبِهَا      أَوْ أَنْ يَذُقْنَ عَلَى يَدَى حِمَامَا  
ومن جيد شعر كثير :

وكانت لِقَطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنِهَا      كَنَازِرَةٍ تَذَرُّ فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ  
فقلتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ      إِذَا وَطَّنتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ  
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مَنِيْعَةً      تَعْمُ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ  
أَبَاحَتْ حِجِّي لَمْ يَرَعْهُ النَّاسُ قَبْلَهَا      وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ  
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءِ مُخَامَرِ      لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ  
أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةً      لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتْ  
وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ      بِهِجْرٍ ، وَلَا اسْتَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلْتُ

لقيس بن  
الملوح

من جيد  
شعر كثير

وما مرّ من يومٍ عليّ كيومها وإن عظمت أيام أخرى وجلّت  
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه وللنفس لما وطئت كيف ذلت  
وإني وتهنأني بعزة بعدما تخلّيتُ مما بيننا وتخلّت  
لكالمترجّي ظلّ الغمامة ، كلما تبوّأ منها للمقيل اضمحلت  
وكان كثير قصيرا دميما ، ولذلك قال :

كان كثير  
قصير دميما

فَإِنَّ أَكْ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنِّي إِذَا مَا وَزَنْتَ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ وَازِنُ<sup>(١)</sup>  
ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته ، فقال : أنت كثير ؟  
فقال : نعم ، فاقنحه ، وقال : تَسْمَعُ بِالْمَعِيدِي لَا أَنْ تَرَاهُ<sup>(٢)</sup> ! فقال :  
يا أمير المؤمنين ، كلُّ إنسان عند محله رَحْبُ الْفِنَاءِ ، شَامِخُ الْبِنَاءِ ، عَالِي  
السَّاءِ ، وأنشد يقول :

تري الرجل النحيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ  
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ إِذَا تَرَاهُ فَيُخَلِّفُ ظَنَنَكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ<sup>(٣)</sup>  
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَابًا وَلَمْ تَطُلِ الْبُزَاةُ وَلَا الصَّقُورُ<sup>(٤)</sup>  
خَشَاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الْبَازِ مِقْلَاةٌ زُرُورُ<sup>(٥)</sup>

(١) قبل هذا البيت

رَأَتْ رَجُلًا أَوْدَى السَّقَامَ بِجَسَمِهِ فَلَمْ يَيْقُ إِلَّا مِنْطَقَ وَجَنَاجِنٍ  
وبعده :

وإني لما استودعني من أمانة إذا ضيع الأسرار يا عز دافن  
(٢) رواية القائل : « أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ »  
(٣) رجل طرير : له هيئة حسنة  
(٤) البغاث : شرار الطير

(٥) خشاش الطير : هي العصافير ونحوها ، والمقلاة : التي لا يحيا لها ولد ، والنزور :

قليلة الأولاد



ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَيْدًا وَأَضْرَمَهَا اللَّسَوَاتِي لَا تَزِيرُ  
 وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ  
 يُنَوِّخُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْمُرَاوِي فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ  
 يَقْوَدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَعْمَرُهُ عَلَى الْجَنْبِ الصَّغِيرِ<sup>(١)</sup>  
 فَمَا عِظَمَ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينٍ وَلَكِنْ رَزَيْنُهُمْ حَسَبٌ وَخَيْرُ<sup>(٢)</sup>  
 فَقَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ! مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَ عِنَانَهُ ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ؛ إِنِّي  
 لِأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ<sup>(٣)</sup> .

### [قولهم في الطول والقصر]

وَأَشَدُّ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ :

وَعَاذَلَهُ هَبَّتْ بَلِيلٌ تَلَوْنِي وَلَمْ يَغْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَلِكَ عَذُولُ<sup>(٤)</sup> لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ  
 تَقُولُ : ائْتَدِلَا يَدْعُكَ النَّاسُ مُمْلِقًا وَتُزْرِي بَيْنَ يَابَنِ السَّكْرَامِ تَعُولُ  
 قُلْتُ : أَبَتَ نَفْسِي عَلَى كَرِيمَةٍ وَطَارِقُ لَيْلٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ  
 أَلَمْ تَعْلَمْ يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنِّي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ السَّكْرَامِ قَلِيلُ  
 وَأَنِّي لَا أَخْزِي إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ سَخِيٌّ ، وَأَخْزِي أَنْ يُقَالَ بِخِيلُ  
 فَلَا تَتَّبِعِي النَّفْسَ الْغَوِيَّةَ وَانْظُرِي إِلَى غُنْصُرِ الْأَحْسَابِ كَيْفَ يَبْثُولُ  
 وَلَا تَذْهَبِي عَيْنَاكَ فِي كُلِّ شَرْمَحٍ لَهُ قَصَبٌ جُوفُ الْعِظَامِ أُسِيلُ<sup>(٥)</sup>  
 عَسَى أَنْ تَمْنَى عِرْسُهُ أَنْتِي لَهَا بِهِ ، حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ ، بِدِيلُ

(١) رواية القالي : « وينحره على التراب الصغير »

(٢) رواية القالي « كرم وخير »

(٣) روايه القالي « فقال عبد الملك : لله دره ! ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ، طول عنانه ! والله اني لأظنه كما وصف نفسه » .

(٤) اغتمره يغتمره : عده غمرا - بالضم ويفتح - وهو من لم يجرب الأمور

(٥) الشرمح : الرجل الطويل .

إذا كنت في القوم الطوال فطقتهم<sup>(١)</sup> بعارفة حتى يقال طويل<sup>(٢)</sup>  
ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول  
فكان رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تمين أصول  
فإلا يكن جسماً طويلاً فإني له بالفعال الصالحات وصول  
ولم أرَ كالمعروف : أمّا مدّافه فخلو ، وأمّا وجهه فجميل  
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

ونصيف من الرجال نحيف راجح الوزن عند وزن الرجال  
في أناس أوتوا خلوم العصافير فلم تغنيهم جسوم البغال  
أخذه من قول حسان بن ثابت ، وقال له بنو الديان الحارثيون : قد  
ونحن نطول بأحسامنا على العرب حتى قلت :

دعوا التّخاجؤ وامشوا مشية سجعاً إن الرجال ذوو قـد وتذكـير  
لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير  
فتركنا لا نرى أجسامنا شيئاً

والعرب تمدح الطول ، وتثنى عليه ، وقال عنتره بن شداد :

بطل كان ثيابه في سرحة يُحْدِي نعال السّبت ليس بتوأم  
لمنيرة العبسي

قوله « ليس بتوأم » يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضعف ، كمال قال  
الشعبي ، وقد دخل على عبد الملك بن مروان ، فجعل ينظر إليه ، وكان الشعر  
قد ولد توأمًا مع أخيه ، فكان نحيفاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني زوحت  
الرحم ، وقال :

(١) رواية القالي « فضلهم »

(٢) العارفة : المكرمه ، وفسرها أبو بكر ابن الأنباري بالنفس الصّابرة

(٣) التّخاجؤ : فتح الصدر عند المشي تها وكبرياء

ولما التقى الصفان واختلف القنا  
تبين لي أن القماء ذلة  
نهالاً، وأسباب المنايا نهاها  
وأن أعزاء الرجال طواها

لأبي نواس

وقال أبو نواس :

وكنا إذا ما الحائن الجدد غره  
تردّى له الفضل بن يحيى بن خالد  
بماضى الطّبي يزهاه طول نجاد  
أمام خيس أرجسوان كأنه  
بسّى برقي غاد أو ضجيج رعاد  
قميص محوك من قنا وجياد<sup>(١)</sup>  
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

وملؤمة زردت ثوبها ولكنّه بالقنا محمل

[ عود إلى أخبار كثير عزة ]

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يتمنون أن  
يتبسم ، فقال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسلم لدعوت الله أن يصرف  
مابك إلى ، ولكني أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولي في كنفك ؛ فضحك  
وأمر له بمال فخرح وهو يقول :

ونعود سيّدنا وسيّد غيرنا ليت التشكوى كان بالعواد

لو كان تقبل فدية لفديته بالمصطفى من طارفي وتلادى

قال محمد بن سلام الجمحي : قال أبي : ذاكرت مروان بن أبي حفصة شعراً  
جريراً والفرزدق وكثير ، فذهب إلى تقديم كثير ، وجعل يطريه ويقول : هو  
أمدحهم للخلفاء ، فقلت : أمّن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان :  
ترى ابن أبي العاصي وقد صفّ دونه ثمانون ألفاً قد توافقت كمولها  
يقلّب عيني حية بمقازة إذا أمكنته شدة لا يقيلها  
فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً ، وجعله يقلّب عيني حية .

(١) الحميس : الجيش لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة

وقوله :

وإن أمير المؤمنين هو الذي غزا كامنات الودّ مني فناها  
زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كامنات صدره .

وقوله لعبد العزيز بن مروان :

وما زالت رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِجْبَانِي  
وَيَرْقِينِي لَكَ الْخُلَاوُونَ حَتَّى أَجَابَكَ حَيَّةٌ تَحْتَ الْحِجَابِ  
زعم أن عبد العزيز ترصّاه ، واحتال له ورقاه ، حتى أجابه ؛ أكَذَا تُمَسِّحُ  
لِلْمَلُوكِ ؟ فَأَسْكَتَهُ (١) .

### فصول قصار

من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ . العبد حرٌّ إذا قنع ،  
والحرُّ عبدٌ إذا طمع . الأمانى تخذلك ، وعند الحقائق تدّلك . إذا كان  
الطمعُ هلاكاً ، كان اليأسُ إدراكاً . ليس يُعَدُّ حَكِيماً ، من لم يكن لنفسه خَصِيماً . تعرّ  
عن الشيء إذا مُنِعْتَهُ ، بقلّة ما يصيبك إذا مُنِحْتَهُ . تَجَرَّعَ مَضَضَ الصبر تطفئ  
نار الضر . الحكمة حِفْظُ مَا كَلَفْتَ ، وتركُ مَا كَفَيْتَ . الصَّبْرُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ،  
أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ .

### شدور لأهل الصر في معاني شتّى

من كلام الأمير قابوس بن وشمكير شمس المعالي في أثناء رسالته :  
بَرَزْتُ الشَّفِيعَ تُورِي نَارَ النِّجَاحِ ، وَمَنْ كَفَ الْمَفِيزُ يُنْتَظَرُ فَوْزُ الْقِدَاحِ ،  
قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ

(١) راجع ما أخذه الرواة على كثير في الصفحات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ من  
كتاب الموشع ؛ فإن ما هنا قد اقتبس من هناك

الوسائل أقدام ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيحُ الطَلِبَات . العفو عن الجرم من موجب الكرم ، وقَبُولُ المَعْدِرَةِ من محاسن الشِّيم . وبالْقَوَادِمِ وَالْحَوَائِي قُوَّةُ النِّجَاح ، وبِالْأَسَنَةِ وَالْعَوَالِي عَمَلُ الرِّمَاح . الدُّنْيَا دَارُ تَغْيِيرٍ وَخَدَاعٍ ، وَمَلْتَقَى سَاعَةِ لُودَاعٍ ، وَالنَّاسُ مُتَصَرِّفُونَ بَيْنَ كُلِّ وَرْدٍ وَصَدَرٍ ، وَصَائِرُونَ خَبَرًا بَعْدَ أَثَرٍ . غَايَةُ كُلِّ مُتَحَرِّكٍ إِلَى سَكُونٍ ، وَنَهَايَةُ كُلِّ مُتَكُونٍ إِلَّا يَكُونُ ، وَآخِرَ الْأَحْيَاءِ فَنَاءٌ ، وَابْتِغَاءُ عَلَى الْأَمْوَاتِ عَنَاءٌ ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَلِمَ التَّهَالُكُ عَلَى الْهَالِكِ ؟ . خَشُوْهُ الدَّهْرَ أَحْزَانٌ وَهَوْمٌ ، وَصَفْوُهُ مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ مَعْدُومٌ . إِذَا سَمَحَ الدَّهْرُ بِالْحَبَاءِ ، فَأَبْشُرْ بِوُشْكِ الْإِقْتِضَاءِ ، وَإِذَا أَعَارَ ، فَاحْسِبْهُ قَدْ أَعَارَ . الدَّهْرُ طَعْمَانٌ حَلُومٌ ، وَالْأَيَّامُ ضَرْبَانُ عُسْرٍ وَيسرٍ . لِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ وَمُنْتَهَى ، وَانْقِطَاعٌ وَإِنْ بَلَغَ الْمَدَى . تَرَكُّ الْجَوَابِ ، دَاعِيَةُ الْإِرْتِيَابِ ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِقْتِضَاءِ ، كَسُوفٌ فِي وَجْهِ الرَّجَاءِ . هُمُّ الْمُنْتَظَرِ لِلْجَوَابِ ثَقِيلٌ ، وَالْمَدَى فِيهِ وَإِنْ كَانَ قَصِيرًا طَوِيلٌ . النَّجِيبُ إِذَا جَرَى لَمْ يَشَقَّ غِبَارُهُ ، وَإِذَا سَرَى لَمْ تَلْحَقْ آثَارُهُ . وَمَنْ أَيْنَ لِلضُّبَابِ صَوْبُ السَّحَابِ ، وَلِلْغَرَابِ هَوِيُّ الْعُقَابِ ، وَهِيَّاتُ أَنْ تَكْتَسِبَ الْأَرْضُ لَطَافَةَ الْهَوَاءِ ، وَيَصِيرَ الْبَدْرُ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ .

\* \* \*

للشعالي يصف  
شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الشعالي في كتاب ألفه له ؛ قال في أوله : أَمَّا عَلَى أَثَرِ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ كِتَابِهِ ، وَآخِرُ دَعْوَى سَاكِنِي دَارِ ثَوَابِهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى خَيْرَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ ، وَعَلَى الصَّفْوَةِ مِنْ ذَرِّيَّتِهِ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا شَغَلَ بِخِدْمَةِ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ عِزَّةَ الْمُلْكِ إِلَى بَسْطَةِ الْعِلْمِ ، وَنُورَ الْحِكْمَةِ إِلَى نَفْوَذِ الْحُكْمِ ، وَجَعَلَهُ مِمِّيزًا عَلَى مَلُوكِ الْعَصْرِ ، وَمُدَبِّرًا عَلَى الْأَرْضِ وَوَلَاةَ الْأَمْرِ ، بِمَخَصَّائِصٍ مِنَ الْعَدْلِ ، وَجَلَائِلٍ مِنَ الْفَضْلِ ، وَدَقَائِقٍ مِنَ الْكَرَمِ الْمَحْضِ ، لَا يَدْخُلُ أَيْسَرُهَا تَحْتَ الْعَادَاتِ ، وَلَا يُدْرِكُ أَقْلُهَا بِالْعِبَارَاتِ ؛ وَمَحَاسِنُ [ سِيرِ ] الْأَنَامِ <sup>(١)</sup> ، تَحْرُسُهَا أَسِنَّةُ الْأَقْلَامِ ، وَتَدْرُسُهَا أَلْسِنَةُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَهَذِهِ صِفَةُ تُغْنِي

عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثنائه على جميع الملوك بها ، وإلمه بامعيا بيديها السماع أنها للأمير ، شمس المعالي ، خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نأفرة ؛ إذ هو - بمعانيه الآثار ، ومهادة الأخيار ، وإجماع الأولياء ، واتفاق الأعداء - كافل المجد ، وكافي الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفرغ الورى ، وحسنه العالم ، ونكتة الفلك الدائر ؛ فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ؛ وسلكه أزمنة الأمر ، كلما ملكه أعنة الفضل ؛ وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بإدامة أيامه التي هي أعياد الدهر ، ومواسم الأمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعادات وقد بابه ، والبشائر قري سمعه ، والمسار غذاء نفسه ، ويتراعى به الإقبال إلى حيث لا يبلغه أمل ، ولا يقطعه أجل .

\*\*\*

نحافى قوله « وهذه صفة تُغنى عن الموصوف » إلى قول أبي الطيب يرنى أخت سيف الدولة :

يا أختَ خَيْرِ أَخٍ يابنتَ خَيْرِ أَبٍ      كنايةً بهما عن أشرفِ النسبِ  
أَجَلٌ قَدَرَكِ أَنْ تُسَمَّى مُؤَثَّةً      وَمَنْ دَعَاكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

\*\*\*

وفي شمس المعالي يقول الأمير أبو الفضل الميكالى :

لَا تَعْصِيَنَّ شَمْسَ الْعَلَا قَابُوسَا      فَمَنْ عَصَى قَابُوسَ لَا قَى بُوسَا

وله يقول بدیع الزمان فى قصيدة نظمها فى تصاعيف رسالة موشحة :

إِنَّ مَنْ كُنْتَ مِنْ مُنَاكَ بَمَرَأَى      وَتَعْدَاكَ سَيِّءُ الْاِقْتِرَاحِ  
بَيْنَ بَشَرٍ يَرُدُّ غَائِضَ جَاهَى      وَقَبُولٍ يُعِيدُ رِيشَ جَنَاحَى

مدائح فى شمس  
المعالي ابن  
وشمكير

وبساطٍ وَرَدَتْ مُشْرِعَةُ الْأُنْسِ بِهِ وَادَّرَعَتْ بُرْدَ النِّجَاحِ  
 فَاقْضِ أَوْ طَارًا التَّقْتُ وَالْمَعَالِي فِي نِظَامٍ مِنَ النَّهْيِ وَتَصَارِحْ  
 مَلِكٌ دُونَهُ تَقَطَّعْ أَبْصَارُ اللَّيَالِي يَوْمًا نَدَى وَكِفَاحِ  
 مَلِكٌ لَوْ يَشَاءُ مَدَّ عَلَى النَّجْمِ رِوَاقًا وَرَدَّ وَقْدَ الرِّيَّاحِ  
 تَارَةً فِي خُسُونَةِ الدَّهْرِ تَلَقَّا هُوَ وَطُورًا فِي حُسْنِ ذَاتِ الْوِشَاحِ  
 مَلِكٌ كُلَّمَا بَدَأَ نَفَقُ الْأَفْلاكِ عُجْبًا بِهِ وَفَرَطَ اِرْتِيَاحِ  
 هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَعَالِي طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاجِ  
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، كَتَبْتُهَا عَلَى طَرِيقِ الْاِخْتِيَارِ .

[ من رسائل بديع الزمان ]

رقعة لبديع الزمان إلى شمس المعالي ، وقد ورد حضرته :

لَمْ تَزَلِ الْأَمَالُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ شَمْسِ الْمَعَالِي ، وَأَدَامَ سُلْطَانَهُ - تَعِدُنِي  
 هَذَا الْيَوْمَ ، وَالْأَيَّامُ تَمُطِّلُنِي بِالسَّنَةِ صُرُوفِهَا ، عَلَى اخْتِلَافِ صُنُوفِهَا ، بَيْنَ حُلُوفِ  
 اسْتَرْقَنِي ، وَمَرٍّ اسْتَخَفَّنِي ، وَشَرَّ صَارَ إِلَيَّ ، وَخَيْرٌ صِرْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا فِي خِلَالِ  
 هَذِهِ الْأَحْوَالِ أَذْرَعُ الْآفَاقَ فَأَكُونُ طُورًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْأَقْصَى ، وَطُورًا  
 مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ ، وَلَا مَطْمَحَ إِلَّا حَضْرَتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَسُدَّتْهُ الْمَرْبِيعَةُ ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَّا  
 الْمَنْزِعَ السَّاسِعَ ، وَالْأَمَلُ الْوَاسِعَ ؛ وَقَدْ صُرْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ مَوْلَانَا - بَيْنَ  
 أَنْيَابِ النَّوَائِبِ ، وَتَجَشَّعْتُ هَوْلَ الْمَوَارِدِ ، وَرَكِبْتُ أَكْتَافَ الْمَكَارِهِ ، وَرَضَعْتُ  
 أَخْلَافَ الْعَوَائِقِ ، وَمَسَحْتُ أَطْرَافَ الْمَرَاحِلِ ، حَتَّى حَضَرْتُ الْحَضْرَةَ الْبَهِيَّةَ  
 أَوْ كِدْتُ ، وَبَلَغْتُ الْأُمْنِيَةَ أَوْ زِدْتُ ، وَلِلْأَمِيرِ السَّيِّدِ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَى الْمَجْدِ ،  
 وَالسُّطْرِ مِنْ عَنَانِ الْفَضْلِ ، بِتَمَكِّينَ خَادِمِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ يَلْقَاهُ بِقَدَمِهِ ، وَالْبَسَاطِ  
 يَلْبِسُهُ بِقَمِهِ ، تَفَضَّلْ : فَهُوَ الرَّأْيُ الْعَالِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وله إلى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أَنْ يَزِفَ إِلَيْهِ  
 مَا أَنْشَادَ ، فَبَعَثَ بِهِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

مَرْحَبًا بِسَلَامِ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَلَا كَلِمَ رَحَبِ

بَطْلَعَتِهِ ؛ وقد وَصَلَتْ ثَمِيَّتُهُ فَشَكَرْتُهَا ، وَعِدَّتُهُ الْجَمِيلَةَ بِالْحَضُورِ غدا فانتظرتها ؛  
 ودَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَطْوِيَ سَاعَاتِ النَّهَارِ ، وَيَزِجَ الشَّمْسَ فِي الْمَغَارِ ، وَيُقَرِّبَ مَسَافَةَ  
 الْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَيَرْفَعَ الْبَرَكَةَ مِنْ سِيرِهِ ، وَيَجْهَزَ الْحَرَكَةَ إِلَى دَوْرِهِ ؛ وَيُسِرَّنِي بِوَقْدِ  
 الظَّلامِ وَقَدْ نَزَلَ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثًا رَحَلَ ؛ وقد بعثتُ بما طلبُ سَمْعًا لِأَمْرِهِ  
 وَطَاعَةِ ، وَالنَّسْخَةَ أَسْقَمُ مِنْ أَجْفَانِ الْعَضْبَانِ ، وَالشَّيْخَ سَيِّدِي — أَدَامَ اللَّهُ  
 عَزَّه — يَرْكُضُ قَلَمَهُ فِي إِصْلَاحِهَا ، وَحَبَّذَا هُوَ فِي غَدٍ ، وَقَدْ طَلَعَ كَالصَّبْحِ إِذَا  
 سَطَعَ ، وَالْبَرْقُ إِذَا لَمَعَ :

يا مَرْحَبًا بِغَدٍ يَا أَهْلًا بِهِ      إِنْ كَانَ لِلْمَأْمُورِ الْأَحْبَبَةِ فِي غَدٍ  
 وله إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَهُ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ :  
 لَوْ كَانَ لِلْكَرَمِ عَنْ جَنَابِ الشَّيْخِ مُنْصَرَفٌ لَا مُنْصَرَفٌ ، أَوْ لِلْأَمَلِ مُنْخَرَفٌ إِلَى  
 سِوَاهُ لَا مُنْخَرَفٌ ، أَوْ لِلتَّجُّعِ بَابٌ سِوَاهُ لَوَلَّجْتُ ، أَوْ لِلْفَضْلِ خَاطِبٌ غَيْرُهُ لَزَوَّجْتُ ،  
 وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ أَنْ يُعْقِدَ إِلَّا عَلَيْهِ الْخَنْصَرُ ، أَوْ يَتَحَلَّى إِلَّا بِفَوَاضِلِ الدَّهْرِ ، وَلَا يَزَالُ  
 كَذَا يَتَسَمَّى الْمَجْدُ بِسَمِيَّتِهِ ، وَيَجْذِبُ الْعِلَاءَ بِهَمَّتِهِ ، وَيُسْعِدُ الدِّينَ بِنَظَرِهِ ، وَالدُّنْيَا  
 بِجَمَالِهِ ، وَغُلَامُهُ أُنَالُوا اسْتِعَارَ الدَّهْرُ لِسَانًا ، وَاتَّخَذَ الرِّيحُ تَرْجُمَانًا ، لِيُشِيعَ إِنْعَامَهُ حَقَّ  
 الْإِشَاعَةِ ، لَقَصُرَتْ بِهِ يَدُ الْإِسْطَاعَةِ ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ يَلْبَسَ مَكَارِمَهُ صَافِيَةً سَابِغَةً ،  
 وَيَرِدَ مِشَارِعَهُ صَافِيَةً سَائِغَةً ، وَيَحِيلَ الْجَزَاءَ عَلَى يَدِ قُصُورِ ، وَالشُّكْرَ عَلَى لِسَانِ  
 قَصِيرٍ ؛ ثُمَّ إِنَّ حَاجَاتِي ، إِذَا لَمْ يَعْرِ مِنْ قَلَانِدِ الْمَجْدِ نَحْرُهَا ، وَلَمْ يَعْطَلْ مِنْ حَلِي  
 الْمَجْدِ صَدْرُهَا ، كَبَرِ مَهْرُهَا ، وَعَزَّ كَفْوُهَا ، وَلَمْ أَجِدْ لَهَا إِلَّا وَاحِدًا أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ  
 فِي بَيْتِ الْعَرَبِ ، أَوْ مَاجِدًا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ <sup>(١)</sup> . وَهَذِهِ حَاجَةٌ أَنَا أَزْفِيهَا  
 إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ حَرَّصَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَسُوقُهَا مَنْظُومَةً مِنَ الصَّدْرِ إِلَى الْعِجْزِ ،  
 كَمَا يَسَاقُ الْمَاءُ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ <sup>(٢)</sup> ؛ وَأَنَا مِنْ مَفْتَتَحِ الْيَوْمِ إِلَى مَحْتَمِّهِ ، وَمِنْ

(١) الْكَرْبُ - بِفَتْحَتَيْنِ - الْحَبْلُ بِلَى الْمَاءِ .

(٢) الْجُرُزُ - بِضَمَّتَيْنِ - الْأَرْضُ لَا تَنْبِتُ شَيْئًا .



قَرْنِ النهارِ إلى قَدَمِهِ ، قَاعِدَ كَالْكُرْكِيِّ<sup>(١)</sup> ، أَوَالِدِكَ الْهِنْدِيِّ ، فِي هَذَا الْأَذْحَى<sup>(٢)</sup> ،  
يَمْرُؤُ بَنِي أَوَّلُو الْحَلَى وَالْحَلَلِ ، وَيَجْتَازُ ذَوُو الْحَلِيلِ وَالْخَوْلِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَا أَنَا وَالنَّظَرُ إِلَى مَا لَا  
يَكْلِينِي ، وَالسُّؤَالُ عَمَّا لَا يَعْنِينِي ، وَالْيَوْمُ ، لَمَّا افْتَضَضْنَا عُذْرَةَ الصَّبَاحِ ، مَلَأْتُ  
جَفُونِي مِنْ مَنْظَرٍ مَا أَحْوَجُهُ إِلَى عَيْنٍ يَصْرِفُ عَيْنَ كِهَالِهِ ، عَنْ جَمَالِهِ ، فَقُلْتُ لِمَنْ  
حَضَرَ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَجْذُوا يَحْرُكُونَ الرَّهْوسَ اسْتَظْرَافًا لِحَالِي ، وَيَتَغَامَزُونَ تَعَجُّبًا  
مِنْ سُؤَالِي ، وَقَالُوا : هَذَا الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَقُلْتُ :  
حَرَسَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَدَامَ غَبِطَتَهُ ؛ فَكَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَأَتَى مَا تَنَى  
مَعْرِفَتَهُ ؟ قَالُوا : إِنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - يَضْرِبُ فِي مَوَدَّتِهِ بِالْقِدْحِ  
الْمُعَلَّى ، وَيَأْخُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ بِالْحِظِّ الْأَعْلَى ، فَإِنْ رَأَى الشَّيْخَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاهُ - أَنْ  
تُجْعَلَ عَنَانِيَّتُهُ حَرْفَ الصَّلَاةِ ، وَتُفَضَّلَهُ لَأَمَّ الْمَعْرِفَةِ ، فَقُلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[ مِنْ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ ]

قَالَ الرَّشِيدُ لِيُحْيِي بَنِي خَالِدٍ : يَا أَبْتَ ، إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ الْخَاتَمَ الَّذِي فِي  
يَدِ الْفَضْلِ إِلَى جَعْفَرٍ ، وَقَدْ احْتَشَمَتْ مِنْهُ فَكُفِّنِيهِ .  
فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ يُحْيِي : قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْلَى اللَّهِ أَمْرُهُ - أَنْ يَحْوَلَ  
الْخَاتَمُ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ .

فَأَجَابَ الْفَضْلُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي ، وَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى  
أَمْرِهِ ، وَمَا انْقَلَبْتُ عَنْ نِعْمَةٍ صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَلَا عَزَبْتُ<sup>(٤)</sup> عَنْ رِثْبَةٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ .  
فَقَالَ جَعْفَرٌ : اللَّهُ أَخِي ! مَا أَنْفَسَ نَفْسَهُ ، وَأَبَيَّنَ دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ ،  
وَأَقْوَى مُنَّةَ الْعَقْلِ فِيهِ ، وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ ذَرْعَهُ ، وَأَرْحَبَ بِهَا جَنَابَهُ . يُوجِبُ  
عَلَى نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ ، وَيَحْمِلُ بِكْرَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ .

(١) الكُرْكِيُّ : طَائِرٌ يَقْرُبُ مِنَ الْوُزْءِ ، أَبْتَرُ الذَّنْبِ ، رَمَادِي اللَّوْنِ ، يَأْوِي  
إِلَى الْمَاءِ أحيانًا (م) (٢) الْأَذْحَى : الْمَكَانُ الَّذِي تَبْيَضُ النِّعَامُ فِيهِ مِنَ الرَّمْلِ .

(٣) الْحَلِيلُ : أَرَادَبُهُ الْحِيلَاءُ ، وَالْخَوْلُ - بِالْتَحْرِيكِ - الْحُدْمُ وَالْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ (م)

(٤) كَذَا ، وَعَزَبْتُ مَعْنَاهُ بَعُدْتُ ، وَأَحْسَبُهُ « غَرِيبٌ » لِمُقَابَلَتِهِ . يَطْلَعُ (م)

وَذُكِرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي مَجْلِسِ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا  
 مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَبْسَطَ لِسَانًا ، وَلَا أَلْحَنَ بِحِجَّةٍ ، وَلَا أَقْدَرَ عَلَى كَلَامٍ ، بِنَظْمٍ  
 حَسَنٍ ، وَالْفَاطِظِ عَذِيبَةٍ ، وَمَنْطِقٍ فَصِيحٍ ، مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ ،  
 وَلَا يَتَحَبَّسُ ، وَلَا يَصِلُ كَلَامُهُ بِحَشْوٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَا يُعِيدُ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى ،  
 وَلَا يَخْرُجُ مِنْ فَنٍّ إِلَى غَيْرِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ مَا فِيهِ ؛ وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا جَوَّاهُ ،  
 وَلَا يَحْكِي شَيْئًا إِلَّا كَانَ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلَا يَمُرُّ بِذَهْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا حَفِظَهُ ، وَكَانَ  
 إِذَا شَاءَ أَضْحَكَ الثَّكَلَى ، وَأَذْهَلَ الرَّاهِدَ ، وَخَشَّنَ قَلْبَ الْعَابِدِ .

ثمامة بن أشرس  
 يصف جعفر  
 بن يحيى

قُلْتُ : فَكَيْفَ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ ؟ قَالَ : كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْخَبَرِ الْبَاهِرِ ،  
 وَالشَّعْرِ النَّادِرِ ، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ ، وَالْفَصَاحَةِ التَّامَةِ ، وَاللِّسَانِ الْبَسِيطِ .

قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ ، وَذَكَرَ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ وَابْنَهُ جَعْفَرًا ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ  
 الْكَلَامُ مُتَّصِرًا دُرًّا ، وَيُلْقِيهِ الْمَنْطِقُ جَوْهَرًا ، لَكَانَ كَلَامُهُمَا ، وَالْمُنْتَقَى مِنْ  
 أَلْفَاظِهِمَا . وَلَقَدْ غَبَرَتْ مَعَهُمَا ، وَأَذْرَكْتُ طَبَقَةَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أَيَّامِهِمَا ، وَهُمْ يَرَوْنَ  
 الْبَلَاغَةَ لَمْ تَسْتَكْمَلْ إِلَّا فِيهِمَا ، وَلَمْ تَكُنْ مَقْصُورَةً إِلَّا عَلَيْهِمَا ، وَلَا انْقَادَتْ  
 إِلَّا لَهُمَا . وَإِنَّهُمَا لِلْبَابِ الْكَرِيمِ ، عِتْقَ مَنْظَرٍ ، وَجُودَةَ مَخْبَرٍ ، وَسَهْوَةَ لَفْظٍ ،  
 وَجَزَالَهَ مَنْطِقٍ ، وَنَزَاهَةَ نَفْسٍ ، وَكَمَالَ خَصَالٍ ؛ حَتَّى لَوْ فَاحَرَتْ الدُّنْيَا بِقَلِيلِ أَيَّامِهِمَا ،  
 وَالْمَأْثُورِ مِنْ خَصَائِصِهَا جَمِيعَ أَيَّامٍ مِنْ سِوَاهُمَا مِنْ لَبْدُنْ أَدَمَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي  
 الصُّورِ ، وَيُبْعَثَ أَهْلُ الْقُبُورِ - حَاشَا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ الْكَرَامِ ، وَسَلَفَ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ -  
 لِمَا بَاهَتْ إِلَّا بِهِمَا ، وَلَا عَوَّلَتْ فِي الْفَخْرِ إِلَّا عَلَيْهِمَا ، وَلَقَدْ كَانَا - مَعَ تَهْذِيبِ  
 أَخْلَاقِهِمَا ، وَمَعْشُورِ مَذَاقِهِمَا ، وَسِنَا إِشْرَاقِهِمَا ، وَكَمَالِ الْخَيْرِ فِيهِمَا - فِي مُحَاسَنِ  
 الْمَأْمُونِ كَالنَّقْطَةِ فِي الْبَحْرِ ، وَالْخُرْدِ دَلٍ فِي الْقَفْرِ .

سهل بن هارون  
 يصف يحيى  
 وابنه جعفر

وَوَقَّعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِرَجُلٍ اعْتَذَرَ عَنْهُ مِنْ ذَنْبٍ : قَدْ قَدُمْتُ طَاعَتُكَ ،  
 وَظَهَرَتْ نَصِيحَتُكَ ، وَلَا تَغْلِبْ سَيِّئَةَ حَسَنَتَيْنِ .

توقيع لجعفر  
 ابن يحيى

وَوَقَعَ - وقد قرأ كتاباً فاستحسن خطه: الخطُّ خِطُّ الحِكْمَةِ، يُنْظَمُ فيه منشورها، ويفصّل فيه شذورها.

واختصم رجلان بحضرته، فقال لأحدهما: أنت خِلِّي، وهذا شَجِيي؟ فكلّامك يَجْرِي على بَرْدِ العافية، وجوابه يَجْرِي على حَرِّ المصيبة.

بين جعفر بن  
يحيى ومروان  
ابن أبي حفصة

ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فأنشده:  
أَبْرَ فَمَاتَرُ جُؤِ الْجِيَادُ لِحَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَصَامِمْ جَعْفَرُ  
وزيره إذا ناب الخلافة حادِثُ أشار بما عنه الخلافة تصدُرُ  
فقال جعفر: أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة، فأنشده:

أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مَقَامًا مَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالَا  
وقلنا: أين نذهب بعد معن وقد ذهب النّوَالُ فَلَانَوَالَا؟  
وكان الناسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ - عِيَالَا

حتى فرغ من القصيدة، وجعفر يُرْسِلُ دموعه على خديه، فقال: هل أثابك على هذه المرثية أحدٌ من أهل بيته وولده؟ قال: لا، قال: فلو كان معن حياً، ثم سمعها منك، كم كان يُثنيك عليها؟ قال: أربعائة دينار، قال: فإنّا كنّا نظنّ أنه لا يَرْضَى لك بذلك، وقد أمرنا لك عن معن - رحمه الله - بالضعف مما ظننّته، وزدناك مثل ذلك؛ فاقبض من الخازن ألفاً وستائة دينار قبل أن تخرج، فقال مروان - يذكر جعفرًا وما سمح به عن معن -:

نَفَخْتَ مُكَافِئَاتِ عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَوَّدُ بِهِ سَجَالَا  
فَعَجَّلْتَ الْعَطِيَّةَ يَابْنَ يَحْيَى لَنَا أَدِيهِ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالَا  
فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلْتَ نَوَالَا  
بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُبَالَا  
كَانَ الْبَرْمَكِيُّ لِكُلِّ مَالٍ تَجَوَّدُ بِهِ يَدَاهُ يُفِيدُ مَالَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

(١) يُفِيدُ هُنَا: بِمَعْنَى يَأْخُذُ، لَا بِمَعْنَى يُعْطَى (م)

أخذ هذا من قول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا      كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها :

من قصيدة  
لزهير بن أبي  
سلي

وَذِي نِعْمَةٍ تَمْتَمْتُهَا وَشَكَرْتُهَا      وَخَصَمٌ يَكَاذُ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ  
دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْحَقِّ صَائِبٍ      إِذَا مَا أَضَلَّ الْقَائِلِينَ مَفَاصِلُهُ  
وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ      مُصِيبٌ قَمَا يُبْلِمُ بِهِ فَيُوقِ قَائِلُهُ  
عَبَّأْتُ لَهُ حُلْمًا ، وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ      وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ  
وَأَبْيَضَ فَيَاضَ يَدَاهُ غَمَامَةٌ      عَلَى مُتَفِيهِ مَا تُغِبُّ نَوَافِلُهُ (١)  
عَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ فَرَأَيْتُهُ      قُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ  
يُقَدِّتُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَلْذَمْنُهُ      وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِيْنَ أَيْنَ نَحَابِلُهُ  
فَأَعْرَضَنْ عَنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَزَّأٍ      جَمُوحٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ  
أَخِي ثَقَةٍ لَا يُذْهِبُ الْحُمْرُ مَالَهُ      وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالُ نَائِلُهُ

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر ، في معنى أبيات زهير الأولى : لما كانت  
فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا بمن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر  
الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك ، إنما هي العقل والعفة  
والعدل والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة موصيا ، وبماسواها مخطئا ؛  
وقد قال زهير :

أَخِي ثَقَةٍ لَا يُتَيَّافُ الْحُمْرُ مَالَهُ      وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ  
فوصفه بالثقة لقلته إيمانه في اللذات ، وأنه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء  
لإهلاك ماله في النوال ، وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدل ،  
ثم قال :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا      كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

(١) المعتفون : طالبو عطائه ، وما يغيب نوافله : ما تأخر عطاياه (م)

فزاد في وصف السخاء بأنه يَهْشَ ولا يلحقه مضض ولا تَكَرُّهُ لِفِعْله  
ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُجَاوِلُهُ  
فَأَتَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَصْفِ مِنْ جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْعَقْلِ ؛ فَاسْتَوْفَى ضُرُوبَ  
الْمَدْحِ الْأَرْبَعَةَ ، الَّتِي هِيَ فُضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَزَادَ الْوَفَاءَ ، وَإِنْ كَانَ  
دَاخِلًا فِي الْأَرْبَعَةِ ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ وَجْهَ دُخُولِهِ فِيهَا حَيْثُ قَالَ « أَخَى  
ثَقَّةً » فَوَصَفَهُ بِالْوَفَاءِ ؛ وَالْوَفَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْفُضَائِلِ الَّتِي قَدْ مَنَاهَا .  
وَقَدْ يَتَفَنَّيَنَّ الشُّعْرَاءُ فَيَعِدُّونَ أَنْوَاعَ الْفُضَائِلِ الْأَرْبَعَ وَأَقْسَامَهَا ، وَكُلُّ ذَلِكَ  
دَاخِلٌ فِي جَمَلَتِهَا ؛ مِثْلُ أَنْ يَذْكُرُوا ثَقَابَةَ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْحَيَاءَ ، وَالْبَيَانَ ، وَالسِّيَاسَةَ ،  
وَالصَّدْعَ بِالْحِجَّةِ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْحِلْمَ عَنْ سَفَاهَةِ الْجَهْلَةِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي  
هَذَا الْمَجْرَى ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ . وَكَذَلِكَ كَرِهَ الْقَنَاعَةَ ، وَقَلَّةَ الشَّرِّهِ ،  
وِطْهَارَةَ الْإِزَارِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ أَقْسَامِ الْعِفَّةِ . وَكَذَلِكَ كَرِهَ الْحِمَايَةَ ، وَالْأَخْذَ  
بِالنَّارِ ، وَالِدِفَاعَ ، وَالتَّكَايَةَ ، وَالْمَهَابَةَ ، وَقَتْلَ الْأَقْرَانِ ، وَالسَّيْرَ فِي الْمَهَامِهِ  
وَالْقَفَارِ ؛ وَمَا يَشَاءُ كُلُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الشَّجَاعَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَرِهَ السَّمَاحَةَ ،  
وَالْتَغَابِينَ ، وَالْإِنْظِلَامَ ، وَالتَّبَرُّعَ بِالنَّائِلِ ، وَإِجَابَةَ السَّائِلِ ، وَقِرَى الْأَصْيَافِ ؛  
وَمَا جَانَسَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَدْلِ .

فَأَمَّا تَرْكِيبُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَتَحَدَّثُ مِنْهَا سِتَّةُ أَقْسَامٍ : يَحْدُثُ مِنْ تَرْكِيبِ  
الْعَقْلِ مَعَ الشَّجَاعَةِ : الصَّبْرُ عَلَى الْمَمَاتِ ، وَنَوَازِلِ الْخُطُوبِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْوَعُودِ . وَعَنْ  
تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ السَّخَاءِ : إِنْجَازُ الْوَعْدِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ  
الْعِفَّةِ : التَّنَزُّهُ وَالرَّغْبَةُ عَنْ الْمَسْأَلَةِ ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى أَدْنَى مَعِيشَةٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ  
تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ السَّخَاءِ : الْإِخْلَافُ ، وَالْإِتْلَافُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ  
الشَّجَاعَةِ مَعَ الْعِفَّةِ : إِنْكَارُ الْغَوَاحِشِ ، وَالْغَيْرَةُ عَلَى الْحَرَمِ . وَمِنْ السَّخَاءِ مَعَ الْعِفَّةِ :

الإسعاف بالقوت، والإيثار على النفس، وما شأ كل ذلك. وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع وسط بين طرفين مذمومين<sup>(١)</sup>

لمحمد بن منذر  
في البرامكة

وقد قال أبو جعفر محمد بن منذر لما حجَّ الرشيد مع البرامكة :

أَتَانَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ	فِيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ، وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَا	وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُشَهَّرِ
فَنُظِلُّ بِغَدَادَةٍ، وَيُجْلَوُنَا الدُّجَى	بِمَكَّةَ مَا حَجَّـوا ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ	بِمَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِلْجُودِ أَكْفُهُمْ	وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَغْوَادِ مُنَبِّرٍ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ	وَحَسِبْتُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَأَنَّهُمْ	غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصْرَصِرٍ <sup>(٢)</sup>

[ مُثَلَّ من التجنيس ]

لأبي الفضل  
الميكالي  
قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكالي في طرف اخذ بطرف من التجنيس  
مستطرف في ضروب من الغزل، قال :

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدُّجَى بِصُدُودِهِ	وَوَكَّلَ أَجْفَانِي بِرَغَى كَوَاكِبِهِ
فِيَا جَزَعِي، مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي	وَيَا كَبِدِي، صَبْرًا عَلَيَّ مَا كَوَاكِبُهُ

وقال :

مَوَاعِيدُهُ فِي الْفَضْلِ أَحْلَامُ نَائِمٍ	أَشْبَهَهَا بِالْفَقْرِ أَوْ بِسَرَايِهِ
فَمَنْ لِي بِوَجْهِهِ لَوْ تَحَيَّرَ فِي الدُّجَى	أَخُو سَفَرٍ فِي لَيْلٍ غَنَمٍ سَرَى بِهِ

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا الحديث

(٢) الغرائيق : جمع غرنوق، وهو طير مائي أسود، والبازي : الصقر

وقال :

صِلْ حُبًّا أَعْيَاهُ وَصِفْ هَوَاهُ  
كَلِمًا رَاقَةً سِوَاكَ تَصَدَّتْ  
فَضَنَاهُ يَنْوُبُ عَنْ تَرْجَانِهِ  
مُقَلَّتَاهُ دَمْعُهُ تَرْجُجَانِهِ

وقال :

يَا ذَا الَّذِي أَرْسَلَ مِنْ طَرَفِهِ  
شَفَاءَ نَفْسِي مِنْكَ تَحْمِيشَةً  
عَلَى سَيْفًا قَدَتْنِي لَوْ فَرَا  
تَغْرِسُ فِي خَيْدِكَ نَيْلُ فَرَا

وقال :

يَا مُبْتَلَى بَضَنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً  
[ أَوْصَاكَ سِحْرُ جَفُونِهِ بِتَسْمُدِ  
مِنْ مَالِكٍ يَشْفِيهِ مِنْ أَوْصَابِهِ  
وَتَبَلَّدَ ، فَقَبِلْتُ مَا أَوْصَى بِهِ ]  
اضْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْهَوَى فَلَرَبَّمَا  
تَحَلُّوْا مَرَارَةً صَبْرِهِ أَوْصَابِهِ

وقال :

كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالاً  
أَلَّا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْراً  
فَعَلَلَنِي بَوَعْدٍ فِي الْجَوَابِ  
فِيَطْفُوْا مَا أَحَاطَ مِنَ الْجَوَى بِي

وقال :

إِنْ كُنْتَ تَأْنَسُ بِالْحَبِيبِ وَقُرْبِهِ  
إِنَّ الرَّقِيبَ إِذَا صَبَرْتَ لِحُكْمِهِ  
فَاضْبِرْ عَلَى حُكْمِ الرَّقِيبِ وَدَارِهِ  
بَوَاكَ فِي مَثْوَى الْحَبِيبِ وَدَارِهِ

وقال :

شَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا إِلَّا فِي فَقَالَ لِي :  
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْهَوَى  
رُؤَيْدًا ، فَنَفِي حُكْمِ الْهَوَى أَنْتَ مُوتَلَى<sup>(١)</sup>  
لَقُلْ بِمَا تَلْقَى إِذَا أَنْ تَمُوتَ لِي

وقال :

نَوَى لِي بَعْدَ إِكْثَارِ السُّؤَالِ  
فَلَمَّا رُمْتُ ، إِنْجَازًا لَوْ عَدَى  
حَبِيبٌ أَنْ يُسَامَحَ بِالنَّوَالِ  
فَلَمَّا رُمْتُ ، إِنْجَازًا لَوْ عَدَى  
وَكُنَ الْقَرَبُ مِنْهُ شَفَاءَ نَفْسِي  
فَقَدْ قَضَتْ النَوَائِبُ بِالنَّوَى لِي

(١) أَنْتَ مُوتَلَى : مُقْتَصَر (م)

وقال :

سَقِيًّا لَدَهْرٍ مَضَى وَالْوَصْلُ يَجْمَعُنَا  
وَنَحْنُ نَحْكِي عِنَاقًا شَكْلَ تَنْوِينِ  
فَصِرْتُ إِذْ عَلِقَتْ كَفِّي حَبَائِلُكُمْ  
فَسَهُمُ هَجْرُكَ تَرْمِي نِمَّ تَنْوِينِي

وقال :

صَدَفَ الْحَيِيبُ بَوَصْلِهِ  
وَنَثَرْتُ لَوْلُو أَدْمُعِ  
خَفَا رُقَادِي إِذْ صَدَفَ  
أَضْحَى لَهَا جَفْنِي صَدَفَ

وقال :

يَا مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْذَبٍ  
لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ فِيكَ مُسَاعِدِي  
وَيَسُومُنِي التَّعْذِيبَ فِي تَهْذِيبِهِ  
لَعَجَزْتَ عَنِ تَهْذِيبِ مَا تَهْذِي بِهِ

وقال :

أَرَادَ أَنْ يُخْفِيَ هَوَاهُ وَقَدْ  
وَكَيْفَ يُخْفِيَ دَاءَهُ مُدْنَفُ  
نَمَّ بِمَا تُخْفِي أُسَارِيرُهُ  
قَدْ ذَابَ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى رِيرُهُ (١)

وقال :

وَسَهْفُ تَهْفُو بِلَبِّ الْمَرْءِ مِنْهُ شَمَائِلُ  
فَالرَّدْفُ دَغْصُ هَائِلُ  
وَالْخَدُّ نَوْرُ شَقَائِقِ  
وَالْعَرْفُ نَشْرُ حَدَائِقِ  
وَالطَّرْفُ سَيْفُ مَالِهِ  
إِلَّا الْعِذَارُ حَمَائِلُ  
وَالْقَدُّ غُصْنُ مَائِلُ  
تَنْشَقُّ عَنْهُ خَمَائِلُ  
تَمَّتْ بِهِنَّ شَمَائِلُ

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب :

إِنْ لِي فِي الْهَوَى لِسَانًا كَتُومًا  
غَيْرَ أَنِّي أَخَافُ دَمْعِي عَلَيْهِ  
وَجَنَانًا يُخْفِي حَرِيقَ جَوَاهُ  
سَتْرَاهُ يُفْشِي الَّذِي سَتْرَاهُ

لأبي الفتح  
البستي



ولأبى الفتح البستي في مذهب هذا البيت الأخير :

نَظَرَاهُ فِيمَا جَنَى نَظَرَاهُ      أَوْدَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوْدَعَانِي

وله :

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعَرْفِ كَمَا      أَمِرْتُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ  
وَلِنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ      فَسَتَحَسِّنُ مِنْ ذَوَى الْجَاهِ لَيْنِ

وله :

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي      أَرَى قَدَمِي أَرَاكَ دَمِي  
فَمَا أَنْفَكُ مِنْ نَدَمِي      وَلَيْسَ بِنَافَعِي نَدَمِي

وله :

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَهَا      أَنْسَاكَ كُلَّ كَمْيٍّ هَزَّ عَامِلَهُ  
وَلِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنْامِلَهُ      أَقَرَّ بِالرَّقِّ كِتَابُ الْأَنَامِ لَهُ  
وَقَالَ لِمَنْ اسْتَدْعَاهُ إِلَى مَوَدَّتِهِ :

فَدَيْتُكَ قَلَّ الصَّدُوقُ      وَقَلَّ الْخَلِيلُ الْخَفِيُّ الْوَفَى  
وَلِي رَاغِبٌ فَيْكَ إِمَّا وَفَيْتَ      فَهَلْ رَاغِبٌ أَنْتَ فِي أَنْ تَفِي  
وَالْأَمِيرُ أَبِي الْفَضْلِ :

أَهْلًا بَطْنِي حَوَاهُ قَفَصَرُ      كَجَنَّةٍ قَدْ حَوَتْ نَعِيمًا  
طَرَقَتْهُ لَا أَهَابُ سَوْءًا      أَبَاخَنِ حَبَّةَ الْحَرِيمِ  
فَجَادَ مَنْ فِيهِ لِي بِرَاحِ      تَنْفِي حَرِيقًا بِهِ قَدِيمًا  
أَفْدَى حَرِيقًا أَبَاحَ رِيْقًا      لَا بَلْ حَرِيمًا أَبَاحَ رِيمًا

وله :

مَنْ لِي بِشَمْلِ الْمُتَى وَالْأَنْسِ أَجْمَعَةِ      بِشَادِنِ حَلٍّ فِيهِ الْحَسَنُ أَجْمَعُهُ

ما زال يُعْرِضُ عَنْ وَصْلِي وَأَخَذَهُ  
وقال :

بَأْبَى غَزَلٍ نَامَ عَنْ وَصْبِي بِهِ      وَمُرَاقٍ دَمَعِي لِلنَّوَى وَصَبِيهِ  
يَالَيْتَ — هَ يَرْنِي عَلَى وَلَهِي بِهِ      لَغْرَامِ قَلْبِي فِي الْهَوَى وَلَهِيهِ  
وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خش وجهه :  
هَبْهُ تَغْيِيرَ حَائِلَا عَنْ عَهْدِهِ      وَرَمَى فُؤَادِي بِالصَّدُودِ فَأَرْعَجَا  
مَا بَالُ نَرْجِسِهِ تَحْوَلَ وَرْدَةً      وَالْوَرْدُ فِي خَدَيْهِ عَادَ بِنَفْسَجَا  
وله في هذا المعنى :

وريم على الشكر خَمَشْتُهُ      بِقَرْصٍ بِعَارِضِهِ أَثْرَا  
فَأَصْبَحَ نَرْجِسُهُ وَرْدَةً      وَوَرْدَةُ خَدَيْهِ نَيْلُورَا  
وقال في وصف العذار :

ظَنَنْتُ كَسَارَ أَسْ الشَّبَابِ بِعَارِضٍ      نَمَّ الْعِدَارُ بِحَافَتَيْهِ فَلَاخَا  
فَكَأَنَّمَا أَهْدَى لِعَارِضٍ خَدَّه      شَعْرَى ظَلَامًا وَاسْتَعَاضَ صَبَاحَا  
وقال في غلام افتصد :

وَمُهْنَفٍ غَرَسَ الْجَمَا      لُ بِخَدِّهِ رَوْضًا مَرِيحَا  
فَصَدَّ الطَّيِّبُ ذِرَاعَهُ      فَجَرَى لَهُ دَمَعِي ذَرِيحَا  
وَأَمْسَنِي وَقَعَ الْحَدِيدِ      بِعِرْقِهِ أَلَمًا وَجِيحَا  
فَأَرَيْتَهُ مِنْ عَمْرِئِي      مَا سَالَ مِنْ دَمِهِ نَجِيحَا

فَقَرْنِي فِي ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ

العلماء ورثة الأنبياء . والعلماء أعلام الإسلام . العلماء في الأرض كالنجوم  
في السماء .

ابن المعتز - العلماء غريباء ، لكثرة الجهل . وله : العلمُ جمالٌ لا يخفى ، ونسب لا يُخفى . وله : زلَّةُ العالمِ كانبكِسارِ سفينةٍ تفرق ويَفرق معها خلقٌ كثير .

غيره - إذا زلَّ العالم ، زلَّ بزلَّتِه عالمٌ . غيره : الملوكُ حُكَّامٌ على الناس ، والعلماءُ حُكَّامٌ على الملوك . من لم يحتَمَلْ ذلَّ التعلمِ ساعة ، بقى فى ذلِّ الجهلِ أبداً . ماصينَ العلمُ بمثلِ بذلِهِ لأهله . من كتم علماً فكأنه جاهله .

العلمُ يمنعُ أهله \* أن يمنعوهُ أهله <sup>(١)</sup>

أبو الفتح كشاجم :

لا تمنع العلمُ امرأً والعلمُ يمنعُ جانبَهُ  
أما الغيبُ فليس يفهم لطفهُ وغرَابُهُ  
وتكون حاضرةُ القوا تُدِ عندَه كالفائِية  
وأخو الحِصافةِ مُستَحِقٌّ أن ينالَ مطالبه  
فبحقِّه أعطيتُهُ مِنْ فَضْلِ عِلْمِكَ وَاجِبِهِ

ومن رَقَّ وجهُه عند السؤال ، رَقَّ عِلْمُه عند الرجال . عِلْمٌ بلا عمل ، كشجرة بلا ثمر . كما لا يُنْبِتُ المطرُ الكثيرُ الصَّخْرَ ، كذلك لا ينفعُ البلیدُ كثرةُ التعلم . من ترفعَ بعلمه وضعَه اللهُ بعمله . الجاهلُ صغيرٌ وإن كان كبيراً ، والعالمُ كبيرٌ وإن كان صغيراً . من أكثرَ مذاكرةَ العلماء ، لم ينسِ ما علم ، واستفاد ما لم يعلم . ابن المعتز : المتواضعُ فى طلاب العلم أکثرهم عِلْماً ، كما أن المكانَ المنخفضَ أکثر البقاع ماء . إذا علمت فلا تَذْکُرْ مَنْ دونك من الجهال ، واذکُرْ مَنْ فوقك من العلماء . النارُ لا يُنْقِصُها ما أخذَ منها ، ولكن يُنْقِصُها ألاَّ تجد حطباً ، كذلك العلمُ لا يُفْنِيهِ الاقتباسُ منه ، وفقدُ الحاملين له سببُ عدمه .

(١) هذا بيت من الشعر يروى أن الشافعى كتب به إلى محمد بن الحسن الشيبانى ، وكان قد استعار منه كتاباً فتأخر عن إعادته ، وقبله قوله :  
فقل لمن لم تر عين من رآه مثله (م)

مَاتَ خَزَنَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَعَاشَ خَزَانُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ . مَثَلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَبَكْنَزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ . أَرْهَدُ النَّاسَ فِي عَالَمِ حَيْرَاتِهِ .

وَقِيلَ لِلصَّلَاتِ بْنِ عَطَاءٍ ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عِنْدَ الْبَرَامِكَةِ : كَيْفَ غَلَبْتَ عَلَيْهِمْ وَعِنْدَهُمْ مَنْ هُوَ آدَبُ مِنْكَ ؟ قَالَ : لَيْسَ لِلْقُرَبَاءِ طَرَفَةٌ الْغُرَبَاءِ ، وَكُنْتُ أَمْرًا بَعِيدَ الدَّارِ ، نَائِي الْمَزَارِ ، غَرِيبَ الْأَسْمِ ، قَلِيلَ الْجَرَمِ ، كَثِيرَ الْإِلْتِوَاءِ ، شَحِيحًا بِالْإِمْلَاءِ ؛ فَرَغَبْتُهُمْ فِي رَغَبَتِي عَنْهُمْ ، وَزَهَّدْتُهُمْ فِيهِمْ رَغَبْتُهُمْ فِي .

عِلْمٌ لَا يَعْزُبُ مَعَكَ الْوَادِي ، لَا يَعْمُرُ بِكَ النَّادِي . لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ لَسَقَطَ الْاِخْتِلَافُ . إِذَا اذْجَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ . الْغَلَطُ تَحْتَ اللَّغَطِ . خَرَقُ الْإِجْمَاعِ خُرْقٌ . الْمَحْجُوجُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْطِقُ

استعمارات فقهية تليق بهذا المسكان

بين أبي تمام وابن أبي دؤاد  
دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دؤاد في مجلس حكمه ، وأنشده أبياتاً يستعظم نائله ، وينشر فضائله ، فقال : سيأتيك ثوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل بتوقعات في يده ؛ فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : احضر أيدك الله فإنك غائب ، واجتمع فإنك مفترق ، ثم أنشده :

إِنَّ حَرَامًا قَبُولُ مِدْحَتِنَا وَتَرْكُ مَا نَزَّجَنِي مِنَ الصَّدَقِ  
كَمَا الدَّنَانِيرُ وَالْدَرَاهِمُ فِي الصَّصْرِ حَرَامٌ إِلَّا يَدًا يَبِيدُ  
فَأَمْرٌ بِتَوْفِيرِ حَبَائِهِ ، وَتَعْجِيلِ عَطَائِهِ .

بين طاهر بن عبد الله وابن تمام  
ولما ولي طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهنتونه ، وفيهم تمام بن أبي تمام فأنشده :

هَنَّاكَ رَبُّ النَّاسِ هَنَّاكَ مَأْمَنُ جَزِيلِ الْمَلِكِ اعْطَاكَ  
قَرَّتْ بِمَا أُعْطِيَ إِذَا الْحِجَى وَالْبَاسُ وَالْإِنْعَامُ عَيْنَاكَ  
أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِمَا نَلَّتَهُ وَأَوْرَقَ الْعُودُ بِجَدْوَاكَ

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال طاهر

لبعض الشعراء : أجبه ، فقال :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا      إن الذي أمّلتَ أخطاكا

فقلتَ قولاً فيه ما زانهُ      ولو رأى مدحاً لآساكا

فهاك إن شئتَ بها مدحةً      مثل الذي أعطيتَ أعطاك

فقال تمام : أعز الله الأمير ، وإنَّ الشَّعرَ بالشَّعرِ ربّاً ، فاجعل بينهما صنَجاً من الدرام ، حتى يحلَّ لي ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعرُ أبيه ، فمعه ظُرف أبيه ؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن إسحاق : لو<sup>(١)</sup> لم يعط إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبد الله بن طاهر : يقولُ في قَوْمِ صَحْبِي وقد أخذتُ مِنَّا السُّرَى وخُطَا المَهْرِ يَةِ القُودِ : أمطلع الشمس تبغى أن تؤثِّمَ بنا ؟ فقلتُ : كلا ، ولكن مطلع الجودِ فقال : ويعطى بهذا ثلاثة آلاف .

[ ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان ، وسببها ]

وكان سببُ ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدّث به أبو العيْناء قال : كنعند أحمد بن أبي دواد ، فجاء الخبر أن الكتبَ وردت على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يُعزّي عنه ، وأنه قد ولّى مكانه خراسان إسحاق ابن إبراهيم ، وكان عدوّاً له لانخراطه في سِدِّك ابن الزيات ؛ فلبس ثيابه ومضى ، وقال : لا تبرحوا حتى أعود إليكم ؛ فلبث قليلاً ، ثم عاد إلينا فحدّثنا أنه دخل على الواثق فعزّاه عن عبد الله وجلس ، قال : فقال لي الواثق : قد ولّينا إسحاق خراسان ، فما عندك ؟ قلت : وفق الله أمير المؤمنين ولا ندّمه . قال : قل ما عندك في هذا . قلت : أمرٌ قد أمضى ، فما عسيت أن أقول فيه . قال : لتفعلن . فقلت : يا أمير المؤمنين ، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه ، وكلٌّ من بها صنائعهم ، وقد خَلَفَ عبد الله عشرَ بنين أكثرهم رجال ، وجميع جيش خراسان

---

(١) جواب لو هذه محذوف ، وتقدير الكلام : لو لم يعط إلا لقول أبيه لكان ذلك سائغاً (م)

لهم عبيدٌ أوموالٍ أو صنائع ، وسيقولون : أما كان فينا مُصْطَنعٌ ؟ وكان يجب أن  
يُجرِّبَنَا أميرُ المؤمنين ، فإن وفينا بما كان بِنَفْيِ به أبونا وجدُّنا ، وإلا استبدل منا  
بعد عُدْرٍ فينا ؛ ويقدم خراسانَ إسحاقُ وهو رجل غريب فينافسه هؤلاء ،  
ويتعصب أهلها لهم ؛ فينتفض ما أُرِّمَ ، وبفسد ما أصلح

قال : صدقت يا أبا عبد الله ، والرأى ما قلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله  
على خراسان . فكتبت كتب طاهر ، وخرقت كتب إسحاق ، فخرجت الزنج  
تطيرُ بها ، ثم لقيني إسحاق داخلا ، فقلت : يا أبا الحسن ، لا عدمت عداوة رجلٍ  
أزال عنك ولاية خراسان بكلمة .

\*\*\*

بين ابن الرومي وابن ثوابه ومدح ابن الرومي أبا العباس بن ثوابه ، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة  
يمدح أخاه بها ، فقال ابن الرومي :

أَلَيْسَ الْقَوَافِي بَنَاتِ الْفَتَى إِذَا صَوْرَةُ الْحَقِّ لَمْ تُمَسَّخْ  
فَلَا تَقْبَلَنَّ أَمَادِيحَهُ حَرَامُ نِكَاحُ بَنَاتِ الْأَخْ

ولما أنشد أبو تمام قصيدته في المعتصم : \* السيف أصدق أنباء من الكتب \*  
قال له : لقد جَلَوْتَ عروسك يا أبا تمام فأحسنْتَ جلاءها . قال : يا أمير المؤمنين ،  
والله لو كانت من الخور العين لكان حُسْنُ إصغائك إليها من أوفى مُهورِها .

لأبي الفضل  
الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :  
أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ أَضْحَى يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْكَمِيِّ  
مَلَكَتِ الْحُسْنَ أَجْمَعَ فِي قَوَامِ فَادَ زَكَاةَ مَنْظَرِكَ الْبَهِيِّ  
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامِ بَرِيقٍ مِنْ مُقَبِّلِكَ الشَّهِيِّ  
فَقَالَ : أَبُو حَنِيْفَةَ لِي إِمَامٌ فَعَنْدِي لَا زَكَاةَ عَلَى الصَّبِيِّ

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال :

أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ فَرْدٍ يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْجَلِيدِ

ملكْتَ الحسنَ أجمعَ في قوامِ      فلا تَمْنَعْ وجوباً عن وجودِ  
وذلك أن تجودَ لمستهامِ      برشفِ رُضابِكَ العذبِ البرودِ  
فقال : أبو حنيفة لي إمامٌ      فعندى لا زكاة على الوليدِ  
وقال :

بَنَفْسِي غَزَالٌ صارَ للحُسْنِ قِبْلَةً      يَحْجُجُ من البيتِ العتيقِ ويُقَصِّدُ  
دعاني الهوى فيه فلبيتُ طائِعاً      وأحرمتُ بالإخلاصِ والسَّعْيِ يُشْهِدُ  
فطرفي بالتسبيدِ والدَّمْعِ قَارِنٌ      وقلبي عليه بالصباة مُفَرِّدُ  
وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح  
كشاجم

فَدَيْتُ زَاوِرَةً في العيدِ واصلَةً      والهَجْرُ في غفلة من ذلك الخبرِ  
فلم يزل خدَّها رُكْنًا أطوف به      والخرُّ في خدَّها يُغْنِي عن الحجرِ  
وينضاف إلى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم ، والحمد لله رب العالمين ، كيف تقلُّبُ لبيدِ الزمان  
الشيخ في درع العافية ، وأحواله بتلك الناحية ؛ فإني ببعده مُنْغَصُ شِرْعَةِ العيش ،  
مقصود أجنحة الأنس . ورد كتابه المشتملُ من خبر سلامته ، على ما أرغب إلى  
الله في إدامته ، وسكنتُ إليه بعد انزعاجي لتأخُّره ؛ وقد كان رَسَمَ أن أعرفه  
سببَ خروجي من جرجان ، ووُقُوعِي بِمُجْرَاسان ، وسببَ غضبِ السلطان ؛ وقد  
كانت القصة أُنِي لما وردتُ من ذلك السلطان حضرته ، التي هي كَعْبَةُ المحتاج ،  
لا كَعْبَةُ الحجاج ، ومستقرُّ الكرم ، لامشعر الحرم ، وقِبْلَةُ الصَّلَّاتِ ، لا قِبْلَةُ  
الصلاة ، ومُنَى الضَّيْفِ ، لا مَنَى الخَيْفِ ، وجدتُ بها نَدَمَاءَ من نَبَاتِ العام <sup>(١)</sup> ، اجتمعوا

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد

قيضة كلب<sup>(١)</sup> على تليفيق خطب ، أزعجنى عن ذلك الفناء ، وأشرف بى على الفناء ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه ، وحسن دفعه ؛ ولا أعلم كيف احتالوا ، ولا ما الأذى قالوا ؛ وبالجمله غيروا رأى السلطان ، وأشار على إخوانى ، بفراقه مكانى ، وبقيت لا أعلم أئمنه أضرب أم شامة ، ونجد أقصد أم تهامة !

ولو كنت فى سلمى أجاوشعايها لكان ليحجاج على دليل

وقد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماء إذا تغيم لم يرج صخوه ، وماء إذا تغير لم يشرب صفوه ، وملك إذا سخط لم ينتظر عفوه ، وليس بين رضاه والسخط عوجة ، كما ليس بين غضبه والسيف فرجة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز ؛ فهو سيد يغضبه الجرم الخفى ، ولا يرضيه العذر الجلى ؛ وتكفيه الجناية وهى إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهى إجحاف ، حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيّق من ظل الرمح ، ويعفى عن العذر وهو أبين من عمود الضبح ؛ وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتن ، ويحجب عن هذه العذر وله برهان ؛ وذو يدين يبسط إحداها إلى السفك والسفح ، ويقبض الأخرى عن العفو والصفح ؛ ودو عينين يفتح إحداها إلى الجرم ، ويغمض الأخرى عن الحلم ، فمزحه بين القد والقطع ، وجده بين السيف والنّطع ، ومراده بين الظهور والكمون ، وأمره بين الكاف والنون ؛ ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدى من التأنيب إلا لإزالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير إرافة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ، ودقة الشعرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يغضى عن السقطة ، كجرم النقطة ؛ ثم إن النقم بين لفظه وقلمه ، والأرض تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولي إلا بقمه ، ولا العدو إلا بدمه ؛ والأرواح بين حبسه وإطلاقه ، كما أن الأجسام بين حله ووثاقه ؛ فنظرت فإذا أنا بين

(١) قيضة كلب: القيضة بالكسر هى العظم، والمراد تحقيرهم بوصفهم بعظام الكلب



جودَين : إيماناً أجودَ ببأسى ، وإيماناً أجودَ برأسى ؛ وبين رُكُوبَين : إيماناً  
 للمفازة ، وإيماناً لـجَنَازة ؛ وبين طريقَين : إيماناً للفرقة ، وإيماناً للثربة ؛ وبين فراقَين : إيماناً  
 أن أفارق أرضي ، أو أفارق عرضي ؛ وبين راحلتَين : إيماناً بظهور الجمال ، وإيماناً  
 أعناق الرجال ؛ فاخترتُ السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ؛ وأنشدت :  
 إذا لم يكن إلاّ للنية مَرٌّ كَبٌّ فلا رأى للمحمول إلا ركوبها  
 ولَدَ ما ذكر من « كعبة [المحتاج] ، لا كعبة [المحتاج] » ، من قول أبي تمام :  
 بيتان حجَّهما الأنام ؛ فهذه حجُّ الغني ، وتلكم للمُعْدِم

[ أبو عليّ البصير وشيء من أدبه ]

وشتم بعضُ الطالبين أبا عليّ الفضل بن جعفر البصير ، فقال أبو عليّ : والله  
 مانعياً عن جوابك ، ولا تعجزُ عن مسألك ؛ ولكننا نكونُ خيراً لنسبك منك ، وأبى عليّ البصير  
 ونحفظ منه ما أضعت ؛ فاشكرُ توفيزنا ما وفرّنا منك ، ولا يفرّك بالجهل علينا  
 حلّمنا عنك .

وسأل أبو عليّ البصير بعضُ الرؤساء حاجةً ولقيه ؛ فاعتذر إليه سن تأخرها ؛  
 فقال أبو عليّ : في شكرٍ ماتقدّم من إحسانك شاغلٌ من استبطاء ما تأخر منه .  
 وأبو عليّ أخذ من جمع له حظُّ البلاغة في الموزون والمنثور ، وهو القائلُ :  
 أَلَمْتُ بنا يومَ الرحيل اختلاسةً فَأَضْرَمَ نيرانَ الهوى النَّظَرُ الخَلْسُ  
 تَأَبَّتْ قَلِيلاً وهى تُرْعِدُ خيفةً كما تتأبَّى حينَ تَعْتَدِلُ الشمسُ  
 فخطبها صمّتي بمـ أنا مُضْمِرٌ وَأَنْبَسْتُ حتى ليس يُسْمَعُ لي حِسٌ  
 وولّت كما ولى الشبابِ لِطَيِّفةٍ طَوَتْ دونها كشحاً على يأسها النفسُ  
 وقال يصف بلاغةَ الفتح بن خاقان وشعره :

سَمِعْنَا بأشعار الملوك ؛ فكلمها إذا عَضَّ مَتْنِيهِه الثَّقافُ تأوداً  
 سوى ما رأينا لا مَرِيءَ القيس ؛ إننا نراه متى لم يَشْعُرُ الفتحُ - أو حداً

أقام زماناً يَسْمَعُ القولَ صامتاً ونحسبه إن رام أكَدَى وأصْلَدَا  
[فلهـالـمـتطاه راكباً ذلّ صعبه وسار فأضحى قد أغار وأنجدَا]

والفتح بن خاقان يقول :

من شعر  
الفتح بن خاقان  
كتاب إلى  
عبيد الله بن يحيى

وإني وإياها لكالخمر، والفـتى متى يستطع منها الزيادة يزدد  
إذا ازددت منها زاد وجدى بقرُبها فكيف احتراسى من هوى متجدد  
وكتب إلى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى : وإن أمير المؤمنين لما استخلصك  
نفسه، وأئتمنك على رعيته؛ فنطق بلسانك، وأخذ وأعطى بيدك، وأورد  
وأصدر عن رأيك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانه إياك، وتسليطه الحق على  
الهوى فيك، وبعد أن مثل بينك وبين الذين سمو المرء بتبتك، وجرّوا إلى غايتك،  
فأسقطهم مضأوك، وخفّوا في ميزانك، ولم يزدك - أكرمك الله - رفعة وتشريفاً  
إلا أزددت له هبةً وتعظيماً، ولا تسليطاً وتمكيناً، إلا زدت نفسك عن الدنيا  
عزواً وتنزيهاً، ولا تقريباً واختصاصاً، إلا أزددت بالعمامة رافةً وعليها حداباً،  
لا يخرجك فرطُ النصيح له عن النظر لرعيته، ولا إثارةُ حقه عن الأخذ بحقها  
عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه، ولا يشغلك مُعانةُ كبار  
الأُمور عن تفقّد صغارها، ولا الجدُّ في صلاح ما يصلح منها عن النظر في عواقبها؛  
تمضي ما كان الرشدُ في إمضائه، وتُرْجى ما كان الحزمُ في إرجائه، وتبدلُ  
ما كان الفضلُ في بدله، وتمنعُ ما كانت المصلحةُ في منعه، وتلين في غير  
تكبر، وتخصّ في خير ميل، وتعمُّ في غير تصنع، لا يشقى بك الحق وإن كان  
عدواً، ولا يسعدُ بك المبطل وإن كان ولياً؛ فالسلطان يعتدّ لك من العناء  
والكفاية، والذّبّ والحياطة، والنصح والأمانة، والعِفّة والنزاهة، والنصب فيما  
أدّى إلى الراحة، بما يراك معه - حيث انتهى إحسانه إليك - مستوجبا للزيادة،  
وكفاة الرعية - إلا من غمط منهم النعمة - مشنون عليك بحسن السيرة، ويمنّ  
النقمة، ويعدّون من ما أترك أنك لم تُدحض لأحسد حجة؛ ولم تدفع حقاً

لشبهة ؛ وهذا يسيرٌ من كثير ، لو قصدنا التفضيله ، لأنفدنا الزمان قبل تحصيله ،  
ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه

وله إلى عبيد الله بن يحيى : يقطعني عن الأخذ بخطئ من لقائك ، وتعريفك كتاب آخر إلى  
عبيد الله بن يحيى ما أنا عليه عن شكر إنعامك ، وإفرادي إياك بالتأمل دون غيرك ، نخلق عن  
منزلة الخاصة ، ورغبتى عن الحلول محل العامة ، وأنى لست معتاداً للخدمة  
ولا للملازمة ، ولا قوياً على المغادرة والمراوحة ؛ فلا يمتنعك ارتفاع قدرك ، وعلو  
أمرك ، وما تعانیه من جلائل الأحوال الشاغلة ، من أن تتطوّل بتجديد ذكرى ،  
والإصغاء إلى من يحضك على وصلى وبرئى ، ويرغبك فى إساءة حسن  
الصنيعة عندي .

وله إليه آخر فصل من كتاب : وأنا أسأل الله أنذى رحمة العباد بك ، على  
حين افتقار منهم إليك ، أن يعيدهم من فقدك ، ولا يعيدهم إلى المكروه التى  
استبقذتهم منها بيدك .

[ بعض ما يبعث على الرحيل ]

ولقى رجلٌ رجلاً خارجاً من مصر يريد المغرب ، فقال : يا أخى ؛ أتتبع  
القطر ، وتدع مجرى السيول ؟ فقال : أخرجنى من مصر حق مضاع ، وشح  
مطاع ، وإقتار الكريم ، وحركة اللئيم ، وتعير الصديق ، بين السعة والضيق ،  
والهرب إلى النزر بالعر ، خيرٌ من طلب الوفير بذل العجز .

[ من الوصايا لمن اعتزم السفر ]

وأوصى بعض الحكماء صديقاً له ، وقد أراد سفرأ ، فقال : إنك تدخلُ بلدأ  
لا يعرفك أهله ؛ فمستك بوصيتى تنفق بها فيه : عليك بحسن الشائل فإنها  
تدلُّ على الحرية ؛ ونقاء الأطراف فإنها تشهد بالموكية ؛ ونظافة البرة فإنها تنبئ  
عن النشء فى النعمة ؛ وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة ، والأدب الجميل فإنه  
يكسب المحبة . وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون عقلك ، ولباسك دون

قَدِّرْكَ ، وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنْفَةَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْغَضَاظَةِ اجْتَنَبْتَ الْحَسَاسَةَ ، وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْغَلْبَةِ ، لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يُوصِي آخرَ أراد سفراً ؛ فقال : آثر بعملك معادَكَ ، وَلَا تَدْعَ إِشْهُوتَكَ رِشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرَكَ الَّذِي يَذْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَجْنِبَكَ مِنَ الرَّدَى ، وَاحْبِسْ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَأَطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ؛ فَإِنَّكَ تَبْرَهُ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ بِهِ شَرَفَكَ .

وأوصت أعرابية ابنها في سفر ، فقالت : يَا بَنِي ؛ إِنَّكَ تَجَاوِرُ الْغُرَبَاءَ ، وَتَرَحَّلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَلِعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ ؛ فَخَالِطِ النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ .

وقال بعضُ الملوكِ لحكيم وقد أراد سفراً : قَفْنِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْ حِكْمَتِكَ أَعْمَلُ بِهَا فِي سَفَرِي ؛ فقال :

اجْعَلْ تَأْنِيكَ أَمَامَ عَجَلَتِكَ ، وَحِلْمَكَ رَسُولَ شِدَّتِكَ ، وَعَفْوَكَ مَالِكَ قُدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ ، مَا لَمْ تُخْرِجْهُمْ بِالشَّدَةِ عَالِيَهُمْ ، أَوْ تُبْطِرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وقال أبان بن تغلب : شهدت أعرابيةً تُوصِي ولداً لها أراد سفراً وهي تقول : أَيْ بَنِي ! اجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، قَالَ أَبَانُ : فَوَقَفْتُ مُسْتَمِعاً لِكَلَامِهَا ، مُسْتَحْسِناً لَوْصِيَّتِهَا ، فَإِذَا هِيَ تَقُولُ : أَيْ بَنِي ! إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّغِينَةَ ، وَتَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَبِيبِينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَمُتَّخِذُ غَرَضاً ، وَخَلِيقٌ إِلَّا يَذُبُّ الْغَرَضُ عَلَى كَثَرَةِ السَّهَامِ ؛ وَقَدْ اعْتَوَرَتِ السَّهَامُ غَرَضاً إِلَّا كَلِمَتَهُ ، حَتَّى يَهْبِيَ مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَابْخَلْ بِمَالِكَ ؛ وَإِذَا هَزَزْتَ فَأَهْزَزْ كَرِيماً يَلِينُ لِمَهْزَنِكَ ؛ وَلَا تَهْزُزِ اللَّئِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجَرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ بِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَبْجَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ؛ وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ مِنْهُ ذَلِكَ فَعَلُهُ ، كَانَ صَدِيقَهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا .

ثم أمسكت ، فدنوتُ منها ، فقلت لها : بالله يا أعرابية ، إلّا ما زدته في الوصية ؛ قالت : أو قد أعجبك كلامُ العرب يا حَصْرَى ؟ قلت : نعم ! قالت : القَدْرُ أقبح ما تعامل به الناسُ بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسَخَاءَ فقد أجَادَ الحُلَّةَ رِيْطَتَهَا وسِرُّهَا .

### فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد الصاحب : الخبر المنقول أن المقبوضَ غريباً شهيد .  
وفي الحديث : سافروا تَغْنَمُوا . السفرُ أحدُ أسباب العيش التي بها قوامه ، وعليها نظامه . إنَّ الله لم يجمع منافع الدنيا في الأرض ؛ بل فرّقها وأحوجَ بعضها إلى بعض . المسافرُ يسمعُ العجائب ، ويكسبُ التجاربَ ، ويجلبُ المكاسبَ .  
الأسفارُ مما تزيّدك علماً بقدرة الله وحكمته ، وتدعوكُ إلى شكر نعمته . ليس بينك وبين بلديّ نسب ؛ خيّرُ البلاد ما حملك . السفرُ يُسِفِرُ عن أخلاق الرجال .  
أوحشُ أهْلِكَ إذا كان في إيجاشهم أنسك ، واهجرُ وطنك إذا نبتَ عنه نفسك .  
ربما أسفر السفرُ عن الظفر ، وتعدّر في الوطن قضاء الوطر ، وأنشد :  
ليس ارتحالكُ ترّ ناد الغنى سفرًا      بلّ المقامُ على خسْفٍ هو السفرُ  
وهذا كقول الطائي :

وما القفرُ بالبيدِ الفضاء ، بلّ التي      نبتَ بي وفيها ساءَ كنوها هي القفرُ  
أخذه المتنبي فقال :

إذا ترّحلتَ عن قومٍ وقد قدرُوا      ألا تُفَارِقَهُمُ فالراحِلونَ همُ

### نقيض ذلك في ذم السفر والغربة

في الحديث إن المسافرَ وماله لَمَلَى ، قلت : إلّا ما وقى الله ، أى على هلاك .  
شيئان لا يعرفهما إلّا من ابتلى بهما : السفرُ الشاسع ، والبناءُ الواسع . السفرُ والسقمُ والقتالُ ثلاث متقاربة ؛ فالسفرُ سفينة الأذى ، والسقمُ حريقُ الجسد ،

والقتالُ مَنْبِتُ المنايا . إذا كنتَ في غير بلدك فلا تَنسَ نصيبك من الدَّل . الغربَةُ  
كَرْبَةُ . النَقْلَةُ مَثَلَةُ . الغريب كالغرس الذي زایل أَرْضُهُ ، وَقَدْ شَرِبَهُ ؛ فهو  
ذَاوٍ لَا يُمْسِرُ ، وذابل لَا يَنْضُرُ . الغريب كالوَخْشِ النَّائِي عن وطنه ؛ فهو لكل  
سَبْعٍ فَرِيسَةٌ ، ولكل رَاِمٍ رَمِيَّةٌ ؛ وأنشد :

لَقُرْبُ الدارِ في الإقْتَارِ خَيْرٌ من العيش الموسّع في اغْتِرَابِ

وقال أبو الفتح البُستِي :

لَا يَعمُ المرءُ شَيْئًا يَسْتَعِينُ بِهِ وَمَنَعَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَحْبَابِهِ  
وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابَتُهُ كَاللَّيْثِ يَحْقِرُ لَمَّا غَابَ عَنْ غَايِهِ

[ الغزل والإبعاد والحجب بعد التقريب والمؤانسة ]

كتب أبو عبيد الله إلى المهدي بعد عَزْلِهِ إِيَّاهُ عن الدواوين : لَمْ يُنْكَرِ أَمِيرُ  
المؤمنين حَالِي فِي قُرْبِ المؤانسة وخصوصِ الخلطة ، وحَالِي عنده قَبْلَ ذَلِكَ في قيامي  
بواجب خِدْمَتِهِ ، التي أَدْتَنِي من نِعْمَتِهِ ، فلم أَبْدَلْ - أُعِزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -  
حال التباعد ، ويَقَرَّبُ في محل الإقضاء ، وما يَعْلَمُ اللَّهُ مِنِّي فِيمَا قَلْتُ إِلَّا مَا عَلمَهُ أَمِيرُ  
المؤمنين ، فإن رَأَى أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُعَارِضَ قَوْلِي بعلمه بدءًا وعاقبةً فعل إن شاء الله .  
فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه ، فقال : ظالمنا أبا عبيد الله ، فإردّ إلى  
حاله ، وَيُعْلَمُ مَا تَجَدَّدَ لَهُ من حُسْنِ رَأْيِي فِيهِ .

بين المهدي  
وأبي عبيد الله

ولما أمر المأمون أَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ الفضلُ بْنُ الرِّبِّيعِ لسببِ تَأَلَّمِ قَلْبِهِ مِنْهُ كتب إليه :  
يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَمْ يُنْصِنِي التَّقْرِيبُ حَالِي أَيَّامَ التَّبَعِيدِ ، وَلَا أَغْفَلْتَنِي  
لِلْمُؤَانَسَةِ عَنْ شُكْرِ الْإِبْتِدَاءِ ؛ فعلى أَيِّ الْحَالَيْنِ أَبْعَدُ من أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَلْحَقْنِي  
ذِمُّ التَّقْصِيرِ فِي وَاجِبِ خِدْمَتِهِ ؟ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَلُ شُهُودِي عَلَى الصَّدَقِ فِيمَا  
وَصَفْتُ ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَكُنْ شَهَادَتِي فَعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

بين المأمون  
والفضل بن  
الربيع

وقال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم حين أَرْمَعَ قَتْلُهُ : هل كنتَ قَبْلَ قِيَامِكَ  
بِدَوْلَتِنَا جَائِزَ الْأَمْرِ عَلَى عَبْدَيْنِ ؟ قال : لا ، يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فَلِمَ لَمْ تَعْرِضْ

بين المنصور  
وأبي مسلم  
الخراساني

حَالِيْ عُسْرَتِكَ وَمَهَانَتِكَ عَلَى أَيَامِنَا ، وَتَعْرِفْ لَنَا مَا يَعْرِفُ غَيْرُكَ مِنْ إِجْلَالِنَا  
وَإِعْظَامِنَا ، حَتَّى لَا يَنْزَاعَكَ الْحَيْنَ عِنَانَ الطَّمَأْنِينَةِ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ : وَلَكِنَّ الزَّمَانَ وَإِسَاءَتَهُ قَلْبًا مَا كَانَ مِنْ حُسْنِ صَنِيعَتِي ، قَالَ : فَلَا  
مَرْغُوبَ فَيْكَ ، وَلَا مَأْسُوفَ عَلَيْكَ ، وَفِي اللَّهِ خَلْفٌ مِنْكَ ! وَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ <sup>(١)</sup>

### جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في لأوصاف

- من قوله في  
وصف أجزاء  
من القرآن  
الكريم

قال يصف أجزاء من القرآن :

مَنْ يَتَّبِ خَشْيَةَ الْعِقَابِ فإِنِّي تَبْتُ أَنْسًا بِهِذِهِ الْأَجْزَاءِ  
بَعَثْتَنِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالنَّسْكَ وَمَا خِلْتَنِي مِنَ الْقِرَاءِ  
حِينَ جَاءَتْ تَرَوْقَنِي بِاعْتِدَالٍ مِنْ قُدُودٍ وَصِيفَةٍ وَاسْتَوَاءِ  
سَبْعَةٍ أَشْبَهَتْ لِي السَّبْعَةَ الْأَنْجَمَ ذَاتَ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ <sup>(٢)</sup>  
كُسِيتَ مِنْ أَدِيمِهَا الْحَالِكُ اللَّوْنُ <sup>(٣)</sup> غِشَاءٌ أَحْبَبَ بِهِ مِنْ غِشَاءِ  
مُشْبِهٍهَا صِبْغَةَ الشَّبَابِ وَلَمَّا تِ الْعَذَارَى وَلِبْسَةَ الْخَطْبَاءِ  
وَرَأَتْ أَنَّهَا تَحْسُنُ بِالضِدِّ فَتَاهَتْ بِحُلِيِّهِ بِيضَاءِ  
فَهِيَ مَسْوَدَّةُ الظُّهْرِ ، وَفِيهَا نَوْرٌ حَقٌّ يَجْلُودُ جَى الظُّلَمَاءِ  
مُطَبَّقَاتٍ عَلَى صَحَائِفَ كَالرَّيْطِ طُخَيْزِينَ مِنْ مُسَوِّكَ الظُّلَمَاءِ <sup>(٤)</sup>  
وَكَأَنَّ الْخَطُوطَ فِيهَا رِيَاضٌ شَاكِرَاتٌ صَنِيعَةَ الْأَنْوَاءِ  
وَكَأَنَّ الْبَيَاضَ وَالتَّقَطَّ الشُّوْ دَعَبِيرٌ رَشَّشْتُهُ فِي مَلَأِ  
وَكَأَنَّ الْعُشُورَ وَالذَّهَبَ السَّاطِعَ فِيهَا كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءِ

(١) انظر واجبات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

(٢) رواية الديوان :

سبعة شبهت بها الأنجم السبعة ذات الأنوار والأضواء.

(٣) رواية الديوان « الجون »

(٤) المسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد . ورواية الديوان « متون »

وهي مشكولةٌ بعدة أشكا لٍ ومقروءةٌ على أنحاء  
 فإذا شئتَ كان حمزةٌ فيها وإذا شئتَ كان فيها البكسائي  
 خُضرةٌ في خلالٍ مُخمرٍ وصُفَرٍ بين تلك الأضعاف والأثناء  
 مثل ما أثر الدَّيْبُ من الذَّرِّ على جِلْدٍ بَصَّةٍ عَذْرَاءُ<sup>(١)</sup>  
 ضُمْتُ مُحْكَمَ الْكِتَابِ كِتَابَ اللَّهِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ  
 فَحَقِيقٌ عَلَى أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فِيهِنَّ مُصْبِحِي وَمَسَائِي  
 وقال يصفُ التَّخْتُ الَّذِي يُضْرَبُ عَلَيْهِ حِسَابُ الْمُنْدِ :

من قوله  
 في وصف  
 تخت حساب

وَقَلَمٍ مِدَادُهُ تَرَابٌ فِي صُحُفٍ سَطُورُهَا حِسَابٌ  
 يَكْثُرُ فِيهَا الْمَخَوُّ وَالْإِضْرَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَوِّدَ الْكِتَابُ  
 حَتَّى يَبِينَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ وَلَيْسَ إِعْجَامٌ وَلَا إِعْرَابُ  
 فِيهِ وَلَا شَكٌّ وَلَا ارْتِيَابُ

من قوله  
 يصف بركارا

وقال يصف بركاراً استهداه :<sup>(٢)</sup>

جُدُلِي بِبِرْكَارِكَ الَّذِي صَنَعْتَ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ<sup>(٣)</sup> الْأَعَاجِيَا  
 مَلَيْتُمُ الشُّعْبَتَيْنِ<sup>(٤)</sup> مَعْتَدِلَتَيْنِ مَا شِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عَيْبَا  
 شَخْصَانِ فِي شَكْلٍ وَاحِدٍ قَدْرَا وَرُكْبَا بِالْعُقُولِ تَرْكِيَا  
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِكَا لِهَما<sup>(٥)</sup> بِصَاحِبٍ لَا يَزَالُ مَصْحُوبَا  
 أَوْثَقَ مَسَامَرُهُ وَغَيْبٍ عَنْ نَوَاطِرِ الذُّلِّ أَقْدِينَ تَغْنِيَا  
 فَعَيْنُ مَنْ يَجْتَليهِ يَحْسِبُهُ فِي قَالِبِ الْإِعْتِدَالِ مَضْبُوبَا  
 قَدْ ضَمَّ قُطْرِيَهَ<sup>(٦)</sup> مُحْكِمًا لَهَا ضَمَّ مُحِبًّا إِلَيْهِ مَحْبُوبَا  
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ مَا زَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيْبَا

(١) رواية الديوان « غضة غداء » (٢) هو البرجل

(٣) رواية الديوان « القين » - والقين : الحداد ، أو كل صانع (م)

(٤) رواية الديوان « الشفرتين » (٥) رواية الديوان « اتلا فهما »

(٦) في الديوان « شطريه »



ذوهُ لَمَّةٌ بَصْرَتُهُ مَذْهَبُهُ<sup>(١)</sup> لَمْ تَأَلَهُ رِقَّةٌ وَتَهْ — ذِيهَا  
يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا بِهَا يَزَالُ الصَّوَابُ مُطْلُوبًا  
لَوْلَاهُ مَا صَبَحَ خَطُّ دَائِرَةٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مُحْسُوبًا  
[ الْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيبًا ]  
لَوْ عَيْنُ إِقْلِيدِسَ بِهِ بَصُرْتُ خَرَّ لَهُ بِالسَّجُودِ مَكْبُوبًا  
فَابْعَثْهُ وَاجْنُبْهُ لِي بِمُسْطَرَّةٍ تُلْفِ الْهُوَى بِالْثَنَاءِ مَجْنُوبًا  
وَقَالَ يَصِفُ بَيْكَاثَا<sup>(٣)</sup>:

من قوله  
يصف بَيْكَاثَا

رُوحٌ مِنَ الْمَاءِ فِي جِسْمٍ مِنَ الشَّفَرِ مُولَّدٌ بِلَطِيفِ الْحِسِّ وَالنَّظَرِ  
مُسْتَعْبِرٌ لَمْ يَغِبْ عَنْ طَرَفِهِ سَكَنٌ وَلَمْ يَبْتَ مِنْ ذَوِي ضِغْنٍ عَلَى حَذَرِ  
لَهُ عَلَى الظَّهْرِ أَجْفَانٌ مَحْجَرَةٌ وَمَقَالَةٌ ذَمُّهَا جَارٍ عَلَى قَدَرِ  
تُنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ مِنْ أَسَافِلِهِ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ  
وَفِي أَعَالِيهِ حِسَابٌ يُفَصِّلُهُ لِلنَّاضِرِينَ بَلَا ذِهْنٍ وَلَا فِكْرِ  
إِذَا بَكَى دَارَ فِي أَحْشَائِهِ فَلَكٌ خَافِيَ الْمَسِيرَ وَإِنْ لَمْ يَبْكْ لَمْ يَدْرِ  
مُتَرْجِمٌ عَنْ مَوَاقِيتٍ يَخْبِرُنَا بِهَا فَيُوجَدُ فِيهَا صَادِقُ الْخَبَرِ  
تُقْضَى بِهِ الْخَمْسُ فِي وَقْتِ الْوَجُوبِ وَإِنْ غَطَّى عَلَى الشَّمْسِ سِتْرُ الْعَيْمِ وَالْمَطَرِ  
وَإِنْ سَهَرَتْ الْأَوْقَاتُ تَوَرَّقَنِي عَرَفْتُ مَقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهَرِ  
مُحَدَّدٌ كُلَّ مِيقَاتٍ تَخَيَّرَهُ ذَوْوُ التَّخَيُّرِ لِلْأَسْفَارِ وَالْخَضَرِ  
وَمُخْرَجٌ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ أَلْفَهَا مِنْ النَّهَارِ وَقَوْسُ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ  
نَتِيجَةُ الْعِلْمِ وَالتَّفَكِيرِ صَوْرَتُهُ يَاحِبِّذَا أَبْدَعِ الْأَفْكَارَ فِي الصُّورِ

(١) في الأصل : « منسبة » ، والتصحيح عن الديوان .

(٢) في الديوان : « شكل دائرة » .

(٣) روى صاحب نهاية الأرب هذه القطعة ( ١٥٥/١ ) وذكر أنه يصف فيها طرجهارة ، وقال : هي من الآلات التي تعرف بها الساعات ، والأبيات نفسها تدل على ما قاله النويري ( م )

من قوله يصف  
اسطرلابا

وقال يصفُ اسطرلابا :

ومستدير كجرم البدر مسطوح  
ضُلب يُدَارُ على قُطبٍ يثبته  
ملء البنان وقد أوفت صفائحهُ  
تُلقى به السبعة الأفلاك مُحْدَقَةٌ  
تُنبيك عن طامح الأبراج هيئته  
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية  
وإن تعرض في وقت يُقدره  
مميز في قياسات الضالوع به  
له على الظهر عينا حكمة بهما  
وفي الدواوين من أشكاله حِكْمٌ  
لا يستقل لما فيه بمعرفة  
حتى ترى الغيب فيه وهو مُنْغلقُ الأبوابِ  
نتيجة الذهن والتفكير صوره  
عن كل رافعة الأشكال مصفوح  
تمثال طرف بشكر الحذق مكتوب  
على الأقاليم من أقطارها الفيح<sup>(١)</sup>  
بالماء والنيار والأرضين والرياح  
بالشمس طورا ، وطورا بالمصاييح  
عرفت ذاك بعلم فيه مشرّوح  
لك التشكك جلاؤه بتصحیح  
بين المشائم منها والمناجيح  
يخوى الضياء وتُنْجِيهِ من اللوح  
تنقح العقل فيها أى تنقيح  
إلا الحصيف اللطيف الحس والروح  
حتى ترى الغيب فيه وهو مُنْغلقُ الأبوابِ  
نتيجة الذهن والتفكير صوره  
ذو العقول الصحيحات المراجيح

\*\*\*

أبو إسحاق  
الصابى يهدى  
اسطرلابا إلى  
عضد الدولة  
ويعث معه  
بشعر

وكان أبو شجاع فناخسرو عضد الدولة قد نكب أبا إسحاق الصابى ،  
على تقدمه في الكتابة ، ومكانه في البلاغة ، واستصفى أمواله من غير إيقاع  
به في نفسه ، فأهدى إليه في يوم مهرجان اسطرلابا في دور الدرهم ،  
وكتب إليه :

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا  
في مهرجان عظيم أنت تعلية

لَكِنَّ عَبْدَكَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ رَأَى مُؤَوَّ قَدَرِكَ عَنْ شَيْءٍ يُسَامِيهِ  
لَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ ، فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ

\*\*\*

[ من أوصاف النساء ]

وقولُ أبي الفتح : « ملء البنان . . . . البيت » نظيرُ قولِ علي  
ابن العباس الرومي يصف هن امرأة<sup>(١)</sup> :

يَسْعُ السَّبْعَةُ الْأَقَالِمَ طُرًّا وَهُوَ فِي أَصْبَعَيْنِ مِنْ إِقْلِيمِ  
كَضْمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دَفَّتَا حَزَنُومِ  
وإنما أخذه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكر كاتباً  
في كفه أخرس ذو منطقي بقافه واللام والميم  
شبرٌ إذا قيسَ ، ولكنه في فعله مثل الأقاليم  
محذوف الرأس ومُسَوَّدُهُ كِبَرَةُ الرَّوْقِ مِنَ الرَّيْمِ<sup>(٢)</sup>

لبعض الشعراء  
يصف القلم

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي ، وقد وصف  
قرنَ ريم ، وشبهه بقلم عليه مداد ، وذكر ظبية .

تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا  
وقلبُ المعنى إذا تمكن الشاعرُ من إخفائه لا يجري مجرى السرقة .  
وقد ترى تكثيرَ الشعراءِ من تشبيه أوراك النسوان بالرمل والكُثبان ،  
قال الشاعر :

لشاعر يصف  
نساء بالعبالة  
والسمن

وَيَبِضُّ نَضِيرَاتِ الْوُجُوهِ كَأَنَّمَا تَأَزَّرْنَ دُونَ الْأُزْرِ مَلَاتِ عَالِجِ  
خِدَالِ الشَّوَى لَا تَحْتَشِي غَيْرَ خَلْقِهَا إِذَا الرُّشْحُ لَمْ يَصْبِرَنَّ دُونَ الْمَنَافِجِ<sup>(٣)</sup>

(١) الهن : الفرج . (٢) روق الريم : قرن الظبي .

(٣) خدال الشوى : ممتلئة الأطراف ، والرشح : جمع رسحاء ، وهى قليلة اللحم

العجز والفخذين ، والمنافع : حشايا توضع فوق الأرداف .

يَذَرْنَ مُرُوطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَأَنَّهَا قِصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِجِ  
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والإسلام ، فأغرب ذو الرمة في  
قلبه وأحسن ، فقال يصف رملا :

ورمل كأوراك العذارى قطعتُهُ وقد جَلَلَتْهُ الْمُظْلَمَاتُ الْخُنَادِسُ  
وكذلك مدحهم ضُمُورَ الْكَشْحِ ، وجولان الوُشْحِ ، وصُمُوتِ الْقَلْبِ  
والخلخال ، وامتناع الخِدام من المَجَال ؛ قال خالد بن يزيد بن معاوية ، وذَكَرَ  
رملة بنت الزبير بن العوام :

لخالد بن يزيد  
معاوية

تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ ، وَلَا أَرَى لِرَمْلَةٍ خَلْخَالًا يَحُولُ وَلَا قُلْبًا<sup>(١)</sup>  
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ طُرًّا لِحَبَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَوْحَالَهَا كَلْبًا  
وقال النابغة :

للنابغة

عَلَى أَنْ حَجَّجَلَيْهَا وَإِنْ قَلْتُ أَوْسَعَا صُمُوتَانِ مِنْ مَلءٍ وَقَلَّةٍ مِنْطَقِ  
وقال الطائي :

لأبي تمام الطائي

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ  
مِنْ الْهَيْفِ لَو أَنَّ الْخَلَاخِيلَ صُيِّرَتْ لَهَا وَشَحًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِيلُ<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن زُرْعَةَ الدمشقي :

لابن أبي زرعة  
الدمشقي

اسْتَسْكَمْتُ خَلْخَالَهَا وَمَشَّتْ تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا  
حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ مَلَأَ الْعَبِيرُ بِسَيْرِهَا الطُّرُقَا

وقال المتنبي :

للمتنبي

وَحْصَرٍ تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا  
قَلَبَ هَذَا كُلَّهُ أَبُو عَثْمَانَ النَّاجِمُ ، فقال يهجو قَيْنَةَ :

لأبي عثمان  
الناجم

مسألة الكل غَيْرَ بَطْنٍ      مثَلٌ فهِى عَنْكَ بَوْتُ  
حُجُولُهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِخَابٍ      وَوُشْخَهَا كُطْمٌ صُمُوتُ  
وقال أبو عثمان يمدح قَيْنَه :

محسنة في كلِّ أُلْحَانِهَا      لا كالتى تحسن في النَّدْرَه  
ثم قلبه في هجاء ، فقال :

عَجِبْتُ مِنْهَا وَنِيحَهَا كَيْفَ لَا      تُخْطِئُ بِالْإِحْسَانِ فِي النَّدْرَه  
وهذا مأخوذٌ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقلد  
لمحمد بن مناذر  
يهجو خالد بن  
طليق  
قضاء البصرة :

يا عجباً من خالدٍ كيفَ لَا      يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ  
كَانَ قِضَاءُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى      مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَهَذَا عَذَابُ  
وهذا أيضاً من قلب المهجاء مديحاً ، والمديح هجاء ؛ كما قال مسلم بن الوليد  
لمسلم بن الوليد  
يهجو قوما :

قَبِجَتْ مَنَاظِرُهُمْ لَمِنْ خَبَرْتَهُمْ      حَسَنْتَ مَنَاظِرَهُمْ بِقُبْحِ الْخَبَرِ  
قلبه أبو الطيب المتنبي فقال :  
وَأَسْتَكْثِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ  
وقال أبو تمام :

عَبَأُ الْكَمِينَ لَهُ فَضْلٌ لِحِينِهِ      وَكَيْفُهُ الْخَفِيُّ عَلَيْهِ كَمِينُ  
قلبه البحتري فقال :

لَا يَبْأَسُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْجِيَهُ      مَا يَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَظَبُهُ  
وقال أبو تمام :

وَحَشِيَّةُ تَرْمِي الْقَاوِبَ إِذَا غَدَتْ      وَشَنَى فَمَا تَصْطَادَ غَيْرَ الصَّيْدِ  
قلبه البحتري فقال :

عَلَى أَنتَى أَخْشَى عَلَى دَارِ أَمْنِهَا      فَوَارِسُ يَصْطَادُ الْفَوَارِسَ صَيْدُهَا

لأبي تمام

وقال أبو تمام :

يُسْنَأُ النَيْثُ وهو جَدُّ حَبِيبٍ      رَبَّ حَزْمٍ فِي بَغْضَةِ المَوْقِ  
قلبه البحتري فقال :

للبحترى

يَسْرُنِي الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُكُمْ      نَوَّةَ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقَبِهِ  
قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : المعنى في المصراع الأول أَيْبَنُ مِنْهُ فِي  
الثاني ؛ ألا ترى أنه لو قال : إنه ليسوءك الشيء قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى  
مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته .

لابن الرومي

قال ابن الرومي يهجو مغنية :

قَيْنَةٌ مَلْعُونَةٌ مِنْ أَجْلِهَا      رَفَضَ اللَّهُوَ مَعًا مَنْ رَفَضَهُ  
فَإِذَا عَنَّتْ تَرَى فِي حَلَقِهَا      كُلَّ عِرْقٍ مِثْلَ يَنْتِ الأَرْضَهُ  
فقلبه ابن المعتز فقال يصف أَرْضَهُ أَكَلَتْ لَهُ كِتَابًا .

لابن المعتز

تَذْنِي أُنَائِبَ لَهَا فِيهَا سَبَلٌ      مِثْلَ العُرُوقِ لَا تَرَى فِيهَا خَلَلٌ  
وهذا كثير يُكْتَفَى مِنْهُ بِالسَّيْرِ .

[ من المعاني ما لا ينقلب ]

ومن المعاني ما لا ينقلب : ألا ترى أنك تقول : نام القوم حتى كأنهم موى ، ولا يحسن  
أن تقول : ماتوا حتى كأنهم نيام ؛ وقد أخذ على أبي نواس قوله يصف داراً وقف بها :  
كأنها إِذْ خَرَسَتْ جَارِمٌ      بَيْنَ يَدَيْ تَفْنِيدِ مُطَرِّقٍ  
قالوا : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عذلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار  
الخالية التي لا تحجب .

بعض ما أخذ  
على أبي نواس

وأخذوا عليه قوله :

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ حَصْنِهِمْ      مَعْصِرَاتُ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ  
وقد تبعه أبو تمام الطائي فقال في الأفشين لما أحرق :  
مَا زَالَ سَرُّ الكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ      حَتَّى اصْطَلَى سَرَّ الزَّنَادِ الوَارِي  
نَارُهُ يَسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا      لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقُّ إِزَارِ

طارَتْ لَهُ شُعْلٌ يَهْدُمُ لَفْجُهَا      أَرْكَانَهُ هَدْمًا بَغِيرِ غَبَارِ  
فَصَلَّنَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعٍ مَفْصِلِ      وَفَعَلْنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارِ  
صَلَّى لَهَا حَيًّا، وَكَانَ وَقُودَهَا      مَيِّتًا، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْكَفَارِ  
وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا هُمْ      يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُلُّ أَهْلِ النَّارِ  
أردت البيت الثاني، قالوا: وإنما تشبه الثياب المعصرة بالنار؛ فهذا وما أشبهه  
لا يتوازن انعكاسه، وتتضاد قضاياه؛ وإنما يصح القلب فيما يتحقق تضاده أو يتقارب.

### قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم

قال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح  
البستي

قَدْ غَضَّ مِنْ أَمَلِي أَنِّي أَرَى عَمَلِي      أَقْوَى مِنَ الْمَشْتَرَى فِي أَوَّلِ الْحَلِ  
وَأَتَى رَاحِلٌ عَمَّا أَحَاوَلُهُ      كَأَنِّي أَسْتَدِرُّ الْخَطَّ مِنْ زُحَلِ  
وقال :

إِذَا غَدَا مَلِكٌ بِاللَّهْوِ مُشْتَغَلًا      فَاحْكَمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ  
أَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ فِي الْمِيزَانِ هَابِطَةً      لِمَا غَدَا بَرَجُ نَجْمِ اللَّهِ وَالطَّرَبِ  
وقال :

وَقَدْ تُدْنِي الْمُلُوكُ لَدَى رِضَاهَا      وَتُبْعِدُ حِينَ تَحْتَمِدُ احْتِقَادَا  
كَمَا الْمَرِيخُ فِي التَّثْلِيثِ يُعْطَى      وَفِي التَّرْيِيعِ يَسْلُبُ مَا أَفَادَا  
وقال :

أَلَا فَتَقَسُّوا بِي فَإِنِّي كَمَا      تَمَدَّحْتَ فَلَيْمَ تَحْنُ مِنْ يُحِبُّ  
فَمَا كَوَكْبِي رَاجِعًا فِي الْوَفَاءِ      وَلَا بُرْجُ قَلْبِي بِالْمُنْقَلَبِ<sup>(١)</sup>  
وقال :

إِنِّي كَسَفُونَا بِمَا عَلَيْنَا      وَفَازَتْ قِدَاحُهُمُ بِالظَّفَرِ  
وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مَنْ دُونَهُ      كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِرْمُ الْقَمَرِ

(١) في الأصول «ولا يرج في» بالحاء المهملة، وما أثبتناه موافق لما في يتيمة الدهر (م)

وقال :

شَرَفُ الْوَعْدِ بُوْغْدٌ مِثْلُهُ      مِثْلُ مَا فِيهِ بَرْيَغٌ وَخَلَلٌ  
وَدَلِيلُ الصَّدَقِ فِيمَا قُلْتُهُ      شَرَفُ الْمَرْيَخِ فِي بَيْتِ زُحَلِ

وقال :

قُلْ لِلَّذِي غَرَّتْهُ عِزَّةٌ مُلْكُهُ      حَتَّى أَخَلَّ بَطَاعَةَ النَّصَحَاءِ  
شَرَفُ الْمُلُوكِ بَعْلَهُمْ وَبِرَائِهِمْ      وَكَذَلِكَ أَوْجُ الشَّمْسِ فِي الْجُوزَاءِ

وقال :

وَقَدْ يَفْسُدُ الْمَرْءُ بَعْدَ الصَّلَاحِ      فَسَادُ الْأَمَّاكِنِ ، وَالشَّرُّ يُعْدِي  
كَمَا السَّعْدُ يَقْبَلُ طَبْعَ النُّحُوسِ      إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ شَيْءٌ سَعْدِ

وقال :

مَا أَنْسُ ظَمَانَ بِمَاءٍ بَارِدٍ      مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْعَهْدِ بِالْمَوَارِدِ  
إِلَّا كَأَنْبِيَّ بَكْتَابٍ وَارِدٍ      مِنْ سَيِّدِ كَحْضِ النَّجَارِ مَا جِدِ  
\* كَأَنَّمَا اسْتَمْلَاهُ مِنْ عُطَارِدِ \*

وقال :

يَا مَعْشَرَ الْكِتَابِ لَا تَتَعَرَّضُوا      لِرِيَاسَةٍ ، وَتَصَاغَرُوا ، وَتَخَادَمُوا  
إِنْ الْكُؤَاكِبُ كُنَّ فِي أَشْرَافِهَا      إِلَّا عَطَارِدُ حِينَ صُورَ آدَمُ

وقال :

دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ سَيِّدُ      لَهُ انْخُلُقِ الْأَشْرَفُ الْأُطْرَفُ  
فَلَا زَمْتُ بَيْتِي وَلَا طَفَقْتُهُ      بَعْدَ هُوِ الْأُطْرَفِ الْأُطْرَفُ  
عُطَارِدُ نَجْمِي ، وَلَا شَكَّ أَنْ      عَطَارِدَ فِي بَيْتِهِ أَشْرَفُ

وقال :

لَنْ تَنْقَلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ      وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاءِ رَهْنِ أَسْفَارِ  
فَالْحَرْحُ حَرْزُ عَزِيْزِ النَّفْسِ حَيْثُ تَوَى      وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ رُجْ ذَاتُ أَنْوَارِ



وقال :

لئن صدع الدهرُ المشتَّتُ شملنا  
فلننجم من بعد الرجوع استقامةً  
وللدهرِ حكمٌ للجميع سدوعٌ  
وللشمس من بعد الغروب طلوعٌ

وقال لمحبوس :

حُبِسْتُ ومن بعد الكسوفِ تبلّجُ  
فلا تعتقدُ للحبس غمًّا ووحشةً  
تضيء به الآفاقُ للبدرِ والشمسِ  
فأولُ كونِ المرءِ في أضيق الحبسِ  
وقال أيضاً :

يامن تولى المشتري تديره  
حاشاك أن تنقادَ للمريخِ

وقال :

لا تفرعن من كل شيء مُفزعٍ  
وقال يرثي أبا القاسمِ صاحبِ :

فقدناه لما تمَّ واعتمَّ بالأملا  
كذلك كسوفُ البدرِ عند تمامه

لابن درست

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبي الفضل الميكالي :

إذا ما غاب وجهُ البدرِ عنا  
فإن رجعتْ نجومُ السعدِ يوماً  
فوجهك عندنا البدرُ المقيمُ  
فوجهك نجمُ سعدٍ مستقيم

لمسكويه

وقال مسكويه الخالدي :

لا يعجبنيك حسنُ القمرِ تنزله  
لو زيدت الشمسُ في أبراجها مائةً  
فضيلةُ الشمسِ ليست في منازلها  
ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

للخوارزمي

وقال أبو بكر الخوارزمي :

رأيتك إن أبسرت خيمنتَ عندنا  
فما أنت إلا البدر : إن قلّ ضوءه  
لزاماً ، وإن أعسرت زُرْتَ لماساً  
أغبَّ ، وإن زاد الضياء أقاماً

للصولي

وهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :  
أسدٌ ضارٍ إذا مانعته  
يعرف الأبعد إن أترى ، ولا  
وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا  
يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

إذا ما أراد الخاسدون انهدامه      بناءه إله غالب العز قاهره  
وماذا يريد الخاسدون من امرىء      تزينهم أخلاقه ومآثره  
إذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم      ولا تهتدى يوماً إليهم مفارقة  
وكانوا كرايم كوكبا يبصاقه      فرد عليهم وبله ومواطره  
وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات :

رمانى بأمرى كنت منه ووآلدي      برياً ومن جال الطوى رمانى  
الجول والجال : الناحية ، والطوى : البئر ؛ يريد رمانى بما عاد عليه ، والرواية  
المشهورة : ومن أجل الطوى ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز .

[ الأصمعى وبعض الأعراب ]

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأصمعى في رياض من المذاكرة  
نَجْتَنِي ثَمَارَهَا ، وَنَجْتَلِي أَنْوَارَهَا ، إِلَى أَنْ أَفْضْنَا فِي ذِكْرِ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ ؛ فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْمَعِيَّ ! إِنَّهُ لَمَعْدِنُ حِكْمٍ ، وَبَحْرُ عِلْمٍ ،  
غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرْقُطْ مِثْلَ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَا فَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ الْأَصْمَعِيُّ ؟ فَقَالَ :  
أَنَا ذَاكَ ، فَقَالَ : أَتَأْذَنُونَ بِالْجُلُوسِ ؟ فَأَذِنَّا لَهُ ، وَعَجِبْنَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ مَعَ جَفَاءِ  
أَدَبِ الْأَعْرَابِ .

قال : يا أصمعى ، أنت الذى يزعم هؤلاء النفر أنك أثقبتهم معرفة بالشعر  
والعربية ، وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعى : فيهم من هو أعلم منى ، ومن  
هو أدونى ، قال : تنشدوننى من بعض شعر أهل الحضر حتى أقيسه على شعر  
أصحابنا ؟ فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسامة بن عبد الملك :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرُ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ      وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عُقَابُهَا  
وَأَنْتَ كَيْفَ الْهِنْدُ وَإِنِّي إِنْ غَدَتِ      حَوَادِثُ مِنْ حَرْبٍ يَعْْبُ عُبَابُهَا  
وَمَا خُلِقْتُ أَكْرَمَةً فِي أَمْرِيءِ      وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِلَيْكَ مَا بَهَا

كَأَنَّكَ دَيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ      بِهَا، وَعَلَى كَفِّكَ يَجْرِي حِسَابُهَا  
إِلَيْكَ رَحْلُنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْهَا      أَخَا ثِقَةٍ يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

قال : فتبسّم الأعرابي ، وهزّ رأسه ، فظننّا أنّ ذلك لاستِحسانه الشعر ، ثم قال : يا أصمعي ؛ هذا شعرٌ مهلهل خلق النّسج ، خطوّه أ كثرٌ من صوابه ، يغطّي عيوبه حسن الرّوي ، ورواية اللّشد ؛ يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد أنجز شتيم المنظر<sup>(١)</sup> ، ورما طرده شردمة من إمائنا ، ونلاعّب به صبياننا ، ويشبهونه بالبحر ، والبحر صَفّ على من ركبه ، مُرّ على من شرّبه ، وبالسيف وربما خان في الحقيقة ، ونبأ عند الضّريبة ! ألا أنشدتني كما قال صبيٌّ من حيننا ! قال الأصمعي : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ      لَمْ يُعْزِرْ إِكْرَامُهَا إِلَّا إِلَى الْهَوَلِ  
فَتَى جَوَادٍ أَذَابَ الْمَالَ نَائِلُهُ      فَالْتَّيْلُ يُشْكِرُ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ  
الْمَوْتُ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ      فِي كَرِهِ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ  
وَزَا حِمِّ الشَّمْسِ أَبْقَى الشَّمْسَ كَاسِفَةً      أَوْ زَا حِمِّ الصَّمِّ أَجْلَاهَا إِلَى الْمَيْلِ  
أَمْضَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ      وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ  
لَا يَسْتَرْجِحُ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا      وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَاحِبَ الدَّيْلِ  
يَقْصُرُ الْجَدُّ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ      كَمَا يَقْصُرُ عَنْ أَعْمَالِهِ قَوْلِي !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله ، قال : فتأتى الأعرابي ، ثم قال للأصمعي : ألا تشدني شعراً ترتاحُ إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟ فأنشده لابن الرّقاع العاملي :

وَنَاعِمَةٌ تَجْلُو بَعُودَ أَرَاكِ      مُؤَشِّرَةٌ يَسْبِي الْمَعَانِقَ طَيْبُهَا  
كَأَنَّ بِهَا خَرّاً بِمَاءِ غَمَامَةٍ      إِذَا ارْتَشَقَتْ بَعْدَ الرِّقَادِ غُرُوبُهَا  
أَرَاكِ إِلَى نَجْدٍ تَحْنُ ، وَإِنَّمَا      مَنَى كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا

فتبسّم الأعرابي وقال : يا أصمعي ، ما هذا بدون الأول ، ولا فوّه ،  
 ألا أنشدتني كما قلت ؟ قال الأصمعي : وما قلت ؟ جعلت فداك ! فأنشد :

تعلّقْها بِكراً ، وعُلّقت حبّها      فقلبي عن كلّ الورى فارغٌ بِكْرُ  
 إذا احتجبت لم يكفك البدرُ ضوءها      وتكفيك ضوء البدر إن حُجبَ البدرُ  
 وما الصبرُ عنها ، إن صبرت ، وجدته      جميلاً ، وهل في مثلها يحسن الصبرُ ؟  
 [ وحسبك من خمر يفتوتك ريقها      والله مامن ريقها حَسْبُكَ الخمرُ ]  
 ولو أنّ جلد الذرّ لامسَ جلدَها      لكان لمسَ الذرّ في جلدِها أثرُ  
 ولو لم يكن للبدْرِ ضدّاً جمالها      وتفضله في حُسْنِها لصفا البدرُ

قال أبو نصر : قال لنا الأصمعي : اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدى في  
 رِقاق الأكبَاد ! .

قال : وأقامَ عندنا شهراً ، فجمعَ له الأصمعيُّ خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا  
 في الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمعي وتفرّق أصحابنا ! .

فقرّ من كلام الأعراب في ضروب مختلفة .

قال الجاحظ : ليس في الأرضِ كلامٌ هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آتق ،  
 ولا ألد في الأسماع ، ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ،  
 ولا أجود تقويماً للبيان ، من طولِ استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء .

قال ابنُ المقفع ، وقد جرى ذِكْرُ الشعرِ وفضيلته : أي حكمة تكون أبلغ ،  
 أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوي لم ير ريفاً ، ولم يشبع من  
 طعام ؛ يستوحش من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوي إلى القفر والبرابيع  
 والظباء ، وقد خالط الغيلان ، وأنس بالجان ؛ فإذا قال الشعر وصف ما لم يره ،

ولم يغذَّ به<sup>(١)</sup> ولم يعرفه ، ثم يذكر محاسن الأخلاق ومساوئها ، ويمدح ويهجو ، ويذم ويعاتب ، ويشتب ويقول ما يكتب عنه ، ويروى له ، ويبقى عليه .  
وقال بعض الأعراب :

وإني لأهدى بالأوانس كالدمى وإني بأطراف القنا للقب<sup>(٢)</sup>  
وإني على ما كان من عنجبيتي ولوثة أعرابيتي لأديب<sup>(٣)</sup>  
كأن الأدب غريب من الأعراب ، فافتخر بما عنده منه .

وقال الطائي في فطنتهم ، يستعطف مالك بن طوق على قومه بني تغلب :  
لأرقه الحضر اللطيف غدتهم وتباعدا عن فطنة الأعراب  
فإذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب  
ووصف أعرابي رجلا فقال : هو أطهر من الماء ، وأرق طباعا من الهواء ،  
وأَمْضى من السيل ، وأهدى من النجم .  
ووصف أعرابي رجلا فقال : ذاك والله من ينفع سله ، ويتوَّصف حله ،  
ولا يستمر ظلمه .

وقال أعرابي : جلست إلى قوم من أهل بغداد فما رأيت أرجح من  
أحلامهم ، ولا أطيش من أعلامهم .  
وذكر أعرابي من بني كلاب رجلا فقال : كان والله العهم منه ذا أذنين ،  
والجواب ذا لسانين ؛ ولم أر أحدا أرتق لخلل رأى ، ولا ابعد مسافة روية ،  
ومراد طرف منه ؛ إنما كان يرمى بهمة حيث أشار إليه الكرم ، وما زال  
يتحنى مرارة أخلاق الإخوان ، ويستقيم عذوبة أخلاقه .  
وذكر أعرابي رجلا فقال : والله لكان القلوب والألسن رِيضت له ،  
فما تعقد إلا على ودّه ، ولا تنطق إلا بحمده .

(١) في طبعة بولاق «ولم يغذّه» . (٢) لأهدى : لأعرف ، أى أشد معرفة (م)

(٣) العنجية واللثة : الكبر والحق .

وقال أعرابي : أقيح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

قال الأصمعي : وخطبنا أعرابي بالبادية ، فقال : أيها الناس : إن الدنيا دارٌ مفرّة ، والآخرة دار مقرّة ؛ فخذوا من مفرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تحفى عليه أسراركم .

قال المعافر بن نعيم : وقفت أنا ومعبد بن طوق العنبري على مجلس لبني العنبري ، وأنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا فبدؤا في فسّلموا علىّ : ثم انكفؤا على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالمولّى قبل العربيّ ، وبالمفحّم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ، فأنبرى إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأُمّي ، وبالمهاجر قبل الأعرابي ، وبراكبِ الراحلة قبل راكب الحمار .

ووصف أعرابي قومه فقال : لُيُوثُ حَرْب ، وُعْيُوثُ جَدْب ، إن قاتلوا أبلّوا ، وإن بذلوا أعنّوا .

ووصف أعرابي قوماً فقال : إذا اصطفّوا سَفَرَت بينهم السهام ، وإذا تصافّحوا بالسيوف فَعَرَفَهم الحمام .

وسئل أعرابيٌّ عن صديق له ، فقال : صَفَرَت عِيَابُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا<sup>(١)</sup> ، واكفهرت وجوه كانت بمائها .

وقال الأصمعي : وسمعت أعرابياً يقول : إنَّ الْأَمَالَ قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَاهُ ، وَمَنْ كَانَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِئَتِهِ أَسْرَعَ السَّيْرِ وَالْبُلُوغِ بِهِ .

والمرء يفرح بالأيام يقطعها وكلُّ يوم مضى يذني من الاجل

وذكر أعرابي مصيبة نأثته ، فقال : إنما والله مضيبة جعلت سُودَ الرءوس  
بيضا ، وبيضَ الوجوه سودا ، وهونت المصائب ، وشيّبت الذرائب  
وهذا كقول عبدالله بن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ      بِمَقْدَارِ سَمْدَنَ لَهُ سُمُودَا<sup>(١)</sup>  
فَرَدَّ شَمُورَهُنَّ الشُّودَ بَيْضًا      وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا  
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بُكَاءَ هِنْدٍ      وَرَمْلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا  
بَكَيْتَ بُكَاءَ مُعُولَةٍ حَزِينٍ      أَصَابَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا<sup>(٢)</sup>  
ونظيرُ هذا التطابق بين السواد والبياض ، وإن لم يكن من هذا المعنى ، قولُ  
ابن الرومي :

يَا بَيَاضَ الْمَشِيبِ سَوَّدْتَ وَجْهِي      عِنْدَ بَيْضِ الْوُجُوهِ سُودِ الْقُرُونِ  
فَلَعَمْرِي لِأَخْفِينِكَ جَهْدِي      عَنِ عِيَانِي وَعَنِ عِيَانِ الْعِيُونِ  
وَلَعَمْرِي لِأَمْنَعِكَ أَنْ تَضْحَكَ فِي رَأْسِ آسَفٍ مُحْزُونِ  
بِسَوَادٍ فِيهِ ابْيَاضٌ لَوْجِي      وَسَوَادٌ لَوْجِكَ الْمَلْعُونِ

سأل أعرابيان رجلا ، فخرمهما ، فقال أحدهما لصاحبه : نزلتَ والله نواذيرَ غير  
مطمورة ، وأتيتَ رجلا بك غير مسرور ، فلم تدركَ مأسألتَ ، ولا نلتَ ما أملتَ ؛  
فارتحلَ بنِدم ، أو أقمَ على عَدَم .

قال الأصمعي : وسمعتُ أعرابيا يقول : غَفَلْنَا وَلَمْ يَغْفَلِ الدَّهْرُ عَنَا ، فَلَمْ نَتَّعِظْ  
بَغَيْرِنَا حَتَّى وَعِظَ غَيْرُنَا بِنَا ، فَقَدْ أَدْرَكْتَ السَّعَادَةَ مِنْ تَتَبِّهِ ، وَأَدْرَكْتَ الشَّقَاوَةَ  
مِنْ غَفَلٍ ، وَكُنِيَ بِالتَّجَرُّبَةِ وَاعِظًا

وقال أعرابي لرجل : أَشْكُرُ لِلنَّعَمِ عَلَيْكَ ، وَأَنْعَمُ عَلَى الشَّاكِرِ لَكَ ،  
تَسْتَوْجِبُ مِنْ رَبِّكَ زِيَادَتَهُ ، وَمِنْ أَخِيكَ مُنَاصَحَتَهُ .

(١) سمدن له : تلوت له رؤوسهن - وسمد : قام متحيرا (م) .

(٢) رواية الحماسة « رأيت بكاء معولة حزين » (م)

ومدح أعرابي رجلاً فقال : ذلك والله فسيحُ الأدب ، مُستَخَكِمُ السبب ،  
من أي أقطاره أتيتهُ تُذَنِّي عليه بكرمِ فعال ، وحُسنِ مقال .

وذمَّ أعرابي رجلاً فقال : أفسد آخرته بصلاح دُنياه ، ففارق ما أَصْلَحَ غيرَ  
راجعٍ إليه ، وقدم على ما أَفسدَ غيرَ منتقلٍ عنه ، ولو صدق رجلٌ نفسه ما كَذَبَتْهُ ،  
ولو ألقى زمامه أو طأه راحِلَتُهُ .

وقال أعرابي : خرجت حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالَت أرجلها ، فما  
زلتُ أصدع الليلَ حتى انصدَّع الفجر .  
وقال أعرابي :

وقد تَعَالَتْ ذَمِيْلُ العنْسِ بالسَّوْطِ في دَيْمُومَةٍ كَالْتَرَسِ<sup>(١)</sup>  
إذ عَرَّجَ الليلُ بُرُوجَ الشَّمْسِ

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قولُ الحسن بن وهب : شربت البارحة  
على وَجْهِ الجوزاء ؛ فلما انتبه الفجرُ نِمْتُ ، فماعتلت حتى حَلَفَنِي قَمِيصُ الشَّمْسِ .  
وقال أعرابي لصاحبه في شيء ذكره : قل إن شاء الله ، فإنها تَرْضِي الرَّبَّ ،  
وَتُسَخِّطُ الشَّيْطَانَ ، وَتُذْهِبُ الحِنْثَ<sup>(٢)</sup> ، وَتَقْضِي الحاجة .

وروى العتبيُّ عن أبيه قال : سمعت أعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرَّتَ بينهما :  
أما والله لرُبَّ يومٍ كَتَنُورِ الطاهي ، رَقاصٍ بالحمامة ، قد رميتُ نَفْسِي في أَجِيجِ  
سَمُومِهِ ، أَحْتَمِلُ منه ما أكره لما أَحَبَّ .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وأحسب العتبي صنع هذا الكلام ، وأخذه  
من قول بَشَّار :

ويوم كَتَنُورِ الإماء سَجَرْنَهُ وَأَوْقَدَنَ فِيهِ الْجَزْلَ حَتَّى تَضَرَّ مَا  
رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيجِ سَمُومِهِ وَبِالْعَيْسِ حَتَّى بَضَّ مَنَخرَهَا دَمًا

(١) تعانلت : أعطيت أقصى ما عندك من السير ، والديمومة : الصحراء الواسعة  
البعيدة الأطراف (م) .

(٢) يعني أنك إذا حلفت وقلت « إن شاء الله » ثم لم تفعل ما حلفت عليه لم يحنث (م)



أخذ هذا المعنى بعضُ أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد :

ويوم كنتُ نور الطهارة سَجَرْتُهُ      على أنه منه أحرُّ وأوقدُ

ظلمت به عند المبردِ جالساً      فما زلت في ألفاظه أتبرّدُ

قال الأصمعي : حجّت أعرابيةٌ ومعهما ابنٌ لها ، فأصيّبت به ، فلما دُفِن قامت على قبره ، وهى مَوْجَعَةٌ فقالت : والله يا بنى لقد غَذَوْتُكَ رضيعاً ، وقد تُتِكَ سريعاً ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدةً أُلْتِذُ بعيشك فيها ، فأصبحت بعد النَّصَاة والغضارة ورونى الحياة والتَّسَمُّ فى طيب روائحها ، تحت أطباق الثَّرى جَسَداً هامداً ، ورُفَاتنا سحيقاً ، وصعيداً جُرُزا ؛ أى بنى ! لقد سَحَبْتَ الدنيا عليك أذيال الفناء ، وأسكنتك دارَ البلى ، ورمتنى بعدك نَكْبَةُ الرَّدَى ، أى بنى ! لقد أسفر لى وجه الدنيا عن صباح دَاجٍ ظلامه .

ثم قالت : أى ربّ ومنك العدل ، ومن خَلَقِكَ الجور ، وهَبْتَهُ لى قُرَّةَ عين ، فلم تُنَمِّتْنى به كثيراً ، بل سَابَقَنِيهِ وَشِيكَا ؛ ثم أمرتنى بالصبر ، ووَعَدْتَنى عليه الأجر ، فصدقت وَعْدُكَ ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من تَرَحَّم على من استودَعْتَهُ الرِّذْمَ ، ووَسَّدْتَهُ الثَّرى ؛ اللهم ارحم غربته ، وآسِنْ وَخْشَتَهُ ، واسترْ عَوْرَتَهُ ، يوم تُكشَفُ الهَنَاتِ والسَّوآت .

فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها وقفت على قبره ، فقالت ! أى بنى ! إني قد تزوَّدت لسفري ، فليت شعرى ما زادُكَ لِبُعْدِ طريقك ، ويوم معادِكَ ؟ اللهم إني أسألك له الرضا برضائى عنه . ثم قالت : استودَعْتُكَ مَنْ استودَعْنِيكَ فى أَحْسَانِي جَنِيناً ؛ وأكُلَّ الوالدات ! ما أمضَّ حرارةَ قلوبهنَّ ، وأقلَّق مضاجِعهنَّ ، وأطولَ ليلهنَّ ، وأقصرَ نهارهنَّ ، وأقلَّ أنسهنَّ ، وأشدَّ وحشتهنَّ ، وأبعدهنَّ من السرور ، وأقربهنَّ من الأحزان .

لم تنزلْ تقولُ هدا ونحوه حتى أبكت كلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وحمدت الله عز وجل واسترجعتْ وصلت ركعات عند قبره وانطلقت .

وَأُنْشِدُ الْفَضْلُ الضَّيِّ لَامِرًا مِّنَ الْعَرَبِ تَرَى ابْنًا لَهَا :

يَا عَمْرُو ، إِلَى عَسْكَ مِنْ صَبْرٍ      يَاعَمْرُو يَا أَسْفَى عَلَى عَمْرُو .  
 اللَّهُ يَا عَمْرُو ، وَأَيَّ فُسْطَى      كَفَنْتَ يَوْمَ وُضِعْتَ فِي الْقَبْرِ ؟  
 أَحْشَوْ التَّرَابَ عَلَى مَفَارِقِهِ      وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِهِ النَّصْرُ <sup>(١)</sup>  
 حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ      وَبَدَا مُنِيرَ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ  
 وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَافِعُهُ      وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيْدِ عَمْرٍو <sup>(٢)</sup>  
 وَأَهْمُهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ      وَغَدَاً مَعَ الْغَادِينَ فِي السَّفَرِ  
 تَعْدُو بِهِ شَرْقَاهُ سَامِيَةً      مَرَّطَى الْجِرَاءِ شَدِيدَةُ الْأَسْرِ <sup>(٣)</sup>  
 ثَبَتَ الْجَنَانَ بِهِ ، وَيَقْدَمُهَا      فَلَيْحٌ يَقْلِبُ مُقْلَدَتِي صَقْرٍ <sup>(٤)</sup>  
 رَبَّيْتُهُ دَهْرًا أَفْتَقُهُ      فِي الْيُسْرِ أَغْدُوهُ فِي الْعُسْرِ  
 حَتَّى إِذَا التَّامِيلُ أُمَكْنِي      فِيهِ قُبَيْلَ تَلَا حُقِ الثَّغْرِ  
 وَجَعَلْتُ مِنْ شَعْفَى أَثْقَلَهُ      فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفِ غَبْرِ <sup>(٥)</sup>  
 أَدْعَ الْمَزَارِعَ وَالْحَصُونَ بِهِ      وَأُحِلَّهُ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ  
 مَا زِلْتُ أَضْعِدُهُ وَأُحْدِرُهُ      مِنْ قُتْرٍ مَوْمَأَةٍ إِلَى قُتْرٍ <sup>(٦)</sup>  
 هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ      حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرَى <sup>(٧)</sup>  
 حَتَّى دَفَعْتُ بِهِ لِمَضْرَعِهِ      سَوْقَ الْمَعِيزِ تُسَاقُ لِلْعَتْرِ <sup>(٨)</sup>  
 مَا كَانَ إِلَّا أَنْ هَجَعْتُ لَهُ      وَرَمَى فَأَغْنَى مَطْلَعَ الْفَجْرِ  
 وَرَمَى الْكَوَرَى رَأْسِي وَمَالَ بِهِ      رَمْسٌ يُسَاوِرُ مِنْهُ كَالشُّكْرِ

(١) المفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس . (٢) عمر : جزيل العطاء .

(٣) مرطى : سريعة ، والأسر : القوة . (٤) فليح : حليف النصر .

(٥) التنايف : جمع تنوفة ، وهى الصحراء - والغبر : جمع غبراء ، وأراد المظلمة (م)

(٦) القتر : بالضم : الجانب . (٧) انتويت : قصدت .

(٨) عتر : اسم نبات أو شجر صغير - لا . بل العتر هنا الذبح (م)

إِذْ رَأَى صَوْتَ هَيْبَتِهِ      وَذُعِرَتْ مِنْهُ أَيَّامُ ذُعْرِ  
 وَإِذَا مَنِئْتُهُ تَسَاوَرُهُ      قَدْ كَدَّحَتْ فِي الْوَجْهِ وَالنَّحْرِ  
 وَإِذَا لَهُ عَلَقٌ وَحَشْرَجَةٌ      مِمَّا يَجِيئُ بِهِ مِنَ الصَّدْرِ  
 وَالْمَوْتُ يَقْبِضُهُ وَيَسْطُهُ      كَالثُوبِ عِنْدَ الطِّيِّ وَالنَّشْرِ  
 فِدَعَا لَأَنْصُرَهُ وَكُنْتُ لَهُ      مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ حَاضِرَ النَّصْرِ  
 فَعَجَزْتُ عَنْهُ وَهِيَ زَاهِقَةٌ      بَيْنَ الْوَرِيدِ وَمَذْقَعِ السَّحْرِ  
 فَمَضَى وَأَيَّ فِتْيٍ فَجَعْتُ بِهِ      جَلَّتْ مَصِيبَتُهُ عَنِ الْقَدْرِ  
 لَوْ قِيلَ تَفْدِيهِ بِذَلِكَ لَهُ      مَالِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ وَفْرِ  
 أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمرِي      آثَرْتُهُ بِالشَّطْرِ مِنْ عُمرِي  
 قَدْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ لَهُ ، فَعَدَا      وَرَمَى عَلَيَّ وَقَدْ رَأَى فَقْرِي  
 لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتْنَعِي      يَا بَنِي وَشَدَّ بِأَزْرِهِ أَزْرِي  
 بُنِيتُ عَلَيْكَ بُنَى ، أَحُوجُ مَا      كُنَّا إِلَيْكَ ، صَفَاحُ الصَّخْرِ  
 لَا يَبْعِدُكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ      إِمَّا مَضَيْتُ فَنَحْنُ بِالْإِثْرِ  
 هَذِي سَبِيلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ      لَا بَدَّ سَالِكَهَا عَلَى سَفَرِ  
 أَوْلَا تَرَاهُمْ فِي دِيَارِهِمْ      يَتَوَقَّعُونَ وَهُمْ عَلَى ذُعْرِ  
 وَالْمَوْتُ يُورِدُهُمْ مَوَارِدَهُمْ      قَسْرًا ؛ فَقَدْ ذَلُّوا عَلَى الْقَسْرِ

وقال أعرابي يمدح رجلا :

يُمْدُ نَجَادَ السِّيفِ حَتَّى كَانَهُ      بِأَعْلَى سَنَامِي فَالِجَ يَتَطَوَّحُ  
 وَيُدْجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ      وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ  
 إِذَا اعْتَمَ بِالْبُرْدِ الْبِمَانِي حَسْبَتُهُ      هَلَالًا بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ  
 يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً      وَتَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

وأنشد ابن أبي طاهر لأعرابي :

وقبلى أبكى كل من كان ذاهوى  
وهنّ على الأطلال من كل جانب  
مُزبَرَجَةُ الأعناق نمرُ ظهورها  
ترى طرُزاً بين الخوافى كأنها  
ومن قطع الياقوت صيغت عيونها  
ومن جيد ما قيل فى الحمام قول ابن الرومى :

وقفت بمطراب العشيات والضحى  
فطلت أسخّ الدمع منى وأسجُم  
حليفة شجرٍ هاج مابى وما بها  
تباريح شوق يشتكيها المتيم  
فباح به فوها وأخفته عنها  
وباحت به عيني وكتمه الفم  
ودخل أعرابى على الرشيد، فأنشده أرجوزة مدحه بها ، وإسماعيل بن صبيح  
يكتب كتاباً بين يديه - وكان من أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً - فقال  
الرشيد للأعرابى : صف الكاتب فقال :

رقيق حواشى العلم حين تبوره  
يريك الهوينى والأمر تطير<sup>(١)</sup>  
له قلماً بؤسى ونعمى كلاهما  
سحابتة فى الحالتين درور  
ينأجيك عما فى ضميرك خطه  
ويفتح باب النجح وهو عسير

فقال الرشيد : قد وجب لك يا أعرابى عليه حق ، كما وجب لك علينا  
يا غلام ؛ ادفع له دية الحرّ ، فقال إسماعيل : وعلى عبدك دية العبد .

وقال أعرابى من بنى عقيل :

أحنّ إلى أرض الحجاز، وحاجتى  
خيام بنجد دونها الطرف يقصر  
وما نظرى نحو الحجاز بنافعى  
فتيلاً ، ولكنى على ذاك أنظر

(١) البلاقع : جمع بلقع ، وهى الخالية التى لا أنيس بها (م)

(٢) تبوره ، تخبره وتبلوه .

أفي كل يوم نظرة ثم غيرة لعينيك يجرى ماؤها يتحدّر  
متى يستريح القلب إنا مجاور وقال أعرابي :

وإني لأغضي مقلتي على القذى وأبس ثوب الصبر أبيض أبلجا  
وإني لأدعو الله والأمر ضيق على ، فما ينفك أن يتفرجا  
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه أصاب لها من دعوة الله مخرجا  
وقال آخر :

ذكرتك ذكرى هائم بك تنتهي إليك أمانيه وإن لم يكن وصل  
وليس بذكري ساعة بعد ساعة ولكنها موصولة مالها فصل  
وقال آخر :

أريتك إن شطت بك العام نية وعالك مضطاف الحى ومرايعة  
أترعين ما استودعت أم أنت كالذى إذا ما نأى هانت عليك ودائعة  
ألا إن حسيما دونه قلة الحى مئى النفس لو كانت ثنأل شراثة<sup>(١)</sup>  
أخذت أزد العتيك شاعرا من قيس بن ثعلبة اسمه المذل في دم ، فأثاه  
البهس بن ربيعة فجعله ، وأمره أن ينجو بنفسه ، وأسلم نفسه مكانه ، فقال له  
المذل : أخيرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك ؛ فاختار مدح قومه فقال :

جزى الله فتيان العتيك ، وإن نأت بى الدار عنهم ، خير ما كان جازيا  
هم خلطوني بالنفوس وأحسنوا الصحابة لما حم ما كان آتيا  
متاعهم فوضى فضا في رحالهم ولا تحسون الشر إلا تباديا  
كان دنائرا على قبتاتهم إذا الموت فى الأبطال كان تحاميا  
وذكرت الرواة أن المهلب بن أبى صفرة عرض جندَه بخراسان ، فعرض جيش

(١) الحسى - بالفتح - السهل فيه ماء قليل ، والشرائع : جمع شريعة ، وهى

بكر بن وائل، فربه المعدل فقال : هذا المعدل القيسي الذي يقول، وأنشد الأبيات، فقالوا: أيها الأمير؛ احسبه علينا، فانطلق مائة منهم، فجاءوا بمائة وصيف ووصيفة، فقالوا: أعظم هذا وليعذرنا.

قوله « كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَتِهِمْ » نظير قول أبي العباس الأعمى :  
 لَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَيْنَ رَائِحَةُ الْمِسْكِ وَمَا إِنْ إِخَالَ بِالْخَيْفِ إِنْ سَى ؟  
 حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ      وَبِالْهَالِيلِ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ  
 خُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ، فُرُسًا      نٌ عَلَيْهَا ، وَقَالَهُ غَيْرُ خُرْسٍ  
 فِي حُلُومٍ إِذَا الْحُلُومُ اسْتَفْرَزَتْ      وَوُجُوهٌ مِثْلَ الدَّنَانِيرِ مُلْسٍ  
 [ بَعْضُ أَخْبَارِ أَبِي نَوَاسٍ ]

المأمون يعبر  
أخاه الأمين  
بصجة أبي  
نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زُبَيْدَةَ وَوَجَّهَ بَطَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لِحَارِبَتِهِ ، كَانَ  
 يَعْمَلُ كِتَابًا بِعِيُوبِ أَخِيهِ تُقْرَأُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِخُرَاسَانَ ؛ فَكَانَ مِمَّا عَابَهُ بِهِ أَنْ قَالَ : إِنَّهُ  
 اسْتَخْلَصَ رَجُلًا شَاعِرًا مَاجِنًا كَافِرًا ، يَقَالُ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ ، وَاسْتَخْلَصَهُ لِيَشْرَبَ  
 مَعَهُ الْخَمْرَ ، وَيُرْتَكَبَ الْمَآثِمَ ، وَيَهْتِكَ الْحَارِمَ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :  
 أَلَا فَاسْتَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ      وَلَا تَسْقِنِي سَرًّا إِذَا أُمِكَنَّ الْجَهْرُ  
 وَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي عَنِ الْكُفَى      فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سَقْمُ  
 وَيَذْكُرُ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَيَقُولُ : أَهْلُ فَسُوقٍ وَخَمُورٍ ، وَمَا خُورٌ وَفُجُورٍ ؛ وَيَقُومُ  
 رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُنْشِدُ أَشْعَارَ أَبِي نَوَاسٍ فِي الْجَوْنِ ؛ فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِابْنِ زُبَيْدَةَ ؛  
 فَفَهِيَ الْحَسَنَ عَنِ الْخَمْرِ ، وَحَبَسَهُ ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ؛ ثُمَّ كَلَّمَهُ فِيهِ الْفَضْلُ ،  
 فَأَخْرَجَهُ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ أَلَّا يَشْرَبَ خَمْرًا ، وَلَا يَقُولَ فِيهَا شَعْرًا ، فَقَالَ :

مَنْ بَرَّ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً      كَثِيرٌ أَوْ الْعَبَاسَ مَوَلَاهَا  
 نَامَ الثَّقَاتُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ      دَسَرَكِي إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا  
 نَمَّ كُنْتَ حَسْبُكَ ، تَمَّ آمَنِي      مِنْ أَنْ أَحَاطَكَ ، خَوْفُكَ اللَّهُ  
 فَعَنُوتَ عَنِّي عُلْمًا مُقْتَدِرٍ      وَحَبَّتْ لَهُ نَمْرٌ فَأَلْفَا عَمَّا

ومن قوله في ترك الشراب :

أَيْهِيَ الرَّائِحَانِ بِاللَّوْمِ لَوْ مَا  
لَا أَذوقُ الْمَدَامَ إِلَّا شَمِيمَا  
نَالَنِي بِالْإِلَامِ فِيهَا إِمَامٌ  
لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ حَقِيمَا  
فَاصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ ؛ فَإِنِّي  
لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا  
جُلُّ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ  
أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَمَ النَّسِيمَا  
فَكَأَنِّي وَمَا أَزِنُّ مِنْهَا  
قَمْعِدِيَّ يُرَيِّنُ التَّحْكِيمَا  
[ كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ ]  
ب فَاَوْصِي الْمَطِيقَ الْأَيْقِيمَا

الْقَعْدِيَّةُ : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ؛ وزعم المبرد أنه لم يسبق إلى هذا المعنى .

وقال :

عَيْنَ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٌ  
عَقَدَ الْحِذَارُ بَطْرِفَهَا طَرْفِي  
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى  
دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِي  
وَلَنْ وَعَدْتِكَ تَرْكَهَا عِدَّةً  
إِنِّي عَلَيْكَ لَخَائِفٌ خُلْفِي  
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي  
حَى الْحَيَاةِ مُشَارِفِ الْحَتَفِ  
فَتَنَفَسَتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ  
كَتَنَفَسَ الرَّيْحَانُ فِي الْأَنْفِ

\* \* \*

أَخَذَ قَوْلَهُ : « وَلَنْ وَعَدْتِكَ تَرْكَهَا عِدَّةً » الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ وَكِيعٍ فَقَالَ :  
مَتَى وَعَدْتُكَ فِي تَرْكِ الصَّبَا عِدَّةً  
فَاشْهَدْ عَلَى عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ  
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ  
وَأَقْبَلَ الصَّبَحُ فِي جَيْشٍ لَهُ لَجَبِ  
وَجَدَّ فِي أَثَرِ الْجَوَّزَاءِ يَطْلُبُهَا  
فِي الْجَوِّ رَكْضًا هِلَالٌ دَائِمُ الطَّلَبِ  
كَصَوْلِ الْجَانِ لُجَيْنٍ فِي يَدَيِّ مَلِكٍ  
أَدْنَاهُ مِنْ كَرَّةٍ صِفَتْ مِنَ الذَّهَبِ  
قَمِّ بِنَا نَضْطَبِخُ صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ  
كَالنَّارِ لِكَبْهَا نَائِزٌ بِلا لَهَبِ  
عُرُوسُ كَرِيمٍ أَتَتْ تَحْتَالُ فِي حُلَلِ  
صُفْرِ عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ الْحَبَبِ

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الهلال بالزهرة :

أُمَّا عَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا      تَحْتَ هَلَالٍ لَوْهُ يَحْكِي اللَّهَبَ  
كَتْكِرَةً مِنْ فِضَّةٍ مَجْلُوءَةٍ      وَاقَى عَلَيْهَا صَوْلَاجَانُ مِنْ ذَهَبٍ  
وَعَلَى قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى      دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفٍ  
كَتَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَزِ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّمِيرِيِّ :  
يَا أَيُّهَا الْجَانِي وَبِاسْتَجْفَى      لَيْسَ تَجْنِيكَ مِنَ الظَّارِفِ  
إِنَّكَ فِي الشَّوْقِ إِلَيْنَا كَمَنْ      يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى حَرْفٍ  
تَحَوَّتْ آثَارَكَ مِنْ وَدْنَا      غَيْرَ أَسَاطِيرِكَ فِي الصُّحُفِ  
فَإِنْ تَحَامَلْتَ لَنَا زَوْرَةً      يَوْمًا تَحَامَلْتَ عَلَى صَعْفٍ

ضرب من  
الرياء

وحدث أبو عمر الزاهد قال : دَلَّكَ بعضُ الزَّهَادِ المَرَاتِينِ جَبْهَتَهُ بِشَوْمٍ  
وَعَصَبَهَا ، وَنَامَ لِيُضَيِّحَ بِهَا كَأَثَرِ السَّجُودِ ، فَأَنْحَرَفَتِ الْعَصَابَةُ إِلَى صُدْغِهِ ، فَأَخَذَ  
الْأَثَرَ هُنَاكَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : مَا هَذَا يَا أَبْتَ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ أَبُوكَ مِنْ يَغْبُدُ اللَّهَ  
عَلَى حَرْفٍ !

\*\*\*

وقال أبو نواس في الباب الأول :

من خمریات  
أبي نواس

وَأَسْقَيْنَا نَفْطَكَ الثَّنَاءَ الثَّمِينَا      غَمَّنَا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا  
يَتَمَنَّى مَخْيِرٌ أَنْ يَكُونََا      مِنْ سُلَافٍ كَانَهَا كُلُّ شَيْءٍ  
وَتَبَقَّ لِبَابِهَِا الْمَكْنُونَا      أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا  
يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبْدِيحُ الْعَيُونَا      فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتِهَا فِهْبَا  
لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لَاقْتُنِينَا      ثُمَّ شُجَّتْ فَاسْتَضَحَكَتْ عَنْ لَالٍ  
دَائِرَاتُ رُوحِهَا أَيْدِينَا      فِي كُتُوسٍ كَانَهُنَّ نَجْمُومٍ  
فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا      طَالَعَاتُ مَعَ السَّقَاةِ عَلِينَا



لو ترى الشَّربَ حولَهَا من بعيد  
وغزال يُدِيرُهَا بينَانِ  
كلما شئتُ عَلَّني بِرُضَابِ  
ذلك عيشٍ، لودَّامَ لي، غيرَ أَنِي  
قلت قوماً من قِرَّةٍ يصطَلُونَا<sup>(١)</sup>  
ناعمتِ يَزِيدُهَا الغَمَزُ لِينَا  
يَتَرَكُ القلبَ للسرورِ قرينَا  
عَفْتُهُ مَكْرَهَا وخِفْتُ الأَمِينَا  
وقال :

أَعَادَلْ أَعْتَيْتُ الإمامَ وأَعْتَبَا  
وقلتُ لساقِيهَا : أَجْزَاهَا فلمْ أَكُنْ  
فجوزَهَا عني سَلَاَفًا تَرَى لها  
إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلَّتَهُ  
تري حَيْثَا كَانَتْ من البيتِ مَشْرِقًا  
يَدُورُ بها رَطْبُ البنانِ تَرى لَهُ  
سَقَامٍ وَمَنَانِي بَعِينِيهِ مُنِيَّةً  
وأعزبت عَمَّا في الضميرِ وأعزبَا  
ليأبى أَمِيرُ المؤمنينِ وأشربَا  
لدى الشَّرَفِ الأعلى شُعَاعًا مُطَنَّبًا  
يُقَبِّلُ في دَاجٍ من الليلِ كوكبَا  
ومالم تكن فيه من البيتِ مَغْرِبَا  
على مستدارِ الخَدِّ صُدْغًا مُعْقَرَبَا  
فكَانَتْ إلى قَلْبِي أَلَدًّا وَأَطْيَبَا

قال الحسين بن الضحَّاك الخليع : أنشدت أبا نواس قولي :  
وشاطرىَّ اللسانِ مَخْتَلَقِ التَّكْرِيمِ شابَّ المَجُونِ بالنَّسُكِ  
فلما بَلَغْتَ فيه :

كَأَنَّمَا نُضِيبَ كَأْسِيهِ قَعْرَهُ يَكْرَعُ في بَعْضِ أَنْجُمِ الْفَلَكَ  
نَعَرَ نَعْرَةً مَنْكَرَةً ، فقلت : مَالِكَ ، فقد رعتني ؟ قال : هذا المعنى أَنَا  
أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ ؛ وَلَكِنْ سَتَرِي لِمَنْ يَرُوى ! ثُمَّ أَنشَدَ بَعْدَ أَيَّامٍ :  
إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلَّتَهُ يُقَبِّلُ في دَاجٍ من الليلِ كوكبَا  
فقلت : هذه مُطَالَبَةٌ<sup>(٢)</sup> يَا أَبَا عَلِيٍّ ! فقال : أَتَظُنُّ أَنَّهُ يَرُوى لَكَ مَعْنَى مَلِيحٍ  
وَأَنَا فِي الْحَيَاةِ ؟

وقال ابن الرومي فكان أحسنَ منهما  
ومَهْجُهُ كَمَلَتْ مَحَاسِنُهُ حَتَّى تَجَاوَزَ مُنِيَّةَ النَّفْسِ

(١) القرة : البرد الشديد ، ويصطلون : يتدفئون بالنار (م) .  
(٢) كذا ، ولعلها «مغالبة» (م) .  
(٩ — زهر الآداب ٢)

تَصْبُو الكؤُسَ إِلَى مَرَاثِفِهِ وَتَضِجُ فِي يَدِهِ مِنَ الْحَبْسِ  
أَبْصَرْتُهَا وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمٍّ مِنْهُ وَبَيْنَ أُنَامِلٍ خَمْسِ  
فَكَأَنَّهُمَا وَكَأَن شَارِبَهَا قَرٌّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ  
وقال أبو الفتح كشاجم :

وسحاب يحرق في الأرض ذَيْلِي مُطْرِفٍ زَرَّةً عَلَى الْأَرْضِ زَرًّا<sup>(١)</sup>  
بَرْقُهُ لَمَحَةٌ ، وَلَكِنْ لَهُ رَعْدٌ بَطِيءٌ يَكْسُو السَّمَاءَ وَقَرًّا  
كَخَلِيٍّ مُنَافِقٍ لِلَّذِي يَهْوَاهُ يَبْكِي جَهْرًا وَيَضْحَكُ سِرًّا  
قَدْ سَقَنِي الْمُدَّامَ فِيهَا فَنَاءً سَحَرْتَنِي وَلَيْسَ تُحْسِنُ سِحْرًا  
فَإِذَا مَا رَأَيْتَهَا تَشْرَبُ الرَّاءَ حَ ارْتَبِي شَمْسًا تُقْبَلُ بَذْرًا  
[ من أخبار بشار ]

وإنما احتذى أبو نواس في هذه الأشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته  
لأمر الأمين مثال بشار بن برد ، وصب على قلبه ؛ وذلك أن بشاراً لما قال :  
لا يُؤَيِّسُنْكَ مِنْ مَحَبَّةٍ قَوْلٌ تَغْلَظُهُ وَإِنْ جَرَحَ  
عُشْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَعَ  
بلغ ذلك المهدي فغاضه ؛ وقال : يَحْرَضُ النِّسَاءَ عَلَى الْفَجْورِ ، وَيَسْتَهْلِ  
السَّبِيلَ إِلَيْهِ ! فَقَالَ لَهُ خَالَهُ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَمِيرِي : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ فَتَنَ  
النِّسَاءَ بِشَعْرِهِ ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ لَا تَصْبُو إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ :

احتذاء  
أبي نواس  
على مثاله

عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْتِي لَهَا هَلْ يُجِيدُ النِّعْتَ مَكْفُوفُ النَّظَرِ  
بِنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثٍ قَسَمْتُ بَيْنَ غَضَنِ وَكَيْبٍ وَقَمَرِ  
دُرَّةٌ بِمَجْرِيَةٍ مَكْنُونَةٍ مَازَهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدَّرَزِ  
أَذْرَتِ الدَّمْعَ وَقَالَتْ : وَيَلْتِي مِنْ وَلُوعِ الْكَفِّ رِغَابَ الْخَطَرِ  
أُمِّي بَدَدَ هَذَا لُعْبِي وَوِشَاحِي حُلَّةٍ حَتَّى انْتَشَرَ

(١) للطرف - بضم اليم وفتح الراء محففة - رداء من أخزله أعلام. (م)

فَدَعَيْنِي مَعَهُ يَا أُمْتِي عَلَّانَا فِي خَلْوَةٍ تَقْضِي الْوَطْرَ  
أَقْبَلْتُ فِي خَلْوَةٍ تَضْرِبُهَا وَاعْتَرَاهَا كَجَنُونٍ مُسْتَعِرٍ  
بَابِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمَعَ عَيْنَ غَسَلِ الْكُحْلِ قَطْرُ  
أَيُّهَا النَّوَامُ هُبُّوا وَنَحْكُمْ وَسَلُّوْنِي الْيَوْمَ مَا طَعَمَ السَّهَرُ  
فَأَمْرُهُ الْمَهْدَى أَلَّا يَتَغَزَلَ ، فَقَالَ أَشْعَارًا فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا :

المهدي يأمر  
بشاراً بترك  
الغزل

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ  
لَمَعْتُ إِلَى تَسْوَمِي ثَوْبَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ  
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ  
أُمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا عَرَضَ الْبَلَاءُ وَمَا ابْتَغَيْتُهُ  
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبِي شَيْئًا أَيْتُهُ  
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَيْبِ إِذَا غَدَوْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ  
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبَرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ <sup>(١)</sup>  
وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهَمَا مَ عَنِ النِّسَاءِ فَمَا عَصَيْتُهُ  
بَلْ قَدْ وَفَيْتُ وَلَمْ أُضِعْ عَهْدًا ، وَلَا رَأْيًا رَأَيْتُهُ

وقال أيضاً :

وَاللَّهِ لَوْلَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا أُعْطِيتُ ضَيْمًا عَلَى فِي شَجَنِ  
قَدَعَشْتُ بَيْنَ النَّدْمَانِ وَالرَّاحِ وَالْأَمْرِ فِي ظِلِّ مَجْلِسِ حَسَنِ  
ثُمَّ نَهَانِي الْمَهْدَى فَانصَرَفْتُ نَفْسِي ، مُصْنَعِ الْمَوْفُقِ اللَّقِينِ

وقال :

أَفْنَيْتُ عَمْرِي وَتَقَضَّى الشَّبَابُ بَيْنَ الْحَمِيَّاءِ وَالْجَوَارِي الْعِذَابُ  
فَالآنَ شَفَعْتُ إِمَامَ الْمُهْدَى وَرَبِّمَا طُبْتُ لِحَبِّ وَطَابُ  
لَهَوْتُ حَتَّى رَاعَنِي دَاعِيَا صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَابُ  
لِيَبْكُ لَبَّيْكَ ! هَجَرْتُ الصَّبَا وَنَامَ عُذَالِي وَمَاتَ الْعِتَابُ

(١) قَلَيْتُهُ : كَرِهْتُهُ ، وَيُقَالُ « قَلَوْتُهُ » أَيْضًا ؛ فَالْفِعْلُ يَأْتِي وَآوَى ( م ) .

أبصرت رُشدِي وتركتُ المنَى      وربما ذلّتْ لهنَّ الرَّقَابُ  
في كلمة طويلة يقول فيها :

يا حامد القول ، ولم يَبْلُهُ      سبقتَ بالسَّيْلَ مَسَاكَ السَّحَابِ<sup>(١)</sup>  
القولُ أَوَّلَى ببناء الفتي      ما جاءه من خطأ أو صَوَاب  
دعْ قولَ واءٍ وانتظرْ فَعَلَهُ      يُثْنِي على اللَّقْحَةِ ما في الحِلَابِ<sup>(٢)</sup>  
إذا غدا المهديُّ في جُنْدِهِ      وراحَ في آلِ الرسولِ الغَضَابِ  
بدأ لك المعروفُ في وجهه      كالظَّلَمِ يَجْرِي في الشَّيَايا العِدَابِ<sup>(٣)</sup>  
ومن شعر بشار في الغزل :

من شعر بشار  
في الغزل

أيها الساقيان صَبَا شَرَابِي      واسقياني من ريقٍ بيضاء رُودِ<sup>(٤)</sup>  
إنَّ دأى الصَّدَى ، وإنَّ شَفَايَ      شَرِبَةٌ من رُضَابٍ تَغْرِ بَرُودِ  
عندها الصبرُ عن لقاءى ، وعندى      زَفَرَاتٌ يا كُنْ قَلْبَ الجَلِيدِ  
ولها مَبْسِمٌ كُفِرَ الأَفَاحِي      وحديثٌ كالوَمْنَى وشيِّ الْبُرُودِ  
نزلتْ في السواد من حبة القلب      ونالت زيادة المستزيد  
ثم قالت : نَلَقَّاكَ بعد لَيَالٍ      والليالي يُبَيِّنُ كلَّ جَدِيدِ  
لا أَبَالِي مَنْ ضَنَّ عَنِي بَوَصْلٍ      إنَّ قَضَى الله منك لى يَوْمَ جُودِ  
وقال :

تُلَقِّ بِتَسْبِيحَةٍ مِنْ حَسَنِ مَا خَلَقْتَ      وتستنزَّ حَشَا الرَّأْيِ يَارْ عَادِ  
كَأَنَّمَا صُوِّرَتْ مِنْ ماءٍ لَوْلُؤَةٍ      فكلُّ جَارِحَةٍ وَجْهٌ بِمِرْصَادِ  
وقال :

وهبتْ له على المسواك رِيْقًا      فطابَ له بطيبِ ثَنِيَّتِكَ

- (١) المساك - بزة السحاب - الموضع الذى يمسك فيه الماء (م)  
(٢) واء ، من الوأى وهو الوعد - واللحمة ، بالكسر ، الناقة الملوب ، والحلاب :  
الوعاء الذى يحلب فيه اللبن ، يريد أن اللبن الذى يكون فى الحلاب يدل على مقدار ما تحلبه  
الناقة ؛ فيكون هو الذى يثنى عليها (م) (٣) الظلم - بالفتح - الريق (م)  
(٤) الرود - بالضم - الناعمة الحسنة (م)

أَقْبَلْهُ عَلَى الذِّكْرِ كَأَنِّي أَقْبَلُ فِيهِ فَالْكَ وَمَقْلَتِكَ<sup>(١)</sup>  
وقال :

لَا أَسْتَطِيعُ الْهَوَىٰ وَهَجَرْتَهَا قَلْبِي ضَعِيفٌ وَقَلْبُهَا حَجَرٌ  
كَأَنَّ وَجْدِي بِهَا وَقَدْ حَجَبَتْ فِي الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَالْحَشَا سُرُورُ  
وَأَنْشَدَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ شِعْرًا أَغْزَلَ مِنْهُ :

زَوَّدِنَا يَا عَبْدَ قَبْلِ الْفِرَاقِ بَتْلَاقٍ ، وَكَيْفَ لِي بِالْتَّلَاقِ<sup>(٢)</sup>  
أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِحْرَ غَيْنِكَ وَأَخْشَىٰ مَصَارِعَ الْعِشَاقِ  
أُمِّي مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ مَوْضِعَ السَّلَكِ فِي طَلَا الْأَعْنَاقِ  
وقال :

لَقَدْ عَشَّتْ أَذْنِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ رَخِيًا ، وَقَلْبِي لِلْمَلِيحَةِ أَغْشَقُ  
وَلَوْ عَايَنُوهَا لَمْ يَلُومُوا عَلَى الْبُكْلِ كَرِيمًا سَقَاهُ الْخَمْرَ بَدْرٌ مُحَلَّقُ  
وَكَيْفَ تَنَاسَى مَنْ كَانَ حَدِيثُهُ بِأَذْنِي وَإِنْ عَنَيْتُ قُرْطُهُ مُعَلَّقُ  
وقال :

وَقَدْ كُنْتُ فِي ذَاكَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى أَزَارُ وَيَدْعُونِي الْهَوَىٰ فَأَزُورُ  
فَإِن فَاتَنِي إِلْفٌ ظَلِمْتُ كَأَنَّمَا يُدِيرُ حَيَاتِي فِي يَدَيْهِ مُدِيرُ  
وَمُرْتَجَّةُ الْأَرْدَافِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا تَمُورُ بِسِحْرِ عَيْنِهَا وَتَدُورُ  
إِذَا نَظَرْتُ صَبَّتْ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَكَادَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَطِيرُ  
خَلُوتُ بِهِ لَا يَخْلُصُ الْمَاءُ بَيْنَنَا إِلَى الصُّبْحِ دُونِي حَاجِبٌ وَسُتُورُ  
ومن هذا أخذ علي بن الجهم قوله :

صَلِّينِي وَحَبْلُ الْوَصْلِ لَمْ يَتَشَعَّبْ وَلَا تَهْجُرِي أَذْنِيكَ بِالْأَمِّ وَالْأَبِ  
رَعَى اللَّهُ دَهْرًا ضَمَّنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ وَأَذْنِي فَوَادًا مِنْ فَوَادٍ مُعَذِّبِ  
لعل بن الجهم

(١) من هنا أخذ ابن زيدون وأبدع وأجاد :

يَدْنِي خِيَالِكَ حِينَ شَطَّ بِهِ النُّوَى وَهَمُّ أَكَادٍ بِهِ أَقْبَلُ فَالْكَ  
(٢) كَذَا ، وَرَبَّمَا كَانَ «مَخْلَقٌ» بِالْحَاءِ مَعْجَمَةٌ : أَيْ مَضْمَنْهُ بِالْخُلُقِ .

عناقا وضماً والتزاماً كأنما يرى جسداً نأ جسم روح مركب  
قَبْتِنَا وإنا لو تَرَاق زَجَاجَةٌ من الخُمُرِ فيما بيننا لم تَسَرَّبْ  
وشعره في هذا المعنى كثير .

من شعر بشار  
ومقداره

وروى أنه قال : أنا أشعرُ الناسِ ؛ لأنَّ لي اثني عشر ألفَ قصيدة ، فلو اختير  
من كل قصيدة بيتٌ لاستندره ، ومن ندرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعرُ الناسِ (١) ؛  
وقد نثرتُ نظمه في أضعاف الكتاب استدعاءً لنشاط القارئ وكرهه في إملاله .  
وكان بشارٌ أرقَّ المحدثين ديباجةً كلام ، وُسِّى أبا المحدثين ؛ لأنه فَتَقَ بهم  
أَكمام المعاني ، ونهَجَ لهم سبيل البديع ، فاتَّبَعوه ؛ وكان ابن الرومي يُقدِّمه ،  
ويزعمُ أنه أشعرُ من تقدَّم وتأخَّر .

ولاؤه

وهو يتعلَّق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،  
ويفتخرُ بالمصرية . قال له المهدي : فيمن تَعَتَّزِي ؟ قال : أمَّا اللسان فعربي ،  
أما الأصل فكما قلت في شعري ! قال : وما قلت ؟ فأَنشدته :

وُبَنِّتُ قومًا لهم إحنةٌ يقولون من ذا وكُنْتُ العَلَمُ  
ألا أيها السائلُ جاهِلًا ليعْرِفَنِي أنا إلفُ الكَرَمِ (٢)  
نَمَتْ في المكارمِ بي عامرٌ فرُوعِي وأصلي قُرَيْشُ العَجَمِ  
وإني لأُغْنِي مقامَ الفتى وأُضِي الفتاةَ فلا تَغْتَصِمِ

البيت الأول من هذه الأبيات ينظرُ إلى قول جميل :

إذا مارأوني طالعاً من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عَرَفُونِي

(١) كان المسيو مرسية أخبرني وأنا في باريس أنه توجد نسخة من ديوان بشار  
عند أحد أدباء تونس ، قلت من يملك تلك النسخة يتفضل بنشرها لأننا في أشد الظمأ  
إلى مجموعة كاملة من شعر بشار الذي عده القدماء إمام شعراء البديع - أقول : قد  
بدأ ينشر هذه النسخة في مصر ، وقد ظهر منها الجزء الأول مطبوعاً طبعاً أنيقاً في  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ( م )

(٢) حفظي «أنا أنف الكرم» ولها وجه وجهه ( م ) .

وفي هذه القصيدة يقول بشار :

وبيضاء يضحكُ ماءُ الشبا      ب في وجهها لك إذ تبتسم  
دوار العذارى إذا زُرْنها      أظفن بحوَرَاءِ مِثْلِ الصَّمِ  
يُرْخَنَ فَيَمَسَحُنَ أركانها      كما يَمَسُحُ الحَجَرَ المَسْتَلِمَ  
أصفراء ليس الفتى صخرةً      ولكنه نُصِبَ هَمٌّ وَغَمٌ  
صَبَبَتْ هَوَاكَ عَلَى قَلْبِهِ      فضاقت وأعلن ما قد كتم

ويقال : إنه مولى لأم الظباء السدوسية ، ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن  
عطاء الغزال رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الأعمى الملحد المشف المكنتى  
بأبى معاذ من يقتله ؟ والله لولا أن الغيلة من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من  
يبيع بطنه في جوف منزله ، ولا يكون إلا سدوسياً ، أو عقيلياً .

شئ من خبر  
واصل بن عطاء  
المعتزلى

وكان واصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا ؛ لأنه كان ألغ في الرأ ، فأسقطها  
من جميع كلامه وخطبه ؛ إذ كان إمام مذهب ، وداعى نحلة ، وكان محتاجاً إلى  
جودة البيان ، وفصاحة اللسان . قال الجاحظ : فانظر كثرة تردد الرأ في  
هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال : الأعمى ، ولم يقل الضير ، وقال : الملحد ، ولم يقل  
الكافر ، وقال : المشف ، ولم يقل المرتث ، وقال : المكنتى : بأبى معاذ ، ولم يقل  
بشاراً ولا ابن برد ، وقال : الغالية ، ولم يقل المغيرة ، ولا المنصورية ، وهم الذين  
أراد ، وقال : لبعثت ، ولم يقل لأرسلت ، وقال : يبيع ، ولم يقل يئقر ، وقال : في جوف  
منزله ، ولم يقل في داره ، وأراد بذلك عقيل وسدوس ما ذكر من اعتزائه إليهم .

\*\*\*

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ؛  
وأنشد له أشعاراً صوب بها رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، منها قوله :  
الأرض مظلمة ، والنار مشرقة      والنار معبودة منذ كانت النار

وقال داود بن رزين : أتينا بشاراً ، فأذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا إلى  
الطعام ، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، ودعا بطشت فبال

بمحضرتنا ، قللنا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها ، قال : ماهي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال : إنما أذنت لتأكلوا ، ولو لم نرد ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له : ودعوت بالطست ونحن حضور ، قال : أنا مكفوف ، وأتم مأمورون بغض الأبصار دوني ، قلنا : وحضرت الصلاة فلم تصل ! قال : الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل :

كيف يبكي لمحبس في طول من سيفضي لحبس يوم طويل  
إن في البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسم دار محيل  
وقال :

ذكرت بها عيشا فقلت لصاحبي : كأن لم يكن ما كان حين يزول  
وما حاجتي لو ساعد الدهر بالمنى كعاب عليها لؤلؤ وشكول  
بدا لي أن الدهر يقدح في الصفا وأن بقائي إن حيت قليل  
فعيش خائفا للموت أو غير خائف على كل نفس للحمام دليل  
خليلك ما قدمت من عمل التقي وليس لأيام المنون خليل

وكان بشار حاضر الجواب ، سجعاً ، خطيباً ، صاحب منشور ومزدوج ورجز ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة ، فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن ربيعة ، فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار فقال : هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال : والله لأننا أرجز منك ومن أيك ! ثم غدا على عقبة من الغد ، فأنشده أرجوزته :

ياطلل الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى  
يقول فيها :

صدت بخد وجلت عن خد ثم انثنت كالنفس المرتد  
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقة من جلدي  
حتى اغتدى غير فقيد فقد وما درى مارغبتي من زهدي

بين بشار  
وعقبة بن ربيعة  
ابن العجاج



وهذا كقول الآخر :

يَدُونَ لو خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ      ولا يَدْفَعُ المَوْتَ النَفُوسُ الشَّحَاحُ  
وفيها يقول :

الحَرَّ يُنَجِّى والعَصَا لِلْعَبْدِ      وليسِ الْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ  
أَسْلَمَ وَحُيِّتَ أبا المِلْدِّ      مفتاحَ بابِ الحُدُثِ المُنْسَدِّ  
والبسِ طِرَازِي غيرَ مُسْتَرَدِّ      لله أَيُّمُكَ في مَعَدِّ

وهي طويلة ، فأجزَلَ صلته ، فلما سمع ابن رُوْبَة ما فيها من الغريب قال :  
أنا وأبي وجدِّي فتحنَّا الغريبَ للناس ، وإني لخليق أن أسدّه عليهم ، فقال  
بشار : ارحمهم رحمك الله ! قال : تستخفّ بي ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟  
قال : إذا أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !  
فضحك كلٌّ من حضر .

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشده قصيدة ، فلما  
أتمّها قال له يزيد : ما صناعتك يا شيخ ؟ قال : أنقُبُ اللؤلؤ ، فقال له المهدي :  
أتهزأ بخلّي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً أعمى  
يُنشِدُ شعراً فيسأله عن صناعته ؟

وقال جَوَارِي المهدي للمهدي : لو أذِنْتَ لبشار يدخلُ إلينا يؤانسنا ويُشِدُّنا  
فهو محبوب البَصَرِ ، لا غيره عليك منه ، وأمره فدخل إليهن واستظرفنه ،  
وقلن له : وددنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا نفارقك ، قال : ونحن على دين  
كسرى (١) ! فأمر المهدي ألا يدخل عليهن .

وكان المتنبي نظر إلى هذا فقال :

يا أختَ معتنِقِ الفِوارِسِ في الوَغَى      لأخوكِ ثمَّ أرقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ  
يَرْتَوُ إِلَيْكَ مع العَفَافِ وعِنْدَهُ      أنَّ المَجُوسَ تصيبُ فيما تَحْكُمُ

(١) كان كسرى مجوسياً يستبيح زواج البنات والأخوات (م) .

## [كلمات مأثورة]

قال علي بن عبيدة الريماني : المودّة تعاطفُ القلوب ، واثتلافُ الأرواح ، وحنين النفوس إلى مثابة السرائر ، والاسترواحُ بالمستكنّات في الغرائز ، ووحشة الأشخاص عند تبايُن اللقاء ، وظاهر السرور بكثرة التزوّار ، وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون اتفاقُ الخصال .

وقال : العتابُ حدائقُ المتحيّين ، وثمارُ الأوداء ، ودليلُ الظنّ ، وحرركات الشّوق ، وراحةُ الواجد ، ولسانُ المُشفق .

قال بعض الكتاب : العتابُ علامةُ الوفاء ، وحاصّةُ الجفاء ، وسلاحُ الأُكفاء .  
وقال علي بن عبيدة : التجنّي رسولُ القطيعة ، وداعى القلبيّ ، وسبب السلو ، وأوّلُ التجافي ، ومنزلُ التهاجر .

وقال : الصدقُ ربيعُ القلب ، وزكاةُ الخلق ، وثمرّةُ المروءة ، وشعاعُ الضمير وعن جلاله القدر عبارته ، وإلى اعتدالِ وزنِ العقل يُنسبُ صاحبه ، وشهادتهُ قاطعةٌ في الاختلاف ، وإليه ترجعُ الحكومات .

وقال : الكذبُ شعارُ الخيانة ، وتحريفُ العلم ، وخواطرُ الزّور ، وتسويلُ أضغاثِ النفس ، واعوجاجُ التركيب ، واختلافُ البنية ، وعن خمولِ الذكر ما يكون صاحبه .

وعلى بن عبيدة كثيرُ الإغارة ، على ما كان غيرُهُ قد استثاره .

## فقر في الكذب لغير واحد

بعض الفلاسفة : الكذّاب والميّتُ سواء ؛ لأن فضيلةَ الحيّ النطقُ ، فإذا لم يُوثّق بكلامه فقد بطلت حياته .

الحسن بن سهل : الكذّاب لِيَصْ ؛ لأن اللصَّ يسرقُ مالَكَ ، والكذّاب يسرقُ عقلَكَ ، ولاتأمنَ مَنْ كذبَ لك أن يكذبَ عليك ، ومن اغتابَ غيرَكَ عندك

فلا تَأْمَنُ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ .

قال إبراهيم بن العباس في هذا النحو .

إِنِّي مَتَى أَحَقِّدُ بِحَقِّكَ لَا أَضُرُّ بِهِ سِوَاكَ  
وَمَتَى أَطْعَمْتُكَ فِي أَخِيكَ أَطْعَمْتُ فَيْكَ غَدًا أَخَاكَ  
حَتَّى أَرَى مُتَقَسِّمًا يَوْمِي لَدَا ، وَغَدًا لَدَاكَ  
حَسَبُ الْكَاذِبِ بِقَلْبِهِ سَقَمًا وَبِقَلْبِهِ خَصَمًا

ابن المعتز : علامة الكذاب جُودُهُ بِالْيَمِينِ لغير مستحلف ، وقال :

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِيْعَادِ مُتَمِّمُهُ

وقال : اجْتَنِبْ مَصَاحِبَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنْ اضْطَرَرْتَ إِلَيْهِ فَلَا تُصَدِّقْهُ ، وَلَا تُعَلِّمِهِ  
أَنَّكَ تَكْذِبُهُ ، فَيَنْتَقِلُ عَنْ وُدِّهِ ، وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْ طَبْعِهِ . يَعْتَرِي حَدِيثَ الْكَذَّابِ  
مِنَ الْاِخْتِلَافِ مَا لَا يَعْتَرِي الْجَبَانَ مِنَ الْارْتِعَادِ عِنْدَ الْحَرْبِ . لَا تَصِحُّ لِلْكَذَّابِ  
رُؤْيَا ؛ لِأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْيَقَظَةِ بِمَا لَمْ يَرَ ، فَتَرِيهِ فِي النَّوْمِ مَا لَا يَكُونُ ، وَأَنْشُدْ :  
لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَاتَتِهِ أَوْ عَادَةِ السُّوءِ ، أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ  
وَأَهْلِ الْعَصْرِ : فَلَنْ تُنْفَعِسَ فِي عَيْبِهِ ، يَكْذِبُ الذَّلِيلُ عَلَى جَنْبِهِ ، يَقُولُ بَهْتًا ،  
وَزُورًا بِحُجَّتَا ، قَدْ مَلَأَ قَلْبُهُ رَيْنًا ، وَقَوْلُهُ مَيِّنًا ؛ يَدِينُ بِالْكَذْبِ مَذْهَبًا ، وَيَسْتَشِيرُ  
الزُّورَ مَرْكَبًا . أَقَاوِيلُ يَتَمَشَّى الزُّورُ فِي مَنَاكِبِهَا ، وَيَبْزُرُ الْبَهْتَانُ فِي مَذَاهِبِهَا .

وقال أعرابي لابنه وسمعه يَكْذِبُ : يَا بَنِي ، عَجِبْتُ مِنْ الْكَذَّابِ الْمُشِيدِ  
بِكُذْبِهِ ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَيْبِهِ ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ ؛ فَلَا تَأْمَنُ لَهُ عَادَةٌ ،  
وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ ، إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يَوْفَقْ ؛ فَهُوَ  
الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفَعَالِهِ ، وَالذَّلَالُ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صَدَقَةٍ  
نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبٍ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ ، فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

حَسَبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَا نَهَ بَعْضُ مَا يَحْكِي عَلَيْهِ  
مَا إِنْ سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ

## [ جزاء الشكر ]

بين الحسن بن سهل  
كتب الحسن بن سهل إلى المأمون ، بعد أن رُفِّت إليه بوران وتوهم القوادُ  
أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من  
تعظيم عبده في قبول أمته شيئاً لا يتسمع له الشكرُ عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين ،  
أدام الله عزّه ، في إخراج توقيعه بزيين حالي في العامة والخاصة ، بما يراه فيه  
صواباً إن شاء الله .

فخرج التوقيع : الحسن بن سهل زماماً على ما جمع أمور الخاصة ، وكنف  
أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاية ، وإليه الخراج والبريد واختيار  
القضاة ، جزاءً بمعرفته بالحال التي قربته منا ، وإثابة لشكره إيانا على ما أولينا .

## [ من خطب النكاح ]

خطبة للمأمون

قال يحيى بن أكرم : أراد المأمون أن يزوجه ابنته من الرضا فقال : يا يحيى ؛  
تكلم ، فأجلبته أن أقول : أنكحت ، ققلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم  
الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال :  
الحمد لله الذي تصاغرَت الأمورُ بمشيئته ، ولا إلهَ إلا هو إقراراً برؤيته ،  
وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد ، فإنَّ الله قد جعل النكاح ديناً ، ورَضِيَهُ حُكْماً ، وأنزله وَحْيًا ؛  
ليكون سببَ المناسبة ؛ ألا وإنِّي قد زوجت ابنة المأمون من عليّ بن موسى ،  
وأ مهرتها بأربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى  
ما درَج إليه السلفُ ، والحمد لله رب العالمين .

قال الأصمعي : كانوا يستحبون من الخاطب إلى الرجل حُرْمَتَهُ الإطالة ؛  
لتدلَّ على الرغبة ، ومن الخطوب إليه الإيجاز ، ليدلَّ على الإجابة .  
وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ؛  
فقال عمر :

ما يستحب  
من الخاطب  
والخطوب  
إليه

الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ؛ أما بعد فإن  
الرجبة منك دعتك إلينا ، والرجبة منا فيك أجابت ، وقد زوجناك على كتاب  
الله : إمسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان .

وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن خطب له ، فاستفتح بحمد الله وأطال ، وصلى  
على النبي عليه السلام وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر  
ذكر القرون حتى صجر من حضر ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما اسمك  
أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك ، وهى طالق إن  
تزوجتها بهذه الخطبة ؛ فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر .

[ الكتب والأقلام والخط ]

وقال ابن المعتز : الكتاب والرج الأبواب ، جرى على الحجاب ، مفهم  
لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجر  
لجيش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفاً ، وينطق  
سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان  
أوفتح نور بستان .

وهذا كقوله فى القاسم بن عبيد الله ، قال الصولى : ما عرض القاسم بن عبيد  
الله ليخلف أباه : قال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فلك يحسرى بما شاء قاسم ويسير  
خاشع فى يديه يلزم قرطاً ساء كما قبل البساط شكور  
وطيف المعنى جليل نحيف وكبير الأفعال وهو صغير  
كم منايا وكم عطايا وكم حثف وعيش تضم تلك الشطور  
نشت بالدجا نهرا فما أدرى أخط فيهن أم تصوير  
هكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى إلى العلاء ويصير  
عظمت منة الإله عليه فهناك الوزير وهو الوزير

وله فى القاسم  
بن عبيد الله

لبعض البلغاء

وقال بعض البلغاء : صورة الخطّ في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

لمتني

وقال أبو الطيب المتنبي :

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَى وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ  
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ أَتَكَادُ بَيُوتُهُ إِذَا كُتِبَتْ يَبْيِضُ مِنْ نُورِهَا الْخَبْرُ

لابن المعتز

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

عَلِمْتُ بِأَعْقَابِ الْأُمُور ، كَأَنَّهُ بِمَخْتَلَسَاتِ الظَّنِّ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى  
إِذَا أَخَذَ الْقِرطَاسَ خِلَتْ يَمِينُهُ يُفْتَحُ نَوْرًا أَوْ يُنْظَمُ جَوْهَرًا

مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم

فَاخِرَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ ، فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا أَقْتُلُ بِلَا غَرَرٍ ،  
وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ ، إِنْ تَمَّ مَرَادُهُ  
وِإِلَّا فَالِإِ السَّيْفِ مَعَادُهُ ؛ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ  
يَبْيِضُ الصَّفَاحُ لَأَسْوَدُ الصَّحَائِفِ فِي مُتَوَسِّهِنَ جَلَاءِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

للمتني

وقال أبو الطيب :

مَا زِلْتُ أَضْحَكُ إِبْنِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ احْتَضَّتْ أَخْفَأُهَا بَدَمٍ  
أَسِيرَهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّمَمِ  
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ  
ا كُتِبَ بَنَاءً أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَجْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

هذا مقلوب من قول علي بن العباس النوبختي ، وقد رواه أبو القاسم الزجاجي

لننوبختي

لابن الرومي ، وإنما وهم لاتفاق الأسمين :

إِنْ يَخْذُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمُ  
فَالْمَوْتُ - وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُغَالِبُهُ - مَا زَالَ يَتَّبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ  
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا - مَذْأَرْهَفَتْ - خَدَمَ

لابن الرومي

وقال ابن الرومي :

لَعَزُوكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ      بِأَخَوْفَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ  
 نَهْ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ      ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ  
 أَدَاةُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِهِ      فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ  
 سِنَانُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ      وَحَدُّ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ  
 أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ      وَفِي الرَّذْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاضِبِ

وقال أبو الفتح البستي :

للبيسقي

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ      وَعَدَّوْهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ  
 كَفَى قَلَمُ الْكِتَابِ تَجْدًا وَرَفْعَةً      مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ  
 وَقَدْ قِيلَ : صَرِيرُ الْأَقْلَامِ ، أَشَدَّ مِنْ صَلِيلِ الْحُسَامِ .

لطلحة بن

عبيد الله

قَالَ الصَّوْلِيُّ : أَنْشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ :  
 وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ      بِأَنَا مَلِيٍّ يَحْمِلُنْ شَخْتًا مُرْهَفًا<sup>(١)</sup>  
 مُتَقَصِّرًا مُتَطَوِّلًا وَمُفَصَّلًا      وَمَوْصِلًا وَمُشْتَتًّا وَمُؤَلَّفًا  
 تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا      وَقَلَّاعَهَا قَلْعًا هُنَالِكَ رُجْفًا  
 كَالْحِيَةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ      يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْفُظًا  
 يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يَمِجُّ لُعَابَهُ      فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُنْقَطًا  
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيُّ :

لمحمود

الأصبهاني

أُخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ      عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ  
 يُذَرِّي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً      يُبْدِي بِهَا السَّرَّ وَمَا يَدْرِي  
 كَمَا شَقَّ أَخْنَى هَوَاهُ وَقَدْ      نَمَتْ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ تَجْرِي  
 تُبْصِرُهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ      عُرْيَانٌ يَكْسُو النَّاسَ أَوْ يُعْرِئُ  
 يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ      أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ

(١) المهارق : الصحائف البيضاء ، واحدها مهرق - بزنة مكرم - والشخت :

الضامر الدقيق من غير هزال (م) .

أُخْرِقَ لَوْلَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ  
كَالْبَحْرِ إِذْ يَجْرِي ، وَكَاللَّيْلِ إِذْ  
يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَمَا يَبْرِي ،  
يَغْشَى ، وَكَالْصَّارِمِ إِذْ يَفْرِي

لأحمد بن جرار

وقال أحمد بن جرار :

أَهْيَفُ مَمْنُوقٌ بِتَحْرِيكِه  
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَدُّهُ  
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ  
كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِثْرِهِ  
يُحَلِّ عَقْدَ السَّرِّ إِعْلَانُ  
مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ  
شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجُحْمَانُ  
ذِيلاً مِنْ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ  
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهَدَى

لأبي تمام

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشْبَاهُ  
لَهُ رِيْقَةُ طُلٍّ وَلَكِنَّ وَقْعَهَا  
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ  
لَهُ الْخِلَاطُ الْوَلَاءُ لَوْلَا نَحْيُهَا  
تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُتْلَى وَالْفَاصِلُ  
بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ  
وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ  
لَمَّا اخْتَلَفَتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ

لتميم بن المعز  
الفاطمي

وقال الأمير تميم بن المعز :

وَذِي عَجَبٍ مِنْ طُولِ صَبْرِي عَلَى الْبُذَى  
يَقُولُونَ : مَا تَشْكُو؟ قُلْتُ : مَتَى شَكَا  
وَإِنْ امْرَأً يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ  
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أُنْتِ  
وَيَمْنَعُنِي الشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ عِلْمُهُ  
سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا ، فَإِنِّي

وقال :

يَا دَهْرُ مَا أَقْسَاكَ مِنْ مَتَلَوْنَ  
أَتَرَوْخَ لِلنَّكْسِ الْجَهْلُ مَهْدًا  
فِي حَالَتِكَ ، وَمَا أَقْلَكَ مُنْصِفًا  
وَعَلَى اللَّيْبِ الْحَرِّ سَيْفًا مُرْهَفًا؟



وَإِذَا صَفَوْتَ كَدَّرْتَ ، شِيْمَةً بِاخْلٍ ، وَإِذَا وَفَيْتَ نَقَضْتَ أَسْبَابَ الْوَفَا  
لَا أَرْضِيكَ ، وَإِنْ كَرَّمْتَ ؟ لِأَنْتَى أَدْرِ بِأَنْكَ لَا تَدُومُ عَلَى الصَّفَا  
زَمَنُ إِذَا أُعْطِيَ اسْتَرَدَّ عَطَاءَهُ وَإِذَا اسْتَقَامَ بَدَّالَهُ فَتَحَرَّفَا  
مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانُ بَشَرِهِ أَوْلَى بِنَا مَا قَلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى

## [ الصدق في النصيحة ]

وكان أحمد بن يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد ، وجرت بينهما هنأت  
بمضرة المأمون ، فقال يوماً بمضرة خاصة أصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد ؛  
فإني أريده لأمرٍ جسيم ؛ وكان قد عزم على تنليده السند مكان بشر بن داود ؛  
فتكلم كل فريق بما عنده في مدحه ؛ فقال أحمد بن يوسف : هو يا أمير المؤمنين  
رجل محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرف به أمر إلا تقدم فيه ، ومهما  
تخوف عليه فإنه إن يأتي أمراً يعقذر منه ؛ لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل ؛  
فجعل لكل خلق نوبة ، إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالته أعجب ؛ أما هذاه  
إليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه ؟

فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه ! قال : لأنى في أمير المؤمنين  
كما قال الشاعر :

كفينا ثمنا لِمَا أَسَدَيْتَ أُنَى نَصِيحَتُكَ فِي الصَّدِيقِ وَفِي عِدَائِي  
وَأُنَى حَسِينِ تَنْدُبُنِي لِأَمْرِ يَكُونُ هَوَاكَ أَغْلَبَ مِنْ هَوَائِي

قال الصولي : وقد روى هذا لغير أحمد ، ولعل أحمد استعاره ؛ فأعجب المأمون  
ذلك منه ، وشكره غسان بن عباد له ، وتأكدت الحال بينهما .

وكان أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم عالي الطبقة من ترجمة أحمد  
في البلاغة ، ولم يكن في زمانه أكتب منه ، وله شعر جيد مرتفع عن أشعار  
الكتاب ، ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد ، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن  
البلاغة

الخلوع محمد بن الرشيد لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى  
 المأمون ؛ فأطالوا ، فقتل طاهر ؛ أريد أخصر من هذا فهو صِفَ له أحمد بن يوسف  
 وموضعه من البلاغة ، فأحضره لذلك ، فكتب : أما بعد فإن كان الخلوعُ  
 قسيمَ أمير المؤمنين في النسب والرحمة ، فقد فرَّق بينهما حكمُ الكتاب في الولاية  
 والخدمة ، بمفارقة عصمة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ؛ لقول الله  
 عز وجل فيما اقتص [ علينا ] من نبي نوح وابنه : ( إنه ليس من أهيك إنه عمل  
 غير صالح ) ، ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في  
 ذات الله ؛ وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق  
 وعُده ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له فيمن ختر  
 عهده ، ونقض عهده ، حتى ردَّ به الألفة بعد فرقتها ، وجمع به الأمة بعد  
 شتاتها ، وأضاء به أعلام الدين بعد دُرويه ؛ وقد بعث إليك بالدينيا وهي رأسُ  
 الخلوع ، وبالأخرة وهي البردة والقضيب ؛ والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه ،  
 الراجع إليه تراث آباءه الراشدين .

وكان أحمد بن أبي خالد كثيراً ما يصف أحمد للمأمون ويحثه عليه ، فأمره  
 المأمون بإحضاره ، فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي  
 استخصك فيما استحفظك من دينه ، وقلدك من خلافته ، بسوانغ نعمه ، وفضائل  
 قسيمه ، وعرفك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرد ، حتى ذل لك ما جعله  
 تكملة لما حبأك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، حمداً نامياً زائدا لا ينقطع  
 أولاه ، ولا ينقضي آخراه ، وأنا أسأل الله يا أمير المؤمنين من إتمام بلائه لديك ،  
 ومنه عليك ، وكفائته ما ولاك واسترعاك ، وتحصين ما حاز لك ، والتمكين  
 من بلاد عدوك ، ما يمنع به بفضة الإسلام ، ويعز بك أهله ، ويبيح بك  
 حبي الشرك ، ويجمع لك متباين الألفة ، وينجز بك في أهل العناد والصلالة  
 وعده ؛ إنه سميع الدعاء ، فعال لما يشاء .

فقال المأمون : أحسنت ، بورك عليك ناطقاً وساكناً ! ثم قال بعد أن  
بلاه واختبره : يا عجبا لأحمد بن يوسف ! كيف استطاع أن يكتُم نفسه !

وكتب إلى المأمون يستجدي لزوجته على بابه : إن داعي نذالك ، ومنادي  
جدة واك ، جعاً ببابك الوُفود ، يرجون نائلك القَتيد ، فمنهم من يمتُ بحُرمة ،  
ومنهم من يُدلي بسالفِ خِدمة ، وقد أضعفَ بهم المقام ؛ فإن رأى أمير المؤمنين  
أن ينصهم بسببه ، ويحقق ظنهم بطوَّله ، فعَل .  
فوقع المأمون في عرض كتابه :

الخيرُ متبع ، وأموالُ الملوك مَطَانٌ لطلابِ الحاجات ؛ فاكتب أسماءهم ،  
وبيِّن مرتبةَ كلِّ واحد منهم ، ليصيرَ إليه على قدرِ استحقاقه ؛ ولا تكدرن  
معروفنا بالمطلِّ والحجاب ؛ فقد قال الشاعر :

فإنك لن تَرى طرُداً مُحرَّراً كالصاقِ بهِ طرفَ الهَوَانِ  
ولم تجلبُ مودَّةَ ذي وفاءٍ بمثلِ الوُدِّ أو بذلِ اللِّسانِ

قال أحمد بن يوسف : أمرني المأمون أن أكتبَ في زيادةِ قناديل شهر  
رمضان ؛ فأعيا عليّ ، ولم أجِد مثلاً أُحتدِي عليه ؛ فبتَ منموماً ، فأتاني آتٍ  
في النوم فقال : اكتب : فإن فيها إضاءةً للمتهجدين ، ونفياً لمكان الرِّيب ،  
وأنساً للسَّابِلة ، وتنزيهاً لبيوت الله من وَحْشةِ الظُّلم ، فأخبرت بذلك المأمون ،  
فاستظرفه ، وأمر أن تمضَى السُّكُتُ عليه .

وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبقَ جَزَعٍ عليه ميل من ذهب ، فيه اسمه  
منقوش ، وكتب إليه :

هذا يوم جَرَتْ فيه العادةُ ، بِالطَّافِ العبيدِ السادةُ ، وقد بعثتُ إلى أمير  
المؤمنين طبقَ جَزَعٍ فيه ميل .

فلما قرأ المأمون الرقعة قال : أ جاءت هديةُ أحمد بن يوسف ؟ قالوا : نعم .  
قال : هي في داري أم داري فيها ؟ فلما رفع المنديل استظرف الهدية واسترجع مَهديها .

وأهدى إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه : الثقة بك قد سهلت  
السبيل إليك ، فأهديت هدية من لا يَحْتَسِمُ إلى من لا يَفْتَنِمُ .  
وكتب إلى بنى سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد  
صلى الله عليه وسلم ، وكتبه بالقرآن ، لنزل فيكم نبي نعمة ، وأنزل فيكم  
قرآن غدر ؛ وما عسيت أن أقول في قوم محاسنهم مساوى الشغل ،  
ومساويهم فضائح الأمم ، وألسنتهم معقولة بالعي ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وهم  
كما قال الشاعر :

لا يكبرون وإن طالت حياتهم ولا تبديد تحازيهم وإن بادوا  
وغنى مَعْنٍ بحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن مُحْسِنًا ، فلم يُنصِتُوا له ، وتحدّثوا  
مع غِنائه ، فغضب المغنى ؛ فقال أحمد بن يوسف : أنت عافاك الله تحمّل الأسماع  
ثقلًا ، والقلوب مللًا ، والأعين قباحة ، والأنف نتانة ، ثم تقول : اسمعوا مني ،  
وأنصتوا إلي ! هذا إذا كانت أفهامنا مقفلة ، وآذاننا صديئة ، فإما رضيت بالعفو  
منا ، وإلا قت مذموماً عنا .

### ألفاظ لأهل المصر في ذم المغنين

يترنم فيُتَعَبُ ولا يُطَرَّب . إذا غنّى غنى ، وإذا أدّى أدّى .  
يميت الطرب ، ويحيى الكرب . ضربه يُوجِبُ ضربه . من عجائب  
غِنائه أنه يُورِدُ الشتاء في الصيف . مارؤى قطّ في دارٍ مرتين . وحضر  
جحظة مجلساً فيه على بن بسام ، ففترق القوم الحادّ ، فقال جحظة : فما لي لم  
تعطوني خدّة ؟ فقال على بن بسام : غنّ فالحدّ كلها إليك تصير ! وفيه يقول  
ابن بسام :

يا مَنْ هَجَوْنَاهُ فغنّانا أنت ، وبيت الله ، أهجانا  
سَيِّئان إن غنى لنا جحظة أومر مجنون فرنانا

وكان خالد يُستَبَرِد ، فبعث بعضُ الظرفاء غلامه يشتري له خمسة أرطال  
ثلج ، فاتاه بخالدٍ وقال : يا مولاي ، طلبت خمسة أرطال ، وهذا خُل !  
وتغنى بحضرة محموم ، فقال : ويحك ! دَعْنَا نَعْرِق !  
وقال بعض المحدثين في قريس المغنى :

ألا فاستقى قدحاً وافراً يُعِينُ عَلَى الْبَلْعِ الْهَائِجِ  
أكلنا قَرِيْسا وغنى قريس فنحنُ على شرف الفالجِ  
ولقى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى في يوم ثلج بالجسر ، فقال : أنت  
المبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعْبُرْ بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا  
وقال ابن عباد الصاحب في مغنٍ يعرف بابن عذاب :  
أقول قولاً بلا احتشام يعقله كلُّ مَنْ يَعِيهِ  
إن عذاب إذا تغنى فإنتى منه في أيـيه

\*\*\*

[ عود إلى أحمد بن يوسف ]

ومن شعر أحمد بن يوسف :  
ضَمِيرٌ وَجَدِيٌّ بَقْلَبٍ صَبٍّ      تَرْجَمَ دَمْعِي بِهِ فَشَاعَا  
فصار دَمْعِي لِسَانٌ وَجَدِيٌّ      ضَمِيعَ سِرِّي بِهِ فَذَاعَا  
لولا دموعي وفَرَطُ حَبِّي      ما كان سِرِّي كذا مُضَاعَا  
وقال :

وعاملٍ بالفجورِ يَأْمُرُ بِالْبِرِّ كِهَادٍ يَخُوضُ فِي الظُّلَمِ  
أو كطبيبٍ قد شَفَّه سَقَمٌ      وَهُوَ يَدَاوِي مِنْ ذَلِكَ السَّقَمِ  
يا واعظُ الناسِ غيرَ مُتَعَطِّ      تَوَبَّكَ طَهْرٌ أَوْ لَا فَلَا تَلَمْ

وقال :

إذا ما التقينا والعيونُ نواظِرَةٌ      فَأَلْسُنُنَا حَرْبٌ وَأَبْصَارُنَا سَلَمٌ

وقال في الجزن :

كثير هموم القلب حتى كأنما      عليه سرور العالمين حرام  
إذا قيل ما أضناك! أسبل دمعهُ      فأخبر ما يلقي وليس كلام

وقال :

كريم له نفسٌ يلينُ بِلينِها      يردع عن سلطانهِ سِنَّ الكبر  
إذا ذكّرته نفسه عظم قدرها      دعاه إلى تسكينها عظم القدر  
ووقع في كتاب رجل يحته على استتمام صنائعه عنده : مستتم الصنعة من  
عدل زينها ، وأقام أودها ، صيانة لمروفه ، ونصرة رأيه ؛ فإن أول المعروف  
مستخف ، وآخره مستثقل ، يكاد أول الصنعة يكون للهوى ، وآخرها للرأى ،  
ولذلك قيل : رب الصنعة أشد من ابتدائها<sup>(١)</sup>.

وكان أبو العتاهية له صديقاً<sup>(٢)</sup> قبل ارتفاع حاله ، فأحس منه في حين وزارته  
تغيراً ، فكتب إليه :

أمنت إذ استغنيت من سورة الفقر      فصرت ترى الإخوان بالنظر الشرير  
أبا جعفر إن الشريف يهينه      تتأيه دون الأخلاء بالوفير  
فإن تهت يوماً بالذي نلت من غنى      فإن غنائى بالتجمل والصبر  
ألم تر أن الفقر يرُجى له الغنى      وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر

وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن  
يوسف أبا العتاهية ، ثم عاد ، فقيل : هو نائم ، فكتب إليه :

لئن عدتُ بعد اليوم إني لظالمٌ      سأصرف وجهي حيث تُبغى المكارمُ  
متى يظفر الغادى إليك بحاجةٍ      ونصفك محبوب ونصفك نائمٌ

(١) الرب : التعهد بالإصلاح .

(٢) في المطبوعات كلها « له صديق » بالرفع ، وليس بشيء (م) .

وقال :

في عداد الموتى وفي ساكني الدنيا أبو جعفر أخى وخليلى  
ميت مات وهو في ورق العنيد من مقيما في ظل عيش ظليل  
لم يميت ميتة الوفاة ، ولكن مات عن كل صالح وجميل  
وخاصم أحمد بن يوسف رجلا بين يدي المأمون ، وكان صفا المأمون إليه <sup>(١)</sup>  
على أحمد ، فظن لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه يستملي من عينيك  
ما يلقاني به ، ويستبين بحركته ما تحنه له <sup>(٢)</sup> ، وبلغ إرادتك أحب إلى من  
بلوغ أمتي ، ولذة إجابتك أمتع عندي من لذة ظفري ؛ وقد تركت له ما نازعني  
فيه ، وسأمت له ما طالبنى به . فاستحسن ذلك المأمون .

ومن كلام أحمد بن يوسف : محالسة البفضاء تُثير الهموم ، وتجلب  
الغوم ، وتؤلم القلب ، وتقذح في النشاط ، وتطوى الانبساط .

### ألفاظ لأهل العصر في صفات الثقلاء

فلان ثقل الطلعة ، بغيض التفصيل والجُملة ، بارد السكون والحركة ؛  
قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال . يحكى  
ثقل الحديث المعاد ، ويمشي في القلوب والأكباد ، ولا أدري كيف لم تحمل  
الأمانة أرض حملته ؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلته ؟ كأن وجهه  
أيام المسائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قرب به فقد الحباب ، وسوء العواقب .  
وكانما وصله عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكانما هجره قوة اللثة ، وريح الجنة .  
يا عجب من جسم كالخيال ، وروح كالجبال . كأنه ثقل الدين ، على جمع  
العين . هو ثقل السكون ، بغيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة . هو  
بين الجفن والعين قذاة ، وبين الأخمص والنعل حصاة . ما هو إلا غداة  
الفراق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلوع الرقيب . ما هو إلا أرباء

(١) صفاه إليه : ميله (م) . (٢) تحنه لى : تكتمه وتخفيه (م) .

لَا تَدُورُ فِي صَفَرٍ ، وَالْكَابُوسُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ، وَأَثْقَلُ مِنْ خَرَّاجٍ بِلا غِلَّةٍ ،  
وَدَوَّاءٍ بِلا عِلَّةٍ ، وَأَبْغَضُ مِنْ مِثْلِ غَيْرِ سَائِرٍ ، وَأَجْمَعُ لِلْعُيُوبِ مِنْ بَغْلَةٍ أَبِي  
دُلَامَةٍ ، وَحِمَارِ طَيَّارٍ ، وَطَيْلِسَانَ ابْنِ حَرْبٍ ، وَأَيْرَ أَبَى حَكِيمَةٍ ، وَأَنْشُدُ :  
مَشَى فِدْعَا مِنْ ثَقْلِهِ الْحَوْتُ رَبَّهُ      وَقَالَ : إِلَهِي زِيدَتِ الْأَرْضُ ثَانِيَهُ <sup>(١)</sup>  
وَأَنْشُدُ :

تَحْمِلُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَضْعَافَ مَا      يَحْمِلُهُ الْحَوْتُ مِنَ الْأَرْضِ <sup>(١)</sup>  
وَأَنْشُدُ :

مُسْتَمِلٌ بِالْبُغْضِ لَا تَنْفَنِي      إِلَيْهِ لَحْظًا مُقْلَةً الرَّامِقِ  
يَظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِدًا      أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقِ  
وَقَالَ الْحَدُونِيُّ :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَ      وَعِلْمِي بِأَنَّكَ لَا تَصْدُقُ  
أَتُبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثَقْلِهَا      وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَا أَحْمَقُ

وَكُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ وَجِئْتَ فَلَمْ أَصِلْ      مَلَأْتُ بَعْدُ مِنْكَ سَمْعَ لَيْبِ  
أَتَيْتُكَ مُشْتَقًّا فَلَمْ أَرِ حَاجِبًا      وَلَا صَاحِبًا إِلَّا بَوَاجِهَ قُطُوبِ  
كَأَنِّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ ، أَوْ كَأَنِّي      طُلُوعٌ رَقِيبٍ أَوْ نَهْوضٌ حَبِيبِ  
وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى يَسْتَقِلُّ جَلِيسًا اسْمُهُ زُبَاعٌ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ  
يَوْمًا : مَا الزُّبُعَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : التَّشَاؤُلُ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى جَلِيسُنَا زُبَاعًا .  
وَقَدْ كَثُرَ النَّاسُ فِي التَّقْلَاءِ ، وَأَنَا أَسْتَحْسِنُ قَوْلَ جِحْظَةٍ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ  
قَدْ تَقَدَّمَ فِي مِثْلِهِ :

(١) إشارة إلى الخرافة التي تزعم أن الأرض يحملها حوت !



يا لفظَةَ الْبَغْيِ بَمَوْتِ الْخَلِيلِ  
يا شَرِبَةَ الْيَارِجِ يَا أَجْرَةَ الدِّ  
يا طَلْعَةَ النَّعْشِ وَيَا مَنْزِلًا  
يا نَهْضَةَ الْحُبُوبِ عَنْ غَضْبَةٍ  
يا كِتَابًا جَاءَ مِنْ مُخْلِيفٍ  
يا بُكْرَةَ الشَّكْلِ إِلَى حُفْرَةٍ  
يا وَثْبَةَ الْخَافِظِ مَسْتَعْجِلًا  
ويا طَيِّبًا قَدْ أَتَى بِأَكْرَأَ  
يا شَوْكَةً فِي قَدَمِ رَخْصَةٍ  
يا عِشْرَةَ الْمَجْذُومِ فِي رَحْلِهِ  
يا رَدَّةَ الْحَاجِبِ عَنْ قَسْوَةٍ  
يا وَقْفَةَ التَّوْدِيعِ بَيْنَ الْحُمُولِ  
مَنْزِلَ يَأْوِجُهُ الْقُدُولِ الثَّقِيلِ  
أَقْفَرُ مِنْ بَعْدِ الْأُنَيْسِ الْخُلُولِ  
يا نِعْمَةً قَدْ آذَنْتُ بِالرَّحِيلِ  
لِلوَعْدِ مَمْلُوءًا بِعَذْرِ طَوِيلِ  
مُسْتَوْدِعٌ فِيهَا عَزِيزُ الشُّكُولِ  
بَصْرُهُ الْقَيْنَاتِ عِنْدَ الْأَصِيلِ  
عَلَى أَخِي سُقْمٌ بِمَاءِ الْبَقُولِ  
لَيْسَ إِلَى إِخْرَاجِهَا مِنْ سَبِيلِ  
ويا صُعودَ السَّعْرِ عِنْدَ الْمُعِيلِ  
وَنَكْسَةً مِنْ بَعْدِ بُرءِ الْعَلِيلِ

\*\*\*

من ترجمة  
جحظة البرمكي  
ومن شعره

وَجَحْظَةُ هَذَا هُوَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُوسَى بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ  
بَرْمَكٍ ، وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُقَلَّةِ الْوَزِيرِ : سَأَلْتُ جَحْظَةَ مَنْ لَقَّبَهُ بِهَذَا  
اللقب ؟ فقال : ابنُ المعتزِّ ، لَقِيتُ يَوْمًا ، فقال لي : ما حيوان إنْ نَكَّسُوهُ أَنَا أَنَا آلَةُ  
الْمُعْرَاكِبِ الْبَحْرِيَّةِ ، فَقُلْتُ : عَلَقٌ ، إِذَا نُكَّسَ صَارَ قِلْعًا ، قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا جَحْظَةُ ؛  
فَلَزِمَنِي هَذَا اللَّقْبُ ، وَكَانَ نَاتِي الْعَيْنَيْنِ جَدًّا ، قَبِيحَ الْوَجْهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

نَبْتُ جَحْظَةَ يَسْتَعِيرُ جُحُوطَهُ  
مِنْ فِيلٍ شَطْرَ نَجْدٍ وَمِنْ سِرْطَانٍ  
يَارِحَتِي لِمُنَادِيهِ تَحَمَّـاوا  
أَلَمَ الْعَيُوفِ لِلذَّةِ الْأَذَانِ

وَكَانَ طَيِّبَ الْغَنَاءِ ، مَمْتَدَّ النَّفْسِ ، حَسَنَ الْمَسْمُوعِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ثَقِيلَ الْيَدِ  
فِي الضَّرْبِ ؛ وَكَانَ خُلُوَ النَّادِرَةِ ، كَثِيرَ الْحِكَايَةِ ، صَالِحَ الشُّعْرِ ؛ وَلَا تَزَالُ تَنْدَرِلُهُ  
لَأَيَّاتِ الْجَيِّدَةِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

جَانِبَتِ أَطْيَبَ لَذَّتِي وَشَرَابِي  
وَهَجَرَتْ بَعْدَكَ عَامِدًا أَصْحَابِي

فإذا كتبتُ لسكى أَرْزَه نَظَرِي  
إِن كُنتِ تَتَكَرَّرِ لَتِي وَتَذَلِّي  
فَانْظُرْ إِلَى بَدَنِي الَّذِي مَوَّهَتْهُ  
وَقَالَ :

وإذا جفاني صَاحِبٌ  
وَتَرَكْتُهُ مِثْلَ الْقُبُورِ  
لَمْ أُسْتَجِزْ مَا عِشْتُ قَطْعَةً  
رَأَزُورَهَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ  
وَقَالَ :

صَاقَتْ عَلَى وَجْهِهِ الرَّأْيَ فِي نَفَرٍ  
أَقْلَبَ الطَّرْفَ تَصْعِيداً وَمَنْعَدراً  
يَلْقَوْنَ بِالْجُحْدِ وَالْكَفَرَانِ إِحْسَانِي  
فَمَا أَقَابِلَ إِنْسَانًا يَأْسَانِي  
وَقَالَ :

لَقَدْ مَاتَ إِخْوَانِي الصَّالِحُونَ  
إِذَا أَقْبَلَ الصَّبْحُ وَلَّى السَّرُورُ  
فَمَا لِي صَدِيقٌ وَمَالِي عَمَادُ  
وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَلَّى الرِّقَادُ  
وَقَالَ يَهْجُو رَجُلًا :

لَا تَعْذِلُونِي إِنْ هَجَرْتُ طَعَامَهُ  
فَمَتَى أَكَلْتُ قَتْلَهُ مِنْ بَخْلِهِ  
خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنَ الْمَأْكُولِ  
وَمَتَى قَتَلْتُ قَتْلَتِ بِالْمَقْتُولِ

وَمِنْ حِكَايَاتِهِ مَا حَدَّثَنِي خَالِدُ السَّكَاتِبُ قَالَ : جَاءَنِي يَوْمًا رَسُولُ إِبْرَاهِيمَ  
ابْنِ الْمُهَدِي، فَصُرْتُ إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَسْوَدَ عَلَى فُرْشٍ قَدْ غَاصَ فِيهَا، فَاسْتَجَلَسَنِي  
وَقَالَ : أَنَشَدَنِي مِنْ شِعْرِكَ، فَأَنَشَدْتُهُ :

رَأْتُ مِنْهُ عَيْنِي مُنْظَرَيْنِ كَمَا رَأْتُ  
عَشِيَّةَ حَيَّانِي بَوْرَدَ كَأَنَّهُ  
مِنْ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ عَلَى الْأَرْضِ  
خُدُودُ أَضِيغَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ  
وَنَازَعَنِي كَأَسَا كَانَ حَبَابُهَا  
وَرَاحٌ وَفِعْلُ الرَّاحِ فِي حَرَكَاتِهِ  
دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مَقْلَتِي عُغْضِي  
كَفَعَلِ نَسِيمِ الرِّيحِ بِالْفُضْنِ الْفُضِّ

فرحف حتى صار في ثلثي الفرش ، وقال : يا غنى ، شبهوا الحدود بالورد ،  
وأنت شبهت الورد بالحدود ، زدني فأشدته :

عائبتُ نفسي في هوا      لك فلم أجدها تقبلُ  
وأطعتُ داعيتها إليك فلم أطع من يعذُلُ  
لا والذي جعل الوجو      هـ الحسن وجهك تمثُلُ  
لا قلتُ إن الصبر غفك من التصابي أجملُ

فرحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لي : زدني ، فأشدته :

عشْ فحبيبك سريعا فأتلي      والضنى إن لم تصلني وأصلي  
ظفر الحب بقلب دنف      فيك والسقم بجسم ناحل  
فهما بين اكتباب وضنى      تركاني كالتضيب الذابل  
وبكى العاذل لي من رحمة      فبكائي لبكاء الماذل

ففرط بآ وقال : يا يلبق ؛ كم معك لنفقتنا ؟ قال : ثمانمائة وخمسون دينارا .

قال : أقسمها بيني وبين خالد ، فدفع إلى نصفها

وأشد جحظة أو غيره ولم يسم قائله :

لا يبعد الله إخوانا لنا سلفوا      أفناهم حدتان الدهر والأبد  
نمدهم كل يوم من بقيتنا      ولا يؤوب إلينا منهم أحد

[ السكاكين ]

وكان أحمد بن يوسف جالسا بين يدي المأمون ، فسأل المأمون عن السكاكين  
فناولته أحمد السكاكين ، وقد أمسك بنصائبها ، وأشار إليه بالحد ، فنظر إليه المأمون  
نظرا منكرا ؛ فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر على أخذ النصاب ؛ وإشارتي إليه  
بالحد ؛ وإنما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه ، فعجب المأمون من  
سرعة فطنته ، ولطيف جوابه .

بين المأمون  
وأحمد بن  
يوسف

وقال بعضُ الكتاب : السكينُ مسُّ الأَقلامِ يشحذها إذا كَلت ، ويَصْقُلُها إذا نَبَتْ ، ويُطَلِّقُها إذا وقفت ، ويلبِّسُها إذا شَعِثَتْ ، وأَحْسَنُها ما عَرُضَ صَدْرُهُ ، وأَزْهَفُ حَدُّهُ ، ولم يَفْصَلْ على القَبْضَةِ نِصَابَهُ .

وقال أبو الفتح كشاجم يرثى سكيناً سُرقت له :

يا قاتل الله كتابَ الدواوين	ما يستحلُّونَ من أخذِ السكاكينِ
لقد دهاني لطيفٌ منهم ختلٌ	في ذاتِ حَدٍّ كحدِّ السيفِ مَسْنُونِ
فاقترتْ بعدَ عُمرانٍ بموقعها	منها دِواءُ فتى بالكتبِ مَفْتُونِ
تبكى على مُدَيَّةٍ أودى الزمانُ بها	كانت على جائرِ الأَقلامِ تُعَدِّينِ
كانت تقدِّمُ أَقلامِي وتَنَحَّتها	نَحْتاً وتسَخِطُها بَرِّيًّا فترضيني
وأضحك الطرس والقرطاس عن حللٍ	ينوب للعين من نورِ البساتينِ
فإن قَشَرْتَ بها سوداء من صُحُفِي	عادت كبعضِ خدودِ الخُرَدِ العِينِ
جزعُ النصابِ لطيفاتِ شعائرها	محسَّاتِ بأصنافِ التَّحاسِينِ
هيفاءُ مُرْهَفَةٍ يبيضا مذهبَةً	قال الإلهُ لها سبحانه : كُوفِي
لكن مِقطِيَّ أُنسى شامتاً جَدِلاً	وكان في ذِلَّةٍ منها وفي هُونِ
فَصِينِ حتى يُضاهي في صيانتِهِ	جَاهِي لَصُونِيهِ عَمَّنْ لا يَدَانِي
ولستُ عنها بِسألٍ ماحِيَةٍ ، ولا	بواجِدٍ عِوَضاً منها يُسَلِّينِ
ولو يَرُدُّ فِدَاءً ما فِجِعْتُ بِهِ	منها فديناه بالدينِ والدينِ

ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين

سكينٌ كأنَّ القدرَ ساقطها ، أو الأجلُ سابقها ، مُرْهَفَةُ الصَّدْرِ ، مُخَطَّطَةٌ الخَضِرُ ، يحولُ عليها فِرْد العِتْقُ ، ويموج فيها ماء الجَوْهرِ ؛ كأنَّ النيةَ تبرق من حدِّها ، والأجلُ يَلْمَعُ من مَتْنِها ، رَكِبَتْ في نِصابِ آبنوس ، كأنَّ الخَدَقَ فُضِّصَتْ

عليه صَبَغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبَ كَسْتَهُ لِبَاسَهَا . أَخَذَهَا حديدَهَا النَّاصِحَ بِحِطَّةٍ مِنْ  
الْروم ، وَضَرَبَ لَهَا نَصَابَهَا الْحَالِكِ بِسَهْمٍ مِنَ الزَّيْجِ ، فَكَانَهَا لَيْلٌ مِنْ تَحْتِ نَهَارٍ ،  
أَوْ مَجَرَّ أَبْدَى سَنَا نَارٍ ، ذَاتَ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٍ قَاضٍ . سَكِينِ ذَاتِ مَنَسَرٍ  
بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرٍ هَوَائِيٍّ ، وَنِصَابٍ زَنْجِيٍّ ، إِنْ أَرْضِيَتْ أَوْلَتْ مَتْنًا كَالدَّهَانِ ، وَإِنْ  
أَسْخِطَتْ انْتَقَتْ بِنَابِ الْأَفْعَوَانِ . سَكِينِ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ ،  
تَفْعَلُ فِعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ ، وَأَنْفَذُ مِنَ  
الْقَدَرِ الْمُتَّاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ السَّيْفِ الْحُسَامِ ، وَأَلْعُ مِنَ الْبَرْقِ فِي الْغَمَامِ . جَمَعَتْ  
حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَّمَ الْمَخْزِرَ ، وَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرَ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهَا عِتْقُ  
الْجَوْهَرِ إِلَى إِمْنَاءِ الْحَجَرِ <sup>(١)</sup>

### [ السَّمَرُ وَالْمَنَادِمَةُ ]

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مَا زِلْنَا فِي سَمَرٍ نَصِلُ فُصُولَهُ بِتَشْوِيقِكَ ،  
قَيْدُ هَبِ ذِكْرِكَ مَلَلِ السَّامِرِ ، وَنَعْسَةِ السَّاهِرِ . فَقَالَ الْقَاسِمُ : مِثْلُكَ ذِكْرُ صَدِيقِهِ  
فَاطِرَاهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ ، وَلَوْ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي كُنْتُ أَحَدَكُمْ ، مُسْرُورًا بِمَا بِهِ  
سُرُورَتِي ، مُفِيضًا فِيمَا فِيهِ أَفْضَتِي .

قال بعضُ الظُّرَفَاءِ : شَرَطُ الْمَنَادِمَةِ قِلَّةُ اخْتِلَافٍ ، وَالْعَامِلَةُ بِالْإِنْصَافِ ، شَرَطُ الْمَنَادِمَةِ  
وَالْمَسَاحَةُ فِي الشَّرَابِ ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ، وَإِدْمَانُ الرِّضَا ، وَاطِّرَاحُ مَا مَعْنَى ،  
وَإِسْقَاطُ التَّحِيَّاتِ ، وَاجْتِنَابُ اقْتِرَاحِ الْأَصْوَاتِ ، وَأَكْلُ مَا حَضَرَ ، وَإِحْضَارُ  
مَا تَبَسَّرَ ، وَسَمَرُ الْعَيْنِيبِ ، وَحِفْظُ الْغَيْبِ .

وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوى في قوله :

حَقُوقُ الْكَاسِ وَالنَّدَمَانُ خَمْسٌ فَأَوَّلُهَا التَّزْيِينُ بِالْوَقَارِ  
وِثَانِيهَا مَسَامَحَةُ النَّدَامَى فَكَمْ حَمَتِ السَّامِحَةُ مِنْ ذِمَارِ  
وِثَالِهَا ، وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَحْتَدًا ، تَرَكْتُ الْفَخَارَ

(١) إِمْنَاءُ : مُصَدَّرٌ «أَمْيى السَّالِحِ» أَيْ أَحَدِهِ ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى الْحَجَرِ مِنْ إِضَافَةِ  
الْمُصَدَّرِ لِفَاعِلِهِ ، وَالْحَجَرُ : أَرَادَ بِهِ الْمَنَسْنَ : (م)

وربما ولله دمان حق سوى حق القراة والجرار  
 إذا حدثته فلا كس الحديث الذي حدثته توب اختصار  
 فما حث التبيذ بمثل حسن الأغاني والأحاديث القصار  
 وخامسة يدل بها أخوها على كرم الطبيعة والتجار  
 حديث الأمس نساء جميعاً فإن الدثب فيه للعقار  
 ومن حكمت كاسك فيه فاحكم له بإقالة عند العتار  
 وقال حسان بن ثابت :

نوليها الملامة إن أئمتنا إذا ما كان مفت أو حلالاً<sup>(١)</sup>

بين اليزيدي والمأمون وشرب اليزيدي عند المأمون فلما أخذت منه الكأس أقبل يعتز عليه بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ؛ فلما أفاق من سُكره عُرِف ماجرى ، فليس أ كفانه ، ووقف بين يدي المأمون فأنشده :

أنا المذنبُ الخطاءُ والعفوُ واسعٌ      ولو لم يكن ذنبٌ لما عُرِفُ العفوُ  
 تملتُ فأبدتُ مني الكأسُ بعضَ ما      كرهت وما إن يستوى السُّكرُ والصَّخوُ  
 ولا سيما إن كنتُ عند خليفة      وفي مجلسٍ ما إن يجوز به اللغوُ  
 فإن تعفُ عني ألفَ خطيٍ واسعاً      وإلا يكن عفوُ قد قصر الخطوُ  
 فقال المأمون : لا تريبَ عليك ، فالبيذُ بساطٌ يطوى بما عليه .

بين كوران والشريف وشرب كوران المغنى عند الشريف الرضى ، فافتقد ردأه ، وزعم أنه سُرِق . فقال له الشريف : ويحك ! مَنْ تَتهم منا ؟ أما علمت أن البيذُ بساطٌ يطوى بما عليه ؟ قال : انشروا هذا البساط حتى آخذَ ردأى واطووه إلى يوم القيامة !  
 بين أحمد بن جدار وعمر ابن أيوب وكان أبو جعفر أحمد بن جدار كاتب العباس بن أحمد بن طولون ينقل أخبار أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون على الشراب إلى العباس ، فصار إليه أبو حفص فقال : يا أبا جعفر ؛ إنما مجلس المدام مجلس حرمة ، وداعية أنس ،

(١) المغث : الشر والقتال ، واللحاء : الملاحاة ، وهو قول ما يلام عليه

ومسرح لبانة ، ومذاذهم ، ومزاج لهُو ، ومعهده سرور ، وإنما توسطته عند من  
لا يشهم غيبه ، ولا يخشى عتبه ، وقد اتصل بي ما تنهيه إلى أميرنا أبي الفضل  
أعز الله أمره ، من أخبار مجالستي ، فلا تفعل ، وأنشده :

ولقد قلت للأخلاء يوماً      قول ساع بالنصح لوسمعه  
إنما مجلس المدام بساطٌ      للمودات بينهم وضعوه  
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا      من نعيم ولفقه رفعوه  
وهم أخرياه ، إن كان منهم      حافظٌ ، ما أتوه أن يمنعه

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه .

وأنشد أبو حفص :

كم من أخ أوجست منه سجيةً      فأنست بعد وداده برفاقه  
لم أحمده الأيام منه خليقةً      فتركته مستمتعاً بخلاقه

عول أبو حفص في أكثر كلامه على نقل كلام أبي العباس الناشيء في

الشراب ، والأبيات التي أنشد أولاً له .

أبو القاسم صاحب : قدماً حلت أوزار الشكر ، على ظهور الخمر ،  
وطوى بساط الشراب ، على مافيه من خطأ أو صواب . متابعة العقار ، تعذر في  
خلع العذار ، وتغنى عن الاعتذار . متابعة الأبطال ، تبطل سورة الأبطال ،  
وتدع الشيوخ كالأطفال .

كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى بعض الجلة يستدعيه :  
من إسحاق  
الموصلي إلى  
بعض الجلة  
يومنا يومٌ كين الحواشي ، وطوى النواحي ؛ وماؤنا قد أقبلت ، ورعدت بالغدير  
وبرقت ، وأنت قطب السرور ، ونظام الأمور ؛ فلا تُفردنا فنقل ، ولا تنفرد  
عنا فنذل .

وكتب بعض أهل العصر - وهو السري الموصلي - إلى أخ له يستدعيه إلى

مؤانسته :

للسرى الموصلى

خِلَالَكَ، مَا اخْتَلَّ الصَّدِيقُ، سَحَابُ  
وَأَنْتَ شَقِيقُ الرُّوحِ تُؤَثِّرُ وَصَلَهَا  
وَنَحْنُ خِلَالُ الْقَصْفِ وَالْعَرْفِ نَجْتَى  
وَعِنْدَى لَكَ الرِّيحَانِ زَيْنَ بَسَاطُهُ  
وَجَيْشُ كَمَا انْجَرَّتْ ذُيُولُ غَلَّارِلِ  
وَقَدْ أُطْلِقَتْ فِيهِ الشَّمَائِلُ، وَانْتَشَتْ  
وَحَافِظَةُ مَاءِ الْحَيَاةِ لِفَتْيَةٍ  
نَسَرَّ بِهَا أَخْفَى اللِّبَاسِ، وَإِنَّمَا  
عَلَى جَسَدٍ مِثْلِ الزَّبَرْجَدِ لَمْ تَزَلْ  
إِذَا اسْتَوْدَعْتَ حُرَّ اللِّجَيْنِ سِبَائِكَ  
وَفَوْقَ رُيُوسِ الْقَوْمِ غَيْمٌ مَعْلَقٌ  
بِوَارِقِهِ حَمْرُ الْكُتُوسِ وَرَعْدُهُ  
وَلَا عَائِقُ يَنْثِنِي عِنَانُكَ عَنْ هَوَى  
فَبَادِرٍ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ صَافٍ مِنَ الْقَدَى،

وقال ابن المعتز

لابن المعتز

لَا شَيْءَ يُسَلِّي هَمِّي سِوَى قَدَحٍ  
فِي غَيْمٍ نَدَى زُرْجِي سَحَابُهُ

تَدْمِي عَلَيْهِ أَوْ دَاجٍ لِزُرْجِي  
بَرَقَ ابْتِسَامٌ وَرَعْدٌ نَصْفِيقٍ

وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طيلا :

للحسن بن محمد  
الكاتب

يَا حَبْدًا يَوْمَنَا نَلْهُو بِمَلْهِيَةٍ  
قَدْ شَدَّ هَذَا إِلَى هَذَا كَأَنَّهُمَا  
نَظَلُّ نَلْظُمُ خَدْيِهِ إِذَا ضَرَبَتْ  
فَقَسَمُ الصَّوْتِ مِنْهُ حِينَ تَضَرُّبُهُ

تُلْهِى بِشَيْءٍ لَهُ رَأْسَانٍ فِي جَسَدٍ  
مِنْ شِدَّةِ الشَّدِّ مَقْرُونَانِ فِي صَفَدٍ (١)  
بِكُلِّ طَاقَتِهَا لَطْمًا بِلَا حَرَدٍ (٢)  
كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَا ضَعَى أَسَدٍ

(١) الصفد — بفتح الصاد والفاء جميعا — القيد والوثاق (م)

(٢) الحرد — بفتح الحاء والراء جميعا — الغضب (م)



## ومن ألقاظهم في الاستدعاء

نحن في مجلسٍ قد أبت راحه أن تصفو لنا أو تتناولها يُمنَّاك ، وأقسم غناؤه  
لا طاب أو تعيه أذناك ، فأما خدودُ نارنجيه فقد احمرَّت خجلاً لإبطائك ، وعيون  
نرجسه قد حدقتْ تأميراً للقائك ، فبحياتي عليك إلا تعجَّلت ، وما تمَّهلت .  
نحن بغيبتك كعقد تغيت واسطته ، وشبابٍ قد أخلفت جدته ؛ وإذ قد  
غابت شمسُ السماء عنا ، فلا بد أن تدنو الأرض منا . أنت من ينتظم به شمل  
الطرب ، وبلقائه يُبلغ كلُّ أرب . طرُّ إلينا طيران السهم ، واطلع علينا  
طلوع النجم . ثب إلينا وثوب الغزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ، في غرة  
شوال . كن إلينا أسرع من السهم إلى ممره ، والماء إلى مقره . جشم إلينا  
قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد ،  
وتحصل قُرْبك في جنة الخلد ، وتسهم لنا في قرْبك الذي هو قوت النفس ،  
ومادة الأُنس .

## ولهم في استدعاء الشراب

قد تألف لي شملُ إخوانٍ كاد يفترق لعوز المشروب ، واعتدنا فضلك  
للمهود ، ووردنا بحرك المورد ، وأنا ومن ساحن الدهر بزيارته من إخواني  
وأوليانك وقوفٌ بحيث يقفُ بنا اختيارك من النشاط والفتور ، ويرتضيه لنا  
إيثارك من الهمم والسرور ، والأمرُ في ذلك إليك ، والاعتمادُ في جمع شمل  
السررة عليك ؛ فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنين بك فعلت . ألفت  
المن موقعا ، وأجلها في النفوس موعداً ، ماعمر أوطان السررة ، وطرده عوارض  
الهمم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة . قد انتظمت في رُقعة لي في سبط  
الثرى ، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام عُدنا كبناات نعش ، والسلام .  
فرايك في إرواء غلتنا بما ينفعها ، والطول على جماعتنا بما يجمعها .

## ولهم في الكناية عن الشراب

قد نَشِطَ لتناول ما يستمد البِشْرَ ، ويشرح الصَّدْر . قد استمطر سحابة  
الأنس ، واستدرَّ حُلُوبَ السرور ، وقَدَحَ زَنْدَ اللهو ، فهو يَمْرِي دِمَاءَ العناقيد ،  
ويَقْصِدُ عروقَ الدُّنَانِ ، وَيَنْظُمُ عَهْدَ النَّدْمَانِ .

من الحسن  
بن سهل إلى  
الحسن بن  
وهب  
كتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبغ في يوم دجن لم  
يمطر : أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده ،  
كأنه قول كثير :

وإني وَهَيَّيْ بِعِزَّةٍ بعدما تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ  
لكالمِ تَجِي ظِلَّ الغمامَةِ ، كلما تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضمحلَّتِ

وما أَصْبَحْتَ أُمْنِيَّتِي إِلَّا فِي لِقَائِكَ ، فليت حِجَابَ النَّأْيِ هُتِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ !  
رُفِعَتِي هذه وقد دارت زجاجاتٌ أَوْقَعْتُ بِعَقْلِي ولم تَتَحَيَّفْهُ ، وبعثت نشاطا  
حرَّ كُنِيَ للكتاب ؛ فرأيتك في إمطارى سرورا بشارٍ خَبَّرَكَ ؛ إذ حُرِمْتَ السرور  
بمطر هذا اليوم ، موقفا إن شاء الله .

من الحسن  
بن وهب إلى  
الحسن بن  
سهل .  
وكتب الحسن بن وهب : وصل كتابُ الأمير أبيده الله وقبى طاعِمُ  
ويدي عامِلَةٌ ؛ ولذلك تأخر الجوابُ قليلا ، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا اليوم  
وإساءته ، وما استوجب ذنبا استحق به دَمًا ؛ لأنه إذا أَشْمَسَ حَكِي حُسْنُكَ  
وضيائك ، وإن أمطر حكي جودك وسخاءك ، وإن غام أشبه ظِلُّكَ وفِنَاءُكَ ،  
وسؤالُ الأمير عني نعمةٌ من نعم الله عزَّ وجلَّ أعفَى بها آثارَ الزمان السيء عندى ؛  
وأنا كما يُحِبُّ الأميرُ صرفَ الله الحوادث عنه ، وعن حَظِّي منه .

وذمَّ رجلٌ رجلا فقال : دعواته ولأثم ، وأقدأخه يحاجم ، وكثوسه  
مخابر ، ونوادره بواذر .

للكشاجم  
وقال أبو الفتح كشاجم : كان عندى بعض المجان من النيذيين ، فسمعى

وَأَنَا أَحَدُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي وَسْطِ الطَّعَامِ لَشَيْءٍ خَطِرٍ بِيَالِي مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُحْصَى، فَهَضَّ وَقَالَ: أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا إِنْ عَاوَدْتُ! وَمَا مَعْنَى التَّحْمِيدِ هُنَا؟ كَأَنَّكَ تُعَلِّمُنَا أَنَا قَدْ شَبِعْنَا. ثُمَّ مَالَ إِلَى الدَّوَاةِ وَالْقِرْطَاسِ، وَكَتَبَ ارْتِجَالًا:

وَحَمْدُ اللَّهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَوَّلَى الطَّعَامِ  
لَأَنَّكَ تُحْسِنُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ  
وَتُؤَذِّنُهُمْ، وَمَا شَبِعُوا، بِشَبْعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

وَكُتِبَ الْمُرِيحِيُّ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ وَقَدْ تَرَكَ النَّبِذَ:

إِنْ كُنْتُ تُبَيِّنُ عَنْ الصَّهْبَاءِ تَشْرِبُهَا نُسْكَأُ فَمَا تُبَيِّنُ عَنْ بَرٍّ وَإِحْسَانٍ  
تُبَيِّنُ رَاشِدًا، وَاسْقِنَا مِنْهَا، وَإِنْ عَذَلُوا فِيمَا فَعَلْتُ ثَقُلَ مَا تَابَ إِخْوَانِي

وَقَالَ بَعْضُ النَّبِذِيِّينَ، وَقَدْ تَرَكَ الشَّرْبَ:

تَحَامُونِي لِتَرْكِي شَرْبَ رَاحٍ أَقَمْتُ مَكَانَهَا الْمَاءَ الْقَرَّاحَا  
وَمَا انْفَرَدُوا بِهَا دُونِي لِفَضْلِ إِذَا مَا كُنْتُ أَكْثَرَهُمْ مِرَاحَا  
وَأَرْفَعَهُمْ عَلَى وَتَرٍ وَصَنَجٍ وَأُطْرَفُهُمْ وَأُطْرَفُهُمْ مَزَاحَا  
إِذَا شَقُوا الْجُيُوبَ شَقَقْتُ جَنَبِي وَإِنْ صَاحُوا عَلَوْتُهُمْ صِيَاحَا

### فَقَرُّ لِلنَّبِذِيِّينَ

مَا جُمِشَتْ الدُّنْيَا بِأُظْرَفٍ مِنَ النَّبِذِ، مَا لِلْعُقَارِ وَالْوَقَارِ. إِنَّمَا الْعِيشُ مَعَ  
الطَّيِّشِ، الرَّاحُ تَرِيقُ سَمِّ الْهَمِّ. النَّبِذُ سَتَرٌ فَانْظُرْ مَعَ مَنْ تَهْتَكُهُ. اشْرَبِ  
النَّبِذَ مَا اسْتَبَشَعْتَهُ، فَإِذَا اسْتَطَبَّتْهُ فَدَعَهُ. لَوْلَا أَنَّ الْخُمُورَ يَعْلَمُ قِصَّتَهُ لَقَدَّمَ وَصِيَّتَهُ.  
الصَّاحِي بَيْنَ السَّكَارَى كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى: يَضْحَكُ مِنْ عَقْلِهِمْ، وَيَأْكُلُ مِنْ  
قَلْبِهِمْ. أَحَقُّ مَا يَكُونُ السَّكَرَانُ إِذَا تَعَاوَلَا، التَّبَذُّلُ عَلَى النَّبِذِ ظَرْفٌ،  
وَالْوَقَارُ عَايَهُ سُخْفٌ، حَدَّ السَّكَرَانِ أَنْ تَغْرُبَ الْهَمُومُ، وَيُظْهِرَ  
السَّرَّ الْمَكْتُومُ.

وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما أَ نَصَقْتَهَا ، تَفَحَّكْتَ  
فِي وَجْهِكَ ، وَتَعَبَسَ فِي وَجْهِهَا .

وقال الطائي :

إِذَا ذَاقَهَا ، وَهِيَ الْحَيَاةُ ، رَأَيْتَهُ يُعَبِّسُ تَعْبِيسَ الْمَقْدَمِ لِلْقَتْلِ

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال :

وَأَنْ أَقْطَبَ وَجْهِي حِينَ تَبَسُّمِي فَعِنْدَ بَسْطِ لَوَالِي يَحْفَظُ الْأَدَبُ  
وَتَرَكْتُ رَجُلَ النَّبِيذِ ، قَقِيلَ لَهُ : لَمْ تَرَكَتَهُ ، وَهُوَ رَسُولُ السَّرُورِ إِلَى الْقَلْبِ ؟  
قال : وَلَكِنَّ رَسُولَ بَاسٍ يُبْعَثُ إِلَى الْجَوْفِ فَيَذْهَبُ إِلَى الرَّأْسِ .

وقيل لبعضهم : مَا أَصَبَكَ بِالْخَمْرِ ! فقال : إِنِّهَا تُسْرِجُ فِي يَدَيَّ بَنُورَهَا ، وَفِي قَلْبِي بَسْرُورَهَا  
كَأَنَّ النَّاشِءَ نَظَرَ إِيَّيَ هَذَا الْكَلَامِ فَقَالَ :

رَاحٌ إِذَا عَلَتْ الْأَكْفَ كَثُوبُهَا فَكَأَنَّهَا مِنْ دُونِهَا فِي الرَّاحِ (١)  
وَكَأَنَّهَا الْكَاسَاتُ مِمَّا حَوْلَهَا مِنْ نَوْرِهَا يَسْبِخُنَ فِي ضَخْضَاحِ (٢)  
لَوْ بُثَّ فِي غَسَقِ الظَّلَامِ ضِيَاؤُهَا طَلَعَ الْمَسَاءُ بَغْرَةً الْإِصْبَاحِ  
نَفَضَتْ عَلَى الْأَجْسَامِ نَاصِعَ لَوْنِهَا وَسَرَتْ بِلَذَّتِهَا إِلَى الْأَرْوَاحِ  
الْبَيْتُ الْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

يُخْفِي الزَّجَاجَةُ ضَوْءُهَا ، فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنْاءِ (٣)  
وَلِلنَّاشِءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَمُدَامَةً يَخْفَى النَّهَارُ لِنُورِهَا وَتَذَلُّ أَكْنَافُ الدُّجَا لَضِيئِهَا  
صُبَّتْ وَأُخْذِقَ نَوْرُهَا بِزُجَاجِهَا فَكَأَنَّهَا جُعِلَتْ إِنْاءٌ إِنْاءُهَا  
وَتَرَى إِذَا صُبَّتْ بَدَتْ فِي كَاسِهَا مِتْقَاصِرَ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا  
وَتَكَادُ أَنْ مُزِجَتْ لِرَقَّةِ لَوْنِهَا تَمْتَازُ عِنْدَ مَزَاجِهَا مِنْ مَائِهَا  
صَفراءُ تُضْجِي الشَّمْسُ ، إِنْ قِيسَتْ بِهَا فِي ضَوْئِهَا ، كَاللَّيْلِ ، فِي أَضْوَائِهَا

(١) الرّاح ، هنا : الكف ( م ) . (٢) الضحضاح : الماء القليل ( م ) .

(٣) الذي في الديوان « يخفي الزجاجه لونها » ( م ) .

وَإِذَا تَصَفَّحَتْ الْهَوَاءُ رَأَيْتَهُ      كَدِرَ الْأَدِيمَةِ عِنْدَ حُسْنِ صِفَائِهَا  
تَزْدَادُ مِنَ كَرَمِ الطَّبَاعِ بَقْدَرِ مَا      نُودِيَ بِهِ الْأَيَّامُ مِنْ أَجْزَائِهَا  
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ تَوَلَّدَ بِرُءُوسِهَا      مِنْ سُقْمِهَا ، وَدَوَائِهَا مِنْ دَائِهَا  
وقال :

إِنْ رُمْتَ وَصَفَ الرِّاحِ فَأَتِ بِمَا      فِيهَا مِنَ الْأَوْصَافِ مِنْ قُرْبِ  
هِيَ مَاءٌ يَاقُوتٍ ، وَإِنْ مُزِجْتَ      فِي كَأْسِهَا بِالْبَارِدِ الْقَذْبِ  
فِكَائِهَا وَحَبَابُهَا ذَهَبٌ      كَلَّمَتْهُ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ  
ولأهل العصر : الدنيا معشوقة ريقها الراح . أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي في صاعد بن مخلد :

فَتَى هَاجَرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رِيْقَهَا      وَهَلْ رِيْقُهَا إِلَّا الرِّحِيقُ الْمَوْرَدُ  
وَلَوْ طَمِعْتَ فِي عَطْفِهِ وَوَصَالِهِ      أَبَاحَتْهُ مِنْهَا مَرَشَفًا لَا يُصَرَّدُ  
الخمر أشبه شيءًا بالدنيا ؛ لاجتماع الذات والمرارة فيها . الخمر مصباح السرور ، ولكنها مفتاح الشرور . لكل شيء سرٌّ ، وسرُّ الراح السرور . لا يطيب المدام الصافي ، إلا مع النديم المصافي .

ومن ألفاظهم في صفات مجالس الأنس وآلات اللهو وذكر الخمر  
مَجْلِسٌ رَاحُهُ يَاقُوتٌ ، وَنَوْرُهُ وَرْدٌ ، وَنَارُ نَجْمِهِ ذَهَبٌ ، وَنَرِجْسُهُ دِينَارٌ وَدَرَمٌ ،  
يَحْمِلُهُمَا زَبَرْجَدٌ . عندنا أترُج كانه من خَلْقِكَ خُلِقَ ، وَمِنْ شَمَائِلِكَ <sup>(١)</sup> سُرِقَ ،  
وَنَارِجِ كَكَرَاتٍ مِنْ سَفَنٍ ذَهَبَتْ <sup>(٢)</sup> ، أَوْنَدَى أَبْكَارٍ خُلِقَتْ . مجلس أخذت  
فيه الأوتار تتجاوب ، والأقداح تتناوب . أعلام الأنس خاققة ، والسُّن الملائه

(١) الشائل : السجاي والطباع ، واحدها شمال (م) .

(٢) سفن : جلد سمك خشن يسفن به الخشب حتى تذهب عنه آثار المبراة ،

شبه ما يسمى اليوم « سفرة » (م) .

ناطقة . ونحن بين بدور ، وكاسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح . قد  
نشأت غمامة الند ، على بساط الورد . مجلس قد فتحت فيه عيون النرجس ،  
وقاحت مجامير الأترج ، وفتقت فأرات النارج ، ونطقت ألسن العيدان ،  
وقامت خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، وطلعت كواكب الندمان ،  
وامتدت سماء الند . مجلس من رآه حسب الجنان قد اضطفت عيونها ، فجعلت  
في قدر من الأرض ، وتختيرت فصوصها ، فتقلت إلى مجلس الأنس واللهو .  
قد فض اللهو ختامه ، ونشر الأنس أعلامه . قد هبت للأنس ريح برقها الراح ،  
وسحبها الأقداح ، ورعوها الأوتار ، ورياضها الأقمار . قد فرغنا للهو والدهر  
عنا في شغل .

جُلُّ هذا من قول بعض أهل العصر :

كم جوى مثله رسمٌ مثل ودِّم قد طلَّ أثناء طَلَل  
ولال كلل الخلد بها لعب البين بربات الكلل  
حبذا عيش الليالي باللوى لو تجافى الدهر عنا وغفل  
إذ فرغنا فيه للهو وقد باتت الأقدارُ عنا في شغل  
وأدركنا ذهباً في لهب كلما أخمِدَ بالماء اشتغل

قد اقعدنا غارب الأنس ، وجرينا في ميدان اللهو . عمدنا إلى أقداح  
اللهو فأجلناها ، ولما ركب السرور فامتطيناها . قد امتطينا غوارب  
السرور بالأقداح . مُدَامَةُ ثورِ دريح الورد ، وتحكي نَارَ إبراهيم في  
اللون والبزد ، ولست أدرى أشقى أم عقيق ، أم رحيق أم حريق . راح  
كان الديوك صبَّت أحداقها فيها . راح كأنما اشتقت من الرّوح والراحة .

قال ابن الرومي :

والله ما ندرى لاية علة يدعونها في الراح باسم الراح  
ألريحها أم روحها تحث الحشى أم لارتياح نديمها المزناح

راحٌ كالنار والنور والنور ، أَضْفَى من البَلُور ، ومن دَمَعِ المهجور . روح  
نورها من الكأس جسم ، كأنها شمسٌ في غِلَالَةِ سَرَابٍ . شرابٌ أكادُ أقولُ :  
هو أَضْفَى من مودَّتِي لك ، ومن نعمِ اللهِ عندِي فيكَ ، وَأَطْيَبُ من إسعافِ  
الزمانِ بلقائِكَ . مُدَامَةَ قد سبكِ الدهرُ تَبَرُّها فصفاً . دَأَسُ كأنها نورٌ ضميرُهُ  
نارٌ . راح كياقوتة في دُرَّةٍ ، أَضْفَى من ماءِ السماء ، ودَمَعِ العاشقةِ المرَّهَاءِ <sup>(١)</sup> ،  
أحسن من الدنيا المُقْبِلَةِ ، والنعمِ المكَمَلَةِ . أحسن من العافية في البدنِ ، وأطيب  
من الحياة في السرور . أرق من نسيمِ الصَّبَا ، وعَهْدِ الصَّبَا . أرق من دَمَعِ  
محبٍّ ، وشَكْوَى صَبٍّ . أرق من دموعِ العشاقِ ، مرَّتْها لَوَعَةُ الفراقِ .  
مُزْجَ نارُ الرِّاحِ بنورِ الماءِ . راحٌ كأنها معصورة من وَجَنَةِ الشمسِ ، في  
كَأْسٍ كأنها مخروطة من فِلَقَةِ البَذْرِ . كأسها مِلءُ اليدِ ، ويريحها مِلءُ البَلَدِ ،  
تصبُّ على الليلِ ثَوْبَ النهارِ ، كأنها في الكأسِ معنى دقيق في ذَهْنٍ لطيف .  
كَأَنَّ الرِّاحَ من خَدِّهِ معصورة ، وملاحَةُ الصورةِ عليها مقصورة . وهذا من  
قول الطائي \* كأنها من خَدِّهِ تُعْصَرُ \* وقال عبد السلام بن رَغْبَانِ الملقب  
بديك الجن الشاعر المشهور :

مَعْتَقَةٌ مِنْ كَفِّ ظَنِّي كَأَنَّمَا تَنَاولَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا  
تَمَشَّتِ الصَّهْبَاءُ فِي عِظَامِهِمْ ، وَتَرَقَّتْ إِلَى هَامِهِمْ ، وَمَاسَتْ فِي أَعْطَافِهِمْ ،  
وَمَالَتْ بِأَطْرَافِهِمْ . سَارَتْ فِيهِمُ الْكُثُوسُ ، وَنَالَتْ مِنْهُمْ سُورَةُ الْخُنْدَرِيسِ <sup>(٢)</sup> .  
شَرِبَتْ عُقُولَهُمْ ، وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ .

وقال أبو نُوَاس ، وهو أستاذ الناس في هذا الشأن :

صِفَةُ الطَّوْلِ بِلَاغَةُ الْقَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَا بِنَةَ الْكَرِيمِ  
تَصِفُ الطَّلُولَ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا أَفْذُو الْعِيَانِ كِتَابَتِ الْعِلْمِ

(١) مرهاء : بيضاء . (٢) الخندريس ، والصهباء : من أسماء الخمر .

وإذا وصفت الشيء متبعا لم تخل من غلط ومن وهم

وقال :

الكأس أهواها وإن رزأت  
صفراء مجدها مراريتها  
ذخرت لآدم قبل خلقته  
فأعذر أخاك فإنه رجل

وقال :

فتسليت بشرب عفار  
فتناساها الجديدان حتى  
وافترعنا مرة الطعم بها  
واحتسنا من رحيق عتيق  
لم يحفها مبرزل القوم حتى  
أو كعرق السام تنشق منه

وقال :

وخدين لذات مغلل صاحب  
قال: أبلغني المصباح، قلت له: أتد  
فنسكت منها في الزجاجة شربة  
وهذا كقوله :

يقتات منه فكاهة ومزاحا  
حسبي وحسبك ضوءها مصباحا  
كانت له حتى الصباح صباحا

وقلنا قد تعين من السفر (٢)  
كمخمور شكا ألم الخمار  
وجفن الليل مكتحل بقار

(١) بلغ المعاش : مواد الرزق، واحدها بلغة ، بالضم (م) .

(٢) القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية ، يريد ألقى عنده عصا السفر ،

وفي الديوان « حططت عليه » وفيه « قدونين » (م) .



فقلت له : تَرَفَّقْ بِي ؛ فَإِنِّي  
فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ : كَلَّا  
وَقَامَ إِلَى الدَّانِ فَسَدَّ فَاهَا  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

مَا زَالَ يَشْرِبُهَا وَتُشْرَبُ عَقْلُهُ  
حَتَّى انْتَنَى مُتَوَسِّدًا بِيَمِينِهِ  
وَقَالَ الصُّنُوبَرِيُّ وَذَكَرَ شَرْبًا<sup>(١)</sup> :

نَازَعْتُهُمْ كَأْسًا تَخَالُ نَسِيمَهَا  
شَقَّتْ قِنَاعَ الْفَجْرِ لَمَّا غَادَرَتْ  
صَبَغَتْ سَوَادَ دُجَاهُ حَمْرَةَ لَوْنِهَا  
وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ :

وَكَأْسٌ كَسَا السَّاقِ لَنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ  
كَأَنَّ أَطْرَادَ الْمَاءِ فِي جَنَابَتِهَا  
سَقَانِي بِهَا ، وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ ،  
وَقَالَ أَبُو عَدَى الْكَاتِبُ :

لَيْسَ لَهَا حَدٌّ تُحِيطُ بِوَصْفِهِ  
وَلَكِنَّهُ كَالْبَرْقِ أَوْ مَضٍ مَاضِيًا  
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقِنِيهَا قَدْ سَمَيْتُ الصَّبْحَ فِي الدُّجَى  
فَنَاولْنِي كَأْسًا أَضَاءَتْ بَنَانُهُ  
وَلَمَّا أَرَيْنَاهَا الْمَزَاجَ تَسَعَّرَتْ

رَأَيْتُ الصَّبْحَ مِنْ خَلَلِ الدِّيَارِ  
وَمَا صَبَحَ سِوَى ضَوْءِ الْمُقَارِ  
فَعَادَ اللَّيْلُ مُسْدُولَ الْإِزَارِ

خَبَلًا ، وَتُوْذِنُ رُوحَهُ بِرَوَاحِ  
سَكْرًا ، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ لِلرَّاحِ

مِنْكَ تَضَوُّعَ فِي الْإِنَاءِ عَتِيقًا  
كَفُّ النَّدِيمِ قِنَاعَهَا مَشْقُوقًا  
فَكَأَنَّهُ سَبَجٌ أُعِيدَ عَقِيقًا

حَوَاشِيهَا مَا مِجَّ مِنْ رِيْقَةِ الْعِنَبِ  
تَرْبُعُ مَاءِ الدَّرِّ فِي سُبُكِ الدَّهَبِ  
غَزَالٌ بِحَنَاءِ الزَّجَاجَةِ مَخْتَضِبٌ

لِفَاتٍ ، وَلَا جِسْمٌ يَبَاشِرُهُ لَمْسُ  
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ مَا تَذْكُرُ النَّفْسُ

عُقَارًا كَمَثَلِ النَّارِ حَمْرَاءَ قَرَفَا  
تَدْفُقُ يَاقُوتًا وَدُرًّا مُجَوَّفَا  
وَحَاتِ سَنَاهَا بَارِقًا قَدْ تَكْشَفَا

يطوف بها ظنبي من الإنس شادين      يقلب طرفاً فاسقاً اللحظ مدنفاً  
 عليم بأسرار الحبين حاذق      بتسليم عينيه إذا ما تخوفاً  
 فظل يناجيني يُقلّب طرفه      بأطيب من نجوى الأمانى والألفاظ  
 وقال :

ألا عَجُّ على دار السرور فسلم      وقل : أين لذاتي وأين تكلمي؟  
 وقل : ما حلت بالعين بعدك لذة      سواك ، وإن لم تلعلى ذاك فاعلى  
 وصفراء من صبيغ العزاج برأسها ،      إذا مزجت ، إكليل دُرٍّ منظم  
 قطعت بها عمر الدُّجى وشربتها      ظلامية الأحشاء نورية الدَّم

[ من رسائل بديع الزمان الهمداني ]

كتب أبو الفضل بديع الزمان إلى أبي عدنان بن محمد الضبي<sup>(١)</sup> يعزيه عن

بعض أقاربه :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ      حوادثه أناخَ باخرينا  
 فقل للشامتين بنا أفيقوا      سيلقى الشامتون كما لقينا

أحسن ما في الدهر عمومُه بالنوائب ، وخصوصه بالרגائب ، فهو يدعو  
 الجفلى<sup>(٢)</sup> إذا شاء ، ويخصُّ بالنعمة إذا شاء ، فليفكر الشامت ؛ فإن كان أفلت ، فله  
 أن يشمت ، ولينظر الإنسان في الدهر وضروفه ، والموت وصنوفه ، من فاتحة أمره ،  
 إلى خاتمة عمره ؛ هل يجد لنفسه ، أثراً في نفسه ؟ أم لتديره ، عوناً على تصويره ،  
 أم لعمله ، تقديماً لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؛ كلا ، بل هو العبد لم يكن شيئاً  
 مذكوراً ؛ خلق مقهوراً ، ورزق مقدوراً ، فهو يحياً جبراً ، ويهلك صبراً ،  
 وليتأمل المرء كيف كان قبلاً ؛ فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم

(١) الذي في الرسائل (ص ٢١٢ بيروت) « إلى أبي عامر عدنان بن عامر

الضبي » وفي العبارات قليل من الاختلاف عما هنا (م) .

(٢) الجفلى - بفتح الجيم والفاء واللام - الدعوة العامة التي لا يخص بها واحد

دون آخر ، والدعوة الخاصة يقال لها « النقرى » بفتحات أيضا (م) .

تتمت  
 إلى أبي عدنان  
 محمد الضبي

الموتِ عَدْلًا ؛ فالعاقل من رَقَعَ من جوانب الدهر ماساء بما سرّ، ليذهب ما نَفَعَ بما ضرّ ؛ فإن أحبَّ ألاَّ يحزن فليُنظرَ يَمَنَةً ، هل يرى إلاَّ مِحْنَةً ، ثم ليعطف بِسَرَةٍ ، هل يرى إلاَّ حَمْرَةً ؟ ومثلُ الشيخ الرئيس - أطال الله بقاءه ! - من فِطْنٍ لهذه الأسرار ، وعَرَفٍ لهذه الديار ، فأعدَّ لنعيمها صَدْرًا لا يملؤه فرحًا ، ولبؤسها قَلْبًا لا يطيره تَرَحًا ؛ وصحب البريةَ برأى من يعلم أنَّ للمتعة حدًّا ، وللعاريةَ رَدًّا ، ولقد نُعيَ إلى أبو قبيصة قدس الله رُوحه ، وبرّد ضريحه ، فعُرِضت على آمالي قُعودا ، وأمانى سوداً ، وبكيت ، والسخى جودُهُ بما يملك ، وضحكت ، وشرّ الشدائد ما يَصْجِحُك ، وعضضت الأصبع حتى أدْمَيْتُهُ ، وذمت الموت حتى تَمَنَيْتُهُ ؛ والموتُ أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خُطْبُ قد عَظُمَ حتى هان ، وأمر قد خسن حتى لَانَ ، ونُكِرَ قد عَمَّ حتى عادَ عُرْفًا ؛ والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت أخفَّ خطوبها ، وقد خبثت حتى صار أقلَّ عيوبها ، ولعل هذا السهم قد صاب آخر ما في كِنائتها ، وأنكأ ما في خزانها ، ونحنُ معاشِرَ التَّيَمِّعِ نتعلمُ الأدبَ من أخلاقه ، والجَمِيلَ من أفعاله ، فلا نَحْتَمِ على الجليل وهو الصبر ، ولا نرغبُ في الجزيل وهو الأجر ؛ فَليَرَّ فيهما رأيُه إن شاء الله .

كتاب منه  
لبعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهنّيه بمرض أبي بكر الخوارزمي وكانت بينهما مُقَارَعَةٌ ، ومنازعة ، ومنافرة ، ومهاترة ؛ ولها مجالس مستظرفة قهره البدیعُ فيها وبهره ، وبكته حتى أَسْكَتَهُ ، ليس هذا موضعها ، لكنني أذكرُ بعد هذه الرسالة بعضَ مكاتبات جرتَ بينهما ؛ إذ كان ما لهما من الابتداء والجواب آخذاً بوصلِ الحِكمةِ وفَضْلِ الخطابِ :

الحرُّ أطال الله بقاءك - لا سيما إذا عرف الدهرَ معرفتي ، ووصف أحواله صفتي - إذا نظر علم أنَّ نَعَمَ الدَّهْرِ ما دامت معدومة فهي أمانى ، وإن وُجِدَتْ فهي عَوَارِي ، وأنَّ مَحَنَ الأيامِ وإن طالَت فستنفد ، وإن لم تُصَبَّ فكانت قد ، فكيف يشمت بِالْمِحْنَةِ مَنْ لا يَأْمَنُها في نَفْسِهِ ، ولا يَعْدُمُها في جَنَسِهِ ، والشامت

إِنْ أَفْلَتَ فَلَيْسَ يَفُوتُ ، وَإِنْ لَمْ يَمُتْ فَسَيَمُوتُ ؛ وَمَا أَفْبَحَ الشَّمَاتَةِ ، بَيْنَ أَمِنْ  
 الْإِمَامَةِ ، فَكَيْفَ بَيْنَ يَتَوَقَّعُهَا بَعْدَ كُلِّ لَحْظَةٍ ، وَعَقِبَ كُلِّ لَفْظَةٍ ، وَالذَّهْرُ  
 غَرْنَانُ طَعْمُهُ الْخِيَارُ<sup>(١)</sup> ، وَظَمَانُ شِرْبُهُ الْأَحْرَارُ ، فَهَلْ يَشْمَتُ الْمَرْءُ بِأَنْيَابِ آكِلِهِ ،  
 أَمْ يُسَرُّ الْعَاقِلُ بِسِلَاحِ قَاتِلِهِ ؟ وَهَذَا الْفَاضِلُ شَفَاهُ اللَّهُ وَإِنْ ظَاهِرُنَاهُ بِالْعِدَاوَةِ قَلِيلًا ،  
 فَقَدْ بَاطَنَاهُ وَدًّا جَمِيلًا ، وَالْحَرْءُ عِنْدَ الْحَيَّةِ لَا يَصْطَادُ ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْكَرِّ يَنْقَادُ ،  
 وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ ، فَلَا تَتَصَوَّرُ حَالَتِي إِلَّا بِصُورَتِهَا مِنْ التَّوَجُّعِ  
 لَعَلَّتِي ، وَالتَّحْزُنِ لِمَرْضَتِي ، وَقَاهُ وَاللَّهُ الْمَكْرُوهَ ، وَوَقَانِي سَمَاعَ الْحَذُورِ فِيهِ ، بِمَنْتِهِ  
 وَجَوْلِهِ ، وَلُطْفِهِ وَطَوْلِهِ .

قال البديع في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي :

أُولَاهَا أَنَا وَطِئْنَا خُرَّاسَانَ ، فَمَا اخْتَرْنَا إِلَّا نِيسَابُورَ دَارًا ، وَإِلَّا جَوَارَ السَّادَةِ  
 جَوَارًا ، لَا جَرَمَ أَنَا حَطَطْنَا بِهَا الرِّخْلَ ، وَمَدَدْنَا عَلَيْهَا الطُّنْبَ ، وَقَدِيمَا كُنَا  
 نَسْمَعُ بِحَدِيثِ هَذَا الْفَاضِلِ فَنَتَشَوَّقُهُ ، وَبِخَبْرِهِ عَلَى الْغَيْبِ فَنَتَعَشِّقُهُ ، وَنَقْدَرُ أَنَا  
 إِذَا وَطِئْنَا أَرْضَهُ ، وَوَرَدْنَا بِلَدَهُ ، يَخْرُجُ لَنَا فِي الْعِشْرِ عَنِ الْقِشْرِ ، وَفِي الْمَوَدَّةِ  
 عَنِ الْجِلْدَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ كَلِمَةُ الْغُرْبَةِ جَمْعَتَنَا ، وَلُحْمَةُ الْأَدَبِ نَظَمَتَنَا ، وَقَدْ قَالَ  
 شَاعِرُ الْقَوْمِ غَيْرِ مَدَافِعٍ<sup>(٢)</sup> :

أَجَارَتَنَا إِنَّا غُرَبَاءُ هَاهُنَا      وَكُلُّ غُرَبٍ لِلْغُرَبِ نَسِيبُ

فَاخْتَلَفَ ذَلِكَ الظَّنَّ كُلَّ الْإِخْلَافِ ، وَاخْتَلَفَ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ كُلَّ الْاِخْتِلَافِ ،  
 وَكَانَ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْنَا فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْعَرَبِ اتِّفَاقٌ ، لَمْ يَوْجِبْهُ اسْتِحْقَاقٌ ، مِنْ بَزَّةٍ  
 بَزْوَاهَا ، وَفِضَّةٍ فَضْوَاهَا ، وَذَهَبٍ ذَهَبُوهَا ، وَوَرَدْنَا نِيسَابُورَ بَرَاحَةٍ ، أَنْتَقَى مِنْ

(١) غرنان : جوعان ، والطعم : المطعوم (م).

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي (م).

الراحة ، وَكَبَسِ أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ<sup>(١)</sup> ، وَزَى أَوْحَشَ مِنْ طَلْعَةِ الْمَعْلَمِ ، بِلِ  
اطْلَاعَةِ الرِّقِيبِ ، فَمَا حَلَلْنَا إِلَّا قِصْبَةَ جَوَارِهِ ، وَلَا وَطِنًا إِلَّا عَتَبَةَ دَارِهِ ؛ وَهَذَا  
بَعْدَ رُقْعَةٍ قَدَّمَانَهَا ، وَأَحْوَالِ أَنْسِ نَظَمْنَاهَا -

ونسخة الرقعة : أَنَا بِقُرْبِ الْأَسْتَاذِ أَطَالُ اللَّهُ بِقَاهُ كَمَا طَرِبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ  
بِهِ الْحُمْرُ ، وَمِنْ الْارْتِيَاكِ لِلْقَائِهِ كَمَا تَنْفُضُ الْعُصْفُورُ بِلِلَّةِ الْقَطْرِ ، وَمِنْ الْاِمْتِزَاجِ بُولَانِهِ  
كَمَا التَّقَّتِ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ ، وَمِنْ الْاِبْتِهَاجِ لِمَزَارِهِ كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ  
الْغُصْنُ الرَّطْبُ ، فَكَيْفَ نَشَاطُ الْأَسْتَاذِ سِيدِي لِصَدِيقِ طَرَأُ إِلَيْهِ مِمَّا بَيْنَ  
قَصَبَتِي الْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ ، بَلِ عَتَبَتِي نَيْسَابُورَ وَجَرَجَانَ ؟ وَكَيْفَ اهْتَزَّازَهُ لِضَيْفِ :  
رَثَ الشَّمَائِلِ مُخْلَقِ الْأَنْوَابِ بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُغِيرَةُ الْأَعْرَابِ  
وَهُوَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ ! - وَلِيَّ إِنْعَامِهِ ، بِإِنْفَازِ غُلَامِهِ ، إِلَى مُسْتَقَرِّي ، لِأَفْضَى إِلَيْهِ  
بِمَا عِنْدِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -

فَلَمَّا أَخَذْتَنَا عَيْنُهُ سَقَانَا الدَّرْدِيَّ مِنْ أَوَّلِ دَنَةِ ، وَأَجْنَانَا سُوءَ  
الْعِشْرَةِ مِنْ بَا كُورَةِ فَتَنِهِ ، مِنْ طَرَفِ نَظَرِ بَشْطَرِهِ ، وَقِيَامِ دَفْعِ فِي صَدْرِهِ ،  
وَصَدِيقِ اسْتِهَانِ بِقَدْرِهِ ، وَضَيْفِ اسْتِخْفَافِ بِأَمْرِهِ ؛ لَكِنَّا أَقْطَعْنَاهُ جَانِبَ  
أَخْلَاقِهِ ، وَوَلَّيْنَاهُ خُطَّةَ نِفَاقِهِ ؛ فَوَاصِلْنَاهُ إِذْ جَانَبَ ، وَقَارِبْنَاهُ إِذْ جَاذَبَ ،  
وَشَرِبْنَاهُ عَلَى كُدُورَتِهِ ، وَلَبَسْنَاهُ عَلَى خُشُونَتِهِ ، وَرَدَدْنَا الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ إِلَى زِيَّ  
اسْتِغْنَاهُ ، وَلِبَاسِ اسْتِرْثَاهُ ، وَكَاتِبْنَاهُ نَسْمِدُ وَدَادَهُ ، وَنَسْتَلِينَ قِيَادَهُ ، وَنُقِيمُ مُنَادَاهُ ،  
بِمَا هَذِهِ نَسَخْتُهُ :

الْأَسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ ، وَاللَّهُ يُطِيلُ بَقَاءَهُ ، أَرْزَى بِضَيْفِهِ أَنْ وَجَدَهُ يَضْرِبُ إِلَيْهِ  
أَبَاطَ الْقِلَّةِ ، فِي أَطَارِ الْغُرْبَةِ ، فَأَعْمَلَ فِي رُتْبَتِهِ أَعْمَالَ الْمَصَارِفَةِ ، وَفِي الْاِهْتَزَازِ  
إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمِضَاقَةِ ، مِنْ إِمَاءِ بِنِصْفِ الطَّرْفِ ، وَإِشَارَةِ بَشْطَرِ الْكَفِّ ،

(١) الْحِمَارُ هُنَا يُقَالُ : هُوَ الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ ، وَخَلُو جَوْفِهِ كُنْيَاةً عَنْ كَوْنِهِ لَا  
يَنْتَفِعُ مِنْهُ بِشَيْءٍ ، وَقِيلَ : الْحِمَارُ رَجُلٌ مِنْ عَادَ ، وَجَوْفُهُ : وَادُكَانَ يَحْمِلُهُ وَكَانَ ذَا مَاءٍ  
وَشَجَرٍ ، فَكَفَرَ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ وَأَقْفَرَ وَادِيَهُ (م) .

ودَفَع في صدر القيام عن التمام ، ومَضَع للكلام ، وتكَلَّف لردِّ السلام ؛ وقد  
 قبلت ترتيبه صَعْرًا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته نكراً ، وتأبطته شرًّا ، ولم آلهُ  
 عُدْرًا ؛ فإن المرءَ بالمال وثياب الجلال ، ولستُ مع هذه الحال وفي الاسمال ، أتقرز  
 من صفِّ النعال ، فلو صدَّقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت : إنَّ يَوَادِينَا  
 ثاغية صباح ، وراغية رَوَاح ، وناسا يجرّون المطارف ، ولا يمتنعون المعارف :  
 وفيهم مقاماتُ حِسَان وجوهُم وأنديّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

فلو طوّحت بأبي بكر - أَيْدَهُ اللهُ - إليهم مطارِحُ الغُرْبَةِ ، لوجد منزلَ  
 البشرِ رحبًا ، ومحطَّ الرّخْلِ قريبا ، ووجه المضيفِ جَصبيا ؛ فرأى الأستاذُ  
 أبا بكر أيدَهُ اللهُ في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه وُدٌّ ، والمرُّ الذي يَتَلَوُّهُ  
 شَهِدٌ ، موفقٌ إن شاء الله .

فأجاب بما نسخته : وصلتُ رُقْعَةً سيدي ورئيسي أطلال الله بقاه إلى آخر  
 السَّكْبَاجِ<sup>(١)</sup> ، وعَرَفْتُ ما تضمّنه من خَشْنِ خطابه ، وموْءَلِمِ عِتَابِهِ ، وصرفت  
 ذلك منه إلى الضَّجْرَةِ التي لا يخلو منها مَنْ مَسَّهُ عُسر أو نَبَا به دَهرٌ ؛ والحمد لله  
 الذي جعلني موضعَ أُنْسِهِ ، ومظنَّةَ مُشْتَكِي مافي نفسه ، أما ماشكاه سيدي ورئيسي  
 مِنْ مضايقتي إياه في القيام ، فقد وفيته حقّه - أَيْدَهُ اللهُ - سلاما وقيامًا ، على  
 قَدَرِ ما قَدَرْتُ عليه ، ووصلت إليه ، ولم أَرْفَعْ عليه إلا السيد أبا البركات [العلوي]  
 أدام الله عزه ، وما كنتُ لأَرْفَعُ أحداً على مَنْ أبوه الرسول ، وأُمُّه البَتُول ، وشاهداه  
 التوراة والإنجيل ، وناصراه التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ؛  
 فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ،  
 رجال تفصيل وجملة ، ولقد جاوزتهم فأحمدت المراد ، ونلت المراد :

(١) السكباچ : طعام يتخذ من اللحم والحل والمرق . والمراد هنا ألوان العتاب  
 الذي قدمه (م) .

فإن كنت قد فارقت نجداً وأهلهُ فما عهد نجدٍ عندنا بذيمةٍ  
والله يعلم نيتي للأحرار<sup>(١)</sup> كافة ، ولسيدي من بينهم خاصة ؛ فإن أعاني الدهرُ  
على ما في نفسي بلغتُ له ما في النية ، وجاوزتُ به مسافةَ القدرِ والأمنية ، وإن  
قطع على طريقَ عزمي بالمعارضة ، وسوء المناقضة ، صرفتُ عني عن طريق  
الاختيار ، بيد الاضطرار .

فما النفسُ إلّا نطفة بقرارةٍ إذا لم تُكدرْ كان صفواً غديرها<sup>(٢)</sup>  
وبعد ، فبذا عتابُ سيدي إذا استوجبنا عتبا ، واقترفنا ذنبا ؛ فاما أن  
يسألنا العربدة فنحن نضونه عز ذلك ، ونضون أنفسنا عن احتماله ، واست  
أسومه أن يقول : ( استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ) ، ولكن أسأله أن  
يقول : ( لا تُثريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين ) .  
فحين وردَ الجواب وعينُ العذرِ رَمِدَ تركناه بعمره ، وطويناه على غره ،  
وعمدنا إلى ذكره فسحونا ، ومن صحيفتنا محوناه ، وصيرنا إلى اسمه فأخذناه  
ونبذناه ، وتشكبتنا خطته ، وتجنبنا خطته<sup>(٣)</sup> ، فلا طرنا إليه ، ولا صيرنا به ، ومضى  
على ذلك الأسبوع ، ودبت الأيام ، ودَرَجت الليالي ، وتطاوَلت المدة ، وتصرَّم  
الشهرُ ، وصيرنا لا نُعيِّرُ الأسماعَ ذِكْرَهُ ، ولا نودعُ الصدورَ حديثه ؛ وجعل  
هذا الفاضل يستزيد ، ويستعيد ، بالفاظ تقطعها الأسماع من لسانه ، وتؤديها إلى ،  
وكلمات تحفظها الألسنة من فمه ، وتعيدنها على ؛ فكاتبناه بما هذه نسخته :

أنا أريدُ من الأستاذ سيدي - أطال الله بقاءه - شريعةً ودّه وإن لم تصفُ ،  
وألبسُ خلعة برّه وإن لم تصفُ ، وقصاراى أن أكيه صاعا عن مدٍّ ؛ فإني وإن  
كنتُ في الأدب دعيّ النسب ، ضيق المضطرب ، سيء المنقلب ، أمتُ إلى  
عشرة أهله بنيةٍ ، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقي أن يكون  
الخليطُ مُنصفا في الوداد ، إذا زرت زاراً ، وإن عدتُ عاد ، وسيدي - أقاه الله -

(١) في الرسائل (ص ٣٤ بيروت) « للاخوان كافة » (م) .

(٢) في الرسائل « كان صفواً أميينها » (م) . (٣) في الرسائل « وتجنبنا خطته » (م) .

ناقشني في القبول أولاً<sup>(١)</sup>، وصارماني في الإقبال آخرًا ؛ فأما حديث الاستقبال، وأمرُ الإنزال والأُنزال<sup>(٢)</sup>، فَنِطَاقُ الطمعِ ضيقٌ عنه ، غيرُ متسعٍ لتوقعه منه ، وبعد فكلفة الفضلِ بيّنة ، وفروض الودِّ متعيّنة، وأَرْضُ العشرة ليّنة ، وطرقها هيّنة ، فلمْ اختارَ قعودَ التّعالى مركبا ، وصعودَ التّغالي مذهبًا ؛ وهلاّ ذاد الطير عن شجر العِشْرة ، وذاق الحلوَ من ثمرها ؛ فقد علم الله أن شوقِي إليه قد قدَّ الفؤادَ برحاً إلى برح، ونكأه قرحاً إلى قرح، ولكنها مرّةٌ مرّةً ، ونَفْسٌ حرّةٌ ، لم تُقدِّ إلا بالإعظام، ولم تُلقِ إلا بالجلالِ والإكرام، وإذا استعفاني من معاتبته ، فأعفى نفسه من كُلفِ الفضلِ يتجشّمها ، فليس إلا غصص الشوقِ أنجرعُها، وحُلل الصبرِ أتدرّعها ، ولم أعره من نفسي ، وأنا لو أعزّت جناحي طائر لما طُرت إلا إليه ، ولا وقعت إلا عليه :

أحبك يا شمسَ النهار و بدره      وإن لأمنى فيك السها والفرّاقِ

وذاك لأن الفضلَ عندك باهرٌ      وليس لأن العيشَ عندك باردٌ

فلما وردت عليه الرقعة حشد تلاميذه وخدمه ، وجشّم للإيجاب قدمه<sup>(٣)</sup> ،

وطلّع علينا مع الفجر طلوعه ، ونظمتنا حاشيتنا دار الأمير أبي الطيب ؛ فقلنا :

الآن تُشرق الحشمة وتنور ، ونُنجدُ في العشرة ونُعوّر ، وقصدناه شاكرين

لما أتاه ، وانتظرنا عادة برّه ، وتوقعنا مادّة فضله ؛ فكان خلْبًا شمنًا ، وآلًا

ورَدَنًا<sup>(٤)</sup> ، وصرفنا في تأخره وتأخّرنا عنه إلى ما قاله ابن المعتز :

إنّا على البعاد والتفرّق      كنلتقي بالذكرِ إن لم نلتقي

وأُشدنا قول ابن عسرى<sup>(٥)</sup> :

أحبك في البتول وفي أيها      ولكنني أُحبّك من بعيدٍ

(١) في الرسائل « ناقشني في الحساب القبول أولاً وصارماني في الإقبال ثانياً » (م).

(٢) الإنزال - بكسر الهمزة - مصدر أنزله ، والأُنزال - بالفتح - جمع نزل ، وهو ما يقدم للضيف (م) .

(٣) في الرسائل « وجشّم الإيجاب قدمه » (م).

(٤) الحلب - بزنة سكر - البرق الذي لا يعقبه مطر ، والآل : السراب (م) .

(٥) في الرسائل ذكر بعد هذه العبارة البيتين السابقين اللذين أولهما « أُحبّك

يا شمسَ النهار و بدره » (م) .



و بقينا نَلْتَقِي خيالاً ، ونقعن بالذكر وصلاً ، حتى جعلت عواصفه تهبّ ،  
وعقار به تدبّ .

والجلس طويلٌ جداً .

قلت : إن كنتُ خرجتُ نطولِ هذا الكلام عن ضبط الشرط ، فلعلّ  
أُسامح فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وإن كان في باب الاتصال ، فهو بتقدير  
الانفصال ، لقيام كلِّ رسالةٍ بذاتها ، وانفرادها بصفاتِها .

وكتب إلى رئيسِ هَراةِ عدنانَ بن محمد يصفُ ماجرى بينه وبين الخوارزمي :  
ما ألوم هذا الفاضل على بساطِ شرِّ طواه ، وموقدِ حَرِّ اجتواه ، ولكني  
ألومه على مانواه ؛ ثم لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول : قد ضرب  
فأينَ الإيحاء ؟ وأنذر فأينَ الإيقاع ؟ وهذه بوارقه ، فأينَ صواعقه ؟ وذلك وعيده ،  
فأينَ عديده ؟ وتلك بنوده ، فأينَ جنوده ؟ وأنشد :

\* هذي معاهده فأينَ عهوده ؟ \*

وما أهولَ رَعَدَه ، لو أمطر بعده ! اللهم لا كُفْران ، ولعن اللهُ الشيطان ،  
فإنه أشفق لغريب أن يُظهِرَ عَوَارَه ، وإن طارَ طَوَارَه <sup>(١)</sup> ، وإن كان قصد هذا  
القصدَ فقد أساء إلى نفسه من حيث أحسنَ إلى ، وأجحفَ بفضله من حيث أبقى  
على ، وأوْهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يرُوضه ، وشجّعني  
على لقائه ، بعد ما برّعتي <sup>(٢)</sup> بإيمائه ، فبينا كنت أنشد :

\* إنَّ جنبي على الفراش لناب \*

إذ أنشدت :

\* طاب كَلْبِي وطاب فيه شرابي \*

(١) العوار - بزنة سحاب - العيب ، والطوار - بزنة سحاب أيضاً - الحوم  
حول الشيء . (٢) برعتي : غلبتي ، والإيماء : الإشارة .

وبينا أنا أقول :

\* ما قلبي كأنه ليس مني \*

إذ قلت :

\* أين من كان مُوعداً لي بأني \*

فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة أذهب . لا ، ولكنه وعد بالمباراة أولاً ، وهددنا بالمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف ثالثاً ؛ فأبلغ وجدى إليه ، وأعرض شوقي عليه ، وقل له إن كنت ندمت على النضال ، فلا تندم على الإفضال ، فإن طويتناحيث الجهاد ، قانسرتناحيث الوداد ، وإن لم تلقنا في باب المكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة . وله إلى الإمام أبي الطيب سهل بن محمد : قد كان الشيخ يعذني عن هذه الحضرة عداتٍ أشم لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك الفواضل عنها ، لكن استحالة من هذا الزمان أن يجود بها ؛ فحين أسرفت على الحضرة ماجت إلى أمواج الشرف منها ، وخلص إلى نسيم الكرم عنها ، وأنحفني على رسم الإجلال بركوب شامخ ، ومركب ذهبٍ سابغ ، وجنيب<sup>(١)</sup> شرف زائد؛ وسرت بحمد الله مخفوفاً بأعيان الكتاب ، وعيون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلاً ملك الشرق أدام الله علوه ، فغذب بضبعي عن أرض الخدمة ، إلى جوار ولي النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهتز اهتزازات سمة الإكرام ، وتجاوز اسم الإعظام إلى القيام ، فقبلت من يمينه مفتاح الأرزاق ، وفتح الآفاق ، ولحقت منه بقباب العقاب<sup>(٢)</sup> ، وخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الكرام ، وهلم جراً إلى ماتبعها من جميل الإنزال ، وسني الأجزال<sup>(٣)</sup> .

كتاب منه  
للإمام سهل  
ابن محمد

(١) أصل الجنيب : الفرس تحن به الذي تركبه لتركبه إذا تعب المركوب ، وفي الرسائل « وحين شرف زائد » (م) .

(٢) قاب العقاب : هو يفضي الذي يضرب به المثل في عزة المنال .

(٣) الأجزال : النعم الجزيلة ، وسنها : شريفها ، وانظر ص ٤٨٠ هامشة ٢ .

وطرأت من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ، ولا يسعه العالم ، ويهتز عند المكارم كالغصن ، ويثبت عند الشدائد كالرُكن ، وسلطان يحلم حلم السيف مُعَمِّداً ، ويغضب مجرّداً ، فهو عند الكرم لَيِّنٌ كَصَفْحَتِهِ ، وعند السياسة خَشِنٌ كَشَفْرَتِهِ ، وملك يَأْتِي الكرم بَيَّةً ، والفضل سَجِيَّةً ، ويفعل الشرَّ كُلِّفَةً أَوْ خَطِيئَةً ، فهو ضَرُورٌ بِآلَاتِهِ ، نَفُوعٌ بِذَاتِهِ ، عَطَارِدٌ قَلَمُهُ وَدَوَاتُهُ ، وَلَمْرِيخٌ سَيْفُهُ وَقَنَاةُهُ ؛ عَيْبُهُ أَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ ، فيصرف عَيْنَ الْكَمَالِ عَنْ مَعَالِيهِ .

وصادفت من الشيخ الموفق أَيَّدَهُ اللَّهُ مَلِكًا يُشَاهِدُ عِيَانًا ، وَجَبَلًا قَدْ سُمِّيَ إِنْسَانًا ، وَحَسَنًا قَدْ مُلِيَ . إِحْسَانًا ، وَأَسَدًا قَدْ لُقِّبَ سُلْطَانًا ، وَبَجْرًا قَدْ أُمْسِكَ عِنَانًا ، وَحَطَّطْتُ رُحْلِي بِفَنَاءِ الْأَمِيرِ الْفَاضِلِ أَبِي جَعْفَرٍ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ ، فَوَجَدْتُ حَكْمِي فِي مَالِهِ أَنْفَذَ مِنْ حَكْمِهِ ، وَقَسَمِي مِنْ غِنَاهُ أَوْفَرَ مِنْ قَسَمِهِ ، وَاسْمِي فِي ذَاتِ يَدِهِ مَقْدَمًا عَلَى اسْمِهِ ، وَبِيَدِي إِلَى خَزَائِنِهِ أُسْرَعٌ مِنْ يَدِهِ ، وَإِنْ قَصِدْتُ أَنْ أُفْرِدَ السَّكْلَ مَدْحًا ، وَأَعْبِرَ الْجُمْلَةَ شَرْحًا ، أَطَلْتُ ، فَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى مَا فَتَحَتْ الْكِتَابَ لِأَجَلِهِ .

ورد للخوازمي كتاب يتقلب فيه على جنبِ الحرد ، ويتقلّى على جمر الضجر ، يتأوّه من سُخَّارِ الخجل ، ويتعشّر في أَذْيَالِ السَّكَلِ ، ويذكر أَنَّ الْخَاصَّةَ قَدْ لَمِتْ لَأَيْنَا كَانَ <sup>(١)</sup> الْفَلَجُ ، فَقُلْتُ : اسْتَطَلْتُ أَعْلَمَ ، وَالْخَوَارِزْمِيُّ أَعْرَفَ ، وَالْأَخْبَارُ لِمُتَظَاهِرَةٍ [ أَعْدَلُ ، وَالْآثَارُ الظَّاهِرَةُ ] أَصْدَقُ ، وَحَلْبَةُ السَّبَاقِ أَحْكَمُ ، وَمَا مَضَى بَيْنَنَا أَشْهَدُ ، وَالْعَوْدُ إِنْ نَشِطَ أَحْمَدُ ، وَمَتَى اسْتِزَادَ زِدْنَا ، وَإِنْ عَادَتْ الْعُقُوبُ عُدْنَا ، وَلَهُ عِنْدِي إِذَا مَا شَاءَ ، كُلُّ مَا شَاءَ !

وهي طويّلة فيها هَنَاتٌ ضُنْتُ الْكِتَابَ عَنْهَا ، وَقَدْ أَعَادَ الْبَدِيعُ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي صَدْرِ حِكَايَتِهِ مَعَ الْخَوَارِزْمِيِّ ، فَقَالَ فِي رَقْعَةٍ كَتَبَهَا إِلَى سَعِيدِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ ، وَقَدْ وَقَفْتُ بِهِ الْضَّرُورَةُ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ مِنْ سَلْبِ الْعَرَبِ مَالَهُ :

كِتَابِي ، بَلْ رُقْعَتِي ، أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الشَّيْخِ ، وَقَدْ بَكَرْتُ عَلَى مُغْيِرَةٍ

كِتَابُ مِنْهُ  
لِلْإِسْمَاعِيلِيِّ

الأعراب، كهلهل، وربيعة بن مُكَدَّم، وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأدُمُّ الدهر؛ فما ترك لي من فضِّهِ إِلَّا فَضَّهَا، ولا ذهب إِلَّا ذَهَبَ به، ولا عِلْق إِلَّا عَلَقَهُ<sup>(١)</sup>، ولا عَقَار إِلَّا عَقَرَهُ، ولا ضَيْعَة إِلَّا أَضَاعَهَا، ولا مال إِلَّا مال إليه، ولا سَبَدٍ إِلَّا اسْتَبَدَّ به، ولا لَبَدٍ إِلَّا لَبَدَ فيه، ولا بَزَّةٍ إِلَّا بَزَّهَا<sup>(٢)</sup>، ولا عارية إِلَّا ارتجعها، ولا وَدِيعَة إِلَّا انتزعها، ولا خِلْمَة إِلَّا خَلَعَهَا، وأنا داخل نيسابور ولا حِلْيَة إِلَّا جَلَدَها، ولا بُرْدٍ إِلَّا الْقَشْرَة، والله وليُّ الخلف يعجِّلَه، والفرج يسهِّلَه، وهو حَسْبِي ونعم الوكيل.

. وليس البديع بأبى عذرة هـ هذا الخطاب، وسترى نظير هذا المعنى في هذا الكتاب.

### ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري

قال : حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلَادِ بَنِي فِزَارَةَ مَرْتَحِلاً نَجْمِيَّةً، وَقَائِدًا جَنْبِيَّةً، يَسْبَحَانِ سَبْحًا، وَأَنَا أَهِيْمُ بِالْوَطَنِ، فَلَا اللَّيْلَ يَثْنِيْنِي بوعيده، وَلَا الْبُعْدُ يُدْنِيْنِي بِيَدِهِ، وَظَلِمْتُ أَخْطِيطُ وَرَقَ النَّهَارِ، بَعْصَا التَّسْيَارِ، وَأَخْوَضُ بَطْنَ اللَّيْلِ، بِخَوَافِرِ الْخَيْلِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ بِهَا الْغَطَاطُ<sup>(٤)</sup>، وَلَا يُبْصِرُ بِهَا الْوُطُوطُ، أَسْبَحُ وَلَا سَاحُ إِلَّا السَّيْعُ، وَلَا بَارِحُ إِلَّا الضَّيْعُ، إِذْ عَنَّا لِي رَاكِبٌ تَامَ الْآلَاتِ، يَطْوِي مَشُورَ الْقَلَوَاتِ، فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الْأَغْرَالَ مِنْ شَاكِي السَّلَاحِ، لَكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَقُلْتُ : أَرْضُكَ لَا أُمَّ لَكَ ! فَدُونَكَ شَرَطُ الْحُدَادِ، وَخَرَطُ الْقِتَادِ، وَخَصَمٌ ضَخْمٌ، وَحِمِيَّةٌ أَرْذِيَّةٌ، وَأَنَا رَسَلَمُ إِنْ شِئْتُ، وَحَرْبٌ إِنْ أَرَدْتُ، مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : سَلَامًا أَصَبْتُ، قُلْتُ : خَيْرًا أَجَبْتُ، قُلْتُ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَصِيحٌ إِنْ شَاوَرْتُ، فَصِيحٌ إِنْ حَاوَرْتُ، وَدُونُ اسْمِي

مقامات الفزارية  
للبيدع

(١) العلق - بالكسر - الشيء النفيس الذي يرضن به، وعلقه : أى أخذه (م)

(٢) بزها : سلبها وغلب عليها (م) (٣) الندى في المقامات «ولا البعد يوليني بيده» (م)

(٤) الغطاط - بزنة سحاب - القطا، وهو مضرب المثل في الهداية .

لِثَامٍ ، لَا تُمِيطُهُ الْأَعْلَامُ . قُلْتُ : فَمَا الطَّعْمَةُ ؟ قَالَ : أَجُوبُ جُيُوبَ الْبِلَادِ ،  
 حَتَّى أَقْعَ عَلَى جَفَنَةِ جَوَادٍ ، وَلِي فَوَادٍ يَحْدُمُهُ لِسَانٌ ، وَبَيَانٌ يَرْقُبُهُ بَنَانٌ ،  
 وَقَصَارَايَ كَرِيمٍ يَنْفُضُ إِلَى حَقِيبَتِهِ ، وَيَخَفِّفُ لِي جَنَابَتَهُ ، كَابِنِ حُرَّةٍ طَلَعَ إِلَى  
 بِالْأُمْسِ ، طُلُوعِ الشَّمْسِ <sup>(١)</sup> ، وَغَرَبِ عَنِي بَغْرُوبِهَا ؛ لَكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَغِبْ تَذْكَارُهُ ،  
 وَوَدَّعَ وَشَيَّعَتْنِي آثَارُهُ ، وَلَا يَنْبُتُكَ عَنْهَا أَقْرَبُ مِنْهَا ، وَأَوْمَأَ إِلَى مَا كَانَ يَلْبَسُهُ ،  
 فَقُلْتُ : شَحَاذُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَخَاذُ ، لَهُ فِي الصَّنْعَةِ تَفَاذُ ، بَلْ هُوَ فِيهَا أَسْتَاذُ ،  
 وَلَا بَدَأَ أَنْ تَرَشَّحَ لَهُ وَتَسِحَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَا فَتَى ، قَدْ أَجَلَيْتَ عِبَارَتَكَ ، فَأَيْنَ  
 شَعْرُكَ مِنْ كَلَامِكَ ؟ فَقَالَ : وَأَيْنَ كَلَامِي مِنْ شِعْرِي ! ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيزَتَهُ ، وَرَفَعَ  
 عَقِيرَتَهُ ، بِصَوْتٍ مَلَأَ الْوَادِي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَأَرْوَعَ أَهْدَاهُ لِي اللَّيْلُ وَالْفَلَا      وَخَمَسُ تَمَسُّ الْأَرْضُ لَكِنْ كَلَا وَلَا <sup>(٢)</sup>  
 عَرَضْتُ عَلَى نَارِ الْمَكَارِمِ عُودَهُ      فَكَانَ مُعَمًّا فِي السَّوَابِقِ مُخُولًا  
 وَخَادَعْتُهُ عَنْ مَالِهِ فَخَدَعْتُهُ      وَسَاهَلْتُهُ فِي بَرِّهِ فَتَسَهَّلَا  
 وَلَمَّا تَجَالَيْنَا وَأَحْمَدَ مَنْطِقِي      بَلَانِي فِي نَظْمِ الْقَرِيضِ بِمَا بَلَا <sup>(٣)</sup>  
 فَمَا هَزَّ إِلَّا صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي      وَلَمْ يَلْقَنِي إِلَّا إِلَى السَّبْقِ أَوَّلًا  
 فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا أَغْرَّ مُحَجَّبًا      وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا أَغْرَّ مُحَجَّلًا

فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ يَا فَتَى ، وَلَكِ مِمَّا يَصْحَبُنِي حَكْمُكَ . فَقَالَ : الْجَنَابَةُ ،  
 قُلْتُ : إِنَّ <sup>(٤)</sup> وَمَا عَلَيْهَا . ثُمَّ قَبِضْتُ بِجُمُعِي عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَلْهَمَهَا  
 لَمَسًا ، وَشَقَّهَا مِنْ وَاحِدَةِ خَمْسًا ، لَا تُزَايِلُنَا أَوْ تَعْلَمَ عِلْمُكَ ، فَخَذَرُ لِثَامِهِ عَنْ وَجْهِهِ ،  
 فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ :  
 تَوَشَّحْتَ أَبَا الْفَتْحِ      بِهَذَا السِّيفِ مُخْتَلَا

(١) طُلُوعِ الشَّمْسِ ، هُنَا : مُنْتَصِبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، وَلَيْسَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا ، وَيَدُلُّ  
 لَهُ مَا ذَكَرَهُ بَعْدَهُ (م) (٢) كَلَا وَلَا : يَرِيدُ فِي غَايَةِ السَّرْعَةِ كَسَرْعَةِ النَّطْقِ بِلَفْظِ لَا (م)  
 (٣) بَلَانِي : اخْتَبَرْنِي (م) (٤) أَنْ ، هُنَا : بِمَعْنَى نَعَمْ .

وما تصنعُ بالسيف إذا لم تكُ قتلاً؟  
[فضعُ ما أنتِ حليت به سيفك خلخالاً]

[من طرف الأدب]

بين عبد الله بن الزبير بن العوام وشاعر  
وعلى ذكر قوله : « إنَّ وما عليها » ال أبو عبيدة : وقد عبدُ الله بن الزبير  
الأسدى على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بيني وبينك  
رحماً من قبل فلانة الكاهلية ؛ هني أختنا ، وقد ولدتكم ، وأنا ابنُ فلان ؛  
فلانة عمتي . فقال ابنُ الزبير : هذا كما ذكرت ، وإن فكرت في هذا أصبت ،  
الناسُ كلهم يرجعون إلى أب واحد ، وأم واحدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ نفقتي قد ذهبت . قال : ما كنتِ ضمنت لأهلك  
أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم . قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ناقتي قد نقيت  
ودبرت<sup>(١)</sup> . فقال له : أنجد بها يبرُد خفها ، وارقعها بسبت ، واخصفها بهلب<sup>(٢)</sup> ،  
وسر عليها البريدين . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما جئتُك مستحماً ، ولم آتِك مستوصفاً<sup>(٣)</sup>  
لعم الله ناقة حملتني إليك . قال ابنُ الزبير : إنَّ وراكبها ! فخرج وهو يقول :  
أرى الحاجات عند أبي خبيب نكدن ، ولا أمية في البلاد  
من الاعياص أو من آل حرب أغر كغرة الفرس الجواد  
ومالي حين أقطع ذات عرق إلى ابن الكاهلية من معاد<sup>(٤)</sup>  
وقلت لصحبتى أدنوا ركابي أفارق بطن مكة في سواد  
فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير ، فقال : لو علم أن لي أمّا أحسن من<sup>(٥)</sup> عمته  
الكاهلية لنسبني إليها ، وكان ابنُ الزبير يكنى أبا بكر وأباً خبيب .

(١) نقيت : رق خفها ، ودبرت : أصابتها قرحة (م) .

(٢) السبت : الجلد المدبوغ ، والهلب : الشعر ، أو شعر الخنزير خاصة (م) .

(٣) مستحماً : طالباً أن تحملني بأن تعطيني ركوبة ، ومستوصفاً : أي طالباً

منك أن تصف الدواء (م) . (٤) في كل المطبوعات « من مفاد » تطبيع (م) .

(٥) في كل المطبوعات « أحسن » تطبيع (م) .

قال الصولي : أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب أحمر ،  
 كان عنده مكينا ، وكان به ضنينا ، فقال يرثيه

قالوا : جزعت ، فقلت : إن مصيبة جلّت ريتها ، وضاق المذهب<sup>(١)</sup>  
 قال أبو بكر : هكذا أنشدني ابن المعتز على أن (إن) انعمي نعم ، وأنشد النحويون :  
 قالوا : كبرت ، فقلت : إن ، وربما ذكّر كبير شبابه فتطربا

\* \* \*

كيف العزاء وقد مضى لسبيله	عنا فودعنا الأحمر الأشهب
دبّ الوشاة فباعده ، وربما	بعد المعى وهو الحبيب الأقرب
لله يوم غدوت فيه ظاعنا	وسليت فرك ، أى علق أسلب ؟
نفسى مقسمة أقام فريقةها	ومضى أطيته فريقه يجنب
الآن إذ كملت أداتك كلها	ودعا العيوب إليك حسن معجب
وغدوت طنان اللجام كأنما	في كل عضو منك صنّج يضرب
وكان سرّجك ، إذ علاك ، غمامة	وكأنا تحت الغمامة كوكب
أنساك ؟ لا زالت إذا منسية	نفسى ولا رحت بمثلك تنكب
أضمرت منك اليأس حين رأيتنى	وقوى حمالى من حبالك تقضب
يا صاحبي مثل ذل من أمره	صحب القى في دهره من يصحب
إن تسعدا فصنيعة مشكورة	أو تحذلا فصنيعة لا تذهب
عوجا فقولا : مرحبا ، وتزودا	نظرا وفل لمن تحب المرحب
منع الرقاد جوى تضمّنه الحصى	مكابده وهم منصّب

[ المزاح ]

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية : ما زلت لحكاء تكره المزاح ،  
 تنهى عنه ، فقال : المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب : المزاح  
 له فرح ، وآخره ترح . المزاح نقائص السفهاء ، كالشعر نقائص الشعراء . والمزاح

(١) تقدير الكلام « فقلت : نعم ، هذه مصيبة عظمت رزيتها - إلخ » (م).

بين الحجاج  
 وابن القرية

يُؤْغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ ، وَيَنْفَرُ الرَفِيقُ . وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَّاءَ ؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ الْمَعَايِرُ .  
وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ ، وَيُبْدِي الْخَنَى . لَمْ يَجُرَّ الْمَزَاحُ خَيْرًا ، وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .  
الْغَالِبُ بِالْمَزَاحِ وَاتَرِ ، وَالْمَغْلُوبُ بِهِ ثَارَ . وَالْمَزَاحُ يَجْلِبُ الشَّمَّ صَغِيرُهُ وَالْحَرْبَ  
كَبِيرُهُ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ .

فَقَالَ الْحِجَاجُ : حَسْبُكَ ، الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ .

وَذَكَرَ الْمَزَاحَ بِحُضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ : يُنْذِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ  
الْخَرْدَلِ ، وَيُفَرِّغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمِرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا  
كَنتَ أَمْزَحَ !

خَالِدُ

ابن صفوان  
يبين مساوي  
المزاح

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

لِلوَرَّاقِ فِي هَذَا  
الْمَعْنَى

تَلَقَّى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِذْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ  
وَيَقُولُ : كَنتَ مَازِحًا وَمُلَاعِبًا هِيَهَاتَ نَارُكَ فِي الْحَشَى تَنْسَعَرُ !  
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا . أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَضْفَرُ

فَقَرَّ فِي هَذَا النِّجْوِ لِأَهْلِ الْعَصْرِ وَغَيْرِهِمْ

الْمَزَاحَةُ تَذْهَبُ بِالْمُهَابَةِ ، وَتُورِثُ الضَّغِينَةَ . الْإِفْرَاطُ فِي الْمَزَاحِ مُجُونٌ ، وَالِاقْتِصَادُ  
فِيهِ ظَرْفٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْهُ نَدَامَةٌ . أَوْ كَدُّ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ الْمَرَاءِ وَالْمَزَاحِ .

لابن العنز

ابن المعتز - من كَثُرَ مُزَاحُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ اسْتِخْفَافٍ بِهِ أَوْ حَقْدٍ عَلَيْهِ .  
قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبَةِ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : عَاقِلٌ ، وَأَحْقَى ، وَفَاجِرٌ ؛ فَالْعَاقِلُ

لابن القرية

الدِّينُ شَرِيعَتُهُ ، وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ ، وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ ؛ إِنْ سُئِلَ أَجَابَ ، وَإِنْ  
نُطِقَ أَصَابَ ، وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى ، وَإِنْ حَدَّثَ دَوَى . وَأَمَّا الْأَحْقَى فَإِنْ تَكَلَّمَ  
عَجِلَ ، وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ ، فَإِنْ جَلَّ عَلَى الْقَبِيحِ  
حَمَلَ . وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ ائْتَمَّتْهُ خَانُكَ ، وَإِنْ حَدَّثَتْهُ شَانُكَ ، وَإِنْ وَثَقَتْ بِهِ لَمْ  
يَرْعَكَ ، وَإِنْ اسْتُكْتِمَ لَمْ يَكْتُمْ ، وَإِنْ عُلِمَ لَمْ يَعْلَمْ ، وَإِنْ حُدِّثَ لَمْ يَفْهَمْ ، وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَقِفْهُ .



[ الطيرة والزجر ]

في التناول  
لأبي حية  
النميري

قال أبو حية النميري :

جَرَى يَوْمَ رُحْنًا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا  
فَهَابَ رِجَالُهُ مِنْهُمْ فَتَعِيفُوا  
عُقَابُهُ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا  
وَقَالُوا : حَمَامَاتُ ، فَحُصِمَ لِقَاؤُهَا  
وَقَالَ صَحَابِي : هُذُودٌ فَوْقَ بَانَةِ ،  
وَقَالُوا : دَمٌ ، دَامَتْ مَوَائِقُ بَيْنَنَا  
لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَفًا  
وَنَسُوقَ شَحْشَاحٍ غَيُورٍ يَحْفَنُهُ  
يَقْلَنُ ، وَمَا يَذْرِيْنِ أُنَى سَمْعَتُهُ  
أَهَذَا الَّذِي غَنَى بِسَمَاءٍ مَوْهِنًا  
إِذَا مَا تَغَنَّى أَنْ مِنْ بَعْدِ زَفَرَةٍ  
وَقَائِلَةٌ : يَادَهُمْ وَيَحْكُ ! إِنَّهُ  
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَجْرَحُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا  
سَنِيحٌ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَرَّ سَنِيحٌ  
فَقُلْتُ لَهُمْ : جَارِي إِلَى رِيحٍ  
تَأْتُ تَائِيَةً بِالظَّاعِنِينَ طَرِيحٌ  
وَطَلَحُ فَنِيْلَتِ الْمَطْيُ طَلِيحٌ  
هُدًى وَيَبِيْنُ بِالنَّجَاحِ يَلُوحُ  
وَدَامَ لَنَا حُلُوُ الصَّفَاءِ صَرِيحٌ  
مِنَ الْفَنَنِ الْمَطُورِ وَهُوَ مَرُوحُ  
أَخِي ثَقَةٍ يَلْهُوْنَ وَهُوَ مُشِيحٌ  
وَهَنَ بِأَبْوَابِ الْخِيَامِ جُنُوحُ :  
أَتَاَحَ لَهُ حَسَنَ الْفَنَاءِ مُتِيحٌ  
كَمَا أَنَّ مِنْ حَرِّ السَّلَاحِ جَرِيحٌ  
عَلَى مَا بِهِ مِنْ غَنَةٍ لَمْلِيحٌ<sup>(١)</sup>  
بِجِلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ قَرُوحُ

وهذا من غريب الزجر مليح التناول .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : أنشدني أعرابي في قصيدة ذى الرمة التي

مما ينسب  
لدى الرمة

وهي :

أَلَا يَا أَسَلَى يَا دَارِمَى عَلَى الْبَلَى  
يَتَيْنِ لَمْ يَرَوْهَا الرِّوَاءُ فِي دِيَوَانِهِ ، وَهِيَ :  
رَأَيْتُ غَرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضِيْبَةٍ  
فَقُلْتُ : غَرَابٌ لَا غَتْرَابٍ ، وَقَضِيْبَةٌ  
لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ خُضْرُ  
لَقَضِبِ النَّوَى هَذِي الْعِيَاةُ وَالزَّجْرُ

(١) لعله « على ما به من غنة » فقد وردت في الأما إلى ٦٩/١ « على غنة في صوته »

وقال آخر :

دعا صُرْدٌ يوماً على غُصْنٍ بانهٍ      وصاح بذات البين منها غُرَابُهَا  
فقلت: أتَصْرِيْدُ وشَحَطٌ وُغْرُبَةٌ؟      فهذا لعمري نَائِيهَا واغْتَرَابُهَا

عادة الجاهلية  
والنهي عنها

وقد أ كثر العرب من ذكر الطيرة ، والزَّجْرِ ، وكانت تقتدى بذلك  
وتجري على حكمه ، حتى ورر- النهي في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
لا عَدَوَى ولا طيرة ، وقد قال الأول :

لعمرك ما تدرى الضَّوَارِبُ بالخصى      ولا زاجرات الطَّيْرِ ما الله صانعُ  
وقال ضابي بن الحارث البرجمي :

وما عاجلات الطير، تُدْنِي مِنَ الْفَقَى      نجاحاً ولا عن رَيْثِنَّ يَخِيبُ<sup>(١)</sup>  
ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ      على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ  
وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَصِيرُكَ ضَيْرَةً      وللقب من مَخْشَاتِنَّ وَجِيبُ  
وقال السميت بن زيد الأسدي :

السميت  
ابن زيد

ولا أنا ممن يَزْجُرُ الطَّيْرَ هُمُ      أصاح غرابٌ أم تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ  
ولا السانحات البارحات عَشِيَّةً      أمرٌ سَلِمَ الْقَرْنَ أَمْ مَرَّ أَعْصَبُ  
وقال شاعر قديم :

لا يَمْنَعُنْكَ مِنْ بُغَا      والخير تَعْقَادُ التَّمَامِ  
ولا التَّشَاوُمُ بِالْعَطَا      س ولا التَّيَامُنُ بِالْمَقَاسِمِ  
فلقد عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا      أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا      مِنَ وَالْأَيَامُ كَالْأَشْأَمِ  
وكذاك لا خَيْرَ وَلَا      شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمِ  
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزَّبُو      رِ الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمِ

(١) وقع في نسخة «تدرى من الفقى» و «ولا عن ريثنن تجيب» تحريف (م)

(٢) الواقي : الصرد ، والحاتم : الغراب (م) .

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى ، أنشده أبو العباس ثعلب :  
 تيممت فيه الفأل حتى رُزئته ولم أدْرِ أن الفأل فيه يَفيلُ  
 فسميته يَحْيَى لِيَحْيَا ؛ فلم يكن إلى ردِّ أمرِ الله فيه سبيلُ  
 وروى المدائني قال : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قُرب منها نزل  
 بمنزل ، فإذا هو بغراب على شجرة بأن يَنْتِفِ ريشه وَيَنْعَبُ ؛ فأسرع الرحيل ،  
 ومضى لوجهه ؛ فلقى رجلاً من بني نَهْد ، فقال : يا أخا الحجاز ؛ مالي أراك  
 كاسف اللون ؟ قال : ما علمت إلا خيراً ، قال : فهل رأيت في طريقك شيئاً  
 أنكرته ؟ قال : لا والله إلا في منزلي هذا ، فإني رأيتُ غراباً يَنْتِفِ ريشه على  
 بانة وَيَنْعَبُ . قال : أما إنك تطلب حاجةً لا تدركها .

فقدم مصر والناسُ منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ يُنْتَفِ أعلى ريشه ويطايرُهُ  
 فقلت - ولو أني أشاء زجرتهُ بنفسى - للنهدى : هل أنت زاجره ؟  
 فقال : غراب لا غراب من النوى وفي البانِ بينٌ من حبيب تجاوره  
 فما أعيفَ النهدى ، لادرَّ درُّهُ ! وأزجره للطير ، لا عزَّ ناصره

ثم أتى قبر عزة فأناخ به ساعة ثم رحل ، وهو يقول :

أقولُ ونضوى واقفٌ عند رأسها عَلَيْكَ سلامُ الله والعينُ تَسْفَحُ  
 فهذا فراق الحق لأن تُزيرني بلادك فتسلاه الذراعين صيدح<sup>(١)</sup>  
 وقد كنت أبكى من فراقكِ حيةً وأنتِ لعمري اليوم أنأى وأنزح

وقال جرير :

بأن الخليطُ برامتين فودَّعُوا أو كَلَّمَا نعبوا لبين تجزَعُ  
 إن السَّوانح بالضُّحَى هيَّجَنِي في دارِ زَيْدَبَ والحمامُ الوُقَعُ

وقال عوف الراهب خلاف هذا :

غلط الذين رأيتهم بجهالةٍ يَلْحَوْنَ كلَّهم غراباً يَنْعَقُ

لعوف الراهب

(١) فتلاء الذراعين : قويمهما ، وصيدح : فرس شدد الصوت (م) .

ما الذنبُ إِلَّا للأباعر؛ إنها مما يُسْتَجْمَعُ جميعهم ويفرّق  
 إنَّ الغرابَ يُمْنُهُ تَدْنُو النَّوَى وتُسْتَتُّ الشَّمْلَ الجَمِيعَ الأَيْنُقُ  
 وقد تبعه في هذا المذهب أبو الشيص فقال :

لأبي الشيص

ما فرّق الأحبابَ بعد الله إِلَّا الإبلُ  
 والناسَ يَلْحَوْنَ غُرًا بَالبَيْنِ كَمَا جَهِلُوا  
 وما على ظَهْرٍ غُرًا بَالبَيْنِ تُطَوِي الرَّحْلَ  
 ولا إذا صاحَ غُرًا بَ في الديار احتملوا  
 وما غرابُ البَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ  
 وما أَمْلَحَ ما قال القائل :

زعموا بأنّ مطيهم عَوْنُ النَّوَى والمؤذِنَاتُ بفرقةِ الأحبابِ  
 وَلَوْ أَنَّهَا حَتَفِي لَمَّا أَبْغَضْتُهَا ولها بهم سببٌ من الأسبابِ

وكان علي بن العباس الرومي مُفَرِّطَ الطَّيْرَةِ ، شديد الغلوّ فيها . قال علي بن  
 عبد الله بن المسيب : وكان يحتجُّ لها ، ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان  
 يُحِبُّ الغَال ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ ؛ أفتراه كان يتفألف بالشئ ، ولا يتطيّر من ضده ؟  
 ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل وهو يَرَحُلُ نَاقَةً ويقول :  
 يا ملعونة ، فقال . لا يَصْحَبُنَا ملعون ، وإن علياً رضى الله عنه كان لا يَغْزُو غَزَاةً  
 والقمرُ في العقرب ، ويزعم أن الطيرة موجودة في الطباع قائمة فيها ، وأن بعض  
 الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وأن الأكثر في الناس إذا لقي ما يكرهه  
 قال : على وجه من أصبحت اليوم ؟ .

بن الرومي  
 كان شديد  
 الطيرة

فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى إلى عدة من جوارى  
 القيان ، وكانت فيهن صبيّة حَوْلَاء ، وعجوز في إحدى عينيها نكتة ، فتطيّر من  
 ذلك ، ولم يُظهِرْ لى أمره ، وأقام باقى يومه ؛ فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لى

من بعض السطوح ، وجفاء القاسم بن عبيد الله ، فجعل سبب ذلك المعنيين المغنيتين ،  
وكتب إلى :

أيها الْمُتَحَرِّفِي بِحَوْلٍ وَعُورٍ    أين كانت عنك الوجوه الحسانُ  
قد لَعَمْرِي رَكِبْتَ أَمْرًا مَهِينًا    ساءنى فيك أيها الخُلَصَانُ  
فَتَحَكَّ المَهْرَجَانُ بِالْحَوْلِ وَالْعُورِ    أرانا ما أَعْقَبَ المَهْرَجَانُ  
كان من ذاك فَعْدُكَ ابْنَتَكَ الْخُرْبَةَ    مصبوغَةً بها الا كِفَانُ  
وَتَجَافَى مُؤَمِّلٌ لِي جَلِيلٍ    لَجَّ فِيهِ الجُفَاءُ وَالْمَهْجَرَانُ  
وعزیز علیّ تقریعِ خَلٍّ    لا يَدَانِيهِ عُنْدِي الْخُلَانُ  
غير أنى رأيت إذكره الحزَمَ    وإشعاره شِعَارًا يُصَانُ  
لا تَهَاوَنَ بِطَيِّرَةِ أَيِّهَا النِّظَارِ    وأَعْلَمَ بِأَنَّهَا عُنْوَانُ  
قف إذا طيرة تَلَقَّتْكَ وَانْظُرْ    واستمع ثم ما يقول الزَّمانُ  
قلما غاب من أموركَ عَنَّا    ن مبین ولِلزَّمانِ لِسَانُ  
لا تكن بالهوى تَكْذِبُ بِالْأَخْبَارِ    حتى تهين مالا يُهَيَّانُ  
لا يَقْدُكَ الهوى إلى نصرَةِ الْأَخْبَارِ    حتى يَقْدَمَ البرهانُ  
إن عُقْبَى الهوى هُوِيٌّ ، وَعُقْبَى    طول تلك المَهْوَنَاتِ هَوَانُ  
لا تصدق عن النبیین إِلَّا    بحديث يلوح فيه البيانُ  
خبر الله أنَّ مشامَةً    كانت لقومٍ وخبر القرآنُ  
أَفْزُورَ الْحَدِيثِ تَقْبِلُ أَمْ مَا    قاله ذُو الْجَلالِ وَالْفُرْقَانُ ؟  
أترى من يرى البشيرُ بشيرا    يَمْتَرِي فِي النَّذِيرِ يَا وَسْئَانُ  
فدع الهزل والتضاحك بالطيرة    والنصح مُثْمَنٌ مَجَّانُ

وقد فرَّق خُذَّاقُ أَهْلِ النِّظَرِ فِي الْمَقالِ ، بين الطيرة والقال ، فقالوا : الطيرة الفرق بين  
كانت العرب ترجعُ إلى ما تمضيها ، وتجري على تقضيها ، وكان الذى يهْمُ بهم  
إذا ما رأى ما يتطير منه رجع عنه ؛ وفى ذلك ما يصرف عن الإحالة على المقادير

الجارية بيد ممضيهما ، النازلة على حكم قاضيهما ، والفأل لا يرد المرید عما يريد إنما يقوى مُنتَهه ، ويسرُّ مهبته ؛ وس هذا موضع تطويل ، في إيراد الدليل .

\*\*\*

وفي جفاء القاسم بن عبيد الله إياه يقول معاتباً :

من ابن الرومي  
للقاسم بن  
عبيد الله

ألم ترني أفرضتكَ الودَّ طانعا      ولم تر قبلي مُعسراً قطّ أقرضاً  
لعمري لقد صوّرت أبيض مسرفاً      فلم لا تُريني وجهَ نُمّاك أبيضاً  
فيا ويح مولاك استغاث عسب      فأشرق فاستشفى شفاء فأفرضاً<sup>(١)</sup>  
ولولا اعتقادي أنك الخير كله      لأزمتُ توديعاً ، قضى الله ما قضى  
وإني وإن دارتْ عليّ دوائر      لأعرض عمن صدّ عني وأعرضاً  
وما زلت عرافاً إذا الزاد بي      بخبثٍ وعيافا إذا الماء عرماً<sup>(٢)</sup>  
وهذا البيت كقول الآخر

وإني للماء المخالط للقدى

إذا كثرت ورّاده لغيوف

وفي ابنة المسيبي يقول ابن الرومي يعزّيه :

ابن الرومي  
يرثي ابنة المسيبي

أخا ثقتي أعزّز عليّ بنكبة      منك بها صرّف القضاء المقدّر  
صبت ، وما للمرء من حكم به      محيد ، وأمر الله أعلى وأقم — ر  
وقد مات من لا يخلف الدهر مثله      عليك من الأسلاف والحقّ يبهّر  
تعزيت عمن أثمرتكَ حياته      ووَشك التعزّي عن ثمارك أجدر  
لأن اختيال الدهر في ابن وفي ابنة      سيره وكثر الدهر شيخيك أعسر  
تعذر أن نعتاض من أمهاتنا      وآبائنا ، والنسل لا يتعذر

(١) أفرض : شرب من المشرع ، والمشرع يسمى الفرضة (م) .

(٢) عرّض الماء : خبث وظلم .

فلا تهلكن حُزناً على ابنة جنة مضت وهي عند الله تحيا وتُحْيَرُ  
 لعلّ الذي أعطاك ستر حياتها كساها من اللحد الذي هو أسترُ  
 فكم من أخى حرية قد رأته بنار ذوى الأصهار يَكْوَى وَيُضْهِرُ  
 فلا تتهم الله فيها ولاية ولا نظراً فالله للعبد أنظرُ  
 وأنت وإن أبصرت رشك مرة فذو النظر الأعلى برشدك أبصرُ  
 ومن مليح تعازيه عن أبنّة قوله لعلّ بن يحيى المنجم :

وله يعزى على  
 بن يحيى في ابنته

لا تبعدن كريمة أودعتها صهراً من الأصهار لا يخزيكا  
 إني لأرجو أن يكون صداقها من جنة الفردوس ما يرضيكا  
 لا تأسن لها فقد زوجتها كفوا وضمنت الصداق مليكا

### [الرغبة في موت البنات]

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن  
 عبد الله بن طاهر

لكل أبى بنت يرجى بقاؤها ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهرُ  
 خبيت يغطيها ، وبعل يصونها ، وقبر يوارئها ، وخيرها القبرُ  
 وقال عقيل بن <sup>(١)</sup> علفة وكان أغير العرب .

لعقيل بن علفة

إني وإن سيق إلى المهر ألف وعبدان وذود عشرُ  
 أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

ومنه أخذ عبيد الله ، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : دخل علينا  
 ابن خلف البهراني فأنشدنا :

البهراني

لولا أئمة لم أجزع من العدم ولم أجب في الليالي حنّس الظلم  
 وزادنى رغبة في العيش معرفتى أن اليتيمة تحفوها ذوو الرحم  
 أحاذرُ الفقر يوماً أن يلم بها فيهلك الستر عن لحم على وضم

(١) في المطبوعات «عقيل بن علفة» تحريف ، وعلفة بوزن سكرة (م) .

تهوى حياتى وأهوى موتها شققا      والموتُ أكرمُ نزالٍ على الحرَمِ  
وكانت أميمة بنت أخته ، وكان قد تبناها ، ثم غابت غيبة ، فسالنا  
عنها ، فأنشد :

أُمست أميمة مغموراً بها الرَّجَمُ      لدى صعيدٍ عليه الثُّرْبُ مُرْتَكَمُ  
يا شِقةَ النفسِ ، إنَّ النفسَ والهةُ      حرّى عليك ، ودَمَعُ العينِ مُنْسَجَمُ  
قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها      عنى الحِمامِ فيُبْدِي وجهها العُدمُ  
فالآن نمت فلا همَّ يُورِّقُنِي      تهذا العيونُ إذا ما أوْدَتِ الحرَمُ  
فالآن نمت ، فلا همَّ يُورِّقُنِي      بعد الهدوء ؛ ولا وَجْد ولا حُلُمُ  
للموت عندى أيا دٍ لست أنكرها      أحيا سروراً وبى مما أتى ألمُ

[ عَوْدٌ إِلَى تَطْيِيرِ ابْنِ الرُّومِيِّ ]

بين ابن الرومى      عادَ ذكر ابن الرومى — وكان أبو الحسن على بن سليمان الأخفش غلام  
وأبى الحسن      أبى العباس المبرد فى عصر ابن الرومى شاباً مترفاً ، ومليحاً مستظرفاً ، وكان يعبث  
الأخفش ،      به ، فيأتيه بسَحَرٍ ؛ فيقرع الباب ، فيقال له : مَنْ ؟ فيقول : قولوا لأبى الحسن  
مُرَّةَ بن حنظلة ، فيتطير لقوله ، وقيم الأيام لا يخرجُ من داره ، وذلك كان سبب  
هيجائه إياه ، فمن أول ما عاتبه به :

قولوا لنحوينا أبى حسن      إن حسامى متى ضَرَبْتُ مَضَى  
وإنَّ نبلى إذا هممت بأنَّ      أرْمِي نَصْلُهَا بِجَمْرِ غَضَا  
لا تحسبنَّ الهجاء يحفل بالرفع      ولا خَفَضُ خافضٍ خَفَضَا  
ولا تحلُّ عودتى ككباديتى      سَأْسَمُطُ السَّمِّ من أبى الخَضَا  
أعرف فى الأشقياء بى رجلا      لا يَتَهَمَى أو يصير لى غَرَضَا  
يُليح لى صَفْحَةَ السلامة والسلم      ويخفى فى قلبه مَرَضَا



أضحى مغيطاً على أن غضب الله عليه ، ونلت منه رضا  
وليس تجدى عليه موعظتى إن قدر الله حينه وقضى  
كأننى بالشقى معتذرا إن القوافى أدقنه المصنفاً  
ينشدنى العهد يوم ذلك والعهد خضاب إذا له قبضاً<sup>(١)</sup>  
لا يأمنن السفیه بأدرتى فإننى عارض لمن عرّضا  
عندى له السوط إن تلوم فى الـ سير وعندى اللجام إن ركضاً<sup>(٢)</sup>  
أسمعت إنباضتى أبا حسن والصفح لاشك نصيح من محضاً<sup>(٣)</sup>  
وهو معافى من السهاد فلا يحمل فيمسى فراشه قضضاً<sup>(٤)</sup>  
أقسمت بالله لا غفرت له إن واحد من عروقه نبضاً  
فاعتذر إليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد - وكان الأخفش أكثر  
الناس إخواناً - فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التى يقول فيها :

ذُكِرَ الأخفش القديمُ فقلنا : إن للأخفش الحديث لفضلاً  
وإذا ما حكمت - والروم قومي - فى كلام مُعَرَّب كنتُ عدلاً  
أنا بين الخصوم فيه غريبٌ لا أرى الزور للمُحَابَاة أَهْلاً  
ومتى قلت باطلا لم ألقبَ فيلسوفا ولم أسمَ هرقلًا

\* \* \*

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أستاذ سيبويه ، وهو من المتقدمين  
فى النحو ، ويُعرف بالأخفش الكبير ، وكان فى عصر سيبويه [أيضاً] أبو الحسن  
سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذى قال : كان سيبويه يعرض  
ما وضع من النحو على ، ويرى أنى أعلم منه ، وكان فى وقته ذلك أعلم منى .

(١) فى نسخة « وللعهد خضاب أذاله فضا » (م)

(٢) تلوم : تمهل وتمكث ، وركض : أسرع (م) (٣) إنباضتى : أراد صوتى (م)

(٤) القفض التراب أو صغار الحصى ، والمراد أنه لا يتمكن من النوم (م) .

تم عاد على بن سليمان إلى أذاه ، واتصل به أن رجلا عرض عليه قصيدة  
من شعره فطعن عليها ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

أَعْتَقْتُ عَبْدِي فِي الْقَرِيضِ مَعَا      عَبْدَةَ وَالْفَحْلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ  
إِنْ أَنَا لَمْ أَرُمْ بِالْإِسَاءَةِ مَنْ      زَاغَ عَنِ الْقَصْدِ أَوْ أُلِيَ سِدَّةُ  
قَلْتُ لِمَنْ قَالَ لِي عَرَضْتَ عَلَى الْ      أَخْفَشَ مَا قَلْتَهُ فَمَا حَمْدَهُ  
قَصَرْتُ بِالشَّعْرِ حِينَ تَعْرُضُهُ      عَلَى مَبِينِ الْعَمَى إِذَا انْتَقَدَهُ  
أَنْشَدْتَهُ مَنْطِقِي لِشَهِدِهِ      فَعَابَ عَنْهُ عَمَى وَمَا شَهِدَهُ  
مَا بَلَغَتْ بِي الْخَطُوبُ رَتْبَهُ مَنْ      تَفَهَّمُ عَنْهُ الْكَلَابُ وَالْقِرَدَهُ  
وَلَا أَنَا الْمَفْهَمُ الْبَهَائِمُ وَالطَّيْرِ      سُلَيْمَانُ قَاهِرُ الْمَرَدَهُ  
فَإِنْ يَقُلْ إِنِّي حَفِظْتُ فَكَالْسِدِ      فَتَرِجْهُلًا بِكُلِّ مَا اعْتَقَدَهُ  
سَأَسْمِعَ النَّاسَ ذِمَّتَهُ أَبَدًا      مَا سَمِعَ اللَّهُ حَمْدَ مَنْ حَمَدَهُ

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْفَحْلِ ، وَكَانَا شَاعِرَيْنِ مَجِيدَيْنِ ، وَقَالَ عَلْقَمَةُ  
ابْنُ عَبْدِ لِرَجُلٍ وَرَأَى آخَرَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعْبَسٌ فِي وَجْهِهِ : إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ الْمَعْتَذِرُ  
فَتَلَقَّهِ بِوَجْهِهِ مُشْرِقٍ ، وَبِشَرِّ مَطْلَقٍ ؛ لِيَتَبَسَّطَ الْمَتَذَلُّ ، وَيُؤْمِنَ الْمُنْتَصَلُّ .  
وَلَا بِنِ الرَّومِيِّ فِي الْأَخْفَشِ إِخْفَاشُ صُنْتُ الْكِتَابِ عَنْهُ :

\*\*\*

مِنْ آثَارِ تَطْيِيرِ      قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كَاتِبُ مَسْرُوقِ الْبَلْخِي : كُنْتُ بَدَارِي جَالِسًا إِذَا حَجَارَ  
ابْنَ الرَّومِيِّ      سَقَطَتْ بِالْقَرَبِ مَنِي ، فَبَادَرْتُ هَارِبًا ، وَأَمَرْتُ الْغَلَامَ بِالصُّعُودِ إِلَى السَّطْحِ ، وَالنَّظَرِ إِلَى  
كُلِّ نَاحِيَةٍ ؛ مِنْ أَيْنَ تَأْتِينَا الْحَجَارَةُ ، فَقَالَ : امْرَأَةٌ مِنْ دَارِ ابْنِ الرَّومِيِّ الشَّاعِرِ !  
قَدْ تَشَوَّفَتْ وَقَالَتْ : اتَّقُوا اللَّهَ فِينَا ، وَاسْقُونَا جَرَّةً مِنْ مَاءٍ ، وَإِلَّا هَلَكْنَا ، فَقَدْ  
مَاتَ مَنْ عِنْدَنَا عَطْشًا .

فَتَقَدَّمْتُ إِلَى امْرَأَةٍ عِنْدَنَا ذَاتَ عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٍ أَنْ تَصْعَدَ إِلَيْهَا وَتَخَاطِبَهَا ،  
فَفَعَلْتُ وَبَادَرْتُ بِالْحَجَرَةِ ، وَأَتْبَعْتُهَا شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ كَوَلٍ ؛ ثُمَّ عَادَتْ إِلَيَّ فَقَالَتْ :

ذكرت المرأة أَنَّ الباب عليها مُقْفَلٌ من ثلاث بسببِ طَيْرَةِ ابن الرومي ،  
وذلك أَنَّهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَوَّذُ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْبَابِ ، وَالْمِفْتَاحُ مَعَهُ ،  
فِيَضَعُ عَيْنَهُ عَلَى ثَقَبٍ فِي خَشَبِ الْبَابِ ، فَتَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى جَارٍ لَهُ كَانَ نَازِلًا بِإِزَائِهِ ،  
وَكَانَ أَحَدُ بَيْتَيْهِ يَقْعُدُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى بَابِهِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ رَجَعَ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ ، وَقَالَ :  
لَا يَفْتَحُ أَحَدٌ الْبَابَ .

فَعَجِبْتُ لِحَدِيثِهَا ، وَبَعَثْتُ بِخَادِمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ ، فَأَمَرْتُهُ بِأَنْ يَجْلِسَ بِإِزَائِهِ  
- وَكَانَتِ الْعَيْنُ تُتَمِيلُ إِلَيْهِ - وَتَقَدَّمَتْ إِلَى بَعْضِ أَعْوَانِي أَنْ يَدْعُو الْجَارَ الْأَحَدَ ؛  
فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدِي أُرْسِلْتُ وَرَاءَ غُلَامِي ؛ لِيَنْهَضَ إِلَى ابْنِ الرَّومِيِّ ، وَيَسْتَدْعِيهِ الْحَاضِرُ ؛  
فَإِنِّي لَجَالِسٌ وَمَعِيَ الْأَحَدُ إِذْ وَافَى أَبُو حَذِيفَةَ الطَّرْسُوسِيَّ وَمَعَهُ بَرْدَعَةُ الْمَوْسُوسُ  
صَاحِبُ الْمَعْتَصِدِ ، وَدَخَلَ ابْنُ الرَّومِيِّ ، فَلَمَّا تَخَطَّى عَتَبَةَ بَابِ الصَّخْنِ عَثَرَ فَانْقَطَعَ  
سَمْعُهُ نَعْلُهُ ، فَدَخَلَ مَذْعُورًا ؛ وَكَانَ إِذَا فَاجَأَهُ النَّازِلُ رَأَى مِنْهُ مَنْظَرًا يَدُلُّ عَلَى  
تَغْيِيرِ حَالٍ ؛ فَدَخَلَ وَهُوَ لَا يَرَى جَارَهُ الْمُنْتَظَرِ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ،  
أَيَكُونُ شَيْءٌ فِي خُرُوجِكَ أَحْسَنَ مِنْ مَخَاطَبَتِكَ لِلخَادِمِ ، وَنَظَرِكَ إِلَى وَجْهِهِ الْجَمِيلِ ؟  
فَقَالَ : وَقَدْ لَحَقْنِي مَا رَأَيْتُ مِنَ الْعَثَرَةِ ، لِأَنِّي فَكَّرْتُ أَنَّ بِهِ عَاقِبَةً ! وَهِيَ قَطْعُ  
إِنْثِيئِهِ ، قَالَ بَرْدَعَةُ : وَشَيْخُنَا يَتَطَيَّرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَيُفِرُّطُ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟  
قُلْتُ : عَلَى بْنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرَفُهُ      بِنَفَرٍ يِقُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ  
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى      رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ  
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا      فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَصَائِبِ  
فَخَذْتُ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ      وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ  
وَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الْفَالِ وَالزَّجْرِ وَاطَّرَحَ      تَطَيَّرَ جَارٌ أَوْ تَفَاوُلَ صَاحِبِ

فَبَقِيَ ابْنُ الرَّومِيِّ بَاهِتًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ شَغَلَ قَلْبَهُ بِحِفْظِ مَا أَنْشَدَهُ ، ثُمَّ  
قَامَ أَبُو حَذِيفَةَ وَبَرْدَعَةُ مَعَهُ ، فَخَلَفَ ابْنُ الرَّومِيِّ لَا يَتَطَيَّرُ أَبَدًا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ

غيره ، وأوماً إلى جاره ، فقلت : وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مأتاه ، فقلت له : ليتنا كتبناه ؟ قال : اكتبه فقد حفظته ، وأملاه على .

من ابن الرومي إلى ابن ثوابة في التطير  
ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي العباس بن ثوابة ، وقد ندبه إلى الخروج إليه وركوب دجلة :

حَصَصْتُ عَلَى حَطِيئِ لِنَارِي فَلَا تَدَعِ  
وَمَنْ يَلْقُ مَا لَقِيتُ فِي كُلِّ مُجْتَنَى  
أَذَاقَتْنِي الْأُسْفَارُ مَا كَرِهَ الْغَنَى  
وَمِنْ نَكْبَةٍ لَا قَيْتَهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ  
فَصَبْرِي عَلَى الْإِقْتَارِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا  
لَقِيتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ بَعْدَمَا  
سُقِيتُ عَلَى رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطَرَةٍ  
وَلَمْ أَبْغَهَا ، بَلْ سَاقَهَا لِمَكِيدَتِي  
أَبَى أَنْ يُغِيثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا زَمَتْ  
سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِ فَأُصْحَتْ مَزَلَّةً  
فَمِلْتُ إِلَى خَانَ مُرْتٍّ بِنَاوُهُ  
فَمَارَلْتُ فِي جَوْعٍ وَخَوْفٍ وَوَحْشَةٍ  
يُورْفِي سَقْفُ كَأَنِّي تَحْتَهُ  
يَظَلُّ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ  
وَكَمْ خَانَ سَفَرٍ خَانَ فَانْقَضَ فَوْقَهُمْ  
وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ  
فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَتَلَجَّ فَإِنَّهُ

لَكَ الْخَيْرُ ، تَحْذِيرِي سُرُورَ الْمُحَاطِبِ  
مِنْ الشَّوْكِ يَزْهَدُ فِي الثَّمَارِ الْأَطَايِبِ  
إِلَى ، وَأَغْرَانِي بَرَفِضِ الْمَطَالِبِ  
رَهَبْتُ اعْتِسَافَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْمَنَاقِبِ  
عَلَى مِنَ التَّغْيِيرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ  
لَقِيتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْتِضَاضَ الذَّوَابِ  
شَفِيتُ لِبُغْضِهَا بِحُبِّ الْمَجَادِبِ  
تَلَاعَبُ دَهْرٍ جَدَّ بِي كَالْمَلَاعِبِ  
بِرَحْلِي أَتَاهَا بِالْفُيُوثِ السَّوَاكِبِ  
تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبِ  
تَمِيلُ غَرِيقُ الثَّوْبِ لَهْفَانٍ لَا غِبِ  
وَفِي سَهَرٍ يَسْتَغْرِقُ اللَّيْلَ وَاصِبِ  
مِنَ الْوَكْفِ تَحْتَ الْمُدْجَنَاتِ الْهَوَاصِبِ  
تَصِيرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الْجَنَادِبِ  
كَمَا انْقَضَ صَقْرُ الدَّجَنِ فَوْقَ الْأَرَانِبِ  
بِسَوْطِي عَذَابٍ جَامِدٍ بَعْدَ ذَائِبِ  
رَهَيْنُ بَسَافٍ تَارَةً وَبِحَاصِبِ

فذاك بلاء البرِّ عندى شاتياً  
ألا ربَّ نارٍ بالقضاء اضطلَّيتها  
قدَّعُ عنكَ ذِكْرُ البرِّ إني رأيتُهُ  
وما زالَ يَبْغِيَنِي الخُتُوفُ مُوَارِباً  
فطَوَّراً يُغَادِيَنِي بِلَصٍّ مُصَلَّتٍ  
وأما بلاء البحرِ عندى فإنه  
ولو ثابَ عَقْلِي لم أدعُ ذِكْرَ بعضِهِ  
ولم لا ولو أُلْقِيتُ فيه وصخرةٌ  
ولم أتعلمَ قَطُّ من ذى سِباحَةٍ  
وأيسرُ إشفاقٍ من الماءِ أننى  
وأخشى الرَّدَى منه على كلِّ شاربٍ  
أخذه من قول أبى نُؤاسٍ وقد رأى التماسحَ بمصرَ أخذَ رجلاً :  
أضمرتُ للنيلِ هجرانا ومقليةً  
فمن رأى النيلَ رأى العينَ عن كُثْبٍ  
مُذْقِلَ لى إنما التماسحُ فى النيلِ  
فما أرى النيلَ إلا فى البراقيلِ (٣)

### رجع

أظللُّ إذا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَلَا لَأْتُ  
كأنى أرى فيهنَّ فُرْسَانَ بُهْمَةٍ  
فإن قلتَ لى قد يُرَكَّبُ اليمُّ طامياً  
له الشمسُ أمواجاً طوالَ العَوَارِبِ  
يُليحُونَ نحوى بالسيوفِ القَوَاضِبِ (٤)  
ودجلةٌ عند اليمِّ بعضُ المَذَانِبِ (٥)

(٢) واقب : مستكن (م)

(٤) يليحون : يشيرون

(١) الضح - بكسر الضاد - الشمس

(٣) البراقيل : أوانى الشرب

(٥) المذانب : القنوات

فَلَا عُدْرَ فِيهَا لِأَمْرِي هَابَ مِنْهَا      وَفِي اللَّجَّةِ الْخَضْرَاءِ عُدْرُهُ لَهَا ب  
لِدِجْسَلَةٍ خَبٌ لَيْسَ لِلَّيْمِ؛ إِنَّهَا      تَرَاءَى بِحِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَاثِب  
تَطَامَنُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا      وَتَغْضَبُ مِنْ مَزِجِ الرِّيَّاحِ الْوَاثِبِ  
وَلِلَّيْمِ إِنْذَارٌ بِغَوْصِ مُتُونِهِ      وَمَا فِيهِ مِنْ آذِيَةِ الْمُتْرَاكِبِ<sup>(١)</sup>  
وهي طويلة، وفيما مرَّ كفاية تنبيء عنه وتبدل عليه، ولو مدت أطناب الاختيار  
لتتبع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب.

[من ملبح العيافة والزجر]

أبو نواس      ومن ملبح العيافة والزجر ما رواه الصُّولي، قال: كان لأبي نواس إخوان  
وبعض أصحابه لَا يُفَارِقُهُمْ، فاجتمعوا يوماً في موضع أَخْفَوْهُ عَنْهُ، وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِرَسُولٍ مَعَهُ ظَهْرُ  
قِرْطَاسٍ أبيض، لم يكتبوا فيه شيئاً، فخرَّمُوهُ بِزِيرٍ<sup>(٢)</sup>، وَخَتَمُوهُ بِقَارٍ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى  
رَسُولِهِمْ لِيَرْمِيَ بِالْكِتَابِ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ اسْتَعْلَمَ خَبْرَهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مِنْ  
فَعْلِهِمْ، فَتَعَرَّفَ مَوْضِعَهُمْ وَأَمَّا رَهُمْ، فَأَتَاهُمْ فَأَنشَدَهُمْ:

وَجَدْتُ كِتَابَكُمْ لَمَّا أَتَانِي      يَمُرُّ بِسَانِحِ الطَّيْرِ الْجَوَارِي  
نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَخْزُومًا بِزِيرٍ      عَلَى ظَهْرٍ، وَخَتُومًا بِقَارٍ  
فَقُلْتُ: الزَّيْرُ مُلْهِيبَةٌ وَلَهُوٌ      وَخِلْتُ الْقَارَ مِنْ دَنِّ الْعَفَارِ  
وَخِلْتُ الظَّهْرَ أَهْيَفَ قُرْطَقِيًّا      يَحِيلُ الْعَقْلَ مِنْهُ بِأَخْوِرَارٍ<sup>(٣)</sup>  
فَهِمْتُ إِلَيْكُمْ طَرَبًا وَشَوْقًا      فَمَا أَخْطَأْتُ دَارَكُمْ بِدَارٍ  
فَكَيْفَ تَرُونَنِي وَتَرُونَ وَجْدِي      أَلَسْتُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْكِبَارِ؟  
وَقَالَ الطَّائِي:

لأبي تمام

أَنْتُمْ مَعْصُومَاتُ عِبْرَاتٍ عَيْنِكَ أَنْ دَعَيْتَ      وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُ الْعِظَامَ<sup>(٤)</sup>

(١) الآذَى: الموج (٢) الزير: الوتر

(٣) القرطقي: الذي يلبس القرطق، وهو ضرب من رقيق اللباس

(٤) في الديوان (٢٧٩) «أتحدت عبرات عينك»

لا تنسجن لها ؛ فإن بُكَّاءها ضحكٌ ، وإن بكاءك استغرامٌ  
هنَّ الحمامُ وإن كسرت عِيفَةً مِنْ حَائِنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ

\*\*\*

وروى يموت ابن المزرع قال : كان أحمدُ بن المدبر إذا مدحه شاعرٌ فلم أحمد بن المديبر  
يرضَ شعره قال لغلامه : امض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقهُ حتى يُصلى والجلل الشاعر  
مائة ركعة ، ثم خَلِّهِ ؛ فتحاماه الشعراءُ ، إلا الأفراد المجيدين ؛ فجاءه أبو عبد الله  
الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجلل ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : قد  
عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، وأنشده :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا      كَمَا بِالْمَدْحِ يُنْتَجَعُ الْوَلَاةُ  
فَقُلْنَا : أَوْ كَرَّمُ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا      وَمَنْ كَفَّاهُ دَجَلَةٌ وَالْفِرَاتُ  
فَقَالُوا : يَقْبَلُ الْمَدْحَاتِ لَكِنْ      جَوَائِزُهُ عَلَيْهِنَّ الصَّلَاةُ  
فَقُلْتُ لَهُمْ : وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي      عِيَالِي ! إِنَّمَا الشَّأْنُ الزَّكَاةُ  
[ فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي      وَعَاقَتِي الْمَهْمُومِ الشَاغِلَاتُ ]  
فِيَأْمُرُ لِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا      فَتَصْبِحُ لِي الصَّلَاةُ هِيَ الصَّلَاتُ

فضحك واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال : من قول  
أبي تمام الطائي :

هِنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيفَةً      مِنْ حَائِنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ  
فأحسن صلته .

لأبي الفضل  
الميكالي في أهل  
مرو

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو واخلعوا عن طاعته :  
يَا رَاكِبًا أَضْحَى يَحْبُ بَعْضُهُ      لِيَوْمٍ مَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُهَيَّعِ  
أَبْلِغْ بِهَا قَوْمًا أَثَارُوا فِتْنَةً      ظَلَّتْ لَهَا الْأَكْبَادُ رَهْنًا تَقْطَعُ  
إِذَا قَدَّمُوا ظُلْمًا عَلَى سُلْطَانِهِمْ      بِالْغَدْرِ وَالْخُلْعِ الدِّمِيمِ الْمَقْطَعِ  
وَبَحْلٌ عَقْدٌ لَوَائِهِ وَإِبَاحَةٌ      لَجَنَابِهِ وَحَرِيمُهُ الْمَتَمَنَعِ

ابلعهم أنى اتخذت لعلهم  
أما اللواء وحله فمخبر  
والخلع يخبر أن ستخلع عنهم  
والغدري نبي أن تغادر في الوغى  
والفرقتان فشاهد معنهما  
فتسمعا لقاتلي وتأهبوا  
فالله ليس بغافل عن أمركم  
حتى تحل بكم عقوبة موجع

قال أبو عثمان الجاحظ : سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :  
هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خضب بعد جذب ، وغنى  
بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم ،  
والشباب الناعم .

الثقفي يصف  
رجلا يرتاح  
إليه

[ ابن أبي دؤاد يعفو عن الجاحظ ]

وكان الجاحظ مائلا عن ابن أبي دؤاد إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما  
نكب محمد بن عبد الملك ، أدخل الجاحظ على ابن أبي دؤاد مقيدا ، فقال له أحد :  
والله ما أعظمك إلا متناسيا للنعمة ، كفورا للصنيعة ، معددا للمساوي ، وما فتني  
باستصلاحك لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ؛ لفساد طوييتك ، ورداءة  
دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك .

ابن أبي دؤاد  
والجاحظ

فقال الجاحظ : خفف عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر  
على خير من أن يكون لي عليك ، ولأن أسىء وتحسن أحسن في الأخذ ونة  
من أن أحسن فتسىء ، ولأن تعفو عني على حال قدرتك على أجمل بك من  
الانتقام مني ، فعفا عنه<sup>(١)</sup> .

(١) انظر بقية هذا المجلس في إرشاد الأريب ( ٦ / ٥٩ ) .



[ عتبة بن أبي سفيان وأعرابي ]

قال سعد مولى عتبة بن أبي سفيان : خطب عتبة الناس في الموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس إذ ذاك حديثو عهد بالفتنة ؛ فقال : قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر ، وللمسيء الوزر ؛ ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ؛ فإنها تقطع دوننا ؛ فرب ستمن أمراً حثفه في أمنيته ؛ فاقبلوا منا العافية ما قبلناها منكم <sup>(١)</sup> ؛ وأنا أسأل الله أن يعين كلاً على كل .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال : لست به ولم تبعد ، قال : يا أخاه ، قال : سمعتُ فقل ، فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان منكم فما أولاً لكم بإتمامه ، وإن كان منّا فما أولاً لكم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجل من بني عامر بن صعصعة يمت بالعمومة ويختص بالخوالة ، كثر عياله ، ووطئه زمانه ، [ وبه فقر ] وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال له عتبة : أستغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرت لك بغناك ، فليت إسراعى إليك يقوم بإبطائي عنك !

[ بين الجاحظ وابن الزيات ]

قال الجاحظ : تشاغل مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شغلي مع الحسن بن وهب ، فتنكر لي ، وتلون عليّ ؛ فكتبتُ إليه رقعة نسختها : أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف ، ورجح في قلبك إيثار الاناة ، فقد خفتُ — أيديك الله ! —

(١) زاد في الأما إلى (٢٣٦/١) « وأياكم ولوا ؛ فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن

تريح من بعدكم » .

أن أكون عندك من المنسوين إلى نَزَقِ السفهاء ، ومُجَانَبَةِ سُبُلِ الحكماء ،  
وبعدُ ، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وإن امرأاً أُمسى وأصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لَسَعِيدُ  
وقال الآخر :

ومن دعا الناس إلى ذمِّهِ ذمُّهُ بالحقِّ وبالباطِلِ

فإن كنتُ اجترأتُ عليك — أصلحك الله! — فلم اجترئُ إلا لأنَّ دوامَ  
تغافلِكَ عني شبيهٌ بالإهمال ، الذي يُورِثُ الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمنُ منَ  
المكافأة ، ولذلك قال عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة لعمان رحمه الله : عمر كان خيراً لي  
منك ، أرهبني فَأَتَقَانِي ، وأعطاني فَأَغْنَانِي ، فإن كنتَ لا تَهَبُ عقابي — أيدك الله ! —  
لخدمَةِ فُهْبٍ لآيديك عندي ؛ فإنَّ النعمةَ تشفعُ في الثَّغْمَةِ ، وإلا تفعلْ ذلك  
لذلك فَعُدْ إلى حُسْنِ العادة ، وإلا فافْعَلْ ذلك لِحُسْنِ الأحدثِة ؛ وإلا فاتِ  
ما أنتَ أهلُهُ من العفو دون ما أنا أهلُهُ من استحقاق العقوبة ، فسبِّحان مَنْ  
جعلكَ تَعْفُو عن المتعمِّد ، وتتجافى عن عقابِ المُصِرِّ ، حتى إذا صرتَ إلى مَنْ  
هَفْوَتُهُ ذِكْرٌ ، وذَنْبُهُ نسيان ، ومن لا يعرف الشكرَ إلاَّ لك ، والإنعامَ إلا منك  
هَجَمَتْ عليه بالعقوبة . واعلم — أيدك الله ! — أنَّ شَيْنَ غَضَبِكَ على كَرِيْنٍ  
صَفَحِكَ عني ، وأنَّ موتَ ذِكْرِي مع انقطاع سببي منك كحياةِ ذِكْرِكَ مع اتصال  
سببي بك ، واعلم أنَّ لكَ فطنةً عليم ، وغفلةً كَرِيم ، والسلام .

[ من كلام علي - رضي الله عنه ! - في أعجب ما في الإنسان ]

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أعجَبُ ما في الإنسان قَلْبُهُ ، وله  
مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها ؛ فإنَّ سَنَحَ له الرجاء أذلَّهُ الطمع ، وإن  
هاجه الطَّمَعُ أهْلَكَه الحِرْصُ ، وإنَّ مَلَكَه اليَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ ، وإنَّ عَرْضَ له  
الغضب اشتدَّ به العَيْظُ ، وإنَّ أَسْعَدَ بالرضا نَسِيَ التحفظ ، وإنَّ أتاها الخوفُ

شغله الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة ، وإن أصابته مصيبة فضحه  
 الجزع ، وإن استفاد مالا أطاعه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن  
 جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة ، فكل  
 تقصير مضر ، وكل إفراط له قاتل .

\* \* \*

البيت الذى أنشده الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان فى أبيات يقول فيها :  
 لعبد الرحمن بن حسان

متى ما يرى الناس الغنى وجاره فقير يقولوا : عاجز وجليل  
 وليس الغنى والفقير من حيلة الفتى ولكن أحاط قسمت وجدود  
 وإن امرأ يمسى ويصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسهيد  
 والبيت الذى أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلى فى أبيات يقول فيها :

لمحمد بن حازم  
 الباهلى

إن كنت لا ترهب ذمى لما تعلم من صفحى عن الجاهل  
 فاخش سكوته آذنا منصتا فيك لمسمع خنى القائل (١)  
 فسامع الشر شريك له ومطعم الماكول كالا كل  
 مقالة سوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل  
 ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل  
 فلا تهيج ، إن كنت ذا إزبة ، حرب أخى التجربة الغافل  
 فإن ذا العقول إذا هجته هجته به ذا خبيل خابيل  
 تبصر فى عاجل شداته عليك غيب الضرر الآجل

للجاحظ فى

ابن الزيات

وفى ابن الزيات يقول الجاحظ :

بدأ حين أثرى لإخوانه فقلل منهم شبابة العدم  
 وأبصر كيف انتقال الزمان فبادر بالعرف قبل الندم

[ الجاحظ ورجل من البرامكة فى مرضه ]

قال بعض البرامكة : كنت أنقلد السند ، فاتصل بى أنى صرفت عنها ،

(١) حفظى « فاخش سكوته إذ أنا منصت » (م)

وكنـت كسبت ثلاثين ألف دينار ، فـخِفتُ أن يـفـجأني الصارف ، ويُسعى إليه بالمال ، فصُعُتُهُ عشرة آلاف إهليلجة<sup>(١)</sup> في كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وجعلتها في رَحْلى ، ولم أبعد أن جاء الصارف ؛ فركبْتُ البحرَ ، وانـمـحـدـرتُ إلى البصرة ؛ فـخـبـرتُ أن بها الجاحظ ، وأنه عليل ؛ فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصِرتُ إليه ، فأفضيتُ إلى باب دارٍ لطيف ، فـقـرَعتُهُ ، فـخـرجـتُ إلى خادِمٍ صفراء ، فقالت : مَنْ أنت ؟ فقلت : رجل غريب أحبُّ أن يدخل إلى الشيخ فيُسرَّ بالنظر إليه ، فأدتْ ماقلتُ ، وكانت المسافة قريبة لصغر الدهليز والحجرة ، فسمعتْه يقول : قولى له : وما تصنع بشق مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل ؟ فأخبرتني ، فقلت : لا بدَّ من الوصول إليه ، فقال : هذا رجل قد اجتاز بالبصرة ، فسمع بي وبعلى ، فقال : أراه قبل موته ؛ لأقول : قد رأيت الجاحظ .

فدخلت فسلمت فردَّ ردًّا جميلاً واستدَّ نأني ، وقال : مَنْ تكون ؟ أعزك الله ! فانتسبتُ له ، فقال : رحم الله أباك وقومك الأسخياء الأجواد ، الكرام الأجماد ، لقد كانت أيامهم رَوْضَ الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق ، فسقياً لهم ورعياً ؛ فدعوت له ، وقلت : أنا أسألُ الشيخ أن يُنشدني شيئاً من الشعر أذكره به ، فأنشدني :

لئن قَدِّمْتُ قَبْلِي رِجَالُ فُطُلْمَا      مَشَيْتُ عَلَى رُسُلِي فَكُنْتُ الْمَقْدَمَا<sup>(١)</sup>

ولكنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَأْتَى ضُرُوفُهُ      فَتُبْرِمُ مَنَقُوضًا ، وَتَنْقُضُ مُبْرَمًا

ثم نهضتُ ، فلما قاربْتُ الدهليز صاحَ بي فقال : يا فتى ؛ أرايتَ مفلوجاً يَنْفَعُهُ الإهليلج ؟ فقلت : لا ، قال : فأنا ينفعني الإهليلج الذي معك ، فَأَنْفِذْ إِلَيَّ مِنْهُ ، فقلت : السمع والطاعة ، وخرجت مُفْرِطَ التعجب من وقوعه على خَبْرِي ، حتى كَأَنَّ بَعْضَ أَحِبَّابِي كَاتِبَهُ بِخَبْرِي حين صُعُتُهُ ، فَأَنْفَذْتُ إِلَيْهِ مائة إهليلجة .

(١) الإهليلج : ثمر قريب الشكل من البلح ، والواحدة بهاء ، يريد أنه صاغ

الذهب على شكل الإهليلج ( م )

## المقامة الجاحظية

مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ [

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتني مع رُفقة وُلَيْمة ، وأَجَبْتُ إليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لودُعيتُ إلى كُراع لأَجَبْتُ ، ولو أهدى إلى ذراع لقبلت » ، فأفَضِي بنا المسيرُ إلى دار قد فُرش بساطُها ، وبُسِطت أَمَاطُها ، ومُدَّت سَمَاطُها ، وقومٌ قد أخذوا الوقت بين آسٍ مخضود ، وورْدٍ منضود ، ودَنٍّ مَقْصود ، ونأى وعود ؛ فَصِرْنَا إليهم وصاروا إلينا ، ثم عكفنا على خِوانٍ قد مُلِئَتْ حياضُه ، ونوَّرت رِياضُه ، واصطفت جِفَانُه ، واختلفت ألوانُه ؛ فمن حالك يازائه ناصع ، ومن قانٍ في تلقائه فاقعٌ ، ومعنا على الطعام رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُه على الخِوان ، وتَسْفِرُ بين الألوان ، وتأخذ وجوة الرُغَفَان ، وتَقْفُ عيونَ الجِفَان ، وترعى أرضَ الجيران<sup>(١)</sup> ؛ يَرْحَمُ اللقمة باللقمة ، ويهزِمُ المَضْغَةَ بالمَضْغَةِ ، وهو مع ذلك ساكتٌ لا يَنْبِس ، ونحن في الحديث نجرى معه حتى وقف بنا على ذِكْرِ الجاحظ وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذرايته ، ووافق أول الحديث آخرَ الخِوان ، وزلنا عن ذَلِكَ المِكان ، فقال الرجلُ : أين أنتم من الحديث الذي فيه كنتم ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولَسَنِهِ ، وحُسْنِ سَنَنِهِ في الفصاحة وسُنَنِهِ فيما عرفناه ؛ فقال : يا قومُ ؛ لكلِّ عملٍ رجال ، ولكلِّ مقامٍ مَقَالٌ ، ولكلِّ دارٍ سُكَّانٌ ، ولكلِّ زمانٍ جاحظ ، ولو انتقدتم ، لبطلَ ما اعتقدتم ، فكلُّ كَشَرٍ له عن ناب الإنكار ، وشَمٌّ بأنفِ الإكبار ، وضَحِكٌ إليه ، لأجلَبَ ما لديه ، وقلت : أَوَدُّنا وزِدُّنا ، فقال : إنَّ الجاحظَ في أحدِ شقَى البلاغة يَقْطِفُ ؛ وفي الآخرِ يَقِفُ ، والبلغُ من لم يُقْصِرَ نظْمُه عن نَدْرِه ، ولم يُزِرْ كَلامُه بشعرِه ، فهل ترَوُّونَ

(١) في المقامات « تجول في القصعة ، كالرخ في الرقعة » - والرخ : قطعة في لعبة

الشطرنج تسير يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أول الرقعة إلى آخرها (م)

للباحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا، قال: فهلموا إلى كلامه؛ فهو بعيد الإشارات، قريب العبارات، قليل الاستعارات، متقاد لعيان الكلام يستعمله، نفور من مقتاصه يهمله، فهل سمعتم له بكلمة غير مسنوعة، أو لفظة غير مصنوعة؟ فقلت: لا، فقال: هل تحب أن تسمع من الكلام ما يخفف عن منكبيك، ويقيم على ما في يديك؟ فقلت: إي والله، قال: فأطلق لي عن خنصرِكَ ما يعين على شكرِكَ، فأنتله ردائي، فقال:

لعمُرُ الذی ألقى إلى ثيابه      لقد كسبت تلك الثيابُ به مجدا  
وقد قمرته راحة الجودِ بزة      فما ضربتُ ودحا ولا نصبتُ نردا  
أعِدْ نظراً يا مَنْ كَسَانِي ثيابه      ولا تدعِ الأيامُ تهْدِمُنِي هَدا  
وقل للآلى إن أسفروا أسفروا ضحى      وإن طلَعوا في غَمَةٍ طلَعوا وردا  
صَلُّوا رَحِمَ الْعَلِيَّا وُبلوا لهاها      فَخَيْرُ النَّدى ما سَحَّ وابلُه نقدا  
قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، واثالثت الصلات عليه، وقلت لما تآانسنا: من أين مطلع هذا البدر؟ فقال:

إسكندرية داري      لو قرء فيها قراري  
لكن ليلى بنجد      وبالبحار نهاري

[ من كلام الملوك ]

تظلمت رعيّة أردشير بن بابك إليه في سنة مُجْدِبَةٍ لِعَجْزِهِم عن الخراج، وسألته أن يخففه عنهم؛ فكتب لهم ما نسخته: من أردشير المزيّد بالبهاء، ابن الملوك العطاء، إلى الفقهاء الذين هم حفظة البيضة، والكتّاب الذين هم ساسة المملكة، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد، أما بعد، فإنّا نحمدُ الله تعالى حمداً الصالحين، وقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رأفتنا إتاوتنا الموظفة عليهم سنّتنا هذه، ونحن كاتبون مع ذلك تملّيمهم بوصية تنفع الكل: لا تستشعروا الحقد

من كلام  
أردشير  
ابن بابك

لئلا يَغْلِبَ عليكم العدو ، ولا تحبوا الاحتكار لئلا يشملكم القحط ، وكونوا للغرباء مؤيدين ، لتؤووا غدا في المعاد ، وتزوّجوا في القربة فإنه أحسن للرحم ، وأثبت للنسب ، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئا فإنها لا تبقى على أحد ، ولا ترفضوها مع ذلك ؛ فإن الآخرة لا تُنال إلا بها .

من كلام  
بزر جهر

وقيل لبزر جهر : أيُّ الاكتساب أفضل ؟ قال : العلم والأدب كنزان لا ينفدان ، وسراجان لا يُطفآن ، وحُلَّتَان لا تبليان ؛ مَنْ نالهما نال أسباب الرشاد وعرف طريق المعاد ، وعاش رفيعا بين العباد .

من كلام  
أنوشروان

وقال أنوشروان لبزر جهر لما ظفر به : الحمد لله الذي أظفرني بك ، قال له : فكافئه بما يجب كما أعطاك ما تحب . قال : وبم أكافئه يا فاسق ؟ قال : بالعفو عمن أظفرك به اليوم كما تحب أن يعفو عنك غدا ..

ونظير هذا الكلام قد تقدّم لعلّ رضى الله عنه .

وقيل لكسرى : أيُّ الملوك أفضل ؟ قال : الذى إذا جاورته وجدته عليا ، وإذا خبرته وجدته حكيما ، وإذا أغضب كان حليما ، وإذا ظفر كان كريما ، وإذا استمنع منح جسيما ، وإذا وعد وفى ، وإن كان الوعد عظيما ، وإذا شكى إليه وجد رحيا .

[ من رسائل الميكالى ]

كتاب منه  
للشعالي

كتب الأمير أبو الفضل الميكالى إلى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي : كتابي وأنا أشكو إليك شوقا لو عاجله الأعرابي لنا صبا إلى رمل عاج ، أو كابده الخليل لا ننثني على كيد ذات حرق ولو أعج ؛ وأدّم زمانا يفرق فلا يحسن جمعا ، ويخرق فلا ينوى رقعا ، ويوجع القلب بتفريق شمل ذوى الوداد ، ثم يبخل عليهم بما يشفي الصدور والأكبّاد ؛ قاسى القلب فلا

يلينُ لاستعطاف ، جأثر الحكم فلا يميلُ إلى إنصاف ، وكم أستعدي على صرْفه  
وأستنجِد ، وأتلظى غيظا عليه وأنشد :

متى وعسى يثنى الزمانُ عِناهُ      بعثرة حالٍ والزَّمانُ عَثورُ  
فتُذرك آمالٌ وتُفْضَى مآربٌ      وتحدث من بعد الأمور أمور

وكلاً ، فما على الدهر عتب ، ولا له على أهله ذنب ؛ وإنما هي أقدار تجري  
كما شاء مُجْريها ، وتنفذ كإسْهام إلى مَرَامِها ؛ فهي تدورُ بالمكروه والمحجوب ،  
على الحكم المذدور والمكتوب ، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب ؛  
وإذا أراد الله تعالى أذن في تقريب البعيد النازح ، وتسهيل الصَّعب الجامح ،  
فيعود الأنسُ بقاءك الإخوان كأنتم ما لم يزل معهوداً ، ويجدد لهذا كِرة والمؤانسة  
رسوماً وعهوداً ؛ إنه الملجئ به ، والقادر عليه .

كتاب منه  
إلى أبيه

وله إلى أبيه : ولو ملكتُ عِنانَ اختياري ، وأسعفتي ببعض ما أقترحه  
القدرُ الجارى ، لما غبتُ عن حضرته - آنسها الله ! - ساعةً من دهرى ، كما لا أعدُّ  
ساعاتٍ بعدي عنها وإخلائي لبابها من أيام عمرى ؛ ولكنى أبدأ مائلاً بها  
في زمرة الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتي العز المديد ، والشرف العتيد ؛  
لا سيما في هذا الوقت وقد أشرقت البلاد بنور طلعتها التي هي في ظلمة الدهر صباح ،  
وعز مطالعته التي فيها لصدور ذوى الشَّنا شجاً ولزند الآمال اقتداح ، ومعاودة  
ظِلِّهِ التي أضحت الشمسُ من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعتاده ،  
إلا أن الحريص - كما علمه مولانا - يُخلى عن أعذب موارده ، وممنوع بالعوائق  
عن أكرم مطالعه ومقاصده .

وله يستفتح مكاتبة بعض إخوانه :

كتاب منه  
يستفتح به  
مكاتبة أخ

أنا وإن لم تتقدم بيني وبينه المكاتبة ، وعادة المساجلة والمفاوضة ، من فرط  
حِرْصى على افتتاحها وتعاطيها ، واعتراض العوائق دون المراد والغرض فيها ، فإن



قلبي بودّه مَمُور ، وضميرى على مُصَافَاتِهِ مقصور ، فاعتدأه لفضائله التى أصبح فيها أو حدى العنان ، وزاحم فيها منكب العنان<sup>(١)</sup> ، واستأثر فيها بالغرر والواضح ، ما أوفى بها على غرّة الصباح ، حتى تشاهدت بها ضائر القلوب ، وتهدت أنباءها ألسنة البعيد والقرىب ، اعتداد من يجمع بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه ، ومن ينظم فى إجلال قدرها صفقة إسراره وإعلانه ، فهو يتنسم الريح إذا هبت من ناحيته شوقاً ونزاعاً ، ويستملى الوارد والصادر خبر سلامته انصياحاً بالود إليه وانقطاعاً .

شذور من كلامه فى أثناء رسائل شتى : أياديه التى غمرتني سجالها ، واتسع عندي مجالها ، وأغياً شكرى عفوها وانثيالها ، تناولت فيها المني دانية القطوف ، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف ، ليس يكاد يبرد غليل شوقي وحنيني ، أو ترجع نافرة انسى وسكوني ، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطري وظنوني ، إلا بالتقاء يدنو أمده ، ويقرب مواعده ، وتعلو على الفراق يده ، فنعاود العيش طلقاً غزيراً ، ونجتني ثمر المني غصاً نضيراً ، ونجتلي وجه الزمان مشرقاً منيراً . فوائده لها عندي أثر الغمام أو أنفع ، ومحل السماك أو أرفع . حالى فى مفارقة حضرتة حال بنات الماء قد نصب عنها الغدير ، ونبات الأرض<sup>(٢)</sup> أخطأها النوء المطير . لطفى على دهر الحداثة إذ غصن شبابي غصن وريق ، ونقل شرابي عض وريق . كلام أحلى من ريق النحل ، وأصفى من ريق الوبل . من تسود قبل وقته وآلته ، فقد تعرض لِمَقْتِهِ وإذالته . نظمه له :

إن من يلتمس الصد ر بلا وقت وآله

لحقيق أن يلتقى كل مقت وإذاله

الشكل للكتاب ، كالحلى للكعب . لو كان الشباب فِضة لكان الشيب له خبثاً . النعمة عروس مَهْرُها الشكر ، وثوب صَوْنُهُ العُسر . الخضاب تذكرة الشباب . لا تقاس المَهاوى بالمرآق ، ولا الأقدام بالترآق ، ولا البحور بالسواقي .

(١) العنان بكسر العين : أصله ما تقاد به الدابة ، وفتح العين : السحاب (م) .

(٢) فى المطبوعات كلها « ونبات الأرض » (م) .

كم أبلاني من عُرفٍ جزيل لا يُبلى الدهرُ جدّةَ ردائه ، وقضاني من دينٍ  
تأميل لا يَقْضِي الشكرُ حقَّ نعمائه . الشكرُ للنعمة نتاج ، والكفران لها رتاج ،  
وكما زدت النعمة شكراً ، زادت طيباً ونشراً .

قطعة من شعره في تجنيس القوافي

قال في أبيه :

مبدعاً في شمائل الجودِ خيماً • ما اهتدينا لأخذه واقتباسه<sup>(١)</sup>  
فهو فظٌّ بالمسألِ وقت نداءه • وجوادٌ بالعفو في وقتِ باسه  
وقال فيه :

إذا ما جادَ بالأموالِ ثنى • ولم تُدرِكهُ في الجودِ الندامةُ  
وإن هَجَسَتْ خواطرُهُ بجمع • لرَيْبِ حوادثٍ قال الندى مَه<sup>(٢)</sup>  
وقال فيه :

ولما تنازعَ صَرفُ الزمانِ • فزَعَنَّا إلى سيدِ نابه  
إذا كَشَرَ الدهرُ عَنْ نابه • كَشَفْنَا الحوادثَ عَنَّا به  
وقال فيه :

إن نَابِنا خَطْبُ فَاَرَاؤُهُ • تغنى عن الجيشِ وتسريه  
وإن دَجَا ليلٌ بَدَا نوره • للركبِ نَجْمًا فهو يسرى به  
وقال يفتخر :

وكم حاسدٍ لي أنْ يرى فأنثني • لِعَصَّةِ نَفْسٍ شَجَاها شَجَاها  
ومن أينَ يَسْمُو لنيلِ العُلا • وما بثَّ مالاً ولا رَاشَ جَها  
ومنها قوله :

وسائلةٌ تُسألُ عن فعالي • وعمّا حازَ في الدنيا جَمالي

(١) الخيم - بكسر الخاء - السجية والطبع (م).

(٢) الندى : الجود والبر ، ومه : اسم فعل معناه اكفف (م).

فقلت : إلى المعالي حنّ قلبي  
وللعلياء نهج مستقيم  
إذا أسرجت في فخر سماءي  
وقال في نوع من هذا الجنس :

ومن يسر فوق الأرض يطلب غاية  
ومن يختلف في العالمين نجاره  
ومن يجز في المال يكسب ربحه  
من المجد يسرى فوق جمجمة النسر  
فإنّا من العلياء نجري على نجر<sup>(١)</sup>  
فبالمال نشرى رايح الحمد والذشر

\*\*\*

لأبي الفتح  
البسقي

وعلى نحو هذا الخذو يقول أبو الفتح البسقي :  
أبا العباس لا تحسب بأني  
ولي طبع كسّسأل المجاري  
إذا ما أكتب الأدوار زندا  
وقال أبو الفتح البسقي أيضاً :

بسيّف الدولة أسقت أمور  
سما وحى بنى سام وحام  
رأيناها مبددة النظام  
فليس كمثله سام وحام

[ أدب الحاجب ]

بين ملك  
وحاجبه

قال بعض الملوك لحاجبه : إنك عيني التي أنظر بها ، وجنتي التي أستنم  
إليها ؛ وقد وليت بك بأبي ، فما تراك صانعاً برعيتي ؟

قال : أنظر إليهم بعينك ، وأحملهم على قدر منازلهم عندك ، وأضعهم لك  
في إبطائهم عن بابك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث  
جعلهم ترتيبك ، وأحسن إبلاغك عنهم ، وإبلاغهم عنك .

(١) النجر : الأصل ، ومثله النجار ، بزنة الكتاب .

قال : قد وَفَيْتَ بما عليك قولاً ، إن وَفَيْتَ به فعلاً ؛ والله وليّ كفايتك

ومعوثك .

وصية المهدي  
للفضل  
ابن الربيع

قال المهدي للفضل بن الربيع : إني قد وَلَّيْتُكَ سِتْرَ وجهي وَكَشَفَهُ ، فلا تجعل الستر بيني وبين خواصِّي سبباً لَضِغْنِهِمْ بِقُبْحِ رَدِّكَ ، وَعُبُوسِ وَجْهِكَ ؟ وقدّم أبناء الدعوة ؛ فإنهم أَوْلَى بالتقديم ، وَثَنٌ بالآلِوياء ، واجعل للعامة وَقْتاً إذا دَخَلُوا أَعْجَلَهُمْ ضِيقُهُ عن التلُّبُّث ، وَصَرَفَهُمْ عَنِ التَّمَكُّث .

للحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل : إذا كان الملك محتججاً عن الرعية ، ولم ينزل الوزير نفسه منزلةً تكون وسائلُ الناس إليه أنفُسَهُمْ واستحقاقُهُمْ دون الشفاعات والحرمات ، حتى يختصَّ الفاضلُ دون المفضول ، ويرتّب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفتهم ، امتزج التديير ، واختلّت الأمور ، ولم يميّز بين الصدور والاعجَاز ، والنواصي والأذنان ، وكان الناس فَوْضَى ، وَوَهَتْ أسبابُ الملأ ، وانتَقَضَتْ مَرَاثِرُهُ ، وشاعت سرائره ، وَإِنْ أَقْرَبَ ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المتنسّمين بأنفسهم ، المتوسلين بأفهامهم ، المتوصلين بكفائتهم ، وابْتَدَالَ نفسى لهم ، وصبري عليهم ، وتصفحي ماتوسلوا به وانتحلوه : من العفول والآداب ، والحماية والكفاية . فَمَنْ ثَبَتَ له دَعَاوُهُ أَنْزَلَتْهُ تلكَ المَنَزِلَةُ ، ولم أَتَحَيَّفْهُ حقّه ، ولا نَقَضْتُه حَقْلَهُ ، ومن قَصَرَ عما ادَّعى كانت منزلته منزلةً المقصرين ، ولم أَخَيِّبْ أَمَلَهُ من مقدار ما يستحقّه .

لبعض البلغاء

وقل بعضُ البلغاء : إذا أُسْدِلَ الوالى على نفسه سِتْرُ الحِجَاب ، وَهَى عُمُودُ تدييره ؛ وَاسْتَرَحَّتْ عليه حمائلُ الحَزْمِ ، وازدَلَقَتْ إليه وفودُ الذمِّ ، وتولّى عنه رشد الرّاجي ، ونال أموره خَلَلُ الانتشار ، وآفة الإهمال ، وتسَرَّعَ إليه العائبون بلواذع ألسنتهم وَدَيِّبِ قوارضهم .

بين سعيد بن  
عبد الملك وعبيد  
الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب إليه : سِرْتُ إلى بابك — أعزك الله — عند ما حدث من أمرك ، فلم يُقَضَّ لِقَاؤُكَ ، وعلمت أن

ثَقَنَتْكَ بِمَا عِنْدِي، قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السُّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ، وَأَرَنْتَكَ  
مَوْضِعِي مِنَ الْاِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ، فَوَكَلْتُ الْعُذْرَ إِلَى ذَلِكَ .  
ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مَتِيْمَيْنِ بَطْلَعَتِكَ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَيْكَ، فَيَحْجُبُنَا عَنْكَ مُلَاحَظُ .  
وَهُوَ كَمَا عَلِمْتَ زَنِيمُ الصَّنِيعَةِ، لَيْتِمُ الطَّبِيعَةِ، يَحْجُبُ عَنْكَ الْكِرَامَ، وَيَأْذَنُ  
عَلَيْكَ لِلثَّامِ، كُلَّمَا نَجَمَتْ لَهُ يَدٌ بَيْضَاءُ، أَتْبَعَهَا يَدَا سُودَاءَ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعَزَّكَ  
اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لأبي السمط  
بن أبي حفصة

وقال أبو السمط بن أبي حفصة :

فَتَى لَا يَبْكَالِي الْمُدْلِجُونَ بِسُورِهِ إِلَى بَابِهِ إِلَّا تُضَيَّ السَّكَاكِبُ  
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعِينُهُ، وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ<sup>(١)</sup>  
أَخَذَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَوْلِ جَدِّهِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ الْأَكْبَرِ :

لمروان بن  
أبي حفصة

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمَهْدِيِّ خَاضَتْ رَكَابَنَا دَجَى اللَّيْلِ يَخْطِئُ السَّرِيحَ الْمُخْدَمًا<sup>(٢)</sup>  
يَكُونُ لَهَا نُورُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا بِهِ تَسْرِي إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

لإدريس بن  
أبي حفصة

وقال إدريس بن أبي حفصة، وَذَكَرَ إِيْلَا :

هَـا أُمَامُكَ نُورٌ تَسْتَضِي بِهِ وَمِنْ رَجَائِكَ فِي أَعْنَاقِهَا حَادِي  
لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْغَلُهَا عَنْ الرُّتُوعِ وَتُلْهِمُهَا عَنِ الزَّادِ

لعمر بن  
شأس الأسد

وَأَصْلُهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ شَأْسِ الْأَسَدِيِّ :

إِذَا نَحْنُ أَدْخَلْنَا وَأَنْتَ أَمَامُنَا كَفَى لِمَطَايَا بَوَاجِهِكَ هَادِيَا  
أَلَيْسَ يَزِيدُ الْعَيْسَ خِفَةً أَذْرُعَ، وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى، أَنْ تَكُونَ أَمَامِيَا<sup>(٣)</sup>  
وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ :

وَلَيْلٌ وَصَلْنَا بَيْنَ قُطْرَيْهِ بِالسُّرَى وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطْمِعٌ فِي وَصَالِكَ

(١) حَفْظِي \* لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرِيْعِيهِ \* وَهُوَ كَذَلِكَ فِي كُتُبِ الْبَلَاغَةِ (م)

(٢) الْخُدْمُ : ذَا الْخِدْمَةِ ، وَهُوَ سِيرَ يَشْدُ فِي رَسْغِ الْبَعِيرِ (م)

(٣) حَسْرَى : مَتَعِبَاتٌ . .

أَعَدَّنَ الطَّرِيقَ النِّهَجَ وَغَرَّ الْمَسَالِكَ<sup>(١)</sup>  
وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ حَالِكٍ  
وَقَدْ نَشِبَتْ فِينَا أَكْفُهُ الْمِهَالِكُ  
وَإِنْ كُنْتَ لِمَا تُخْطِرُنِي بِبَالِكِ

أُرَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ دُجَاهُ حَنَادِسٍ  
فَنَادَيْتُ يَا أَسْمَاءَ ، بِاسْمِكَ ، فَانْجَلَتْ  
بَنَاءُنْتَ مِنْ هَادٍ نَجَوْنَا بِذِكْرِهِ  
مَتَحْنِكَ إِخْلَاصِي وَأَصْفِيَّتِكَ الْهُوَى  
وَقَالَ الْقَطَامِي :

للقطامي

دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دَيَاغِرُهُ  
لَذِكْرَاكُمْ أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلَ سَاجِرُهُ

ذَكَرْتُكُمْ لَيْلًا فَنَوَّرَ ذِكْرُكُمْ  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَضْوَاءَ مَسْجَرٍ  
وَقَالَ الْقَيْنِي :

للقيني

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ  
بَدَا كَوُكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ  
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَائِقُهُ

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ  
نَجُومُ سَمَاءٍ كَمَا انْقَضَ كَوُكَبُ  
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ  
وَقَالَ الْحَطِيطَةُ :

للحطيثة

كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي  
مِنْ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةً أَضَاءُوا

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَانِ لَنَا  
وَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :  
هَمُّ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا أَلَمْتُ

وَكَلَامُ الْقَاسِمِ بْنِ حَنْبَلٍ الْمَدَنِيِّ مِنْ هَذَا ، حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا  
وَمَكْرُمَةً دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ  
وَمَنْ كَرَّمَ الْعَشِيرَةَ حَيْثُ شَاءُوا

مِنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنَى سِنَانٍ  
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ  
هُمْ حَازُوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

للقاسم بن حنبل  
المدني

كَفَّوْا خَابِطَ الظَّلَامِ فَقَدْ الْمَصَابِغُ  
فَكَمْ تَمَّ مِنْ آسَى جِرَاحٍ وَجَارِحِ  
وَقَالَ أَبُو بَدِيلٍ الْوَضَّاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ فِي الْمُسْتَعِينَ :

إِذَا أُشْرِقَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَجُوهُهُمْ  
وَإِنْ نَابَ خَطْبُ أَوَّلَتِ مُلِمَةٌ

(١) أُرَبَّتْ : زادت وازدمت ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلام ، والحنادس :  
الظلمات ، واحدها حندس (م) .

وقائلة والليلُ قد نَشَرَ الدُّجَى  
أرى بارقاً يَمدُّو من الجَوْسِقِ الذي  
أضاءت له الآفاقُ حتى كأنما  
فضلٌ عَذَارَى الحَى ينظمن تحتَه  
فقلت : هو البَدْرُ الذي تعرفونه  
فغطى بها ما بين سهلٍ وقرَدَدٍ<sup>(١)</sup>  
به حلّ مِيزَاثُ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ  
رَأَيْنَا بَنَصَفِ اللَّيْلِ نُورَ ضَحَى غَدٍ  
سُلوكا من الجزعِ الذي لم يُسرَدِ  
وإلا يَكُنْ فالنُّورُ من وَجْهِ أَحَدٍ

[ حث الاشتياق ]

وقال عُمر بن عبد الله بن أبي ربيعة في معنى قول عمرو بن شأس في حث  
لعمرو بن  
أبي ربيعة  
لاشتياق :

عليّ ما بالُ المطايا كأنما  
قد أتعَبَ الحادِي سُرَاهَنَ ، وانحنى  
قد قُطِعَتْ أعناقُهنَّ صَبَابَةً  
زِدْنَ بِنَا قُرْبًا فيزدادُ شَوْقُنَا  
وقال بعض الرجاز ، وذكر إبلا :

إِنَّهَا لَسَائِقًا خَدَجًا<sup>(٢)</sup> لم يُدْجِ اللَّيْلَةَ فِيمَنْ أَدْلَجَا

يريد امرأة يحبها فيحنه ما يجدُه من الشوق على إجهاد مطاياها بالسوق . كما  
شد إسحاق الموصلي :

صَبَّ يَحْثُ مطاياهُ بذكرِكُم  
لو يستطِيعُ طَوَى الأيَامِ نحوَكُم  
يَرْجُو النِّجَاةَ من البلوى بقرِكُم  
هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة . يقول : كلما دنا ازدادَ حِرْصًا

في اللقاء .

(١) القرَدَد : ما ارتفع من الأرض ، والجمع قراديد .

(٢) خَدَج : تمتلئ الذراعين والساقين .

إسحاق  
الموصلی

وشخص إسحاق الموصلي إلى الواثق بسر من رأى ، وأهله ببغداد ، فتصيد  
الواثق وهو معه إلى نواحي كُبراء ، فلما قرب من بغداد قال :  
طربت إلى الأصيبيّة الصغار      وهاجك منهم قُربُ المزار  
وكل مسافر يزاد شوقاً      إذا دنت الديار من الديار  
ولحنه وغناه الواثق ، فاستحسنه وأطرب به ، فصرفه إلى بغداد على ما أحب  
وكان إسحاق قال أولاً :

وكل مسافر يشفق يوماً      إذا دنت الديار من الديار  
فعابوا قوله « يوماً » ، وقالوا : هي لفظة قلقة في هذا الموضع ، لم تخل  
بمركزها ، ولا لها هنا موقع . قال : فضعوا مكانها مثلاً لا خيراً منها . فما استطاعوا  
ذلك ، فغيرها إلى ما أنشدت أولاً .

لأبي نواس

وقال أبو نواس :

أما الديار فقلما لبثوا بها      بين اشتياق العيس والركبان  
وضعوا سياط الشوق فوق رقابها      حتى طلعت بها على الأوطان  
وقال مخلد بن بكار الموصلي :  
أقول لنضو أفند السير نيتها<sup>(١)</sup>      ولم يبق منها غير عظم مجلد  
خدي بي ابتلاك الله بالشوق والهموى      وشافك تحنن الحمام المفرد<sup>(٢)</sup>  
فمرت سريعاً خوف دعوة عاشق      تشق بي المومة في كل فدفد<sup>(٣)</sup>  
فلما وئت في السير ثنيت دعوتي      فكانت لها سوطاً إلى ضحوة الغد

لمخلد بن بكار  
الموصلی

وكان مخلد حلو الطبع ، وهو القائل يمدح رجلاً :

يطلع النجم على صعدته      فإذا واجه نحرًا أفلا  
معشر إن ظمئت أرماحهم      أوردوهن مجاجات الطلي

(١) التى : الشحم — والنضو ، بكسر النون وسكون الضاد ، الذى نال منه الهزال  
من الإبل (م) .  
(٢) خدى : فعل أمر من الوجد ، وهو السير السريع . (٣) الفدفد : الصحراء .



تَحْسُنُ الْأَلْوَانُ مِنْهُمْ فِي الْوَعَى      حِينَ تَسْتَنْكِرُ لِلرُّعْبِ الْحَلَى  
 سُخْطَ عَبْدِ اللَّهِ يُدْنِي الْأَجَلَا      وَرِضَاهُ يَتَعَدَّى الْأَمَّالَا  
 يُعْشِبُ الصَّدْدُ إِذَا سَامَهُ      وَإِذَا حَارَبَ رَوْضًا أُمَحَّلَا  
 [ مَلِكٌ لَوْ نُشِرَتْ آلاؤُهُ      وَأَيَادِيهِ عَلَى الْيِلِّ انْجَلَى ]  
 حَلَّ بِالْبَاسِ ابْنُ عَمْرٍو مَنْزِلًا      طَالَ حَتَّى قَصُرَتْ فِيهِ الْعُمَلَا  
 حَطَّ رَحْلِي فِي ذَرَاهُ جُودُهُ      وَتَمَشَّى فِي نَدَاهُ الْخَيْرُ لَى (١)

[ جَوْدَةُ الْخَط ]

صفة الخط  
الجيد

سُئِلَ بَعْضُ الْكِتَابِ عَنِ الْخَطِّ : مَتَى يَسْتَحَقُّ أَنْ يوصَفَ بِالْجُودَةِ ؟ فَقَالَ :  
 إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ ، وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَا مُمُهُ ، وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ ، وَضَاهَى صَعُودُهُ  
 حُدُورُهُ ، وَتَفْتَحَتْ عَيُونُهُ ، وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأْوُهُ وَنُونُهُ ، وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ ، وَأُظْلَمَتْ  
 أَنْقَاسُهُ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْعَيُونِ تَصَوُّرُهُ ، وَإِلَى الْعُقُولِ تَشَمُّرُهُ ،  
 وَقُدِّرَتْ فَصُولُهُ ، وَانْدَجَجَتْ وَصُولُهُ ، وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ ، وَخَرَجَ مِنْ تَمَطُّ  
 الْوَرَّاقِينَ ، وَبُئِدَ عَنْ تَصْنَعِ الْمُحَرَّرِينَ (٢) ، وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النِّسْبَةِ وَالْحِلْيَةِ ، كَانَ  
 حِينَئِذٍ كَمَا قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ فِي صِفَةِ خَطِّ :

إِذَا مَا تَجَلَّالَ قِرْطَاسُهُ      وَسَاوَرَهُ الْقَلَمُ الْأَرْقَشُ  
 تَضَمَّنَ مِنْ خَطِّهِ حُلَّةً      كَنَقَشِ الدَّنَانِيرِ ، بَلْ أَنْقَشُ  
 حُرُوفَ تَعْيِيدُ لَعِينِ الْكَكِيلِ      نَشَاطًا وَيَقْرُوهَا الْأَخْفَشُ

وراق يصف  
عيشه

قَالَ أَبُو هَفَّانَ : سَأَلْتُ وَرَّاقًا عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : عَيْشِي أَضْيِيقُ مِنْ مِجْبَرَةٍ ،  
 وَجِسْمِي أَدَقُّ مِنْ مِسْطَرَةٍ ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنْهُ الزَّجَاجُ ، وَوَجْهِي عِنْدَ النَّاسِ أَشَدُّ  
 سَوَادًا مِنَ الْخَبَرِ بِالزَّجَاجِ ، وَحَظِّي أَخْفَى مِنْ شَقِّ الْقَلَمِ ، وَيَدَايَ أَضْعَفُ مِنْ قَصَبَةِ  
 وَطْعَامِي أَمْرٌ مِنَ الْعَفْصِ ؛ وَشَرَّابِي أَحَرُّ مِنَ الْخَبَرِ (٣) ، وَسَوْءُ الْحَالِ أَلْزَمُ لِي مِنَ  
 الصَّمْغِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : عَبَّرْتَ عَنْ بِلَاءٍ بِبِلَاءٍ !

(١) الخيزلي : مشية فيها ثناقل . (٢) في نسخة « المحررين » (م) .  
 (٣) كذا ، وفي ديوان المعاني (ص ٨٢) « أسود من الخبر » وهي أحسن (م) .

وقال الحدوني :

ثِنْتَانِ مِنْ أَدَوَاتِ الْعِلْمِ قَدْ ثَنَنْتَا      عِنَانِ شَأْوِي عَمَارُوتُ مِنْ هِمَمِي  
أَمَّا الدَّوَاةُ فَأَدَمَتِي جَرْمُهَا جَسَدِي      وَقَلَمُ الْحِظِّ تَحْرِيفٌ مِنَ الْقَلَمِ  
وَحَبَّرَتْ لِي صُحُفَ الْحَرْفِ مِخْبَرَةً      تَذُودُ عَنِّي سَوَامَ الْمَالِ وَالنَّعَمِ  
وَالْعِلْمُ يَعْلَمُ أَنِي حِينَ أَخَذُهُ      لِعَصْمِي نَافِرٌ خِلْوٌ مِنَ الْعِصَمِ  
وللحدوني في الحرفة أشعار مستظرفة ، وكان مليح الافتنان ، حُلُو التصرف ؛  
وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جدّه ، وهو صاحب الزنادقة في  
أيام الرشيد ، والحدوني القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ      فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا  
نَرْمُقُهَا مِنْ كَثَبٍ حَسْرَةٍ      كَأَنَّا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال :

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَرَجُوا لِكِي يَسْتَمْطِرُوا :      لَا تَقْنَطُوا وَاسْتَمْطِرُوا بَثِيَابِي  
لَوْ فِي حَزْرٍ أَرَانِ هَمَمْتُ بِنَفْسِي      غَطَى ضِيَاءَ الشَّمْسِ جَوْهُ سَحَابِ  
فَكَأَنَّهَا الْعَبَّاسُ يُسْتَسْقَى بِهِ      عُمَرُ فَيُرِيهِمْ دُعَاءُ مُجَابِ (١)

## [ حرفة الأدب ]

وقال آخر في المعنى الأول :

لبعض الشعراء

لَمَّا أُجِدَّتْ حُرُوفُ الْخَطِّ حَرَفِي      عَنْ كُلِّ حِظٍّ وَجَاءَتْ حِرْفَةُ الْأَدَبِ  
أَقْوَتْ مَنَازِلُ مَالِي حِينَ وَطَّنَهَا      نَحْيًا سَقَطُ الْأَقْلَامِ وَالْكِتَابِ  
وقال يعقوب الخريجي :

للخريجي

مَا أَزْدَدْتُ فِي أَدَبِي حَرْفًا أَسْرُّ بِهِ      إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ سُوءُ  
كَذَلِكَ مَنْ يَدَّعِي حِدْقًا بَصْنَعْتَهُ      أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهَوَ جَزُومُ

(١) احتبس المطر بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، فاستسقى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالعباس بن عبدالمطلب ، فسقاهم الله تعالى .

ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز ، وزعم أنه مات حَتَفَ أنفه ، قال علي بن لعلى بن بسام محمد بن بسام :

للهِ دركٌ مِنْ مَيِّتٍ بِمَضِيَّةٍ نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالْحَسَبِ -  
مَا فِيهِ لَوْ لَا لَيْتَ فَيَنْقُصُهُ وَإِنَّمَا أَدْرَكْتَهُ حِرْفَةُ الْأَدَبِ

[ رزق الحمقى والعقلاء ]

قال ابن الرومي :

يَا لَيْتَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِذْ حُرِّمُوا عَصِمُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْفِتَنِ  
لَكِنَّهُمْ حُرِّمُوا وَمَا عَصِمُوا فَقُلُوبُهُمْ مَرْضَى مِنَ الْحَزَنِ  
وَهُمْ أَطْبُّ عَلَى بَلِيَّتِهِمْ — من غيرهم بِمَضَاةِ الشَّجَنِ (١)  
وقال جعفر بن محمد : إِنْ اللَّهُ وَسَّعَ أَرْزَاقَ الْحَمَقَى لِيَعْتَبَرَ الْعُقَلَاءُ ، وَيَعْلَمُوا  
أَنَّ الدُّنْيَا لَا يُنَالُ مَا فِيهَا بِعَقْلِ وَلَا حِيلَةٍ ؛ أَلَا إِنَّ كَسْبَ الْمَالِ بِالْحِفْظِ ،  
وَحِفْظَهُ بِالْعَقْلِ .

قال إبراهيم بن سيار النظام : الذَّهَبُ لِيَمِّ ؛ لِأَنَّ الشَّكْلَ يَصِيرُ إِلَى شَكْلِهِ ،  
وهو عند اللثام أَكْثَرُ مِنْهُ عِنْدَ الْكَرَامِ . قال المتنبي - وأخذ هذا المعنى :  
وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّعَامُ  
وكان النظام له نظراً بوجوه التصرف ، وكان السلطان يَصِلُهُ بالكثير ، وكان  
محظوظاً ؛ فإذا اجتمع له مالٌ حَبَسَ لِنَفْسِهِ مُبْلَغَةً ، وَفَرَّقَ الْبَاقِي فِي أَبْوَابِ الْمَعْرُوفِ ؛  
فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مِنْ حَقِّ الْمَالِ عَلَى أَنْ أَطْلُبَهُ مِنْ مَعْدَنِهِ ، وَأَصِيبَ بِهِ  
الْفُرْصَةُ عِنْدَ أَهْلِهِ ؛ وَمِنْ حَقِّي عَلَيْهِ أَنْ يَقِينِي السُّوءَ بِنَفْسِهِ ، وَيَصُونَ عِرْضِي

(١) المضاضة : وجع المصيبة ، والشجن - بالتحريك - الحزن (م)

بابتذاله ، ولا يفعل ذلك إلا بأن أسمح به ؛ ألا ترى ذا الغنى ؛ ما أذومَ نصيبه <sup>(١)</sup> ،  
وأقلِّ راحته ، وأخسَّ من ماله حظَّه ، وأشدَّ من الأيام حذرَه ، وأغرى الدهرَ  
بثلبه ونقصه ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوى حقوق يسبونه ، وأكفاء ينافسونه ،  
وولد يريدون فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أكفائه  
الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوق الذم ، ومن الولد الملال ،  
وذو البلغة قنع فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسلم من الخذور ، ورضى  
بالكفاف فتكفته الحقوق .

[ أفكار الوراقين ]

وصف الوراق قال الصولى أنشدنى محمد بن أحمد بن إسحاق :

أدمنى البكا جفنى والمآقى	فظلت ذاهمً وذا اختراق
ما إن أرى فى الأرض والآفاق	أدنى ولا أشقى من الوراق
إذا أتى فى القمص الأخلاق	رأيت مطيرة العشاء — اق <sup>(٢)</sup>
يفرح بالأقلام والأوراق	كفرحة الجندي بالأرزاق

وقال بعض الوراقين :

إذا كنت بالليل لا أكتب	وطول النهار أنا أعب
فطوراً يبطلنى مأكل	وطوراً يبطلنى مشرب
فإن دام هذا على ما أرى	فبئى أول ما يخرب

وقيل لوراق : ما تشتهى ؟ فقال : قلماً مشاقاً ، وحبراً برّاقاً ، وجلوداً رقاقاً .  
وكل امرئ فأمنيته على ما يطابق غريزته ، ويوافق نحييته <sup>(٣)</sup> .

(١) النصب : التعب ، وزنا ومعنى (م) .

(٢) القمص : جمع قميص ، والأخلاق : جمع خلق - بالتحريك - وهو البالى (م) .

(٣) الغريزة والنحيطة : الطبيعة والسجية .

## [ أطيب المذات عند الشعراء ]

قال علي بن جبلة العكوك : قال الأصمعي : سئل امرؤ القيس : ما أطيب  
لذات الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة<sup>(١)</sup> ، بالحسن مكبوبة ، بالشَّخْم مكروبة<sup>(٢)</sup> ،  
بالمسك مَشْبُوبة .

وسئل الأعشى عن ذلك ، فقال : صَهْبَاء صافية<sup>(٣)</sup> ، تَمْرُجُهَا ساقية ، من  
صَوْبٍ غادية<sup>(٤)</sup> .

وسئل طرفه عن ذلك ، فقال : مركب ، وَطَى ، وَثَوْبٌ بَهِيّ ، ومطعم شهى .  
لذات أبي دلف : قال العكوك : فحدثت بهذا أبادُلف ، فقال :

أطيبُ الطيبات قَتْلُ الأعادي واختيالُ علي مُتُونِ الجيادِ  
ورَسُولٌ يَأْتِي بوعْدِ حبيبٍ وحبيبٌ يَأْتِي بلا ميعادِ  
وحدثت بذلك حميدا الطوسي ، فقال :

فلاولا ثلاثَ هنَّ مِنْ لَذَّةِ الفتى ، وجدك ، لم أخفلُ متى قام عودِي  
فمنهنَّ سَبَقُ العاذلاتِ بِشربةٍ كُمَيْتٌ ، متى ما تُعَلُّ بالماءِ تَزِيدُ<sup>(٥)</sup>  
وَكَرَّى إذا نادى المضافُ مُحَنَّبًا كَسِيدِ الغضا ذى السَّوَرَةِ المتورِّدِ<sup>(٦)</sup>  
وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ ، والدَّجْنُ مُعْجِبٌ بِهِ كَنَّةٌ تحتِ الخِباءِ المَعْمَدِ<sup>(٧)</sup>  
الشعر لطرفة بن العبد .

(١) رعبوبة : حلوة ناعمة حسنة ، وفي نسخة « بالحسين مكتوبة » (م) .

(٢) مكروبة : ممتلئة (م) (٣) الصهباء : الحمر (م)

(٤) الغادية : السحابة (م) (٥) الكميت - بالتصغير - الحمر ، وتزبد :

تعلوها الرغوة (م) .

(٦) المضاف : البائس الذي أحيط به ، والمحنب : أراد به الفرس الشديد .

(٧) الدجن : الغيم ، والهكنة : الخفيفة الروح الطيبة الرائحة من النساء ، والخباء :

أراد الحليمة ، والمعمد : ذى الأعمدة (م) .

لذات يزيد  
ابن عبد الله

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله ، فقال : ما أدري ما قالوا ، ولكني أقول :  
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ  
فَكَانَ أَسَدَهُمْ .

من شعر  
الأضبط بن  
قريع

والبيت للأضبط بن قريع ، أنشده أبو العباس ثعلب ، قال : وبلغني أن هذه  
الآيات قيلت قبل الإسلام بدهرٍ طويل :

لكل ضيقٍ من الأمورِ سَعَةٌ والصبحُ والمُسَيُّ لا فلاحَ مَعَهُ (١)  
ما بالُ مَنْ سَرَّهُ مصابُك لا يملك شيئاً من أمرِهِ وَزَعَهُ  
أذود عن حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي يا قوم ، مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ؟  
حتى إذا ما انجلت عَمَائَتُهُ أَقْبَلَ يَلْحَى وَغِيَّهُ فَجَعَلَهُ (٢)  
قد يجمعُ المَالُ غيرُ آكلِهِ وَيَأْكُلُ المَالُ غيرُ مَنْ جَمَعَهُ  
ويقطعُ الثوبَ غيرُ لابسِهِ وَيَلْبَسُ الثوبَ غيرُ مَنْ قَطَعَهُ  
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ  
وَصَلَ حَبَالُ البعيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ ، وَأَقْصَى القريبِ إِنْ قَطَعَهُ  
ولا تُعَادِ الفقيرَ عَلاكَ أَنْ تَرُكَهُ يوماً والدهرُ قد رَفَعَهُ (٣)  
هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستنشدني قول اليهودى :

ارفع ضعيفك لا يحزرك بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما (٤)  
يَحْزِرُكَ ، أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ ، وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَنْ جَزَى  
فَأَنْشَدَهُ ، فيقول : إني فِطْنٌ لَهَا :

(١) في الأمالي (١٠٧/١) « لكل هم من الهموم سعة » (م)

(٢) عمائته : ضلالتة ، ويلحى : يلوم أشد اللوم (م) .

(٣) يرويه النحاة « لا تهين الفقير علك أن - إلخ » (م) .

(٤) لا يحزرك بك ضعفه : يريد أنه قد يرجع الضعف إليك ويتعشى هو (م)

وكان الأضبط سيد بنى سعد ، وكانوا يشتمونه ويؤذونه ، فانتقل إلى حيٍّ من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم ، فقال : حيثما أوجه ألق سعداً ! فذهبت مثلاً قال الطائي :

فلا تحسبن هندا لها الغدرُ وحدها سجية نفسٍ ، كلُّ غانيةٍ هندا  
[ وصف الحابر والأفلام ]

لبعض الكتاب  
يصف محبرة

قال بعضُ الكتاب يصف محبرة :

ولقد مضيتُ إلى الحدثِ آنفاً وإذا ظباه الإنسانِ تكتبُ كل ما  
يتجاذبون الخبرَ من مَلُومةٍ من خالص البلورِ غيرَ لونها  
إن نكسوها لم تسِلْ ، ومليكتها ومتى أمالوها لرشفِ رضاءها  
وكانها قلبي يَضُنُّ بئرَهُ يمتاحها ماضي الشبابةِ مُدَلَّقٌ  
رجلاه رأسُ عنده آسكنهُ وكأنه والخبرُ يحضِبُ رأسه  
لم لا ألاحظه بعينِ جلالةٍ وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح  
كشاجم

مِسْحَنُ الخلقِ مُرْتَضَى الخلقِ مِحْبَرَةٌ جَادٌ لِي بِهَا فَمِرٌ  
ناطتْ له المكرماتِ في عُنْقِي جوهره خَصَنِي بِحُورِهِ  
أَسْوَدُ كَالْمِسْكِ جَدٌّ مُنْفَتِقٌ بيضاء والخبرُ في قَرَارَاتِهَا  
مُسَوِّدٌ مَا شَابَهُ مِنَ الخلدِ مثل بياضِ العيونِ زِينَهُ

(١) مَلُومة : مستديرة (م) (٢) السبج : الحرز الأسود (م)

(٣) أصل المتح نزع الماء من البئر ، والشبابة : حد كل شيء ، والمذلق : الحد ، أوراد القلم (م)

كَأَنَّمَا جَبَرُهَا إِذَا تَنَثَّرَتْ أَقْلَامُنَا ظَلَّهُ عَلَى الْوَرَقِ  
كَحُلِّ مَرْتَةِ الْعُيُونِ مِنْ مُقْلٍ نُجَلِّي فَأَوْفَتْ بِهِ عَلَى يَقَقٍ<sup>(١)</sup>  
خَرَسَاءَ لَكِنَّهَا تَكُونُ لَنَا عَوْنًا عَلَى عِلْمِ أَفْصَحِ النُّطْقِ  
وقال عبد الله بن أحمد : القلم أمره ، ما لم يَكْتَحِلْ بِإِثْمِ الدَّوَاةِ<sup>(٢)</sup> .

وكتب إبراهيم بن العباس كتاباً فأراد مخو حرف فلم يجد منديلاً ، فحاه بكلمته ،  
فقليل له في ذلك ، فقال : المالُ فرْعٌ ، والعلمُ أصلٌ ؛ وإنما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا  
هذه الأموال<sup>(٣)</sup> بهذا القلم والمداد ، ثم قال :

إِذَا مَا الْفِكْرُ أَضْمَرَ حُسْنَ لَفْظٍ وَأَدَّاهُ الضَّمِيرُ إِلَى الْعِيَانِ  
وَوَشَّاهُ وَتَمَنَّمَهُ مُسَدِّدٌ فَصِيحٌ بِالْمَقَالِ وَبِاللَّسَانِ  
رَأَيْتُ حُلَى الْبَيَانِ مَنْوَرَاتٍ تَضَاكَ بَيْنَهَا صُورُ الْمَعَانِي  
ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتابة والدوي والأقلام

الدواة من أنفع الأدوات ، وهي للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد ، غدير لا يرده  
غَيْرُ الْأَفْهَامِ ، ولا يمتنع بغير أرشية الأقلام<sup>(٤)</sup> ، دواة أنيقة الصَّمْعَةِ ، رَشِيقَةِ  
الصَّبْغَةِ ، مسكية الجلد ، كافورية الحليمة . غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ،  
وتنشأ سحُبُ البلاغة من قراره . دواة تُدَاوِي مَرَضَ عَفَاتِكَ ، وتُدَوِي قُلُوبَ  
عِدَاتِكَ ، على مَرَفَعٍ يُؤْذِنُ بِدَوَامِ رِفْعَتِكَ ، وارتفاعِ النوائبِ عَنْ سَاحَتِكَ ،  
ومدادِ كِسَادِ الْعَيْنِ ، وَسُوَيْدَاءِ الْقَلْبِ ، وجناحِ الْغُرَابِ ، وَلُعَابِ اللَّيْلِ ، وَأَلْوَانِ  
دُھَمِ الْخَلِيلِ . وهذا من قول ابن الرومي :

جَبْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ كَأَنَّهُ أَلْوَانُ دُھَمِ الْخَلِيلِ

- (١) مرتة العيون : استخرجته ، والمقل : جمع مقلة ، وهي العين ، والنجل :  
جمع نجلاء ، وهي الواهمة ، واليقق - بالتحريك - الأبيض (م)  
(٢) الأمره : وصف من المره - بالتحريك - وهو خلو العين من الكحل (م)  
(٣) اعتقدنا هذه الأموال : تأثلتها وجمعناها (م)  
(٤) الأرشية : جمع رشاء ، وأصله جبل الدلو (م)



قال العاصر : مبدادٌ ناسب خافية الغراب ، واستعار لونه من شَرِيخ الشاب ،  
وأقلام جَهَّة المحاسن ، بعيدة من المطّاعين ، تعاصى الكاسى ، وتمايع الفامز  
القائسى . أنايب ناسبت رِماح الخطّ فى أجناسها ، وشاكت الذهب فى ألوانها ،  
وضاهت الحديد فى لمعانها ؛ كأنها الأميالُ استواءً ، والآجالُ مضاءً ، بطيئة الحفى ،  
قوية القوى ، لا يُشظّيها <sup>(١)</sup> القَطُّ ، ولا يتشعبُ بها الخطُّ . أقلام بحرية مَوْشِيَّة  
الليط <sup>(٢)</sup> ، رائقة التخطيط . قلمٌ معتدل الكُعب ، طويل الأنبوب ، باسِقُ  
الفروع ، رَوِيّ اليَنْبُوع ، هو أَوْلَى باليد من البنّانِ ، وأخفى للسر من اللسان .  
هو للأنامل مطيئة ، وعلى الكتابة معونة مَرْضِيَّة . نعم العُدَّة القلم : يقلم أظافرَ  
الدهر ، ويملك الأقاليم بالنهى والأمر ، إن أردتَ كان مسجوناً لا يملّ الإِسار ،  
وإن شئتَ كان جواداً جارياً لا يعرفُ العِثار ، لا يَنْبُو إذا نَبَتِ الصَّفاح <sup>(٣)</sup> ،  
ولا يُحْجِمُ إذا أَحْجَمَتِ الرِّماح .

لأبى الفتح  
كشاجم

قال أبو الفتح كشاجم ، يصف محبرة ومقلمة وأقلاماً وبسكيناً :

جِسْمِي مِنَ اللَّهِوَ وَأَلَاتِ الطَّرَبِ	ومن عَتَادِ وَثَرَاءِ وَنَسَبِ
ومن مُدَادِمْ وَمَتَانِ تَصْطَحِبِ	وهـمـة طَمَاحَةٍ إِلَى الرُّتَبِ
مَجَالِسُ مَصُونَةٍ مِنَ الرِّيبِ	معمورة من كُلِّ عِلْمٍ وَأَدَبِ
تَكَادُ مِنْ حَرِّ الْحَدِيثِ تَلْتَهَبِ	شِعْراً وَأَخْبَاراً وَنَحْواً يَقْتَضِبِ
ولغة تَجْمَعُ أَلْفَاظَ الْعَرَبِ	وفِقرّاً كَالْوَعْدِ فِي قَلْبِ الْمُحِبِ
أَوْ كَتَانِي الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ	أَجَلْ، وَحَسْبِي مِنْ دُورِي تَنْتَخَبِ
مَحَلِيَّاتٍ بُلْجَيْنِ وَذَهَبِ	مَحْبَرَةٍ يُزْهِى بِهَا الْحَبْرُ الْأَلْبِ <sup>(٤)</sup>
منقوبة آذَانُهَا ، وَفِي الثَّقَبِ	مثل شُفُوفِ الْحَرْدِ الْبَيْضِ الْعُرْبِ <sup>(٥)</sup>

(١) لا يشظيها : لا يقطعها شظايا (م) (٢) الليط ، بالكسر : القشر .

(٣) الصفاح : السيوف (م) (٤) الحبر ، بالكسر : العالم (م) .

(٥) العرب ، بضم العين والراء : جمع عروب . وهى المرأة المتحجبة إلى زوجها .

نصن قطراً فيه للكتب عشب  
لا تنضب الحكمة إلا إن نضب  
كالقُرط في الجيد تدلى فاضطرب  
كأنه يودع نبلا من قصب  
لا تضحك الأوراق حتى ينتحب  
رمياً متى أفصد به السمّت أصب  
غضبي على الأفلام من غير سبب  
وإما ترضيك في ذاك الغضب  
والظرف في الآلات مما يستحب  
أسود يحرقى بعمان كالشهب  
نيطت إلى يسرى يدى سبب  
تصحبها ، والأخوات تضطحب  
لم يعلها ريش ولم تحمل عقب<sup>(١)</sup>  
ترمى بها يمنى أغراض الكتب  
ومدية كالغضب ما مس القصب  
تسطو بها في كل حين وتذب  
فتلك آلاتي ، وآلاتي تحب  
لا سيما ما كان منها للادب

## [ عمال المأمون ]

تظلم رجل إلى المأمون من عامل له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ترك لي  
فِضةً إلا فضها ، ولا ذهباً إلا ذهب به ، ولا غلة إلا غلها ، ولا ضيعةً إلا  
أضاعها ، ولا علقاً<sup>(٢)</sup> إلا علقه ، ولا عرضاً إلا عرض له ، ولا ماشية إلا امتشها<sup>(٣)</sup> ،  
ولا جليلاً إلا أجلاه ، ولا دقيقاً إلا أدقه . فعجب من فصاحته وقضى حاجته .  
قال عمرو بن سعد بن سلم : كانت على نوبة أنوبها في حرس المأمون ،  
فكنت في نوبتي ليلة فخرج متفقدا من حضر ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال : من  
أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك الله .  
فقال : تكلونا منذ الليلة . قلت : الله يكلوك قبلي ، وهو خير حافظا وهو  
أرحم الراحمين .

## فقال المأمون :

إن أخاك الحق من يسعى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفُ زَمَانِ صَدَعَكَ بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِمَجْمَعِكَ

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار (م) .

(٢) العلق ، بالكسر ، النفيس من كل شيء . (٣) امتشها : ذهب بها كلها .

## [٤] الورد والترجس

لابن الرومي

وقال علي بن العباس الرومي :

خَجَلْتُ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ      خَجَلَا تَوَرُّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ  
لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمُرْدُ لَوْنُهُ      إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةَ عَانِدُ  
لِلنَّجَسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ إِذَا بَدَا      بَيْنَ الرِّيَاضِ طَرِيفُهُ وَالتَّالِدُ  
وَكَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ مُتَعَصِّبًا لِلنَّجَسِ ، كَثِيرَ الدَّمِّ لِلْوَرْدِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي  
الْحَسَنِ ابْنِ الْمُسَيْبِ :

أَدْرَكْتُ ثِقَاتَكَ مِنْهُمْ وَقَعُوا      فِي نَرْجَسٍ مَعَهُ ابْنَةُ الْعَيْنِ  
فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتُ بِهِمَا      سَبَّحْتَ مِنْ عُجْبٍ وَمِنْ عَجَبِ  
رَيْحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرٍّ      وَشَرَاهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِ  
فِي رَوْضَةٍ شَتْوِيَّةٍ رَضَعَتْ      دِرًّا الْحَيَا حَلْبًا عَلَى حَلَبِ  
وَالْيَوْمُ مَدْجُونٌ مُفَرَّتُهُ      فِيهِ بِمُطْلَعٍ وَمُحْتَجِبِ<sup>(١)</sup>  
ظَلَّتْ تَسَامِرُنَا وَقَدْ بَعَثَتْ      ضَوْءًا يُبْلِغُنَا بِلَا لَهَبِ  
وَكَانَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانِ مُسْتَهْتَرًا بِالنَّجَسِ<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ يَقُولُ : هُوَ يَاقُوتُ

أَصْفَرُ ، بَيْنَ دُرٍّ أَيْبُضَ ، عَلَى زَمْرَدٍ أَخْضَرَ . نَقَلَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ : لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ

وَيَاقُوتُهُ صَفْرَاءُ فِي رَأْسِ دُرَّةٍ      مَرْكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرْجَدِ  
كَمَثَلٍ بَهَى الدَّرَّ عَقْدَ نَفْلَامِهَا      نَثِيرٌ فِرْنِدٍ قَدْ أَطَافَ بِعَسْجَدِ  
كَأَنَّ بَقَايَا الطَّلِّ فِي جَنَابَاتِهَا      بَقِيَّةُ دَمْعٍ فَوْقَ خَدٍّ مُورَدِ

رجع ابن الرومي :

رجع

لابن الرومي

فَضْلُ الْقَضِيَّةِ أَنَّ هَذَا قَائِدٌ      زَهَرَ الرَّبِيعُ وَأَنَّ هَذَا طَارِدٌ  
شَتَّانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مُوعِدٌ      بَتَّصْرُمِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدٌ

(١) مَدْجُونٌ : قَدْ غَطَى سَمَاءَهُ الْغَيْمُ ، وَحَرَّتُهُ : شَمْسُهُ ، وَمُطْلَعٌ : اسْمُ لِمَكَانِ

الطَّلُوعِ ، وَمُحْتَجِبٌ : اسْمُ لِمَكَانِ الْإِحْتِجَابِ (م) .

(٢) مُسْتَهْتَرًا : مُوَلَعًا (م) .

فإذا احتفظت به فأمتع صاحب  
ينهى النديم عن القبيح بلخظه  
اطلب بقلك في الملاح سميه  
والورد إن فتشت فرد في اسمه  
هذي النجوم هي التي ربينها  
فانظر إلى الولدين ، من أدناها  
أين الحدود من العيون نفاسة  
وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب ، وذهبوا إلى تفضيل  
الورد ؛ فما دأبوه وما استطاعوه .

لأحمد بن يونس  
الكاتب رد على  
ابن الرومي

قال أحمد بن يونس الكاتب رداً عليه :  
يا من يشبه نرجساً بنواظر  
إن القياس لمن يصح قياسه ،  
والورد أصدق للحدود حكاية  
ملك قصير عمره مستأهل  
إن قلت إن الورد فرد في اسمه  
فالشمس تفرد باسمها والمشتري  
أو قلت إن كواكب رينها  
قلنا أحقهما بطبع أبيه في  
زهر النجوم ترؤفنا بضياها  
وكذلك الورد الأنيق ترؤفنا  
وخليفه إن غاب ناب بنفعه  
بحياته ، لو أن حياً خالداً  
وعلى المدامة والسماع يساعداً<sup>(١)</sup>  
أبداً ؛ فإنك لا محالة واحد  
ما في الملاح له سمى واحد  
بحياً السحاب كما يرَبِّي الوالد<sup>(٢)</sup>  
شبهاً بوالده فذاك الماجد  
ورياسة ، لولا القياس الفاسد  
دُعج ، تذبذب إن فهمك راقداً  
بين العيون وبينه متباعد  
فعلام تجدد فضله يا جاحداً  
تخليده ، لو أن حياً خالداً  
ما في الملاح له سمى واحد  
والبدر يشرك في اسمه وعطارد  
بحياً السحاب كما يرَبِّي الوالد<sup>(١)</sup>  
جدوى هو الزاكي النجيب الراشد  
وله منافع جمة وعوائد  
وله فضائل جمة وقوائد  
وبنفعه أبداً مقيم راکداً

(١) في نسخة « مساعد » . (٢) حيا السحاب : ماؤه .

إِنْ كُنْتُ تُنْكِرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَهَا      وَضَحَّتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ شَوَاهِدُ  
فَانْظُرْ إِلَى الْمُصْفَرِّ لَوْنًا مِنْهَا      وَافْظَنْ فَمَا يَصْفَرُّ إِلَّا الْحَاسِدُ

نبذ من النظم والنثر

في صفات النور والزهري

لعلي بن الجهم

قال علي بن الجهم :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أُعْجِبَهُ      حُسْنُ الرِّيَاضِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ  
بَدَأَ فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا      وَرَاحَتِ الرِّيحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدْدِ  
وَقَابَلَتْهُ يَدُ الْمُشْتَاقِ تُسَنِّدُهُ      إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَخْشَاءِ وَالْكَبِدِ  
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابَتِهِ      أَوْ مَانِعًا جَفَنَ عَيْنِهِ مِنَ الشَّهْدِ  
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَالْخِلَّائِينَ مَضْرَعُهُ      وَسَيَرُهُ مِنْ يَدِ مَوْصُولَةٍ بِيَدِ  
مَا قَابَلَتْ طَلْعَةَ الرِّيحَانِ طَلْعَتَهُ      إِلَّا تَبَيَّنَتْ فِيهِ ذِلَّةُ الْحَسَدِ  
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مُعْطَرَّةٌ      تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْكَبَدِ  
لَا عَذَابَ لِلَّهِ إِلَّا مَنْ يُعَذِّبُهُ      بِمُسْمَعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نَكِيدِ<sup>(١)</sup>

وكان أردشير بن بابك يصفُ الورد ويقول : هو درُّ أبيض ، وياقوتٌ أحمر ،  
على كراسي زبرجد أخضر ، توسطه شذورٌ من ذهبٍ أصفر ، له رِقَّةٌ الخمر ،  
ونفحات العِطَر<sup>(٢)</sup> أخذهُ محمد بن عبد الله بن طاهر فقال :

لمحمد بن عبد الله  
بن طاهر

كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يُطِيفُ بِهَا      زُمُرُودٌ وَسَطُهُ شَذْرٌ مِنَ الذَّهَبِ  
فَاشْرَبَ عَلَى مَنْظَرٍ مُسْتَظَرٍّ حَسَنٍ      مِنْ خَمْرٍ مَرَّةً كَالْجَمْرِ فِي اللَّهَبِ<sup>(٣)</sup>

المتوكل

وقال يزيد المهلبی : أَحَبُّ الْمُتَوَكِّلِ أَنْ يَنَادِمَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، الْخَلِيعُ وَابْنُ الضَّحَّاكِ

(١) المسمع - على زنة اسم الفاعل - المغنى (م) .

(٢) مزة : لذیذة الطعم (م) .

البصري ، وأن يَرَى ما بَقِيَ من ظَرْفِهِ وشهوته لما كان عليه ؛ فأخضره وقد كبر  
وضَعَفَ ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسْقِهِ ؛ فسقاه وحياء بورْدَةٍ ،  
وكانت على شفيع أنوابٌ ، فمدَّ الحسين يده إلى دِرْعِ شفيع ، فقال المتوكل :  
أَتُخَمِسُ غُلَامِي بِحَضْرَتِي ؟ كيف لو خَلَوْتَ به ! ما أَحْوجَكَ يا حسينُ إلى أدب !  
وكان المتوكل غمز شفيعا على العبث به ، فقال حسين : سيدي ، أريد دواة وقرطاسا ؛  
فأمر له بهما ، فكتب :

وكالوردة البيضاء حَيًّا بِأَحْمَرٍ      من الوردِ يسعى في قَرَّاطِقِ كالوردِ<sup>(١)</sup>  
له عَمَّاتٌ عَنَّدَ كُلَّ تَحِيَّةٍ      بِكَفِيهِ يَسْتَدْعِي الْخَلِيَّ إلى الْوَجْدِ  
تَمْنِيْتُ أَنْ أُسْقَى بِكَفِيهِ شَرْبَةً      تَذَكَّرْنِي ما قد نَسِيتُ من الْعَهْدِ  
سَقَى اللَّهُ عِشْأَ لَمْ أُنِّمْ فِيهِ لَيْلَةً      من الدهرِ إلَّا من حَبِيبٍ على وَعْدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع ، وقال : ادْفَعْهَا إلى مولايك ؛ فلما قرأها استملحها ،  
وقال : لو كان شفيع ممن تَجُوزُ هَبَّتُهُ لو هَبَّتُهُ لَكَ ، ولكن بحياتي يا شفيع إلَّا كنت  
ساقيةُ بَقِيَّةِ يومه ! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف .

قال يزيد المهلبى : فصرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام ،  
فقلت : ويحك ! أتدرى ما صنعت ؟ قال : لا أدْعُ عَادَتِي بشيء ، وقد  
قلت بعدك :

لَا رَأَى عَطْفَةَ الْأَحْبَبَةِ مَنْ لَا يَصْرَحُ  
أَضْعُرُ السَّاقِيَيْنِ أَشْكَالُ عِنْدِي وَأَمْلَحُ  
لَوْ تَرَاهُ كَالظَّبْيِ يَسْنَحُ طَوْرًا وَيَبْرَحُ  
خِلْتَ غَضَنًا عَلَى كَثِيبِ بَنَوْرِ يَوْشَحُ

(١) القراطيق : جمع قرطيق ، وهو ضرب من اللباس .

قال الصولي : وكان الأول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف :

بيضاء في حُمرِ الثيابِ كورْدَةٍ بيضاء بين شقائق النعمانِ  
تهتزُّ في غَيْدِ الشبابِ إِذَا مَشَتْ مثل اهتزازِ نَوَاعِمِ الْأَغْصَانِ

ظبي يا كل  
نيلو فرا

قال أبو بكر الصولي : كان عند الخصى الوزير ظبي داجن زيب في داره ، فعمد إلى نيوفر فأكله ، فاستملح الغزال وأنسه ، وقال : لو عمل في أنس هذا الغزال وفعله بالنيوفر لاشتمل العمل على معنى مليح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله إبراهيم ابن محمد بن عرفة فخطوبه ، فبادر لثلاثي سبق ، وعمل أبياتا أولها :

جَرَتْ ظَبِيَّةٌ غَنَاءُ تَرْغَى بَرَوْضَةً تَنْوُشُ لَدَى أَفْنَانِهَا وَرَقًا خُضْرًا<sup>(١)</sup>  
في أبيات غير طائلة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولي : فقلت :

ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه تراه على اللذات أفضل مُسْعِدِ  
قد اجتنى خوف الحادثات بجنة تروق كُثُوبِ الرَّاهِبِ الْمُتَعَبِّدِ  
تُرْكَبُ كَالسَّكَاسَاتِ فِي ذَهَبِيَّةٍ عَلَى قُضْبِ مَخْضَرَةٍ كَالزَّبَرَجَدِ  
وَأَلْبَسُ ثَوْبًا يَفْضُلُ اللَّحْظُ حُسْنَهُ كَمَا عِبَّتْ عَيْنٌ بِخَدٍّ مُورَدِ  
غَذَّتْهُ أَهَاضِيبُ السَّمَاءِ بِدَرِّهَا تَرُوحُ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَتَقْتَدِي  
تَلْبَسُ لِلأَنْوَارِ ثَوْبَ سَمَاءِ فَفَضْلَ عَنْهُ الْحَسَنُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ  
وفى وسطه منه اصفرار يُزِينُهُ كَيَاقُوتَةِ زَرْقَاءَ فِي رَأْسِ عَسْجَدِ  
أَطَافَ بِهِ أَخَوَى الْمَدَامِعِ شَادِنُ حَكِي طَرْفٍ مِنْ أَهْوَى وَحُسْنِ الْمُقْلَدِ<sup>(٢)</sup>  
كَمَا أَخَذَ الظَّمَانُ بِالْقَمِّ كَاسَهُ وَلَمْ يَسْتَعِنْ فِي أَخْذِهِ الْكَاسَ بِالْيَدِ

[ وصف أيام الربيع ]

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع<sup>(٣)</sup> :

لابن وكيع

يَوْمٌ أَتَاكَ بَوَاجِهُهُ الْمُتَهَلِّلُ نَاهِيكَ مِنْ يَوْمٍ أَعْرَ مُحَجَّلِ

(١) تنوش : تتناول (م) .

(٢) أخوى : وصف من الحوة وهى السمرة ، والمقلد : الموضع الذى تلبس به القلادة ، يريد أن الظبية حكمت من الملاح عنها وجيدها (م) .

(٣) فى نسخة « أبو الحسن محمد بن على » .

خَلَعَ الْغَمَامُ عَلَى اخْضِرَارِ سَمَائِهِ  
وَكَسَا الرُّبَى حُلَلًا تَخَالَفَ شَكْلَهَا  
وَتَمَايَلَتْ فِيهِ قَدُودُ غُصُونِهِ  
وَعَلَا عَلَى الْأَشْجَارِ قَطْرُ سَمَائِهَا  
يَحْكِي قَبَابَ زُمُرَدٍ قَدْ كُتِلَتْ  
وَأَتَاكَ نَوْرُ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّمَا  
الْوَرْدُ يُنْجِلُ كُلَّ نَوْرٍ طَالِعٍ  
وَحَكِي بِيَاضُ الطَّلَعِ فِي كَافُورِهِ  
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عَرُوسٌ أَقْبَلَتْ  
فَاشْرَبَ مُعْصِفَرَةَ الْقَمِيصِ سُلَافَةً

وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح  
البستي

يَوْمٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَيَّامِ  
فَالْبَرْقُ يُخَفِّقُ مِثْلَ قَلْبِ هَائِمٍ  
وَكَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدٌّ مَتِيمٍ  
فَاطْلُبْ لِيَوْمِكَ أَرْبَعًا : هُنَّ الْمَنَى  
وَجْهَ الْحَبِيبِ ، وَمَنْظَرًا مُسْتَشْرِقًا ،

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل  
الميكالي

سَلَّ الرَّبِيعُ عَلَى الشِّتَاءِ صَوَارِمًا  
وَبَكَتْ لَهُ عَيْنُ السَّمَاءِ بِأَدْمُعٍ  
وَبَدَتْ شَقَائِقُهَا خِلَالَ رِيَاضِهَا  
تَرَكَتْهُ تَجْرُوحًا بِلَا إِغْمَادٍ  
ضَحِكَتْ لِسَاجِمِهَا رَبَّى الْأَنْجَادِ  
تُرْهِى بِشَوْبِنِ مُحَرَّةٍ وَسَوَادِ



فَكَأَنَّهَا بِنْتُ السَّاءِ تَوَجَّعَتْ      لَمَصَ—بَاهُ كَشْقِيَّةِ الْوَلَادِ  
فَقَنُوهُ حُمَرَتَهَا خِضَابُ نَجْمِهِ      وَسَوَادُ كُسُوتِهَا لِبَاسُ حِدَادِ

وقال :

تَصَوَّغُ لَنَا كَفُّ الرِّبْعِ حَدَائِقًا      كَعَقْدِ عَقِيقٍ بَيْنَ سِمَطٍ لِأَلِي  
وَفِيهِمْ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَّتْ      خُدُودَ عَذَارَى نُقِطَتْ بِغَوَالِي

وقال :

كَأَنَّ الشَّقَائِقَ إِذْ أَبْرَزَتْ      غَلَالَةَ دَادٍ وَثَوْبًا أَحْمَ—مُ<sup>(١)</sup>  
قَطَاعٌ مِنَ الْجَمْرِ مَشْبُوبَةٌ      فَأَطْرَافُهَا لُمَعٌ مِنْ حَمَمِ

وقال في حديقة ريحان :

أَعْدَدْتُ مُحْتَفَلًا لِيَوْمِ فَرَاعِي      رَوْضًا غَدَا إِنْسَانَ عَيْنِ الْبَاغِي<sup>(٢)</sup>  
رَوْضُ يَرُوضُ هُمُومَ قَلْبِي حُسْنُهُ      فِيهِ لِكَأْسِ الْأُنْسِ أَى مَسَاغِرِ  
فَإِذَا بَدَتْ قَضْبَانُ رِيحَانٍ بِهِ      حَيَّتْ بِمِثْلِ سِلَاسِلِ الْأَضْدَاغِرِ

وقال في النرجس :

أَهْلًا بِنَرْجِسِ رَوْضٍ      يُزْهِى بِحُسْنٍ وَطِيبِ  
يَزْنُو بِعَيْتِي غِرَالِ      عَلَى قَضِيبِ رَطِيبِ  
وَفِيهِ مَعْنَى خَفِيٌّ      يَزِينُهُ لِلْقُلُوبِ  
تَضَحِيْفُهُ إِنْ نَسَقْتَ الْحُرُوفَ      بِرُحْبٍ حَبِيبِ

وقال :

وَمَا ضَمَّ شَمْلَ الْأُنْسِ يَوْمًا كَنَرْجِسِ      يَقُومُ بِعُذْرِ اللَّهِوِ عَنْ خَالِجِ الْعُذْرِ<sup>(٣)</sup>  
فَأَحْدَقَهُ أَحْدَاقُ تَبْرِ ، وَسَافَهُ      كَقَامَةِ سَاقٍ فِي غَلَالَةِ الْخُضْرِ

(١) داد : مولع باللهو واللعب ، واللعب يقال له : دد ، والأحم : الأسود (م).

(٢) الباغى : قيم البستان . (٣) العذر : جمع عذار .

سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ اللَّوَى مِنْ مَحَلَةٍ  
وَلَا زَالَ مَخْضَرٌ مِنَ الرِّوَضِ يَانِعُ  
شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ  
وَمِنْ لَوْلَوْ فِي الْأَقْحُوَانِ مَنْظَمٌ  
كَأَنَّ جَنَى الْحُودَانِ فِي رَوْثِ الضَّحَى  
إِذَا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بِكَرْتٍ لَهَا  
رَبَاعٌ تَرَدَّتْ بِالرِّيَاضِ مَجُودَةً  
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بَنَ خَافَانَ أَقْبَلَتْ  
إِلَى الْخُفِّ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ  
عَلَيْهِ بِحَمَرٍ مِنَ النَّوْرِ جَاسِدِ  
دُمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخُرَائِدِ  
وَمِنْ نُكْتٍ مَصْفَرَّةٍ كَالْفَرَائِدِ  
دَنَائِرُ تَبَرٍّ مِنْ ثَوَامٍ وَفَارِدِ  
شَايِبُ مَجْتَازٍ عَلَيْهَا وَقَاصِدِ  
بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذَبُ الْمَوَارِدِ<sup>(١)</sup>  
تَلِيهَا بَنَاتُ الْبَارِقَاتِ الرِّوَاعِدِ

[ في مجلس المبرد ]

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : قال لى البحترى وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكنا مسلكا من المذاكرة : أشعرت أنى سبقت الناس كلهم إلى قولى :

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ  
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بَنَ خَافَانَ أَقْبَلَتْ  
دُمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخُرَائِدِ  
تَلِيهَا بَنَاتُ الْبَارِقَاتِ الرِّوَاعِدِ  
هَكَذَا أَنشَدَ ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْمَبْرِدُ اسْتِحْسَانًا أَسْرَفَ فِيهِ ، وَقَالَ : مَا سَمِعْتُ  
مِثْلَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ الرُّطْبَةِ ، وَالْعِبَارَةِ الْعَذْبَةِ ، لِأَحَدٍ تَقَدَّمَكَ وَلَا تَأَخَّرَ عَنْكَ . فَاعْتَرَتْهُ  
أَرْيَحِيَّةٌ جَرَّبَهَا رِداءُ الْعُجْبِ ؛ فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَنِي مَا يُعْجِبُ النَّاسَ مِنْ مَرَاجِعَةِ  
الْقَوْلِ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَا عُبَادَةَ ، لَمْ تَسْبِقْ إِلَى هَذَا ، بَلْ سَبَقَكَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ الْكَاتِبُ  
إِلَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ :

عَذَبَ الْفِرَاقُ لَنَا قَبِيلَ وَدَاعِنَا  
ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسْمٍ نَاقِعِ

وَكأَنَّمَا أَثَرُ الدَّمُوعِ بِخَدَّهَا طَلٌّ تَسْأَقُطُ فَوْقَ وَرْدٍ يَانِعٍ

وَشَرَكْتَ فِيهِ صَدِيقُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاشِءُ بِمَا أَنْشَدْنَاهُ آفَا :

بَكَتَ لِلْفِرَاقِ وَقَدْ رَاعَنِي بَكَاءَ الْحَبِيبِ لِبُعْدِ الدِّيَارِ

كَأَنَّ الدَّمُوعَ عَلَى خَدَّهَا بَقِيَّةَ طَلٍّ عَلَى جُلْنَارِ<sup>(١)</sup>

وَمَا أَسَاءَ عَلَى بَنِ جَرِيحٍ ، بَلْ أَحْسَنَ فِي زِيَادَتِهِ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِ :

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ شَاهِدَنَا وَهَنٌ يُطْفِئُ غُلَّةَ الْوَجْدِ

لَمْ تَرَ إِلَّا دَمُوعَ بَاكِئَةٍ تَبْفَحُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدٍّ

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمُوعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ رَجَسٍ عَلَى وَرْدٍ

وَسَبَقْتُ أَبُو تَمَامٍ إِلَى مَعْنَى الْبَيْتَيْنِ مَعًا بِقَوْلِهِ :

مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرْقُقُ بِالنَّدَى فَكَأَنَّمَا عَيْنٌ إِلَيْهِ تَحْدَرُ

تَبْدُو وَيَحْجِبُهَا الْجَمِيمُ كَأَنَّمَا عَذْرَاءُ تَبْدُو تَارَةً وَتَخْفَرُ<sup>(٢)</sup>

خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرِّبْعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامُ وَهَدْيُهُ الْمُنْتَشِرُ

فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدْلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنْ الرِّبْعِ الْغَضُّ سَرَحٌ يَزْهَرُ<sup>(٣)</sup>

يُنْسَى الرِّبْعُ وَمَا يَرُوضُ جُودُهُ أَبَدًا عَلَى مَرٍّ إِلَيَّ يَذْكُرُ

قَالَ : فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَحَلَّ حَبَوْتَهُ وَنَهَضَ ، فَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِمَوَاسِئِهِ وَغَلُظَ ذَلِكَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَقَدَحَ ذَلِكَ فِي حَالِي عِنْدَهُ .

\*\*\*

للبحترى في  
المدح

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ يَمْدَحُ الْهَيْمَ بْنَ عَثْمَانَ الْغَنَوِيَّ :

أَلَسْتُ تَرَى مَدَّ الْفُرَاتِ كَأَنَّهُ جِبَالُ شَرَوْزَرِي جِئْتُ فِي الْبَحْرِ عَوْمًا

وَمَا دَاكَ مِنْ عَادَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى شَيْمَةً مِنْ جَارِهِ فَتَعَلَّمَ

(١) الْجُلْنَارُ : زَهْرُ الرِّمَانِ ، وَهُوَ فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ . (٢) الْجَمِيمُ : النَّبْتُ الْغَزِيرُ .

(٣) السَّرَحُ : كُلُّ شَجَرٍ طَالٍ .

وقد تبّه التّوروزُ في غبشِ الدّجى  
يُفتّحها بردُ النّدى فكانه  
ومن شجرٍ ردّ الربيعِ لباسه  
أحلّ فأبدي للعيونِ بشاشة  
فما يمنع الراح التي أنت خلّها  
وما زلتِ خلّاً للندى إذا اغتدوا  
تكرّمت من قبل الكنوس عليهم  
فما استطعن أن يحدن فيك تكرّما

حيثك عنا شمال طاف طائفها  
هبت سحيراً فنجى الغصن صاحبه  
ورق تغنى على خضر مهذلة  
تحال طائرهما نشوان من طرب

ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي ذم فيها الصبوح صفة جامعة ، إذ قال :

أما ترى البستان كيف نوراً  
وضحك الورد إلى الشقائق  
في روضة كحلية العروس  
وياسمين في ذرى الأغصان  
والسرو مثل قصب الزبرجد  
على رياض وثرى ندى  
وفرّج الخشخاش جيئاً وفتق  
أو مثل أقداح البلور  
وبعضه عريان من أثوابه  
ونشر المنشور برداً أصفر  
واعتنق الورد اعتناق الوامق  
وخدّم كهامة الطاوس  
منظم كقطع العفيان  
قد استمد الماء من تراب ندى  
وجدول كالبرد الحلى  
كأنه مصاحف بيض الورق  
تحالها تجسّمت من نور  
قد خجل اليابس من أصحابه

لابن المعتز  
ذم الصبوح

مثل الدبابيس بأيدي الجنـد  
كتقطن قد مسه بعض بلل  
ودخل الميدان في ضمانه  
كانها جماجم من عنبر  
مجمعة كهامة الشمامس  
وجوهر من زهر مختلف  
أو مثل أغراف ديوك الهند  
قد صقلت أنواره بالفطر

لأبي الفتح  
كشاجم

كما رضي الصديق عن الصديق  
أتم له الصنيعة في العبوق  
كان ثراه من مسك فتيق  
بقايا الدمع في خد مشوق  
فالت مثل شراب الرحيق  
محصرة شقائق من عقيق  
صنيع اللطم في الخد الرقيق

متصل الوابل سريع الرخص  
متصلاً بطوله والعرض  
ثم سما كاللؤلؤ المرفض  
في حلبيها الحمرة والمبيض  
مثل الحدود نقشت بالعص

تبصره عند انتشار الورد  
والسوسن الأزار منشور الحلل  
نور في حاشيتي بستانه  
وقد بدت فيه ثمار الكنكر  
وحلق البهار بين الأس  
خلال شيع مثل شيب النصف  
وجلنار كاحر رار الورد  
والأقحوان كالثنايا الغر  
وقال أبو الفتح كشاجم :

وروض عن صنيع الغيث راض  
إذا ما القطر أسعد صبوحة  
يعير الریح بالنفحات ریحاً  
كان الطل منتشراً عليه  
كان غصونه سقيت رحيماً  
كان شقائق النعمان فيه  
يدكرني بنفسه بجه بقايا  
وقال :

غيث أتنا مؤذناً بالخلف  
دناً فيلناه دوين الأرض  
إنفاً إلى ألف يسر يفضي  
فالأرض تجلي بالنبات الغض  
من سوسن أخوى وورد غض

وَأَقْحَوَانٍ كَاللَّجَيْنِ الْمَحْضِ      وَتَرْجِسَ ذَا كِي النِّسِيمِ بَضَ  
مِثْلَ الْعَيُونِ رَنَقَتْ لِلْغَمَضِ      تَرْنُو فَيَغْشَاهَا الْكَرَى فَتَغْضِي

جملة من هذا النوع لأهل العصر

قال أبو فراس الحمداني :

لأبي فراس  
الحمداني

وَجَلَنَّا فِي مُشْرِقٍ      عَلَى أَعَالِي شَجَرَةٍ  
كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ      أَحْمَرَهُ وَأَصْفَرَهُ  
قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ      فِي خِرْقَةٍ مُعْصَفَرَةٍ

وقال :

وَيَوْمَ جَلَّافِيهِ الرِّبِيعِ رِيَاضُهُ      بِأَنْوَاعٍ حَلِيٍّ فَوْقَ أَثْوَابِهِ الْخَضِرُ  
كَأَنَّ ذُبُولَ الْجَلَنَارِ مُطْلَعَةً      فَضُولُ ذُبُولِ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْأَزْرِ

وقال أبو القاسم بن هاني ، يصف زهرة رُمانٍ قطفت قبل عَقْدِهَا :

لابن هاني  
يصف زهرة  
رمان

وَبَنْتُ أَيْكِ كَالشَّبَابِ النَّضْرِ      كَأَنَّهَا بَيْنَ الْعُصُونِ الْخَضِرِ  
جَنَّانُ بَارِزٍ أَوْ جَنَّانُ صَقْرِ      قَدْ خَفَّتْ بِهِ لَقْوَةٌ بَوَاكِرُ (١)  
كَأَنَّمَا سَحَّجَتْ دَمًا مِنْ نَحْرِ      أَوْ نَبَتَتْ فِي تَرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ  
[ أَوْ سَقِيَتْ بِحِدْوَلٍ مِنْ نَحْرِ ]      لَوْ كَفَّ عَنْهَا الدَّهْرُ صَرَفَ الدَّهْرِ  
جَاءَتْ كَمِثْلِ النَّهْدِ فَوْقَ الصَّدْرِ      تَفَتَّرُ عَنْ مِثْلِ اللَّائِثِ الْخُمْرِ  
فِي مِثْلِ طَعْمِ الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ

ولهم في هذا المعنى

روضة رَقَّتْ حَوَاشِيهَا ، وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا . روضة كالعقود المنظَّمة ، على البرود  
المنمنمة . روضة قد راضتها كف المطر ، ودبجتها أي دى الندى . أخرجت الأرضُ

أَسْرَارَهَا ، وَأَظْهَرَتْ يَدُ الْغَيْثِ آثَارَهَا ، وَأَبَدَتْ الرِّيَاضُ أَزْهَارَهَا . الرِّيَاضُ  
كَالْعُرَاسِ فِي حَلِيمِهَا وَزَخَارِفِهَا ، وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا ، بِاسْطَةِ زُرَّائِبِهَا  
وَأَنْمَاطِهَا ، نَاشِرَةً حَبْرَاتِهَا وَرِيَّاطِهَا ، زَاهِيَةً بِحَمَرَاتِهَا وَصَفْرَائِهَا ، نَاشِئَةً بِعَيْدَانِهَا  
وَعُذْرَانِهَا ، كَأَنَّمَا احْتَفَلَتْ لَوْفَدُ ، أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ . رَوْضَةٌ قَدْ  
تَضَوَّعَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا ، وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلْلِ الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا ، وَتَنَافَجَتْ  
بِنُفَاجِ الْمِسْكِ أَنْوَارُهَا ، وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا . بَسْتَانُ رَقٍّ نَوْرُهُ  
النَّضِيدُ ، وَرَاقُ عَوْدُهُ النَّضِيرُ . بَسْتَانُ عَوْدُهُ خَضِرُ ، وَنَوْرُهُ نَضِيرُ ، وَيُنْعَهُ خَضِيلُ ،  
وَمَاؤُهُ خَصِيرُ . بَسْتَانُ أَرْضُهُ لِلْقَلِّ وَالرِّيحَانِ ، وَسَمَاؤُهُ لِلنَّخْلِ وَالرِّمَانِ . بَسْتَانُ  
أَنْهَارُهُ مَفْرُوزَةٌ بِالْأَزْهَارِ ، وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَّةٌ بِالنَّمَارِ . أَشْجَارُهُ كَأَنَّ الْحَوْرَ أَعَارَتْهَا  
قُدُودَهَا ، وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا ، وَحَاطَتْهَا عَقُودَهَا . الرَّبِيعُ شَبَابُ الزَّمَانِ ، وَمَقْدِمَةُ  
الْوَرْدِ وَالرِّيحَانِ . زَمَنُ الْوَرْدِ مَرْمُوقٌ ، كَأَنَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ مَسْرُوقٌ . قَدْ وَرَدَ  
كِتَابُ الْوَرْدِ ، بِإِقْبَالِهِ إِلَى أَهْلِ الْوُدِّ . إِذَا وَرَدَ الْوَرْدُ ، صَدَرَ الْبَرْدُ : مَرْحَبًا  
بِإِشْرَافِ الزَّهْرِ ، فِي أَطْرَافِ الدَّهْرِ ، وَأُنْشَدُ :

سَقَى اللَّهُ وَرْدًا صَارَ خَدَّ رَبيعَنَا      فَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ لَيْسَ لَهُ خَدُّ  
كَأَنَّ عَيْنَ النَّرْجِسِ عَيْنٌ ، وَوَرَقَهُ وَرَقُ <sup>(١)</sup> النَّرْجِسِ نُرَّةُ الطَّرْفِ ،  
وَظَرْفُ الطَّرْفِ ، وَغَذَاءُ الرُّوحِ : شَقَائِقُ كَتِيبِجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى رِءُوسِ الزَّنُوجِ ،  
كَأَنَّمَا أَضْدَاغُ الْمِسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمُرْدَّةِ . شَقَائِقُ كَالزَّنُوجِ تَجَارَحَتْ وَسَالَتْ  
دِمَاؤُهَا ، وَضَعُفَتْ فَسَالَتْ دِمَاؤُهَا . كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌّ مِنْ عَقِيقِ أَحْمَرٍ ، مُلِئَتْ  
قَرَارَتُهُ مَسْكٌ أَذْفَرُ . الْأَرْضُ زَمْرَدَةٌ ، وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ ، وَالْمَاءُ سَيُوفٌ ، وَالطُّيُورُ  
قِيَمَانٌ . قَدْ غَرَّدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ . إِذَا صَدَحَ الْحَمَامُ ،  
صَدَعَ الْحَمَامُ قَلْبَ الْمُسْتَهَامِ      انْظُرْ إِلَى طَرَبِ الْأَشْجَارِ لِفَنَاءِ الْأَطْيَارِ . لَيْسَ  
لِلْبَلَابِلِ كَغِنَاءِ الْبَلَابِلِ <sup>(٢)</sup> ، وَخَمْرُ بَابِلِ .

(١) العين المشبه بها : الذهب ، والورق - بكسر الراء - الفضة (م) .

(٢) البلابل الأول : الأشجان ، والثانية الطيور الغردة واحدها بلبل (م) .

## ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع

يوم سماؤه فأخّيتة ، وأرضه طاووسية . يوم جلايب غيومه رواق ، وأردية  
نسيمه رفاق . يوم ممسك السماء ، ممصفق الهواء ، معتبر الرّوض ، مصندل  
الماء . يوم زُرّ عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب . يوم سماؤه  
كالخزّ الأدكن ، وأرضه كالديباج الأخضر

شادن<sup>١</sup> يرّعى القلوب بيغدا د ولا يرّعى الكلا بالنّباج  
أقبلت والربيع يختال في الرّوض وفي الزن ذى الحيا الثّجاج<sup>(١)</sup>  
ذو سماء كاذكن الخزّ قد غيـمـت وأرض كاخضر الديباج  
فتجلّى عن كل ما يمتنى موعد الكدخداء والميلاج  
فظلنا في نزهتين وفي حُسنين بين الأزمال والأهراج  
بفتاة تسرّنا في الثّاني وعجوز تسرّنا في الرّجّاج  
أخذت من رهوس قوم كرام ثارها عند أرجل الأعلاج  
يوم حسن السّمايل ، مُتّبع الخايل ، سَجَسَجَ الهواء ، مؤنّق الأرجاء .  
يوم تبسّم عنه الربيع ، وتبرّج عنه الرّوض المريع . يوم كان سماءه مأمّم تبياكى ،  
وأرضه عروس تتجلّى . يوم مشهر الأوصاف ، أغرّ الأطراف . يوم يُغنى فيه  
النّور وينتبه ، وتسفر فيه الشمس وتنتقب ، وتعتنق الغصون وتفترق ، ويوشى  
النّيم ويفسكب . يوم غاب نَحْسُهُ وهوى ، وطلع سَعْدُهُ واعتلى ، والزمان ساقطة  
جماره ، مُقَمِّمة أنهاره ، مؤنّقة أشجاره ، مغرّدة أطيّاره . نحن في عبّ سماء ،  
قد أقلمت بعد الارتواء ، وأقشعت عند الاستغناء ، فالتبّت خصل مطور ،  
والنّقع ساكن محصور . يوم جوّه طاروني ، وأرضه طاووسى . يوم دجّه عاكف ،  
وقطره وإكف . يوم من أعياد العمر ، وأعيان الدهر .

(١) الحيا : المطر ، والثجاج : كثير السيلان (م) .



## [ الربيع والرفاق ]

ولهم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الإخوان والسادة :  
 غَيْثٌ مُتَشَبِّهٌ بِكَفِّكَ ، واعتداله مُضَاهٍ لَخُلُقِكَ ، وزَهْرُهُ مُوَاظٍ لِنَشْرِكَ <sup>(١)</sup> ،  
 كأنما استعار خُلُله من شِيبَتِكَ ، وحَلْيِهِ من سَجِيَّتِكَ ، واقتبس أنواره من محاسن  
 أيامِكَ ، وأمطاره من جُودِكَ وإنعامِكَ . قدم الربيع مُنْتَسِباً إلى خُلُقِكَ ،  
 مُكْتَسِباً محاسنَه من طَبْعِكَ ، متوشحاً بأنوار لَفْظِكَ ، متوضحاً بأنوار لسانِكَ  
 ويدِكَ . أنا في بستانٍ أذكركني وَرْدُهُ المَفْتَحُ بِخُلُقِكَ ، وجَدْوَلُهُ السابح بِطَبْعِكَ ،  
 وزَهْرُهُ الجَنِيُّ بِقَرْبِكَ . أنا في بستانٍ كأنه من شمائلِكَ سُرِقَ ، ومن خُلُقِكَ خُلِقَ ،  
 وقد قابلتني أشجارٌ تتمايل فتذكرني تَهْرِيجَ الأحباب ، إذا تداوَلَتْهم أيدي  
 الشراب ، وأنهار كأنها من يدِكَ تَسِيلُ ، ومن راحتِكَ تَفِيضُ . أنا على حافة  
 حَوْضٍ أزرَقُ كصفاء مودَّتِي لك ، وِرْقَةٌ قولِي في عَتَبِكَ .

## [ الصوم في الربيع ]

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصومُ في الربيع فهِلَّا اخْتَارَ رُبْعاً من سائرِ الأرباع <sup>(٢)</sup>  
 وكأنَّ الربيعَ في الصومِ عَقْدٌ فوقَ نَحْرِ غِطَاءِ فَضْلٍ قِنَاعِ

## [ يوم الشك ]

وكتب أبو الفتح كشاجم إلى بعض إخوانه يستدعيه إلى زيارته في يوم شك :  
 هو يوم شَكٍّ يا عَالِيَّ وَبِشْرُهُ مُذْ كَانَ يُحَذَّرُ  
 والجَوُّ حُلْمُهُ مَسَكَةٌ ومُطَرِّفُهُ مُعْنَبَرُ  
 والماءُ فَضْيٌ القَمِيصِ وطَيْلَسَانُ الأرضِ أخضرُ  
 نَبْتُ يَصْعَدُ زَهْرُهُ في الرِّوْضِ قَطَرٌ نَدَى تَحَدَّرُ  
 ولنا فَضِيلَاتٌ تَكُونُ لِيَوْمِنَا قُوْتًا مُقَدَّرُ

(١) النشر - بالفتح - الرائحة الطيبة (٢) كل فصل ربيع من السنة

ومُدَامَةً صَفْرَاهُ أَذْ رَكَ غُمْرَهَا كِسْرَى وَقَيْصَرَ  
فَانْشَطْ لَنَا لِنَحْثَ مِنْ كَاسَاتِنَا مَا كَانَ أَكْبَرَ  
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَاهِلٌ إِنْ قُلْتَ إِنَّكَ سَوْفَ تُعْذَرُ  
وكتب بديع الزمان إلى بعض أهل همدان :

من بديع  
الزمان لبعض  
أهل همدان

كتابي - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مَقْدَمِهِ ،  
وَيَمِّنَ مُخْتَمَمِهِ ، وَخَصَّكَ بِتَقْصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَإِتِمَامِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛ فَهُوَ -  
وَإِنْ عَظُمَتْ بَرَكَتُهُ - ثَقِيلٌ حَرَكَتُهُ ، وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهُ بَعِيدَ قَعْرِهِ ، [ وَإِنْ  
عَمَّتْ رَأْفَتُهُ ، طَوِيلَ مَسَافَتِهِ ، وَإِنْ حَسُنَتْ قُرْبَتُهُ ، شَدِيدَ صَحْبَتِهِ ، وَإِنْ  
كَبُرَتْ حَرَمَتُهُ كَثِيرَ حَشَمَتِهِ ، وَإِنْ سَرَّنا مُبْتَدَاهُ فَلَنْ يَسُوءَنا مُنْتَهَاهُ ] فَإِنْ حَسُنَ  
وَجْهُهُ فَلَيْسَ يَقْبُحَ قَفَاةُ ، وَمَا أَحْسَنَهُ فِي الْقَدَالِ ، وَأَشْبَهَهُ إِدْبَارَهُ بِالْإِقْبَالِ ،  
جَعَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ سَبَبَ تَرْحَالِهِ ، وَبَدْرَهُ فِدَاءَ هَلَالِهِ ، وَأَمَدًا فَلَكِهِ  
تَحْرِيكًا ، بِتَقْضَى مُدَّتِهِ وَشَيْكَا ، وَأَظْهَرَ هَلَالَهُ نَحِيْفًا ، لِيَزِفَ إِلَى اللِّذَاتِ  
زَفِيْفًا ، وَعَفَا اللَّهُ عَنْ مَرْحِ يَكْرِهِهِ ، وَجُحُونِ يُسْخِطُهُ .

عَوَّلَ الْبَدِيعُ فِي هَذَا الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ فِي رِسَالَةٍ لَهُ فِي  
مِثْلِ ذَلِكَ :

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي بَرَكَتَهُ ، وَيُلْقِيَنِي الْخَيْرَ فِي بَاقِي أَيَّامِهِ وَخَاتَمَتِهِ ؛ وَأَرْغَبُ  
إِلَيْهِ فِي أَنْ يَقْرَبَ عَلَى الْفَلَكَ دَوْرَهُ ، وَيَقْصُرَهُ سَيَرَهُ ، وَيُخَفِّفَ حَرَكَتَهُ ،  
وَيُعَجِّلَ نَهْضَتَهُ ، وَيَنْقُصَ مَسَافَةَ فَلَكِهِ وَدَائِرَتِهِ ، وَيَزِيلَ بَرَكَاتِ الطَّوْلِ عَنْ  
سَاعَاتِهِ ، وَيَرُدَّ عَلَى غُرَّةِ شَوَالٍ ، فَهِيَ أَسْنَى الْغُرَرِ عِنْدِي ، وَأَقْرَبُهَا لَعْنِي ؛  
وَيُطْلِعَ بَدْرَهُ ، وَيُرِيَنِي الْأَيْدِيَّ مُتَطَلِّبَةَ هَلَالِهِ بِيَشْرٍ ، وَيَسْمَعُنِي النَّعْيَ لَشَهْرِ  
رَمَضَانَ ، وَيَعْرِضَ عَلَى هَلَالِهِ أَخْفَى مِنَ السَّحَرِ ، وَأَظْلَمَ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَنْحَفَ  
مَنْ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ ، وَأَبْلَى مِنْ أَسِيرِ الْمَجَرِّ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَلَّ وَجْهُهُ مَا قُلْتُ  
إِنْ كَرِهَهُ ، وَأَسْتَغْفِيهِ مِنْ تَوْفِيقِي لِمَا يَذْمُهُ ، وَأَسْأَلُهُ صَفْحًا يُفِيضُهُ ، وَعَفْوًا  
يُوسِعُهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

## [ عَوَاقِبُ الطَّيْشِ ]

قال المأمون لطاهر بن الحسين : صِفْ لِي أَخْلَاقَ الْحُلُوعِ . قال : كان واسعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقَ الْأَدَبِ ، يُبَيِّحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْتِيهِ هِمَمُ الْأَحْرَارِ ، وَلَا يُضْغِي إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةَ ، يَسْتَبْدُّ بِرَأْيِهِ ، وَيُبْصِرُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ ؛ فَلَا يَرُدُّهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُ بِهِ . قال : فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ ؟ قال : كَانَ يَجْمَعُ الْكَتَائِبَ بِالْتَّبَذِيرِ ، وَيَفْرُقُهَا بِسُوءِ التَّنْذِيرِ . فقال المأمون : لَذَلِكَ حَلٌّ مَا حَلَّ بِهِ ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ لَذَاتِ النَّصَاحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا ، لَمَا ظَفِرَ بِهِ .

## [ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ ]

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ لِلْأَمِينِ وهو أصغرُ من المأمون لأجل أمِّه زُبَيْدَةَ ، وكَلَامِ أَخِيهَا عِيسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَقَدَّمَهُ عَلَى الْمَأْمُونِ ، جَعَلَ يَرَى فَضْلَ عَقْلِهِ فَيَنْدَمُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ :

لَقَدْ بَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ لِي غَيْرَ أَنْتَى      غُلِبْتُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا  
فَكَيْفَ يُرَدُّ الدَّرُ فِي الضَّرْعِ بَعْدَمَا      تَوَزَّعَ حَتَّى صَارَ نَهَبًا مَقْسَمًا  
أَخَافُ التَّوَاءَ الْأَمْرِ بَعْدَ أَسْتَوَائِهِ      وَأَنْ يُنْقَضَ الْحَبْلُ الَّذِي كَانَ أُبْرِمًا

قال أسد بن يزيد بن مزيد : بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري ، قال : فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي صَخْنِ دَارِهِ ، وَفِي يَدِهِ رُقْعَةٌ قَدْ غَضِبَ لِمَا نَظَرَ فِيهَا ، وَهُوَ يَقُولُ : يَنَامُ نَوْمَ الظَّرْبَانِ ، وَيَنْتَبَهُ انْتِبَاهُ الذُّبِّ ، هَمَّتْهُ بَطْنُهُ ، وَلَذَّتْهُ فَرْجُهُ ، لَا يَفْكَرُ فِي زَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَلَا يَتَرَوَّى فِي إِمْضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، قَدْ شَرَّ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ سَاقِهِ ، وَفَوَّقَ لَهُ أَسَدٌ سَهَامِهِ ، يَرْمِيهِ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ بِالْحَتْفِ النَّافِذِ وَالْمَوْتِ الْقَاصِدِ ، قَدْ عَجَى لَهُ الْمَنَايَا عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ ، وَنَاطَ لَهُ الْبَلَاءُ فِي أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ وَشِفَارِ السِّیُوفِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشَعْرِ الْبَعِيثِ :

يُقَارِعُ أَتْرَاكَ ابْنَ خَاقَانَ لَيْلَهُ      إِلَى أَنْ يَرَى الْإِصْبَاحَ لَا يَتَلَعَّمُ  
فَيُصْبِحُ فِي طُولِ الطَّرَادِ وَجِسْمُهُ      نَحِيلٌ ، وَأُضْحَى فِي النِّعَمِ أَصَمُّ

فشتان ما بيني وبين ابن خالدي أُمِّيَّة في الرِّزْقِ الذي الله يقسمُ  
ثم قال : يا أبا الحارث ، أنا وأنتَ تَجْرِي إلى غايَةٍ إنْ قَصَّرْنَا عنها ذُمُّنَا ،  
وإنْ اجْتَهَدْنَا في بلوغها انْقَطَعْنَا ؛ وإِنَّمَا نحنُ شُعْبَةٌ من أصلٍ ، إنْ قَوِيَ قوينا ،  
وإنْ ضَعُفَ ضَعْفُنَا ؛ إنْ هذا الرجلُ قد ألقى بيده إلقاءَ الأُمَّةِ الوَكْفَاءِ : يشاورُ النساءَ ،  
ويعتمدُ على الرؤيا ، وقد أَمْسَكَنَ أهلُ اللّهُو والخِسَارَةِ مِنْ سَمْعِهِ ؛ فهمُ يُمْنُونُهُ  
الظُّفَرُ ، وَيَعِدُّونَهُ عَوَاقِبَ الأَيَّامِ ؛ والهِلاكُ إليه أَسْرَعُ من السَّيْلِ إلى قِيَعَانِ  
الرَّمْلِ ؛ وقد خَشِيتُ أَنْ يَهْلِكَ بِهَلاكِهِ ، ونَعَطَبَ بَعْطِيهِ ، وأنتَ فارسُ العربِ  
وابنُ فارسِها ، وقد فَرِزَ إلَيْكَ في لقاءِ طاهرٍ لِأَمْرَيْنِ : أحدهما صِدْقُ طاعتِكَ ،  
وفَضْلُ نصيحتِكَ ؛ والثاني يُمْنُ نَفِيتِكَ ، وشِدَّةُ بأسِكَ ؛ وقد أَمَرَنِي أَنْ أبْسطَ يَدَكَ ،  
غَيْرَ أَنَّ الاقْتِصَادَ رَأْسُ النِّصْحَةِ ، ومِفْتَاحُ الْبِرْكَ ؛ فبادِرْ ما تريد ، وعَجِّلْ النِّهْضَةَ ،  
فإني أرجو أنْ يُولِيكَ اللهُ شَرَفَ هَذَا الْفَتْحِ ، وَيَلِمَ بِكَ شَعَثُ الْخِلَافَةِ .  
فقلتُ له : أنا لطاعتِكَ وطاعةُ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ مُقَدِّمٌ ، ولما وَهَنَ عَدُوٌّ كَمَا مُؤَثِّرٌ ؛  
غَيْرَ أَنَّ الْحَارِبَ لَا يَفْتَتِحُ أَمْرَهُ بِتَقْصِيرٍ ؛ وإِنَّمَا مِلَاكُ أَمْرِهِ الْجُنُودُ ، والجُنُودُ  
لَا تَكُونُ بِلا مالٍ ، وقد رَفَعَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ الرِّغَابَ إلى قومٍ لَمْ يُجِدُوا عَلَيْهِ ،  
ومتى سُمِتَ مَنْ أَقْدَرُ بِهِ الْإِنْتِفَاعُ له الرِّضَا بدونَ ما أَخَذَهُ غَيْرُهُ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ  
غِنَاءٌ وَلَا مَعُونَةٌ ، لَمْ يَنْتَظِمِ بِذَلِكَ التَّدْبِيرُ ، وَأَحْتَاجُ لِأَصْحَابِي رِزْقَ سَنَةٍ قَبْضًا ،  
وَحَمَلًا إلى أَلْفِ فَرَسٍ لِحُلِّ مِنْ لَا أَرْتَضِي فَرَسَهُ ، وإلى مالٍ أَسْتَظْهِرُ بِهِ ، لَا أَلَامَ  
عَلَى وَضْعِهِ حَيْثُ رَأَيْتُ . فقال : شاورْ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَدْخُلْنِي عَلَيْهِ ، فَلَمْ تَدْرُ  
بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَلِمَتَانِ حَتَّى أَمْرُ مُحَمَّدِ بْنِ .

ويروى أن الأمين لما أَعْيَتْهُ مَكَايِدُ طاهر قال :

بُلِيتُ بِأَشْجَعِ الثَّقَلَيْنِ نَفْسًا      تَزُولُ الرَّاسِيَاتُ وَمَا يَزُولُ  
له مع كل ذي بدن رقيبٌ      يشاهده وَيَعْلَمُ ما يَقُولُ  
فليس بمغفٍ لأمراً عَنَاهُ      إِذَا مَا الْأَمْرُ ضَيَّعَهُ الْجَهْلُ

الأمين  
يصف طاهر  
ابن الحسين

الفضل  
بن الربيع  
وابنه وابوه

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء :

كم من مقيمٍ ببغدادٍ على طَمَعٍ      لولا رجاؤه أبا العباس لم يُقَمِّ  
البدْرُ إن نظروا، والبحرُ إن رَغِبُوا      والحِصْنُ إن رهبوا، والسيف ذو النَقَمِ  
وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع : ما مدحنا شاعرٌ بشعر أحب  
إلينا من قول أبي نواس :

ساد الملوك ثلاثةٌ ما منهمُ      إن حُصِّلوا إلا أعزَّ قَرِيبِ  
ساد الربيعُ وسادَ فَضْلُ بعدهُ      وعلتْ بعباس الكَريمِ فروعُ  
عباس عباسٌ إذا احتدم الوَغَى      والْفَضْلُ فَضْلُ والربيعُ ربيعُ  
وقيل لامتنابى : أمدحت أحداً ؟ قال : لا ، وليس لى على ذاك قدرة ، فقيل له :

فقد مدحت الربيع ، فقل : ذلك ليومٍ يستحق فيه المدح ، فقلت :  
ومعضلةٍ قام الربيع إزاءها      ليعمد ركن الدين لما تهدمًا  
بمكة والمنصور رهن كما أنى      أخا الوحى داعى رَبِّه فتقدّمًا  
غداة عداة الدين شاحذة المدى      إليه وغولُ الحربِ فاغرةٌ فمًا

[ بيعة المهدي ]

وكان المنصور قد توفى بمكة وهو حاجٌّ في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة،  
فأخذ الربيع للمهدي البيعة على الناس ، وأخذ بتجديدها عن المنصور على أنه حى ،  
وأدخل إليه قومًا فرأوه من بعيد وقد جلاه بثوب ، وأقعد إلى جنبه من يحرك يده  
وكانه يومئٍ بها إليهم ، فلم يشكروا في حياته ؛ فما خالف أحد ؛ فشكره المهدي  
لذلك ، وفي ذلك يقول أبو نواس في مدحه الفضل بن الربيع :

أبوك جلى عن مُضَرٍّ      يوم الرواقِ المحتضرِ  
والحرب تفرى وتذر      لما رأى الأمر اقمطرَ  
قامَ كريمةً فانتصرَ      كهزة الغضبِ الذَّكَرِ

ما من من شيء هبّ وأنت تفتاف الأثر  
من ذي حُجول وغُرز

وقال أيضاً :

آلَ الربيع فضلتُم فضل الحميس على العشير<sup>(١)</sup>  
من قاس غيركم بكم قاس الثماد إلى البحور  
أين القليل بنو القليل من الكثير بنى الكثير  
أين النجوم التاليا ت من الأهلّة والبدور  
قوم كفوا أيام مكة نازل الخطب الكبير  
وتداركوا نصر الخلافة وهى شاعة النصير  
لولا مقامهم به هوت الرواسى من ثبير

ومن قول أبى نواس : « من قاس غيركم بكم ... » البيت ، أخذ

أبو الطيب المتنبي :

قواصد كافور توارك غيره . ومن قصد البحر استقل السواقياً  
فتى ما سرينا في ظهور جدودنا إلى عصره إلا نرجى التلاقياً

[ وقت كلام الملوك ]

وقال الفضل بن الربيع : من كلم الملوك فى الحاجات فى غير وقت الكلام  
لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم فى ذلك إلا بأوقات الصلوات لا تقبل  
الصلاة إلا فيها ، ومن أراد خطاب الملوك فى شيء فليؤصد الوقت الذى يصلح  
فى مثله ذكر ما أراد ، ويستب له شيئاً من الأحاديث يحسن ذكره بعقبه .

وقال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ؛ أكان فى حقى عليك ،  
وحق أبائى ونعمهم عندأبيك وعندك ، أن تثلبنى<sup>(٢)</sup> وتسببى ، وتخرض على دى ؟  
أحب أن أفعلك ما فعلته بى ؟

من كلام الفضل  
ابن الربيع

بين المأمون  
والفضل بن  
الربيع

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يحقّدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف

(١) الحميس : الحرس ، العشير : العشر . (٢) تثلبنى : تنتقصنى وتعيبنى (م) .

إذا حَفَّتْهُ العيوب ، وَبَحَّتْهُ الذنوب ؛ فلا يَضِيقُ عَنِّي مِنْ عَفْوِكَ ما وَسِعَ غَيْرِي مِنْكَ ، فَأَنْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فَيْكَ :

صَفُوحٌ عَنْ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا  
وَلَيْسَ يُبَالَى أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا  
والشعر لأحسن بن رجاء بن أبي الضحاك .

[ بين المنصور والربيع ]

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع ، فقال : سَلْنِي مَا تُرِيدُ ، فَقَدْ سَكْتُ حَتَّى نَطَقْتُ ، وَخَفَفْتُ حَتَّى ثَقَلْتُ ، وَأَقَلْتُ حَتَّى أَكْثَرْتُ .  
فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَرْهَبُ بُخْلَكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عَنْكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْنِيَنَّكَ مَالُكَ ؛ وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ؛ وَلَوْ جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصَحَةِ لَمَا سَبَّغْتَنِي لَذَلِكَ أَحَدٌ .

قال : صدقت ، عِلْمِي بِهِذَا مِنْكَ أَحَلَّكَ هَذَا الْحِلَّ ؛ فَسَلْنِي مَا شِئْتَ  
قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ الْفَضْلُ ، وَتُؤَثِّرَهُ وَتَحِبَّهُ .  
قال : يَارَبِيعَ إِنَّ الْحُبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوهَبُ ، وَلَا رُتْبَةٌ تُبَدَّلُ ؛ وَإِنَّمَا تَوْكُذُهُ الْأَسْبَابُ .  
قال : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ .

قال : صدقت ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عَمُومَتِي ؛ لِتَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَقْدَعُنِي بِهِ مُحِبَّتِي ، ثُمَّ قَالَ :  
وَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْحُبَّ يَا رَبِيعَ ؟

قال : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَبِّهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ .

قال : صدقت وأتيت بما أردت في بابه .

لأبي تمام يمدح  
ابن الزيات

أخذ قوله : « خففت حتى ثقلت » أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات :  
على أن إفراط الحياء استمالي إليك ، ولم أعدل بعرضي معدلاً  
فثقلت بالتخفيف عنك ، وبعضهم يخفف في الحاجات حتى يُثقل

[ سهل بن هارون والرشيد ]

ودخل سهل بن هارون على الرشيد ، وهو يُضاحكُ المأمون ، فقال : اللهم  
زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه  
مُرَبِّياً<sup>(١)</sup> على أمسه ، مُقَصِّراً عن نغده .

فقال له الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن  
الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يُعجزه القول .

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ؛ ما ظننت أن أحداً تقدمني إلى هذا المعنى .  
قال : بل أغشى همدان حيث يقول :

رأيتك أمس خيرَ بني لؤيٍّ وأنتَ اليوم خيرُ منك أمس  
وأنتَ غداً تريد الخيرَ ضعفاً كذاكَ تزيد سادة عبداً شمس

[ من شعر الفضل بن الربيع ]

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولي :

إني امرؤ من هاشمٍ بفناء معمرٍ والنواحي  
أهل الهدى وذوي الثقي وأولى البسالة والسماح  
أهل العالم والمكا رِم في المساء وفي الصباح

(١) مريباً : اسم الفاعل من « أربى » إذا زاد (م) .



أهل النبوة والخلافة والكمال برغم لاجي  
يتألمون من الصدود ويصبرون على الجراح  
[ بين ابن خاقان وأبي العيناء ]

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير فاره<sup>(١)</sup> ،  
فكتب إليه : أعلم الوزير ، أعزه الله ، أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني ففقتي ،  
وأن يركني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنبرة<sup>(٢)</sup> ، وتغتر بالبعرة ، كالقضيبي  
اليابس عجفاً<sup>(٣)</sup> ؛ وكالعاشق المهجور دنفاً ، قد أذكرت الرواة عذرة العذري ،  
والجنون العامري ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباقة مقرون بسعالة ، فلو أمسك  
لترجيت ، ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس  
المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر مُنشد ، تضحك من فعله النسوان ،  
وتتناغي من أجله الصبيان ؛ فمن صائح يصيح : دأوه بالطباشير ، ومن قائل  
يقول : نوّله الشعر ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في  
الأمصار ، فلو أعين بنطق ؛ لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر  
الشعبي ؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ،  
وإن اختار لغيره أحب وأنزر ؛ فإن رأى الوزير أن يبدلني به ، ويريني منه  
مركوب يضحكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وفرأته ، ماسطره العيب  
بقبحه ودمايته ؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه ؛ فإن الوزير أكرم من أن  
يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يحميه .

فوجه عبيد الله إليه برذونا من براذنه بسرجه ولجامه ، ثم اجتمع مع محمد  
ابن عبيد الله عند أبيه ، فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني الآن أنه  
يشتريه منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه لا يشتكي .

(١) فاره : النبرة : الصيحة (م)

(٢) أي جيدة قادرة على السير (م)

(٣) العجف : الهزال (م)

فقال : أعز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، وإني وإياه لسكما قالت امرأة العزيز : « الآن حَصَّصَ الحقَّ ، أنا رأودتُه عن نفسه وإنه لمن الصادقين » . فضحك عبيدُ الله ، وقال : حجَّتكَ الداحضة بملاحَتِكَ وظَرَفَكَ أبلغُ من حجة غيرك البالغة .

### قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي

عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة

عن رقعة وردت منه في صفة حمل أهْدَاه

وصلت رُفْعَتِكَ ، ففَضَضْتُهَا عن خَطِّ مُشْرِفٍ ، ولفظ مُونِقٍ ، وعبارة مُصْبِيَةٍ ، ومعانٍ غريبة ، واتساع في البلاغة يَعْجِزُ عنه عبدُ الحميد في كتابته ، وقُسَّ وَسَحَبَانٌ في خطابه ؛ وتصرف بين جدِّ أَمْضَى من القَدَر ، وهَزَلٍ أَرْقٍ من نَسِيمِ السَّحَر ، وتقلَّب في وجوه الخِطَاب ، الجامع للصَوَاب ؛ إلا أنَّ الفعلَ قَصَرَ عن القول ، لأنَّكَ ذَكَرْتَ حَمَلًا ، جعلته بصفتك بَجَلًا ، فكانَ الْمُعَيَّدِي الذي تسمعُ به ولا أنْ تراه . وحضرَ فَرَأَيْتَ كَبْشًا مُتَقَادِمَ المِيلَاد ، من تَنَاجٍ قَوْمِ عَاد ، قد أَفْنَتْهُ الدَّهَوْر ، وتَعَاقَبَتْ عليه العصور ، فظننته أَحَدَ الزَّوْجِين اللّٰذِينَ جعلهما نوحٌ في سفينته ، وحَفِظَ بهما جنسَ الغنمِ لذريَّته ؛ صَغُرَ عن الكبر ، وَلَطُفَ عن القدم ، فبَانَتْ دِمَامَتُهُ ، وتَقَاصَرَتْ قَامَتُهُ ، وعَادَ نَاحِلًا ضَيْلًا ، بَالِيًا هَزِيلًا ، بِأَدَى السَّقَام ، عَارَى الْعِظَام ، جامعًا للمعائب ، مشتملاً على المثالب ، يَعْجَبُ الْعَاقِلُ من حلول الحياة به ، وتَأَنَّى الحركة فيه ، لِأَنَّهُ عَظُمَ مَجَلْدٌ ، وصُوف مُلَبَّدٌ ، لا تجدد فوق عظامه سَلْبًا ، ولا تَلْقَى يَدُكَ منه إِلَّا خَشْبًا ، لو أُلْقِيَ إلى السَّعْ لَأَبَاه ، ولو طُرِحَ للذُّبِ لَعَافَهُ وَقَلَّاه ، قد طالَ السَّكَلُ فَقَدُّهُ ، وبعْدَ الْمَرْعَى عَهْدُهُ ، لم يرَ الْقَتَّ إِلَّا نَامًا ، ولا عرفَ الشَّعِيرَ إِلَّا حَالِمًا ، وقد خَيْرَتَنِي بين أنْ أَقْتَنِيهِ فيكونَ فِيهِ غَنَى

الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خِصْب الرَّحْل ؛ فَمِلْتُ إلى استبقائه لما تعرف من محبتي في التوفير ، ورغبتى للتشمير ، وجمعى للولد ، وادّخارى لغد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً للفناء ؛ لأنه ليس بأثى فتحمّل ، ولا بفتى فينسّل ، ولا بصحيح فيترعى ، ولا بسليم فينبقى ؛ فلتُ إلى الثانى من رأيك ، وعوّلت على الآخر من قولك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشــدنى وقد أضربت النار ، وحُدَّت الشفّار ، وثمر الجزّار :

أعيـذُها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسب الشّحم فيه من شحمه ورم  
وقال : ما الفائدة لك في ذبحى ؟ وأنا لم يبق منى إلا نفس خافت ، ومقالة  
إنسانها باهت : لستُ بذى لحم ، فأصلح للأكل ؛ لأن الدهر قد أكل لحمى ،  
ولا جلدى يصلح للدّباغ ؛ لأن الأيام قد مرّقت أديمى ، ولا لى صوف يصلح  
للغزل ؛ لأن الحوادث قد حصّت وبرى ؛ فإن أردتنى للوقود فكفّ بعز أبقى  
من نارى ، ولن تبنى حرارة جهرى بريح قنارى ، فلم يبق إلا أن تطلبنى بدحل<sup>(١)</sup>  
أو بينى وبينك دم . فوجدته صادقاً فى مقالته ، ناصحاً فى مشورته ، ولم أعلم من  
أى أمریه أعجب ؛ أم من مماطلته للدهر بالبقاء ، أم من صبره على الضر والأواء<sup>(٢)</sup> ،  
أم من قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم من تأهيلك الصديق به مع خسارة قدره ؟  
وياليت شعرى إذ كنت — وإليك سوق الغنم ، وأمرك ينفذ فى الضأن والمعز ،  
وكلّ كبش سمين وحمل بطين مجلوب<sup>٣</sup> إليك ، مقصور<sup>٤</sup> عليك — تقول فيه قولاً  
فلا تردّ ، وتريده فلا تصدّ ، وكانت هديتك هذا الذى كأنه ناشر من القبور ،  
أو قائم عند النفخ فى الصور ، فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عرض  
الكتاب ، كلبى على وأبى الخطّاب ، ما كنت تهدى إلا كلباً أجرب ، أو  
قرداً أهدب .

[ الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد ]

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خونسنداذ :

أَسْعِيدُ قَدْ أَعْطَيْتَنِي أَصْحَابِيَّةً      مَكَّثْتُ زَمَانًا عِنْدَكُمْ مَا تَطْعَمُ  
نِضْوًا تَعَاقَرَتِ الْكِلَابُ بِهَا وَقَدْ      شَدَّوْا عَلَيْهَا كَيْ تَمُوتَ فَيُؤْلُوا  
فَإِذَا الْمَلَأَ ضَجَّكَوْا بِهَا قَالَتْ لَهُمْ :      لَا تَهْزِءُوا بِي وَارْحَمُونِي رُحْمًا  
مَرَّتْ عَلَى عِلْفٍ فَقَامَتْ لَمْ تَرِمِ      عَنْهُ ، وَغَنَّتْ وَالْمَدَامِيعُ تَسْجَمُ  
وَقَفَ الْمَهْوِيُّ بِي حَيْثُ أَنْتَ فُلَيْسَ لِي      مَتَاخَرٌ عَنْهُ وَلَا مَتَقَدِّمٌ <sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

أَبَا سَعِيدٍ لَنَا فِي شَاتِكَ الْعَبْرُ      جَاءَتْ وَمَا إِنْ لَهَا يَوْلُ وَلَا بَعْرُ  
وَكَيْفَ تَبْعَرُ شَاةٌ عِنْدَكُمْ مَكَّثَتْ      طَعَامُهَا الْأَبْيَضَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
لَوْ أَنَّهَا أَبْصَرَتْ فِي نَوْمِهَا عِلْفًا      غَنَّتْ لَهُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ تَنْجَدِرُ  
يَا مَانِعِي لَذَّةَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا      إِنْ لِي فَتَنَّتْنِي مِنْ وَجْهِكَ الْنَظْرُ  
وقال أيضاً :

شَاةُ سَعِيدٍ فِي أَمْرِهَا عِبْرُ      لَمَّا اتَّتْنَا قَدْ مَسَّهَا الضَّرُّ  
وَهِيَ تَغْنِي مِنْ سَوْءِ حَالِهَا      حَسْبِي بِمَا قَدْ لَقِيتُ يَا عَمْرُ  
مَرَّتْ بِقُطْفِ خَضِرٍ يَنْشُرُهَا      قَوْمٌ فَظَنَّتْ بِأَنَّهَا خُضْرُ  
فَاقْبَلَتْ نَحْوَهَا لَتًا كَلَهَا      حَتَّى إِذَا مَا تَبَيَّنَ الْخَبْرُ  
وَأَبْدَلَتْهَا الظُّنُونُ مِنْ طَمَعِ      يَا سَاتِغَنَّتْ وَاللَّامِعُ مُنْجَدِرُ  
كَانُوا بَعِيدًا وَكُنْتُ آمُلُهُمْ      حَتَّى إِذَا مَا تَقَرَّبُوا هَجَرُوا

قال :

لِسَعِيدٍ شُوَيْهَةٌ      سَلَّهَا الضَّرُّ وَالْعِجْفُ  
قَدْ تَغَنَّتْ وَأَبْصَرَتْ      رَجُلًا حَامِلًا عِلْفُ

(١) هذا البيت من شعر دعبيل الخزاعي

بَأْيٍ مَنْ بِكَفِّهِ      بُرءُ مَا بِي مِنَ الدَّائِفِ  
فَأَنَاهَا مَطْمَعًا      وَأَتَتْهُ لِنَعْتَلِفِ  
فَسَوَّلَى فَأَقْبَلَتْ      تَتَغْنَى مِنَ الْأَسَفِ  
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ      عَذَّبَ الْقَلْبَ وَأَنْصَرَفَ

[ الحمدوني وطيلسان ابن حرب ]

[قال]: وإذ قد جرت بعض تضمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره في الطيلسان ، وأنعطف في غير هذا الموضع إليها وأكر عليها؛ وكان أحمد بن حرب المهلبى من المنعمين عليه ، والحسين إليه ، وله فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلساناً أخضر لم ير ضه ، قال أبو العباس المبرد : فأنشدنا فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا مذهبه فيها ، فجعلها فوق الحسين ؛ فطارت كل مطار ، وسارت كل مسار ، فمنها :

يَا بَنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا      مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَا  
فَحَسْبُنَا نَسِجُ الْعَنَاكِبِ قَدْ حَا      لَ إِلَى ضَعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا  
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْرِ حَتَّى      لَوْ بَعَثْنَاهُ وَخُدَّه لَتَهَدَّى  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طَيْلَسَانُ ابْنَ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتَ بَأَنْ      تُودِي بِجَسْمِي كَأَوْدَى بِكَ الزَّيْمَنْ  
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يَغْنَى وَلَا ثَمَنٍ      قَدْ أَوْهَنْتَ حِيلَتِي أَرْكَائِكَ الْوُهْمَنْ  
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرَّفَاءِ مُرْتَبَطًا      كَأَنْتَنِي فِي يَدَيْهِ الدَّهْرَ مُرْتَهِنَ  
أَقُولُ حِينَ رَأَى النَّاسُ أَلْزَمَهُ      كَأَنْتَنِي إِلَى فِي حَانُوتِهِ وَطَنْ  
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا      فَالْأَفْحَاسُ وَانَّةً مِنَّا مَنْزِلُ قَيْنِ  
وَقَالَ :

قُلْ لَابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَا      نَكُ قَوْمُ نُوحٍ مِنْهُ أَحْدَثُ

أَفَنَى الْقُرُونِ وَلَمْ يَزَلْ      عَمَّنْ مَبْضَى مِنْ قَبْلِ يُورَثْ  
وَإِذَا الْغُيُوثُ لَحْظَنَهُ      فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُحْزَثْ  
يُودِي إِذَا لَمْ أَرْفُهُ      فَإِذَا رَفَوْتُ فُلَيْسَ يَلْبَثْ  
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ      أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْمَثْ

وقال :

قُلْ لَابْنَ حَرْبٍ طِيلَسَانُكَ قَدْ      أَوْهَى قَوَايَ بِكَثْرَةِ الْفُرْمِ  
مُتَبِّينٌ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ      آثَارُ رَفْوٍ أَوَائِلِ الْأُمِّ  
وَكَأَنَّهُ الْخُمْرُ الَّتِي وَصَفَتْ      فِي «يَاشَقِيقُ الرُّوحِ مِنْ حَكَمِ»  
فَإِذَا رَمَمْنَاهُ فَقِيلَ لَنَا :      قَدْ صَحَّ ، قَالَ لَهُ الْبَلِي : أَنْهَدِمِ  
مِثْلَ السَّقِيمِ بَرًّا فَرَاغَهُ      نُسْكَسُ فَنُاسِلِمَهُ إِلَى سَقَمِ  
أَنْشَدْتَ حِينَ طَعَنِي فَأَعْجَزَنِي      «وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ»

« الخمر التي وُصِفَتْ » مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

يَاشَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمِ      نِمْتُ عَنْ كَيْلِي وَلَمْ أَمْ  
فَإِشْقَى الْبَكْرَ الَّتِي اعْتَجَرَتْ      بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ  
نِمْتُ أَنْصَاتِ الشَّبَابِ لَهَا      بَعْدَ أَنْ جَازَتْ مَدَى الْهَرَمِ  
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي بُرِلَتْ      وَهِيَ تَلُو الدَّهْرَ فِي الْقِدَمِ  
عُقِّتْ حَتَّى لَوْ اتَّصَلَتْ      بِلِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمِ  
لَاخْتَبَّتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً      ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمِّ  
فَرَعَتْهَا بِالْمَزَاجِ يَدٌ      خُلِقَتْ لِلْكَاسِ وَالْقَلَمِ

وقال الحدوني :

طِيلَسَانُ لَابْنَ حَرْبٍ جَاءَنِي      خِلْعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ  
فَإِذَا مَا صِيحَتْ فِيهِ صِيحَةٌ      تَرَكْتُهُ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظَرِّ

وإذا ما الريح هبَّتْ نحوهُ  
مُهْطِعِ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا  
وإذا رَفَاؤُهُ حَاوَلَ أَنْ  
وقال :

أَيَا طَيْلَسَانِي أَغْنَيْتَ طَبِّي  
وَيَارِيحُ صَيَّرْتَنِي أَثْقِيلُ  
وَمُسْتَخْبِرُ خَبَرِ الطَّيْلِاسَانِ  
وقال فيه :

طَيْلَسَانُ لَابَنَ حَرْبٍ جَاءَنِي  
أَنَا مِنْ خَوْفٍ عَلَيْهِ أَبَدًا  
يَابْنَ حَرْبٍ خُذْهُ أَوْ فَابَعْتُ بَمَا  
فَلَعَلَ اللَّهُ يُحْيِيهِ لَنَا  
فَهُوَ قَدْ أَدْرَكَ نَوْحًا ، فَمَسَى  
أَبَدًا يَقْرَأُ مِنْ أَبْصَرَهُ  
وقال فيه :

يَابْنَ حَرْبٍ أَطَلَّتْ فَقَرَى بَرْقَوِي  
فَهُوَ فِي الرَّفْوِ آلُ فُرْعَوْنَ فِي الْعَرْ  
زُرْتُ فِيهِ مَعَانِرًا فَازْدَرَوْنِي  
جِئْتُ فِي زِيٍّ سَائِلُ كِي أَرَاكُمْ  
وقال فيه :

وَهَبْتَ لَنَا ابْنَ حَرْبٍ طَيْلَسَانَا  
يُسْلَمُ صَاحِبِي فَيَعِيدُ شَتِي  
أُحِيلُ الطَّرْفَ فِي طَرَفِهِ طَوْلًا  
يَزِيدُ الْمَرْءَ ذَا الضَّعَةِ اتِّضَاعًا  
لَأَنَّ الرُّوحَ يَكْسِبُهُ انْصِدَاعًا  
وَعَرَضًا مَا أَرَى إِلَّا رِقَاعًا

فلمست أشك أن قد كان قديماً      أنوح في ســــفينة شراعاً  
فقد غنيت إذ أبصرت منه      جوانبه على بدني تداعى  
قفي قبل التفريق يا ضُباعاً      ولا يكُ مَوْقِفٌ منكِ الوداعاً  
[ المأمون والحسن بن رجاء ]

دخل المأمونُ بعضَ الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين الناشئُ في دولتك ، المتقلبُ في نعمتك ، المؤملُ لخدمتك ، خادِمُكَ وابنُ خادِمِكَ الحسنُ بنُ رجاء . فقال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسانِ في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان .  
قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : قال لي أبو العباس المبرد :  
ما رأيتُ في أصحاب السلطان مثل إسماعيل والحسن ؛ كنت إذا رأيته رأيت رجلاً كأنما خلقَ لذِروّة منبر ، أو صدرِ مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يُسهبُ ويُطنبُ ، ويُعربُ ويُغربُ ، ولا يعجبُ ويعجبُ .  
أراد القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ، والحسن بن رجاء بن أبي الضحاك .

[ بديهة المبرد ]

وكان أبو العباس يُعَدُّ في البلغاء ، وقال : لما دخلت على المتوكل اختار لي الفتحُ ابن خاقان وقتُ ثُربيه ، وكان الشراب قد أخذ منه ، فسألني وقال : يا بصرى ، أرايت أحسنَ وجهاً مني ، فقلت : لا والله ولا أتمتع راحةً ، ثم تجاسرت فقلت :

المبرد عند  
المتوكل

جَهَرْتُ بِخَلْفَةٍ لَا أَتَقِيهَا      بِشَكِّ فِي اليمينِ وَلَا ارْتِيَابِ  
بأنك أحسنُ الخلفاء وجهاً      وَأَتَمَحُّ رُاحَتَيْنِ ، وَلَا أَحَابِي  
وَأَنَّ مَطِيعَكَ الْأَعْلَى مَحَلًّا      وَمَنْ عَاصَاكَ يَهْوِي فِي تَبَابٍ<sup>(١)</sup>

(١) التباب - بوزن سحاب - الهلاك والخسران



فقال : أحسنت وأجملت في حُسن طبعك وبديهتك ، فقلت : ما ظننتُني أبلغُ هذا الشرف ، ولا أنال هذه الرتبة ؛ فلا زال أميرُ المؤمنين يسمو بخَدَمه إلى أعلى المراتب ، ويصَرِّفهم في المذاهب .

[ من أدب المبرد ]

وكان ابنُ المعتز قد غَضِبَ على بعض وكلائه ، فصار إلى أبي العباس المبرد يسأله أن يكلمه له ؛ فكتب إليه المبرد : أنتَ والله كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد :

بابي وأُمِّي أَنْتَ مَا أَنْدَى يَدًا وَأَبْرَ مِشَاقًا ، وَمَا أَرْكَبُكَ  
يَعْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا ، فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدِ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَا كَا  
وهذا معنى كثير .

[ في المدح ]

أنشد أحمد بن يحيى ثعلب الأعرابي :

كريم يغض الطرفَ فَضْلَ حَيَاتِهِ وَيَذْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي (١)  
وكالسيفِ إِنْ لَا يَفْتَنُهُ لَأَنْ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنَتْهُ خَشِنَانُ

وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته :

وَيَجْرَحُ أَحْشَائِي بَعَيْنٍ مَرِيضَةٍ كَالْأَنْثَى مَتْنُ السِّيفِ وَالْحَدُّ قَاطِعُ

وقال الأخطل في بني مروان :

صُمُّ عَنْ الْجَهْلِ ، عَنْ قِيلِ الْخَنَا أَنْفُ إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا  
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا (٢)

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور :

كريمٌ لَهُ وَجْهَانُ : وَجْهٌ لِدَى الرِّضَا طَلِيقٌ ، وَوَجْهٌ فِي الْكُرْهِيَّةِ بَاسِطُ  
وَلَيْسَ بِمُعْطَى الْحَقِّ حَتَّى غَيْرَ قَدْرَةٍ وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمْكَنَتْهُ الْمَقَاتِلُ  
لَهُ لِحَظَاتٍ مِنْ حِفَاقِ سِرِّهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

(١) فضل حياته : منصوب على أنه مفعول لأجله ، (م)

(٢) شمس العداوة : يعني أنهم لا يرجعون إلى الرضا إلا بعد أن يؤخذهم بحقهم (م)

فَأَمَّ الذِي أَمَنْتَ آمَنَةً الرَّدَى وَأَمَّ الذِي حَاوَلَتْ بِالشَّكْلِ ثَاكِلُ

وقال الطائي في أبي سعيد محمد بن يوسف :

لأبي تمام

هُوَ السَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ انْقَدَتْ طَوْعُهُ وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتَّبِعُ

وَكَانَ عَصَابَةَ الْجُرْجَانِي ، وَاسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، مُنْقَطَعًا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ رَجَاءٍ

لعصابة

الجرجاني في

متصلا به ، وهو القاتل فيه :

الحسين بن رجاء

وَمُحَجَّبٌ بِالنُّورِ لَيْسَ بِمَدْرَكٍ إِلَّا بِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ

مَلِكٌ يُحِبُّ اللَّهَ فَهُوَ بِحُبِّهِ وَيُطِيعُهُ فَتَطِيعُهُ الْأَشْيَاءُ

يَمْشِي الْمَوْثِقًا لِلصَّلَاةِ يُقِيمُهَا وَإِذَا مَشَى لِلْحَرْبِ فَالْحُمْلَاءُ

لِلَّهِ دَرَكٌ أَيْمًا ابْنُ عَزِيمَةٍ يَشْوِي الزَّمَانَ وَمَالُهُ إِشْوَاهُ

ثُمَّ عَتَبَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَهَجَاهُ هَجَاءً قَبِيحًا ؛ فَهَرَبَ إِلَى عُثْمَانَ ، ثُمَّ

اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْهَاهُ :

لَا تَحْضِنَنَّ عَوَالِي الْمَرَانِ إِلَّا مِنْ الْعَلَقِ النَّجِيعِ الْآنَ (١)

وهي أجود شعر قيل في معناه ، وهي التي يقول فيها :

أَقْرَ السَّلَامِ عَلَى الْأَمِيرِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنْ الْمُنَادِمَةُ الرُّضَاعُ الثَّانِي

مَا إِنْ أَتَى حَشِييَ بِأَنَّكَ سَاخِطٌ حَتَّى اسْتَخَفَّ بِمَوْضِعِي غِلْمَانِي

وَعَدْتَ عَلَى مَطَاعِمِي وَمَشَارِبِي وَمَلَابِسِي مِنْ أَعْوَانِ الْأَعْوَانِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ :

أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّ مَحَلَّهُ مَنِ بَحِثَ الرَّأْسُ وَالْعَيْنَانِ

لَا تَبْعِدَنَّ بَكَ الدِّيَارُ لِنَزْعَةٍ وَكُتُبِعِدَنَّ نَوَازِغَ الشَّيْطَانِ

فَلْيُفْرِخِ الرُّوْعَ الَّذِي رُوِّعَتْهُ إِنْ الْحُلَّ مَحَلُّ كُلِّ أَمَانِ

[ بين جميل وعمر بن أبي ربيعة ]

اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، فأنشده جميل

وصيدته التي أَوْهَاهُ :

(١) عوالى المران : أطراف الرماح ، والعلق : الدم ، والنجيع : الضارب إلى

السواد ، والآن : الحار (م)

لَقَدْ فَرَحَ الرَّاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبِيلِي . بُنَيْنَةٌ أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ  
يَقُولُونَ : مَهْلًا يَا جَمِيلُ ، وَإِنِّي لَا أُقْسِمُ مَالِي عَنْ بُنَيْنَةٍ مِنْ مَهْلٍ  
خَلِيلِي فِيمَا عَشْنَا هَـ هـ لَ رَأَيْتَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي  
نقله أبو العتاهية ، فقال :

يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ  
فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لِعَمْرٍ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيِ شَيْئًا ؟ قَالَ :  
نَعَمْ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَعَرَّضَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي  
فَمَا أُنْسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أُنْسَ قَوْلَهَا وَمَوْقِفَهَا يَوْمًا بِقَارِعَةِ النَّخْلِ  
فَلَمَّا تَوَافَقْتُمَا عَرَفْتُ الَّذِي بَهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدَوَكَ النَّهْلُ بِالنَّهْلِ  
فَسَأَمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى عَدُوٌّ مَكَانِي أَوْ يَرَى حَاسِدٌ فِعْلِي  
وَأَقْبَلَ أَمثالُ الدُّمَى يَكْتَنِفُهَا وَكُلُّهُ يُفَدِّي بِالْمَوَدَّةِ وَالْأَهْلِ  
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّيْرِ : إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمَ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي  
فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِي لَمْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سَرَّيْ لَيْسَ بِحِمْلِهِ مِثْلِي  
فَاسْتَخَذِي جَمِيلٌ وَصَاحَ : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي طَلَبْتَ الشَّعْرَاءَ فَأَخْطَأْتَهُ ، فَتَعَمَّلُوا  
بوصف الديار ، ونعت الأطلال .

ولما مات عمر بن أبي ربيعة نعى لامرأة من مولدات مكة ، وكانت بالشام ،  
فبكت وقالت : مَنْ لَأْ طَاحَ مَكَّةُ ؟ وَمَنْ يَمْدَحُ نِسَاءَهَا ، وَيَصِفُ مُحَاسِنَهَا ،  
وَيُبْكِي طَاعَتَهَا ؟ فَقِيلَ لَهَا : قَدْ نَشَأَ فَتَى مِنْ وَلَدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ <sup>(١)</sup> عَلَى طَرِيقَتِهِ ،  
فَقَالَتْ : أَنْشِدُونِي لَهُ ، فَأَنْشَدُوهَا :

وَقَدْ أَرْسَلَتْ فِي السَّرَائِلِ بِأَنْ أَقِمَ وَلَا تَقْرَبْنَا فَالْتَجَنَّبُ أَجْمَلُ  
لَعَلَّ الْعَيُونَ الرَّامِقَاتِ لَوْضَلِنَا تَكْذِبُ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَتَغْلُ  
أَنْسَ أُمَّتَاهُمْ فَبَشُوا حَدِيثَنَا فَلَمَّا كَتَمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا

(١) هو المرجى ، وسيأتي بعد هذا نسبه وبعض خبره (م)

فما حفظوا العهد الذي كان بيننا ولا حين هموا بالقطيعة أجمعوا  
فتسلت وقالت : هذا أجل عَوْضٍ ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذي خلف  
على حرمه وأمته مثل هذا .

من شعر  
العرجي

وقال عروة بن أذينة : أنشدت ابن أبي عتيق للعرجي :  
فما ليلةٌ عندي وإن قيل ليلةٌ ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر  
بعادلة الإثنين ، عندي وبالحرى يكونُ سواء مثلها ليلة القدر  
وما أنسَ من الأشياء لأنس قواها جارتها : قومي سلي عن الوتر  
فجاءت تقول الناس في ست عشرة ولا تمجلي عنه فإنك في أجر  
فقال ابن أبي عتيق : هذه أفقه من ابن أبي شهاب ؛ أشهدكم أنها حرة  
من مالى إن أجاز أهلها ذلك .

والعرجيُّ هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان ينزل بعرج  
وتسبب العرجي وبعض أخباره الطائف فنسب إليه ، وهو القائل :

هل في أدكارى الحبيب من حرج أم هل لهم الفؤاد من فرج  
أم كيف أنسى مسيرنا حرما يوم حللنا بالتخل من أمج<sup>(١)</sup>  
يوم يقول الرسول قد أذنت فات على غير رقبة فدلج<sup>(٢)</sup>  
أقبلت أهوى إلى رحالهم أهدى إليها بريحا الأريج  
وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم واليا على مكة - وهو  
خال هشام بن عبد الملك - بلغه أن العرجي هجاه ، فضربه ضربا براحا ، وأقامه  
على أعين الناس ، فجعل يقول :

سيغضب لي الخليفة بعد رقي ويسأل أهل مكة عن مساق  
على عباءة برقاء ليست من البلوى تجاوز نصف ساق  
وتغضب لي بأسرتها قصي ولادة الشعب والطرف العاق

(١) أمج : قرية كثيرة النخل والزرع يسكنها قوم من قضاة (م)

(٢) رقبة - بكسر الراء - رقب وحذر ، ولج - بوزن صف وعد - أمر من الولوج (م)

فخلف محمد بن هشام ألا يخرج به مادامت له ولاية : فأقام في السجن سبع سنين حتى مات ، وهو القائل في سجنه :

أضاعوني وأنى فتى أضاعوا	ليوم كريمة وسداد تغر
وخلّوني ومعترك المنايا	وقد شرعت أسبنتهم لنحري
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً	ولم تك نسبتي في آل عمرو
أجرّز في الجوامع كل يوم	ألا لله مظلمتي وهضري
عسى الملك الحبيب لمن دعاه	سينجيني فيعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودّى	وأجزى بالضغائن أهل ضرّى

### جملة من الفصول القصار لابن المعتز .

البشر دالّ على السخاء كما يدلّ النور على الثر . إذا اضطرت إلى الكذاب فلا تصدّقه ، ولا تعلّمه أنك تكذّبه ، فينتقل عن ودّه ، ولا ينتقل عن طبعه . كما أن الشمس لا يتحقّى ضوءها وإن كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا يخفى غريزة عقله وإن كان مغموراً بأخلاق الحداثة . كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ، ولذلك لا يجعل الإجابة في كل دعوة . كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة . لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب . الحوادث المصّة مكسبة لحظوظ جزيلة : من صواب مدخر ، وتطهير من ذنب ، وتذنيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومروء على مقارعة الدهر .

ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الياستين ، قاله بعقب علة فأغار عليه ابن المعتز .

وكتب إلى أحمد بن محمد جواباً عن كتاب استزاده فيه : قيّد نعمتي عندك

بما كنت استدعيتها به ، ودُبت عنها أسباب سوء الظن ، وأُستلِمَ ما تحبُّ مني  
بما أحبُّ منك .

وكتب إليه : والله لا أقابلَ إحسانَكَ مني كفرًا ، ولا تبِعَ إحساني إليك  
مَن ، ولك عندى يدٌ لا أقبِضُها عن نفعك ، وأُخرى لا أبسطُها إلى ظلمِكَ ،  
فتجنَّب ما يُسخطى ؛ فإنى أصون وجهك عن ذلِّ الاعتذار .

وكان أحمد بن سعيد يؤدِّبه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم ابن المعتز بقوم  
سألوا أن تَأذن له أن يدخلَ إلى ابن المعتز وقتًا من النهار ، فأجابت أو كادتُ  
تجيب ، قال ابنُ سعيد : فلما اتصل الخبرُ بى جلستُ فى منزلى غَضبانَ لما بلغنى  
عنها ، فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة .

أصبحت يا بن سعيد خِدَنَ مَكْرُمَةٍ	عنها يقصر من يحفى وَيَنْتَعِلُ
سَرَّ بِلَتْنِي حِكْمَةً قَدْ هَذَبَتْ شَيْعِي	وَأَجَّجَتْ نَارَ ذَهْنِي فَهِيَ تَشْتَعِلُ
أَكُونُ إِنْ شِدَّتْ قُصَا فِي خَطَابَتِهِ	أَوْ حَارَتْ وَأَهْوَى يَوْمَ الْخُفْلِ مُرْتَجِلُ
وَأَنْ أَشَأْ فِكْرَ زَيْدٍ فِي فَرَائِضِهِ	أَوْ مِثْلَ نَعْمَانَ لَمَّا ضَاقَتِ الْحِمْلُ
أَوِ الْخَلِيلَ عَرُوضِيًّا أَخَا فِطْنِ	أَوِ الْكِسَائِيَّ نَحْوِيًّا لَهُ عِلَلُ
تَقُولُ بَدَاهَةُ ذَهْنِي فِي مَرَاكِبِهَا	كَثِيلٍ مَا عَرَفَتْ آبَائِي الْأَوَّلُ
وَفِي صَارِمٍ مَسَلَهُ أَحَدٌ	مِنْ غِمْدِهِ فَدَرَى مَا الْعِيشُ وَالْجَذَلُ
عُقْبَاكَ شُكْرٌ طَوِيلٌ لَا نَقَادَ لَهُ	يَبْقَى بِجِدَّتِهِ مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

وقسّ الذى ذكر : هو قسّ بن ساعدة الإيادى ، وقد سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عليه وسلم شِعْرَهُ ، وعجب منه .

وحارث : هو الحارث بن حِلْزَةَ اليشكرى ، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته  
التي أنشدها بحضرة عمرو بن هند التي أولها :

أَذْنَتْنَا بِبَيْنِيهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وزيد : هو زيد بن ثابت الأنصارى ، وإليه انتهى علم الفرائض . ونعمان : هو

أبو حنيفة النعمان - رضى الله عنه - بن ثابت، سبق أهل العراق في الفقه. والخليل بن أحمد القرطوبى، ويقال: القرطوبى، منسوب إلى حى من الأزدي، اليمى. والكسائى: على بن حمزة الكوفى.

[ من ابن العميد إلى بعض إخوانه ]

وكتب أبو الفضل محمد بن العميد إلى بعض إخوانه :  
 أنا أشكو إليك - جعلني الله فداك - دهر أخو وناغدورا، وزمنا ناخذ وعاغورا،  
 لا يمنح ما يمنح إلا ريث ما ينزع، ولا يبقى فيما يهب إلا ريث ما يرتجع، يبدو  
 خيرُه لمعا ثم ينقطع، ويخلو ماؤه جوعا ثم يمتنع. وكانت منه شيمة مألوفة،  
 وسجية معروفة، أن يشفع ما يُبره بقرّب انتقاض، ويهدى لما يبسطه وشك انتقاض،  
 وكنا نلبسه على ما شرط، وإن خان وقسط؛ وترضى على الرغم بحكمه، ونستقيم  
 بقصده وظلمه، ونعتد من أسباب المسرة ألا ينجى، محذوره مصمتا بلا انفراج، ولا يأتى  
 مكروهه صرفا بلا مزاج، وتعلل بما نحتلسه من غفلاته، ونسترقه من ساعاته.  
 وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالحة  
 من الفساد حالا، وقرن بكل خلّة من المكروه خلا لا. وبيان ذلك - جعلني  
 الله فداك - أنه كان يقنع من معارضته الإلفين، بتفريق ذات البين، فقد  
 أنشئ ممنوا فيك بجميع ما أوغره، وما أطويه من البلوى منك أكثر مما أنشئه،  
 وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمته جرما لم يكن قدره بما يحيط  
 به، وقدرته ترقى إليه، ولو أنك أعنته وظاهرته، وقصدت صرفه وآزرته،  
 وبعثتني بيع الخلق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص، ثم أعرضت عنى إعراض  
 غير مراجع، واطرحتنى اطراح غير مجامل؛ فهلا وجدت نفسك أهلا للجميل  
 حين لم تجدنى هناك، وأنفدت من جل ما عقدت من غير جريمة، ونكثت  
 ما عهدت من غير جريمة، فأجبتني عن واحدة منهما؛ ما هذا التعالى بنفسك،

والتعالى على صديقك ؟ ولم تَبْذُتْنِي تَبْذَ النَّوَاةِ ، وطَرَحْتَنِي طَرَحَ الْقَذَاةِ ؟ ولم تَلْفِظْنِي مِنْ فِيكَ ، وَتَمْجِنِّي مِنْ حَلْقِكَ ؟ وَأَنَا الْحَلَالُ الْحُلُوْ ، والبارد العذب ، كيف لا تُخْطِرُنِي بِبَالِكَ خَطَرَةً ، وَتُصَيِّرُنِي مِنْ أَشْغَالِكَ مَرَّةً ؛ فترسل سلاما إن لم تتجشم مُكَاتَبَةً ، وتذكرني فِيمَنْ تَذْكُرُ إِنْ لم تكن مخاطبة ؟ وأحسب كتابي سِرْدُ عَلَيْكَ فَتُفَكِّرُهُ حَتَّى تَتَثَبَّتَ ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وَتَصَوِّرُ شَخْصَهُ حَتَّى تَتَذَكَّرَ ؛ فقد صرت عندك مِمَّنْ مَحَا النِّسْيَانُ صُورَتَهُ مِنْ صَدْرِكَ ، واسمه من صَحِيفَةِ حِفْظِكَ ، ولعلك أَيْضًا تَتَعْجَبُ مِنْ طَمَعِي فِيكَ وَقَدْ تَوَلَّيْتُ ، واسمائي لك وَقَدْ أُبَيِّتَ ، ولا عجب فقد يَتَفَجَّرُ الصَّخْرُ بِالماء الزلال ، وَيَلِينُ مَنْ هُوَ أَقْسَى مِنْكَ قَلْبًا فَيَعُودُ إِلَى الْوَصَالِ ، وَآخِرُ مَا أَقُولُهُ أَنَّ وَدَّيْ وَقْفُ عَلَيْكَ ، وَحَبْسُ فِي سَبِيلِكَ . ومتى عدت إليه وَجَدْتَهُ غَضًّا طَرِيًّا ، فَجَرَّبَهُ فِي الْمَعَاوِدَةِ فَإِنَّهُ فِي الْعُودِ أَحْمَدُ .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار .

حلّ قوله « فقد يتفجر الصخرُ بالماء الزلال » من قول ابن الرومي :

يا شبيهه البدر في الحسن وفي بُعْدِ الْمَمَالِ  
جُدْ فَقَدْ تَتَفَجَّرُ الصَّخْرَةُ بِالماء الزُّلالِ

وفي هذه الرسالة في ذكر فَتْحٍ وَإِنْ لم يستبق منه المعنى :

وقد خصنا الله تعالى معاشرَ عُبدِ الأَمِيرِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِنِعْمَةٍ يَعْلَمُ مَرَاتِبَ النِّعَمِ مَوَاقِعُهَا ، وَيَقُوتُ مَقْدَارَ الْمَوَاهِبِ مَوَاضِعُهَا ، بِإِسْمِهِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ - فَتُحَ الْفَتْحُ ، وَبِشِعَارِهِ اسْتَمْتَزَلِ النَّجْحُ ، وَبِإِيمُنٍ نَقِيَّتُهُ فُرْجُ الْكَرْبِ ، وَبِسَعَادَةٍ جَدَّهُ كُشِفَ الْخَطْبُ ، وَبَاهْتِزَازِهِ لِلدَّوْلَةِ وَحَمَايَتِهِ عَادَ إِلَيْهَا مَأْوَاهَا ، وَرَاجِعُهَا بِهَاوَاهَا ، فَعَزَّ الْمَلِكُ وَنُصِرَ ، وَذَلَّ الْعَدُوُّ وَقُهِرَ ، وَحُمِيتْ أَطْرَافُ الدَّوْلَةِ ، وَحُفِظَتْ أَوْ كُنَافُ الْمَلَّةِ ، وَاسْتَجَدَّ نِظَامُ النِّعْمَةِ ، وَسُدَّتْ سِتُورُ الصِّيَانَةِ دُونَ الْحَرَمَةِ ؛ وَلَوْ جَعَلَ الْمَوْلَى - تَقَدَّسَ اسْمُهُ - لِنِعْمَتِهِ إِذَا تَنَاهَتْ عَلَى عِبِيدِهِ جَزَاءٌ غَيْرَ الْإِخْلَاصِ فِي شُكْرِهِ ، وَقَبْلَ مَا فِي مَقَابِلَةِ الْمَوْهَبَةِ الَّتِي بِسُجْدِهَا عِنْدَ خَلْقِهِ غَيْرَ



الإغراق في حَمْدِهِ ، لرأيت ألا أقتصر في قضاء حقّه على بعض الملك دون بعض ،  
ولجعت في صَدْرٍ ما أبذل عن هذه النعمة الأعزّين : الأهل والولد ، والأنصّرين :  
الساعد والعُضد ، بل العميدين : القلب والكبد ؛ بل النفس كلها ، والمُهْجَة  
بأسرها .

[ من بديع ما قيل في العتاب ]

وقال سعيد بن حميد يعاتبُ بعض إخوانه : لسعيد بن حميد

أَفَلَنْ عتابك فالبقاء قليلُ      والدَّهْرُ يُعَدِّلُ تارةً ويميلُ  
لَمْ أَبْكُ مِنْ زَمَنٍ ذَمَمْتُ صُرُوفَهُ      إِلَّا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ  
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً      وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ  
وَالْمُنْتَمُونَ إِلَى الْإِخَاءِ جَمَاعَةٌ      إِنْ حُصِّلُوا أَنْفَاهُمُ التَّحْصِيلُ  
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ الْمَنِيَّةِ وَالرَّذَى      يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ  
فَلَنْ سَبَقْتُ لَتَبَكِينَ بِحَسْرَةٍ      وَلِيَكْثُرَنَّ عَلَى مِنْكَ عَوِيلُ  
وَلتَفْجَعَنَّ بِمُخْلَصٍ لَكَ وَامِقٍ      حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْصُولُ  
وَلَنْ سَبَقْتَ - وَلَا سَبَقْتَ - لِيَمِضَنَّ      مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ لَدَى خَلِيلِ  
وَلِيَذْهَبَنَّ بِهَا كُلُّ مَرُوءَةٍ      وَلِيَقْقَدَنَّ جَاهُهَا الْمَأْهُولُ  
وَأَرَاكَ تَكَلَّفَ بِالْعِتَابِ وَوَدُّنَا      ضَافٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ  
وَدُّ بَدَا لَذَوِي الْإِخَاءِ جَمَالُهُ      وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهِجَّةٌ وَقَبُولُ  
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَلِيلَةٌ      فَعَلَّامٌ يَكْثُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ  
وقال أيضاً :

لقد ساء في أن ليس لي عنك مذهب      ولا لك عن سوء الخليفة مرغبُ  
أفكر في ودِّ تقادم بيننا      وفي دونه قُرْبَى لِمَنْ يَتَقَرَّبُ  
وَأَنْتَ سَقِيمُ الْوَدِّ رَثٌّ حِيَالُهُ      وَخَيْرٌ مِنَ الْوَدِّ السَّقِيمِ التَّجَنُّبُ

(١) في نسخة « جمالها المأمول » (م) .

تُسِيءُ وَتَأْتِي أَنْ تَعْقِبَ بَعْدَهُ      بِحُسْنِي، وَتَلْقَانِي كَأَنِّي مُذْنِبٌ  
وَأَحْذَرُ إِنْ جَازَيْتَ بِالسُّوءِ وَالْقِلَى      مَقَالَةَ أَقْوَامٍ هُمْ مِنْكَ أَنْجَبُ  
أَسَاءَ اخْتِيَارًا أَوْ عَرَّتَهُ مَلَالَةً      فَعَادَ يُسِيءُ الظَّنَّ أَوْ يَتَعَتَّبُ  
فَخِبتُ مِنَ الْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا      كَمَا خَابَ رَاجِي الْبَرْقِ وَالْبَرْقُ خُلِبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن عبد  
الله بن طاهر

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ      وَلَيْمَ لَا تَمَنَّاهُ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَ ؟  
رَوَيْدُكَ ! إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ بَقِيَّةٌ      لِنَفَرٍ ذَاتِ الْبَيْنِ فَانْتَظِرِ الدَّهْرَ  
آخِرَ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ فَلَا تَكُنْ مُتَجَنِّبًا      أَنَّ الصَّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ  
حَسَبَ الْأَحِبَّةِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ      صَرَفُ الزَّمَانِ، فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ ؟  
آخِرَ :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسُعْمًا قَبْلَ بَيْنِهَا      ففترق جاران دارهما العمرُ  
وَيَقْرُبُ مِنَ الْمَعْنَى قَوْلُ الْمُتَنَبِّيِّ أَيْضًا :

للمتنبي

زَوَّدِنَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا      مَ حُسْنُ الْوُجُودِ حَالٌ يُحَوَّلُ  
وَصَلَيْنَا نَصْلَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا      فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلُ

[ من كلام الأعراب ]

وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ يُسَالُ، فَعَبِثَ بِهِ فَتَى، فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ بَنِي عَامِرِ  
ابْنِ صَعْصَعَةَ، فَقَالَ : مِنْ أَيِّهِمْ ؟ فَقَالَ : إِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ عَاطِفَةَ الْقِرَابَةِ فَلْيَكْفِكَ  
هَذَا الْمَقْدَارُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، قَلِيلٌ مَقَامِي بِمَقَامِ مُجَادِلَةِ وَلَا مَفَاخِرَةٍ، وَأَنَا أَقُولُ :  
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ هَامَاتِهِمْ فَلَسْتُ مِنْ أَعْجَازِهِمْ. فَقَالَ الْفَتَى : مَا رَوَيْتَ عَنْ فَضِيلَتِكَ إِلَّا النَقْصَ  
فِي حَسْبِكَ. فَامْتَعَضَ الْأَعْرَابِيُّ لَذَلِكَ؛ فَجَعَلَ الْفَتَى يَعْتَذِرُ، وَيُخَاطِبُ الْهَزْلَ وَالِدَاعِبَةَ بِاعْتِذَارِهِ،

وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ، إنك منذ اليوم آذيتني بمزحك ، وقطعتني عن مسألتني بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك ما كان السكوت يستتره من أمرك ، ويحك ! إنَّ الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوفار تبسّط ؛ أعودُ منك ومن حال اضطررتني إلى احتمال مثلك !

وقال إسحاق الموصلي : قال أعرابي لرجل كان يعتمده بالعطية : أسأل الذي رحمني بك أن يرحمك بي .  
وسأل أعرابي رجلا ، فأعطاه ، فقال : الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق وسألك إلى الأجر :

### [ المقامة البلخية ]

ومن انشاء البديع من مقامات الإسكندري :

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضت بي إلى بلخ تجارة البزّ ، فوردتها وأنا بفروّة الشباب<sup>(١)</sup> وبأل الفراغ ، وحلية الثروة ، لا يهمني إلا نزهة فكر أستفيدها<sup>(٢)</sup> وشريدة من الكلام أصيدها ؛ فما استأذن على سمعي مسافة مقامي ، أفصح من كلامي . ولمّا حنى التفريق بنا قوسه أو كاد ، دخل إلى شاب في زى ملء العين ، وحلية تشوك الأخدعين<sup>(٣)</sup> ، وطرف قد شرب بماء الرافدين<sup>(٤)</sup> ، ولقيني من البر في السناء ، بما زدتّه من الشكر والثناء ؛ ثم قال : أظعنّا تريد ؟ قلت :

- (١) الفروة : الشعر ، وفي إحدى روايات المقامات « وأنا بعذرة الشباب »  
والعذرة : الناصية ، وهي الخصلة من الشعر في مقدم الرأس  
(٢) في إحدى روايات المقامات « مهرة فكرة أستفيدها »  
(٣) الأخدعان : عرقان في صفحة العنق  
(٤) الرافدان : دجلة والفرات . والكلام هنا كناية عن وفرة الشباب

إي والله ، فقال : أَخَصَبَ اللهُ رَائِدَكَ ، وَلَا أَضِلَّ قَائِدَكَ ، فمتى عزمت ؟ فقلت :  
غداة غد ، فقال :

صَبَّاحُ اللهِ لَا صُبْحُ انْطِلَاقٍ وَطَيْرُ الْوَصْلِ لَا طَيْرُ الْفِرَاقِ  
قال : أين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بُلِّغْتَ الْوَطَنَ ، وَقَضَيْتَ الْوَطَرَ ،  
فمتى العود ؟ قلت : القابل ، قال : طَوَّيْتَ الرِّيطَ<sup>(١)</sup> ، وَثَنَيْتَ الْخِيَطَ ، فَأَيْنَ أَنْتَ  
من الكرم ؟ قلت : بحيث أردت ، قال : إِذَا رَجَعْتَ اللهُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ ،  
فَاسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ ، مِنْ نَجَارِ الشُّفْرِ ، يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ ،  
وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ ، كَدَارَةَ الْعَيْنِ ، يَحْطُ نُفْلَ الدِّينِ ، وَينَافِقُ بَوَجهين !  
فعلمت أنه يلتبس دينارا ، قلت : لك ذلك نقدا ، ومثله وعدا ، فأنشأ يقول :

رَأَيْكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لَا زِلْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلًا  
صَلِمْتَ عَوْدًا وَفَقْتَ جُودًا وَطَبْتَ فِرْعَا وَطَبْتَ أَصْلًا  
لَا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمْلًا وَلَا أَطِيقُ السُّؤَالَ تَمَلًّا  
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا وَطَلْتُ عَمَّا ظَنَنْتَ فَعَلًّا  
يَا رَحْمَةً اللهُ وَالْمَعَالَى لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ مُتَكَلًّا<sup>(٢)</sup>

قال عيسى بن هشام : فُنِّلْتُهُ الدِّينَارَ ، وَقُلْتُ : مِنْ أَيْنَ نَبْتَ هَذَا الْفَضْلُ ؟  
قال : نَمَتْنِي قَرِيشَ ، وَمُهَدَّلِي الشَّرْفُ فِي بَطْحَاهَا . فقال بعض من حضر :  
أَلَسْتُ أَبَا الْفَتْحِ السَّكَنْدَرِي ؟ أَلَمْ أُرْكَ بِالْعِرَاقِ ، تَطُوفُ بِالْأَسْوَاقِ ، مُكَدِّيًا  
بِالْأَوْرَاقِ<sup>(٣)</sup> ؟ فأنشأ يقول :

(١) الريط : جمع ريطه ، وهى الملاة - وهذه العبارة كناية ، يدعوه له  
بأن يطوى أيام البعد عن أهله (م)

(٢) فى إحدى روايات المقامات « يارحمة الدهر والمعالي » والرجمة - بضم  
الراء وسكون الجيم - ما يبني تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه إذا ثقل حملها أو  
ضعف احتمالها (م)

(٣) كدى الرجل تكديية : أى سأل

إِنَّ اللَّهَ عَيْدَا أَخَذُوا الْعُمَرَ خَلِيطَا  
فَهُمْ يُمَسُّونَ أَعْرَا بَا وَيُضْجُونَ نَيْبَا<sup>(١)</sup>  
[ من البديع إلى الميكالى ]

وله إلى أبي نصر الميكالى يشكو إليه خليفته بهرارة :  
كنتابى أطل الله بقاء الشيخ الجليل ، والماء إذا طال مُكْنُهُ ، ظَهَرَ حُبْنُهُ ، وإذا  
سكن مَتْنُهُ ، تحرَّكَ تَنْنُهُ ، كذلك الضيفُ يَسْمُجُ لقاؤه ، إذا طال ثَوَاؤُهُ ، ويشغل  
ظِلَّهُ ، إذا انتهى حَمَلُهُ ، وقد حَلَبْتُ أَشْطَرِ خَمْسَةِ أَشْهُرِ بهرارة وإن لم تكن دار  
مِثْلَى لولا مُقامُهُ ، وما كانت تسعنى لولا ذِمَامُهُ ، ولِى فى بَيْتِي قَيْسٍ مِثْلُ صَدَق ،  
وإن صَدَرَ مَصْدَرُ عِشْق :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يُحِلِّ الْعُصَمَى سَهْلَ الْأَبَاطِحِ  
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَارِحِ

نعم . قنصتني نِعَمُ الشيخ الجليل ، فلما عَلِقَ الجناح ، وَقَلِقَ الْبَرَّاح ، طرت  
مِطَارَ الرِّيح ، بل مِطَارَ الرُّوح . وتركتني بين قوم ينقض مَسْهُمْ الطَّهَارَةَ ،  
وتوهن أكَفْهُمْ الحِجَارَةَ . وحَدَّثت عن هذا الخليفة ، بل الجيفة ، أنه قال :  
قَضَيْتُ لِفَلَانٍ خَمْسِينَ حَاجَةً منذ ورد هذا البلد ، وليس يَقْنَعُ ، فما أَمْنَعُ ؟ فقلت :  
يا أَحَقُّ ، إن استطعت أن ترانى محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً إِلَيْكَ . أَفَ  
لِقَوْلِكَ وَلِفَعْلِكَ ، ولدهر أخْوَجَ إلى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيِّضَ  
وَجْهِي بِكِتَابِ يَسُودُ وَجْهَهُ ، ويعرفه قَدْرُهُ ، ويَملَأُ رِجْباً صدره ، إلى أن تَبِين  
على صَفْحَاتِ جَنَنِهِ ، آثَارُ ذَنْبِهِ .

وله إليه يعاتبه :

قد عرف الشيخ الجليل اتِّسَامِي بعبودِيَّتِهِ ، ولو عرفتُ وراءَ العبودِيَّةِ مَكَاناً  
لبلغته معه ، وأراني كلما قَدِمْتُ صُحْبَةً ، رجعت رُتْبَةً ، وكلما طالت خِدْمَةُ : قَصُرَتْ

(١) النَيْبُ : جماعة من العجم يسكنون سوادا لعراق (م).

حِشْمَةٌ ، ولست ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عَبْدًا حبشيًّا ، ويَضَعُ قُرْشِيًّا ،  
ولكن أحب أن أقف من مكاني على رُتْبَةٍ كوكبها لا يغور ، ومنزلةٍ لو لَبِها  
لا يَدُور ؛ فإذا عرفت ، قَدَرِي وخطه ، لم أنخطه ، ثم إن رأيت محسلي وحدّه ، لم  
أتعدّه ، إن قدّمني يوماً عليها علمت أن عنايةً قدمتني ، وإن أخرني عنها علمت  
أن جنايةً أخرتني . رفع على اليوم فلانٌ ولست أنكر سِنَّه وفضله ، ولا أجحد  
بيته وأصله ، ولكن لم تجرِ العبادة بتقدمه ، لافي الأيام الخالية ، ولا في هذه الأيام  
العالية ؛ وشديدي على الإنسان ما لم يعود ؛ فإن كان حاسدٌ قد همّ ، أو كاشح قد نهمّ ،  
أو خطبٌ قد ألمّ ، أو أمرٌ قد وقع وتمّ ، فالشيخُ الجليلُ أولى من يعرفه ويعرفنيّه ،  
وإلا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب الذي اقتضى تبنيي  
بعد ابتياعي ؟

### [ بين المأمون وإبراهيم بن المهدي ]

ولما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين  
يديه قال : ولّي النار محكم في القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مدّله من أسباب  
الرجاء أمّن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذى ذنب ،  
كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن أخذتَ فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك .  
ثم قال :

ذَنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ      وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ  
فَخُذْ بِحَقِّكَ ، أَوْ لَا      فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ  
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالِي      مِنْ الْكَرَامِ فَكُنْهُ

فقال لي : إني شاورتُ أبا إسحاق والعباس في قتلك ، فأشارا به ، قال : فما  
قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتَ لهما : بدأناه بإحسان ، ونحن نَسْتَأْمِرُهُ فِيهِ ، فإن  
غَيَّرَ فَاللهُ يَغْيِرُ مَا بِهِ ، قال : أما أن يكونا قد نصحا في عظيم ما جرّت عليه السياسة

فقد فعلا وبلغا ما يبلغك، وهو الرأيُ السديد ، ولكنك أبيت ألا تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . ثم استعبر با كياً ، فقال له المأمون : ما يبكيك؟ قال : جذلاً ! إذ كان ذهبي إلى من هذه صفته في الإنعام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جرئى استحلال دمي ، فعلم أمير المؤمنين وفضله بلغاني عفوه ، ولى بعدها شفاعة الإقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب . فقال : يا إبراهيم ، لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه ، أما لو علم الناسُ مالنا في العفو من اللذة لتقرَّبوا إلينا بالجنايات ، لا تَتَرِيبَ عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك لبلغك ما أملت حسنُ تنصلك ولطف توصلك ثم أمر بردَ ضياعه وأمواله ، فقال :

رددت مالى ولم تبخلْ على به      وقبل ردك مالى قد حَقَّتْ دمي  
وقام علمك بي فاحتجَّ عندك لى      مقام شاهدِ عدلٍ غيرِ متهمٍ  
فلوبذلتُ دمي أبقى رضاك به      والمالَ حتى أسلَّ النعلَ من قدِّمي  
ما كان ذاك سوى عارية سَلَقْتُ      لولم تهبها لكنت اليوم لم تُتَلَمْ  
أخذ معنى قول المأمون : « لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه »  
أبو تمام الطائي فقال :

لو يعلم العافون كم لك في الندى      من لذة وقريحة لم تخمِدِ  
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبيد الله :  
إذا ما مدحناه استعنا بفعله      فنأخذ معنى قولنا من فعاله  
وكان تصويبُ إبراهيم لرأى أبي إسحاق المعتصم والعباس بن المأمون أطفَ في طلب الرضا ودفع المسكروه واستمالتهما إلى العاطفة عليه من الإزراء عليهما في رأيهما ، وكان إبراهيم يقول : والله ما عفا عنى لرحم ولا لحنة ؛ ولكن قامت له سوق في العفو كره أن يفسدها [ بي ] .

وكان المأمون شاور في قتل إبراهيم أحمد بن أبي خالد الأحول ، فقال :

إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نَظِيرٌ ؛ وَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَلَا نَظِيرَ لَكَ ؛ فَأَخْتَارَ لَكَ الْعَفْوَ .

[ بَيْنَ الْمَأْمُونِ وَإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ ]

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ : لَا تَحْسَبْنِي أَغْفَلْتُ أَمْرَ ابْنِ الْمُهْدِيِّ وَتَأْيِيدَكَ لَهُ ، وَ إِيْقَادَكَ لِنَارِهِ .

قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا جِرَامُ قَرِيشَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي إِلَيْكَ ؛ وَلَرَجَحِي أَمْسٌ بِكَ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ؛ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ ؛ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَخَوْتِهِ : « لَا تَتَثَرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » . وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي الطَّوْلِ ، وَمُمَثِّلٌ لِحُلَالِ الْعَفْوِ وَالْفَضْلِ .

قَالَ : هِيَاهُ ! تِلْكَ أَجْرَامُ جَاهِلِيَّةٍ عَفَا عَنْهَا الْإِسْلَامُ ، وَجُرْمُكَ جُرْمٌ فِي إِسْلَامِكَ ، وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَوَاللَّهِ لِلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ الْعَشِيرَةِ وَغُفْرَانِ الذَّنْبِ مِنَ الْكَافِرِ . وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِذْ يَقُولُ : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . وَالنَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسَبَةٌ دَخَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ ، وَالشَّرِيفُ وَالْمَشْرُوفُ .

قَالَ : صَدَقْتَ ، وَرَيْتَ بِكَ زَنَادِي ، وَلَا بَرَحْتَ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .

[ رَجُلٌ يَسْتَغْطِفُ بَعْضَ الْمُلُوكِ ]

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ وَقَدْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ : أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ غَدًا أَذِلُّ مَنِي نَيْنَ يَدَيْكَ الْيَوْمَ ، وَهُوَ عَلَى عِقَابِكَ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى عِقَابِي ، إِلَّا مَا نَظَرْتَ فِي أَمْرِي نَظَرَ مَنْ بُرِّئِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ سُقْمِي ، وَبِرَاءَتِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَلِيَّتِي .

[ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَرُوحِ بْنِ زُبَيْعٍ ]

وَأَرَادَ مَعَاوِيَةُ عَقُوبَةَ رُوحِ بْنِ زُبَيْعٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَنْشِدْكَ اللَّهُ تَعَالَى



أَلَا تَضَعُ مَنِي خَسِيسَةً أَنْتَ رَفَعْتَهَا ، أَوْ تَنْقُضُ مَنِي مَرِيرَةٍ <sup>(١)</sup> أَنْتَ أَمَرْتَهَا ، أَوْ تَسْمُتُ  
بِي عَدُوًّا أَنْتَ كَبَيْتَهُ ، وَحَاسِدًا بِكَ وَقَمْتُهُ <sup>(٢)</sup> ؛ وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِلَّا أُرْبِي <sup>(٣)</sup> حِلْمُكَ  
عَلَى خَطِيئِي وَصَفْحِكَ عَلَى جَهْلِي .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا اللَّهُ ثَنَّى عَقْدَ شَيْءٍ تَبَسَّرَا .

أَشَارَ إِلَى هَذَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِ إِذْ قَالَ :

أَزَلَّ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكَبَيْتِهِمْ      فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حَسَدًا  
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي      ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدًا  
[ عَفْوُ الْمُلُوكِ ]

وَعَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَعْضِ خَاصَّتِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ قَدِيمَ الْحَرَمَةِ الْمَأْمُونُ وَبَعْضُ  
وَحَدِيثِ التَّوْبَةِ يَمْخُوَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَعَفَا عَنْهُ .  
خاصته

وَكَانَ فِي مَلُوكِ فَارِسٍ مَلِكٌ عَظِيمٌ الْمَلَاسِكَةِ ، شَدِيدُ النَّقْمَةِ ، فَقَرَّبَ لَهُ صَاحِبُ  
المطبخ طعامه ، فَنَقَطَتْ نَقْطَةً مِنَ الطَّعَامِ عَلَى الْمَائِدَةِ ، فَرَوَى لَهُ الْمَلِكُ وَجْهَهُ ، وَعَلِمَ  
صَاحِبُ الْمَطْبَخِ أَنَّهُ قَاتَلَهُ ، فَعَمِدَ إِلَى الصَّخْفَةِ فَكَفَّأَهَا عَلَى الْمَائِدَةِ ثُمَّ وَلَّى ، فَقَالَ لَهُ  
الْمَلِكُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَقُوطَ النَّقْطَةِ أَخْطَأْتُ بِهَا يَدَكَ  
وَلَمْ يَجْرِبْهَا تَعَمُّدُكَ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي الثَّانِيَةِ ؟ قَالَ : اسْتَحْيَيْتُ لِمَلِكٍ أَنْ يُوجِبَ قَتْلِي ،  
وَيُبَيِّحَ دَمَ مِثْلِي ، فِي سَنَى وَحُرْمَتِي ، وَقَدِيمِ اخْتِصَاصِي وَخِدْمَتِي ، فِي نَقْطَةِ أَخْطَأْتُ  
بِهَا يَدِي ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْظُمَ ذَنْبِي لِيَخْسَنَ بِالْمَلِكِ قَتْلِي .  
بعض ملوك فارس

قَالَ : لَئِنْ كَانَ اعْتِزَارُكَ يُنْجِيكَ مِنَ الْقَتْلِ ، فَلَيْسَ يُنْجِيكَ مِنَ التَّأْدِيبِ ؛  
اجْلِدُوهُ مِائَةً جَلْدَةً ، وَاخْلَعُوا عَلَيْهِ خَلْعَ الرِّضَا .

وَخَرَجَ بِهِرَامُ جَوْرٌ مُتَصِيدًا فَقَنَّ لَهُ حِمَارٌ وَخُسْيٌ ، فَاتَّبَعَهُ حَتَّى صَرَعَهُ ، وَقَدْ  
انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَزَلَّ عَنْ فَرْسِهِ يَرِيدُ ذُبْحَهُ ، وَبَصُرَ بِرَايَ فَقَالَ : أَمْسِكْ  
عَلَى فَرْسِي ، وَتَشَاغَلْ بِذِمْحِ الْحِمَارِ ، وَحَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ ، فَنَظَرَ إِلَى الرَّاعِي يَقْطَعُ  
جَوْهَرَ عِذَارِ فَرْسِهِ ، فَحَوَّلَ بِهِرَامُ جَوْرٌ وَجْهَهُ وَقَالَ : تَأَمَّلْ الْعَيْبَ عَيْبٌ ، وَعَقُوبَةُ

(١) أَصْلُ الْمَرِيرَةِ الْحَبْلُ لِلْحَكْمِ الْقَتْلِ (م)

(٢) وَقَمْتُهُ : قَهَرْتَهُ وَأَذَلَّاهُ (م)

(٣) أُرْبِي : زَادَ (م)

من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سقّه ، والعفو من أفعال الملوك ، وسُرْعَة العقوبة من أفعال العامة .

ثم قال : يا غلام ، ما بال شرياً نك يضطربُ لعلك آذاك تكسيرُنا أَرْضك بحوافر خَيْلنا ، فقال : نعم ، وقد عزمْتُ على أن أقتل مائة فرسخ ، فقال بهرام : لا تُرْع ؛ فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعي خيئاً ، فقال : إن الملوك إذ قالت قولاً كتمتْ على قولها ، فرجع بهرام إلى عسكره وقال : انبعني لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبعه ، فلما بَصُر به الوزير قال : أيها الملك السعيد ، إني لأرى جوهر عذار فرسك مُقلّماً ، فتبسم وقال : أخذه من لا يردّه ، ورآه من لا ينم به ، فمن أخذه صاحبنا ولا نطلبه به .

\*\*\*

نقل ابن الرومي قول بهرام : « تأمل العيب عَيْبٌ » كما اتفق موزوناً فقال :

تأملُ العَيْبِ عَيْبٌ	مَا فِي الذِي قُلْتُ رَيْبٌ
وكلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ	دُونِ الْعَوَاقِبِ غَيْبٌ
ورب جِلْبَابٍ هَمٍّ	فِيهِ مِنَ الصَّنْعِ جَيْبٌ
لَا تَحْقِرْ سَيْباً	كَمْ قَادٍ خَيْرٌ سَيْبٌ <sup>(١)</sup>

أخذ البيت الأخير من قول الطائي :

رُبَّ قَلِيلٍ غَدًا كَثِيراً  
كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مَطِيرٌ

وقوله :

لَا تَزِيلُنْ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرِي  
كَمْ بَذَى الْأَثَلِ دُوْحَةً مِنْ قَضِيبٍ  
وقد أعاد ابن الرومي قوله :

وكلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ  
دُونِ الْعَوَاقِبِ غَيْبٌ

(١) سيب : تصغير سيب ، والسيب - بالفتح - العطاء .

في قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوبة حين ساوره ، وقال : لو أتى ليبد  
لتعجب منه ، فاستجزله وقال :

وَلَمَّا دَعَانِي لِلْمُثُوبَةِ مَسِيدٌ      يَرَى الْمَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَذْلِ الْمَنَاقِبِ  
تَنَازَعَنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا      قَوِيٌّ ، وَأَعْيَانِي طُلُوعُ الْمَعَايِبِ  
فَقَدَمْتُ رِجْلًا رَغْبَةً فِي رَغِيْبَةٍ      وَأَخَّرْتُ رِجْلًا رَهْبَةً لِلْمَعَاظِبِ  
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَفَارَها      وَأَسْتَارُ غَيْبَ اللَّهِ دُونَ الْعَوَاقِبِ  
أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي      وَمِنْ أَيْنَ وَالْغَايَاتُ بَعْدَ الْمَذَاهِبِ

[من اعتذارات البديع]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي علي إسماعيل يعتذر إليه :  
سوء الأدب من سكر التدب، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ،  
وتسعمها المذرة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدي عضاً ،  
وأسناني رصاً ، وإن لم أوف ماجري فالعذر أمد خطا ، فإن كان بساطاً يطوى ،  
وحديثاً لا يروى ، فأولى من عذر البلاعب ، وأخرى من غفر الصاحب ؛ وإن  
كان ميتاً يُنشر ، وسبياً يُذكر ، فليكن العقاب ما كان ، إن لم يكن الهجران ،  
على أني قد أخذت قسطي من العقاب ، واستفدت من رد الجواب ، ما كفي وأوقع  
القفا ؛ فكان من موجب أدب الخدمة ، إبقاء الحشمة لولي النعمة ، باحتمال الشتم ،  
والإغضاء عن الخصم ، لكنني أخذت بي ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب  
وسكره ، والخصم وهجره ، والإدلال والثقة ، وهن اللواتي حملنني على ماء الوجه  
فهرقته ، وحجاب الحشمة فخرقته ، وقد منعتني الآن قرط الحياء من وشك  
اللقاء ، وعهدى بوجهي وهو أصفق من العدم الذي حملني على جهله ، وأوقع  
من الدهر الذي أحوجني إلى أهله ؛ لكن النعم إذا توالى على وجه رقت  
قشرته ، وألأنت بشرته ؛ وأنا منتظر من الجواب ما يرش جناحي إلى خدمته ،  
فإن رأى أن يكتب فعل ، إن شاء الله .

وله رقعة إلى أبي علي بن مشكويه أولها :

ويا عزّ إن واثٍ وشي بيَ عندكم فلا تُتمهليه أن تقول لي : مهلاً  
كما لو وشي واثٍ بعزة عندنا لقلنا : ترّحّز لا قريياً ولا أهلاً

بلغني أطال الله بقاء الشيخ أن قيضة كلب<sup>(١)</sup> وافته بأحاديث لم يُعبرها  
الحق نورّه ، ولا الصدق ظهوره ، وأنه — أدام الله عزّه — أذن لها على كمال  
أذنه ، وفسح لها فناء ظنّه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ؛ بل قد كان بيني  
وبين الشيخ عتاب لا ينزل كنفه ولا يحذف ، وحديث لا يتعدّى النفس وضميرها ،  
ولا يعرف الشفة وسميرها ، وعربدة كعربدة أهل الفضل ، لا تتجاوز الدلال  
والإدلال ، ووحشة لا يكشفها عتاب خطّة ، كعتاب جحظة ، فسيحان من ربّي  
هذا الأمر حتى صار أمراً ، وتأبط شرّاً ، وأوجب عذراً ، وأوحش حُرّاً .  
وسبحان من جعلني في حيز العدو أشيم بآرقته ، وأتخوف صاعقته ، وأنا المساء  
إليه ، والمجنّي عليه ، ولكن من بُلى من الأعداء بمثل ما بُليت ، ورُمي من الحسد  
بما رُميت ، ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاره  
ما وصفت ، اعتذر مظلوماً ، وضحك مشتوماً ، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد ،  
وأبناء العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له همٌّ إلا في سعاية أو شكاية أو حكاية أو  
نكاية ، لضنّ بعشرة غريب إذا بدر ، وبعيد إذا حضر ، ولصان مجلسه عن  
لا يَصُونُهُ عما رقى إليه ، وهبني قدقلت ماحكي ، أليس الشّايم من أسمع ، والجاني  
من أبلغ ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً  
لا تُستفزّ ، وجبلا لا يهزّ ، وشوا إلى خدمه بما أرتثوا نارهم<sup>(٢)</sup> ، وورد على ما قالوه فما  
لبثت أن قلت :

فإن تك حرب بين قومي وقومها فإنني لها في كل نائبة سلم

(١) القيضة ، بالكسر : قطعة صغيرة من العظم ، والكلام على التشبيه (م)

(٢) أرتثوا نارهم : أجبوها وأشعلوها (م)

وليعلم الأستاذ أن في كبد الأعداء منى جخرة ، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة ،  
 وقصارهم نارٌ يشبونها ، وعقرب يدبونها ، ومكيدة يطلبونها ، ولولا أن العذر  
 إقرار بما قيل ، وأكره أن أستقبل ، لبسطت في الاعتذار شاذراً وانا ، ودخلت في  
 الاستقالة ميداناً ، لكنه أمرٌ لم أضع أوله ، فلم أتدارك آخره .

وقد أبى الشيخ أبو محمد — أيده الله — إلا أن يوصل هذا النثر الفاتر  
 بنظم مثله فيها كه يلعن بعضه بعضا :

مولاي إن عدت ولم ترض لي	أن أشرب البارد لم أشرب
أمتط خدي وانتعل ناظري	وصد بكفى حمة العقرب
تالله ما أنطق عن كاذب	فيك ، ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكذب المفتري	كالصحو عقب المطر الصيب <sup>(١)</sup>
إن أجتن الغلظة من سيدي	فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفسد الزور على ناقد	فالخر قد يعصب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد — أيده الله — يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم  
 واللسان ؛ فنعم رائد الفضل هو ، والسلام .

### فقر من كلام سهل بن هرون للمأمون

كان المأمون استقبل سهل بن هرون ، فدخل عليه يوماً ، والناس على  
 مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ؛ فلما فرغ من كلامه  
 أقبل سهل بن هرون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشهدون  
 ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتعجبون ولا تنصفون ؟ والله إنه ليقول  
 ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم ،  
 وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء ؟ فرجع  
 المأمون فيه إلى الرأي الأول .

(١) في الرسائل ( ١٦٠ بيروت ) « فالصفو بعد الكدر المفتري »

[ من ترجمة سهل بن هرون ، وأخباره ]

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان<sup>(١)</sup> نزل البصرة فَنُسِبَ إليها ،  
وهو القائل :

يأهل ميسان السلام عليكم      الطيبون الفرعُ والجذمُ  
أما الوجوهُ ففضَّةٌ مُزِجَتْ      ذهباً وأيدٍ سَحَّةٌ هُضِمُ<sup>(٢)</sup>  
أترِيدُ كَلْبٌ أن أناسها      قد قلَّ من كَلْبٍ بى العِلْمُ  
أجعلت بيتاً فوق رابية      فرعُ النجوم كَبَانُهُ نَجْمُ  
كَبَيْتٍ شَعْرٌ وسطِ مَجْهَلَةٍ      بفنائه الجَمَلَانُ والبَهْمُ

وكان سهل شعوبياً ، والشعوبية : فرقةٌ تتعصب على العرب وتنقصها ، وكان  
أبو عبيدة يُرْمَى بذلك .

وسهل ظريفٌ عالمٌ حسنُ البيان ، وله كتبٌ ظريفةٌ صنفها معارضاً للأوائل  
في كتبهم بما لا يستصوبه منهم ، حتى قيل له « نزع جمهور الإسلام » وقال يمدح رجلاً :  
عدوٌّ تلادٍ المالِ فيما يَنُوبُهُ      مَنُوعٌ إذا ما مَنَعَهُ كان أَحْزَمَا  
مذللٌ نفسٌ قد أَبَتْ غير أن تَرَى      مَكَارَةً ما تَأْتِي من العيش مَغْنَمَا

وهذا نظير قوله في كتاب « نَعْلَةٌ وَغُفْرَةٌ » الذى عارض به كلية ودمنة : اجعلوا  
أداء ما يَجِبُ عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذى تجودون به من تفضلكم ؛ فإن  
تقديمَ النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظهر على وهنِ العقيدة ، وتقصير  
الروية ، ومُضَرٌّ بالتدبير ، مخلٌّ بالاختيار ، وليس فى نفع محمدته عَوْضٌ من  
فساد المروءة ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكماً وعلماً . وسهل القائل :

تَقَسَّمْنِي هَمَّانٌ قد كَسَفَا بَالِي      وقد تركا قلبى حَسَلَةً بَابَالِ  
هما أذرياً دَمْعِي ، ولم تذر عَبرَتِي      رهينة خِذَرِ ذاتِ سِنَطٍ وَخَلْخَالِ  
ولا قهوة لم يَبْقَ منها على المدى      سوى أن تحاكى النور فى رأس ذِيَالِ  
تحلل منها جرماً وتماسكت      لها نفسٌ معدوم على الزمن الخَالِ

(١) ميسان - بفتح فسكون - بين واسط والبصرة (م)

(٢) هضم : جمع هضوم ، واليد الهضوم : التى تجود بما لديها (م)

ولكنما أبكى بعينٍ سخينة      على حدث تبكى له عين أمثالي  
فراق خليل لا يقوم به الأسى      وخلة حرّ لا يقوم لها مالى  
فوا حسرتى حتى متى القلب موجد      لقد خليل أو تعذر إفضال  
وما الفضل إلا أن تجود بنائل      وإلا لقاء الخلّ ذى الخلق العالى  
وهو القائل :

إذا مروّضاك عنى لم يَضِقْ خُلُقِي      من أن يرانى غنياً عنه باليأس  
لا أطلبُ المال كي أغنى بفضله      ما كان مطلبه فقراً إلى الناس  
وأشدّ له الجاحظُ يهجو رجلاً :

من كان يعمّر ما شادت أوائله      فأنت تعمّر ما شادوا وما سمكوا  
ما كان فى الحق أن تحوى فعالهم      وأنت تحوى من الميراث ما تركوا  
وقال محمد بن زياد الزبدي : وجدت<sup>(١)</sup> على سهل بن هرون فى بعض الأمر،  
فهجوته ، فكتب إلى : أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى ضنّ بك ، فى غير  
مقليّة لك<sup>(٢)</sup> ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلوى فى أمرك ، وإقرار بالمعجزة  
فى استعطافك ، إلى أوان فيثك<sup>(٣)</sup> ، أو يجعل الله لنا دولة من رجعتك ، والسلام .  
وكتب فى أسفل الكتاب :

إن تغف عن عهدك المسىء فى      عفوك مأوى للفضل والمِنَّينِ  
أتيتُ ما أستحقّ من خطإ      فجذّب ما تستحق من حسن

[ من عِظَاتِ الحِسنِ البِصرى ]

وقال الحسن البصرى رحمه الله فى يوم [ فطر ] وقد رأى الناس وهياتهم :  
إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته إلى  
مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب

(١) وجدت عليه : حقدت أو غضبت (م) (٢) القلية : الكراهية (م)

(٣) فيثك : رجوعك (م)

في يوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطون ، أما والله لو كشف  
الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومُسيء بإساءته .

ونظر إلى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتدافعون ويتضاחקون ، فقال :  
الله المستعان ! إن كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تُقبل فما هذا محلُّ  
الشاكرين ، وإن علموا أنه لم يتقبل فما هذا محلُّ الخائبيين .

وكان الحسن من الخطباء النساك الفقهاء الأجواد ، ويقال : إنه لم يكن تابعي  
أفضل منه .

هذا قول أهل العراق جميعاً ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب  
عليه ، وكان سعيداً أحسن من الحسن ورعاً ، وأشدد الناس حذراً ، وأقلهم  
كلاماً .. وكان الحسن لا يدع أن يتكلم بما هجس في نفسه ، وجأش في صدره .  
وعلى ذكر الحسن شهر رمضان نقول :

ألفاظ لأهل العاصم ، في التهنئة بإقبال شهر رمضان .

مع ما يتصل بها من الأدعية

ساق الله تعالى إليك سعادة إلهاله ، وعرفك بركة كماله . قسم الله لك من  
فضله ، ووفقك لفرضه ونفله . لقاءك الله مارجوه ، ورواك إلى ما تحبه فيما  
تتلوه . جعل الله ما أظلك من هذا الصوم مقروناً بأفضل القبول ، مؤذناً  
بذكر البغية ونجح المأمول ، ولا أخلاك من برّ مرفوع ، ودعاء مسموع . قابل  
الله تعالى بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك . عرفك الله من  
بركاته ما يُرى على عدد الصائمين والقائمين ، ووفقك الله تعالى لتحصيل أجر  
التهجدين . أسأل الله تعالى أن يضاعفه بمنه لك ، ويجعله وسيلة بقبوله إلى مَرْضاته  
عنك . أعاد الله إلى مولاي أمثاله ، وتقبل فيه أعماله ، وأصلح في الدين والدنيا  
أحواله ، وبلغه منها آماله . أسعده الله بهذا الشهر ، ووفاه فيه أجزل المثوبة  
والأجر ، ووفر حظّه من كل ما يرتفع من دُعاء الدّاعين ، وينزل من ثواب العاملين ،



وقبل مساعيه وزكاها ، ورفع درجاته وأعلاها ، وبلغه من الآمال مُنتهاها ، وظفر بأبعدها وأقصاها .

وقال الحسن : من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحزم في نين ، وحِرص أخلاق المؤمن على العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ، ووقفة في يقين ، وكسب في حلال .

وقال محمد بن سليمان لأبي السماك : بلغني عنك شيء ، قال : لأباليه ، قال : صفة الأخ الصادق ولم ؟ قال : لأنه إن كان حقاً غفرته ، وإن كان باطلاً كذبتة .

وقال محمد بن صُبَيْح المعروف بابن السماك : خير الإخوان أقلهم مصانعة في النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبة ، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحِرص أسيرا ، وخير الإخوان من لم يخاصم ، وخير الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر وُد الرجال عند الفاقة والحاجة .

ووصف بعضُ البلغاء رجلا فقال : إنه بسيط الكف ، رَحْب الصدر ، موطأ الأكناف ، سهل الخلق ، كريم الطباع ، غيٓث مُغيٓث ، وبحر زُخور ، ضحوك السن ، بشير الوجه ، بادي القبول ، غير عبوس ، يستقبل بطلاقة ، ويحيي بكبش ، ويستدبر بكريم غيب ، وجميل سر ، تبهجك طلاقته ، ويرضيك بشره ، ضحكك على مائدته ، عبدٌ لضيافته ، غير ملاحظ لأكيله ، بطين من العقل ، تخييص من الجهل ، راجح الحلم ، ثاقب الرأى ، طيب الخلق ، محصن الضريبة ، معطاء غير سائل ، كاس من كل مكرمة ، عار من كل ملامة ، إن سئل بذل ، وإن قال فعل .

قال أبو الفتح كشاجم :

مزاجك للمثني من العود والصبا      من الریح والصافي الرقيق من الخمر  
فلو كنت ورداً كنت ورداً مضاعفاً      ولو كنت طيباً كنت من عنبر الشحر

ولو كنت لحناً كنت تأليف معبدٍ . ولو كنت عوداً ما افتقرت إلى زمرٍ  
وقال أعرابي :

ألا حبّذا البردُ الذي تلبّسِينهُ      ويا حبّذا مَنْ باعكَ البردَ من تجرٍ<sup>(١)</sup>  
فلو كنت ماءً كنت ماء غمامةٍ      ولو كنت درّاً كنت من دُرّةٍ بكرٍ  
ولو كنت لهواً كنت تعليل ساعةٍ      ولو كنت نوماً كنت إغفاءة فجّرٍ  
ولو كنت ليلاً كنت قمرأء جُنبَت      نحوّس ليالي الشّهْرِ أوليلة القدرِ

---

(١) التجر - بالفتح - اسم جمع ، واحده تاجر ، ومثله شرب وسفر

---

تم - بحمد الله تعالى ومعاونته - تحقيق الجزء الثاني من « زهر الآداب ،  
وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى . ويليه - إن شاء واهب التوفيق  
والسداد ، ورازي القدرة والعون - الجزء الثالث مفتتحاً بـ « نبذ من ألفاظ بلغاء  
العصر تجرى في المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استعاراتها ، وبراعة تشبيهاتها » .  
نسأله - سبحانه - أن يعين على إكماله بمَنّة وفضله ، آمين .

## فهرس الجزء الثانى من كتاب

« زهر الآداب ، وثمر الألباب »

لأبى إسحاق الحصرى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٤١	ألفاظ لأهل العصر في وصف الطعام ، ومقدماته ، وموائده ، وآلاته	٣٤٢	من شعر ابن الرومى في وصف طعام
٣٤٣	مقامة لبديع الزمان في وصف الطعام	٣٤٥	لعلى ابن يحيى النجم
—	لابن الرومى يصف اللوزينج	٣٤٧	نهم ابن الرومى وجهه للسمك
٣٤٨	من الناجم إلى ابن الرومى	—	لابن الرومى يصف العنب الرازق
٣٤٩	ألفاظ لأهل العصر في وصف الفواكه والثمار	٣٥٠	بعض ما جاء في وصف الليل
—	لأعرابى يصف ليل لقاء	—	لأعرابى يصف وفاء الصحبة
—	لجربى يصف يوم صيد	٣٥١	لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل
—	للأصبهاني يصف يوم لهُو	—	لابن المعتز يصف ليل سرور
—	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح	٣٥٢	لأبى تمام
—	للحائمي	—	لأهل العصر
٣٥٣	سعيد بن هريم وصلته بالفضل بن سهل	٣٥٤	لابن الرومى يمدح إبراهيم بن المدبر
—	لابن الرومى يمدح ابن طاهر	—	من ترجمة الفضل بن سهل
٣٥٥	مختارات من كلام الفضل بن سهل	—	من محمد بن على إلى محمد بن يحيى
—	جواب محمد بن يحيى بن خالد	٣٥٦	رجل يريد أن ينصح المهدي
—	توقعات للفضل بن سهل	٣٥٧	بعض أوصاف الخيل
—	ابن القرية يصف فرسا	—	لعبد الله بن طاهر
—	رجل يريد شراء فرس	—	لمحمد بن الحسن بن الحرون
٣٥٨	أبيات لتأبط شراً	—	لعقبة بن سنان يصف خيلاً أهداها عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان
٣٥٩	للناعبة الجعدى	—	لبعض العرب
—	لأعرابى	—	لأعرابى آخر
٣٦٠	لأعرابى يصف خيل بنى يربوع		

ص	الموضوع	س	الموضوع
	لأبي تمام يصف فرساً	٢٧٥	من عرف قدر النعمة استدامها
٢٦١	للبحترى يصف فرساً	—	بين سلمان بن عبد الملك وحاجبه
٢٦٢	لإسحاق بن خلف يصف فرس	—	بين يونس بن المختار وحاجب المأمون
	أبي دلف	—	بين رجل والمعلّى بن أيوب
—	لأبي الفتح كشاجم	—	بين المنصور والحارث بن حسان
—	لأبن المعتز	٢٧٦	بين المأمون وعبد الله بن طاهر
٢٦٣	لأبي الفتح	—	لأبي نواس في هذا المعنى
—	لأبن المعتز	—	للناشئ يعارض أبا نواس
—	لأعرابي مولد	—	لأبن الرومي
—	لأبن المعتز أيضاً	٢٧٧	ألفاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر
٢٦٤	لعلّي بن محمد الإيادي	٢٧٨	لأبي الفتح البستي
—	لأبي العباس الناشئ	—	بين أبي العتاهية وعمر بن العلاء
٢٦٥	لأبي منصور الثعالبي	٢٨٠	من أخبار أبي العتاهية
—	لأبن هاني يصف خيل المعز	—	ولوعه بعقبة
—	وله يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون	٢٨١	المهدي يضرب أبا العتاهية مائة سوط
٢٦٦	وله يصف فرس إبراهيم بن جعفر	٢٨١	من شعر أبي العتاهية في عقبة
	ابن علي	—	بين المهدي وأبي العتاهية
٢٦٧	لعلّي بن محمد الإيادي يصف فرس	٢٨٢	الرشيد يحبس أبا العتاهية لترك الشعر
	جعفر بن القايم	٢٨٤	بشار يمدح عمر بن العلاء
٢٦٨	لأبي الطيب المتنبي	٢٨٥	لأبي سعيد الخزومي في معنى بشار
٢٦٩	مقامة لبديع الزمان فيها وصف فرس	—	لأبي الطيب المتنبي
٢٧٢	قولهم في الوعد ومثله إنجازه	٢٨٦	لأبن هاني
—	بين أبي القاسم المسعودي وعيسى	٢٨٧	رجع إلى عمر بن العلاء
	ابن موسى	—	بينه وبين أبي العتاهية
—	بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد	٢٨٩	للمتنبّي في أبي العتاهية
—	بين المهدي وابن دأب	—	لأبي العتاهية في الزهد
٢٧٤	لأبي قابوس يمدح يحيى بن خالد	—	لأبي نواس
—	لأبي الطيب المتنبي	٢٨٨	ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة
—	لأبي علي البصير في الفضل بن يحيى	الحال	
—	لأبن الرومي		

- ٤٠٢ من ابن العميد لمن تزوجت أمه  
 ٤٠٣ ألقاظ لأهل العصر في التهانى بالبئات  
 ٤٠٤ بعض ما لا يمدح به النساء  
 — لابن الرومي  
 — للمعتبي  
 — رجل يمدح زبيدة أم الأمين  
 — لكثير عزة  
 ٤٠٥ عزة تفضل الأحوص على كثير  
 ٤٠٧ من الأمانى  
 — لأبى صخر الهذلى  
 — لمسلم بن الوليد  
 — لآخر  
 ٤٠٨ بعض أخبار كثير عزة  
 — حمقه  
 — كان رافضيا  
 — بين كثير وعبد الملك بن مروان  
 ٤٠٩ لقيس بن الملوح  
 — من جيد شعر كثير  
 ٤١١ قول العرب في الطول أو القصر  
 — لشاعر قديم ، وأنشده أحمد بن  
 عبيد الله  
 ٤١٢ لابن الرومي  
 — لعنرة العيسى  
 ٤١٣ لأبى نواس  
 — عود إلى أخبار كثيرة عزة  
 — كثير عند عبد العزيز بن مروان  
 — وهو مريض  
 — نقب سلام الجحى لشعر كثير

- ٣٤٤ لأبى الفضل الميكالى  
 ٣٤٥ لأبى الفتح البسى  
 ٣٩٠ بين نصيب والفرزدق  
 ٣٩١ لسحيم عبد بنى الحساس  
 — للمعتبي  
 — بين أبى تمام وابن الزيات  
 ٣٩٣ لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل  
 — لأبى تمام يمدح ابن أبى دواد  
 ٣٩٥ من أخبار ابن أبى دواد  
 — غلوه فى التعصب لإياد  
 — علمه ، وعداوته لابن الزيات  
 — أصله  
 ٣٩٦ غضبه على أبى تمام ، ثم وضاء عنه  
 ٣٩٧ بين ابن أبى دواد والحاجب أبى منصور  
 — من براعة خالد بن عبد الله القسرى  
 ٣٩٨ اعتذار أبى تمام للمعتصم عن سابق  
 مدحه للأفشين  
 ٣٩٩ المناقبون فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم  
 — عبد الله بن أبى سرح  
 — المختار بن أبى عبيد الحارثى  
 — بين أمية بن خالد بن أسيد وعبد الله  
 بن الأهم  
 ٤٠٠ فصل فى غرائب التكتاب  
 — من حمدون ابن نهران لعامل عزل  
 عن عمله  
 — من ابن مكرم لنصرانى أسلم  
 — بعض ما يحسن تركه وإن كان حلالا  
 ٤٠١ ما يقال لمن تزوجت أمه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤١٤	فصول قصار	٤١٤	فصول قصار
—	من كلام قابوس بن وشمكير	—	من كلام قابوس بن وشمكير
٤١٥	للشعالي يصف شمس المعالي قابوساً	٤١٥	للشعالي يصف شمس المعالي قابوساً
٤١٦	للميكالي يمدح قابوساً	٤١٦	للميكالي يمدح قابوساً
٤١٧	من رسائل بديع الزمان إلى قابوس	٤١٧	من رسائل بديع الزمان إلى قابوس
٤١٩	من أخبار البرامكة	٤١٩	من أخبار البرامكة
٤٢٠	ثمالة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى	٤٢٠	ثمالة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى
—	سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرأ	—	سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرأ
—	توقيع لجعفر بن يحيى	—	توقيع لجعفر بن يحيى
٤٢١	بين جعفر بن يحيى ومروان بن أبي حفصة	٤٢١	بين جعفر بن يحيى ومروان بن أبي حفصة
٤٢٢	من قصيدة لزهير بن أبي سلمى	٤٢٢	من قصيدة لزهير بن أبي سلمى
—	تعليق على هذه القصيدة لقدماء بن جعفر	—	تعليق على هذه القصيدة لقدماء بن جعفر
٤٢٣	لمحمد بن مناذر في البرامكة	٤٢٣	لمحمد بن مناذر في البرامكة
—	مثل من التجنيس لأبي الفضل الميكالي	—	مثل من التجنيس لأبي الفضل الميكالي
٤٢٦	لأبي الفتح البستي في هذا المذهب	٤٢٦	لأبي الفتح البستي في هذا المذهب
٤٢٨	قفر في ذكر العلم والعلماء	٤٢٨	قفر في ذكر العلم والعلماء
٤٣٠	استعارات فقهية تليق بهذا المكان	٤٣٠	استعارات فقهية تليق بهذا المكان
—	بين أبي تمام وابن أبي دواد	—	بين أبي تمام وابن أبي دواد
—	بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام	—	بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام
٤٣١	ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان وسببها	٤٣١	ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان وسببها
٤٣١	بين ابن ثوبة وابن الرومي	٤٣١	بين ابن ثوبة وابن الرومي
—	بين المعتصم وأبي تمام	—	بين المعتصم وأبي تمام
—	لأبي الفضل الميكالي	—	لأبي الفضل الميكالي
٤٣٣	لأبي الفتح كشاجم	٤٣٣	لأبي الفتح كشاجم
—	لبديع الزمان الهمذاني	—	لبديع الزمان الهمذاني
٤٣٥	أبو علي البصير، وشيء من أدبه	٤٣٥	أبو علي البصير، وشيء من أدبه
—	بينه وبين بعض الظالمين	—	بينه وبين بعض الظالمين
—	بينه وبين بعض الرؤساء	—	بينه وبين بعض الرؤساء
٤٢٥	من شعره	٤٢٥	من شعره
٤٢٦	من شعر الفتح بن خاقان	٤٢٦	من شعر الفتح بن خاقان
—	كتاب منه إلى عبيد الله بن يحيى	—	كتاب منه إلى عبيد الله بن يحيى
٤٢٧	مما يبعث على الرحيل	٤٢٧	مما يبعث على الرحيل
—	من الوصايا لمن اعتزم السفر	—	من الوصايا لمن اعتزم السفر
٤٢٧	قفر في مدح السفر	٤٢٧	قفر في مدح السفر
—	في ذم السفر والغربة	—	في ذم السفر والغربة
٤٢٨	بين المهدي وأبي عبيد الله	٤٢٨	بين المهدي وأبي عبيد الله
—	بين المأمون والفضل بن الربيع	—	بين المأمون والفضل بن الربيع
—	بين النصور وأبي مسلم الخراساني	—	بين النصور وأبي مسلم الخراساني
٤٤١	جملة في الأوصاف من شعر كشاجم	٤٤١	جملة في الأوصاف من شعر كشاجم
٤٤٤	الصابي يهدي اسطرلاباً لعبد الدولة ويعث معه بشعر	٤٤٤	الصابي يهدي اسطرلاباً لعبد الدولة ويعث معه بشعر
٤٤٥	من أوصاف النساء	٤٤٥	من أوصاف النساء
—	لابن الرومي	—	لابن الرومي
—	لبعض الشعراء يصف العلم	—	لبعض الشعراء يصف العلم
—	قلب المعنى ليس بسرقة	—	قلب المعنى ليس بسرقة
—	لشاعر يصف نساء بالعبالة	—	لشاعر يصف نساء بالعبالة
٤٤٨	من المعاني ما لا يتقلب	٤٤٨	من المعاني ما لا يتقلب
—	بعض ما أخذ على أبي نواس	—	بعض ما أخذ على أبي نواس
٤٤٩	قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم	٤٤٩	قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم
—	لأبي الفتح البستي	—	لأبي الفتح البستي
٤٥١	لابن درست	٤٥١	لابن درست
—	لمسكويه	—	لمسكويه
—	للخوارزمي	—	للخوارزمي
—	للصولي	—	للصولي
٤٥٢	لابن المعز	٤٥٢	لابن المعز
٤١٨	الأصمعي وبعض الأعراب	٤١٨	الأصمعي وبعض الأعراب

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٥٤	قفر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة	٤٤٥	لابن المعتز
٤٦٠	لامرأة من العرب ترى ابنها	—	وله في القاسم بن عبيد الله
٤٦١	لأعرابي يمدح رجلاً	٤٨٠	لبعض البلغاء
٤٦٤	بعض أخبار أبي نواس	—	للمتنبي
٤٦٥	للحسن بن وكيع ، وقد أخذه من أبي نواس	—	لابن المعتز
٤٦٦	ضرب من الرياء	—	مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم
٤٦٨	من خريات أبي نواس	—	للمتنبي
٤٦٩	من أخبار بشار بن برد	—	للمنوبي
—	احتذاء أبي نواس على مثال بشار	٤٨١	لابن الرومي
٤٢٥	المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل	—	للبسقي
٤٧٠	من شعر بشار في الغزل	—	لطلحة بن عبيد الله
٤٧١	لعلى بن الجهم ، وأخذه من بشار	—	لحمود الأصماني
٤٧٢	منزلة شعر بشار ومقداره	٤٨٢	لأحمد بن جدار
—	ولاء بشار	—	لأبي تمام
٤٧٣	من أخبار أبي حذيفة وأصل بن عطاء	—	لتميم بن المعز الفاطمي
—	عود إلى أخبار بشار	٤٨٣	الصدق في النصيحة
٤٧٦	كلمات مأثورة	—	بين أحمد بن يوسف وغسان بن عباد
—	قفر في مساوي الكذب لغير واحد	—	من ترجمة أحمد بن يوسف العجلي
٤٧٨	جزاء الشكر	٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين
—	بين الحسن بن سهل والمأمون	٤٥٢	عود إلى أحمد بن يوسف العجلي
—	من خطب النكاح :	٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر ، في صفات الثقلاء
—	خطبة للمأمون	٤٩١	من ترجمة جحظة البرمكي ومن شعره
—	ما يستحب من الخطاب والخطوب إليه	٤٩٢	السكاكين
٤٧٩	الكتب والأقلام والخط	—	بين أحمد بن يوسف والمأمون
		٣٦٤	لأبي الفتح كشاجم يصف سكيناً
			سرقته منه

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٥١٠ مما كتبه في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي		٤٦٤ ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين	
٥١٥ كتاب منه لرئيس هراة		٤٦٥ السمر والنادمة	
٥١٦ كتاب منه للإمام سهل بن محمد		— بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح	
٥١٧ كتاب منه للإسماعيلي		— شرط النادمة	
٥١٨ المقامة الفزارية للبديع		٤٦٦ بين اليزيدي والمأمون	
٥٢٠ بين شاعر وعبد الله بن الزبير		— بين كوران المغني والشريف الرضي	
٥٢١ فرس ابن الزيات		— بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب	
— المزاح		٤٦٧ من إسحاق الموصلي إلى بعض الجلة	
— بين الحجاج وابن القرية		— من السري الموصلي إلى أخله يستدعيه	
٥٢٢ خاله بن صفوان يذكر مساوى المزاح		٤٦٨ لابن المعتز	
— للوراق في مساوى المزاح		— للحسن بن محمد الكاتب	
— فقر في هذا النحو لأهل العصر		٤٦٩ من ألفاظ أهل العصر ، في الاستدعاء	
٥٢٣ الطيرة والزجر		— ولهم في استدعاء الشراب	
— لأبي حية النخري في التفاؤل		٥٠٠ ولهم في الكناية عن الشراب	
— مما ينسب لذى الرمة		— من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب	
٥٢٤ عادة الجاهلية والنهي عنها		— من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل	
— للكميث بن زيد الأسدي		— لكشاجم	
— لشاعر قديم		٥٠١ فقر للنيذيين	
٥٢٥ لابن كناسة		٥٠٣ من ألفاظ أهل العصر . في صفات مجالس الأنس	
— بين كثير عزة ورجل نهدي		٥٠٥ من شعر أبي نواس : وهو أستاذ هذا الشأن	
— لجريز		٥٠٨ من رسائل بديع الزمان الهمداني	
— لعوف الراهب		— تعزية منه إلى أبي عامر عدنان بن عامر الضبي .	
٥٢٦ لأبي الشيص		٥٠٩ منه لبعض إخوانه جوابا عن كتاب	
— ابن الرومي كان شديد الطيرة ، وبعض أخباره في ذلك			
٥٢٧ الفرق بين الطيرة والقال			
٥٢٨ من ابن الرومي للقاسم بن عبيد الله			
— ابن الرومي يرثي ابنة المسيبي			
٥٢٩ وله يعزى على بن يحيى في ابنته			



الموضوع	ص	الموضوع	ص
كتاب منه للشعالى	٥١١	الرغبة فى موت البنات	٥٣٩
كتاب منه إلى أبيه	٥٤٦	لعبد الله بن عبد الله بن طاهر	—
كتاب منه يستفتح به مكاتبة أخ	—	لعقيل بن علفة	—
قمر من كلامه فى أثناء رسائل شقى	٥٤٧	لابن خلف البهرانى	—
قطعة من شعره فى تجنيس القوافى	٥٤٩	عود إلى تطير ابن الرومى	٥٣٠
لأبى الفتح البستى	٥١٥	بينه وبين أبى الحسن الأخفش	—
أدب الحاجب	—	من آثار تطير ابن الرومى	٥٣٢
بين مالك وحاجبه	—	من ابن الرومى إلى ابن ثوبة فى التطير	٥٣٤
وصية المهدي للفضل بن الربيع	٥٥٠	من مليح العيافة والزجر	٥٣٦
للحسن بن سهل	—	أبو نواس وبعض أصحابه	—
لبعض البلغاء	—	لأبى تمام	—
بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله بن سليمان	—	أحمد بن المدبر والجل الشاعر المصرى	٥٣٧
لأبى السمط بن أبى حفصة	٥٥١	لأبى الفضل الميكالى فى أهل مرو	—
لمروان بن أبى حفصة	—	عبد الوهاب الثقفى يصف رجلا	٥٣٨
لإدريس بن أبى حفصة	—	يرتاح إليه	—
لعمرو بن شاس الأسدى	—	ابن أبى دواد والجاحظ	—
للقطامى فى ضياء الوجوه والأحساب	٥٥٢	بين الجاحظ وابن الزيات	٥٣٩
للقينى	—	من كلام على رضى الله عنه فى أعجب ما فى الإنسان	٥٤٠
للحطيئة	—	لعبد الرحمن بن حسان	٥٤١
للقاسم بن حنبل المدنى	—	لمحمد بن حازم الباهلى	—
للوياح التيمى	٥٥٣	للجاحظ فى ابن الزيات	—
حث الاشقياق	—	الجاحظ ورجل من البرامكة	—
لعمرو بن أبى ربيعة	—	المقامة الجاحظية للبديع	٥٤٣
مما أنشده إسحاق الموصلى	—	من كلام الملوك :	٥٤٤
لإسحاق الموصلى	٥٥٤	من كلام أزدشير بن بابك	—
لأبى نواس	—	من كلام بزرجهر	٥٤٥
لخلد بن بكار الموصلى	—	من كلام أنو شروان	—
جودة الخط	٥٥٥	من رسائل الميكالى :	—
صفة الخط الجيد لبعض الكتاب	—	كتاب منه للشعالى	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لابن الرومي	٥٦٨	وراق يصف عيشه	٥٦١
لبعض المحدثين	—	لإسماعيل الحمدوني	٥٥٦
عود لابن الرومي	—	حرفة الأدب	—
أحمد بن يونس الكاتب يرد على	٥٦٦	لبعض الشعراء	—
ابن ازرومي	—	للخريعي	—
نبت من النظم والنثر في صفات النور	٥٦٧	لعل بن محمد بن بسام	٥٥٧
والزهر	—	رزق الحقي والعقلاء	—
لعل بن الجهم	—	لابن الرومي	—
لمحمد بن عبد الله بن طاهر	—	لجعفر بن محمد	—
المتوكل وابن الضحاك	—	للنظام	—
ظبي يأكل نيولوفرأ	٥٦٩	بعض أخبار النظام وكلامه	—
وصف أيام الربيع :	—	أفكار الوراقين	٥٥٨
لابن وكيع	—	أطيب اللذات عند الشعراء	٥٥٩
لأبي الفتح البسقي	٥٧٠	امرئ القيس	—
لأبي الفضل الميسكالي	—	الأعشى	—
للبحتری	٥٧٢	طرفة	—
في مجلس المبرد	—	أبي دلف	—
للبحتری في المدح	٥٧٣	حميد الطوسي والشعر لطرفة	—
لابن المعتز يذم الصبوح	٥٧٤	يزيد بن عبيد الله	٥٦٠
لأبي الفتح كشاجم	٥٧٥	من شعر الأصبط بن قريع	—
جملة من هذا النوع لأهل العصر	٥٧٦	من أخبار الأصبط بن قريع	٥٦١
لأبي فراس الحمداني	—	وصف الحبار والأقلام :	—
لابن هاني يصف زهرة رمان	—	لبعض الكتاب يصف محبرة	—
قطع ثرية لهم في هذا المعنى	٥٧٧	لأبي الفتح كشاجم	—
ولهم أيضاً في وصف الربيع	٥٧٨	ألفاظ لأهل العصر ، في أوصاف	٥٦٢
الربيع والرفاق	٥٧٩	آلات الكتابة والدوى	—
الصوم في الربيع	—	أبو الفتح كشاجم يصف آلات	٥٦٣
يوم الشك	—	الكتابة	—
من بديع الزمان الهمداني لبعض	٥٨٠	عمال المأمون	٥٦٤
أهل همدان	—	وصف الورد والزرجرس :	٥٦٥

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٥٤٦	لابن العميد	٥٩٦	لأبي تمام
٥٨١	عواقب الطيش	—	لعصابة الجرجاني في الحسن بن
—	طاهر بن الحسين يصف الأمين	—	رجاء
—	الأمين والمأمون	—	بين جميل بن ميمر وميمر بن
٥٨٢	الأمين يصف طاهر بن الحسين	—	أبي ربيعة
٥٨٣	الفضل بن الربيع وابنه وأبوه	٥٩٨	من شعر العرجي
—	بيعة المهدي	—	نسب العرجي، وبعض أخباره
٥٨٤	وقت كلام الملوك	٥٩٩	جمعه من الفصول القصار
—	من كلام الفضل بن الربيع	—	لابن المعتز
—	بين المأمون والفضل بن الربيع	٦٠١	من ابن العميد إلى بعض إخوانه
٥٨٥	بين المنصور والربيع	٦٠٣	من بديع ما قيل في العتاب :
٥٨٦	لأبي تمام يمدح ابن الزيات	—	لسعيد بن حميد
—	سهل بن هارون والزبير	٦٠٤	لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر
—	من شعر الفضل بن الربيع	—	من كلام الأعراب
٥٨٧	بين ابن خاقان وأبي العيلاء	٦٠٥	المقامة البلخية لبديع الزمان
—	وصف دابة	٦٠٦	كتاب من بديع الزمان لأبي نصر
٥٨٨	قطعة من رسالة من إنشاء	—	الميكالي يشكو إليه خليفته بهراة
—	أبي الخطاب الصابي	٦٠٧	من البديع للميكالي يعاتبه
٥٩٠	الحدوني وشاة سعيد بن أحمد	٦٠٨	بين المأمون وإبراهيم بن المهدي
٥٩١	الحدوني وطيلسان ابن حرب	٦١٠	بين المأمون وإسحاق بن العباس
٥٩٤	المأمون والحسن بن رجاء	—	رجل يستعطف بعض الملوك
—	بديهة المبرد	—	بين معاوية وروح بن زنباع
—	المبرد عند المتوكل	٦١١	عفو الملوك :
٥٩٥	أدب أبي العباس المبرد	—	المأمون وبعض خاصته
—	بين المبرد وابن المعتز	—	بعض ملوك فارس وطباخه
—	في المدح :	—	بهرام جور وراع
—	لأعرابي	٦١٢	من شعر ابن الرومي
—	لابن المعتز	٦١٣	من اعتذارات بديع الزمان
—	للأخطل	٦١٥	قعر من كلام سهل بن هارون
—	لابن هرمة	—	للمأمون

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أخلاق المؤمن	٦١٦	من ترجمة سهل بن هارون	٦١٦
خير الإخوان	—	وأخباره	
وصف رجل	—	من عظات الحسن البصري	٦١٧
لأبي الفتح كشاجم	—	ألفاظ لأهل العصر في التهنية بإقبال	٦١٨
لأعرابي	٦٢٠	شهر رمضان	

تمت فهرس الجزء الثاني من زهر الآداب للحصري ، والحمد لله أولاً وآخراً  
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه





# زَهْرُ الْأَلْبَابِ

ونثر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني  
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

---

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم  
الركنور زكي مبارك

## الجزء الثالث

### دار الجيل

للتنوير والتزكية والعلامة

بيروت - لبنان  
ص. هـ. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة



## نبذ من ألفاظ بلغاء أهل العصر

تجربى فى المدح بحرى الأمثال ؛ لحسن استعارتها ، وبراعة تشبيهاتها  
فلان مسترضعٌ نَذَى الجدى ، مُفْتَرَشٌ حَبْرَ الفضل ، له صَدْرٌ تَضِيقُ به  
الدَّهْنَاءُ ، وَتَفْزَعُ إليه الدَّهْمَاءُ ، له فى كل مكرمة غُرَّةُ الإصباح <sup>(١)</sup> ، وفى كل فضيلة  
قَادِمَةٌ الْجَنَانُ <sup>(٢)</sup> ، له صورة تستنطق الأفواه بالتسبيح ، ويترقرق فيها ماء الكرم ،  
وتقرأ فيها صحيفة حُسن البشر ، تحيا القلوب بلاقائه ، قبل أن يُمَيِّتَ الفقرَ بعبثائه ،  
له خَلْقٌ لَوْ مَزَجَ به البحرُ لنفى مُلُوحَتَه ، وكفى كدورته . هو غذاء الحياة ،  
ونسيم العشق ، ومادة الفضل ؛ آراؤه سَكَا كين فى مغاغل الخطوب ، له هِمَّةٌ  
تعزل السماءَ الأعزل ، وتجرّ ذَيلها على المجرّة ، هو راجحٌ فى موازين العقل ،  
سابقٌ فى ميادين الفضل ، يَفْتَرَعُ أبكار المكارم ، وَيَرْفَعُ مَنَارَ الحُجَاسِنِ . ينابيع الجود  
تتفجّر من أنامله ، ويربعُ السماءُ يَضْحَكُ من فَوَاضِلِهِ . هو بيتُ القصيدة ، وأول  
الجريدة ، وعَيْنُ السكتيبة ، وواسطة القلادة ، وإنسانُ الحدقة ، ودُرَّةُ التاج ،  
ونقشُ الفص ! وهو ملح الأرض ، ودِرْعُ المِلَّةِ ، ولسانُ الشريعة ، وحِصْنُ الأُمة .  
هو غُرَّةُ الدهر والزمان ، وناظر الإيمان . له أخلاقٌ خُلِقْنَ من الفضل ، وشيَمَ  
تَشَامُ منها بَوَارِقُ المَجْدِ <sup>(٣)</sup> ، أَرَجَ الزمانُ بفضله ، وعَظِمَ النساءُ عن الإتيانِ بمثله .  
الجميلُ لديه مُعْتَادٌ ، والفضلُ منه مبدؤٌ ومُعَادٌ ، مَالُهُ للعَفَاةِ <sup>(٤)</sup> مُبَاحٌ ، وفعاله فى ظلمة  
الدهرِ مُضْبَاحٌ ، كَأَنَّ قلبه عَيْنٌ ، وكَأَنَّ جسمه سَمْعٌ ، يرى بأوّلِ رَأْيِهِ آخرَ الأمرِ ،  
جوهرٌ من جواهر الشرف لا من جواهر الصّدْفِ ، وياقوتة من يواقيت الأحرار

(١) فى نسخة « غرة الأوضح » (م)

(٢) القادمة : واحدة القوام ، وهى ريشات فى مقدم جناح الطائر ويقابلها الخوافى (م)

(٣) الشيم : جمع شيمة ، وهى الحصلة . وتشام : تنظر ، والبوارق : جمع بارق ،

والمراد به البرق (م) (٤) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب الحاجة (م)

لا يواقيت الأحجار ، طلعتُ للبشاشة عليها ديباجة خُسْرَواتية ، وفيها للطلاقة روضة ربيعية . وَجْهُ كَأَن بَشَرْتَهُ نَشْرُ البَشَر ، ومواجهته أمانٌ من الدهر . يصل يبشره ، قبل أن يَصِلَ ببرّه ، قد لحظت من وجهه الأنوار ، ومن بَغَانِه النّوار . أنا من كرم عشرته ، وطلاقة أَسْرَتِهِ ، في روضةٍ وغدير ، وجَنَّةٍ وحرير ، وهو بَحْرٌ من العلم ممدود بسبعة أبحر ، ويومُهُ من يوم الأدب كعمر سبعة أنُسُر . العلم حَشَوُ ثِيَابِه ، والأدب مِلءُ إِهَابِه . هو شَخْصُ الأدب ماثلاً ، ولسانُ العلم قائلًا . شَجَرَةٌ فَضْلٌ عودُها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها سُرُورٌ ، تسقيها سماه الحريرة ، وتغذيها أرضُ المروءة . هم ملح الأرض إذا فسدت ، وعمارة الأرض إذا خربت ، ومعرض الأيام إذا احتشدت ؛ وهم جمالُ الأيام ، وخواصُ الأنام ، وفرسان الكلام ، وفلاسفة الإسلام . فلان غُصْنٌ طَبْعُهُ نَصِير ، ليس له في مَجْدِهِ نظير ، قد جمع الحِفْظَ الغزير ، والفَهْمَ الصحيح ، والأدبَ القويّ القويم ، وما يُؤْنِسُهُ من الوَحْشَةِ إلا الدفاتر ، ولا يَصْحَبُهُ في الوَحْدَةِ إلا المحابر . فلان يحلُّ دَفَائِقَ الأشكال ، ويُزِيلُ معترض الإشكال . له خلق كنسِمِ الأشجار ، على صفحات الأنوار . كالماء صَفَاءً ، والمسك ذكاءً . أخلاق قد جمعت المروءة أطرافها ، وحرست الحرية أكنافها . أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على محبته ، وتؤلف الآراء المتشتتة على مودّته . أخلاق أعذبُ من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زمان الورد . أخلاق أحسن من الدرّ والعقيقان ، في نحور الحسنان ، وأذكى من حركات الروح والريحان . فلان يَسْتَحِطُّ القمَرُ <sup>(١)</sup> بَطْرِفِهِ ، ويستنزل النّجم بلُطْفِهِ <sup>(٢)</sup> . هو خُلُو المذاق ، سهل المساع . أجمل الناس في جدّ ، وأحلام في هزل . يتصرّف مع القلوب ، كتصرّف السحاب مع الجنوب . ذو جدّ كعلو الجدّ <sup>(٣)</sup> ، وهزل كحديقة الورد . له عِشْرَةٌ ماؤها يقطر ، وصَحْوُها من

(١) في نسخة «يستحطّ العصم» وهي أفضل مما في الأصل (م)

(٢) في نسخة « بلفظه » (م)

(٣) الجد ، بالكسر : الاجتهاد ، والجد ، بالفتح : الحظ والبخت (م)

الغَضَارَةُ يَمُطِرُ<sup>(١)</sup>. هُوَ رِيحَانَةٌ عَلَى الْقَدَحِ ، وَذَرِيعَةٌ إِلَى الْفَرَحِ . عَشْرَتُهُ أَلْطَفَ مِنْ نَسِيمِ الشَّمَالِ ، عَلَى أَدِيمِ الزَّلَالِ ، وَأَلْصَقُ بِالْقَلْبِ ، مِنْ عَلَاقِقِ الْحُبِّ . إِذَا أَرَدْتَ فَهُوَ سُبْحَةٌ نَاسِكٌ ، أَوْ أَحْبَبْتَ فَهُوَ تَفَاحَةٌ فَاتِكٌ ، أَوْ اقْتَرَحْتَ فَهُوَ مَدْرَعَةٌ رَاهِبٌ ، أَوْ آثَرْتَ فَهُوَ نَخْبَةٌ شَارِبٌ . أَخْبَارُهُ زَكِيَّةٌ ، وَآثَارُهُ ذَكِيَّةٌ . أَخْبَارُهُ تَأْتِينَا كَمَا وَشَى بِالْمِسْكِ رِيَّاهُ ، وَنَمَّ عَلَى الصَّبَاحِ مُحْيَاهُ . قَدْ انْتَشَرَ مِنْ طَيْبِ أَخْبَارِهِ مَا زَادَ عَلَى الْمِسْكِ الْفَتِيْقَ ، وَأَوْفَى عَلَى الزَّهْرِ الْأَنِيقِ . مَنَاقِبُ تَشْدُخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ ، وَتَهَادِي أُنْبَاءَهَا وَفُودُ الرِّيحِ . فَلَانِ أَخْبَارُهُ آثَارُهُ ، وَعَيْنُهُ فِرَارُهُ<sup>(٢)</sup> ، قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ حَمِيدِ الذِّكْرِ ، وَجَمِيلِ النُّشْرِ ، مَا لَا تَزَالُ الرِّوَاةُ تَدْرُسُهُ ، وَالتَّوَارِيخُ تَحْرُسُهُ . سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَّكَتُ الْمِسْكَ فَتِيْقًا ، أَوْ صَبَّحْتُ الرُّوْضَ أُنِيْقًا . أَخْبَارُهُ مَتَضَوِّعَةٌ كَتَضَوِّعِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، وَمُشْرِقَةٌ إِشْرَاقُ الْفَجْرِ الْأَنْوَرِ . أَحَبَّبْتُهُ بِالْخَبَرِ ، قَبْلَ الْأَثَرِ ، وَبِالْوَصْفِ قَبْلَ الْكَشْفِ . هُوَ مِمَّنْ يَثْقُلُ مِيزَانُ وَدِّهِ ، وَيُخْصِفُ مِثْقَالَ عَهْدِهِ . هُوَ كَرِيمُ الْعَهْدِ ، صَحِيحُ الْعَقْدِ ، سَلِيمُ الصَّدْرِ فِي الْوَدِّ ، حَمِيدُ الْوَرْدِ فِيهِ وَالصَّدْرُ . هُوَ لِإِخْوَانِهِ عُدَّةٌ تَشْدُمُ وَتَقْوِيهِمْ ، وَنُورٌ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . هُوَ رُكْنُ الْإِخَاءِ ، صَافِي شِرْبِ الْوَفَاءِ ، حَافِظٌ عَلَى الْغَيْبِ مَا يَحْفَظُهُ عَلَى الْلِقَاءِ . هُوَ مِمَّنْ لَا تَدُومُ الْمُدَاهَنَةُ فِي عَرَصَاتِ قَلْبِهِ ، وَلَا تَحُومُ الْمُوَارَبَةُ عَلَى جَنْبَاتِ صَدْرِهِ . هُوَ يَسْرَى إِلَى كَرَمِ الْعَهْدِ ، فِي ضِيَاءِ مِنَ الرَّشْدِ . عَهْدُهُ نَقْشٌ فِي صَخْرٍ ، وَوَدُّهُ نَسَبٌ مِلَّانٍ مِنْ فَخْرٍ . يَقْبَلُ مِنْ إِخْوَانِهِ الْعَفْوَ ، كَمَا يُولِيهِمْ مِنْ إِحْسَانِهِ الصَّفْوَ . فِي وَدِّهِ غِنَى لِلطَّالِبِ ، وَكَفَايَةٌ لِلرَّائِبِ ، وَمَرَادٌ لِلصَّخْبِ ، وَزَادٌ لِلرَّكْبِ . هُوَ فِي حَبْلِ الْوَفَاءِ حَاطِبٌ ، وَعَلَى فِرَاضِ الْإِخَاءِ مُوَاطِبٌ . التَّجَحُّجُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِي أَرَائِهِ ، وَالْيَمْنُ مُعْتَادٌ فِي ذَاهِبِ أُنْحَائِهِ . لَهُ الرَّأْيُ . النَّاقِبُ الَّذِي تَخْفَى مَكَايِدُهُ ، وَتَظْهَرُ عَوَائِدُهُ ، وَالتَّيْدِيرُ النَّافِذُ الَّذِي تَنْجَعُ مَبَادِيهِ ، وَتَبْهَجُ تَوَالِيهِ . رَأْيٌ

(١) الغضارة : النعمة (م) (٢) هذا من المثل «إن الجواد عينه فراره» (م)

كَالسَّهْمِ أَصَابَ غِرَّةَ الْمَدْفِ ، وَدَهَاءَ كَالْبَجْرِ فِي بُعْدِ الْغَوْرِ وَقُرْبِ الْمَغْتَرَفِ ،  
لَا يَضَعُ رَأْيَهُ إِلَّا مَوَاضِعَ الْأَصَالَةِ ، وَلَا يَصْرِفُ تَدْيِيرَهُ إِلَّا عَلَى مَوَاقِعِ السَّدَادِ  
وَالْإِصَابَةِ . يَعْرِفُ مِنْ مَبَادِي الْأَقْوَالِ خَوَاتِمَ الْأَفْعَالِ ، وَمِنْ صُدُورِ الْأُمُورِ أَعْجَازَ  
مَا فِي الصُّدُورِ . رُؤْيِيَّتُهُ رَأَى صَلِيَّتِ ، وَبَدِيَّتُهُ قَدَرٌ مُصِيبٌ . يَسَافِرُ رَأْيُهُ وَهُوَ دَانٍ  
لَمْ يَبْرَحْ ، وَيَسِيرُ تَدْيِيرُهُ وَهُوَ ثَاوٍ لَمْ يَنْزَحْ . لَهُ رَأْيٌ لَا يَخْطِئُ شَاكِلَةَ الصَّوَابِ ،  
[ وَلَا يَخْشَى بَادِرَةَ الْعِثَارِ . فَلَانٌ يَحْتَمِرُ الرَّأْيَ وَيُحْمِلُهُ ، وَيُجِيدُ الْفِكْرَ وَيُجِيلُهُ ، حَتَّى  
يَحْصُلَ عَلَى لَبِ الصَّوَابِ ] <sup>(١)</sup> ، وَمُحْضُ الرَّأْيِ . إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ ، أَضَاءَ  
ظِلَامَ الْأَمْرِ ، هُوَ قُطْبُ صَوَابٍ تَدُورُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَمُسْتَنْبَطُ صِلَاحٍ يَرُدُّ إِلَيْهِ  
التَّدْيِيرُ . يَرَى الْعَوَاقِبَ فِي مِرَاةِ عَقْلِهِ ، وَبَصِيرَةَ ذِكَاثِهِ وَفَضْلُهُ . وَلَهُ رَأْيٌ يَرُدُّ  
الْخَطْبُ مُصَالَمًا ، وَالرَّمْحُ مُقَالَمًا . [ أَرَاؤُهُ سَكَاتٌ فِي مَفَاصِلِ الْخُطُوبِ ] ، كَأَنَّهُ  
يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ رَقِيقٍ ، وَيَطَالَعُهُ بِعَيْنِ السَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ . يَسْتَنْبِطُ  
حَقَائِقَ الْقُلُوبِ ، وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ . قَدْ سَرَيْنَا مِنْ مَشُورَتِهِ فِي ضِيَاءِ سَاطِعٍ ،  
وَمِنْ رَأْيِهِ الصَّائِبِ فِي حُكْمِ قَاطِعٍ .

### نبذ من مفردات الآيات في فرائد المدح

أَبُو نَوَاسٍ :

وَكَلَّتْ بِالْذَهْرِ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ      مِنْ جُودِ كَفَيْكَ تَأْسُوكَ مَا جَرَّ حَا  
الطَّائِي :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا      عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ  
الْبَحْتَرَى :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ      لَجَادَ بِهِ أَفْلَحِيَّتِي اللَّهُ سَائِلُهُ  
وَلَهُ :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتُوا      لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ

كشاحم :

عرف القاضون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد  
المتنبى :

شخص الأنام إلى كالك فاستعد من شر أعينهم بعين واحد  
وله :

ولما رأيت الناس دون محلهم تيقنت أن الدهر للناس ناقد  
وله أيضاً :

إن خطبوا أو لقوا أو كوتبوا وجدوا في اللفظ والخط والهيجاء فرسانا  
وله أيضاً :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد في أبياتها  
أبو العباس الناشء :

خلقت كما أراذك المـ الى فانت لمن رجاك كما يريد  
المأمونى :

وخلائق كالنحر دون فعليه حبب لهن وما لهن خمار

[ فى مجالس الخلفاء والملوك والحكام والأمراء ]

وقال إبراهيم الموصلى لموسى الهادى ، وهو نديمه ، وقد غناه صوتاً فأعجبه : إنَّ  
من كان محله من أمير المؤمنين محلى فى الانبساط وتقدّم الندام جرأه البسط  
على الطلب ، وبعثته المنادمة على الرجاء ، وقد نصب لى أمير المؤمنين بقربى  
منه مشارع الرغبة إليه ، وحتنى محلى عنده على الكروع فى المنهل بين يديه .  
فقال : سل شفأها ؛ فإنى جاعل فعلى عن إجابتك إليه حاضراً ؛ فسأله ما قيمته  
خمسون ألف درهم ؛ فأمر له بمائة ألف درهم .

بين الموصلى  
والهادى

بين الإسكندر  
ودارا بن دارا

ولما ظفر الإسكندرُ بدارا بن دارا قال له : بم أجترأ عليك صاحبُ شرطتك ؟  
قال : بتركي تهيبتهُ وقتَ إساءته وتفريطه ، وإعطائه وقتَ الإحسانِ اليسير من  
فعله نهايةَ رغبته . فقال الإسكندر : نعم العونُ على استصلاح القلوب الموعرةِ  
الترغيبُ بالأموال ، وأصلح منه عاجلاً الترهيبُ وقت الحاجة إليه .

حكيم يصف  
أحزم الملوك

وقال الحسنُ بن سهل : خرج بعضُ ملوكِ الفرس متنزّها ، فلقى بعضَ  
الحكماء ، فسأله عن أحزم الملوك ، فقال : من ملك جدّه هزله ، وقهر لُبه  
هواه ، وأعرب لسانه عن ضميره ، ولم يتخذْه رِضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن  
صدقه . فقال الملك : لا ، بل أحزمُ الملوكِ من إذا جاع أكل ، وإذا عطش  
شرب ، وإذا تعب استراح . فقال الحكيم : أيها الملك ، قد أجدتَ الفطنة .  
هذا العلم مستفاد أم غريزي ؟ قال : كان عندنا معلمٌ من حكماء الهند ، وكان هذا  
نقشَ خاتمة . قال : فهل علمك غير هذا ؟ قال : ومن أين يوجبُ مثل هذا عند  
رجل واحدٍ ؟ ثم قال له الملك : علمني من حكمتك أيها الحكيم . قال : نعم ،  
احفظْ عني ثلاثَ كلمات . قال : ما هنّ ؟ قال : صمّك السيفَ ليس له جوهرٌ  
من سنخه <sup>(١)</sup> خطأ ، وصمّك الحبَّ في الأرضِ السَّيخةَ ترجو نباته جهلٌ ، وصمّك  
المسنَّ على الرياضة عناء .  
قال أبو تمام الطائي :

والسيفُ ما لم يلفَ فيه صَيْقِلٌ مِنْ سِنْخِهِ لم يَنْتَفِعْ بِصِقَالٍ

وقيل لبعض الحكماء : ما الدليل الناصح ؟ قال : غريزة الطبع . قيل : ما القائدُ  
المشفوق ؟ قال : حسن المنطق . قيل : فما العناء المُعنى ؟ قال : تطيعك مالا طبعَ له .  
وكان أنوشروان يقول : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات :  
[ طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطفِ واللين والإحسان ، و ] طبقة من  
خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم  
باللين والشدة ، لثلاث تُحرِّجهم الشدة ، ولا يُبطِّرهم <sup>(٢)</sup> اللين .

أنوشروان  
يبين سياسة  
لدولة

وقال واصل بن عطاء : ألا قاتل الله هذه السفلة ! تَوَادُّ مَنْ حَادَّ الله واصل بن عطاء  
ونبيّه ، وتحدّ من وادّ الله ونبيّه ، وتذمّ من مدحه الله ، وتمدح من ذمه الله ؛ يصف أخلاق  
على أنه بهم علم الفضل لأهل الطبقة العالية ، وبهم أعطيت الأوساط حظاً السفلة  
من النبل .

وقيل لبعض الملوك ، [ وقد بلغ في القدر ما لم يبلغه أحد من ملوك ما يبلغ أقصى  
زمانه ] : ما الذي بلغ بك هذه المنزلة ؟ قال : عَفَوِي عند قدرتي ، وليني  
عند شدّتي ، وبذلي الإنصاف ولو من نفسي ، وإبقائي في الحب والبغض مكاناً  
لموضع الاستبدال .

وقال الإسكندر لأحد الحكماء ، وأراد سفرّاً : أُرْسِدْنِي لأحزم أمرى . أحزم الرأي  
قال : لا تملأن قلبك من محبّة الشيء ، ولا يَسْتَوِلِينَ عليك بغضه ، واجعلهما  
قَصْداً<sup>(١)</sup> ؛ فإن القلب كاسميه ينزع ويرجع ، واجعل وزيرك التثبت ، وسَمِيرَكَ  
التيقّظ ، ولا تَقْدِم إلا بعد المشورة ؛ فإنها نعم الدليل ، فإذا فعلت ذلك ملكت  
قلوب رعيّتك .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : سوء الظن . قيل : فما الصواب ؟ قال : حكيم يصف  
المشورة . قيل : فما الرأي الذي يجمع القلوب على المودة ؟ قال : كَفٌّ بِذُول ،  
وبشر جميل . قيل : فما الاحتياط ؟ قال : الاقتصاد في الحبّ والبغض .

وسئل بزرجمهر : ما المروءة ؟ قال : تَرْكُ مَا لَا يَعْنِي . قيل : فما الحَزْم ؟ قال :  
اتِّهَازُ الْفُرْصَةِ . قيل : فما الحلم ؟ قال : العفو عند المقدرة . قيل : فما الشدة ؟ قال :  
ملك الغضب . قيل : فما الخرق ؟ قال : حب مُعْرِق ؛ وبغض مُفْرِط .

قال معاوية رضي الله عنه لزياد حين ولّاه العراق : يا زياد ؛ ليكن حبك  
وبغضك<sup>(١)</sup> قَصْداً ؛ فإن العثرة فيهما كامنة ، واجعل للنزوع والرجوع بقيّة من  
قلبك ، واحذر صَوْلَةَ الانهماك ، فإنها تؤدي إلى الهلاك .

(١) قصداً : أي بغير إفراط ولا تفريط

ومن كلام بلفاء أهل العصر في ذكر السلطان

للصاحب أبو القاسم صاحب : مَرَضَاةُ السُّلْطَانِ ، لَا تَقْلُو بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمَانِ ، وَلَا يَبْدُلُ  
الروح والجَنَان . تَهَيَّبِ السُّلْطَانِ فَرَضُوكَ وَكِيدَ ، وَحَتَمَ عَلَى مَنْ أُلْتُقِيَ السَّمْعَ  
وهو شهيد .

للصابي أبو إسحاق الصابي : الْمَلِكُ أَحَقُّ بِاصْطِفَاءِ رَجَالِهِ مِنْهُ بِاصْطِفَاءِ أُمُورِهِ ؛ لِأَنَّهُ  
مَعَ اتِّسَاعِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ لَا يَكْتَفِي بِالْوَحْدَةِ ، وَلَا يَسْتَفْنِي عَنِ الْكَثَرَةِ ؛  
وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْمُسَافِرِ فِي الطَّرِيقِ الْبَعِيدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَيْنُهُ بِفَرْسِهِ  
الْمَجْنُوبِ ، كَعَيْنِهِ بِفَرْسِهِ الْمُرْكُوبِ .

فصل للصابي : الْمَلِكُ بَيْنَ غُلُطٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَاتَّعَظَ أَشَدَّ انْتِفَاعًا مِنْهُ بِمَنْ لَمْ  
يَغْلُطْ وَلَمْ يَتَّعِظْ ؛ فَالْأَوَّلُ كَالْقَارِحِ <sup>(١)</sup> الَّذِي أَدْبَتَهُ الْغَرَّةُ ، وَأَصْلَحَتَهُ الْقَدَامَةُ ،  
وَالثَّانِي كَالْجَذَعِ الْمُتَهَوِّكِ <sup>(٢)</sup> الَّذِي هَوَّرَاكَ لِلْغَرَّةِ وَرَأَى بَنَ إِلَى السَّلَامَةِ .

وقيل : إِنْ الْعَظَمُ إِذَا جَبَرَ مِنْ كُفْرِهِ عَادَ صَاحِبُهُ أَشَدَّ بَطْشًا وَأَقْوَى أَيْدًى .  
أبو بكر الخوارزمي : لَا صَغِيرَ مَعَ الْوَلَايَةِ وَالْعِمَالَةِ ، كَمَا لَا كَبِيرَ مَعَ الْعُظَلَةِ  
وَالْبَطَالَةِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَلَايَةُ أَنْتَى تَصْغُرُ وَتَتَكَبَّرُ بِوَالِيهَا ، وَمُطَاقَةُ تَحْسُنُ وَتَقْبَحُ  
بِمُتَطِّقِهَا ، وَالصَّدْرُ لِمَنْ يَلِيهِ ، وَالذَّسْتُ لِمَنْ جَلَسَ فِيهِ ، وَالْأَعْمَالُ بِالْعَمَّالِ ، كَمَا  
أَنَّ النِّسَاءَ بِالرِّجَالِ .

فصل له : إِنْ وَلَايَةُ الْمَرْءِ ثَوْبُهُ ؛ فَإِنْ قَصُرَ عَرِي مِنْهُ ، وَإِنْ طَالَ عَثَرُ فِيهِ .  
قَلِيلُ السُّلْطَانِ كَثِيرٌ ، وَمُدَارَاتُهُ حَزْمٌ وَتَدْبِيرٌ ، وَمُكَاشَفَتُهُ غُرُورٌ وَتَغْيِيرٌ .

للبيسقي أبو الفتح البيسقي : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عَلَى السُّلْطَانِ مُدْلًا ، وَالْإِخْوَانُ مُدْلًا .  
أبو الفضل ابن العميد : الْإِبْقَاءُ عَلَى حَشَمِ السُّلْطَانِ وَعُمَلَاهُ عَدْلُ الْإِبْقَاءِ <sup>(٣)</sup>  
عَلَى مَالِهِ ، وَالْإِشْفَاقُ [ عَلَى حَاشِيَتِهِ وَحَشَمِهِ مِثْلُ الْإِشْفَاقِ عَلَى دِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ ] .

(١) القارح : الذي تمت قوته واستحكمت شدته ، وأصله في الإبل (م)

(٢) الجذع - بالتحريك - الحدث ، وأصله أيضاً في الحيوان (م)

(٣) هذا عدل هذا : أي مساويه ومكافئه (م)



وله من رسالة طويلة ، جواب لأبي شجاع عضد الدولة عن كتاب اقتضاه فيه صدرَ كتاب ألفه أبو الحسن الصوفي في نوع من علوم الهيئة .

أنا أقدم الإجابة بحمد الله تعالى جدّه ، على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لأهل الأرض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم الموهبة بإتفاق أعمارنا في زمانه ، حتى شاركناه في أسباب السعادة التي لم تزل مذكورة عليه ، حتى صارت إليه ، وساهمناه في موادّ الفضيلة التي لم تزل محفوظة له حتى انصلمت به ؛ فإن المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفات كل زمان منتسخة من سبجها سلطانها ؛ فإن فضل شاع الفضل في الزمان وأهله ، وتحلّى الدهر بأفضل حلّيته ، وتحلّى للعيون والقلوب بأحسن زينته ، وكسا بينه والناشئين فيه بشرف جوهره ، وأورثهم نبيل فضله ، وعزّ العلم وأهله ، وعرف لمقتبسه قدره ، وتوجّهت الأذهان نحوه ، وتعلّقت الخواطر به ، وصرفت الفكر فيه ، ونشدت ضوآله ، ونظم أشناته ، وجمعت أفرادُه ، ووثقت نفوسُ الساعين في استفادته بمُحسن عائده ، فحرصت عليه ، وصرفت نظرها إليه ، وأيقنت في بضاعتها بالنفاق ، وفي تجارتها بالإرفاق ؛ فصار ذلك إلى تماء العلوم وزيادتها داعية ، ولتكاثر قليلها وإيضاح مجهولها سببا وعلّة ، وإلى انخراط جواهرها المتفرقة في سلوك التصنيف سبيلا ، وإلى تقييد شواردها بعقل<sup>(١)</sup> التأليف طريقا . وإن رذل السلطان أثبتت الرذيلة اتباعا ، وذَهبتِ الفضائل ضياعا ، وبطلت الأقدار والقيم ، وسلبت الأخطار والهمم ، وزال العلم والتعلم ، ودّرس الفهم والتفهم ، وضرب الجهل بجحرانه ، ووطىء بمنسمه ، واستغلى الخمول على النباهة ، واستولى الباطل على الحق ، وصار الأدب وبالا على صاحبه ، والعلم نكالا على حامله . وبحسب عظيم الخنة بمن هذه صِفته ، والبلوى مع مَنْ هذه صورته ، تعظّم النعمة بمُلك سلطان عالم ، كالأمير الجليل عضد الدولة ، أطال الله تعالى بقاءه ، وأدام قدرته ، الذي أحله الله عزّ وجل من الفضائل بملتقى طرقها ومجتمع فرقها ، فهي نواذ من لاقت

(١) العقل : جمع عقال - بزنة كتاب وكتب - وهو في الأصل ما تربط به الدابة (م)

حتى تصير إليه ، وشوارِدُ نوازِعُ حيث حلت حتى تقع عليه ، تتلفت تلتفت  
الرامي ، وتتسوّفُ إليه تشوّفُ الصبّ العاشق ، قد ملكها أتى توجهت وحشة  
المضاع وحيرة المرتاع .

فإن تعشَ قومًا غيره أو تزُرْهم فكالوحش يُدْنِيها من الأنسِ المَحَلِّ (١)  
حتى إذا قابلته أسرعَ إليه إسراعَ السيلِ ينصبُّ في الحدور ، والطير ينقضُّ  
إلى الوكور .

وقال أبو الطيب المتنبي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الهممُ      أَخَذْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقِدَمُ (٢)  
وإِذَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ ، وَمَا      تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ  
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ      وَلَا يَهُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ  
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ      تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ  
يَسْتَخْشِنُ الْخَزْنَ حِينَ يَلْمَسُهُ      وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ الْقَلَمُ

لأبي الطيب  
المتنبي

وقال الزبير بن بكار : قَدِمَ ابْنُ مِيَادَةَ ، واسمه الرَّمَّاحُ بْنُ أْبَرْدَ ، زَائِرًا  
عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ عِنْدَهُ لَيْلَةً فِي سُمَارِهِ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ  
لأَصْحَابِهِ : إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أَتَزَوَّجَ فَايَغُوثِي أَيْمًا ، قَالَ ابْنُ مِيَادَةَ : أَنَا - أَصْلَحَكَ اللَّهُ -  
أَدْلَاكَ ، قَالَ : عَلَى مَنْ يَا أَبَا بَشَرٍ تَمِيلُ ؟ قَالَ : قَدِمْتُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فَلَمَّا  
قَدِمْتُ أَلْقَيْتُ الْمَسْجِدَ وَإِذَا أَشْبَهَ شَيْءٌ بِهِ وَبَيْنَ فِيهِ الْجَنَّةَ وَمَنْ فِيهَا ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي  
إِذْ قَادَتْنِي رَاحَةٌ رَجُلٍ عَطِرَ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَقَعَ بَصْرِي عَلَيْهِ اسْتَلْهَى حُسْنُهُ  
نَظْرِي ، فَمَا أَقْلَعْتُ نَظْرِي حَتَّى تَكَلَّمَ فَمَا زَالَ يَتَكَلَّمُ كَأَنَّمَا يَنْثُرُ دُرًّا ، وَيتلو  
زَبُورًا ، وَيَدْرُسُ إِنْجِيلًا ، وَيَقْرَأُ فُرْقَانًا ، حَتَّى سَكَتَ ، فَلَوْلَا مَعْرِفَتِي بِالْأَمِيرِ  
مَا شَكَّكَ أَنَّهُ هُوَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مُصَلَّاهُ إِلَى دَارِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ

بين ابن ميادة  
وعبد الواحد  
ابن سليمان

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة لمسلم بن الوليد (٢) العافى : المنزل الدارس

من الحسن بمكانة ، وأنه للخليفين ، وأنه قد نالتة ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ساطع من غرته ؛ فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد ، وجاب ذكروه البلاد .

فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضر : ذلك محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان رضى الله تعالى عنه لفاطمة بنت الحسين بن علي رضى الله عنهم ، وقال ابن ميادة :

لهم سيرة لم يعطها الله غيرهم وكل قضاء الله فهو مقسم  
هذا في تقابل نسبه ، وكال منصبه ، كقول عوف القوافي في طلحة بن عبد الله الزهرى :

يُصمُّ رجالٌ حين يدعون للندى ويدعون ابن عوف للندى فيجيب  
وذاك امرؤ من أئ عطفية يلتفت إلى المجد يحوى المجد وهو قريب

وعبد الواحد بن سليمان هذا هو الذى يقول فيه القطامى :  
أقول للحرف لما أن شكت أصلا طول السفار وأفنى نيهما الرجل (١)

إن ترجى من أبى عثمان منجحة فقد يهون على المستنجد العمل  
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا تخطأ عبد الواحد الأجل

ومن قول القطامى : « إن ترجى من أبى عثمان منجحة » أخذ الآخر قوله :  
إذا ما تَعَنَّى المرء فى إثر حاجة فأنجح لم يثقل عليه عناؤه

وهو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، قال الكلبي : هو عبد الواحد ابن الحارث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، والأول قول ابن السكيت .

نسب  
عبد الواحد

والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجودِ قوله ، وفيها يقول مما يتمثل به :  
 والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرأ به عَيْنٌ ولا حالٌ إلا سوف يَنْتَمِلُ  
 والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له ما يَشْتَهِي ولأُمِ الخطيئة الهَبْلُ (١)  
 قد يُدْرِكُ المتأَنَّى بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المستعجل الزَّلَلُ  
 قوله : « والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له » مأخوذٌ من قول المرقش :  
 وَمَنْ يَلْقَى خيراً محمدُ الناسُ أمرُهُ وَمَنْ يَعُوْ لا يَعدَمُ على الغنى لأما

وقال عمرو بن سعيد للأخطل : أيسرك أن لك بشرك شعراً ؟ قال : لا ،  
 ما يسرني أن لي بقولي مقولاً من مقأويل العرب ، غير أن رجلاً من قومي قال  
 أبياتاً حسنة عليها ، وإيم الله ، إنه لمُعْذِفُ القناع ، ضيقُ الذراع ، قليلُ السماع ،  
 قال : وَمَنْ هو ؟ قال : القطامي ، قال : وما هذه الأبيات ؟ فأنشد له يَصِفُ إبلا  
 من هذه القصيدة :

منزلة  
شعر  
القطامي

يمشِين رَهْواً فلا الأعْجَازُ خاذِلَةٌ ولا الصدورُ عَلَى الأعْجَازِ تَتَكَلَّمُ (٢)  
 فَيَنْ مَعْتَرِضَاتٍ وَالْخَصَا رَمَضُ وَالرَّيْحُ سَاكِنةٌ وَالظِّلُّ مَعْتَدِلُ (٣)  
 يَتَبَعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبلُ

[ نغم الألفاظ ونغم الألحان ]

قال أبو العتاهية لمخارق : أنت بنغم ألفاظك دون نغم ألحانك ، تُطْرِبُ  
 إذا تسكمت ، فكيف إذا ترنمت !

بين مخارق  
وأبي العتاهية

وقال له يوماً : يا حكيم هذه الأقاليم ؛ أصبُبُ في هذه الأذان من جيد  
 تلك الألحان ، فأقسم لو كان الكلام طعاماً ، لكان غناؤك له إداماً .

(١) الخطيئة : الذي أخطأه الغنى ونحوه ، والهبل - بالتحريك : الشكل (م)

(٢) الرهو : السير السهل (٣) رمض : حار - من الرمضاء (م)

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلتُ على المعتصم يوماً وقد خلا ، وعنده إسحاق الموصلي جارية تُعَنِّيهِ ، وكان معجباً بها ، فلما جلست قال لي : يا أبا إسحاق ، كيف تراها ؟  
قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تقهره بحذق ، وتحتله برفق ، ولا تخرج من حسن إلا إلى أحسن منه ، وفي حلقة شذور نغم أحسن من دوام النعم ، قال : يا إسحاق ؛ هن غايات الأمل ، ومُنْسيات الأجل ، والنقم الداخل ، والشغل الشاغل ، وإن صِفْتَكَ هذه لو سمعها مَنْ لم يَرَهَا لفقد لُبَّهُ ، وقَضَى نَحْبَهُ .

وسُئِلَ إسحاق عن المجيد من المغنين ، فقال : مَنْ لَطَفَ في اختلاسه ، وتمكَّن من أنفاسه ، وتفرَّع في أجناسه ، يكادُ يَعْرِفُ صَمَائِرَ مُجَالِسِيهِ ، وشهواتِ مُهْشِرِيهِ ، يَقْرَعُ مسمِع كلِّ واحد منهم بالنحو الذي يُوَافِقُ هَوَاهُ ، وَيُطَابِقُ مَعْنَاهُ .

وكان إسحاق بن إبراهيم قد جمع إلى حَذْوِهِ بصنَاعَتِهِ حُسْنَ التصرف في العلوم ، وجَوْدَةَ الصنعة للشعر ، وَحَدَّثَ عن نفسه فقال : كُتِبَ أيام الرشيد أبكر إلى هُشَيْمٍ ووَكيعٍ فأُسمعُ منهما ، ثم أنصرفت إلى عاتكة بنت شهيد ؛ فَخَطَارِحُنِي صَوْتَيْنِ ، ثُمَّ أَصِيرُ إِلَى زَلْزَلِ الضاربِ فَأَخْذُ مِنْهُ طَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ أُسِيرُ إِلَى مَنْزِلِي فَأُبْعَثُ إِلَى أَبِي عبيدة والأصمعي ، فلا يَزَالَانِ عِنْدِي إِلَى الظهر ، ثُمَّ أَذْهَبُ إِلَى الخليفة .

ونزل أبوه بالموصل وليس من أهلها فنُسِبَ إليها ، وهو مولى خزيمه بن خازم<sup>(١)</sup>

التميمي ، وفي ذلك يقول إسحاق :

إذا مضى الحمراء كانت أرومتي وقام بنضري خازم وابن خازم

عطستُ بأنفي شامخاً وتناولتُ بنائي الثريا قاعداً غير قائم

وفيه يقول محمد بن عامر الجرجاني يرثيه :

على الجدث الشرقى عوجاً فسأما ببغداد لما ضدَّ عنه عوائده

أإسحاق لا تبعد ، وإن كان قد رمى بك الموت رمي ليس يصدر وارده

متى تأتته يوماً تحاولُ منفساً من الدين والدنيا فإنك واجده

(١) في نسخة « خزيمه بن أبي حازم التيمي »

إذا هزل اخضرت فروعُ حَدِيثِهِ      ورقت حَوَاشِيهِ وطابت مشاهدُهُ  
وإن جَدَّ كان القولُ جِدًّا وأقسمت      مخرجه ألاّ تَليْنِ شَدائدُهُ  
ومن جَدِّ شعر إسحاق قصيدته      في إسحاق بن إبراهيم المصعبي بعد  
إيقاعه بالخرمية :

تَقَضَّتْ لَبَانَاتُ وَجَدِّ رَحِيلُ      ولم يُشَفَّ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيلُ  
وَمُدَّتْ أَكْفٌ لِلْوَدَاعِ فَصَافَحَتْ      وفاضت عيونُ للفراقِ تَسِيلُ  
وَلَا بَدَّ لِلْأَلَّافِ مِنْ فَيْضِ عَبْرَةٍ      إذا ما خَلِيلُ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ<sup>(١)</sup>  
فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ      أو أنسُ لَا يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ<sup>(٢)</sup>  
غَدَاةً جَعَلَتْ الصَّبْرَ شَيْئًا نُسِيَتْهُ      وأعولتُ لو أَجْدَى عَلَى عَوِيلُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَمْ أَنْسَ مِنْهَا نَظْرَةً هَاجَ لِي بِهَا      هَوًى مِنْهُ بَادٍ ظَاهِرٌ وَدَخِيلُ  
كَمَا نَظَرْتُ حَوْرَاهُ فِي ظِلِّ سِدْرَةٍ      دَعَاها إِلَى ظِلِّ الْكِينَاسِ مَقِيلُ  
فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ تَلَا فَا هَ أَيْتَقُ<sup>(٤)</sup>      عِتَاقَ نَمَاهَا شَدَقَمَ وَجَدِيلُ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا قَلْبَتْ أَجْفَانُهَا بِنَنُوفَةٍ      طوى البعدَ منها هَزَّةً وَذَمِيلُ<sup>(٥)</sup>  
تَقَرَّدَ إِسْحَاقُ بِنُصْحِ أَمِيرِهِ      فليس له عِنْدَ الإِمَامِ عَدِيلُ  
يَفْرَجُ عَنْهُ الشُّكَّ صِدْقُ عَزِيمَةٍ      وَلُبٌّ بِهِ يَمْلُؤُ الرِّجَالَ أَصِيلُ  
أَغْرَّ بِجَيْبِ الْوَالِدَيْنِ كَأَنَّهُ      حَسَامٌ جَلَّتْ عَنْهُ الْعِيُونُ صَقِيلُ  
بَنَى مُضْعَبٍ لِلْمَجْدِ فَيْكَمْ إِذَا بَدَتْ      وجوهكمُ لِلنَّاطِرِينَ دَلِيلُ  
كُرُمْتُمْ فَمَا فَيْكَمْ جَبَانٌ لَدَى الْوَعْيِ      وَلَا مِنْكُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ بَخِيلُ  
غَلَبْتُمْ عَلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ فَرَأَقَكُمْ      ثَنَاءً بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ جَمِيلُ

(١) الألف : جمع آلف ، وبان عنه : فارقه ، والخليل : الصديق (م)

(٢) طل - بالبناء للجهول - أهدر ، والأوانس : جمع آنسة ، وهى التى

يؤنس إليها ، ولا يودى قتيلهن : لا تعطى ديتة (م) (٣) أعولت : بكيت (م)

(٤) شدقم وجديل : خلان من خولة الإبل المعروفة ، كانا للنعمان بن المنذر (م)

(٥) التنوفة : الصحراء المترامية الأطراف ، والذميل : ضرب من السير السريع (م)

إذا استكثر الأعداء ما قلت فيكم فإن الذي يستكثرون قليل

وهذا نمط الخذاق الفحول ، وقال :

ومدرجة للريح غبراء لم يكن ليَجْشَها زُميلةٌ غير صَارِمٍ (١)  
يَضِلُّ بها السارى وإن كان هادياً وتقطعُ أنفاسَ الرياحِ النَّوَاسِمِ  
تعسفت أبرى جَوْزها بِسَمِلَةٍ بعيدة ما بين العرى والمجازمِ (٢)  
كأنَّ شرارَ المرو من نَبَذها به نجومٌ هوت إحدى الليالى العواثِمِ (٣)  
إذا خَمَمها والسَّفر ليلٌ فغيبت دياجيرهم رءوس المعالمِ  
تنادوا فاصاروا تحت أكنافِ رَحْلِها ليهديهم قدحُ الحصى بالمنايسِمِ  
وقال :

ولما رأينَ البينَ قد جدَّ جدُّه ولم يبقَ إلَّا أن تبينَ الركائبُ  
دنونا فلمنا سَلاماً مُخالِساً فردَّت علينا أعينٌ وحواجِبُ  
تصدُّ بلا بُغْضٍ ونُحْلَسَ لمحَّةً إذا غفلت عنا العيونُ الرواقِبُ  
نُذاد إذا حَمْنَا لنشقى غلَّةً كما زِيدَ عن وِردِ الحياضِ الغرائبُ  
وما أحسن ما قال أبو العباس الناشيء في هذا المعنى :

ولما رأينَ البينَ زُمَّتْ رِكابهُ وأيقنَّ منّا بانقطاعِ المطالبِ  
طلبين على الرِّكبِ المجدِّينَ عِلَّةً فمَجُنَّ علينا من صدور الركائبِ  
فلما تلاقينا كَتَبْنِ بَأْعَيْنِ لَنَا كُتُباً أعْجَمْنَهَا بالحواجِبِ  
فلما قرأناهُنَّ سِرّاً طَوَيْنَهُنَّا حِذارِ الأعادى بازِوَرائِ المناكبِ  
وقال إسحاق :

ألا من لقلبٍ لا يزالُ رَمِيَّةً لِلْمَحَّةِ طَرْفٍ أو لكسرةٍ حَاجِبِ

(١) مدرجة للريح : مكان هبوبها ، وأراد الصحراء ، والزُميلة : الجبان (م)

(٢) تعسفت : قطعت ، وجوزها : وسطها ، والشِملة : الناقة السريعة (م).

(٣) اللرو : حجارة بيض براقه تورى النار إذا قدحت (م)

وللخمر اللاتي تساقط لوشها فتور الخطا عن واري دات الذوائب

[ استطراد في ذكر جمال الذوائب ]

وعلى ذكر الذوائب قال ابن المعتز :

لابن المعتز

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا      شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ  
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالْذُّجْنِ      وَخَمَرَيْنِ مِنْ رَاحٍ وَخَدٍّ حَيْبٍ

لابن النطاح

وقال بكر بن النطاح :

بِضَاءٍ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ شَعْرَهَا      وَتَغِيبُ فِيهِ وَهْوٌ جَثْلٌ أَسْتَمُ<sup>(١)</sup>  
فَكَانَهَا فِيهِ نَهَارٌ مَبْصُرٌ      وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ لَهَا عَلَيْهَا مَظْلُمٌ  
وقال المتنبي :

للمتنبي

نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا      فِي لَيْلَةٍ فَأَرَّتْ لِيَالِي أَرْبَعًا  
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا      فَأَرَّتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا  
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

وَفَاحِمٍ وَازِدٍ يُقْبَلُ تَمْدُ — شَاهِ إِذَا اخْتَلَّ مُسْبِلًا غُدْرَهُ<sup>(٢)</sup>  
أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ فِي مَفَارِقِهِ      مِنْحَدِرًا لَا يُرَامُ مِنْحَدْرُهُ  
حَتَّى تَنْهَى إِلَى مَوَاطِنِهِ      يَلْتَمُ مِنْ كُلِّ مَوْطِئٍ عَفْرَهُ  
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَغْفًا      حَتَّى قَضَى مِنْ حَبِيْبِهِ وَطْرَهُ  
يُبْشِي غَوَاشِي قُرُونِهِ قَدَمًا      بِيضَاءٍ لِلنَّاسِاطِرِينَ مُقْتَدِرَهُ  
مِثْلَ الثَّرْيَا إِذَا بَدَتْ سَحْرًا      بَعْدَ غَمَامٍ وَحَاسٍ حَسْرَهُ

أخذه بعض أهل العصر - وهو محمد بن مطران - فقال :

لمحمد

ابن مطران

(١) الشعر الجثل - بالفتح - الكثير اللين، ويروي «وهو وحف» وهو الأسود

الكثيف (م).

(٢) غدره - بضم الغين والدال جميعاً : جمع غديرة ، والغديرة : الذؤابة ،

وتجمع على غدائر (م)



ظِلَاءَ أَعَارَتَهَا الطَّبَا حُسْنَ مَشْيِهَا      كَمَا قَدْ أَعَارَتَهَا الْعَيُونَ الْجَلَا ذِرُ  
فِي حُسْنِ ذَاكَ الشَّيْ قَامَتْ قَبَّلَتْ      مَوَاطِيءُ مِنْ أَقْدَامِهِنَّ الْغَدَاثُ

وقال مسلم بن الوليد :

أَجْدَلُكَ هَلْ تَدْرِيْنَ أَنَّ رُبَّ لَيْلَةٍ      كَانَ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ  
نَصَبَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ      كَغُرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

[ وَخُدَّةِ الْقَصِيدَةِ وَانْسَاقِهَا ]

قال الخاتمي : مثلُ القصيدةِ مثلُ الإنسانِ في اتِّصَالِ بعضِ أعضائه ببعض ؛  
فتمتُّ انفصلَ واحدٌ عن الآخرِ وَبَيَّنَهُ في صِحَّةِ التَّركيبِ ، غادرَ الجِسْمَ ذَا عَاهَةٍ تَتَخَوَّنُ<sup>(١)</sup>  
محاسنه ، وَتُعْتَقِي معالِمه ؛ وقد وجدتُ حُذَاقَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَرْبَابَ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ  
يُخْتَرِسُونَ في مثلِ هذا الحَالِ احتِرَاسًا يَحْتَنِبُهُمْ شَوَائِبُ النِّقْصَانِ ، وَيَقِفُ بِهِمْ عَلَى  
مُحَاجَّةِ الْإِحْسَانِ ، حَتَّى يَقَعَ الْإِتِّصَالُ ، وَيُؤَمِّنُ الْإِنْفِصَالَ ، وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ فِي تَنَاسُبِ  
صُدُورِهَا وَأَعْجَازِهَا وَانْتِظَامِ نَسِيبِهَا بِمُدِيحِهَا كَالرَّسَالَةِ الْبَلِيغَةِ ، وَالْخُطْبَةِ الْمَوْجِزَةِ ،  
لَا يَنْفَصِلُ جُزْءٌ مِنْهَا عَنْ جُزْءٍ ، وَهَذَا مَذْهَبُ اخْتِصَاصِ بِهِ الْمُحَدِّثُونَ ؛ لِتَوْقُذِ خَوَاطِرِهِمْ ،  
وَلُطْفِ أَفْكَارِهِمْ ، وَاعْتِمَادِهِمُ الْبَدِيعَ وَأَفَانِيَتِهِ فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَكَأَنَّهُ مَذْهَبُ سَهْلَوَا  
جَزَنَهُ<sup>(٢)</sup> ، وَنَهَجُوَارِ سَمِهِ ؛ فَأَمَّا الْفُحُولُ الْأَوَائِلُ ، وَمَنْ تَلَاَهُمْ مِنَ الْخَضِرَمِينَ  
وَالْإِسْلَامِيِّينَ فَذَهَبُهُمُ الْمُتَعَالَمُ « عَدَّ عَنْ كَذَا إِلَى كَذَا »<sup>(٣)</sup> وَقَصَارَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
وَصَفُّ نَاقَتِهِ بِالْعَتَقِ ، وَالنَّجَابَةِ وَالنَّجَاءِ ، وَأَنَّهُ امْتَنَّتْهَا ؛ فَادَّرَعَ عَلَيْهَا جِلْبَابَ  
الْأَلِيلِ ؛ وَرَبَّمَا اتَّفَقَ لِأَحَدِهِمْ مَعْنَى لَطِيفٍ يَتَخَلَّصُ بِهِ إِلَى غَرَضٍ لَمْ يَتَعَمَّده إِلَّا أَنْ  
طَبِعه السَّليْمُ ، وَصِرَاطُهُ فِي الشَّعْرِ الْمُسْتَقِيمِ ، نَصَبَا مَنَارَهُ<sup>(٤)</sup> . وَأَوْقَدَا بِالْفِغَاقِ نَارَهُ ؛  
فَرَيْنَ أَحْسَنَ مُخَلِّصٍ شَاعِرٍ إِلَى مَعْتَمِدِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذَّيْنَانِي .

(١) تتخول محاسنه : تنتقصها (م) (٢) الحزن : ضد السهل (م)

(٣) من ذلك قول زهير بن أبي سلمى عند التخلص بعد النسيب :

دع ذا ، وعد القول في هرم خير البداة وسيد الحضرة (م)

(٤) في نسخة « نضى تياره ، وأوقد باليفاق ناره » (م)

فكففتُ مَنَى عَنَزَةٍ فَرَدَدْتُهَا      عَلَى النَّحْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعُ  
 عَلَى حِينِ عَاتَبْتُ الشَّيْبَ عَلَى الصَّبَا      وَقُلْتُ : أَلَمَّا أَضْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ  
 وَقَدْ حَالَ هَمْ دُونَ ذَلِكَ شَاغِلُ      مَكَانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ  
 وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ      أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضُّوَاجِعُ

وهذا كلام متناسخ<sup>(١)</sup> تقتضى أوائله وأخيره ، ولا يتميز منه شيء عن شيء :  
 أَتَانِي ، أَيْتَ اللَّعْنِ ، أَنْكَ لُمْتَنِي      وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ  
 مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قُلْتَ سَوْفَ أَنَالَهُ      وَذَلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ

ولو توصل إلى ذلك بعض الشعراء المحدثين الذين واصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا  
 أبواب البديع ، واجتنبوا ثمر الآداب ، وفتحوا زهر الكلام لكان معجزا عجبا ،  
 فكيف بجاهل بدوي إنما يعترف من قليب قلبه ، ويستمد غفوا هاحسه .

وقال علي بن هارون المنجم عن أبيه : لم يتوصل أحد إلى مدح بمثل قول  
 [ ابن ] وهيب :

ما زال يُبْلِثُنِي مِرَاشِفُهُ      وَيُعِثُّنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدَحُ  
 حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خُلْعَتَهُ      وَبَدَأَ خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ<sup>(٢)</sup>  
 وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَن غَرَّتَهُ      وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وقال علي بن الجهم :

وَلَيْسَ لِي كَحَلَّتْ بِالنَّفْسِ مُقْلَتَهَا      أَلْقَتْ قِنَاعَ الدُّجَى فِي كُلِّ أَخْدُودِ<sup>(٣)</sup>  
 قَدْ كَادَ يُغْرِقُنِي أَمْوَاجُ ظُلْمَتِهَا      لَوْلَا اقْتِبَاسِي سَنَاءَ وَجْهِ ابْنِ دَاوُدِ  
 قَوْلُهُ : « كَحَلَّتْ بِالنَّفْسِ مُقْلَتَهَا » مأخوذ من قول أعرابي : « والليل قد

صَبَغَ الْحَصَى بِمِدَادٍ » .

(١) لعله « متاسخ » (م) (٢) الوضع : الياض (م)

(٣) النفس ، بالكسر : اللداد

وقد أخذ هذا أبو نواس فقال :

أَبْنِ لِي كَيْفَ صِرْتُ إِلَى حَرِيْمِي وَجَفَنُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ  
وقد أخذ هذا أبو تمام فقال :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِأَمْدٍ  
وقد أخذ لفظ الأعرابي المتقدم أبو نواس فقال :

قَدْ أَغْتَدَى وَاللَّيْلُ كَالْمِدَادِ وَالضَّبْحُ يَنْفِيهِ عَنِ الْبِلَادِ  
طرد المشيبِ حَالِكِ السَّوَادِ

وإنما نظَرَ في هذا إلى قول الأعرابي<sup>(١)</sup> :

أَقُولُ وَاللَّيْلُ قَدْ مَالَتْ أَوَاخِرُهُ إِلَى الْغُرُوبِ : تَأَمَّلْ نَظْرَةً حَارِ  
أَلْحَةً مِنْ سَنَا بَرَقِي رَأَى بَصْرِي أَمْ وَجْهَ نُفْعٍ بَدَأَ لِي أَمْ سَنَا نَارِ  
بَلْ وَجْهَ نُفْعٍ بَدَأَ وَاللَّيْلُ مُفْتَكِرٌ فَلَاحَ مَا بَيْنَ حُجَّابٍ وَأَسْتَارِ  
ومن بدیع الخروج قول علي بن الجهم وذكر سحابة :

وَسَارِيَةٌ تَزْدَارُ أَرْضًا بِجُودِهَا شَقَلَتْ بِهَا عَيْنَا طَوِيلًا هَجُودُهَا<sup>(٢)</sup>  
أَتَنَّا بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا فَتَاةٌ تَرْجِيهَا عَجُوزٌ تَقُودُهَا  
فَمَا بَرَحَتْ بَغْدَادَ حَتَّى تَفْجَرَتْ بِأَوْدِيَةٍ مَا تَسْتَفِيقُ مَدُودَهَا [   
أَقْضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ أَتَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدُهَا  
مَرَّتْ تَفُوتُ الطَّيْرَ سَبْقًا كَأَنَّمَا جُنُودُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَلَّتْ بُنُودُهَا

يريد انصراف أصحاب عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى إلى سر من رأى  
عند قتل المتوكل . وقد أخذ هذا التشبيه معكوساً من قول أبي العتاهية :

وَرَايَاتُ يَحْمَلُ النُّصْرُ فِيهَا تَمُرُّ كَأَنَّمَا قَطَعَ السَّحَابِ

(١) الأبيات السابقة ، وقد رواها له صاحب الجهرة ، وهي في ديوانه ( م )

(٢) السارية : السحابة ، وتزدار : تطلب الزيارة ، والجود : المطر ( م )

وقال ديك الجن :

وغرير يقضى بحكمين : في الرا ح مجور ، وفي الهوى بمحال  
للتفارد دفة ، وللخوط ما حُمِّلَ لينا ، وجيده للغزالي<sup>(١)</sup>  
فعلت مُقلَّته بالصَّبِّ ما تفعل جدوى يدَّيك بالأموال  
ومن بارع الخروج قول المتنبي :

مرت بنا بين ترَّيها فقلت لها : من أين جئت هذا الشاذن العربا  
فاستضحكت ثم قالت كالغيث يرمى ليث الشرى وهو من عجل إذا اتسبا  
واشتهار شعره ، ينملى من ذكره .

[ السر في الابتداء بالنسيب ]

قال ابن قتيبة<sup>(١)</sup> : سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما  
ابتدأ بوصف الديار والدَّمن والآثار ؛ فبكى وشكا ، وخاطبَ الربع ، واستوقف  
الرفيق ؛ ليَجعلَ ذلك سبباً لذكر أهله الطاعنين ؛ إذ كانت نازلة العمد في الحلول  
والظمن على خلاف ما عليه نازلة المدر ؛ لا تتقاهم من ماء إلى ماء ، وانتجاعهم  
الكلاء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ؛ ثم وصل ذلك بالنسيب ، فبكى  
شدة الوجد ، وألم الصبابة والشوق ؛ لِيُميلَ نحوه القلوب ، ويضرب إليه الوجوه ،  
ويستدعى إصغاء الأسماع ؛ لأن النسيب قريب من النفوس ، لا نط بالقلوب<sup>(٢)</sup> ،  
لما جعل الله تعالى في تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس أحد  
يخلو من أن يكون متعلقاً منه يسبب ، وضارباً فيه بسهم ، حلال أو حرام . فإذا  
استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ؛ عَقَبَ بإيجاب الحقوق ؛ فرحل في شعره ،  
وشكا النَّصَبَ والسهر ، وسرى الليل [ وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير ،

(١) النقا : كتيب الرمل ، والخطوط - بالضم - الغصن الناعم الرقيق (م)  
(٢) اختصر المؤلف هذا الفصل من مقدمة كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (م)  
(٣) لا نط بالقلوب : لاصق بها (م)

فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمام التأميل [ ، وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح فبعثه على المكافاة ، وفضّله على الأشباه ، وصغّر في قدره الجزيل ، وهزّه لفعل الجليل ؛ فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً أغلب على الشعر ، ولم يطل فيميل السامعين ، ولم يقطع وفي النفوس ظمناً إلى المزيد .

### [ موازنة بين أبي تمام والبحتري ]

ويتعلق بهذه القطعة ما حدث به الحاتمي عن نفسه ، وإن كانت الحكاية طويلة فهي غير ممولة ؛ لما لبسته من حُلل الآداب ، وتزينت به من حُلّ الألباب ، قال : جمعي ورجلا من مشايخ البصرة ممن يؤمّأ إليّ في علم الشعر مجلسُ بعض الرؤساء ، وكنت خبره قد سبق إليّ في عصبيته للبحتري ، وتفضيله إياه على أبي تمام ، ووجدت صاحب المجلس مؤثراً لاستماع كلامنا في هذا المعنى ، فأنشأتُ قولاً أنحيتُ فيه على البحتري إنحاءً أسرفتُ فيه ، واقتدحتُ زنادَ الرجل ، فتكلّم وتكلّم ، وخُضنا في أفانين من التفضيل والمائلة ، غلوتُ في جميعها غلواً شهدته جميع من حضر المجلس ، وكانوا جبهة الوقت ، وأعيان الفضل ، فاضطر إلى أن قال : ما يحسن أبو تمام بيتدي ، ولا يخرج ، ولا يجتم ، ولو لم يكن للبحتري عليه من الفضل إلا حسن ابتداءاته ، ولطفُ خروجه ، وسرعة انتهائه ، لوجب أن يقع التسليمُ له ، فكيف بأوابده التي تزدادُ على التكرار غَضارةً وجدةً ثم أقبل علىّ ، فقال : أين يُذهب بك عن ابتداءه :

عارضنّا أصلاً قلنا الرّبُّ حتى أضاء الأقحوان الأشنب<sup>(١)</sup>  
واخضر مَوْشَى البرودِ وقد بداً منهن ديباجُ الحدودِ المذهبُ

(١) الأصل : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى الغروب ، والربّ : جماعة البقر الوحشية ، والأقحوان : نبت له زهراً أحمر تشبه به اللثا ، والأشنب : وصف من الشنب — بفتح الشين والنون مسوّهى رقة وعدوبة وبرد في الأسنان (م)

وأنى لأبى تمام مثل خروجه حيث يقول :

أدارهم الأولى بدارة جلجل سقاك الحيار وحاته وبواكره<sup>(١)</sup>  
وجاءك يحكى يوسف بن محمد فروتتك ريتاه وجادك ماطره  
وقد كرر هذا وزاد فيه فقال :

تنصب البرق مختالا فقلت له : لوجدت جود بني زردان لم يزيد  
ومن ذا الذى لطف لأن يخرج من وصف روض إلى مدح ، فقال أحسن  
من قوله :

كان سناها بالعشى لصحبها تبلج عيسى حين يلفظ بالوعد<sup>(٢)</sup>  
وأنى لأبى تمام مثل حسن انتهائه حيث يقول :

إليك القوافى نازعات شواردا يسير ضاحي وشيها ويئتم  
ومشرفة في النظم غرا يزيدوها بهاء وحسنا أنها لك تنظم  
وقوله في هذا المعنى :

ألسب الموالى فيك نظم قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما  
ثناء تحال الروض فيه منورا ضحى ، وتحال الوشى فيه منما  
ولقد تقدم البحترى الناس كلهم في قوله :

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لسمى إليك المنبر  
قال أبو على : وكنت ساكنا إلى أن استم كلامه ، فكان الجماعة أعجبهم  
ذلك ، عصية على لا على أبى تمام ؛ لأننى كنت كالشجى معترضا فى هوانهم ،  
وأمر كل واحد منهم إلى صاحبه سرا يومى به إلى استيلاء الزجل على ؛ فلما  
استم كلامه وبرقت له بارقة طمع فى تسليمى له ابتدأت فقلت : لست ممن

(١) الحيا : انظر (م)

(٢) سناها . ضوءها ، وتبلغه : إشراق وجهه (م)

يَقْتَعُّهُ لَه بِالشَّانِ ، وَلَا يُقَرَّعُ لَهُ بِالْعَصَا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! اسْتَنْتَ الْفَصَالَ حَتَّى الْقَرَعَى ! هَلْ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا عَوْنٌ مُقْتَرَعَةٌ <sup>(١)</sup> ، قَدْ تَقَدَّمَ أَبُوتَامَ إِلَى سَبْكٍ نَضَارَهَا ، وَافْتِضَاضَ أَبْكَارَهَا ، وَجَرَى الْبَحْتَرَى عَلَى وَتِيرَتِهِ فِي انْتِزَاعِ أَمْثَالِهَا وَاتِّبَاعِهَا ، فَأَمَّا قَوْلُهُ : « عَارِضُنَا أَصْلًا فَقُلْنَا الرَّبِّب » ، فَمِنْ قَوْلِ أَبِي جُوَيْرِيَةَ الْعَبْدَى :

سَلَّمْنِ نَحْوَى لِلْوَدَاعِ بِمَقْلَةٍ فَكَأَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْنَا الرَّبِّبَ  
وَقَرَأْنَ بِالْحَدَقِ الْمِرَاضِ تَحِيَّةً كَادَتْ تَكَلِّمُنَا وَإِنْ لَمْ تُعَرِّبْ  
وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الْغَيْثِ مَخَاطِبًا لِلدَّارِ : « وَجَاءَكَ يَحْكِي يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ »  
وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى : « لَوْجَاتُ جُودِ بَنِي يَزْدَانَ لَمْ تَزِدْ » فَمِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامَ :

وَلِنُؤْيِيهَا فِي الْقَلْبِ نُؤْيُ شَقَّةً وَآهٌ بَظَاعِنَهَا وَبِالْمُتَخَلِّفِ  
وَكَأَنَّمَا اسْتَسْقَى لَهْنَ مُحَمَّدٌ مِنْ سَوْمِهِنَّ مِنَ الْحَيَا فِي زُخْرَفِ  
وَمِنْ قَوْلِهِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ لَفْظًا رَشِيقًا وَمَعْنَى رَقِيقًا <sup>(٢)</sup> .

دِيمَةً سَمَّحَةُ الْقِيَادِ سَكُوبُ مُسْتَغِيثُ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ  
لَوْسَعَتْ بَقْعَةً لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ  
وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْبَحْتَرَى : « لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ » :

[أَيُّهَا لَمِثٌ حَتَّى أَهْلًا بِمَقْدَاكَ وَعِنْدَ السَّرَى وَحِينَ تَتُوبُ  
لَأَنِّي جَعَفَرُ خَلَائِقِ تَحْكِيمِهِنَّ قَدْ يَتَّبِعُهُ النَّجِيبُ النَّجِيبُ  
أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيبٌ وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبٌ] <sup>(٣)</sup>  
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشَى لِصَحْبِهَا تَبَلَّجُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ  
فَإِذَا نَظَرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِ دِعْبِلِ بْنِ عَلِي :

وَمِثْنَاءُ خُضْرَاءَ زُرِّيَّةٍ بِهَا النَّوْرُ يَلْمَعُ فِي كُلِّ فَنٍ <sup>(٤)</sup>

(١) العون من النساء : غير البكر (م) (٢) هذه الأبيات من قصيدة أبي تمام  
وليس ثابتة في أكثر نسخ زهر الآداب (م)  
(٣) الميثاء من الأرض : السهلة اللينة ، وزرية : قد اخضر نبتها واصفر واحمر (م)

ضحوكا إذا لاعتبته الرياح      تأوّد كالشارب المرجح  
فشبهه صحبي سنا نورها      بديباج كسرى وعصب اليمين  
فقلت : بهدتم ، ولكنني      أشبهه بجناب الحسن  
فني لا يرى المال إلا العطاء      ولا الكنز إلا اعتقاد المئنة

وأما قوله في صفة الغواني « يسير ضاحي وشيها وينعم » وقوله في وصفها :  
« ونخال الوشي فيه منمنما » فمن قول أبي تمام :

حلوا بها عقد النسيب ، ونمننوا      من وشيها نثراً لها وقصيذا  
ومن قوله الذي أبدع فيه :

والله لا أنفك أهدي شوارداً      إليك تحمّلن الثناء المنخل<sup>(١)</sup>  
تخال به برّداً عليك محبّراً      وتحسبه عقداً عليك مفضّلاً  
ألدّ من السلوى وأطيب نفحةً      من المسك مفتوقاً وأيسر مَحْمَلاً  
أخفّ على قلبي وأثقل قيمةً      وأقصر في قلب المجلس وأطولاً

وقول البحتري \* هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما \* مأخوذ من قول أبي  
تمام مقصراً عنه كلّ تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول :

أصيحّ نستمع حرّ القوافي ؛ فإنها      كواكبُ إلاّ أنهنّ سُعودُ  
ولا تمكن الإخلاق منها فإنما      يلدُّ لباسُ البردِ وهو جديدُ

فهذه خصال صاحبك فيما عدته من محاسنه التي هتكت بها ستور عوّاره ،  
ونشرت مطوى أسرارهِ ، حتى استوضحت الجماعة أنّ إحسانه فيها عارية مرتجعة ،  
ووديعه منتزعة ، فاسمع ما قال أبو تمام في نحو أبياتك التي أوجبت الفضل لصاحبك  
حين قال مبتدئاً :

(١) الشوارد : جمع شاردة ، وأراد قصائد الدح ، والثناء المنخل : أراد به الذي

نقى عنه كل غريب عنه ( م )



لأنت أنت ، ولا الديارُ ديارُ      خفَّ الهوى ، وتقضَّت الأوطارُ<sup>(١)</sup>  
كانت مجاورةً الطلولِ وأهلها      زمناً عذابَ الورْدِ فهي بحارُ  
وقوله :

رَقَّتْ حَوَاشِيُ الدهرِ فهي تمرُّرُ      وغدا الثَّرى في حَلِيهِ يتكسَّرُ  
وقوله :

أَرَأَيْتَ أَيَّ سَوَافٍ وَخُدُودٍ      عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى وَرَزَوْدٍ  
وهل يستطيعُ أحدٌ أن يبتدئَ بمثل ابتدائه :

طلَّلَ الجميعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حميدا      وكفى على رُزْئِي بِذَٰكَ شَهِيدا  
دِمْنٌ كَانَ الْبَيْنُ أَصْبَحَ ظَالِبًا      دمناً لَدَى آرَامِهَا وَحَقُّودًا<sup>(٢)</sup>  
أو مثل قوله . مبتدئاً :

يَا دَارُ دَرَّ عَلَيْكَ إِرْهَامُ النَّدَى      واهْتَزَّ رَوْضُكَ لِلثَّرى فَتَرَادَا<sup>(٣)</sup>  
وكسيتَ من خِلَعِ الْحَيَا مَسْتَأْسِدًا      أنفًا يَفَادِرُ وَخَشَهُ مُسْتَأْسِدًا  
أو مثل قوله متبديئاً :

غَدَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ      وعادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلَّ مَرَقَدٍ  
فَاذْرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعًا مَوْرَدًا      من الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدٍّ مَوْرَدٍ  
ولقد أحسن حين ابتداء فقال :

نَوَارٌ فِي صَوَاحِبِهَا نَوَارُ      كما فَاجَاكَ سِرْبٌ أَوْ صُورُ  
تَسْكَدُ حَاسِدٌ فَنَاتٌ قُلُوبُ      أَطَاعَتْ وَاشْيَا وَنَاتٌ دِيَارُ  
وحيث يقول :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ      تَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبُوعِ الْأَذْرَاسِ

(١) الأوطار : جمع وطر - بفتح الواو والطاء جميعاً - والوطر : الحاجة (م)

(٢) دمن الأول : جمع دمنة ، وهي آثار الديار د ، ومن الثاني : الذحول (م)

(٣) إرهام الندى : أراد نزول المطر ، وتراد : اهتز من النعمة (م)

فلعلَّ عينك أن تجودَ بدَمْعِها      والدمعُ منه خاذِلٌ ومُواسِيٌ<sup>(١)</sup>  
وحيث يقول :

ما عهدنا كذا تحيبَ الشوق      كيف والدمعُ آيةُ المشوقِ  
وحيث يقول :

دِمنَ أَلَمٍ بها فقال : سلامٌ ،      كم حلَّ عقدةَ صَبْرِهِ الإلّام ؟  
بحرّت ركاب الركب حتى يعبرُوا      رجلا ، وقد عنفوا على ولاؤوا  
وحيث يقول :

أما الرسوم فقد أذْكَرَن ماسلفا      فلا تكفن عن شانيك أو يكفّا  
لا عذر للصب أن يفتي السّلو ولا      للدمع بعد مضى الحى أن يقفّا  
ومن اقتضاباته العميدة قوله :

لهان علينا أن نقول وتفعلا      ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا  
وقوله أيضاً مقتضبا :

الحقُّ أبلجُ والسيوفُ عواري      فحذارٍ من أسد العرين حذارٍ  
ومما تقدم فيه كلٌّ واحدٍ في حسنِ      التخلص إلى المدح قوله :  
إساءةُ الحادثات استنبطى نفقا      فقد أظلك إحسانُ ابنِ حسانٍ  
وقوله :

إذا العيسُ لاقتني أبادُلفٍ فقد      تقطّع ما بيني وبين النوائبِ  
وقوله :

لم يجتمع قطّ في مصر ولا ظرف      محمد بن أبي مروان والنوّب<sup>(٢)</sup>  
وقوله المنقطع دونه كل قول في هذا المعنى :

(١) الذي في ديوان أبي تمام « فلعل عينك أن تعين بمائها » ( م )

(٢) في نسخة « لم يجتمع قط في مصر ولا بلد » ( م )

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا  
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَىٰ لَهَا  
الْقَوْمَ ظَلَّ اللَّهُ أَسْكَنَ دِينَهُ  
وقوله :

عَامِي وَعَامُ الْعِيسِ بَيْنَ وَدِيقَةٍ  
حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلَاحِ  
هِيَهَاتَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ  
بِعَرَسِ الْعَرَبِ الَّذِي وَجَدَتْ بِهِ  
ومن أبدع ابتدائه قوله :

سَقَى دِيَارَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ  
وَعَدَتْ عَلَيْهِمْ نَفْثَةً وَنَعِيمٍ  
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِيَادُ سَحَابَةٍ  
مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ ذَمِيمٍ  
ثم تخلص إلى المدح فقال وأحسن كل الإحسان :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمُ أَنَّ النَّوَى  
مُرَّ وَأَنْ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٍ<sup>(٣)</sup>  
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوُدَادِ وَلَا عَدْتُ  
نَفْسِي عَلَى الْفِرِّ سِوَاكَ تَحُومٍ  
ثم عاد إلى المدح ، فقال :

لِمُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَابَةَ  
مَلِكٍ إِذَا نُسِبَ النَّدَى مِنْ مَلْتَقَى  
وَأَبُو تَمَامِ الَّذِي وَصَفَ الْقَوَافِي بِمَا لَمْ يَسْتَطِعْ وَصْفَهَا بِهِ أَحَدٌ فَقَالَ :  
فَإِنَّ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ غَنَى صَاغِرًا  
بَسِيحَةً تَنْسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ  
مَجْدٌ إِلَى حَيْثُ السَّمَاءِ مَقِيمٍ  
طَرْفِيهِ فَهُوَ أَخٌ لَهُ وَحَمِيمٍ  
عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّي غَيْرُ حَامِدٍ  
وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(١) في نسخة «أسكن ظله فيهم» (م) (٢) العيس : الإبل ، والوديقة : شدة الحر ، والتنوفة : الصحراء الترامية الأطراف ، والمسجورة : الموقدة ، و صيهود : الفلاة التي لا ينال ماؤها (م) (٣) يرويه علماء اللغاة «أن النوى صير» (م)

مَحَبَّةٌ مَا إِنَّ تَزَالُ تَرَى لَهَا إِلَى كُلِّ أَفَقٍ وَاحِدًا غَيْرَ وَافِدٍ  
مَخْلَقَةٌ لَّمَّا تَرَدُّ أَذْنَ سَامِعٍ فَتَصْدُرُ إِلَّا عَنْ يَمِينٍ وَشَاهِدٍ  
وَالَّذِي قَالَ أَيْضًا فِي صِفَتِهَا

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ سَيْطَانٍ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكُونُ  
إِنْسِيَّةٌ وَحْشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهَا حَرَكَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سُكُونُ  
حَذِيثِ حَذَاءِ الْحَضَرَمِيَّةِ أَرْهَفَتْ وَأَجَادَهَا التَّخْصِيرُ وَالتَّلْسِينُ  
يَنْبُوْعُهَا خَضِلٌ، وَحَلَى قَرِيضُهَا حَلَى الْهَدْيِ، وَنَسِجَهَا مَوْضُونٌ<sup>(١)</sup>  
أَخَذَا كَمَا صَنَعَ الضَّمِيرُ يَمْدُهُ حَسَبَ إِذَا نَضَبَ الْكَلَامُ مَعِينٌ<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا نَضَّتْ، وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عُونُ  
وَقَدْ أَبْدَعَ فِي وَصْفِهَا فَقَالَ :

لَمْ أَبْقِ حَلِيَّةَ مَنْطِقٍ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَتْ سَوَابِقُهَا إِلَيْكَ جِيَادِي  
أَبْقَيْنَ فِي أَعْنَاقِ جُودِكَ جَوْهَرًا أَبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَجْيَادِ  
هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْسَبَ هَذَا أَوْ شَيْئًا مِنْهُ إِلَى السَّرَقِ وَالْإِحْتِدَاءِ؟ وَهَلْ  
يَسْتَطِيعُ مِثَالَتُهُ بِشَيْءٍ مِنْ شَعْرِ الْبَحْتَرِيِّ، أَوْ أَشْعَارِ الْمَحْدَثِينَ فِي عَصْرِهِ وَمِنْ قَبْلِهِ؟  
فَقَعَى عَنِ الْجَوَابِ قُصُورًا، وَأَحْجَمَ عَنِ الْمَسَاجِلَةِ تَقْصِيرًا، وَحَكَمَتِ الْجَمَاعَةُ لِي  
بِالْقَهْرِ، وَعَلَيْهِ بِالنَّصْرِ، وَلَمْ يَنْصَرَفْ عَنِ الْمَجْلِسِ حَتَّى اعْتَرَفَ بِتَقْدِيمِ أَبِي تَمَامٍ فِي  
صَنْعَةِ الْبَدِيعِ وَاخْتِرَاعِ الْمَعَانِي عَلَى جَمِيعِ الْمَحْدَثِينَ. وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

[ أَثَرُ الْفَنَاءِ وَالْجَمَالِ ]

وَقَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ : كُنْتُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا ، فَاسْتَأْذَنَ الْغَلَامَ لِمُعِيرِ الْمَأْمُونِي  
فَكَرِهَتْ ذَلِكَ ، وَرَأَى الْمَأْمُونُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : يَا ثُمَامَةُ ، مَا بَكَ ؟

(١) مَوْضُونٌ : قَدْ ثَنَى بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ( م )

(٢) صَنَعَ الضَّمِيرُ : أَرَادَ أَنَّهُ مَاهِرٌ ، وَفِي الدِّيَوَانِ « يَمْدُهُ جَفَرٌ » وَالْجَفَرُ : الْبَثْرُ ( م )

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إذا غنّانا عمير ذكرت مواطن الإبل ، وكُنْبان الرمل ،  
وإذا غنّتنا فلانة انبسط أملى ، وقوى جدلى ، وانشرح صدرى ، وذكرت الجنان  
والولدان ، كم بين أن تغنيك جارية غادة كأنها غصن بآن ، ترنو بمقلة وسنآن ؛  
كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من فضة ، بشعر عكاشة العمى حيث يقول :  
من كفّ جارية كأن بناتِها من فضة قد طرُفتُ عنابا  
وكانَ يَمَناها إذا ضربت بها تُلقي على الكفّ الشمال حسابا  
وبين أن يغنيك رجل كُثّ اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر  
ورقاء بن زهير حيث يقول :

رأيت زهيراً تحت كلِّ كلِّ خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادره <sup>(١)</sup>  
وكم بين أن يحضرك من تشهى النظر إليه ، وبين من لا يقف طرفك  
عليه ؟ فتيسم المأمون ، وقال : الفرق بينهما واضح ، والمنهج فسيح ؛ يا غلام ،  
لا تأذن له ، وأحضر أطيّب قيناته ، فظلمنا في أمتع يوم .

وعكاشة هذا هو عكاشة بن عبد الصمد البصرى ، نقي الديباجة ، ظريف  
الشعر ، وكان شاعرا مجيداً . وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشئ ، وزاد  
فيه ، فقال :

وإذا بصرت بكفها اليسرى حكّت يد حاسب تلقى عليك صنوفا  
فكأنما المضرب في أوتاره قلم يجمع في الكتاب حروفا  
ويجسده إبهامها فكأنما في الثغر تنفي بهرجاً وزُيُوفاً  
أخذ هذا البيت من قول أبي شجرة السامى وذكر ناقته :

تطيرُ عنها حصى الطران من بلدٍ كما تنوّد عند الجهبذ الورق <sup>(٢)</sup>

(١) العجول : الشكى والواله من الإبل والنساء

(٢) الطران ، بضم الطاء وكسر ها ، جمع ظرر ، بزنة صرد ، وهو الحجر ،

وقيل : الدور المحدد منه ، والجهبذ : الحبير ، والورق : الفضة ( م )

وأصله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوَحِينَ تُشِدُّهُ      صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُنْتَقَدْنَ بَعْبَقْرًا<sup>(١)</sup>  
وقال أبو الفتح كشاجم :

لَوْ لَمْ تَحْرَكْهُ أَنَامِلُهَا      كَانَ الْهَوَاءُ يُعِيدُهُ نَفْقًا  
جَسَّتْهُ عَالَةً بِحَالَتِهِ      جَسَّ الطَّيِّبُ لِمَدْنَفٍ عِرْقًا  
غَتَّتْ فُحَاتُ أَظْثُنِي طَرْبًا      أَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ أَوْ أَرْقَى  
وَحَسِبْتُ يُنْمَاهَا تَحْرَكْهُ      رَعْدًا وَخِلْتُ يَسَارَهَا يَرْقَا

وأشد الحاتمي لأبي بكر الصولي :

وَعَنَاءُ أَرْقٍ مِنْ دَمْعَةِ الصَّبِّ وَشَكْوَى التِّيمِ الْمَهْجُورِ  
يَسْغُلُ الْمَرْءَ مَنْظَرٌ ثُمَّ نَطَقُ      فَهَوَ يُصْغِي بِظَاهِرِ وَضْمِيرِ  
صَافِحَ السَّمْعِ بِالَّذِي يَشْتَبِيهِ      وَأَذَاقَ النَفُوسِ طَعْمَ السَّرُورِ  
لَيْسَ بِالْقَائِلِ الضَّعِيفِ إِذَا مَا      رَاضٍ نَفَا وَلَا الشَّيْمِ الْجَهِيرِ

وقال أبو نواس :

وَأَهْيَفُ مِثْلُ طَاقَةِ يَاسْمِينٍ      لَهُ حَظَّانٌ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ  
يَحْرَأُ حِينَ يَشْدُو سَاكِنَاتٍ      فَتَنْبَعِثُ الطَّبَائِعُ لِلْسَّكُونِ  
وهذا مليح ، يريد حركة الجوانح للغناء ، وسكون الجوارح للاستماع  
وقال الحمدوني يصف عوداً :

وَنَاطِقٍ بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ      كَأَنَّهُ فُخْدٌ نِيْطَتْ إِلَى قَدَمِ  
يُبْذِي غَمِيرَ سِوَاهُ لِلْقُلُوبِ كَمَا      يَبْذِي ضَمِيرَ سِوَاهُ مِنْطَقِ الْقَلَمِ

(١) الصليل : الصوت ، والمرو : حجارة بيض براق ، وعبقر : بلد ينسب العرب إليها كل ما يتعاضمون صنعه ، وزعموا أنها مقر الجن ( م )

[ من وصف القيان ]

ومن أحسن ما قيل في صفة القيان قول ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهات عاطفات على بَنِيهَا حَوَانِي  
مُطْفِلَات وما جِلْنَ جَنِينًا مرضعات وَلَسَنَ ذَاتَ لَبَانٍ  
مُلقِمَات أَطْفَالَهنَّ نُثْدِيًا نَاهِدَات كَأَحْسَنِ الرُّمَانِ  
مفعمات كأنها حافلات وَهِيَ صِفْرٌ من دِرَّةِ الأَلْبَانِ  
كل طفل يُدعى بِأَسْمَاءِ شَتَّى بين عُودٍ ومزهرٍ وَكَرَانِ<sup>(١)</sup>  
أُمهُ دَهْرَهَا تترجمُ عَنْهُ وهو بادى الغنى عن الترجانِ

لكشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم :

جاءت بعُود كأنَّ نَفْعَتَهُ صوتُ فتاةٍ تشكو فِرَاقَ فَتَى  
محفف حَفَّتِ العيونُ بِهِ كأنما الزهر حَوْلَهُ نبتا  
دارتْ ملاوِيه فيه فاختلفتْ مثل اختلافِ العيونِ مَذْبُتَا  
لو حركته وراءَ منهن-زَمِ على بريدٍ لعساج والتفتا

وقال :

يقولون تُبِّ والكأس في كفِّ أغيدِ وصوت المشاي والمثلث عَالِي  
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبَةً وشاهدت هذا في المزامِ بَدَأَ لِي<sup>(٢)</sup>

وقال :

أفدى التي كِلَفَ الفؤادُ مِن أَجْلِهَا بالعُودِ حتى شَفَى إطرابا  
تاهتْ بجمع صناعتين ، وأظهرتْ كبرا بذاك ، وأعجبت إعجابا  
قالت : فضلتك بالغناء وأنت لا تشدو ، وكنا مثلكم كَتَابَا

(١) السكران - يوزن كتاب - آلة من آلات اللهو تشبه العود أو الصنج (م) .

(٢) أزمعت : اعتزمت ، وفي ديوانه «أضمرت» (م) .

فَعْنَيْتُ بِالْأُوتَارِ حَتَّى لَمْ أَدْعُ  
وَأَلْقَيْتَهَا فَأَغَارَ ذَاكَ عَلَى يَدِي  
فَجَعَلْتُ لِلْقُرْطَاسِ جَانِبَ صَدْرِهِ  
وَقَالَ :

جَاءَتْ بَعُودٌ كَأَنَّ الْحَبَّ أَنْحَلَهُ  
فَحَرَكَتَهُ وَغَنَتْ بِالثَقِيلِ لَنَا  
بِيضَاءُ يَحْضُرُ طِيبُ اللَّهِ مَا حَضَرَتْ  
كُلَّ اللَّبَاسِ عَلَيْهَا مَعْرِضٌ حَسَنٌ  
هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَغَنَّتْ فَأَغْنَتْ عَنْ الْمُسْمِعِ  
مَحَاسِنُهَا نُرْهَةً لِلْعَيُونِ  
وَقَالَ أَيْضًا: (٢)

أَشْتَهَى فِي الْغَنَاءِ بُحَّةَ حَلَقٍ  
كَأَنَّيْنِ الْحَبَّ أَضْعَفَهُ الشَّوْ  
لَا أَحِبُّ الْأُوتَارَ تَعْلُو كَمَا لَا  
وَأَحِبُّ الْمَجْنِبَاتِ كَحَبِي  
كَهَبُوبِ الصَّبَا تَوْسُطَ حَالًا  
وَقَالَ :

آه مِنْ بُحَّةٍ بَغِيرِ انْقِطَاعِ  
تَعَبِ الصَّوْتِ رَاحَةَ الْأَسْمَاعِ

(١) «ما» في قوله «ما حضرت» هي المصدرية الظرفية : أى مدة حضورها .

وفي الديوان « يحضر طيب العيش إن حضرت (م) »

(٢) هذا القائل هو أبو الفتح كشاجم (م) .



فَعَدَّتْ تَكَثَّرَ الشَّجَاجَ وَحَطَّتْ طَبَقَاتِ الأوتار بعد ارتفاع<sup>(١)</sup>  
كَأَنِّينِ المحبِّ خَفَضَ مِنْهُ صَوْتَ شَكْوَاهِ شِدَّةُ الأوجاعِ

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الحسن بن يونس :  
لأبي الحسن  
ابن يونس

غَفَّتْ فَأَخَفَتْ صَوْتَهَا فِي عُوْدِهَا فَكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ صَوْتُ العودِ  
غَيِّدَاءَ تَأْمُرُ عُوْدَهَا فِيطِيعُهَا أَبْدَاءً، وَيتبعُهَا اتِّبَاعٌ وَدُودٌ  
أَنْدَى مِنَ النُّوَّارِ صُبْحًا صَوْتُهَا وَأَرْقَ مِنْ نَشْرِ الثَّنَا المَعْبُودِ  
فِكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ حِينَ تَمَازَجَا مَاءَ الغمامَةِ وَابْنَةَ العُنُقُودِ

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى  
صاحب عبد الله بن وهب الفقيه ، وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن ،  
من ترجمة  
أبي الحسن  
ابن يوسف وطبعٌ صحيحٌ ، وَحَوْكٌ مليحٌ ، وكان عالماً بالنجوم وما يتعلق بها من علوم الأوائل  
وهو القائل :

سَقَى اللهُ أَكْنَافَ اللَّوَى كَمَا سَقَى بِضَرْبٍ مِنَ الْمَزَنِ الْكَنْهَوْرَ هَامِلٍ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا نَشَرْتَ رِيحُ جُحَانٍ سَحَابَةٍ غَدَاً وَهُوَ حَلَّى لِلرِّيَاضِ الْعَوَاطِلِ  
بِهِ وَجَدُ رَعْدٍ لَيْسَ بَيْنَ جَوَانِحِ وَوَسْوَاسٌ وَدَقِّ لَيْسَ بَيْنَ مَفَاصِلِ  
إِذَا كَانَ خَدَّ الْبَرْقِ يَلْسُ نَبْتُهُ تَلْقَاهُ دُرُّ النُّورِ فَوْقَ الْخَمَائِلِ  
وقال ، وذَكَرَ غَلَامًا :

يَجْرِي النِّسِيمُ عَلَى غَلَائِلِ خَدِّهِ وَأَرْقَ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ  
نَاوِلَتُهُ الْمَرَاةَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَكَسَّتْهُ فَتْنَةٌ نَاطِرِيهِ إِلَيْهِ

وقال ابن المعتز - وذَكَرَ الْمَرَاةَ :  
لأبن المعتز  
في المرأة

تَبَيَّنَنِي لِي كَمَا رُمَتْ نَظْرَةً وَنَاصِحَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ صَدِيقٍ

(١) في الديوان « تَكَثَّرَ البَحَاج » (م) .

(٢) الْكَنْهَوْرُ - بَزَنَةُ السَّفَرَجَلِ - الْمَطَرُ كَمِنْ السَّحَابِ (م) .

يقابلني منك الذي لا عدته بلجة ماء وهو غير غريق

وقال أبو الفتح كشاجم يصف امرأة أهداها :

لكشاجم  
يصف امرأة

أخت شمس الصفاء في الحسن والإشراق غير الإعشاء للأجفان

ذات طوق مشرف من لجين أجريت فيه صفرة العقيان

فهو كالهالة المحيطة بالبد رست مضين بعد ثمان

وعلى ظهرها فوارس تلهو ببزاة تعدو على غزلان

[ لك فيها إذا تأملت قال حسن مخبر بنيل الأمان ]

لم يكن قبلها من الماء جرم حاصر نفسه بغير أوان

عدت عكسها الشعاع فبدا ه إليها ورجعه سبان

وهي شمس وإن مثالك يوماً لاح فيها فإنها شمسان

أينا قابلت مثالك من أر ض فيها تقابل النيران

فالقها منك بالذي ما رآه خائف فأنثى بغير أمان

ومن ألقاظ أهل العصر في مدح الغناء

غناؤه كالغنى بعد الفقر ، وهو جبر للسكر<sup>(١)</sup> . [ غناؤه ] يبسط أميرة

الوجه ، ويرفع حجاب الإذن ، ويأخذ بمجامع القلب ، ويحرك النفوس ،

ويرقص الرؤوس . فلان طيب القلوب والأسماع ، ومحى موات الخواطر والطباع ،

يُطعم الآذان سروراً ، ويقدم في القلوب نوراً . القلوب من غناؤه على خطر ؛

فكيف الجيوب ؟! السكر على صوته شهادة . كل ما يغنيه مقترح . لغناؤه في

القلب ، موقع القطر في الجذب . نعمة نغمته تطرب ، وضروب ضربه لا تضطرب .

وقيل : السماع متعة الأسماع ، وإدام اللدام .

(١) في نسخة « وهو عذر للسكر » (م) .

## [الأقلام]

أهدى بعضُ الكتاب إلى أخٍ له أقلاماً وكتب إليه : إنه — أطال الله بقاءك ! — لما كانت الكتابة قوامَ الخلافة ، وقرينة الرياسة ، وعمود المملَكة ، وأعظم الأمور الجليلة قدراً ، وأعلاها خطراً ، أُحِبْتُ أن أُنحِفَ من آلاتها بما يَحِفُّ عليك حَمَلُه ، وتثقل قيمته ، ويكثر نفعه ؛ فبعثتُ إليك أقلاماً من القصب الثابت في الأعذاء <sup>(١)</sup> ، المغدود بماء السماء ، كاللآلى المكنونة في الصدف ، والأنوار المحجوبة بالصدف ، تنبؤ عن تأثير الأسنان ، ولا يثنيها غمرُ البنان ، قد كسَّها طباعها جوهرًا كالوشى المحبَّر ، وفرند الديباج المنير ، فهي كما قال الكميت :

وبيضِ رفاقِ صِباحِ المتو      نِ تَسْمَعُ للبيض فيها صريرا

مُهَنَّدَةٌ من عتادِ الملوك      يكاد سَنَاهُنْ يُعْشَى البصيرا

وكفحِ النبل في ثقلِ أوزانها ، وقُصْبِ الخيزُرَانِ في اعتدالها ، ووشيجِ الخطِّ في اطرادها ، تمرُّ في القراطيس كالبرقِ اللامح ، وتجرى في الصحف كالماء السامح ، أحسن من العقيان ، في محورِ القيان .

من عبيد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم من خراشان إلى بغداد  
ابن طاهر إلى  
إسحاق بن إبراهيم  
وكتب عبيد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم من خراشان إلى بغداد يسأله أن يوجه إليه بأقلام قصبية : أما بعد ، فإننا على طول الممارسة لهذه الصناعة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوشم ، خلَّت محل الأنساب ، وجرت بحجري الألقاب — وجدنا الأقلام القصبية أسرع في الكوَاغِدِ ، وأمر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأكل عن مرئيقها ، والتعلق بما ينبو من شظاياها . ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردى ما يوجد

(١) الأعذاء : جمع عذى ، وهو الزرع الذى لا يسقى بغير ماء المطر (م) .

بها منه ؛ فأحببت أن تتقدّم في اختيار أقلام قصية ، وتتأنق في انتقائها قبلك ،  
 وطلبها في منابتها ، من شُطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيّم باختيارك  
 منها الشديدة المحسّ ، الصلبة المعصّ ، الغليظة الشحوم ، المكتنزة الجوانب ،  
 الضيقة الأجواف ، الرزينة الوزن ، فإنها أبقى على الكتاب ، وأبعد من الخفاء ،  
 وأن تقصدَ بانتقائك منها للرفاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقوّمات الأود ، الملس  
 العقد ، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أمت ؛ وضمّ الصافية القشور ، الخفية  
 الأبن<sup>(١)</sup> ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة  
 الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكادُ أسافلها تهتزّ من أعلاها ، لاستواء أصولها  
 برءوسها ، المستكملة ييساً ، القائمة على سوقها ، قد تشرّبت الماء في إحاثها ، وانتهت  
 في النضج منهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان ينعمها ، ولم تؤخر في  
 الأيام الخوفة عاهاتها ؛ من خصر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك  
 أسرّت قطعها ذراعا ذراعا ، قطعاً رفيقاً تتحرّز معه أن تشقّ برءوسها ،  
 أو تنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزمًا فيما يصونها من الأوعية ، وعليها  
 الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها وحفظها وإيصالها ؛ إذ  
 كان مثلها يتوّانى فيه ، لقلة خطرهما عند من لا يعرف فضل جواهرها ؛  
 واكتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير  
 تأخير ولا إبطاء .

جواب إسحاق  
ابن إبراهيم

فأجابه ووجه إليه مع الأنايب : أتاني كتاب الأمير - أعزّه الله ! - بما أمر  
 به ونخصه ، من البعث بما شا كل نعت ، وضاهى صفته ، من أجناس الأقلام ،  
 فتيممت بغيته قاصداً لها ، وانتهجت معالم سبيله آخذاً بها ، فأنفذت إليه حزمًا  
 أنشئت بلطيف السقيا ، وحسن المهد والبقي ، لم تعجل بإخراجها ، ولا بُودرت

(١) الأبن : جمع أبنة ، وهي العقدة في العود (م) .

قبل إدراكها ؛ فهي مستوية الأنابيب معتدلتها ، مثقفة الكعوب مقومتها ؛ لا يُرى فيها أمت زور ، ولا وسم صغرو لا عوج ، وقد رجوت أن يجدّها الأمير عند إرادته وحسب بُغيته .

لمنصور بن عمار  
يصف القلم

ومن كلام منصور بن عمار في صفة القلم ، ويقال إنه لسليمان بن الوليد الكاتب : أوليس من عجائب الله في خلقه ، وإنعامه على عباده ، تعليمه إياهم الكتاب المفيد للباقيين حكم الماضين ، والمحاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، بعمان مفترقة معقودة ، وأحرف مقلوبة ، من ألف وتاء ، وجيم وباء ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، وتساها التآليف ، تحرس مفردة ، وتنطق مزدرجة ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حَرَفَ باريه قطّته ، ليعلق المداد به ، وأزّهف جانبه ليردّ ما انتشر عنه إليه ، وشقّ في رأسه ليحتبس الاستعداد عليه ، ورفع من شعبتيه لتجتمع حواشي تصويره ؛ فنهالك روى القلم في شقه ، وقذف المادة إلى صدره ، فإذا علقتها العيون حكمتها الألسن ، فالقلوب حينئذ راعية ، والآذان واعية ، لكلام سدّاه العقل ، وألمحه اللسان ، وأدته اللّهوات ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، على اختلاف أحماء ، من صفات وأسماء ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .

للنجيرمي  
في وصف القلم

حمل من رسالة كتبها بعض أهل العصر ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي ، في القلم إلى أبي عمران بن رباح :

إنه لما كان القلم مطيعة الفكر والبيان ، ومخرج الضمير إلى العيان ، ومستنبط ما تواريه ظلم الجنان إلى نور البيان ، ومريح الفطن العواذب ، وجالب الفكر الغرائب [ ولسان الغائب ، وبزالكاتب ، ومكتب الكتاب ] ، ومفرق الجلائب ، وعماد السلم ، وزناد الحرب ، ويد الحدثن ، وخليفة اللسان ، ورأس الأدوات التي

خصَّ الله بها الإنسان ، وشرفه بها على سائر أصناف الحيوان ، ومركباً لآلة قد  
 تقدّمت كل آلة ، وحكمة سبقت في الإنسان كل حكمة ، وقواماً لهندسة عقلية ،  
 ومصدراً لعقل العاقل ، وجهل الجاهل . الناقل إلينا حكم الأولين ، وحاملها عنا  
 إلى الآخرين ، الحافظ علينا أمر الدنيا والدين ، أول شيء خلقه الله بأمره وسبّحه ،  
 وسجّده وحمده وسجّده له ، فكان له فرسان خلق لهم ، وكنت عميدهم ، وأقران  
 قصير عليهم ، وأنت صنديدهم ، وميدان كنت زينته ، ومضمار كنت عينه ، وخليفة  
 كنت سابقها ومعجزها ، وغاية كنت مآلكها ومخزّزها ، وورمت بي الأيام  
 إلى معدنه الذي كلفت به وعنيت بطلبه ، فأنفردت منه بتدح قد أُوحد ، فرد  
 في منبته ، قد ساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً ، مختلف يؤلفه  
 أركانها وطبائعها ، ومتباين أنوائها وأنحائها ، وتؤيده بقواها وجواهرها ، حتى  
 غذته عرفاً في الثرى معرقاً ، وأرضعته ناعماً ، وسقته مكعباً ، وأروته مقصباً ،  
 وأطامته مكتهلاً ، ولوحته مستجصداً ، وجلته بهاءها ، وألقت عليه عنوانها ،  
 وأودعته أعراقها وأوراقها وأخلاقها ، حتى إذا شق بازله ، ورقّت شمائله ، وابتسم  
 من غشائه ، ونادى من لِحائه ، وتعرى <sup>(١)</sup> عن خز المصيف ، بانقضاء الخريف ،  
 وانكشف عن لون البيض المسكون ، والصدف المخزون ، ودر البحار ، وفُتّت  
 الجمار ، دعا منه نَفَق العَاج بنقبة الديباج ، وقميص الدرر بطراز النساج ، فاجتمعت  
 له زينة الأيدي البشرية ، إلى الأيدي العلوية ، والأنساب الأرضية ، إلى الأنساب  
 السماوية ، فلما قاده السعادة إلى ، ورأيتة نسيج وحده في الأقلام ، رأيت أولى  
 الناس به نسيج وحده في الأنام ، فأثرتك به مؤثراً للصنيعة ؛ عالماً أن زين  
 الجياد فرسانها ، وزين السيوف أقرانها ، وزين برة لابسها ، وزين أداة تمارسها ،

فالآن أعطيت القوس باريها ، وزناد الشكارم موريها ، والضمصامة مُصلّتها ،  
والقناة مُعلمها ، وحلة المُجدِّ لا بِسمها .

من أخبار  
النجمي

وكان النجمي جَيِّدَ الروية والبديهة في نظمه ونثره ، حلو التصريف ، مليح  
التأليف ، وكان يوماً عند أبي المسك كافور الإخشيدي ، فدخل عليه أبو الفضل  
ابن عياش فقال : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ — بالخلف — فتبسّم كافور إلى  
أبي إسحاق ، فقال ارتجالاً :

لا غَرَوَ إنَّ لَحْنَ الدَّاعِي لِسَيِّدِنَا      وَغَضَّ مِنْ هَيْبَةٍ بِالرِّيقِ وَالْبَهَرِ  
فمثل سَيِّدِنَا حَالَتِ مَهَابَتُهُ      بَيْنَ الْبَلِغِ وَبَيْنَ الْقَوْلِ بِالْحَصْرِ  
فإنَّ يَكُنْ خَفَضَ الْأَيَّامَ مِنْ دَهْشٍ      مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ قَلَّةِ الْبَصْرِ  
فقد تَفَاءَلَتْ فِي هَذَا لِسَيِّدِنَا      وَالْقَالَ مَأْثَرَةً عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ  
بأنَّ أَيَّامَهُ خَفَضَ بِلا نَصَبٍ      وَأَنَّ دَوْلَتَهُ صَفَوَتْ بِلا كَدَرٍ  
فأمر له بثلاثمائة دينار ، ولابن عياش بمائتين .

لحمدان الدمشقي  
يصف قلماً

وقال حمدان الدمشقي يصف قلماً :

لَلْأَيْمِ بَعَثَتْهُ وَشَقَّ لِسَانَهُ      وَلَهُ إِذَا لَمْ تَجْرِهِ إِطْرَاقُهُ  
كَالْحَيَّةِ النَّضْضَاضِ إِلَّا أَنَّهُ      مِنْ حَيْثُ يَجْرِي سَمُهُ تَرْيَاقُهُ

وصف القلم  
الصالح للسكابة

قال العتابي : سألتني الأصمعي فقال لي : أي الأنايب أَصْلَحُ للكتابة وعليها  
أَصْبَرُ؟ فقلت : ما نَشِفَ بالهجير ماؤه ، وستره عن تلويحه عشاؤه ، من التبرية القشور  
الدرية الظهور ، الفضية الكسور ، قال : فأى نوع من التبري أكتب وأصوب؟  
قلت : البرية المستوية القط ، عن يمين سنّها ، برية تأمن معها الحجة عند المط<sup>(١)</sup> ،

المهوء في مَشَقِّها فتيق ، والريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق ،  
قال : فبقى الأصمعى شاخصاً إلى ضاحكا لا يُحِيرُ مسألة ولا جواباً .

[ من ترجمة العتاني وأدبه وأخباره ]

والعتاني : هو كلثوم بن عمرو بن الحارث التغلبي ، يُكْنَى أبا عمرو ، قال  
أبو عثمان الجاحظ : كان العتاني ممن اجتمع له الخطابة ، والبيان ، والشعر  
الجليل ، والرسائل الفاخرة ، وعلى ألفاظه وحذوه يقول في البديع جميع من  
يتكلف ذلك من شعراء المولدين كنجو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد  
الأنصاري ، وأشباههما ، وكان العتاني يمتدحى حذو بشار في البديع ، ولم يكن  
في المولدين أجودُ بديعاً من بشار وابن هرمة

والعتاني من ولد عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتاب بن سعد ،  
ولذلك قال :

إني امرؤُ هدم الإقتر مائرتي واجتاح ما أبدت الأيام من خطري  
أنا ابنُ عمرو بن كلثوم يسوده حياً ربيعة والأحياء من مضر  
أرومة عطلتني من مكارمها كالقوس عطلها الرامي من الوتر

وكان صاحبَ بديهة في المنظوم والمنثور ، حسن العقل والتمييز ، والعربُ  
تقول : من تمي رجلاً حسنَ العقل ، حسنَ البيان ، حسنَ العلم ، تمي شيئاً عسيراً .  
وقد اجتمع ذلك كله للعتاني .

وعاتبه يحيى بن خالد على لباسه ، وكان لا يُبالى أى ثوبيه ابتذل !  
فقال : أبعد الله رجلاً ميمه أن يكون جماله في لباسه وعطره . إنما ذلك حظُّ  
النساء ، وأهل الأهواء ، حتى يرفعه أكراد : همته ، ولبه ، ويعلو به معظاه :  
إسانه ، وقلبه .



ودخل على الرشيد فقال : تكلّم يا عتّابى ! فقال : الإيناس قبل الإبسّاس ، لا يمدّحُ المرءُ بأولِ صوابه ، ولا يُذمُّ بأولِ خطئه ؛ لأنه بين كلامِ زوَّره ، أو عىّ حَصْرَه .

وذكر أبو هفّان أنَّ الرشيد لقيَه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوالِ نعمته ، فقال : ما أخذتَ بعدُ يا عتّابى ؟ فأنشده ارتجالاً :

تلومُ على تركِ العنّى باهليّةً      طوى الدهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتألّد  
رأت حولها النسوان يرفان في الكسا      منظمَةً أجيادُها بالقلائد  
أسرّك أنى نلتُ ما نال جعفرُ      من الملك أو ما نال يحيى بن خالد  
وأن أمير المؤمنين أغصّني      مغصّهما بالمرهفاتِ البوارِد  
فإن رفيعات المعالي مشوبةٌ      بمستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ

وكان متحرّفاً عن البرامكة ، وفيهم يقول :

إنَّ البرامِك لا تنفكُ أنجيّةً      بصفحة الدّين من نجواهُم ندبٌ (١)  
تجرّمت حججٌ منهم ومُنصلهم      مضرّج بدم الإسلام مختضبٌ (٢)

واجتاز عبد الله بن طاهر بالركة بمنزل العتّابى ، فقال : أليس هذا منزل كلثوم ابن عمرو ؟ قيل : نعم ، فمثنى رجله ، ودخل إليه ، فألفاه جالسا في بيت كتبه ، فحادثه وذاكره ، ثم انصرف ، فتحدّث الناسُ في ذلك ، وقالوا : إن الأمير لم يقصده ، وإنما اجتاز به فأخطر ذلك الزيارة ، فكتب إليه :

يا مَنْ أفادتنى زيارتهُ      بعدَ الخمول نباهةَ الذكرِ  
قالوا الزيارةُ خطرةٌ خطرت      ومجازَ خطركَ ليس بالخطرِ  
فادفعْ مقاتلهم بثالثة      تستنفدِ المجهودَ من شكرى

(١) أنجيّة : متناجين متسارين . والندب : الجروح (م)

(٢) تجرّمت : مضت وانقضت ، وفي نسخة «تصرمت» والمنصل : السيف (م) .

لا تجعلَنَّ الوترَ واحدةً . إن الثلاث تنمةُ الوترِ

فبعثته الأبياتُ إلى أن زارَهُ ثلاثاً .

وكان يميل إلى المأمون ، فلما خرج المأمون إلى خراسان شيَّعه حتى وصل معه إلى سندان <sup>(١)</sup> كسرى ، فقال له المأمون : سألتك بالله يا عتّابي إلا عملتَ على زيارتنا إن صار لنا من هذا الأمر شيء ، فلما ولي المأمون الخلافة ، ودخل بغداد سنة أربع ومائتين توصلَ إليه العتّابي ، فلم يمكنه الوصول ، فقال للماضى يحيى بن أكرم : إن رأيتَ أن تعلمَ أميرَ المؤمنين بمكانى ! فقال : لستُ بحاجب ! قال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معون ! فقال : سلكتَ بى غير طريق ! قال : إن الله تعالى أهلك بحاجٍ ونعمة ، وهما يقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، وبالتغيير إن كفرت ، وأنا اليوم لك خيرٌ منك لنفسك ؛ أدعوك لما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك ؛ ولكلِّ شيء زكاة ، وزكاةُ الجاهِ بذلُه للمستعين ، فدخل يحيى على المأمون فقال : أجِرْنى من لسان العتّابي ، فلها عنه ، ولم يأذن له ، فلما طال عليه كتب إليه :

ما على ذلك افترقنا بسندا ن ولا هكذا عهدنا الإخاء

لم أكن أحسب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء إلا صفاء

تضرب الناس بالثقة الشـر على غدرهم وتنسى الوفاء

يعرّض بقتله لأخيه على غدره ، ونكته لما عقد الرشيد ؛ فلما قرأ المأمون والأبيات أمر أن يدخل عليه . فلما سلم قال : يا عتّابي ، بلغتني وفادتُك فسرّتنى ، وقد كانتَ بلغتني وفاتُك فساءتنى ، وإنى لحرى بالغم لبُعْدِكَ ، والسرور بقربك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو قسم هذا الكلام على أهل الأرض لوسمهم عدلاً

(١) هكذا ، وربما كانت « سنداد كسرى » (م) .

وأعجزهم شكراً ، وإن رضاك لغاية المُنَى ؛ لأنه لا دينَ إلا بك  
إلا معك ، قال : سَلَمَنِي ، قال : يَدُكَ بالعطية أطلق من لسانِي بالمسألة ،  
بخمسين ألفاً .

وقال العتابي وودّع جاريةً له :

ما غَفَا الحِذَارِ والإشفاقِ	وشَأْيَب دَمْعِكَ المِهْرَاقِ
ليس يَقْوَى الفَوَادُ مِنْكَ على الله	دُّ ولا مُقْلَتَا طَلِيحِ المَآقِ
غدرات الأَيَّامِ مُنْتَزَعَاتٌ	ما غَنِمْنَا من طول هذا العناقِ
إِنْ قَضَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِ	بعد ما قد ترين كان تَلَاقِ
هَوْنِي ما عليك وَأَقْنِي حَيَاءِ	لستِ تبقين لي ولستِ بُيَاقِ
أَيْنَا قَدَمَتِ صُرُوفُ المَنَايا	فالذي أَخْرَتِ سَرِيعُ اللِّحَاقِ
ويَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِمُرَا	تِ من العِيشِ مُصْبِرَاتِ المِذاقِ
غُرٌّ مَنْ ظَنَ أَنْ يَفُوتِ المَنَايا	وَعُرَاها قَلَانْدُ الأَعْنَاقِ
كَمْ صَفِيَّينِ مُتَّعًا بِانْفَاقِ	ثم صَارَا لَعْرَبَةً وَافْتِرَاقِ
قلت للفرقدين والليل مُلَقِ	سُودَ أَكْنافِهِ على الآفاقِ
ابْقِيَا مَا بَقِيَا سوف يُرْمَى	بين شَخْصِيكُمَا بِسَهْمِ الفِرَاقِ
بينما المرء في غَضَارَةِ عَيْشِ	وصلاحِ مِنْ أَمْرِهِ وَاتِّفَاقِ
عطفَتْ شِدَّةُ الزَّمانِ فَادَّتْهُ	إلى فَاقَةٍ وَضِيقِ خِنَاقِ
لا يدومُ البَقَاءُ لِلخَلْقِ لَكِنْ دَوَامَ	البَقَاءِ لِلخَلَاقِ

وقال في الرشيد :

إمامٌ له كَفٌّ تَضُمُ بَنَانُهَا عصا الدين ممنوعاً من البرى عودُها

وعينٌ محيطٌ بالبرية طَرَفُها سواها عليها قُرْبُها وبعيدُها  
وقال فيه :

رعى أمة الإسلام فهو إمامُها وأدّى إليها الحقَّ فهو أَمِينُها  
مقيمٌ بمستنِّ الفلاح حيثُ تَلْتَقَى طَوَارِقُ أُبْكَارِ الخطوبِ وعُوْنُها  
وكان منصور النمرى سعى به إلى الرشيد فخافه ، فهرب إلى بلد الروم . وله  
قصائد يتذَرُّ فيها جيدةً مختارةً ، وهو مشبهٌ في حسن الاعتذار بالنابعة الديباني ،  
ومن جيد اعتذاره قوله للرشيد ، ويقال : بل قالها على لسان عيسى بن موسى  
الهاشمي يخاطب الرشيد :

جعلتُ رجاءَ العفو عذراً وشُبْتُهُ بهيبةٍ إمّا غافِرٍ أو مُعَاتِبٍ  
وَكَنتُ إِذَا مَا خَفْتُ حَادِثَ نَبْوَةٍ جَعَلْتِكَ حِصْنًا مِنْ حِذَارِ النَوَائِبِ  
فَأَنْزَلَ بِي هَجْرَانُكَ الْيَأْسَ بَعْدَمَا حَلَّتْ بُوَادٍ مِنْكَ رَحْبَ الْمَشَارِبِ  
أَظْلَ وَمَرَّ عَالَى الْجَدِيبِ مَكَانَهُ وَأَوَى إِلَى حَافَاتِ أَكْدَرَ نَاصِبِ  
وَلَمْ يَنْ عَنِ نَفْسِي الرَّدَى غَيْرَ أَنَّهَا تَنَوَّهَ بِيَاقٍ مِنْ رَجَائِكَ نَائِبِ (١)  
هِيَ النَّفْسُ مُحْبُوسٌ عَلَيْكَ رَجَاؤُهَا مَقِيدَةُ الْأَمَالِ دُونَ الْمَطَالِبِ  
وَتَحْتَ ثِيَابِ الصَّبْرِ مَنَى ابْنُ لَوْعَةٍ بَظْلٌ وَيُمَسِّيُ مُسْتَلِينَ الْجَوَانِبِ  
فَتَى ظَفَرْتُ مِنْهُ اللَّيَالَى بِزَلَّةٍ فَأَقْلَعَنْ عَنْهُ دَامِيَاتِ الْخَالِبِ  
حَنَانِيكَ إِنِّي لَمْ أَكُنْ بَعْتُ عِزَّةً بَذَلٍ ، وَأَحْرَزْتُ الْمَنَى بِالْمَوَاهِبِ  
فَقَدْ بُمُتَّتِي الْمَجْرَانِ حَتَّى أَذَقْتَنِي عَقُوبَةَ زَلَاتِي وَسُوءِ مَنَاقِبِ  
فَهَا أَنَا مُقْصَى فِي رِضَاكَ ، وَقَابِضٌ عَلَى حَدِّ مُصْقُولِ الذَّمَايِنِ قَاضِي  
وَمُنْتَزِعٌ عَمَّا كَرِهْتَ وَجَاعِلٌ هَوَاكَ مَثَالًا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي

(١) تنوء به : يثقل عليها ، وفي نسخة « شوب » وثائب : راجع (م)

وفي هذه القصيدة مما يختار أهل الصناعة :

وأشعثَ مشتاقَ رمى في جفونه  
سحبته له ذيلَ الشرى وهو لا يس  
ومن فوق أكوارِ المهاري لبانة  
وكلُّ فسق عاداته قصر شوقه  
يسرَّ الهوى لم يُبده نعت فرقة  
إذا أدرع الليلى أنجلي وكأنة  
بركب ترى كسر الكرى في جفونهم  
وقال أيضاً :

لورأتني بذى المحارة فرداً  
أظنى الحزن بالدموع إذا ما  
خاشع الطرف قد توشحنى الضر  
تربُّ بُوس أخاهموم كأنَّ الـ  
وكأنى استشعرت ما لفظ النا  
أنصدى الردى وأدرع الليلى  
حظ غنى من الكرى خفقات  
أوحش النس جانبى فما آ  
قد رددت الذى به ألقى النا  
فاستهلَّت على تمطرني الشو  
وقال :

أما راع قلبَ العامرية أنتى  
غدوت ومرجوعُ السقام قرينى

(١) فى نسخة «بذى المجازة» وفى أخرى «بذى المجادة» وأبنة الفلاة : الناقة (م)

وقال :

أَكَاتِمُ لَوَاعَتِ الْهَوَىٰ وَبَيِّنُهَا      تَحَلَّلَ مَاءُ الشَّوْقِ بَيْنَ جُفُونِي  
ومطروفة الإنسان في كل لوعة      لها نظرة موصولة بجنين  
[ من آداب آل وهب ]

وقال الحسن بن وهب بن سعيد :

أَبْكُ فَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِي الْبَكْيِ      أَنَّ الْبَكْيَ لِلْوَجْدِ تَحْلِيلُ  
وهو إذا أنت تأملتَهُ      حزن على الخدين محلول  
وقد أعرق بنو وهب في الكتابة وأنجبوا ، ولهم في هذا الكتاب ما يشهد  
لهم بما نسب إليهم ، وفيهم يقول الطائي :

كل شعب كنتم به آل وهب      فهو شعبي وشعبي كل أديب<sup>(١)</sup>  
إن قلبي لكم كالسكيد الحارري      وقفاي لغيركم كالقلوب  
وفي هذه القصيدة يقول في مدح سليمان بن وهب :

مَا عَلَى الْوُسْجِ الرَّوَاتِكِ مِنْ عَيْبٍ      إِذَا مَا أَنْتَ أَبَا أَيُّوبِ  
حَوْلَ لَا فِتَالَهُ مَرْتَعُ الدَّمِّ      وَلَا عِرْضُهُ مَنَاخُ الْعُيُوبِ  
واجد بالصديق من برحاء الشَّوقِ      وجدان غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ  
أَخَذَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْآخِرِ ، فَقَالَ فِي رِسَالَةٍ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ :  
ظَرَفُ الصَّدَاقَةِ ، أَرْقُ مِنْ ظَرْفِ الْعَلَاقَةِ ، وَالنَّفْسُ بِالصَّدِيقِ ، آنَسَ مِنْهَا  
بِالشَّقِيقِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ : كَلَامُكَ هَذَا أَرْقُ مِنْ شَعْرِي .

والحسن بن وهب حسن الشعر والبلاغة ، جتيد اللسان ، حلو البيان ، وكان  
يحب بنان جارية محمد بن حماد ، وله فيها شعر جيد ، ولها يقول :

(١) أصل هذا هو قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سلك الناس  
شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار » (م)  
(٢) الوسج : جمع واسجة ، وهي الناقة السريعة السير ، والرواتك : جمع  
« اتكة وهي متقاربة الخطو » (م)

أقول وقد حاولتُ تَقْيِيلَ كَفِّهَا      وبى رِعدةً أَهْتَزُّ مِنْهَا وَأُسْكِنُ  
لِيَهْنُوكَ أَنَّى أَشْجَعُ النَّاسِ كَلَامَهُمْ      لَدَى الْجَرْبِ إِلَّا أَنْتَى عَنْكَ أَجْبُنُ  
وحضرتُ مجلسه وبين يديه نَارُ فَا مَرَّتْ بِإِزَالَتِهَا ، فقال :

بَأَبَى كَرِهْتُ النَّارَ حَتَّى أَبْعَدْتُ      فَعَلِمْتُ مَا بِمَعْنَاكَ فِي إِبْعَادِهَا  
هِيَ ضَرَّةٌ لَكَ فِي التَّمَاعِ ضِيَائِهَا      وَهَبُوبِ نَفَجَتِهَا لَدَى إِبْقَادِهَا  
وَأَرَى صَنِيعَكَ فِي الْقُلُوبِ صَنِيعَهَا      بَسَيَالِهَا وَأَرَاكِهَا وَعِرَادِهَا<sup>(١)</sup>  
شَرَكْنِكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ بِفَعْلِهَا      وَضِيَائِهَا وَصَلَاحِهَا وَفَسَادِهَا  
وإلى هذا ينظر قول الأمير تميم بن العز :

مَا هَجَرْتُ الْمُدَامَ وَالرَّوْدَ وَالْبَدَ      رَ بَطْوَيْعَ ، لَكِنْ بَرَّغَمَ وَكُرُوهُ  
مَنْعَتِي مِنَ الثَّلَاثَةِ مَنْ لَوْ      قَتَلْتَنِي لَمْ أَحْكِ وَاللَّهِ مَنْ هِيَ  
قَالَتِ الرَّوْدُ وَالْمُدَامَةُ وَالْبَدَ      رُ ضِيَائِي وَلَوْ خَدَى وَوَجْهِي  
قُلْتُ بِخَلَا بَكُلِّ شَيْءٍ فَقَالَتْ      لَا وَلَكِنْ بَخَلْتُ بِي وَبِسَبِيهِ  
قُلْتُ يَا أَيْتَنِي شَبِيهُكَ قَالَتْ      إِنَّمَا يَقْتُلُ الْحُبَّ التَّشَبُّهُ  
ولما مات الحسين بن وهب - وكان موته بالشام - عَزَى عَنْهُ أَخُوهُ سُلَيْمَانُ  
فَجَاءَ أَبُو الْعَيْنَاءِ ، فَقَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرِي لِنَعِيمِ أَمْرِهِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ      بِجُورَانِ أُنْسَى أَعْلَقَتَهُ الْحَبَائِلُ  
لَقَدْ فَقَدُوا عَزْمًا وَحَزْمًا وَسُودَدًا      وَعِلْمًا أَصِيلًا خَالَفَتْهُ الْجَاهِلُ  
فَإِنْ عَشْتَ لَمْ أَمْلِكْ حَيَاتِي وَإِنْ تَمَتَّ      فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ  
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ ، وَوَصَلَ إِخَاءَكَ ، إِنْ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ  
الشَّعْرِ ، وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ قَتِيْبَةٌ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُ الْحِجَااجِ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ كَعْبُ  
ابْنِ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ يَرِثِي أَخَاهُ أَبَا الْغَوَارِ :

(١) السَّيَالُ - بَزْنَةُ السَّحَابِ - شَجَرٌ سَبَطَ الْأَغْصَانُ ، وَالْأَرَاكُ : الشَّجَرُ الَّذِي  
تَتَّخِذُ مِنْ أَغْصَانِهِ الْمَسَاوِيكَ ، وَالْعَرَادُ : شَجَرٌ سَلْبٌ ، وَاحِدَتُهُ عَرَادَةٌ .

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ      وَلَا وَرَعَ عِنْدَ الْقَاءِ هَيُوبُ  
 حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةَ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ      حُبِّي الشَّيْبَ ، لِلنَّفْسِ الْأَجُوجِ غَلُوبُ  
 حَبِيبٌ إِلَى الزَّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ      جَمِيلٌ الْحَيَا شَبَّ وَهُوَ أَرِيبُ  
 إِذَا مَا تَرَا آهَ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا      فَلَمْ تُنْطَقِ الْعَوْرَاهُ وَهُوَ قَرِيبُ

فانصرف الناس يعجبون من علم سليمان ، وحسن جوابه ، وصحة تمثله .  
 والأبيات التي أشدها الأصمعي للحطيئة ، واسمه جرّول بن أوس بن جُوَيْة  
 ابن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيفة بن عَبْس بن بَغِيض ، يقولها في علقمة  
 ابن عُلائة وفيها يقول :

فَمَا كَانَ يَبْنِي لِوَلَقَيْتُكَ سَالِمًا      وَبَيْنَ الْغَنَى إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ  
 قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ وَهَبٍ : لَمَّا جَارَ عَلَيْنَا بِالنَّكْبَةِ السُّلْطَانُ ، وَجَفَانَا مِنْ أَجْلِهَا  
 الْإِخْوَانُ ، أَنْصَفْنَا ابْنَ أَبِي دُوَادَ بِتَطَوُّلِهِ ، وَكَفَانَا الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ بِتَفَضُّلِهِ ، فَكُنَا  
 وَإِيَّاهُ كَمَا قَالَ الْحَطِيطَةُ :

جَاوَرْتُ آلَ مَقْلَدٍ فَحَمِدْتُهُمْ      إِذْ لَا يَكَاذُ أَخُو جَوَارٍ يُحَمَّدُ  
 أَيَّامَ مَنْ يُرْدِ الصَّنِيعَةَ يَصْطَنِعُ      فِينَا ، وَمَنْ يُرْدِ الزَّهَادَةَ يَزْهَدُ  
 وَلَهُ فَصْلٌ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :

لَكَ أَنْ تَعْتَبَ ، وَشَبِيهَكَ أَنْ يَعْذَرَ ؛ فَهَبْ أَقْلَ الْأَمْرَيْنِ لِأَكْثَرِهِمَا ، وَقَدِّمْ  
 فَضْلَكَ عَلَى حَقِّكَ ، وَبَقِيْنِكَ عَلَى شَنْكَكَ .

ووصف رجلاً بليغاً فقال : كَانَ وَاللَّهِ وَاسِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَاظَ ، لَيْسَ  
 بِالْهَذِرِ فِي لَفْظِهِ ، [وَلَا الْمَظْلَمُ فِي مَقْصَدِهِ ؛ مَعْنَاهُ إِلَى الْقَلَمِ أَسْرَعَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى الشَّمْعِ] .  
 وَهَذَا صَدَقَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ فِي عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ :  
 هُوَ مَهْزُولُ الْأَلْفَاظِ ، غَلِيظُ الْمَعَانِي ، سَخِيفُ الْعُقُلِ ، ضَعِيفُ الْعُقَدَةِ ، وَاهِيُ  
 الْعَزْمِ ، مَأْفُونُ الرَّأْيِ



## ألفاظ لأهل العصر في ذم الكتاب والكتاب والنثر والشعر

الْخَرَسُ أَحْسَنُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَالْعَمَى أَبْلَغُ مِنْ بَيَانِهِ ، حَاطَرُهُ يَنْبُو ، وَقَلَمُهُ يَكْبُو ، وَيَسْهُو وَيَغْلَطُ ، وَيَخْطِئُ وَيُسْقِطُ . هُوَ قَصِيرُ بَايَعِ الْكِتَابَةِ ، قَاصِرُ سَعْيِ الْخُطَابَةِ ، وَكُتِبَهُ مَضْطَرِبَةُ الْأَلْفَاظِ ، مُتَفَاوِتَةُ الْأَبْعَاضِ ، مُنْتَشِرَةُ الْأَوْضَاعِ ، مُتَبَايِنَةُ الْأَغْرَاضِ . الْجُلْمُ أَوْلَى بِكَفِّهِ مِنَ الْقَلَمِ ، وَالطَّاسُ أَلْيَقُ بِهَا مِنَ الْقِرْطَاسِ . كَلَامُهُ تَنْبُو عَنْ قَبُولِهِ الطَّبَاعِ ، وَتَتَجَافَى عَنْ اسْتِمَاعِهِ الْأَسْمَاعِ . الْفَاطُ تَنْبُو عَنْهَا الْأَذَانُ فَتَمِجُّهَا ، وَتَنْكَرُهَا الطَّبَاعُ فَتَرْجُجُهَا . كَلَامٌ لَا يَرْفَعُ الطَّبَعُ لَهُ حِجَابًا ، وَلَا يَفْتَحُ السَّمْعُ لَهُ بَابًا . كَلَامٌ يُصْدِي <sup>(١)</sup> الرِّيَّانَ ، وَيُصْدِي الْأَفْهَامَ وَالْأَذْهَانَ . كَلَامٌ قَدْ تَعَمَّلَ فِيهِ حَتَّى تَبْذُلَ ، وَتَكَلَّفَ حَتَّى تَعْسَفَ . طَبِيعُ جَاسٍ ، وَلَفْظُ قَاسٍ ، لَا مَسَاحَ لَهْ فِي سَمْعٍ ، وَلَا وَضُولَ لَهْ مَعَ خُلُودِ زَرْعٍ . كَلَامٌ لَا رُويَّةَ ضَرَبَتْ فِيهِ بَسْمُهُمْ ، وَلَا الْفِكْرَةَ جَالَتْ فِيهِ بَقْدَحُ . كَلَامٌ تَتَعَثَّرُ فِي حَزُونَتِهِ ، وَتَتَحَبَّرُ الْأَفْهَامُ مِنْ غُورَتِهِ . كَلِمَاتٌ ضَعِيفَةٌ الْإِتْقَانُ ، قَلِيلَةٌ الْأَعْيَانُ ، مُضْمَحَلَّةٌ عَلَى الْامْتِحَانِ . أَلْفَاظٌ تُسْتَعَارُ مِنَ الدِّيَاجِي ، وَمَعَانٍ تَقْدَّرُ مِنَ الْأَثْنَانِ . كَلَامٌ بِمِثْلِهِ يَنْسَلِي الْأَخْرَسُ عَنْ كَلَمِهِ ، وَيَفْرَحُ الْأَصْمُ بِصَمِّهِ ، أَثْقَلُ مِنَ الْجَنْدَلِ ، وَأَمْرٌ مِنَ الْخَنْظَلِ ، هُوَ هَذِيانُ الْمَحْمُومِ ، وَسُودَاءُ الْهَمُومِ . كَلَامٌ رِثٌ ، وَمَعْنَى غَثٌ ، لَا طَائِلَ فِيهِمَا ، وَلَا طَلَاوَةَ عَلَيْهِمَا . آيَاتٌ لَيْسَتْ مِنْ مُحْكَمِ الشَّعْرِ وَحِكْمِهِ ، وَلَا مِنْ أَحْجَالِ الْكَلَامِ وَغُرَرِهِ . شَعْرٌ ضَعِيفٌ الصَّنْعَةِ رَدِيءٌ الصِّيغَةِ بَغِيضُ الصِّفَةِ [ وَقَدْ جُمِعَ بَيْنَ إِقْوَاءِ <sup>(٢)</sup> وَإِطْءَاءِ ، وَإِطْءَاءِ وَإِخْطَاءِ . مَا قَطَعَ فِي شَعْرِهِ شَعْرَةٌ ] وَلَا سَقَى قَطْرَةً . لَوْ شَعَرَ بِالنَّقْصِ ، مَا شَعَرَ .

(١) الصدى : العطش ، وأصداءه : أعطشه ، ولربان : الملتقى . ربا (م) .

(٢) الإقواء والإيطاء : ضربان من عيوب القافية ، فالإقواء : هو تغير حركات

الروى ، والإيطاء : إعادة كلمة الروى لفظاً ومعنى (م)

لا يميز بين خبيث القول وطيبه ، ولا يفرق بين بكره وثيبه . هو باردُ العبارة ، ثقيل الاستعارة . هو من بين الشعراء منبوذ بالعرءاء . لم يلبس شعره حلة الطلاوة . له شعر لا يطيب دَرَسُه ، ولا يخف سَرَدُه ، وخطُّ مضطرب الحروف ، متضاعف التضعيف والتجريف . خطُّ يُقْذِي العين ويُسْجِي الصدر . خط منحنٍ ، كأنه أرجل البط ، وأنامل السرطان ، على الحيطان . قلمه لا يستجيب بريه ، ومداده لا يساعد جريه . قلمه كالولد العاق ، والأخ المشاق ، إذا أَدْرَتْه استطال ، وإذا قَوَّمتَه مال ، وإذا بعثته وقف ، وإذا وقفته انحرف . قلم مائل الشق ، مضطرب المشق ، متفاوت [ البرى ، معدوم الجزى ، محرف القط . قلم لم يُقَلِّمْ ظفره فهو ] يَخْدش القِرطاس ، وينقش الأَنْقاس<sup>(١)</sup> ، ويأخذ بالأنفاس . قلم لا يُبْعَث إذا بعثته ، ولا يقف إذا وقفته . قد وقف اضطرابُ [ بريه ، دون استمرار ] جريه ، واقتطع تفاوت قطه ، عن تجويد خطه .

### [ وصف الكلام ]

وصف كلام  
العرب لمثبة  
ابن أبي سفيان  
ذكر عتبة بن أبي سفيان كلام العرب فقال : إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، سرق من أفواههم مُروق السهام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن فُسِّرَتْ بغـيرها عَطِلَتْ ، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ؛ فسهولة ألفاظهم توهنك أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طليت . هم اللطيف فهمهم ، النافع علمهم ، بلفظهم نزل القرآن ، وبها يدرك البيان ، وكلُّ نوع من معناه مُبَيَّن لما سواه ، والناسُ إلى قولهم يصيرون ، ويهداهم يأتون ، أكثر الناس أحلاماً ، وأكرمهم أخلاقاً .  
وكان يقال : خير الكلام المُطْمِعُ الممتنع .

(١) الأَنْقاس : جمع نقس - بكسر النون وسكون القاف - وهو المداد (الحبر) (٢) .

وَأُنشِدُ إِبرَاهِيمَ بْنَ العَبَّاسِ الصُّوْلِيَّ نَحْلَهُ القَبَّاسِ بْنَ الأَحْنَفِ :

إِلَيْكَ أَشْكُورَبَّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدِّ هَذَا العَاتِبِ المَذْنِبِ  
إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ ، وَإِنْ سَنِلَ لَمْ يَبْذُلْ ، وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبِ  
صَبٌّ بِعَصِيَانِي ، وَلَوْ قَالَ لِي لَا تُشْرِبِ البَارِدَ لَمْ أَشْرِبِ

ثم قال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ،  
الصعب الممتنع ، العزيز النظير ، القليل الشبيه ، البعيد مع قرْبه ، الحزن مع  
سهولته ، فجعل الناس يقولون : هذا الكلام أحسن من الشعر .

وقال أبو العباس الناشي يصف شعره :

الناشي

يصف شعره

يَتَحِيرُ الشعراءُ إِنْ سَمِعُوا بِهِ فِي حُسْنِ صُنْعَتِهِ وَفِي تَأْلِيفِهِ  
فَكَأَنَّهُ فِي قُرْبِهِ مِنْ أَفْهَمِهِمْ وَنَكُولِهِمْ فِي الْعَجْزِ عَنْ تَرْصِيفِهِ  
شَجَرُهُ بَدَأَ لِلْعَيْنِ حُسْنَ نَبَاتِهِ وَنَأَى عَنِ الأَيْدِي جَنَى مَقْطُوفِهِ  
فَإِذَا قُرِنْتَ أُبَيْهِ بِمُطِيعِهِ وَقُرْنَتُهُ بِغَرِيبِهِ وَطَرِيفِهِ  
أَلْفَيْتَ مَعْنَاهُ يَطَابِقُ لَفْظُهُ وَالنَّظْمُ مِنْهُ جَلِيلُهُ بِلَطِيفِهِ  
فَأَتَاهُ مَتْنٌ مَعَالَى إِحْسَانِهِ قَدْ نَيْطَ مِنْهُ رَزِينُهُ بِخَفِيفِهِ  
هَذَبْتُهُ فَجَعَلْتُهُ لَكَ بَاقِيَا وَمَنْعَتْ صَرْفَ الدَّهْرِ عَنْ تَضْرِيفِهِ

الناشي

في الشعر

وقال الناشي في فَصْلِ مَنْ كَتَبَهُ فِي الشعرِ : الشعرُ قَيْدُ الكَلَامِ ،  
وعقل الآداب ، وسورُ البلاغة ، ومعدن البراعة ، ومجال الجنان ، ومسرحُ البيان ،  
وذريعة المتوصل ، ووسيلة المتوصل ، وذمام الغريب ، وحرمة الأديب ، وعِصْمَةُ  
المُحَارِبِ ، وعدة الراهب ، ورحلة الداني ، ودَوْحَةُ الممثل ، وروحة المتحمل ،  
وحاكم الإعراب ، وشاهدُ الصواب .

وقال في هذا الكتاب : الشعرُ مَا كَانَ سَهْلَ المَطَالَعِ ، فَصْلَ المَقَاتِعِ ، فَخَلَ

اللدیح ، جَزَلَ الافتخار ، شَجَى النسيب ، فَيَكِه الغزل ، سَأَرَ المثل ، سليم الزلل ،  
 عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المذرة ، مُحَبِّبِ المقتبة ، مُطْمِئِنِّعِ المسالك ،  
 فائت المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعاني ، نَأَى الأغوار ، ضاحى القرار ، نَقَى  
 المستشف ، قد هَرِيقَ فيه ماء الفصاحة ، وأضاء له نور الزجاجة ، فأنهَلَ في صَادِي  
 الفهم ، وأضاء في بهيمِ الرأي . لتأمله ترقق ، ولمستشفة تألق ، يروق المتوسم ،  
 ويسر المترسم ؛ قد أبدت صدوره مُثُونه ، وزَهَتْ في وجوهه عِيونه ، وانقادت  
 كواهلُه لهواديهِ ، وطابقت [ ألفاظه معانيهِ ، وخالفت أجناسه مبانيهِ ، فاطرد  
 لتصفحه ، وأنار ] لمستوضحه ، وأشبه الروضَ في وَشَى ألوانهِ ، وتعمَّم أفنانهِ ،  
 وإشراق نواره ، وابتهاج أنجاده بأغواره ؛ وأشبه الوشَى في اتفاق رُقُومِهِ ، واتساق  
 رُسُومِهِ ، وتسطير كفوفهِ ، وتحجير قُوفهِ ؛ وحكى العِقدَ في التثام فُصولهِ ، وانتظام  
 وُصولهِ ، وازديانَ ياقوته بَدْرِهِ ، وفريده بَشْدَرِهِ ، فلوا كتنف الإيجاز موارده ،  
 وصقَلت مَدَاوِسَ الدربة مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فيآصله ، جاء سليماً  
 من الغائب ، مهذباً من الأدناس ، تتحاشاه الأبن ، وتتَحَامَاهُ الهُجَن ، مُهْدِيَا إلى  
 الأسماع بهيجته ، وإلى العقول حِكْمَتِهِ .

لغولف في  
الشعر

وقد قلت في الشعر قولاً جعلته مثلاً لقائليه ، وأسلوباً لسالكيه ، وهو :  
 الشعرُ ما قومت زينِج صدوره      وشددت بالتهذيب أسرَ مُثُونِهِ  
 ورأبت بالإطناب شعبَ صدوعه      وفتحت بالإيجاز غور عِيُونِهِ  
 وجعت بين قريبه وبعيده      ووصلت بين نجمه ومَعِينِهِ  
 وعقدت منه لكل أمر يقتضى      شهباً به فقرنته بقرينهِ  
 فإذا بكيت به الديار وأهلها      أجريت للمحزون ماء شُئُونِهِ  
 وولكنه بهوميه وغمومه      دهرأ فلم يسر الكرى بحفونه

وإذا مدحت به جواداً ماجداً وقضيت به بالشكر حق ديونه  
أصفيته بنفيسه ورصينه ومنحته بخطيره وثمينه  
فيكون جزلاً في اتفاق صنوفه ويكون سهلاً في اتساق فنونه  
وإذا أردت كناية عن ريبه باينت بين ظهوره وبطونه  
فجعلت سامعه يشوب شكوكه ببيانه وظنونه بيقينه  
وإذا عبت على أخ في زلة أدمجت شدته له في لينه  
فتركته مستأنساً لدماثة مستئساً لوعونه وحزونه  
وإذا نبذت إلى التي علقتها إن صارمتك بفاتنات شتونه  
تيمتها بلطيفه ورققه وشغفتها بحقيقه وكينه  
وإذا اعتذرت إلى أخ في زلة واشكت بين محيله ومبينه  
فيحور ذنبك عند من يعتده عتبا عليك مطالباً بيمينه  
والقول يحسن منه في منشوره مالمس يحسن منه في مؤزونه

وقال الخليل بن أحمد : الشعراء أمراء الكلام ، بصرفونه أنى شاءوا ؛ للخليل بن أحمد  
وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم : من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريح اللفظ  
وتعقيده ، ومدّ مقصوره ، وقصر ممدوده ، والجمع بين لغاته ، والتفريق  
بين صفاته

وقال : الشعر حلية اللسان ، ومدرجة البيان ، ونظام الكلام ، مقسوم  
غير محذور ، ومشارك غير محصور ، إلا أنه في العرب جوهرى ، وفي  
العجم صناعى .

بين أعرابي  
وفارسي

قال أعرابي لشاعر من أبناء الفرس : الشعر للعرب ، فكل من يقول  
الشعر منكم فإنما نزا على أمه رجل منا ! فقال الفارسي : وكذلك من لا يقول  
الشعر منكم ، فإنما نزا على أمه رجل منا !

لعمارة بن عقيل  
وللجاحظ

وقال عمارة بن عقيل : أجود الشعر ما كان أمْلَسَ المتون ، كثيرَ العيون ،  
لا يَمِجُّهُ السمع ، ولا يَسْتَأْذِنُ على القلب . وأنشد الجاحظ شعرَ أبي العتاهية فلم  
يَرْضَهُ ، وقال : هو أمْلَسُ المتون ، ليس له عيونٌ . كأنه وعمارة تجاذبا  
كلأماً واحداً .

وقال ابن عقيل : الشعرُ بضاعةٌ من بضائع العرب ، ودليلٌ مِنْ أدلةِ  
الأدب ، وأثارة من أثارات الحسب . ولن يهزَّ الشعرُ إلا الكريمَ المَخْتَدِ ،  
الكثيرَ السؤدد ، الكلفَ بذِكْرِ اليومِ والغد .

لبشار وقد  
مدح المهدي  
فلم يحزه

ومدح بشار المهدي فلم يُعْطِهِ شيئاً ، فقيل له : لم تُجِدْ في مدحه . فقال :  
لا والله ، لقد مدحته بشعرٍ لو قلت مثله في الدهر لما خيف صَرْفُهُ على حرٍّ ،  
ولكني أَكْذِبُ في العمل ، فأَكْذِبُ في الأمل .

نظمه الناجم فقال :

ولى في أحمدٍ أملٌ بعيد . ومدحٌ حين أنشده طريفُ  
مدائح لو مدحتُ بها الليالي لما دارتُ على لها صروف

خالد بن صفوان  
يصف جريراً  
والفرزدق  
والأخطل

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : صِفْ لِي جريراً والفرزدق والأخطل ،  
فقال : يا أمير المؤمنين ، أما أعظمهم فَخْراً ، وأبعدهم ذِكْراً ، وأحسنهم عُدْراً ،  
وأَسْبَرُهُمْ مَثَلًا ، وأَقْلَهُمْ غَزْلاً ، وأَحْلَاهُمْ عِلْلاً ، البحر الطامى إذا زَخِرَ ، والحامى  
إذا ذَعِرَ ، والسامى إذا خَطِرَ ، [ الذى إذا هدر جال ، وإذا خطر صال ، الفصيح  
اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نَفْتًا ، وأمدحهم بيتًا ، وأقْلَهُمْ  
فَوْتًا ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رَفَعَ ، فالأخطل . وأما أغزَرُهُمْ بحراً ،  
وأَرْقَهُمْ شعراً ، وأكثرهم ذِكْراً ، الأغَرُّ الأَبْلَقُ ، الذى إن طَلَبَ لم يُسْبَقْ ، وإن  
طَلَبَ لم يُنَلِّقْ ، فجرير . وكلُّهم ذِكْىُ القَوَادِ ، رفيع العماذ ، وارى الزناد .

قال مسلمة بن عبد الملك ، وكان حاضراً : ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الأولين  
ولا في الآخرين ، أشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وأليهم عِطفاً ، وأخفهم مقالا ،

وأكرمهم فعلاً . فقال خالد : أتم الله عليك نِعَمه ، وأجزل لك قِسَمه . أنت والله أيها الأمير - ما علمت - كريمُ الغِراس ، عالمٌ بالناس ، جوادٌ في المَخْل ، بَسامٌ عند البَذل ، حلِيمٌ عند الطَّيْشِ ، في الذَّرْوَة من قريش ، من أشرف عبد شمس ، وبومك خيرٌ من الأمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت مثلك يا ابن صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ، ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسألت منهم .

بين العجاج  
وعبد الملك  
بن مروان

ودخل العجاجُ على عبدِ الملك بن مروان فقال له : بلغني أنك لا تُحْسِنُ الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قَدَّرَ على تشييد الأبنية ، أمكنه خرابُ الأخبية ، قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزًّا يمتنعنا من أن نُظَلَمَ ، وحِلْمًا يمنعنا من أن نُظَلَمَ ، قال : لَكِلِمَاتُكَ أحسنُ من شعرك ! فما العزُّ الذي يمنعك أن تظلم ؟ قال : الأدب [ البارع ، والفهم الناصع . قال : فما الحِلْمُ الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال : الأدب ] المستطرف ، والطبع التَّالِدُ ، قال : لقد أصبحت حكيماً . قال : وما يمنعني من ذلك وأنا نَجِيُّ أمير المؤمنين ؟

قال أبو إسحاق : وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تَذَبُّوْا عن الهجاء كالطائي وأضرابه ، وأصحابُ المطبوع أقدروا عليه من أهل المصنوع ، إذ كان الهجو كالنادرة التي إذا جَرَّتْ على سَجِيَّةٍ قائلها ، وقربت من يدٍ متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير الفطن ، قريب القلب من اللسان ، التهمت بنار الإحسان .

المقامة القريضية  
من مقامات  
البيديع يصف  
الشعراء

وما يَنجُوْا هذا النحو من مقامات أبي الفتح الإسكندري إنشاءً بديع الزمان قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : طرحتني النوى مطارِحها ، حتى إذا وَطِئْتُ جُرْجَانَ الْأَقْصَى ، فاستظهرتُ على الأيام بَضِياعٍ أَجَلْتُ فيها يَدَ الْعِمَارَةِ ، وأموالٍ وقفها على التجارة ، وحانوتٍ جعلته مَنَابَةً <sup>(١)</sup> ، ورُقَّةً اتخذتهم صَحَابَةً ، وجعلتُ للدار حاشِيَتِي النهار ، والحانوتِ ما بينهما ؛ فجلسنا يوماً نتذاكرُ الشعر والشعراء ،

(١) الحانوت : دكان الحمار ، ومثابة : مكان يرجع إليه كلما أراد .

وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ، يُنصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ،  
حتى إذا مال الكلامُ بنا مثله ، وجَرَ الجدَلُ فينا ذيله : قال : أصبتم عذيقه<sup>(١)</sup> ،  
ووافيتم جذيله ، ولو شئتُ للفظت [فأفَضْتُ] ، ووَأردت لسردت ، وجلهت الحقُّ  
في معرض بيانِ يُسمعُ الصم ، ويُنزلُ العُصم . فقلت : يا فاضل ، أذنُ فقد منَّيتَ ،  
وهات فقد أثنت ، فدنا وقال : سلوني أُجيبكم ، واستمعوا أعجبكم .

قلنا : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعَرَصاتها ،  
واغْتدَى والطيرُ في وُكُنَّاتها ، ووصف الخيلَ بصفاتها ، ولم يقل الشعرَ كاسبا ،  
ولم يُجِدِ القولَ راغبا ، ففَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِمْلَةِ لسانه ، وانتَجَعَ للرغبة بنائه .  
قلنا : وما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عَشِقَ ، ويُمْلَبُ إذا حَنِقَ ،  
ويمدح إذا رَغِبَ ، ويعتذر إذا رَهَبَ ، فلا يرمى إلا صائبا .

قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكَنَزَ القوافي  
ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دقائمه ، ولم تطلق عِتَاقُ خزائنه .  
قلنا : فما تقول [في زهير ؟ قال : يُذِيبُ الشعرَ والشعرُ يذِيبه ، ويدعو القولَ  
والسَّحَرُ يُجَيِّبه .

قلنا : فما تقول [في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أَسْبَقَ ؟ قال : جرير أرق شعرا ،  
وأغزَرَ غزرا ، والفرزدق أَمَنُ صخرا ، وأكثَرَ فخرا ، وجرير أَوْجَعَ هَجْوا ،  
وأشرف يوما ، والفرزدق أكثرَ رَوما ، وأكثرَ قوما ، وجرير إذا نَسَبَ أشجى ،  
وإذا ثَلَبَ أَرْدَى ، وإذا مدح أَسْنَى ، والفرزدق إذا افتخر أَجْزَى ، وإذا وصف  
أوفى ، وإذا احتقر أَرْزَى .

قلنا : فما تقول في الحديثين من الشعراء والمقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون  
أشرفُ لفظا ، وأكثرُ في المعاني حظًا ، والمتأخرون أَلْطَفُ صُنْعًا ،  
وأرقُّ نَسْجًا .

(١) عذيقه : مصغر عذوق - بالكسر - وأصله النخلة يحملها



قلنا: فلو أريت من أشعارك، ورويت من أخبارك، قال: خذها في معرض واحد، وأنشد:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَعَشَى طِمْرًا      مُلْتَحِفًا فِي الضَّرِّ أَمْرًا إِمْرًا  
مُنْطَوِيًا عَلَى اللَّيْلِ إِلَى غَمْرًا      مَلَايَا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرًا  
أَقْصَى أَمَانِي طُلُوعُ الشَّمْسِ مَرَى      فَقَدْ عُنِينَا بِالْأَمَانِي دَهْرًا  
وَكَانَ هَذَا الْحُرُّ أَعْلَى قَدْرًا      وَمَاءُ هَذَا الْوَحْدِ أَعْلَى سِعْرًا  
ضَرَبْتُ لِلسَّرْوِ قَبَابًا خُضْرًا      فِي دَارٍ دَارًا وَإِوَانَ كِسْرَى  
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَمْرًا      وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرًا  
لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِي إِلَّا ذِكْرًا      نَمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلْمَ جَرًا  
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسَرٍّ مَنْ رَا      وَأَفْرَحُ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى  
قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ شَرًّا      قَتَلْتُ يَا سَادَةَ نَفْسِي صَبْرًا!

قال عيسى بن هشام: فَنَلْتُهُ مَا تَأَحَّ<sup>(١)</sup>، وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَّاحٌ، وَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأَثْبَتَهُ، وَأُنْكِرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ، ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَائِيهِ، فَقُلْتُ: الْإِسْكَانْدَرِيُّ وَاللَّهِ! فَلَقَدْ كَانَ فَارِقَنَا خِشْفًا، وَوَأَفَانَا جِلْفًا<sup>(٢)</sup>، وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ، ثُمَّ قَبِضْتُ عَلَى خَصْرِهِ، وَقَالَتْ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ؟ أَلَمْ تَكُنْ فِينَا وَلِيدًا، وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سَنِينَ؟ فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى؟ فَضَحَكَ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورٌ      فَلَا يَغُرُّكَ الْغُرُورُ  
غَرَّقَ وَبَرَّقَ وَكُلَّ وَطَرَّقَ      وَأَسْرَقَ وَطَلَّقَ لِمَنْ تَزُورُ  
لَا تَلْتَزِمُ حَالَةً وَلَكِنْ      دُرٌّ لِي إِلَى كَمَا تَدُورُ

(١) نلت: أعطيت، وماتح: ما تهيأ وكان حاضرًا عندي (م).

(٢) الخشف - بالكسر - وله الظية، والجلف: الغليظ الجافى (م).

ومن إنشائه مقامة ولدها على لسان عِصْمَة وذی الرمة قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا نحن في مجتمع لنا ومعنا يومئذ رجلٌ العرب حِفْظًا ورِوَاية عِصْمَة ابن بَدْر الفَزَارِي ، فَأَفْضَى الكلامُ إلى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْمًا ، أو أَعْرَضَ عَنْهُ خَصْمُهُ احتقارًا ، حتى ذكر الصَّلَتَانِ العَبْدِيُّ واللَّعِينُ المنفَرِي ، وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما . فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ، ولا أحدثكم عن غيري : بينا أنا أسيرُ في بلاد تميم مرتحلاً نجية ، وقائداً جَنِيبةً ، عَنَّ لِي رَاكِبٌ عَلَى أَوْرَقٍ جَعَدَ اللَّغَامُ <sup>(١)</sup> ، فاجتاز بي رافعاً صَوْتَهُ بِالسَّلام . فقلت : مَنْ الرَّاكِبُ الجَهِيرُ الكلام ، المحيِّي بِتَحِيَّةِ الإِسْلَام ؟ فقال : أَنَا غِيْلَانُ ابنُ عُقْبَةَ . فقلت : مرحباً بِالكَرِيمِ حَسْبُهُ ، الشهير نسبهُ ، السائر منطقهُ . فقال : رَحْبٌ وَادِيكَ ، وَعَزٌّ نَادِيكَ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قلت : عصمة بن بدر الفزاري . فقال : حياك الله ، نعم الصديقُ ، والصاحبُ والرفيقُ . وسِرْنَا فلما هَجَرْنَا قال : أَلَا نَعُورُ <sup>(٢)</sup> يَا عَصْمَةُ فَقَدْ صَهَرَتْ نَا الشَّمْسُ ؟ فقلت : أَنْتَ وَذَاكَ ، فَمَلْنَا إِلَى شَجَرَاتِ الْأَلَاءِ <sup>(٣)</sup> كَأَنَّهُنَّ عِذَارِي مَتَبَرَّجَاتٍ ، قَدْ نَشَرْنَ الْغَدَائِرَ ، وَسَرَحْنَ الضَّفَائِرَ ؛ لِأَتَلَاتٍ مُتَنَاوِحَاتٍ ؛ فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا ، وَنَلْنَا مِنَ الطَّعَامِ ، وَكَانَ ذُو الرِّمَةِ زَهِيدَ الْأَكْلِ . وَزَالَ كُلُّ مَنْأٍ إِلَى ظِلِّ أَثْلَةٍ يَرِيدُ الْقَائِلَةَ ، وَاضْطَجَعَ ذُو الرِّمَةِ وَأَرَدَتْ أَنْ أَصْنَعَ صَنِيعَهُ ، فَوَلَّيْتُ ظَهْرِي الْأَرْضَ ، وَعَيْنَايَ لَا يَمْلِكُهَا غُمُضٌ ، فَنَظَرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءٍ ، ضَحِيَّتْ وَغَبِيْطُهَا مُلَقًى <sup>(٤)</sup> ، وَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يَكَاؤُهَا كَأَنَّهُ عَسِيفٌ أَوْ أَسِيفٌ <sup>(٥)</sup> ، فَلَمَّيْتُ عَنْهُمَا ، وَمَا أَنَا وَالسُّؤَالُ عَمَّا

(١) أراد أنه يمتطي جملاً ، والأورق : الذي لونه الورقة وهى بياض وسواد ، وجعد اللغام : كثير الزبد ( م ) .

(٢) نعور : نقيل ( م ) . (٣) الألاء - كسحاب - شجر عظيم الظل ( م ) .

(٤) الكوماء : العظم سنامها ، وضحيّت : أصابتها الشمس بحرها ( م ) .

(٥) العسيف . الأجير ، والأسيف : العبد المملوك ( م )

لا يَغْنِينِي ! ونام ذو الرُّمَّة غِرَّاراً ، ثم انتبه ، وكان ذلك في أيام مُهاجراته لذلك المرتضى . فرفع عقيرته ينشد فيه :

أَمِنْ مَيَّةَ الظَّالِمِ الدَّارِسُ	أَلْظَّ بِهِ الْعَاصِفُ الرَّامِسُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَجِيجُ الْقَذَالِ	وَمُسْتَوْقَدْ مَالِهِ قَابِسُ
وَحَوْضٌ تَنَلَّمَ مِنْ جَانِبَيْهِ	وَمُخْتَفَلٌ دَاثِرُ طَامِسُ
وَعَهْدِي بِهِ وَبِهِ سَكَنُهُ	وَمَيَّةُ وَالْإِنْسِ وَالْأَنَسِ
سَتَانِي امْرَأَ الْقَيْسِ مَأْتُورَةً	يَغْنَى بِهَا الْعَابِرَ الْجَالِسِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ قَدْ	أَلْظَّ بِهِ دَاوُدُ النَّاجِسِ
هَمُّ الْقَوْمِ لَا يَأْلَمُونَ الْهَجَاءَ	وَهَلْ يَأْلَمُ الْحَجَرُ الْيَابِسُ ؟
فَالْهَمُّ فِي الْفَلَا رَاكِبٌ	وَلَا لَهُمْ فِي الْوَعَى فَارِسُ
إِذَا طَمَحَ النَّاسُ لِلْمَكْرَمَاتِ	فَطَرَفُهُمُ الْمَطْرِقُ النَّاعِسُ
تَعَاْفُ الْأَكْرَامِ إِصْهَارُهُمْ	فَكُلْ نَسَاءَهُمْ عَائِسُ

فلما بلغ هذا البيت جعل ذلك النائم يمسح عينيه ويقول : أذو الرُّمَّة يَمْنَعُنِي النَّوْمَ بِشَعْرِ غَيْرِ مُتَقَفٍّ وَلَا سَائِرٍ . فقلت : يا غيلان ، من هذا ؟ فقال :  
الفرزدق ، يعني الفرزدق ، وَحَيَّ ذُو الرُّمَّة :

وَأَمَّا مُجَاشِعُ الْأَرْذَلُونِ	فَلَمْ يَسْقِ مَيَّتَهُمُ رَاجِسُ
سَيِّفُهُمْ عَنْ مَسَاعِي السِّكْرَامِ	عَقِلٌ ، وَيَحْبِسُهُمْ حَابِسُ

فقلت : الآن [ يَشْرُقُ فِيثُورٌ ، وَ ] يعمُّ الفرزدقُ هذا وقبيله بالهجاء .  
فوالله ما زاد عليَّ أن قال : قبحاً لك يا ذا الرُّمَّة ! أتعرضُ لمثلِ بِمَثَالٍ مُنْتَحِلٍ !  
ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرُّمَّة وسيرت ، وإني لأرى فيه  
انكساراً حتى افترقنا .

قوله فيما ولد على الفرزدق « بمقال مُنتحل » ، يريد أن البيت الأخير منقول من قول جرير :

ألم تر أن الله أخزى مجاشعاً      إذا ما أفاضت في الحديث المجالسُ  
وما زال معقولاً عقلاً عن الندى      وما زال محبوباً عن المجد حابسُ

عقال : ابن محمد بن [ سعيد بن ] مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وهو جد الفرزدق . وحابس : ابن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم ، وهو أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفين قلوبهم .

#### فقر في الشعر

قيل لابن الزبيري : لم تقصّر أشعارك ؟ فقال : لأنها أغلقت بالمسامع ، وأجول في الخافول .

وقيل ذلك لعقيل بن علفة في أهاجيه ، فقال : يكفيك من القلادة هنا أحاط بالعنقي .

غيره : لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى تستسلف المطر ، وما ظنك بهوم الاقتصار محمود بلا فيهم ، والكذب مذموم إلا منهم . إياكم والشاعر فإنه يطلب على الكذب مئوبة ، ويقرع جليسه بأدنى زلة .

أبو القاسم صاحب بن عباد : النثر يتطاير كتنطائر الشرر ، والظم يبقى بقاء النقش في الحجر .

أبو عبيدة : الزحاف في الشعر كالرخصة في الدين ، لا يُقدم عليها إلا فقيه .  
وقال أبو فراس الحمداني :

تناهض الناس للمعاني      لمّا رأوا نحوها نهوضي  
تكلفوا المكرمات كذا      تكلف الشعر بالعرّوض

وقد مدح الجاحظ العروض وذمها ، فقال في مدحها : العروض ميزان ،  
ومعارض بها يعرفُ الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعينها مَدَارُ الشعر ،  
وبها يسلم من الأودِ والكسر . وقال في ذمّه : هو علم مَوْلَد ، وأدب مستَبْرَد ،  
ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستنكر<sup>(١)</sup> العقل بمستفعلن وفعل ، من غير  
فائدة ولا محصول .

ومن مفردات الأبيات في هذا المعنى قول دعبل :

يموت ردىءُ الشعرِ من قبل أهلِهِ      وجيّدُهُ يَبْقَى وإن مات قَائِلُهُ  
البحترى :

أَعْيَا عَلَى ؟ فَـلَا هَيَابَةَ فَرَقُ      يَخْشَى الْمِجَاءَ ، وَلَا هَشَّ فَيَمْتَدَحُ  
آخر :

[و] هَمَا يَقْتُلُ الشَّعْرَاءُ غَمًّا      عداوة من يُغَلِّلَ عن المِجَاءِ  
أحمد بن أبي فَنَن :

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللُّؤْمِ شَاعِرٌ      يَلُومُ عَلَى الْبَخْلِ اللَّثَامَ ، وَيَبْخُلُ  
وهذا كقول علي بن العباس الرومي في أبي الفياض سَوَّار بن أبي شراعة ،  
وكان سَوَّار شاعراً مجيداً :

يَا مَنْ صُنَاعَتُهُ الدَّعَاءُ إِلَى الْعُلَا      نَاقَضَتْ فِي فِعْلِكَ أَيْ نَقَاضِ  
عَجَباً لِحَضَّاضِ الْكِرَامِ عَلَى الَّذِي      هُوَ فِيهِ مَحْتَاجٌ إِلَى حَضَّاضِ  
وَصَفَ الْمَكَارِمِ وَهُوَ فِيهَا زَاهِدٌ      وَرَأَى الْجَمِيلَ وَفِيهِ عَنْهُ تَقَاضِ  
لَمْ أَلْقُ كَالشَّعْرَاءِ أَكْثَرَ حَارِضًا      وَاشَدَّ مَعْتَبَةً عَلَى الْحَرَاضِ<sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة « يستكد العقل بمستفعلن » وهي خير مما أثبتناه .

(٢) الحارص : الكثير المموم .

كم فيهم من أمرٍ برشيدةٍ لم يأتها ، ومرغب رفاضٍ  
يا حسرتي لمودّةٍ أديّةٍ لم نفتق غمها افتراقَ تراضٍ  
ليس العتابُ بنافعٍ في قاطعٍ أغيا المشيبُ تتابعَ المقرّاضِ  
ثم قال بعد هذا التبكيت والعتاب ما منعه أن يتوهّم أنه هجاه :

ولمّا هجوتك ، بل وعظمتك إنّي لا أجملُ الأعراضَ كالأغراضِ<sup>(١)</sup>  
فاكفُفِ مهامك عن أخيك فإنما آسفته ، فرماك بالمعرّاضِ  
فمتى حلت ووجدت أحنفَ دهره ومتى جهلتُ مُنيتَ بالبرّاضِ  
فاعذر أخاك على الوعيد ؛ فإنما أنذرت قبل الرّميّ بالإنباضِ  
[ واعلم وقيت الجهل أن خسارة بطرُ الغنى ومذلة الإبعاض ]  
ثم هجاه بقوله :

وما تكلمت إلّا قلت فاحشةً كأن فكّيك للأغراضِ مقرّاضُ  
مهما تقل فيهم منك مرّسةً وفؤك قوسك والأعراضُ أغراضُ<sup>(١)</sup>  
وابن الرومي هذا كما قال مسلم بن الوليد الأنصاري في الحكم بن قنبر المازني :  
عابني من معائب هُنَّ فيهِ حكم فاشتقّي بها من هجّاني  
وكما قال الآخر :

ويأخذ عيبَ الناس من عيبِ نفسه مُرادٌ لعمري ما أرادَ قريبُ

### [ الأحنف بن قيس ]

وروي عيسى بن دأب قال : أوّل ما عرف الأحنف بن قيس وقُدّم أنه وفد على  
عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وكان أحدثَ القوم سناً ، وأقبحهم منظرأً ، فتكلّم كل

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو — بالتحريك — ما يجعله الراي هدفاً  
يقصد برميّه إليه .

رجل من الوفدِ بمحاجته في خاصته ، والأحنف سَاكِتٌ ، فقال له عمر : قل يافتي !  
فقام فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ العرب نزلت بمساكن طيبة ، ذات ثمار وأنهار  
عَذَاب ، وأكثَّة ظليلة<sup>(١)</sup> ، ومواضع فسيحة ، وإنا نزلنا بسَبِيحَةِ نَشَاشَةٍ ، ماؤُهَا  
مِلْحٌ ، وأفنيتها ضيقة ، وإنما يأتينا الماء في مثل حلق النعامة فبالاً تدركننا يا أمير  
المؤمنين بحفَرِ نهر يَغْزِرُ ماؤُه ، حتى تأتي الأُمَّة فتغرف بجررتها وإناؤها أو شك أن  
نهلك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : تزيد في صَاعِنَا ومُدَّنَا ، وتثبت من تَلَا حَقٌّ في العطاء من  
ذر يَتَنَا . قال : ثم ماذا ؟ قال : تخف عن ضعيفنا ، وتنصف قويننا ، وتتعاهد ثغورنا ،  
وتجهمز بعثنا ، قال : ثم ماذا ؟ قال : إلى ها هنا انتهت المطالب ، ووقف الكلام .  
قال : أنت رئيس وفدِكَ ، وخطيب مصرِكَ ، قم عَنْ موضِعِكَ الذي أنت فيه .  
فأدناه حتى أقعده إلى جانبه ، ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال : أنت سيدُ  
تميم ، فبقيت له السيادة إلى أن مات .

وهو الأحنف ، واسمه الضحَّاكُ بن قيس بن معاوية بن حصين بن حصن نسب الأحنف  
ابن عباد بن الزبال بن مرة بن عبيد بن مقاس بن عمرو بن كعب بن [سعد بن]  
زيد مناة بن تميم

وقال بعض بني تميم : حضرتُ مجلس الأحنف وعنده قومٌ مجتمعون له في  
أمرٍ لهم ، لحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الكرمَ مَنعُ الحرمِ ، ما أقربُ النعمة  
من أهلِ البغي ، لا خيرَ في لَذَّةٍ تُعَقِبُ ندمًا ، لم يهلك من اقتصد ، ولم يفتقر  
من زهد ، رب هزل قد عاد جِدًّا ، من أَمِنَ الزمانَ خانهُ ، ومن تَعَظَّم عليه  
أهانهُ ، دَعُوا المِزَاحَ فإنه يُورَثُ<sup>(٢)</sup> الضغائنُ ، وخيرُ القول ماصدَقه الفِعلُ ، احتسبوا  
لِمَنْ أدلَّ عليكم ، واقبلوا عُذْرَ من اعتذر إليكم ، أَطِيعْ أَخَاكَ وإن عَصَاكَ .  
وَصِلْهُ وإن جَفَاكَ ، أنصِفْ مِنْ نَفْسِكَ قبل أن يُنْتَصَفَ مِنْكَ ، إِيَّاكُمْ ومشاورَةُ

(١) الأكثنة: جمع كن، وهو السراواقي من الحر والبرد، والظليلة: دات الظل (م).

(٢) يورث الضغائن: يوقدها، ويشعلها، ويؤجج نارها، والمراد أنه ينشئها

ويزيدها (م).

النساء ، واعلم أن كُفِّرَ النِّعَمِ لُومٌ ، وصُحِبَةَ الجَاهِلِ شُومٌ ، ومن الكرم الوفاء ،  
بالذِّمِّ ، ما أَقْبَحَ القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الودِّ ،  
لا تكونَنَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى  
البذل ، واعلم أن لك من دُنْيَاك ما أصلحت به مَثْوَاك ، فأنفق في حقِّ ،  
ولا تكن خازِنًا لغيرك ، وإذا كان العَدْرُ موجوداً في الناس فالثَّقةُ بكلِّ أحدٍ  
عَجْزٌ ؛ اغْرِفِ الحقَّ لمن عَرَفَهُ لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .  
قال : فما سمعتُ كلاماً أبْلَغَ منه . فممت وقد حفظته .

كلام للأحنف في مجلس معاوية ودخل الأحنف على معاوية ، ويزيدُ بين يديه ، وهو ينظرُ إليه إعجاباً ، فقال :  
يا أبا بَحرٍ ، ما تقولُ في الولدِ ؟ فلم ما أراد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هم عمادُ  
ظهورنا ، وثمرُ قلوبنا ، وقرّة أعيننا ، بهم نَصُولُ على أعدائنا ، وهم الخلف مِنَّا  
بَعْدَنا ، فكن لهم أرضاً ذليلةً ، وسماءً ظليلةً ، إن سألوك فَأَعْطِهِمْ ، وإن استعَبوك  
وَأَعْتَبَهُمْ <sup>(١)</sup> . ولا تمنعهم رِفْدَكَ فيمَلّوا قُرْبَكَ ، ويستثقلوا حياتَكَ ، ويتمنوا وفاتَكَ .  
وقال : لله درُّك يا أبا بَحرٍ ، هُمُ كما قلت !

وزعمت الرواة أنها لم تسمع للأحنف إلا هذين البيتين :

فلو مدَّ سرَّوى بمالٍ كثيرٍ      لجُذْتُ وكنتُ له بأذلاً

فإنَّ المروءة لا تستطاع      إذا لم يَكُنْ مالُها فاضلاً

وكان يُبَحِّلُ . وقال لَبْنِي تَمِيمٌ : أنزعُمون أنى بحيل ! والله إنى لأشير بالرأى  
قيمتُهُ عشرة آلاف درهم ! فقالوا : تقويمك لرأيك يُبَحِّلُ . وكان الأحنفُ من  
الفضلاء الخطباء النَّسَّاك ، وبه يُضْرَبُ المثل في الحِلْمِ

وقد ذُكِرَ للنبي صلى الله عليه وسلم فاستغفرَ له ؛ فقد بعث النبي صلى الله عليه  
وسلم رجلاً إلى قومه بنى سَعْدٍ يَعْرِضُ عليهم الإسلام ، فقال الأحنف : إنه يدعوكم

ذكر للنبي  
فاستغفر له



إلى خير ، ولا أسمعُ إلا حسناً . فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم اغفر  
للأحنف . وكان الأحنفُ يقول : ماشىء أَرْجَى عندي مِنْ ذلك .

من أوصاف  
الأحنف

قال عبدُ الملك بن عُمر : قدم إلينا الأحنفُ ، فما رأينا خصلةً تَدَمُّ في رجل  
إلا رأيناها فيه ، كان أصلع الرأسِ ، متراكب الاسنان ، أشدق ، مائل الذقنِ ،  
ناتئ الوجنتين ، باخق العينين <sup>(١)</sup> ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، وكانت  
العينُ تفتحهُ دَمَامَةً وَقَلَّةَ رُوءاء ، ولكنه إذا تكلمَ جَلَّى عن نفسه . وهو الذي  
خطب بالبصرة حين اختلفت الأحياء ، وتنازعت القبائل ؛ فقال بعد أن حمد الله  
وأثنى عليه : يا معشرَ الأزد [ وريبعة ] ، أتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في  
الصهر ، وأكفأؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على القدوة ، والله لأزددُ  
البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، [ ولأزد الكوفة أحبُّ إلينا من تميم  
الشام ] ، وفي أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم .

جارية لآل  
المهلب تنظر إلى  
الأحنف

وقد قام خطباه البصرة في هذا اليوم وتكلموا وأسهبوا ، فلما قام الأحنف أضفت  
القبائلُ إليه ، واثالت عليه ، وقال الناس : هذا أبو بَجْرٍ ، هذا خطيب بني تميم ،  
وحضر ذلك الجمع جارية لآل المهلب ، فذهبت ترومُ النظر إليه ، فاعتاص ذلك  
عليها ، فأشرفت عليه من دارها ، فلما رآته والأبصارُ خاشعةٌ لكلامه ، ورأت  
دمامةً خَلِيقه ، وكثرة آفاتِ جوارحه ، قالت : فَقِدَتِ هذه الخِلقة ولو افترتْ  
عن فصل الخطاب

الأحنف يحد  
على معاوية

وذكر المدائني أنَّ الأحنفَ بن قيسَ وَفَدَّ على معاوية رضي الله عنه مع أهل  
العراق ، فخرج الآذِنُ ، فقال : إنَّ أميرَ المؤمنين يعزم عليكم ألاَّ يتكلمَ أحدٌ  
إلا لنفسه . فما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عَزَمَةُ أمير المؤمنين لأخبرته أن  
دافَّةً دَفَّتْ ، وبازلةً نَزَلَتْ ، ونابتةً نَبَتَتْ ، كلهم بهم حاجة إلى معروفِ أمير  
المؤمنين وبرّه . قال : حسبك يا أبا بجر ، فقد كفيت الشاهد والغائب .

(١) البخق في العين : ألا يلتقي جفناها (م)

كلامه معاوية  
وصاراد البيعة  
ليزيد

ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه بوفد أهل العراق ،  
فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة ، فتكلم الخطباء في يزيد ، والأحنف ساركت ،  
فلما فرغوا قال : قل يا أبا بجر ، فإن العيون إليك أشرع منها إلى غير . فقام  
الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير  
المؤمنين ؛ إنك أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراره ، فإن كنت  
تملمه الله رضا فلا تشاور فيه أحداً ، ولا تُقيم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت  
تعلم بعده من الله فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ؛ فإنك تصير  
إلى يوم يفر [فيه] المرة من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبتة وبنيه . قال : فكانه أفرغ  
على معاوية ذنوب ماء بارد . فقال له : اقم يا أبا بجر ؛ فإن خيرة الله تجري ،  
وقضاء الله يمضي ، وأحكام الله تنفذ ، لا مُعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ؛ وإن  
يزيد فتى قد بلوناه <sup>(١)</sup> ، ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .  
فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، وإذا  
أراد الله شيئاً كان .

\*\*\*

قال ابن الرومي :

ابن الرومي  
يذكر حق  
الشاعر على  
السكرام

إن اسراً رَفَضَ المكاسب واغْتَدَى بِتَعْلَمُ الآدابَ حتى أحكاماً  
فكساً وحَلَّى كلَّ أَرْوَغٍ مَاجِدٍ من حُرٍّ ما حالَكِ القريضَ ونَظْمًا  
ثِقَةً برغى الأكرمين حقوقه لأحق ملتئم بالآ يُخَرِّمًا  
قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار : ومن نادر شعر أبي الحسن في هذا  
المعنى قوله ، ووصف إلتعاب الشعراء أنفسهم بدؤهم في صناعتهم ، وما يتصرم  
من أعمارهم ، وأن إلحاحهم في طلب ما في أيدي من أسلفوه مديحهم لو كان  
رغبة منهم إلى ربهم كان أجدى عليهم ، وأقرب من درك بُغيَتهم ، ونَجح طَلبتهم ،  
ثم انحرف إلى توبيخ من مدحه فخرمه بأحسن عبارة ، وأرضى استمارة ، فقال :

للناس فيما يكلفون مغارم عند الكرام لها قضاء ذمام  
ومغارم الشعراء في أشعارهم إنفاق أعمارٍ وهجرٌ منام  
وجفاء لذاتٍ ورفضٌ مكاسب لو حولفت حرست من الإعدام  
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل حسن الصنائع سابع الإنعام<sup>(١)</sup>  
من لو بخدمته تشاغل معشرٌ خدموكم أجدى على الخدام  
أفما لذلك حرمة مرعيةٌ إن الكرام إذا لعبز كرام  
لم أحسب فيك الثواب بمدحى إياك يابن أكارم الأقوام  
لو كان شعري حسنة لم أكسهُ أحداً أحق به من الأيتام  
لا تقبلن المدح ثم تعافه فتنام والشعراء غير نيام  
واحدز معرتهم إذا ذنتهم فلمهم أشد معرة العوام  
واعلم بأنهم إذا لم ينصفوا حكموا لأنفسهم على الحكم  
وجناية العادى عليهم تنقضى وعقابهم يبتقى مع الأيام  
أبو الطيب المتنبي :

ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتى

\*\*\*

مات الأحنف بن قيس بالكوفة ، فشى مصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء ، وقال : اليوم مات سرُّ العرب ؛ فلما دُفن قامت امرأة على قبره فقالت : لله درك من مُجنٍّ في جنٍّ<sup>(٢)</sup> ، ومُدْرَج في كفن ، نسالُ الذى فجعنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ، أن يجعل سبيلَ الخيرِ سبيلَكَ ، ودليلَ الرشد دليكَ ، وأن يوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرِكَ ؛ فرائه لقد كنت فى الحافل شريفاً ، وعلى الأرامل

(١) سابع الإنعام : من إضافة الصنعة للموصوف ، والإنعام السابغ : الكثير الوافى ( م ) . (٢) مجن : مستور ، والجنن - بالتحريك - القبر ، وجمعه أجنان ( م )

وفاة الأحنف  
ورثاء امرأة له

عَطُوفًا ، ولقد كنت في الحَيِّ مُسَوِّدًا ، وإلى الخليفة مُوفِّدًا ، ولقد كانوا لقولك  
مُسْتَمِعِينَ ، ولرايك مُتَّبِعِينَ ؛ ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله في  
بلادِهِ ، شهود على عبادِهِ ، وإني لقائلةٌ حَقًّا ، ومثنيةٌ صِدْقًا ، وهو أهلٌ لِحُسْنِ  
النَّاءِ ، وطيب النَّشَأِ<sup>(١)</sup> ، أما والذي كنت من أجلِهِ في عُدَّةٍ ، ومن الحياةِ إلى مدَّةٍ ،  
ومن اللِّقْدَارِ إلى غَايَةٍ ، ومن الإيَابِ إلى نِهَايَةٍ ، الذي رفعَ عملَكَ ، لما قَضَى أَجَلَكَ ،  
لقد عِشْتَ حميدًا مودودًا ، ومُتَّ سَعِيدًا مفقودًا ، ثم انصرفت وهي تقول :  
للهِ درُّك يا أبا بَحرٍ      ما ذا تَغِيَّبُ مِنْكَ في القَصْرِ ؟  
للهِ درُّك أيَّ حَشَوِ تَرَى      أصبحتَ من عُرْفٍ ومن نُكْبَرِ  
إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَرًّا لَنَا      حَدَّثَنَا بِهِ وَهَمَّتْ قُوَى الصَّبْرِ<sup>(٢)</sup>  
فَلَكُمْ يَدِ أَسَدِيَّتِهَا وَيَدِ      كَانَتْ تَرُدُّ جِرَائِرَ الدَّهْرِ<sup>(٣)</sup>  
ثم انصرفت فسُئِلَ عنها ، فإذا هي امرأتُهُ وابنةُ عمِّهِ . فقال الناس : ما سمعنا  
كلامَ امرأةٍ قطّ أبْلَغَ ولا أَصْدَقَ مِنْهُ .

قال : وكان الأحنفُ قدِمَ السَّكُوفَةُ في أيامِ مصعبِ بنِ الزَّبيرِ ، فرآه رجلٌ  
أَعورَ دُمِيًّا قَصِيرًا أَحْنَفَ الرَّجْلَيْنِ ، فقال له : يا أبا بَحرٍ ؛ بأيِّ شَيْءٍ نَامَغْتَ في الناسِ  
ما أرى ؛ فوالله ما أَنْتَ بِأَشْرَفِ قَوْمِكَ ، ولا أَجودِهِمْ ؟ ! فقال : يا ابنَ أُخِي ، بخلافِ  
ما أَنْتَ فِيهِ ! قال : وما هو ؟ قال : تَرَكِي من أَمْرِكَ ما لا يَعْنِينِي ، كما عَنَّاكَ من  
أَمْرِي ما لا تَتْرَكَهُ .

[ منصور النمرى ]

اجتمع الشعراءُ ببابِ المعتصمِ فبعثَ إليهم : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَحْسِنُ أَنْ يَقُولَ  
وَعَمْدُ بْنُ وَهَبٍ      مثل قول منصور النمرى في أمير المؤمنين الرشيد :  
الشاعر

(١) في رواية « وطيب الدَّعَاء » (م) (٢) وهنت : ضعفت (م)

(٣) أسديتها : أعطيتها ومنحتها ، والجرائر : جمع جريرة ، وهي الجريمة ،

والخطيئة ، والذنب (م)

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً      أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ  
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ      وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مَتَّضِعُ  
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مَعْتَصِمًا      فَلَيْسَ بِالصَّلَاةِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ  
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلَفِ أَنْامِلُهُ      أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسِعُ

فليدخل ، فقال محمد بن وهيب : فينا من يقولُ خيراً منه ، وأنشد :

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهِمْ      شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ  
يُحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ      الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصُّمَمَاتُ الذِّكْرُ  
فَأَمْرٌ يَدْخُلُهُ وَأَحْسَنُ صَلَاتِهِ .

أخذ معنى البيت الأول من بيتي محمد بن وهيب أبو القاسم محمد بن هانيء الأندلسي :

لِلدَّفَنَانِ مِنَ السَّبَرِيَّةِ كُلِّهَا      قَلْبِي وَطَرْفُ بَابِلَى أَخْوَرُ<sup>(١)</sup>  
وَالْمَشْرِقَاتِ الْبُيُوتِ ثَلَاثَةٌ      الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَجَعْفَرُ  
وَبَيْتُ أَبِي الْقَاسِمِ [ الْأَوَّلُ ] مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

يَا عَلِيًّا جَعَلَ الْعِلْمَ مِفْتَاحًا لِسُقْيَى  
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَلِيلٌ غَيْرُ جَفَنَيْكَ وَجِسْمِي

ومر النري بالعتابي مغموماً فقال : ماله ، أعزك الله ؟ فقال : امرأتى بطلق<sup>(٢)</sup> منصور النخري والعتابي منذ ثلاث ونحن على يأسٍ منها . فقال له العتابي : وإن دواءها منك أقرب من وجهها ، قل : هارون الرشيد ، فإن الولد يخرج ! فقال : شكوت إليك بما بي ، فأجبتني بهذا ؟ فقال : ما أخذت هذا إلا من قولك :

إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلَفِ أَنْامِلُهُ      أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسِعُ

(١) المدنفان : مثني مدنف ، وهو اسم مفعول من «أدنفه المرض» أي أضعفه والطرف - بالفتح - أراد به العين ، والبابلي : المنسوب إلى بابل ، وهي بلد السحر ، وهم يصفون عيون الغواني بالفتور . كما يصفونها بأنها تفعل بالألباب ما لا يفعله السحر (م) (٢) كذا ، وأحسب أن أصلها « امرأتى تطلق » أي يأتيها المخاض وهو وجع الولادة ، ولما في الأصول وجه (م)

وأبيات منصور بن سَلَمَة بن الزبرقان النمرى التى ذكرها المعتصم من قصيدة  
له وهى أحسن ما قيل فى الشيب أولها :

ما تنقضى حَسْرَة منى ولا جَزَع  
بأنَّ الشَّبابَ وفاتَنَتْنى بغيرَتِه  
ما كنتُ أو فى شبابي كُنْه غِرَّتِه  
تعجبتُ أن رأتُ أسرابَ دمعَتِه  
أصبحتُ لم تطعمي ثُكلَ الشَّبابِ ولم  
لا الحينَ فتأتى غيرَ كاذبَةٍ  
ما واجهَ الشَّيبَ من عَيْبٍ وإنْ ومِقتُ  
إنى لمعترفٍ ما فىَّ من أَرَبِ  
قد كدتُ تنقضى على فُوتِ الشَّبابِ أَسَى  
وذُكر أن الرشيد لما سمع هذا بكى ، وقال : ما خير دنيا لا تخطر فيها ببرد  
الشباب ! وأنشد متمثلاً :

أَتَأْمُلُ رَجَعَةَ الدُّنْيَا سَفَاهَا      وقد صار الشبابُ إلى ذَهَابِ  
فليتِ الباكياتِ بكلِّ أرضٍ      مُجِئَنَ لَنَا فَنُحْنُ عَلَى الشَّبابِ  
وكان الرشيد يقدم منصوراً النمرى بجودة شعره ، ولما يمتُّ إليه من النسب من  
العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وكانت نثيلة أم العباس من النمر بن قاسط ؛ ولما  
كان يُظهِرُ من الميل إلى إمامة العباس وأهله ، والمنافرة لآل على رضى الله عنه وبقول :  
بني حسن وقل لبني حُسَيْنِ      عليكم بالسَّدَادِ مِنَ الْأُمُورِ  
أُمِيطُوا عَنْكُمْ كَذِبَ الْأَمَانِي      وَأَحْلَامَا يَعِدُنَ عِدَاةَ زُورِ (٣)

تقديم الرشيد  
للنمرى  
وأسابه

- (١) غرة الشباب : غفلته وسهوه ، والحدع : جمع خدعة : وهى ما تنخدع به (م)  
(٢) ومقت : ودت وأحبت ، والمرتدع : الارتداع والانزجار (م)  
(٣) أميطوها عنكم : أبعدوها عنكم (م)

تَسْمَوْنَ النَّسَبَ أَبَا وَيَّابِي مِنْ الْأَحْزَابِ سَطْرٌ فِي سَطُورٍ  
يُرِيدُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ). وهذا إنما نزل في  
شأن زيد بن حارثة، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تبنَّاهُ، فقال له الرشيد:  
ما عدوتَ ما في نفسي، وأمره أن يدخلَ بيتَ المالِ فيأخذَ ما أحبَّ.  
وكان يضرر غير ما يظهر، ويعتقد الرِّفْضُ، وله في ذلك شعر كثير لم يَظْهَرْ التَّمْرِى رافضو

إلا بعد موته، وبلغ الرشيد قوله:

آلُ النَّبِيِّ وَمَنْ يُحِبُّهُمْ      يَتَطَامَنُونَ خِثَافَةَ الْقَتْلِ  
أَمِنْ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَمَنْ      مِنْ أُمَّةٍ التَّوْحِيدِ فِي أَزْلِ (١)  
إِلَّا مَصَالَتُ يَنْصَرُونَهُمْ      بَطْبًا الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الذُّبْلِ (٢)

فأمر الرشيد بقتله [وكان حينئذ برأس العين]، فمضى الرسولُ فوجده قدمات  
فقال الرشيد: لقد هممت أن أنبش عظامه فأحرقها. وكان يُبلغز في مدحه لهرون،  
وإنما يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ رضوان الله عليه: أنت مني بمنزلة  
هرون من موسى. وقال الجاحظ: وكان يذهب أولاً مذهب الشُّرَاة (٣)، فدخل  
الكوفة وجلس إلى هشام بن الحكم الرافضى وسمع كلامه، فانتقل إلى الرِّفْضِ،  
وأخبرني مَنْ رآه على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما ينشد قصيدته التي يقول فيها:

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَكْتافِ مِنْهُمْ      وَلَا الْأَقْفَاءِ آثَارُ النَّصُولِ (٤)  
وَلَكِنْ الْوَجُوهَ بِهَا كُلُومٌ      وَفَوْقَ حُجُورِهِمْ تَجْرَى السُّيُولُ  
أَرِيقُ دَمِ الْحُسَيْنِ وَلَمْ يَرَاوَا      وَفِي الْأَحْيَاءِ أَمْوَاتُ الْعُقُولِ  
فَدَتْ نَفْسِي جَبِينَكَ مِنْ جَبِينِ      جَرَى دَمُهُ عَلَى خَدِّ أَسِيلِ  
أَيُخْلُو قَلْبُ ذِي وَرَعٍ وَدِينِ      مِنْ الْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ الطَّوِيلِ

(١) الأزل: الشدة والضيق (م) (٢) المصالت: جمع مصلت، وهو المقدام  
الشجاع، والطبا: جمع طبة، وهى حد السيف، والصوارم: السيوف واحدها  
صارم (م) (٣) الشُّرَاة: الخوارج، سموا أنفسهم بذلك لأنهم زعموا أنهم شروا  
أنفسهم بأن لهم الجنة، والروافض: فرقة من الشيعة (م)  
(٤) يريد أنهم لا ينفرون فيقع الطعن في ظهورهم (م)

وقد شرقت رِماحُ بنى زيادٍ      برىَّ من دماء بنى الرسول<sup>(١)</sup>  
 بترية كره بلاءَ لهم ديارُ      نيامُ الأهل دارِسةُ الطُّلولِ  
 فأوصل الحسين ببطنِ قاع      ملاعبُ للدَّبُورِ وللقبولِ  
 تحياتٌ ومغفرةٌ وروحٌ      على تلك المحملة والحلولِ<sup>(٢)</sup>  
 برئنا يا رسولَ الله من      أصابك بالأذية والدُّحُولِ<sup>(٣)</sup>

[ ابنا المعدل ]

وقال أحمد بن المعدل :

أحمد  
بن المعدل

أخو دَنَفٍ رَمْتُهُ فَأَقْصَدْتُهُ      مِهَامٌ مِنْ جَفُونِكَ لَا تَطِيشُ  
 كَثِيبٌ إِنْ تَرَحَّلَ عَنْهُ جَيْشٌ      مِنْ الْبَلْوَى أَلَمٌ بِهِ جُيُوشُ  
 وكان أحمد بن المعدل بن غيلان العبدى فى اللغة والبيان والأدب والحلاوة غايةً .  
 قال : دخلتُ المدينة فتحملت على عبد الملك بن الماجشون برجل ليخصنى  
 ويُغنى بى ، فلما فاتحنى قال : ما تحتاجُ أنت إلى شفيع ، معك من الخداء والسقاء  
 ما تأكلُ به لبَّ الشجر ، وتشرب صفوَّ الماء .

وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوّه ، فكتب إليه أحمد : أما بعدُ  
 فإنَّ أعظمَ المسكروه ما جاء من حيث يُرجى الحبوب ، وقد كنتَ مؤملاً  
 مرَّجوا ، حتى شمل شرك ، وعمَّ أذاك ، فصرت فيك كأبى العاق : إن عاش  
 نفسه ، وإن مات نقصه ، واعلم لقد خَسَنْتَ صَدْرَ أَخٍ جَبِيْبُهُ لك ناصحٌ ، والسلام .  
 وكان يقول له : أنت كالأصبع الزائدة : إن تُرِكَتْ شانت ، وإن  
 قطعت آلمت !

بين أحمد  
وأخيه

ومثلُ هذا قولُ النعمان بن شمر الغساني :

- (١) شرقت الرماح بدمائهم : كناية عن كثرة ما أسالنه منها (م)  
 (٢) المحلة : الموضع الذى يحلون به ، والحلول : جمع حال (م)  
 (٣) الدحول : جمع ذحل ، وهو الوتر (م)



وصَالَ أَبِي بَرْدٍ عَنَّا ، وتركه  
 إِذَا زُرْتَهُ يَوْمِينَ مَلَّ زِيَارَتِي  
 وَقَوْلُ الضَّحَّاكِ بْنِ هَامٍ الرَقَاشِي :  
 وَأَنْتَ أَمْرٌ مَنَا خَلَقْتَ لغيرنا  
 وَأَنْتَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ ابْنُ حَرَّةٍ  
 وَفِيكَ خِصَالٌ صَالِحَاتٌ يَشِينُهَا  
 وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِذَا سَاءَنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ جَاهِدًا  
 فِيَالَيْتَ شِعْرِي مَا يَعَامَلَنِي بِهِ  
 وَفِي كُلِّ حَالٍ مَنْ أَحَبَّ وَأُحِبُّ<sup>(١)</sup>  
 عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ مَنْ أَعَادِي وَأَبِغَضُ

أَخَذَ أَحْمَدُ بَ:  
 الْمَعْدِلُ لِلصَّدِّ

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ : وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَعْدِلِ مِنَ الْأَبْهَةِ ، وَاتَّمَسَكَ بِالْمُهَاجِ ،  
 وَالتَّجَنَّبَ لِلْعَبَثِ ، وَالتَّعَرَّضَ لِلْإِشْفَاقِ لِمَا فِي<sup>(٢)</sup> أَيْدِي النَّاسِ ، وَإِظْهَارِ الرُّهْدِ فِيهِ ،  
 وَالتَّبَاعِدِ عَنْهُ ، عَلَى غَايَةٍ ، حَتَّى حُمِلَ فِي فَقْهَاءٍ وَأَدْبَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ؛ فَأَخَذَ  
 الصَّلَاةَ غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ وَلَا مُفْسِرٍ . وَوَصَلَهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فَقَبِلَ ، وَاسْتَدْعَى اجْتِبَاءَهُ  
 إِيَّاهُ ، وَتَحَلَّى لَهُ جَهْدَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ :

عَذِيرِي مَنْ أَخْبَحَ قَدْ كَانَ يُبْدِي  
 عَلَى مَنْ لَأَبَسَ السُّلْطَانُ عَتَبَهُ  
 وَكَانَ يَذْمُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
 لَهُ بِالْجَهْلِ وَالْهَذْيَانِ خُطْبَتُهُ  
 فَلَمَّا أَنْ أَتَتْهُ دُرَيْهَمَاتُ  
 مِنَ السُّلْطَانِ بَاعَ بِهِنَّ رَبَّةً  
 وَقَالَ فِيهِ :

لِي أَخْبَحُ لَا تَرَى لَهُ  
 سَبَائِلًا غَيْرَ عَاتِبٍ  
 أَتَجَمُّعُ النَّاسَ كُلَّهُمْ  
 لِلنِّيمِ الْمَذَاهِبِ

(١) مَنْ أَحَبَّ : هُوَ فَاعِلٌ «سَاءَنِي» (م) (٢) لِلْإِشْفَاقِ : هُوَ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ

وَأَصْلُ الْكَلَامِ : وَالتَّعَرَّضَ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ لِأَجْلِ الْإِشْفَاقِ (م)

دون معـروفِ كَفِّهِ      لَمَسُ بعضِ الكواكبِ  
ليت لي منك يا أخى      جارةٌ مِنْ مُحَارِبِ  
نارها كلَّ شَتْوَةٍ      مِثْلُ نارِ العَبْجَابِ



القطامي يهجو امرأة من محارب  
ذهب إلى قول القطامي ، وقول القطامي من خبيث المعجاء ، وكان نزل  
بامرأة من محارب بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مضر ، فذمَّ مَثْوَاهُ  
عندها ، فقال :

وإني وإنْ كان المسافرُ نازلاً      وإنْ كان ذاق حقَّ على الناسِ واجبِ  
فلا بدَّ أن الضيفَ يُخْبِرُ ما رَأَى      مُحَبِّراً أهلَ أوْ مُحَبِّراً صاحبِ  
لَمْخَبْرِكَ الأنباءَ عَنْ أُمَّ مَنْزِلِ      تَضَيَّفَتْهَا بَيْنَ الْعُذِيبِ فَراسِبِ  
تَلَفَّتْ فِي طَلٍّ وَرِيحٍ تَلَفَّتِي      إِلَى طَرِمْسَاءَ غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِبِ (١)  
إِلَى حَيْزَبُونٍ تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا      تَلَفَّتِ الظُّلُمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٢)  
تَصَلَّى بِهَا بَرْدَ الْعِشَاءِ وَلَمْ تَكُنْ      تَحَالُ وَمِيزُ النَّارِ يَبْدُو لِرَاكِبِ  
[ فَمَا رَاعِمَهَا إِلَّا بَقَامٌ مُطِيقِي      تَرِيحٍ مَحْسُودٍ مِنَ الصَّوْتِ لَاغِبِ (٣)  
فَجِئْتُ فَنَوْنًا مِنْ دِلَالٍ مُنَاخَةٍ      وَمِنْ رَجُلٍ عَارِي الْأَشْجَاعِ شَاكِبِ (٤)  
سَرَى فِي حَلِيكِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا      تَخْزَمُ بِالْأَطْرَافِ شَوْكُ الْعُقَارِبِ  
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِي وَنَاقِي      إِلَيْكَ ، فَلَا تَذَعُرْ عَلَى رَكَابِي  
فَسَلَّمْتُ وَالتَّسْلِيمُ لَيْسَ يَسْرُهَا      وَلَكِنَّه حَقٌّ عَلَى كُلِّ جَانِبِ  
فَرَدْتُ سَلَامًا كَارَهَا ثُمَّ أَعْرَضْتُ      كَمَا انْحَاشَتْ الْأَفْعَى مِنْخَافَةَ ضَارِبِ  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا      مَنِ الْحَقُّ؟ قَالَتْ: مَعِشَرٌ مِنْ مُحَارِبِ

(١) الطرمساء : الظلمة الشديدة (م) (٢) الحيزبون : العجوز .

(٣) بقام مطيقي : صوتها (م) (٤) الدلائل : السريع من النوق والجمال وغيرها (م)

من المُستَوين القَدَّ ما تَرَاهُ جِيَّاعاً ورِيفُ الناسِ ايسَ بِمَنَاصِبِ  
 فلما بَدَأَ حرماً هُما الضيفَ لِمَ يَكُنْ عَلى مَيِّتِ السوءِ ضَرْبَةً لَأَزْبِ  
 وَقُمتُ إلى مَهْرِيَّةٍ قَد تَعَوَّدَتُ يَدَاهَا ورِجْلَاهَا حِيثَ المَرَاكِبِ  
 إلا إِنما نيرانِ قيسٍ إِذا شَتَوْا لطارِقِ ليلٍ مِثْلُ نارِ الحُبَّاحِبِ  
 ومحارب : قبيلة منسوبة إلى الضعف ، وقد ضَرَبَتِ العربُ بِها المَثَلَ . قال  
 الفرزدق الجَرير :

وما استعهد الأَقوامُ من زوجِ حُرَّةٍ من الناسِ إلا مِنكَ أو من مُحاربٍ  
 أَى يَأْخُذونَ العَهْدَ عَلَيهِ أَنه لَيسَ من كَلِيبٍ ولا من مُحاربٍ .  
 وقال أبو نَواسٍ في قَصِيدَتِهِ الَّتِي فخرَ فِيها بِالِإِيمانِيَّةِ وهجاً بِقَبائِلِ مَعَدٍّ :  
 وقيسَ عيلانَ لا أريدُ لها من الحَمازِ سِوَى مُحاربِها

\*\*\*

وكانت أم عبد الصمد بن المَعْدِل طَبَاحَةً ، فَكانَ أَحْمَدُ يَقولُ إِذا بَلَغَهُ هِجَاؤُهُ : أم عبد الصمد  
 ما عَسَيْتُ أَن أَقولَ فِيمَن أَفْجَحَ بَينَ قَدَرٍ وَتَنُورٍ ، وَنَشأُ بَينَ زَقٍّ وَطُنْبورٍ <sup>(١)</sup> ؟ وعبد الصمد ابن المَعْدِل  
 شاعرُ أَهلِ البَصْرَةِ في وَقْتِهِ ، وَهُوَ القائِلُ :

تَكَلَّفُنِي إِذْ لالَ نَفْسي لِعِزِّها وَهانَ عَلَيها أَن أَهانَ لَتُكرِما  
 تقول : سَلِ المَعروفَ بِحِجِّي بَنَ أَكْثَمَ فَقَلْتُ : سَلِهِ رََبِّ يَحْيى بَنَ أَكْثَمَ

قال أبو شُرَاعة القَيسِي : كُنْتُ في مَجْلِسِ العُتْبى مَعَ عبد الصمد بن المَعْدِل ، لأبى حَكِيمَةَ  
 فَتَذاكَرنا أَشعارَ المولَدين في الرقيق ، فقال عبد الصمد : أَنا أَشعرُ الناسِ فِيهِ وفي الرقيقِ  
 غَيرِهِ ، فَقَلْتُ : أَحذِقُ مِنكَ وَاللهُ بِالرقيقِ الَّذي يَقولُ ، وَهُوَ راشِدُ بنِ إِسحاقَ  
 أَبُو حَكِيمَةَ الكُوفِي :

(١) الزق : أَرادَ بِهِ الحَجرَ ، والطنبور : من آلاَتِ اللَهِو ، يَعْنى أَنه رَدِىءُ

اللقحة سِواءَ التَنَشُّطِ ، فَلَمَّا يَخْرُجُ إِلا نَكَدًا (م)

ومستوحش لم يُمس في دار غربة  
 طواه الهوى واستشعر الوصل غيره  
 سلام على الدار التي لا أزورها  
 وإن حُجبت عن ناظري ستورها  
 هوى نصحك الذات عند حضوره  
 تنثني به الأعطاف حتى كأنه  
 ألم ترصمتي حين يجرى حديثه  
 رضيت بسنى الدهر بيني وبينه  
 أحاذر إن واصلته أن ينالني  
 أرى دون من أهوى عيونا ترينني  
 أداري جليسي بالتجلد في الهوى  
 وأخبر عنه بالذي لا أحبه  
 مخافة أن تغري بنا السن العدا  
 كأن مجال الطرف في كل ناظر  
 أرى خطرات الشوق يبيكين ذا الهوى  
 وكل قد أذل الحب من متمنع  
 وإن خضوع النفس في طلب الهوى  
 فلم ينطق بحرف .

لأبي شراعة ولأبي شراعة يمدح بني رياح :

بني رياح أعاد الله نعمتكم خير المعاد وأسقى ربكم ديماً<sup>(١)</sup>

(١) شطت : بعدت . ونواه : نبته ، أو بعده ، وهم يسندون الفعل إلى مصدره  
 فيقول : جد جاءه ، وشعر شعره (م) (٢) الديم : جمع ديمة ، وهو المطر الدائم (م)

فَكَمِ بِهِ مِنْ فَتَى حُلُوشَمَائِلَهُ . يَكَادُ يَنْهَلُ مِنْ أَعْطَافِهِ كَرَمًا  
لَمْ يَلْبَسُوا نِعْمَةً لِلَّهِ مُذْ خَلَقُوا إِلَّا تَلَبَّسَهَا إِخْوَانُهُمْ نِعْمًا

لابن المعتز  
في إبراهيم  
بن رياح

وفي إبراهيم بن رياح يقول عبد الصمد بن المعتز :

قَدْ تَرَكْتَ الرِّيحَ يَا بَنَ رِيَّاحٍ وَهِيَ حَسْرَى إِنْ هَبَّ مِنْهَا نَسِيمٌ  
نَهَكَتْ مَالَكَ الْحَقُوقُ فَأَضْحَى لَكَ مَالٌ نِضْوٌ وَفَعِلَ جَسِيمٌ<sup>(١)</sup>

وكان عبد الصمد [ بن المعتز ] متصلا بإبراهيم وبنيه ، وأفاد منهم أموالا  
جليلة ، واعتقد عقدا نفيسة ، فما شكر ذلك ولا أصحبه بما يجب عليه من الثناء  
عند نكبتة ، وكان الواثق عزَّله عن ديوان الضياع ، ودفعه إلى عمر بن فرج  
الرخجي ، فحبسه فهبَّاه عبد الصمد .

صفات  
عبد الصمد  
بن المعتز

قال أبو العباس محمد بن يزيد<sup>(٢)</sup> : وكان عبد الصمد شديد الإقدام على  
ردى السريرة فيما بينه وبين الناس ، خيث النية ، يرصد صديقه بالمكرهه ،  
تقديرا أن يعاديه فيسوءه بأمر يعرفه ؛ ولا يكاد يسلم لأحد ، وكان مشهورا في  
ذلك الأمر ، يلبس عليه<sup>(٣)</sup> ، ويحمل على معرفة ، عجباً بظرف لسانه ، وطيب  
جلسه ، وأيضا لقبُح مسبته ، وشائن معرفته .

قال أبو العيَّان : ولما حبس الواثق إبراهيم بن رياح ، وكان لي صديقا ، صنعتُ  
له هذا الخبر رجاء أن ينتهي إلى أمير المؤمنين فينتفع به ، فأخبرني زيد بن علي  
ابن الحسين أنه كان عند الواثق حين قِيءَ عليه فضحك واستظرفه . وقال : ما صنع  
هذا كله أبو العيَّان إلا في سبب إبراهيم بن رياح ، وأمر بتخليته ، والخبر : قال  
لقيتُ أعرابيا من بني كلاب فقلت له : ما عندك من خبر هذا العسكر ؟ فقال :  
قتل أرضا عالمها ، قال : فقلت : فما عندك من خبر الخليفة ؟ قال : بئخ بعزه ، وضرب

(١) نهكته : انت عليه واجتاحته ، والنضو - بالكسر - الضعيف السقيم (م)

(٢) هو المرء (م) (٣) يلبس عليه . أى يخالطه الناس مع علمهم به (م)

بِجَرَانِهِ ، وَأَخَذَ الدَّرْهَمَ مِنْ مِصْرِهِ ، وَأَرْهَفَ قَلَمَ كُلِّ كَاتِبٍ بِجَبَابَتِهِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ ؟ قَالَ : عُضْلَةٌ <sup>(١)</sup> لَا تُطَاقُ ، وَجَنْدَلَةٌ لَا تُرَامُ ، يَنْتَحِي بِالْمَدَى لَتَحْزَهُ فَيَجُورُ ، وَتَنْصَبُ لَهُ الْجَبَائِلُ حَتَّى تَقُولَ : الْآنَ ، ثُمَّ يُضْبِرُ <sup>(٢)</sup> ضَبْرَةَ الذَّنْبِ ، وَيَخْرُجُ خُرُوجَ الضَّبِّ ، وَالْخَلِيفَةُ يَخْنُو عَلَيْهِ ، وَالْقُرْآنُ آخِذٌ بِضَبْعَيْهِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي عَمْرِ بْنِ فَرَجٍ ؟ قَالَ : ضَخْمٌ حِضْجَرٌ <sup>(٣)</sup> ، غَضُوبٌ هَزَبَرٌ . قَدْ أَهْدَفَهُ الْقَوْمُ لَبْفِيهِمْ ، وَاتَّضَلُّوا لَهُ عَنْ قِسِيَّتِهِمْ ، وَأَخْرَجَ لَهُ بِمِثْلِ مِصْرَعٍ مِنْ يَمِينِهِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ بْنِ الزُّيَّاتِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ رَجُلٌ وَسِعَ الْوَرَى شَرَّهُ ، وَبَطْنَ الْأُمُورِ خَيْرَهُ . فَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَرِيحٌ ، لَا يَظْهَرُ فِيهِ أَثَرُ نَابٍ وَلَا مِغْلَبٍ ، إِلَّا تَبْسِيدُ الرَّأْيِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رِيَّاحٍ ؟ قَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ أَوْبَقَهُ كَرْمُهُ ، وَإِنْ يَفْزُ لِلْكَرَامِ قَدَحٌ ، فَأَحْرَبَ بِمَنْجَاتِهِ ، وَمَعَهُ دَعَاءٌ لَا يَخْذُلُهُ ، وَرَبٌّ لَا يَسْلُمُهُ ، وَفَوْقَهُ خَلِيفَةٌ لَا يَظْلُمُهُ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ نِجَاحِ بْنِ سَلَمَةَ ؟ قَالَ : اللَّهُ دَرَهُ مِنْ نَاقِضٍ أَوْتَارٍ ، يَتَوَقَّدُ كَأَنَّهُ شَعْلَةٌ نَارٌ ، لَهُ فِي الْقَيْنَةِ بَعْدَ الْقَيْنَةِ ، عِنْدَ الْخَلِيفَةِ خَلْسَةٌ كَخَلْسَةِ السَّارِقِ ، أَوْ كَحَسْوَةِ الطَّائِرِ ، يَقُومُ عَنْهَا وَقَدْ أَفَادَ نِعْمًا ، وَأَوْقَعَ نِقْمًا . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ ابْنِ الْوَزِيرِ ؟ قَالَ : إِخَالُهُ كَنْبُشُ الزَّنَادِقَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْخَلِيفَةَ إِذَا أَهْمَلَهُ خَضِمَ وَرَتَعَ ، وَإِذَا أَمَرَ بِتَقْصِيهِ أَمَطَرَ فَأَمْرَعَ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَيْرِ الْخَصِيبِ أَحْمَدٍ ؟ قَالَ : ذَاكَ أَحْمَقُ ، أَكَلُ أَكَلَةِ نَهْمٍ ، فَاخْتَلَفَ اخْتِلَافَ بِشْمٍ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ الْمُعَلَّى بْنِ أَيُوبَ ؟ قَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ قَدَّ مِنْ صَخْرَةٍ ، فَصَبَّرَهُ صَبْرُهَا ، وَمَشَّهَ مَشَّهَا ، وَكَلَّ مَافِيهِ بَعْدَ فَمْنِهَا وَلَهَا . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَيْرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : كَتُومٌ غُرُورٌ <sup>(٤)</sup> ، وَجَسَدٌ صَبُورٌ ، رَجُلٌ جَسَدُهُ جِلْدُ نَمْرٍ ، كَمَا خَرَقُوا لَهُ إِهَابًا ، أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَيْرِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ ؟ قَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ اتَّخَذَ السُّلْطَانَ أَخًا ،

(١) العضلة - بالضم - الداهية (م)

(٢) يضبر ضبرة : يثبت وثبة . وفي نسخة « يطفر طفرة » (م)

(٣) الحضجر : عظيم البطن ، والهزبر : الأسد ، ووزنهما واحد (م)

(٤) في نسخة « غدور » (م)

فاتخذهُ السلطانُ عبداً ، قال : قلت : فما عندك من خبر أخيه سليمان بن وهب ؟  
قال : شَدَّ ما استوفيتَ مسألتك أيها الرجل ! ذاك حرمة حبست مع صواحبها  
في جريرة محرمة ، ليس من القوم في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ ، هيئات :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذبول

قال : قلت : فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب ؟ قال : أمواتٌ غير  
أحياء ، وما يشعرون أَيْانَ يبعثون .

قلت : فأين نزلت فأومك ؟ قال : مالى نزل تأمهُ . أنا أَسْتَرِ في الليل إذا  
عَسَسَ<sup>(١)</sup> ، وَأَنْتَشِرُ في الصبح إذا تنفَسَ .

\*\*\*

ومن مليح شعر راشد بن إسحاق بن راشد، وهو أبو حُكَيْمَة، وكان قَوِيًّا  
ابن إسحاق  
ابن راشد  
أَسْرَ الشعر :

تَحِيْرْتُ في أَمْرِي وإني لواقف      أَجِيلُ وجوه الرأى فيكَ وما أدري<sup>(٢)</sup>  
أَعْزِمُ عَزَمَ اليأس فالموتُ راحةٌ      أَمْ أَفْنَعُ بِالْإِعْراضِ والنَّظَرِ الشَّمْرُ  
وإني وإن أعرضت عنكَ لَمُنْطَوٍ      على حُرْقٍ بين الجوانح والصدْرِ  
إذا هاج شوقٍ مثلتك لي المني      فآلِقَاكَ ما بيني وبينك في سِتْرِ  
فديتك لم أصبر ولي فيكَ حيلةٌ      وَلَكِنْ دَعَانِي اليأسُ فيكَ إلى الصبر  
تَصَبَّرْتُ مَغْلُوبًا وإني لموجَعٌ      كما صَبَرَ الظَّمآنُ في البلدِ القَفَرِ  
وقال :

عَتَبْتُ عَلَيْكَ في قطع العتاب      فَمَا عَطَفْتِكَ أَسْنَةَ العتاب

(١) أَخَذَهُ من قوله تعالى : ( والليل إذا عَسَسَ والصبح إذا تنفَسَ ) في سورة  
التكوير وعَسَسَ الليل : أَقْبَلَ ظلامه ، أو أدبر ، ضد ( م )  
(٢) أَجِيلُ وجوه الرأى : أدبرها ليظهر لي الصواب (م)

وفيما صرت تظهر لي دليل  
وما خطر دواعي الشوق إلا  
على عتب الضمير المستجاب  
هزرت إليك أجنحة التصابي  
وقال أيضاً :

ضحكت ولو تدرين ما بي من الهوى  
لمن لم ترح عيناه من فيض عبوة  
بكيت لحزون الفؤاد كتيب  
ولا قلبه من زفرة ونجيب  
لمستأنس بالهم في دار وخشة  
ألا بأبي العيش الذي بان فانقضى  
ليالى يدعونا الصبا فنحيبه  
نردد مستور الأحاديث بيننا  
على غفلة من كاشع ورفيب  
إلى أن جرى صرف الحوادث في الهوى  
فبدل منها مشهد بمغيب  
وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره، صنت الكتاب عن ذكره .

[ عبد الملك بن صالح ]

دعا الرشيد بعبد الملك بن صالح - وكان معتقلاً في حبسه - فلما مثل بين يديه  
التفت إليه ، وكان يحدث يحيى بن خالد بن برمك وزيره ، فقال متمثلاً :  
أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد<sup>(١)</sup>  
ثم قال : يا عبد الملك ، كأنى أنظر إلى شؤبوبها<sup>(٢)</sup> قد همع ، وإلى عارضها قد  
أمع ، وكأنى بالوعيد قد أورى<sup>(٣)</sup> ، بل أذى ، فأبرز عن براجم بلا معاصم<sup>(٤)</sup> ، ورووس  
بلا غلاصم ، فهلاً بنى هاشم ، فبي والله سهل لكم الوغر ، وصفا لكم الكدير ،  
وألقّت إليكم الأمور أثناء أزمتها ، فنذار لكم نذرا قبل حلول داهية خبوط باليد  
والرجل ، فقال عبد الملك : أفذاً أتكلم أم توأما ؟ قال : بل فذاً ، قال : أتق

(١) عذيرك : أى اطلب من يعذرك (م)

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر (م)

(٣) من قولهم «أورى الزند» إذا قدحته فأخرج ناراً (م)

(٤) البراجم : الأصابع (م)



الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك ، واحفظه في رعاياك الذي استرعاك ، ولا تجعل الكفر بموضع الشكر ، والعقاب بموضع الثواب ، فقد والله سهّلت لك الوعور ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وشددت أواخيت مملكتك بأوثق من ركني يمانكم ، وكنت لك كما قال أخو بني جعفر بن كلاب - يعني ليلى :

ومقاييم ضيق فرجته بلسان وبيان وجدل

لويقوم الفيل أو فيأله زلّ عن مثل مقامى وزحل

فأعاده إلى مجلسه<sup>(١)</sup> ، وقال : لقد نظرت إلى موضع السيف من عاتقه مراراً ، فيمنعني عن قتله إبقائي على مثله .

[ مدح الحقد وذمه ]

عبد الملك

يمدح الحقد

وأراد يحيى بن خالد أن يضع من عبد الملك ليضري الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك ، بلغني أنك حقدود ! فقال عبد الملك : أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الشر والخير ، إنهما لباقيان في قلبي ! فقال الرشيد : تالله ما رأيت أحداً احتجّ للحقد بأحسن مما احتجّ به عبد الملك .

وقد مدح ابن الرومي الحقد ، وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك ، وزاد فيه ؛ لابن الرومي

فقال لعائب عابه بدلات :

لئن كنت في حفظي لما أنا مودع من الخير والشر انتحيت على عرضي  
لما عبتني إلا بفضل إبانة وربّ امرئ يزري على خلقي محض<sup>(٢)</sup>  
ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها بل العيب أن تدان دينا ولا تقضى  
وخير سحيات الرجال سجية توفيك ماتسدى من القرض بالقرض  
إذا الأرض أدّت ربيع ما أنت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

(١) قد يكون الصواب « فأعاده إلى محبسه » (م)

(٢) في ديوانه « لما عبتني بما ليس عائي \* وكم جاهل يزري ... » وأزرى عليه :

عابه (م)

ولولا الحقودُ المستكنات لم يكن  
وما الحقْدُ إلا توأمُ الشكر في القتي  
لحيث ترى حِقْدًا على ذى إساءة  
وقال يرِدْ على نفسه، ويذم ما مدح، توسعاً واقتداراً :

يا مادحَ الحقْدِ محتالا له شهباً  
إنَّ القبيحَ وإنَّ صنعتَ ظاهره  
كم زَخَرَفَ القول ذو زُور ولبَّسه  
قد أبرم الله أسبابَ الأمور معاً  
يادافنَ الحقْدِ في ضغنى جوانبه  
الحقْدُ داءٌ دَوِيٌّ لا دواءَ له  
فاستشف منه بصَفْحٍ أو معاتبَةٍ  
واجعل طلابك بالأوتار ماعظمتُ  
فالعفو أقربُ للتقوى وإن جُرْمُ  
يكفيك في العفو أن الله قرظه  
شهدت أنك لو أذنبت ساءك أن  
إذا وسرَّك أن تلقى الذنوب معاً  
إني إذا خلط الأقدام صالحهم  
جعلت قلبي كظرف السبك حينئذ  
ولستُ أجعله كالخوض أمدحه

لينقض وتراً آخرَ الدهر ذوقه  
وبعض السجايا ينتمين إلى بعض  
فتم ترى شكراً على حسن القرض  
لقد سلكت إليه مسلِكَاً وَعِثاً  
يعودُ مالم منه مرةً شِعْثاً<sup>(١)</sup>  
على القلوب ولكن قل ما لبثاً  
فلن ترى سبباً منهم منتكِثاً<sup>(٢)</sup>  
ساء الدفينُ الذى أضحت له جدنا  
يرى الصدور إذا ما جمره حُرثاً  
فإنما يبرىء المصدور ما نَفَثاً  
ولا تكن بصغير القول مُكْتَرِثاً  
من مجرم جَرَحَ الأكبَادَ أو فرثاً  
وخياً إلى خير من صلى ومن بُعِثاً  
تلقى أخاك سَقُوداً صَدْرُهُ شَرِثاً  
وأن تصادف منه حانباً دَمِثاً  
بسيء الفعل جدّاً كان أو عَثِثاً  
يستخلص الفضة البيضاء لا الخَبِثاً  
بِحِفْظِ ما طاب من ماء وما خَبِثاً

\*\*\*

والبيتُ الذى تمثل به الرشيد هو لعمر بن معد يكرب يقوله لقيس بن

(١) صنعت ظاهره : زينته وحسنه ، من قولهم « صنع الجارية » إذا أحسن إليها حتى منمت (م) (٢) منتكِثا : منقوضا (م)

المكشوح المرادى ، وقد تمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رأى عبد الرحمن ابن ملجَم المرادى فقال له : أنت تحضب هذه من هذه، وأشار إلى لحيته ونُقِرَتِه<sup>(١)</sup>. فقيل له : يا أمير المؤمنين ، ألا تقتله ! فقال : كيف يقتلُ المرء قاتله ؟

وكان بين مَسَلَمَة بن عبد الملك وبين العباس بن الوليد تباعد، فبلغ العباس أن مسلة ينتقصه ، فكتب إليه يقول :

بين مسلة  
ابن عبد الملك  
والعباس  
ابن الوليد

أَلَا تَقْنَى الحياءَ أبا سعيدٍ      وتَقْصِرُ عن مُلاحَاقَى وعَذْلِي  
فلولا أَنَّ فَرَعَكَ حين تُنْمَى      وأصلك منتهى فرعى وأصلى  
وأنى إن رَمَيْتُكَ هِضْتُ عَظْمِي      ونالتنى إذا نالتك نبلى  
لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ      يَضُمُّ حشاك عن شتى وأكلى  
فكم من سَوْرَةٍ أَبْطَأَتْ عنها      بنى لك مجدَهَا طَلَبِي وحَفْلِي  
ومُهْمَةٌ عَيَّتَ بها فأبدى      عَوَّلِي عن مخرجها وفَضْلِي  
كقول المرءِ عَمْرٍو فى القوافى      لِقَيْسٍ حين خالف كلَّ عدلٍ  
عذرى من خليلي من مرادٍ      أريدُ حَيَاتِهِ ويريدُ قَتْلِي

لم يتفق له فى القافية كما قال عمرو ، فغیره .

[ رَجِعْ إلى عبد الملك بن صالح ]

من أخبار  
عبد الملك  
ابن صالح

وعبد الملك هذا هو ابن صالح بن على ، وكان بليغاً جَهِيراً فاضلاً عاقلاً . وقال الجاحظ : قال لى عبد الرحمن مؤدّب عبد الملك بن صالح : قال لى عبد الملك ، بعد أن خصّنى وصيّرني وزيراً بدلاً من قُمامة : يا عبد الرحمن ، انظر فى وجهى ؛ فأنا أعرفُ منك بنفسك ولا تُسمِدْنى على ما يقيح ؛ دع [عنك كيف الأمير ؟] ، وكيف أصبح الأمير ؟ وكيف أمسى ؟ واجعل مكانَ التقرّيفِ حُسْنَ الاستماعِ

(١) فى نسخة « ونُقِرَتِه » وهى فقرة النحر بين الترقوتين ، والنقرة - بالضم أيضاً - منقطع القمحدوة فى القفا (م)

منى ، واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، وإذا حدثتك حديثاً فلا يفوتك شيء منه ؛ وأرني فهمك في طرفك ؛ إني اتخذتك وزيراً بعد أن كنت معلماً ، وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مُبْعِداً ، ومنى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رُجْعَان ما صرت إليه .

يقول الرشيد

وعبد الملك

وقانا تسيران

وساير الرشيدُ عبدَ الملك ، فقال له قائل : طأطأ من إشرافه ، واشدُّد من حكائمه ، وإلا فسَدَ عليك ، فقال له الرشيد : ما يقول هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ، ولافس رُتبة ، أغضبه رضاكَ عني ، وباعدَه قُرْبُكَ مني ، وأساءه إحسانُكَ إلي . فقال له الرشيدُ : انخفض القومُ وعلوتهم ؛ فتوقَّدت في قلوبهم جَمرةُ التأسف . فقال عبد الملك : أضرمها الله بالتزيد عندك ! فقال الرشيدُ : هذا لك وذاك لهم .

اعتذار

عبد الملك

وقد أرتج عليه

وصعد المنبر ، فأرتج عليه فقال : أيها الناس ، إن اللسان بضعة من الإنسان تكلُّ بكلامه إذا كَلَّ ، وتنفسح [ بانفساحه ] إذا ارتجل ، إن الكلام بعد الإلحاح كالإشراق بعد الإظلام ، وإنا لانسكتُ حَصَراً ، ولا ننطقُ هَذَا ؛ بل نسكتُ مفيدين ، وننطقُ مُرْشِدِينَ ، وبعدد مقامنا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، بها فصل الخطاب ، ومواقع الصواب ، وسأعودُ فأقول ، إن شاء الله تعالى

بين يدي

الرشيد

بعد حبه

وقال الأصمعي : كنتُ عند الرشيد فدعا بعبد الملك بن صالح من حَبْسِهِ ، فقال : يا عبد الملك ، أَكُفِرَ بالنِّعْمَةِ <sup>(١)</sup> ، وَغَدِرَ بالسُّلْطَانِ ، ووُثِبَ على الإمام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، بُوتُ بأعباء الندم ، واستحلل النِّقَمَ ، وما ذاك إلا من قول حاسدٍ ، ناشدتك الله والولاية ، ومودة القربة . فقال الرشيد : يا عبد الملك ، تَصْعُ لى لسانك ، وترفعُ لى جَنَانِكَ ، بحيث يحفظُ الله لى عليك ، ويأخذ لى منك ، هذا كاتبك قمامة يني عن غُلِّكَ <sup>(٢)</sup> ، فالتفت عبدُ الملك إلى قمامة وكان قائماً ، فقال :

(١) كُفِرَ بالنِّعْمَةِ : جحوداً لها وإنكاراً (م)

(٢) غُلِّكَ : حقدك وفساد قلبك (م)

أحقاً يا قامة ؟ قال : حقاً ، لقد رُمْتُ خَنْزَرٌ<sup>(١)</sup> أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب عليّ يا أمير المؤمنين في غَيْبَتِي من يَبْهَتْنِي في حضرتي ؟ فقال الرشيد : دَعِ قامة ، هذا ابْنُك عبد الرحمن يَنْبِيءُ عنك بمثل خبر قامة ، فقال عبد الملك : إن عبد الرحمن مأمور أو عاق ؟ فإن كان مأموراً فهو معذور ، وإن كان عاقاً فما أتوقع من عقوبته أكثر .

[ في مقام الخوف ]

وقال الرشيد للحسن بن عمران وقد أُدْخِلَ عليه يَرْسُفُ في قُبُودِهِ : وليتك دمشق وهي جَنَّةٌ مَوْقَةٌ ، تحيط بها غُدُرُ كَاللَّجِينِ<sup>(٢)</sup> ، فتكف على رياض كالزَّرَّابِي ، وكانت بيوت أموال فما برح بها التعدي ، حتى تركتها أجْرَدُ من الصَّخْرِ ، وأوحش من القفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما قصدت لغير التوفيق من جهته ، ولكني وآيت أقواماً ثَقُلَ على أعناقهم الحق ، فتفرغوا في ميدان التعدي ، ورأوا أن المراجعة بترك العِمارة أَوْقَعُ بإضرار السلطان ، وأنوّه بالشنعة ؛ فلا جرّم أن مَوْجِدَهُ أمير المؤمنين قد أخذت لهم بالخطّ الأوفر من مساءتي ! فقال عبد الله ابن مالك : هذا أجْرُلُ كَلَامٍ سَمِعَ لخائف ، وهذا ما كنا نسمعه عن الحكماء « أفضل الأشياء بديهة آمن وردت في مقام خوف » .

ولمّا رَضِيَ الرشيدُ عن يزيد بن مزيد دخل عليه فقال : الحمد لله الذي سهّل لي سُبُلَ الكرامة بِلِقَائِكَ ، وردّ عليّ النعمة بوجّه الرضا منك ، وجزاك الله في حال سُخْطِكَ حقّ المتبئين المراقبين : وفي حال رضاك حقّ المنعمين المتطوّلين ؛ فقد جعلك الله - وله الحمد - تثبّت [ تحرّجاً ] عند الغضب ، وتطوّل [ ممتناً ] بالنعم ، وتستبقي المعروف عند الصنائع تفضلاً بالعفو .

(١) رمت : أردت ، واختر : الغدر والحيانة (م)

(٢) اللجين - بضمّتين - جمع غدير ، وهو ما احتجته السيل من الماء ، واللجين :

الفضة (م)

## [ من الرثاء ]

لمسلم بن الوليد      وفي يزيد بن يزيد يقول مسلم بن الوليد صريته، وقد رويت له في يزيد بن  
في يزيد بن يزيد      أحمد السلي :

قَبْرُ بَرْدَعَةَ اسْتَسْرَّ ضَرِيحُهُ      خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ<sup>(١)</sup>  
نَفَضْتَ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ      وَاسْتَرْجَعْتَ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ  
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ      أَتْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ  
سَلَكْتَ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَلَا      حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا  
وقال أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عطية يرثي أخاه :

لمحمد بن  
أبي عطية  
يرثي أخاه

حَنَنْطُهُ يَانَصْرُ بِالْكَافُورِ      وَزَقَفَتُهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ  
هَلَّا بِيَعِضُ خِصَالِهِ حَنَنْطُهُ      فَيَضُوعُ أَفْقُ مَنَازِلِ وَقُبُورِ  
وَاللَّهُ لَوْ بَنَسِمَ أَخْلَاقٍ لَهُ      تُعْزَى إِلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّطْهِيرِ  
حَنَنْطُ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَعَلَا الرَّبِي      لَتَزُودَ بِلِ عُدَّةٍ لِنَشُورِ  
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ فَإِنَّهُ      [ قَدْ كَانَ خَيْرَ مُجَاوِرٍ وَمُجِيرٍ ]  
[ وَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ ]      عَصَفَتْ بِهِ رِيحًا صَبَاً وَدُبُورِ  
وَاللَّهُ مَا أَتْبَنْتُهُ لِأَزِيدِهِ      شَرَفًا وَلَكِنْ تَفَنَّتْهُ الْمَصْدُورِ

ومات رجل من العرب كان يقول اثني عشر ألفاً، فلما حُلَّ على سريره  
صَرَ، فقال بعض من حضر:

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ      وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَيْسَ فَنِيْقُ الْمَسْكِ مَا تَجِدُونَهُ      وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الشَّاهِ الْخَلْفُ

لأعرابي  
يرثي أعرابيا

وقال عبد الله بن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب يرثيه :

لابن المعتز

يَا بْنَ وَهْبٍ بِالْكَرْهِ مَتَّى بَقِيتُ      عَجَبِي يَوْمَ مَتَّ كَيْفَ حَيِّتُ

(١) في الأماي (٢٧٦/١) «قبر بعلوان استسر» واستسر : أخفى وستر (م)

(٢) الصرير : الصوت ، وصر : صوت ، وتقصف : أصله تقصف ، ومعناه

تسكس وتتحطم (م)

إنما طيب الثناء الذي خلفت لأمسك تفتك المفتوت  
وأختصرت الطريق بعدك للموت فلاقته ولست أفوت  
كيف يبتقى على الحوادث حتى بيد الدهر عوده منحوت  
وقال أيضاً :

ذكرت ابن وهب فله ما ذكرت وما غيبوا في الكفن  
تقطر أقلامه من دم ويعلم بالظن ما لم يكن  
وظاهر أطرافه ساكن وظاهر أظلاله الفطن  
وقال :

ذكرت عبيد الله والتراب دونه فلم تحبس العينان مني بكاهما<sup>(١)</sup>  
وحاشاه من قول «سقى الغيث قبره» يداه تروى قبره من نداءها  
وهذا مأخوذ من قول الطائي :  
سقى الغيث غيثا وارت الأرض شخصه  
وكيف اختمالي للسحاب صنعة  
وقال ابن المعتز :

لم تمت أنت ، إنما مات من لم يبتقى في المجد والمكارم ذكرا  
لست مستسقىا لقبرك غيثا كيف يظما وقد تضمن بحرا  
والبيت الثاني من هذين من بيت الطائي .

وقال :

محمد بن حميد أخلقت رمة أريق ماء المعالي إذ أريق دمه  
رأيت بنجاح السيف مختبيا كالبدري حين انجلت عن وجهه ظلمة  
في روضة حفا من حولها زهر أيقنت عند اتبها أنها نعمة

(١) في الديوان « فلم تملك العينان إلا بكاهما » (م)

(٢) الغيث الأول : المطر ، والغيث الثاني : الجواد الكريم ، أراد به المرثى (م)

للبحري  
في الحسن  
ابن وهب

فقلتُ والدمعُ من وَجْدٍ ومن حُرْقٍ      يَجْرِي وقد خدَّدَ الخلدِين منسجُمُهُ ؛  
ألم تمت يا سليلَ المجد من زمنٍ ؟      فقال لي : لم يَمُتْ من لم يَمُتْ كَرَمُهُ  
وقال بعض أهل العصر :

عُمِرُ الفتي ذِكْرُهُ ، لا طُولُ مدَّتِهِ      وموتُهُ موتُهُ لا موتُهُ الدَّانِي  
فَأَخْنِي ذِكْرُكَ بالإحسان تزرعُهُ      تُجْمَعُ به لك في الدنيا حَيَاتَانِ  
وقال عبد السلام بن رَغْبَان الحِمَصِي (١) :

سقى الغيثُ أرضاً ضُمَّنتك وسَاحَةً      لَقَبْرُكَ فيه الغيثُ والليثُ والبَدْرُ  
وما هي أهلٌ إِذْ أَصَابَتْكَ بالبَلَى      لَسْقِيَا ، ولكن من حَوَى ذلك القَبْرُ  
أخذ هذا البيت [ الأول ] الراضى فقال يرى أباهُ المقتدر :

بنفسى تَرَى ضُمَّنت في سَاحَةِ البَلَى      لقد ضَمَّ منك الغيثُ والليثُ والبَدْرُ  
فلو أَنَّ عَمْرِي كان طَوْعَ مَشِيئَتِي      وَأَسْعَدَنِي المَقْدُورُ قَاسَمْتُكَ العَمْرُ  
ولو أَنَّ حَيًّا كان قَبْرًا لَمِيتَ      لَصَيَّرْتُ أَحْشَاءِي لِأَعْظَمِهِ قَبْرًا  
هذا البيت ينظر إلى قول المتنبي :

حتى أَتَوْا جَدَّنًا كَانَ ضَرِيحُهُ      في قَلْبٍ كُلِّ مَوْحِدٍ مَحْفُورُ

\*\*\*

قطر الندى  
والخليفة المعتضد

لما حُمِلَتْ قَطْرُ الندى بنت خُمَارَوَيْه بن [ أحمد بن ] طولون إلى المعتضد كتب  
معهما أبوها إليه يذكره بجرمة سلفها [ بسلفه ] ، ويذكر ما تردُّ عليه من أبهة  
الخلافة ، وجلالة الخليفة ، ويسأل أيناسها وبَسَطَها ، فبلغت من قَلْبِ المعتضد  
لما زُفَّت إليه مبلغا عظيما ، وسُرَّ بها غاية السرور ، وأمر الوزير أبا القاسم عبيد الله  
ابن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو  
الحسين بن ثَوَابَة أن يؤثِّره بذلك ففعل ؛ وغاب أياما وأتى بنسخة يقول في فصل



منها : وأما الودِيعَةُ فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ،  
وحِياطةً عليها ، ورعايةً لمودتك فيها . ثم أقبل عبيد الله يُعجب من حُسنِ  
ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالودِيعَة نصفُ البلاغة ، فقال عبيد الله :  
ما أقبحَ هذا ! تفاءلتَ لامرأة زُفَّت إلى صاحبها بالودِيعَة ، والودِيعَةُ مستردة .  
وقولك « من يمينك إلى شمالك أقبح » لأنك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين  
الشمال ، ولو قلت : « وأما الهديةُ فقد حسن موقعها مِنَّا ، وجلَّ خطرُها عهدنا !  
وهي وإن بعدتُ عنك ، بمنزلة من قربتُ منك ! لتفقدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها  
بما وردتُ عليه ، واغبتابها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فنفذ الكتاب .  
وكانت قطرُ الندى مع جمالها موصوفةً بفضل العقل ، خلاها المعتضد يوما  
للأنس بها في مجلسٍ أفردَه لم يحضره غيرها ، فأخذت منه الكأس ، فنام على  
فخذها ، فلما استنقل<sup>(١)</sup> وضعتُ رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست في ساحة القصر  
على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدْها ، فاستشاط غضباً<sup>(٢)</sup> ، ونادى بها فأجابته على  
قرب ، فقال : ما هذا ؟ أخليتِك إكراماً لكِ ، ودفعتُ إليك مهجتي دون سائر  
حظائري ، فتصممين رأسي على وسادة ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما جهلتُ قدرَ  
ما أنعمتَ به عليّ ، وأحسنْتَ فيه إليّ ، ولكن فيما أدبني به أبي أن قال لي :  
لا تنامي مع الجلوس ، ولا تجلسي بين النيام .

\*\*\*

[ رجع إلى الرثاء ]

لابن المعتزير في  
ابن ثوابه

وفي أبي الحسين بن ثوابه يقول ابن المعتزير<sup>١</sup> فيه :

ليس شيء لصحة ودوام علب الدهر حيلة الأقوام  
وتولى أبو الحسين حميداً فعلى رُوحه سلام السلام

(١) استنقل : كناية عن تمكن النوم منه (م) .

(٢) استشاط غضباً : غضب غضباً شديداً ، وأصل معنى « استشاط » احترق (م)

حين عاقده على الحفظ للمهد وصافته بصف الذمام<sup>(١)</sup>  
 واصطفته على الأخلاء نفسى كاصطفاء الأرواح للأجسام  
 كان ربحانة الندامى وميزا ن القوافى شعراً وبحر كلام  
 ومكان السهم الذى لا يرى الشك ولا يستغيث بالأوهام  
 ساحر الوحى فى القراطيس لا تحبس عنه أعنة الأقلام  
 فإذا ما رأيتـه خلت فى خديـه صبيحاً منقّباً بظلام  
 نفس صبراً لا تجزعى إن هذا خلق من خلائق الأيام

### [ أيام الشباب ]

لرجل من  
بنى كلاب

وأشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب لرجل من بنى كلاب :  
 سقى الله دهرأ قد تولت غياطـله وفارقنا إلا الحشاشة باطـله<sup>(٢)</sup>  
 ليالى خدنى كل أبيض ماجد يطعم هوى الصابى وتغصى عواذله  
 وفى دهرنا والعيش فى ذاك غرة ألايت ذاك الدهر تثنى أوائله  
 بما قد غنينا والصبا جل همنا يمايلنا ريعانه ونمايله  
 وجـر لنا أذياله الدهر حنـبة يطاولنا فى غيـه ونطاوله  
 فسقمياً له من صاحب خذلت بنا مطيئنا فيه وولت رواحله  
 أصد عن البيت الذى فيه قاتلى وأهجره حتى كانى قاتله  
 هذا البيت يناسب قول ذى الرمة ، وإن لم يكن فى هذا المعنى ، يصف ظيية  
 وولدها :

إذا استودعته صفصفاً أو صريمـة تنحت ونصت جيدها بالمنظر<sup>(٣)</sup>  
 حذراً على وسنان بصرعه الكرى بكل مقيل عن ضعاف فواتر

(١) الذمام - بكسر الدال - العهد (م)

(٢) غياطله : ظلماته ، واحدها غيطل (م)

(٣) الصفصاف : المستوى من الأرض ، والصرية : الرملة المنقطعة من الرمال

وتهجره إلا اختلاسا نهارها      وكم من محبة رهبة العين هاجر  
وقال أبو حية النخري :

لأبي حية  
النخري

أما وأبي الشباب لقد أراه      ججيلا ما يراد به بديل  
إذ الأيام مقبلة علينا      وظل أراك الدنيا ظليل

لابن بسام

وقال علي بن بسام :

بشاطي نهر قبرك فالمصلى      فما والآها فالقريتين  
معاهد هونا والعيش غص      وصرف الدهر مقبوض اليدين

\*\*\*

وكان ابن بسام هذا -- وهو علي بن محمد بن منصور بن بسام      مليح  
من ترجمة ابن بسام وأخباره  
المقطعات ، كثير الهجاء خبيثه ، و [ ليس ] له حظ التطويل ، وهو القائل :

كم قد قطعت إليك من ديمومة      نطف المياه بها سواد الناظر<sup>(١)</sup>  
في ليلة فيها السماء مرودة      سوداء مظلمة كقلب الكافر<sup>(٢)</sup>  
والبرق يخفق من خلال سخابه      خفق الفؤاد لموعده من زائر  
والقطر منهمل بسح كأنه      دمع المودع إثر ألف سائر

وقال في العباس [ بن الحسين ] لما وُزَرَ للمكتفى :

وزارة العباس من تحسها      ستقلع الدولة من أسها  
شبهته لما بدأ مقملا      في خلع ينجل من لبسها  
جارية رعناء قد قدرت      ثياب مولاهها على نفسها

وقال في علي بن يحيى المنجم يرثيه :

(١) النطف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي (م)

(٢) مرودة : اسم القاعل من قولهم «أرذ المطر» إذا هطل ، وفي نسخة « فيها

السما مزادة » (م)

قد زرتُ قبرك يا على مسلماً      ولكَ الزيارة من أقلِّ الواجبِ  
ولو استطعت حملتُ عنك تُرابَهُ      فلطالما عني حملتَ نوائِي  
وكان مولعاً بهجاء أبيه ، وفيه يقول وقد ابتنى داراً :

شِدَّتْ دَاراً خِلْتَهَا مَكْرُومَةً      سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفَرَاقَ  
وَأَرَانِيكَ صَرِيحاً وَسَطَهَا      وَأَرَانِيهَا صَعِيداً زَلَقاً  
وقال أبو العباس بن المعتز يهجوهُ :

من شاء يَهْجُو عَلِيّاً      فشمَرُهُ قد كَفَاهُ<sup>(١)</sup>  
لو أنه لأَيُّهُ      ما كان يَهْجُو أَبَاهُ

[ مع الخلفاء ]

بين المأمون وأحمد - ابن أبي خالد  
وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ، وهو يخلف الحسن بن سهل ، وقد أشار إليه برأى استرجعته : قد اعتلَّ الحسنُ ولزم بيته ، ووكلَ الأمرَ إليك ، فأنا إلى راحته وبقائه ، أحوجُ [مى] إلى إتعا به وفنائه ، وقد رأيتُ أن أستوزرك ؛ فإن الأمره ما دُمْتَ أنت تقوم به ، وقد طالعتُ رأيهُ في هذا الأمر ، فاعداك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعفني من التسمي بالوزارة ، وطالبني بالواجب فيها ، واجبل بيني وبين الغاية ما يرجو لي ولأبي ، ويخافني له عدوِّي ، فما بعد الغايات إلا الآفات . فاستحسن كلامه ، وقال : لا بد من ذلك ، واستوزره .

المأمون ومحمد - ابن داود في حسن الخط  
ورأى المأمونُ خطَّ محمد بن داود فقال : يا محمد ، إن شاركتنا في اللفظ ، فقد فارقناك في الخط ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آياتِ النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدَّى عَنِ اللَّهِ سبحانه وتعالى رسالاته ، وحفظ عنه وحْيَه ، وهو

أَتَى لَا يَعْرِفُ مِنْ فَنُونِ الْخَطِّ فَنًا ، وَلَا يَقْرَأُ مِنْ سَائِرِهِ حَرْفًا ، فَبَقِيَ عُمُودُ ذَلِكَ فِي أَهْلِهِ ، فَهَمْ يَشْرُفُونَ بِالشَّبْهِ الْكَرِيمِ فِي نَقْصِ الْخَطِّ ، كَمَا يَشْرَفُ غَيْرُهُمْ بِزِيَادَتِهِ ؛ وَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَخْصَى النَّاسَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْوَارِثُ لِمَوْضِعِهِ ، وَالْمُتَقَلِّدُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ؛ فَعَلَقَتْ بِهِ الْمَشَابَهَةُ الْجَلِيلَةَ ، وَتَنَاهَتْ إِلَيْهِ الْفَضِيلَةَ فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا مُحَمَّد ، لَقَدْ تَرَكْتَنِي لَا أَسْتَيَّ عَلَى الْكِتَابَةِ ، وَلَوْ كُنْتُ أَمِيًّا .

وهذا شبيهٌ بقول سعيد بن المسيب ، وقد قيل له : ما بال قریش أضعفُ العرب شعراً ، وهى أشرفُ العرب بيتاً ؟ قال : لَأَنَّ كَوْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا قَطَعَ مَتْنِ الشَّعْرِ عَنْهَا .

من رافة  
المأْمُونُ بِعَالِهِ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : كُنَّا فِي مَجْلِسِ الْمَأْمُونِ وَعَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الرَّقَاعَ ، فَجَاءَتْهُ عَطْسَةٌ ، فَلَوَّى عُنُقَهُ فَرَدَّهَا ، فَرَأَاهُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ : يَا عَمْرُو ، لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ رَدَّ الْعَطْسَةِ وَتَحْوِيلَ الْوَجْهِ بِهَا يُورِثَانِ انْقِطَاعًا فِي الْعُنُقِ . فَقَالَ بَعْضُ وَلَدِ الْمَهْدِيِّ : مَا أَحْسَنَهَا مِنْ مَوْلَى لِعَبْدِهِ ، وَإِمَامٍ لِرَعِيَّتِهِ ! فَقَالَ الْمَأْمُونُ : وَمَا فِي ذَلِكَ ؟ هَذَا هِشَامٌ أَضْطَرَّ بِتَرْجَمَتِهِ فَأَهْوَى الْأَبْرَشَ الْكَلْبِيَّ إِلَى إِصْلَاحِهَا ، فَقَالَ هِشَامُ : إِنَّا لَا نَتَّخِذُ الْإِخْوَانَ خَوَلَا<sup>(١)</sup> ! فَالَّذِي قَالَ هِشَامٌ أَحْسَنُ مِمَّا قُلْتَهُ . فَقَالَ عَمْرُو : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ هِشَامًا يَتَكَلَّفُ مَا تُحِبُّعْتَ عَلَيْهِ ، [ وَيُظْلِمُ ] فِيمَا تَعْدِلُ فِيهِ ، لَيْسَ لَهُ قَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا قِيَامُكَ بِحَقِّ اللَّهِ ، وَإِنَّكَ وَالْمُلُوكَ لَكَمَا قَالَ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ  
لَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ  
أَخِذْ النَّابِغَةُ هَذَا مِنْ قَوْلِ شَاعِرٍ قَدِيمٍ مِنْ كَنْدَةَ :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لَعَمْرُو بْنِ هِنْدٍ غَضْبَةً وَهُوَ عَاتِبٌ  
هُوَ الشَّمْسُ وَاقَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ<sup>(١)</sup>

بين يزيد بن  
معاوية وجميل  
بن أوس

قال يزيد بن معاوية لجميل بن أوس، وكان أكرمه واجتبهه : لم كرهت  
الإفراط في تقديمي ، وتطامننت عن الدرجة التي سما بك إليها مكانك مني ؟  
فقال : [ أيد الله سلطانك ، وأعلى مكانك ] ، إن الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم  
والآداب ، والعقول والألباب ، كانوا أطول أعماراً منا ، وأكثر للزمان صُحبة ،  
وأكثر للأيام تجربة ، وقد قال الحكيم : بقدر الثواب عند الرضا يكون العقاب  
عند السخط ، وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الرفعة ، ولا خير فيمن لا يسمع  
الموعظة ، ولا يقبل النصيحة ، وأنا يا أمير المؤمنين وإن كنت آمناً من التعرض  
لسخطك والدنو مما يقرب منه ، فلست بأين من طعن المساوي في الدرجة  
عندك ، وحقير المشارك لي في المنزلة منك ، وليس من تقديمك قليل ، ولا من  
تعظيمك يسير ، فإن أقل ذلك فيه النباهة ، والفخر ، [ والثناء ] والذكر ، وحسبي  
بما بذلته من أموالك استحقاقاً عندك لإكرامك ، وحسبي من تقديمك خالص  
رضاك ، وصفاء ضميرك

### مختار من أقوال الحكماء عند وفاة الإسكندر

لما جُيِلَ الإسكندرُ في تابوت من ذهب تقدم إليه أحدُهم فقال : كان  
الملكُ ينجبُ الذهب ، وقد صار الآن الذهبُ ينجبُه ، وتقدم إليه آخر ، والناسُ  
يكونون ويجزعون ، فقال : حرّ كنا بسكونه ، أخذه أبو العتاهية فقال :  
يا عليّ بن ثابت بن متى صاحبُ جَلٍّ فقدّه يوم بنتنا

(١) الدجن : الظلمة ، ووقع في نسخة « وافت يوم سعد » وأفضلت : زادت (م)

قد لَعَمْرِي حَكِيتُ لِيْ غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَّ كَتْنِي لَهَا وَسَكَنَتَا  
وتقدم إليه آخر فقال : كَانَ الْمَلِكُ يَعْطُنَا فِي حَيَاتِهِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ  
أَمْسٍ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِيْ عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا  
وتقدم إليه آخر فقال : قَدْ طَافَ الْأَرْضَيْنِ وَتَلَسَّكُمَا ، ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي  
أَرْبَعَةِ أَذْرَعٍ . وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُنْقِلَ عَضْوًا مِنْ أَعْضَانِكَ ، وَقَدْ  
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مَلِكَ الْعِبَادِ . وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : انْظُرْ إِلَى حِلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ  
انْقَضَى ، وَإِلَى ظِلِّ النَّعَامِ كَيْفَ انْجَلَى . وَقَالَ آخِرُ : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ عَنْ  
ضَيْقِ الْمَكَانِ ، وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ (١) الْبِلَادِ . وَقَالَ آخِرُ : [ كَانَ  
الْمَلِكُ غَالِبًا فَصَارَ مَغْلُوبًا ، وَآ كَلَا فَصَارَ مَا كُولَا . وَقَالَ آخِرُ ] : أَمَاتَ هَذَا الْمَيِّتُ  
كَثِيرًا مِنَ النَّيَاسِ لَسْلَا يَمُوتُ ، وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . وَقَالَ آخِرُ : مَا كَانَ أَقْبَحَ  
إِفْرَاطِكَ فِي التَّجَبُّرِ أَمْسٍ ، مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ الْيَوْمَ . وَقَالَتْ بِنْتُ دَارَا : مَا عَلِمْتُ  
أَنْ غَالِبَ أَبِي يُغْلَبَ . وَقَالَ رَئِيسُ الطَّبَاخِينَ : قَدْ نَضَدْتَ النِّضَائِدُ ، وَأُلْقَيْتَ  
الْوَسَائِدَ ، وَنُصِبْتَ الْمَوَائِدَ ، وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْجُلُوسِ !

جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار في ذكر السلطان  
أَشَقَّى النَّاسَ بِالْإِسْطَانِ صَاحِبُهُ ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا  
احْتِرَاقًا . لَا يُدْرِكُ الْغَنَى بِالْإِسْطَانِ إِلَّا نَفْسُ خَائِفَةٍ ، وَجِسْمٌ تَعِبٌ ، وَدِينٌ مُتَمَلِّمٌ .  
إِنْ كَانَ الْبَحْرُ كَثِيرَ الْمَاءِ فَإِنَّهُ بَعِيدُ الْمَهْوَى ، وَمَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا  
شَارَكَ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ . فَسَادُ الرِّعْيَةِ بِمَا لَمَلِكُ كِفْسَادِ الْجِسْمِ بِمَا لَرُوحٍ . إِذَا  
زَادَكَ السُّلْطَانُ تَأْنِيسًا فَزِدْهُ إِجْلَالًا . مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ صَبَرَ عَلَى قِسْوَتِهِ كَصَبْرِ

الغواص على ملوحة بَحْرِهِ . الملك بالدين يبقى ، والدينُ بالملكِ يَقْوَى . من نصح  
لخدمة نصحتَه المجازاة . لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطرابِ الأمور عليه ؛ فإن  
البحر لا يكادُ يسلم صاحبه في حالِ سكونه ، فكيف عند اختلافِ رياحِهِ ،  
واضطرابِ أمواجه ؟ .

ومن كلام أهل العصر وغيرهم في هذا النحو

الأوطانُ حيثُ يعدلُ السلطان . إذا نطق لسان العدل في دار الإمارة ، فلها  
البُشرى بالعرز والإمارة . أخر بالملك العادل أن يستقلَّ سريره في سُرّة الأرض .  
ريحُ السلطان على قومٍ سَمُوم<sup>(١)</sup> ، وعلى قوم نَسِيم . أخْلِقْ بدم المستخف بالجبايرة أن  
يكون جَبَّاراً<sup>(٢)</sup> . من غمس يده في مال السلطان فقد مشى بقدمه على دمه . الملك  
خليفةُ الله في عبادِهِ وبلادِهِ ، ولن يستقيم أمرُ خلافتِهِ مع مخالفتِهِ . الملك مَنْ  
ينشرُ أثواب الفضل ، ويبسطُ أنواعَ العدل . السلطانُ كالنارِ : إنْ باعدتها بطل  
نفعُها ، وإنْ قاربها عظم ضررها . إقبالُ السلطان تَعَبٌ وفِتْنَةٌ ، وإعراضُه حسرة  
ومذلة . صاحبُ السلطان كراكب الأسد يهابُه الناسُ وهو لمركبه أهيبُ .  
السلطانُ إذا قال لعمّاله : هاتوا ، فقد قال لهم : خذوا . ثلاثة لا أمان لهم : السلطانُ ،  
والبحر ، والزمان . ليكن السلطان عندك كالنار : لا تدنو منها إلا عند الحاجةِ  
إليها ، وإن اقتبست منها فعلى حذر . مثل أصحاب السلطان كقومٍ رَقُوا جبلاً ثم  
وقعوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم في المرقى . مثل السلطان كالجبل  
العُصْب الذي فيه كلُّ ثمرة طيبة ، وكل سَمِيع حَطوم ، فالارتقاء إليه شديد ،  
والقائم فيه أشدُّ . ابنُ عزِّ الملوك في الدنيا بالجور ليدلَّن في الآخرة [ بالعدل ] .  
لابن عَبَّاد الصاحب :

إذا ولَاكَ سلطانٌ فزده من التظيم واخذَرُهُ وراقِبْ

(١) سموم — بفتح السين — حارة محرقة (م)

(٢) جبار — بضم الجيم وفتح الباء مخففة — هدر ، ليس له من يأخذ به (م)



فما السلطانُ إلا البحرُ عظماً وقربُ البحرِ مَحْذُورُ التَّوَابِ

[ وصف كاتبة ]

ووصف أحمد بن صالح بن شيران<sup>(١)</sup> كاتبة فقال: كَانَ خَطُّهَا أَشْكَالَ صُورَتِهَا ، وَكَانَ مِدَادُهَا سَوَادُ شَعْرِهَا ، وَكَانَ قِرْطَاسُهَا أُدِيمٌ وَجْهِيهَا ، [ وَكَانَ قَلَمُهَا بَعْضُ أَنْامِلِهَا ، وَكَانَ بَنَانُهَا سِخْرٌ مُقْلَتِهَا ، وَكَانَ سِكِّينُهَا غُنْجٌ لِحْظِهَا ] وَكَانَ مِقْطَلُهَا قَلْبٌ عَاشِقُهَا .

[ وصف غلام كاتب ]

وقال بعضُ الكتابِ يصفُ غلاماً كاتباً :

انظر إلى أثر المِدادِ بِخَدِهِ      كِبَنَفْسِجِ الرُّوضِ الْمَشُوبِ بِوَرْدِهِ  
ما أَخْطَأَتْ نُونَاتُهُ مِنْ صُدُغِهِ      شَيْئاً ، وَلَا أَلِفَاتُهُ مِنْ قَدَمِهِ  
أَلَقْتُ أَنْامِلُهُ عَلَى أَقْلَامِهِ      شَبْهًا أَرَاكَ فِرْنَدَهَا كَفِرْنَدِهِ<sup>(٢)</sup>  
وَكَأَنَّمَا أَنْقَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ      وَكَأَنَّمَا قِرْطَاسُهُ مِنْ خَدِهِ<sup>(٣)</sup>

وقال أحمد بن أبي سمره الديلمي فيما ينظر إلى هذا من طَرَفٍ خَفِي :

[سَرَّابُ الْفِيَا فِي صَادِقٍ عِنْدُ وَعْدِهَا      وَسَمُّ الْأَفَاعِي مُبْرِئٌ عِنْدَ صَدِّهَا]  
رَمَتْنِي وَلَمْ أَسْمُدْ بِأَيَّامٍ وَصَلُّهَا      بَعِثْنِي مَهَاقٍ أَنْحَسْتِنِي بِبُعْدِهَا  
فَعَلَّقَهَا قَلْبِي كَمَا قَدْ تَعَلَّقَتْ      صَوَالِجُ صَدُغِهَا بِتَفَاحِ خَدِّهَا  
فَقَلْبِي لَمْ أَضْعِفْتُهُ كَحَضْرِهَا      وَدَمْعِي أَمَّا بَنَظْمَتُهُ كَعَقْدِهَا  
وَنِيلُ الثَّرِيَّا مِمَّا مَكَنٌ عِنْدَ وَصْلِهَا      وَأَسْرَعُ مِنْ بَرَقِ تَنَاقُضِ وَعْدِهَا

[ من بديع الزمان إلى ابن العميد ]

رقعة كتبها بديع الزمان إلى ابن العميد يستنجزُه : أَيْنَ تَكْرَمُ الشَّيْخُ الْعَمِيدُ  
أَيُّدُهُ عَلَى مَوْلَاهُ ؟ وَكَيْفَ مَعْدِلُهُ إِلَى سِوَاهُ ؟ أَيَقْصُرُ فِي النِّعْمَةِ ، لِأَنِّي قَصَّرْتُ

(١) في نسخة « بن بشير » (م) (٢) فرند السيف — بكسر الفاء والراء —

حده (م) (٣) الأنقاس : جمع نقس — بكسر فسكون — وهو الجبر (م)

في الخدمة؟ إذَنْ فقد أساء المعاملة، ولم يحسن المقابلة، وعثر في أذيال السهو، ولم ينعش بيد العفو، أم يقول: إن الدهر بيننا خُدَع، وفيما بعد مُتَسَع، فقد أَرَف رَحِيلِي<sup>(١)</sup>، ولا ماء بعد الشطّ، ولا سطح وراء الخط؛ أم ينتظر سؤالاً؟ وإنما سألته، يوم أَمَلْتَه، واستَمَنَحْتُهُ<sup>(٢)</sup>، يوم مدحته، واقتضيته، يوم أتيتَه، وانتجعت سحابه، لما قرعت بابه، وليس كل السؤال أعطى، ولا كل الرد أعفى؛ أم يظن- أيده الله تعالى- أنى أَرَدَ صِلَتَه، ولا أَلَبَسَ خَلَعَتَه؟ وهذه فراسة المؤمن إلا أنها باطلة، ونَحِيلَةُ العارف إلا أنها فاسدة؛ أم ليس يجد في مكاناً للنعمة يضعها، وأرضاً للمنة يزرعها؟ فلا أقل من تجربة دفعة، والمخاطرة بإنفاذ خلعة، ليخرج من ظلمة التخمين، إلى نور اليقين، وينظر أشكر أم أ كفر؛ أم يتوقع- أيده الله- صاعقة تملكني، أو باقية تهلكني<sup>(٣)</sup>، فلهذا أَمَلُ مَوْفَرٍ، لأن شيخ السوء باق مُعَمَّرٌ؛ أم يقدر- أيده الله- أنى أشكره إذا اصطنع، وأعذره إذا منع، وتالله لو كنت ينبوع المآذير ما حظي منها بحجرة، فليُرْحَنِي بِسُرْعَةٍ.

[ بين البديع وأبي القاسم الهمداني ]

وكتب أبو القاسم الهمداني إلى البديع: قد كتبت لسيدي حاجة إن قضاه وأمضاها، ذاق حلاوة العطاء، وإن أباهها وفَلَّ شَبَاهَا<sup>(٤)</sup> لَقِي مرارة الاستبطاء، فأى الجودين أخف عليه؟ أجودُ بالملق<sup>(٥)</sup>، أم جودٌ بالعرض؟ ونزول عن الطريف، أم عن الخلق الشريف؟

فأجابه: جعلت فداك هذا طيبخ، كله توييخ، وثريد، كله وعيد، ولُقَم، إلا أنها نَقَم، ولم أُرْقِدْراً أكثرَ منها عظماً، ولا أَكَلَا أكثرَ مني كَطْماً، ولم أَرَشْرَبَةً أمرَ منها طعماً، ولا شارباً أتمَّ مني حاملاً، ما هذه الحاجة؟ ولكن حاجتك من بعدُ ألين جوانب، وألطف مطالب، توافق قضاءها وتوافق ارتضاءها، إن شاء الله تعالى.

(١) أَرَف رَحِيلِي: قرب (م) (٢) استمنحته: طلبت منحة، أى عطاءه؛ وفي نسخة «استمنحته» بدون نون (م) (٣) الباقية: المهلكة (م) (٤) فل: كسر وحطم، وشباهها - بفتح الشين - حدها (م) (٥) العلق - بالكسر - النفيس الذي يتغلى فيه (م)

وفي مقامات أبي الفتح <sup>(١)</sup> الإسكندري من إنشائه ، قال :

حدثنا عيسى بن هشام قال : أحتلني جامع بخاري يوم ، وقد انتظمت مع رُقِيَّة من مقامات  
في سِنْمَطِ الثَّرِيَّا ، وحين احتفل الجامعُ بأهله طلع علينا ذو طِمَرَيْن <sup>(٢)</sup> ، قد أرسل  
صِوانًا ، واستتلى [ طفلًا ] عُرْيَانًا ، يضيق بالضرِّ وسُنعهِ ، ويأخذهُ القُرْبُ ويدَعُهُ ،  
لا يملك غَيْرَ القِشْرَةِ <sup>(٣)</sup> بُرْدَةً ، ولا يلتقي لَحْيَاهُ رِغْدَةً ، ووقف الرجل وقال : لا ينظر  
لهذا الطفل إلَّا مَنْ رَحِمَ طفله ، ولا يرقُّ لهذا الضَّرِّ إلَّا مَنْ لَا يَأْمَنُ مثله ، يا أصحاب  
الجُدودِ المفروزة ، والأُرْدِيَةِ المطروزة ، والدورِ المنجَّدة ، والقصور المشيدة ، إنكم  
لن تأمنوا حادثًا ، ولن تعدموا وارثًا ، فبادِرُوا الخيرَ ما أمكن ، وأحسنوا مع  
الدهر ما أحسن ، فقد والله طَعِمْنَا السَّكْبَاجَ <sup>(٤)</sup> ، وركبنا الهِمْلَاجَ <sup>(٥)</sup> ، ولبسنا الديباج ،  
وافترشنا الحشايَا بالمشايَا ، فما راعنا إلَّا هبوبُ الدهرِ بَغْدَرِهِ ، وانقلابُ المِجَنِّ لظهره ،  
فعاد الهِمْلَاجَ قَطُوفًا <sup>(٦)</sup> ، وانقلب الديباج صُوفًا ، وهلمَّ جِراء ، إلى ما شاهدون من  
حَالِي وزَيِّ ؛ فما نحن نرضع من الدهر تَدْيًى عَقِيمَ ، وتركب من الفقر ظهرَ بِهِيمَ ،  
ولا نَزْنُو إلَّا بعينِ اليتيم ، ولا نمد إلَّا يدَ العديم ، فهل من كريمٍ يملو عنا غياهب  
هذه البؤوس ، ويفلُّ شبا هذه النحوس ؟ . ثم قعد مرتفقًا ، وقال للطفل : أنت  
وشأنك . فقال : وما عسى أن أقول ، وهذا الكلامُ لولقي الشعر لحلقه ،  
أو الصخر لفلقه ، وإنَّ قَلْبًا لم يُنْضِجْهُ ما قلتَ لَنِي ؛ ! قد سمعتم يا قوم ، ما لم  
تسمعوا قبل اليوم ، فليشغل كلَّ منكم بالجوْدِ يده ، وليذكر غَدَهُ ، وَاقْيَا بِي وَلَدَهُ ،  
واذكروني أذكركم ، وأعطوني أشكركم !

قال عيسى بن هشام : فما آنسني في وَحْدَتِي إلَّا خاتَمَ خَتَمَتْ بِهِ خَنْصَرُهُ ،  
فلما تناوله أنشأ يقول :

وَمُنْطَقِي مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ الْجُوزَاءِ حُسْنًا

(١) المراد المقامات التي وضعها البديع على لسان أبي الفتح الإسكندري (م)

(٢) طمرين : مثني طمر — بالكسر — وهو الثوب الخلق البالي الرث (م)

(٣) القشرة : الجلد (م) (٤) السكباج : ضرب من الطعام ، لحم بخل (م)

(٥) الهملاج : الفرس السريع (م) (٦) القطوف : البطيء السير (م)

كَتَبْتُمْ لِي الْحَيْبَ فَضَّهُ شَفَقًا وَحَزَنًا  
مَتَأَلَّفَ مِنْ غَيْرِ أَسْرَرْتَهُ عَلَى الْأَيَّامِ خِدْنًا  
عَلَّقَ سَنِيَّ قَدْرُهُ لَكِنْ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى  
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفُظًا كُنْتُ مَعْنَى

قال عيسى بن هشام : فتبعته حتى سَفَرَتِ الْخُلُوةَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا  
الإِسْكَندَرِي ، وَإِذَا الصَّبِيَّ غَلَامٌ لَهُ ، قُلْتُ :

أَبَا الْفَتْحِ شَبَبْتُ وَشَبَّ الْغَلَامُ فَأَيْنَ الْكَلَامُ ، وَأَيْنَ السَّلَامُ ؟<sup>(١)</sup>  
فَقَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعْتُمَا الطَّرِيقَ أَلِفًا إِذَا نَظَّمْتُمَا الْحَيَّ —َام  
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ كَرِهَ لِقَائِي ، فَتَرَكْتُهُ وَانصَرَفْتُ .

[ وصف فص وخاتم ]

وقال أبو الفتح كشاجم يصف فصًا :

لَأَبِي الْفَتْحِ  
كشاجم

مَاجِلٌ بِفَصِّكَ مَنْ أَرَدْتُ وَبَاهِي فَكُنِي بِهِ كَدًّا لِقَلْبِ الْحَامِدِ  
مَتَأَلَّقَ فِيهِ الْفِرْنْدُ كَأَنَّهُ وَجَعِي غَدَاةُ نَدْبِي وَضَيْفٍ قَاصِدِ  
لَوْ أَنَّ ظُلْمَائِي مِنْهُ عُلَّتْ لَارْتَوَتْ مِنْ مَاءِ جَوْهَرِهِ الْمَعِينِ الْبَارِدِ<sup>(٢)</sup>  
بَهَرِ الْعَيُونِ إِضْآءَةً فِي رِقَّةٍ فَكَأَنِّي مَتَخَنَّمٌ بَعْطَارِدِ  
وقال بعضُ المحدثين يصف خاتمًا :

ليعض المحدثين

وَوَحِيدُ الْكِيَانِ صِغَعٌ بَدِيعًا فَإِذَا تَمَّ صِغَعٌ مِنْ جَوْهَرَيْنِ  
خَلَعَتْ خَجَلَهُ الْخُلُودُ عَلَيْهِ خِلْمًا قَدْ لَبَسَ فَوْقَ اللَّجَيْنِ

(١) في نسخة «شبت وشاب الغلام» (م)

(٢) علت : أصله شربت بعد شرب ، والمراد هنا شربت مطلقا (م)

فإذا ما رأيتَه في بَنانٍ      قد كساها من حُسْنِه حُلَّتِينِ  
قلت نجمٌ هَوَى من الجوّ حتى      صار بحرى بُرُوجِه في اليَدَيْنِ

للبحترى

وقال البحتري يستهذى المعتز فصا :

فهل أنت يابن الراشدين مختمى      بياقوتة تبهى على وتُشرقُ  
يفار احمرار الورْدِ من حُسْنِ صبغها      ويحكىه جادى الرحيقِ المَعْتَقُ  
إذا برزت والشمس قلت تجاربا      إلى أمدٍ أو كادت الشمسُ تسبقُ  
إذا التهمت في اللحظِ ضاهى ضياؤها      جبينك عند الجودِ إذ يتألقُ<sup>(١)</sup>  
أسر بل منها ثوب فخرٍ معجلٍ      فيبقى بها ذكرٌ على الدهر مخلوقُ

لأبي الفتح  
كشاجم

وعلى ذكر الخاتم قال أبو الفتح كشاجم :

عرَضْنُ فمرَضْنُ القلوبِ مِنَ الهوى      لأشْرَعَ من كَى القلوبِ على الجمرِ  
كان الشفا اللّمس منها خواتمٌ      من التبرِ مختمٌ بهنَّ على الدرِّ<sup>(٢)</sup>  
وقال الناطم :

يروعُ مناجيه بهاروتٍ لحظه      ويؤنسُه منـه بصورةِ آدمِ  
ترى فيه لاما فردة فوق ورْدَةٍ      وفصا من الباقوت من فوق خاتمِ

[ مفاضلة بين الكلام والصمت ]

وقال أبو تمام الطائي : تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلامَ  
وفضله ، والصمتَ ونُبله ، فقال : ليس النّجمُ كالقمر ؛ إنك إمام تمدحُ السكوتَ  
بالكلام ، ولا تمدحُ الكلامَ بالسكوت ، وما أنبأ عن شيء فهو أكبرُ منه .  
قال الجاحظ : كيف يكونُ الصمتُ أنفعَ من الكلام ، ونفعُه لا يكادُ يجاوزُ

(١) ضاهى : أشبه ، ويتألق : يضيئ . (م) .

(٢) اللّمس : جمع لعماء ، وهى التى فيها خيطُ أمر ، وهو مما يتمدح به . (م) .

صاحبه ، ونفعُ الكلامِ يعمّ ويخصّ ، والرواةُ لم تَرَوْ سَكوتَ الصامتين ، كما روت كلامَ الناطقين ؛ فبالكلامِ أرسل اللهُ تعالى أنبياءه لا بالصمتِ ، ومواضعُ الصمتِ المحمودَةُ قليلةٌ ، ومواضعُ الكلامِ المحمودَةُ كثيرةٌ ، وبطولِ الصمتِ يفسدُ البيانُ . وكان يقال : محادثةُ الرجالِ تلقيحُ لألبانها .

وذُكر الصمتُ في مجلسِ سليمان بن عبد الملك فقال : إنَّ مَنْ تكلمَ فأحسنَ قدَّر أن يسكتَ فيُحسِنَ ، وليس مَنْ سكتَ فأحسنَ يتكلمَ فيُحسِنَ .  
قال بعضُ النساءِ : أسكتني كلمةُ ابنِ مسمودَ عشرين سنةً ؛ وهى : من كان كلامُهُ لا يوافقُ فعله فإنما يوتخُ نفسه .

### [ الحنين إلى الأوطان ]

قال أبو عمرو بن العلاء : مما يدلُّ على حرية الرجل وكرم غريزته حنينُهُ إلى أوطانه ، وتشتوقُهُ إلى متقدمِ إخوانه ، وبكاؤُهُ على ماضى من زَمَانِهِ .  
وقالوا : الكريـمُ يحنُّ إلى جنابه ، كما يحنُّ الأسدُ إلى غابه .  
وقالوا : يشتاقُ اللبيبُ إلى وطنه ، كما يشتاقُ النجيبُ إلى عَظَنِهِ<sup>(١)</sup> .

### ألفاظ لأهل العصر في ذكر الوطن

بلد لا تُؤثرُ عليه بلدًا ، ولا تُصيرُ عنه ألدًا . هو عشهُ الذى فيه دَرَجَ ، ومنه خرجَ . جمعُ أسرته ، ومقطعُ سُرَّتِهِ . بلدُ أنشأته تربته ، وغذاءه هواؤه ، ورباه نسيمه ، وحلَّتْ عنه التمايمُ فيه .  
قالوا : وكان الناسُ يتشتقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون العلةَ فى ذلك ، حتى أوضحها على بن العباس الرضى فى قصيدِهِ لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجَّار ، يعرف بابن أبى كامل ، أجبره على بيعِ داره واغتصبه بعضُ جذرها ، بقوله :

(١) النجيب : هنا الجبل الأميل ، والعطن - بفتح العين والطاء جميعا - مبرك الإبل . أى مكان بروكها (م)

لابن الرومي  
في تحليل الحنين  
إلى الوطن

وَأَلَا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرُ مَالِكًا  
كَنِعْمَةٍ قَوْمٌ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا  
مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَا لِكَا  
عَهْدَ الصَّبَا فِيهَا لَخَفْنَا لَذَلِكَا  
لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غَوِرَ هَا لِكَا  
وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ إِلَّا أَيْعُهُ  
عَهْدْتُ بِهِ شَرَنْخَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةً  
وَحَبَّ أَوْطَانِ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ  
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرَتْهُمْ  
فَقَدْ أَلْفَتَهُ النَّفْسُ حَتَّى كَانَهُ  
يَقُولُ لَهُ فِيهَا :

فَقَالَ لِي أَجِدْ فِيَّ جَهْدَ احْتِيَالِكَا<sup>(١)</sup>  
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا ضَلَّةٌ مِنْ ضَلَالِكَا  
بَعَارَ عَلَى الْأَحْرَارِ مِثْلَ سُوءِ لِكَا  
لَأَمَلُ أَنْ أَضْحَى مُدْلًا بِمَالِكَا  
فَلَا تُخْطِئْنِي نَفْعَةٌ مِنْ شِمَالِكَا  
نَوَالِكَ وَالْعَادُونَ مَرَّ نَكَالِكَا  
وَقَدْ عَزَّنِي فِيهَا لُثْمٌ وَسَامِي  
وَمَا هُوَ إِلَّا نَسْجُكَ الشَّعْرِ ضَلَّةٌ  
بَصِيرٌ يَتَسَاءَلُ الْمُلُوكُ ، وَلَمْ يَكُنْ  
وَإِنِّي وَأَنْ أَضْحَى مُدْلًا بِمَالِهِ  
فَإِنْ لَمْ تُصِبنِي مِنْ يَمِينِكَ نِعْمَةٌ  
فَكَمْ لَقِيَ الْعَافُونَ بَدْءًا وَعُودَةً

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ النَّصِيبِيُّ : أَتَانِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الرَّومِيِّ بِقَصِيدَتِهِ  
هَذِهِ ، وَقَالَ : أَنْصِفْنِي ، وَقُلِ الْحَقُّ : أَيُّهُمَا أَحْسَنُ قَوْلِي فِي الْوَطَنِ أَوْ قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :  
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَاجِجٍ إِلَى وَسْطَى أَنْ يَصُوبَ سَجَابُهَا  
بِلَادٌ بِهَا نَيْطَةٌ عَلَى تَمَامِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسْ جِلْدِي تُرَابُهَا<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْتُ : بَلْ قَوْلُكَ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْوَطَنَ وَمَحَبَّتَهُ ، وَأَنْتَ ذَكَرْتَ الْعِلَّةَ الَّتِي  
أَوْجَبَتْ ذَلِكَ .

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ أَيْضًا يَتَشَوَّقُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَقَدْ طَالَ مَقَامُهُ بِسُرٍّ مِنْ رَأْيٍ :  
بِلَدٌ صَحِبْتُ بِهَا الشَّيْبَةَ وَالصَّبَا وَلَبِستُ ثَوْبَ الْعِيشِ وَهُوَ جَدِيدٌ  
فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيَتُهُ وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدٌ<sup>(٣)</sup>  
وَلَهُ يَشْتَاكُ إِلَى بَغْدَادَ

(١) عزني: غلبني (م) (٢) نيطت: علفت، والتمام: جمع تيمة، وهي المعادة  
تعلق على الصبي تمنع عنه العين في زعمهم (م) (٣) تميد: تتحرك وتنبأيل .

وقال أبو العباس : ولما احتفل القائل في هذا المعنى السابق إليه قال :

\* بلادُها حلَّ الشبابُ تماعى \*

وقد تقدّم . وإذا كانت تماعى قطعت بأبرق العزّاف ، وكان الترابُ  
الذى منّ جلدَه ترابَ جزيرة سيراف ، وجب أن يحنّ إليه حنينَ المتأسفين على  
غُوطَةِ دمشق ، وقصور مدينة السلام ، ونجف الجزيرة ، ومستشرفِ الخورنق ،  
وجوّسق سرّ مَنْ رأى ، لما بعد عنها ، وطال مقامه بغيرها ، كلاً ، ولكن هذا  
الرجل علم أن الحنينَ إلى الأوطانِ لما تذكّر من معاهد اللهو فيها ، بحدة الشباب  
الذى ذكر أن غول سكرته ، يغطى على مقدار فضيلته ، في قوله :

لا تلحّ مَنْ ينيكى شيبته      إلاّ إذا لم ينيكها بدم  
عيبُ الشيبَةِ غولُ سكرتها      ومقدار ما فيها من النعم  
لستأ نراها حقّ رؤيتها      إلاّ أوان الشيبِ والهَرَمِ  
كالشمس لا تبدو فضيلتها      حتى تُعشى الأرضُ بالظلمِ  
ولربّ شيء لا يبيّنه      وجدانه إلاّ مع العدمِ

أخذها هذا من قول الطائي :

راحت وفودُ الأرضِ عن قبره      فارغة الأيدي ملاء القلوب  
قد علمت ماريثت ، إنما      يعرفُ فقدُ الشمس بعد الغروب

وأخذ ابن الرومي قوله في صفة الوطن من قول بشّار :

متى تعرف الدارَ التي بآن أهلها      بسعدى فإن العهدَ منك قريبُ  
تذكرك الأهواء إذ أنت يافعٌ      لسيها فمغناهاً لديك حبيب<sup>(١)</sup>  
أو من قول بعض الأعراب :

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى      بشوقى إلى عهد الصبا المتقادِم<sup>(٢)</sup>

لبشار بن برد  
في حب الوطن

لبعض  
الأعراب

(١) يافع : أراد صغير السن ، ومغناها : موطن الإقامة منها (م)

(٢) استهلت مدامعى : انهمرت ، وهطلت ، وسالت (م)



رجاء  
ابن هارون  
المكي

حَفَنْتُ إِلَى أَرْضِهَا اخْضَرَّ شَارِبِي وَقَطَعْتُ عَنْ قَبْلِ عَقْدِ التَّمَاهِمِ  
وَأَنْشَدَ ثَعْلَبُ رَجَاءُ بْنُ هَرُونَ التَّمَكِّي :  
أَحْنُ إِلَى وَادِي الْأَرَاكِ صِبَابَةً لَعَهْدِ الصَّبَا فِيهِ وَنَذَارُ أَوَّلِ  
كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَبَاتِهِ نَسِيمُ حَبِيبٍ أَوْ لِقَاءِ مَوْثَلِ  
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّوْلِيُّ : وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ رَجَاءٍ أَخَذَ ، وَبِهِ أَلَمْ ،  
وَعَلَيْهِ عَوَّلُ ؛ لِأَنَّهُ فِي تَنَاوُلِهِ الْمَعْنَى غَرِيبُ الْأَخْذِ ، عَايِرُ السَّهْمِ <sup>(١)</sup> ، لَا يَعَارِضُ  
مَعْنَى مَعْرُوفًا إِذَا أَنْشَدَ عِلْمُ النَّاسِ أَنَّهُ مَعْدِنُهُ الَّذِي انْتَحَتْ مِنْهُ .

للإيادي

وَقَدْ اخْتَلَسَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :  
فَقَدْ أَلَسَ النَّفْسُ حَتَّى كَانَهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكًا  
أَخَذَهُ عَلَى بَنِ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِي وَقَالَ فَأَحْسَنَ الْأَخْذَ وَلَطَفَ فِي السَّرَقَةِ :  
بِالْجَزَعِ فَالْخَبْتَيْنِ أَشْلَاءَ دَارَ ذَاتِ لَيْالٍ قَدْ تَوَلَّتْ قِصَارَ  
بَانُوا فَاتَتْ أَسْفَا بَعْدَهُ وَإِنَّمَا النَّاسُ نَفُوسُ الدَّارِ  
وَقَالَ أَعْرَابِي :

لأعرابي

أَيَا حَمْدًا مَحْدُوطِيْبٍ تُرَابِهِ تَصَافِحُهُ أَيْدِي الرِّيَاحِ الْفَرَاثِبِ  
وَعَهْدُ صَبَا فِيهِ يَنْزَاعُكَ الْهَوَى بِذَلِكَ أَتْرَابُ عَذَابُ الْمَشَارِبِ  
تَنَالُ الْمَتَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ عَذَابُ الثَّنَايَا وَارِدَاتِ الدَّوَائِبِ <sup>(٢)</sup>

لابن ميادة

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ يَخَاطَبُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ .  
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِحَمْرَةٍ لَيْلَى خَيْتِ رَبَّنِي أَهْلِي  
بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتْ عَلَى تَمَامِي وَقُطِعْنَ عَنْ حَيْنٍ أَذَرَ كَفَى عَقْلِي  
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ مَانِي فَأَنْشِ عَلَى الرِّزْقِ وَاجْمَعْ إِذَا أَشْمَلِي  
وَقَالَ سَوَارُ بْنُ الصَّرِيرِ <sup>(٣)</sup> ، وَرُوِيَ لِلْمَلِكِ بْنِ الرَّيْبِ :

- (١) السَّهْمُ الْعَاثِرُ : الَّذِي لَا يَعْرِفُ رَأْيَهُ (م) .  
(٢) الدَّوَائِبُ : جَمْعُ دَوَابَةٍ ، وَأَرَادَ الشَّعْرَ ، وَوَرُودَهُ : اسْتِمَالَهُ (م) .  
(٣) فِي نَسْخَةِ «-وَارِ بْنِ الْمَضْرِبِ» (م) .

سقى الله اليمامة من بلاد  
وجوا زاهراً للريح فيه  
به سقت الشباب إلى زمان  
نوايحها كأرواح الفواني<sup>(١)</sup>  
نسيم لا يروغ الترب واني  
يقبح عندنا حسن الزمان

وقال أعرابي :

لأعرابي

أقول لصاحبي والعيس تخدي  
تمتع من شميم عرار نجدي  
ألا يا حبيذا نفحات نجدي  
[ وأهلك إذ يحل القوم نجدا  
شهور ينقضين وما شمرنا  
وهذا البيت كقول الآخر :

سقى الله أياماً لنا قد تنامت  
ليالي أعطيت البطالة مفودى  
وسقياً لعصر العامرية من عصر  
تمر الليالي والشهور ولا أذرى

وتخلف سليمان عن نصرة ابن الرومي ؛ فذاك الذي هاجه على هجائه ، فمن  
ذلك قوله ، وقد خرج في بعض الوجوه فرجع مهزوماً :

ابن الرومي  
يهجو سليمان  
ابن عبد الله  
ابن طاهر

جاء سليمان بنى طاهر  
كان بغداد وقد أبصرت  
مستقبل منه ومستدبر  
فاجتاح معتز بنى المعتصم<sup>(٢)</sup>  
طلعت نائحة تلتدِم<sup>(٤)</sup>  
وجه بخيل وقفاً منهزم

وقال :

قرن سليمان قد أضرب به شوق إلى وجهه سيتلفه

(١) في نسخة « نوافحها كأرواح الفواني » والأرواح : جمع ربح (م)

(٢) العيس : الإبل ، وتخدي : تسرع في سيرها ، والنيفة : ماء للثيم (م)

(٣) غب القطار : بعد المطر (م) (٤) تلتدِم : تلطم وجهها (م)

كَمْ يَعِدُّ الْقِرْنَ بِاللِقَاءِ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ

لَا يَعْرِفُ الْقِرْنُ وَجْهَهُ وَيَرَى قَفَاهُ مِنْ فَرْسَخٍ، فَيَعْرِفُهُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض الخوارج ، وقد قال له أبو جعفر المنصور :  
أخبرني أى أصحابي كان أشد إقداماً في مُبارزتك ، فقال : ما أعرفُ  
وجوههم ، ولكنني أعرفُ ألقابهم ، فقل لهم يدبروا أعرفك .

وفي هذه المنازعة يقول ابن الرومي لمواليه بنى هاشم وكان ولاؤه لعبيد الله بن  
عيسى بن جعفر بن المنصور :

تَحْذِرُكُمْ دِرْعًا عَلَى لَدْنَةٍ فَمَوُوا نَبَالَ الْعِدَى غَنَى فَكُنْتُمْ نَصَالَهَا

وقد ننتُ أرجو منكم خيرَ ناصرٍ علي حين خِذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالَهَا

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا الْمَوَدَّةَ ذِمَامًا فَكُونُوا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

قِفُوا مَوْقِفَ الْمَعْدُورِ غَنَى بِمَعَزَلٍ وَخَلُّوا نَبَالَيَ وَالسَّعْدَا وَنَبَالَهَا

ألفاظ لأهل العصر ، في وصف الأمكنة والأزمنة

بلدة كأنها صورةُ جنةِ الخلد ، منقوشة في عَرْضِ الأرض . بلدةٌ كأن  
محاسنَ الدنيا مجموعةٌ فيها ، ومحصورة في نواحيها . بلدةٌ كأن تَرَاهَا عَنْبُرٌ ،  
وَحَصْبَاءُهَا عَقِيقٌ <sup>(١)</sup> ، وهواءها نسيم ، وماءها رَحِيق . بلدةٌ معشوقة السُّكْنَى ،  
رَحْبَةُ الْمَثْوَى <sup>(٢)</sup> ، كوكبها يقظان ، وجَوَّها عُرْيَان ، وَحَصَاها جَوْهر ، ونسيمها  
مُعَطَّر ، وتَرَاهَا مِنْكَ أَذْفَر ، ويومها غداةٌ ، وليلها سَحَر ، وطعامها هَنَى ،  
وشرابها مَرِي . بلدةٌ راسعةُ الرقعة ، طيبة البقعة ، كأنَّ محاسنَ الدنيا عليها  
مفروشة ، وصورة الجنة فيها منقوشة ، واسطة البلاد وسررتها ، ووجهها وغرتها .

(١) الحصباء : صفار الحصى (م)

(٢) المثوى : مكان الإقامة ، ورجبته : أى واسعته (م)

### ولهم في ضد ذلك

بلد مُتَضَائِقُ الحدود والأفنية ، متراكب المنازل والأبنية . بلد حرها مؤذٍ ، وماؤها غير مفذ . بلدة وَسِخَةُ السماء ، رَمِدة الهواء ، جوها غبار ، [ وأرضها خَبَارٌ <sup>(١)</sup> ] ، وماؤها طين ، وتربها سِرَجِينٌ <sup>(٢)</sup> وحيطانها تَرْوُزٌ ، وتشرينها تموز <sup>(٣)</sup> ، فكم في شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق . بلدة ضيقة الديار ، سيئة الجوار ، حيطانها أخصاص ، وبيوتها أققاص ، وحشوشها مسايل ، وطرقها مَزَابِل .

### ولهم في صفات الحصون والقلاع

حصن كأنه على مَرَقَبِ النجم ، يحسردونه الناظر ، ويقصر عنه المُقَابِ السكايرُ ، يكادُ مَنْ علاه يغرق في حوض الغمام . حصن انتطق بالجوزاء ، وناجت أبراجه بُرُوجَ السماء . قلعة حلقت بالجو تناجي السماء بأسرارها . قلعة بعد في السماء مُرْتَقَاهَا ، حتى تساوى ترأها مع ترأياها . قلعة تتوشح بالغيوم ، وتتحلى بالنجوم . قلعة عالية على المرتقى ، صماء عن الرقي ، قدجاوزت الجوزاء سمتها ، وعزلات السماء الأغزل تنمكا ، هي متناهية في الحصانة ، موثوقة بالوثاقة ، ممتعة على الطلب والطلب ، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب ، لم تزد لها الأيام إلا نُبُوءَ أعطاف ، واستصعاب جوانب وأطراف ، قد مل الولاة حصارها ، ففارقوها عن طنوح منها وشماس ، وسمت الجيوش ظلها ، ففادرت عنها بعد قنوطٍ وياسٍ ، فهي حَمَى لا بُرَاغٌ <sup>(٤)</sup> ، ومَقِيل لا يُسْتَطَاع ، كأن الأيام صالحتها على الإغفاء من الحوادث والليالي عاهدتها على التسليم من القوارع . قلعة تحوى من الرقعة قَدْرًا لا تستهان مواقمها ، وتلوى في النعمة جيدا لا تستلان أخادعها ، ليس للوهم قبل القدم إليها مَسْرَى ، ولا للفكر قبل الخطو نحوها مَجْرَى .

(١) الحبار - بفتح الحاء المعجمة ، بزنة السحاب - اللين المسترخى من الأرضين (م)

(٢) أراد أن تربها نجس ؛ لأن السرجين عذرة البهائم (م)

(٣) تشرين وتموز : من أسماء الشهور الرومية ، وتشرين في الشتاء ، وتموز في

الصيف ، يريدانها شديدة الحر (م) (٤) لا براغ : لا يطلب لأنه لا سبيل إليه (م)

## ولهم في صفات القصور والدور

قصر كأن شُرُفاته بين النَّسْر والمَيُوق<sup>(١)</sup>، كأنه يُسَامِي الفَرَقْدَ، وقد اكَتَسَتْ له الشَّعْرَى العبور ثوبَ الغيور . قصر طال مَبْنَاهُ، وطاب مَفْنَاهُ، كأنه في الحَصَانَةِ جبلٌ مَنِيْعٌ ، وفي الحسن ربيعٌ مَرِيْعٌ . شُرُفَاتُ كَالْعَذَارَى شَدَدْنَ مَنَاطِقَهَا ، وتَوَجَّنَ بِالْأَكَالِيلِ مَفَارِقَهَا . قَصْرٌ أَقْرَتْ لَهُ الْقُصُورُ بِالْقُصُورِ<sup>(٢)</sup>، كأنه سَحَابٌ فِي بَحْرِ السَّمَاءِ . دار قَوْرَاءَ تُوسِّعُ الْعَيْنَ قُرَّةً ، وَالنَّفْسَ مَسْرَةً . كَأَنَّ بَانِيهَا اسْتَسْلَفَ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ . دار تَحْجُلُ مِنْهَا الدَّوْرُ ، وَتَتَقَاعَصِرُ عَنْهَا الْقُصُورُ ؛ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ . دارٌ قَدْ اقْتَرَنَ الْيُمْنُ بِمِنَاهَا ، وَالْيُسْرُ بِمُسْرَاهَا ، الْجِسْمُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ ، وَالْعَيْنُ عَلَى سَفَرٍ . دار هِيَ [ دَائِرَةُ الْمِيَامِنِ ، وَ ] دَائِرَةُ الْحَاسِنِ . دارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا ، وَفَازَ بِالْحَسَنِ سَهْمُهَا . دار يَخْدُمُهَا الدَّهْرُ ، وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ ، وَيَكْنِفُهَا النَّصْرُ ، هِيَ مَرْتَعٌ النُّوَاطِرُ ، وَمَتْنَفَسٌ الْخَوَاطِرُ . دارٌ قَدْ أَخَذَتْ أَدَوَاتِ الْجِنَانِ ، وَضَحَكَتْ عَنِ الْقَبْرِ عَلَى الْحِسَانِ .

[ من رسائل الميكالى وشعره ]

فصل لأبي الفضل الميكالى إلى بعض إخوانه :

مَا ابْتَدَأْتُ بِمَخَاطَبَةِ سَيِّدِي حَتَّى سَرَّتِ الْمَسْرَةُ فِي نَفْسِي ، وَقَوِيَّتْ أَرْكَانُ بَهْجَتِي وَأُنْسِي ، وَحَتَّى أَقْبَلَتْ وَجْهُ الْمِيَامِنِ تَهْلَلُ إِلَيَّ ، وَبَدَرُ الْمُسَاعِدِ تَنَالُ عَلَيَّ<sup>(٣)</sup> ، وَكَيْفَ [ لَا يَمْلِكُنِي الْجَذَلُ وَالْفَرَحُ ، وَكَيْفَ ] لَا يَهْزُنِي النَّشَاطُ وَالْمَرَّحُ ، وَقَدْ زَفَقْتُ وَدُّيَ إِلَى كُفٍّ كَرِيمٍ ، وَعَرْضَتُهُ لِحَظَةٍ مِنَ الْجَمَالِ جَسِيمٍ ، وَأَرْجُو أَنْ يَرِدَ مِنْهُ عَلَى حُسْنِ قَبُولٍ وَإِقْبَالٍ ، وَيَحْظَى مِنْ ارْتِيَاخِهِ لَهُ بَيُّزِدُ

(١) النَّسْر والعيون والشعري : أسماء نجوم في السماء (م)

(٢) القصور الأول : جمع قصر ، والثاني بمعنى التقصير (م)

(٣) تنال على : تتوالى وتكثر (م)

أَشْتَمَالٌ ، وَيُصَادَفُ مِنْ اهْتِزَازِهِ وَإِنْشَائِهِ ، وَعِمَارَتِهِ وَإِنْعَامِهِ ، وَتَحْصِينِ أَطْرَافِهِ مِنْ شَوَائِبِ الْخَلَلِ ، وَشَوَائِنِ الْوَهْنِ وَاللَّيْلِ ، وَمَا تَسْتَحْكِمُ بِهِ مَرَّأَتُ الْوِصَالِ ، وَتُؤْمِنُ عَلَى قُوَاهَا عَوَادِي الْأَنْقَاضِ وَالْإِنْحِلَالِ .

وله : إِذَا لَمْ يُؤْتِ الْمَرْءُ فِي شُكْرِ الْمُنْعَمِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ قَدْرِ الْإِنْعَامِ وَالْإِصْطِنَاعِ ، وَاسْتِرْقَاقِهِ مِنْهُ قُوَى الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي الْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عُتْبٌ ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ نَقِصَةٌ وَلَا عَيْبٌ . وَلَئِنْ ظَهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحِيلُ بِحَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ لَا يُعْجِزُهُ حِمْلُهُ ، وَلَا يُؤْودُهُ ثِقَلُهُ ، وَلَا يَزُكُّو الشُّكْرُ إِلَّا لِدَيْنِهِ ، وَلَا تُضَرَفُ الرِّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِمَجْدٍ يَفِيمُ أَعْلَامَهُ ، وَفَضْلٍ يَفْضِي ذِمَّتَهُ ، وَعُرْفٍ يَبِثُ أَقْسَامَهُ ، وَوَلَى يُوَالِي إِكْرَامَهُ ، وَغَدْوٍ يُدِيمُ قِمَمَهُ وَإِرْغَامَهُ

وله : وَلَوْ وَفِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْجَسِيمَةُ حَقَّهَا لَمَشَيْتُ إِلَى حَضْرَتِهِ - آتَسْهَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - حَبْنًا [لَا] <sup>(١)</sup> عَلَى الْقَدَمِ ، وَلَآثَرْتُ فِيهِ خِدْمَةَ اللِّسَانِ عَلَى خِدْمَةِ الْقَلَمِ ، وَلِمَارَضِيَتْ لَهُ بِيَاعَى الْقَصِيرِ ، وَعِبَارَتِي الْمَوْسُومَةَ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ ، حَتَّى أَسْتَعِيرَ فِيهِ أُلْسِنَةً تَحْمِلُ شُكْرًا وَثْنًا ، وَتَوْسِيعَ نَشْرًا <sup>(٢)</sup> وَدَعَاءً ، ثُمَّ لَا أَكُونُ بُلْفَتٌ مُبْلَغًا كَافِيًا ، وَلَا أَبْلِيْتُ عُذْرًا شَافِيًا ؛ إِلَّا أَنَّ عَدَمَ الْإِذْنِ ثَبَّطَنِي <sup>(٣)</sup> عَنْ مَقْصُودِ الْغَرَضِ ، وَعَاقَنِي عَنْ الْوَاجِبِ الْمَفْتَرَضِ ؛ فَأَقَمْتُ عَاكِفًا عَلَى دَعَاءِ أَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُبْتَهِلًا ، وَأَوَاصِلُهُ مُجْتَمِدًا فِي لَيْلٍ وَنَهَارٍ مُحْتَفِلًا .

وله : أَحَقَّ النِّعْمَةِ بِالزِّيَادَةِ نِعْمَةٌ لَمْ تَزَلْ الْعَيُونَ إِلَيْهَا مُسْتَشْرِفَةً <sup>(٤)</sup> ، وَالْقُلُوبُ إِلَيْهَا مُتَشَوِّفَةً ، وَالْأَيَّامُ بِهَا وَاعِدَةً ، وَالْأَقْدَارُ فِيهَا مُسَاعِدَةً ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي نِصَابِهَا ، وَأَلْقَتْ عَصِيَّ اغْتِرَابِهَا ، فَهِيَ لِلنَّاءِ وَالزِّيَادَةِ مَتَرَشَّحَةٌ ، وَبِالْعَزِّ وَالسَّعَادَةِ مَتَوْشَّحَةٌ ، وَبِالْأَدْعِيَةِ الْفَاصِلَةِ مُسْتَدَامَةٌ مَرْتَهَنَةٌ ، وَبِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَالْأَهْوَاءِ عَلَيْهَا مَرْتَبُطَةٌ مُحَصَّنَةٌ .

(١) « لَا » هذه ليست في الأصول ، ولكن المعنى يتطلبها البتة (م) .

(٢) الشر ، هنا : الإداعة بين الناس (م) .

(٣) ثبطني : أقعدني (م) . (٤) مستشرفة ، وكذلك متشوفة : متطلعة (م) .

وله فصل من كتاب تعزية بالأمر ناصر الدين :

أقدارُ الله تعالى في خلقه لم تزلْ تختلفُ بين مكروه ومحبوب ، وتتصرفُ بين مَوْهوب ومسلوب ، غاديةً أحكامها مرّةً بالمصائب والنوائب ، راحمةً أقسامها تارةً بالعطايا والרגائب ، ولكن أحسنها في العيون أثراً ، وأطيبها في الأسماع خبراً ، وأخرها بأن تَكْسِبَ القلوبَ عزاءً وتَصْصِرُها ، ما إذا انطوى نُشْرُ ، وإذا انكسر جُبر ، وإذا أخذ بيد رَدِّ بأخرى ، وإذا وهب يميني سلبَ يسرى ، كالمصيبة بفلان التي قرّحتِ الأكباد ، وأوهنتِ الأعضاء<sup>(١)</sup> ، وسودت وجوه المكارم والمعالى ، وصورت الأيام في صور الليالى ، وغادرت المجدد وهو يلبس حدّاده ، والعدّل وهو يبكي عمّاده ، والدين وهو يندب جهاده ، حتى إذا كاد اليأس يغلب الرجاء ، ويردّ الظنون مظلمة النواحي والأرجاء ، قيض الله تعالى من الأمير الجليل من اجتمعت عليه الأهواء ، ورضيت به الدهماء ، فأتى به حادث الكلم ، وسدّ بمكانه عظيم الثلم ، وردّ الآمال والنفوس قد استبدلت بالخيبة قوة وانتصارا ، وصارت للدولة المباركة أعواناً وأنصاراً

من شعر الميكالى  
في تجنيس  
القوافي

ومن شعره في تجنيس القوافي ، في معان مختلفة :

إذا لم تسكن لمقال النصيح سميماً ولا عاملاً أنت به  
يُنَبِّهُكَ الدهرُ من رَفْدَةِ المَلاهي وإن قلت لا أنذِبي

وقال :

تفرّق الناسُ في أرزاقهم فرقاً فلا يس من ثراء المال أو عارى  
كذا المعاش في الدنيا وساكنها متسومة بين أوعاث وأوعار

وقال :

حوَى القِدْ عمرأ فقلت اعتقد رضا بالقضاء ولا تحتفد

(١) أوهنت : أضعفت ، والأعضاء : جمع عضد ، وهو من اليد ما بين الكتف والذراع ، ويرمز به إلى القوة ، ومنه قولهم « فت في عضده » ، ويطلق العضد على الناصر والمعين ، مجازاً مأخوذاً من ذلك ( م ) .

فإِنَّمَا احْتَقَدْتَ قَضَاءَ الْإِلَهِ فَأُفْتِحْ بِمَحْتَقَدِ تَحْتِ فَدِ  
وقال :

تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ فَمَا يُزِرِي بِهَا      مَعَ فَضْلِهِ وَنِعْمَانِهِ وَكَمَالِهِ  
إِلَّا قُصُورُ وَجُودِهِ عَنْ جُودِهِ      لَا عَوْنَ لِلرَّجُلِ الْكَرِيمِ كَمَالِهِ  
انْصُرْ أَهْلَكَ إِذَا اجْتَدَاكَ فَوَاسِيهِ      وَإِنْ اسْتَغَاثَكَ وَاتَّقَا بِكَ مَالِهِ<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

إِذَا تَغَدَّيْتُ صَدْرَ يَوْمِي      نَمِ تَأْذِيْتُ بِالْغَدَاةِ  
فَقُلْتُ إِذْ مَسَّنِي أَذَاهُ      أَرَى غَدَائِي أَرَاغَ دَائِي  
وله في هذا [ الصوغ ] :

لَنَا صَدِيقٌ يُجِيدُ لِقَاءَ      رَاحَتُنَا فِي أَذَى قَفَاهُ  
مَا ذَاقَ مِنْ كَسْبِهِ ، وَلَكِنْ      أَذَى قَفَاهُ أَذَاقَ فَاهُ  
وقال يهجو رجلاً :

يَبْرِدُ يَوْسَعٌ فِي بَيْتِهِ      وَيَأْتِي لَهُ الضِّيقُ فِي صَدْرِهِ  
فَتَى سَخِطَ النَّصَبَ فِي قَدْرِهِ      كَمَا رَضِيَ الْخُلْفُضَ فِي قَدْرِهِ  
يُخَدَّرُ أَوْصَالُ أَضْيَافِهِ      وَلَا يُبْزَرُ الْخُبْزُ مِنْ جَدْرِهِ

وقال في غير هذا المذهب يصفُ      كتاباً وَرَدَ عَلَيْهِ :

قَدْ أَتَانَا مِنْ صَدِيقٍ كَلَامٌ      كَلَالٍ زَاهِنٌ غِظَامٌ  
فَسَرَى فِي الْقَلْبِ مَنَى سُرُورٌ      مَطْرَبٌ يَعْجَزُ عَنْهُ الْمُدَامُ  
مِثْلُ مَا يَرْتَاحُ رَبُّ بَنَاتٍ      حَوْلَهُ مِنْ جَمْعِهِنْ زِحَامُ

له في وصف  
كتاب ورده

(١) اجتدك : طلب جدواك ، والجدوى : العطاء ، و « ماله » أصله « الله »  
فخفف الهمزة بقلبها ياء ثم حذفها كما تحذف لام المنقوص ( م ) .



فرعى الله طويلا يُرجى  
وأناه بعد يأسٍ بشير  
خلفا من نَسِله لا يُفَامُ  
قال يا بشرى هذا غلامٌ

له في وصف  
النعم

وقال يصف الشمع :  
وليل كلون الهجر أو ظلمة الخبر  
بشق جلايب الدجى فكانما  
يُحاكى رواء العاشقين بلونه  
خلا أن جارى الدمع ينحله قوى  
تبدى لنا كالفصن قدأ وفوقه  
تحتل نورا حقه فيه كامن  
إذا ما علتُه علة جر رأسه  
وقال :

يارب غصن نوره  
يظل طول عمره  
نار الحب في الحشا  
لاح لنا في مغرب  
يزرى بنور الشفق  
ينبكي بحفن أرق  
وناره في الفرق  
فردنا في مشرق

وقال :

وقضيب من بنات النحل في قد السكاب<sup>(٢)</sup>  
يُشبه العاشق في لو نِ ودمع ذى أنسكاب  
كسى الباطن منه وهو عريان الإهاب<sup>(٣)</sup>

(١) في نسخة « كأننا منه في ليلة القدر » وليلة البدر : هى الليلة الرابعة عشر من لىالى الشهر العربى ، وفيها يكتمل البدر نوره ( م ) .

(٢) من بنات النحل : يريد أنه من الشمع الذى يؤخذ من النحل ( م ) .

(٣) وقع البيت في بعض الأصول « قد كسى - إلخ » وكلة « قد » في أوله زائدة عن

الوزن ، وتقرأ كلمة « كسى » بالبناء للمجهول فتم البيت وزنا ومعنى ( م ) .

فَإِذَا مَا أَنْعَمَ الْأَبُ دَانَ مَلْبُوسَ الثِّيَابِ  
فَهُوَ لِلشَّقْوَةِ مِنْهَا فِي بِلَاءٍ وَعَذَابِ

\*\*\*

للكشاجم في وقال كشاجم يصف شمعاً أهذاها [ إلى بعض الملوك ] :

وصف الشمع

[و] <sup>(١)</sup> صُفْرِ مِنْ بَنَاتِ النَّخْلِ تُكْسَى  
عَذَارَى يُفْتَضُّنَ مِنَ الْأَعَالَى  
وَأَمْسَتْ تَنْتِجُ الْأَضْوَاءَ حَتَّى  
كَوَاكِبُ لَسَنٍ عَنْكَ بَافِلَاتٍ  
بَعَثَتْ بِهَا إِلَى مَلِكٍ كَرِيمٍ  
فَاهْدَيْتِ الضِّيَاءَ بِهَا إِلَى مَنْ  
وَقَالَ :

يَشْتَمِي الْفَتَى بِخِلَافِ كُلِّ مَعَانِدٍ  
يَقْدِي إِذَا أَصْنَى الْإِنَاءَ لَشُرْبِهِ  
يُؤْذِيهِ حَتَّى بِالْقَذَى فِي مَائِهِ  
وَيُرْوِغُ عَنْهُ عِنْدَ سَكَبِ إِنَائِهِ <sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ :

أَطَالِبُ أَيَّامِي بِإِنْجَازِ مَوْعِدِي  
أَقُولُ عَسَاهَا أَنْ تَلِينَ لِمَطْلَبِي  
وَهَا هِيَ تَلَوِي بِالْوَفَاءِ وَتَجْمَعُ  
قَلِيلًا فَبَعْضُ الشُّوْكِ بِالْمَنْ يَسْمَعُ  
وَقَالَ :

أَرَى وَصَالَكَ لَا يَصْفُو لَأَمَلِهِ  
كَالْقَوْسِ أَقْرَبُ سَهْمِيهَا إِذَا عَظِفَتْ  
أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ وَذَكَرَ رَجُلًا مَتَلَوْنَا :  
رَأَيْتُكَ بَيْنَا أَنْتَ خِلٌّ وَهَاجِبٌ إِذَا بَكَ قَدْ وَلَّيْتَنَا ثَانِيًا عِطْفًا

لابن الرومي  
يذكر متلونا

(١) لا بد من هذه الواو ليم وزن البيت ، وهي ساقطة من بعض النسخ (م) .

(٢) أصنى الإناء : أماله ، وفي نسخة « يهودى إذا - إلغ » (م) .

وَأَنْتَ إِذْ أَخْنَى حَنُوكَ مُوجِبٌ      بَعَاداً لِمَنْ بَادَلَتْهُ الْوُدَّ وَاللُّطْفَا  
لِكَالْقَوْسِ أَحْنَى مَا تَكُونُ إِذَا انْحَنَتْ      عَلَى السَّهْمِ أَنْأَى مَا تَكُونُ لَهُ قَدْفَا  
وَلَهُ فِي نَحْوِ ذَلِكَ :

تَوَدَّدَتْ حَتَّى لَمْ أَحِذْ مَتَوَدِّدَا      وَأَتَعَبْتُ أَقْلَامِي عَتَايَا مُرَدِّدَا  
كَأَنِّي أَسْتَدْعِي لَكَ ابْنَ حَنِيَّةٍ      إِذَا النَّزْعَ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدَا

\*\*\*

[ فِي وَصْفِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ ]

وذكر عمر بن علي بن محمد المطوعي أبا الفضل الميكالي في كتاب الله في منظومه ومنثوره فقال : قد أصبحتَ حضرته - لازالت أَرْجَةً الْأَرْجَاءِ بِطِيبِ شَمَائِلِهِ ، راضية الرضا عن صُوبِ أَنَامِلِهِ - مَوْسِمَ الْأَمَالِ ، ومحط الرحال ؛ وَعَبْدَهُ أحرار الكلام ، كما خدمته أحرارُ الْأَيَّامِ ، وأطاعته المعاني والمعالى ، كما أطاعه صَرَفُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ، فهو - أدامَ اللهُ تَمَكِينَهُ - شهابُ الْمَجْدِ الذي لا يخبو واقده ، وَرَوْضُ الْكَرَمِ الذي لا يجذب رائدُهُ ؛ إن أردتَ أَيْلَاغَةَ فهو مَالِكُ عَنَانِهَا ، وفارسُ مِيدَانِهَا ، وناظمُ دُرِّهَا ومرجانها ، وصانعُ لُجَيْنِهَا وَعُقْيَانِهَا ؛ وإن أردتَ السَّاحَةَ فهو مَحَلُّهَا ومكانُهَا ، وتاريخُهَا وعنوانُهَا ، ويدُهَا ولسانُهَا ، وحَدَقَتُهَا وإنسانُهَا ، وحديقَتُهَا وبُسْتَانُهَا ؛ وإن أردتَ شرفَ الْأَصْلِ والنسبِ ، والجمعَ بين المَوروثِ [ من المجد ] والمكتسبِ ، فَنَاهِيكَ بِأَوَائِلِهِ شَرَفًا سَابِقًا ، وَفَضْلًا بَاسِقًا ، ومجدًا في فَلَكَ الْفَخْرِ سَامِقًا <sup>(١)</sup> ؛ فهم الْجَحَاجِحَةُ الْقُرَى ، والكواكبُ الزُّهْرُ ، ومن بهم يفتخِرُ الْفَخْرُ ، ويتشرفُ الدَّهْرُ ، زحوا مناكِبَ الْكَوَاكِبِ من بُعدِ أَقْدَارِهِمْ ، وصكروا فَرَقَ الْفَرْقِ وَصَدَرَ الْبَدْرِ بِشَرَفِ أَخْطَارِهِمْ ، فما فيهم إِلَّا قَرَفُضْلٍ دَارٍ فِي فَلَكَ عِلْمٍ ، وهَلَاكٍ مَجْدٍ لَاحٍ فِي سَمَاءِ فَهْمٍ ، تَوَارَتْهُوا الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَبَاقِيًا عَنْ غَابِرٍ ، وَسَافَرَتْ أَخْبَارُهُمْ فِي الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ ، وَطَارَتْ فِي أَقَاصِي

الشرق والغرب ، وسارت مسير الشمس في كل بلد ، وهبت هبوب الريح  
في البر والبحر ، فهم كما قال أبو عبادة البحتري في الشاه بن ميكال وأهله فأحسن  
وأجاد وبلغ ما أراد :

بى أخوذى يغمر الطرف موفياً      يبسطه السيف وإني الحائل<sup>(١)</sup>  
تضيّق الدروع الثّعبيات منهم      على كل رخب الباع سبط الأنامل  
عراعر قوم يسكن الثغر إن مشوا      على أرضه والثغر جم الزلازل<sup>(٢)</sup>  
فكم فيهم من منعم متطول      بالآئه أو مشرف متطاول  
إذا مثلوا جادت سيوف أكرمهم      [ نظائر جمات التلاع السوائل  
خليقون سراً أن تلين أكرمهم ]      عرائك أحداث الزمان الجلائل  
وما زال لحظ الراغبين معلقاً      إلى قر فيهم رفيع المنازل  
وفيه ، أو في أبيه ، يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب :

وإلى الأمير ابن الأمير تواهقت      رزحى الركاب برازحى الركاب<sup>(٣)</sup>  
شيم أرق من الهواء بل الهوى      وألذ من ظفر بعقب ضراب  
وعزائم لو كن يوماً أسهماً      لنفذن في الأيام غير نواب<sup>(٤)</sup>  
مائية الجريان إلا أنها      ناربة الإقدام والإهاب  
يخطر بين سياسة ورياسة      ويتهن بين مئوية وعقاب

[ ابن أبي دواد بين يدى الواصل ]

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيت الملوك في مقاصيرها ، ومجامع

(١) الأخوذى : الحاذق الخفيف المشعر للأموال الجاد فيها ( م ) .

(٢) العراعر - بجم أوله - الشريف ، وجمعه عراعر بفتح أوله ( م ) .

(٣) تواهقت : تبارت ومدت أعناقها في سيرها ، والرزحى : الساقطة تعباً

وهذا ( م )

(٤) نواب : جمع ناب ، وهو اسم الفاعل من « ناب السيف والرمح » إذا حاد

عن ضريقته ( م ) .

حفلة، فإرايت أغزر أديبا من الوراق؛ خرج علينا ذات يوم وهو يقول: لقد  
عرض عرضة من عرضة لقول الخراعي، يريد دُعِيلاً:

خَلِيلِي مَاذَا أُرْتَجِي مِنْ غَدَامِي طَوَى السَّكْشَجَ عَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مَكِينُ  
وَإِنْ أَمْرًا قَدْ صَنَعْتُ عَنِ بَمَنْطَقِي بَسْدُ ، مِنْ تَخَلَّتِي لَضَمِينُ

فأنبرى أحمد بن أبي دُوَاد يسأله كأنما كَشِطَ من عِقَال في رجل من أهل  
اليمامة فأطنب وأسهب، وذهب في القول كل مذهب؛ فقال الوراق: يا أبا عبد الله  
لقد أكرت في غير كبير، ولا طيب، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه صديقي:

وَأَهْوَنُ مَا يُعْطَى الصَّدِيقُ صَدِيقُهُ مِنَ الْهَيْئِ الْمَوْجُودِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

فقال: وما قدر اليمامي أن يكون صديقك، وإنما أحسبه أن يكون من

عرض معارفك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه شهرني بالاستشفاع إليك، وجعلني

بمراي ومسمع من الرد والإسماع، فإذا لم أقم له هذا المقام أكون كما قال أميرُ

المؤمنين آتفا:

خَلِيلِي مَاذَا أُرْتَجِي مِنْ غِيٍّ أَمْرِي طَوَى السَّكْشَجَ عَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مَكِينُ

فقال الوراق: بالله يا محمد بن عبد الملك إلا عجّلت لأبي عبد الله حاجته،

ليسلم من هُجْنَةِ الْمَطْل، كما سلم من هُجْنَةِ الرَد.

[ من صفة ابن أبي دُوَاد، وأخباره ]

وكان ابن أبي دُوَاد من أحسن الناس تأتيا، وكان يقول: ربما أردت أن

أسأل أمير المؤمنين الحاجة بِحَضْرَةِ ابن الزيات فأؤخر ذلك إلى وقتٍ مِيفِيهِ؛ لثلا

يتعلم حُسْنَ التَّلَطُّف مِنِّي؛ وكان بينه وبين محمد بن عبد الملك عداوة عظيمة

وأمر الوراق أصحابه أن ينهضوا قِياما لأبي جعفر إذا دَخَلَ، ولم يرخص في ذلك

لأحد، فاشتدَّ الأمرُ على ابن أبي دُوَاد، ولم يجد لخلاف الوراق سبيلا.

فوكَّلَ بعض غلمانه بمراقبة موافاته، فإذا أقبل أخبره فنهض يركع، فقال

ابن الزيات:

صَلَّى الضُّعَىٰ لَمَّا اسْتَفَادَ عَدَاوَتِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بَعْدَهَا وَيَصُومُ  
لَا تَعْمَدَنَّ عِدَاوَةَ مُوسُومَةٍ تَرَكْتِكَ تَقَعُدُ بَعْدَهَا وَتَقُومُ  
وَقَالَ الْوَاتِقُ يَوْمَا لَابْنِ أَبِي دُوَادٍ تَضَجُّرًا بكَثْرَةِ حَوَائِجِهِ : قَدْ أَخْلَيْتَ بَيْوتَ  
الْأَمْوَالِ بَطْلِبَاتِكَ لِلْأَنْذِينَ بِكَ ، وَالتَّوَسَّلِينَ إِلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَتَأَمَّجُ  
شُكْرَهَا مُتَّصِلَةً بِكَ ، وَذَخَائِرُهَا مَوْصُولَةٌ لَكَ ، وَمَالِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَشَقُ اتِّصَالِ  
الْأَلْسَنِ بِخُلُودِ الْمَدَحِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا مَبْنَعُنَاكَ مَا يَزِيدُ فِي عَشْقِكَ ، وَيَقْوَىٰ فِي  
هَمَّتِكَ فِينَا وَلَنَا ؛ وَأَمْرٌ فَأُخْرِجَ لَهُ خَمْسَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

[ بين أبي العيناء وابن أبي دواد ]

قَالَ أَبُو الْعِيْنَاءِ : [ قُلْتُ ] لَابْنِ أَبِي دُوَادٍ : إِنْ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَدِمُوا  
إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ يَدَّ عَلَىَّ ، فَقَالَ : يَدُّ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . فَقُلْتُ : إِنْ لَهُمْ مَكْرًا ،  
فَقَالَ : وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُمْ كَثِيرٌ . قَالَ : كَمْ مِنْ  
فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ، فَقُلْتُ : اللَّهُ دَرُّ الْقَاضِي  
فَهُوَ كَمَا قَالَتِ الصَّمُوتُ الْكَلَابِيَّةُ :

لِلَّهِ دَرَكٌ أَى جُنَّةٍ خَائِفٍ وَمَتَاعٌ دُنْيَا أَنْتَ لِالْحَدَثَانِ  
مَتَحَمَّطٌ يَطَّأُ الرِّجَالَ شَهَامَةً وَطَاءُ الْفَنِيْقِ مَدَارِجُ الْقِرْدَانِ<sup>(١)</sup>  
وَيَكْتَبُهُمْ حَتَّى تَظْلَ رُءُوسُهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلْغُرَبَانِ  
وَيَفْرَجُ الْبَلْبَ الشَّدِيدَ رَتَا جُهِ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَجَاوِبَةُ بَيْنَ أَبِي الْعِيْنَاءِ وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمُنْقَرِي ، وَكَانَ قَدْ  
اسْتَجَاشَ عَلَيْهِ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

(١) التَّخْمُطُ : التَّكْبِيرُ ، وَالْفَنِيْقُ : الْفَحْلُ مِنَ الْإِبِلِ الْمَكْرُمِ عِنْدَ أَهْلِهِ ،  
وَالْقِرْدَانُ : جَمْعُ قِرَادٍ ، مِثْلُ غُرَابٍ وَغُرَبَانٍ ، يُرِيدُ أَنَّهُ يَنْزِلُ الرِّجَالَ وَيَقْهَرُهُمْ وَلَا  
يَأْبَاهُ لَهُمْ (م) .

## قطعة من شعر الأعراب في الغزل

ابن ميادة :

ألا ليت شِعري هل يَحُلُّنْ أَهْلُنَا      وأهلك روضاتِ بيطن اللوى خُضْرَا  
وهل تأتِينِ الرِّيحُ تدرِجُ مَوْهِنَا      بريَّالكِ تعرورى بنا بلدًا قَفْرًا  
بريح خُزَامِي الرَّمْلِ بات مُعَاتِقَا      فروع الأفاحي تنضبِ الطلِّ والقَطْرَا  
ألا لَيْتَنِي أَلْقَاكِ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ      قَرِيْبًا ، فَأَمَّا الْعَصْبُ عَنْكَ فَلَاحِدَرَا

وقال :

وما رَوْضَةٌ باتَ الرِّيحُ يَجُودُهَا      على ما بها من حَنَوَةٍ وَعَرَارٍ<sup>(١)</sup>  
بأطيب من ريح القرنفل مَوْهِنَا      بما النَفَّ من دِرْعٍ لَهَا وَخَمَارٍ

وقال آخر :

تَجَالِسُنَا بِنْتُ الدَّلَالِ تَعَلَّقَتْ      عِزَّاهُ بِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ الْهَوَامِ  
وَبَيْنَ مَا تَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ رَدَّهَا      غَرِيقُ الْأَنَاسِي فِي الدَّمُوعِ السَّوَاجِمِ  
جَرَى الدَّمْعُ مَجْزَى مَائِهِ فَكَفَفْنَهُ      بِمُنَابِ أَطْرَافِ الْأَكْفِ النَّوَاعِمِ  
وَرَدَّ التَّحِيَّاتِ الْهَوَاىَ مِنْ عَيُونِهَا      بِيَقْظَانِ طَرَفٍ فِي مَخِيلَةٍ نَائِمِ  
وقال العلاء بن موسى الجهني :

ولما رَأَتْنِي مَخْطَرًا شَوْكَةَ الْعِدَى      رَدَّى النَفْسِ مُجْتَابًا إِلَى غَيْرِ مَوْعِدِ  
جَلَّتْ دَاجِي الظُّلَمَاءِ مِنْهَا بَسُنَّةٍ      وَنَحَرَ مَشُوبٍ لَوْنُهُ بِالزُّبْرِجِدِ<sup>(٢)</sup>

(١) مجودها : يطرها ، والحنوة : الريحانة ، والعرار — بفتح العين — ورد أصفر ذو رائحة طيبة .

(٢) داجي الظلماء : أراد سواد الليل ، والسنة — بضم السين — الجبين ، جعلها بيضاء الجبين مشرقته حتى أنارت له في الظلام (م) .

وبالشَّذَرِ مَسْبُوكَا كَانَ الْبَهَابُ  
 وَجَاءَتْ كَتَلُ السَّيْفِ لَوْمَرٌ مَشِيهَا  
 فَبِتْنَا وَلَمْ نَكْذِبْكَ لَوْ أَنَّ لَيْلِنَا  
 نَذُودُ النُّفُوسَ الصَّادِيَاتِ عَنِ الْهَوَى  
 فَلَمَّا بَدَأَ صُوءُ الصَّبَاحِ وَزَاعِنَا  
 نَهَضْنَا بِشَخْصٍ وَاحِدٍ فِي عِيُونِهِمْ  
 إِلَى جَنَّةٍ مِنْهُمْ وَسَلَّمْتُ غَادِيَا  
 وَوَلَّتْ وَأَغْبَاشَ الدُّجَى مَرَجَحِنَا  
 وَقَالَ أَعْرَابِي مِنْ طَيْءٍ :

وَأَحْوَرُ بِصَطَادُ الْقُلُوبِ وَمَا لَهُ  
 وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الْفَتَكُ مِّنْ سِلَاحِهِ  
 وَأَشْنَبُ بِرَاقِ الثَّنَائِيَا غُرُوبُهُ  
 خَلِيلِي بِاللَّهِ أَقْعَادَا فَتَبَيَّنَا  
 مِنْ الرِّيشِ إِلَّا زَغَرَانٌ وَإِمْدُ  
 نِوَارٌ وَخَلْجَالٌ وَطُوقٌ مِّنْضُدُ  
 مِنَ الْبَرْدِ الْوَشْمِيُّ أَصْنَفِي وَأَبْرَدُ  
 وَمِيضًا نَرَى الظُّلُمَاءَ مِنْهُ تَقْدُدُ  
 صَفِيحَةُ هِنْدِي تَسْلَى وَتُقَمِّدُ  
 أَقُومُ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَقْمَدُ  
 هَذَا فِي الْبَرْقِ كَقَوْلِ الطَّرْمَاحِ فِي النُّورِ :

يَبْدُو وَتَضْمُرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ  
 سَتِيفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلِّ وَيُقَمِّدُ

[ زيارَة طيف الخيال ]

وقال بشار :

أَعْدَدْتُ لِي عَتَبًا بِحَبِّكُمْ  
 يَا عَبْد طَالٍ بِحَبِّكُمْ عَتَى

(١) الشَّذَرُ : حبات صفار من الذهب أو اللؤلؤ ، وأراد عقدها (م)

(٢) الهاتِفُ اللّٰتَشْهِدُ : المؤذن ، لأنه يأتي في أذانه بالشهادتين (م) .

(٣) نَطًا : أصله نَطًا — مَمْمُوز الآخر ، فسهل الهمزة بقلبها ألفًا (م) .



ولقد تعرض لي خيالكم في القرط والخلخال والقلب  
فشرت غير مباشر حرجاً برضاب أشنب بلرد عذب

وقال المتنبي :

بنّا يُنْأَوِلُنَا المَدَامَ بَكَفِهِ مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ  
نَجْنِي السَّكَاكِبَ مِنْ فَلَائِدِ جِيدِهِ وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خُلْخَالِهِ

وأول شعر أبي الطيب :

لَا الحُلُمُ جَادَ بِهِ وَلَا بَمَثَالِهِ لَوْلَا إِدْكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ  
إِنْ المَعِيدُ لَنَا النَّمَامُ خَيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالَ خَيَالِهِ  
إِنِّي لَا بَغِضٍ طَيفَ مِنْ أَحَبَّتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانٌ وَصَالِهِ

يقول : التمثيل والتخيّل له في اليقظة أعاد خياله في المنام ، فكان الخيال  
الذي في النوم تصوّر في اليقظة . وأظهر من هذا قول الطائي :

زَارَ الخِيَالَ لَهَا لَا بِلَ أَزَارَكَهُ فِكْرُهُ إِذَا نَامَ فَكُرُ الخَلْقِ لَمْ يَنْمِ  
ظَلِي تَقَنُّصَتُهُ لَنَا نَصَبَتْ لَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَاً مِنَ الحَلَمِ

أما بيته الأول فمن قول جميل :

حَيْثُ طَيفُكَ مِنْ طَيفِ أَلَمٍ بِهِ حَدَّثَتْ نَفْسُكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ

وقال ذو الرمة :

نَأَتْ دَارِمِيَّ أَنْ تَزَارَ ، وَزَوْرُهَا إِذَا مَا دَجَا الإِظْلَامُ مَنَا وَسَاوَسَ<sup>(١)</sup>

إِذَا نَحْنُ عَرَّسْنَا بِأَرْضٍ سَرَى لَنَا هَوَى لَبَسَتْهُ بِالْقُوبِ اللُّوَابِسُ<sup>(٢)</sup>

وبيته الثاني أَلَمٌ فِيهِ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ المَلَّوحِ :

(١) في ديوانه (ص ٤٦) جاء عجز البيت « إلى صحبتي بالليل هادمواعس » (م)

(٢) عرسنا : نزلنا ليلاً ، وسرى : سار ، ولبسته : خلطته (م) .

وإني لأستغشى وما بي نَعْسَةٌ  
وأخرج من بين الجلوس لعلني  
تَقَطُّعُ أنفاسي لذكرك أنفاسًا  
لعلَّ خيالاً منك يَلْقَى خيالياً  
أحدثُ عنك النفس في السرِّ خالياً  
يَرِدُنْ فما يَرَجِعُنْ إلا صَوادياً  
وقد قال فيه قيس بن ذريح :

وإني لأهوى النومَ في غير نَعْسَةٍ  
تَحْبِزُنِي الأحلامُ أني أراكم  
لعلَّ لقاءَ في المنام يكونُ  
فياليتَ أحلامَ المنام يقينُ

وكان البحتری أكثرَ الناس إبداعاً في الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلاً  
يقال له « خيال البحتری » ، وفي بعض ذلك يقول :

أَلَمْتُ بنا بعد الهدوء ، فساحتُ  
فما برحت حتى مضى الليلُ وانقضى  
فولتُ كأنَّ البينَ يَخْلِجُ شخصها  
بَوْضَلٍ متى تَطْلُبُهُ في الجَدِّ تُنَمِّعُ  
وأعجلها دأعي الصباح الممتع  
أوان تولتُ من حشاي وأضلعي<sup>(١)</sup>  
وقال :

سقى الغيثُ أجزاعاً عهدتُ بجوِّها  
إذا ما الكرى أهدى إلى خيالهِ  
فلم نر مثليتنا ولا مثل شأنا  
غزالاً تراعيهِ الجاذِرُ أغيداً  
شقى قُربهُ التبريحَ أو نفع الصدى<sup>(٢)</sup>  
نُعَذِّبُ أيقاظاً وننعمُ هُجَّداً  
وقال :

بلى وخيبــال من أثيلة كلما  
يُرى مقلتي مالا ترى من لقائه  
[ ويكفيك من حق تحييل باطل  
تأوهتُ من وَجْدِي تَعَرَّضَ يُطْمَعُ  
وتسمع أذني رَجَعَ ما ليس تسمع  
تردُّ به نفس اللهيف فترجــــــــــــــــمُ ]

قوله في البيت الأخير من قول الحسين بن الفخاحك :

(١) يخلج شخصها : يجذبه وينزعه (م)

(٢) نفع الصدى : أروى العطش (م)

وماذا يفيدك طيفُ الخيا      لوالهجرُ حظك من تحب  
غفاه قليلٌ ، ولكنني      تمليتُه بفروع الحب

وللحسين في هذا المعنى وإن لم يكن في ذكر الخيال :

وصفَ البدرُ حُسْنَ وجهك حتى      خلت أنى ، وما أراك ، أراكا  
وإذا ما تنفسَ النرجسُ      الفَضُّسَ توهَّمْتَه نسيماً جناكا  
خُدَعُ لِلْمَعْنَى      تُعَلِّلُنِي فِيكَ يَأْشِرَاقِ ذَا وَنَكْمَةٍ ذَاكَا<sup>(١)</sup>

وأول من طرد الخيالَ طرفة بن العبد ، فقال :

فقل لخيالِ الحنظلية      يتقلبُ إليها فإني واصلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلُ  
فتبعه جرير في قوله فقال

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ      وليس ذا      حينَ الزَّيَارَةِ فَارْجِعْ بسلام  
قال البحتري ، ونفي هذا المعنى بقوله :

قد كان مني الوجدُ غِبَ تذكُر      إذ كان منك الصدُّ غِبَ تَنَاسَى  
تجرى دموعي حين دَمْعُكَ جامدٌ      ويأينُ قَلْبِي حين قَلْبُكَ قَاسَى  
ما قلت للطف المَسَّلم لا تُعَدُّ      تغشى ، ولا نهنتُ حَامِلَ كَاسَى  
وقال ابن هاني الأندلسي :

ألا طرقتنا والنجومُ ركودُ      وفي الحى أيقاظٌ ونحن هُجُودُ<sup>(٢)</sup>  
وقد أعجلَ الفجرُ للامعَ خطوها      وفي أخريات الليل منه عَوْدُ  
سرت عاطلاً غَضَبِي على الدُّرُوحِدهُ      فلم يدرِ نَحَرٌ ما دَهاهُ وَجِيلُ<sup>(٣)</sup>  
فما برحت إلا ومن سِلَكِ أَدْمُعِي      قَلَانْدُ في لَبَاتِهَا وَعُقُودُ  
ألم يأتها أَنَا كبرنا عن الصَّبَا      وأنا بلينا والزمانُ جَدِيدُ

(١) النكمة : أصلها ربح الفم (م) . (٢) هجود : نيام (م) .

(٣) عطلت المرأة فهي عاطل : أى أنها ليست بذات حتى (م) .

وقال علي بن محمد الإيادي :

أما إنه لولا الخيالُ المراجعُ وعاصٍ يُرى في النوم وهو مطاوع  
لأشفق واستحيًا من النوم وَاللهُ يُرى بعد رَوَعَاتِ الهوى وهو هاجع  
وقال أيضًا :

طيفُ يزورك من حبيبٍ هاجر طيفٌ الدجى وسرى فأمعن في السرى  
حُدُّوْهُ به هيف القوام المنثى حُدُّوْهُ به هيف القوام المنثى  
لله درُّك من خيالٍ واصل لله درُّك من خيالٍ واصل  
عَلَّتْ علة قلب صَبَّ هائم عَلَّتْ علة قلب صَبَّ هائم  
وقال عبد الكريم بن إبراهيم

لم أدرِ مَعْنَاكَ لولا المسكُ والقَطْرُ لم أدرِ مَعْنَاكَ لولا المسكُ والقَطْرُ  
سرى يعارضُ أنفاسَ الرياح بما سرى يعارضُ أنفاسَ الرياح بما  
يخفى بثوب الدجى مَسْتَرَاهُ مُسْتَتِرًا يخفى بثوب الدجى مَسْتَرَاهُ مُسْتَتِرًا  
كَأَنَّ أَعْيْنَ وَاشِيهِ تَرَاقِبُهُ كَأَنَّ أَعْيْنَ وَاشِيهِ تَرَاقِبُهُ  
وقال :

أهلا به من زائرٍ معتادٍ أهلا به من زائرٍ معتادٍ  
يتجاوزُ الراياتِ يخفقُ ظلها يتجاوزُ الراياتِ يخفقُ ظلها  
أنى اهتدى في ظل أخضر مُغْدِفٍ أنى اهتدى في ظل أخضر مُغْدِفٍ  
بأرقٍ من كعبد المتيمِّمِ مقدما بأرقٍ من كعبد المتيمِّمِ مقدما  
معتادة أَمِنَتْ نَمَامٌ حليها معتادة أَمِنَتْ نَمَامٌ حليها  
والليلُ يرفلُ في ثيابِ جِدَادٍ<sup>(١)</sup> والليلُ يرفلُ في ثيابِ جِدَادٍ<sup>(٢)</sup>  
ويشقُّ ملتفَ القنأِ السَّادِ ويشقُّ ملتفَ القنأِ السَّادِ  
حتى تيمَّمْ بالعرَاءِ وسَادَى حتى تيمَّمْ بالعرَاءِ وسَادَى  
في حيث ينبو الحارث بن عُبَادٍ<sup>(٣)</sup> في حيث ينبو الحارث بن عُبَادٍ<sup>(٣)</sup>  
والحلى نَمَامٌ على العُوَادِ والحلى نَمَامٌ على العُوَادِ

(١) في نسخة « الملم عنده خفر » (م)

(٢) يرفل في ثياب حداد : أراد أنه أسود شديد السواد (م)

(٣) الحارث بن عباد — بزنة غراب — هو فارس النعامة الذي اعتزل حرب

البسوس حتى قتل المهلهل بن ربيعة ابنه (م)

وكانما يَأْتُوها في نَحْرها متوقِّد مما يُجِنُّ فُوأدى

[ عقال بن شبة بين يدي المنصور ]

خطب صالح بن أبي جعفر المنصور في بعض الأمر فأحسن ، فأراد المنصور أن يقرظه ويثنى عليه ، فلم يجسر أحد على ذلك لمكان المهدي ، وكان مرشحا للخلافة ، وخافوا ألا يقع الثناء على أخيه بموافقة ، فقام عقال بن شبة ، فقال : ما رأيت أبين بيانا ، ولا أفصح لسانا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أغمض <sup>(١)</sup> عروقا ، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين ، وحُقَّ لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يطلبُ شأوَ امرأتينِ قَدَّما حَسَنًا      بَرَّا الملوكَ وبرَّا هذه السُّوقا <sup>(٢)</sup>  
هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بِشأَوِهِمَا      على تكاليفِهِ قِمِّثْلُهُ لِحِقَا  
أويسبقاهُ على ما كان من مَهَلٍ      فبالذی قَدَّما من صالح سَبَقَا  
فعجب الناسُ من حُسْنِ تخلصه ، فقال أبو جعفر : لا ينصرف التیمی إلا بثلاثين ألفاً .

قال أبو عبد الله كاتبُ المهدي : ما رأيت مثل عقال قط في بلاغته ؛  
[ مدح الغلام ، و ] [ أرضى المنصور ، وسَلِمَ من المهدي .

[ زهير وهرم بن سنان ]

وفي قصيدة زهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المري :  
فد جعلَ المَبْتَغُونَ الخَيرَ في هَرَمٍ      والسائلون إلى أبوابه طرُفا  
من يَلِاقَ يوماً على عِلَّاتِهِ هَرَمًا      يَلِاقُ السَّامِحةَ منه والذی خُلِقَا

(١) في نسخة « ولا أعيص عروقا » (م) .

(٢) بَرَّا الملوك : فاقاها ، وفي نسخة الديوان « نالا الملوك » (م) .

وليس مانع ذى قُرْبى وذى رَحِمٍ      يوماً ولا مُقَدِّماً من خَاطِبٍ وَرَقاً<sup>(١)</sup>  
 لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ ، إِذَا      مَالِئُ كَذَبٍ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقاً<sup>(٢)</sup>  
 يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا      ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَاضَا رُبُوا اعْتَنَقَا  
 فَضْلُ الْجَوَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبَطَاءِ فَلَا      يُعْطَى بِذَلِكَ مِمَّنُونَا وَلَا تَزِقَا  
 هَذَا وَلَيْسَ كُنْ بَعِيَا بِحُجَّتِهِ      وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطَقَ نَطَقَا  
 لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرَمَةٍ      أَفَقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفَّهُ الْأَفَقَا

وكان زهيرٌ كثير المدح لهم ، ويروى أن بنتا لسان بن أبي حارثة رأيت  
 بنتا لزهير بن أبي سلمى فى بعض المحافل ، وإذا لها شارةٌ وحالٌ حسنة ، فقالت :  
 قد سرنى ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك [ فقالت : إنها منكم ] . فقالت :  
 بلى والله لك الفضل ، أعطيناكم ما يَفْنَى ، وأعطيتونا ما يبقى !

وقد قيل : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنة هرم بن سنان :  
 ما وهب أبوك لزهير ؟ قالت : أعطيناه مالا وأمانا أفناه الدهر . قال : لكن  
 ما أعطاكموه لا تُفْنِيه الدهور . وقد صدق عمر رضى الله عنه ، لقد أبقى زهير  
 لهم ما لا تفنيه الدهور ، ولا تُخْلِقُه العصور ، ولا يزال به ذكر المدوح سامياً ،  
 وشرفه باقياً ، فقد صار ذكرهم علماً منضوباً ، ومثلاً مصروباً ، قال الطائى ،  
 وذكرهم فى شعره :

مَالِي وَمَالِكُ شَيْبُهُ حِينَ أَذْكَرُهُ      إِلَّا زَهِيرٌ وَقَدْ أَضْفَى لَهُ هَرَمٌ  
 وَقَالَ يَوْسُفُ الْجَوْهَرَى يَمْدَحُ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ :  
 لَوْ أَنَّ عَيْنِي زَهِيرٌ أَبْصَرْتُ حَسَنًا      وَكَيْفَ يَصْنَعُ فِي أَمْوَالِهِ السَّكْرُمُ  
 إِذْنٌ لِقَالِ زَهِيرٍ حِينَ يُبْصِرُهُ      هَذَا الْجَوَادُ عَلَى الْعَلَاتِ لَا هَرَمُ

(١) المراد بالخابط ، هنا : طالب المعروف ، وأصله الذى يخطب الشجر لينزل ورقه  
 فيأخذه لعلف ماشيته ، كنى بذلك زهير عن كرمه (م) . (٢) عثر : مكان بعينه (م) .

وقال آخر ، ويدخل في باب تفضيل الشعر :

الشعرُ يحفظُ ما أودَى الزمان به      والشعرُ أفضل ما يحنى من الكرم  
لولا مقالُ زهير في قصائده      ما كان يعرف جودُ كان من هرم

وقيل : أعطى هرم [ العطاء الجزيل ] عوض قول زهير فيه :

تالله قد علمت سرّاة بنى      دُبْيَانُ عَامَ الْخَبْسِ وَالْأَضْرِ  
أَنْ نِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا      دُعِيَتْ نَزَالٌ وَلُبَّجٌ فِي الدُّعْرِ<sup>(١)</sup>  
سَامِي الدَّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الْبَجَلِ      أَمِينُ مَغِيْبِ الصَّدْرِ<sup>(٢)</sup>  
حَدِبٌ عَلَى الْمَوْتِ الصَّرِيكِ إِذَا      ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ<sup>(٣)</sup>  
وَمَرَهَقُ النَّيْرَانِ يُحْمَدُ فِي الْبَلَاءِ      غَيْرُ مَلْعَنِ الْقَدْرِ<sup>(٤)</sup>  
وَالسِّرِّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ ، وَمَا      يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِرِّ

وقال :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ الْجَوَادَ عَلَى عِلَالَتِهِ هَرَمٌ  
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ      يَفْوًا ، وَيُظْلَمَ أحيانًا فَيُظْلَمُ  
وإن أثناه خليلٌ يوم مسألة      يقول : لا غائبٌ مَالِي وَلَا حَرِمٌ  
الخليل : الذي أخلّ به الفقر ؛ إلى غير ذلك من مختار مدحه فيه .

### [ فضل الشعر ]

ولما امتدح نصيب عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أمر له بإبل وخيل ، وثياب ودنانير  
ودراهم ، قال له رجل : أتعطى لمثل هذا العبد الأسود هذا العطاء ؟ فقال : إن كان أسود فإن  
شعره أبيض ، وإن كان عبدًا فإن ثناءه حُرٌّ ، ولقد استحق بما قال أكثر مما أعطى وهل  
أعطيناه إلا ثيابًا تبلى ، ومالًا يفتنى ، ومطايا تنضى ، وأعطانا مديحًا يروى ، وثناءً يبقى .

- (١) نزال : اسم فعل أمر بمعنى أنزل ، وهي كلمة تقال عند القتال يدعو بها القرن قرنه .  
(٢) الجلي : النائية الشديدة - وأمين مغيب الصدر : أراد أنه مأمون في غيبه كما  
هو مأمون في حضوره لا ينال من صديق في حال غيبته عنه (م) .  
(٣) الصريك : المحتاج (م) . (٤) مرهق النيران : تغشى الضيفان نيرانه ،  
واللأواء : الشدة ، وغير ملعن القدر : لا تسب قدره لأنه يطعم ما يشتهي الناس (م) .  
( ٩ - زهر الآداب ٣ )

وقال الأخطل يعتدُّ على بنى أمية بِمَدْحِهِ لَهُمْ :

أَبْنَى أُمِيَّةٍ إِنْ أَخَذْتَ نَوَالِكُمْ فَلَمَّا أَخَذْتُمْ مِنْ مَدِيحِي أَكْثَرُ

أَبْنَى أُمِيَّةٍ لِي مَدَائِحُ فِيكُمْ تُنْسَوْنَ إِنْ طَالَ الزَّمَانُ وَتَذَكَّرُ

ولما مدح أبو تمام الطائي محمد بن حسان الضبي بقصيدته التي أولها :

أَسْتَقِي طُلُوعَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمُ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَفْصَةٌ وَنَعِيمُ<sup>(١)</sup>

وصَلَّاهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلْعَةً نَفِيسَةً، فَقَالَ يَصِفُهَا :

قَدْ كَسَانَا مِنْ كُسُوَةِ الصَّيْفِ خِرْقُ مُسْكَسٍ مِنْ مَكَارِمِ وَمَسَاجٍ<sup>(٢)</sup>

حُلَّةٌ سَابِرِيَّةٌ وَكِسَاءٌ كَسَحَا الْقَيْضِ أَوْ رَدَاءِ الشُّجَاعِ<sup>(٣)</sup>

كالسراب الرقراق في الحُسنِ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْخِدَاعِ

قَصِيًّا تَسْتَرْجِفُ الرِّيحُ مَتْنِفُهُ بِأَمْرِ مِنَ الْمُبُوبِ مَطَاعٍ

رَجَفَانَا كَأَنَّهُ الدَّهْرُ مِنْهُ كَيْدُ الصَّبِّ أَوْ حَشَى الْمُرْتَاعِ<sup>(٤)</sup>

لَا زِمَا مَا يَلِيهِ تَحْسِبُهُ جِزَاءً مِنَ الْمَتْنِينِ وَالْأَضْلَاعِ

كَسُوَةِ مَنْ أَغْرَأَ أَرْوَغَ رَحْبِ الصَّبِّ دِرَّحْبِ الْفَوَادِرِ رَحْبِ الدَّرَاعِ

سَوْفَ أَكْسُوكَ مَا يَعْنَى عَلَيْهَا مِنْ ثَنَاءٍ كَالْبَرْدِ بَرْدِ الصَّنَاعِ

حَسَنُ هَاتِيكَ فِي الْعَيُونِ، وَهَذَا حَسَنُهُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ

فَقَالَ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى إِنْ بَقِيَ عِنْدِي ثُوبٌ أَوْ يَصِلَ إِلَى أَبِي تَمَامٍ ؛ وَأَمَرَ

بِحُمْلِ مَا فِي خَزَائِنِهِ إِلَيْهِ .

بعض الأخبار قال إبراهيم بن العباس الصولي لأبي تمام : [ أمراه ] الكلام بأبأ تمام رعِيَّةٌ

عن أبي تمام لإحسانك ، قال : [ ذاك ] لأنِّي أَسْتَضِيءُ بِنُورِكَ ، وَأَرِدُ شَرِيْعَتَكَ .

(١) أراد بأجش هزيم : المطر، وأصل الأجش الحشن الصوت، والهزيم : الذي له

صوت شديد (م) . (٢) الحرق - بكسر الحاء - الفقى الحسن الكريم الطبايع (م) .

(٣) السحا : كل ما انقشر عن شيء ، والقَيْضُ القشرة العليا اليابسة على البيضة،

والشجاع هنا : الحية ، يريد أن الثوب الذي كساه إياه رقيق (م) .

(٤) انتصاب « الدهر » ها على الظرفية الزمانية، والمشب به هو « كبد الصب - إلخ - (م) .



وكان الطائي مع جَوْدَةِ شعره بليغَ الخطاب، حاضرَ الجواب، وكان يقال :  
فنتان قَلَمًا يَجْتَمَعَانِ : اللسانُ البليغُ ، والشعرُ الجيد .

وقال الحسن بن جُنَادَةَ الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب  
السلطان ، فوقف على<sup>(١)</sup> ، فقلت : من أين؟ فقال : كنت عند بعض الملوك فأكلنا  
طعاماً طيباً ، وفاكهة فاضلة ، وبُحْرُنًا وُغْلَفْنَا ؛ فخرجتُ هارباً من المجلس ، نافرأ  
إلى التسلي ، ومافى منزلي نبيل [ فإن كان عندك منه شيء فامنحنى ، فقلت : ما عندي  
نبيل ] ، ولكن عندي خمرٌ أريده لبعض الأدوية ، فقال : دع اسمه ، وأعطنا  
جِسْمَهُ ، فليس يثنينا عن اللدام ، ما هَجَّثَهُ<sup>(٢)</sup> به من اسم الحرام .

[ استنجاز أعرابي مَوْعِدَةً ]

قال عبيدالله<sup>(٣)</sup> بن محمد بن صدقة : كُنَّا عند أبي عبيدالله<sup>(٤)</sup> ، فدخل عليه أعرابي  
قد كان له عليه وعد ، فقال له : أيها الشيخ السيد ، إني والله أَسَحَّبُ على كرمك ،  
وأستوطيء فراشَ مجدك ، وأستعين على نعمك بقدرك ؛ وقد مضى لي موعدان ،  
فاجعل النُجْحَ ثالثاً ، أفدّ لك الشُّكْرَ في العرب شادخ الغُرَّة ، بادئ الأوضح .  
فقال أبو عبيدالله<sup>(٥)</sup> : ما وعدتك تغريراً ، ولا أخرتُك تقصيراً ، ولكن الأشغال  
تقطعني ، وتأخذ بأوفر الحظّ مني ، وأنا أبلغ لك جهد الكفاية ، ومنتهى الوسع  
بأوفر مأمول ، وأحمد عاقبة ، وأقرب أمدٍ ، إن شاء الله تعالى

فقال الأعرابي : يا جالساً الصّدق ، قد أحصرني التطول ، فهل من معين  
مُنْجِدٍ ومساعدٍ منشد ؟ فقال بعضُ أحداث الكتاب لأبي عبيدالله<sup>(٦)</sup> : والله  
— أصلحك الله — لقد قصدك ، وما قصدك حتى أمّلك ، وما أمّلك إلا بعس أن  
أجال النظر ، فأمن الخطر ، وأيقن بالطّفر ، فحق له أمله بتهيئة القليل ، وتهنئة  
التعجيل . قال الشاعر :

إذا ما اجتلاه المجد عن وعدٍ آمِلٍ      تبلى عن بشرٍ ليستكمل البشر  
ولم يَنْتهِ مَطْلُ العداة عَنِ التي      تصون له الحمد الموفر والأجرا

(١) هجنته : قبحته (م) . (٢) في نسخة «عبدالله» في المواضع كلها (م) .

فأحضر أبو عبيد الله<sup>(١)</sup> للأعرابي عشرة آلاف درهم ، وقال الأعرابي للفقى :  
خُذْهَا فَأَنْتَ سَبِيهَا . فقال : شَكَرْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا ، فقال له أبو عبيد الله<sup>(١)</sup> : خُذْهَا  
فَقَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِثْلِهَا . فقال الأعرابي : الآن كَمَلْتُ النِّعْمَةَ ، وَتَمَّتِ الْمَنَّةُ .

[ معاوية بن يسار ]

وكان أبو عبيد<sup>(١)</sup> الله واسع الذِّرع ، سابع الدرع في السِّكْرَم والبلاغه ، واسمه  
معاوية بن يسار<sup>(٢)</sup> .

وكان يقول : إِنْ نَخَوَةَ الشَّرَفُ تُنَاسِبُ بَطَرَ الْغِنَى ، وَالصَّبْرُ عَلَى حَقُوقِ السَّوْءَةِ  
أَشَدُّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ الْحَاجَةِ ، وَذَلِكَ الْفَقْرُ يَسْعَى عَلَى عِزِّ الصَّبْرِ ، وَجُورُ الْوَلَايَةِ مَانِعٌ  
مِنْ عَدْلِ الْإِنْصَافِ ، إِنْ لَمْ يَنْسَبْ بَعْدَ الْهَمَةِ ، وَكَانَ لِسُلْطَانٍ عَزَمَهُ قُوَّةٌ عَلَى شَهْوَتِهِ .  
وكان يقول : لَا يَكْسِرُ رَأْسُ صِنَاعَةٍ إِلَّا فِي أَحْسَنِ رُتْبَتَانِ ، وَأَرْدَلِ سُلْطَانِ ،  
وَلَا يَعْيبُ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَنْسَلَخْ عَنْهُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ .

وكان يقول : حُسْنُ الْمِشْرِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ [ النِّجَاجِ ] وَرَائِدٌ مِنْ [ رَوَادِ  
الْفَلَاحِ ] ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ زَهِيرٌ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَهْلِكًا      كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ  
وَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ ابْنَهُ عَلَى الزُّنْدَقَةِ : لَا يَمْنَعُكَ مَا سَبَقَ [ بِهِ ] الْقَضَاءُ فِي وَلَدِكَ ،  
مِنْ [ ثَلَجِ صَدْرِكَ ] وَتَقْدِيمِ نُصْحِكَ ؛ فَإِنِّي لَا أَعْرِضُ لَكَ رَأْيًا عَلَى شُهْمَةٍ ، وَلَا أُؤْخِرُكَ قَدَمًا  
عَنْ رَتْبَةٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ [ وَلَدِي حَسَنَةً ] مِنْ نَبْتِ إِحْسَانِكَ أَرْضُهُ ،  
وَمِنْ تَفَقُّدِكَ سَمَاؤُهُ ، وَأَنَا طَاعَةُ أَمْرِكَ ، وَعَبْدُ نَهْيِكَ ، وَبَقِيَّةُ رَأْيِكَ لِي أَحْسَنُ اتِّخَافٍ عِنْدِي  
وَكَانَ يَقُولُ : الْعَالَمُ يَمْشِي الْبَرَّازَ آمِنًا ، وَالْجَاهِلُ يَهْبِطُ الْغَيْطَانَ كَامِنًا ،  
وَلِلَّهِ دَرَّ زَهِيرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

السُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا      يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ  
وَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ<sup>(١)</sup> : ذَاكَ كَرْنِي الْمَنْصُورُ فِي أَمْرِ الْحَسَنِ<sup>(٣)</sup> بْنِ قَحْطَمَةَ ، فَقَالَ : كَانَ

(١) فِي نَسْخَةِ « أَبُو عَبْدِ اللَّهِ » (م) . (٢) فِي نَسْخَةِ « مُعَاوِيَةُ بْنُ بَشَّارٍ » (م) .

(٣) فِي نَسْخَةِ « الْحَسَنِ » .

أوثق الناس عندى ، وأقربهم من قلبى ، فلما لقي أبا حنيفة انتكث ، فقلت : إن فسدت نيته فسيضعه الباطل كما رفعه الحق ، وتشهد مخاييلُه عليه كما شهدت له ، فتعدل فى أمره من شك إلى يقين . ثم قال لى : اكتبتم على ما ألقيتُ عليكم .

قال عمران بن شهاب : استعنت على أبى عبيد الله فى أمر ببعض إخوانه وكان قد تقدّم سؤالى إياه فيه ، فقال لى : لولا أن حقك لا يُجحد ولا يضاع ، لحجبت عنك حسن نظرى ؛ أظننتنى أجهل الإحسان حتى أعلمه ، ولا أعرف موضع المعروف حتى أعرفه ؛ لو كان يُقال ما عندى إلا بغيرى لكنت مثل البعير الذلول ؛ يحمل عليه الحمل الثقيل ، إن قيد انقاد ، وإن أنيخ برك ، ما يملك من نفسه شيئا ، فقلت : معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة ، ولم أجعل فلاناشفيعا إنما جعلته مذكرا . قال : وأى إذكاراً بلغ عندى فى رعى حقك من مسيرك إليه وتسليمك عليه<sup>(١)</sup> ، إنه متى لم يتصفح المأمول أسماء مؤمليه غدوة ورواحا لم يكن للأمل محلا ، وجرى عليه المقدار لمؤمليه على يديه بما قدر ، وهو غير محمود على ذلك ولا مشكور ، ومالى إمام بعد وردى من القرآن إلا أسماء رجال أهل التأمل ، حتى أعرضهم على قلبى ، فلا تستعن على شريف إلا بشرفه ؛ فإنه يرى ذلك عيبا لعرفه ؛ وأنشد :  
وذاك امرؤ إن تأتته فى عزيمة إلى بابهِ لا تأتته بشفيعٍ

ومن توقيعاته : الحق يُعقب قلبا أو ظفرا ، والباطل يُورث كذبا وندما .  
وكتب إليه رجل : والنفس مولعة بحب العاجل . فكتب إليه : لكن العقل الذى جعله الله للشهوة زامما وللهوى رباطا موكل بحب الآجل ، ومستصغر لكل كثير رائل .

قال مصعب بن عبد الله الزبيرى : وقد زيار الحارثى على المهدي وهو بالرى ولى عهد ، فأقام سنتين لا يصل إليه شيء من برّه ، وهو ملازم كاتبه أبا عبيد الله ، فلما طال أمره دخل إلى كاتبه فأنشده :

(١) فى نسخة « من مسيرك إلى ، وتسليمك على » وهى أدق من جهة المعنى (م) .

ما بعد حولين مرًا من مطالبة ولا مقامَ لذي دين وذى حسب  
لئن رحلتُ ولم أظفر بفائدة من الأمير لقد أعذرت في الطلبِ  
فوق أبو عبيد الله : يصنعُ الله لك ! فكتب إليه :  
ما أردت الدعاء منك لأنى قد تيقنت أنه لا يُجابُ  
أيجاب الدعاء من مستطيل جُلُّ تسيجه الخَمَا والسَّبابُ

### ألفاظ لأهل العصر ، في ذكر الاستطالة والكبر

مع ما يشاكل ذلك من معانيها ، ويطرق نواحيها من المساوى والمقايح  
فلان لسانه مِقْرَاضٌ للأعراض ، لا يأكل خبزَه إلا بلحوم الناس . هو  
غرض يُرَشَقُ بسهام الغيبة ، وعلم يقصد بالوقية ، قد تناولته الألسن العاذلة ،  
وتناقلت حديثه الأندية الحافلة . قد لزمه عار لا يُمَجِّى رَسْمُه ، ولزمه شغار لا يزولُ  
وَسْمُه ، فأصبح [ نَقَلَ كُلَّ لِسَانٍ ، وَضَحَكَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ <sup>(١)</sup> ] ، وصار دولة الألسن ،  
ومُثَلَّة الأعين . وقد عَرَضَ عرضه [ غرضا لسهام الغائبين ، وألسنة القاذفين ، وقد  
نفسه عظيم العار والشنار ، والسَّيِّئة الخالدة على الليل والنهار . قد أسكرته خمره  
الكبر ، واستغرقته عُرَّةُ التَّيِّه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل  
نفقته ، وبَلْقِيسَ إحدَى داياته ، وكأنَّ يوسفَ لم ينظرُ إلا بطلعته ، [ ودادود  
لم ينطق إلا بنغمته ] ، ولهمان لم يتكلم إلا بحكته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ،  
والنعام لم يَبْدَ إلا من يمينه ، وكأنه امتطى السَّماكين ، واثقل الفرقدين ، وتناول  
النَّيَّرين بيدين ، وملك الخافقين ، واستعبد الثقلين ، وكأن الخضرأ له عرشت ،  
والغبراء باسمه فرشت .

(١) النقل - بفتح النون وسكون القاف - ما ينتقل به على الشراب ، والضحكة :

الذى يضحك منه الناس (م) .

فلان له من الطلوس رِجله ، ومن الورد شوكه ، ومن الماء زبدُه ، ومن النار دخانها ، ومن الخمر خمارها ، قد هبت سمانمُ تمامه ، ودبت مكايده عقاربِه ، والنام يضرب بسيفٍ كليل إلا أنه يقطع ، ويضرب بعضد واهن إلا أنه يوجع . هو تمثالُ الجبن ، وصورة الخوف ، ومقرّ الرعب ؛ فلو سُميت له الشجاعة لخافَ لفظُها قبل معناها ، وذِكرُها قبل فحواها ، وفزع من اسمها دون معناها ، فهو يهلك من تخوفه أضغاث أحلام ، فكيف بمسوع الكلام ؟ إذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل ذهب ، ومس جبينه هل ثقب ؟ كأنه أسلم في كتاب الجبنِ صبيًا ، ولقنَ كتاب الفشل أعجميًا . وعُدّه برقُ ثعلب ، وروغان ثعلب . غيم وعده جهام ، وحدث سيفه كجهام . حصلتُ منه على مواعيد عرقوبية <sup>(١)</sup> ، وأحزان يعقوبية <sup>(٢)</sup> ، قد حرمني ثمرَ الوعد ، وجرتني على شوك المظل . فتى له وعدٌ أخذ <sup>(٣)</sup> من البرق الخلبَ خلقا ، وقد تناول من العارض الجهم طبعًا ، وتركني أرعى رياضَ رجاء لا يُنبِت ، وأخني ثمار أمل لا يُورق ؛ فأنا في ضمان الانتظار ، وإسارِ عِدَةٍ ضار <sup>(٤)</sup> . هو يرسل برقه ، ولا يسيل تودّقه ، ويقدم رَعده ، فلا يطر بعده . وعُدّه الرقم على بساط الهواء ، وأنخط في بسيط الماء .

حلّ هذا من قول أبي الفضل بن العميد :

لا أستفيقُ من الغرام ، ولا أرى	خِلوا من الأشجان والبرحاء
وصروفُ أيامِ أقن قيامتي	بنوى الخليلِ وفُرقةِ القرناء
وجفاء خِل كنتُ أحسبُ أنه	عَوّني على السراء والضراء
ثبت العزيمة في العقوق ، وودّه	متنقلُ كتنقل الأحياء
ذى خلة يأتيك أثبتُ عهده	كالخط يرُسم في بسيط الماء

(١) عرقوبية : نسبة إلى عرقوب ، وهو مضرب المثل في الخلف والمظل (م) .

(٢) يعقوبية : نسبة إلى يعقوب نبي الله تعالى الذي حزن على ابنه يوسف وبكاه

حتى ابيضت عيناه من الحزن (م) .

(٣) في المطبوعات « له وعد أخذ من البرق الخلب خلقا » وما أثبتناه أشد

توافقًا والتشامًا بما بعده (م) . (٤) الضار : الغائب الذي لا يرجى (م) .

أردت هذا البيت .

هو صخرة خَلَقَاء<sup>(١)</sup> ، لا يستجيبُ للمرْتَقَى ، وحيّة صَمَاء لا تسمع للرْتَقَى ،  
كأنى أَسْتَنْفِرُ بِالْجَوِّ رَغْدًا ، وأَهَزَّ مِنْهُ بِالْدَعَاءِ طُودًا ، هو ثابت العطف [ نَابِي  
العطف ] ، عاجز القوة ، قاصر المُنَّة ، يتعلّق بأذنان المَعَاذِير ، ويحِيلُ على ذنوبِ  
المَقَادِير . هو كالنعمامة تكونُ جَمَلًا إذا قِيلَ لَهَا طَيْرِي ، وطائرًا إذا قِيلَ لَهَا سِيرِي .  
يفاض له بذل ، ولا يفوتض إليه شغل ، ويملأ له وطب ، ولا يُدْفَعُ به خُطْب ،  
قد وفر همه على مطعمِ يَجُودِهِ ، وملبَسِ يَجُودِهِ ، ومرقَدِ يَمْهَدِهِ ، وبنيانِ يَشِيدِهِ ،  
هذا كقول الخطيئة :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُعِيَّتَيْهَا      واقمُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي  
قَلْبَ نَفِلٍ ، وَصَدْرَ دِغِلٍ ، وَطَوِيَّةَ مَعْلُولَةٍ ، وَعَقِيدَةَ مَدْخُولَةٍ ، صَفْوُهُ  
رَنْقٌ<sup>(٢)</sup> ، وَرَمَهُ مَآقٍ ، قَدْ مَلَأَ قَلْبُهُ رَيْنًا ، وَشَجَّنَ صَدْرُهُ مَيْنًا<sup>(٣)</sup> . يدعى الفضلُ  
وهو فيه دَعِيٌّ ، دَابُّهُ بَثُّ الْخِدَائِعِ ، وَالتَّفَثُ فِي عَقْدِ الْمَسَاكِيدِ ، ضَمِيرُهُ خُبْثٌ ،  
وَيَمِينُهُ حِنْثٌ ، وَعَهْدُهُ نَكْثٌ . هو سَحَابَةٌ ضَعِيفٌ ، وَطَارِقٌ ضَعِيفٌ ، قُوَّتُهُ  
غَنِيمَةٌ ، وَالظَّفَرُ بِهِ هَزِيمَةٌ . هو الْعَوْدُ الْمُرْكُوبُ ، وَالْوَتَرُ الْمَضْرُوبُ ، يَطْوُهُ الْخُفُّ  
وَالْحَافِرُ ، وَبِسْتِضْيَائِهِ الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ . [ يَغْمُضُ عَنِ الذِّكْرِ ] ، وَيَضْغَرُ عَنِ  
الْفِكْرِ . ذَاتُهُ لَا يُوسَمُ أَغْفَالُهَا ، وَصَفْتُهُ لَا تَنْفَرُجُ أَقْفَالُهَا . هُوَ أَقْلٌ مِنْ تَبْنَةٍ فِي  
لَبْنَةٍ ، وَمِنْ قَلَامَةٍ فِي قُمَامَةٍ . وَهُوَ بِيَذْقُ الشُّطْرَانِجِ فِي الْقِيَمَةِ وَالْقَامَةِ ، جَهْلُهُ  
كَثِيفٌ ، وَعَقْلُهُ سَخِيفٌ ، لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْعَقْلِ بِسِجْفٍ ، وَلَا يَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى  
سَخْفٍ . يَمْدُ يَدَ الْجَنُونِ فَيَمْرُكُ بِهَا أُذُنَ الْحَزْمِ ، وَيَفْتَحُ جِرَابَ السَّخْفِ  
فَيَصْفَعُ بِهِ قَفَا الْعَقْلِ . لَا تَرَالُ الْأَخْبَارُ تَوْرِدَ سَفَائِحِ جَهْلِهِ وَخُرْقِهِ ، وَالْأَنْبَاءُ  
تَنْقُلُ تَنَاطُجَ سُخْفِهِ وَخُحْمِهِ . قَدْ ظَلَّ يَتَعَثَّرُ فِي فَضُولِ جَهْلِهِ ، وَيَتَسَاقَطُ فِي  
ذِيُولِ عَقْلِهِ . هُوَ سَمِينُ الْمَالِ مَهْزُولُ النَّوَالِ . ثَرَوَةٌ فِي الثَّرْيَا وَهَمَّةٌ فِي الثَّرْيَى .

(١) خَلَقَاء : مَلَسَاء (م) . (٢) رَنْق : كَدْر (م)

(٣) الرَيْن : الدَّنَس ، وَأَرَادَ الْحَقْدَ وَالضَّغْنَ ، وَالْمَيْن : الْكَذِبُ (م) .

وَجْهَهُ كَهْمُولِ الْمُطْلَعِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ ، وَقَضَاءِ السَّوْءِ ، وَمَوْتِ الْفَجَاءَةِ . هُوَ قَدْ ذَى التَّمِينِ ، وَشَجَى الصَّدْرِ ، وَأَذَى الْقَلْبِ ، وَحَمَى الرُّوحِ ، وَجْهَهُ كَأَخْرِ الصَّكِّ ، وَظَلَمَ الشَّكِّ ، كَأَنَّ النِّحْسَ يَطْلُعُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَالْخَلَّ يَقْطُرُ مِنْ وَجْتِهِ . وَجْهَهُ طَلْعَةُ الْهَجَرِ ، وَلَفْظُهُ قِطْعُ الصَّخَرِ . وَجْهَهُ كَحُضُورِ الْغَرِيمِ ، وَوَصُولِ الرَّقِيبِ ، وَكِتَابِ الْعَزْلِ ، وَفَرَاقِ الْحَبِيبِ . لَهُ مِنَ الدِّينَارِ نَضْرَتُهُ ، وَمِنَ الْوَرْدِ صُفْرَتُهُ ، وَمِنَ السَّحَابِ ظَلَمَتُهُ ، وَمِنَ الْأَسَدِ نَكَمَتُهُ <sup>(١)</sup> . هُوَ عَصَارَةُ لَوْثٍ فِي قَرَارَةِ خُبْثٍ . الْأَمُّ مَهْجَةٌ فِي أَسْقَطِ جَنَّةٍ . حَدِيثُ النِّعْمَةِ ، خَبِيثُ الطَّعْمَةِ ، خَبِيثُ الْمَرْكَبِ ، لَيْثُ الْمُنْتَسَبِ ، يَكَادُ مِنْ لَوْثِهِ يُعْدِي مِنْ جِلْسٍ إِلَى جَنْبِهِ ، أَوْ تَسْمَى بِاسْمِهِ . قَدْ أَرْضِعَ بِلْبَانَ الْلَوْثِ ، وَرُبِّي فِي حِجْرِ الشُّوْمِ ، وَفُطِمَ عَنْ ثَدْيِ الْخَلِيرِ ، وَنَشَأَ فِي عَرَصَةِ الْخُبْثِ ، وَطَلَّقَ الْكَرَمَ ثَلَاثًا لَمْ يَنْطِقْ فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ ، وَأَعْتَقَ الْمَجْدَ بَنَاتًا لَمْ يَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ وِلَاءٌ . هُوَ حَمَازٌ مَبْطُنٌ بِشُورٍ مَفْرُوزٌ بِتَيْسٍ ، مَطَرُزٌ بِطَرٍّ ، [ أُنِيَ مِنَ الْلَوْثِ بِنَادِرٍ ] ، لَمْ تَهْتَدِ لَهُ قِصَّةُ مَادَرٍ <sup>(٢)</sup> . هُوَ قَصِيرُ الشَّيْبِ ، صَغِيرُ الْقَدَرِ ، قَاصِرُ الْقَدَرِ ، ضَيِّقُ الصَّدْرِ ، رَدَّ إِلَى قِيَمَةٍ مِثْلِهِ فِي خُبْثٍ أَضْلُهُ ، وَفَرْطُ جَهْلِهِ ، لَا أَمْسَرَ لِيَوْمِهِ ، وَلَا قَدِيمَ لِقَوْمِهِ ، سَائِلُهُ مَحْرُومٌ ، وَمَالُهُ مَكْنُومٌ ؛ لَا يَحِينُ إِنْفَاقُهُ ، وَلَا يَحِلُّ خِفَاقُهُ . خَيْرُهُ كَالْعَنْقَاءِ تَسْمَعُ بِهَا وَلَا تَرَى . خُبْرُهُ فِي حَالِقٍ ، وَإِدَامُهُ فِي شَاهِقٍ . غِنَاهُ فَقْرٌ ، وَمَطْبَخُهُ فَقْرٌ ، يَمْلَأُ بَطْنَهُ وَالْجَارُ جَائِعٌ ، وَيَحْفَظُ مَالَهُ وَالْعَرِضُ ضَائِعٌ ، قَدْ أَطَاعَ سُلْطَانَ الْبُخْلِ وَانْخَرَطَ كَيْفَ شَاءَ فِي سَلِكِهِ . هُوَ مِنْ لَا يَبْيَضُ حَجَرُهُ ، وَلَا يَشْمُرُ شَجَرُهُ ، سُكِّيتِ الْحَلْبَةُ <sup>(٣)</sup> ، وَسَاقَةُ الْكُتَيْبَةِ ، وَآخِرُ الْجَرِيدَةِ . لُغْنَةُ الْعَائِبِ ، وَعَرَضَةُ الشَّاهِدِ وَالْعَائِبِ . هُوَ عَيْبَةُ الْعُيُوبِ ، وَذَنْوِبُ الذُّنُوبِ . وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمِكَالِيُّ :

(١) النكمة : ربح الغم ، والأسد معروف بالبحر ، وهو تن الغم (م) .

(٢) مَادَر : مضرب المثل في البخل ، كان له حوض يملأه ماء ليسقى دوابه ،

فإذا فرغ قذف فيه الحصى الكثير لئلا يستقى غيره (م) . (٣) الحلبة : موضع

جرى الحبل المتسابقة . وسكيتها : أراد أنه يأتي في آخر المتسابقين (م) .

وطلمةٍ بقبجها قد شهِرتْ      تحكى زوالَ نعمةٍ ما شكرتْ  
 كأنها عن لهما قد قشرتْ      أقبِجَ بها صحيفةٌ قد نشرتْ  
 عنوانها إذا الوحوش حُشرتْ      يلغنها ما قدّمتْ وأُخِرتْ  
 صاحبها ذو عورةٍ لو سئرتْ      إن سار يوماً فالجبال سَيرتْ  
 أو رامَ أكلا فالجحيم سَعرتْ

من  
 بديع الزمان  
 يشكو الحيرى  
 القاضى

ويختص بهذه الأنواع رسالة بديع الزمان إلى القاضى على بن أحمد يشكو  
 أبا بكر الحيرى القاضى ويذمه - وقد أطلتُ عنان الاختيار فيها لصحة مبانيها ،  
 وارتباط ألفاظها بمعانيها :

الظلامه - أطال الله بقاء القاضى - إذا أتت من مجلس القضاء ، لم ترق  
 إلا إلى سيد القضاء . وما كنت لأقصر سيادته على الحكام ، دون سائر الأنام ،  
 لولا اتصالهم بسببه ، واتسأهم بقلبه ، وهبهم مطلقين على قسمه ، مغيرين على  
 اسمه ، ألم في الصحة أديم كأديمه <sup>(١)</sup> ، أو قديمٌ في الشرف كقديمه ، أو حديث  
 في الكرم كطريفه ؛ فهنيئاً لهم الأسماء ، وله اللعاني ، ولا زالت لهم الظواهر ،  
 وله الجواهر . ولا غرو أن يسموا قضاءً ، فما كلُّ مائع ماء ، ولا كلُّ سَقْفٍ  
 سماء ، ولا كلُّ سيرة عدل العمرين <sup>(٢)</sup> ، ولا كلُّ قاضٍ قاضى الحرمين ، وبالثارات  
 القضاء ! ما أرخص ما بيع ، وأسرع ما أضيع ! والسنة الإنذار ، قبل خلو الديار ،  
 وموت الخيار ، ألا يفار حلّى الحساء ، على السوداء ، ومركب أولى السياسة ،  
 تحت الساسة ، ومجلس الأنبياء ، من تصدر الأغبياء ، ورحمى البزاة من صيد البغاث ،  
 ومرتع الذكور <sup>(٣)</sup> من تسلط الإناث ؟ وبأين الرجال ، وأين الرجال ! ولى القضاء من  
 لا يملك من آلاته غير السبّال <sup>(٤)</sup> ، ولا يعرف من أدواته غير الاعتزال ، ولا يتوجه

(١) الأديم : الجلد (م) .

(٢) العمرين : أبى بكر وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما (م) .

(٣) فى نسخة «ومربع الذكور» (م) . (٤) السبال - بكسر السين - جمع

سبلة - بالتحريك - وهو الشارب ، ويقال : مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر (م) .



في أحكامه إلا إلى الاستحلال ، [ ولا يرى التفرقة إلا في العيال ] ولا يُحسِنُ من  
 الفقه غير جمع المال ، [ ولا يتقن من الفرائض إلا قلة الاحتفال ، وكثرة الافتعال ]  
 ولا يدرس من أبواب الجدال إلا قبيح الفعّال ، وزُورَ المقالِ ، ذاك أبو بكر  
 القاضي ، أضاءه الله كما أضاء أمانته ، وخانَ خزائنه ، ولا حاطه من قاضٍ في  
 صَوْلَة جندی ، وسبلة كُردى ... إلى أن قال : أيكفى أن يُصْبِحَ المرء بين الرقّة  
 والعودِ ، ويسى بين موجبات الحدود ، حتى يكمل شبابه ، وتشيب أنزابه . ثم  
 يلبس دَنِيَّتَه <sup>(١)</sup> ، ليخلع دينيته ، ويسوى طيلسانه ، ليحرف يده ولسانه ، ويقصر  
 سَبَّالَه ، ليعطيل حباله ، ويُظهر شَقَاشِقَه ، لبستر خُحَّارَه ، وبييض لحيته ، ليسودَ  
 صحيفته ، ويبدى ورَّعَه ، ليخفى طمعه ، ويفشى مَحْرَابَه ، ليلأُ حِرَابَه ، ويكثر  
 دُعَاَه ، ليحشوَ وعاءه ، ثم يخدم بالنهار أمعاءَه ، ويمالج بالليل وَجَمَاءَه ، ويرجو  
 أن يخرج من بين هذه الأحوال عالماً ، ويقعد حاكماً ؟ هذا إذا الجدل كالوه بقفزان <sup>(٢)</sup>  
 وباعوه في سوق الخسران ! هيهات حتى ينسى الشهوات ، ويحبب الفلوات ،  
 ويعتصد الحبابَ ، ويحتضن الدفاتر ، وينتج الخواطر ، ويخالف الأسفار ، ويعتاد  
 الفِقَارَ ، ويصل الليلة باليوم ، ويعتاض السهر من النوم ، ويحمل على الروح ،  
 ويحنى على العين ، وينفق من العيش ، ويخزن في القلب ، ولا يستريح من النظر  
 إلا إلى التحديق ، ولا من التحقيق إلا إلى التعليق ؛ وحاملُ هذه الكُلف إن  
 أخطأه رائدُ التوفيق ، فقد ضلَّ سواء الطريق ، وهذا الحيرىُّ رجل قد شغله طلبُ  
 الرياسة عن تحصيل آلائها ، وأعجمه حصولُ الأمانة عن تحمل أدواتها <sup>(٣)</sup> :

والكلبُ أحسن حالةً وهو النهاية في الخساسة

من تصدَّى للرياسة قبل إبانِ الرياسة

(١) الدنية - بفتح الدال وتشديد النون مكسورة - قلنسوة كان القضاة يلبسونها ،

وقد جاء في مقامات الحريري « فضحك القاضي حتى هوت دينته » (م) .

(٢) قفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال . (٣) في نسخة « عن تنخل أدواتها » (م) .

فولّى المظالم وهو لا يعرف أسرارها ، وحمل الأمانة وهو لا يذرى مقدارها ؛ والأمانة عند الفاسق تخفيفة الحمل على العاتق ، تُشفيق منها الجبال ، ويحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حديثه يروى ، وكتاب الله يُنطلى ، وبين البينة والدعوى ، فقبحه الله تعالى من حاكم لا شاهد عنده أعدل من السّلة والجام<sup>(١)</sup> ، يذلى بهما إلى الحكماء ، ولا مزكى أصدق لديه من الصّفر<sup>(٢)</sup> ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحبّ إليه من غزوات الخصوم ، على الكيس المحتوم ، ولا كفيل أوقع بوفائه من خبيثة الدّيل ، وحمال الليل ، ولا وكيل أعز عليه من المذيل والطبق ، في وقت الفسق والفلق ، ولا حكومة أبغض إليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ، ثم الويل للفقير إذا ظلم ، فما يغنيه موقف الحكم إلا بالقتل من الظلم ، ولا يحجّره مجلس القضاء إلا بالنار من الرّمضاء . وأقسم لو أن اليتيم وقف بين أنياب الأسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أرجى من سلامته إذا وقع من هذا القاضى بين عقاربه وأقاربه ؛ وما ظنّ القاضى بقوم يحملون الأمانة على متونهم ، ويأكلون النار في بطونهم ، حتى تغلظ قصراتهم<sup>(٣)</sup> من مال اليتامى ، ونسمن أكفالهم من مال الأيتام ، وما رأيه في دار عملتها خراب الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ، وما قوله في رجل يُعادي الله في الفلّس ، ويبيع الدين بالثمن البخس ، وفي حاكم يبرز في ظاهر أهل السمّة ، وباطن أصحاب السبت ، ففله الظلم البخت ، وأكله الحرام السّحت . وما قوله في سوس لا يقع إلا على صوف الأيتام ؛ وجراذ لا يقع إلا على الزرع الحرام ، ولصّ لا ينتقب إلا خزانة الأوقاف ، وكردى لا يُغير إلا على الضعاف ، وليث لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ، وخارب<sup>(٤)</sup> لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود .

(١) السّلة - بفتح السين - السرقة ، والجام : الوعاء الذى تشرب به الحمر (م) .

(٢) الصفر : جمع أصفر ، وهو الدينار (م) . (٣) القصرات : جمع

قصرة - بالتحريك - وهى أصل العنق . (٤) الخارب : السارق (م) .

وذكر في هذه الرسالة فصلاً في ذكر العلم - وهو مستطرف البلاغة ،  
مستعذب البراعة - قال :

والعلم - أطل الله بقاء القاصي - شئ كما تعرفه ، بعيد المرام ، لا يصادُ  
بالسهام ، ولا يُقسَمُ بالأزلام<sup>(١)</sup> ؛ ولا يُرى في المنام [ ولا يُضبطُ بالاجام ، ولا يُورث  
عن الأعمام ، ولا يكتب للثام ] ، وزرع لا يزكو<sup>(٢)</sup> حتى يصادف من الحزم -  
ثرى طيباً ، ومن التوفيق مطرا صيباً ؛ ومن الطبع جوا صافياً ، ومن الجهد روحاً  
دائماً ، ومن الصبر سقياً نافعاً ، والعلم علق<sup>(٣)</sup> لا يباع ممن زاد ، وصيد لا يالف  
الأوغاد ، وشئ لا يدرك إلا بنزع الروح ، وعون الملائكة والروح ، وغرض  
لا يصاب إلا بافتراش المدر<sup>(٤)</sup> ، وأتساد الحجر ، ورد الضجر ، وركوب الخطر ،  
وإذمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر ، ثم هو  
معتص إلا على من زكا زرعه ، وخلا ذرعه ، [ وكرم أضله وفرّعه ، ووعى  
بصره وسمعه ] ، وصفا ذهنه وطبعه ، فكيف يناله من أنفق صباه على الفخشاء ؛  
وشبابه على الأحشاء ، وشغل نهاره بالجمع ، وليله بالجماع ، وقطع سلوته بالغنى ،  
وخلوته بالغناء ، وأفرغ جده على الكيس ، وهزل في الكأس ؛ والعلم ثمر لا  
يصلح إلا للغرس ، ولا يغرس إلا في النفس ، وصيد لا يقع إلا في الدر ، ولا  
ينشب إلا في الصدر ، وطائر لا يخذعه إلا قنص اللفظ ، ولا يعلقه إلا شرك  
الحفظ [ ولا ينشب إلا في الصدر ] ، وبحر لا يخوضه إلا الملاح ، ولا تطيقه إلا الألواح ،  
ولا تهيجه الرياح ، وجبل لا يتسنى إلا بحط الفكر ، وساء لا يصعد إلا بمعراج  
الفهم ، ونجم لا يلمس إلا بيد المجد .

(١) الأزلام ، هنا : قدام الميسر ( م ) .

(٢) لا يزكو : لا ينمو ( م )

(٣) العلق - بالكسر - النفيس الذي يتغالى فيه ( م )

(٤) المدر - بالتجريك - صغار الحصى ( م ) .

## ومن مفردات الأبيات في المعاييب والمقايح

قول أبي تمام :

مَسَاوِرُ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَايِ      لَمَا أُمِهرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

آخر :

قَوْمٌ إِذَا جَرَّ جَانِ مَتَهُمْ أَمِنُوا      مِنْ لُؤْمٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا قَوْدًا<sup>(١)</sup>

البحترى :

نَبَا فِي يَدِي ، وَابْنُ اللَّيْمَةِ وَاجِدٌ      وَيَنْبُو الْخَيْثُ الطَّعِيمُ وَهُوَ صَقِيلُ

ابن الرومي في رجل يعرف بابن رمضان :

رَأَيْتَكَ تَدْعِي رَمْضَانَ دَعْوَى      وَأَنْتَ نَظِيرُ يَوْمِ الشُّكِّ فِيهِ

وله في أعمى :

كَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاءُ مِنْهُ صَدِيقٌ      وَمَكَانُ الْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابٌ

غيره :

هُوَ الْكَتَبُ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ مَلَالَةٌ      وَسُوءُ مُرَاعَاةٍ وَمَا ذَاكَ فِي الْكَتَبِ

آخر :

أَبَاذَنْفِ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كَلَّهْمُ      سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِينِكَ أَكْذَبُ

أبو الفضل الميكاكي :

هُوَ الشُّوكُ لَا يُعْطِيكَ وَإِفْرَ مِنْهُ      يَدُ الدَّهْرِ إِلَّا حِينَ تَضُرُّ بِهِ جَانِدَا

(١) جر : اكتسب جريرة ، يريد أنهم لا يساوون أحدا من الناس ،

ومن شرط القود — وهو الاقتصاص من القاتل بقتله — التكافؤ . فليسوا يقتلون

أصلا ( م ) .

[ قولهم في اللحن وتعلم العربية ]

قال المأمون لبعض ولده وسمع منه لحنًا : ما على أحدكم أن يتعلم العربية ،  
فقيم بها أودّه <sup>(١)</sup> ، ويزينُ بها مشهده ، ويفلّ <sup>(٢)</sup> حُجَجَ خَصْمه ، بمس كتاب  
حكمه <sup>(٣)</sup> ، ويملك مجلس سلطانه . بظاهر بيانه ؛ ليس لأحدكم أن يكون  
لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسير كلمته .

وقال رجلٌ للحسن البصري يا أبو سعيد ، قال : كَسَبُ الدرام شغلُك  
أن تقولَ يا أبا سعيد ، ثم قال : تعلموا العلم للأديان ، والنحو للسان ، والطلب  
للأبدان .

وكان الحسن كما قال الأعرابي وسمع كلامه : والله إنه لفصيحٌ إذا لفظ ، نصيحٌ  
إذا وعظ . وقيل له : يا أبا سعيد ، ما تراك تلحن ، قال : سَبَقْتُ اللحن . أخذه  
أبو العتاهية ، وقيل له : إنك تخرج في شعرك عن العَرُوض ، فقال : سبقت العروض ،  
وقال إسحاق بن خلف البهراني :

الفحوى يصلح من لسان الأَلْكَنِ والمرءُ تَغْظِمُهُ إذا لم يلحنِ  
فإذا طلبت من العلوم أجَلَّهَا فأجَلَّهَا منها مقيمُ الأَلْسُنِ

وقال علي بن بسام :

رأيتُ لسانَ المرءِ رائدَ علمِهِ وعنوانه فَأَنْظَرُ بماذا تُعْنَوْنَ  
ولا تُعَدُّ إِصْلَاحَ اللسانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عما عنده وبين  
على أن للإعراب حدًّا ، وربما سمعت من الإعراب ما ليس بحسن  
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أن ين

(١) أودّه : اعوجاجه (م) .

(٢) يفلّ : يكسر ويضعف (م) . (٣) في نسخة « بمسكتات حكمه » (م) .

وقال بعضُ أهل العصر ، وهو أبو سعيد الرستمي :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُعْطَى ثَلَاثُونَ شَاعِرًا      وَيُحْرَمَ مَادُونَ الرَّضَا شَاعِرٌ مِثْلِي  
كَمَا سَاحَوا عَمْرًا بِوَإٍ زِيَادَةٍ      وَضُوبِقَ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَلْفِ الْوَصْلِ  
أَبُو الْفَتْحِ الْبَسْتِي :

حَذِفْتُ وَغَيْرِي مُثَبَّتٌ فِي مَكَانِهِ      كَأَنِّي نُونُ الْجَمْعِ حِينَ يُضَافُ  
وقال :

أَفْدَى الْغَزَالِ الَّذِي فِي النَّحْوِ كَلَّمَنِي      مِنْ أَظْرَافِ اجْتَنَيْتِ الشَّهَدَ مِنْ شَفَتِهِ  
فَأَوْزَدَ الْحَبِيجَ الْمَقْبُولَ شَاهِدُهَا      مُحَقِّقًا لِيَرِنِي فَضْلَ مَعْرِفَتِهِ  
ثُمَّ اتَّفَقْتُ عَلَى رَأْيٍ رَضِيتُ بِهِ      وَالرَّفْعَ مِنْ صِفَتِي وَالنَّصَبَ مِنْ صِفَتِهِ  
الْحَسَنِ اللَّحَامُ <sup>(١)</sup> :

أَنَا مِنْ وَجْهِ النَّحْوِ فِيكُمْ أَفْعَلُ      وَمِنَ اللِّغَاتِ إِذَا تَعَدَّدُ الْمَهْمَلُ <sup>(٢)</sup>

[ لَوْعَةُ الشَّوْقِ ] .

وقال أحمد بن يوسف :

كُتِبَ غِلَامٌ مِنْ وَلَدِ أَنْوَ شُرَوَانَ مِنْ كَانَ أَحَدُ غُلَامِي الدِّيَوَانِ ، إِلَى آخِرِهِمْ  
وَكَانَ قَدْ عَلِقَ بِهِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْكَلْفِ بِهِ وَالْحُبَّةَ لَهُ : لَيْسَ مِنْ قَدَرِي - أَدَامَ  
اللَّهُ سَعَادَتَكَ - أَنْ أَقُولَ لِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ لِأَنِّي أَرَاكَ فَوْقَ كُلِّ قِيَمَةٍ خَطِيرَةٍ  
وَمِنْ مُعْجِزٍ ، وَلَآنَ نَفْسِي لَا تُسَاوِي نَفْسَكَ ، فَتُقْبَلُ فِي فِدَايِكَ ، وَعَلَى كُلِّ  
حَالٍ ؛ لِجَعْلِنِي اللَّهُ فِدَاءَ سَاعَةٍ مِنْ أَيَّامِكَ ، أَعْلَمُ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَلِيُّ الْمَنْزِلَةُ ، أَنَّهُ لَوْ  
كَانَ لِعَبْدِكَ مِنْ شِدَّةِ الْخُطْبِ أَمْرٌ يَقِفُ عَلَى حَدِّهِ النَّعْتُ <sup>(٣)</sup> ، لَاجْتِهَدُ نَأْنٍ يُضَعِّفُ <sup>(٤)</sup>

(١) في نسخة « أبو الحسن اللحام » (م)

(٢) أفعل : يريد أنه غير منصرف ، وسقطت هذه الكلمة من بعض النسخ (م) .

(٣) النعت : الوصف ، نعته ينعته : وصفه يصفه (م) .

(٤) في نسخة « لاجتهد أن يصف » (م) .

من ذلك ماعسى أن يعطف به زمام قلبك ، وتحنوله على الرقة به والتحقيق أثناء جوانحك ، ولسكن الذي أمسيت وأصبحت ممتحنًا به فيه شمع<sup>(١)</sup> على كل بيان ، ونزع عن كل لسان ؛ والحب أيها المالك لم يشبه قذى ريبة ، ولم يختلط به قلب معاب ، فلا ينبغي لمن كرم أخلاقه أن يعاف مقاربة صاحبه المدل بحرمة نيته ، والذي أتمناه أيها المولى اللطيف مجلس أقف فيه أمامك ، ثم أبوح بما أضنى جسدى ، وفك كبدى ، فإن خف ذلك عليك ورأيت نشاطا من نفسك إليه كنت كمن فك أسيراً وأبرأ عيلاً ، ومن الخير سلك سبيلاً ، يتوعر سلوكها على من كان قبله ، ومن يكون بعده ؛ ثم أضاف إلى ذلك منة لا يطيقها جبل راس ، ولا فلك دائر ، فرأيتك أيها السيد المعتمد فى الإسعاف ، قبل أن يندرنى الموت ؛ فيحول بينى وبين ما نزعته إليه النفس مواصلاً برّاً إن شاء الله تعالى .

فأجابه : تولى الله تعالى ما جرى به لسانك بالزبد ، ولا أوحش ما بيننا بطائر فرقة ، ولا صافر تشتت ، وضمنّا وإياك فى أوثق حبال الأنس ، وأؤكد أسباب الألفة ؛ وقفت على ما خلصته من العجز عن بلوغ ما خامر قلبك<sup>(٢)</sup> ، وانطوى فى ضميرك ، من الشف الملقى ، والهوى المضرع ، ولعمري لو كشفت لك عن معشار ما شتمل عليه مضمهر صدرى لأيقنت أن الذى عندك إذا قستته إلى ما عندى كالمتلاشى البائد ، ولكنك بفضل الإنعام سبقتنا إلى كشف ما فى الضمير . وأما طاعتى لك ، وذماي إليك ؛ فطاعة العبد المفتى ، الطائع لما يحكم له وعليه مولاه وما لكه ، وأنا صائر إليك وقت كذا ؛ فتأهب لذلك بأحمد عافية ، وأتم عقدة<sup>(٣)</sup> ، وأسعد نجم جرى بالألفة ، إن شاء الله تعالى .

وكتب بعض الكتّاب : إني لأكره أن أفديك بنفسى استحياء من التقصير

(١) شمع : بعد ، وفى نسخة « منع من كل بيان » ( م ) .

(٢) خامر قلبك : خانظه ( م )      (٣) فى نسخة « وأتم عافية » ( م ) .

في المعاوضة ، ومن التخلّف في الموازنة ، وعلى الأحوال كلّها ، قدّم الله رُوحِي  
عنك ، وصانني عن رؤْيَةِ المكروه فيك .

وقال المتنبي :

فَدَى لَكَ مِنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ      فَلَا مَلَكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ  
ولو قلنا فِدَى لَكَ مِنْ يُسَاوِي      دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لَمَنْ قَلَاكَ  
وَأَمَّنَّا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ      وَإِنْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مِلَاكَ  
[ وقال عبيد الله بن شبيب : كتب إلى بعض إخواني من أهل البصرة  
كتابا ملح فيه وأوجز ، وهو : أطال الله بقاءك ، كما أطال حباءك ، وجعلني  
فداك إن كان في فداؤك .

كُتِبَتْ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَى وَشَوْفَا      إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي كِتَابِي  
وكتب آخر إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر ، وقد أصابتهما محنة ثم أردفتها  
نعمة : لو قُبلت فيكما ، ودانيتُ قدريكما ، لقلت : جعلني الله فداكما ، ولكني  
لا أجزى عنكما ، فلا أقبل بكما ، وقد بلغتني المحنة التي لو مات إنسان غمّا بها  
لكنته [ ثم اتصلت النعمة التي لو طار امرؤ برحابها لكنته ] وكتب تحته :  
وليس بتزويقِ اللسانِ وضَوْغِهِ      وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ الْأَخْمَ وَالْأَمَّا

وكتب ابن ثوبة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر في ترك مكاتبتة بالتفدية  
[ الله يعلم ، وكفى به عليما ، لقد وددت مكاتبتك بالتفدية ] فرأيت عيبا أن  
أفديك بنفس لا بدّ لها من فناء ، ولا سبيل لها إلى بقاء ، ومن أظهر لك شيئا  
وأضرر لك خلافه فقد غش ؛ والأمر إذا كانت الضرورة تُوجبُ أنه ملق<sup>(١)</sup>  
لا يحقق ، وإعطاء لا يتحصّل ، لم يجب أن يخاطب به مثلك ، وإن كان عند قوم  
نهاية من نهايات التعظيم ، وذليلا من دلالات الاجتهاد ، وطريقا من طرق التقرب .  
قال الزبير بن أبى بكر : قال لي مسلمة بن عبد الله بن جندب الهذلي : خرجت أريدُ العقيق  
ومعى زَبَّانُ السَّوَّاقِ ؛ فلقينا نسوة فيهن امرأة لم أر أجمل منها فأشدت بيتين لزَبَّان :

(١) في المطبوعات « توجب أنه ملك لا يخفق » تحريف ما أثبتناه (م) .



أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا أَخُوكُمْ قَتِيلٌ ، فهل فيكم له اليوم ناثِرٌ ؟  
 خُذُوا بَدْمِي ، إِن مِتُّ ، كُلَّ خَرِيدَةٍ مَرِيضَةٍ جَفَنِ الْمَبْنِ وَالطَّرْفُ سَاجِرٌ  
 ثم قال : شَأْنُكَ بِهَا يَا بَنَ السَّكْرَامِ فَالطَّلَاقُ لَهُ لَا زِمٌ إِنْ لَمْ يَكُن دَمٌ أَيْبُكَ فِي  
 نَقَابِهَا . فَأَقْبَلْتُ عَلَى وَقَالَتْ : أَنْتَ ابْنُ جَنْدَبٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَتْ : إِنْ قَتَلْنَا  
 لَا يُرْدِي ، وَأَسِيرُنَا لَا يَفْدَى ، فَاعْتَنِمْ لِنَفْسِكَ ، وَاحْتَسِبْ أَبَاكَ .

قال أبو عبيدة : قال رجل من فزارة لرجل من بني عذرة : تَعْدُونَ موتكم بنوعذرة  
 من الحب مزية ، وإنما ذاك من صَغَفِ الْمَنَةِ ، وَعَجَزِ الرُّوِيَةِ . فقال العذري :  
 أما إنكم لو رأيتم الحاجرَ البُلُجَ <sup>(١)</sup> ، ترشق بالأعين الدُّعْجَ <sup>(٢)</sup> ، فوقها الحواجبُ  
 الزُّجَ <sup>(٣)</sup> ، [ وتحتها المباسم الفُلُجُ ] ، والشَّفَاهُ السُّمُرُ ، تفتَرُ عن الثنايا الغُرُ ، كأنها  
 بَرَدُ الدُّثْرِ ، لجعلتموها اللات والعزى ، ورفضتم الإسلام وراء ظهوركم :  
 وقال أعرابي : دخلتُ بغداد فرأيتُ فيها عيوناً دُعْجاً <sup>(٢)</sup> ، وحواجبَ وصف الحسان  
 زُجاً <sup>(٣)</sup> ، يسحبْنَ الثيابَ ، وَيَسْلُبْنَ الألبابَ .

وذكر أعرابي نساءً فقال : طَعْمَانُ فِي سَوَالْفَيْنِ طُولُ ، غَيْرَ قَبِيحَا الْعُطُولِ <sup>(٤)</sup> ،  
 إِذَا مَشَيْنِ اسْتَبْلَنَ الذِّيُولُ ، وَإِنْ رَكَبْنِ أَثْقَلْنَ الْحَمُولُ .

ووصف آخر نساءً فقال : يَتَلَثَّمْنَ عَلَى السَّبَائِكِ ، وَيَتَشَخَّنَ عَلَى الْبِيَاذِ <sup>(٥)</sup> ،  
 وَيَتَزَرْنَ عَلَى الْعَوَاتِكِ ، وَيَرْتَفِقْنَ عَلَى الْأَرَائِكِ ، وَيَتَهَادَيْنِ عَلَى الدَّرَانِكِ <sup>(٦)</sup> ،  
 ابْتِسَامُهُنَّ وَمَيْضُ ، عَنْ نَفَرٍ كَالْإِغْرِيزِ ، وَهَنْ إِلَى الصَّبَا صُورُ ، وَعَنْ الْخَنَاحُورِ <sup>(٧)</sup> .

(١) الحاجر : جمع محجر . وهو بزنة مجلس : الموضع يكون عليه النقاب ، وهو  
 أيضا مدار بالعين ، والبليج : جمع أبلج أو بلجاء ، والأبلج : الأبيض المشرق ( م )  
 (٢) الدعج : جمع دججاء ، وهي العين الشديدة البياض مع السواد ( م ) .  
 (٣) الزج : جمع أزج ، وهو الدقيق من الحواجب ( م ) . (٤) العطول : أراد  
 التجرد من الحلى ( م ) . (٥) النيازك : الرماح ، واحدها نيزك ( م ) . (٦) الدرانك :  
 البسط ، واحدها درنك ( م ) . (٧) صور : ما لات ، وصور : راجعات ( م ) .

## ( وصف الهوى ، وأمره )

سئل بعض الحكماء عن الهوى ، فقال : هو جليسٌ مُمتنع ، وأليف مؤنس ، أحكامه جائزة <sup>(١)</sup> ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والنفوس وآراها ، وأعطى زمام طاعتها ، وقياد مملكها ، توارى عن الأبصار مدخله ، وغض عن القلوب مسلكه .

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : لا تمتع الهوى بملكه ، ولا ملئ بسلطانه ، وقبض الله يده ، وأوهن عضده ؛ فإنه جائر لا ينصف في حكم ، أعمى ما ينطق بعدل ، ولا يقصر في ظلم ، ولا يزعوى للوم ، ولا ينفاد لحق ، ولا يبق على عقل ولا فهم ، لو ملك الهوى وأطيع لرد الأمور على أديارها ، والدنيا على أعقابها .

ووصف أعرابي الهوى فقال : هو داء تدوى به النفوس الصّحاح ، وتسيل منه الأرواح ، وهو سقم مكتم ، وجمر مضطرم ؛ فالقلوب له منصبة ، والعيون ساكنة <sup>(٢)</sup>

قال [ أبو ] عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني : أخبرني المظفر بن يحيى ، قال : أحب رجل امرأةً دونه في القدر ، فعذله عمه ، فقال : يا عم ، لا تلمّ مُجبراً على سقمه ؛ فإن المقر على نفسه مستغن عن منازعة خصمه ، وإنما يُلام من افتقر ما يقدر على تركه ، وليس أمرُ الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ؛ بل قدرته أغلب ، وجاربه أعز من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، أو لطف محتال . وقال بعضهم : رأيت امرأتين من أهل المدينة تعاتب إحداهما الأخرى على هوى لها ، فقالت : إنه يقال في الحكمة الفائرة ، والأمثان السائرة : لا تلومن من أساء بك الظنّ إذا جعلت نفسك هدفاً للهمة ، ومن لم يكن عوناً على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عُقدة الرأي ، ومن أقدم على هوى وهو يعلم

(١) في نسخة وفي تزيين الأسواق « جائزة » ( م ) .

(٢) في نسخة « ساكنة » أى تسيل الدمع ( م ) .

ما فيه من سوء العقبة سلط على نفسه لسان العذل ، وضع الحزم . فقالت المذولة :  
ليس أمرُ الهوى إلى رأى فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ، وهو أغلب قدرة ،  
وأمنع جانباً من أن تنفذ فيه حيلة الحازم ، أو ماسمت قول الشاعر :

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسير لا ينتيك عنه مثلُ خبير  
ليس أمرُ الهوى يُدبّرُ بالرأى ولا بالقياس والتفكير  
إنما الأمرُ في الهوى خطراتٌ محدثاتُ الأمورِ بعدَ الأمورِ

قال المرزبانى : أخبرنى الصولى أن هذه الأبيات لعلية بنت المهدي ، ولها  
فيها لحنٌ .

وقيل لعبد الله بن المقفع : مبالُ العاقل للميز الذهن ، واللييب الفطن ، يتعرض  
للحُب وقد رأى منه مواضع الهلكة ، ومصارع التلف ، وعلم مايؤول<sup>(١)</sup> إليه عُقباء ،  
وترجع به أخراه على أولاه ؟ فقال : زُخرف<sup>(٢)</sup> ظاهرُ العشق بجمال زينة يستدعى  
القلوب إلى ملاسسته ، وملى بعاجل حلاوة يطبى<sup>(٣)</sup> النفوس إلى ملاسسته ، كظاهر  
زخرف الدنيا ، وبهاء رونقها ، ولذيد جنى ثمرها ، وقد سكرت أبصارُ قلوبِ بنائها  
عن النظر إلى قبيح عيوب أفعالها ، فهم فى بلائها منغمسون ، وفى هلكة فتنها  
متورطون ، منع عنهم بسوء عواقب خطبها ، وتجشع مرارة شربها ، وسرعة  
استرجاعها ماوهبت ، وإخراجها مما ملكت ، فليس ينجونها إلا من حذرها ،  
ولا يهلك فيها إلا من أمنها ، وكذلك صورةُ الهوى ؛ هما فى الفتنة سواء .

[ بعض ماجاء فى العفاف ]

وقال ابن دُرَيد : قال بعضُ الحكماء : أغلق أبواب الشهات بأفعال  
الزهادة ، [ وافتح أبواب البر بمفاتيح العبادة ] فإنَّ ذلك يُدْنِيكَ من السعادة ،

(١) يؤول : يرجع (م) . (٢) زخرف : زين (م) .

(٣) يطبى النفوس : يدعوها (م) .

وتستوجب من الله الزيادة .

وقال غيره : إنَّ اللذة مشوبةٌ بالقُبْح ؛ ففكروا في انقطاع اللذة وبقاء

ذكر القُبْح

قال أبو عبد الله بن إبراهيم بن عرفة [ نبطويه ] :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه      حتى يكونَ عن الحرامِ عفيفاً  
فإذا تعفّفَ عن محارمِ رَبِّه      فهناك يُدعى في الأنامِ ظريفاً

وقال :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني      منه الحياءُ وخوفُ اللهِ والحذرُ  
وكم خلوتُ بمن أهوى فيقنعني      منه الفكاهةُ والتقبيلُ والنظرُ  
أهوى الملاحَ وأهوى أن أجالسهم      وليس لي في حرامِهم وطَرُ  
كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ      لا خيرَ في لذةٍ من بعدها سقرُ

وقال العباس بن الأحنف :

أناذنونَ لِبَصَّةٍ في زيارتكم      فعندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ  
[ لا يبصر السوء إن طالت إقامته ]      عفت الضمير ولكن فاسق النظر <sup>(١)</sup>

وقال بعضُ الطالبين :

رموني وإياهم بشنعاءٍ هم بها      أحقُّ ، أدالَ اللهُ منهم وعجلاً  
بأمرِ تركناه وربَّ عميدٍ      جميعاً فلما عفتَّ أو تجملاً

وقال سعيد بن حميد :

زائرٌ زارنا على غَيْرِ وعد      مُحْطَفُ الكَشْحِ مُثْقَلُ الأردافِ  
غالبَ الخوفِ حينَ غالبه الشو      قُ وأخفى الهوى وليس بخافي  
غضٌّ طر في عنه تُقى اللهِ فاختر      تُ على بذله بقاءُ التّصافِ  
نم ولّى والخوفُ قد هزَّ عطفنيهِ      ولم يخلُ من لباسِ العفافِ

(١) سقط هذا البيت من بعض النسخ ، وحفظ في « لا يضر السوء إن طال

وفي الحديث الشريف : « مَنْ أَحَبَّ فَعَفَّ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » .  
 والعفافُ مع البَذَلِ ، كالأستطاعة مع الفعل ، كما قال صريع الغواني :  
 وما ذمى الأيامُ أنْ لَسْتُ مادحاً لعهْدٍ لياليها التي سَلَفَتْ قبلُ  
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ صَادِقِ العَيْشِ نِلْتَهُ بها وَندَامَى العِفَافَةِ والبَذَلِ (١)  
 وأنشد الصولي لأبي حاتم السجستاني في المبرد ، وكان يلزم حلقته ،  
 وكان من الملاح وهو غلام :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتَمَجِّنٍ خَنَثَ الكلامَ (٢)  
 وقفَ الجلالُ بوجهِهِ فسَمَتْ له حدَقُ الانامِ  
 حرَكَاتُهُ وَسُكُونُهُ يُجَنِّي بها ثمرُ الأنامِ  
 فإذا خَلَوْتُ بمثلهِ وعَزَمْتُ فيه على اعترامِ  
 لم أَعُدْ أخلاقَ العَفَا فِوِذاك أَوْ كَدُّ الغَرَامِ  
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا العِباسِ جَلَّ بِكَ اعتصامِ  
 فَارْحَمْ أَخاك فَإِنَّهُ تَزُرُّ الكَرَى بِأَدَى السقامِ  
 وَأَنِلْهُ مادُونَ الحِرا مِ فليس يَرْغَبُ في الحرامِ

وكان أبو حاتم يتصدَّق كلَّ يومَ بدرهم ، ويحتم القرآن في كلِّ أسبوع .  
 وذكر أنه اجتمع أبو العباس بن سُرَيْج الشافعي ، وأبو بكر بن داود العباسي  
 في مجلس على بن عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج :  
 أنت بقولك : « من كثرت لحظاته دامت حسرته » أَبْصَرُ منك بالكلام في  
 الإيلاء ، فقال أبو بكر : لئن قلت ذلك فإني أقول :

أُنْزَهُ في رَوْضِ المحاسنِ مُقْلَتِي وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّ مَا

(١) الندامى : جمع نديم ، وأصله الذي يحالسك على الشراب (م) .

(٢) المتمجِّن : الكثير المجون ، وخنث الكلام : أى لينه متكسره (م) .

وأَحِلُّ من ثِقَلِ الهَوَى مَالُوْهُ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ تَهْدِيًّا  
وينطق طَرْفِي عن مترجم خَلِيلِي  
رَأَيْتُ الهَوَى دَعَايَ من النَّاسِ كُلِّهِمْ  
فَلَسْتُ أَرَى حَبًّا صَحِيحًا مَسْلَمًا  
فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بِمِ تَفْتَخِرُ عَلَيَّ ؟ وَأَنَا لَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ :

وَمُطَاعِمٍ لِلشَّهْدِ مِنْ نَفَاتِهِ قَدْ بَتُّ أَمْنَعُهُ لَذِيذَ سِنَاتِهِ  
صَبًّا بِحُسْنِ حَدِيثِهِ وَكَلَامِهِ وَأُكْرِرُ اللَّحَفَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ  
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَائِهِ  
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ، تَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَالَ حَتَّى يَقِيَمَ شَاهِدَيْنِ  
عَدْلَيْنِ أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ ! فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : يَلْزَمُنِي فِي هَذَا مَا يَلْزِمُكَ فِي قَوْلِكَ :  
أَنزَهُ فِي رَوْضِ الْحَاسَنِ مُقْلَبَتِي ... الْبَيْتِ . فَضَحِكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جَمَعْتُمَا  
ظَرْفًا وَلُطْفًا وَفَهْمًا وَعِلْمًا .

### ألفاظ لأهل العصر، في محاسن النساء

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبذر الأرض . هي من وجهها في  
صباح شمس ، ومن شعرها في ليل دمس<sup>(١)</sup> ، كأنها فلقه قمر على برج فضة .  
بذر التم يضيء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها ، فغرّها يجمع الضريب  
والضرب<sup>(٢)</sup> ، كأنه نثر الدر ، كما قال البحترى :

إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَنِ لَوْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا  
قَدْ أَنْبَتَ صَدْرُهَا ثَمَرَ الشَّبَابِ ، خَرَطَتْ لَهَا يَدُ الشَّبَابِ حَقْنَيْنِ<sup>(٣)</sup> مِنْ عَاجٍ ،  
كَأَنَّهَا الْبَدْرُ قَرِطٌ بِالْثَرَيَّا ، وَنَيْطَ بِهَا عِقْدٌ مِنَ الْجُوزَاءِ ، أَعْلَاهَا كَالْفُصْنِ مَيْتَالِ ،

(١) شمس : ذى شمس ، على النسب ، ودامس : مظلم (م) .

(٢) الضريب : اللب ، والضرب : غسل النحل (م) .

(٣) حقن : ثنية حق ، وهو العلبة ، وأراد نديها (م) .

وأسفلها كالدُّعس<sup>(١)</sup> مُنْهال ، لها عُنُق كإبريق اللُّجَيْنِ ، وَسُرَّة كدُهْنُ العَاج ،  
نِطَاقُهَا مُجْدِب ، وإزَارُهَا مُخْصِب . مَطْلَعُ الشَّمْسِ مِنْ وَجْهِهَا ، وَنَبْتُ الدَّرِّ  
مِنْ فِيهَا ، وَمَلْقَطُ الْوَرْدِ مِنْ خَدَّهَا ، وَمَنْبَعُ السَّخْرِ مِنْ طَرْفِهَا ، وَمِبَادِيءُ اللَّيْلِ  
مِنْ شَعْرِهَا ، وَمَغْرَسُ الْفَصْنِ مِنْ قَدَّهَا ، وَمِهْيَلُ الرَّمْلِ مِنْ رِدْفِهَا

### ولهم في محاسن الغلمان والمعدنين

زاد جماله ، وأقر هلاله . تَرَفَّقَ فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْحُسْنِ ، شَادِنٌ فَاتِرٌ  
طَرْفَهُ ، سَاحِرٌ لَفْظُهُ . غَلَامٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَيَقْبَلُهُ الْقَلْبُ ، وَيَأْخُذُهُ الطَّرْفُ ،  
وَتَرْتَاحُ إِلَيْهِ الرُّوحُ . تَسْكَادُ الْقُلُوبُ تَأْكُلُهُ ، وَالْعَيُونَ تَشْرَبُهُ . جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ  
فِي عَوْدِهِ قَتَائِلَ كَالْفُصْنِ ، وَاسْتَوَفَى أَقْسَامَ الْحُسْنِ ، وَلَبِسَ دِيْبَاجَةَ الْمَلَّاحَةِ ،  
كَأَنَّ الْبَدْرَ قَدِ رَكِبَ أَزْرَارَهُ ، لَا يَشْبَعُ مِنْهُ النَّظَرُ ، وَلَا يَرَوِي مِنْهُ الْخَاطِرُ ،  
كَادَ الْبَدْرُ يَحْكِيهِ ، وَالشَّمْسُ تُشَبِّهُهُ وَتُضَاهِيهِ ، صُورَةُ تَجَلُّو الْأَبْصَارِ ، وَتُخْجِلُ  
الْأَقْمَارَ ، شَادِنٌ مُنْتَقِبٌ بِالْبَدْرِ ، وَمُكْتَحِلٌ بِالسَّحَرِ . مَا هُوَ إِلَّا نَزْهَةُ الْأَبْصَارِ ،  
وَمُخْجِلُ الْأَقْمَارِ ، وَبِدْعَةُ الْأَمْصَارِ ، غَمَزَاتُ طَرْفِهِ تُخْفِرُ عَنْ ظَرْفِهِ ، وَمَنْطِقُهُ  
يَنْطَلِقُ عَنْ وَصْفِهِ . تَحَالُ الشَّمْسُ تَبَرَّقَعَتْ غُرَّتُهُ ، وَاللَّيْلُ نَاسِبٌ أَصْدَاغُهُ وَطَرْفَتُهُ  
الْحُسْنُ مَافُوقُ أَزْرَارِهِ ، وَالطَّيِّبُ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ ، شَادِنٌ يَضْحَكُ عَنِ الْأَفْحْوَانِ ،  
وَيَتَنَفَّسُ عَنِ الرِّيحَانِ ، كَأَنَّ خَدَّهُ سَكْرَانٌ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَبَغْدَادٌ مَسْرُوقَةٌ  
مِنْ حُسْنِهِ وَظَرْفِهِ ، أَعْجَمَتْ يَدُ الْجَمَالِ نَوْنَ صُدُغِهِ بِخَالٍ ، هَذَا مُحْلُولٌ مِنْ قَوْلِ  
ابْنِ الْمَعْتَزِ :

غِلَالَةُ خَدِّهِ صُبُغَتْ بِوَرْدٍ وَنَوْنُ الصَّدُغِ مُعْجَمَةٌ بِخَالٍ

(١) الدُّعس - بالكسر - الكثيب من الرمل (م)

(٢) في نسخة « من خمرة فنه » وهي - وإن كانت أشهر في كلامهم - أبعده

من انسجام أسلوب المؤلف (م) .

له عينان حشو أجفانهما السَّحْرُ ، كأنه قد أعار الظنبيَّ جِده ، والغصنَ  
 قدَّه ، والراح ريمحه ، والوردَ خدَّه ، الشَّكْلُ <sup>(١)</sup> من حرَّ كانه ، وجميعُ الحسنِ بعضُ  
 صفاته . قد ملكَ أزيمة القلوب ، وأظهر حجَّةَ الذنوب ، كأنما وسمَّه الجمالُ  
 بنهايته ، ولحظه الفلكُ بعنائه ، فصاغه من ليلِه ونهاره ، وحلاه بنجومه وأقماره ،  
 ونقَّبه ببدائع آثاره ، ورَمَقَه بنواظر سُعودِه ، وجعله بالجمال أحدَ حدوده . وقد  
 صبَّغ الحياه غلالةً وجَّهه ، ونشِّر لؤلؤُ العرق عن وِردِ خدَّه . تكادُ الأَحوالُ  
 تسفك من خدَّه دمَ الحجلِ . له طرَّة كالفسقِ ، على غرَّة كالفلقِ . جاءنا في  
 غلالة تنمُّ على ما يستره ، وتجنو مع رِقَمها عما يظهروه <sup>(٢)</sup> . وجهٌ بماء الحسنِ مغسول ،  
 وطُرفٌ بمزود السَّحْرِ مكحول نغمُ حَمِي حامية الثغور ، وجُعل ضرةً لقلائد  
 النجوم . السَّحْرُ في الحَظِّ ، والشَّهْدُ في ألقاظه . اختلس قامة الغُصْنِ ، وتوشَّح بمطارف  
 الحسنِ ، وحكى الروض غبَّ المزن <sup>(٣)</sup> . الأرضُ مشرقة بنور وجهه ، وليل السرارِ  
 في مثل شفره <sup>(٤)</sup> . الجنةُ مجتناة من قُرْبِه ، وماء الجمالِ يترقُّ في خدَّه ، ومحاسنُ  
 الربيع بين سَحْرِهِ ونَحْرِهِ ، والقمرُ فضلةٌ من حُسْنِه . ماهو إلا خالٌ في خدَّ الظرفِ ،  
 وطِرازٌ على علم الحسنِ ، ووُرْدَةٌ في غُصْنِ الدهرِ ، ونقشٌ على خاتم الملكِ ، وشمسٌ  
 في فلك اللطف . هو قمرٌ في التصويرِ ، شمسٌ في التأثيرِ . منظرٌ يملأُ العيونَ ، ويملكُ  
 النفوسَ ، زرافينُ أصداغه <sup>(٥)</sup> معاليق القلوب . كأنَّ صُدْغَه قرط من المسك على عارضِ  
 البدر . وجهه عرس ، وصدغه مأتم ، ووصله جنة ، وهجره جهنم . أصداغه قد اتخذت  
 شَكْلَ العقاربِ ، وظلمت طُلُمُ الأقارب . إن كان عقرب صُدْغَه تلسع ، فترياق  
 ريقه ينفع . كأن شاربَه زئبِرُ الخَزِّ الأخضرِ ، وعذاره طرازُ المسك والعنبرِ  
 [الأذفر] ، على الوردِ الأحمر . إذا تكلم تكشَّفَ حِجَابُ الزمرد والعقيق ،

(١) الشَّكْلُ : الدلال (م) . (٢) في نسخة «وتجنو مع رِقَمها على ما يظهروه» (م) .

(٣) المزن : المطر (م) . (٤) ليل السرار : آخر ليالى الشهر العربى (م) .

(٥) الزرافين : جمع زرفين ، وهو الحلقة ، أو خاص بحلقة الباب ، ويقولون

« زرفن صدغيه » أى جعلهما على شكل الزرفين (م) .



عن سِمْطِ الدَّرِّ الأَنِيقِ . قَدِ هَمَّ أَرْقُمُ الشَّعْرِ عَلَى شَارِبِهِ ، وَكَادَ فَمُ الْحُسْنِ يَقْبِلُهُ .  
كَأَنَّ الْعَذَارَ بْنَقَشِ فَصٍّ وَجْهِهِ ، وَيَحْرِقُ فَضَّةُ خَدَّهُ . طَرَّزَ الْجَمَالُ دِيْبَاجَ وَجْهِهِ ،  
وَأَبَانَ عِذَارُهُ الْعَذَرَ فِي حُبِّهِ . [ لعب الرِّبِيعُ بِخَدِّهِ ، فَأَنْبَتَ الْبَنْفَسَجَ فِي وَرْدِهِ .  
لَمَّا احْتَرَقَتْ فَضَّةُ خَدِّهِ ، احْتَرَقَ سَوَادُ الْقَلْبِ مِنْ حُبِّهِ ] .

كيف لا يَخْضِرُ شَارِبُهُ وَمِيَاهُ الْحُسْنِ تَسْقِيهِ

ولهم في تقيض ذلك ، في ذم خروج اللحية

قَدْ انْتَقَبَ بِالْدِيِّجُورِ ، بَعْدَ النَّوْزِ ؛ فَدَوَّلَتْهُ حُسْنُهُ قَدْ أَعْرَضَتْ أَيَّامُهُ ، وَانْقَرَضَتْ  
دَوَلَّتُهُ وَأَحْكَامُهُ . اسْتَحَالَ خَدُّهُ دُجَا ، وَزَمَرْدُ خَدِّهِ سُبُجَا<sup>(١)</sup> ؛ وَأَخَذَتْ نَارُ حُسْنِهِ  
بَعْدَ الْإِقَادِ ، وَلَبَسَ عَارِضُهُ ثَوْبَ الْحِدَادِ . ذُبُلَ وَرْدُ خَدِّهِ ، وَتَشَوَّكَ زَعْفَرَانُ  
خَطِّهِ . فَارْقَنَا خَشْفًا ، وَوَأَفَانَا جِلْفًا ، وَفَارَقْنَا هَلَالًا وَغَزَا لَا ، وَعَادَ وَبَالًا وَنَسْكَالًا .  
مَالِي أَرَى الْآبَاطَ جَائِشَةً ؛ وَالْأَنَافَ مُعْشِبَةً ، وَالْعَيُونَ مَنْوَرَةً ، وَالْأَزْرَارَ مَرْعَى ،  
وَالْأُظْفَارَ حَمَى ، وَاللَّحَى لِبُودَا ، وَالْأَسْنَانَ خُضْرًا وَسُودَا .

من رسائل البديع ومقاماته

من رسالة  
لمن طلب  
وداده

وكتب إلى بديع الزمان بعض من عُزِلَ عن ولاية حسنة يستمدُّ وداده ويستميل  
فؤاده ؛ فَوَجِبَ بِمَنْسُخَتِهِ : وَرَدَتْ رَقْعَتُكَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ فَأَعَرْتُهَا طَرَفَ التَّعَزُّزِ  
وَمَدَدَتْ إِلَيْهَا يَدَ التَّقَرُّزِ ، وَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ذَيْلَ التَّحَرُّزِ ، فَلَمْ تَنْدَ عَلَى كَيْدِي ، وَلَمْ  
تَحْطَ بِنَظَرِي وَيَدِي : وَلَقَدْ خَطَبْتَ مِنْ مَوَدَّتِي مَا لَمْ أَجِدْكِ لَهَا كَفِيًّا ، وَطَلَبْتَ  
مِنْ عِشْرَتِي مَا لَمْ أَرَكْ لَهَا رَاضِيًّا ؛ وَقُلْتُ : هَذَا الَّذِي رَفَعَ عَنَّا أَجْفَانِ

(١) في نسخة «وزمرد خطه سبجا» والخط من قولهم «خط الغلام» إذا نبت  
عذاره ، والسبج : جمع سبجة أو سبيجة ، وهي كساء أسود ، والمراد أن شعر  
عارضيه قد نبت (م) .

طَرَفَه ، وشال بشعرات أنفه ، وتاه بحُسنِ قَدِّه ، وزهاً بورَدِ خَدِّه ، ولم يَسْقِنَا من نَوْنِه ، ولم نَسِرْ بضوئه ؛ فالآنَ إذْ نسخ الدهرُ آيَةَ حُسْنِه ، وأقام مائل غُصْنِه ، وفلَّلَ غَرْبَ عُجْبِه<sup>(١)</sup> ، وكفَّ شأوَ زَهْوِه ، وانتصر لنا منه بشعرات قد كسفت هِلَالَه ، وأكسفتْ بَالَه ، ومسختْ جمالَه ، وغَيَّرَتْ حالَه ، وكدَرَتْ شِرْعَتَه<sup>(٢)</sup> ، ونُكِرَتْ طَلْعَتَه ، جاء يستقى من جرفنا جَرَفَا ، ويغرف من طينتنا غَرَفَا ، فهلا يا أبا الفضل مهلا :

أُرِغِبْتَ فِينَا إِذْ عَلَا لَكَ الشَّعْرُ فِي خَدِّ قَحِيلٍ  
وخرجتَ من حدِّ الظُّبَا ۖ وصِرتَ في حدِّ الإِبِلِ  
أُنْشَأَتْ تَطْلُبُ عِشْرَتِي عُدٌّ لِلْعَادَاةِ يَاجُجِلِ  
أُنْسِيتَ أَيَامَكَ ؛ إِذْ تَكَلَّمْنَا نَزْرًا<sup>(٣)</sup> ، وَتَنْظَرْنَا شَزْرًا<sup>(٤)</sup> ، وَتَجَالِسُ مَنْ  
حَضَرَ ، وَنَسْرِقُ إِلَيْكَ النِّظَرَ ، وَنَهْتَزُ لِكَلَامِكَ ، وَنَهْشُ لِسْلَامِكَ :  
فَمَنْ لَكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَنْظَرُ  
أَيَّامَ كُنْتُ تَمَائِلُ ، وَالْأَعْضَاءُ تَنْزَائِلُ ، وَتَنْفَاجُ ، وَالْأَجْسَادُ تَنْفَاجُ ، وَتَنْفَلَّتْ ،  
وَالْأَكْبَادُ تَنْفَلَّتْ ، وَتَحْطُرُ وَتَرْفُلُ ، وَالْوَجْدُ بِنَا يَمَلُو وَيَسْفِلُ ، وَتُدْبِرُ وَتُقْبِلُ ،  
فَتَمْنَى وَتُجْبِلُ ، [ وَتَصْدُ ] وَتُعْرِضُ ، فَتَضْنَى وَتَعْمُرُ :

وَتَبْسَمُ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مَنْوَرَا تَحُلُّلُ حَرِّ الرَّمْلِ دَعَصُ لَهُ نَد  
فَأَقْصِرِ الْآنَ فَإِنَّهُ سَوْقٌ كَسَدٌ ، وَمَتَاعٌ قَسَدٌ ، وَدَوْلَةٌ أَعْرَضَتْ ، وَأَيَّامٌ  
انْقَضَتْ :

وَعَهْدُ نِفَاقٍ مَضَى وَسَوْقٌ كَسَادٍ تَزَلُ  
وَحَدٌّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَحَظٌّ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ

- (١) فلل: كسر، والغرب: الحد . وفي نسخة «وفنا غرب عجي» وفنا: سكن (م).  
(٢) الشرعة بالكسر - موضع ورود الماء ، وتكديرها: تصير ما فيها كدرا (م).  
(٣) النز: القليل (م) . (٤) الشزر: النظر من ناحية شأن المتكبرين (م) .

ويوم صارأمس ، وحسرة بقيت في النفس ، وثغر غاض ماؤه فلا يرشف ،  
 وريق خدع فلا يذشف ، وتمايل لا يعجب ، وتئن لا يطرب ، [ ووجه زال  
 سهاؤه ] ، ومثلة لا تجرح الحاظها ، وشفة لا تفتن ألقاها ، فختام تدل ، وإلام  
 نحتمل وعلام ؟ وأن أن تذعن الآن ، وقد بلغني ما أنت متعاطيه من تمويه  
 يجوز بعد العشاء في الفسق ، وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر والصدق ؛ من  
 إفنائك لتلك الشعرات جفا وحصا ، وإنمائك عليها نقصا وقصا . وسيكزيها الدهر  
 مؤونة الإنكار عليك ، بما يرف من نبات الشعر وأمهاته إليك ؛ فأما ما استأذنت فيه  
 رأي من الاختلاف إلى مجلسي فما أقل إليك نشاطي ، وأضيق عنك بساطي ،  
 وأشنع قلقي منك ، وأشد استغنائى عن حضورك ، فإن حضرت فأنت دالة  
 نروض عليه الحلم ، وتعلم به الصبر ، وتكلف فيه الاحتمال ، ونقضى منه الجفن  
 على قذى ، ونطوى منه الصدر على أذى ، ونجعله للقلوب تأنيبا ، وللعيون تأديبا .  
 ومالك إلا أن تعترض من الرغبة عنا رغبة فينا . ومن ذلك التدلل علينا تذلا  
 لنا ، ومن ذلك التعالي تبصبا ، ومن ذلك التعالي ترخضا ، وما بال الدهر  
 أعقبك من التزايد تنقضا<sup>(١)</sup> ، ومن التسحب على الإخوان تقمضا ، ولئن اعتضت  
 من الذهب رجوعا ، لقد اعتضنا من النزاع زروعا<sup>(٢)</sup> ، فانا برحلك وجانبك ،  
 ملقى حبلك على غاربك ، لا أوثر قرربك ، ولا أندّه سيربك ، والسلام .

المقامة الأسدية  
 من إنشاء  
 البديع

ومن إنشاء بديع الزمان في مقامات الإسكندري ولعل ما فيها من الطول  
 غير مملول . قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : كان يبلغني من مقامات الإسكندري  
 ما يُعْضِي له النفور ، ويَذْتَقِصُ له المصفور ، ويُروى لي من شعره ما يَمْتَرِجُ  
 بأجزاء الهواء رقة ، ويَغْمُضُ عن أوهام الكهنة دقة ، وأنا أسأل الله بقاءه ،

(١) يقولون «بصبص الكلب بذنبه» إذا حركه يتعلق به صاحبه (م) .

(٢) نزع النفس إلى كذا نزاعا : اشتاقتها ، ونزعت عنه روعا :

حتى أَرْزَقَ لقاءه، وأَتَعَجَّبَ من قعودِ هِمَّتِهِ بِحالتهِ ، مع حُسْنِ آلتِهِ ، وقد ضربَ الدهرُ شؤونه أَسَدَاداً<sup>(١)</sup> وهَلَمْ جِراً . إلى أَنْ انْتَفَقَتْ لِي حَاجَةٌ بِمَحْمَصٍ ، فَشَحَذْتُ إِلَيْهَا الْحِرْصَ ، فِي صُحْبَةِ أَفْرَادِ كَنُجُومِ اللَّيْلِ ، أَخْلَاسَ<sup>(٢)</sup> لظهورِ الخليلِ ، فَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَذْتَهَبُ مَسَافَتَهُ ، وَنَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ ، وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ الدَّجَادِ<sup>(٣)</sup> بِتِلْكَ الْجِيَادِ ، حَتَّى صِرْنَا كَالْعِصَى ، وَرَجَعْنَا كَالْقِصَى ، وَتَاحَ لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ، ذِي آلَاءٍ وَأَثَلٍ ، كَالْعَذَارَى يُسَرِّحُنَ الضَّفَائِرَ ، وَيَنْشُرُنَ الْغَدَائِرَ ، فَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا ، فَتَزَلْنَا نُغَوِّرُ وَنُغَوِّرُ ، وَرَبَطْنَا الْأَفْرَاسَ بِالْأَمْرَاسِ ، وَمَلْنَا مَعَ النَّعَاسِ ، فَمَارَعْنَا إِلَّا صَهِيلَ الْخِيُولِ ، وَنَفَرْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنِيهِ ، وَطَمَحَ بَعِينِيهِ ، يَجْذُو قُوَى الْجَبَلِ بِمَشَافِرِهِ ، وَيَخْذُ خَدَّ الْأَرْضِ بِمُخَافِرِهِ ، ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الْخِيلُ ، فَأَرْسَلَتِ الْأَبْوَالُ ، وَقَطَعَتِ الْحَبَالُ ، وَصَارَ كُلُّ مَنَا إِلَى سِلَاحِهِ ، فَإِذَا الْأَسَدُ فِي فَرْوَةِ الْمَوْتِ ، قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ ، مُنْتَفِعِجاً فِي إِهَابِهِ ، كَاشِراً عَنْ أَنْيَابِهِ ، بِطَرْفٍ قَدْ مَلَأَ صَلَفًا ، وَأَنْفٌ قَدْ حَشَى أَنْفًا . وَصَدَرَ لَا يَبْرَحُ الْقَلْبُ ، وَلَا يَسْكُنُهُ الرَّعْبُ ، فَقَلْنَا: خُطْبُ وَاللَّهِ مَلَمٌ ، وَحَادِثٌ مَهْمٌ ، وَتَبَادَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ سَرَّعَانِ الرُّفْقَةِ فَتَى :

أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ يَمْلَأُ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدْرٌ ، وَسَيْفٍ كُلَّهُ أَثَرٌ ، فَلَمَّكَتُهُ سُورَةُ الْأَسَدِ ، فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ ، حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفِهِ ، وَتَجَاوَزَ الْأَسَدُ مَضْرَعَهُ ، إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَدَعَا الْحَيْنُ أَخَاهُ ، إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاهُ ، فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَعَقَلَ الرَّعْبُ يَدَيْهِ ، فَأَخَذَ أَرْضَهُ وَافْتَرَسَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ ، وَلَكِنْ شَغَلَتْ بَعَامَتِي فِهِ ، حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ ، وَقَامَ الْفَتَى فَوْجاً بَطْنُهُ حَتَّى هَلَكَ مِنْ خَوْفِهِ ، وَالْأَسَدُ بِالْوَجَاءِ فِي جَوْفِهِ ، وَنَهَضْنَا

(١) فِي الْمَقَامَاتِ «ضَرَبَ الدِّهْمُ شُؤْنَهُ ، بِأَسْدَادٍ دُونَهُ» (م)

(٢) أَحْلَاسَ لظُهُورِ الْخَيْلِ : يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَلْزَمُونَ ظُهُورَهَا ، كَنَايَةً عَنْ شَجَاعَتِهِمْ

وَفَرُوسِيَّتِهِمْ (م) (٣) النِّجَادُ : جَمْعُ نَجْدٍ ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، مُضَادٌّ لِلسَّهْلِ (م)

على أثر الخيل ، فتألفنا منها ما ثبت ، وتركنا ما أفلت ، وعدنا إلى الرفيق  
لنجهزه .

فلما حثونا التراب فوق رفيقنا جزعنا ولكن أى ساعة يجزع  
وعدنا إلى القلاة ، فهبطنا أرضها ، وسرنا حتى إذا ضمرت المزاد ، ونفد  
الزاد ، أو كاد يدركه النفاذ ، ولم تملك الذهاب ولا الرجوع ، وخفنا القتالين  
الظما والجوع ، عن لنا فارس فصمدا صمده ، وقصدنا قصده ، ولما بلغنا نزل  
عن حاذ فرسه ينقش الأرض بشفتيه ، ويلقى التراب بيديه ، وعمدنى من بين  
الجماعة ، فقبل ركابى ، وتحرم بئابى ، ونظرت فإذا وجه يبرق برق العارض  
المتهلل ، وفرس متى ما ترق الدين فيه تسهل ، وعارض قد اخضر ، وشارب قد  
طر ، وساعد ملآن ، وقضيب ريآن ، ونجار تركى ، وزى ملكى ، فقلت :  
ما جاء بك ؟ لا أهلك ! فقال : أنا عبد بعض الملوك ، هم من قتلى بهمهم ، فهمت  
على وجهى إلى حيث ترانى ، وشهدت شواهد حاله ، على صدق مقالته ،  
ثم قال : أنا اليوم عبدك ، ومالى مالك ، فقلت : بشرى لك وبك ، أذاك  
سيرك إلى فناء رَحْب ، وعيش رَطْب ، وهنأتى الجماعة ، بحسب الاستطاعة ،  
وجعل ينظر ففتقلنا الحاظه ، وينطق ففتقلنا ألقاظه ، والنفس تناجينى فيه بالمحظور ،  
والشيطان من وراء الغرور ، فقال : ياسادة ، إن فى سفح هذا الجبل عيناً ، وقد  
ركبت فلاة عوراء<sup>(١)</sup> ، فخذوا من هنالك الماء ، فلوينا الأعنة إلى حيث أشار ، وبلغناه  
وقد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادب العيدان<sup>(٢)</sup> ، فقال : ألا تقيلون  
فى هذا الظل الرَحْب ، على هذا الماء العذب ؟ فقلنا : أنت وذاك ، فنزل عن فرسه ،  
ونحى منطقته ، وحل قرطقه<sup>(٣)</sup> ، فلما استترعنا إلا بغلالة [ تتم ] على بدنه ،

(١) فلاة عوراء : صحراء ليس بها ماء (م) .

(٢) ركبت الجنادب العيدان : كناية عن اشتداد الحر (م)

(٣) القرطق : ضرب من الكساء (م)

فما شككنا أنه خاسم الولدان ، ففارق الجنان ، وهرب من رضوان ،  
وعمد إلى السروج لخطها ، وإلى الأفراس فحشها<sup>(١)</sup> ، وإلى الأمكنة ففرشها ، وقد  
حارت البصائر فيه ، ووقعت الأبصار عليه ، وودت كل مناشباً ، وخنث اللفظ  
ملقاً . وقلت : يا فتى ، ما أطفك في الخدمة ! وأحسنك في الجملة ! فالويل لمن  
فارقته ، وطوبى لمن رافقته ، فكيف نشكر الله على النعمة بك ؟ ! فقال :  
ما سئرونه أكثر ، أتعجبكم خفتي في الخدمة ، فكيف لو رأيتموني في الرقعة ؟  
أريكم من حذق طرفا ، لتزدادوا بي شغفاً ؟ قلنا : هاتِ ، فعمد إلى قوس  
[ أحدينا ] فأوتره ؛ وفوق سهماً فرماه في السماء ، وأتبعه بآخر فشقه في الهواء ،  
وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسى فعلاه ،  
ورمى أحدينا بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيره من ظهره ، فقلت : ويحك !  
ما تصنع ؟ قال : اسكت يالأسع ، والله ليشدن كل منكم يد رفيقه ، أو لأغصنه  
بريقه ، فلم نذر ما نصنع ، وأفراسنا مربوطة ، وسرؤوجنا محطوطة ،  
وأسلحتنا بعيدة ، وهو راكب ونحن رجالة ، والقوس في يده يرشق بها  
الظهور ، ويمشق بها<sup>(٢)</sup> البطون والصدور ، وحين رأينا منه الجِدَّ ، أخذنا<sup>(٣)</sup> القِدَّ ،  
فشد بعضنا بعضاً ، وبقيت وحدى لأجد من يشدني ، فقال : اخرج ياهابك<sup>(٤)</sup> ،  
عن ثيابك ، ثم نزل عن فرسه ، وجعل يصفع الواحد منا بعد الآخر ، ويقول :  
أمت قضيبك ، فخذ نصيبك ، [ ونزع ثيابه ] وصار إلى وعلى خفان جديدان  
وقال : اخلمهما لا أم لك ، فقلت : هذا خف لبسته رطباً ، فليس يمكنني خلعه  
فقال : على نزع ، ثم دنا لينزع الخلف ، ومددت يدي إلى سكين فيه

(١) حشها : قدم لها الحشيش (م) (٢) يمشق : يضرب في سرعة (م) .

(٣) القد - بكسر القاف - السير من جلد يربط به الأسير (م) .

(٤) الإهاب : الجلد (م) .

وهو مشغول ، فَأُثْبِتَتْهُ فِي بَطْنِهِ ، وَأَبْنَتْهُ مِنْ مَتْنِهِ <sup>(١)</sup> . فَمَازَا عَلَى فَمٍ فَفَرَّهَ <sup>(٢)</sup> ، وَأَلْقَمَهُ حَجَرَهُ ، وَقُمْتُ إِلَى أَحْمَابِي فَخَلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ ، وَتَوَرَّعْنَا سَابَ الْمَقْتُولَيْنِ ، وَأَدْرَكْنَا الرَفِيقَ ، وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ ، وَصَارَ إِلَى رَمْسِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَصِرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ فَوْرَدْنَا خِمَصَ بَعْدَ لَيْالٍ ، فَلَمَّا أَتَيْنَا إِلَى فَرْضَةٍ مِنْ سُوْقِهَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ابْنِ وَبُنْيَةٍ ، بِحِرَابٍ وَعَصِيَّةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ حَسَا      فِي جِرَابِي مَسْكَارِمَهُ  
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ رَتَّى      لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهُ  
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ      وَهِيَ لَا شَكَّ خَادِمَهُ

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْإِسْكَانْدَرِيُّ لِذِي سَمِعْتُ بِهِ وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ هُوَ ، فَدَلَّعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَاتَ لَهُ : أَحْكَمْكَ حَكَمَكَ ، فَقَالَ :  
دِرْهَمٌ ، فَقُلْتُ :

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ      مَا دَامَ يُسْعِدُنِي النَّفْسُ  
فَاخْشَبْ حِسَابَكَ وَالتَّمَسْ      كَيْمَا تَنَالَ الْمَلْتَمَسْ

لَكَ دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ ، وَفِي ثَلَاثَةٍ ، وَفِي أَرْبَعَةٍ ، فِي خَمْسَةٍ حَتَّى بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، ثُمَّ قُلْتُ : كَمْ مَعَكَ ؟ قَالَ : عِشْرُونَ رَغِيْفًا ، فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا ، وَقُلْتُ : لَا نَصْرَةَ مَعَ الْخِلْدَلَانِ ، وَلَا حِيلَةَ مَعَ الْحِرْمَانِ .

وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْهَمْدَانِيُّ .

لأبي فراس  
الهمداني يتغزل

سَكِرْتُ مِنْ لِحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ      وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلُهُ  
وَمَا السَّلَافُ دَهَنَتْنِي بِلِ سَوَالِفِهِ      وَلَا السَّمُولُ دَهَنَتْنِي بِلِ شَمَائِلِهِ  
أَلْوَى بِصَبْرِي أَضْدَاغُ لَوَيْنَ لَهُ      وَغَالِ عَقْلِي <sup>(٤)</sup> مَا تَحْوِي غَلَائِلُهُ

(١) أَبْنَتْهُ : أَظْهَرَتْهُ ، وَأَرَادَ أَنْفَذَهُ ، وَمَتْنُهُ : ظَهَرَهُ (م) .

(٢) فَمَازَا : فَتَحَهُ (م) . (٣) رَمْسُهُ : قَبْرُهُ (م) .

(٤) أَلْوَى : ذَهَبَ بِهِ ، وَغَالِ عَقْلِي : أَضَاعَهُ وَأَهْلَكَهُ (م) .

لابن المعتز  
في الغزل

وقال ابن المعتز ، وقد تقدّم عنه في هذه الألفاظ :

ويوم فاختي الدّجن مُرّخ عَزَّالِيَهُ سَهْلِيْ وانهمال<sup>(١)</sup>  
أَبَحْتُ سرورَه وظلات فيه برغم العاذلات رَحِيَّ بَالِ  
وساقٍ يجعلُ المنديل منه مكان حائلِ السيفِ الطوالِ  
غلالة خَدَه صَبَغَتْ بوزْدٍ ونون الضّدغ مُعْجَمَةٌ بِخَالِ  
بدا والصبحُ تحت الليل بادٍ كَطَرْفِ أبلقٍ مرخى الجلالِ  
بكأسٍ من زجاج فيه أسدٌ فرائسهن ألبابُ الرجالِ  
أقولُ وقد أخذت الكأس منه وقتك السوء ربّاتُ الحجالِ  
وقد أحسنَ ما شاء في قوله : \* فرائسهن ألبابُ الرجالِ \* وإن كان أصل  
المعنى لأبي نواس في ذكر تصاوير الكأس .

لأبي نواس  
في وصف يوم  
شرب

قال الصولي : مرّ أبو نواس بالمدائن فعدل إلى ساباط<sup>(٢)</sup> ، فقال بعضُ أصحابه :  
ندخل إيوان كسرى ؛ فرأينا آثاراً في مكان حسن تدلُّ على اجتماع كان لقوم  
قبلنا ، فأقننا خمسة أيام نشربُ هناك ، وسألنا أبا نواس صِفَةَ الحالِ ، فقال :  
ودارٍ ندأى عَطَلُوهَا وأدْلَجُوا بها أثرٌ منهم جَدِيدٌ ودارِسُ  
مَسَاحِبٍ من جَرِّ الزَّفَاقِ على التَّرى وَأَضْفَاثُ رِنْحَانٍ جَنِيٍّ وَيَاسِ  
ولم أرَ منهم غيرَ ما شهدتُ بِهِ بشرقى ساباطَ الديارِ البَسَاسِ  
حَبَسْتُ بها صَخْبِي فُجِعْتُ شَمْلَهُمْ وإني على أمثال تلك الخائِسِ  
أَقْمَنَّا بها يوماً ويوماً وثلاثاً ويومٌ له يومُ الترحُّلِ خَامِسُ  
تُدَارُ علينا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بأنواعِ التّصاوِيرِ فَارِسُ

(١) فاختي : منسوب إلى الفاخنة ، واحدة الفواخت ، وهي من ذوات الأطواق من  
الحمام يشبه لونها ضوء القمر ، والدجن - بالفتح - الغيم ، وهو المطر الكثير ، وفي  
نسخة « فاحمي الدجن » والعرالي : جمع عزلاء ، وأصلها مصب الماء من الراوية .  
ويقال : « أرخت السماء عزاليها » إذا أريد الكناية عن اشتداد المطر ( م ) .  
(٢) ساباط : موضع بمدائن كسرى ( م ) .



قَرَارُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَبَاتِهَا مَهْيٌ تَدْرِيبُهَا بِالْقِسْيِ الْفَوَارِسُ<sup>(١)</sup>  
 فَلِلرَّاحِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ  
 وقال علي بن العباس النوبختي : قال لي البحتري : أنتدري من أين أخذ  
 الحسن قوله : \* ولم أرَ منهم غير ما شهدت به \* ؟ . . البيت - فقلت : لا ،  
 قال : من قول أبي خراش :

ولم أدر من ألقى عليه رِداءهُ سوى أنه قد سُلَّ عن ماجِدٍ يحضُ  
 فقلت : المعنى مختلف ، فقال : أما ترى حَدُّو الكلامِ واحدًا ، وإن  
 اختلف المعنى ؟ !

قال الجاحظ : نظرنا في الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعاني تُقلَّب ويؤخذ  
 بعضها من بعض ، غير قول عَنترَةَ في الأوائل :

وخلَا الذبابُ بها يُغْنِي وَحْدَهُ غَرْدًا كِفْعَلِ الشاربِ المُرْتَمِ  
 هَزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزنادِ الْأَجْدَمِ  
 وقول أبي نواس في المحدثين :

قَرَارُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَبَاتِهَا مَهْيٌ تَدْرِيبُهَا بِالْقِسْيِ الْفَوَارِسُ  
 فَلِلرَّاحِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ  
 أخذه أبو العباس الناشيء فقال وولد معنى زائداً :

وَمُدَامَةٍ لَا يَبْتَغِي مِنْ رَبِّهِ أَحَدٌ حَبَاهُ بِهَا لَدَيْهِ مَزِيدًا  
 فِي كَأْسِهَا صُورٌ تُظَنُّ لِحُسْنِهَا عُرْبًا بَرَزْنَ مِنَ الْخِيَامِ وَغِيْدًا<sup>(٢)</sup>  
 وَإِذَا الْمَزَاجُ أَثَارَهَا فَتَقَسَّمتْ ذَهَبًا وَدُرًّا مُتَوَامًا وَفَرِيدًا  
 فَكَانَ لِهِنَّ لِبْسُنَ ذَاكَ مَجَاسِدًا وَجَعَلْنَ ذَا لِنُحُورِهِنَّ عَقُودًا  
 وأبياتُ أبي خراش ، وكان خراش وعروة غزوا ثَمالة فَأَمَرُوهُمَا ، وأخذوها لأبي خراش

(١) قرارها كسرى : يريدان في قرارة الكأس صورة كسرى ، وفي جوانبها  
 صور مهى ، وتدريبها : تخطئها ، والقسي : جمع قوس ، والفوارس : جمع فارس (م) .  
 (٢) عرب : جمع عربوب - بفتح أوله كصبور - وهي المرأة المتحبة إلى زوجها (م) .

وهموا بقتلها ، فنهاهم بنو رزام ، وأبى بنو هلال إلا قتلها ، وأقبل رجل من بني رزام فالتقى على حراش رداءه ، وشغل القوم بقتل عروة ، وقال الرجل لحراش : انجى ، فنجأ إلى أبيه ، فأخبره الخبر ، ولا تعرف العرب رجلاً مدح من لا يعرفه غيره :

حَدَّثُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا      خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ  
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزْنَتُهُ      بِجَابِ قَوْمِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
بَلَى إِنَّهَا تَغْفُو الْكَلُومَ ، وَإِنَّمَا      نُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي <sup>(١)</sup>  
وَلَمْ أَذَرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ      سَوَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَخْضٍ  
وَلَمْ يَكْ مِثْلُوجَ الْفُؤَادِ مَهْبِجًا      أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرِّيَالَةِ وَالْخَفْضِ <sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحْتَهُ نَحَامِصَ      عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ  
كَأَنَّهُمْ يَشْتَبُونَ بِطَائِرٍ      خَفِيفِ الْمَشَاسِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضٍ  
يُبَادِرُ فَوْتَ اللَّيْلِ نَهْوً مُهَابِدٌ      يَمُتُ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ وَالْقَبْضِ

الريالة : الخفض والدعة ، والمهابد : المجتهد في العدو والطيران .

وقال أبو خراش يرى أخاه عروة :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَا هِيَا      وَذَلِكَ رُزْنٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ  
فَلَا تَحْسَبْنِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ      وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أَمِيمَ جَمِيلُ  
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي قَدْ تَفَرَّقْتُ قَبْلُنَا      خَلِيلًا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلُ  
وَأَنِّي إِذَا مَا الصَّبْحُ أُنْسَيْتُ ضَوْءَهُ      يَعَاوِدُنِي قِطْعٌ عَلَى ثَقِيلُ  
[أَبَى الصَّبْرَ أَنِّي لَا أَرَا لِي يَهْجُنِي      مَيِّتٌ لَنَا فِيمَا مَضَى وَمَقِيلُ]

مالك وعقيل اللذان ذكرهما نديما جذيمة الأبرش ، وكانا أتياه بأبن أخته عمرو ،

أبو خراش  
يرى أخاه  
عروة

(١) حفظي « على أنها تغفو الكلوم » (م) .

(٢) مهيجاً : ثقيلاً ، والريالة : كثرة اللحم ، يريد لم يكن متشاقلاً إذا دعى

ولم يضيع أيامه في اكتساب اللحم والشحم (م) .

وكان قد استهوته الجنّ، فتأها فتمنّيا مُنادمته ، وهما اللذان عني متمّ  
ابن نُويَرةَ في مرثية أخيه مالك :

وكنّا كندمائي جَذِيمةَ حِقْبَةٍ من الدهرِ حتى قيل لن يتصدّعا  
فلما تفرّقنا كآني ومالكا لطولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا  
وقول عنّرة في وصفِ الذبابِ أوحد فرد ، ويتم فذّ ، وقد تعلّق ابن الرومي  
بذيله وزاد معني آخر في قوله :

إذا رنقت شمسُ الأصيلِ ونفّضتْ على الأفقِ الغربي وَرْساً مُرْغَزَعاً<sup>(١)</sup> لابن الرومي  
ولاحظتِ الثَّوارَ وهي مريضةٌ وقد وضعتْ خدّاً على الأرضِ أضرّعا  
كما لاحظت عَوَادَها عَيْنُ مُدَنَفٍ توجّع من أوصابه مانوجعاً<sup>(٢)</sup>  
وبين إغضاء الفراقِ عليهما كأنهما خِلّاً صَفاه تودّعا  
وقد ضربتْ في خُضرةِ الرّوضِ صُفْرةٌ من الشمسِ فاخضرّ اخضرّاً مشفّشعاً  
وظلّتْ عيونُ النّورِ تخضّلُ بالندى كما اغرورقتْ عَيْنُ الشّجِيّ لتندمعا  
وأذكي سيمِ الرّوضِ ريعانُ ظلّه وغنى مُعْنَى الطيرِ فيه مُرجعاً  
وغرّد ربي الذبابِ خِلاله كما حَمَحَتِ النّشْوان صَنْجاً مشرعاً  
فكانت أرايين الذبابِ هناكم على شدّواتِ الطيرِ ضرباً موقعا

وذكر أبو نواس معني قوله في تصاوير الكثوس في مواضع من شعره فن ذلك :  
بنينا على كسرى سماءَ مُدَامَةٍ مكلّلةً حافاتها بنجوم  
فلو رُدّ في كسرى بن ساسان رُوحه إذا لا صُظفاني دون كلّ نديم  
[ وصف الدمن والأطلال ]

وأول هذا الشعر :

لِمَنْ دِمْنٌ تَزْدَادُ طَيْبَ نَسِيمٍ على طولِ ما أَقَوْتُ وَحُسْنَ رُسُومٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الورس - بالفتح - نبت ذو نور أصفر يصنع به (م) .

(٢) المدنف : المريض (م) .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الديار ، وأقوت : أقفرت (م) .

تَجَافَى الْبَلَى عَنْهُمْ حَتَّى كَانَمَا . لِبَسْنِ عَلَى الْإِقْوَاءِ ثَوْبَ نَعِيمٍ  
وهذا معنى مليح وإن أخذه من قول أعرابي :

شَطَّتْ بِهِمْ عَنْكَ نِيَّةٌ قَذُفٌ غَادَرَتِ الشَّعْبَ غَيْرَ مُلْتَمِسٍ<sup>(١)</sup>  
وَاسْتَوْدَعَتْ سِرَّهَا الدِّيَارَ فَمَا تَزْدَادُ طَيْبًا إِلَّا عَلَى الْقَدَمِ

لابن وهيب

وهذا ضِدٌّ قول محمد بن وهيب :  
طَلَّلَانَ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمَدُ دَرَسَا فَلَا عِلْمٌ وَلَا قَصْدُ  
لَبَسَا الْبَلَى فَكَأَنَّمَا وَجَبَدَا بعد الأحيّة مثل ما وَجَدُوا  
وقال الأخطل :

للأخطل

لَأَسْمَاءَ مُحْتَلٌّ بِنَازِرَةِ الْبَشَرِ قَدِيمٌ وَلَمَّا يَعْفُهُ سَالِفُ الدَّهْرِ  
يَكَادُ مِنَ الْعِرْفَانِ يَضْحَكُ رَشْمُهُ وَكَمْ مِنْ لِيَالٍ لِلدِّيَارِ وَمِنْ شَهْرِ  
هذا أيضاً كقول أبي صخر الهذلي :

لأبي صخر

لَلْبَلَى بَذَاتِ الْجَيْشِ دَارٌ عَرَفْتُهَا وَأُخْرَى بَذَاتِ التَّيْنِ آيَاتُهَا سَطُرٌ  
كَأَنَّهُمَا مِ الْآنَ لَمْ يَتَغَيَّرَا وَقَدْ مَرَّ لِلدَّارِينَ مِنْ بَعْدِنَا عَصْرٌ<sup>(٢)</sup>  
وقد قال مُزَاهِمُ الْقَيْلَى :

لمزاحم القيلي

تَرَاهَا عَلَى طُولِ الْقَوَاءِ جَدِيدَةً وَعَهْدُ الْمَغَانِي بِالْحُلُولِ قَدِيمٌ  
وَقَرَأَ الزَّيْرُبَنُ بَكَارَ أَخْبَارِ أَبِي السَّائِبِ [ الْخَزَوَمِي ] فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِ  
مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ الْفَزَارِيِّ :

بَصَكْتَ الدِّيَارُ لَفَقَدِ سَاكِنَهَا أَفَعِنْدَ قَلْبِي أُبْتَغِي الصَّبْرَا ؟  
هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

لابن وهيب

بَيْنَاهُمْ سَكْنٌ بِحَيْرَتِهِمْ ذَكَرُوا الْفِرَاقَ فَأَصْبَحُوا سَفْرَا  
فَظَلَّتْ ذَا وَلَهٍ يِعَاتِبُنِي مَنْ لَا يَرَى أَمْرِي لَهُ أَمْرَا

(١) نية قذف : بعيدة .

(٢) م الْآن : أصله « من الآن » لحذف النون للتخفيف ، ومثله قول المتنبي :

نَحْنُ قَوْمٌ مَا جُنَّ فِي زِي نَاسٍ فَوْقَ طَيْرِ لَهَا شَخُوصُ الْجَمَالِ (م) .

وإن أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا ! أما اهتدوا !  
أما قدّموا ركابا ! أما ودّعوا صديقاً ! فقال الزبير : رحم الله أبا السائب ! فكيف  
لو سمع قول العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرنّا وداعنا بالسؤال  
ما أنحنّا حتى ارتحلنا فافترقن بين النزول والإرتحال<sup>(١)</sup>

هكذا رواه الزبير بن بكار لمالك بن أسماء، ورواها غيره لأيوب بن شبيب الباهلي.

ومن ألفاظ أهل العصر، في صفة الديار الخالية

دارُ لَيْسَتْ الْبِلَى، وتمطلّت من الحلى . دار قد صارت من أهلها خالية ، بعد  
ما كانت بهم حالية . دار قد أنفد البين سكانها ، وأقعد حيطانها ، شاهد اليأس  
منها ينطق ، وحبلُ الرجاء فيها يقصر . كأن غمرانها يطوى وخرابها يُنشر ،  
أركانها قيام وقعود ، وحيطانها رگم وهُجود .

يشبه الأول من قول مالك بن أسماء قول مزاحم العقيلي .

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ قَدِيمٍ فَهَلَلَتْ دُمُوعِي ، فَأَيَّ الْجَاذِبِينَ أُلُومُ؟<sup>(٢)</sup>  
أَمَسْتَعْبِرُ يَبْكِي عَلَى الْمَوْنِ وَالْبَلَى أَمْ آخِرُ يَبْكِي شَجْوَهُ فَيَهِيمُ

للمتنبي

أبو الطيب المتنبي :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتَ أَنْتَ وَهَنْ مَنْكَ أَوَاهِلُ  
يَعْلَمَنَّ ذَاكَ ، وَمَا عَلِمْتَ ، وَإِنَّمَا أَوْلَاكُمْ يَبْكِي عَلَيْهِ الْعَاقِلُ

لعلى بن جبلة

وقال على بن جبلة ، في معنى قول العباس بن الأحنف :

زَارْتُمْ عَلَيَّ عَلَيْهِ حَسَنُهُ كَيْفَ يَخْفَى فِي اللَّيْلِ بُدْرًا طَلَمَا  
بَأْبَى مَنْ زَارَنِي مَكْتَمًا خَائِفًا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ جَزَعَا

(١) هكذا بقطع همزة « الإرتحال » - وهي همزة وصل - لضرورة إقامة

(٢) تهللت دموعي : انهلت وانصبت (م) .

الوزن (م) .

رَصَدَ الْغَفْلَةَ حَتَّى أُمَكَّنَتْ      وَرَعَى الْحَارِسَ حَتَّى هَجَعَا  
رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ      ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

وقال الحسين بن الضحاك :

للحسن  
ابن الضحاك

[ بأبي زورٍ تلفت له      فتفتت عليه الصُّعدَا (١)  
بينما أضحكُ مسروراً به      إذ تقطعت عليه كمدَا (٢)

أبو الطيب المتنبي :

للمتنبي

بأبي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا      وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتِمَاعَا  
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلَا ، فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا      كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ الْوَدَاعَا

وقال أبو الحسن جحظة : قال لي خالد الكاتب : دخلت يوماً بعض الدِّيارَات  
فإذا أنا بشابٍ موثقٍ في صِفَادِ حَسَنِ الْوَجْهِ ؛ فَسَأَلْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ :  
مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَقَالَ : صَاحِبُ الْمَقْطَعَاتِ الرِّقِيقَةِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ! فَقَالَ :  
إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفَرِّجَ عَنِّي بَعْضَ مَا تَنْشُدُنِي مِنْ شَعْرِكَ فَأَفْعَلَ ، فَأَنْشَدْتُهُ :

تَرَشُّفْتُ مِنْ شَفَتَيْهَا عَقَارًا      وَقَبَّلْتُ مِنْ خَدِّهَا جُلْنَارًا (٣)  
وَعَانَقْتُ مِنْهَا كَثِيبًا مَهِيلاً      وَغَضَّنَا رَطِيبًا وَبَدْرًا أَنَارَا  
وَأَبْصَرْتُ مِنْ نُورِهَا فِي الظَّلَامِ      لِكُلِّ مَكَانٍ بَلِيلَ نَهَارَا

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ! لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ ، ثُمَّ قَالَ : أَجِزْ لِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

رَبِّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَمَا      شِقِّ طَوْلًا قَطَعْتُهُ بِانْتِحَابِ  
وَحَدِيثِ أَلَدٍّ مِنْ نَظَرِ الْوَا      مَقِّ بَدَأْتُهُ بِسُوءِ الْعِتَابِ

فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْمَلْتَ فِكْرِي فَمَا قَدَرْتُ أَنْ أَجِيزَهَا . [ وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَازَا بِهَذَا الْبَيْتِ :

وَوَصَالَ أَقْلٍ مِنْ لَمَحَةِ الْبَا      رِقِّ عَوْضَتْ عَنْهُ طَوْلَ اجْتِنَابِ ]

(١) الزور - بالفتح - الزائر ، وأصله مصدر فوصف به ، والصعدا - بضم

الصاد وفتح العين - أصله الصعداء ممدودا فقصره ضرورة (م) .

(٢) الكمد - بالتحريك - الحزن (م) .

(٣) العقار - بوزن غراب - الحجر (م) .

## [ طول الليل ]

لابن الرومي

وقال ابن الرومي في طول الليل :

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الدَّهْرُ طَوْلًا      قَدْ تَنَاهَى فَلَيْسَ فِيهِ مَزِيدُ  
ذِي نَجُومٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ الشَّيْبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ لَكِنْ تَزِيدُ

لبشار

وهذا من أجود ما جاء في هذا المعنى ، وقد قال بشار :

لَخَدَّيْكَ مِنْ كَفِّكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ      إِلَى أَنْ تَرَى وَجْهَ الصَّبَاحِ وَيَسَادُ  
تَبَيْتُ تُرَاعَى اللَّيْلُ تَرْجُو نَفَادَهُ      وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ<sup>(١)</sup>

وقال :

خَلِيلِي مَا بَالُ الدُّجَى لَا تَرْحُحُ      وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصَّبَحِ لَا يَتَوَضَّحُ  
أَضَلَّ النَّهَارُ الْمُسْتَنْيرُ سَبِيلَهُ      أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ  
كَأَنَّ الدُّجَى زَادَتْ وَمَا زَادَتْ الدُّجَى      وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلُ هُمْ مَبْرَحُ

وقال [أيضاً] :

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ ، بَلْ طَالَ السَّهَرُ      وَلَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلِي بِالْقَصَرِ  
لَمْ يَطُلْ حَتَّى جَفَانِي شَادِنُ<sup>(٢)</sup>      نَاعِمُ الْأَطْرَافِ فَتَّانُ النَّظَرِ<sup>(٣)</sup>  
لِي فِي لَيْلِي — لِي مِنْهُ لَوْعَةٌ      مَلَكَتْ قَلْبِي وَسَمِعِي وَالْبَصَرِ  
فَكَانَ الْهَمُّ شَخْصٌ مَائِلُ<sup>(٤)</sup>      كَلِمَا أَبْصَرَهُ النَّسُومُ مَفَرُ<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كَرَّةٌ تَنْزَى      حَذَارَ الْبَيْنِ إِنْ نَفَعَ الْحَذَارُ<sup>(٦)</sup>  
يَرُوعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ      مَخَافَةٌ أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ  
[كَأَنَّ جَفُونَهُ سُمِلَتْ بِشَوْكٍ]      فَلَيْسَ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ  
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا :      أَمَّا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

(١) ترجو نفاذه : تمنى زواله . أو انتهاءه (م) .

(٢) الشادن : الظبي إذا قوى وترعرع (م) .

(٣) شخص مائل : قائم (م) . (٤) تنزى : تنب ، وأصله تنزى (م) .

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا فِيهَا قِصَارُ  
 قِيلَ لِبِشَارٍ : مِنْ أَيْنَ سَرَقْتَ قَوْلَكَ : \* يَرُوُّعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ \*  
 فَقَالَ : مِنْ قَوْلِ أَشْعَبِ الطَّمْعِ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ  
 اثْنَيْنِ يَتَسَارَتَانِ إِلَّا ظَنَنْتُهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَأْمُرَا إِلَى شَيْءٍ . وَأَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ :  
 لَا تَبْيَحْنَنَّ حُرْمَةَ السَّكْمَانِ رَاحَةَ الْمُسْتَهَامِ فِي الْإِعْلَانِ  
 قَدْ تَسَلَّزَتْ بِالسَّكُوتِ وَالْإِطْرَاقِ جَهْدِي فَمَتَّ الْعَيْنَانِ  
 تَرَكْتَنِي الْوُشَاةَ نَصَبَ الْمَشِيرَيْنِ وَأَحَدُوْنَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ  
 مَا نَرَى خَالِيَيْنِ فِي النَّاسِ إِلَّا قُلْتُ مَا يَخْلُوَانِ إِلَّا إِشَانِي  
 وَمِثْلُ قَوْلِ بِشَارٍ : \* جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ \* ... الْبَيْتِ ، قَوْلُ الْآخَرِ :  
 كَأَنَّ الْحُبَّ بِطُولِ الشَّهَادِ قَصِيرُ الْجَفْوَنِ وَلَمْ تَقْصُرْ  
 وَقَدْ تَنَاوَلَ هَذَا الْمَعْنَى الْعَتَابِيُّ [ فَأَفْسَدَهُ وَقَالَ ] :

وَفِي الْمَآخِيقِ انْقِبَاضٌ عَنْ جَفْوَنَاهُمَا وَفِي الْجَفْوَنِ عَنِ الْأَمَاقِ تَقْصِيرُ  
 وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ وَرَدُّوْا رُقَادِي فَهَوَّ لَحْظُ الْجَبَابِرِ  
 كَأَنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مَدْلِيْمَةٌ عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَابِي  
 بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْجَفْوَنِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هَذْبٍ بِحَاجِبِ

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : تَشَاجَرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمُسْلِمَةُ أَخُوهُ فِي شَعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ  
 أَيُّهُمَا أَوْصَفَ لَطُولَ اللَّيْلِ ؟ وَالنَّابِغَةُ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ ، أَيُّهُمَا أَشْعَرُ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : النَّابِغَةُ أَشْعَرُ ، وَقَالَ مُسْلِمَةُ :  
 بَلْ أَمْرُ الْقَيْسِ ، فَرَضِيَا بِالشَّعْبِيِّ ، فَأَحْضَرَاهُ ، فَأَنشَدَهُ الْوَلِيدُ :

كَلِمَتِي لَهْمٌ يَا أُمِيْمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ <sup>(١)</sup>  
 تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بَآيِبٍ <sup>(٢)</sup>

(١) كَلِمَتِي : اِتْرَكْنِي ، وَنَاصِبٌ : صَاحِبُ نَصَبٍ ، عَلَى النَّسَبِ ، وَالنَّصَبُ  
 - بِالْتَحْرِيكِ - التَّعَبُ (م) .

(٢) آيِبٌ : رَاجِعٌ ، وَالْقِيَاسُ أَنْ يَقَالَ « آئِبٌ » ، بِالْهَمْزِ ، وَلاَ كُنْهُمْ قَدْ يَخْفَوْنَ  
 الْهَمْزَةَ بِقَلْبِهَا يَاءٌ لِأَنَّ الْيَاءَ مَجَانِسُ الْكَسْرِ (م) .



وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ <sup>(١)</sup>  
 وَأَنْشَدَهُ مَسْأَلَةَ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
 وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُّوْلَهُ عَلَى بَأْنَوَاعِ الْمَمُومِ لِيَبْتَلَى  
 فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍ  
 أَلَا أَثِيهَا اللَّيْلُ الْعُلُوبِلُ أَلَا انْجَلَى بَصُيْحٌ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ  
 فَيَالِكَ مِنْ لَيْسَلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَبْدُ بِلِ  
 فَطَرِبَ الْوَلِيدَ طَرَبًا ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : بَانَتِ الْقَضِيَّةُ .

معنى قول النابغة : \* وصدر أراح الليل عازب همه \*

أنه جعل صدره مأوى للمهموم ، وجعل المهموم كالنعم السارحة الغادية ،  
 تسرحُ نهائراً ثم تأتي إلى مكانها ليلاً . وهو أول من استثار هذا المعنى ،  
 ووصف أن المهموم مترادفة بالليل لتقييد الألفاظ عما هي مطلقة فيه بالنهار ،  
 واشتغالها بتصرف اللفظ عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول : إن الهم  
 يخف عليه في وقت من الأوقات فقال : وما الإصباح منك بأمثل .

للطرماع

وقال الطرماع بن حكيم الطائي :

أَلَا أَثِيهَا اللَّيْلُ الَّذِي طَالَ أَصْبَحُ يَوْمٌ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحِ  
 عَلَى أَنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةً لَطَرَحَهُمَا طَرَفَيْنِهَا كُلَّ مَطَرَحِ  
 فنقل لفظ امرئ القيس ومعناه ، وزاد فيه زيادةً اغتفر له معها فحش السرقة  
 وإنما تتبّه عليه من قول النابغة ، إلا أن النابغة لوح ، وهذا صرح .

لابن بسام

وقال ابن بسام :

لَا أَظْلَمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعَى أَنْ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورُ <sup>(٢)</sup>  
 لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ ، فَإِنْ لَمْ تَزُرْ طَالَ ، وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ  
 وإنما أغار ابن بسام على قول علي بن الخليل فلم يغير إلا القافية :

(١) أراح : رد ، والعازب : البعيد ( م ) .

(٢) ليست تغور : لا تغرب ( م ) .

لعل  
ابن الخليل

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أنْ نجومَ الليلِ ليستَ تزولُ  
ليلى كما شئتَ ، قصيرُ إذا جادتْ ، وإن ضنّتْ فلَيْلى طَوِيلُ

وهذه السرقة كما قال البديعُ في التنبيه على أبي بكر الخوارزمي في بيت  
أخذ رويّه وبعض لفظه: « وإن كانت قضية القطع تجب في الربع ، فما أشد شفتي  
على جوارحه [أجمع] ؛ ولعمري إن هذه ليست سرقة ، وإنما هي مكابرة محضة ،  
وأحسب أن قائله لو سمع هذا لقال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فحسبت أن ربعة  
ابن مكدم وعُتبية بن الحارث بن شهاب كانا لا يستحلان من البيت ما استحله ،  
فإنهما كانا يأخذان جُلّه<sup>(١)</sup> ، وهذا الفاضل قد أخذ كله ، وقد أخذ على بن الخليل  
من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

لا أسألُ اللهَ تغييراً لما صنعتُ نامتُ وإن أسهرتُ عينيَ عيناها  
فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أفقدها والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها  
وابن بسام في هذا [الشعر] كما قال الشاعر :

وفتي يقول الشعر إلا أنه في كل حال يسرقُ المسروقا

ألفاظ لأهل العصر في طول الليل والسهر

وما يعرض فيه من الهموم والفسكر

ليلة من غصص الصّدر ، ونقم الدهر . ليلة هموم وغوم ، كما شاء الحسود ،  
وساء الودود . ليلة قصّ جناحها ، وضلّ صباحها . ليل ثابت الأطناب ، طامى  
الفوارب ، طامح الأمواج<sup>(٢)</sup> ، وافى الذّواب . ليل ليست لها أسحار ، وظلمات  
لا تتخللها أنوار . بات بليلة نابغة ، يراد قوله :

(١) جله - بضم الجيم وتشديد اللام - معظمه (م) .

(٢) في نسخة « طامى الأمواج » (م) .

فبت كأنني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السَّمُّ نَاقِعٌ<sup>(١)</sup>  
 [يُسَهِّدُ من ليل التمام سليماً لِحَلِي النساء في يديه قعاقع]  
 بات في الصيف بليلة شتوية . سامرته الموم ، وعانقته الغوم ، واكتحل  
 المسهاد ، وافترش القتاد<sup>(٢)</sup> ، فاكتحل<sup>(٣)</sup> بملمول السهر ، وتململ على فراش الفكر .  
 قد أقض مهاده ، وقليق وساده . هوم تفرق بين الجنب والمهاد ، وتجمع بين  
 العين والشهاد . طرف برغي النجوم مطروف ، وفراش بشعار هم ممفوف .  
 كأنه على النجوم رقيب ، وللظلام نقيب .

ولهم فيما يتصل بضد ذلك من ذكر [إقبال] الليل  
 وانتشار الظلمة، وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر الليل ، وخفقت رايات الظلام . وقد أرخى الليل علينا  
 سدوله ، وسحب الظلام فينا ذيله . توقد الشفق في ثوب النسق . أقبلت وفود  
 النجوم [وجاءت مواكب الكواكب . تفتحت أزاهير النجوم] ، وتوردت  
 حدائق الجو ، وأذكى الفلك مصايحه . قد طفت النجوم في بحر الدجى ،  
 وليس الظلام جلباباً من القار . ليلة كغراب الشباب ، وحديق الحسان ، وذوائب  
 العذارى . ليلة كأنها في لباس بني العباس<sup>(٣)</sup> ليلة كأنها في لباس النكالي ، وكأنها  
 من الغيبش في مواكب الخبش . ليلة قد حلك إهابها ، فكان البحر يهابها .

ولهم في ذكر النوم والنماس

شرب كأس النماس ، وانتشى من سحر الكرى<sup>(٤)</sup> ، قد عسكر النماس  
 بطرفه ، وخيم بين عينيه . غرق في لجة الكرى ، وتمایل في سكرة النوم .  
 قد كلح الليل الررى بالرقاد ، وشامت الأعين أجفانها في الأعناد .

(١) الرقش : جمع رقشاء، وهي الحية (م)

(٢) الفتاد - بزنة السحاب - الشوك (م) .

(٣) كان العباسيون قد اتخذوا السواد شعاراً في لباسهم وفي راياتهم وبندودهم (م) .

(٤) الكرى : النوم (م) .

وفي انتصاف الليل وتناهيه ، وانتشار النور ، وأقول النجوم

قد اكتمل الظلام . قد انتصفنا عُمرَ الليل ، واستغرقنا شبابه . قد شاب رأسُ الليل ، كاد يَنْمُ النسيمُ بالسَّحَرِ . قد انكشف غطاء الليل . انتهت<sup>(١)</sup> سُرُّ الدجى ، وسَمِطَتْ ذَوَابُّهُ ، وتقوَّسَ ظهرُهُ ، وتهدَّم عُمرُهُ . قُوِّضت خيامُ الليل ، وخلع الأُفُق ثوبَ الدُّجى . أعرض الظلامُ وتولى ، [ وتدلى ] عنقودُ الثريا طَرَرُ قِميصُ الليل بغرَّة الصبح ، وباح الصبح بِسِرِّهِ . خلع الليلُ ثيابه ، وحَدَرَ الصبحُ نَقَابَهُ . لاحت تباشيرُ الصبح ، وافترَّ الفجرُ عن نواجذه ، وضرب النورُ في الدُّجى بعموده . بَثَّ الصبحُ طلائِمه . تبرَّقَعَ الليلُ بغُرَّة الصبح . أطار بأزى الصبح غرابَ الليل<sup>(٢)</sup> ، وعزلت نوافج الليل<sup>(٣)</sup> بجامات الكافور ، وانهمز جُنْدُ الظلام عن عَسْكَرِ النور . خلعت خلة الظلام ، ولبسنا رداء الصبح ، وملأ الآذان بِرَقِّ الصبح ، وسطع الضوء ، وطلع النور ، وأشرقت الدنيا ، وأضاءت الآفاق . مالت الجوزاء للغروب ، وولت مواكبُ الكواكب ، وتناثرت عقود النجوم ، وفترت أسرابُ النجوم من حَدَقِ الأنام ، وهى نِطاقُ الجوزاء ، وانطفأ قنديلُ الثريا . قال بعضُ الأعراب : خرجنا في ليلة حِنْدِسٍ قد أُلْقَتْ على الأرض أكارِعُها ، فمَحَتْ صورة الأبدان ، فما كنّا نتعارف إلا بالآذان .

قال ابن محكان السعدي :

وليل يقول الناسُ في ظلماته      سوا صحِيحاتِ العيون وغورُها  
كَأَن لَنَا مِنْهُ يَبُوتًا حَصِينَةً      مُسُوحًا أَعَالِيهَا وَسَاجًا سَتُورُهَا<sup>(٤)</sup>  
وهذا بارع جدًا . أراد أن أعلاه أشدُّ ظلامًا من جوانبه .  
وقال أعرابي في صفته : خرجتُ حين انحدرتِ النجومُ ، وشالت أَرْجُلُهَا ،

(١) في إحدى المطبوعات « ستر الدجى هرم الليل » وليس بشئ . (م) .

(٢) في نسخة « أطار منادى الصبح غراب الليل » وليست بذلك (م) .

(٣) في نسخة « نوافج المسك » (م) .

(٤) المسوح : جمع مسح - بالكسر - وهو ثوب من شعر أسود يشبه ثوب الرهبان ، والساج : خشب شجري نبت بالهند ، ولونه أسود ، وفي نسخة « وساجا كسورها » (م) .

فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر .

ومن بدع الشعر في صفة الليل قول الأعرابي :

والليل يُطردهُ النهارُ ولا ترى كالليل يطردهُ النهارُ طريداً  
فتراه مثل البيتِ مألٍ رواقهُ هتك المقوضُ سِترهُ الممدوداً  
ومن الديدع :

على حين أننى القومُ خيراً على السرى وطارت بأخرى الليل أجنحةُ الفجرِ  
آخر :

وليل ذى غياطٍ مُذَلَّهمِ رميتُ بفجَمِهِ عرضَ الأُفولِ  
يردُّ الطرفَ منقبصاً كليلاً ويملاً هوْلُهُ صدرَ الدَّليلِ  
ابن المعمر :

هامت ركابنا إليك بنا بظليل أهل النارِ والمنع  
فكانت أيديهن دابةً يفحصن ليلتهن عن صُبعٍ  
وقال كشاجم :

سَيِّئاً لليلِ قصرتُ مُدَّتَهُ يدير مرَّان مرَّ مشكورا  
وبات بدرُ الدجى يشمعهما نُوريةٌ تملأ الدُّجَى نُوراً<sup>(١)</sup>  
غارت على نفسها وقد سَفرتُ فعاد جيبُ الحجابِ مزروراً  
حتى رأيتُ الظلامَ يدرجُه السُفرب ودرَجَ الصُّباح منشوراً<sup>(٢)</sup>  
فاختلط الليلُ والنهارُ كما تخلط كَفٌّ مسكا وكافوراً  
وقال علي بن محمد البكوفي :

مَتَى أُرْتَجَى يوماً شِفَاءً من الضَّنَا إذا كان جارِنيه على طيبي  
ولى عائِداتٌ ضِفْتُهُنَّ فِجْنٌ في لباسٍ سوادٍ في الظلامِ قَشِيبٍ<sup>(٣)</sup>  
نجومٌ أَرَا عِى طولَ ليلي بُرُوجها وهنَّ لُبَمدٍ السير ذاتُ لُغُوبٍ

(١) يشمعهما : يمزجها ، وأراد الخمر (م) .

(٢) في نسخة « وبرد الصبح منشوراً » (م) . (٣) قشيب : جديد (م)



يُبرِّدُ نيرانَ المصائبِ أُنْتَى أرى زمناً لم تبق فيه مصائبُ  
وفي هذه القصيدة :

ترشفتُ أيامي وهُنَّ كوالحُ  
ودافعتُ في كَيْدِ الزمانِ ونَحْرِهِ  
وقلتُ له : خَلِّ ابْنَ أُمِّي لِمُضَبَّةِ  
فواللهِ إخلاصاً من القولِ صادقاً  
لَوْ أَنَّ يَدِي كَانَتْ شِفَاءَكَ أَوْ دَمِي  
لَسَلَّمْتُ نَسْلِيْمَ الرِّضَا واتَّخَذْتُهَا  
فَتَى كَانَتْ مِثْلَ السِّيفِ مِنْ حَيْثُ جِئْتَهُ  
فَتَى هُمَّهَ حَمْدٌ عَلَى الدَّهْرِ رَاضِحُ  
شَمَائِلُ إِنْ تَشْهَدُ فَنَنْتَ مُشَاهِدُ  
وقال الطائي لعلَّيَّ بن الجهم :

إِنْ يُكْذِرُ مُطَرِّفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا  
أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُولِّفُ بَيْنَنَا  
أَوْ يَخْتَلِفُ مَا هُوَ الْوَصَالُ فَمَاؤُنَا  
نَعْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدٍ (١)

وقال محمد بن موسى بن حماد : سمعتُ عليَّ بن الجهم ، وذَكَرَ دِعْبِلًا  
فلعنهُ ، وكفَرهُ ، وقال : وكان يَطْعَنُ عليَّ أبا تمام ، وهو خيرٌ منه دينًا  
وشعرًا ، فقال رجلٌ : لو كان أبو تمام أخاك ما زدت عليَّ مَدْحِكَ له .  
فقال : إلَّا يَكُنْ أَخَانَسَبَ فهو أخو أدب ، أما سمعتَ ما خاطبني به ؟  
وأنشد الأبيات :

(١) المطرف والطارف والطريف : الجديد الحديث ، ويقابله التالِد والتلید (م)  
(٢) لأبي تمام في استعارة الماء عبارات غريبة كماء الوصال هنا ، وماء اللام ،  
ونحو ذلك (م)

وقال رجل لابن المقفع : إذا لم يكن أخى صديقى لم أحبيه ، قال :  
نعم صدقت ، الأخ نسيبُ الجسم ، والصديق نسيب الروح .

وقال أبو تمام يخاطب محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفرَ إن الجَهالةَ أمُّهم — ولودٌ ، وأُمُّ العلمِ جدُّاءُ حائلٌ<sup>(١)</sup>  
أرى الحشَوَ والدماءَ أضحووا كأنهم شعوبٌ تلاقَتْ دوتنا وقبائلُ  
غدَوْا وكأنَّ الجهلَ يجمعهم أباً وحظ ذوى الآداب فيهم نوافلُ  
فكن هضبةً تأوى إليها وحرّةً يُعزّد عنها الأعوجى المناقلُ<sup>(٢)</sup>  
فإن القى في كل حال مناسبٌ — مناسبٌ روحانيةً من يشاكل

وقال البحتري لأبى القاسم بن خرداذبه :

إن كنتَ من فارسٍ في بيتِ سُودِدها — وكنتَ من بحتري البيت والنسب<sup>(٣)</sup>  
فلم يَصِرْنا تَنائى المنصين وقد رُحنا نسيبين في علمٍ وفي أدبٍ  
إذا تقاربت الآدابُ والتأمتْ — دنتْ مسافة بين العُجم والعُربِ

[ وصف النجوم ]

وقد احتذى طريقه أبو القاسم محمد بن هانىء ، فقال يمدحُ جعفر بن على ،  
وذكر النجوم ، فقال :

لابن هانىء  
الأندلسى

جَمَلْنَا حشايانا ثِيَابَ مُدَامِنَا — وَقَدَّتْ لَنَا الظَّلماءُ مِنْ جِلْدِهَا لَحفاً  
فَمَنْ كَبِدٌ تُدْنِي إِلَى كَبِدِ هَوَى — وَمِنْ شَفَةِ تُوحِي إِلَى شَفَةِ رَشْفَا  
بِعَيْشِكَ نَبِّهِ كَأَسَمِهِ وَجَفُونَهُ — فَقَدْ نَبَّهِ الْإِبريقُ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْفَى  
وَقَدْ فَكَّتِ الظَّلماءُ بَعْضَ قِيودِهَا — وَقَدْ قَامَ جَيْشُ اللَّيْلِ لِلْفَجْرِ فَاصْطَفَا

(١) جداء : صغيرة الثدى قليلة الدر ، وفي نسخة « جيداء » تطبيع (م)

(٢) يعزّد عنها : يميل عنها وينفر منها ويهرب ، والأعوجى : الفرس المنسوب

إلى أعوج وهو فرس مشهور (م)

(٣) فى ديوانه « وكنت من طيء فى البيت - إلخ » وفى نسخة « وكنت من

محتدى فى البيت - إلخ » وإعل أصل ما فى الأصل « وكنت من بحتري - إلخ » (م)



وولت نجومٌ للثريا كأنها  
ومرّ على آثارها دبراً أنها  
وأقبلت الشعرى العبور ملبسة  
وقد بادرتها أختها من ورائها  
تخاف زهير الليث يقدم نثرة  
كأنّ السما كئيب اللذين تظاهرا  
فذا رامح يهوى إليه سنانهُ  
كان رقيب النجم أجدل مرقب  
كان سهيلاً في مطالع أفعه  
كان بنى نعش ونمشاً مطافل  
كان سهاها عاشق بين عود  
كان معلى قطبها فارس له  
كان قدامى السر والنسر واقع  
كان أخسأه حين دوّم طاراً  
كانّ الهزيع الآبنوسى مؤهنا  
كانّ ظلام الليل إذ مال مئيلة  
كانّ عود الفجر خافان عسكر  
كان لواء الشمس غرة جعفر  
وقال ابن طباطبا [ العلوى ] :

كان اكتنام المشتري في سحابه  
كان سهيلاً والنجوم أمامه  
وذيفة سرّ في ضمير مديع  
يعارضها راع وراء قطيع

لابن طباطبا  
العلوى

(١) الدبران : منزل القمر ، والشعرى العبور : نجم (م)  
(٢) الهزيع : الجزء من الليل ، والآبنوسى : أراد الأسود (م) .

وقد لاحَتِ الشُّعْرَى العُبُورَ كأنها      تَقْلُبُ طَرْفٍ بِالدَّمُوعِ هُمُوعِ  
وأضحمت الجوزاء في أفقِ غَرْبِها      فَبَاتَتْ كَنَشْوَانٍ هُنَاكَ صَرِيعِ  
إلى أن أجاب الليلُ دَاعِيَ صُبْحِهِ      وكان يُنَادِي مِنْهُ غَيْرَ سَمِيعِ  
وقال :

وكانَ "الهلل" لما تَبَدَّى      شَطَرُ طُوقِ المِراةِ ذِي التَّهْذِيبِ  
أو كَقَمُوسٍ قد اِخْتَتَ طَرْقَاهُ      أو كَكُتُونٍ في مُهْرَقٍ مَكْتُوبِ  
وقال علي بن محمد العلوي يصف القمر ، وقد طرح جرمه على دجلة :

لعل بن محمد  
العلوي

لم أنسَ دِجْلَةَ والدُّجَى مُتَهَيِّرٌ      والبَذْرُ في أفقِ السماء مغرَبُ  
فكانها فيه رداً أزرَقُ      وكأنه فيها طرازٌ مُذهَّبُ

وقال [ الأمير ] تميم بن الحر ، وكان يحتذى مثل ابن المعتز ، ويقف في

لتميم بن الحر

التشبيهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قلبه ، ويتبعه [ في ] سلوك ألفاظ الملوك :

اسْقِيَايِ فَلَسْتُ أَضْغِي لَعْدِلٍ      لَيْسَ إِلَّا تَعَلَّةَ النَّفْسِ شُعْلِي  
أَطِيعِ الْعَذُولَ فِي تَرْكِ مَا أَهَى      وَبَى كَأَنِّي أَتَهَمْتُ رَأْيِي وَعَقْلِي  
عَلَانِي بِهِ فَقَدْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ      كَأَوْنَ الصَّدُودِ مِنْ بَعْدِ وَضْلِي  
وَانْجَلَى النِّيمُ بَعْدَ مَا أَضْحَكَ الرُّؤُ      ضَ بَكَاءِ السَّحَابِ جَادَ بَوْبِلِ  
عَنْ هَلَالِ كَصَوِّ لُجَانٍ نُضَارِ      فِي سَمَاءٍ كَأَنَّهَا جَامٌ ذَبِيلِ

وقال :

رَبِّ صَفراءَ عَلَّمَتْنِي بِصَفراءِ      وَجُنْحُ الظَّلَامِ مُرْخَى الإِزَارِ  
بَيْنَ مَاءٍ وَرَوْضَةٍ وَكُروم      وَرَوَابٍ مَنِيفَةٍ وَصَحَارِ<sup>(١)</sup>  
تَتَقَى بِهِ الْفُصُوفُ عَلَيْنَا      وَتُجِيبُ الْقِيَانُ فِيهَا الْقَمَارِ<sup>(٢)</sup>

(١) في نسخته « بين ماء وبركة » والروابي : جمع رابية ، وهو ما ارتفع من الأرض (م)

(٢) تتقى : تتمايل ، والقيان : جمع قينة ، وهي الأمة المغنية ، والقمارى : جمع

قمرى ، وهو ضرب من الحمام (م)

وكان الدُّجَى غَدَاثُ شَمْرِ  
وانجَلَى النِّيمُ عن هِلَالٍ تَبْدَى  
وكان النُّجُومَ فيها مَدَارِي<sup>(١)</sup>  
في يَدِ الأفقِ مثل نصفِ سَوَارِ  
وقال :

عَتَبْتُ فَاثْنَى عَلَيْهَا الْعِتَابُ      ودَعَا دَمَعَ مَقْلَتَيْهَا انْكَابُ  
وَضَعْتُ نَحْوَ خَدَّهَا بِيَدَيْهَا      فَالْتَقَى الْيَاسَمِينُ وَالْمُنَابُ<sup>(٢)</sup>  
رُبَّ مَبْدِي تَعْتَبِ جَمَلَ الْعَتَابِ رِيَاءُ      وَهَمَّهُ الْإِعْتَابُ  
فَاسْقِنِيهَا مُدَامَةً تَضْمِغُ الْكَأْ      سَ كَمَا يَصْبُغُ الْخُدُودَ الشَّبَابُ  
مَاتَرَى اللَّيْلَ كَيْفَ رَقَّ دُجَاهُ      وَبَدَا طَلَسَانُهُ يَنْجَابُ ؟  
وَكَانَ الصَّبَاحُ فِي الْأَفْقِ بَازٍ      وَالدُّجَى بَيْنَ مِخْلَبَيْهِ غُرَابُ  
وَكَانَ السَّمَاءُ سَلْجَةً بِحَجَرٍ      وَكَانَ النُّجُومَ فِيهَا حَبَابُ  
وَكَانَ الْجُوزَاءُ سَيْفٌ صَقِيلُ      وَكَانَ الدُّجَى عَلَيْهَا قَرَابُ  
من وصف الشراب والكؤوس والسُّقَاةَ في الليل

وقال :

وزَنْجِيَّةُ الْآبَاءِ كَرَّخِيَّةُ الْجَلْبِ      عَبِيرِيَّةُ الْأَنْفَاسِ كَرَمِيَّةُ النَّسَبِ<sup>(٣)</sup>  
كَمَيْتُ بَزَلْنَا ذَنَّهُا فَتَفَجَّرَتْ      بِأَحْمَرِ قَانٍ مِثْلَ مَا قَطَرَ الذَّهَبُ  
فَلَمَّا شَرِبْنَا هَا صَبَوْنَا كَأْنَانًا      شَرِبْنَا السُّرُورَ الْمَخْضُ وَاللَّهُوَّ وَالطَّرَبُ  
وَلَمْ نَأْتِ شَيْئًا يَسْخَطُ الْمَجْدَ فَعَلُهُ      سَوَى أَنَا بَعْنَا الْوَقَارَ مِنَ اللَّعِبِ  
كَانَ كُؤُوسُ الشَّرْبِ وَهِيَ دَوَائِرُ      قِطَائِعُ مَاءِ جَامِدٍ تَحْمِلُ اللَّهْبُ  
يَمِدُّ بِهَا كَفَا خَضِيئًا مُدِيرُهَا      وَلَيْسَ بِشَيْءٍ غَيْرُهَا هُوَ مَخْتَضِبُ  
فَبِتْنَا نُسْقَى الشَّمْسَ وَاللَّيْلَ رَاكِدُ      وَنَقْرُبُ مِنْ بَذْرِ السَّمَاءِ وَمَا قَرُبُ

(١) المدارى : جمع مدرى ، وهى خشبة يمشط بها الشعر [المشط] (م)

(٢) فى نسخة « وسعت نحو خدها بيديها » وهى أليق مما هنا (م)

(٣) فى نسخة « عناية الأنفاس » (م)

وقد حجب الغيمُ الهلالَ كأنه  
[ كأن الثريا تحت حُلْمَةٍ لونها  
وقال :

كانَ السحابُ الغرَّ أضبحنْ أكوُسا  
إلى أن رأيتُ النجمَ وهو مغربٌ  
كان سوادَ الليلِ والصبحُ طالعٌ  
وقال :

وكأنَّ يُعيدُ المُسرُّسراً، ويمجنى  
يولدُ فيها المزجُ دُرّاً منضداً  
صغار وكبرى في الكؤوس كأنها  
إذا حنَّ الساقى الأغرَّ حسبتها  
صبحت بها صخبى وقد رندج الدجى  
وقد أزهرتْ بيضُ النجومِ كأنها  
وقال :

ألا فاسقياي قهوةٌ ذهبيةٌ  
كانتْ الثريا والظلامُ يحفها  
كانَ نجومُ الليلِ تحت سوادهِ  
وقال :

أيا ديز مرحنا سقتك رعودُ  
فكم واصلتنا في ربّك أوانسُ  
من الغيمِ يهيمُ مزنها ويمجودُ  
يظفَنَ علينا بالمدامةِ غيدُ

(١) في نسخة « نقطة القطر » والقطر - بالفتح - المطر (م)

(٢) رندج : سود ، مأخوذ من اليرندج ، وهو مايسود به الخف (م)

(٣) السبج - بالتحريك - خرز أسود (م)

[وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسم  
وماست على الكئيبان قضبان فضة  
وإذ لمتي لم يوقظ الشيب ليلاً  
ليالى أغدو بين ثوبى صباة  
وقال :

سأنته قبلة منه على عجل  
واعتل ما بين إسعاف يرققه  
وقال : وجهي بذر لا خفاء به  
وهذا ينظر إلى قوله :

أباح لمفتى السهرا  
غزال لو جرى نفسى  
ولكن عينه حشدت  
ومن أودى به قر  
وجار على واقترأ  
عليه لذاب وانفطرا  
على الفنج والخورا  
فكيف يعاتب القمر

كانه ذهب إلى قول أبى نواس :

كان ثيابه أطلعن من أزراره قمر  
يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا  
بعين خالط التفتير من أجفانها الخورا  
ووجه سابري لو تصوب ماؤه قطرا<sup>(١)</sup>

قيل للجاحظ : من أنشد الناس وأشعرهم ؟ قال : الذى يقول : وأنشد هذه  
الآيات .

ونظير قوله :

(١) فى نسخة « إسعاف يرققه » (م)  
(٢) السابري أصله الثوب الرقيق الجيد ، شبه به الوجه فى ملاسته ونعومته (م)

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَقْنَ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرَا  
 قَوْلُ الْحَكَمِ <sup>(١)</sup> بَن قَنْبَرٍ لِلْمَازِنِي :  
 وَيَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَاثْمَتَا      وَزَادَ قَلْبِي إِلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا  
 وَقَالَ تَمِيمٌ :

نَقَبْتُ وَجْهَهَا بِخَزَزٍ وَجَاءَتْ      بِمُدَائِمِ مَنْقَبٍ بَرْجَاجٍ  
 فَتَأَمَّلْتُ فِي النَّقَابَيْنِ مِنْهَا      قِرَاءَ طَالِعَا وَضَوْءَ سِرَاجٍ  
 فَاسْقِيَانِي بِلَا مِرَاجٍ فَإِنِّي      فِي الْمَعَالِي صِرْفٌ بَغِيرِ مِرَاجٍ  
 وَانْظُرَا الْأَفْقَ كَيْفَ بَدَّلَهُ الْإِصْبَاحُ      مِنْ بَعْدِ آبَنُوسٍ بَعَاجٍ  
 وَقَالَ :

إِذَا حَذَرْتَ زَمَانًا لَا تَسْرُ بِهِ      كَمْ قَدَأَى سَهْلُ دَهْرٍ بَعْدَ أَصْتَبِهِ <sup>(١)</sup>  
 فَاقْبَلِ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَعْطَاكَ مَخْتَلَطًا      لَعَلَّ مُرَّكَ يَحْمِلُوهُ فِي ثَقْلَبِهِ  
 خُذْهَا إِلَيْكَ ، وَدَعْ لَوْمِي ، مَشْفُوعَةً      مِنْ كَفِّ أَقْنَى أُسَيْلِ الْحَدِّ مُذْهَبِهِ <sup>(٢)</sup>  
 فِي كُلِّ مَقْعِدٍ حَسَنٍ فِيهِ مَعْتَرِضٌ      عَلَيْهِ يَحْمِيهِ مِنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهِ  
 فَكُجِّلْ عَيْنِيهِ مَمْنُوعٌ بِمَخْنَجَرِهِ      وَوَرْدُ خَدَيْهِ يَحْمِيُّ بِمَقْرَبِهِ  
 لَا تَتْرِكِ الْقَدَحَ الْمَلَانَ فِي يَدِهِ      إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ تَلْهِيهِ  
 فَصُنْهُ عَنْ سَقِينَا ؛ إِنِّي أَغَارُ بِهِ      وَسَقَى وَاسْقِنِي مِنْ فَضْلِ مَشْرَبِهِ  
 وَانْظُرْ إِلَى اللَّيْلِ كَالزُّنْجِيِّ مِنْهَزِمَا      وَالصَّبْحُ فِي إِثَرِهِ يَعْدُو بِأَشْهَبِهِ  
 وَالبَدْرُ مُنْتَصِبٌ مَا بَيْنَ أَنْجُمِهِ      كَأَنَّهُ مَلِكٌ مَا بَيْنَ مَوَازِينِهِ

مِنَ الْمُخْتَارِ مِنْ شِعْرِ تَمِيمِ بْنِ الْمَعْزِ

وَإِذَا أَفْضَيْتَ إِلَى ذِكْرِهِ ، فَهَآكَ مِنْ مُخْتَارِ شِعْرِهِ ، [ قَالَ ] :

- 
- (١) فِي نَسْخَةِ « الْحَكِيمِ بْنِ قَنْبَرٍ » (م)  
 (٢) فِي نَسْخَةِ « وَكَمْ أَتَى سَهْلُ دَهْرٍ - إِلَخِ » (م)  
 (٣) فِي نَسْخَةِ « مِنْ كَفِّ ظَلِي أُسَيْلِ الْحَدِّ - إِلَخِ » وَالْأَقْنَى : الْوَصْفُ مِنَ الْقَنَازِ  
 وَهُوَ ارْتِفَاعُ قِصْبَةِ الْأَنْفِ ، وَأُسَيْلِ الْحَدِّ : مُسْتَطِيلُهُ فِي رِقَةٍ (م)

سُتَقْبِلُ بِالَّذِي يَهْوِي وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَقْبُولٌ بِمَا صَنَعَا  
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْخُوحُ إِسَاءَتَهُ مِنْ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثَا شَفَعَا  
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَثْوَابِهِ بَرَزَتْ حَسَنَةً، أَوِ الْبَدْرُ مِنْ أَزْرَارِهِ طَلَعَا  
استعارة [ مأخوذة ] من قول الآخر ، وهو ابن زُرَيْق :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادٍ لِي قَرَأَ بِالكَرَّخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْزَارِ مَطْلَعُهُ  
وَمِنْ قَوْلِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْفَرَّانِ :

بَدَأَ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ عَلَى أَزْرَارِهِ طَلَعَا

يَحْتَ الْمَسْكَ مِنْ عَرَقِ السَّجَبِينَ بَنَانُهُ وَأَعَا

وقال أبو ذر أستاذ سيف<sup>(١)</sup> الدولة :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقَبَائِهِ  
الشَّمْسُ تَطْلُعُ فِي أَسِيرَةٍ وَجْهِهِ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قُبَائِهِ<sup>(٢)</sup>  
وقال تميم :

أَعْدَلُ قَلْبِي وَهَوَى لِي غَيْرُ عَاذِلٍ وَأُغْمِي غَرَامِي وَهُوَ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي  
وَمَنْ لِي بِصَبْرٍ أَسْتَزِيلُ بِهِ الْجَوَى وَلَا جِلْدِي طَوْعِي وَلَا كَبْدِي مَعِي  
فَأَوَّلُ شَوْقِي كَانَ آخِرَ صَلَوَتِي وَآخِرُ صَبْرِي كَانَ أَوَّلَ أَدْمِي  
وقال :

وَرَدُّ الْخُلُودِ أَرْقَى مِنْ وَرْدِ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ  
هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَنْوُفُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُّ  
وَإِذَا عَدَلْتُ فَأَفْضَلُ الْوَرْدَيْنِ وَرَدُّ يُنَلِّمُ  
لَا وَرْدَ إِلَّا مَا تَوَلَّى صَبَغَ حُمْرَتِهِ الدَّمُ  
هَذَا يُشَمُّ وَلَا يُضَمُّ وَذَا يُضَمُّ وَيُشَمُّ<sup>(٣)</sup>

(١) في نسخة « وقال سيف الدولة » وفي أخرى « وقال أبو دارسان »

تحريف (م) (٢) في نسخة « والبدر يطلع من خلال ثقاته » (م)

(٣) كان من حق العربية عليه أن يقول « ويشم » بالإدغام ، لكنه فك

الإدغام إقامة لوزن البيت (م)

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخُدُودَ دَ شَقَاتَنَا تُنْتَسَمُ  
وَأَعَارَهَا الْأَصْدَاغَ فَهِيَ بِهَا شَقِيقٌ يُعْلَمُ  
وَأَسْتَنْطَقَ الْأَجْفَانَ فَهِيَ . بِلَحْظِهَا تَكْلَمُ  
وَتُبَيِّنُ لِلْمَحْبُوبِ عَنْ سِرِّ الْحَبِيبِ فِيهِمْ  
وَتَشِيرُ إِنْ رَأَتْ الرَّقِيبَ بِلَحْظِهَا فَتُسَلِّمُ  
وَأَعَارَهَا مَرَضًا تَصِحُّ بِهِ الْقُلُوبُ وَتَسْمُ  
فَتَنْ الْعِیُونَ أَجَلٌ مِنْ فِتَنِ الْخُدُودِ وَأَعْظَمُ

وقال :

إِنْ كَانَتْ الْأَلْحَاطُ رُسُلَ الْقُلُوبِ      فِينَا فَا أَهْوَنَ كَيْدَ الرَّقِيبِ  
قَبْلَتْ مَنْ أَهْوَى بِعَيْنِي وَلَمْ      يَعْلَمْ بِتَقْبِيلِ خَدِّ الْحَبِيبِ  
لَكِنَّهُ قَدْ فِطَّانَتْ عَيْنُهُ      بِلَحْظِ عَيْنِي فِطْنَةَ الْمُسْتَرِيبِ  
إِنْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ مُسْتَخْفِيًا      عَنَّا فَعِنْدَ الْأَحْظَرِ عِلْمُ الْغُيُوبِ

وقال :

قَالُوا الرِّحِيلُ لِحِمْسَةٍ      تَأْتِي سَرِيعًا مِنْ جِمَادَى  
فَأَجَبْتَهُمْ إِنْ اتَّخَذَ      تِلْكَ الْأَسَى وَالْحُزْنَ زَادًا<sup>(١)</sup>  
سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْأَسَى      بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْبُعَادَا  
وَأَعَارَ لِلْأَجْفَانِ حُشًّا      نَأْتَسُّ بِتَرْقُ بِهِ الْعِبَادَا

وقال :

عَقْرَبُ الصَّدُخِ فَوْقَ تَفَاحَةِ الْخُدِّ نَعِيمٌ      مُطَرَّرٌ بِعَذَابِ  
وَسِیُوفِ الْحَاطِ فِي كُلِّ حِينٍ      بِأَنْعَامٍ جَنَى الثَّنَايَا الْعَذَابِ<sup>(٢)</sup>  
وَعِیُونَ الْوِشَاةِ يُفْسِدُنَ بِالرَّقِيبَةِ      وَالْمَنْعَرِ رُؤْيَا الْأَحْبَابِ<sup>(٣)</sup>

(١) الأسى : الحزن الشديد (م) (٢) جنى الثنايا : أراد به الريق (م)

(٣) الرقبة - بالكسر - المراقبة (م)



فَمَتَى يَشْتَفِي الْحَبِيبُ وَتَطْفِي  
بِالتَّدَانِي حَرَارَةُ الْإِكْتِثَابِ  
وقال :

تَرَى عَذَابِيهِ قَدْ قَامَا بِمَعْذَرَتِي  
رَبِّمْ كَأَنَّ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ  
كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ لُطْفِهِ عَرَضُ  
وَاللَّهِ مَا فَتَنَتْ عَيْنِي بِحَاسِنُهُ  
مَا تَصْدُرُ الْعَيْنُ عَنْهُ لِحَظِّهَا مَلَأُ  
يَا مَنْتَهَى أُمَلِي لَا تُدْنِ لِي أَجَلِي  
إِنْ كَانَ وَجْهُكَ وَجْهًا صَيِّغَ مِنْ قَمَرٍ  
وقال :

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ عَرَّجَ مَسَلَّمَا  
وَهَبَّ عَلَى مَنْ شَفَّ جِسْمِي بِعَادُهُ  
فَإِنْ قَالَ : مَا هَذَا الْحَرُورُ ؟ قُلْ لَهُ :  
عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الْبَعِيدِ الْمَوْدِعِ  
سَمَوْ مَا بِمَا اسْتَمَلَيْتَ مِنْ نَارٍ أَضْلَعِي<sup>(١)</sup>  
تَفَنَّفَسُ مُشْتَاكِ بِحَبِّكَ مُوجِعِ  
وَمُخْتَارُ شَعْرِهِ كَثِيرٌ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ مِنْهُ قِطْعَةٌ كَافِيَةٌ فِي أَعْرَاضِ الْكِتَابِ .

[ عَوْدٌ إِلَى وَصْفِ النُّجُومِ ]

رَجَعَ مَا انْقَطَعَ

قال صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد :

لَقَدْ رَحَلَتْ سَعْدَى فَمِلْ لَكَ مُسْعِدُ ؟  
رَعَيْتُ بِطَرْفِي النُّجُومَ لَمَّا رَأَيْتُهَا  
تَبَاعَدُ بَعْدَ النَّجْمِ بِلْ هِيَ أَبْعَدُ  
تُنِيرُ الثَّرِيًّا وَهِيَ قَرُطُ مَسْلَسِلٍ  
وَقَدْ أُنْجَدَتْ دَارًا فَمِلْ أَنْتَ مُنْجِدُ ؟  
وَيُشْغَلُ مِنْهَا الطَّرْفُ دُرٌّ مُبَدَّدُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَعْرِضُ الْجُوزَاءُ وَهِيَ كَكَاعِبٍ  
تَمْتَلُ مِنْ سَكْرِ بَهَا وَتَمْتَلُ<sup>(٣)</sup>

لِلصَّاحِبِ  
ابْنِ عَبَّادٍ

(١) السُّمُومُ - بفتح السين - الرِّيحُ الحَارَّةُ تهبُّ في النَّهَارِ ، غَالِبًا ، وَمِرَادُهُ الرِّيحُ الحَارَّةُ  
مُطْلَقًا ؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ سَمَّاها حَرُورًا فِي الْبَيْتِ التَّالِي ، وَأَصْلُ الْحَرُورِ الرِّيحُ الحَارَّةُ تهبُّ بِاللَّيْلِ ،  
غَالِبًا (م) (٢) فِي نَسْخَةٍ « وَيَطْرَفُ عَنْهَا الطَّرْفُ دُرٌّ مُنْجِدٌ » وَفِي أُخْرَى  
« وَيَطْرُدُ عَنْهَا الطَّرْفُ دُرٌّ مُنْجِدٌ » (م) (٣) فِي نَسْخَةٍ « وَهِيَ كَوَاكِبٍ - إِلْحَ » (م)

وتحبسها طَوْرًا أَسِيرَ جِنَايَةٍ  
ولاحَ سُهَيْلٌ وهو للصُّبْحِ رَاقِبٌ  
أَرَدَدُ طَرْفِي فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا  
رَأَيْتُ بِهَا، وَالصُّبْحُ مَاحَانَ وَرَدُّهُ،  
وفيه لنا من مِرْبَطِ الشَّمْسِ أَشْقَرُ  
وقال أبو علي الحاتمي :

لأبي علي الحاتمي

وليلٍ أقمنا فيه نُعْمِلُ كَأَسْنَا  
وَنَجْمُ الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ  
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصُّبْحِ فِي اللَّيْلِ عَسْكَرُ  
عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَيْبٌ مَدْرَمٌ (٣)  
البحترى :

للبحترى

ولقد سَرَيْتُ مَعَ السُّكُوكِ رَاكِبًا  
وَاللَّيْلُ فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ  
وَالْعَيْسُ تَنْصَلُ مِنْ دُجَاهٍ كَمَا انْجَلَى  
حَتَّى تَبْدَى الْفَجْرُ مِنْ جَنَابَتِهِ  
وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

للميكالي

أَهْلًا بِفَجْرِ قَدْ نَضَى ثَوْبَ الدُّجَى  
أَوْ غَادَةٍ شَقَّتْ صِدَارًا أَرْقَا  
كَالسَّيْفِ جُرْدٌ مِنْ سَوَادِ قِرَابٍ (٤)  
مَا بَيْنَ ثُغْرَيْهَا إِلَى الْأَثَرِ (٥)  
وقال رجلٌ من بني الحارث بن كعب يصف الشمس :

لرجل من بني

الحارث

ابن كعب

مُخْبِئَةً أَمَّا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتْهَا  
إِذَا انْشَقَّ عَنْهَا سَاطِعُ الْفَجْرِ وَانْجَلَى  
وَأَبْسَ عَرْضِ الْأَرْضِ لَوْ أَنَّ كَأَنَّهُ  
تَجَلَّتْ وَفِيهَا حِينَ يَبْدُو شِعَاعُهَا  
فَتَخَفَى وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَتَظْهَرُ  
دُجَى اللَّيْلِ وَانْجَابَ الْحِجَابُ الْمُسْتَرُ  
عَلَى الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ ثَوْبٌ مُعْصَفَرُ  
وَلَمْ يَعْلُ لِلْعَيْنِ الْقَصِيرَةِ مَنَظَرُ (٦)

(١) الجراز - بالضم بزة غراب - السيف القاطع ، والمهند : المصنوع في الهند - (م)

(٢) الخضراء : السماء ، والصرح الممرد : القصر الرفيع

(٣) في نسخة « جيب مدثر » تطبيع (م) (٤) قراب السيف : غمده

(٥) في نسخة « صداراً أورقا » تطبيع (م) (٦) في نسخة « ولم يحل للعين - إلخ »

عليها كَرَدْعُ الزعفرانِ يشبهُ شعاعَ تَلالَافِهوَ أبيضُ أَصفرُ<sup>(١)</sup>  
فلما علَتْ وَابيضَ منها اصْفِرارُها وجالتْ كما جالَ المنيحُ المشهُرُ<sup>(٢)</sup>  
وجلَّتْ الآفاقَ ضوءاً ينيرها بحرٌ لها وَجْهَ الضحَى تنسَعُرُ<sup>(٣)</sup>  
تري الظلَّ يُطوئُ حينَ تَبْدُو وتارةً تراه إذا زالتْ عن الأرضِ يُنْشَرُ  
كما بدأتْ إذْ أشرقتْ في مَفيها تعود كما عادَ الكبيرُ المعمرُ  
وتَدْنَفُ حتى ما يكادُ شعاعُها يبين إذا ولَّتْ لمن يتبصَّرُ  
فأفنتْ قرونا وهى في ذاك لم تَزَلْ تموتُ وتَحْيَا كلَّ يومٍ وتُنْشَرُ

[أجل ما قال العرب]

وقال عبد الملك بن مروان لبعض جلسائه يوما : ما أحكم أربعة أبياتٍ قالتها العرب في الجاهلية ؟ فأنشده :

منع البقاءَ تَقَلُّبُ الشمسِ وطلوعُها من حيث لا تَمسى  
وظلوعُها بِيضاءَ صافيةً وغيوبُها صفراءَ كالوَرَمِ  
تَجْرى على كِبَدِ السماءِ كما يَجْرى حَمَامُ الموتِ في النَّفْسِ  
اليومَ تَعْلَمُ ما يَجْى بهِ ومضى بفضْلِ قضائه أُمسِ  
قال : أحسنت ، فأخبرني بأمدح بيتٍ قالته العرب في الشجاعة ، قال : قول  
كعب بن مالك الأنصاري :

نَصِلُ السِّيفِ إِذَا قَعْرُنَ بِحَظُونَا قُدُماً ، ونلحقها إذا لم تلحق  
قال : فأخبرني بأفضل بيتٍ قيل في الجود ، فأنشده لحاتم طي :

(١) في نسخة « كدرع الزعفران » تطبيع ؛ وردع الزعفران : أزهره (م)  
(٢) المنيح : أحد ثلاثة أقذاح من أقذاح الميسر لا نصيب لواحد منها ، والآخران :  
الصفيح ، والوغد (م) (٣) وجه الضحى : أوله ، وانتصابه على الظرفية (م)

أماوى ما يُفنى الثراءُ عن الفنى إذا حشَرَحَتْ يوماً وضاق بها الصدر  
 ترى أن ما أبقيتُ لم أك ربه وأن يدي مما بخلتُ به صفرُ  
 ألم تر أن المالَ غادرٌ ورائحُ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ  
 غنينا زمانا بالتصمك والنفى فكلأ سقانا بكأسيهما الدهرُ  
 فما زادنا بغيًا على ذى قرابة غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ  
 قال : فأخبرني عن أحسن الناس وصفا ، قال : الذى <sup>(١)</sup> يقول :

كانَّ قلوبَ الطيرِ رطبًا ويابسًا لدى وكريها العُنبابُ والحشفُ البالي  
 والذي يقول :

كانَّ عبونَ الوَحشِ حولَ خِباننا وأرحلنا الجزعُ الذى لم يُثقب  
 والذي يقول :

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجْرُ  
 سماحة ذَا، مع برِّ ذَا، ووفاء ذَا ونائل ذَا إذا صحَّ وإذا سكرُ  
 يريد امرأ القيس .

ومن الفاظ أهل المصر فى طلوع الشمس وغروبها

ومتوع النهار <sup>(٢)</sup> وانتصافه ، وابتدائه ، وانتهائه

بدا حاجِبُ الشمسِ ، ولَمَعَتْ فى أجنحةِ الطيرِ ، وكشَفَتْ قناعها ، ونثرتْ  
 شعاعها ، وارتفع سُرادِقُها ، وأضاءتْ مشارِقُها ، وانتشر جناحُ الضوءِ فى أفقِ  
 الجو . طَنَبَ شعاعُ الشمسِ فى الآفاقِ ، وذهَبَتْ أطرافُ الجدران . أَيْنَعَ النهارُ <sup>(٣)</sup>  
 وارتفع . استوى شَبَابُ النهارِ ، وعلا رونقُ الضحى ، وبلغت الشمسُ كبد السماء

(١). الأبيات الآتية فى الوصف كلها لامرئ القيس بن حجر الكندى (م)

(٢) تقول « متع النهار » من باب فتح - إذا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل

الزوال (م)

(٣) كذا ، وفى نسخة « أَيْنَعَ النهار » وما أراها شيئاً (م)

اتعل كل شيء ظله ، وقام قائمُ الهاجرة ، ورمّت الشمسُ بِجَمَرَاتِ الظهر . اصفرّت غِلَالةُ الشمسِ ، وصارت كأنها الدينارُ يلمعُ في قرارِ الماء ، ونفضت تَبراً على الأصيل . وشدّت رَحْلَهَا للرحيل ، وتصوّبت الشمسُ للغيب ، وتضيّقت للغروب <sup>(١)</sup> فأذن جنبها للوجوب <sup>(٢)</sup> . شاب النهارُ ، وأقبل شبابُ الليلِ ، ووقفت الشمسُ للعيان ، وشافه الليلُ لسانَ النهارِ . الشمسُ قد أشرقت بروجها ، وجنحت للغروب ، وشافهت دَرَجَ الوجوبِ . الجوُّ في أطمار منهجة من أصائله <sup>(٣)</sup> ، وشفوف مورّسة من غِلَالِهِ . استتر وجهُ الشمسِ بالنقّاب ، وتوارت بالحجاب . كان هذا الأمرُ من مطلع الفلق ، إلى مجتمع الغسق . فلان يركبُ في مقدمة الصّبح ، ويرجع في ساقه الشفق ، ومن حين تفتحُ الشمسُ جَفَنَهَا ، إلى أن تغمض طَرْفَهَا ، ومن حين تسكنُ الطيرُ أوكارها ، إلى حين ينزلُ السّراةُ من أكواريها

\* \* \*

مقامة لأبي الفتح الإسكندري من إنشاء البديع ، اتصّلت بذكري الليل والنهار المقامة الكوفية قال عيسى بن هشام : كنت وأنا فتى السنّ أشدُّ رَحْلِي لكلِّ عَمَاية ، وأركضُ طَرْفِي لكلِّ غَوَاية ، حتى شربتُ من العُمُرِ سائغها ، ولبستُ من الدهرِ سابعه ، فلما صاح النهارُ بجانب ليلى ، وجمعتُ للمعادِ ذَيْلِي ، وطُتْ ظَهْرُ المَرُوضَةِ ، لأداء المفروضة ، وصحّيتني في الطريقُ رَجُلٌ لم أنكره من سوء ، فلما تخالينا ، وحين تجالينا ، سَفَرَتِ القِصَّةُ عن أصلِ كوفي ، ومَذْهَبِ صوفي ، وسِرِّنا فلما حللنا السكوفةَ مِلْنَا إلى داره [ ودخلناها ] وقد بَقِلَ وجهُ النهار ، واخضرَّ جانبُهُ ، ولما اغتمض جَفَنَ الليلِ وطَرَّ شاربُهُ قُرْعَ علينا البابُ ، فقلنا : من القارعُ المُنتَابُ ؟ فقال : وفدُّ الليلِ وبريده ، وفلُّ الجوعِ وطريده ، وأسير

(١) تضيقت للغروب : مالت نحو المغرب (م)

(٢) أذن جنبها : استمع ، وأراد أطاع ، والوجوب : السقوط (م)

(٣) الأطمار : جمع طمر - بالسكر - وهو الثوب البالي ، ومنهجة : منمقة بالية ، والأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت الذي قبل غروب الشمس ، وفي نسخة « الجو في أطيار بهجة - إلخ » (م)

الغمر ، والزمن المر ، وضيْفُ وطَوْه خفيف ، وضالته رَغِيف ، وجارٌ يستعْدِي  
على الجوع ، والجَيْبُ الرَّقُوع ، وغريب أوقِدَت النارُ على سفره ، ونَبِجَ العَوَاءِ  
في أثره<sup>(١)</sup> ، ونُبِذَتْ خَلْفَهُ الحُصَيَاتُ ، وكُنِسَتْ بعده العَرَصَاتُ ، فَنَضَوْهُ طَلِيح ،  
وعَيْشُهُ تَبْرِيح<sup>(٢)</sup> ، ومن دون أفراخه مَهَامِه فيح<sup>(٣)</sup> .

قال عيسى بن هشام : فقَبِضْتُ من كَيْسِي قَبِضَةً اللَّيْثِ وبعثتها إليه ، وقلتُ  
زِدْنَا سؤالا تَزِدْكَ نَوَالا ، فقال : ما عَرِضَ عَرَفُ العودِ ، على أَحْرَبٍ من نارِ الجُودِ ،  
ولا لَقِيَّ وَفْدَ البرِّ ، بأحسن من بريدِ الشكر ، ومن ملك الفضلَ قَلِيوأس ، فلا يَذْهَبُ  
العُرْبُ بين الله والناس ، وأما أَنْتَ فحقَّقَ اللهُ أَمْلَكَ ، وجعلَ اليَدَ العُلْيَا لك .  
قال عيسى بن هشام : ففتحنا البابَ ، فإذا شيخنا أبو الفتح الإسكندري ،  
فقلنا : يا أبا الفتح ، شَدَّ ما بَلَغْتَ بك الخِصَاصَةَ ، وهذا الزِيُّ خاصة ! فتبسّم  
وأنشأ يقول :

لا يَفْرَنْكَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبِ  
أَنَا فِي بُرْدَةٍ تُشَقُّ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبِ  
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَا تَتَّخِذُ تَشِيقًا مِنَ الذَّهَبِ

[ من رسائل البديع ]

وكتب البديعُ إلى بعض إخوانه : غضبُ العاشقِ أقصرُ عمرٍ أم أن ينتظرَ  
عُذْرًا ، وإن كان في الظاهر مَهَابَةً سَيْفٍ ، إنه في الباطن سحابةٌ صَيْفٍ ، وقد  
رَأَى بَنِي إعراضه صَفْحًا ، أَخَذَ أَقْصَدَ أُمِّ مَرْحَا ، ولو التبس القلبان حقَّ التباسهما  
ما وجد الشيطانُ بينهما مَسَاغًا ، ولا والله لا أريك رَدًّا ، أَجِدُ مِنْهُ بَدًّا ،  
وإن محبةً تحتل شَكًّا لأَجْدَرُ محبةً ، أَلَّا تُشْتَرَى بِحَبَّةٍ ، وإن كان

من البديع  
إلى بعض  
إخوانه

(١) نبج الكلب بناحا : صاح ، والعواء : الكلب الكثير العواء (م)

(٢) نضوه — بالكسر — أراد به مطيته ، وطلّيح : هزيل مريض ؛ وتبريح

من قولهم « برح به المرض ونحوه » إذا شق عليه وأجهده (م)

(٣) المهامه : جمع مهمه ، وهي الصحراء ؛ والفيح : جمع فيحا . وهي الواسعة (م)

قَصَدَ مَرْحَا فَمَا أَغْنَانَا عَنْ مَرْحٍ يَحُلُّ عُقْدَ الْفَوَادِ [ حتى تقف على المراد ، ولا تسعنا إلا العافية ] والسلام .

رسالة أخرى  
من البديع  
إلى صديق له

وله إليه : المودّة - أعزّك الله - غَيْبٌ ، وهو في مكان من الصّدْر ، لا ينفذه بصر ، ولا يُذَرِّكُهُ نَظَرٌ ، ولكنها تُعَرِّفُ ضرورةً ، وإن لم تظهر صُورَةً ، ويدركها الناس ، وإن لم تدركها الحواس ، ويستملي المرء حقيقتها من صدره ، ويعلم حال غيره من نفسه ، ويعلم أنها حبٌّ وراء القلب ، وقلب وراء الخلب<sup>(١)</sup> ، وخب وراء العظم ، وعظم وراء اللحم ، ولحم وراء الجلد ، وجلد وراء البُرْد ، وبرد [ وراء البعد ] . ولو كانت هذه الحجبُ قواريير لم ينفذها نظر ، فيستدلّ عليها بغير هذه الحاشية بدليل إلا أن أزوره ، والله لو التبست به التباساً ، يجعل رأسينا رأساً ، مازدته ودّاً ، ولو حال بيني وبينه سورُ الأعراف ، ورمّلُ الأحقاف ، ما نقصته حقاً .

\*\*\*

لأبي الفضل  
الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

وَعَزَّالٍ مَنَحْتُهُ ظَاهِرَ الْوَدِّ فَجَازَى بِالصَّدِّ وَالْإِتْحَابِ  
لَمْ أَلْمِهِ إِنْ رَدَّنِي لِحِجَابٍ رَدَّنِي وَإِلَهُ الْفَوَادِ لِمَا بِي<sup>(٢)</sup>  
هُوَ رُوحٌ وَلَيْسَ يُنْكَرُ لِلرُّوحِ رَحَ تَوَارِيحِ الْوَرَى بِحِجَابِ

\*\*\*

وللبديع إلى أخيه :

كتابي أطال الله بقاءك ، ونحن وإن بعدت الدارُ فرعاً نَبْعَةً ، فلا يَجْنِيَنَّ  
بُعْدِي عَلَى قُرْبِكَ ، ولا تَمَحْوَنَ ذِكْرِي مِنْ قَلْبِكَ ، فالأخوان ، وإن كان أحدهما  
بمخراسان والآخر بالحجاز ، مجتمعان على الحقيقة مفترقان على الحجاز ، والاثنتان ، في

(١) الخلب - بكسر الخاء وسكون اللام - لمة رقيقة تصل بين الأضلاع .

(٢) في نسخة :

« لم أَلْمِهِ إِذْ انْزَوَى فِي حِجَابٍ \* رَدَّنِي وَإِلَهُ الْحِشَا ذَا التَّهَابِ » (م)

المعنى واحد وفي اللفظ اثنان ، وما بيني وبينك إلا ستر، طوله فترٌ ، وإن صاحبنى  
رفيق ، اسمه موفق ، للثقتين سريعاً ولنسعدن جميعاً ، والله وليّ المأمول .

من ابن العميد  
لبعض إخوانه

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى بعض إخوانه :

قد قرُبَ - أيدك الله - محمّلك على تراخيه ، وتَصَاقَ مستقرُّك على تنائيهِ ؛  
لأنَّ الشوقَ يَمَثِّلُكَ ، والذكرُ يَحْتَمِلُكَ ؛ فنحنُ في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن  
على تلاقٍ ، وفي التسمية مُتَبَايِنُونَ ، وفي المعنى متواصلون ، وإن تَفَارَقَتِ الأشباحُ ،  
لقد تعانقت الأرواح .

### جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار

الدهرُ سريعُ الوَبَةِ ، شنيعُ العَثَرَةِ . أهلُ الدنيا كَرَكَبٍ يُسَارُهُم وهم  
نِيَام . والناسُ وَفْدُ الْبَلِي ، وسكّانُ التَّرَى ، وأقرانُ الرَّدَى . المرةُ نُصْبُ الْحَوَادِثِ  
وأسيرُ الْإِغْتِرَارِ . الْآبَاءُ حَصَائِدُ<sup>(١)</sup> الرِّجَالِ . الْحِرْصُ يُنْقِصُ الْمَرْءَ مِنْ قَدْرِهِ ، وَلَا يَزِيدُ  
فِي رِزْقِهِ . الْكَذِبُ وَالْحَسَدُ وَالتَّفَاقُ أَثَامِي الدَّلِّ . التَّمَامُ جَسْرُ الشَّرِّ . الْحَاسِدُ  
اسْمُهُ صَدِيقٌ وَمَعْنَاهُ عَدُوٌّ . الْحَاسِدُ سَاخِطٌ عَلَى الْقَدْرِ ، مُغْتَاظٌ عَلَى مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، بِخَيْلٍ  
بِمَا لَا يَمْلِكُهُ ، يَشْفِيكَ [منه] أَنَّهُ يَغْتَمُّ فِي وَقْتِ سُرُورِكَ . الْفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الْفَوْتِ  
بَطِيئَةُ الْعَوْدِ . الصَّبْرُ مِنْ ذِي الْمَصِيبَةِ مَصِيبَةٌ عَلَى ذَوِي الشَّامَاتِ . التَّوَاضُّعُ سُلْمُ  
الشَّرَفِ ، وَالْجُودُ رِصْوَانُ الْعَرَضِ مِنَ الدَّمِ . الْعَذْرُ قَاطِعُ [الْأَسْرَارِ] إِذَا كَثُرَ<sup>(٢)</sup>  
خَزَائِنُهَا أَزْدَادَتْ ضَيَاعُ السُّوءِ كَشَجَرَةِ النَّارِ يَحْرِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا . عَبْدُ الشَّهْوَةِ  
أَذَلُّ مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ . وَعَاءُ الْخَطَا بِالصَّمْتِ يَحْتَمِ ، وَالْحَرْقُ بِالرَّفْقِ يُلْهَمُ . الْوَعْدُ  
مَرَضُ الْمَعْرُوفِ ، وَالْإِنْجَازُ بَرُّهُ ، وَالْمَطْلُ تَلْفُهُ . إِذَا حَضَرَ الْأَجَلُ ، افْتَضَحَ

(١) في نسخة « الآمال مصاير الرجال » ولا نصح لفظاً ولا معنى (م)

(٢) في نسخة « كنوز السر إذا كثرت خزائنها - إلخ » (م)



الأمل . لَأَشْنِ وَجْهَ الْغَفْرِ بِالْتَقْرِيعِ . لَا تَفْكُحْ خَاطِبَ مِيرْكَ . وَمَنْ زَادَ أَدْبُهُ  
عَلَى عَقْلِهِ كَانَ كَالرَّاعِي الضَّعِيفِ مَعَ شَاءٍ كَثِيرَةٍ .

قال أبو العباس الناشئ لأبي سهل بن نوبخت :

زَعَمْتَ أبا سهل بأنك جامعٌ ضُرُوبًا مِنَ الْأَدَابِ يَجْمَعُهَا الْكَهْلُ  
وَهَبَكَ تَقُولُ الْحَقُّ أَى فَضِيلَةٍ تَكُونُ لَدَى عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ  
وَالْهَمُّ حَبْسُ الرُّوحِ . قُلُوبُ الْعُقَلَاءِ حَصُونُ الْأَسْرَارِ . مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ  
هَانَ عَلَيْهِ مَالُهُ . مَنْ جَرَى فِي عَنَانِ أَمَلِهِ ، عَثَرَ بِأَجَلِهِ . مَا كُلُّ مَنْ [يُحْسِنُ] وَعَدَهُ  
يَحْسُنُ إِنْجَازَهُ . رُبَّمَا أَوْرَدَ الطَّمَعُ وَلَمْ يُصْدِرْ ، وَضَمِنَ وَلَمْ يُوفِ . وَرُبَّمَا شَرَبُ  
الْمَاءِ قَبْلَ رِيَةٍ . مَنْ تَجَاوَزَ الْكَفَافَ لَمْ يُقْنِعْهُ إِلَّا كَثَارٌ . كَلِمَا عَظُمَ قَدْرُ الْمُنَافِسِ  
فِيهِ عَظُمَتِ النِّجْمَةُ بِفَقْدِهِ ، وَمَنْ أَرْحَلَهُ الْحِرْصُ أَنْضَاهُ الطَّلَبِ . الْأَمَانِيُّ تَعْمِي  
أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَمْ يُوْثِقْهُ . وَرُبَّمَا كَانَ الطَّمَعُ وَعَاءَ خَشْوَةِ الْمَتَالِفِ ،  
وَسَائِقًا يَدْعُو إِلَى النَّدَامَةِ . مَا أَخْلَى تَلَقَّى الْبَغْيَةِ ، وَأَمْرٌ عَاقِبَةُ الْفِرَاقِ . مَنْ لَمْ  
يَتَأَمَّلِ الْأَمْرَ بَيِّنِ عَقْلِهِ ، لَمْ تَنْفَعْ حِيلَتُهُ إِلَّا عَلَى مَقَامٍ تِلْهِ .

[ رثاء المعتضد ، وتعزيتة ]

وقال أبو العباس يَرْتِي المعتضد :

قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِمْ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَامًا إِمَامَ الْخَلْقِ بَيْنَ يَدَيْهِ <sup>(١)</sup>  
وَصَلَوْا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَانَهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ  
وقال يَرْتِيهِ :

قَالَتْ شَرِيرَةٌ مَا لَجَفْنِكَ سَاهِرًا قَلِيلًا ، وَقَدْ هَدَأَتْ عَيْنُ النُّوْمِ <sup>(٢)</sup>  
مَا قَدْ رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ أَحْلَى بِي . هَذَا ، وَتَحْتَ الصَّدْرِ مَا لَمْ تَعْلَمْ بِي

(١) في نسخة « ثم قدموا \* إماما إمام الحق - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « قالت سريرة » بالسین المهملة (م)

يَانْفَس صَبْرًا لِلزَّمَانِ وَرَبِّهِ  
إِنَّ الَّذِي حَازَ الْفَضَالَ كُلَّهَا  
أَمَّا السُّيُوفُ فَمِنْ صَنَائِعِ بَاسِهِ  
وَكُنَّا أَحْدَاثَ الزَّمَانِ عَيْدُهُ  
يَقْطَعَانِ مِنْ سِنَةِ الْمَضْيَعِ قَلْبَهُ  
يَرْغَى الضَّغَائِنَ قَبْلَ سَاعَةِ فُرْصَةٍ  
كَمْ فُرْصَةٍ تَرَكْتَ فَصَارَتْ غَصَّةً  
وَلَرُبَّ كَيْدٍ ظَلَّ يَسْجُدُ بَعْدَهَا  
وَهِيَ الْمَنَايَا إِنْ رَمِينَ بَنِيهَا  
لِلَّهِ دَرْكٌ أَيْ لَيْثٌ كَتَبِيَّةٌ  
وَلَقَدْ عَمِرَتْ وَلَا حَرِيمٌ مَعَانِدُ  
وَقَالَ لِلْمَعْتَضِدِ يَعْزِيهِ بَابُهُ هَرُونَ :  
يَا نَاصِرَ الدِّينِ إِذْ هَدَّتْ قَوَاعِدُهُ  
وَقَائِدُ الْخَلِيلِ مَذْشُدَّتْ مَآزِرُهُ  
كَأَنَّهُمْ قَنَاءٌ لَيْسَتْ لَهَا عُقْدَةٌ  
قُبَّ كَطَى ثِيَابِ الْعَصَبِ مَضْمُورَةٌ  
وَسَائِسَ الْمَلِكِ يَرْعَاهُ وَيَكْلُؤُهُ  
تَمْرِي أَنَامِلُهُ الدُّنْيَا لِصَاحِبِهَا  
كَأَلْسَنُهُمْ يَبْعَثُهُ الرَّأْيِي فَصَفَحْتُهُ  
لَا يَشْتَكِي الدَّهْرَ إِنْ خَطَبُ أَلَمَ بِهِ  
صَبْرًا ، فَذِينَكَ إِنْ الصَّبْرَ عَادَتُنَا

- (١) في نسخة « قب كطى ثياب القصر » تطبيع ، والعصب - بالفتح - برد  
يعنى يجمع غزله ويشد ثم يصبغ وينسج ، وقبل : هى برود مخططة (م)  
(٢) تمرى : أصله قولهم « مرى فلان الضرع يمرىه » إذا استخرج لبنه (م)  
(٣) فوق السهم : موضع الوتر منه (م) (٤) الصمصام : السيف (م)

فبادِرِ الاجْرَ نحو الصَّيْرِ مُحْتَسِبًا إِنَّ الْجَزْعَ صَبُورٌ بعد أيامٍ  
 ولما ماتت دُرَيْدَةُ<sup>(١)</sup>، وهى جَارِيَةٌ [المعتضد، و] كانت مَكِينَةً عنده، جَزِعَ جَارِيَتُهُ دُرَيْدَةَ  
 عليها جزعا شديداً، فقال له عبيد الله بن سليمان: مثلك يا أمير المؤمنين تهون عليه  
 المصائب؛ لأنك تجد من كل قعيدٍ خلفاً، وتنالُ جميع ما تريد من العِوَضِ،  
 والعِوَضُ لا يوجد منك، فلا ابتلى الله الإسلام بقعدك، وعمره بطول بقاء عمرك،  
 وكان الشاعر عَنَى أمير المؤمنين بقوله:

يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ الْإِبِلِ  
 فضحك المعتضد وتسلى وعاد إلى عادته.

قال محمد بن داود الجراح: فلقيني عبيدُ الله فأخبرني بذلك، وقال: أردت  
 شعراً فى معنى البيت الذى أنشدته فما وجدته؛ فقلت له قد قال البطين البجلي:  
 طوى الموت ما بينى وبين أحبةٍ بهم كنتُ أعطى من أشاء وأمنعُ  
 فلا يحسب الوأشون أن قناتنا تَلِينُ، ولا أنا من الموت نَجْزَعُ  
 وإن كنَّا للآلافِ - لا بدَّ - لَوَعَةٍ إذا جعلت أقرانها تتطلمعُ<sup>(٢)</sup>  
 فكتبه، وقال: لو حفظته لما عدلتُ عنه.

[ من شعر ابن المعتز ]

وقال ابن المعتز، وذكر الموقى:  
 وسُكَّانِ دَارٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ عَلَى قُرْبٍ بَعْضٍ فِي الْحَلَةِ مِنْ بَعْضٍ  
 كَأَنَّ خَوَاتِمًا مِنَ الطَّيْنِ فَوْقَهُمْ فَلَيْسَ لَهَا حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ فَضٍّ  
 وقال يمدح عبيد الله بن سليمان:

(١) فى نسخة « دَوِيرَة » (م)

(٢) فى نسخة « إذا جعلت أقرانها تتقطع » (م)

أَيَا مُوَصِّلَ النُّعْمَى عَلَى كُلِّ حَالَةٍ      إِلَى قَرِيبًا كُنْتُ أَوْ نَازِحَ الدَّارِ  
 كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ      وَإِنْ جَادَ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا بِإِمطارِ  
 وَيَا مُقْبِلًا وَالذَّهْرُ عَنِّي مُعْرَضٌ      يَقْسَمُ لِحِمِي بَيْنَ نَابٍ وَأُظْفَارِ  
 وَيَا مَنْ يَرَانِي حَيْثُ كُنْتُ بِقَلْبِهِ      وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ لَا يَرَوْنَنَّ بِأَبْصَارِ  
 لَقَدْ رُمْتُ نِي آمَالَ نَفْسِي كُلِّهَا      فَيَا كَلْفَ نَفْسِي لَوْ أُعْذَتَ بِمَقْدَارِ  
 ذَكَرْتُ مُنَى سَمْعِ الْإِمَامِ وَعَيْنِهِ      وَرَفَعْتُ نَارِي كِي يَرَى ضَوْءَهَا السَّارِي  
 وَكَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ فِي صَرْفِ نِقْمَةٍ      تَرْجَى وَمَكْرُوهِ حَالًا بَعْدَ إِمَارِ  
 وَمَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ بِنَافِعٍ      وَلَا كُلُّ مَا تَخْشَى النُّفُوسُ بِضَرَّارِ

قوله : \* كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ \* مأخوذ من قول سهشل بن حري

وقد بعث إليه كثير بن الصَّلْتِ كِسُوءَ وَمَالًا مِنَ الْمَدِينَةِ :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ      بَنِي الصَّلْتِ إِخْوَانُ السَّمَاحَةِ وَالْمَجْدِ  
 أَنَانِي وَأَهْلِي بِالْعِرَاقِ نَدَاهُمُ      كَمَا انْقَضَ سَيْلٌ مِنْ تَهَامَةٍ أَوْ مَجْدِ

وقال ابن المولى :

سُرِّزْتُ بِمُجْعَفٍ إِذْ حَلَّ أَرْضِي      كَمَا سُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْإِيَابِ  
 كَمَطُورٍ يَبْلُغُهُ فَأَضْـحَى      غَنِيًّا عَنْ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ

\*\*\*

وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى أَبِي الْجَنُوبِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ وَهُوَ بِبَغْدَادَ عَشْرِينَ  
 أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ :

لَعَمْرِي لَنِعَمِ الْغَيْثُ غَيْثٌ أَصَابَنَا      بِبَغْدَادَ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَابِلُهُ <sup>(١)</sup>  
 وَنِعْمَ الْفَتَى وَالْبَيْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      بَعَثَرِينَ أَلْفًا صَبَحَتْنِي رَسَائِلُهُ <sup>(٢)</sup>

(١) الوابل : المطر الغزير (م)

(٢) البید : الصحارى ، واحدها يبداء (م)

فَكُنَّا حَتَّى صَبَحَ الْغَيْثُ أَهْلَهُ      وَلَمْ تَنْتَجِعْ أَظْمَانُهُ وَحَمَانُهُ  
أَتَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى كَفَتْ بِهِ      رَوَّاحُنَا سَيْرَ الْفَلَاةِ رَوَّاحِلُهُ  
[ أبو شجاع ]

وكانت بنو كلاب ومن والآها من العرب بنواحي الكوفة تجتمعوا وعزموا على أخذ الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، فبعث أبو شجاع عضد الدولة دينر<sup>(١)</sup> ابن لشكروز فأصلحهما، وكان أبو الطيب المتنبّي بها فوصله وبعث إليه خلعاً وقاد إليه فرساً بسرّيج ثقيلاً، فقال في قصيدة :

فَلَوْ لَمْ يَسِرْ سِرْنًا إِلَيْهِ بِأَنْفُسٍ      غَرَائِبَ يُؤْتِزْنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ  
وَمَا أَنَا مِنْ يَدْعَى الشَّوْقَ قَلْبُهُ      وَيَعْتَلِّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشَّغْلِ  
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْفَضْلَ فِي الْقَصْدِ شِرْكَةً      فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ فِي الْقَصْدِ وَالْفَضْلِ  
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا      كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ  
[ الموفق العباسي ]

وكان ابن المعتز يمدح أبا أحمد بن المتوكل، ويلقب بالناصر والموفق، وكانت حاله ترامت في أيام المعتضد إلى غاية لم يبلغها الخليفة، وقد ذكرها الصولي في قصيدة [صاحب المغرب]، فقال وقد اقتصّ خلفاء بني العباس من أولهم:

وَمَعْتَضِدٍ مِنْ بَعْدِهِ وَمَوْفِقٍ      يُرَدِّدُ مِنْ إِرْثِ الْخِلَافَةِ مَا ذَهَبُ  
مُؤَاوِزٍ لَهُمْ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَسُودِدَ      وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَدَمِ مِنْهُمْ لِمَنْ حَسَبُ<sup>(٢)</sup>  
وقال المعتضد، أو قيل على لسانه، لما غلب الموفق على أمره:

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ مَثَلِي      يَرَى مَا هَانَ مَتْنَعًا عَلَيْهِ  
وَتَوَخَّذَ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعًا      وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ  
وشعر ابن المعتز فيه :

(١) في شرح ديوان المتنبّي « دلير » باللام مكان النون (م)

(٢) في نسخة « ينازلهم في كل فضل - إلخ » (م)

إليك امتطينا العيس تنفخ في البُرى  
صدين من التَّهْجِيرِ حتى كأنها  
فتناً ضيواً للفلاة قَرام  
يهز برود العَضْبِ فوق متونها  
ولما طغى أمرُ الدَّعَى رميةً  
وجرد من أغماره كل مرهف  
جرى فوق مَنَتهِ الفِرْنَدُ كأنما  
وأعلمته كيف التصافح بالقنا  
سريع إلى الأعداء، أما جنبابه  
ويقرى السؤال العُذْر من بعد ماله  
أخذ معنى قوله : « نسيم كنفث الراقيات عليل » عبد الكريم بن إبراهيم،  
فقال :

سلامٌ على طيب رَوْحَاتِنَا  
إلى مَزِيدِ المَوْجِ طامِي العُبا  
تخال به قطعاً مَقْرَماً  
ويَسْجُو فيسحب في ذائل  
كأن الشمال على وجهه  
ضعيفة رَشَّ كَنَفْثِ الرِّقَى  
إذا دَرَجَتْ فوقه دَرَجَتُهُ في حَبْكِ الزَّرْدِ المَحْكَمِ  
وقد جَلَّتْهُ بِأوراقِها  
عَلَتْها الحَمَامُ بتغريدها  
إلى القَصْرِ والنَّهْرِ الخِضْرَمِ (٣)  
ب يقذفُ بالْبَنَانِ والسَّاسِمِ (٤)  
يكرّ على قَطمٍ مُقَرَّمِ  
يَمَانٍ تَسْمُهمُ بِالْأَنْجُمِ  
بها سَقَمَ وهي لم تَسْقَمِ  
على كبد المَذْنَفِ المَغْرَمِ  
إذا دَرَجَتْ فوقه دَرَجَتُهُ في حَبْكِ الزَّرْدِ المَحْكَمِ  
وقد جَلَّتْهُ بِأوراقِها  
عَلَتْها الحَمَامُ بتغريدها

(١) العنيق ، والنص ، والذميل : ضروب من السير السريع (م)

(٢) العَضْب : السيف القاطع ، وقليل : مكسور (م)

(٣) الخضرم : العظيم (م) (٤) الساسم : شجر أسود، ويقال: هو الآبنوس.

كَأَنَّ شَعَاعَ الضَّحَى بَيْنَهَا      عَلَى السَّوْسَنِ الْغَضَّ وَالْخَرَمَ  
وَشَائِعَ مَنْ ذَهَبَ سَائِلَ      عَلَى خَسِرَوَانِيَّةٍ نَعَمَ  
رُبًّا تَتَفَقَّأَنَّ مِنْ فَوْقَهَا      عَزَّ إِلَى الرَّبِيعِ لَهَا الرِّمَ (١)  
عَلَى كُلِّ مَحْبِيَّةٍ خَلَّةٌ      تَسْدَى عَلَى جَدَوَلٍ مَفْعَمَ  
كَامْتَلِ الْوَقْفَ صَوَاغُهُ      وَكَالْأَرْقَمِ انْسَابَ لِلْأَرْقَمِ

[ صاحب الزنج ]

وقول ابن المعتز «ولما طفا أمرُ الدعي» يريد صاحب الزنج بالبصرة ، وكانت شوكته قد انقضت وظفر به بعد واقعة كثيرة ، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدة طويلة جدا يمدح فيها أبا أحمد [ الموفق بن المتوكل ، وصاعد بن خالد ، والعلاء بن صاعد ابنه ، وهي من أجود شعره ، فقال ] :

أَبَا أَحْمَدَ أَبْلَيْتَ أُمَّهُ أَحْمَدُ      بِلَاءَ سِيرَضَاهُ ابْنُ عَمِّكَ أَحْمَدُ  
حَصَرْتَ عَمِيدَ الزَّنجِ حَتَّى تَحَاذَلَتْ      قُوَاهُ ، وَأَوْدَى زَادَهُ الْمَزْوَدُ (٢)  
فَظُلَّ ، وَلَمْ تَقْتُلْهُ ، يَلْفِظُ نَفْسَهُ      وَظَلَّ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُ ، وَهُوَ مَقِيدُ  
وَكَاثَتْ نَوَاحِيهِ كَثَافًا فَلَمْ تَزَلْ      تَحْتَفِيهَا شَحْدًا كَأَنَّكَ مَبْرَدُ (٣)  
تَفَرَّقَ عَنْهُ بِالْمَسَاكِدِ جُنْدُهُ      وَيزدادهم جنداً وجندك محصدُ (٤)  
وَلَا يَسُ سَيْفِ الْقُرْنِ بَعْدَ اسْتِلَابِهِ      أَضْرُّ لَهُ مِنْ كَاسِدِيهِ وَأَكِيدُ  
فَمَا رُمَتْهُ حَتَّى اسْتَقْلَّ بِرَأْسِهِ      مَكَانَ قَنَاةِ الظُّهْرِ أَسْمَرُ أَجْرَدُ

[ هذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

وَرَأْسُ مَهْرَاقٍ قَدْ رَكِبْتَ قَلَّتَهُ      لَدَنَا يَقُومُ مَقَامَ اللَّيْلِ وَالْجَلِيدِ  
وَلَمْ تَأَلْ إِذَا رَأَى لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ      رَأَى أَنَّ مَتْنِ الْبَحْرِ صَرَحَ مَرْدُ  
سَكَنْتَ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا بَوَثْبَةً      عَمَاسٍ ، كَذَاكَ اللَّيْثُ لِلْوَثْبِ يَلْبُدُ (٥)  
هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

(١) في نسخة « عزالى الربيع لدى المرم » (م)

(٢) أودى : هلك (م) (٣) في نسخة « وكانت نواحيه كفافا » تطبيع (م)

(٤) في نسخة « وجندك يحصد » (م) (٥) عماس : شديدة (م)

وقلت يا قوم إن الليثَ منقبضٌ على براثنِهِ للوئبةِ الضاريِ  
ويقول في مدح صاعد :

يقرّظ إلا أن ما قيلَ دونهُ . ويوصفُ إلا أنه لا يحدّد<sup>(١)</sup>  
أرقّ من الماء الذي في حُسامِهِ طِبَاعاً ، وأمضى من شبّاهُ وأنجدُ  
له سورَةٌ مُكْتَنَّةٌ في سَكِينَةٍ كما اكننَ في الغمْدِ الجُرّازُ المهندُ  
كانَّ أباه حين سَمّاهُ صاعدا رأى كيف يرقى في العالی ويضعُدُ

[ لما سمع البحتری هذا البيت قال : منى أخذه ، في قوله في العلاء بن  
صاعد ] :

سمّاهُ أسرته العلاء وإنما قصدوا بذلك أن يتمَّ علاه  
وهذا في قوله ، كما قال [ ابن ] الرزبان وقد أنشد لابن المعتز في مناقضة  
الطالبين :

دَعُوا الأسدَ تسكنُ في غابِها ولا تدخلوا بين أنيابِها  
فنحن ورثنا ثيابَ النبي فليَمْ تَجْدِبُون بهدأِها  
[ قال : ] قد أخذه من [ قول ] بعض العباسيين :  
دَعُوا الأسدَ تسكنُ أغياها ولا تقربوها وأشبالها  
ولكنه سرق ساجاً ، وردّ عاجاً ، وغلّ قطيفة ، وردّ ديباجاً .  
ومن قصيدة ابن الرومي :

تراه على الحَرْبِ العَوانِ بمنزل وآثاره فيها ، وإن غاب ، شهّدُ  
كما احتجب المقدارُ والحكم حكمهُ على الخلق طرّاً ليس عنه معرّدُ<sup>(٢)</sup>  
البحتری :

ولى الأمور بنفسه ، ومحلّها متقاربٌ ، ومراهمها متباعِدُ<sup>(٣)</sup>

(١) في نسخة « ويوصفُ إلا أنه يتجدد »

(٢) ليس عنه معرّد : ليس عنه مهرب (م)

(٣) في نسخة « ربي الأمور بنفسه » وليست بشيء (م)



يتكفل الأذنى، ويذكرُ رأيه إلأ أقصى، ويتبعهُ الأبنى العائِدُ  
 إن غار فهو من النباهة منجد أو غاب فهو من المهابة شاهد  
 وقال أعرابي يصف رجلا : كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه ، ويرسل  
 العيونَ على عيونه ؛ فهو غائبٌ عنهم ، شاهد معهم ، والحسينُ آمنٌ، والمسيءُ خائف.  
 فتى رُوحه روحٌ بسيطٌ كيانه ومسكن ذاك الرُوح نورٌ منجسدٌ  
 صفًا ونقى عنه القذى فكانه إذا ما استشفته العقولُ مصعدٌ  
 كرمتم نجاش المفحمون بمدحكم إذا رَجَزُوا فيكم أثبتتم فتصدوا  
 أرى مَنْ تعاطى ما بلغتكم كرائم منال الثريا وهو أكمه متعبد  
 كمازهرت جناتُ عدنٍ وأثمرت فاضحت وعُجم الطير فيها غرد  
 وفي هذه القصيدة يقول :

لِمَا تُؤْذِنُ الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفلِ ساعةً يُولدُ  
 وإلا فما يُبكيه منها وإنها لأفصحُ مما كان فيه وأرغدُ  
 إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه بما سوفَ يلقى من رداها يُهددُ  
 قال الصولى : افتتح ابنُ الرومى هذه القصيدة على ما لا يلزمه<sup>(١)</sup> من فتح ما قبل  
 حَرَفِ الروى اقتدارا، فحمله ذلك على أن قال :

متاحٌ له مقداره فكأنما تقوَّضَ شَهْلَانٌ عليه وصنددُ<sup>(٢)</sup>  
 شهلان : اسم جبل ، وهذا لا يصح ، إنما هو صندد بكسر الدال ؛ لأن  
 فعلا لم يجرى إلا فى أربعة أحرف : درهم ، وهجرع [ للأحق ] ، وهبلع الذى  
 يبلغ كثيرا ، ولعلم الذى يقطع الأشياء .  
 وقول ابن المعتز فى وصف السيف<sup>(٣)</sup> : \* كأنما تنفس فيه القين وهو صَقِيلٌ \*  
 معنى بديع فى وصف الفرند ، وقد قال :

(١) فى نسخة « على ما يلزمه » والكلام بعده يؤيد أن الأصل ما أثبتناه (م)

(٣) أنظر ص ٧٩٦

(٢) متاح : مهيا ومقدر (م)

ولى صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ فما يُنتَصَى إلا لسفكِ دماء  
ترى فوق مَنَتِيهِ الفِرِّندَ كأنه بقية غنيمٍ رقٌّ دون سماء  
وقال أيضاً إسحاق بن خلف :

ألقى بجانب خصره أمضى من الأجل المتاح  
وكأنما ذرَّ الهبَّاء عليه أنفاسُ الرياح

ولما صار سيفُ عمرو بن معد يكرب الذى كان يسمَّى الصمصامة إلى الهادى ،  
— وكان عمروٌ وهبه لسميد بن العاص ، فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي ،  
فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل ، وكان أوسعُ بنى العباس كفاً ، وأكثرم  
عطاءً — ودعا بالشعراء ، وبين يديه مكثل فيه بذرة ، فقال : قولوا فى هذا السيف ؛  
فبدر ابن يامين البصرى فقال :

حاز صمصامة الزُّبَيْدَى من بين جميع الأنام موسى الأمينُ  
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خيرَ ما أُغِدَّتْ عليه الجفونُ  
أخضر اللون بين خديه بردٌ من ذُعافٍ يَمِيسُ فيه النونُ <sup>(١)</sup>  
أوقدت فوقه الصواعقُ ناراً ثم شابت فيه الذعافُ القيونُ <sup>(٢)</sup>  
فإذا ما سلَّته بهر الشمس ضياءً فلم تكد تستبينُ  
ما يبالي من انتضاءٍ لحرب أشمالٍ سطت به أو يمينُ  
يستطيرُّ الأبصارُ كالقَبْسِ المشعل ما تستقرُّ فيه العيونُ  
وكانَ الفِرِّندُ والجوهرُ والجا رى على صفحته ماءً معين  
نعمَ مخراق ذى الحفيظة فى الهيء جاء يعصى به ونعمَ القرينُ

قال موسى : أصبت ما فى نفسى ، واستخفَّ [ الفرح ] فأمر له بالمِكثَلِ  
والسيف ؛ فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتُم من أجلى ، فشأنكم المِكثَلُ

(١) الذعاف — بضم الدال بزة غراب — السم ، ويميس : يتبختر ، والنون :  
الموت (م)

(٢) شابت : خلطت ، والقيون : جمع قين ، وهو الحداد (م)

وفي السيف غناى [ فقام موسى ] فاشترى منه السيف بمالٍ جليل .

البحترى :

قد جُذتْ بالطَّرْفِ الجِوَادِ فَثَنَهُ      لَأَخِيكَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْكَ بِمَنْصُلٍ <sup>(١)</sup>  
يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مِنْالَهُ      عَفْوًا ، وَيَفْتَحُ فِي الْفَضَاءِ الْمُقْفَلِ  
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتِيفٍ مُظْلِمٍ      وَهَدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ بِجَهْلٍ  
يَغْشَى الْوُغَى فَالْتَرَسَ لَيْسَ بِجَنَّةٍ      مِنْ حَدَّةٍ ، وَالذَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ  
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُنْمِضْهُ يَدُ فَارِسٍ      بَطْلٍ ، وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ  
مُضْغَعٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى      لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ  
مَتَوَقَّدٌ يَفْرِى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ      مَا أَدْرَكْتَ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدُوبِلٍ <sup>(٢)</sup>  
فَكَأَنَّ فَارِسَهُ إِذَا اسْتَعَصَى بِهِ الزَّ      حَقَانٌ يَعْمَى بِالسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ <sup>(٣)</sup>  
فَإِذَا أَصَابَ فِكْلَ شَيْءٍ مَقْتَلٌ      وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ  
حَمَلَتْ حِمَالُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ      مِنْ عَهْدٍ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذْبَلِ  
وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِيٍّ لِلْمَعَزِ :  
عَجِبًا لِمَنْصُلِكَ الْمَقْلَدُ كَيْفَ لَمْ      تَسِلَ النُّفُوسُ عَلَيْكَ مِنْهُ مَسِيلًا  
لَمْ يَخْلُ جِبَارُ الْمُلُوكِ بِذِكْرِهِ      إِلَّا تَشَعَّطَ فِي الدَّمَاءِ قَتِيلًا  
فَإِذَا رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا عِلَّةَ      لِلنِّيرَاتِ وَنِيرًا مَقْبُولًا  
بِكَ حَسَنَهُ مَقْلَدًا وَبِهَآؤُهُ      مَتَنَكَّبًا وَمَضَاوَهُ مَسْلُولًا  
فَإِذَا غَضِبْتَ عَلَيْهِ دُونَكَ رُبْدَةٌ      يَقْدُوبُهَا طَرْفُ الزَّمَانِ كَحِيلَا  
وَإِذَا طَرَبْتَ إِلَى الرَّضَا أَهْدَى إِلَى      شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ عَارِضًا مَصْقُولًا  
كَتَبَ الْفَرِيدُ عَلَيْهِ بَعْضَ صِفَاتِكُمْ      فَعَرَفْتُ فِيهِ التَّسَاجَ وَالْإِكْلِيلَا

(١) الطرف - بلاكسر - الفرس ، والجدوى : العطاء ، والمنصل : السيف

(٢) يفرى : يقطع ، وفي نسخة « يبرى بأول ضربة » ولها وجه (م)

(٣) في الديوان « فكأن شاهره » وهى خير مما هنا ، وفي نسخة « استعصى

به في الزحف » (م)

وقال :

هل يدنيني من فنائك سائحٌ      مرحٌ وجائلةُ التسوعِ أمونُ  
ومهندٌ فيه الفريدُ كأنه      درّ له خلفُ الفراتِ كمينُ  
غضب المضارب مقفرا من أعين      لكنه من أنفُس مسكون  
وأهدى الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً، فكتب إليه : « الحمد لله الذي  
خصّك بمنافع كمنافع ما أهديت ، وجعلك تهتزُّ للمكارم اهتزاز الصارم ، وتمضي  
في الأمور مضاء حذو الماثور ، وتصون عرضك بالإرفاد <sup>(١)</sup> ، كما تُصانُ السيوفُ  
بالأغمد ، ويطرد ماء الحياء في صفحات خدك المشوف ، كما يشفّ الرونقُ  
في صفائح السيوف ، وتصلُّ شرفك بالعطيات ، كما تصلُّ متونُ  
المشرفيات .

[ وفد الشام بين يدي المنصور ]

قدم على أبي جعفر المنصور وفدٌ من الشام بعد انهزام عبد الله بن علي ، وفيهم  
الحارثُ بن عبد الرحمن الغفاري ، فتكلّم جماعةٌ منهم ، ثم قام الحارث فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ إنا لسنّا وفدَ مباهاة ، ولكننا وفدُ توبة استخفّت حليمنا ؛ فنحن  
بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا مُعتذرون ، فإن تعاقبنا فيما أجرّ منا ، وإن  
تعفُّ عنا فطلما أحسنت إلى من أساء ، فقال المنصور : أنت خطيب القوم ، وردّ  
عليه ضياعه بالغوطة .

وقال رجلٌ من أهل الشام للمنصور : يا أمير المؤمنين ، من انتقم فقد شفى  
غيطه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر  
فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشفي طرفٌ من الجرع ، ولم يمدح أهل التقى والنهي  
من كان حليماً بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفح والاعتذار وشدة التغافل ،

وبعد فالعاقب مستدرج لعداوة أولياء الذنب ، والعاقب مستدرج لشكرهم آمين من مكافأهم ، ولأن يُثني عليك بأَسَاعِ الصدر خيرٌ من أن توصفَ بضيقة ، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربههم ، وموصول بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه ، قال الله عز وجل : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

[ بعض ما قيل في العفو ]

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه : « إذا كنت لم تَرْضَ مني بالإساءة فلم رضيت من نفسك بالمكافأة » .

وأذنب زجل من بنى هاشم فقبضه المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ حَلَّ مثل دالتي ، وليس قُوبَ حرمتي ، غُفِرَ له مثل زَلَّتِي ، قال : صدقت وعفا عنه . ولما دخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نالته فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له : لا يَصْغِيْ عِنْدَكَ خَوْلُ النُّبُوَّةِ ، وزوال الثروة ؛ فإنَّ السيفَ العتيق إذا مسَّهُ كثيرُ الصدا أَسْتَفْنَى بِقَلِيلِ الْجَلَاءِ حَتَّى يَعُودَ حَدُّهُ ، ويظهر فِرْنَدُهُ ؛ ولم أَصِفْ نَفْسِي عَجَبًا ، لَكِنْ شُكْرًا . وقال صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا خَيْرَ » ؛ فجهز بالشكر ، وترك الاستِطالة بالكثير .

[ تميم بن جميل والمعتصم ]

وكان تميم بن جميل السدوسي [ قد أقام ] بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه كثيرٌ من الأعراب ، فعظم أمره ، وبعد ذكره ؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه ، فتبدد جمعه ، وظفر به فحملهُ مَوْثَقًا (٣) إلى باب المعتصم ، فقال أحمد بن أبي داود : مارأيتُ رجلًا عاين الموت ، فما هأاه ولا شغلَه عما كان يَحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ ؛ فإنه لما مثلَ بين يدي المعتصم وأحضر

(١) في نسخة « من حمل مثل جمالي » (م)

(٢) تبدد جمعه : تفرق المجتمعون إليه (م)

(٣) في نسخة « فحملهُ مستوثقاً » وليس بذلك (م)

السيفَ والنَّطْعَ ، ووقف بينهما ، تأمله المعتصم — وكان جميلا وسيما — فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا تميم ، فقال :  
 أما إذ أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه  
 وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، [يا أمير  
 المؤمنين : ] جبر [ الله ] بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأوضح  
 بك سبل الحق ، وأخذ بك شهاب الباطل ؛ إن الذنوب تحرس الألسن  
 الفصيحة ، وتغيب الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة  
 وساء الظن ، فلم يبق إلا عفوك وانتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما مني  
 وأسرهما إلى أشبههما بك ، وأولاهما بكرمك ، ثم قال :

أرى الموت بين السيف والنَّطْع كما نأ  
 وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي  
 وأي امرئ يأتي بعذر وحجة  
 وما جزعي من أن أموت وإني  
 ولكن خافي صبيته قد تركتهم  
 فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة  
 ومك قاتل لا يبعد الله داره  
 فتبسم المعتصم وقال : يا جميل ، قد وهبتك للصبي ، وغفرت لك الصبوة ،  
 ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له على شاطئ الفرات .

[ من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر ]

وكتب المعتصم — حين صارت إليه الخلافة — إلى عبد الله بن طاهر : عافانا الله  
 وإياك ، قد كانت في قلبي منك هنات غفرها الاقتدار<sup>(٣)</sup> ، وبقيت حرازا أخاف  
 منها عليك عند نظري إليك ؛ فإن أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ،

(١) أصلت السيف : أخرجه من غمده (م)

(٢) موقت : له وقت محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر (م)

(٣) في نسخة « هفوات غفرها الاقتدار » (م)

وَحَسْبُكَ مَعْرِفَةٌ بِمَا أَنَا مُنْظَرٍ لَكَ عَلَيْهِ إِطْلَاعِي إِيَّاكَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِي مِنْكَ ،  
والسلام .

### [ الخليفة المعتصم ]

قال العباسُ بن المأمون : وَلَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ دَخَلْتُ ، فَقَالَ :  
هَذَا مَجْلِسٌ كُنْتُ أَكْرَهُ النَّاسَ الْجُلُوسَ فِيهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ  
تَعْفُو عَمَّا تَيَقَّنْتَهُ ، فَكَيْفَ تَعَاقِبُ عَلَى مَا تَوْهَمْتَهُ ؟ فَقَالَ : لَوْ أُرِدْتُ عِقَابَكَ  
لَتَرَكْتُ عِتَابَكَ .

وكان المعتصم شهماً ، شجاعاً ، عاقلاً ، مفوهاً ، ولم يكن في [خلفاء] بني العباس  
أُمىَ غيره ؛ وقيل : [ بل كان يكتب خطاً ضعيفاً ، و ] كان سبب ذلك أنه رأى  
جنازة لبعض الخدم ، فقال : ليتني مثله لأتخلص من الكُتَّاب ! فقال الرشيد :  
والله لا عَذْبَتِكَ بشيء تختارُ عليه الموت .

قال أبو القاسم الزجاجي : وهذا شيء يُخَسِّكِي من غير رواية صحيحة ،  
إِلَّا أَنْ جَمَلْتُهُ أَنَّهُ كَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ .

وقرأ أحمد بن عمار المذري <sup>(١)</sup> - وكان يتقدم العرض عليه في الحضرة - كتاباً فيه :  
« ومطرنا مطراً كثيراً عنه الكَلَاءُ » فقال له المعتصم : ما الكَلَاءُ ؟ فقال : لا أدري .  
فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! خليفة أُمى و كاتب أُمى ! ثم قال : مَنْ يَقْرَبُ  
مَنَا مِنْ كِتَابِ الدَّارِ لَا يَعْرِفُ مَكَانَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى قَهْرَمَةَ  
الدَّارِ ، وَيُشْرِفُ عَلَى الْمَطْبِخِ ، فَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ : مَا الْكَلَاءُ ؟ فقال : النِّبَاتُ كُلُّهُ  
رَطْبُهُ وَيَابِسُهُ ؛ فَالرَّطْبُ مِنْهُ خَاصَّةٌ يَقَالُ لَهُ خَلَاءٌ ، وَمِنْهُ سَمِيَتْ الْخِلَافَةُ ، وَالْيَابِسُ  
يَقَالُ لَهُ حَشِيشٌ ؛ ثُمَّ انْذَفَعَ فِي صِفَاتِ الْبِنَاتِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى اكْتِمَالِهِ إِلَى هَيْجِهِ ،  
فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْمُعْتَصِمُ ، وَوَلَّاهُ الْعَرْضَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَلَمْ يَزَلْ وَزيراً مُدَّةَ خِلَافَتِهِ  
[ وَخِلَافَةِ الْوَائِقِ ] ، حَتَّى نَكَبَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِحَقْدِهِ عَلَيْهِ أَيَّامَ أَخِيهِ الْوَائِقِ .

(١) فِي نَسْخَةِ « أَحْمَدُ بْنُ عِمَارٍ الشَّيْذَرِيُّ » (م)

المعتصم يكتب  
ملك الروم  
وقال الرياشي : كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدّده فيه ، فأمر بجوابه ،  
فلما قرأ عليه لم يَرْضَ ما فيه ، وقال لبعض الكتاب : اكتب « أما بعدُ فقد  
قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ، والجوابُ ما ترى ، لا ما تسمع ، وسيعلمُ  
الكافرُ لمن عُقِيَ الدار » .

بين الحجاج  
وقطرى  
بن الفجاءة  
وهذا نظيرُ قولِ قطرى للحجاج ، وقد كتب إليه كتاباً يتهدّده ، فأجابه  
قطرى : أما بعد ، فالمدُّ لله الذي لو شاء لجمع شخصينَا : فعلت أن مُتَاقَفَةً  
الرجال [ أقوم ] من تَسْطِيرِ الْقَال ، والسلام <sup>(١)</sup> .

[ كعب بن معدان الأشعري عند الحجاج ]

[ ووصفه بنى المهلب بن أبي صفرة ]

ولما افتتح المهلبُ خراسان ، ونَقَى الخوارج عنها ، وتفرّقت الأزارقة كتب  
الحجاجُ إليه أن اكتب لي بخبر الواقعة ، واشرح لي القصةَ حتى كأني شاهِدُها ؛  
فبعث إليه المهلبُ كعب بن معدان الأشعري ، فأنشده قصيدة فيها ستون بيتاً  
تقتضُ خبرهم لا يخرم منه شيئاً ؛ فقال له الحجاج : أخطيب أم شاعر ؟ قال له :  
كلاهما ، أعزَّ الله الأمير ! قال : أخبرني عن بنى المهلب ، فقال له : المغيرةُ سيدهم ،  
وكفكافُ يزيدُ فارساً ، ومأ لقي الأبطال مثل حبيب ، وما يستحي شجاع أن يفرَّ  
من مُدْرِك ، وعبد الملك موتٌ [ دُعَافٌ وسم ] نافع ، وحسبك بالمفضل في  
التجْدَةِ ، واستَجْهِزْ قبيصة ، ومحمد ليث غاب ، فقال الحجاج : ما أراك فضلت  
عليهم واحداً منهم ؛ فأخبرني عن جلتهم ومن أفضلهم ؟ فقال : هم - أعزَّ الله  
الأمير ! - كالحلقة المفرغة لا يُدْرَى أين طرفها ، قال : إن خبرَ حرٍّ بكم كان يبلغني  
عظيماً ، أفكذلك كان ؟ قال : نعم أيها الأمير ، والسماع دون العيان . قال :  
أخبرني كيف رَضَا المهلبُ عن جنده ورَضَا جنده عنه ؟ قال : أعزَّ الله الأمير ،

(١) في نسخة « من تسطير المقال والقلم » وفي أخرى « من تسطير المقال  
والسلم » وكلاهما تحريف ما أثبتناه (م)



له عليهم شفقة الوالد ، ولهم به برّ الولد . قال : أخبرني كيف فاتكم قَطْرِي ؟ قال : كِدْنَاهُ فِي مَنْزِلِهِ فَتَحَوَّلَ عَنْهُ ، وَتَوَهَّمُ أَنَّهُ كَادَنَا بِذَلِكَ ، قال : فهلا اتبتموه ، قال : الكلب إذا أوجر عقر ، قال : المهلبُ كان أعلم بك حيث أرسلك .

[ بشر بن مالك عند الحجاج ]

[ يصف أبناء المهلب أيضاً ]

وقد رَوَى أَنَّ الْمُهَلَّبَ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَتْلِ عَبْدِ رَبِّهِ الْخُرَوْرِي دَعَا بَشَرَ بْنَ مَالِكٍ فَأَنْفَذَهُ بِالْبَشَارَةِ إِلَى الْحِجَّاجِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْحِجَّاجِ قَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : بَشَرُ بْنُ مَالِكٍ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : بَشَارَةُ وَمَلِكُ ! وَكَيْفَ خَلَقْتَ الْمُهَلَّبَ ؟ قَالَ : خَلَقْتُهُ وَقَدْ أَمِنَ مَا خَافَ ، وَأَدْرَكَ مَا طَلَبَ ، قَالَ : كَيْفَ كَانَتْ حَالُكُمْ مَعَ عَدُوِّكُمْ ؟ قَالَ : كَانَتْ الْبِدَاءُ لَهُمْ ، وَالْعَاقِبَةُ لَنَا ، قَالَ الْحِجَّاجُ : الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، ثُمَّ قَالَ : فَمَا حَالُ الْجُنْدِ ؟ قَالَ : وَسَمِعَهُمُ الْحَقُّ ، وَأَغْنَاهُمُ النَّفْلُ ، وَإِنَّهُمْ لَمَعَ رَجُلٍ يَسُوُّهُمْ سِيَاسَةَ الْمُلُوكِ ، وَيُقَاتِلُ بِهِمْ قِتَالَ الصُّعْلُوكِ ، فَلَهُمْ مِنْهُ بَرٌّ الْوَالِدِ ، وَلَهُ مِنْهُمْ طَاعَةُ الْوَلَدِ ، قَالَ : فَمَا حَالُ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ ؟ قَالَ : رِعَاةُ الْبَيَّاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوهُ ، وَحُمَاةُ السَّرِيحِ حَتَّى يَرُدُّوهُ ، قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِلَى أَيُّهِمْ ، قَالَ : وَأَنْتَ أَيْضًا ، فَإِنِّي أَرَى لَكَ لِسَانًا وَعِبَارَةً ، قَالَ : هُمْ كَالْحُلُقَةِ الْمَفْرُغَةِ لَا يُدْرَى أَيْنَ طَرَفُهَا ، قَالَ : وَيَحْكُ ! أَكُنْتُ أَعْدَدْتُ لِهَذَا الْمَقَامِ هَذَا الْمَقَالَ ؟ قَالَ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ .

[ أبو الصقر وصاعد بن مخلد ]

وَدَخَلَ أَبُو الصَّقَرِ قَبْلَ وَزَارَتِهِ عَلَى صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَهُوَ الْوَزِيرُ حِينَئِذٍ ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ ثَوَابَةَ ، فَسَأَلَ الْوَزِيرُ عَنْ رَجُلٍ ، فَقَالَ : أَنَنِّي ، يَرِيدُ نَفِي ، فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَةَ : فِي الْخُرَّةِ ، فَتَضَاحَكَ بِهِ أَهْلُ الْمَجْلِسِ ، فَقَامَ أَبُو الصَّقَرِ مُعْضَبًا <sup>(١)</sup> .

(١) هذه القصة قد وردت بعبارات مختلفة في نسخ هذا الكتاب ، وقد اخترنا أقرب هذه العبارات إلى الاستقامة (م)

[ أبو العيْناء وابن مَوَابة ]

وكان أبو العيْناء يُعَادِي ابنَ ثَوَابَةِ لِمُعَادَاتِهِ لِأَبِي صَقْرٍ ؛ فَاجْتَمَعَا فِي مَجْلِسٍ صَاعِدٍ فِي غَدٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَتَلَا حَيًّا ، فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَةِ : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ فَقَالَ : بَلَى أَعْرِفُكَ ضَيِّقَ الطَّعْنِ ، كَثِيرَ الْوَسَنِ ، خَارًّا عَلَى الذَّقَنِ ، وَقَدْ بَلَغْنِي تَعْدِيكَ عَلَى أَبِي الصَّقْرِ ، وَإِنَّمَا حَلَمْتُ عَنْكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَكَ عَزًّا فَيَذَلَّهُ ، وَلَا عُلُوًّا فَيُضَمِّعَهُ ، وَلَا يَجِدُ أَفِيدَمَهُ ؛ فَعَافَ لِحَمَلِكَ أَنْ يَأْكُلَهُ ، وَدَمَكَ أَنْ يَسْفِكَهُ ، فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَةِ : مَا تَسَابَتْ إِنْسَانَانِ إِلَّا غَلَبَ الْأَمَهَا ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : فَلِهَذَا غَلَبَتْ بِالْأَمْسِ أَبُو الصَّقْرِ !

[ من مكارم أبي الصقر ]

وَمَا يُعَدُّ مِنْ مَكَارِمِ أَبِي الصَّقْرِ أَنَّ ابْنَ ثَوَابَةِ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي وَزَارَتِهِ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا خُلَاطِئِينَ ، فَقَالَ أَبُو الصَّقْرِ : لَا تُثْرِبْ عَلَيْكَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ [ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ] ، فَمَا قَصَّرَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ ، مَدَّةَ وَزَارَتِهِ .

[ أبو الصقر وأبو العيْناء ]

وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو الصَّقْرِ الْوِزَارَةَ خَيَّرَ أَبُو الْعَيْنَاءِ فِيمَا يَجِبُهُ حَتَّى يَفْعَلَهُ بِهِ ، فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ [ لِی الْوَزِيرَ ] إِلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِي يَعْرِفُهُ مَكَانِي ، وَيُلْزِمُهُ قَضَاءَ حَقِّ مِثْلِي .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا بِحُطَّةٍ ، فَوَصَّلَهُ إِلَى الطَّائِي ، فَسَبَّبَ لَهُ فِي مَدَّةِ شَهْرٍ مَقْدَارَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَاشِرَهُ أَجْمَلَ عَشْرَةٍ ، فَانْصَرَفَ بِمَجْمِيعِ مَا يَجِبُهُ

وَكُتِبَ إِلَى أَبِي الصَّقْرِ كِتَابًا مِثْلُهُ : أَنَا - أَعَزُّكَ اللَّهُ - طَلِيقُكَ مِنَ الْفَقْرِ ،

وَنَقِيزُكَ مِنَ الْبُؤْسِ ، أَخَذْتَ بِيَدِي عِنْدَ عَثْرَةِ الدَّهْرِ ، وَكُنْتُ الْكَبِيرَ ، وَعَلَى

أَيَّةِ حَالٍ حِينَ فَقَدْتَ الْأَوْلِيَاءَ وَالْأَشْكَالَ وَالْإِخْوَانَ وَالْأَمْثَالَ ، الَّذِينَ يَفْهَمُونَ فِي

غَيْرِ تَعَبٍ ، وَهُمْ النَّاسُ الَّذِينَ كَانُوا غِيَاثًا لِلنَّاسِ ، فَحَلَّتْ عَقْدَةُ الْخِلَّةِ ، وَرَدَدَتْ

إِلَيَّ بَعْدَ النِّفَاقِ وَالنِّعْمَةِ ، وَكُتِبَتْ لِي كِتَابًا إِلَى الطَّائِي ، فَكَأَنَّمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكَ ،

أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَى الْأُمُورِ ، وَأَحَاطَتْ بِي النَّوَائِبُ ؛ فَكُتِرَ مِنْ بَشْرِهِ ،

وَبَذَلَ مِنْ بَشْرِهِ ، وَأَعْطَى مِنْ مَالِهِ أَكْرَمَهُ ، وَمِنْ بَرِّهِ أَحْكَمَهُ ، مُكْرِمًا لِي

كتاب من  
أبي العيْناء  
إلى أبي الصقر

مدة ما أقمت ، ومُنْقِلَالِي من فوائده لما ودَّعت ، حكمتي في ماله فتحكمتُ ،  
وأنتَ تعرفُ جَوْرِي إذا تمكَّنتُ ، وزادني من طَوْلِه فشكرتُ ؛ فأحسن الله  
جزاءك ، وأعظم حياءك ، وقدمني أمامك ، وأعاذني من قَدْرِكَ وحمايك ؛ فقد  
أنفقتَ علىَّ مما مَلَكَكَ الله ، وأنفقتُ من الشكر ما يَسْرهُ اللهُ لي ، واللهُ  
عزَّ وجل يقول : ( لِيُنْفِقْ ذُو سَمَةٍ مِنْ سَمَتِهِ . ) فالحمْدُ لله الذي جعل لك اليدَ  
الغالبة ، والرتبة الشريفة ، لا أزال الله عن هذه الأمة ما بَسَطَ فيها من عدْلِكَ ،  
وبثَّ فيها من رِفْدِكَ .

### [ أبو العيناء يذم ابن الخصيب ]

قطعة مختارة من نسخة الكتاب الذي عمله أبو العيناء في ذم أحمد بن الخصيب  
لَمَّا نَكِبَ على أَسْمَةِ الْكِتَابِ والقَوَادِ وأرباب الذولة [ في ذلك الوقت ] .  
قال : ذكره محمد بن عبد الله بن طاهر فقال : ما زال يَحْرَقُ ولا يَرْقَعُ . وما زِلْتُ  
أتوقع له الذي وَقَعَ فيه . [ وذكره أنا مش ، فقال : غدر بمن آثره ، وتخطى إلى  
مالا يقدره ، فحل به ما يحذره . وذكره بُغَاءُ فقال : أَبْطَرَتْهُ النِّعْمَةُ ، ففجأته النِّقْمَةُ ]  
وذكره وصيف فقال : تَرَكَ العقلاء على يَأْسٍ مرتبته ، والحمقى على رجاء درجته !  
وذكره موسى بن بُغَاءُ فقال : لولا أَنَّ الْقَدْرَ يَعِشِي الْبَصَرَ ، لَمَأْهَى فِينَا ولا أَمْر . وذكره  
فارسُ بن بُغَاءُ فقال : لَمْ تَتِمَّ لَهُ نِعْمَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِي الْخَيْرِ هَمَّةٌ . وذكره الفضل  
ابن العباس فقال : إِنْ لَمْ يَكُنْ تَارِيخُ الْبَلَاءِ فَمَا أَعْظَمَ الْبُلُو . وذكره هرون بن عيسى  
فقال : كَانَتْ دَوْلَةٌ مِنْ دُؤْلِ الْحَاجِنِينَ ، خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ . وذكره الْمُقَلَّى بن  
أَيُّوبَ . فقيل له : مَا أَعْجَبَ مَا نَكَبَ ، فقال : نِعْمَتُهُ أَعْجَبُ مِنْ نَكْبَتِهِ ! وذكره  
ميمون بن إِبْرَاهِيمَ ، فقال : لَوْ تَأَمَّلَ فِعَالُهُ فَاجْتَنَبَهَا ، لَاسْتَفْنَى عَنِ الْإِدَابِ أَنْ يَطْلُبَهَا !  
وذكره محمد بن نجاح فقال : لَئِنْ كَانَتِ النِّعْمَةُ عَظُمَتْ عَلَى قَوْمٍ خَرَجَ عَنْهُمْ لِقْدَعُ عَظْمَاتِ  
الْمُصِيبَةِ عَلَى قَوْمٍ نَزَلَ فِيهِمْ ! وذكره علي بن [ رَحِيحِي ] بن [ الْمُنْجَمِ ، فقال : لَمْ يَكُنْ لَهُ أَوَّلُ

يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَلَا آخِرَ يَمُودَ عَلَيْهِ ، وَلَا عَقْلَ فَيَزْكُو لَدَيْهِ ! وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرِ النُّجَيمِ قَالًا : [ قَبَّحَهُ اللَّهُ ] إِنْ ذَكَرْتَ ذَا فَضْلٍ تَنْقُصُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ ضِدِّهِ ، أَوْ ذَكَرْتَ ذَا نَقْصٍ تَوْلَاهُ لِمَا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ ثَوَابَةَ قَالًا : أَمْرُؤُا أَسَاءَ عِشْرَةِ الْأَحْرَارِ ، فَأَصْبَحَ مُقْفِرُ الدِّيَارِ . وَذَكَرَهُ حُجَّاجُ بْنُ هُرُونَ قَالًا : مَا كَانَ لَهُ فِي الشَّرَفِ أَسْبَابٌ مِثْلَانِ ، وَلَا فِي الْخَيْرِ عَادَاتٌ حِسَانِ . وَذَكَرَهُ [ أَحْمَدُ بْنُ حَدَّادٍ ] قَالًا : إِنْ مَنَحَتْهُ الْقُدْرَةُ لَقَدْ حَمَلَتْهُ النُّكْبَةُ . وَذَكَرَهُ [ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ ] قَالًا : مَا زَالَ يَسْتَوْحِشُ بِالنِّعْمَةِ حَتَّى أَنْسَ بِالنَّقْمَةِ وَذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرَّاسٍ قَالًا : كُنْتُ إِذَا نَصَحْتُهُ زَنَاتِي ، وَإِذَا غَشَّيْتُهُ مَنَاتِي . وَذَكَرَهُ أَبُو صَالِحٍ بْنُ عِمَارٍ قَالًا : ثَنِّ عَلَا بِحُظِّ لَقْدِ انْحُطِّ بِحَقِّ . وَذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ قَالًا : إِذَا أَصَابَ أَحْجَمٌ ، وَإِذَا أَخْطَأَ صَمَمٌ .

[ أَبُو بَكْرٍ سَبْيُوِيَّةُ وَأَهْلُ مِصْرَ ]

وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِمِصْرَ أَبُو بَكْرٍ لِلْعُرُوفِ بِسَبْيُوِيَّةِ نَاقِلَةُ الْبَصَرَةِ يُشَبِّهُهُ فِي حُضُورِ جَوَابِهِ وَخَطَابِهِ ، وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ ، وَكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَنَاوَلَ الْبِلَادَ<sup>(١)</sup> ؛ فَمَرَضَتْ لَهُ مِنْهُ لَوْثَةٌ<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ وَيَكْتُبُونَ عَنْهُ مَا يَقُولُ .

قَالَ يَوْمًا لِلْمِصْرِيِّينَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، أَصْحَابُنَا الْبَغْدَادِيُّونَ أَحْزَمُ مِنْكُمْ ، لَا يَقُولُونَ بِالْوَلَدِ ، حَتَّى يَتَّخِذُوا لَهُ الْعُقْدَ وَالْعُدْدَ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَعْتَزَّلُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْعَقَّارِ خَوْفًا أَنْ يَمْلِكَهُمْ سِوَهُ الْجَوَارِ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَكْتَنِزُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْحَرَائِرِ خَوْفًا أَنْ تَتَوَقَّ نَفْسُهُمْ إِلَى السَّرَّارِ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَتَسَرَّوْنَ . وَلَا يَقُولُونَ أَوَّلًا بِإِظْهَارِ الْغِنَى [ فِي مَكَانٍ ] عَرَفُوا فِيهِ بِالْفَقْرِ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَسَافِرُونَ .

وَوَقَفَ يَوْمًا بِالْجَامِعِ وَقَدْ أَخَذَتْ الْخَلْقَ مَأْخِذَهَا ، قَالًا : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، حَيْطَانُ

(١) الْبِلَادُ : شَجَرٌ هِنْدِيٌّ يَعْلُو كَالْجُوزِ ، وَرَقُهُ عَرِيضٌ أَغْبَرُ سَبْطٌ حَادٍ الرَّائِحَةِ إِذَا نَامَ تَحْتَهُ شَخْصٌ مَسْكُرٌ ، وَرَبَّمَا عَرِضٌ لَهُ السَّبَاتُ ، وَهُوَ يَضُرُّ الْمَحْرُورِينَ . وَيُتَرَكُ الْقَمُّ وَالْبَدَنُ ، وَيَقْرَحُ ، وَيُورِثُ الْبَرَسَامَ وَالْمَالِيخُولِيَا (م)

(٢) الْاَوْتَةُ - بَضْمُ اللَّامِ - الْحَقُّ ، وَالْهَيْجُ ، وَمَسُّ الْجَنْوَنِ (م)

المقابر أنفعُ منكم ، يُسْتَنْزَهُ بها من التعب ، وَيُسْتَدْفَأُ بها من الريح ، وَيُسْتَقَالُ بها من الشمس . والبهايم خيرٌ منكم تُمتطى ظهورُها ، وتُحتذى جلودها ، وتؤكل لحومُها . وكان أبو الفضل بن خنزابه الوزير ، ربّما رفع أنفهَ تَبْهًا ، فقال له سيبويه ، وقد رآه فعل ذلك : أشمَّ مني الوزيرُ رائحةَ كريهة فشمَّ أنفه ، فأطرق واستعمل السهوض ، فخرج سيبويه ، فقال له رجل : من أينَ أقبلت ؟ فقال : من عند الزَّاهي بنفسه ، المدلّ بفرسه <sup>(١)</sup> ، المستطيل على أبناء جنسه .

واستأذن على مسلم بن عبيد الله العلوي ، ومسلم من أهل الحجاز نزل مصر ، فحجب عنه ، فقال : قولوا له : يرجع إلى لبس العباء ، ومَصَّ النوى ، وسُكْنَى القلا ، فهو أشبهُ به من نعيم الدنيا .

وكان على شرطِ كافور الإخشيدي أحدُ الخاصّة ، فوجد عليه سيبويه في بعض الأُمَرِ ، فعزل عن الشرطة ، فولبها رَكِي <sup>(٢)</sup> صاحب الراضى ، فلم يحمده أيضًا ، فوقف لكافور وهو مارٌّ إلى الصلاة يوم الجمعة ، فقال : أيها الأستاذ ، وليت ظلمًا ، وعزلتَ ظالمًا ، قليل الوفاء ، كثير الجفاء ، غليظ القفا . فتبسّم ابن بُرك البغدادي ، وكان يسابِرُ كافورًا ، فقال : وهذا ابن بُركٍ ممن يغرك ، لن ينفعك ولن يضرك .

وأخلى الحمام لمفلح الحسيني ، فأتى سيبويه ليدخل ، فُمْنِع ، وقيل : الأمير مفلح به ، فقال : لا أتقى الله مفسوئله ، ولا يبلغه سُوءه ، ولا وقاه من العذاب مَهوؤه ، وجلس حتى خرج ، فقال : إن الحمام [ لا يُخلى إلّا ] لأحدٍ ثلاثة : مبتلى في قبله ، أو مبتلى في دُبْره ، أو سلطان يخافُ من شره ، فأى الثلاثة أنت ؟ قال : أنا المقدّم .

وأحضره أبو بكر بن عبد الله الخازن فقال : قد بلغنى بَذَاهُ لسانك ، وقبيحُ

معاملتك للأشراف ؛ فاحذَرُ أن تعودَ فينالَكَ منى أشدُّ العقوبة ؛ فخرج [متحزنا فـسكان] الولدان يتولعون به ويدكرون له الخازنَ ، فيشتدُّ عليه ذلك ، فينصرف ولا يكلمهم ؛ فمرَّ به رجل يكنى أبا بكر من ولد عقبة بن أبي معيطٍ ، وغلَامٌ قد ألحَّ عليه<sup>(١)</sup> بذلك ، فضحك المعيطى ، فقال للغلَام : ضرب الله عنق الخازن كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن أبي معيط على الكُفْرِ ، وضرب ظهْرَ أبيك بالسوط كما ضرب على بن أبى طالب بأمر عثمان رضى الله عنهما ظهر الوليد بن عقبة على شُرْبِ الخمر ، وألحقك يا صبي بالصَّبيَّة ، يريد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له عَجَّةٌ لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بقتله : « فَمَنْ للصَّبيَّة يارسول الله ؟ » قال : النارُ لك ولهم فانصرف المعيطى وبَطَنُ الأرضِ أحبُّ إليه من ظهرِها .

[ رَجَعَ إِلَى أَبِي الْعِيَاء ]

وقال أبو العيَاء : أنا أوَّلُ من أظهر العقوقَ لوالديه بالبصرة ، قال لى أبى : إِنَّ اللَّهَ قد قرَنَ طاعته بطاعتي ، فقال تعالى : ( أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ) فقلتُ : يا أبت ، إنَّ اللَّهَ تعالى قد أَمَنَنِي عَلَيْكَ ، ولم يَأْمَنْكَ عَلَى ، فقال تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِئْنَا نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ ) .  
وقال أعرابي لأبيه : يا أبت ، إنَّ كِبِيرَ حَقِّكَ لا يبطل صغير حَقِّي عَلَيْكَ ، والذي تَمَّتْ به إِلَى أُمَّتٍ مثله إليك ، ولست أزعُمُ أَنَا سِوَاهُ ، ولكن لا يحلُّ لك الاعتداه .

ودخل على عبيد الله بن سليمان فضمه إليه ، فقال : أنا إلى ضمِّ الكفاية أحوجُ منى إلى ضمِّ اليدين .

وقال له مرة : أنا معك مقبوض الظاهر ، مرحوم الباطن<sup>(٢)</sup> .

(١) في نسخة « وغلَام قد لج عليه بذلك » (م)

(٢) في نسخة « أنا معك مغبوط الظاهر موجود الباطن » (م)

قال أبو الطيب المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أنى بما أنا بك منه محسود  
وقال له رجل : يا مخنث ، فقال : وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه !

[ كلمات لأبي العيناء ]

وذكر أبو العيناء محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ، فقال : بأبي وأمي دَامَ  
الْوَجْهُ الطَّلَقُ ، والقول الحق ، والوعد الصدق ، نيته أفضل من علانيته ، وفعله  
أفضل من قوله . وقال له المتوكل : ما أشد ما مرّ عليك من فقد بصرك ؟ فقال :  
ما حرمت منه من النظر إليك أيها الأمير ! وقال لعبيد الله بن يحيى : مسنا وأهلنا  
الضر ، وبضاعتنا الحمد والشكر ، وأنت الذي لا يخيب عنده حر . وقال له يوماً :  
قد اشتدّ الحجاب ، وفحش الحرمان ، فقال : ارفق يا أبا عبد الله ، فقال : لورفقي  
فعلك لرفق بك قولي ! وقال له : أيها الوزير ، إذا تفاضل أهل الفضل هلك أهل  
التجمل . وذم رجلاً فقال : لا يعرف الحق فينصره ، ولا الباطل فينكره .  
وقيل له : ما أبلغ الكلام ؟ فقال : ما أسكت المبطل ، وخير الحق . وقيل له :  
مات الحسن بن سهل ، فقال : والله لئن أتعب المادحين ، لقد أطل بكاء الباكين  
والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخرت بفقده الأفلام .

[ مما قيل في الرثاء ]

لأشجع بن  
عمر والسلي

قال أشجع بن عمرو السلمي :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق  
ولا مغرب إلا له فيه ماديح  
وما كنت أدرى ما فواضل كفه  
على الناس حتى غيبت الصفايح  
فأصبح في الحدي من الأرض ميتاً  
وكانت به حياً تضيق الصحاصيح<sup>(١)</sup>  
كان لم يميت ميت سواك ولم تقم  
على أحد إلا عليك النوايح

(١) الصحاصيح : ما استوى من الأرض ، واحدها صحصح بوزن جعفر (م)

ما أنا من رُزءٍ وإنَّ جَلَّ جازعٌ ولا بسرورٍ به ——— مد موتك فأرح  
 لئن حسنتُ فيك المرائي وذكرُها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدائحُ  
 سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي، فَإِنْ تَقِضْ فحسبك مني ما تُكِنُّ الجوانحُ  
 قوله : \* وكانت به حياً تضيقُ الصحاحُ \* يتعلق بقول الحسين بن مطير

للحسين بن مطير في معن ابن زائدة

أَلَمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولًا لِقَبْرِهِ : سَقَمْتُكَ الْفَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا  
 فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتِ أَوَّلُ حَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُفَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا  
 وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتِ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعًا  
 بَلَى قَدْ وَسَفَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِغْتِ حَتَّى تَصْدَعًا  
 فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ تَجْرَاهُ مَرْتَعًا  
 وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عَرَيْنُ السَّكَارِمِ أَجْدَعًا

لعبد الصمد ابن المزدل في عمرو بن سعيد

وَهَذَا كَقَوْلِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَزْدَلِ فِي عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمِ الْبَاهِلِيِّ :  
 أَقْبَرُ أَبِي أُمَيَّةَ لَوْ عُلَاهُ حَمَلَتْ إِذَا لَضَغَتْ بِهِ ذِرَاعًا  
 حَوَيْتَ الْجُودَ وَالتَّقْوَى وَعَمْرًا فَكَيْفَ أَطَقْتَ يَا قَبْرُ اضْطِلَاعًا  
 لِمَوْتِهِمْ أَطَقْتَ لَهُمْ ضِمَانًا وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ تُطِيقِ اتِّسَاعًا

للخنساء في أخيها صخر

وَقَوْلِ أَشْجَعٍ : \* لئن حسنتُ فيك المرائي وذكرُها \* من قول الخنساء :  
 يَا صَخْرُ بَعْدَكَ هَاجَنِي اسْتِعْبَارِي شَانِيكَ بَاتَ بِذَلَّتِي وَصَغَارِي  
 كُنَّا نَعُدُّ لَكَ الْمَدَائِحَ مَدَّةً فَالْيَوْمَ صَرْتَ تُنَاحُ بِالْأَشْعَارِ  
 وَقَالَتْ جَنْوَبُ أُخْتِ عَمْرِو [ ذِي الْكَلْبِ ] :  
 سَأَلْتُ بَعْمُرَ أَخِي صَحْبَهُ فَأَفْظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّوءَ الْآ

للجنوب في أخيها عمرو



فَقَالُوا : أَتَيْجَ لَهُ ؟ نَأْتِمَا  
 أَتَيْجَ لَهُ كَمَرًا أَجْبَلِ  
 فَأَقْسَمُ يَاعَمْرُو لَوْ نَبْهَكَ  
 [ إِذَا نَبْهَا لَيْتَ عَرِيْسَةٍ  
 إِذَا نَبْهَا غَيْرَ رَعِيْدَةٍ  
 هَا مَعَ تَصْرِفِ رَيْبِ الْمُنُونِ  
 وَقَالُوا : قَتَلْنَاهُ فِي غَارَةٍ  
 فَهَلَّا إِذَا قَبَلَ رَيْبِ الْمُنُونِ  
 وَقَدْ عَلِمْتَ فَهَمَّ عِنْدَ الْلِقَاءِ  
 كَانَهُمْ لَمْ يَحْشَوْا بِهِ  
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمَحْوَلِ السَّنِينِ  
 وَقَدْ عَالَ لَمْ الضَّيْفُ وَالْمُرْمَلُونَ  
 وَخَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا الْبِرْضَعَاتُ  
 بِأَنَّكَ كُنْتَ الرِّبِيْعُ الْمَقِيْثُ  
 وَخَرِقَ تَجَاوَزَتْ مَجْهَوْلُهُ  
 [ فَكُنْتَ النَّهَارَ بِهِ شَمْسَهُ  
 وَحَى صَبَحَتْ وَحَى أَبْجَتْ  
 وَكَمْ مِنْ قَبِيْلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ  
 قَالَ عَمْرُو بْنُ شُبَّةَ : وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ هَذَا يَغْزُو قَهْمًا فَيَصِيبُ مِنْهُمْ ،  
 فَوْضَعُوا لَهُ رَصْدًا عَلَى الْمَاءِ ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ مَرُّوا بِأَخْتِهِ جَنْوَبَ ، فَقَالُوا : أَخَاكَ !  
 فَقَالَتْ : لَيْتَنِي طَلَبْتُمُوهُ لَتَجِدُنَّهُ [ مَنِيعًا ، وَلَيْتَنِي ضَفَقْتُمُوهُ لَتَجِدُنَّهُ مَرِيْعًا ، وَلَيْتَنِي وَعَدْتُمُوهُ

(١) يروى « أعز السباع عليه أحلا » (م)

(٢) يعتفك : يطلب حاجته منك (م)

(٣) الحرق : الصحراء الواسعة الأطراف ، والوجناء : الناقة ، والكلال : التعب (م)

لتجدنه [سريعا ! فقالوا : قد أخذناه فقتلناه ، وهذا نبله . فقالت : والله أن  
سلبتموه لا تجدون ثمنه وافيه ، ولا حجرته جافية ، ولرب ندى منكم قد افترشه ،  
وسهب قد احتوشه ؛ ثم قالت الأبيات المتقدمة الذكر .

وأنشد أبو حاتم ولم يقل قائله :

ألا في سبيل الله ماذا تضممت بطون الثرى واستودع البلد الفقر  
بدور إذا الدنيا دجّت أشرقت بهم وإن أجذبت يوما فأيديهم القطر  
فيا شامتا بالموت لا تسمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر  
أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها وصاروا بطن الأرض فاستوحش الظهر  
وقال أبو عبد الله العتبي ، وتوفي له بنون فجمع بهم ومات في آخرهم ابن

لأبي عبيد الله العتبي يرى ابنه له يكنى أبا عمرو كان يقول الشعر ؛ فقال يرثيه :

لقد شمت الواشون بي وتغيرت وجوه أراها بعد موت أبي عمرو  
تجرى على الدهر لما فقدته ولو كان حيا لاجترأت على الدهر<sup>(١)</sup>  
أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدى فدينا ، وأعطيناكم ساكني الظهر  
فيا ليت من فيها عليها ، وليت من عليها ثوى فيها مقيما إلى الحشر  
وقاسمني دهرى بنى مشاطرا فلما توفى شطره مال في شطري<sup>(٢)</sup>  
فصاروا كأن لم يعرف الموت غيرهم فشكل على شكل وقبر على قبر  
وقال في ابن توفى صغيرا .

إن يكن مات صغيرا فالأسى غير صغير  
كان ريمحاني فأمسى وهو ريمحان القبور  
غرسه في بساتين البلى أيدي الدهر

(١) تجرى : أصله تجرا فسهل الهمز بقلبها ألفا (م)

(٢) توفي : استوفى (م)

ومن هنا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

فإن تَكُ في قبر فأنك في الحشا وإن تَكُ طفلاً فالأسي ليس بالطفل

لخلف بن خليفة  
الأقطع

وقال خلف بن خليفة الأقطع :

أُعَانِبُ نفسي إن تَبَسَّمتُ خَالِياً وقد يَضْحَكُ الموتور وهو حَزِينُ

وبالبدِّ أشجاني وكم من شَجٍ لَهُ دُونِ المصلى والبقيعِ ، شَجُونُ

رُبِّي حولها أمثالها إن أتيتها قَرِينَكَ أشجاناً وهنَّ سُكُونُ

كفى الهجر أنا لم يَضَحْ لك أمرنا ولم يأتنا عمّا لديك يَتَقِينُ

لأبي عطاء  
السندی

وقال أبو عطاء السندی في ابن هبيرة :

ألا إن عينا لم تجد يوم واسطٍ عليك بياقي دَمْعاً لَجَمُودُ

عشية قام النائحاتُ وشَقَّقْتُ جيوبُ بأبدى ماتم وخلدودُ<sup>(١)</sup>

فإن تُمسِ مهجورَ الفنا فربما أقام به بعد الوفودِ وفودُ

فإنك لم تَبْعُدْ عَلَى متعمِّدٍ بلى كلُّ ما تحت الترابِ بعيدُ

لأعرابي

أعرابي :

ومن عجب أن بتَّ مستودع الثرى وبثُّ بما زودتني متممعا

فلو أنتى أنصفتك الودَّ لم أبتُ خلافاً حتى نَطَوَى في الثرى معا

سأحى الكرى عيني وأفرش الثرى يميني إذا صار الثرى لك مضجعا

وبعدك لا آسى لعظم رزيةٍ قَضَيْتَ فهُونَتِ المصائبُ أجمعا

ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظماً ونثراً .

[ قال أبو نواس في الأمين ]

طوى الموت ما بيني وبين محمدٍ وليس لما تطوى المنيةُ ناشِرُ

(١) المأتم : النساء يحضرن الجنازة ( م )

لئن عَمِرَتْ دُونَ بَنِي لَا أَحَبَّهُ      لقد عَمِرْتُ مِنْ أَحِبِّ الْقَائِرِ  
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ      فلم يبقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ  
وَقِيلَ لِأُمِّ الْهَيْثِمِ السَّدُوسِيَّةِ : مَا أَسْرَعَ مَاسِلُوتَ عَنِ ابْنِكَ الْهَيْثِمِ ! قَالَتْ :  
أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ رَزَّيْتُهُ كَالْبَدْرِ فِي بَهَائِهِ ، وَالرَّمْحَ فِي اسْتِوَائِهِ ، وَالسَّيْفَ فِي مَضَائِهِ ؛  
وَلَقَدْ فَتَدَّتْ مَصِيبَتُهُ كَبَدِي ، وَأَفْنَى فَقْدُهُ جِلْدِي ، وَمَا اعْتَصَمْتُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا  
أَمَّنَ الْمَصَائِبَ لِفَقْدِهِ .

أم الهيثم  
السدوسية

وَعَزَّى أَبُو الْعَيْنَاءِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ عَنْ وَلَدِهِ لَهُ ، فَقَالَ : مَا أَصِيبُ مِنْ أَثِيبِ  
وَاللَّهِ لَقَدْ هَانَ لِفَقْدِهِ ، جَلِيلُ الْمَصَائِبِ مِنْ بَعْدِهِ .

أبو العيناء  
يعزى

وَدَخَلَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَادِيَةِ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ بَنُونَ ، فَلَمَّا كَانَ بِقَنْسَرِينَ  
بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ مَاتَ بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ فَقَالَ :

أَبْعَدَ بَنِي الدَّهْرِ أَرْجُو غَضَارَةَ      مِنْ الْعِيشِ أَوْ أَسَى لِمَافَاتٍ مِنْ عُمرِي  
غَطَارِقَةَ زُهْرٍ مَضُوءِ السَّيْلِمْ      فَلَهِنِي عَلَى تِلْكَ الْغَطَارِقَةِ الزُّهْرِ  
سَقَى اللَّهُ أَجْسَادًا وَرَأَى تَرْكُتُهَا      بِحَاضِرِ قَنْسَرِينَ مِنْ صَيْبِ الْقَطْرِ  
يَذْكُرْنِهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ      وَشَرٍّ ، فَمَا أَتَفَكُّ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ  
هَذَا الْبَيْتِ كَقَوْلِ الْآخَرِ :

رَعَاكَ ضِمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ      وَلِلَّهِ أَنْ يَرْعَاكَ أَوْلَى وَأَوْسَعُ  
يَذْكُرُ نِيكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالَّذِي      أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ  
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

لمسلم  
ابن الوليد

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ وَدَاعِهِ      لِكَالْعَمْدِ يَوْمَ الرُّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ  
أَمَّا وَالْحَبَالَاتُ الْمَمَرَاتُ بَيْنَنَا      رَسَائِلُ أَذْنَاهَا الْمَوْدَةُ وَالْوَحْلُ<sup>(١)</sup>  
لَمَّا خَفْتُ عَهْدًا مِنْ إِخَاءٍ وَلَا نَأَى      بِذِكْرِكَ نَأَى عَنْ ضَمِيرِي وَلَا شَمْلُ

وإني في مالي وأهلي كأنتي      لفقدك لاسالٌ لدى ولا أهلُ  
 يذكرنيك الخيرُ والشرُّ والحِجَا      وقيلُ الخنى والحلمُ والعلمُ والجهلُ  
 فأتاك عن مذمومها متبرهاً      وأتاك في محمودها ولك الفضلُ  
 وأحدٌ من إخلالك البخلُ إنه      بعرضك لا بلال حاشي لك البخلُ  
 أمنتجماً مَرَوَاً بأثقال همةٍ      دع الثقلَ واخمل حاجة ما لها ثقلُ  
 ثناء كمرُف الطيب يهدي لأهله      وليس له إلاّ بنى برمك أهلُ  
 فإن أغشَ قوما بعدهم أو أزورهم      فكالوحش يدّنيها من القنص المحلُ  
 ومن ألفاظ أهل العصر في التمازى وما يتعلق بعمانيها

من ذكر البكاء والجزع وعظم المصائب

خبرٌ عز على النفوسِ مَسْمَعه، وأُترق القلوب مَوْقَعه . خبرٌ تصطكُ  
 له السامعُ ، وترتجُ به الأضالعُ ، وتسقط له الحبالُ ، وتضحو منه السكارى  
 خبرٌ كادت له القلوبُ تطيرُ ، والعقولُ تطيشُ ، والنفوسُ تطيحُ . خبرٌ يخفض  
 البصرَ ويقذيه ، ويَقْبِضُ الأملَ ويقدح فيه . الخبرُ في أثناءِ الرجاءِ قد انقطع ،  
 وأصمَّ به الناعى وقد أسمع . ناعى الفضائل قائم ، وأنفُ المحاسنِ راغم . خبرٌ  
 أخرج الصَّدْرَ ، وأحلَّ البكاء ، وحرَّم الصبرَ ، وأطار واقع السكون ، وأثار  
 كامنَ الوجوم ، وثقلت وطأة على أجزاء النفس ، وتآدت معرته إلى سرِّ  
 القلب . كتبتُ والأرضُ واجفةٌ ، والشمسُ كاسفةٌ ، للرزء العظيم ، والمصائب  
 الجسيم ، في فلك الملك ، ورُكنِ الجحد ، وقريع الشَّرْق والغرب ، وما عسى  
 أن يُقال في الفلك الأعلى إذا انهارَ من جوانبه ، وتهاوت على مناكبه .  
 أتى الناعى <sup>(١)</sup> ، فنذب المساعى ، وقامت بواكى الجحد ، وكسفت شمسُ الفضلُ ،

وعاد النهارُ أسودَ ، والعيشُ أنكد . غربَ لموته نجمُ الفضل ، وكسدت سوقُ  
الأدب ، وقامت نواذب الساحة ، ووقف فلكُ الكرم ، ولطمت عليه الحاسن  
خودها ، وشقت له المناقب جيوها [وَبُرودها] ، قد كانت الرزيةُ بحيث مارت  
السماءَ موزاً ، وسارت الجبالُ سيرا ، حتى شوهدت الكواكبُ ظهراً ، ثم تهافتتُ  
شفعاً ووتراً ، فارتاعت الأمة ، وأنبسطت الظلمة ، وارتفعت الرقعة ، واضطربت  
الملة ، وقامت نواذبُ المجد ، وأصبح الناسُ من القيامة على وعد . إن المجدَ بعده  
لجاري الدمع ، وإن الفضلَ لمنزعج النفس ، وإن الكرمَ لخرجُ الصدر ، وإن  
الملكَ لواهنُ الظهر<sup>(١)</sup> . كتابي وأنا من الحياة متذمّم ، وبالعيش متبترّم ، بعدما ماد الطود  
الشامخ ، وزال الجبلُ الباذخ ، ونطقت نواذبُ المجد ، وأقيمت ما تَمَّ الفضل .  
نمى فلان فتتكرَّ وجهُ الدهر ، وقبضت مُهجةُ الفخر ، فلا قلبَ إلا قد تباين  
صدّعه ، ولا عينَ إلا وهى ترشحُ بالدم بعده . كتبتُ والأحشاءَ محترقة ، والأجنانُ  
بماها عرقة ، والدمعُ واكِفٌ ، والحزنُ عاكف . مصابُ أطلقُ أسرابَ الدموع  
وفرقها ، وأقلقُ أعشارَ القلوب وأحرقها ، مصابُ فضَّ عقودَ الدموع ، وشبَّ  
النارَ بين الضلوع . مصابُ أذاب دموعَ الأحرار ، فتخلّبت<sup>(٢)</sup> سحائبُ الدموع  
اليزار ، وانسدتْ مسالكُ السكون والاستقرار . كتبتُ عن عين تَدْمَع ، وقنابِ  
يجزع ، ونفس تهلع<sup>(٣)</sup> ، وقد أذلتُ مَصُونُ العبرة ، وحجبتُ وإفدَ الحيرة ، ومدَّ  
الهمُّ إلى جسمي يدَ السقم ، وجرَّ الدمعُ على خدى ذبولَ الدم . لولا أن العينَ  
بالدمع أنطقُ من كل لسان وقلم ، لأخبرتُ عن بعض ما أَوْهَنَ ظَهْرِي ، وأَوْهَى  
أُزْرِي . إنَّ الفجيعة إذا لم تحاربَ بجيشٍ من البكاء ، ولم يخفَّ من ألقائها بالاشتكا ،  
تضاعفَ دأوها ، وازدادتْ أعباؤها ، وعزَّ دأوها . قد شفيتُ غليلي بما استذرتُهُ

(١) واهن : ضعيف ، وواهن الظهر : كناية عن ضعف احتماله الأعباء (م)

(٢) تخلّبت : سالت وانهمرت (م) (٣) تهلع : تمزج (م)

من أسراب الدموع المتحيرة ، وخففتُ عنى بعض البرحاء بما امتزيتُهُ من أخلافها المتحدرة . إن فى إسبال العبرة ، وإطلاق الزفرة ، والإجهاش بالبكاء والنشيج ، وإعلان الصياح والضجيج ، تنفيساً عن برحاء القلوب ، وتخفيفاً من أثقال الكروب . قد أتى الدهرُ بمهاد الأصاب ، وأطار الأبواب ، من النازلة الهائلة ، والفجيعة الفظيعة . رزءُ أضعف العزائم القوية ، وأبكى العيون البكية . مصيبة زلزلت الأرض ، وهدمت الكرم المحض ، وسلبت الأجفان كراهها ، والأبدان قواها . خبيعة لا يدأوى كلمها آس<sup>(١)</sup> ، ولا يسد ثلمها تناس . مصيبة تركت العقول مدلّية ، والنفوس مولهة . رزء هض وهاض<sup>(٢)</sup> ، وأطال الانخزال والانخفاض ، ولم يرض بأن فضع الأعضاء ، حتى أفاض الدماء . رزء ملأ الصدور ارتياحاً ، وقسم الأبواب شعاعاً ، وترك الجفون مقروحة ، والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، وطرق العزاء مسدودة . رزء نكأ القلوب وجرحها ، وأحرأ الأكبأ وقرحها ، مالى يد تخط إلا بكلفة ، ولا نفس تردد إلا فى غصة ، ولا عين تنظر إلى من وراء قذى ، ولا صدر ينطوى إلا على أذى ؛ فالدموع واكفة ، والقلوب واجفة ، والهـم وارد ، والانسُ شارد .

والناس مآثمهم عليه واحدٌ فى كل دار رنةٌ وزفيرٌ  
 كآنى كندة وهى تلمهف على خبج<sup>(٣)</sup> ، والخنساء تبكى على صخر . أنايين  
 عبرة وزفرة ، وأنة وحسرة ، وتلمل واضطراب ، واشتعال والتهاب . مصيبة  
 أصبحت لغمتها وقيدا ، ولكررتها أحيذا . كتبت وقد ملك الجزع عزائى ،  
 وحصل ناظرى فى إسار بكائى ، فالقلب دهش ، والبنان يرتعش ، وأنا من البقاء  
 متوحش . قد انتهى بى الهلع إلى حيث لا التأسى مصحّب ، ولا التناسى مصاحب ،  
 بى انزعاج يحل عقد الحزيم ، واكتئاب ينقض شروط العزم . قد بلغ الحزن مبلغاً

(١) الكلم : الجرح ، والآسى : للعالج (م)

(٢) هض : كسر ودق ، وهاض العظم : كسره . (م)

(٣) حجر : كان ملك كندة ، وقتله بنو أسد ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر (م)

لم أبتذله للنوائب ، وإن جلت وقفاً ، ونالت منى منالا لم يعتد طرق المصائب ، وإن عظمت فجعا . كتبتُ عن اضطرابِ نفسٍ ، واضطرابِ صدرٍ ، والتهابِ قلبٍ ، وانتهاجِ صبرٍ ؛ فما أعظمه مفقوداً ! وما أكرمه ملحوداً ! إني لأنوح عليه نوح<sup>(١)</sup> المناقب ، وأرثيه مع النجوم الثواقب ، وأبكيه مع المعالي والحاسن ، وأثنى [ عليه ] ببناء المساعي والمآثر . ليت يمين الزمان شلت قبل أن فتكت بمُجْهِ الفضل ، وعين الزمان كفت قبل أن رأت مضرع الفخر . لقد رزنا من فلان عالماً في شخص ، وأمة في نفس . مضى والحاسن تبكيه ، والمناقب تعزى فيه . العيون لما قرّت به أسخنها فيه ريبُ المنون ، ولما شرحت به الصدور قبضها بفقد المقدور . قد ركب على الأعناق ، بعد العنّاق ، وعلى الأجياد بعد الجياد ، وفاح فثيت المسك من مآثره ، كما يفوح العنبر من مجارده . كان منزله مألّف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومُنْتَجِع الرّكب ، ومَقْصِد الوَفْد ، فاستبدل بالأنس وخشة ، وبالغضارة غبرة ، وبالبياض ظُلمة ، واعتاض من ترأحم المراكب تلامم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والويل . هذى المكارم تبدي شجوها لفقده ، وتلبس حدادها من بعده ، وهذى الحاسن قد قامت نوابها مع نوابه ، واقترنت مصائبها بمصائبه . لو قيلت الفدية لوقيته بنفسى وأيام عمرى ، علماً بأنّ العيش بمثله من إخوان الصفا يصفون ، وبطعنه عن الدنيا يكدر ويغفون . لو وقى من الموت عزيز قوم لعزته ، أو كبير بأولاده وأسرته ، أو ذو سلطان باستطالته وقدرته ، أو زعيم دولة بحسده وعُدته ، لكان الماضي أحق من وقى وأولى من فدى ، وكُنّا أقدر على دفع ما حدث ، وذنب ما كثر وأزهد ؛ لكنه الأمرُ المسوى فيه بين من عزّ جانبُه وذللّ ، وكثر ماله وقَلّ ، حتى لحق المفضول بالفاضل ، والناقص الكامل .

(١) في نسخة « بنوح المناقب » والمناقب : جمع منقبة ، وهى الحصلة من خصال



ولهم فيما يطابق هذا النحو من وصف الدهر وذم الدنيا

هو الدهرُ لا يُعْجَب من طوارقه ، ولا ينكر هجوم بوائقه . عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وجباؤه في قرآن الانتزاع . من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان ، وتصرف الحوادث ، بين الموروث والوارث . الدهرُ مشحون بطوارق الغير ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابُه بالعسل ، موصولة حبال الأمن فيه بأسباب الأجل . قد جعل الله الدنيا دار قلعة ، ومحل نُقْلَة <sup>(١)</sup> ، فمن راحل ليومه ، ومن مؤخر لعدده ، وكلُّ متشوفٍ لأجله ، وجارٍ لأمدِه . ما الدنيا إلا دار النقلة ، ولا المقام فيها إلا للرحلة ، إن المرءَ حقيق إذا طرقه ما يتحيف صبره [ويتطرق صدره] ، أن يعود إلى علمه بالدنيا كيف نُصِبَت على الثقله ، وجنبت طويل المهلة ، وابتدئت بالنفاد ، وشفع كونها بالفساد ، وأن الثاوي فيها راحل ، والأيام فيها مرّاحل . موهوب الدنيا مسلوب وإن أرّجىء إلى مهل ، وممنوحها مجذوب وإن أخرّ إلى أجل . لو خلد من سبق ، لما وسعت الأرض من لحق ؛ ولذلك جعلت الدنيا دار قلعة <sup>(١)</sup> ، ومحل نجعة .

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْعَاشَ أَهْلُهَا . مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْثَةٍ وَذُهِبَ تَمْلِكُهَا الْآتِي تَمْلِكُ سَالِبٍ . وفارقها الماضى فراق سليب . وقال عتبة بن هارون : كنتُ مع فضل الرقاشي ، فمرّ بمقبرة ، فقال : يا أهل الديار الموحشة ، والحال المفجرة ، التي نطق بالخراب فناءها ، وشيّد بالتراب بناؤها ، ساكنها مُقْتَرِب ، ومحلها مُقْتَرِب ، أهل هذه المنازل متشاغلون ، لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكل كلكه البلى ، وأكلهم الجندل والنثرى .

(١) دار قلعة - بضم القاف وسكون اللام ، وعلى الإضافة - أى دار نخون وانتقال ، وقد وردت هذه العبارة في كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (م)

وقال خافان بن صُبَيْح : لَوْخَشَةُ الشَّكِّ التَّمَسُّنَا أَنْسَ الْيَقِينَ ، ومن ذلَّ  
الجهل هربنا إلى عزِّ المعرفة ، ونُخْوفِ الضَّلَالَةِ لَزِمْنَا الْجَادَّةَ .

وقال بعضُ الحكماء : كُمُونُ الْمَصَائِبِ وَسَكُونُ النَوَائِبِ وَبَقَاتُ الْمَنَائِمِ مَطَوِيَّاتٌ  
فِي السَّاعَاتِ ، متحرَّكاتٌ فِي الْأَوْقَاتِ ، وَرَبٌّ مَغْتَبِطٌ بِسَاعَةِ فِيهَا انْقِضَاهُ أَجَلُهُ ،  
وَمُتَمَتِّعٌ بِوَقْتِ صَارَ فِيهِ إِلَى قَبْرِهِ ، وَمُنْتَظَرٌ وَرُودَ يَوْمٍ فِيهِ مَنِيَّتُهُ .

ووعظُ أَعْرَابِيٍّ ابْنًا لَهُ أَفْسَدَ مَالَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَقَالَ : لَا الدَّهْرَ يَعْظُكَ ،  
وَلَا الْأَيَّامُ تُنْذِرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ تُعَدُّ عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، وَأَحَبُّ أَمْرِ يَكُ  
إِلَيْكَ ، أَرَدُّهُمَا لِلْمُضَرَّةِ لَدَيْكَ .

### [ من مقامات بديع الزمان الهمذاني ]

ومن إنشاء بديع الزمان في المقامات : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي  
الْأَهْوَازِ فِي رُقَّةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلُ ، لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا أَمْرٌ بِكُرِّ الْأَمَالِ ،  
بُضِّ الْجَمَالِ ، أَوْ مَخْطُتٌ حَسَنُ الْإِقْبَالِ ، مَوْجُوَّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ؛ فَأَفْضُنَا فِي الْعِشْرَةِ  
كَيْفَ [ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا ، وَالْأَخُوَّةَ كَيْفَ ] نَحْكُمُ مَعَاقِدَهَا ، وَالسَّرُورَ فِي أَى وَقْتٍ  
تُعَاطَاهُ ، وَالْأَنْسَ كَيْفَ تَتَهَادَاهُ ، وَفَائِتُ الْحَظِّ كَيْفَ تَتَلَفَاهُ ، وَالشَّرَابَ [ مِنْ  
أَيْنَ نَخْلُصُهُ ، وَالْمَجْلِسَ كَيْفَ نَرْتَبُهُ ؟ ] فَقَالَ أَحَدُنَا : عَلَى الْبَيْتِ وَالْمَنْزِلِ ، وَقَالَ آخَرُ :  
عَلَى الشَّرَابِ وَالنَّقْلِ [ ، وَقَالَ بَعْضُنَا : إِلَى السَّمَاعِ وَالْجَمَاعِ ، وَقَنَا نَجْرَ أَذْيَالِ الْفُسُوقِ ،  
حَتَّى انْسَلَخْنَا مِنَ السُّوقِ ، وَاسْتَقْبَلْنَا رَجُلًا فِي طَمْرِينَ ، فِي يُمْنَاهُ عِكَازَةٌ ، وَعَلَى  
كَتِفِهِ حِنَاةٌ <sup>(١)</sup> ؛ فَتَطَيَّرْنَا لِمَا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ ، وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا ، وَطَوَيْنَا دُونَهَا  
كُشْحًا ، فَصَاحَ بِنَاصِيحَةٍ كَادَتْ الْأَرْضُ لَهَا تَنْفَطِرُ ، وَالنَّجُومُ تَنْكَدِرُ ، وَقَالَ :  
لَتَرَوْهَا صُغْرًا ، وَلَتَرَكِبْنَهَا قَسْرًا . مَا لَكُمْ تَكْرَهُونَ مِطْيَةَ رُكْبَانِ أَسْلَافِكُمْ ، وَسِيرِكُمْ  
أَخْلَافِكُمْ ، وَتَتَقَدَّرُونَ سِرِيرًا وَطِئَةً أَبَاؤُكُمْ ، وَسَيَطُوهُ أَبْنَاؤُكُمْ ؟ أَمَا اللَّهُ لَتُخْضَلُنَّ عَلَى

إقامة  
الأهوازية

هذه العيdan ، إلى تلسم الديدان ، ولتتقنن بهذه الجياد ، إلى تلسم الوهاد .  
وَنَحْكُم تَطْيَرُونَ<sup>(١)</sup> ، كأنكم مخيرون ، وتكرهون ، كأنكم منزهون ، هل تنفع  
هذه الطيرة ، يا خيرة ؟

قال عيسى بن هشام : فقد نقض علينا ما كنّا عقداًناه ، وأبطلنا ما  
كنّا أردناه ؛ فملنا إليه ، وقلنا : ما أحوجنا إلى وعظك ، وأعشقنا للنظك !  
ولو شئت لزدت ، قال : إن وراءكم موارد أنتم واردوها ، وقد سرتم إليها  
عشرين حجة :

وإن امراً قد سار عشرين حجة إلى منهل من وزده لقريب  
وفوقكم من يعلم أسراكم ، ولو شاء لهتك أستارك ، يعاملكم في الدنيا بحلم ،  
ويقضي عليكم في الآخرة بعلم ، فليكن الموت منكم على ذكر ، لئلا تأتوا بفساد ؛  
فإنكم متى استشعرتموه لم تجمحو ، ومتى ذكرتموه لم تمزحوا ، وإن نسيتموه فهو  
ذاكركم ، وإن نتمم عنه فهو نائركم ، وإن كرهتموه فهو زائركم [ قلنا : فما  
حاجتك ؟ قال : هي أطول من أن تحدد ، وأكثر من أن تتمد ، قلنا : فسانح  
الوقت ؟ قال : رد فائت العمر ، ودفع نازل الأمر ، قلنا : ما إلى ذلك سبيل ،  
ولكن لك ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها ، قال : لا حاجة لي فيها .  
قوله \* وإن امراً قد سار عشرين حجة \* محرف عن قول قائله :

\* وإن امراً قد سار خمسين حجة \* والبيت لأبي محمد التيمي ،  
أنشده دعبيل :

إذا ماضى القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب  
والبيت بعده . قال دعبيل : وتزعم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد . وقال  
خلاد الأرقط : كنّا على باب أبي عمرو بن العلاء ومعنا التيمي ، فذكرنا كتاب

(١) تطيرون - بتشديد الطاء والياء جميعاً - أصله تطيرون ، قلب التاء الثانية  
طاء ثم أدمغهما (م)

الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : إني وإياك لِدَتَانُ <sup>(١)</sup> ، وإن أمراً قد سار  
خمسین حجة لَقَمِينَ أن يَرده . فأصلحنَاهُ بيتًا ، فاجتَلَبَه التيمي في شعره .

[ من رسائل بديع الزمان الهمذاني ]

وكتب البديع إلى أبي القاسم الكرخي : أنا وإن لم ألق تطاول الإخوان إلا  
بالتطاول ، ونجمل الأحرار إلا بالتجمل ، أحاسب الشيخ على أخلاقه ضناً  
بما عقدتُ يدي عليه من الظن به ، والتقدير في مذهبه ، ولولا ذلك لقلت : في  
الأرضِ مجالٌ إن ضاقتْ ظلالُه ، وفي الناس واصلٌ إن رثتْ حبالُه ، وأواخِذه  
بأفعاله ؛ فإن أعارني أذنًا واعيةً ، ونفساً مرأعيةً ، وقلبا متعظاً ، ورجوعاً عن  
الذهاب ، ونزوعاً عما يقرعه من هذا الباب ، فرشت لمودته صدرى <sup>(٢)</sup> ، وعقدت  
عليه جوامعَ حصري ، ومجامعَ غمري ؛ وإن ركب من تعالى غير مركب ،  
وذهب من التَّغَالَى في غير مذهب ، أقطعته خطه أخلاقه ، ووليته جانبَ إعراضه ،  
فكنتُ امرأً :

من البديع  
لأبي القاسم  
الكرخي

لا أذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ قد بلوتُ المرَّ من ثمره  
فإني — أطل الله بقاء الشيخ مولاي — وإن كنت في مقتبل السن والعمر ،  
فقد حلبتُ شَطْرَى الدهر <sup>(٣)</sup> ، وركبتُ ظهري البرِّ والبحر ، ولقيتُ وفدى الخير  
والشر ، وصاغتُ يدي النفع والضر ، وضربتُ إبطي العُسْرَ والبُسْرَ ، وبلوتُ  
طعمي الحلو والمر ، ورضعتُ ثدي العرف والتُّسْكُرَ ؛ فإني تكادُ الأيامُ تريني من  
أفعالها غريباً ، وتسميني من أقوالها عجيباً ، ولقيتُ الأفراد ، وطارحتُ الآحاد ؛  
فإني رأيتُ أحداً إلا ملأتُ حافتي سمعه وبصره ، وشغلتُ حيزي فكره  
ونظره ، وأثقلتُ كفه في الحزن ، وكففته في الوزن ؛ وودَّ لو بارزَ القرنَ

(١) لدة الإنسان — بكسر اللام وفتح الدال مخففة — المساوى له في السن (م)

(٢) في نسخه « فرشت لمودته خوان صدرى » (م)

(٣) حلبت شطرى الدهر : كناية عن التجربة والاختبار (م)

بصفحتي ، أو لقي الفضل بصحيفتي ، فإلى صغرُتُ في عينه ؟ وما الذي أزرى بي عنده ؟ حتى احتجبَ وقد قصَدْتُه ، ولزِمَ أرضه وقد حضرته ، وأنا أحاشيه أن يجهلَ قَدْرَ الفضل ، أو يَجِدَ فضلَ العلم ، أو يمتطى ظَهْرَ التَّيِّه ، على أهليه ، وأسأله أن يختصني من بينهم بفضل إنعام إن زلت بي مرةً قَدَمَ رأي في قصده ، وكأني به وقد غضب لهذه المخاطبة الجحيفة ، والرتبة المتهجئة ، وهو في جنب جفائه يسير ، وإن أقنع عن عادته إلى الوفاء ، ونزع عن شيمته في الجفاء ؛ فأطال الله بقاء الأستاذ وأدام عزه وتأيدَه

وله إليه رقعة :

كتاب آخر  
من البديع  
إلى أبي القاسم

يعزُّ عليّ — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوبَ في خدمته قلبي ، عن قَدَمي ، ويسعد برؤيته رسولي ، دون وُصولي ، ويردَّ شرعة الأنس به كتابي ، قبل ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة :

وعلى أن أَسْعَى وليس على إدراك النجاح

وقد حضرت داره ، وقبِلْتُ جداره ، وما بي حبُّ الجُدْران ، ولكن شغفاً بالقُطان ، ولا عشقَ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان ، وحين عدتِ العوادي عنه ، أمليتُ ضميرَ الشوقِ على لسان القلم ، معتذراً إلى الشيخ على الحقيقة ، عن تقصير وقع ، وفُتور في الخدمة عَرَضَ ، ولكنني أقول :

إِنْ يَكُنْ تَرَكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكُنْ أَلَا أَرَاكَ عِقَابًا

كتاب منه  
إلى رئيس  
هراة

وله جواب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد : ورد كتابُ الشيخ الرئيس سيدي ، فظلت وفودُ النعم تترى عليّ ، ومثلت لدى وبين يدي ، وقد أخذَ مكارمَ نفسه ، فجعلها قِلَادَةَ غرسيه ، وتتبع المحاسن من عنده ، فخلَّى بها تحرَّ عبده<sup>(١)</sup> ، وما أشبه رائح حُلِيه ، في نحروكليه ، إلا بالغرّة اللائحة<sup>(٢)</sup> ، على [ الدَّهْمَةِ ] الكالحة

(١) في نسخة «فكساها لعبده» (م)

(٢) أصل الغرة البياض في وجه الفرس ، وأراد البياض مطلقاً ، واللائحة :

الظاهرة ؛ والكالحة : العابسة (م)

لَا آخَذَ اللَّهُ الشَّيْخَ بِوصْفِ نَزْعِهِ عَنْ عَرْضِهِ ، وَزَرَعِهِ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ ، وَنَعْتِ سَلَخِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ ، وَأَهْدَاهُ إِلَى غَيْرِ مُسْتَحَقَّةٍ ، وَفَضَّلَ اسْتِفَادَهُ مِنْ قَرَعِهِ وَأَصْلِهِ ، وَأَوْصَلَهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ . ذَكَرَ حَدِيثَ الشُّوقِ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِالزِّيَارَةِ حَتْمًا ، أَوْ الْإِذْنِ [ جَزْمًا ] أَطْلَقَ عَزْمًا ، لَكَانَ آخِرُ نَظَرِي فِي الْكِتَابِ ، أَوَّلُ نَظَرِي إِلَى الرِّكَابِ ، وَلَا سَتَعْنَتْ عَلَى كَلْفِ السَّيْرِ ، بِأَجْنَحَةِ الطَّيْرِ<sup>(١)</sup> ، لَكِنَّهُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّهٗ - صَرَعَنِي بَيْنَ يَدَيْ سَرِيعَةِ النَّبْذِ ، وَرَجُلٍ وَشِيكَةِ الْأَخْذِ ، وَأَرَانِي زَهْدًا فِي ابْتِغَاءِ ، كُحْسُوٍ فِي ارْتِفَاءِ ، وَزَاعًا فِي نَزْوَعِ ، كَذَهَابٍ فِي رُجُوعِ ، وَرَغْبَةٍ فِي كَرْغِبَةٍ عَنِّي ، وَكَلَامًا فِي الْغِلَافِ ، كَالضَّرْبِ تَحْتَ الْإِحَافِ . فَلَمْ أَصْرَحْ بِالْإِجَابَةِ وَقَدْ عَرَّضَ بِالْإِعْدَاءِ ، وَلَمْ أَغْلِنِ بِالزِّيَارَةِ وَقَدْ أَسْرَعَ بِالْإِنْدَاءِ ، وَلَوْ لَمْ يَدْعُنِي بِلِسَانِ الْمُحَاجَّةِ ، وَلَمْ يَجَاهِرْنِي بِفَهْمِ الْمُنَاجَاةِ ، لَسَكَنْتُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ ، مِنَ الْكَرَمِ إِلَى عَظَمِيهِ ، وَفَسَكَرْتُ فِي مَرَادِ الشَّيْخِ ، فَوَجَدْتُهُ لَا يَتَعَدَّى الْكَرَمَ يَشِبُّ نَارَهُ ، وَالْفَضْلُ يُدْرِكُ نَارَهُ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَا أَوْلَاهُ بِتَرْفِيهِ مَوْلَاهُ ، عَنْ زَفَرَةٍ صَاعِدَةٍ ، بِسَفَرَةٍ بَاعِدَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَنَكَبَاءَ جَاهِدَةٍ ..... وَقَدْ زَادَ سَيْدِي فِي أَمْرِ الْخَاطِبَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ الْإِعْتِدَالَ ، وَقَدْ كَفَانَا مِنْهُ الْأُسْتَاذُ ، وَأَسْأَلُهُ إِلَّا يَزِيدُ ، وَقَدْ بَدَأَ وَيَجِبُ إِلَّا يَعِيدُ ، فَلَا تَنْفَعُ كَثْرَةُ الْعَدِّ مَعَ قَلَّةِ الْمَعْدُودِ ، وَالزِّيَادَةُ فِي الْحَدِّ مَعَ نَقْصَانِ الْمَحْدُودِ نَقْصٌ مِنَ الْحُدُودِ ، وَرَبِّ رَجَحَ أَدَى إِلَى خُسْرَانٍ ، وَزِيَادَةُ أَفْضَتْ إِلَى نُقْصَانٍ ، وَرَأَى الشَّيْخُ فِي تَشْرِيفِهِ بِجَوَابِهِ مَوْفُقَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

اجْتَلَبَ قَوْلَهُ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ قَوْلِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي فِي جَوَابِ

كِتَابِ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ :

كِتَابُ

مِنَ الصَّابِي  
لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ

وَصَلَ كِتَابُكَ مَشْحُونًا بِلطيفِ بَرِّكَ ، مُوشَّحًا بِغَايَرِ فَضْلِكَ ، نَاطِقًا بِصِحَّةِ

(١) فِي نَسْخَةٍ « اسْتَعْنَتْ عَلَى السَّيْرِ ، أَجْنَحَةُ » (م)

(٢) فِي نَسْخَةٍ « زَفَرَةٍ قَاصِدَةٍ » (م)

عهدك ، صادقاً عن خلوص ودِّك ، وفهمته وشكرتُ الله تعالى على سلامتك  
شكراً مخصوص بها ، ووقفتُ على ماوصفته من الاعتدالِ بي ، وتناهيتَ إليه  
من التقريظ لي ، فما زدتَ على أن أعزّيتني خِلالَكَ ، ونحلتني خِصَالَكَ ، لأنَّكَ  
بِالْفَضَائِلِ أَوْلَى ، وهى بكَ أَحْرَى ، ولو كنتَ فى نفسى ممن يشتملُ على وصفه  
حدّيتُ إذا حددت ، أو يحيط بكِماله وُصِفِى إذا وُصِفْتَ ، أَسْرَعْتُ فى بلوغها والقرب  
منها ، لسكن المادح لك مستنفد لك وسُعته وقد بحسبك ، ومستغرق طَوْفَهُ وقد  
تَمَحَّصَكَ ، فأبلغ ما يأتى به المُتَمَنِّى عليك ، ويتوصل إليه المُطَرِّى لك ، الوقوف فى  
ذلك دون مُنتهاه ، والإقرار بالعجز دون غايته ومَدَّاه .

ونقول البديع ما ذكره من ترك السفر والبغية بما حضر من قولِ ابن الرومى  
ابن الرومى :

أما حقُّ حامى عرضٍ مثلك أن ترى      له الرِّفْدَ والتَّرفِيهَ أوجبَ وأجبِ  
أقت لكى تزدادَ نِعَمًاكَ نعمةً      وتغنى بوجهٍ ناضِرٍ غيرِ شاحبِ  
وكى لا يقولَ القائلونَ أنا بهُ      وعاقبه والقولُ جَمُّ المساغِبِ  
وليسَ عَجيباً أنْ ينبوبَ تَكَرُّمٌ      عُدَيْتَ به من آمَلِ لك عائبِ  
ذِمَامِى تَرعى لا ذِمَامَ سَفِينَةٍ      وحقى لا حقَّ القِلاصِ النجائبِ<sup>(١)</sup>

ودخل على أبى العتاهية ابنه ، وقد تصوف ، فقال : ألم أكن قد نهيتك عن  
هذا ؟ فقال : وما عليك أن أتعوّد الخيرَ ، وأنشأ عليه ا فقال : يا بنى ، يحتاجُ  
المتصوف إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت ثقیلُ الظل ، مظلم  
الهواء ، راكِد النسيم ، جامدُ العينين ، فأقبل على سوقك ؛ فإنها أعوّدُ عليك .  
وكان بزّازا .

(١) الذمام - بكسر الذال - العهد ، والقلاص : الإبل الفتيّة : واحدها قلوّص ،  
والنجائب : السريعة السير ، والمفرد نجيب ونجبية (م)

## فقر من كلام المتصوفة والزهاد والقصاص

نور الحقيقة، أحسن من نور الحديقة. الزهد قطع العلائق، وهجر الخلائق. الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة. التصوف ترك التكلف. قيل لمتصوف: أسمع مرقعتك؟ قال: أرايتم صياداً يبيع شبكته! وقيل لبعضهم: لو تزوجت! قال: لو قدرت أن أطلق نفسي أطلقتها، وأنشد:

تجرّد من الدنيا فإنك إنما سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد  
الدنيا تؤم والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما الموت، ونحن في أضغاث أحلام.  
ذو النون: العبد بين نعمة وذنوب، لا يصلحهما إلا الشكر والاستغفار.  
غيره: ينبغي للعبد أن يكون في الدنيا كأمير يض لا بد له من قوت، ولا يوافق  
كل طعام. ليس في الجنة نعيم أعظم من علم أهلها أنها لا تزول.

ابن المبارك: الزهد إخفاء الزهد. إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه، وإذا طلبهم  
فاهرب عنه. من أطلق طرفه كثر أسفه. من سوء القدر فضل النظر. من طامع طرفه،  
تابع حثفه، ومن نظربعين الهوى حار، ومن حكم على الهوى جار، ومن أطال  
النظر لم يدرك الغاية، وليس لناظر نهاية. ربما أبصر الأعمى رُشدَه، وأضل  
البصير قُصدَه. وقيل: ربّ حرب جُنيت من لفظة، وربّ حبّ غُرس من  
لحظة، وأنشد:

نظرت إليها نظرة لو كسوتها سراويل أبدان الحديد المسرّدة  
لرقت حواشيها وقُض حديدُها ولأنت كما لأنت لداود في اليد<sup>(١)</sup>  
وقال سعيد بن حميد:

نظرت فقادتني إلى الختف نظرة إلى بمضمون الضمير تشير<sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة « لرق حواشيها » والحواشي: جمع حاشية. وحاشية الثوب:

جانبه (م)

(٢) الختف: الموت (م)



فلا تصرفنَّ الطَّرْفَ في كلِّ مَنْظَرٍ      فإنَّ مَعَارِضَ البلاءِ كثيرَ  
ولم أرَ مِثْلَ الحبِّ أسقمَ ذاهوً      ولا مثلَ حُكْمِ الحبِّ كيفَ يحوُّرُ  
لقد صُنْتُ مابى في الضميرِ لوَّ أنه      يُصان لدى الطَّرْفِ النُّومُ ضميرُ  
غيره :

اليوم أيقنت أن الحبَّ مَتَلَفَةٌ      وأن صاحبه منه على خَطَرٍ  
كيف الحياةُ لمن أَمَسَى على شَرَفٍ      من المنيَّةِ بين الخوفِ والحدَرِ  
يلومُ عينيه أحياناً بذنبهما      ويحملُ الذنبَ أحياناً على القدرِ  
إذا نأى أو دنا فالقلبُ عندكم      وقلبه أبداً منه على سَفَرٍ  
ونظر محمد بن أسباط الصوفي إلى أبي المثنى الشيباني وقد نظر في وجه غلام  
مليح ، فقال : [ إياك و ] إدامَ النظرِ [ فإنه ] يكشف الخبر ، ويفضحُ البشرَ ،  
ويطول به المكثُ في سقر .

وقال المعلى الصوفي : شكوتُ إلى بعض الزهاد فسَاداً أجدهُ في قلبي ، فقال : هل  
نظرتَ إلى شيء فتأقتَ إليه نفسك ؟ قلت : نعم ، قال : احفظْ عينيك ؛ فإنك إن  
أطلقتهما أوقعتناك في مكروه ، وإن ملكتهما ملكتَ سائرَ جوارحك .  
وقال مسلم الخوَّاص لمحمد بن علي الصوفي : أوزني ، فقال : أوصيك بتقوى  
الله في أمرك كله ، وإيثار ما يحبُّ على محبتك ، وإيائك والنظر إلى كل ما دعاك إليه  
طرفُك ، وشوقك إليه قلبك ؛ فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئاً من جوارحك ، حتى  
تبلغ لهما ما يطالعاك به <sup>(١)</sup> ، وإن ملكتهما كنت الداعي إلى ما أردت ، فلم يعصيا لك  
أمراً ولم يرداً لك قولاً .

قال بعض الحكماء : إن الله عزَّ وجل جعل القلبَ أميرَ الجسدِ ، ومَلِكَ  
الأعضاء ؛ فجميعُ الجوارح تنقادُ له ، وكُلُّ الحواسِّ تُطِيعُهُ ، وهو مديرها <sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة « حتى يطلب بهما ما يطالبانك به » (م)

(٢) وتقرأ « مديرها » بالباء الموحدة (م)

ومصرتها، وقائدها وسائقها، وإيرادته تنبعثُ، وفي طاعته تنقلبُ؛ ووزيره العقل، وعاضدهُ الفهمُ، ورائدهُ العيان، وطليعتهُ الأذنان. [ وهما في النقل سواء، لا يكتمّانه أمراً، ولا يطويانِ دونه سرّاً، يريد العين والأذن ].  
وقيل لأفلاطون: أيهما أشدّ ضرراً بالقلب السمع أم البصر؟ فقال: هما للقلب كالجنّاحين للطائر، لا يستقلّ إلا بهما، ولا ينهض إلا بقوتهما، وربما قصّ أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة. قيل: فما بالُ الأعمى يعشق ولا يرى، والأصم يعشق ولا يسمع؟ قال: لذلك قلت: إن الطائر قد ينهضُ بأحد جناحيه ولا يستقلّ بهما طيراناً، فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى، و [ طيرانه ] أَوْحَى (١).

وقال الأسود بن طالوت الجارودي: نظر إلى أبو الغمر الصوفي وقد أطلتُ النظرَ إلى غلامٍ جميل، فقال: ويحك! إنَّ طَرَفَكَ لعظيم ما اجتنى من البلاء قد عَرَضَكَ للمكروه وطول العناء، لقد نظرت إلى حتف قاتل للقلوب، وبلاء مُظْهِر للعيوب، وعارٍ فاضح للنفوس، ومكروه مُذْهِل للعقول، أكل هذا الاغترار بالله جرأكَ عليه حتى أمنتَ مَكْرَهه، ولم تخفَ كيدَه؛ أعلم أنك لم تكن في وقت من أوقاتك، ولا حالةٍ من حالاتك، أقرب إلى عقوبة الله منك في حالتك هذه، ولو أخذك لم يتخلصك الثقلان، ولم يقبلَ فيك شفاعَةُ إنس ولا جان.

ونظر محمد بن ضوء الصوفي إلى رجل ينظرُ إلى غلامٍ مليح، فقال: كفى بالعبد نقصاً عند الله، وضعةً عند ذوى العقول، أن ينظرَ إلى كل ما سَنَحَ له من البلاء.

ونظر [ أبو ] مسلم الخشوعي فأطال النظر، فقال: إنَّ في خلقِ السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آياتٍ لأولى الألباب. ثم قال: سبحان الله! ما أهجمَ طَرَفِي على مكروه نفسه، وأدمنه على تسخط سيده،

وأغراه بما نهى عنه ، وألهجه بما حذر منه ! لقد نظرت إلى هذا نظراً شديداً خشيتُ أنه سيفضحني عند جميع مَنْ يعرفني في عَرَصَةِ القيامة ؛ ولقد تركني نظري هذا وأنا أَسْتَحْيِي من الله تعالى إن غفر لي ! ثم صقق .

ونظر غالبُ المضرور<sup>(١)</sup> إلى غلام جميل على فرس رائع ، فقال : لا أدري بم آداوى طَرَفِي ، ولا بم أعالج قلبي ؟ ما أتوبُ إلى الله من ذنبٍ إلا رجعت فيه ، ولا أَسْتَغْفِرُهُ من أمرٍ إلا أتيتُ أعظم منه ، حتى لقد استحييتُ أن أسأله المغفرة لما يلحق قلبي من القنوط من عفوه ، لعظيم حالي بالمنكر الذي أصنعه . فقال له قائل : وأيّ منكر أتيت ؟ فقال : أنريدُ مني أكثر من نظري هذا ! والله لقد خشيت أن يبطل كلُّ عمل قدمته ، وخير أسلفته . ثم بكى حتى ألصق خدّه بالأرض .

ورأى بعضُ الزهاد صوفياً يضخّكُ إلى غلام جميل ، فقال له : يا خارب القلب ، ويا مفتضح الطرف ؛ أما تستحي من كَرَامِ كاتبين ، وملائكة حافضين ، يحفظون الأفعال ، ويكتبون الأعمال ، وينظرون إليك ، ويشهدون عليك ، بالبلاء الظاهر ، والغِلِّ الدخيل الخامر ، الذي أقتت نفسك فيه مقام مَنْ لا يُبَالَى من وقف عليه ، ونظر من الخلق إليه .

وقال أبو حمزة بن إبراهيم : قلت لـ محمد بن العلاء الدمشقي — وكان سيدَ المتصوفة ، وقد رأيته يمشي غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه — : لِمَ هجرتَ ذلك الفتى بعد أن كنتَ له مواصلاً ، وإليه مأثلاً ؟ فقال : والله لقد فارقه من غير قِلٍّ ولا مَلَلٍ ؛ ولقد رأيْتُ قلبي يدعوني إذا خلوت به ، وقربت منه ، إلى أمر لو أتيتُه لسقطت من عينِ الله عز وجل ؛ فهجرته تنزيهاً لله ولنفسى عن مصارع الفتن ، وإني لأرجو أن يعقبني سيدي من

مفارقة ما أعقب الصابرين عن محارمه عند صدق الوفاء بأحسن الجزاء ؛ ثم  
بكى حتى رحمته .

قال أبو حمزة : ورأيتُ مع أحمد بن علي الصوفي بيت المقدس غلاما جميلا ،  
فقلتُ : منذ كم صحبتك هذا الغلام ؟ فقال : منذ سنين ، فقلت : لو سرتما إلى  
بعض المنازل فكنتما فيه كان أحمد لكما من الجلوس في المسجد بحيثُ يراكما  
الناس ؟ فقال : أخافُ احتيالَ الشيطان عليّ به وقت خلوتي ، وإني لأكره أن  
يراني الله فيه على معصية فيفترق بيني وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم  
قال أبو الفتح البستي :

تتازع الناسُ في الصوفيّ ، واختلفوا فيه وظنّوه مشتقّا من الصوفِ  
ولست أنحل هذا الاسمَ غيرَ فتى صافي فصوفيّ حتى لقب الصوفي  
ورأى بقرط رجلاً من تلامذته يتفرّس في وجه أوحياً ، وكانت فائقة  
الجمال ، فقال : ما هذا الشغل الذي منعك الرويّة والفكرة ؟ فقال : التعجبُ  
من آثار حكمة الطبيعة في صورة أوحياً ، فقال : لا تجعلنَّ نظرك لشهوتك مركباً ،  
فيجمع لك في الوحول الأذية <sup>(١)</sup> ؛ ولتكنْ نفسُك منه على بال ، إنَّ آثار  
الطبيعة في وجه أوحياً الظاهرة تمحق بصرك ، وإن فسكرت في صورتها الباطنة  
تحد نظرك .

وقال بعضهم : رأيتُ جاريةً حسناء الساعد ؛ فقلت : يا جارية ،  
ما أحسن ساعدك ! فقالت : [ أجل ، لكنه ] لم تختص به ، ففضّ بصرَ جسمك  
عما ليس لك ؛ لينفتح بصرُ عقلك فتري مالك .

(١) في نسخة « ليجمع لك ذحول الأذية » (م)

## الرأى والهوى

وقال بعضُ الفلاسفة اليونانيين : فضلُ ما بين الرأى والهوى أنَّ الهوى يُخَصُّ والرأى يعمُّ ، وأنَّ الهوى فى حيز العاجل ، والرأى فى حيز الآجل ، والرأى يبقى على طول الزمان ، والهوى سريع الدثور<sup>(١)</sup> والاضمحلال ، والهوى فى حيز الحس ، والرأى فى حيز العقل .

وقال بعضُ الحكماء : من انقاد لهواه عرضته الشهوات .

وقال آخر : من جرّى مع هواه طلقاً<sup>(٢)</sup> ، جعل عليه للذل طرقاً .

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعضُ الحكماء رجلاً فقال : آمرك بمجاهدة هواك ؛ فإنه يقال : إنَّ الهوى مفتاحُ السيئات ، وخصمُ الحسنات ، وكلُّ أهوائك لك عدو ، وأعداها هوى يكتُمك نفسه ، وأعدى منه هوى يمثّل لك الإنم فى صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بجزم لا يشوبه وهن<sup>(٣)</sup> ، وصِدْق لا يطعم فيه تكذيب ، ومضاء لا يقاربُه التشييط ، وصبر لا يفتاله الجزع ، وهمة لا يتقسمها التضييع

وقال أبو العتاهية :

لا تأمن الموتَ فى طَرْفِ وفى نفسٍ	ولو تمنعت بالحجّاب والحرس
فما تزالُ سِهامُ الموتِ نافذةً	فى جنبٍ مُدَرِّعٍ منا ومُتَرَسٍ <sup>(٤)</sup>
ما بالُ دينك ترضى أنْ تدنسه	وثوبك الدهر مغسولٌ من الدنس
ترجو النجاةَ ولم تسلكْ مسالكها	إنَّ السفينةَ لا تجرى على يَبَس

[ من البد بدائه فى مجالس الخلفاء ]

خرج شبيب بن شيبه من دار المهدي ، فقيل له : كيف رأيتَ الناس ؟ قال :

(١) الدثور : الهلاك (م)

(٢) طلقاً - بفتح الطاء واللام ساكنة أو مفتوحة - شوطاً (م)

(٣) الوهن - بالتحريك - الضعف (م)

(٤) المدرع : لابس الدرع ، وأصله متدرع ، والمترس : لابس الترس (م)

رَأَيْتُ الدَّخَلَ رَاجِياً وَالْخَارِجَ رَاضِياً . نَحْنُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى رَبِيعَةُ الرِّقَى فَقَالَ :

قَدْ بَسَطَ الْمَهْدَى كَفَّ النَّدَى لِلنَّاسِ وَالْعَفْوُ عَنِ الظَّالِمِ

فَالرَّاجِلُ الصَّادِرُ عَنْ بَابِهِ مَبْشَرٌ لِلوَارِدِ الْقَادِمِ

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي نَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى :

جَزَيْتُ ابْنَ مَنْصُورٍ عَلَى نَأَى دَارِهِ جَزَاءَ مَقَرٍّ بِالصَّنِيعَةِ شَاكِرٍ

فَتَى رَاغِمَ الْأَمْوَالِ وَاصْطَنَعَ الْعُلَا وَأَرَثَ نِيرَانَ النَّدَى لِلْعَشَائِرِ <sup>(١)</sup>

[ تَرَى النَّاسَ أَرْسَالاً عَلَى بَابِ دَارِهِ ] [ عَلَى آمِنٍ يَخْذُو بِهِ حِمْلُ صَادِرٍ <sup>(٢)</sup> ]

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَأَلْقَى الْقَمَّ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِي السَّكْفِ الْمَفْدَاةِ عَهْدُهُ

دَخَلَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَعِنْدَهُ أَخْوَالُهُ مِنْ بَنِي

أَخْوَالُ  
السَّفَّاحِ

الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي أَخْوَالِي ؟ فَقَالَ : هُمْ هَامَةُ الشَّرَفِ ، وَغَرْنَيْنُ

الْكُرْمِ ، وَغَرَسُ الْجُودِ ، إِنْ فِيهِمْ لَخَصَالًا مَا اجْتَمَعَتْ فِي غَيْرِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ؛

إِنَّهُمْ لِأَطْوَلُهُمْ أَمَّا ، وَأَكْرَمُهُمْ شَيْئًا ، وَأَطْيَبُهُمْ طَعْمًا ، وَأَوْفَاهُمْ ذِمًّا ، وَأَبْعَدُهُمْ هِمًّا ،

الْجُرَّةُ فِي الْحَرْبِ ، وَالرَّقْدُ فِي الْجَدْبِ ، وَالرَّأْسُ فِي كُلِّ خَطْبٍ ، وَغَيْرُهُمْ بِمِزَلَةِ

الْعَجَبِ <sup>(٣)</sup> . فَقَالَ : وَصَفْتَ أَبَا صَفْوَانَ فَأَحْسَنْتَ ، فَزَادَ أَخْوَالُهُ فِي الْفَخْرِ ؛ فَغَضِبَ

أَبُو الْعَبَّاسِ لِأَعْمَامِهِ ، فَقَالَ : أَفَرُّ يَا خَالِدُ ؟ قَالَ : أَعْلَى أَخْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَأَنْتَ

مِنْ أَعْمَامِهِ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَفَاخِرُ قَوْمًا هُمْ بَيْنَ نَاسِجٍ بَرْدٍ ، وَسَائِسٍ قَرْدٍ ، وَدَابِغٍ جَسَدٍ <sup>(٤)</sup> ،

دَلَّ عَلَيْهِمْ هَدُودٌ ، وَغَرَقَهُمْ جُرْدٌ ، وَمَلَكَتْهُمْ أُمٌّ وَلَدٌ ! فَأَشْرَقَ وَجْهُ أَبِي الْعَبَّاسِ .

قَالَ يَمُوتُ ابْنُ الْمَرْزُوقِ : سَمِعْتُ خَالِي الْجَاهِظَ ، وَذَكَرَ كَلَامَ خَالِدِ

هَذَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ فَكَّرْتُ فِي جَمْعِ مَعَايِبِهِمْ ، وَاخْتِصَارِ اللَّفْظِ فِي مَثَالِبِهِمْ ،

(١) أَرَتِ النَّارَ : أَوْقَدَهَا ، وَفِي كَافَةِ النُّسخِ « وَأَثَبْتُ نِيرَانَ - إلخ » (م)

(٢) صَدَرَ هَذَا الْبَيْتُ مَذْكُورٌ فِي نَسْخَةٍ ، وَعَجَّزَهُ عَنْ دِيْوَانِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ (م)

(٣) الْعَجَبُ - بِالْفَتْحِ - أَصْلُ الذَّنْبِ وَمُؤَخَّرُ كُلِّ شَيْءٍ

(٤) فِي نَسْخَةٍ زِيَادَةُ « وَرَأَى كَبَّ عَرْدٍ » وَالْعَزْدُ - يَفْتَحُ الْعَيْنَ وَسُكُونُ الرَّاءِ - الْحَمَارُ (م)

بعد ذلك المدح للهدب سنة لكان قليلا ، فكيف على بديته لم يرُضْ له فكرا .  
هكذا أورد هذه الحكاية الصولى ، وقد جاءت بأطول من هذا ،  
وليس من شرطنا .

لمن بن أوس

قال ممن بن أوس الهذلى :

لممرِكَ ما أذرى وإنى لأوجَلُ      على أَيْنا تَأْنى النيسة أولُ  
وإنى أخوك الدائمُ الودَّ لم أحُلْ      إذا ناب خطبُ أو نَبَا بك منزلُ<sup>(١)</sup>  
كَأنك تشفى منك داءَ مساءتى      وسُخِطى ، وما فى رِيتى ما تَعَجَّلُ  
وإن سُوأتى يوما صبرتُ إلى غدٍ      ليعقبَ يوما آخرُ منك مُقْبِلُ  
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى      يمينك فانظرُ أى كَفْ تَبَدَّلُ  
وفى الناس إن رثتُ حبالك واصلُ      وفى الأرض عن دارِ القلى مُتَحَوِّلُ  
إذا أنت لم تنصفِ أخاك وجدتهُ      على طرفِ الهجران إن كان يعقِلُ  
ويركب حدَّ السيفِ من أن تضيئهُ      إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مَزْحَلُ  
وكنْتُ إذا ما صاحبُ رامٍ ظننى      وبَدَلُ سوءا بالذى كان يفعلُ  
قلبتُ له ظَهَرَ المِجَنِّ ولم أَدُمُ      عليه العهد إلا رِيثا أُنحَوِّلُ  
إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد      على بوجهِ آخرِ الدهر تُقْبِلُ

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبى سفيان وأنشد شعره من ، فقال :  
لمن هذا ؟ فقال : لى يا أمير المؤمنين ، قال : لقد شعرتَ بعدى يا أبا بكر ! ثم  
دخل عليه مَن فأنشد الشعر بعينه ، فقال : يا أبا بكر ، ألم تقل إنه شعرك ؟ فقال :  
يا أمير المؤمنين ، إنه ظنرى<sup>(٢)</sup> فما كان له فهو لى . أراد معاوية فعاتبه بشعر  
مَن ؛ ليلبغ ما فى نفسه ، وليس ادَّعَاؤه له على حقيقة منه .

(١) حفظى «الدائم العهد لم أحن \* إن ابزأك خصم - إلخ» (م)

(٢) ظنَّ الرجل - بكسر الظاء وسكون الهمزة - ابنه من الرضاع (م)

وقال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، فاستدناي حتى كنت أقرب الناس إليه ، ثم تنفس الصعداء ، وقال : يا خالد ، ربّ خالدٍ جلس مجلسك هو أشهى إلى حديثنا منك ! فعلمت أنه أراد خالداً القسريّ ، فقلت : أفلا تعيده يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هيهات ؟ إن خالداً أدلّ فأملّ ، وأوجف فأعجف ، ولم يدع لراجع مرجعاً . وتمثل بهذا البيت :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكّد عليه بوجه آخر الدهر تُقيلُ  
وروى أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان في سمره مع أهل بيته وولده وخاصته ، فقال لهم : ليقُل كل واحدٍ منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفصل [ مَنْ ] رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : [ امرؤ القيس ، وقال بعضهم : ] النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعرُ الناس والله من هؤلاء الذي يقول ، وأنشد بعض هذه الأبيات التي أنشد ، وهي لمن بن أوس :

وذى رَجِمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِفْنِهِ	بَحَلَوَى عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
يَحَاوِلُ رَغَى لَا يَحَاوِلُ غَيْرَهُ	وَكَلَمْتُ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ الرِّغْمُ
فَإِنْ أَعْفَ عَنْهُ أَغْضُ عَيْنًا عَلَى قَدَى	وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمٌ
وَإِنْ أَتَصَرَّ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَائِشٍ	سَهَامٌ عَدُوٌّ يُسْتَهَاضُ بِهَا الْعِظَمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	وَمَا يَسْتَوِي حَرْبُ الْأَقَارِبِ وَالسَّلَمُ
وَبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأَى وَالْمَرءُ قَادِرٌ	عَلَى سَهْمِهِ مَا كَانَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
وَيَشْتَمُ عَرْشِي فِي الْمَغِيبِ جَاهِدًا	وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتَمٌ <sup>(١)</sup>
إِذَا سُمِّتُهُ وَضِلَّ الْقَرَابَةُ سَامِي	قَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ
فَإِنْ أَدْعُهُ لِلنِّصْفِ يَأْبَ إِجَابَتِي	وَيَدْعُو لِحُكْمِ جَائِرٍ غَيْرُهُ الْحُكْمُ <sup>(٢)</sup>

(١) في الغيب : أي حين أكون غائبا عنه (م)

(٢) للنصف : أي للعدل والنصفة ، ويأب إجابتي : يرفضها ويمتنع عنها (م)



فبولا اتقاء الله والرحم التي  
إذا لعلاه بارق وخطمته  
ويسعى إذا أبني لهدم صالحي  
يوذ لو أني معدم ذو خصاصة  
ويعتد غمنا في الحوادث نكبتي  
فما زلت في لبني له وتعطى  
وخفضي له مني الجناح تألما  
وصبري على أميائه منه تريني  
لاستقل منه الضغن حتى استلته  
رأيت انشلافا بيننا فرقمته  
وأبرأت غل الصدر منه توسعا  
فأطفأت نار الحرب بيني وبينه

رعايتها حق وتعطيها ظم  
بوسم سنار لا يشابهه وسم<sup>(١)</sup>  
وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم  
وأكره جهدي أن يحاطه المدم  
وما إن له فيها سناء ولا غم  
عليه كما تحنو على الولد الأم  
لندنيته مني القرابة والرحم  
وكظمي عن غيظي وقد ينفع الكظم  
وقد كان ذا ضغن يصوبه الحزم<sup>(٢)</sup>  
برفقي أحيانا وقد يرفع الظلم  
بحلمي كما يشفي بالأدوية الكلام  
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

[من رسائل أبي الفضل بن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :  
وصل كتابك فصادفني قريب عهد بانطلاق ، من غمت الفراق ، إلى أبي عبد الله  
من ابن العميد الطبري  
وأوقفني مستريح الأعضاء والجوانح من حر الاشتياق ، فإن الدهر جرى  
على حكمه المألوف في تحويل الأحوال ، ومضى على رسمه المعروف في  
تبديل الأبدال ، وأعتقني من محالتي عتقا لاستحق به ولاء ، وأبرأني من  
عهدتك براءة لا تستوجب معادرك ولا استثناء ، ونزع من عنقي ربة  
الذل في إخوانك بيدئ جفائك ، ورش على ما كان يحدث في ضميري  
من نيران الشوق ماء السلوة ، وشن على ما كان يلهب في صدرى من الوجد

(١) يروى « بوسم سنار لا يشابهه وسم » والمعنى واحد (م)

(٢) يروى « وقد كان ذا ضغن يضيق به الحزم » وهي أظهر (م)

ماء اليأس، ومسح أعشار قلبي فَلَا مَ فُطُورَها بِجَمِيل الصبر<sup>(١)</sup>، وشعب أفلاذ كبدى  
فلاحم صدوعها بِحُسْن العزاء، وتغلغل في مسالك أنفاسى فعوض نفسى من النزاع  
إليك تُزُوعا عنك<sup>(٢)</sup>، ومن الذهاب فيك رجوعا دونك، وكشف عن عيني ضبابات  
مألقاه الهوى على بصرى، ورفع عنها غيابات ما سد له الشك دُون نظرى، حتى  
حذر النقاب عن صفحات شيمك، وسفر عن وجوه خليقتك؛ فلم أجد إلا  
منكراً، ولم ألق إلا مستكبراً، فوليت منها فراراً، ومليت رُعباً، فاذهب فقد  
أليت حَبْلَكَ على غاربك، ورددت إليك ذمياً عهدك .

وفى فصل من هذه الرسالة : وأما عذرُك الذى رُمْتُ بسَطَه فانقبض، وحاولت  
تمهيدَه وتقريرَه فاستَوْفَزَ وأعرض، ورفعت بضبيعه فانخفض، فقد ورد ولقيته  
بوجه يؤثر قبوله على رَدِّه، وتركته على جرحه، فلم يف بما بذلته لك من نفسه،  
ولم يقم عند ظنك به، أنى وقد غطى التذمُّ وجهه، ولف الحيام رأسه، وغضَّ  
الخلجل طرفه؛ فلم تتمكن من استكشافه، وولى فلم تقدر على إيقافه، ومضى يعترُ  
فى فضول ما يغشاه من كرب حتى سقط، فقلنا : للبدِ والقم : ثم أمر بمطالعة  
ما صحبه فلم أجدَه إلا تابَّطُ شراً، أو تحمَّلَ وزراً .

وقوله هذا محلول من عقد نظمه إذ يقول :

أقر السلام على الأمير وقل له	قدك انتب أرئيت فى العلواء
أنت الذى شئت شمل مسرتى	وقدحت نار الشوق فى أحشائى
ورضيت بالثمن اليسير معوضة	منى ، فهلاً بمعتنى بفلاء
وسأنتك العتبي فلم ترى لها	أهلاً ، فجذت بعذرة شوهاء <sup>(٣)</sup>
وردت موهة فلم يرفع لها	طرف ، ولم ترزق من الإصفاء

(١) لأم : ضم وجمع ولحم ، والفطور : جمع فطر ، وهو الشق (م)

(٢) النزاع إليك : أى الشوق إليك ، والنزوع عنك : الانصراف عنك (م)

(٣) العتبي : الاسترضاء ، والعذرة - بالكسر - الاعتذار (م)

وأعار منطقها التذم سكتة      فتراجعت تمشي على استحياء  
لم تشف من كدرٍ ، ولم تبرد على      كبدٍ ، ولم تَمَسَّحْ بجوانب داء  
داوت جوى بجوى وليس بحازم      من يستكف النار بالخلفاء  
من يشف من كد بآخر مثله      أثرت جوارحه على الأدواء

وله إليه رسالة : أخطب الشيخ سيدى - أطال الله بقاءه - مخاطبة مُخرجِ  
بروم الترويح عن قلبه ، ويرى التفرج<sup>(١)</sup> من كزبه ؛ فأكتبه مكاتبةً مصدور ،  
يريد أن ينفث بعض ما به ، ويخفف الشكوى من أوصابه ، ولو بقيت في  
التصبر بقيةً لسكت ، ولو وجدت في أثناء جدى خرجة يتحللها تجلُد لأمسكت ؛  
فقدما لبستُ الصديق على علاته ، وصفحتُ له عن هناته ، ولكنى مغلوب  
على العزاء ، مأخوذ عن عادتي في الإغضاء ، فقد سلّ من جفائك مارك احتمالى  
جفاءً ، وذهب في نفسى من ظلمك ما أنزف حلى فجعله هباءً ، وتوالى على  
من قُبِحَ فعلك في هجر يستمر على نسق ، وصدّ مطرد متّسق ، ما لو فُضَّ  
على الورى ، وأفيض على البشر لامتلات منه صدورهم ، فهل أقدرُ على ألا أقول ،  
وهل نكلك إلى مراعاتك ، وهل نشكوك إلى الدهر حليفك على الإضرار ،  
وعقيدك على الإفساد<sup>(٢)</sup> ، وأشكوه إليك ، فإنكما وإن كنما في قطيعة الصديق  
رضيعى لَبَّان ، وفي استيطاء مركب العقوق شريكى عنان ، فإنه فاصر عنك في  
دقائق مخترعة ، أنت فيها نسيجٌ وحْدِك ، وقاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة ،  
أنت فيها وحيدٌ عصرك ، أنما متفقان في ظاهرٍ يسرُّ الناظر ، وباطنٍ يسوءُ الخابر ،  
وفي تبديل الأبدال ، والتحول من حالٍ إلى حال ، وفي بثّ حبال الزور ،  
ونصب أشراك الغرور ، وفي خلف الموعد ، والرجوع في الموهوب ، وفي فظاعة  
اهتضام ما يعير ، وشناعة ارتجاع ما يمنح ، وقصدٍ مُشَارَةِ الأحرار<sup>(٣)</sup> ، والتعامل

(١) بروم ، ويرى ، كلاهما بمعنى يطاب ، ووقع في نسخة « يريد » في مكان  
« يرى » والمعنى واحد (م) (٢) عقيدك : معاهدك ومواقفك ، يريد أنها متفقان (م)  
(٣) للشارة : الخاصة (م)

عند ذوى الأخطار ، وفي تكذيب الظنون ، والليل عن النباهة للخمول ، إلى كثير من شيمكا التى أسندتما إليها ، وستكما التى تعاقدتما عليها ، فأين هو ممن لا يجارى فيه نقض عُرى اليهود ، ونسكت قُوى العقود ؟ وأنى هو عن النيمة والغيبة ، ومشى الضراء<sup>(١)</sup> فى الفيلة ، والتنفق بالنفاق فى الحيلة . وأين هو ممن ادعى ضروب الباطل ، والتحلّى بما هو منه عاطل ، وتنقص العلماء والأفاضل ؛ هذا إلى كثير من مساوٍ منشورة أنت ناظمها ، وتحاز متفرقة أنت جامِها . أنت أيّدك الله إن سويته بنفسك ، ووزنته بوزنك ، أظلمُ منه لذويه ، وأعق منه لبيه ؛ وهَبك على الجملة قد زعمت - مفترياً عليه - أنه أشدُّ منك قدرة ، وأعظمُ بسطة ، وأتمّ نصرة ، وأطلق يدا فى الإساءة ، وأمضى فى كل نكابة شباة<sup>(٢)</sup> ، وأحدّ فى كل عاملة شدّاة<sup>(٣)</sup> ، وأعظم فى كل مكروه مُتغلّغلاً ، وآلف إلى كل محذور متوصلاً ، إن الدهر الذى ليس بمُعْتَب من يجرعُ ، وإن المُتَبى منك مأمولة ، ومن جهنك مرقوبة ، وهيهات ! فهل توهم أنه لو كان ذا روح وجثمان ، مصوراً فى صورة إنسان ، ثم كاتبته أستمطفه على الصلة ، وأستمفيه من الهجر ، وأذكره من المودة ، وأستميل به إلى رعاية المقة ، وأستعد على ما أشاعه الفراق فى نفسى من اللوعة ، وأضرّمه بالبعد فى صدرى من الحرقة ، كان يستحسن ما استحسنته من الاضطراب عند جوائى ، ويستجيز ما استعجزته من الاستخفاف بكتابى .

وله فصل فى هذه الرسالة ، وقد ذكر دعواه فى العلم : وهَبك أفلاطون نفسه فأين ماستفته من الدياسة ، فقد قرأناه ، أنجد فيه إرشادا إلى قطيعة صديق ، وأحسبك أرسطاطاليس بعينه ، أين مارسفته من الأخلاق ؟ قد رأينا فلم نرفيه هداية إلى شيء من العقوق ، وأما الهندسة فإنها باحثة عن المقادير ، ولن يعرفها إلا مَنْ جهل مقدار نفسه ، وقدّر الحق عليه وله ؛ بل لك فى رؤساء الآداب العربية [ منّا ريج ومضطرب ، ولنا : شاحك ، لكن اتحب أن تتحقّق

(١) مشى فلان الضراء - بزنة السحاب - أى مشى مستخفياً فيما يواربه من من شجر ومحوه ، ويقال ذلك لمن يوصف بأنه يختل ويخدع (م)

(٢) شباة السنان : حده (م) (٣) الشداة : بقية القوة ، وحد كل شيء (م)

بالغريب من القول ، دون الغريب [ من الفعل ؟ ] وقد أغربت في الذهاب بنفسك إلى حيث لا تهتدى للرجوع عنه . وأما الفحو فلن تدفع عن حذق فيه ، وبصر به ، وقد اختصرته أوجز اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة ، ويرضى بك أسوة ، قللت : الندر والباطل وما جرى مجراها مرفوع ، والصدق والحق وما صاحبهما مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ، ولكن غرضا يرشق بسهام الفئيلة ، وعلمًا يقصد بالوقية ، ولست بالعروضى ذى اللبجة فأعرف قدر حذقك فيه ، إلا أنى لا أراك تتعرض لكامل فيه ، ولا وافر ، ولينك سبحت في بحر المجتث حتى تخرج منه إلى شط المتقارب .

وفي فصل منها أيضا :

وهبنى سكت لدعواك سكوت متمعّب ، ورضيت رضا منسخط ، أيرضى الفضل اجتذالك بأهداه ، من يدي أهليه وأصحابه ، وأحسبك لم تراحم خطابه ، حتى عرفت ذلة نفره وقلة بعيره ، فاصدقني هل أنشدك :

لو بأبائين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم<sup>(١)</sup>

وليت شعري بأى حلى تصدّيت له ، وأنت لو تتوجت بالثريا ، وقلدت قِلادة الفلك ، وتمنّطت بمنطقة الجوزاء ، وتوشّحت بالحجرة لم تكن إلا عطلا ، ولو توشّحت بأنوار الربيع الزاهر ، وسرّجت جبينك غرة البدر الباهر ، ما كنت إلا عطلا ، سيما مع قلة وفائك ، وضغف إخائك ، وظلمة ماتصترف فيه من خصالك ، وتراكم الدّجى على ضلالك ، وقد ندّمت على ما أعرّتك من ودّى ، ولكن أى ساعة منّدم ، بعد إفناء الزمان في ابتلائك ، وتصفّحى حالات الدهر في اختيارك ، وبعد تضييع ماغرسته ، ونقض ماأسسته ، فإن الوداد غرس إذا لم يوافق ترى ثريا ، وجوا عذيا<sup>(٢)</sup> ، وماء رويّا ، لم يرنج زكاؤه ، ولم يجر نماؤه ، ولم تنفتح أزهاره ، ولم تجن نماره ، ولبت شعري ، كيف

(١) هذا بيت لمهلل بن ربيعة أخى كليب بن ربيعة ، وقبل هذا البيت قوله :

أنكحها فقدمها الأرقم في جنب ، وكان الجباء من أدم

يقول ذلك في ابنته وقد زوجها ممن لم يره كفتا (م) (٢) جوا عذيا : طيب الهواء (م)

ملك الضلال قيادي حتى أشكل على ما يحتاج إليه المزوجان ، ولا يستغنى عنه المتآلفان ، وهما مازجة طبع ، وموافقة شكل وخلق ، ومطابقة خيم<sup>(١)</sup> وخلق ، وما وصلتنا حال تجمعنا على ائتلاف ، وحمّتنا من اختلاف ، ونحن في طرفي ضدّين ، وبين أمرين متباعدين ، وإذا حصلت الأمر وجدت أقل ما بيننا من البعاد ، أكثر مما بين الوهاد والتجادر<sup>(٢)</sup> ، وأبعد مما بين البياض والسواد ، وأيسر ما بيننا من النفار أقل [ ما بيننا من النصار ، وأكثر ما ] بين الليل والنهار ، والإعلان والإسرار

[ حسن التآني للأمر ]

قال أسد بن عبد الله لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، فرط الخيلاء ، وهيبة العزة ، وظلّ الخلافة ، يكف عن الطلب من أمير المؤمنين إلا عن إذنه ، فقال له : قل ، فقد والله أصبت مئلك الطلب ؛ فسأل حوائج كثيرة قضيت له .

وقال عمرو بن نهيك لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، قد حضر خدمك الإعظام والهيبة عن ابتدائك بطلياتهم ، وما عاقبة هذين لهم عندك ؟ قال : عطاء يزيدهم حياة ، وإكرام يكسوم هيبة الأبد

قال عيسى بن علي : ما زال المنصور يشاورنا في أمره حتى قال إبراهيم بن هرمة فيه :

إذا ما أراد الأمر ناجي ضميره      فنأجي ضميراً غير مختلف العقل  
ولم يُشرك الأدين في جلّ أمره      إذا اختلفت بالأضعفين قوَى الحبل

فقر في ذكر المشورة

المشورة إقحاح العقل ، ورائد الصواب ، وحزْم التدبير . المشاورة قبل المساورة . والمشورة عين الهداية .

(١) الخيم - بكسر الخاء - الطبع والسجية (م)

(٢) الوهاد : جمع وهدة ، وهي ما انخفض من الأرض ، والنجاد : جمع مجد ،

وهو ما ارتفع من الأرض (م)

ابن المعتز : من رضى بحاله استراح ، والمستشير على طرف النجاح .  
وله : مَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَعْدَمْ فِي الصَّوَابِ مَادِحًا ، وَفِي الْخَطَا عَازِرًا .  
بشار بن برد : المشاور بين إحدَى الحسنيين : صواب يفوزُ بثمرته  
أو خطأ يُشارك في مكروهه ، وقال :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ      بِعَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ مَشُورَةٍ حَازِمٍ  
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً      فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ <sup>(١)</sup>  
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْفَلَاحُ أَخْتَهَا      وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ  
وَحَلَّ الْهُوَئِيِّ لِلضَّعِيفِ وَلَا تَكُنْ      نَوْمًا فَإِنَّ الْحَرَ لَا يَسْ بِنَائِمٍ  
وَأُذِنَ إِلَى الْقَرَبِ الْقَرَبَ نَفْسُهُ      وَلَا تُشْهَدِ النَّجْوَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمٍ  
فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُ الْقَمَّ بِالْمَنَى      وَلَا تَبْلُغُ الْعَالِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ

\*\*\*

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته فقال : أيها  
الأمير ، قد عظم شأنك أن يُستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تفعل شيئاً  
من المعروف إلا وأنت أكبرُ منه ، وليس العجبُ من أن تفعل ، بل العجب  
من ألا تفعل ؛ فقضاها .

[ تاريخ الكتب والرسائل ]

استخلص القاضي أبو خليفة الفضلُ بن حباب الجمحيُّ رجلاً للأنس به ، فقال :  
أَغْيَرُ ثِيَابِي وَأَعُودُ ، قَالَ : مَا أَفْعَلُ ، إِنِّي نَاسِكٌ وَعَدُ ، وَإِيحَاشُكَ نَقْدُ ، وَكَانَ أَبُو خَلِيفَةَ  
مِنْ جَلَّةِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَلَهُ حَلَاوَةٌ مَعْنَى ، وَحَسَنُ عِبَارَةٍ ، وَبِلَاغَةُ لَفْظٍ . قَالَ الصَّوْلِيُّ : كَاتَبْتُ  
أَبَا خَلِيفَةَ فِي أُمُورٍ أَرَادَهَا فَأَغْفَلْتُ التَّارِيخَ مِنْهَا فِي كِتَابَيْنِ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ بَعْدَ نَفُوزِ  
الثَّانِي : وَصَلَ كِتَابُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْهُمْ الْأَوَانُ ، مُنْظَمُ الْمَكَانِ ، فَأَدَّى خَيْرًا مَا الْقَرَبُ

(١) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، والقوادم : عشر ريشات  
في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش ، تغطي الخوافي (م)

فيه بأولى من البُعد ؛ فإذا كتبت — أكرمك الله تعالى ! — فلتكن كتبك مرسومةً بتاريخ ؛ لأعرف أدنى آثارك ، وأقرب أخبارك ، إن شاء الله تعالى . وقال بعض الكتاب : التاريخ عمودُ اليقين ، ونافى الشك ، به تُعرف الحقوق ، وتُحفظُ العهود .

وقال رجل لأبي خليفة سلم عليه : ما أحسبك تعرف نسبي ، فقال : وجهك يدلُّ على نسبك ، والإكرامُ يمنع من مسألتك ، فأوجد لي السبيل إلى معرفتك .

وسأل أبو جعفر المنصور قبل أن تُفَضِّيَ إليه الخلافةُ شبيب بن شيبه ، فانتسب له فعرفه أبو جعفر ، فأثنى عليه وعلى قومه ، فقال له شبيب : بأبي أنت وأمي ! أنا أحبُّ للعرفةِ واجِبَلِك عن المسألة ، فتبسَّم أبو جعفر وقال : لطف أهل العراق ! أنا عبد الله بن محمد [بن علي] بن عبد الله بن العباس ، فقال : بأبي أنت وأمي : ما أشبهك بنسبك ؛ وأدلك على منصبك .

### فقر وأمثال، يتداولها المال

الولاية حلوة الرضاع مرّة الفطام . غبارُ العمل خيرٌ من زعفران العطلة .

ابن الزيات : الإرجاف مقدمة السكون .

عبد الله بن يحيى : الإرجاف رائد الفتنة .

حامد بن العباس : غرسُ البلوى ، يثمر الشكوى .

أبو محمد المهلبى : التصرف أعلى وأثنى ، والتعطل أضنى وأعنى .

أبو القاسم صاحب : وَعَدُ السَّكْرِيم ، أَلْزَمَ من دَيْنِ الْفَرِيم .

ابن المعتز : ذلُّ العَزَلِ يضحك من تيه الولاية . وقال :

كَمْ تَأْنِيهِ بِـولايةٍ وَيَعْزَلُهُ رَكْضَ الْبَرِيدِ

سُكْرُ الْولايةِ طِيبٌ وَخَمَارُهَا صَفْبٌ شَدِيدٌ



وقال : من ولى ولاية فتاه فيها فأخبره أن قدره دونها . العزل طلاق الرجال  
وحيض العمال . وأنشدوا :

وقالوا العزل للعمال حيض  
لحاه الله من حيض بغيض  
فإن يك هكذا فأبو علي  
من اللأى يئسن من المحيض  
منصور الفقيه :

يا مَنْ تولى فأبدى لنا الجفا وتبـدّل  
أليس منك سمنا من لم يمت فسيُفزل  
وقال أيضاً :

إذا عزل المرء واصلمته  
وعند الولاية استكبر  
لأن المولى له نخوة  
ونفسى على الذل لا تصير

[ من ترجمة منصور الفقيه ، وأخباره ]

ومنصور هذا هو منصور بن إسماعيل بن عيسى بن عمر التيمي<sup>(١)</sup> ، وكان يتفق  
على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وهو حلو المقطعات ، لا تزال تندر له  
الآيات مما يستظرف معناه ، ويستحلى مغزاه ، [ ويبقى ثناه ] ، وهو القائل لما  
كفّ بصره :

من قال مات ولم يستوف مدته  
لعظم نازلة نالته معذور  
وليس في الحكم أن يحيا فتى بلغت  
يه نهاية ما يخشى القادير  
فقل له غير مرّ تأب بفعلته  
أوسوء مذهبه : قد عاش منصور  
وعتب على بعض الأشراف ، وكانت أمه أمة قيمتها ثمانية عشر ديناراً ، فقال :  
من فاتنى بأبيه ولم يفتنى بأمه

ورام شستى ظلماً سكث عن نصف شتمه  
وقال :

لو قيل لى خذ أماناً من حادث الأزمان  
لما أخذت أماناً إلا من الإخوان  
وقال :

رضيت بما قسم الله لى وفوضت أمري إلى خاليتى  
كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى  
وقال :

لو كنت متنعماً بعلمك مع مواصلة الكبار  
ماضراً شرب السم واءلم أن شرب السم ضائر  
وقال :

إذا القوت تاتى لك والصحة والأمن  
وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن  
ورأيت له فى أكثر النسخ - على أن أكثر الناس يرويه لإبراهيم بن  
المهدى ، وهو الصحيح - :

لولا الحياء وأنت مشهور والعيب يملق بالكبير كبير  
لحلت منزلاً الذى نحتله ولكن منزلاً هو المهجور<sup>(١)</sup>  
وهذا كقول صاحب أبي القاسم :

[دعنى عينك نحو الصبا دعاء يكرر فى كل ساعة  
فلولا وحقت عذر الشيب لقلت لعينيك سمعاً وطاعة]

(١) هذا وجه ضعيف فى العرية ، وهو أن تجعل « هو المهجور » جملة من  
مبتداً وخبر فى محل نصب خبر كان ، والفصح أن تجعل « هو » ضمير فصل و « المهجور »  
بالنصب على أنه خبر كان ، نحو قوله تعالى : ( كنت أنت الرقيب عليهم ) .

وقال ابن دريد في معنى البيت الأول فأحسن :

إذا رأيت امرأ في حال عُسرته    مُصَافِيًا لك ما في وُدّه خَلَّ  
فلا تمنّ له أن يستفيد غنى    فإنه بانتقال الحال ينتقل

[ تغير الحال ، بكثرة الأموال ]

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عُسرة ، ثم ولي عملاً ، فأتاه  
محمد قاضياً حقاً ومسلماً عليه ، فرأى منه [ نبوة و ] تغيراً ، فكتب إليه :

لئن كانت الدنيا أُنالَتْكَ ثروة    وأصبحت ذا يُعسر ، وقد كنت ذا عُسر  
لقد كشف الإثراءُ منك خلائقاً    من اللؤم كانت تحت نوب من الفقر

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مَعْدَةَ ، وكان له خلاً قبل ارتفاع حاله ، فلما  
علت رُتبته مع المأمون تغير عليه :

غَنيت عن العهد القديم غنيتا    وضيعت عهداً كان لي ونسيتاً

وقد كنت لي أيام ضعف من القوى    أبر وأوفى منك حين قويتا

تجاهلت عما كنت تحسن وصفه    ومثّ عن الإحسان حين حبيتا

وكتب بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فيما ينخرط في هذا السلك :

من  
بديع الزمان  
لابن المرزبان

كنت - أطال الله بقاء الشيخ سيدي وأدام عزّه - في قديم الزمان أتمنى الخير للاخوان ،  
وأسأل الله تعالى أن يُدرّ عليهم أخلاف الرزق <sup>(١)</sup> ، ويمدّهم أكناف العيش ، ويؤتيهم  
أصناف الفضل ، ويوطنهم أكناف العز ، وينيلهم أعراف الجدد ، وقصارى الآن  
أن أرغب إلى الله تعالى ألا يُنيلهم فوق الكفاية ، فشدّ ما يطفون عند النعمة  
ينالونها ، والدرجة يعلونها ، وسرع ما ينظرون من عال ، ويجمعون من مال ، وينسون  
في ساعة اللدونة . أوقات الخشونة <sup>(٢)</sup> ، وفي أزمان العذوبة أيام العموبة ، وللكتاب مزية

(١) الأخلاف : جمع خلف - بالكسر - وهي حلة خضر الناقة (م)

(٢) اللدونة : اللين ، لدن الشيء - من باب كرم - لدانة ولدونة : لان .

في هذا الباب ؛ فيبذلهم في الغربة أعوان كما انفرج المشط ، وفي العُطلة إخوان كما انتظم السَّمط ، حتى إذا لحظهم الجدُّ لحظةً تحفّاء بمنشور عمالة ، أو صكَّ جمالة ؛ عاد عامر موديتهم خراباً ، وانقلب شرابُ عهدهم سَراباً ، فما اتسعت دورُهم إلا ضاقت صدورُهم ، ولا عكبت قدورُهم إلا خبت بدورهم ، ولا علتْ أمورُهم إلا أسبلت ستورُهم ، ولا أوقدت نارُهم إلا انطفأ نورهم . ولا هملجت عناقهم إلا فطعت أخلاقهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أفعالهم ، ولا كثرت مالهم ، إلا قلَّ جمالهم ، وعزَّ معروفهم ، وورمت أنوفهم <sup>(١)</sup> ، حتى إنهم ليصيرون على الإخوان مع الخطوب خطباء ، وعلى الأحرار مع الزمان ألباء . قصارى أحدهم من المجد أن ينصب تحته تخته ، وأن يوطئ استه دسسته ، وحسبُه من الشرف دارٌ يصهرج أرضها ، ويزخرف بعضها ، ويزوِّق سقوفها ، ويلقى شقوقها <sup>(٢)</sup> ، وناهيه من الشرف أن تغدو الحاشية أمامه ، وتحمل الغاشية قدَّامه ، وكفاه من الكرم الفاظ فقاعية <sup>(٣)</sup> ، وثياب قداعية ، يلبسها ملوماً ، ويحشوها لوباً ، وهذه صفة أفاضلهم . ومنهم من يمتخك الودَّ أيام خشكاره حتى إذا أخصب جعل ميزانه وكيَّله ، وأسنانُه أكيَّله ، وأنيسه كيَّسه ، وأليفه رغيَّفه ، وأمينه يمينه ، ودنانيره سَميره ، وصندوقه صديقه ، ومفتاحه ضبيعه ، وخاتمه خادمه ، وجمع الدرَّة إلى الدرَّة ، ووضع البدرَّة على البدرَّة ، فلم تقع القطرة من طرفه ، ولا الدرَّة من كفه ؛ ولا يخرج ماله عن عهدته خاتمه ، إلى يوم مآثمه ، وهو يجمع لحادث حياته ، أو وارث وفاته ؛ يسلك في القدر كلَّ طريق ، ويبيع بالدرم ألف صديق ؛ وقد كان الظنُّ بصديقنا أبي سعيد - أيده الله تعالى - أنه إذا أخصب آوانا كنفا من ظله ، وحبَّانا من فضله ، فمن لنا الآن بعدله ؟ إنه - أطال الله بقاءه - حين طارت إلى أذنه عُقاب المخاطبة بالوزير ، وجلس من الديوان في صدر الإيوان

(١) ورم أنف فلان : كناية عن إظهاره الكبر (م)

(٢) الشقوق : جمع شق - بالكسر - وهو رقيق الثياب (م)

(٣) فقاعية : ذات تشقق

أَقْصَى عُدْرَةِ السِّيَاسَةِ لَدَيَّ ، بِتَعَرُّضٍ بَعْضُ الْمُخْتَلَفَةِ إِلَى ، وَجَمَلٍ يَعْرِضُهُ  
لِلْهَلَاكِ ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ بِمَالِ الْأَتْرَاكِ ، وَجَعَلْتُ أَكَاتِبُهُ مَرَّةً وَأَقْصِدُهُ أُخْرَى ،  
وَأَذْكُرُهُ أَنَّ الرَّاكِبَ رُبَّمَا اسْتَنْزَلَ ، وَالْوَالِيَّ رُبَّمَا عُزِّلَ ، ثُمَّ يَجِفُّ رَيْقُ الْخُجَلِ  
عَلَى نَسَانِ الْعَذْرِ ، فَتَبْقَى الْحَزَازَةُ فِي الصَّدْرِ ، وَمَا يَجْمَعُنِي وَالشَّيْخُ إِنْ كَانَ زَادَهُ  
قَوْلِي إِلَّا عُلُوءًا فِي تَحْكَمِهِ ، [ وَغُلُوءًا فِي تَهْكَمِهِ ] وَجَمَلٌ يَمْشِي الْجَمَزَى فِي ظِلِّهِ ؛  
[ وَيَبْرَأُ إِلَى مَنْ عِلْمُهُ ] ، فَأَقُولُ - إِذَا رَأَيْتَ ذِلَّةَ السُّؤَالِ مِنِّي وَعِزَّةَ الرَّدِّ  
مِنْهُ لِي - :

قُلْ لِي مَتَى فَرَزْتَ سُرْعَةَ مَا أَرَى يَا بَيْدَقُ<sup>(١)</sup>

وَمَا أَضْيَعُ وَقْتًا فِيهِ أَصْفَعُهُ ، وَزَمَانًا بِذِكْرِهِ قَطَعْتُهُ ، هَسْلَمُ إِلَى الشَّيْخِ  
وَشَرَعْتُهُ ، قَدْ نَكَأَ الْقَلْبُ بَقَرَحِهِ ، وَكَيْفُ أَصِفُ حَالًا لَا يَفْرَعُ الدَّهْرُ  
مَرُوءَةً حَالِهِ ، وَلَا يَنْتَقِضُ عَمْرُوهُ إِجْلَالِهِ ؛ فَمَا أَوْلَانِي بَأَنَّ أَذْكُرُهُ مَجْمَلًا ، وَأَتْرَكُهُ  
مَفْضَلًا ، وَالسَّلَامَ .

رسالة أخرى  
من البديع  
لبعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه في أمر رجل ولي الأشراف :

فهمت ما ذكرت - أطال الله بقاءك - من أمر فلان أنه ولي الأشراف ،  
فإن يصدق الطير يكن إشرافًا على الهلاك ، بأيدي الأتراك ، فلا تحزنك ولا يته  
فالحبل لا يبرم إلا للقتل ، ولا تعجبك خلعتة فالثور لا يزين إلا للقتل ، ولا يبرعك  
نفاقه فأرخص ما يكون النُفْطُ إِذَا غَلَا [ وَأَسْفَلَ مَا يَكُونُ الْأَرْبُ إِذَا عَلَا ] ،  
وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ شَنَّ عَلَيْهِ جِرَانُ الْعَوْدِ ، شَنَّ الْمَطْرُ الْجَوْدُ ، وَقِيدَلَهُ مَرْكَبُ الْفَجَارِ ،  
مِنْ مَرْبَطِ النِّجَارِ ، وَإِنَّمَا جَرَّ لَهُ الْحَبْلُ ، لِيُضْفَعَ كَمَا صَفَّعَ مِنْ قَبْلِ ، وَسَتَعُودُ تِلْكَ  
إِحَالَةُ إِحَالَةٍ ، وَيَنْقَلِبُ ذَلِكَ الْحَبْلُ حَبَالَةً ، فَلَا يَحْسُدُ الذُّئْبُ عَلَى الْإِلَیَةِ يُمْطَأُهَا  
طَعْمَةً ، وَلَا يَحْسِبُ الْحَبُّ يُنْثَرُ لِلْعَصْفُورِ نِعْمَةً ، [ وَهَبْهُ وَلِيَّ إِمَارَةِ الْبَحْرَيْنِ أَلَيْسَ

(١) الفرزان : قطعة في لعبة الشطرنج (الوزير) لها أهمية عظيمة ، ويقال له  
«العرز» وفرزن : صار فرزانًا ، والبديق : قطعة أخرى هيئة الشان ، واللفظان

مرجه ذلك العقل ، ومصيره ذلك الفضل ، ومنصبه ذلك الأصل . وعصارتة  
ذلك النسل ، وقعيدته تلك الأهل ] ، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ،  
فكان ماذا ؟ أليس [ ما ] قد سلب أكثر مما أوتي ، وما عدم أوفر مما غنم ! مالك تنظرُ  
إلى ظاهره ، وتعمى عن باطنه ؟ أكان يعجبك أن تكون قعيدته في بيتك ،  
وبغلته من تحتك ، أم كان يسرك أن تكون أخلاقه في إهابك ، وبوابه على بابك ،  
أم كنت تود أن تكون وجماعه في إزارك ، وغلمانه في دارك ، أم كنت  
ترضى أن تكون في مربطك أفراسه ، وعليك لباسه ، ورأسك رأسه ؟ جعلت  
فداك ! ما عندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحده على  
ما أعطاك ، ثم أنشد :

إن الغنى هو الراضى بعيشته لا من يظل على الأقدار مكتئبا

[ في البخل ]

ألف سهل بن هارون كتاباً<sup>(١)</sup> يمدح فيه البخل ويذم الجود ؛ ليظهر قدرته  
على البلاغة ، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للمأمون ، فوقع عليه : لقد مدحت  
ما ذمه الله ، وحسنت ما قبح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك ، وقد  
جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه .

بين سهل  
ابن هارون  
والحسن بن  
سهل

وكان الحسن من كرماء الناس وعقلائهم . سئل أبو العيناء عنه ، فقال :  
كأنما خلف آدم في ولده ، فهو ينفع عيالتهم ، ويسد خلتهم ، ولقد رفع الله  
للدنيا من شأنها ، إذ جعله من سكانها

أخذ هذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر :

وكان آدم كان قبل وفاته أوصاك وهو يحود بالحوباء  
بينه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

(١) في كتاب البخله لاحظ رسالة سهل بن هارون في البخل ، وقد طبع  
كتاب البخله في ليدن ، وطبع في مصر أربع مرات .

وأخذ أبو الطيب المتنبي آخر كلام أبي العيناء فقال :  
قد شرف الله دُنْيَا أَنْتَ سَاكِئُهَا      وشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا  
وقيل للحسن بن سهل : لم قيل : قال الأول ، وقال الحكيم ؟ قال : لأنه  
كلام قد مرَّ على الأسماع قَبْلَنَا ، فلو كان زَلِلاً لما نُقِلَ إلَيْنَا مُسْتَحْسِنَا .

ومن أمثال البخلاء ، واحتجاجهم ، وحكمهم

أبو الأسود الدؤلي : لا تُجَاوِدَ الله ؛ فإنه أجودُ وأجحد ، ولو شاء أن يوسّع على خلقه  
حتى لا يكون فيهم محتاج فعل . وقال : لو أطيننا المساكين في إعطائنا إياهم كنا أسوأ حالا منهم .  
وقال الكندي : قول « لا » يدفع البلاء ، وقول « نعم » يزيل النعم . وقال :  
سماع الغناء بِرَّ سام حَادٍ ؛ لأن المرءَ يسمع فيطرب ، فيسمع فيفتقر ، فيغتم فيمرض  
فيموت . وقال لابنه : يا بني ، كن مع الناس كاللاعب بالقمار ، إنما غَرَضُهُ أَخْذُ  
متاعهم ، وحِفْظُ متاعه .

وقال [ غيره : ] مَنَعَ الْجَمِيعُ أَرْضَى لِلْجَمِيعِ . إذا قُبِحَ السُّؤَالُ حَسَنَ الْمَنَعِ .  
وقال علي بن الجهم : مَنْ وَهَبَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ مُخْدُوعٌ ، وَمَنْ وَهَبَ بَعْدَ الْعَزْلِ  
فَهُوَ أَحَقُّ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ جَوَائِزِ سُلْطَانِهِ أَوْ مِيرَاثٍ لَمْ يَتَغَبَّ فِيهِ فَهُوَ مُخْدُولٌ ، وَمَنْ وَهَبَ  
مِنْ رَكِيسِهِ وَمَا اسْتِفَادَ بِحِيلَتِهِ فَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِهِ ، الْخَتْمُ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ .  
وَمِنْ إِنْشَادَاتِهِمْ :

لَا تَجِدُ بِالْعَطَاءِ فِي غَيْرِ حَقٍّ      لَيْسَ فِي مَنَعِ غَيْرِ ذِي الْحَقِّ بُخْلٌ  
وقال كثير :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوْجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ      حَقِيقَةُ تَقْوَى أَوْ صَدِيقُ تَرَاْفِهِ  
منعت ، وبعض المنع حَزْمٌ وقوة      ولم يفتلك المال إلا حَقَائِقُهُ <sup>(١)</sup>

(١) لم يفتلك المال : لم يأخذه منك بسرعة ، والحقائق : جمع حقيقة ، والمراد  
بها هنا مصارف المال التي يحق صرفه فيها ، مثل الإعانة على مكرمة ، أو دفع ضائقة ،  
وفي نسخة « ولم يهتملك المال إلا حقائقه » (م)

ابن المعتز :

يأربَّ جُودٍ جَرَّ فَقَرَّ امرئٌ ، فقام للناس مقامَ الدليل  
 فاشدَّدَ عُرَا مَالِكٍ واستَبَقَهُ ، فالبُخْلُ خيرٌ من سؤال البخيل  
 وكتب بعضُ البخلَاءِ يصفُ بُخَيْلًا : حضرت - أعزَّكَ اللهُ - مائدةَ فلانٍ  
 للقدَّرِ المجلوبِ ، والحينِ المتَّاحِ<sup>(١)</sup> ، والشقاءَ الغالبِ ، فرأيت أواني تروق العيونَ  
 نحاسُها ، ويونقُ النفوسَ ظاهرها وباطنها ، وتزهى اللحظات بيدائع غرائبها ،  
 وتستوفي الشهوات بلطائف عجائبها ، مُكَلَّلَةً بأحسن من حلي الحسان ووجوهها  
 وزهر الرياض ونورها ؛ كأنَّ الشمسَ حلت بساحتها ، والبدر يغرف من جوانبها  
 فددت يداً عَنَّتْها الشراة ، وغلبها القدر الغالب ، وجرَّها الطمع الكاذب ، وإذا  
 له مع كَسْرِ كل رغيِّف لحظة نُكُور ، ومع كل لُقْمَةٍ نظرة شرر ، وفيما بين ذلك  
 حُرْقٌ قائمة ، يصلى بها مَنْ حضره من العلمان والحشم ، [ وقام بين يديه من  
 الولدان ] والخدم ، ومع ذلك فترة المغشي عليه من الموت ؛ فلما وضعت الحربُ  
 أوزارها برفع الخِوَان ، وتخلت عنه سماديرُ الفُشيان<sup>(٢)</sup> ، بسط لسان جهله ، ونصر  
 ما كان من بخله ، ونظر إلى مؤاكلة ، نظر المسترقِّ إلى بأكلة ، المالك لخليطِ  
 رقبته ! يظنُّ أنه أولى من والديه بنسبته ، وأحقُّ بماله ، من ولده وعياله ، يرى  
 ذلك [ فضلاً ، وحقاً لازماً ، وأمرأ واجباً ] نزل به الكتابُ والسنة ، واتفقَ عليه  
 قضاةُ الأمة ، فإن دفعه رد حكم القضاة عليه ، وإن سمح به فغير محمود عليه .

فقر لابن المعتز وغيره في الصديق والصدق

إنما سُمِّيَ الصديقُ صديقاً لصدقِهِ فيما يدَّعيه لك ، وسُمِّيَ العدو عدواً لِعَدُوِّهِ

(١) أصل الحين - بالفتح - الهلاك ، والمتاح : المقدَّرُ المهيأ (م)

(٢) السبادير : شيء يترامى للسكران بسبب ضعف بصره الناشئ عن السكر ،

وهو أيضاً ما يتشاك من دوار أو نعاس (م)



عليك إذا ظنرك . علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يتدبى بالكتاب ، لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . إذا كثرت ذنوب الصديق اُتَمَحَق السرورُ به ، وتسلبت التهم عليه . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الأُنس أثمرت مودته ندما . نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب . ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ، ما جش الوَدَّ بمثل العتاب .

ترك العتاب - إذا استحق أخ - منك العتاب - ذريعة المجرر  
وكتب أبو إسحاق الصائبي إلى صديق له من الحبس : نحن في الصحة كالنسرَيْن<sup>(١)</sup> ، لكنني واقع ، وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع . من قل صدقه قل صديقه . من صدقت لهجته ظهرت حُجَّتُه . الصادق بين المهابة والمحبة . من عُرِف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يَحْزُ صدقه ، ومن تمام الصدق الإخبار بما تحتمل العقول .

[ كتاب الحسن بن وهب إلى أبي تمام يصف بلاغته ]

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي : أنت حفظك الله تحقدي من البيان في النظام ، مثل ما قصد نحن في النثر من الإفهام ، والفضل لك - أعزك الله - إذ كنت تأت به في غاية الاقتدار ، على غاية الاختصار ، في منظوم الأشعار ، فتحل متعقده ، وتربط متشرده ، وتضم أقطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله في حدوده ، وتخرجه في قيوده ، ثم لا تأتي به مهملاً فيستبهم ، ولا مشتركا فيلتبس ، ولا متعقدا فيطول ، ولا متكلفا فيحول ؛ فهو منك كالمعجزة تضرب فيه الأمثال ، وتشرح فيه المقال ؛ فلا أعدمنا الله هداياك واردة ، وفوائذك وافدة ، وهي طويلة

(١) النسران : نجران في السماء ، يقال لأحدهما : النسر الواقع ، ويقال للآخر :

النسر الطائر ( م )

وفي هذه الرسالة يقول أبو تمام ، وقد أرى أنه قال ذلك في غيرها :

[لقد جَلَى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ جَوٍّ ، وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرِّمِيِّ  
قَضَضْتُ خَتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَيْرِ الْجَلِيِّ  
وَكُنْ أَغْضَى فِي غَيْبِي وَأَنْدَى عَلَى كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ  
وَأَحْسَنَ مَوْقَعًا مِنِّي وَعَنْسَدِي مِنَ الْبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ النَّعْيِ  
كَتَبْتُ بِهِ بَلَا لَفْظٍ كَرِيهِ عَلَى أُذُنٍ ، وَلَا لَفْظٍ قَبِي  
وَضُمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَضْمَنْ صَدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْحَلِيِّ  
فَإِنْ تَكُ مِنْ هَدَايَاكَ الصَّفَايَا فَرَبَّ هَدِيَةٍ لَكَ كَالْهَدْيِ  
لَنْ غَرَبَتْهَا فِي الْأَرْضِ بَكْرًا لَقَدْ زُقَّتْ إِلَى سَمْعٍ كَفِيِّ]

وقال البختری فی الحسن بن وهب :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ الْمَمْقُولُ خَلَّتْ لِسَانُهُ مِنْ عَضِيهِ (١)  
وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ بَرَقَتْ مَصَائِيحُ الدَّجَا فِي كَتَبِهِ  
بِالْفَرْقِ يَقْرُبُ فُهُمُهُ فِي بَعْدِهِ مَنًى ، وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ  
حُكْمُ فَسَاحَتِهَا خِلَالُ بَنَانِهِ مَتَدَقَّقٌ وَقَلْبُهَا مِنْ قَلْبِهِ  
كَالْبُرُودِ مُؤْتَلَقٌ بِحِمْرَةٍ وَرَدَهُ وَأَنْيَقُ زَهْرَتُهُ وَخَضِرَةٌ عُشْبِهِ  
أَوْ كَالْبُرُودِ تَخَيَّرَتْ لِمَتَوَجِّجٍ مِنْ خَالِهِ أَوْ وَشِيهِ أَوْ عَضْبِهِ (٢)  
كَأَنَّهَا وَالسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِهَا وَجْهٌ الْحُبُّ بَدَأَ لَعِينُ حُبِّهِ

أَنشَدَ بَعْضُ الْكُتَّابِ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَبَا الْعَبَّاسِ ثَعْلَبِيًّا ، فَاسْتَعَادَهَا حَتَّى فَهَمَهَا ،  
ثُمَّ قَالَ : لَوْ سَمِعَ الْأَوَائِلُ هَذَا مَا فَضَّلُوا عَلَيْهِ شِعْرًا .

وقال بعض الكُتَّاب :

(١) خلت : ظننت ، والعضب : السيف المقاطع ، ومن عادتهم تشبيه اللسان  
بالسيف ، وانظر إلى قول حسان \* لسانى وسيفى صارمان كلاهما \* (م)  
(٢) الخال : هنا : ضرب من البرود ، والوشى : أصله نقش الثوب ، وسمى  
به نوع من الثياب ، والعصب - بالفتح - برد يصنع غزله ثم ينسج (م) .

ورسالة ألفاظها في النظم كالذرة النشيز  
 جاءت إليك كأنها المستوفيق في كل الأمور  
 بأرق من شكوى وأج من حياة في سرور  
 لو واجهت أعشى لأصبح وهو ذو طرف بصير  
 فكأنها أمل سري من بعد يأس في السرور  
 أو كالفقيد إذا أتت لقدمه بشرى البشير  
 أو كالنمام لساهر أو كالأمان المستجير  
 كتبت بحبر كالنوى أو كغر نغمي من كفور  
 فكأنما هو باطل ما بين حقٍ مُستبّر

وقال أحمد بن أبي العباس بن ثوابة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة  
 من رأيه وندى كفيه عن مثل  
 عن خط أعلامه يجرى القضاء على  
 كل الخلائق بين البيض والأسل<sup>(١)</sup>  
 كأن أسطره في بطن مهرقه  
 نور يضاحك دمع الوا كيف الخضل<sup>(٢)</sup>  
 لعابه على والصدر ينفضها  
 وربما كان فيه النفع للعلل  
 كالنار تعطيك من نور ومن خرق  
 والذهر يعطيك من غم ومن جدل<sup>(٣)</sup>  
 وقال آخر :

مداد مثل خافية الغراب  
 ورق مثل رقائق السراب  
 وأقلام كأرواح الجوارى  
 وألفاظ كأيام الشباب

[ مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة ]

قال أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون ، وفي يده كتاب ، وهو يعاود  
 قراءته مرة بعد مرة ، ويصعد فيه بصره ويضوئه ، فالتفت إلى وقد لحظني في

(١) البيض : النيوف ، والأسل : الزمباح (م)

(٢) المهرق : الصحيفة يكتب فيها ، والوا : كف : المطر الغزير ، والخضل : بفتح

فكسر - الندى (م) (٣) الجدل : السرور (م)

أنهاء قراءته الكتاب، فقال : أراك مُفَكِّراً فيما تراه مني ! فقلت : نعم ، وفي الله  
 أمير المؤمنين المخاوف ! قال : لا مكروه إن شاء الله ، ولكنني قرأتُ كتاباً  
 وجدته نظيرَ ما سمعت الرشيد يقوله عن البلاغة ، فإني سمعته يقول : البلاغةُ  
 التباعد من الإطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير  
 من المعنى ، وما كنتُ أتوهمُ أن أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأتُ هذا  
 الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا فإذا فيه :

كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد في الطاعة والانقياد  
 على أحسن ما تكون عليه طاعةُ جُنْدٍ تَأَخَّرَتْ أعطياتهم ، واختلت أحوالهم !  
 ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه [ المسألة في الإخبار ] ، وإعفائه سلطانه من الإكثار .  
 ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر .

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي <sup>(١)</sup> :

أَعِنِّي عَلَى بَارِقِ نَاصِبٍ	خَفِيَ كَوْخِيكَ بِالْحَاجِبِ
كَأَنَّ تَأَلَّفَهُ فِي السَّمَاءِ	يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ
فَرَوَى مِنْ أَزَلٍ تَذَكَارُهَا	يَهْتِجُ مِنْ شَوْقِكَ الْغَالِبِ
غَرِيبٌ يَحْسُنُ لِأَوْطَانِهِ	وَيَبْكِي عَلَى عَصْرِهِ الذَّاهِبِ
كَفَاكَ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى	مُطَالَعَةُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ
وَصِدْقُ الرَّجَاءِ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ	لِعَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ
عَرِضُ الْفَنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَا	فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الثَّاقِبِ
بَنَى الْمَلِكُ طُودَ لَهُ بَيْتُهُ	وَأَهْلُ الْخِلَافَةِ مِنْ غَالِبِ
هُوَ الْمَرْتَجَى لَصُرُوفِ الزَّمَانِ	وَمُعْتَصِمُ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ
جَوَادٌ بِمَا مَلَكَتْ كَفُّهُ	عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ

(١) روى أبو طي القالي (الأمل إلى ١٨٠/١ الدار) البيتين الأول والثاني مع بعض  
 تغيير في أولهما ولم ينسبهما ، ونسبهما البكري في اللآلي (٤٤٠) لعبد الله بن العباس  
 ابن الفضل بن الربيع بن يونس .

بأذم الركاب ووثنى الثيا  
نؤمله لجسام الأمور  
خصيب الجناح مطير السحاب  
يروى القنا من نحور العدا  
إليك تبدت بأكوارها  
كانت تماماً تهادى بنا  
يردن ندى كفك المرتجى  
ولله ما أنت من جابر  
يساقى العدا بكثوس الردى  
وكم راغب نلته بالعطا  
وتلك الخلائق أعطيتها  
كسبت الثناء، وكسب الثنا  
يقينك يجلو سطور الدجى  
وهذا الشعر يتدفق طبعاً وسلاسة .

[ الكلام الجيد الطبع ، والكلام المصنوع ]

قلت : والكلام الجيد الطبع مقبول في السمع ، قريب المثال ، بعيد المثال ، أنيق الديباجة ، [ رقيق الزجاجة ] ، يدنو من فهم سامعه ، كدنوّه من وهم صانعه ، والمصنوع مثقف الكعوب ، معتدل الأنبوب ، يطرد ماء البديع على جنباته ، ويجول رونق الحسن في صفحاته ، كما يجول السحر في الطرف السكحيل ،

(١) في نسخة « ويعرق في الجود كاللاعب » وما أثبتناه أوضح (م)

(٢) حراجيج : جمع حرجوج ، وهى السمينه الطويلة من النوق أو الشديدة الضامرة ، واللاعب . الواضع (م)

(٣) في نسخة « ولله ما أنت من جابر » وفى أخرى « ولله ما أنت من جابر » وما أثبتناه

خير منهما جميعاً (م)

والأثرُ في السيف الصقيل ، وحمل الصانع شعره على الإكراه في العمل وتنقيح  
المباني دون إصلاح المعاني يعق آثار صنعته ، ويطنى أنوار صيغته ، ويخرجه إلى  
فساد التعسف ، وقبح التكلف ؛ وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجسه ،  
وتنفثه وساوسه ، من غير إعمال النظر ، وتدقيق الفكر ، يخرجه إلى حدّ المشتهر  
الرث ، وحيز الغث ؛ وأحسن ما أجرى إليه ، وأعوّل عليه ، التوسط بين  
الحالين ، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة .

وقد قال أعرابي للحسن البصري : علمني ديناً وسيطاً ، لا ساقطاً سقوطاً ،  
ولا ذاهباً فروطاً ، قال الحسن : أحسنت ، خير الأمور أوساؤها . والبعثى عن  
هذا القوس يزع ، وإلى هذا النحو يرجع .

قد تم - بعون الله تعالى وتوفيقه - الجزء الثالث من كتاب « زهر الآداب ،  
وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصري ، ويليّه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع  
مفتتحاً بقول المؤلف « ومن الشجر الذي يجرى مع النفس قول ابن المعتز يمدح  
المكتفى » نسأله سبحانه أن يوفق إلى إكماله .

فهرس الجزء الثالث من كتاب

« زهر الآداب ، وثمر الألباب »

لأبى إسحاق الحصرى

فهرس الجزء الثالث من كتاب  
« زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٥٩٩	نبد لأهل العصر تجرى في المدح	٦٤٧	إسحاق يصف المغنى المجيد
	عجربى الأمثال	—	من ترجمة إسحاق الموصلى . وشعره
٦٣٨	نبد من مفردات الأبيات فى فرائد	٦٥٠	استطراد فيما قيل من الشعر فى جمال
	اللدح		الدوائب
٦٣٩	بين إبراهيم الموصلى وموسى الهادى	٦٥١	وحدة القصيدة واتساقها
٦٤٠	بين الإسكندر ودارا بن دارا	٦٥٤	السرى فى الابتداء بالنسيب
—	حكيم يصف أحزم الملوك	٦٥٥	موازنة بين أبى تمام والبحترى عن
—	أنوشروان يصف سياسة الدولة		الحامى
٦٤١	واصل بن عطاء يصف أخلاق السفلة	٦٦٢	أثر الغناء والجمال
	ما يبلغ بالإنسان أقصى درجات الفضل	٦٦٣	عكاشة بن عبد الصمد البصرى
—	أحزم رأى	٦٦٥	بعض ما قيل فى وصف القيان من
—	حكيم يصف خلال الفضل		الشعر
—	بزرجمهر يصف المروءة ونحوها	٦٦٧	من ترجمة على بن عبد الرحمن (أبى
—	وصية معاوية لزياد حين ولاء العراق		الحسن بن يونس)
٦٤٢	من كلام البلغاء فى ذكر السلطان	—	لابن المعتز فى المرأة
—	للصاحب بن عباد	٦٦٨	لكشاجم يصف المرأة
—	لأبى إسحاق الصابى	٦٦٩	الأقلام
—	للخوارزمى	—	كتاب من عبيد الله بن طاهر إلى
—	لأبى الفتح البسقى		إسحاق بن إبراهيم يستهديه أقلاما
—	لأبى الفضل بن العميد	٦٧٠	جواب إسحاق على كتاب عبيد الله
٦٤٤	لأبى الطيب المتنبى	٦٧١	لمنصور بن عمار يصف القلم
—	بين ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان	—	للنجيرمى فى وصف القلم
٦٤٥	لعوف القوافى بمدح طلحة بن عبيد الله	٦٧٣	من أخبار النجيرمى
	لقطامى بمدح عبد الواحد بن سليمان	—	لمحمدان الدمشقى يصف قلمًا
	نسب عبد الواحد بن سليمان	—	وصف القلم الصالح للكتابة للعتابى
٦٤٦	منزلة شعر القطامى	٦٧٤	من ترجمة العتاتى وأخباره وشعره
٦٤٦	نعم الألفاظ ونعم الألحان	٦٨٠	من آداب آل وهب : الحسن بن
—	بين مخارق وأبى العتاهية		وهب ، وسليمان بن وهب
٦٤٧	إسحاق الموصلى يصف جارية للمعتصم	٦٨٣	من كلام أهل العصر فى ذم الكتابة



ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٨٤	وصف الكلام لعقبة بن أبي سفيان	٢٠٦	بين أحمد بن المعدل وأخيه
٢٨٥	الناسي، يصف شعره	٢٠٧	أخذ أحمد بن المعدل للصلة
—	من فصل للناسي، في الشعر	٢٠٨	القطامي يهجو امرأة من محارب
٢٨٦	لمؤلف الكتاب في الشعر	٢٠٩	أم عبد الصمد بن المعدل
٢٨٧	للخليل بن أحمد يصف الشعراء	—	لأبي حكيمة في الرقيق
—	بين أعرابي وشاعر من أبناء الفرس	٢١٠	لأبي شراة يمدح بني رياح
٢٨٨	لعارة بن بختيل، وللجاحظ	٢١١	لابن المعدل في إبراهيم بن رياح
—	لبشار وقد مدح المهدي فلم يحزه	—	صفات عبد الصمد بن المعدل
—	خالد بن صفوان يصف جريرا	٢١٣	من شعر أبي حكيمة راشد بن إسحاق
٢٨٩	بين العجاج وعبد الملك بن مروان	٢١٤	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح
—	المقامة القريضية للبديع	٢١٥	عبد الملك بن صالح
٢٩٢	المقامة الغيلانية للبديع	—	لابن الرومي يمدح الحقد
٢٩٤	فقر في الشعر	٢١٧	بين مسلمة بن عبد الملك والعباس
٢٩٥	من مفردات الأبيات في الشعر	—	ابن الوليد
٢٩٦	الأحنف بن قيس	—	رجع إلى أخبار عبد الملك بن صالح
٢٩٧	نسب الأحنف بن قيس	٢١٩	بين الرشيد والحسن بن عمران
٢٩٨	كلام للأحنف في مجلس معاوية	—	بين الرشيد ويزيد بن يزيد
—	صفة الأحنف	٢٢٠	مختار مما قيل من الشعر في الرثاء
—	ذكر الأحنف للنبي فاستغفر له	٢٢٢	قطر الندى والحليفة المعتضد
٢٩٩	مما وصف به الأحنف	٢٢٣	لابن المعز يرثي ابن ثوبة
—	جارية لآل المهلب والأحنف	٢٢٤	أيام الشباب، وما قيل فيها من الشعر
—	وفود الأحنف على معاوية	٢٢٥	من ترجمة علي بن بسام، وأخباره
٢٠٠	ابن الرومي يذكر حق الشاعر عبيد الكرام	٢٢٦	بين المأمون وأحمد بن خالد
٢٠١	وفاة الأحنف وزناء امرأة إياه	—	بين المأمون ومحمد بن داود في حسن الخط
٢٠٢	المعتصم ومحمد بن وهيب	—	رأفة المأمون بعماله
٢٠٣	منصور النمرى والعتابي	٢٢٨	بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس
٢٠٤	تقديم الرشيد للنمري	—	من أقوال الحكماء عند وفاة الاسكندر
٢٠٥	النمري رافضى		
٢٠٦	أبناء المعدل، أحمد بن المعدل		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٢٩	جملة من كلام ابن المعتز في ذكر السلطان	٢٦٦	ألفاظ لأهل العصر في وصف الاستطالة والكبر
٢٣٠	من كلام أهل العصر في هذا النحو	٢٢٠	من بديع الزمان يشكو القاضي الحيري
٢٣١	وصف جارية كاتبة	٢٢٣	للبديع في ذكر العلم
—	وصف غلام كاتب	٢٢٤	من مفردات الأبيات في المعانيب
—	من بديع الزمان لابن العميد	٢٢٥	قولهم في اللحن وتعلم العربية
٢٣٢	بين البديع وأبي القاسم الهمداني	٢٢٦	لوعة الشوق
٢٣٣	من مقامات بديع الزمان	٢٢٩	بنو عذرة
٢٣٤	نما قيل في وصف فص وخاتم	٢٢٩	وصف الحسان
٢٣٥	مفاضلة بين الكلام والصمت	٢٨٠	وصف الهوى ، وأمره
٢٣٦	الحنين إلى الأوطان وبعض ما قيل فيه	٢٨١	بعض ما جاء في العفاف
٢٤١	ألفاظ لأهل العصر في وصف الأمكنة	٢٨٤	ألفاظ لأهل العصر في وصف النساء
٢٤٢	ولهم في ضد ذلك	٢٨٥	ولهم في وصف العلمان والمعذرين
—	ولهم في وصف الفلاح والحصون	٢٨٧	ولهم في تقيض ذلك في ذم خروج اللحية
٢٤٣	ولهم في صفات الدور والقصور	—	من رسائل بديع الزمان
—	من رسائل الميسكالي وشعره	٢٨٩	القائمة الأسدية ، لبديع الزمان
٢٤٨	لكشاجم يصف شعما	٢٩٣	لأبي فراس الحمداني يغزل
—	لابن الرومي يذكر رجلا مبتلونا	٢٩٤	لابن المعتز في الغزل
٢٤٩	وصف أبي الفضل الميسكالي للمطوعي	—	لأبي نواس في وصف يوم شرب
٢٥٠	ابن أبي دواد بين يدي الواثق	٢٩٥	لأبي العباس الناشيء
٢٥١	من صفة ابن أبي دواد وأخباره	—	لأبي خراش الهذلي
٢٥٢	بن أبي العيلاء وابن أبي دواد	٢٩٦	رثاء أبي خراش لأخيه
٢٥٢	قطعة من شعر الأعراب في الغزل	٢٩٧	لابن الرومي
٢٥٤	زيارة طيف الخيال	—	لأبي نواس
٢٥٩	عقال بن شبة بين يدي المنصور	—	وصف الدمن والأطلال
—	زهير وهرم بن أبي سنان	٢٩٩	لأهل العصر في وصف الديار الحالية
٢٦١	فضل الشعر	٨٠١	بعض ما قيل في طول الليل
٢٦٢	من أخبار أبي تمام	٨٠٤	لأهل العصر في طول الليل
٢٦٣	استنجاز أعرابي موعدة	٨٠٥	ولهم في ضد ذلك
٢٦٤	معاوية بن يسار وبعض أخباره		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٠٥	ولهم في ذكر النوم والنعاس	٨٤٣	أبو الصقر وصاعد بن مخلد
٨٠٧	من بديع الشعر في وصف الليل	٨٤٤	أبو العيناء وابن أبي ثوبة
٨٠٨	أخو الصفاء قريب	—	من مكارم أبي الصقر
٨١٠	بعض ما قيل في وصف النجوم	—	أبو الصقر وأبو العيناء
٨١٣	من وصف الشراب في الليل	٨٤٥	أبو العيناء يذم ابن الحصيب
٨١٦	المختار من شعر تميم بن المعز	٨٤٦	أبو بكر سيديو المصري وأهل مصر
٨١٩	عود إلى وصف النجوم	٨٤٨	رجع إلى أبي العيناء
٨٢١	أجمل ما قال العرب من الشعر	٨٤٩	كلمات لأبي العيناء
٨٢٢	لأهل العصر في طلوع الشمس وغروبها	—	المختار مما قيل في الرثاء
٨٢٣	المقامة الكوفية ، لبديع الزمان	٨٥٥	لأهل العصر في التعازي
٨٢٤	من رسائل بديع الزمان	٨٦٠	المقامة الأهوازية ، لبديع الزمان
٨٢٦	جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار	٨٦٢	من رسائل بديع الزمان
٨٢٧	رثاء المعتضد وتعزيتة	٨٦٤	من رسائل الصابي
٨٢٩	من شعر ابن المعتز	٨٦٥	لابن للرومي
٨٣١	أبو شجاع عضد الدولة	—	بين أبي العتاهية وابنه
—	الموفق العباسي	٨٦٦	قفر من كلام المتصوفة
٨٣٣	صاحب الزنج	٨٧١	الرأى والهوى
٨٣٦	لابن يامين في سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي	—	من البدائث في مجالس الخلفاء
٨٣٧	للبحترى يصف سيفا	٨٧٢	أحوال السفاح
—	لابن هاني يصف سيف المعز	٨٧٤	لمعني بن أوس
٨٣٨	وفد الشام بين يدي المنصور	٨٧٦	من رسائل ابن العميد
—	بعض ما قيل في العفو	٨٨٠	حسن التآقي للأمرور
—	تميم بن جميل السدوسي والمعتصم	٨٨٠	قفر في ذكر المشورة
٨٤٠	من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	٨٨١	تأريخ الكتب والرسائل
٨٤١	الحليفة المعتصم	٨٨٢	قفر وأمثال يتداولها العمال
٨٤٢	كعب بن معدان يصف للحجاج بن المهلب	٨٨٣	من ترجمة منصور الفقيه
٨٤٣	بشر بن مالك يصف للحجاج بن المهلب أيضا	٨٨٥	من بديع الزمان لابن المرزيان
		٨٨٧	من البديع لبعض إخوانه
		٨٨٨	بين سهل بن هارون والحسن بن سهل

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٨٩	من أمثال البخلاء واحتجاجهم	٨٩٣	مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة
٨٩٠	فقر لابن المعز في الصداقة	٨٩٤	للتيمى في عمرو بن مسعدة
٨٩١	كتاب الحسن بن وهب إلى أبي	٨٩٥	الكلام الجيد الطبع ، والكلام
	تمام يصف بلاغته		المصنوع
٨٩٢	للبحترى في الحسن بن وهب		

والحمد لله واسع الفضل ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد  
نبيه المصطفى ، وعلى آله وصحبه وعترته .





# زَهْرُ الْأَلْبَابِ

ونمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني  
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم  
الدكتور زكي مبارك

الجزء الرابع

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد يحيى الدين عبد الحميد

دار الجيل

بيروت - لبنان

طبعة - ١٩٧٧  
ص. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة



الحمد لله كِفَاءَ نِعَمَائِهِ ، والشكر لله على آلائِهِ ، وصلاته وسلامه  
على الصَّفْوَةِ من أنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه

## [ نماذج من الشعر الجيد ]

لابن المعتز

ومن الشعر الذى يجرى مع النفس قول ابن المعتز يمدح المكتفى ؛ إذ قدم  
من الرقة بعد القبض على القرمطى فقال :

لا ورمّان النهود فوق أغصانِ القدود<sup>(١)</sup>  
وعناقيد من أصدا غ وورد من خُدود  
وبدور من وجوه طالعات بالسعود  
ورسول جاء باليه ماد من بعد الوعيد  
ونعيم من وصال فى قفا طول الصدود<sup>(٢)</sup>  
ما رأت عيني كظبي زارني فى يوم عيد  
فى قبّاء فاختيّ السلون من لبس الجديد<sup>(٣)</sup>  
كلما قاتل جندى بسيف وعمود  
قاتل الناس بعينين وخذّين وجيد<sup>(٤)</sup>  
قد سقانى الخمر من فيه على رغم الحسود

(١) « زمان النهود » و « أغصان القدود » كلاهما من إضافة المشبه به إلى  
المشبه : أى النهود التى كالرمان ، والقدود التى كالأغصان ، مثل « ذهب الأصيل »  
و « لجين الماء » (م)

(٢) « فى قفا طول الصدود » أى بعده (م)

(٣) القبّاء - بفتح القاف ، بزة السحاب - ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل :  
ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه ، ويجمع على أقبية ، وفاختى : منسوب إلى  
الفاختة واحدة الفواخت ، وهى من ذوات الأطواق من الحمام ، قيل لها ذلك لونها ،  
فإن لونها يشبه الفخت ، الذى هو ضوء القمر (م)

(٤) الجيد - بكسر الجيم - العنق (م)

وتعاقنا كأننا وهو في عقدٍ شديد  
 نقرع النغر بشعر طيب عند الورود  
 [مثل ما عاجل بردٍ قطر مُزن يجمود  
 سحرا من قبل أن ترجع أرواح الوفود  
 ومضى يخطر في المشى كجبار عنيد]  
 مرحباً بالملك القا دم بالجد السعيد  
 يا مذل البغي يا قا تل حيات الحفود  
 عش ودُم في ظلّ عيش خالد باق جديد  
 فلقد أصبح أعدا وك كالزراع الحصيد  
 ثم قد صاروا حديثاً مثل عادٍ وثمود  
 جاءهم بحرٌ حديد تحت أجبال بنود  
 فيه عقبانُ خيول فوقها أسدُ جنود  
 وردوا الحرب فدوا كل خطيٍّ مديد<sup>(١)</sup>  
 وحسام شره الحدّ إلى قطع الوريد<sup>(٢)</sup>  
 ما لهذا الفتح يا خيـر إمام من نديد<sup>(٣)</sup>  
 فاحمد الله فإن الحمد مفتاح المزيد

وقول علي بن الخليل مولى يزيد بن يزيد الشيباني وكان يُرمى بالزندقة ، قال لعلّ بن الخليل  
 الفضل بن الربيع : جلس الرشيد يوماً للمظالم ، فجعلت أتصفحُ الناس ، وأسمعُ  
 كلامهم ، فرميت بطرفي ، فرأيتُ في آخرهم شيخاً حسن الهيئة والوجه ما رأيتُ  
 أحسن منه ؛ فوقف حتى تقوّض المجلس<sup>(٤)</sup> ثم قال : يا أمير المؤمنين ، رقتي ؛ فأمر  
 (١) الخطي : الرمح ، نسبة إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن تجلب إليه الرماح ،  
 ومديد : طويل (م)

(٢) الوريد : عرق في العنق (م) (٣) نديد : مثيل وشبيهه (م)  
 (٤) تقوض المجلس : انقض أهله ، وأصله « تقوض البناء » بمعنى تهدم (م)

بأخذها ، فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى بقراءتها ؛ فأنأ أحسنُ تعبيراً  
 خلطى من غيرى - فقال له : اقرأ ، فقال : شيخ ضعيف ، ومقامٌ صعب ، ولا آمنُ  
 الاضطراب ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلَ عنايته بأمرى فى الإذن بالجلوس  
 فل ، فقال : اجلس ، فجلس وأنشأ يقول :

(١)	يا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْحُلِهِ	نُجِبُ الرِّكَّابِ بِمَهْمَةٍ جَلَسِ
(٢)	تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمَتِهَا	طَى التَّجَارِ عَمَامَ الْبَرَسِ
	لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالَعَةً	سَجَدَتْ لَوَجْهِكَ طَلَعَةُ الشَّمْسِ
	خَيْرُ الْبَرِيَةِ أَنْتَ كُلُّهُمْ	فِي يَوْمِكَ الْغَادِي وَفِي الْأَمْسِ
	وَكَذَلِكَ لَنْ تَنْفَكَّ خَيْرُهُمْ	تَمْسِي وَتَصْبِحُ فَوْقَ مَا تُمَسِّي
	لِلَّهِ مَا هَرُونَ مِنْ مَلِكٍ	عَفَّ السَّرِيرَةَ طَاهِرِ النَّفْسِ
	تَمَّتْ عَلَيْهِ لَرَبِّهِ نَعَمٌ	تَزْدَادُ جَدَّتْهَا مَعَ اللَّبْسِ
	مِنْ عَتَرَةٍ طَابَتْ أَرْوَمَتُهَا	أَهْلُ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
(٣)	مَتَلَلِينَ عَلَى أَسْرَتِهِمْ	وَلَدَى الْهِيَاجِ مَصَاعِبُ شَمْسِ
	إِنِّي لَجَأْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَزَعٍ	قَدْ كَانَ شَرَّدَنِي وَمَنْ لَبَسِ
(٤)	لَمَّا اسْتَخَرْتُ اللَّهَ مَجْتَهِدًا	يَمَّتْ نَحْوُكَ رِخْلَةَ الْعَنْسِ
	وَاخْتَرْتُ حِلْمَكَ لَا أَجَاوِزُهُ	حَتَّى أَغْيِبَ فِي ثَرَى رَمْسِي
(٥)	كَمْ قَدْ سَرَيْتُ إِلَيْكَ مُدَّرَعًا	لَيْسَ لِي مَوْجُ كَحَالِكِ النَّفْسِ
	إِنْ رَاعَنِي مِنْ هَاجِسٍ فَزَعٌ	كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ ثَرَسِي
	مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْتَى رَجُلٌ	أَصْبُو إِلَى بَفْرِ مَنْ الْإِنْسِ

- (١) وخذت : من الوخذ ، وهو ضرب من السير السريع ، والنجب : جمع نجيب ، والمهمه : الصحراء ، وجلس : غليظ ، يريد أن السير فيه يشق على سالكيه (م)  
 (٢) تطوى : تقطع ، والسباسب : جمع سبب ، وهى الأرض المستوية البعيدة ، والبرس - بالكسر - القطن (م) (٣) مصاعب : جمع مصعب ، وهو من الإبل الذى تصعب مقادته ، وشمس : جمع شمس ، وهو الآبى النافر الممتنع (م)  
 (٤) العنس : الثاقفة الصلبة (م) (٥) النفس - بالكسر - الحبر (م)

بيض أوانس لا قرون لها      يقتلن بالتطويل والخبس  
وأجاذب الفتيان يبيهم      صفراء مثل مجاجة الورس  
للماء في حافات حَبَبُ      نظم كرقم صحائف الفرس  
والله يعلم في بنيته      ما إن أضعت إقامة الخمس<sup>(١)</sup>

قال : ومن تكون ؟ قال : على بن الخليل ، الذي يقال إنه زنديق ، فقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وأنشد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعا بها الله عز وجل ، وقد رأيتها وصف دعوة  
في شعر محمد بن حازم الباهلي :

وسارية لم تسر في الأرض تبغى      محلاً ، ولم يقطع بها اليد قاطع  
سرت حيث لم تُحَدِّ الرقاب ولم تُنخ      لورد ، ولم يقصر لها القيد مانع  
تمر وراء الليل والليل ضارب      بجثمانه فيه سمير وهاجع  
إذا وردت لم يزدد الله وفدها      على أهلها ، والله راء وسماع  
تفتح أبواب السموات دونها      إذا قرع الأبواب منهن قارع  
وإني لأرجو الله حتى كأنني      أرى بجميل الظن ما الله صانع

[ من مستحسن الأجوبة ]

ودخل رجل [ من شييان ] على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ بين معن بن زائدة ورجل من شييان  
فقال : أيها الأمير ، ما غاب عن العين من يذكره القلب ، وما زال شوق إلى الأمير شديداً ، وهو دون ما يجب له ، وذكري له كثيرا ، وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر الغلمان ، منعاني من الإتيان ! فأمر بتسهيل إذنه ، وأجرل صلته .

وقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كبرت يا معن ! قال : في طاعتك بين المنصور ومعن بن زائدة  
يا أمير المؤمنين ، قال : إنك جلد<sup>(٢)</sup> ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال :

(١) الخمس : أراد الصلوات الخمس المفروضة (م)

(٢) جلد : قوى شديد الاحتمال (م)

هى لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحب إليك ؛ هذه أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برؤك على برهم كانت دولتك أحب إلى .  
[ من ترجمة معن بن زائدة ، وأخباره ]

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبد الله [ بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخى الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس ] بن شرحبيل بن منبه بن مرة ابن ذهل بن شيبان ، وبنو مطر بيت شيبان ، وشيبان بيت ربيعة .

وكان معن أجود الناس ، وفيه يقول مروان بن أبى حفصة ويعم بنى مطر :  
بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل<sup>(١)</sup>  
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السما كين منزل  
ولا يستطيع الفاعلون فعالمهم وإن أحسنوا فى الثابتات وأجلوا  
بهاليل فى الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم فى الجاهلية أول  
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا جابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزوا  
أخذ البيت الأول ابن الرومى ، وزاد فيه ، فقال :

تلقاهم ورمح الخط بينهم كالأسد ألبسها الآجام خفان

[ الرأى والشجاعة ]

أتى قوم من العرب شيخا لهم قد أربى على الثمانين ، وأهدف على التسعين<sup>(٢)</sup> ، فقالوا : إن عدونا استاق مراحنا ، فأشتر علينا بما ندر لك به الثأر ، وننفي به العاد ، فقال : الضعف فسح همتى ، ونكت إبرام عزي متى ، ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم ، والجبناء من ذوى الحزم ؛ فإن الجبان لا يألو برأيه ما يقي مهجكم ، والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الرأى بفتيجة تبعد عنكم معرة نقص الجبان ، وتهور الشجعان ، فإذا نجم الرأى على هذا كان أنفذ على عدوكم من سهم الصائب ، والحسام القاضب .

(١) الغيل - بكسر الغين - موضع الأسد ، وخفان : مكان مشهور بالأسود ، والأشبل : جمع شبل - بالكسر - وهو ولد السبع (م)  
(٢) أهدف على التسعين : قاربها وأشرف عليها (م)

لابن أبى حفصة  
فى بنى مطر  
قوم معن

[ قضاء الله وعدله ]

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخصمهُ : والله لو صوّر الجهل لأظلم معه النهار ، ولو صوّر العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما لمعدم ؛ فخفف الله ، واعلم أن من ورائك حكما لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار البينة .

[ بنو كليب ]

قال الفرزدق يهجو كليباً :

ولو يُرْمَى بلوؤم بني كليب      نجوم الليل ما وضحت لِسارى  
ولو لبس النهار بنو كليب      لدنس لؤمهم وضح النهار

[ من جيد كلام الأعراب ]

دعاء أعرابي  
بعرفة

وقال سفيان بن عيينة : سمعت أعرابياً يقول عشية عرفة : اللهم لا تحرمني خيراً ما عندك لشرٍّ ما عندي ، وإن لم تتقبل تعبي ونصه ، فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته .

عتاب بين  
صديقين

وقال آخر منهم لصديق استبطأه فلامه : كانت لي إليك زلةٌ يمنعني من ذكرها ما أمّلتُ من تجاوزك عنها ، ولستُ أعتذرُ إليك منها إلا بالإقلاع عنها .  
وقال آخر لابن عم له : والله ما أعرف تقصيراً فأقلع ، ولا ذنباً فأعتب ، ولست أقول : إنك كذبت ، ولا إنني أذنبت .  
وقال آخر لابن عم له : سأخطي ذنبك إلى عذرك ، وإن كنت من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شك ، لتتمّ النعمة مني إليك ، وتقوم الحجة لي عليك .  
وأصيب أعرابيُّ بابن له فقال - وقد قيل له : اصبر - أعلى الله أثملاً ، أم في مصيبتى أثملاً ؟ والله للجزع من أمره أحبُّ إلى الآن من الصبر ! لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

ودعا أعرابي فقال : اللهم إني أعوذُ بك أن افتقرَ في غناكَ ، أو أضلَّ في هدَاكَ ، أو أذلَّ في عزِّكَ ، أو أضام في سلطانِكَ ، أو أضطهد والأمر إليك .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يَعِظُ رجلاً وهو يقول : وَيَحْك ! إِنْ فلانا وإن ضحكك إليك ، فإنه يضحكُ منك ، ولئن أظهرَ الشفقةَ عليك ، إن عقارَ به لتسرى إليك ؛ فإن لم تتخذْه عدواً في علانيتك ، فلا تجعله صديقاً في سريرتك .  
سمع أعرابي رجلاً يَقَعُ في السلطان ، فقال : إنك عُقْل لم تَسْمِك التجارب ، وفي النصيح لَسَمُ العقارب ، كأني بالضاحك إليك ، وهو بالكِ عليك .

وحذر بعضُ الحكماء صديقاً له صحبه رجل ، فقال : احذرْ فلانا فإنه كثيرُ المسألة ، حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظُ أول كلامك على آخره ، ويعتبرُ ما أخرت بما قدّمت ، فلا تظهرن له الخفاة فيرى أن قد تحرّزت ؛ واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر ، فبائثه مباءة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ؛ فإن البحث يظهر الخفي الباطن ، ويُبدي المستكن السكّام .

أتى أعرابي رجلاً لم يكن بينه وبينه حرمة في حاجة له ، فقال : إني امتطيتُ إليك الرجاء ، وسرّيتُ على الأمل ، ورافقت الشكر ، وتوسّلت بحسن الظن ، لحقق الأمل ، وأحسن الثوبة ، وأكرم الصّد<sup>(١)</sup> ، وأقم الأود<sup>(٢)</sup> ، وعجّل السراح<sup>(٣)</sup> .  
قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نطقت الألسنة ، لفروع ! والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، ومحال أن يظهرَ الودّ المستقيم ، من القواد السقيم .

ومدح أعرابي رجلاً ، فقال : إنه ليغسل من العار وجوها مسودّة ، ويفتح من الرأي أبواباً منسدّة .

وقال أعرابي :

كم قد ولدتم من رئيس قسور دامي الأظافر في الخميس الممطر  
سدّكت أنامله بقاءم مرهف [ وبنشر فائدة وجذوة منبر

(١) الصّد : العطاء ، وهو بفتح الصاد والفاء جميعاً (م)

(٢) الأود - بالتحريك - الاعوجاج (م) (٣) السراح : الفكّ (م)



ما إن يريد إذا الرماحُ تشاجرتُ  
يلقى السيوفَ بوجهه وبنحره [   
ويقول للطَّرفِ اصطبرِ لشباً القنأ   
وإذا تأمل شخصَ ضيفٍ مقبلٍ   
أومئ إلى الكوماء هذا طارق   
وقال :

قامت تصدَّى له عمداً لغفلته   
جيداء ربداء لم تعقد قلائدَها   
فراح كالحائم الصديان ليس له   
وقال آخر :

ومكتباتٍ بعد وهن طرقتني   
دسسن رسولاً ناصحاً وتلوته   
فبت أعاطين صرف صباية   
فيا وجد قلبي يوم أتبعْتُ ناظري   
بأردية الظماء ملتحفاتٍ   
على رقيةٍ منهنَّ مستتراتٍ   
وبئن على اللذات معتكفاتٍ   
سليمى وجادت بعدها عبراتي

\* \* \*

وقال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذلِّ المسألة لم يأنف من الرد .   
وقال سفيان الثوري لأخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عن لا تعرف   
قال : لا ، قال : فأقلل ممن تعرف .   
أخذه ابن الرومي ، فقال :

عدوك من صديقك مُستفاد   
فإنَّ الداء أكثر ما تراه   
فدع عنك الكثير فكم كثير   
فأقلل ما استطعت من الصحاب   
يكون من الطعام أو الشراب   
يعاف ، وكم قليل مستطاب ؟

(١) في نسخة « سربال ليل أغبر » وهو الذي أحفظه (م)

(٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (م)

وما اللّججُ الملاحُ مرويّاتٍ ويُلقي الرّئي في الثّغفِ المذابِ

[جُحَل من ألوان اللدّيح]

وقال رجل لخالد القسري: والله إنك لتبذل ماجل<sup>١</sup>، وتجبر ماانفل<sup>٢</sup>، وتكدر ماقل<sup>٣</sup>؛ ففضلك بديع، ورأيتك جميع، تحفظ ماشد<sup>٤</sup>، وتؤلف ما ند<sup>٥</sup>.  
وسئل أعرابي عن قومه، فقال: يقتلون الفقّر، عند شدة القرّ، وأرواح الشتاء، وهبوب الجريياء<sup>(١)</sup>، بأسنة الجزور، ومترعات القدور، تهش وجوههم عند طلب المعروف، وتعبس عند لمعان السيوف.  
ووصف أعرابي قوما فقال: لهم جود كرام اتسعت أحوالها، وبأس ليوث تبهمها أشبالها، وهم ملوك انفسحت آمالها، وفجّر أباء شرفت أخوالها  
وقال خالد بن صفوان، وقد دخل على بعض الولاة: قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك [ومجلسك]، وصوتك، وعدلك، حتى كأنك من كل أحد، وحتى كأنك لست من أحد.

وذكر خالد رجلاً فقال: كان والله بديع المنطق، ذلق البراة، جزل الألفاظ، عربيّ اللسان، ثابت العقدة، رقيق الحواشي، خفيف الشفتين، بليل الريق، رحب الشرف، قليل الحركات، خفي الإشارات، حلو الشائل، حسن الطلاوة، حيياً جرياً، قوولا صموتا، يفل الحز، ويصيب المفاصل، لم يكن بالهذر في منطقه، ولا بالزمر في مروءته، ولا بالخرق في خليقته، متبوعاً غير تابع، كأنه علم في رأسه نار.

وقال بعض البلغاء لرئيسه: إن من النعمة على المُنْتَنِي عليك أنه لا يَأْمَنُ التقصير، ولا يخاف الإفراط، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها. ومن سعادة جدك أن الداعي لا يعدم كثرة المشايخين، ومساعدة النية على ظاهر القول.

(١) الجريياء: ريح الشمال، أو بردها، أو هي ريح بين الشمال والجنوب (م)

## ألفاظ لأهل العصر ، في ضروب المآدح

قد وضعت كثرة التجارب ، في يدهِ مرآة العواقب . قد تجددتْ صروفُ الدهور ،  
 وحنَّكَته مصائرُ الأمور . قد أرضعته الحنكة بلبانها ، وأدبته الذرَّبة في إبانها .  
 فلان نوازلُ التجارب حنَّكَته ، وفوداحُ الأيام عرَّكَته . هو عارف بتصاريف  
 [ الأيام ، آخذٌ برهان التجارب ، نافذ في مجال التحصيل والتمييز . قد صعب الأيام ،  
 وتولَّى [ النقض والإبرام . هو ابنُ الدهر حنَّكَةً وتجرباً ، وعُوداً على الدهر صليبا .  
 قد أدبه الليلُ والنهار ، ودَّارت على رأسه الأدوار ، واختلفت به الأطوار . له همة  
 علا جناحها إلى عنان النجم . وامتدَّ صباحها من شرق إلى غرب ، لا يتعاطمها إشراف  
 الأمر إذا أخطره بفكره ، وانتساف الصَّخر إذا ألقاه في وَهْمه ، هَمَّتْهُ أبعادُ منابرِ  
 الفرقد ، وأعلى من منكب الجوزاء . أوسعُ من الأرض ذات العرض . هو حي القلب ،  
 منشرجُ الصَّدْر ، ذكيُّ الذهن ، شجاعُ الطبع ، ليس بالنووم ولا السووم ، فذَّ فَرْد ،  
 وأسدَّ وَرْد ، وكأنَّ له في كل جارحة قلبا . كأنَّ قلبه عين ، وكأنَّ جسْمه سمع .  
 شهابٌ مقدَّم ، وقِدْحٌ مقوَّم . [ وهو شهيمٌ ] مشدود النطاق ، قائم على ساق ، قد  
 جدَّ واجتهد ، وحشر وحشَّد ، شمرَّ عن ساق الجدما أطاق ، قد ركب الصعب والذَّلُول ،  
 وتَجَشَّم الحزنَ والسَّهولَ ، وقطع البر والبحر ، وأعمل السيفَ والرمحَ ، وأسرجَ  
 الدُّهْم والشَّهْب<sup>(١)</sup> . هو مولود في طالع الكمال ، وهو جملة الجلال . قد أصبح عينَ  
 المكارم ، وزَيْنُ الحافل . هو فَرْدُ دهره ، وشمسُ عُصره ، وزَيْنُ مِصره ، وهو عَلمُ  
 الفضل ، وواسطة عِقدِ الدهر ، ونادِرةِ الفلك ، ونُكْتة الدنيا ، وغُرَّة العصر . قد  
 بايعته يدُ المَجْد ، ومالت به الشورى إلى النصر . فلان يزيدُ عليهم زيادة الشمسِ  
 على البدر ، والبحر على القطرِ . هورائشُ نَبْلهم ، ونَبْعَة فضلهم ، وَجَّة وِرْدِهم ،

(١) أسرج : وضع السرج ، والدهم : جمع أدهم ، والشهب : جمع أشهب ،  
 والدهمة والشبهة من ألوان الخيل (م)

وواسطة عقدهم . هو صدّرهم ويدرهم ، ومن عليه يدور أمرهم ، يُنيف عليهم  
 إنافة صفحة الشمس على كُرّة الأرض ، كأنهم فلك هو قطبهُ ، وجسده هو قلبهُ ،  
 ومملوك هو ربُّه . هو مشهور بسيادتهم ، وواسطة قِلادتهم . موضعه من أهل الفضل  
 موضع الواسطة من العقد ، وليلة التّمّ من الشهر ، بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر .  
 أفضل وأنعم ، وأسدى في الإحسان وألحم ، وأسرج في الإكرام وألجم ، قسم من  
 إنعامه ما يسعُ أمما ، وتلقى السعادة أمما <sup>(١)</sup> ، أعطاه عنان الأهتمام ، حتى استولى على قصبِ  
 المرام . ردّ عنه الدهرُ أحصّ الجناح <sup>(٢)</sup> ، وملّكه مقادة النجاح . أولاه من معهود  
 البرِّ وألوفه ، وقصّرت الأعداء عن ميثاته وألوفه . أولاه إسعافا سمحا ، وعطاء سحا ،  
 ومننا صفواً وعفواً . أفاض عليه شعاب البرِّ ومسايله ، وجمع له شعوبَ الجميل وقبائله ،  
 وهطلت عليه سحائبُ عنايته ، ورفرفت حوله أجنحةُ رعايته . قد فكّه بكرمه من  
 قيد السؤال ، ومعرّة الاختلال . رآشه بعد ما حصّه الفقر ، وأرضاه وقد أسخطه  
 الدهر . ملأ العيون ، وسهر دوننا لتحقيق الظنون . قد شمتُ من كرمه أكرم  
 سحاب ، وحصلت من إنعامه في أخصبِ جناب . قد سدّ ثلثة حالي ، وأدرّ حلوبة  
 آمالي . ما أخلو من طلّ إحسانه ووابله ، وغابر إنعامه وقابله . قد استمطرتُ منه  
 بنوؤُ خزير . وسريتُ في ضوء قمر منير . قد كركتُ من برّه في مَسارِعَ تغزّر ولا  
 تنزّر ، ورفلتُ من طوله في ملابس تطول ولا تقصّر . إقامته في ظلّ ظليل ، وفضل  
 جزيل ، وريحٍ بليل ، ونسيمٍ عليل ، وماء رويّ ، ومهاد وطيّ ، وكنّ كنين ،  
 ومكّن مكين . أنا آوى إلى ظلّه كما يأوى الطير للذعور إلى الحرم ، وأواجه منه وجه  
 الحجاب صورة الكرم . أنا من إنعامه بين خير مستفيض ، وجاهٍ عريض ، ونعم بيض .  
 قد استظهرت على جورِ الأيام بعدله ، واستترتُ من دهرى بظله . ما أردد فيه طرّ في

(١) أمّا - بفتح الهمزة والميم - قريياً (م)

(٢) « أحصّ الجناح » كناية عن الضعف (م)

وأعدّ من خالص ملكي منتسب<sup>١</sup> إلى عطائه، أو مكتسب<sup>٢</sup> بحملي آرائه . مسافة بصرى  
تبعدين سافرت في مواهبه، وركائب فكرى تطلّح<sup>(١)</sup> إن أنصيتها في استقراء صنائعه .  
نعمته نعمة عمّت الأمم، وسبقت النعم ، وكشفت الهموم ورفعت الهمم ، نعمه قد سطع  
صباحها مستنيراً، وطنب شعاعها مستطيراً، قد عرفتني نعمه حتى استنفدت شكر  
لساني ويدي وأتعبت ظهري، وملأت صدري . نعمه عندى مشرقة الجو، مغرقة  
النوء، موقنة الضوء . تتابعت نعمه تتابع القطر على القفر، وترادفت مننه ترادف  
الغنى إلى ذوى الفقر . نعمه أشرفت بها أرضي، ومطر بهار وضي، وورى لها زندي،  
وعلا معها جدى ، وأتاني الزمان يعتذر من إساءته ، وجاءني الدهر ينتظر أمري .  
نعمه أنعمت البال ، ومررت النفس والحال . نعم نعم عموم المطر ، وتزيد عليه  
بإفراذ النفع عن الضرر . نعم تضعف الخواطر عن التماسها ، وتضعف القرائع عن  
اقتراحها . له أياد قد عمّت الآفاق، ووسمت الأعناق ، وأياد قد حبست عليك الشكر،  
واستعبدت لك الحر . من توالّت توّالى القطر ، واتسعت سعة البرّ والبحر، وأنقلت  
كاهل الحرّ . عندى قلادة ممّتظة من مننه قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام، وجلوتها  
على أبصار الأنام . أياد يقصر عن حتموقها جهل القول ، وتزهو فيها سواطع الإنعام  
والطول . أياديه أطواق في أحياد الأحرار ، وأفلاك تدور على ذوى الأخطار . له من  
تضعف عن تحملها عواتق الأطواد ، ويتضاعف حملها على السمع الشداد، وتحمل  
الثقلان ثقل هذا الامتنان لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم . أياد يفرض لها الشكر  
ويحتّم ، ومن يبتدأ بها الذكر ويختّم . أياد تنقل الكاهل ، ومن تتعب الأنامل .  
من تضعف من الشكر<sup>(٢)</sup> ، وينشر معها قوى النشر، من هي أحسن أثر آمن الغيث  
في أزاهير الربيع ، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع . إن أتعبت نفسي في

(١) تطلّح : تعي وتضعف وتسل (م)

(٢) من الأولى جمع منة بمعنى العطية وهى بكسر الميم ، ومن الثانية جمع منة

بمعنى القوة وهى بضم الميم (م)

تعداد منته وحصرها فسأطعم في إحصاء السحاب وقطرها . أياد لا تحصى أو تحصى  
محاسن النجوم ، ومنن لا تحصر أو تحصر أقطار الغيوم . أياد كعدد الرمل والنمل ،  
أعيت على العدة ، ولم تقف عند حد . زادت أياديه حتى كادت تجهد الأعداد ،  
وتسبق الإعداد . أياديه عندي أغزر من قطر المطر ، وعوارفه لدى أسرع من رجح  
البصر . رفعتني من قعر التراب ، إلى سماء السحاب . استنبطه من الحضيض الأوهد ،  
إلى السناء الأجد ، وقد نبهته عن خمول ، وأجرى الماء في عوده بعد ذبول ، ورقاه  
إلى ذروة من المجد بعد نزول . فضائل تزل أقدام النجوم لو وطئتها ، وتقصر همم  
الأفلاك لو طلبتها ، ثبت قدمه في المحل المنيف ، ومكنه من جوامع التشريف .  
جذب بضبعه من المسقط المنحط ، إلى المرفع المشتط .

### ولهم في أدعية من صدور الكتب تليق بهذه الأثنية والمادح

أطال الله له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ومد له في العمر ، كامتداد ظله على الحر ،  
وأدام له المواهب ، كما أفاض به الرغائب ، وحرس لديه الفضائل ، كما عوذ به الشوائب <sup>(١)</sup> .  
تولى الله عنى مكافأته ، وأعان على الخير نيته وفعله ، وأصحب بقاءه عزاً يبسط يديه  
لأوليائه على أعدائه ، وكلاءة تذب عن ودائع منته عنده <sup>(٢)</sup> ، وزاد في نعمه وإن عظمت ،  
وبلغه آماله وإن انفسحت ، ولا زال الفضل يأوى منه إلى ركن منيع ، وجناب  
مريع . لازالت الألسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على مودته متطابقة ، والشهادات  
له بالفضل متناسقة . لا زال يعطف على الصادر والوارد ، عطف الأم والوالد . أبقاه  
الله للجميل يعلى معاملته ، ويحمي مكارمه ، ويعمر مدارجه ، ويشمر نتائجه . أدام  
الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها ، وأزمان المآثر وتوارينها . أدامه الله

(١) الشوائب : جمع شمل ، وهي هنا الخصلة والجللة والطبيعة ، وقال الشاعر

\* وما لومي أخى من شاميا \* (م)

(٢) الكلاءة : الرعاية والحفظ ، وتذب : تدفع (م)

للمواهب ، سامية الذوائب ، موفية على منية الراجي و بغية الطالب . أبقاه الله  
للعطاء يفضّه بين خدمه ، والجمال يُفيضه على إنشاء نعمه ، والله يتابع له أيام العلاء  
والغبطة ، والنماء والبسطة ، ليرتّع أنواع الخدم في رياض فواضله ، ويكرّع  
أصناف الحشم في حياض مواهبه ، والله يبقيه طويل الذراع ، مديد الباع ،  
ملياً بالاتصال<sup>(١)</sup> والاصطناع . جزاه الله عن نعمة هيأها بعد أن أسبغها ،  
وعارفة مآلاها<sup>(٢)</sup> بعد أن سوّغها . أفضل ما جازى به مبتدىء إحسان ، ومجبر  
إنسان ، لا زال مكانه مضافاً<sup>(٣)</sup> للكرم ، معاناً للنعم ، لا تريمه المواهب ،  
ولا ترومه النوائب ، بسطت بالعلل يده ، وقرن بالسعادة جدّه ، وجعل خير يوميه  
غده ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياها ، في أمانيه وآماله [ وأيامه ] ، وصرف  
صروف الغير عن إصابة إقباله وكماله .

وقال ابن المعتز في القاسم بن عبيد الله :

أي حاسداً يكوى التلهف قلبه إذا ما رآه غازياً وضطّ عسكر  
تصفّح بني الدنيا فهل فيهم له نظير ترى ثم اجتهد ونفكر  
فإن حدثتكَ النفس أنك مثله بنجوى ضلال بين جنبيك مضمر  
فجذّ ، وأجدرأياً ، وأقدم على العدا وشدّ عن الإثم المآزر وأضبر  
وعاص شياطين الشباب وقارع النوائب وازفع صرعة الضر واجبر  
فإن لم تطق ذافا عذر الدهر واعترف لأحكامه واستغفر الله يغفر

[ منزلة صناعة الكلام ]

قال الجاحظ : صناعة الكلام علق نفيس ، وجوهر ثمين ، هو الكنز  
الذي لا ينفى ولا يئبل ، والصاحب الذي لا يئمل ولا يُقلى ، وهو العيار على كل

(١) في نسخة « ملياً بالإفضال » .

(٢) في نسخة « وعارفة حلالها » .

(٣) مصانا : موضعاً للصون ، ومعاناً : موضعاً للعون ، ولا تريمه : لا تبرحه .

صناعة ، والزمام لسكل عبارة ، والقسطاس الذى به يستبين نقص كل شئ ،  
ورُجحانه ، والراووق الذى يُعرفُ به صفاه كل شئ وكدره ، والذى كل علم  
عليه عيال ، وهو لكل تحصيل آلة ومثال .

وقال ابن الرومى :

ما عُدُّرُ معتزلى مُوسى منعتُ      كَفَاهُ مُعْتَزَلِيَا مُشَلَّهَ صَفَدَا<sup>(١)</sup>  
أَزْعُمُ الْقَدَرَ الْحَتْمُومَ ثَبَّطَهُ      إِنْ قَالَ ذَاكَ فَقَدْ حَلَّ الَّذِي عَقَدَا

وقال [ ابن الرومى ] :

لذوى الجدال إذا غَدُوا لجدالهم      حُجِّجْتُ تَضَلُّ عَنْ الْهَدَى وَتَجَوُّرُ  
وَهُنُّ كَأَنِّيَةِ الرُّجَاجِ تَصَادَمَتْ      فَهَوَتْ ، وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ  
فَالْقَاتِلُ الْمَقْتُولُ ثُمَّ لِيُضَعِّفَهُ      وَلَوْ هِيَ ، وَالْأَسْرُ الْمَأْسُورُ

وقال أبو العباس الناشئ يفتخرُ بالكلام :

ونحن أناس يُعرفُ الناسُ فَضْلَنَا      بِالسُّنَنِ زَيْنَتْ صُدُورُ الْحَافِلِ  
تُنِيرُ وَجُوهُ الْحَقِّ عِنْدَ جَوَابِنَا      إِذَا أَظْلَمَتْ يَوْمًا وَجُوهُ الْمَسَائِلِ  
صَمْتَنَا فَلَمْ نَتْرِكْ مَقَالًا لَصَامِتٍ      وَقَلْنَا فَلَمْ نَتْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلِ  
وقال يصفُ أصحابه :

فلو شَهِدَتْ مَقَامَاتِي وَأُنْدِيَّتِي      يَوْمَ الْخِصَامِ وَمَاءُ الْمَوْتِ يَطْرُدُ  
فِي فِتْنَةٍ لَمْ يَلَاقِ النَّاسُ مَذًى وَجَدُوا      لَهُمْ شَيْهًا وَلَا يُلْفَوْنَ إِنْ فَقَدُوا<sup>(٢)</sup>  
مَجَاوِرِ الْفَضْلِ أَفْلَاكَ الْعُلَا سَبِيلَ الْقَوَى حَلَّ الْهَدَى تَحْمَدُ النَّهْيِ الْوُطْدُ  
كَأَنَّهُمْ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَفْئِدَةٌ      تَحْسُّ مَا أَخْطَأُوا فِيهَا وَمَا عَمَدُوا  
يُبِيدُونَ لِلنَّاسِ مَا تَحْقِي ضَائِرُهُمْ      كَأَنَّهُمْ وَجَدُوا مِنْهَا الَّذِي وَجَدُوا  
دَلُّوا عَلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا بَظَاهِرِهَا      وَعِلْمُ مَا غَابَ عَنْهُمْ بِالَّذِي شَهِدُوا  
مَطَالَعِ الْحَقِّ مَا مِنْ شُبْهَةٍ غَسَقَتْ      إِلَّا وَمِنْهُمْ لَدَيْنَا كَوَكَبٌ يَقْدُ<sup>(٣)</sup>

(١) الصفد - بالتحريك - العطاء . (٢) يلفون : يوجدون .

(٣) غسقت : أظلمت .



وقال سعيد بن حميد :

قالت : اكنتم هوائى واكن عن اسمى بالعزیز المهيمن الجبَّار  
قلت : لا أستطيع ذلك ، قالت : صرّت بعدى تقولُ بالإخبار  
وتخلّيت عن مقـالـة بشر بن غياث لمذهب النجـار

وقال أبو القاسم بن عباد الصاحب :

كنتُ دهرًا أقولُ بالإستطاعة وأرى الجبرَ ضلّةً وشنّاعه  
ففقدت استطاعتي في هوى ظـبـى ؛ فسمعاً للمجهرين وطّاعه

وقال أيضا :

ولما تناءت بالحبيب دياره وصرنا جميعا من عيانٍ إلى وهم<sup>(١)</sup>  
تمكّن منى الشوق غير محالٍس كعترلى قد تمكّن من خصمـ

[ بعض ما قيل فى النسب ]

وأشد محمد بن سلام بعض هذه الأبيات التى أنشدها ، وزعم أنها لأبى كبير  
الهلذلى ، ورؤيت ليزيد بن الطّـمـريّة وغيره ، والرواة يَدْخُلون بعض الشعر فى  
بعض ، وهى :

عَقِيلِيَّةٌ ، أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَوْعَثُ ، وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَيْتِيلُ<sup>(٢)</sup>  
تَقَيِّظُ أَكْذَافَ الْحِمَى ، وَيُظْلِمُهَا بَنَعْمَانُ مِنْ وَادِى الْأَرَاكِ مَقِيلُ  
فِيَا خُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونُهَا لَنَا مِنْ أَخْلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ  
وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ ، لَمْ يُطْعَمْ لَهُ عَدُوٌّ ، وَلَمْ يُؤْمَرْ عَلَيْهِ دَخِيلُ  
أَمَّا مَنْ مَقَامُ أَشْتَكَى غُرْبَةَ الذَّوَى وَخَوْفَ الْعِدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ  
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ ؟ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

(١) عيان - بكر العين - معاينة ومشاهدة .

(٢) عقيلة : منسوبة إلى عقيل ، وملاث إزارها : الموضع الذى يدار عليه  
الإزار ، وبتيل : دقيق هضم كأنه منقطع عما تحته ومافوقه ، وفى نسخة « فد عص »

وإن عناء النفس - مادمت هكذا  
أراجمةٌ قلبي على فرائح  
فلا تحملي وزري وأنت ضعيفةٌ  
فياجنة الدنيا ، ويا مُنتَهَى المني  
فديتك ، أعدائي كثير ، وشقتي  
وكنت إذا ما جئتُ جئتُ بعلّة  
فأكل يومٍ لي بأرضك حاجةٌ  
وأنشد ابن سلام لأبي كبير الهذلي :

وإني لمستسقي لها الله كلما  
سحاب لا من صيب ذي ضوايق  
ولا مخلفات حين هجن بنسمة  
إذا ما هبطن القاع قد مات نبتة  
لوى الدين مُقتلٌ وشحَّ غريمُ  
ولا مُحرقَاتٍ ماؤهنَّ حميمُ  
إليهن هوجاءُ المهبِّ عقيمُ  
بسكنٍ به حتى يعيش هشيمُ

[ عمران بن حطان والحجاج ]

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري<sup>(١)</sup> قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ،  
فقال عمران : لبئسما أدبك أهلك يا حجاج ! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني  
به ؟ أبعث الموت منزله أصانعك عليها ؟ فأطرق الحجاج استحياء ، وقال : خلوا  
عنه ؛ فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أطلقك إلا الله ، فارجع إلى حربته  
معنا ، فقال : هيهات ! غلّ يداً مُطْلَقها ، واسترق رقبةً مُعْتَقها ! وأنشد :  
أأقاتل الحجاج عن سلطانِه . بيدٍ تُقرّ بأنها مَوْلَانته ؟  
إني إذا لأخو الدّئاة ، والذي عَفّت على عرفانه جهلاته

(١) الشاري : واحد الشراة ، وعم الخوارج ، زعموا أنهم شروا أنفسهم  
وأموالهم من الله - أى باعوها - بأن لهم الجنة .

ماذا أقولُ إذا وقفت مُوازياً في الصفِّ وأحتجَّتْ له فعَلَاتِه؟  
 وتحدَّثَ الأَكْفَاءُ أنَّ صَنَانِمَا غُرِسَتْ لَدَيْ حَفْنِظَلَتِ نَحْلَاتِه  
 أقولُ جارِ عَلَيَّ؟ إني فيكمُ لأحقَّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتِه  
 تالله ما كُدتُ الأميرُ بآلِه وجوارحِي وسِلَاحِهَا آلَاتِه  
 أخذ أبو تمام هذا فقال معتذراً إلى أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافعي :  
 أأُلبِسُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْهَجَوْتِه إذا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي  
 كريم متى أمدَّحَه أمدَّحُه والورى مَعِي ، وإذا مَلَمْتَه لَمَتُّهُ وَحْدِي  
 وعمران بن حطان هو القائل :

لم يعجز الموتُ شَيْءاً دُونَ خَالِقِه والموتُ فَإِنْ إِذَا مَا غَالَه الأَجَلُ  
 وكلَّ كَرْبٍ أَمَامَ الموتِ مُنْقَطِعٌ بالموتِ ، والموتُ فَمَا بَعْدُهُ جَلَلٌ<sup>(١)</sup>  
 وكان الفرزدقُ عَمِلَ بَيْتاً ، وحلف بالطلاق أنَّ جَرِيْرًا لَا يَنْقُضُه ، وهو :  
 فإني أنا الموتُ الذِي هو نَازِلٌ بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُه  
 فاتصل ذلك بجرير ، فقال : أنا أبو حَزْرَةَ ، طَلَقْتَ امْرَأَةَ الْخَبِيثِ ،  
 وقال :

أنا الدَّهْرُ يُفْنِي الموتَ والدَّهْرُ خَالِدٌ فحُشِنِي بِمِثْلِ الدَّهْرِ شَيْئاً يُطَاوِلُه  
 وإنما أشار جرير إلى قول عمران .

وهو عمران بن حِطَّان بن ظبيان بن سهل بن معاوية بن الحارث بن سدوس  
 ابن سنان بن ذهل بن ثعلبة ، ويكنى أبا شهاب ، وكان من الشُّرَاة ، وكان من  
 أخطب الناس وأفصحهم ، وكان إذا خطب ثارت الخوارج إلى سلاحها ،  
 وكان من أقبح الناس وجهاً ، قالت له امرأته وكانت في الجمال مثله في القبح :  
 إني لأرجو أن أكون وإياك في الجنة ؛ لأن الله رزقك مثلي فشكرت ، وابتلاني  
 بمثلك فصبرت !

(١) جَلَلٌ ، هنا : معناه يسير هين .

### [ بين أعرابي وبعض الولاة ]

ودخل أعرابي على بعض الولاة فقال : أَصْلَحَ اللهُ الأمير ، اجعلني زِمَامًا من أَرَمَتِكَ ، فَإِنِّي مِسْعَرُ حَرْبٍ<sup>(١)</sup> ، وَرَكَابُ نُجُبٍ ، شَدِيدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، لَيِّنٌ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ ، مَنْطَوِي الْحَصِيلَةِ ، قَلِيلُ الثَّمِيلَةِ<sup>(٢)</sup> ، [ قَلِيلٌ ] غَرَارُ النَّوْمِ ، قَدْ غَذَّتْنِي الْحُرُوبُ أَفَاوَيْقَهَا ، وَحَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ ، فَلَا يَمْنَعُكَ مِنِّي الدِّمَامَةُ ، فَإِنْ تَحْتَهَا لَشَهَامَةٌ .

### [ الدنيا ، وأهلها ]

قال المسيح عليه السلام : الدُّنْيَا لِإِبْلِيسَ مَزْرَعَةٌ ، وَأَهْلُهَا لَهُ حُرَاثٌ .  
وقال إبليس لعنه الله : العَجَبُ لِبَنِي آدَمَ يَحْبُونَ اللَّهَ وَيَعْصُونَهِ ، وَيُبَغِّضُونَنِي وَيُطِيعُونَنِي .

### [ أربع كلمات طيبات ]

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال : مارأيتُ كاليوم ، ولا سمعتُ كأربع كلمات تكلمَ بهن رجلٌ عند هشام ؛ دخل عليه فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ احفظ عني أربع كلمات ، فهن صلاحُ مُلْكِكَ ، واستقامةُ رِعْيَتِكَ . قال : هاتهن ؟ قال : لَا تَعِدَنَّ عِدَةً لَا تَتَّقُ مِنْ نَفْسِكَ الْإِنْجَازَهَا ، وَلَا يَغُرَّنَكَ الْمَرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُنْخَدِرُ وَغَرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغْتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

قال عيسى بن دأب : لَخَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْهَادِي وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ فَأَمْسَكَهَا ، وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَى ! فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسِغْ لِقَمَتَكَ ، فَقَالَ : حَدِيثُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

(١) مسعر حرب : موقدها ومُشعلها .

(٢) الثميلة : ما يبقى في البطن من الطعام والشراب .

[ بين معاوية وعمر بن سعيد ]

ولما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون ؛ فقال لعمر بن سعيد :  
 قُمْ يَا أَبَا أُمِيَّةَ ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن يزيد بن معاوية  
 أجلٌ تؤمونه ، وأمل تؤملونه ، إن استضيفتم إلى حِلْمِهِ وَسِعْكُمْ <sup>(١)</sup> ، وإن  
 احتججتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أعناكم ، جَدَّعَ  
 قَارِحَ <sup>(٢)</sup> ، سُوْبِقَ فَسَبَقَ ، وَمُوجِدَ فَجَدَّ ، وَقُورِعَ فَقَرَعَ ، وهو خلفُ  
 أمير المؤمنين ، ولا خلف عنه ، فقال له معاوية : اجلس ، فقد أبلغت .

وعمر بن سعيد هذا هو الأَشْدَق ؛ [ وإنما سُمي الأَشْدَق ] لتشادقه في  
 الكلام ، وقيل : بل كان أقدم ما ثل الشدق ، وهذا قول عوانة بن الحكم  
 الكلبي ، وهو خلاف قول الشاعر :

تشادق حتى مال في القول شدقه وكل خطيب لا أبالك أشدق

وكان أبوه سعيد بن العاص أحد خطباء بني أمية وبلغائهم .

ولما مات سعيد دخل عمرو على معاوية فاستنطقه فقال : إن أوَّلَ كل  
 مركب صعب ، وإن مع اليوم غدا ، فقال معاوية : وفي هذه العلة إلى  
 من أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلى ولم يوص لي ، فقال معاوية : إن ابن  
 سعيد هذا لأشدق !

[ من تواضع الرشيد ]

قال ابن السكك للرشيد : يا أمير المؤمنين ، تواضعك في شرفك أفضل من  
 شرفك ؛ إن رجلا آتاه الله مالا وجمالا وحسبا ، فوآسى في ماله ، وعف في  
 جماله ، وتواضع في شربه ، كتب في ديوان الله عز وجل .

(١) إن استضيفتم : إن ملتم ، وفي نسخة « إن استطلقتم إلى حكمه » .

(٢) الجدع : الشاب الحدث ، والقارح : الشديد الحرب ، يريد أنا جامع

لهذين الوصفين .

[ للمتنبى في حى أصابته بمصر ]

نالت أبا الطيب المتنبى علة بمصر ، فكان بعض إخوانه من المصريين  
يكثر الإلمام<sup>(١)</sup> به : فلما أبل قطعته ، فكتب إليه : وصلّني أعزك الله  
مُعتلاً ، وقطعتني مُبلاً ، فإن رأيت ألاّ تسكدر الصحة علىّ ، وتحبب العلة  
إليّ ، فعَلت .

وفي هذه العلة يقول :

أَقَمْتُ بَارِضٍ مِصْرَ ؛ فَلَاورَانِي	تَحُبُّ بِي الرِكَابَ ، وَلَا أُمَامِي
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُنْتَمِعُ الْقِيَامِ	شَدِيدُ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ
وَزَائِرَتِي كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ	فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلْتُ لَهَا الطَّارِفَ وَالْحَشَايَا	فَعَاقَتَهَا ، وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَغَهَا	فَتَوَسَّيْتُ بَأَنْوَاعِ السَّقَامِ
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي	كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ
كَأَنَّ الصَّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي	مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامِ
أُرَاقِبُ وَقَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ	مُرَاقِبَةً الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ	إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامِ

ألفاظ لأهل العصر في العيادة وما جانسها من ذكر التشكى والمرض

وتلونه ، وسوء أثره ، والاتزعاج لإعوارضه

عرض لى مرض<sup>٢</sup> أساء بالنجاة ظنى ، وكاد يصرف وجه الإفاقة عنى .  
هو شورى بين أمراض أربعة : صداع لا يخف ، وحى لا يُغيب<sup>(٢)</sup> ، وزُكام  
لا يخف ، وسعال لا يكف . علة هو فى أسرها مُعتقل ، وبقيدها مُكَبَّل .

(١) الإلمام به : الزيارة له وعبادته ، وأبل : برى من مرضه .

(٢) الإغياب : أن تزور يوماً وترك الزيارة يوماً .

أمراض تلوّنت علىّ ، وأسأمت بي وإلىّ ، فأنا أشكرُ الله تعالى إذ جعلها عِظَةً وتذكيراً ، ولم يُبقِ منها الآن إلا يسيراً ، أحسب أن الأمراض قد أقسمت على أن تجعل أعضائي مرّاتها ، [ وآلت على أن تُصيّر جوارحي مرّاتها ] .  
 علّل لا يصدر منها [ آتٍ إلتكديرٍ ورد ] ولا يعزل منها وال إلا بوليّ عهد .  
 قد كرّرت تلك العلة فعادت عِللاً ، [ وسقتني بعد نهـل عِللاً ]<sup>(١)</sup> . علّل برّته برّى الأخلّة ، ونقصته نقص الأهلّة ، وتركته حرّضاً ، وأوسعته مرّضاً ، وغادرتة وإخيلالُ أكَشَفُ منه جُثّة ، والطيفُ أوفر منه قوّة . عرض له من المرض ما صار معه القنوطُ يُغَاديه ويُراوِحه ، واليأس يُخاطبه ويُصَافِحه .  
 قد وردَ من سوء الظنّ أوْ خَمَ المناهل ، وبات من حسن الرجاء على مرّاحل .  
 طالعتُ السكرم يترجّح نجمه بين الإضاءة والأفول ، وتمثّلُ شسه بين الإشراف والغروب . أصبح فلانٌ لا يُقِلُّ رأسه<sup>(٢)</sup> ، ولا يحورظله ، ويدُ المنية تفرّغ بابه .  
 ما هو لليلة إلا عَرَض ، ولسهام المنية إلا غَرَض . شاهدتُ نفسي وهي تُخرّج ، ولقيت رُوحى وهي تَعْرُج ، وعرفت كيف تكون السّكرة ، وكيف تقع الغمّة ، وكيف طَعُمُ البعد والفراق ، وكيف تلتفّ الساق بالساق . مرض لحقتني رَوْعته ، وملكنتي لَوْعته . وجدت في نفسي ألماً أَوْحَشُهُ آئِسُهُ وآئِسُهُ أَوْحَشَهُ .  
 بلغنى من شكايته ما أوحش جناب الأنس ، وأرأى الظّلمة في مَطلع الشمس .  
 قد بلغنى ما عَرَضَ لك من المرض ، وألمّ بك من الألم ؛ فتحمّل على سوداء صدرى ، وأقذى سوادَ طَرْفى ، وفد استنفد القلق لِعِلَّتِكَ ما أعدّه الصبرُ من ذخيرة ، وأضعف ما قواه العزم من بصيرة . قلبى يتقلب على حدّ السيف إلى أن أعرف انكشاف العارض وزِيالَه ، وأنحقّق انحساره وانتقاله . أنهى إلى من الخبر العارض ، حسَمَ الله مادّته ، وقصّر مدّته ، ما أرانى الآفق مُظلماً ، والعيش مُبهماً .

(١) النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب ثانياً ، وكلاهما بالتحريك .

(٢) لا يقل رأسه : لا يرفعه ، أو لا يحمله .

فقر في تهوين العلة بحسن الرجاء ، وذكر المشاركة والاهتمام بمُحَلِّوِهَا

والاستبشار بزوالها

إن الذي بلغني من ضَعْفِهِ قد أضعفَ اللَّتَّةَ ، وإن لم يُضعفِ الظنَّ بالله والثَّقة . قد استشفَّ العافية من ثوب رقيق . ما أكثر ما رأينا هذه العلل حَلَّتْ ثم تَجَلَّتْ وتوالت ثم تولَّتْ . خَبَّرَنِي فلان بعلتك فأشركني فيها ألما وقلقا ، فلا أعلَّ اللهُ لك جسما ولا حالا ، فليست نِكاية الشغل في قلبي بأقل من نِكاية الشكاية في جسمك ، ولا استيلاء القلق على نفسي بأيسر من اعتراض السقم لبدنك ، ومن ذَا الذي يصحُّ جسمه إذا تألَّت إحدى يديه ، ومن يحل محلها في القرب إليه ؟ أنا منزعج لشكائك ، مبتهيج بمُعَافَاتِكَ ، إن كانت علتك قد قَرَحَتْ وجرحَتْ ، فإنَّ صحتك قد آسَتْ وآنست <sup>(١)</sup> . بلغتنى شكائك فأرْتَعْتَ ، ثم عرفت خِفَّتَهَا فأرْتَحْتُ . الحمد لله على قُرْبِ المدة بين المِحنة والمِنحة ، والنقمة والنعمة ، وعلى أنَّا لم تهالك بأيدي الخافة حتى تدارك بحسْنِ الرَّأفة ، ولم نستسلم لخطئة الحذر حتى سلَّم من ورطة القدر .

ولهم في شكاة أهل الفضل والسُّؤود

شكائهُ التي تتألَّم منها المروءة والفضل . ويسقم منها الكرم المخضُّ . شكائهُ التي غَصَّت بها حلوقُ المِجْدِ ، وحَرَجَتْ لها صدورُ أهل الأدب والعلم <sup>(٢)</sup> ، وبدا الشحوبُ معها على وَجْهِ الحرية ، وحرم معها البشرُ على غُرَّة المروءة . قد اعتلَّ بعلته الكرم ، وشكا بشكايته السيفُ والقلم . شكاة عرضت منه لشخص الكرم الغضُّ ، والشرف المخض . لو قبلت مهجتي فديةً ، دون وعكَّة تجدها ،

(١) آست : عاجلت وداوت وطبت ، وآنست : جلبت الأنس .

(٢) حرجت لها الصدور : ضاقت .



جُذِبَتْ بِهَا ، وَسَاعَاةٌ أَنْسَ تَفْقِدُهَا لِبَذْلِهَا ، عَالِمًا بِأَنِّي أَفْدِي الْكَرَمَ لِغَيْرِ ، وَالْفَضْلَ  
وَلَا ضَيْرَ .

### ولهم في تنشيم الإقبال ، وذكر الإبلال

قَدْ شِمْتُ بَارِقَةَ الْعَافِيَةِ ، وَشِمْتُ رَاحَةَ الصَّحَةِ . أَقْبَلَ صُنْعُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ  
لَمْ أَجْتَسِبْ ، وَجَاءَنِي لُطْفُهُ مِنْ حَيْثُ لَا أُرْتَقِبْ ، وَتَدَرَّجْتُ إِلَى الْإِبْلَالِ وَقَدْ  
حَسِبْتُهُ حُلْمًا ، وَرَضِيتُ بِهِ دُونَ الْإِسْتِقْلَالِ غُنْمًا ، وَقَدْ تَخَلَّصْتُ إِلَى شَطِّ الْعَافِيَةِ لَمَّا  
تَدَارَكَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِلَطِيفَةٍ مِنْ لَطَائِفِهِ ، وَجَعَلَ هَبَّةَ الرُّوحِ عَارِفَةً مِنْ عَوَارِفِهِ ،  
وَتَنَسَمْتُ رُوحَ الْحَيَاةِ ، بَعْدَ أَنْ أَشْفَيْتُ عَلَى الْوَفَاةِ <sup>(١)</sup> ، وَتَنَيْتُ وَجْهِي إِلَى الدُّنْيَا  
بَعْدَ مُوَاجَهَتِي لِلدَّارِ الْآخِرَى . قَدْ صَافَحَ الْإِقْبَالَ وَالْإِبْلَالَ ، وَقَارَبَ النَّهْوُضَ  
وَالْإِسْتِقْلَالَ . سِيرِيكَ اللَّهُ مِنَ الْعَافِيَةِ الَّتِي أَذَاكَ وَيُسْبِغُ ثَوْبَهَا ، وَلَا يَعِيدُ عَلَيْكَ  
مَكْرُوهَهَا . قَدْ اسْتَقْلَلَ اسْتِقْلَالَ السِّيفِ حُدُوثَ عَهْدِهِ وَأُعِيدَ فِرْنْدُهُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْقَمَرُ  
انْكَشَفَ سِرَّارَهُ ، وَذَاعَتْ أَسْرَارُهُ <sup>(٣)</sup> . حِينَ اسْتَقَلَّتْ يَدِي بِالْقَلَمِ ، بَشَّرْتُكَ بِانْحِسَارِ  
الْأَلَمِ . قَدْ أَنَاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ الْفَائِضَةِ ، وَعَافَاكَ مِنَ الشَّكَاةِ الْعَارِضَةِ . أُبَلِّغُ  
فَإَنْشَرَحْتَ الصَّدُورَ ، وَشَمِلَ السَّرُورَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَسَ جِسْمَكَ وَعَافَاكَ ،  
وَنَحَا عَنْهُ أَثَرَ السَّقَمِ وَعَفَّاهُ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَافِيَةَ عَقْبِي مَا تَشَكَّيْتُ ،  
وَالسَّلَامَةَ عِوَضًا عَمَّا عَايَنْتُ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَفَاكَ مِنْ مُعَانَاةِ الْأَلَمِ . وَعَافَاكَ  
لِلْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، وَنَظَّمَنِي مَعَكَ فِي سِلْمِ النِّعْمَةِ ، وَضَمَّنِي إِلَيْكَ فِي مُنْبِلِجِ  
الصَّحَّةِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ السَّلَامَةَ ثَوْبَكَ الَّذِي لَا تَنْضُوه <sup>(٤)</sup> ، وَسَيْفَكَ فِيمَا تَأْمَلُهُ  
وَتَرْجُوهُ . اللَّهُ يَجْعَلُ السَّلَامَةَ أَطْوَلَ بُرْدِيكَ ، وَأَشَدَّهَا سُبُوغًا عَلَيْكَ ، وَيُدْفَعُ

(١) أَشْفَى عَلَى الشَّيْءِ : قَارَبَهُ وَدَنَا مِنْهُ .

(٢) حُدُوثَ عَهْدِهِ : أَرَادَ جَنْدَ صَقَالِهِ ، وَفِرْنْدَ السِّيفِ : جَوْهَرَهُ .

(٣) السَّرَارُ - بَزْنَةُ الْكِتَابِ - اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْتَفِي فِيهَا الْقَمَرُ .

(٤) لَا تَنْضُوه : لَا تَحْمَلْهُ .

في صدور المكاري دون ربك ، وفي محور المحاذير قبل الانتهاء إلى ظلك . لازالت  
العافية شعارك ، ما واصل ليلاك نهارك .

فقر في أذعية العيادة ، والاستشفاء بكتبها

أغناك الله عن الطب والأطباء ، بالسلامة والشفاء ، وجعله عليك تمحيصاً<sup>(١)</sup>  
لاتغنيصاً ، وتذكيراً لانكيرا ، وأدبا لا غضباً . الله يدرك لك صوب العافية ،  
ويضفي عليك ثوب الكفاية الوافية . أوصل الله تعالى إليك من برّد الشفاء  
ما يكفيك حرّ الأدوية . كتابك قد أدّى روح السلامة في أعضائي ، وأوصل  
برّد العافية إلى أحشائي . تركني كتابك والنعم تثب إلى صحتي ، والخطوب  
تجافي عن مهجتي ، بعد أمراض اكتنفت ، وأسقام اختلفت . قد استبق كتابك  
والعافية إلى جسمي كأنهما فرساً رهان تباريا ، ورسيلاً مضمار تجاريا . أبدلني  
كتابك من حزون الشكاية سهول المعافاة ، ومن شدة التألم ، رخاء التمتع .

قطعة من كلام الأطباء والفلاسفة

العاقل يترك ما يحبّ ليستغنى عن العلاج بما يكره .

جالينوس : المرض هَرَم عارض ، والهَرَم مرض طبعي .

وله : بحالسة الثقل تحي الروح .

بختيشوع : أكل القليل مما يضرُّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

يوحنا بن ماسويه : عليك من الطعام بما حدثت ، ومن الشراب بما قدّم .

وقال له المأمون : ما أحسن ما يُتنقل به على التبيذ ؟ قال : قول أبي نواس ،

يريد قوله :

الحمد لله ليس لي مثَلُ خمرى شرابى وَنَقْلِي القُبْلُ

ثابت بن قُرة : ليس شيء أضر بالشيخ من أن تكون له جارية حسناء ، وطباخ حاذق ؛ لأنه يُكثر من الطعام فيستقم ، ومن الجماع فيهرم .  
 غيره : ليس لثلاث حيلة : فقرٌ يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ، ومرض يمازجه هرم .

ثلاثة يجب مداراتهم : السلطان ، والمريض ، والمرأة .  
 ثلاثة يُعذرون على سوء الخلق : المريض ، والمسافر ، والصائم .  
 فقر في ذكر المرض والصحة والموت والحياة لغير واحد  
 شيثان لا يُعرفان إلاَّ بعد ذهابهما : الصحة والشباب . تمرارة السقم توجد  
 حلوة الصحة . هذا كقول أبي تمام :  
 إساءة دهرٍ أذكرت حسنَ فعلِهِ إلىَّ ، ولولا البشرى لم يُعرف الشَّهد<sup>(١)</sup>  
 وقوله أيضا :

والحادثات وإن أصابك بُؤسها فهو الذي أدراك كيف نعيمها  
 ما سلامة بدن معرض للآفات ، وبقاء عمر معرض للساعات ؟  
 قال أبو النجم :

إنَّ الفتى يصبح للسقام كالغرض المنصوب للسهام  
 أخطأ رايِم وأصابَ رَام  
 وقيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلة : ألا تتعالج ؟ فقال : إذا كان [ الداء  
 من ] السماء بطل الدواء ، وإذا قدر الرب بطل حذرُ المريبوب ، ونعيمُ الدواء  
 الأمل ، وبئس الداء الأجل .

برز جهمر : إنَّ كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وإن كان شيء فوق  
 الموت فالمرض ، وإن كان شيء مثل الحياة فالغنى ، وإن كان شيء مثل  
 الموت فالفقر .

(١) الثمري - بالفتح - الحنظل ، والشهد : العسل .

غيره: خيرٌ من الحياة مالا تطيبُ الحياةُ إلا به، وشرٌّ من الموت ما يُتمنى الموت له .  
قال المتنبي في مراثية أم سيف الدولة :

أطابَ النفسَ أنكِ مُتَّ مَوْتًا تَمَنَّتَهُ البَوَاقِي وَانْخَوَّأَ إِلَى  
وَزُلَّتْ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا تَمَرَّتْ النَفْسُ فِيهِ بِالزَّوَالِ  
رَوَاقِ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَمَالِ  
الموت باب الآخرة

الحسن : ما رأيتُ يقيناً لاشكَّ فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه . من الموت  
ابن المعتز : الموت سَهْمٌ مُرْسَلٌ إِلَيْكَ ، وعمرُكَ بقدر سفره نحوكَ  
أخذه بعض أهل العصر فقال :

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوَّوْنَ وَخَفْ بَوَادِرَ آفَتِهِ  
فَالْمَوْتُ سَهْمٌ مُرْسَلٌ وَالْعَمْرُ قَدَرٌ مَسَافَتِهِ  
البيستى :

لَا يَغْرُنْكَ أَنْتَى لَيْنِ الْمَسِّ فَعَزِمِي إِذَا انْتَضَيْتِ حُسَامُ  
أَنَا كَالْوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ثُمَّ فِيهِ لآخرين زُكَامُ  
وقال آخر :

إِنَّ الْجَهْلَ تَضَرَّنِي أَخْلَاقُهُ ضَرَرِ الشَّعَالِ لَمَنْ بِهِ اسْتِسْقَاهُ  
وَلآخر ، وهو البيستى :

فَلَا تَسْكُنِ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ فَلَيْسَ يَحْمَدُ قَبْلَ النَّضِجِ بُحْرَانُ  
وقال آخر :

لَا تَعْتَمِدْ إِلَّا رَئِيسًا فَاضِلًا إِنَّ الْكِبَارَ أَطْبُؤُا لِلْأَوْجَاعِ  
وقال آخر :

وَإِنِّي لَأَخْتَصُّ بَعْضَ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانَ قَدَمًا ثَقِيلًا عَبَا<sup>(١)</sup>

(١) القدم - بالفتح - العبي عن الكلام ، والعبام - كسحاب - الثقيل .

فإنَّ الجُبْنَ على أنه ثقيل وخيمٌ يُشْهِى الطَّعَامَا  
وقال المتنبي :

لعلَّ عَتَبَكَ محمودٌ عواقبهُ وربما صحتِ الأجسامُ بالعلل  
وقال أيضاً :

أُعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمٌ  
[ من الأجوبة المفحمة ]

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلالُ بن أبي بردة جُلدا حين ابتلى ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر ، وهم بالخير ؛ فقام خالدُ بن صفوان فقال ليوسف : أيها الأميرُ ، إنَّ عدوَّ الله بلالاً ضرب بنى وحَبَسَنِي ولم أفرق جماعةً ، ولا خلعتُ يداً من طاعة ، ثم التفت إلى بلالٍ فقال : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهذا أركانك ، وأزال جمالك ، وغيرَ حالك ، فوالله لقد كنتَ شديدَ الحجاب ، مستخفاً بالشريف ، مظهرًا للعصية ! فقال بلال : يا خالد ؛ إنما استطلت على ثلاث معك هنَّ على : الأميرُ مُقبلٌ عليك ، وهو عنى مُعرض . وأنت مُطلق ، وأنا مأسور . وأنت في طينتك ، وأنا غريب ! فأخذه ، [ ويقال : إن آل الأهم زعنفة دخلت في بنى منقر فانتسبت إليهم ]<sup>(١)</sup> وكان سبب ضرب بلال خالداً في ولايته أن بلالاً مرَّ بخالد في موكب عظيم ، فقال خالد : \* سحابة صيفٍ عن قليل تقشعُ \* فسمعه بلال ، فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شئ بوب<sup>(٢)</sup> برد ، وأمرَ بصرِّبه وحَبَسِه .

[ رثاء قدح ]

وقال أبو الفتح كشاجم يرنى قدحاً له انكسر :

(١) ما بين العقوفين ساقط من أكثر الأصول ، وهو كلام مقحم .

(٢) الشؤبوب - بضم فسكون - الدفعة العظيمة من المطر

عَرَانِي الزمانُ بأحداثه      فبعضاً أَطَقْتُ ، وبعضُ فِدَحْ<sup>(١)</sup>  
وعندي فجائع للحادثات      وليس كَفَجَعَتِنَا بالقَدَحْ  
وعاء المدام ، وتاجُ البنسان      ومُذْنِي السرور ، ومُقْصِي التَّرَحْ<sup>(٢)</sup>  
ومعرض رَاحٍ متى تسكسه      ويُستودع السرَّ منها يسبح  
وجسم هواء وإن لم يكن      يُرَى للهواء بكفت شبح  
يردُّ على الشخصِ تمثاله      وإن تَتَّخِذْهُ مِرَاةً صَلَحَ  
ويَعْبَقُ من تسكيات المدام      فتمحسب منه عَيْباً نَفَخَ  
ورقٌ ؛ فلو حلَّ في كِفَّةٍ      ولا شيء في أختها مَارَجَحْ  
يكادُ مع الماء إن مسَّهُ      لما فيه من شكله ينفسح  
هوَى من أنامل مجدولةٍ      فيأعجبا مِنْ لَطِيفِ رَزَحْ  
فأَفْقَدْنِيهِ على ضِنَّةٍ      به للزمان غَرِيمٌ مَلَسَحْ  
كَانَ له ناظراً ينتقى      فتى يَتَعَمَّدُ غَيْرَ الْمُنَحْ  
أَقْلَبُ ما أَبَقَتِ الحادِثا      ت منه وفي العين دَمْعٌ يُسْحْ  
وقد قدح الوجد منى به      على القلبِ من ناره ماقدح  
وأعجب من زمن مانح      وآخرَ يسلب تلك المِنَحْ  
فلا تبعدنَّ فكم من حَشَى      عليك كَلِيمٍ وَقَلْبُ قَرَحْ  
سَيَقْفَرُ بعدك رَسْمُ الغُبوق      وتُوحِشُ منك مَغَانِي الصَّبَحْ

[ من طرائف الوصف ]

ومن أحسن ما قيل في وصف قدح ، قول ابن الرومي يصف قدحا أهده  
إلى علي بن يحيى المنجم :

(١) عراني : نزل بي ، وقدح : ثقل وعسر حمله

(٢) الترح : الحزن ، وفي نسخة « وتاج الكرام »

لابن الرومي  
في وصف  
قدح

وبديع من البـدائع يَسْبِي كلَّ عقل ، وَيَطْبِي كلَّ طَرْفٍ <sup>(١)</sup>  
رَقَّ في الحسنِ والملاحَةِ حتَّى ما يوفِّيهِ واصفٌ حقَّ وَصَفِ  
كفَمِ الحُبِّ في الملاحَةِ بل أشـهـى وإن كان لا يَناجِي بِحَرْفِ  
تَنفِذِ العَيْنِ فِيهِ حتَّى تراها أخطأته من رِقَّةِ المُسْتَشَفِّ  
كهواء بلا هباء مشُوب بضياء ، أرَقَّقَ بِذاك وَأَصْفِ  
صِيغ من جوهر مصفًى طباعاً لا علاجاً بِكِيَمِيَاءِ مُصَفِّ  
وسط القَدَرِ ، لم يَكْبَرِ لِحَرْعِ مُتَوَالٍ ، ولم يَصْغُرْ لِرَشْفِ  
لا عَجول على العقول جَهولٌ بل حلِيم غنَمٍ في غير ضَعْفِ <sup>(٢)</sup>  
فِيهِ نون معقرب عَطَفْتَهُ حَكَمَاءُ القِيون أَحْكَمِ غَطَفِ  
مثل عطف الأصداع في وَجَنَاتِ من حبيب يُزْهِى بِحُسْنِ وَظَرْفِ  
ما رأى الناظرون قدَّاء وشكلاً مثله فارِساً على بطن كَفِّ  
وقال أبو القاسم التنوخي :

للتنوخي  
في وصف  
قدح أيضاً

ورايح من الشمس مخلوقة بدَتْ لك في قدَح من نهَارِ  
هواءٌ ولكته جامدٌ وماءٌ ولكنه غَيْرُ جَارِ  
إذا ما تأملتُها وهى فيه تأملتُ نوراً محيطاً بِنَارِ  
فهذا النهاية في الابيضاضِ وهذا النهاية في الاحمرارِ  
وما كان في الحق أن يُقرَّنا لقرطِ التَّنَاقِي وبعد النَّفَارِ  
ولكن تجاوز شكلاهما البسيطانِ فاتفقا في الجوازِ  
كأنَّ المديرَ لها باليمين إذا قام للسَّقَى أو باليسارِ  
تدرع ثوباً من الياسينِ له فردٌكم من الجلتارِ

(١) يطبى كل طرف : يستهوى كل نظر ، يريد أنه يأخذ بجميع العقول والأبصار (م).

(٢) في نسخة « لا صؤل على العقول » (م)

لكشاجم  
في رثاء  
منديل

وقال أبو الفتح كشاجم برني منديل كم :

من يَبْكُ من وَجْدٍ على هالكٍ      فإنما أُنْكِى على دَسْتَجَةٍ<sup>(١)</sup>  
جاذِبِها رِشاً أُغِيدَ      فجادت النفسُ بها مُحَرَجَه  
بديعةٌ في نَسْجِها، مثلها      يفقد من يُحْسِنُ أنْ يَنْسُجَه  
كأنما رِقَّةٌ أَشْكَاهَا      من رِقَّةِ العِشاقِ مُسْتَخْرِجَه  
كأنما مَفْتُولٌ أَهْدَاهَا      أيدى دَبَا في نَسَقٍ مُزَوَّجَه<sup>(٢)</sup>  
كأنما تَفْرِيقُ أعلامها      طائِوسَةٌ تَحْتالُ أو دُرَجَه  
لَيْسَةٌ جَدَّدَهَا حَسَنًا      لَأَرَنَّةُ السَّلَكِ ولا مُهْجَه<sup>(٣)</sup>  
كم رِقَّةٍ من عَفْدٍ مَعشُوقَةٍ      تُرْمَلُ في أَثْنائها مُدْرَجَه  
أو مَسْحَةٍ من شَفَةِ عَذْبَةٍ      تُبْرَدُ حرَّ الكَبِدِ المُنْضَجَه  
إلى تَحِياتٍ لِطافِ بها      تُسَكِنُ منى مُهْجَةٍ مُزَعَجَه  
كانت لِمَسْحِ الكاسِ حتى تَرى      منها لَأَثارِ القَذَى مُخْرَجَه  
وخاتمي يُعَقِّدُ فيها إذا      آثَرْتُ مِنْ كَفَى أنْ أُخْرِجَه  
وَأَنْتَقَى الجِلامَ بها كَلَمًا      كَلَلَهُ المَازِجُ أو تَوَجَّجَه  
فاسْتَأَثَرَ الدَّهْرُ بها؛ إِنَّهُ      ذُو هَمَّةٍ مُجَلِّيةٍ مُرْهَجَه<sup>(٤)</sup>  
فَأَصْبَحَتْ في كَمِّ مُخْتالَةٍ      مُلْجَمَةٌ في هَجْرِنَا مُسْرَجَه

وقال أيضاً يصف سقوط الثلج :

الثلجُ يَسْقُطُ أمْ لُجَيْنٌ يُسَبِّكُ      أمْ ذا حَصَى الكافورِ ظَلٌّ يَفْرَكُ  
راحت به الأرضُ الفضاء كأنها      في كل ناحية بَغَرٌ تَضَحَكُ

وله يصف  
سقوط الثلج

(١) في نسخة « أبكى على مسبجة » وفي أخرى « على سبجة » والدمتجة :  
الحرمة (م)

(٢) الدبا : صغار الجراد والنمل (م) (٣) اللبیس : الذي أكل كثير لبسه ، والمنهجة :  
الحلقة البالية (م)

(٤) في نسخة « ذونوب مجلبة مرهجة » (م)



شابت مفارقهما فبين ضحكها  
أربنى على خضر العصون فأصبحت  
وتردت الأشجار منه ملاءة  
كانت كعود الهند طرى فأنكفى  
والجو من أريج الهواء كأنه  
لغذى من الأوتار حظك إنما  
فالיום يؤزن بالملاحمة، إنه  
وقال أيضاً :

باكر فهذى صديجة قره  
تلج وشمس وصوب غادية  
باتت وقيعائها زبرجدة  
كأنها والثلوج تضحكها  
كأن في الجو أيدياً نثرت  
شابت فسرت بذالك وابتهجت  
قد جليت بالبياض بلدنسا  
واليوم يوم سماؤه ثره  
والأرض من كل جانب غره  
فأصبحت قد تحولت دره  
تعار من أحبه ثغره  
دراً علينا فأسرعت ثره  
وكان عهدى بالشيب يستكره  
فاجل علينا الكؤوس بالحمزه

وقال الصنوبرى :

ذهب كؤوسك يا غلا  
الجو يحلى فى البيا  
أزعمت ذا تلج وذا  
ورد الربيع مورد  
م فإن ذا يوم مفضض  
ض وفى حلى الكافور يعرض  
ورد على الأغصان بنفض  
والورد فى تشرين أبيض

ولكشاجم  
أيضا

للصوبرى  
فى المعنى

(١) فى نسخة « من داجى الهواء » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان، والأرجح:  
طيب الرائحة (م)

(٢) فى نسخة « فالיום يؤذن بالملاحم » وهى تناسب آخر الكلام (م)

لأبي

وقال البستي :

كم نَظَمْنَا عقودَ لهو وأنسٍ      وجعلْنَا الزمانَ للهو سِلْكَ  
وفتقْنَا الدنانَ في يوم تلجٍ      عَزَل الكأسُ فيه رُشْدًا ونُسْكَ  
فكَأَنَّ السماءَ تنحلَّ كافو      رَأَ علينا ، ونحنُ نَفْتِقُ مِسْكَ  
وقال الأمير أبو الفضل الميكالي يصف الجُملد :

الميكالي  
يصف الجملد

رَبَّ جَنَيْنٍ من حَيَا النَمِيرِ      مَهْتِكِ الأَسْتَارِ والضَمِيرِ  
سلَّتهُ من رَحِمِ الغَدِيرِ      كأنها صَحَائِفُ البُلُورِ  
أو أَكْرَرُ تَجَسَّمتُ من نُورٍ      أو قَطَعُ من خَالِصِ الكافورِ  
لو بَقِيتُ سِلْكَا على الدهورِ      اعطَلْتُ قِلائِدَ النُحُورِ<sup>(١)</sup>  
وأخجلتُ جِوَاهِرَ البحورِ      [وسميتُ ضرائرَ الثغورِ]  
ياحُسْنَهُ في زَمَنِ الحُرُورِ      إذ قَيْظُهُ مثلُ حَشَى المَهْجُورِ<sup>(٢)</sup>  
يَهْدِي إلى الأَكْبَادِ والصدُورِ      رَوْحًا يُجَلِّي نَفْثَةَ المَصْدُورِ  
وَيَجْلِبُ السُرُورَ للمَقْرُورِ

ألفاظ لأهل العصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية  
ألقي الشتاء كذَلِكَ ، وأحلَّ بنا أنقاله . مد الشتاء رِواقه ، وألقى أوراقه ،  
وحلَّ نِطاقه . ضرب الشتاء بِحِرَانِه ، واستقل بأركانِه ، وأناخ بنوازلِه ، وأرَسَى  
بكلِّ كَلِه ، وكلج بوجهه ، وكشَّر عن أنيابه . قد عادت [ هَامَات ] الجبال  
شَيْبًا ، ولبست من الثلج بُردًا قَشِيًّا . شابت مفارق البروج ، لتراكم الثلوج ،  
ألم الشيب بها وَايِضَّتْ لَمَهَا<sup>(٣)</sup> . قد صار البردُ حجابًا ، والثلج حجازًا . بَرَدٌ  
يغيِّر الألوان ، وينشف الأبدان . بردٌ يُقَصِّضُ الأعضاء ، وينفض الأَحْشاء . برد  
يُجمد الريقَ في الأَشْدَاق ، والدمعُ في الأَمَاق . بَرَدٌ حال بين الكلب وهِريره ،

(١) في نسخة « تعطلت قلائد النحور » (م)

(٢) في نسخة « ياحسنه في زمن الحدور » تحريف (م)

(٣) في نسخة « ألم الشتاء بهامات ايضت لهما » (م)

والأسدوزثيره ، والطير وصَفِيره ، والماء وخِريره . نحن بين لثق ، ورثق ، وزلق <sup>(١)</sup> يوم كأنَّ الأرضَ شَابَتْ لَهْوَه . يوم فَضَى الجَلْبَاب ، مَسَكَى النِقَاب ، عبوس قَمَطِير ، كَشَر عن ناب الزمهرير ، وفرش الأرض بالقوارير . يوم أخذت الشَّمَال زمامه ، وكسا الصَّر <sup>(٢)</sup> ثيابه . يوم كأن الدنيا فيه كافرزة ، والسماء بلورة . يوم أرضه كالقوارير اللامعة ، وهوأوه كالزنايزر اللاسعة . يوم أرضه كالزجاج ، وسماؤه كأطراف الزَّجَاج <sup>(٣)</sup> . يوم يعل فيه الخفيف إذا هجم ، ويخف الثقيل إذا هجر ، نحن فيه بين أطباق البرد فمانستغيث إلا بمرِّ الراح ، وسورة الأقداح . ليس للبرد كالبُرد ، والخمر ، والجمر . إذا كلب الشتاء ، فترياق سموه الصَّلاء ، ودَرَقُ سيوفه الطَّلَاء <sup>(٤)</sup> .

### نقيض ذلك من كلامهم في وصف القيظ وشدة الحر

قوى سلطان الحر ، وبُسطَ بساطُ الجَمَر . حرُّ الصيف ، كحدِّ السيف . أوقدت الشمسُ نارَها ، وأذكت أوارها . حرٌّ يلفح حرُّ الوجه . حرٌّ يشبه قلبَ الصبِّ ، ويُذيب دماغَ الصَّبِّ . هاجرة كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق . هاجرة تحكي نارَ الهجر ، وتذيب قلبَ الصخر . كأن البسيطة من وقدة الحر ، بساط من الجمر . حرٌّ تهرب له الحِرَاء من الشمس ، قد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادبُ العيدان . حرٌّ يُنَضِّجُ الجلود ، ويُذيبُ الجمود أيام كأيام الفرقة امتدادا ، وحرٌّ كحرِّ الوجد اشتدادا . حرٌّ لا يطيبُ معه عيش ، ولا ينفع معه تلج ولا خيش . حمارة القيظ ، تغلى كدم ذى الفيظ . آب آبٌ يَجِيش <sup>(٥)</sup> مِرْجَلَه ، وَيَتَوَرَّ قَسَطْلَه . هاجرة كقلب المهجور ، أو التنور المسجور . هاجرة كالجحيم الجاحم ، تجر أذبال السامم .

(١) اللثق : ركود الريح وكثرة الندى (م)

(٢) الصر - بكسر الصاد - شدة البرد (م) (٣) الزجاج - بكسر الزاي - جمع زج (م)

(٤) كلب الشتاء : اشتد وقسا ، والترياق : دواء السموم ، والصَّلاء : الدفء

بالنار ، والطلاء : الحمر (م) (٥) آب : رجع ، وآب : اسم شهر من شهور الصيف ،

وفي نسخه « آب آب يجيش مرجلة وتنور قسطله » تحريف (م)

## [ العجلة أم الندامة ]

قال بعض الحكماء : إياك والعجلة فإنَّ العرب كانت تَكْنِيها أمَّ الندامة ؛ لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويحب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يُقَدَّر ، ويَحْمَدُ قبل أن يجرب ، ويدمَّ قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحدٌ إلَّا صاحب الندامة ، واعتزل السلامة .

## [ تأميل ورجاء ]

ولما ولى المهدي<sup>(١)</sup> سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجلٌ من ذوي حُرْمَتِهِ ، فقال : أعزَّ الله الوزير ؛ أنا خادمك المؤمل لدولتك ، السعيدُ بأيامك ، المنطوى القلب على ودك ، المنشورُ اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفيت كل صديق ودني ثمنًا    إلا المؤمل دولاتي وأيامي  
فإنني ضامنٌ إلَّا أكافئه    إلا بتسويغه فضلي وإنعامي

وإني لكما قال القيسي : ما زلتُ أُمَتِّطِي النهارَ إليك ، وأستدلك بفضلك عليك ، حق إذا جئني الليلُ فغضَّ البصرَ ، ومحا الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أُملي ، والاحتماد عُذرٌ ، فإذا بلغتكَ قَمَدٌ<sup>(٢)</sup> . قال سليمان : لا عليك ؛ فإني عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى كفايتك واصطناعك ، ولست أؤخر عن يومى هذا توليتك ما يحسنُ عليك أثره ، ويطيب لك خبره ، إن شاء الله .

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي وزير المعتز بالله وكان المعتز يختص به ، ويتقرَّب إليه قبل الوزارة : ما زلت - أيدك الله تعالى - أدم الدهر بذمك إياه ، وأنتظر لنفسى ولك عُقباه ، وأتمنى زوال حال من لا ذنب له

(١) في نسخة « لما ولى المهدي محمد بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب » (م)

(٢) فقد : فكفاني ذلك (م)

إلا عاقبة محودة تكون لك بزوال حاله ، وأترك الإعذار<sup>(١)</sup> في الطلب على الاختلال الشديد ؛ ضناً بالمعروف عندي إلا عن أهله ، وحبساً لشعري إلا عن مستحقه .

فوقع في كتابه : لم أؤخر ذكرك ناسياً لحقك ، ولا مُهملاً لواجبك ، ولا مرجياً<sup>(٢)</sup> لهم أمرك ، ولكني ترقبت اتساع الحال ، وانفساح الآمال ؛ لأخصك بأشنانها خطراً ، وبأجلها قدراً ، وأعودها بنفع عليك ، وأوفرها رزقاً لك ، وأقربها مسافة منك ؛ فإذا كنت ممن يحفز الإجمال ، ولا يقسم له الإمهال ، فسأختار لك خير ما يشير إليه الوقت ، وأنعم النظر فيه ، وأجعله أول ما أمضيه ، إن شاء الله .

ولما ولي سليمان بن وهب الوزارة كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا      وأسعفنا فيمن نحب ونكرم  
فقلت له : نعلمك فيهم أتمها      ودع أمرنا ؛ إن المهم المقدم  
فعجب من لطيف شكواه في تهنيئته ، وقضى حوائجه .

[ووقع عبيد الله في كتاب رجل اعتدّ عنده بأثر جميل : وقفت على ما ذكرته من شكايك ، فوقع ذلك عندنا الموقع الذي أردته ، وصدر جوابنا إليك بما شكرته ، ولم تعد ظننا ، وما قدرنا فيك ، ثم اعتدت الاعتداد حتى كأنك لم تكاتبنا ؛ فلا تفسدن نالده إحسانك بطارف امتنانك ، واقصر من وصف سالفك على ذكر مستأنفك ] .

[ من حسن التقسيم ]

ووقع عبيد الله في أمر رجل خرج عن الطاعة : أنا قادرٌ على إخراج هذه النعرة<sup>(٣)</sup> من رأسه ، والوحرة من نفسه<sup>(٤)</sup> .

(١) في نسخة « وأترك الاعتذار » (م) (٢) مرجياً : مؤخراً ، وأصله الهمز (م)

(٣) النعرة - كهمة - الحياء والتعاضم ، والوحرة : الحقد (م)

(٤) في نسخة « والوحرة من صدره ، والنحرة من نفسه » (م)

ونحو هذا التقسيم قولُ قتيبة بن مسلم بخراسان : من كان في يده شيء من مال عبد الله فلينبذه ، أو في فمه فليلقِظْهُ ، أو في صدره فلينبثْهُ .

وقال عبد الله بن علي ، بعد قتله مَنْ قتل من بني أمية ، لإسماعيل بن عمرو : أساءك ما فعلتُ بأصحابك ؟ قال : كانوا يداً فقطعتها ، [ وعضداً ففتتها ، ومرة فنقضتها ] ، ورُكناً فهدمته ، [ وجبلاً فهضمتُ ] ، وجناحاً فقَصَصته ، قال : إني خَلِيقُ بَأْنِ الْحَقِّكُ بِهِمْ ، قال : إني إِذَا السَّعِيدُ .

وقال المنصورُ لجريِر بن عبد الله : إني لأَعِدُّكَ لِأَمْرٍ كَبِيرٍ ! قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مَنَى قَلْبًا مَعْتُودًا بِنَصِيحَتِكَ ، وَيَدًا مَبْسُوطَةً بِطَاعَتِكَ ، وَسَيْفًا مَسْلُولا عَلَى أَعْدَائِكَ .

وكتب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزّيه : مَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ مَوْفُورًا غَيْرَ مُنْتَقَصٍ ، وَمَمْنُوحًا غَيْرَ مُمْتَحَنٍ ، وَمُعْطَى غَيْرَ مُسْتَلَبٍ .

ومن جيد التقسيم مع المطابقة قولُ بعض الكتاب : إِنْ أَهْلَ النَّصْحِ وَالرَّأْيِ لَا يَسَاوِيهِمْ أَهْلُ الْأَفْنِ وَالنِّشْ ، وَلَيْسَ مَنْ جُمِعَ إِلَى الْكَفَايَةِ الْأَمَانَةُ كَمَنْ أَضَافَ إِلَى الْعَجْزِ الْخِيَانَةَ .

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لرجل دَعَتْ لَهُ وَقَدْ أَوْلَاهَا يَدًا : شَكَرْتُكَ يَدُ نَالَتَهَا خَصَاصَةً بَعْدَ ثُرُوةٍ ، وَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ يَدِ نَالَتَهَا ثُرُوةً بَعْدَ فَاقَةٍ .

ومن بديع التقسيم في هذا النوع قولُ البحتري :

كَأَنَّكَ السِّيفُ حَدَّاهُ وَرَوَّنَقَهُ      وَالغَيْثُ وَابِلُهُ الدَّائِي وَرَيِّقُهُ  
هَلْ انْكَارُمُ إِلَّا مَا تُجْمَعُهُ      أَوْ الْمَوَاهِبُ إِلَّا مَا تَقْرَقُهُ

وقال الحسن بن سهل يوماً للمأمون : الحمد لله يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى جَزِيلِ مَا آتَاكَ ؛

(١) في نسخة « كانوا يداً فقطعتها ، وعقدة فنقضتها ، ورُكناً فهدمته ، وجناحاً

وَسَيِّ ما أعطاك ؛ إذ قَسَمَ لك الخلافة ، ووهب لك معها الحجّة ، ومكّنتك بالسلطان ، وحلّاه لك بالعدّل ، وأَيَّدَكَ بالظفر ، وشفّعه لك بالعفو ، وأوجب لك السعادة ، وقرّنها بالسياسة ، فمن فُسِحَ له في مثل عطية الله لك ؟ أم من ألبسه الله تعالى من زينة المواهب ما ألبسك ؟ أم من ترادفت نعمُ الله تعالى عليه ترادفها عليك ؟ أم من حاولها وارتبطها بمثل محاولتك ؟ أم أى حاجة بقيت لرعيّتك لم يجدوها عندك ؟ أم أى قيّم للاسلام انتهى إلى غايتك ودَرَجتك ؟ تعالى الله ! ما أعظم ما خصّ القرن الذى أنت ناصره ! وسبحان الله ! أية نعمة طبّقت الأرض بك إن أدّى شكرها إلى بارئها ، والمنعم على العباد بها ؟ إن الله تعالى خلق الشمس في فلكها ضياء يستنيرُ بها جميعُ الخلائق ؛ فكلُّ جوهر زهّا حسنه ونوره فهي ألبسته زينته لما اتصل به من نورها ؟ وكذلك كل ولى من أوليائك سَعِدَ بأفعاله في دولتك ، وحَسُنَتْ صنائعه عند رعيّتك ، فإنما نالها بما أيدته من رأيك وتديريك ، وأسعدته من حسنك وتقويمك .

[ بنين قينة وأربعة من عشاقها ]

قال بعضُ الظرفاء : اجتمع لَقَيْنَتَانِ أربعةٌ من عشاقها ، وكلّهم يُورَى عن صاحبه أمره ، ويُخْفَى عنه خبره ، ويُومى<sup>(١)</sup> إليها بمحابه ، ويناجيها بلحظه ؛ وكان أحدهم غائباً فقدم ، والآخر مقبلاً قد عَزَمَ على الشخوص ، والثالث قد سَلَفَتْ<sup>(٢)</sup> أيامه ، والرابع مستأنفةٌ مودّته ؛ فضحكت إلى واحد ، وبَكَتْ إلى آخر ، وأقصت<sup>(٣)</sup> آخر ، وأطعمت آخر ؛ واقترح كل واحد منهم ما يشاكلُ بته وشأنه ؛ فأجابته فقال القادم : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَنَحْسِنِ :

ومن يَنَأُ عن دارِ الهوى يُكْثِرُ البُكَاءَ وقَوْلَ لَهـِـلى أو عسى سَيَكُونُ

(١) يومى : يشير (م) (٢) سلفت : مضت (م) (٣) أقصت : أبعدت (م)

وما اخترتُ نأى الدار عنك لِسَلْوَةٍ ولكنّ مقاديرُ لهنّ شـوونُ  
فَقَالَتْ : أَحْسِنُهُ ، وَلَا أَقِيمُ لِحَنَّهُ ، وَلَكِنْ مُطَارَ حَه لَتَسْتَغْنَى بِهِ عَنْهُ ، لَقَرُّ بِهِ  
مَنْهُ ، وَأَنَا بِهِ أَحْذَقُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

وما زلتُ مُدْشَطَّتْ بِكَ الدَّارُ بِأَكْيَا أَوْمَلُ مِنْكَ الْعَطْفَ حِينَ تَوْوُبُ  
فَأَضَعَفَتْ مَا بِي حِينَ أَبَتْ وَزِدْتَنِي عَذَابًا وَإِعْرَاضًا وَأَنْتَ قَرِيبُ  
وَقَالَ الظَّاعِنُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَتُحْسِنِينَ :

أَزِفَ الْفِرَاقُ فَأَعْلَنِي جَزَعًا وَدَعَى الْعِتَابَ فَإِنَّا سَافِرُ  
إِنَّ الْحَبَّ يَصُدُّ مَقْتَرِبًا فَإِذَا تَبَاعَدَ شَقَّهُ الذِّكْرُ

قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَحْسَنَ مِنْهُ وَمَنْ إِيقَاعُهُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

لَأَقِيمَنَّ مَأْتِمًا عَنْ قَرِيبٍ لَيْسَ بَعْدَ الْفِرَاقِ غَيْرُ النَّحِيبِ  
رَبْمَا أَوْجَعَ النُّوَى لِلْقُلُوبِ ثُمَّ لَا سِيَّيَا فِرَاقُ الْحَبِيبِ<sup>(١)</sup>

ثُمَّ قَالَ السَّالِفُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَتُحْسِنِينَ :

كُنَّا نَعَاتِبُكُمْ لِيَالِي عُدُوكُمْ حُلُوُ الْمَذَاقِ وَفِيكُمْ مَسْتَعْتَبُ  
فَالْآنَ حِينَ بَدَأَ التَّنَكُّرُ مِنْكُمْ ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ عَنْكُمْ مَذْهَبُ

قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

وَصَلَّتْكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صَارَ نَهْبًا مُقَسِّمًا  
وَلَنْ يَلْبِثَ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاوِهِ إِذَا كَثُرَ الْوَرَادُ أَنْ يَتَهَدَّ مَا

فَقَالَ الْمُسْتَأْنَفُ : أَتُحْسِنِينَ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ :

إِنِّي لِأَعْظُمُ أَنْ أَبُوحَ بِحَاجَتِي وَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّمِي  
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَبَيْتَنِي أَحَدًا وَلَا آذَنَتَنِي بِتَكْلَمٍ<sup>(٢)</sup>

(١) فِي نَسْخِهِ « رُبْمَا أَوْجَعَ النُّوَى الْقَلْبَ حَزْنًا » وَفِي أُخْرَى « رُبْمَا أَوْجَعَ

الْهَوَى لِلْقُلُوبِ » (م) (٢) فِي نَسْخَةٍ « وَلَا أَبْدَيْتَنِي بِتَكْلَمٍ » (م)



فَقَالَتْ : نَعَمْ ، وَمِنْ غَنَاءِ صَاحِبِهِ <sup>(١)</sup> ؛ ثُمَّ غَنَتْ :  
لَعْمَرِكَ مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا      سَوَانَا ، حِذَارًا أَنْ تَذِيعَ السَّرَائِرَ  
وَلَا خَالَطَتْهُمْ مُقْلَتَانِي بِنَظَرَةٍ      فَتَعْلَمَ نَجْوَانَا الْعِيُونَ النُّوَاطِرُ  
وَلَسَكُنْ جَعَلْتَ الْوَهْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      رَسُولًا فَأَدَّى مَا تُجِنُّ الضَّمَائِرَ  
أَكَاثِمَ مَا فِي النَّفْسِ خَوْفًا مِنَ الْهَوَى      مَخَافَةً أَنْ يُغْرِى بِذِكْرِكَ ذَاكَرُ  
فَتَفَرَّقُوا وَكَلَّمَهُمْ قَدْ أَوْمَأَ بِحَاجَتِهِ ، وَأُجَابَتْهُ بِجَوَابِهِ .

[ بَيْنَ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَقَيْنَةِ ]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَزِ : كَانَ لَنَا مَجْلِسٌ حَظًّا أَرْسَلْتُ بِسَبِيهِ خَادِمَةً إِلَى قَيْنَةٍ  
فَأُجَابَتْ ، فَلَمَّا مَرَّتْ فِي الطَّرِيقِ وَجَدْتُ فِيهِ حَارِسًا فَرَجَعْتُ ، فَأَرْسَلْتُ أُعَاتِبَهَا  
فَكَتَبَتْ إِلَيَّ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى سَيِّدِي فِي عَشِيْقِي أُمَسِّ لِأُرَى وَجْهَهُ الْمُبَارَكِ  
وَأُجِيبَ دَعَاءَهُ ، إِلَّا لَعَلَّةَ قَدْ عَرَفْتُهَا فَلَانَةَ ، ثُمَّ خِفْتُ أَنْ يَسْبِقَ إِلَى قَلْبِهِ الطَّاهِرِ  
أَنْتِي قَدْ تَخَلَّفْتِ بَغَيْرِ عَذْرِ ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَقْرَأَ عَذْرِي بِخَطِّي ، وَوَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ عَلَى  
الْحَرَكَةِ ، وَلَا شَيْءٍ أَسْرَّ إِلَيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ ، وَالْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَنْتِ يَا مَوْلَايَ  
جَاهِي وَسَنَدِي ، لَا فَمَدْتُ قَرْبَكَ ، وَلَكِ رَأْيُكَ فِي بَسْطِ الْعُذْرِ مُوَفَّقًا .  
وَكَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ :

أَلَيْسَ مِنَ الْحَرَمَانِ حَظًّا سُلِبَتْهُ      وَأُخَوِّجَنِي فِيهِ الْبَلَاءُ إِلَى الْعُذْرِ  
فَصَبْرًا فَمَا هَذَا بِأَوَّلِ حَادِثٍ      رَمَتْنِي بِهِ الْأَقْدَارُ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي  
فَأُجِيبُهَا : كَيْفَ أُرَدُّ عُذْرُ مَنْ لَا تَتَسَلَّطُ التَّهْمَةُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَهْتَدِي الْمَوْجِدَةُ إِلَيْهِ !  
وَكَيْفَ أَعْلَمُهُ قَبُولَ الْمَعَاذِيرِ ، وَلَسْتُ أَمَّنُ بَعْضَ خَوَاطِرِهِ <sup>(٢)</sup> أَنْ تُشِيرَ إِلَى انْتِهَازِ  
فُرْصَةٍ فِيمَا دَعَا إِلَى الْفُرْقَةِ ؛ وَإِنْ سَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ فَمَنْ يُجِيرُنِي مِنْ تَوَكُّلِهِ

(١) فِي نَسْخَةٍ « أَحْسَنُ مِنْ غَنَاءِ صَاحِبِهِ » (م)

(٢) فِي نَسْخَةٍ « بَعْضُ جَوَاهِرِهِ إِلَى يَسِيرٍ إِلَى انْتِهَازِ فُرْصَةٍ فِيمَا عَادَ إِلَى الْفُرْطَةِ »

على تقديم العذر ، ووقوعه مواقع التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلة ، وتنقضي أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرس آثار المودة ، وكتبت في آخر الرقعة :

إذا غبت لم تعرف مكاني لذة ولم يلق نفسي لهوها وسرورها  
وحدثت سمعاً واهناً غير ممسك لقولي ، وعيناً لا يراني ضميرها

[بين ابن المعتز وبعض الوزراء]

وكتب إلى بعض الوزراء : ما زال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب الحبال ، ويطلب العوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك تشيعاً زخرفه<sup>(١)</sup> ، وكذبا زوره ، وكيف الاحتراس ممن يحضر وأغيب ، ويقول وأمسك ؟ أمر تصد لا تفعل وما كراً لا يفتر ؛ وربما استنصح الغاش ، وصدق الكاذب ؛ والخطوة لا تدرك بالحيلة ، ولا يجري أكثرها على حسب السبب والوسيلة .

فأجابه : حصول الثقة بك - أعزك الله ! - تُفني عن حضورك ، وصدق حالتك يحتج عنك ، وما تقرّر عندنا من نيتك وطويتك يُفني عن اعتذارك .

[ من شعر ابن المعتز ]

وقد قال ابن المعتز :

أخفى عليك الدهر مقتدراً	والدهر ألام غالب ظفراً
ما ذات تلتقى كلّ حادثة	حتى حناك وببيض الشعراً
فالآن هل لك في مقاربة	فلقد بلغت الشيب والكبرا
لله إخوان فقدتهم	سكنوا بطون الأرض والخفراً
أين السبيل إلى لقائهم	أم من يحدث عنهم خبراً
كم مورق بالبشر مبتسم	لا أجتني من غصنه ثمراً

(١) في نسخة « وأبلغك شيئاً زخرفه » (م)

ما زال يُولينى خـ لا تـ  
وصبرت أرقبـه وما صبرا  
وعـدو غيب طالـب لـدى  
لو يستطيعُ لجـاوز القـدرا  
يُورى زنادى كى يُخادعنى  
ويطير فى أثـوابى الشـرا  
وقال أيضا :

وإنى على إشفاق عيني من القذى  
لتجمع منى نظرة ثم أطرق<sup>(١)</sup>  
كما حللت من برد ماء طريـدة  
تمد إليه جيـدها وهى تفرق<sup>(٢)</sup>  
وقال :

وما زلت مـدشـدت يـدى عـقد مـزرى  
غناى لغيرى وافتقارى على نفسى  
ودل على الحمـد مـجـدى وعـفى  
كما دل إشراق الصـباح على الشمس  
وقال :

سعى إلى الدن بالمـيزال ينقره  
ساقٍ توشح بالمنـديل حين وثب  
لما وجـاهـا بدت صفراء صافية  
كأنما قد سـيرا من أديمـ ذهب  
وقال :

لبست صفرة فكم فتنت من  
أعين قد رأيتها وعقول  
مثل شمس الغروب تسحب ذبلا  
صبغته بزغفران الأصـيل  
والشمس عند طلوعها ، وعند غروبها ، تمكّن الناظر إليها فيمكن التشبيه  
بها ؛ قال قيس بن الخطيم :

فرأيت مثل الشمس عند طلوعها فى الحسن أو كدنوؤها لغروب

(١) فى نسخة « لتسبح منى نظرة ثم أطرق » (م)

(٢) وفيها « حللت عن برد ماء ... وهى تعرف » وحللت: منعت وطردت (م)

[جرير في المدينة يُغري بشعر قيس بن الخطيم]

ولما قدم جرير بن الخطفي المدينة اجتمع إليه أهلها ، وقالوا : يا أبا حَزْرَةَ !  
أنشدنا من شعرك ، قال : ما تصنعون به ؟ وفيكم من يقول :

أني سربت وكنت غير سرور      وتقربُ الأحلامُ غيرَ قريبِ  
ما تمنى يقظي فقتلته نولته      في النوم غير مُصردٍ محسوب<sup>(١)</sup>  
كان المني يُلقي بها فلقيتها      فلهوت عن لهُوِ امرئ مكذوب<sup>(٢)</sup>  
فرأيتُ مثل الشمس عند طلوعها      في الحُسْنِ أو كدُنُوها لغروب  
تخطو على بردٍ يتين غداهما      غدقُ بساحةٍ حائرٍ يعبوب<sup>(٣)</sup>

[يعقوب بن داود]

وقع يزيد بن خالد الكوفي رقعة إلى يعقوب بن داود ضمنها :

قل لابن داود والأنباء سائرة :      لا يُحزِرُ الأجرُ إلا مَنْ له عملُ  
يا ذا الذي لم تزل يُمنّاه منذ خلقت      فيها لباغى نداه العللُ والنهْلُ  
إن كنت مسدى معروفٍ إلى رجلٍ      لفضل شكرٍ فأبى ذلك الرجلُ  
فأمننُ على ببرِّك منك ينعشني      فإنني شاكرُ المعروف محتملُ  
قال يعقوب : قد جرّبنا شكرك فوجدناه قد سبق برّنا ، وقد أمرتُ  
لك بعشرة آلاف درهم [تصلح حالك] ، وليست آخر ما عندنا لك ،  
فاستوفأها حتى مات .

(١) مصدر - بزنة المعظام - المقطع ، وفي نسخة « مسرد » تحريف (م)

(٢) في نسخة « بمن لهو - أرى - مكذوب » وما أثبتناه يوافق الأما

٢٧٣/٢ وحامسة ابن الشجري ١٨٩ (م)

(٣) وقع هذا البيت في نسخة ، على هذا الوجه :

يخطو على برد يمين خطاها      غدقُ مخافة خابر لغيوب  
وهذا البيت ليس في الأما ولا في حماسة ابن الشجري ، وهو في ديوان قيس  
ص ٦ سادس أبيات قطعة عدتها ثلاثة عشر بيتا (م)

ولما سخط المهدي على يعقوب أحضره ، فقال : يا يعقوب ! قال : لبيك  
يا أمير المؤمنين تلبية مكروبٍ لِمَوْجِدَتِكَ ، شَرَقَ بَعْصَتَكَ ، قال : ألم أرفع قَدْرَكَ  
وأنتَ خاملٌ ، وأسَيَّرَ ذِكْرَكَ وأنتَ هاملٌ ، وألْبَسْتُكَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تعالى ونِعَمِي  
مالم أجِدْ عندَكَ طاقةً لِحمله ، ولا قياماً بِشُكْرِهِ ؟ فكيف رأيتَ الله تعالى أظهر  
عليك ، وردَّ كَيْدَكَ إليك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإني معترف ،  
وإن كان بسعاية الباغين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ؛ وأنا عائد  
بكرمك ، وعميم شرفك .

عقال : لولا الحنث <sup>(١)</sup> في دَمَكِ لألبستك قميصاً لا تشد عليه زراً <sup>(٢)</sup> ؛ ثم أمر به  
إلى الحبس ، فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كَرَمٌ ، والمودة رَحِمٌ ،  
وما على العفو نَدَمٌ ، وأنت بالعفو جدير ، وبالحاسن خَلِيقٌ . فأقام في السجن  
إلى أن أخرجه الرشيد .

\*\*\*

أخذ معنى قول المهدي : « لألبسك قميصاً لا تشدّ عليه زرا »  
أبو تمام فقال :

طَوَّقَتْهُ بِالْحَسَامِ طَوَّقَ رَدَى      أَغْنَاهُ عَنْ مَسِّ طَوَّقِهِ بِيَدِهِ

وقال ابن عمر في معنى قول الطائي :

طَوَّقَتْهُ بِحَسَامِ طَوَّقَ دَاهِيَةٍ      لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ شَدَّ أَرْزَارِ

\*\*\*

(١) في نسخة « لولا الحبس في دمك » (م)

(٢) في نسخة « لا تشد عليه أزرارا » (م)

ولما قبض المهدي على يعقوب ورأى أبو الحسن النخري مئيل الناس عليه ،  
وكان مختلطاً به قال :

يعقوبُ لا تَبْعَدَ وَجُنَّبَتِ الردى      فلا بكيْنٌ كما بكى الغُصْنُ الندى <sup>(١)</sup>  
لو أنَّ خيرك كان شرّاً كلهُ      عند الذين عدوا عليك لما عدا  
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين [ فى الغزل ] فقال :  
لو أن هجرَك كان وَضِلاً كلهُ      مما أقاسى منك كان قليلاً

[بين أحمد بن أبي دواد والواثق]

قال أبو العيْناء : قال لى أحمد بن أبى دُواد : دخلت على الواثق فقال لى :  
ما زال اليوم قومٌ فى ثلبك ونقصك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ  
منهم ما اكتسب من الإنم ، والذى تولى كِبَرَه منهم له عذاب عظيم ، والله  
ولى جزائه ؛ وعقابُ أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلَّ - يا أمير المؤمنين -  
من كنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟  
قال : قلت يا أبا عبد الله :

وسعى إلى بصرم عَزَّةَ مَعْشَرٌ      جعل الإلهُ خُدودَهنَّ نِعالها <sup>(٢)</sup>

قال الفتح بن خاقان : ما رأيت أظرف من ابن أبى دواد ؛ كنت يوماً  
ألاعب المتوكل بالترد ، فاستوذَن له عليه ، فلما قَرُب منا هممت برفعها ، فنعنى  
المتوكل وقال : أجاهرُ الله وأشتره من عباده ؟ فقال له المتوكل : لما دخلت  
أراد الفتح أن يرفع الترد ! قال : خاف يا أمير المؤمنين أن أعلم عليه !  
فاستحليناه ، وقد كنا تجهمناه .

(١) فى نسخة « فلا بكيْنك ما بكى الغصن الندى » (م)

(٢) فى نسخة « وسعى إلى بعيب عزة معشر » (م)

[ من خطباء العرب شبيب بن شيبه وخالد بن صفوان ]

قيل لبعض الأمراء : إن شبيب بن شيبه<sup>(١)</sup> يتعمّل الكلام ويستدعيه ،  
فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لافتضح ؛ فأمر رسولا فأخذ بيده فصعد به المنبر ،  
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن لأمر  
المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع  
الناضر ، فأما الأسد الخادر فأشبهه صولته ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه  
جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبهه نوره وضياؤه ، وأما الربيع الناضر  
فأشبهه حسنه وبهائه ، ثم نزل .

وهذا الكلام يُنسبُ إلى ابن عباس يقوله في علي بن أبي طالب رضى الله عنهما .  
وكان شبيب بن شيبه من أفصح الناس وأخطبهم ، ويشبه بخالد بن صفوان ؛  
غير أن خالداً كان أعلى منه قدراً في الخاصة والعامة . وذكر خالد شبيباً فقال :  
ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية . وكانت بينهما معارضة<sup>(٢)</sup> للنسب  
والجوار والصناعة ، ولما قال الشاعر :

ففتح شبيباً عن قراع كتيبة وأذن شبيباً من كلام مُلقٍ

وكان لا ينظر إليه أحد وهو يخطب إلا تبين فيه الخجل .

وقال أبو تمام لعلي بن الجهم :

لو كنت يوماً بالنجوم مُصدّقاً لزعمتُ أنك نلتَ شكلَ عطارِدٍ

أو قدّمتك السنّ خلتُ بأنّه من لفظك اشتقتُ بلاغةُ خالدٍ

وقالت له امرأة : إنك لأجمل يا أبا صفوان . قال : كيف تقولين هذا وما

في عمود الجلال ولا ردّائه ، ولا برّ نسّه . عموده الطول ، ولست بطويل ، وردّائه

(١) تختلف الأصول في هذا الاسم ؛ فبعضها يقع فيه « شبيب بن شيبه » بياء  
موحدة مشددة بعد الشين ، وبعضها يقع فيه « شبيب بن شيبه » بياء مشاة تحتية  
ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ، ويتعمّل الكلام : يتكلّفه (م) (٢) في نسخة  
« مفاوضة » (م)

البياض ، ولست بأبيض ، وبُرْنَسِه سواد الشعر ، وأنا أشمط ! ولكن قولي :  
إنك للمليح .

وكان خالد حافظاً لأخبار الإسلام ، وأيام الفتن ، وأحاديث الخلفاء ،  
ونوادر الرواة ، وكل ما تصرف فيه أهل الأدب ، وله يقول مكى بن سودة :

عَلِيمٌ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ مَلَقَنَّ ذَكَورُ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلُ أَوَّلَا  
يُبْدِي قَرِيعَ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ وَلَوْ كَانَ سَحْبَانُ الْخَطِيبِ وَدَغْلَا  
تَرَى خُطْبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ أَرْتَجَالَهُ كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ صَادَفَ أُجْدَلَا<sup>(١)</sup>

أما سَحْبَانُ الذي ذكره فهو خطيبُ العربِ بأسرها غير منازع ولا مدافع ،  
وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ، ولم يتوقف ، ولم يتحسّس ، ولم يفكر في استنباط ،  
وكان يسيل غريباً ، كأنه آذَى بَحْرٍ<sup>(٢)</sup> .

ويقال : إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان وجههم سعيد بن عثمان ،  
وطلب سَحْبَانَ فلم يوجد عامة النهار ، ثم اقتَضِبَ من ناحية كان فيها اقتضاباً ،  
فدخل عليه فقال : تكلم ، فقال : انظروا لي عصاً تُقِيمُ من أودى ، فقال له  
معاوية : ما تصنعُ بها ؟ فقال : ما كان يصنع موسى عليه الصلاة والسلام وهو  
يخاطبُ ربَّه وعصاه بيده ، فجاءوه بعصا فلم يَرْضَهَا . فقال : جيئوني بعصا ،  
فأخذها ، ثم قام فتكلم منذ صلاة الظهر إلى [أن فاتت] صلاة العصر ، ماتدَحْنَحَ ،  
ولا سَعَلَ ، ولا توقف ، ولا تحسّس ، ولا ابتداء في معنى فخرج منه إلى غيره حتى  
أتمته ولم يبق منه شيء ، ولا سأل عن أى جنس من الكلام يخاطب فيه ، فما  
زالت تلك حاله وكل عين في السامطين شاخصة إلى أن أشار له معاوية بيده  
أن اكبت ، فأشار سَحْبَانُ بيده أن دَعْنِي لا تَقْطَعْ عَنِّي كلامي ، فقال له معاوية :  
[ الصلاة ، فقال : هي أمامك ونحن في صلاة يتبعها تحميد وتمجيد ، وعظة وتنبيه

(١) الأجلد : الصقر ، وهو من كواسر الطير (م)

(٢) الآذَى : الموج (م)



وتذكير ووعد ووعيد ، فقال معاوية : [ إنك أخطبُ العرب ، فقال سحبان :  
والعجم ، والجن ، والإنس .

### [ عجلان بن سحبان ]

وكان ابنه عجلان حُلُوَ اللسان ، جَيِّدَ الكلام ، مليح الإشارة ، يجمعُ مع  
خطابته شعراً جيداً ، ويضرب الأمثال إذا خطب ، وينتزع النادر من الشعر ،  
والسائر من المثل ، فَتَحُلُوْهُ خُطْبَتُهُ ، وَكَانَ يَزُنُ كَلَامَهُ وَزَنًا .

### [ دغفل بن حنظلة النسابة ]

وأما دَغْفَلُ الذي ذكره مكى بن سَوَادَةَ فهو دَغْفَلُ بن حَنْظَلَةَ بن يزيد أحد  
بنى ذهل بن ثعلبة النسابة ، وكان أعلمَ الناس بأنساب العرب ، والآباء والأمهات ،  
وأحفظهم لمثالبها ، وأشدَّهم تنقيراً وَبَحْثًا عن معائب العرب ، ومثالب النسب .  
قال له معاوية يوماً : والله لئن قلت في هذا البيت <sup>(١)</sup> من قريش ماتجد في آل  
حَرْبٍ مقالاً ؛ فتبسَّمت دَغْفَلُ ؛ فقال له معاوية : والله لتخبرني بتبسمك ، وما انضمت  
عليه جوانحك ، أو لأضربنَّ عنقك ، وما آمنُ أن تكذب أو تزيد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم من بى عبد مناف كسنام كَوْمَاءَ فَتَيَّةٍ <sup>(٢)</sup> ، ذاتِ  
مرعى خصب ، وماء عذب ، وأكمة بارزة ، فهل يوجد في سنام هذه مدب  
قُرَادٍ من عاهة ؟ فقال له معاوية : أولى لك ! لو قلت غير هذا ؛ أما على ذلك  
لو رأيت هنداً وأباها ، وزوجها ، وأخاها ، وعمها ، وخالها ، لرأيت رجالاً تحارُّ أبصارُ  
مَنْ رآهم فيهم ، فلا تجاوزهم إلى غيرهم ، جلالَةً وبهاءً .

### [ وصف العصا لأعرابي بين يدي الحجاج ]

وعلى ذكر العصا لقي الحجاج أعرابياً فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من

(١) في نسخة « في هذا النسب من قريش » (م)

(٢) الكوماء: الناقة العظيمة السنام (م)

البادية . قال : ما بيديك ؟ قال : عصا أركزُها لصلاتي ، وأعدُّها لعداتي ، وأسوقُ بها دابَّتي ، وأقوى بها على سقري ، وأعتدُّ بها في مشيتي ، ليتَّسعَ بها خطوِي ، وأعبرُ بها<sup>(١)</sup> النهر فتؤمنني ؛ وألقى عليها كسائي فتسترنني من الحرِّ ، وتقيني من القرِّ ، وتُدني ما بعد مني ، وهي تحمِّلُ سُفرتي ، وعلاقة إداوتي ، ومِسْجَب ثيابي ، أعتدُّ بها عند الضَّراب ، وأقرِّع بها الأبواب ، وأنتقي بها عَقُور السِّكَّالِب ، تنوبُ عن الرُّمَح في الطَّعان ، وعن الحِرْز<sup>(٢)</sup> عند منازلة الأقران ، ويرثها عن أبي ، وأورثها بعدى ابني ، وأهشُّ بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى ، كثيرة لا تُحصى .

[ عِزَّة الخليل بن أحمد ]

قال النضر بن شميل : كتب سليمان بن علي إلى الخليل بن أحمد يستدعيه الخروج إليه ، وبعث إليه بمال كثير ، فردّه وكتب إليه :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة  
وفي غنى غير أني لستُ ذا مالٍ  
يسخو بنفسي أني لا أرى أحداً  
يموت هزلاً ولا يَبْقَى على حالٍ  
والفقرُ في النفس لافي المال نَعْرِفه  
ومثلُ ذاك الغنى في النفس لا المال  
والمالُ يَفْشَى أناساً لا خلاق لهم  
كالسَّيْلِ يَفْشَى أصول الدَّندِنِ البالي<sup>(٣)</sup>  
كلُّ امرئٍ بسبيل الموت مرتَهَنٌ  
فاعملْ لنفسك ، إني شاغلٌ بآلي  
أخذ هذا الطائي فقال :

لا تُنْكِرْ عطل الكريم من الغنى  
فالسَّيْلُ حربٌ للمكان العالي  
وقال أيضاً يصف قوماً خُصُوا بآبن أبي دواد :  
نزلوا مركز النَّدَى وذَرَاهُ  
وَعَدَّتْنا من دون ذاك العَوادِي

(١) في نسخة « وأبث بها النهر » ولا وجه له (م)

(٢) في نسخة « وعن الحرب » (م)

(٣) الدندن - بكسر الدالين - كل ما اسود من نبات أو شجر (م)

غير أن الربا إلى سُبُل الأنواء أَدْنَى ، والحظُّ حظ الوهاد<sup>(١)</sup>  
وهذا الشعر من أصلح شعر الخليل ، وكان شعره قليلا ضعيفا ، بالإضافة  
إليه وهو أستاذ النحو والغريب ، وقد اخترع علم العروض من غير مثال تقدمه ،  
وعنه أخذ سيبويه ، وسعيد بن مسعدة ، وأئمة البصريين ، وكان أوسع الناس  
فِطْنَةً ، وألفهم ذهنا . قال الطائي :

فلو نُشِر الخليل إذا لَمَعَتْ رَزَاياه على فِطْنِ الخليلِ

للصابي يعزى  
عن صف

[ من رسائل الصابي ]

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى محمد بن عباس يعزیه عن طفل :  
الدنيا ، أطال الله بقاء الرئيس ، أقدارٌ تَرَدُّ في أوقاتها ، وقضايا تَجْرِي إلى  
غاياتها ، ولا يُرَدُّ منها شيءٌ عن مداه ، ولا يصدُّ عن مطلبه ومنهجه ؛ فهي كالسهم  
التي تثبت في الأغراض ، ولا ترجعُ بالاعتراض ؛ ومن عرف ذلك معرفة  
الرئيس لم يَغْضَ من الزيادة ، ولم يَقْنَطْ من النقيصة<sup>(٢)</sup> ، وأمن أن يستخفَّ أحدُ  
الطرفين حلمه ، ويستزل أحدُ الأمرين حزمه ، ولم يدعُ أن يوطن نفسه على  
النازلة قبل نزولها ، يأخذ الأُبهة للحادثة قبل حلولها ، وأن يجاور الخيرَ  
بالشكر ، ويساور المِحنة بالصبر ؛ فيتخير فائدة الأولى عاجلا ، ويستمرى عائدة  
الأخرى آجلا .

وقد نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدراً ، الحديث سنّاً ، ما أَرْمَضَ ،  
وأَوْمَضَ ، وأَقْلَقَ وأَقْضَ ؛ ومننى من التألم له ما يحقُّ على مثلى ممن توافت  
أيادى الرئيس إليه ، ووجبت مشاركته في المم عليه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون  
وعند الله نحتسبه غُصْماً ذِرى ، وشهاباً خَباً ، وفرعاً دَلَّ على أصله ، وخطياً أُنْبِتَه

(١) الأنواء ، : الأمطار . واحدها نوء ، وفي نسخة « والحظ عند الوهاد » (م)

(٢) في نسخة « ولم يقنط عند المصيبة ولم يحزع عند النقيصة » (م)

وَشَيْخُهُ ؛ وإياه أسألُ أن يجعله للرئيس فَرَطًا صالحًا ، وذُخْرًا عتيديا ، وأن ينفعه يوم الدين ، حيث لا ينفعُ إلا مثله بين البنين ، بجوده ومجده .  
ولئن كان المصابُ عظيمًا ، والحادثُ فيه جسيمًا ، لقد أحسن اللهُ إليه ، وإلى الرئيس فيه ؛ أمّا إليه فإن الله نزهه بالاخترام<sup>(١)</sup> ، عن اقترافِ الآثام ، وصانه بالاحتضار ، عن ملابسة الأوزار ، فورد دنياه رشيدا ، وصدر عنها سعيداً ، نقي الصحيفة من سوادِ الذنوب ، برى الساحة من دَرَن العيوب ، لم تدنسه الجرائرُ ، ولم تعلق به الصغائر والكبائر ، قد رفع الله عنه دقيق الحساب ، وأسهم له الثواب مع أهل الصواب ، وألحقه بالصدّيقين الفاضلين في المعاد ، وبوّأه حيث أفضلهم من غير سَفِي ولا اجتهاد .

وأما الرئيس فإن الله عز وجل لما اختار ذلك له قبضه قبل رؤيته إياه على الحالة<sup>(٢)</sup> التي تكون معها الرقة ، ومعانيته التي تتضاعف معها الحُرقة ، وحماه من فتنه المرافقة ، ليرفعه عن جزع المفارقة ، [ وكان هو المبقى ] في دنياه ، وهو الواحد الماضي الذخيرة لأخراه ، وقد قيل : إن تسلم الجَلَّةُ فالسَخْلُ هدر<sup>(٣)</sup> ؛ وعزيز على أن أقول قول المهوّن للأمر من بعده ، وألا أوفى التوجع عليه واجب فقده ، فهو له سُلالة ، ومنه بضعة ، ولكن ذلك طريقُ التسلية ، وبيلُ التعزية ، والمنهجُ المسلوك في مخاطبة مثله ، ممن يقبل منفعة الذكرى وإن أغناه الاستبصار ، ولا يأبى ورود الموعظة وإن كفّاه الاعتبار ، والله تعالى يقي الرئيس المصائب ، ويعيده من النوائب ، ويرعاه بعينه التي لاتنام ، ويجعله في حِمَاه الذي لا يُرام ، ويُبقّيه موفورا غير منتقص ، ويقدمنا إلى سوء أمامه ، وإلى المحذور قدّامه ، ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة ، إذ كنت أراها من أسعد أحوالى ، وأعدها من أبلغ أمانى وآمالى .

(١) الاخترام : الموت (م)

(٢) فى نسخة « على الحالة التي تصعب معها الفرقة ، وتتضاعف عندها الحرقه » (م)

(٣) الجَلَّة - بكسر الجيم - اللسان من الإبل ، والسَخْل - بفتح فسكون - ولد

الشاة ، واحدة سخلة (م)

من الصانع  
إلى بعض  
الرؤساء

وكتب إلى بعض الرؤساء :

قد جَرَّتِ العادةُ — أطال الله بقاء الأمير! — بالتمهيد للحاجة قبل موردها ، وإسلاف الظنون الداعية إلى نجاحها ، وسالكُ هذه السبيل يسىء الظن بالمسئول ؛ فهو لا يَلْتَمِسُ فضله إلاَّ جزاءً ، ولا يستدعى طَوْلُه إلاَّ قضاءً ؛ والأميرُ بكرمه الغريب ، ومذهبه البديع ، يؤثر أن يكون السلفُ له ، والابتداء منه ، ويوجب للمهاجم برغبته عليه حقَّ الثقة به منه ، والحمدُ لله الذي أفردَه بالطرائق الشريفة ، وتوَحَّدَه <sup>(١)</sup> بالخلائق المنيفة ، وجعله عينَ زمانه البصيرة ، ولمعته الثابتة المنيرة <sup>(٢)</sup> .

[ من رسائل البديع ]

كتاب منه  
إلى بعض  
أصحابه

وكتب البديع في بابه إلى بعض أصحابه :

لَكَ أَعَزُّكَ اللهُ عادةُ فضل ، في كل فصل ، ولنا شَيْبُهُ مَقَّتْ ، في كل وقت ؛ ولعمري إن ذا الحاجة مَقِيَّتُ الظَّلْمَةِ ، ثَقِيلُ الوِطْأَةِ ، وَلَكِنْ لَيْسُوا سِوَاءَ [؛ أَوَّلُ] <sup>(٣)</sup> حاجة تحتاج إليهم الأموال ، وأولو حاجة تحوِّجهم الآمال .

والأمير أبو تمام عبدُ السلام بن الفضل <sup>(٤)</sup> المطيعُ لله أمير المؤمنين — أيده الله — إن أحوجَه الزمانُ فطالما خَدَمَهُ ، وإن أهانَه فكثيراً ما أكرمه وبقمه . وقد يَمَّا أَقْلَهُ السَّريِنَ ، وعَرَفَهُ الخَوَرَنَقُ والسدير . وإن نقصه المال فالعَرَضُ وافر ، وإن جفاه الملك فالفضلُ ظاهر ، وإن ابتلاه الله فَلْيَبْتَلِيكُمْ به فيَنْظُرْ كيف تفعلون . وأنت تقابلُ مورده عليك من الإِعْظامِ ، بما يستحقُّ من الإِكْرامِ ، فلا تنظرن إلى ثوبٍ بال ، فَتَحْتَهُ شَرَفٌ عال ، ولا تقس على البُرْدِ ، ما وراءه من الجَدِّ ، ولكن إن نظرت في شامخ أصله ، وراسخ عقله ، وشهادة القراسة له . ثم ليأت بعد هذه الآيات ما هو قضية المروءة معه ، والأخوة معي ، بَالِغاً في ذلك غاية جهده ، والسَّيْفُ لا يرى في غِمْدِهِ ، والحمد لله حقَّ حمده .

(١) في نسخة «ووحده» وهما بمعنى أفرده (م) (٢) في نسخة «الباقية المنيرة» (م)

(٣) من هنا إلى العنوان الذي وضعناه في ص ٩١٩ ساقط من جميع المطبوعات (م)

(٤) في الرسائل ( ص ١٦٠ ) «بن جعفر» (م)

كتاب منه  
إلى إبراهيم  
بن أحمد  
بن حمزة

وله إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن حمزة :  
لو كانت الدنيا أطال الله بقاء الشيخ ! — على مرادى تجرى ، لاخترت  
أن أضرب بهذه الحضرة أطناب عمرى ، وأنفق على هذه الخدمة أيام دهرى ،  
ولسكن فى أولاد الزنا كثرة . ولعين الزمان نظرة ، وقد كنت حَظِيتُ من خدمة  
الشيخ الحسن بشرة أنس نفعها بعض الوشاة على ، وذكر أنى أقمت بطوس بعد  
استئذانى إلى مرو ، وفى هذا ما يعلمه الشيخ ، فإن رأى أن يحسن جبرى بكتاب  
يطرز به مدمى فعل إن شاء الله تعالى .

كتاب آخر  
إلى أبى نصر  
الميكالى

وله فى هذا الباب إلى أبى نصر الميكالى :  
الشيخ — أعزه الله — مَلَكَ من قلبى مكانا فارغا<sup>(١)</sup> ، فزله غير منزل قلعة ،  
ومن مودتى ثوبا سابغا ، فلبسه غير لبسة خلعة ، ومن نصب تلك الشائل  
شبكة ، وأرسل تلك الأخلاق شركا ، فنص الأحرار فاستجهم ، وصاد  
الإخوان واسترقهم .

وتالله ما يُغَبِّنُ إلا من اشترى عبداً وهو يحدُّ حرّاً بأرخص من العبدئنا ، وأقلَّ  
فى البيع غبنا ، ثم لا يهتبل<sup>(٢)</sup> غرة وجوده ، وينتهز فرصة امتلاكه بجوده ، وأنا أنم  
للشيخ على مكربة يتيمة ، ونعمة وسيمة . فليعتزل من الرأى ما كان بهيما ، وليطلق  
من النشاط ما كان عقيما ، وليحلل حَبْوة التقصير ، وليرتجب جانب التأخير ،  
وليفتضَّ عذرتها ، وينقض حجتها وعمرتها ، برأى يجذب الجذبا ، ويعمر النشاط  
رباعه ؛ وتلك حاجة سيدى أبى فلان وقد ورد من الشيخ بحراً ، وعقد به جسراً ،  
وما عسر وعُدَّ هو مستعجزه ، ولا بعد أمر هو منتهزه ، ولا ضاعت نعمة أنابر يد  
شكرها ، وعزيم نشرها ، وولى أمرها ؛ وهذا الفاضل قرارة مائها ، وعماد بنائها ؛  
وقد شاهدت من ظرفه ، ما أعجز عن وصفه ، وعرفت من باطنه ما لم يُدرَ بظاهره ،  
ورأيت من أوله ما نَمَّ على آخره ، ثم له البيت المرموق ، والنسب الموموق ، والأولية

(١) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل  
ومزل قلعة : يعنى لا يطول المقام به (م) (٢) لا يهتبل : لا ينتهز (م)

قديمة ، والشيمة الكريمة ؛ وقد جَمَعْتَنَا في الود حلقة ، ونظَمْتَنَا في السفر رقة ، عرفني بما أنهض له وفيه ، فضمنت له عن الشيخ كَرَمًا لا يغلَقُ بابَه ، وغَدَقًا<sup>(١)</sup> يُخَلِّفُ سحَابُهُ ؛ فليخرجني الشيخ من عهدة هذه الثقة ، زادها إليه تأ كدًا ، إن رأى أن أسأل الشيخ في معناه عرفني كيف المأتى له ، وإنما أَطَلْتُ ليعلم صِدْقَ تَتَامَى ، وفرَّطًا تقليدي للمنة والزماي .

جواب منه  
عن صنعة

وله جواب عن صنعة بصاحب هذه العناية :

ورد فلان سيدى وهو عينُ بلدتنا وإنسانها ، ومقلتها ولسانها ؛ فأظهر آيات صلته ، لاجرم أنه وصل إلى الصميم ، من الإيجاب الكريم ، وهو الآن مقيمٌ بين وُح وريحان وجنة نعيم ، تحيَّته فيها سلام ، وآخر دعواه ذكرك وحسن الثناء إليك بما أنت أهله ، وأنا أصدقُ دعواه ، وأفتخر به افتخار الخصى بمتاع مولاه ، بد عرفته ولسنه ، وكيف يَجْرُ<sup>(٢)</sup> في البلاغة رَسَنَه ، فما ظنك به ؟ وقد ملكتها فانس لحظتها العيون ، وسلَّ صارمًا من فيه ، يُعيدُ شكرك ويُبديه ، وينشر كرك ويطويه ؛ والجماعة تمدحُ مدحه ، وتجرحُ بجرحه ، فزأيك في تحفظ أخلاقك في أثمرت هذا الشكر ، وأنتجت هذه المآثر الغر ، موفقًا إن شاء الله تعالى .

المقامة  
الأذربيجانية

ومن إنشائه في مقامات الاسكندري ، قال :

حدثنا عيسى بن هشام ، قال : لما نَطَقَنِي الغنى بفاضل ذَيْلِه ، أتهمتُ بمال بَيْتِه ، أو كنز أصبته ، فخرَّني الليلُ ، وسرَّتْ بي الخيلُ . وسلكتُ في بابي مسالكٍ لم يَرُضْهَا السيرُ ، ولا اهتدَّتْ إليها الطيرُ ، حتى طويتُ أرضَ غيبٍ وتجاوزتُ حدَّه ، وصيرتُ إلى حَيِّ الأَمْنِ ووجدتُ برَّده ، وبلغتُ ربيجان وقد حَفِيتِ الرواحلُ ، وأكَلَّتْهَا المراحلُ ، ولما بلغتُها :

(١) الغدق - بالتحريك - الماء الكثير (م)

(٢) في نسخة « يجرى » وليس بذاك (م)

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا  
 فمينا أنا يوما في بعض أسواقها إذ طلع رجل برُكوة قد اعتضدها<sup>(١)</sup>، وعصا  
 قد اعتمدها، ودنية قد تقلَّسها، وفوطه قد تطيلَّسها؛ فرغ عقيرته وقال : اللهم  
 يا مبدئ الأشياء ومعيدَها، ومحبي العظام ومبيدَها، وخالق المصباح ومديره،  
 وفالق الإصباح ومديره، وموصل الآلاء سابعة إلينا، ومُملك السماء أن تقع عيننا،  
 وبارئ النَّسم أزواجا، وجاعل الشمس سراجا، والسماء سقفا، والأرض فراشا،  
 وجاعل الليل سكنا والنهار معاشا، ومنشئ السحاب ثقلا، ومرسل الصواعق  
 نكالا، وعالم ما فوق النجوم، وماتحت التخوم. أسألك الصلاة على سيد المرسلين  
 محمد وآله الطاهرين، وأن تعينني على الغربة أثني حبيلها، وعلى العُسرة أعبو  
 ظلها، وأن تسهل لي على يدَي مَنْ فطرته الفطرة، وأطلعته الطهرة، وسعد  
 بالدين المتين، ولم يعم عن الحق المبين، راجلة تطوى هذا الطريق، وزادا  
 يسعني والرفيق .

قال عيسى بن هشام : فناجيتُ نفسي بأن هذا الرجل أفصحُ من إسكندريتنا  
 أبي الفتح، والتفتُ لفتهً، فإذا هو أبو الفتح . فقلتُ : يا أبا الفتح، بآع هذه  
 الأرض كيدك، وانتهى إلى هذا الشعب صيدك ؟ ! فأنشأ يقول :

أنا جَوَّالُ البَلا      دِ جَوَّابَةُ الأُفُقِ  
 أنا خُذْرُوفَةُ الزَما      نِ عِمَارَةُ الطُّرُقِ  
 لا تَلْمِني لَكَ الرِشا      دُ على كُدَيْتي وذُقِ

\*\*\*

وقال الطرماح بن حكيم :  
 وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ بيعةً      من الدهرِ إذ أهل الصفاء جميع

(١) ركوة : وعاء يجمع فيه ما يحصله ، واعتضدها : جعلها في عضده (م)



وإذ دهرنا فيه اعتزاز، وطيرنا سوا كن في أو كارهنّ وقوع  
 فهل لليالينا بنعف مليحة وأيامهنّ الصالحات رُجوع؟  
 كأن لم يرُ عكّ الظاعنون إلى بلى ومثل فراق الظاعنين يرُوع<sup>(١)</sup>

### [ أيام الشباب وأيام المشيب ]

وقال علي بن محمد [ بن الحسن ] العلوي :

واهّا لأيام الشباب وما لبسنا من الزخارف  
 وذهابهنّ بما عرّفنا من المناكر والمعارف  
 أيام ذكرك في دوا وين الصبّا صدر الصحائف  
 واهّا لأَيّامِي وأَيّام الشّهيّات المَراشِف  
 الفارسات البَجان قُضِبَنا على كُتُبِ الرّواذِف  
 والجماعات البَدْر ما بين الحواجِبِ والسوالِف  
 أيام يُظهِرُنَ الخِلالا ف بغير نَيّاتِ الخالِف  
 وقف النعيم على الصبّا وزلت من تلك المواقِف

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

دَعَتْنِي إلى عهد الصبّا رَبَّةُ الخدر  
 وقالت وماه العين يخطُّ كَحَلِّها  
 لمن تطلبُ الدنيا إذا كنت قابضاً  
 أراك جعلتَ الشيب للهَجْرَ عِلَّةً  
 وألقت قناعَ الخزّن عن وَاضِحِ الثَّغر  
 بصُفْرَةِ ماء الزعفران على النّحر  
 عنانك عن ذات الوِشاحين والشّذر  
 كأن هلالَ الشهر ليس من الشهر  
 وقال [ أحمد بن أبي طاهر ] :

(١) من أول موضع إشارتنا في ص ٩١٥ إلى هنا ساقط من جميع المطبوعات (م)

لأحمد بن  
أبي طاهر

يا من كَلِّفْتَ بِحَبِّهِ كَلْفِي بِكَاسَاتِ الْعُقَارِ  
وَحَيَاةَ مَا فِي وَجْنَتَيْكَ مِنَ الشَّقَائِقِ وَالْبَهَارِ  
وَوُلُوعِ رِدْفِكَ بِالْتَرَجُّرِجِ تَحْتَ خَصْرِكَ فِي الْإِزَارِ  
مَا إِنْ رَأَيْتَ لِحْسَنِ وَجْهِكَ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ نِجَارِ  
لَمَّا رَأَيْتَ الشَّيْبَ مِنْ وَجْهِهِ بِمَا يَحْكِي الْخَمَارِ  
[ قَالَتْ غِبَارٌ قَدْ عَلَا كَ فَقُلْتُ ذَا غَيْرِ الْغِبَارِ  
هَذَا الَّذِي تَقُلُّ الْمَلُو كَ إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الدِّيَارِ ]  
قَالَتْ ذَهَبْتُ بِحَجَّاتِي عَنِّي بِحَسَنِ الْاِعْتِذَاذِ  
يَا هَذِهِ أَرَأَيْتَ لَيْسَ لَمْذُ خَلَقْتَ بِلَا نَهَارِ  
وقال خالد الكاتب :

لخالد الكاتب

نَظَرْتُ إِلَى بَعِينٍ مِنْ لَمْ يَعْدِلِ  
لَمَّا رَأَتْ شَيْبًا أَلَمْ يَمْفَرَقِي  
وَوَلَّتْ أَطْلُبُ وَضَلَهَا بِتَمَلُّقِ  
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

كُنِيَ حَزَنًا أَنْ الشَّبَابَ مَعَجَلُ  
وَعَزَّالَكَ عَنْ لَيْلِ الشَّبَابِ مَعَاشِرُ  
فَقُلْتُ : نَهَارُ الْمَرْءِ أَهْدَى لِسَعِيهِ  
سَحَابُ الْفَتَى شَيْخُوخَةٌ أَوْ مَنِيَّةُ  
وقال :

كَانَ الشَّبَابُ وَقَلْبِي فِيهِ مَنَعِمَسُ  
فِي لَذَّةٍ لَسْتُ أُدْرِى مَا دَوَاعِيهَا

(١) الحمار : المرجع ، حار يحور : رجع ، والمنية : الموت ، والمرجوع : المرجع

أيضا ، ورمدد : الرماد (م)

رَوْحَ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ كَادَ يُبْرِدُهَا  
كَأَنَّ نَفْسِي كَانَتْ مِنْهُ سَارِحَةً  
يَمُضِي الشَّبَابُ وَيَبْقَى مِنْ لُبَابَتِهِ  
مَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدِي قَدَرُ نِعْمَتِهِ  
وَمَا كَانَ يُوزَنُ إعْجَابُ النِّسَاءِ بِهِ  
وَقَالَ :

إِذَا مَا رَأَيْتُكَ الْبَيْضَ صَدَّتْ ، وَزِيَا  
وَمَا ظَلَمْتُكَ الْغَانِيَاتُ بِصَدِّهَا  
أَعْرِ طَرَفُكَ الْمَرَاةَ وَانْظُرْ ؛ فَإِنْ نَبَا  
إِذَا شَنَنْتُ عَيْنَ الْفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ  
وَقَالَ كَشَاجِمُ :

وَقَفَّتَنِي مَا بَيْنَ حُزْنٍ وَبُؤْسٍ  
إِذْ رَأَيْتُنِي مَشْطُتٌ عَاجِئًا بِعَاجٍ  
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

بَكَرْتُ تَبَصَّرَنِي الرَّشَادُ كَأَنِّي  
وَتَقُولُ : وَيَحْكُ قَدْ كَبُرَتْ عَنِ الصَّبَا  
فَالِي مَتَى تَضَبُّوْ وَأَنْتَ مَتَمِّمٌ  
فَأَجَبْتُهَا إِنِّي عَرَفْتُ مَذَاهِبِي  
لَا أَهْتَدِي لِمَذَاهِبِ الْأَبْرَارِ  
وَرَمَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ بِالْأَعْذَارِ  
مُتَقَلِّبٌ فِي رَاحَةِ الْإِقْتَارِ  
فَصَرَفْتُ مَعْرِفَتِي إِلَى الْإِنْكَارِ

لَشَاجِمُ

لَأَبِي نَوَاسٍ

(١) يشجبها : يحزنها (م)

(٢) أصور : مائل (م)

(٣) يجور : ينسب إلى الجور ، وهو ضد العدل (م)

(٤) الشناءة : البغض والكراهية ، وشننت : أبغضت (م)

لأحمد بن زياد

وقال أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلَّ بياضه  
بمفرق رأسي قلت : أهلا ومرحبا  
ولو خلتُ أنى إن تركت تحيتي  
تنكّب عني رُمتُ أن يتنكبا  
ولكن إذا ما حلَّ كره فسامحت  
به النفس يوما كان لاكرهه أذهبا  
كان هذا البيت ينظر إلى قول الأول :

وجاشت إلى النفس أول مرة  
فرُدّت إلى معروفها فاستقرت  
أبو الطيب :

للمتنبي

أنكرت طارقة الحوادث مرة  
ثم اعترفت بها فصارت ديدنا  
ابن الرومي :

لابن الرومي

لاح شبي فصرت أفرح فيه  
مرح الطرف في العذار المحلى  
وتولّى الشباب فازددت غيا  
في ميادين باطلي إذ تولّى  
إن من ساء الزمان بشيء  
لأحقّ الورى بأن يتسلى  
[المتنبي :

أتراني أسـ ..... و نفس لما  
ساءنى الدهر ؟ لا ، لعمرى ، كلاً  
المتنبي :

للمتنبي

تضو الحياة لجاهل أو غافل  
عما مضى فيها وما يتوقع  
ولمن يغالط في الحقائق نفسه  
ويسومها طلب المحال فيطمع  
[البحترى<sup>(١)</sup> :

للبحترى

يكفيك من حقّ تخيل باطل  
تردى به نفس اللّيف فترجع

(١) سقطت هذه الكلمة من جميع المطبوعات ، والبيت الآتي ليس من قصيدة المتنبي التي منها البيتان السابقان على هذه الكلمة ، وهو ثابت في شعر البحترى ، لا جرم كانت هذه الكلمة من ألزم الالزامات (م)

وقلما تصحُّ مغالطات أهل العقول ، عند أهل التحصيل ، وما أحسن

ما قال الطائي :

لأبي تمام  
الطائي

لِعَبِّ الشَّيْبِ بِالْمَفَارِقِ ، بَلْ جَدَّ فَأَبْنَى تَمَاضِرًا وَلَعُوبًا<sup>(١)</sup>  
يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِانِ ذُنُوبًا<sup>(٢)</sup>  
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَزَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا  
وَقَدْ جَاءَ فِي التَّشَاغُلِ عَنِ الدَّهْرِ وَأَحْدَاثِهِ ، وَنَكَبَاتِهِ ، وَمَصَائِبِهِ ، وَنَجَعَاتِهِ ،  
وَالْتَسَلَى عَنِ الِهْمُومِ ، بِمَاءِ الْكَرُومِ ، شَعْرٌ كَثِيرٌ ؛ فَمَا يَتَعَلَّقُ مِنْهُ بِذِكْرِ الشَّيْبِ

لابن الرومي

قول ابن الرومي :

سَأَعْرِضُ عَنْ أَعْرَاضِ الدَّهْرِ دُونَهُ وَأَشْرِبُهَا صِرْفًا وَإِنْ لَمْ لَوْمْ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْكَأْسَ أَكْرَمَ خُلَّةً وَفَتَّ لِي وَرَأْسِي بِالْمَشِيبِ مُعَمَّمٌ  
وَصَلَّتْ فَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بَوْضُلِهَا وَقَدْ بَخِلْتُ بِالْوَصْلِ عَنِّي تَكْتُمُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَنْ صَارَ اللَّذَاتُ إِنْ خَانَ بَعْضُهَا لِيُزْغِمَ دَهْرًا سَاءَهُ فَهُوَ أَرْغَمُ  
أَمِنْ بَعْدَ مَتَوَى الْمَرْءِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى ضَيْقِ مَثْوَاهُ مِنَ الْقَبْرِ يَسْلَمُ  
وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الضَّيْقِ وَالضَّيْقِ فَرْجَةٌ أَبِي اللَّهِ ! إِنَّ اللَّهَ بِالْعَبْدِ أَرْحَمُ !

للعطوي

وقال العطوي :

أَعْجِبْتَنِي إِنْ أَنَاخَ بِي الدَّهْرُ فَاكْتُمْتُ إِلَى الْأَقْدَاحِ  
لَا تَرَدَّ الِهْمُومُ يُنْشِنُ أَظْفَا رَأً حِدَادًا يَشْرَبُ مَاءَ قِرَاحِ  
أَحْمَدَ اللَّهِ ، صَارَتِ الْكَأْسُ تَأْسُو دُونَ إِخْوَانِي الثَّقَاتِ جِرَاحِي  
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ [ وَنَحْلُهُ بَشَارًا ] :

لابن الرومي

وَقَدْ كُنْتُ ذَا حَالٍ أَطِيلُ أَدَّ كَارِهَا وَإِرْعَاءَهَا قَلْبِي لِأَهْتَزُ مُعْجِبًا<sup>(٤)</sup>

(١) تماضر ولعوب : من أسماء نساء العرب (م)

(٢) الثغام - بركة السحاب - نبت أبيض الزهر والتمر (م)

(٣) تكتم : من أسماء النساء أيضا (م)

(٤) في نسخة « وإرْعَاءَهَا قَلْبِي ثَوَى الدَّهْرِ مُعْجِبًا » (م)

فَبَدَّلْتُ حَالاً غَيْرَ هَاتِيكَ ، غَايَتِي      تَنَاسَى ذِكْرَهَا لَتَغْرُبَ مَغْرِباً  
وَكُنْتُ أَدِيرُ الْكَأْسَ مَلَأَى رَوِيَّةً      لِأَجْذَلَ مَسْرُوراً بِهَا وَلَا طَرَباً  
وَكَانَتْ مَزِيداً فِي سُرُورِي وَمُتَعَتِي      فَأَضَحَّتْ مَقْرَأً مِنْ هُمُومِي وَمَهْرَباً<sup>(١)</sup>  
وهذا كما قال في قَيْنَةٍ وإن لم يكن من هذا الباب :

شاهدت في بعض مشاهدت مُسَمِّعَةً      كَأَنَّمَا يَوْمُهُمْ أَيُّوْمَانِ فِي يَوْمٍ  
ظَلَلْتُ أَشْرَبُ بِالْأَرْطَالِ ، لَا طَرَباً      بِذَاكَ ، بَلْ طَلَبَا لِلشُّكْرِ وَالنُّوْمِ  
ومن ملبح شعره في الشيب :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَنَكَّرْتُ      أُمُورٌ - وَإِنْ عَدَّتْ صِفَاراً - عِظَامُ  
إِذَا رُمْتُ بِالْمُنْقَاشِ تَتَفَّ أَشَاهِي      أَتَمَحُّ لَهْ مِنْ بَيْنِهِنَّ الْأَدَاهِمُ  
يَرَوُّعُ مَنقَاشِي نَجُومَ مَسَامِحِي      وَهُنَّ لَعْنَتِي طَالِمَاتُ نَوَاجِمِ<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح  
كشاجم

أَخِي قُمْ فَعَاوِنِي عَلَى تَتَفِّ شَيْبَةٍ      فَإِنِّي مِمَّنْهَا فِي عَذَابٍ وَفِي حَرْبٍ  
إِذَا مَا مَضَى الْمُنْقَاشُ يَأْتِي بِهَا أَتَتْ      وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دُونِهَا جَارَةَ الْجَنْبِ  
كَبَّانٍ عَلَى السُّلْطَانِ يُجْزَى بِذَنْبِهِ      تَعَلَّقَ بِالْجِيرَانِ مِنْ شِدَّةِ الرَّغْبِ

وقد وشَّحت هذا الكتاب بقطع مختارة في الشيب والشباب ، وجئت ههنا  
بجُمْلَةٍ ، وهذا النوع أعظم من أن نحيط به اختياراً ، أو نبلفه اختصاراً .

شدور لأهل العصر ، في وصف الشيب ومدحه وذمه

ذَوَى غُصْنُ شَبَابِهِ . بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ ، [ أَخَذَ الشَّيْبُ بِعَيْنَانِ  
شَبَابِهِ ] ، غَزَاهُ الشَّيْبُ بِجِيُوشِهِ ، طَرَّرَ الشَّيْبُ شَبَابَهُ ، أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ ، أَلْجَهْ

(١) في نسخة « فأضحت معزى من همومي ومهرياً » (م)

(٢) في ابن الرومي « يراوغ منقاشي » (م)

بلجامه ، وقاده بزِمَامه ، علاه غبارُ وقائع الدهرِ . وزن هذا لابن المعتز \* هذا غبارُ وقائع الدهر \* بيناهو راقداً في ليل الشباب ، أيقظه صبحُ المشيب . طوى مراحل الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب . جاوز من الشباب مراحِلَ ، ووردَ من الشَّيبِ مَنَاهِلَ . فَلَّ الدهرُ شَبَابَ شبابه ، ومحا محاسنَ رُؤَاثِهِ . قضى بِأَكُورَةِ الشباب ، وأنفقَ نَصَارَةَ الزَّمَانِ . أخلق بُرْدَةَ الصَّبَا ، ونهاه النهي عن الهوى . طار غرابُ شبابه . انتهى شبابه ، وشاب أترابه . استبدل بالأدهم الأبلق ، وبالغراب العَقْعَقُ <sup>(١)</sup> . انتهى إلى أَشَدِّ الكهل ، واستعاض من حَمَلِك الغراب بقادمة النَّسر . افتَرَّعن نَابِ القارح ، وقرع نَاجِدَ الحلم ، وارتاضَ بِلِجَامِ الدَّهْرِ ، وأدرك عصرَ الحُنْكَةِ وأوان المسكة . جمع قوَّةَ الشباب إلى وَقَارِ المشيب . أسفر صبحُ المشيب ، وعَلَّتْهُ أهبّة الكبر . خرج عن حدِّ الحدائث ، وارتفع عن غِرَّةِ الفَرَارَةِ . نَفَضَ حَبْرَةَ الصبا ، وَوَلَّى دَاعِيَةَ الحُجَا . لمّا قام له الشيب مقام النصيح ، عدل عن علائق الحدائث بتوبة نَصُوح . الشيب حِلْيَةُ العقل وشِيْمَةُ الوقار . الشيب زبْدَةٌ مُحَضَّتْهَا الأيام ، وِفْضَةٌ سبكتها التجارب . سرى في طريق الرُّشْدِ بمصباح الشَّيب . عصى شياطين الشباب ، وأطاع ملائكة الشَّيب . الشيخ يقول عن عِيَان ، والشاب عن سَمَاع . في الشيب استحكام الوقار وتناهي الجلال ، وميسَمَ التجربة ، وشاهد الحُنْكَةِ الشيب مُقَدِّمَةُ الموتِ والهرَم ، والمؤْذِنُ بِالْخُرْفِ ، والقائد للموت . الشيبُ رسولُ المنية . الشيب عُتْوَانُ الفساد . والموتُ ساحل ، والشيبُ سفينةٌ بِقَرَبٍ مِنَ الساحل . صفا فلان على طول العمر ، صفاء التَّيَرُّ على شُغْبِ الجمر <sup>(٢)</sup> . لقد تناهت به الأيامُ تهذيباً وتحليماً ، وتناهت به السَّنُّ تجريباً وتحنيكاً . قد وعظه الشَّيبُ

(١) الأدهم : الأسود ، والأبلق : الذي لونه البلقة ، وهى سواد في بياض ، والعقّاق : طائرٌ لونه مختلط من سواد وبياض (م)

(٢) في نسخة « على مقت الجمر »

بَوْخَطِهِ ، وَخَبَطَهُ السِّنُّ بَابْنِهِ وَسَبَطَهُ ، قَدْ تَضَاعَفَتْ عَقُودُ عَمْرِهِ ، وَأَخَذَتْ الْأَيَّامُ  
 مِنْ جَسَمِهِ . وَجَدَ مَسَّ الْكِبَرِ ، وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ ، وَأَسَاءَ إِلَيْهِ أَثَرُ السِّنِّ ،  
 وَاعْتَرَاضُ الْوَهْنِ . هُوَ مِنْ ذَوَى الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ ، وَالصَّحْبَةِ لِلْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ . هُوَ  
 هِمٌّ هَرِمٌ ، فَدَ أَخَذَ الزَّمَانُ مِنْ عَقْلِهِ . كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ . ثَلَاثَةَ الدَّهْرِ ثَلَمَ الْإِنَاءَ <sup>(١)</sup> ،  
 وَتَرَكَه كَذِي الْغَارِبِ الْمُنْكَوَبِ ، وَالسَّيِّئِ الْمَحْبُوبِ . رَمَاهُ مِنْ قَوْسِهِ <sup>(٢)</sup> الْكَبِيرُ . أُرِيقَ  
 مَا هُ شَبَابِهِ ، وَاسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ . كَسَرَ الزَّمَانُ جَنَاحَهُ ، وَنَقَضَ مِرَّتَهُ . طَوَى الدَّهْرُ  
 مِنْهُ مَا نَشَرَ ، وَقَيَّدَهُ الْكِبَرُ . يَرْسُفُ رَسْفَانُ الْمَقِيدِ ، هُوَ شَيْخٌ مَجْتَثٌ <sup>(٣)</sup> الْجَثَّةُ ، وَاهِي  
 الْمُنَّةُ ، مَغْلُولُ الْقُوَّةِ وَمَغْلُولُ الْفَتْوَةِ <sup>(٤)</sup> ، ثَقَلَتْ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ  
 الْمُنْيَةِ . مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْعَصْرِ ، عَلَى الْقَصْرِ . أَرْكَانُهُ قَدْ وَهَتْ ، وَمُدَّتُهُ قَدْ تَنَاهَتْ .  
 هَلْ بَعْدَ الْغَايَةِ مَنَزَلَةٌ ، أَوْ بَعْدَ الشَّيْبِ سِوَى الْمَوْتِ مَرَحَلَةٌ ؟ مَا الَّذِي يُرْجَى مِنْ كَانَ  
 مِثْلُهُ فِي تَعَاجُرِ الْخَطَا ، وَتَحَاذُلِ الْقُوَى ، وَتَدَاوِي الْمَدَى ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الدَّارِ  
 الْأُخْرَى ، أَبْعَدَ دِقَّةِ الْعَظْمِ ، وَرَقَّةِ الْجِلْدِ ، وَضَعْفِ الْحَسَنِ ، وَتَحَاذُلِ الْأَعْضَاءِ ،  
 وَتَفَاوُتِ الْإِعْتِدَالِ ، وَالتَّقَرُّبِ مِنَ الزَّوَالِ . وَالَّذِي بَقِيَ مِنْهُ ذِمَاءٌ <sup>(٥)</sup> يَرْقُبُهُ الْمُنُونُ  
 بِمَرَصَدٍ ، وَخُشَّاشَةٌ هِيَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ . قَدْ خَلَقَ عَمْرِهِ ، وَأَنْطَوَى عَيْشُهُ ،  
 وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ، وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا أَنْفَاسٌ مُعَدُودَةٌ ، وَحَرَكَاتٌ مُحْصُورَةٌ . نَضَبُ غَذِيرِ شَبَابِهِ .

### فقر لغير واحد في المشيب

قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنية . أ ك ث م بن صيفي : المشيب عنوان  
 الموت . الحجاج بن يوسف : الشيبُ نذيرُ الآخرة . غيره : الشيبُ نومُ الموت .

(١) في نسخة «ثلمة الإناء» (م) (٢) في نسخة «من قومه» (م)

(٣) في نسخة «محبب الجثة» (م) (٤) في نسخة «مغلول الفتوة» (م)

(٥) الذمء - بفتح الدال - بقية النفس (م)



العتى : الشيبُ جمع الأمراض . العتاي : الشيبُ نذيرُ المنيّة . محمود الوراق : الشيبُ أحد الميتين . ابن المعتز : الشيبُ أولُ مواعد الفناء . وقال : عظم الكبير فإنه عرف الله قبلك ، وارحم الصغير فإنه أغرّ بالدنيا منك . غيره : الشيبُ قِنَاعُ الموت . الشيبُ غمامٌ قَطَرُهُ الغموم . الشيبُ قَذَى عَيْنِ الشباب .

نظر سليمان بن وهب في المرأة فرأى الشيب ، فقال : عَيْبٌ لاعدمناه !  
وقيل لأبي العيثاء : كيف أصبحت ؟ فقال : في داء يتمناه الناس !  
ابن المعتز :

أَنكَرْتُ شَرَّ مَشْيِي وَوَلَّتْ      بدموع في الرداء سُجُومُ  
اعذرى يا شَرَّ شَيْبِي بِهِمْ      إِنَّ شَيْبَ الرَّأْسِ نَوْرُ الْهَمُومِ  
مسلم بن الوليد :

الشَّيْبُ كَرُهُ ، وَكَرُهُ أَنْ أَفَارِقَهُ      أَعْجِبْ لشيء على البغضاء مودودٍ  
يَمْضِي الشَّبَابُ فَيَأْتِي بَعْدَهُ بَدَلٌ      وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بِمَفْقُودِ  
وقال آخر :

لَوْ أَنَّ عُمرَ الْفَتَى حِسَابٌ      كَانَ لَهُ شَيْبُهُ فَذَلِكَ<sup>(١)</sup>  
وقال بعضهم :

وَلِي صَاحِبٌ مَا كُنْتُ أَهْوَى اقْتِرَابَهُ      فَلَمَّا التَقِينَا كَانَ أَكْرَمَ صَاحِبِ  
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ يَفَارِقَ بَعْدَ مَا      تَمَنَّيْتُ دَهْرًا أَنْ يَكُونَ مُجَانِبِي  
يعنى الشيب ، يقول : لم أكن أشتهى اقترابه ، فلما حل كان أكرم صاحب ، عزيز على مجانبته ؛ لأنه لا يجانب إلا بالموت .

(١) الفذالك : جمع فذلكة ، وهى جملة الحساب ، ووقع فى نسخة « كان له

شبيه عذابا » (م)

أبو إسحاق الصابى :

والعمرُ مثلُ الكاسِ ير سب في أواخرها القَدَى

أبو الفضل الميكالى :

أُمْتِخْ شَبَابَكَ مِنْ لَمَوٍ وَمِنْ طَرْبٍ وَلَا تُصِخْ لِمَلَامٍ سَمِعَ مُكْتَرِثٍ  
فَخَيْرُ عُمُرٍ الْفَتَى رَيَّاعَانُ جَدَّتِهِ وَالْعَمْرُ مِنْ فِضَّةٍ وَالشَّيْبُ مِنْ خَبَثٍ

[ بعض ما قالوه فى الخِضَاب ]

فى ذكر الخِضَاب : الخِضَابُ أَحَدُ الشَّبَابِينَ

عبدان الأصهبانى :

قولهم فى  
الخِضَابِ

فى مَشِيبِي شِمَاتَةٌ لُمَدَاتِي وَهُوَ نَاعٍ مَنَعَصٌ لِي حَيَاتِي  
ويعيب الخِضَابَ قَوْمٌ، وَفِيهِ لِي أَنَسٌ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي  
لَا وَمَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ إِنِّي مَا تَطْلُبُ خَلَّةَ الْغَانِيَاتِ (١)  
إِنَّمَا رُمْتُ أَنْ يُعَيِّبَ عَنِي مَا تُرِيْنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاتِي  
وَهُوَ نَاعٍ إِلَى نَفْسِي، وَمَنْ ذَا سِرِّهِ أَنْ يَرَى وَجْهَ الثُّعَاةِ؟

ابن المعتز :

رَأَتْ شَبِيهَةً قَدْ كُنْتُ أَغْفَلْتُ قَصَّهَا وَلَمْ تَتَعَهَّذْهَا أَكُفَّ الْخُلُوصَ وَاضِبٍ  
فَقَالَتْ : أَشَيْبٌ مَا أَرَى ؟ قُلْتُ : شَامَةٌ فَقَالَتْ : لَقَدْ شَأْنُكَ عِنْدَ الْحَبَائِبِ

الأمير أبو الفضل الميكالى :

قَدْ أَبَى لِي خِضَابُ شَيْبِي فُؤَادٍ فِيهِ وَجَدَ بَكْتَمِ سِرِّى وَلَوْعٍ (٢)  
خَافَ أَنْ يَحْدِثَ الْخِضَابُ نُصُولًا وَنُصُولُ الْخِضَابِ شَيْءٌ يَدْبِعُ

وقالوا : الخِضَابُ مِنْ شَهُودِ الزُّورِ ، وَالْخِضَابُ حَدَادُ الْمَشِيبِ ، [ إِنْ خَضِبَ

الشَّعْرُ ] فَكَيْفَ يَخْضِبُ الْكَبِيرُ . الخِضَابُ كَفَنُ الشَّيْبِ .

(١) فى نسخة « مَا تَطْلُبُ حَلِيَةَ الْغَانِيَاتِ » والحلة بضم الحاء - الحصلة (م)

(٢) فى نسخة « مراد حدثنى بكتم سرى » (م)

ابن الرومي :

ليس تُغْنِيْ شَهِادَةُ الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ شَيْئًا إِذَا اسْتَشَنَّ الْأَدِيمُ  
أَفِيرَ جَوْ مُسَوَّدٍ أَنْ يُزَكَّى شَاهِدُ الْخَضْبِ؟ أَيْنَ ضَلَّ الْحَلِيمُ؟!  
لَا لِعَمْرِي مَا لِلْخَضْبِ لَدَى الْأَبْصَارِ إِلَّا التَّكْذِيبُ وَالتَّائِمُ  
يَدْعَى لِلْكَبِيرِ شَرْنَخَ شَبَابٍ قَدْ تَوَلَّى بِهِ الشَّبَابُ الْقَدِيمُ  
وَالسَّوَادُ الدَّعَى أَوْجَبَ تَكْذِيبًا إِذَا كَذَّبَ السَّوَادُ الصَّمِيمُ

وله أيضًا في هذا المعنى :

كَمَا لَوَارِدُنَا أَنْ نُحْيِلَ شَبَابَنَا مَشِيئًا وَلَمْ يَأْتِ الْمَشِيبُ تَعَذَّرَا  
كَذَلِكَ يُعْنِينَا إِحَالَةُ شَيْبِنَا شَبَابًا إِذَا ثَوَّبَ الشَّبَابُ تَحَسَّرَا  
أَبَى اللَّهُ تَذِيرَ ابْنِ آدَمَ نَفْسَهُ وَأَتَى يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَّا مُدَبَّرَا  
وقال :

قُلْ لِلْمَسْوَدِّ حِينَ شَيْبَ : هَكَذَا غِشُّ الْغَوَائِي فِي الْهُوَى إِيَّاكَ  
كَذَّبَ الْغَوَائِي فِي سَوَادِ عَذَارِهِ فَكَذَّبَتْهُ فِي وَدْهَنٍ كَذَاكَ (١)  
هِيَهَاتَ غَرَّكَ أَنْ يُقَالَ غَرَّائِرُ أَيْ الدَّوَاهِي غَيْرُهُنَّ دَهَاكَ  
لَا تَحْسَبْنِ بِخَدَعَتِهِنَّ بِحِيلَةٍ بَلْ أَنْتَ وَبِحُكِّ خَادَعَتِكَ مُنَاكَ؟

وقال أبو الطيب المتنبي :

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً تَرَكْتُ لَوْنِ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ  
وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِي فِي الْوَجْهِ مَكْذُوبِ  
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّبِي  
فَمَا الْخَدَائِعُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ قَدْ يَوْجِدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ

(١) في نسخة « فكذبته في ردهن كذاك » تطبيع (م)

غيره :

يا خاضبَ الشَّيبِ بالخِلاءِ يَسْتُرُهُ      سَلِ الْإِلَهَ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ  
وقد سلك أبو القاسم مسلكا طريفاً في قوله :

أَفْدَى الْمَغَاضِبَةِ الَّتِي اتَّبَعْتُهَا      نَفْسًا يَشْتَعِ عَيْسَهَا إِذْ آبَا<sup>(١)</sup>  
والله لولا أَنْ يُسَفِّهَنِي الصَّبَا      ويقولَ بعضُ القائلينَ تَصَابِي  
لَكَسَرْتُ دُمْلَجَهَا لَضِيقِ عِناقِهِ      وَلَثَمْتُ مِنْ فِيهَا الْبُرُودَ رُضَابَا<sup>(٢)</sup>  
بِذَنْتُمْ فَلَوْلَا أَنْ أَغَيَّرَ لَمَتِي      عَتَبًا وَأَلْقَاكُمْ عَلَى غَضَابَا<sup>(٣)</sup>  
لَخَضِبْتُ شَيْئًا فِي عِذَارِي كَأَمْنَا      وَمَحَوْتُ مَخَوَ النَّفْسِ مِنْهُ شَبَابَا<sup>(٤)</sup>  
وخلعته خَلَعَ النِّجَادَ مَذْمَا      واعتضت من جِلْبَابِهِ جِلْبَابَا  
ولبست مُبَيِّضَ الْحِدَادِ عَلَيْكُمْ      لو أَنِّي أَحْسَدُ الْبَيَاضِ خِضَابَا  
وإذا أُرِدْتُ إِلَى الْمَشِيبِ وَفَادَةً      فاجعلْ إِلَيْهِ مَطِيَّكَ الْأَحْقَابَا  
فلتأخذنَّ مِنَ الزَّمانِ حَمَامَةً      ولتدفعنَّ إِلَى الزَّمانِ غَرَابَا  
ماذا أقولُ لِزَيْبِ دَهْرٍ خَائِنٍ      جَمَعَ الْعِدَّةَ وَفَرَّقَ الْأَخْبَابَا

[ الوليد بن يزيد وقد غلبت عليه لذاته ]

وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لما غلبت عليه لذاته . وملكوته  
شهواته : يا أمير المؤمنين ؛ إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، وتركك ما يجب  
عليك من مصلحتها . فقال : ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وأسقطناه من  
مفروض ذمامها ؟ أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؛ وإنما لنا  
ما نحن فيه ، بسط لنا في النعمة ، ومكن لنا في المكreme ، وأذلت لنا الأمة<sup>(٥)</sup> ،  
ومد لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنت أنا

(١) العيس : الإبل ، وفي نسخة « ما آبا » (م)

(٢) في نسخة « بضيق عناقها » والرضاب : ماء الفم (م)

(٣) في نسخة « أن أغير لمتي عتبا » (م) (٤) في نسخة « في عذارى كاذبا » (م)

(٥) في نسخة « وأذكي لنا في الأمة » (م)

المزبل لنعمتي بما لا ينال الرعيةَ ضره ، ولا يؤودهم ثقله <sup>(١)</sup> . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام .

وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد ، وكان خاصا به : يا أمير المؤمنين ؛ أنطقني بالأنس ، وأنا أسكت بالهنية ، وأراك تأمرنا بأشياء أنا أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كلُّ مقبولٍ منك ، معلومٌ فيه ثقتك <sup>(٢)</sup> ؛ والله فينا علمٌ غيبٌ نحن صائرون إليه ! وتعود فتقول . فقتل الوليد بعد ذلك بشهر .

### [ بين الحجاج وأهل العراق ]

وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : إني استعملتك على العراق ، فأخرج إليها كعش الإزار <sup>(٣)</sup> ، شديد الغرار ، قليل العثار ، منطوى الخصلة ، قليل الثملة <sup>(٤)</sup> ، غرار النوم ، طويل اليوم ، واضغط السكوفة ضغطة تحيق منها البصرة .

وشكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق ، وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم ، فقال له جامع الحارثي : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك لبلدك ، ولا لذات يدك ، إلا لما تقموه من أفعالك ؛ فدع ما يُبعدهم عنك إلى ما يُدنيههم منك ، واتمس العافية من دونك تُعْطَاهُ من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك ثلاثاً .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى الأخناء إلى طاعتي إلا بالسيف . فقال جامع : أيها الأمير ؛ إنّ السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار . قال الحجاج :

(١) لا يؤودهم : لا يثقلهم ولا يعجزهم (م) (٢) في نسخة «معلوم لي فيك» (م)

(٣) كعش الإزار : مشمرا ، وهو كناية عن الجد ، وفي نسخة «شديد العوار» (م)

(٤) الخصلة - بالحاء المعجمة - كل قطعة فيها عصب ، ويقولون «ارتعدت فرائضه ،

واضطربت خصائله» يريدون اشتد خوفه ، والثملة : بقية الطعام في البطن (م)

الخيارُ يومئذ لله . قال جامع : أجل ، ولكن لا ندرى لمن يجعله الله . فغضب  
الحجاج وقال : يا هتَاه ؛ إنك من محارب ، فقال جامع :  
والعرب سُمينا وكنا محارباً إذا ما القنأ أُمسى من الطعن أحمرأ  
فقال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أخلع لسانك ، فأضربَ به وجهك .  
فقال جامع : إن صدقناك أغضبتك ، وإن كذبتناك أغضبنا الله . فقال الحجاج :  
أجل ، وسكن سلطانه ، وشغل ببعض الأمر ، وخرج جامع وانسلَّ من صفوف  
الناس ، وانحاز إلى جبل العراق .

### [ جامع المحاربي ]

وكان جامع لسناً مُفَوَّهاً ، وهو الذى يقول للحجاج حين بنى واسطاً :  
بذيتها في غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك .  
وكان الحجاج من الفصحاء البلغاء ، ويقال : ما رُئى حَضَرى أفصح من  
الحجاج ومن الحسن البصرى . وكان يحبُّ أهل الجهارة والبلاغة ، ويؤثرهم  
ويقر بهم .

### [ أيوب بن القرية ]

ولما دخل أيوب بن القرية على الحجاج - وكان فيمن أسر من أصحاب  
عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندى - قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟  
قال : ثلاثة حروف ، كأنها ركب وقوف : دُنْيا ، وآخرة ، ومعروف .  
فقال له الحجاج : بئسما مَنَيْتَ به نفسك يا ابنَ القرية ، أترانى ممن تخدعه  
بكلامك وخُطبك ؟ والله لا أنت أقربُ إلى الآخرة من موضع تَعْلَى هذه .  
قال : أَقْلنى عَثْرَتى ، وأسغنى رِيقى ، فإنه لا بد للجواد من كِبْوة ، والسيف  
من نَبْوة ، والحليم من صَبْوة .

قال : أنت إلى القبر أقربُ منك إلى العفو ، أَلستَ القاتل وأنت تحرّض  
حزبَ الشيطان ، وعدوَّ الرحمن ! تغدّوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ! وقد رويت  
هذه اللفظة للغضبان بن القبيعثرى . ثم قدمه فضرب عنقه .

قال الخُرَيْمِيُّ لأبي دلف وأخذه من قول ابن القُرَيْبَةِ :  
له كَلِمٌ فيك معقولةٌ إزاء القلوب كَرَكَبٍ وقوفٌ

[ كثير بن أبي كثير ]

وبعث الحجاجُ إلى عامله بالبصرة : اختَر لي عشرة من عندك ، فاختر رجلاً  
فيهم كثير بن أبي كثير ، وكان عريباً فصيحاً ، فقال كثير : ما أراي أُفِلْتُ  
من يد الحجاج إلا باللَّحْن ، فلما دخلنا عليه دعاني فقال : ما اسمُك ؟ فقلت : كثير .  
قال : ابن مَنْ ؟ فقلت في نفسي : إن قلت ابن أبي كثير لم آمن أن يتجاوزها ،  
قلت : ابن أبا كثير ، فقال : اعزب<sup>(١)</sup> لعنك الله ولعن مَنْ بعث معك !!

[ من قولهم في المديح ]

وقال النابغة الذبياني يمدح آل جَفَنَةَ :  
ولله عينا من رأى أهل قُبَيْةٍ أضَرَ بمن عادى وأكثر نافعاً<sup>(٢)</sup>  
وأعْظَمَ أحلاماً وأكثر سيِّداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافِعاً  
متى تَلَقُّهُمْ لا تَلَقَّ للبيت عورة فلا الضيف ممنوعا ولا الجار ضائِعاً  
وأشَدَّ محمد بن سلام الجمحي للنابغة الجعدي :

ففي كَمَلَتْ أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يُبْقَى من المال باقياً  
ففي تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء  
[ أشم طويل الساعدين شَمَرٌ دَلٌّ إذا لم يَرُح للمجد أصبح غادياً ]  
ومن حُرِّ المدح وجيّد الشعر قول الخطيئة :

تزوّر امرأً يُعطى على الحمدِ مالهُ ومن يُعطى أمانَ الحمدِ يُحمدُ  
يرى البخلَ لا يُنْقِ على المرءِ ماله ويعلم أن المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ

(١) عزب يعزب : بعد يبعد (م) (٢) في نسخة « أضر لمن عادوا » (م)

كُتُوبٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَرَّ اهْتَزَّزَ اللَّهُمَّ نَدِّ  
مَتَى تَأْتِي تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقَدٍ  
وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هذا البيت فقال : ذاك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وقوله :

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجِدُّ  
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ ——— لَا أَبَا لِأَيْكُمُ مِنْ اللُّومِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا  
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَدَوْا شَدُّوا  
وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا  
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدَّحَى بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ  
وَتَعَذَّلَانِ أَبْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ

وقال منصور النمرى :

لمنصور النمرى

تَرَى الْخَلِيلَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَظْمَأُنْ تَحْتَهُ وَبَرَوْى الْقَنَا فِي كَفِّهِ وَالْمَنَاصِلُ  
حَلَالٌ لِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَحْرُهُ حَرَامٌ عَلَيْهَا مِنْهُ مَسْتَنْ وَكَاهِلٌ<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

فَتَى دَهْرِهِ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوُبُهُ فِي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرٌ  
فَلَا مِنْ بَغَاةِ الْخَيْرِ فِي عَيْنِهِ قَذَى وَلَا مِنْ زَيْلِ الْحَرْبِ فِي أُذُنِهِ وَقَرٌ

### [ الشراب وخطره ]

وقال بعضُ الظرفاء : الشرابُ أَوَّلُ الْخَرَابِ ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ بَابٍ ، يَمْحَقُ  
الْأَمْوَالَ<sup>(٢)</sup> ، وَيُذْهِبُ الْجَمَالَ ، وَيَهْدِمُ الْمَرْوَةَ ، وَيُوهِنُ الْقُوَّةَ<sup>(٣)</sup> ، وَيَضَعِفُ الشَّرِيفَ ،

(١) يريد أنه لا يفر فينال خصمه ظهره (٢)

(٢) يحق الأموال : يفنيها (٣)

(٣) يوهن القوة : يضعفها (٤)



وَيُهِنُ الظَّرِيفَ ، وَيَذُلُّ الْعَزِيزَ ، وَيَقْلُسُ التَّجَارَ ، وَيَهْتِكُ الْأَسْتَارَ ، وَيُورِثُ الشَّنَارَ <sup>(١)</sup> .

وقال يزيد بن محمد المهلبى :

لِعَمْرُكَ مَا يُخْصَى عَلَى الْكَأْسِ شَرُّهَا      وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَرَخَاءُ  
مَرَاراً تُرِيكَ الْغَىَّ رَشْداً ، وَتَارَةً      تَحِيلُ أَنْ الْحَسَنِينَ أَسَاءُوا  
وَأَنْ الصَّدِيقَ الْمَاحِضَ الْوَدَّ مَبْغُضٌ      وَأَنْ مَدِيحَ الْمَادِحِينَ هِجَاءُ  
وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ النَّبِيِّ ذُقْ قَلَمًا      يَدُومُ لِإِخْوَانِ النَّبِيِّ إِخَاءُ

[ من اعتلال الطفيليين ، وحيلهم ]

عُوتِبَ طِفْلِي عَلَى التَّطْفِيلِ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يُبْذِمُ الْمَنَازِلُ إِلَّا لِيَتُدْخَلَ ، وَلَا نَصِبَتْ  
الْمَوَائِدُ إِلَّا لِيَتَوَكَّلَ ، وَإِنِّي لِأَجْمَعَ فِيهَا خِلَالاً ؛ أَدْخُلُ مُجَالِسَاءَ ، وَأَقْعُدُ مَوَاسِيَاءَ ، أَنْبَسُطُ  
وَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّارِ عَابِساً ؛ وَلَا أَتَكَلَّفُ مَغْرَماً ، وَلَا أَنْفِقُ دِرْهماً ، وَلَا أَتَعْبُ خَادِماً .  
وقال ابن الدراج <sup>(٢)</sup> الطِّفْلِي لِأَصْحَابِهِ : لَا يَهْوُلَنَّكُمْ إِغْلَاقُ الْبَابِ ، وَلَا شِدَّةُ  
الْحِجَابِ ، وَسُوءُ الْجَوَابِ ، وَعَبُوسُ الْبَوَابِ ، وَلَا تَحْذِيرُ الْغَرَابِ ، وَلَا مُنَابَذَةَ  
الْأَلْقَابِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ صَاحِرٌ بِكُمْ إِلَى مَحْمُودِ النِّوَالِ ، وَمُعْنٍ لَكُمْ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ ،  
وَاحْتِمَالُوا اللَّكْزَةَ الْمُوهِنَةَ ، وَالْأَظْمَةَ الْمَزْمِنَةَ ، فِي جَنْبِ الظُّفْرِ بِالْبُعْيَةِ ، وَلِدْرَكِ  
لِلْأُمْنِيَةِ ، وَالزَّمُوا الطَّوْزَجَةَ لِلْعَاشِرِينَ <sup>(٣)</sup> ، وَالْخَفَّةَ لِلْوَارِدِينَ وَالصَّادِرِينَ ، وَالتَّمَلَّقَ  
لِلْمُتَّهِينِ وَالْمَطْرَبِينَ ، وَالْبَشَاشَةَ لِلْخَادِمِينَ وَالْمُوكَلِّينَ ؛ فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى مُرَادِكُمْ فَكَلُّوا  
مَحْنَكِرِينَ ، وَادْخَرُوا لَعْدَكُمْ مَجْتَهِدِينَ ؛ فَإِنَّكُمْ أَحَقُّ بِالطَّعَامِ مِمَّنْ دُعِيَ إِلَيْهِ ، وَأَوْلَى بِهِ  
مِمَّنْ وُضِعَ لَهُ ، فَكُونُوا لَوَقْتِهِ حَافِظِينَ ، وَفِي طَلْبِهِ مُسْتَعْرِينَ ، وَادْكُرُوا قَوْلَ  
نِي نَوَاسَ :

(١) الشَّنَارُ - بفتح الشين - أشد العار (م) (٢) في نسخة «وقال أبو الدراج» (م)

(٣) في نسخة «والزموا المطارحة» (م)

لِنَخْمُسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

هذا يقوله أبو نواس في أبيات تُسَنَدَرُ كُلُّهَا ، وَيَسْتَنْظَرُ جُلُّهَا ، وَهِيَ :  
 وَخَيْمَةٌ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ تَهُمُّ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِزَلِيلٍ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَاءَتْ ظِلَالُهَا وَإِنْ وَاجَهَتْهَا آذَنْتْ بِدُخُولِ  
 حِطَاطِنَا بِهَا الْأَثْقَالُ فَلَّ هَجِيرَةٍ عِبُورِيَّةٍ تُذَكِّي بَغِيرِ فِتِيلٍ<sup>(٣)</sup>  
 تَأْتَتْ قَلِيلًا ثُمَّ فَاءَتْ بِمَذْقَةٍ مِنَ الظِّلِّ فِي رِثِّ الْإِنَاءِ ضَنْبِيلٍ<sup>(٤)</sup>  
 كَأَنَّا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفِي نَعَامَةٍ جَفَا زَوْرُهَا عَنْ مِسْرِكٍ وَمَتِيلٍ  
 حَلَبْتُ لِأَسْعَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا بِصَفَاءٍ مِنْ مَاءِ الْكَرُومِ شَمُولٍ  
 إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ اللَّهَاءِ مِنَ الْفَتَى دَعَا هُمَّةً مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلٍ  
 فَلَمَّا تَوَافَى اللَّيْلُ جَنَحًا مِنَ الدَّجَى تَصَابَيْتُ وَاسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلٍ  
 وَأَعْطَيْتُ مَنْ أَهْوَى الْحَدِيثَ كَابِدًا وَذَلَّتْ صَعْبًا كَانَ غَيْرَ ذُلُولٍ  
 فَعَقَى وَقَدْ وَسَّذْتُ يُسْرَايَ خَدَّهِ أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلٍ  
 فَأَنْزَلَتْ حَاجَاتِي بِحَقْوَيِّ مُسَاعِدِي وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبٍ وَخَلِيلٍ  
 فَأَصْبَحْتُ أَلْحَى الْكَرِّ وَالْكَرُّ مُحْسَنٌ أَلَا رَبَّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلٍ  
 كَفَى جَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مَقَرُّهُ عَلَيْهِ ، وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلٍ  
 سَأَبْنَى الْغِنَى إِمَّا وَزِيرَ خَلِيفَةٍ يَقُومُ سِوَاءً أَوْ مُخِيفَ سَبِيلٍ  
 بِكُلِّ فِتَى لَا يُسْتَطَارُ فَوَادُهُ إِذَا نَوَّهَ الزَّخْفَانِ بِاسْمِ قَتِيلٍ  
 لِنَخْمُسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ<sup>(١)</sup>  
 أَلَمْ تَرَأَنَّ الْمَالَ عَوْنٌ عَلَى التَّقَى وَلَيْسَ جَوَادٌ مُعْذِرٌ كَبْخِيلٍ

(١) بقول : خمست المال أخمسه - من باب نصر - إذا أخذت خمسه (م)

(٢) الناطور : حارس الزرع ، والمنيفة : العالية ، والزليل : الازلاق (م)

(٣) الهجيرة : الهاجرة ، وعبورية : منسوبة إلى الشعرى العبور ، وطلوعها

أشد الحر (م) (٤) في نسخة « في رث لأباء ضئيل » (م)

## ألفاظ لأهل العصر في صفة الطقيايين والأكلة وغيرهم

شيطانُ معدته رَجِيمٌ ، وساطانها ظُلومٌ . هو آكلُ من النار ، وأشربُ من الرمل . لو أكل الفيلَ ما كفاه ، ولو شرب النيلَ ما أرواه ، يجوبُ البلادَ ، حتى يقع على جَفَنَةِ جَوَادٍ . يرى ركوبَ البريدِ ، في حضور الثريد<sup>(١)</sup> . أصابعه ألزمُ للشَّوَاءِ ، من سفود الشَّوَاءِ ، وأنامله كالشبكة ، في مسيد السمكة . هو أجوعُ من ذئب مُغتَسٍ بين أعاريب . العيون قد تَلَبَّتْ ، والأكباد قد تَلَمَّبت ، والأفواه قد تَحَلَّبت . امتدت إلى الخوان الأعناق ، [ واحتدت نحوه الأحداق ] ، وتَحَلَّبت له الأشداق .

[ وصف طائر ]

سأل المهدي صباح بن خاقان عن طائر له جاء من آفاق الغابة فقال :  
يا أمير المؤمنين ، لو لم يَبْنُ بِحَسَنِ الصفة لَبَّانَ بِحَسَنِ الصورة . قال : صِفْهُ لِي .  
قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قَدْ قَدَّ الْجَلَمُ<sup>(٢)</sup> ، وقوِّم تقويم القلم ، ينظر من جَرَّتَيْنِ ، ويلفظ بدرَّتَيْنِ ، ويمشى على عقيقتين ، تكفيه الحَبَّةُ ، وتُرويه العَبَّةُ<sup>(٣)</sup> ، إن كان في قفص فَلَقَه ، أو تحت ثوب خرقه ، إذا أقبل فدَيْنَاهُ ، وإذا أدبر حميناه .

[ أحظى النساء عند المهدي ]

ودخل عبدُ الله بن مصعب الزبيري على المهدي ، فقال : ويحك يا زبيري ؛ دَخَلْتُ على الخيزران ، فلما قامت لِتُصَلِّحَ من شأنها نظرت<sup>(٢)</sup> إلى حُسْنِهِ ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أدركك في ذلك ما أدرك الخزومي حيث قال :  
بينما نحن بالبَلَاكِثِ بالقاعِ سِرَاعاً والعيسُ تهوى هَوَاً

(١) في نسخة « في حصول الثريد » (م) (٢) الجلم - بالتحريك - المقص (م)

(٣) نسخة « وترويه العبة » بالعين المهملة (م)

خطرت خَطَرَةً على القلب من ذكراك وَهَنًا فما استطعت مُضِيًّا  
قلت : لبيك إذ دعاني لك الشوق ق وللحادِثِينَ كُرًّا المَطِيًّا  
فأمر فرغت الستور عن حُسْنَةٍ .

ثم قال لى : يا زيرى ، واسوأتاه من الخيزران ! ثم انثنى راجعاً إليها  
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أدركك فى هذا ما أدرك جميلًا<sup>(١)</sup> حيث يقول :  
وأنتِ التى حَبَبْتَ شَغْبًا إلى بدأً إلى وأوطانى بلادٌ سـواهما  
حلاتٍ بهـذا حَلَّةٌ ثم حَلَّةٌ بهـذا فطاب الوادِيانِ كَلاهُما  
فدخل على الخيزران ، فما لبث أن خرج ؛ قال الزيرى : فدخلت ، فقال  
أنشدنى فأنشدته لصخر بن الجعد :

هنيئًا لكأس جَدُّها الحبلَ بعدما عقدنا لكأس موفِّقًا لا نخونها  
وإشماطُها الأعداء لما تالَّبوا حوالى واشتدَّتْ على ضفونها  
فإن تصبجى وكَلَّتْ عيني بالبكا وأشمتْ أعدائى فقرَّتْ عيونها  
فإن حراما أن أخونك مادعا بيليل قُمْرِى الحامِ وجُونُها<sup>(٢)</sup>  
وما طرد الليلُ النهار، وما دَعَتْ على فَنَنٍ ورَفَاءِ شاكِرَ زَيْنِها<sup>(٣)</sup>  
فأمر لى على كل بيت بألف دينار ، وكانت الخيزران وحسنة أحظى النساء  
عند المهدي .

[ وصف غلام ] .

ووصف اليوسفى علامًا فقال : كان يعرفُ المراد بالأحْظ ، كما يعرفه باللفظ ،  
ويُعَايِنُ فى الناظر ، ما يجرى فى الخاطر<sup>(٤)</sup> ، أقرب إلى داعيه ، من يد مُعَاطِيهِ ؛

(١) نسب أبو تمام هذين البيتين إلى كثير ، ونسب أولهما إلى كثير فى معجم البكرى (م)

(٢) بيليل : اسم واد (م) (٣) فى نسخة « زينها » (م)

(٤) فى نسخة « ما يحوى الخاطر » (م)

حديدُ الذهن ، ثاقبُ الفهم ، خفيفُ الجسم ، يُغنيك عن الملامة ، ولا يحوجك إلى لاستزادة .

وقال أبو نواس :

ومنتظرٍ رَجَعَ الحديثُ بِطَرَفِهِ      إذا ما انثنى من لينه فَصَحَّ الغُصْنُ  
إذا جعلَ اللَّحْظَ الخَفِيَ كَلَامُهُ      جعلت له عيني لتفهمه أَذُنًا

وقال :

وإني لطَرَفِ العَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ      فقد كدت لا يَخْفَى عَلَى ضَمِيرٍ  
وقد طرق هذا المعنى وإن لم يكن منه [ من قال ] :

بَلَوْتُ أَخِلَاءَ هَذَا الزَّمانِ      فَأَقْلَلْتُ بِالْهَجْرِ مِنْهُمْ نَصِيبِي  
وكلُّهُمْ إِنْ تَصَفَّحَتْهُ      صَدِيقُ الْعِيَانِ عَدُوُّ الْمَغِيبِ  
تَفَقَّدَ مَسَاقِطَ لَحْظِ الْمَرِيبِ      فَإِنَّ الْعُيُونَ وَجْوهُ الْقُلُوبِ

وهو كقول المهدي :

ومطلع من نفسه ما يَسْرُهُ      عليه من اللحظ الخفي دليلُ  
إذا القلبُ لم يُبْدِ الذي في ضميره      ففي اللَّحْظِ والألفاظ منه رَسُولُ

[ بين خالد بن صفوان وعلى بن الجهم ]

ودخل خالد بن صفوان عَلَى عَلَى بن الجهم بن أبي حذيفة فألفاه يريد الركوب فقرَّب إليه حمار ليركبه ، فقال خالد : أما علمت أن العَيْرَ <sup>(١)</sup> عار ، والحمار شَنَار ، مُنْكَر الصوت ، قبيح القوَّة ، مُتَزَلِّجٌ <sup>(٢)</sup> في الضَّحَل ، مرتطم في الوحل ، ليس بركوبة فحل ، ولا بمطية رَحْل ، راكبه مُقَرَفٌ <sup>(٣)</sup> ، ومسايره مشرف .

فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الحمار ونزل عنه ، وركب فرساً ودفع الحمار إلى خالد فركبه ، فقال له : ويحك يا خالد ! أتنتهى عن شيء وتأتى مثله ؟

فقال : أصلحك الله ! عَيْرٌ من بنات السُّكْرُبال <sup>(٤)</sup> ، واضح السربال ، مختلج

(١) العير - بالفتح - الحمار (م) (٢) في نسخة « مرتج في الضحل » (م)

(٣) مقرف : معرض للتهمة (م) (٤) السكربال : كورة من كور فارس (م)

القوائم<sup>(١)</sup> ، يحمل الرّجّلة ، ويبلغ العقبة ، ويمنعني أن أكون جباراً عنيداً ،  
إن لم أعترف بمكاني فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين .

### [ كَرُّ الحَدَثَانِ ]

قال ابن دأب : خرجت مع بعض الأمراء في سفر إلى الشام ، فمرّ بي رجل  
كنت أعرفه حسنَ الحال من أصحاب الأموال الظاهرة في حال رثة ، فسلم عليّ  
فقلت : ما الذي غيرَ حالك ؟ فقال : تنقلُ الزمان ، وكَرُّ الحَدَثَانِ ؛ فأثرت الضرب  
في البلدان ، والبعد عن المعارف والخُلاّن ، وقد كان الأمير الذي أنت معه صديقاً لي  
فاخترت البعد من الأشكال ، حين حصّني<sup>(٢)</sup> الإقلال ، واستعملت قول الشاعر :

سأُعمِلَ نصَّ العيسِ حتى يكفّني      غنى المال يوماً أو غنى الحَدَثَانِ<sup>(٣)</sup>  
فللموت خيرٌ من حياة يُرى لها      على المرء ذى العلماء مسٌّ هَوَانِ  
متى يتكلم يُبلغ حُكمُ كلامِهِ      وإن لم يَقُلْ قالوا عديمٌ بَيَانِ  
كأن الفتى في أهله بورك الفتى      بغير لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

قال ابن دأب : فلما اجتمعنا مع الأمير في المنزل وصفت له الرجل ،  
فقال لي : ويحك ! اطلبه حتى أصلح من حاله ، فطلبته فأعوزني .

### [ من قولهم في الرثاء ]

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص يرثي [ قتيلاً ] :

خَتَلَتْهُ المنونُ بعدَ اختيالٍ      بينَ صفينِ من قنًا ونَصَالٍ  
في رداء من الصفيحِ صَقِيلٍ      وقميصٍ من الحديدِ مُذَالٍ<sup>(٤)</sup>

(١) في نسخة « محكم القوائم » وفي أخرى « محملج » ولعله محرف عن « مهملج » (م)

(٢) حصّني - بالحاء المهملة - قص جناحي ، والإقلال : الفقر ، وفي نسخة

« حصّني » بالحاء المعجمة (م) (٣) نص العيس : سير الإبل ، ونص فلان ناقته : أي

سيرها أقصى ما تستطيع من السير (٤) رداء من الصفيح : أراد السيف ، وقميص

من الحديد : أراد الدرع ، ومذال : طويل (م)

لحارثة بن بدر  
الغداني

وقال حارثة بن بدر الغداني يرى زيادا :

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى قَبْرِ وَطْهَرَهُ      عند التوبة يسقى فَوْقَهُ الْمَوْرَ<sup>(١)</sup>  
تهدى إليه قریشٌ نَعَشَ سَيِّدَهَا      فَمَّ حَلَّ الندى والعزُّ والخيرُ<sup>(٢)</sup>  
أبا المغيرة والدنيا مفجعة      وإنَّ مَنْ غَرَّتْ الدنيا لمغرور  
قد كان عندك المعروف عارِفَةً      وكان عندك لِلْفَكَرَاءِ تَنكِيرُ  
وكنت تُعَشِّي فتُعْطِي المَالَ من سَعَةٍ      فالآنَ بَابُكَ أَمْسَى وهو مهجور  
ولا تلتين إذا عوشرت معتسراً      وكان أَمْرُكَ ما يُوسِرَتْ ميسورُ  
لم يَعْرِفِ الناسُ مَذْعِيبَتَ فِتْنَتِهِمْ      ولم يُجَلِّ ظَلاماً عَنْهُمْ نورُ<sup>(٣)</sup>  
فالناس بعدك قد خفت حلومهم      كأنما نَفَخَتْ فِيهَا الأعاصيرُ  
أخذ هذا البيت من قول مهلهل بن ربيعة في أخيه كليب، وكان إذا انتدى<sup>(٤)</sup>

لم تحلَّ حَبْوَتُهُ ، ولم ينطق أحد إلا بحبباً له ، إجلالا ومهابة :

أُنْبِثْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ      واستبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ المَجْلِسُ  
وتحدثوا في أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ      لو كنت حاضرًا أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبِسُوا

من أخبار  
حارثة بن بدر

وكان حارثة ذا بيان وجَهارة [ وأدب ] ، وكان شاعراً عالماً بالأخبار [ والأنساب ] ، وكان قد غلب على زياد ، وكان حارثة منهوماً في الشراب ، فعُوتِبَ زيادُ في الاستئثار به ، فقال : كيف أطرَّح رجلاً يسيرني مذ دخلت العراق ، ولم يصكِّكُ ركباً به ركابي ، ولا تقدَّمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه ، ولا أخذ عليَّ الشمس في شتاء قط ، ولا الرِّوْح في صيف ، ولا سألتُه عن باب في العلم إلا قدَّرت أنه لا يحسن غيره .

وقال له زياد : من أخطب ؟ أنا أم أنت ؟ فقال : الأمير أخطب إذا تَوَعَّد

(١) يسقى : يشور ، والمور : التراب (م) . (٢) الخير - بكسر الخاء -

الشرف والكرم (م) . (٣) في نسخة « لم يعرف الناس مذ غيبت فتنتهم » (م) .

(٤) انتدى : جلس في الندى ، وهو مجتمع القوم للسمر والمشورة (م) .

(٦ - زهر الآداب ٤)

أو وعد، وبرق ورعد، وأنا أخطبُ في الوفاة ، والثناء، والتحبير ، وأنا أكذب  
إذا خطبت ، وأحشو كلامي بزيادات [مليحة] شهية ، والأمير يقصد إلى الحق،  
وميزان العدل ، ولا يزيدُ في كلامه ، ولا ينقص منه .

فقال له زياد : [ قاتلك الله ! ] لقد أجدتَ تخليص صفتي وصفتك .

ولما مات زياد جفاه عبيدُ الله [ ابنه ] ، فقال [ له حارثة : أيها الأمير، ماهذا  
الجفاء مع معرفتك بالخال عند أبي المغيرة ؟ فقال له عبيد الله ] : إن أبا المغيرة بلغ  
مبلغاً لا يلحقه فيه عيب ، وأنا أنسب إلى من يغلبُ عليّ ، وأنت تديمُ الشراب ،  
وأنا حديثُ السن ؛ فتي قربتكَ فظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يُظنَّ بي  
[ ذلك ] ، فدع الشراب وكن أول داخل وآخر خارج .

فقال له حارثة : أنا لا أدعه لمن يملك ضرى ونفعى ، أأدعه للحال عندك ؟  
ولكن صرّفتني في بعض أعمالك . فولاه سُرق من بلاد الأهواز .

وقال أبو الأسود الدؤلي ، وكان صديقاً لحارثة :<sup>(١)</sup>

لأبي الأسود  
في حارثة  
بن بدر

أحار بن بدر قد وليت ولايةً      فكان جُرْداً فيها تحوُّنٌ وتسرقُ  
ولا تدعُ الناس شيئاً تصيبه      فحظك من ملك العراقين سُرقُ  
فما الناس إلا قائل فمكذبُ      يقول بما يهوى وإما مُصدّقُ  
يقولون أقوالاً بظنٍّ وتهمة      فإن قيل هاتوا حقّقوا لم يحقّقوا  
فقال له حارثة :

جزاك إلهُ العرش خيرَ جزائه      فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً  
أمرت بشيء لو أمرت بغيره      لألفيتني فيه لأمرَك عاصياً

جواب  
حارثة بن بدر

(١) هذا الشعر قد رواه ابن قتيبة في الشعر ، ونسبه إلى أنس بن أناس الكنانى  
الدؤلى ، وهو من رهط أبي الأسود الدؤلى (م) .



## [ وصف امرأة ]

قال الأصمعي : سمعت امرأة من العرب تصفُ امرأةً وهي تقول : سَطْعَاءُ بَضَّةٌ ، بِيضَاءُ غَضَّةٌ ، دَرَمَاءُ رَخْصَةٌ ، قَبَاءُ طَفْلَةٌ ، تنظر بعيني شَادِنٍ ظَمَانٍ ، وتبسم عن مُنَوَّرِ الْأَفْحَوَانِ ، في غِبِّ التَّهْتَانِ ، وتشير بأَسَارِيعِ السَّكْنَبَانِ ، خلفها عَمِيمٌ ، وكَلَامُهَا رَخِيمٌ ، فهي كما قال الشاعر :

كَأَنَّهَا فِي الْقُمُصِ الرَّاقِ مُنْخَةً سَاقٍ بَيْنَ كَفَّيْ سَاقٍ<sup>(١)</sup>

أَعْجَلَهَا الشَّوَاوِي عَنِ الْإِحْرَاقِ

ووصف أعرابي امرأةً يحبها فقال : هي زينة [ في ] الحضور ، وباب من أبواب الشرور ، ولَدَّ كَرَهَا فِي الْمَغِيبِ ، والبعد من الرقيب ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَلَدٍ وَنَسِيبٍ ، وبها عرفت فضل الحور العين ، واشتقتُ بها إِلَيْنَ يَوْمَ الدِّينِ .

[ من كلام الأعراب ]

وسئل أعرابي عن سفر أ كُدِي فِيهِ ، فقال : مَا غَنَمْنَا إِلَّا مَا قَصَرْنَا مِنْ صَلَاتِنَا ، فَأَمَّا مَا أَكَلْتُهُ مِنْهَا الْمَوَاجِرَ ، وَلَقِيْتُهُ مِنْهَا الْأَبَاعِرَ ، فَأَمْرٌ اسْتَخَفَّنَاهُ ، لَمَّا أَمَلْنَاهُ .

وقال عبد قيس بن خُفَافِ الْبُرْجِيِّ لِحَاتِمِ الطَّائِي ، وَقَدْ وَفَدَ عَلَيْهِ فِي دِمَاءِ حَمَلِهَا ، قَامَ بِيَهْمِهَا وَعَجَزَ عَنْ بَعْضٍ : إِنِّي حَمَلْتُ دِمَاءَ عَوَّلْتُ فِيهَا عَلَى مَالِي وَأَمَالِي ، فَأَمَّا مَالِي فَقَدَّمْتُهُ ، وَكُنْتُ أَكْبَرَ آمَالِي ، فَإِنْ تَحَمَّلْنَاهَا فَكَمْ مِنْ حَقٍّ قَضَيْتَ ، وَهَمْ كَفَيْتَ ، وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذْمِمْ يَوْمَكَ ، وَلَمْ آيِسْ مِنْ غَدِكَ .

وقيل لأعرابي : لَمْ لَا تَضْرِبُ فِي الْبِلَادِ<sup>(٢)</sup> ؟ فقال : يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ طِفْلُ بَارِكٍ ، وَلِصٌّ سَافِكٌ ، ثُمَّ إِنِّي لَسْتُ مَعَ ذَلِكَ وَاثِقًا بِنُجْحِ طَلِبَتِي ، وَلَا مَعْتَقِدًا بِقَضَاءِ

(١) ساق الأول : هو ما بين الركبة والقدم ، والثاني هو الذي يطوف بالشراب (م)

(٢) لا تضرب في البلاد : لا تسافر (م) .

حاجتي ، ولا راجياً عطف قرابتي ؛ لأنني أقدم على قوم أطغاهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الأسنان .

وخرج المهدي بعد هداة من الليل يطوفُ بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ؛ وعضتْهم السنون ، باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنساء طريق<sup>(١)</sup> ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمرتُ بنجیر ، كلاًه الله في سفره ، وخلفه في أهله . فأمر نصرّاً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

[ من مقامات البديع ]

المقامة  
الأزادية

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري : حدثني عيسى بن هشام قال : كنت ببغداد ، في وقت الأزاذ<sup>(٢)</sup> ؛ فخرجتُ إلى السوق أعتام<sup>(٣)</sup> من أنواعه ، لا بتياعه ، فسرتُ غير بعيد إلى رجل قد أخذ أنواع الفواكه وصنفها ، وجمع أنواع الرطب وصنفها ؛ فقبضتُ من كل شيء أحسنه ، وقرضتُ من كل نوع أجوده ؛ وحين جمعتُ حواشي الإزار ، على تلك الأوزار ، أخذتُ عيناى رجلاً قد لفَّ رأسه [ببرقع] حياء ، ونصب جسده ، وبسط يده ، واحتضنَ عياله ، وتأبط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره ، والحرَضَ في ظهره :

وبلى على كفين من سويق      أو شحمة تُضربُ بالدقيق  
أوقصة مُملأ من خرديق      تفتأ عنّا سطوات الرقيق  
تقيمنا عن منهج الطريق      يرازق الثروة بعد الضيق  
سهل على كف فتى لبيق      ذى حسب في مجده عريق

(١) أنساء : جمع نضو - بكسر النون - وهو المهزول (م) .

(٢) الأزاذ : ضرب من التمر (م) . (٣) أعتام : اختار (م) .

يَهْدِي إلَيْنَا قَدَمَ التَّوْفِيقِ      يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْيِيقِ  
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَأَخَذْتُ مِنْ فَاضِلِ الْكَيْسِ أَخَذَةً وَأَنْلَتُهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ :  
 يَأْمَنُ حَبَاكِي بِجَمِيلِ بَرِّهِ      أَفْضَى إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ  
 وَاسْتَحْفَظَ اللَّهَ جَمِيلَ سِتْرِهِ      إِنْ كَانَ لَا طَقَاةَ لِي بِشُكْرِهِ  
 فَاللَّهُ رَبِّي مِنْ وَرَاءِ أَمْرِهِ

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ : إِنْ فِي الْكَيْسِ فَضْلاً ، فَأَبْرَزْ لِي عَنْ بَاطِنِكَ  
 أَخْرَجَ لَكَ عَنْ آخِرِهِ ، فَأَمَّا طِلْثَامُهُ ، فَإِذَا شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ السَّكَنْدَرِيُّ ، فَقُلْتُ :  
 وَيْحَكَ ! أَيُّ دَاهِيَةٍ أَنْتَ ؟ فَقَالَ :

نُقِضَ الْعَمْرُ تَشْبِيهَا      عَلَى النَّاسِ وَتَمَوُّيَهَا  
 أَرَى الْأَيَّامَ لَا تَبْقَى      عَلَى حَالٍ فَأَحْكِيهَا  
 فَيَوْمًا شَرُّهَا فِيَّ      وَيَوْمًا ثَرَّتِي فِيهَا

[ مِنْ رِسَائِلِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ]

وَسَأَلَ الْبَدِيعَ أَبَا نَصْرِ بْنِ الْمَرْزَبَانَ - عَارِيَةً - بَعْضَ مَا يَتَجَمَّلُ بِهِ ، فَأَمْسَكَ عَنْ  
 إِجَابَتِهِ ؛ فَأَعَادَ الدِّكْتَابَ إِلَيْهِ بِمَا نَسَخْتَهُ :

لَا أَزَالُ - أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَقَاءَ مَوْلَانَا الشَّيْخِ ! - أَسْوَأَ الْإِتْقَادِ ، وَحَسَنَ  
 الْإِعْتِقَادِ ، أَمْسَحُ جَبِينَ الْخَجَلِ ، وَأَمُدُّ يَمِينَ الْعَجَلِ ، وَلِضَعْفِ الْحَاسَةِ ، فِي الْفِرَاسَةِ ،  
 أَحَسِبُ الْوَرَمَ شَجْمًا <sup>(١)</sup> ، وَالسَّرَابَ شَرَابًا ، حَتَّى إِذَا تَجَشَّمْتُ مَوَارِدَهُ ، لِأَشْرَبَ  
 بَارِدَهُ ، لَمْ أَجِدْ شَيْئًا .

وَمَا حَسِبْتُ الشَّيْخَ سَيِّدِي مِنْ تَعْنِيهِ <sup>(٢)</sup> هَذِهِ الْجُمْلَةُ حَتَّى عَرَضْتُ عَلَى النَّارِ عَوْدَهُ ،  
 وَنَشَرْتُ بِالسُّوَالِ جُودَهُ ، وَكَأَنَّ تَبْدُئَهُ أَسْتَعِيرُهُ حَلِيَّةَ جَمَالٍ ، سَحَابَةً يَوْمٍ أَوْ شَطْرَهُ ،  
 بَلْ مَسَافَةً مِيلٍ أَوْ قَدْرَهُ ، فَتَقَاصُ فِي الْفِطْنَةِ غَوْصًا عَمِيقًا ، وَنَظَرٌ فِي الْكَيْسِ

(١) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي :

أَعْيَدْهَا - نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً      أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمُنَ شَحْمَهُ وَرَمَ (م)

(٢) فِي نَسْخَةِ « مَنْ تَجَبَّنَهُ » (م) .

نظراً دقيقاً ، وقال : هذا رجل مشحوذ المذبة ، في أبواب الكذبة<sup>(١)</sup> ، قد جعل استعارة الأغلاق طريقاً افتراسها ، وسبب احتباسها ، وقد منى ضررته ، وحدّث بالحوال نفسه ، ولا لطيفة في هذا الباب ، أحسن من التغافل عن الجواب ، فضلاً عن الإيجاب ، وكلاهما في أبواب الردّ أقبح مما قرع ، ولا في شرائع البخل أوحش مما شرع ؛ ثم العذر له من جهتي مبسوط إن بسطه الفضل ، ومقبول إن قبله المجد ، وإنما كاتبته لأعيد الحال القديمة ، وأشرط له على نفسه أن أريحه من سؤم الحاجات من بعد ، فمن لم يستخني من « أعطني » ، لم يستخني له من « أغفني » ؛ وعلى حسب جوابه أجرى المودة فيما بعد ، فإن رأى أن يجيب فعل إن شاء الله .

وله إلى سهل بن محمد بن سليمان :

كتاب منه  
إلى سهل  
ابن محمد

أنا إذا طويت عن خدمة مولاى - أطال الله بقاءه - يوماً لم أرفع له بصرى ، ولم أعده من عمرى ، وكأنى بالشيخ - أعزه الله - إذا أغفلت مفروض خدمته ، من قصد حضرته ، والتمول في حاشيته ، وجملة غاشيته ، يقول : إن هذا الجامع لما شيع تضلع ، واكتسى وتلفّع ، وتجلل وتبرّق ، تربّع وترفع ، فما يطوف بهذا الجناب ، ولا يظهر بهذا الباب ؛ وأنا الرجل الذى آواه من فقر ، وأغناه من فقر ، وآمنه من خوف ، إذ لا حرّ بوادى عوف ؛ حتى إذا وردت عليه رقتى هذه ، وأغارها طرف كرمه ، وظرف شيمه ، ونظر فى عنوانها اسمى قال : بعداً وسحقاً ، [وسباً وتباً] وحتاً ونحتاً ، وطمناً ولعناً ، فما أ كذب سراب أخلاقه ، وأ كثر أسراب نفاقه ، فالآن انحلّ من عقدته ، وانتبه من رقّده . وكاتبني يستعيدنى ، كلاً لا أزوّجه الرضا ولا قلامه ، ولا أمتحه المنى ولا كرامته ، بل أدعّه يركب راسه ، ويُقاسى أنفاسه ، فستأتينى به الليالى ، والكيس الخالى ، ثم أريه ميزان قدره ، وأذيقه وبال أمره ، حتى

إذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال : مَأْرُبَةٌ لَا حَفَاوَةَ ، وَوَطْرَ سَأَقَهُ ، لَا نِزَاعٌ شَأَقَهُ <sup>(١)</sup> ، فهذا بِدْءًا ، ولا أبعدهم تلك الهمم العالية ، والأخلاق السامية أن يقول : مرحبا بالرقعة وكتابها ، وأهلا بالمخاطبة وصاحبها [ وقضاء الحاجة بإنحائها ، وإبرازها ، وهي الرقعة التي سالت إلى من التمسته ، كما اقترجته بما طالبت به ، فرأى فيه موفق إن شاء الله تعالى ] .  
وله أيضا إلى بعض الرؤساء يسأله إطلاق محبوس [ بسببه ] .

الشيخ - أطال الله بقاءه - إذا وصل يدي بيده لم ألس الجوزاء إلا قاعدًا ، وقد نَاطَهَا مِئَةً فِي عُنُقِ الدَّهْرِ ، وصاغها إكليلا لجين الشكر . وما أَقْصَرَ يَدِي عن الجزاء ، واسأني عن الثناء . وهذا الجاهل قد عرف نفسه ، وقلع ضرره ، ورأى ميزان قدره ، وذاق وبال أمره ، وجوز إلى كتيبة عجائز عاجزات <sup>(٢)</sup> ؛ فَأُطْلِقَنَّ العويل والأليل ، وبعثنني شفيعًا إلى ، واستعن بي على ، وتوسَّلَنَّ بكلمة الاستسلام ، ولحمة الإسلام ، في فَكِّ هذا الغلام ؛ فإن أحبَّ الشيخُ أن يجمعَ في الطَّوْلِ بين الحوض والكوثر <sup>(٣)</sup> ، وينظم في الفَعْل ما بين الروض والمطر ، شفَّعَ في إطلاقه مَكَارِمَهُ ، وشرَّفَ بذلك خادمه ، وأنجزنا بالإفراج عنه ، مُوَفَّقًا إن شاء الله تعالى .

[ عفو عن ذى جريرة ]

وقال رجل لإبراهيم بن المهدي : اشفع لي إلى أمير المؤمنين في فك أخى من حبسه ، وكان محبوسا في عِدَادِ الْعُصَاةِ ، فقال للمأمون : ليس للعاصي بعد القُدْرَةِ عليه ذَنْبٌ ، وليس للعصاب بعد الملك عذر <sup>(٤)</sup> . فقال : صدقت ؛ فما طَلَبْتِكَ ؟ قال : فلان هَبْه لي . قال : هو لك .

(١) نزاع : أراد به نزوع القلب إليه ، وشاقه : أعجبه ، والمراد أنه إنما بعثه على الكتابة الحاجة إليه لا المحبة (م) .

(٢) في نسخة « عجائز فاجرات » ولا يتفق مع موضوع الكتاب (م) .

(٣) في نسخة « في الطول إزاء الحوض إلى العفر » (م) .

(٤) في نسخة « وليس للعاتب بعد ذلك عليه عذر » .

المأمون

وسأل أبو عبادة أحمد بن أبي خالد أن يطلق له أسارى ، ففعل ، فقال له : قد فككنا أسراك . فقال : لا فكَّ الله رِقَابَ الأحرار من أيديك !

### الفاظ لأهل العصر في التهنئة بالإطلاق من الأسر

الحمد لله حمد الإخلاص ، على حسن التخلّص ، الذي أفضى بك من ذلّة رِقٍّ ، إلى عزّة عِتق ، ومن تصليّة جسيم ، إلى جنّة نعيم . خرج من العقال ، خروج السيف من الصّقال . خرج من إساره ، خروج البدر من سِراره . الحمد لله الذي فكَّ أسراً ، وجعل من بعد العسر يسراً . خرج من البلاء ، خروج السيف من الجلاء . قد جعل الله لك من مضايق الأمور مخرجاّ مجيهاً ، ومن مغالِق الأهوال مَسرحاً فسيحاً<sup>(١)</sup> .

### [ أبو نواس يمدح الأمين ]

مدح أبو نواس الأمين محمداً في [ أول ] خلافته بقصيدته التي يقول فيها :

أقول والعيسُ تعرّوْرى الفلاة بنا      صُغر الأزيمة من مثنى ووُحْدانِ  
ياناق لا تسأى أو تبُلغنى ملكا      تَبِيلُ راحتِه والرُّكن سِيانِ  
مقابلا بين أملاك تفضله      ولادتان ن المنصور ثنتان  
متى تحطّى إليه الرّخل سالمةً      تَسْتَجِمِعِي الخلق في تمثال إنسان

قال [ الحسن ] : هذا لأن محمداً واده المنصور مرتين من قَبْل أن أباه هرون

الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور ، ومن قَبْل أن أمه أمة العزيز بنت جعفر ابن [ أبي جعفر ] المنصور ، وكان المنصور دخل عليها وهي طفلة تلعب ، فقال : ما أنت إلا زُبَيْدة ، فغلب عليها هذا اللقب ، ولم يَلِ الخلافة من أبواه هاشميان غير على بن أبي طالب وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وابنه الحسن ، وأمّه فاطمة بنت النبی صلی الله علیه وسلم ، والأمين محمد بن الرشيد .

(١) المسرح : مكان السراح ، وهو الانطلاق والفتك (م) .

رجع القول — فلما أنشد القصيدة قال : ما ينبغي أن يُسمع مدحك بعد قولك في الخصيب بن عبد الحميد :

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيب ركابنا      فأى فتى بعد الخصيب تزور؟  
فتى يشتري حسنَ الثناء بماله      ويعلم أن الدائراتِ تدورُ  
فما فاته جُودٌ ، ولا حلٌّ دونه      ولكن يسيرُ الجود حيث يسيرُ<sup>(١)</sup>  
فقال : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مدح في الخصيب وغيره فمدح فيك ؛  
لأنى أقول ، ثم ارتجل :

ملكْتَ على طير السعادة واليُمْنِ      وجاءت لك العليا مقتبِلَ السنِّ  
بمحيا وجود الدين تحييا مهنا      بحسن وإحسان مع اليُمْنِ والأمنِ  
لقد طابت الدنيا بطيب ثنائهِ      وزادت به الأيامُ حسناً إلى حُسْنِ<sup>(٢)</sup>  
لقد فك أرقاب العُناة محمدٌ      وأسكن أهل الخوف في كنف الأمنِ<sup>(٣)</sup>  
إذا نحنُ أثنيْنَا عليك بصلحٍ      فأنت كما ثنى وفوق الذى ثنى  
وإن جرَّت الألفاظُ يوماً بمدحةٍ      لغيرك إنساناً فأنت الذى نَعْنى  
قال : صدقت ، مدحُ عبدى مدح لى ؛ وَوَصَلَهُ وَقَرَّ بِهِ .

\*\*\*

وأما قول أبى نواس :

\* إذا نحنُ أثنيْنَا عليك بصلحٍ \*

فمن قول الخنساء :

فما بلغ المهدونَ للناسِ مدحةً      وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضَلُ  
وما بلغت كف امرئ متناولاً      من المجد إلا والذى نلت أطولُ

(١) يروى « فما جازه جود . . . ولكن يصير الجود حيث يصير » (م) .

(٢) فى نسخة « بطيب محمد » (-) . (٣) فى نسخة « أغلال العناة » (م)

## [ بين الأخطل ومعاوية ]

وفد الأخطل على معاوية ، فقال : إني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها ، فقال :  
 إن كنت شديتهني بالحية ، أو الأسد ، أو الصقر ، فلا حاجة لي بها ، وإن كنت  
 [قلت] كما قالت الخنساء ، وأنشد البيتين ، فقل . فقال الأخطل : والله لقد  
 أحسنت ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ، ثم أنشد :

إذا مَتَّ مَاتَ العُرفُ وانقطع الندي فلم يبق إلا من قليلٍ مصرِدٍ  
 ورُدَّتْ أكفُ السائلين وأمسكوا عن الدين والدنيا بحزنٍ مجدِدٍ

\* \* \*

وقول أبي نواس : \* وإن جَرَّتْ الألفاظ يوماً بِمِذْحَةٍ \* من قول كثير  
 في عبد العزيز بن مروان :  
 متى ما أقر في سالف الدهر مِذْحَةً فما هي إلا لابن ليلى المعظم  
 وقال الفرزدق :

وما أمرتني النفس في رِخْلَةٍ لها إلى أَحَدٍ إلا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا  
 ولما أنشد أبو تمام أحمد بن أبي دُوَادٍ قصيدته :  
 \* سقى عهدَ الحى صوبُ العِهادِ \*

وانتهى إلى قوله :

وماسـافرتُ في الأفاقِ إلّا وَمِنْ جَدِّوَاكَ راحِلَتِي وزادِي  
 مُقِيمُ الظنِّ عِنْدَكَ والأمانِي وإن قَلَعْتَ رِكابِي في البلادِ  
 قال له ابن أبي دُوَادٍ : هذا المعنى لك أو أخذته ؟ قال : هو لي ، وقد أُلِمْتُ  
 فيه بقول أبي نواس :

وإن جَرَّتْ الألفاظ يوماً بِمِذْحَةٍ لغيرك إنساناً فأنتَ الذي نَعْنِي  
 وأخذه المتنبي فقال :



أَشْرَتَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ      نَزَلْتُ بِهِمْ فَرَحْتُ بِغَيْرِ زَادٍ  
وَعَظَّمْتُ لِي مَدْحَهُمْ قَدِيمًا      وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي  
وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ : « وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ - الْبَيْتِ » فَمِنْ قَوْلِ الْمُتَقَبِّ  
الْعَبْدِيِّ ، [ وَذَكَرَ نَاقَتَهُ ] :

إِلَى عَمْرٍو بْنِ حَمْدَانَ أَبِيي      أَخَى النَّجْدَاتِ وَالْجُدِّ الرِّصِينِ <sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ : \* فَمَا فَاتَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ \* الْبَيْتِ ، فَمِنْ قَوْلِ  
الشَّعْرِذِلِ بْنِ شَرِيكَ [ الْبَرْبُوعِي ] :

مَا قَصَّرَ الْمَجْدَ عَنْكُمْ يَا بَنِي حَكَمٍ      وَلَا تَجَاوَزْكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ  
يَحِلُّ حَيْثُ حَلَّتُمْ لَا يَرِيكُمْ      مَا عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ <sup>(٢)</sup>  
إِنْ يَشْهَدُوا يَوْجِدُ الْمَعْرُوفَ عِنْدَهُمْ      خِدْنًا وَلَيْسَ إِذَا غَابُوا بِمَوْجُودٍ  
وَقَدْ قَالَ السَّكْمِيَّتُ الْأَسَدِيُّ :

يَسْ—— يَرِ أَبَانَ قَرِيعَ السَّمَاءِ      حَ وَالْمُسْكِرَاتِ مَعًا حَيْثُ سَارَا

\*\*\*

وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ أَيْضًا :

\* فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ \*

مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الرَّاعِي :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ      إِذَا مَا اشْتَرَى لِمَخْرَآةٍ بِالْمَجْدِ بِيَهْسُ

[ بَيْنَ السَّفَاحِ وَأَبَى نُحَيْلَةَ ]

دَخَلَ أَبُو نُحَيْلَةَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ ، فَقَالَ :  
لَعَنَكَ اللَّهُ ! أَلَسْتُ الْقَتْلَ لِلْمَسَامَةِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَمْسَامَةُ يَا بَجْلَ خَيْرِ خَلِيفَةٍ      وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَاوِ يَا جَبَلَ الْأَرْضِ

(١) فِي نَسْخَةٍ « إِلَى عَمْرٍو وَمِنْ عَمْرٍو أَتَنِي » (م)

(٢) لَا يَرِيكُمْ : لَا يَفَارِقُكُمْ ، وَالْبَيْضُ : الْأَيَّامُ ، وَالسُّودُ : اللَّيَالِي (م)

شكرتك إنَّ الشكر حَبْلٌ من التقي      وما كلُّ من أوليته نعمةً يَقْضَى  
وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أُتَيْتَ زَائِراً      علىَّ لحافاً سابِغَ الطولِ والعرضِ  
ونَهَيْتَ من ذكرى وما كان خاملاً      ولكن بعض الذكر أنبه من بعض  
ثم أمره بأن ينشد ، فأنشده أرجوزة يقول فيها:

كُنَّا أَنَسًا نَرْهَبُ الْمَلَأَ كَا      ونركب الأعجَاز والأوراكا  
وكلَّ ما قد مرَّ في سِوَا كَا      زُورٌ، وقد كفرَ هذا ذاكا  
واسم أبي نخيلة الجنيد بن الجون ، [ وهو مولى لبني حماد ] ، كان مقصداً  
راجزاً .

\*\*\*

قيل للخنساء : لئن مدحت أخاك لقد هجوت أباك ! فقالت :  
جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبِلَا وَهَما      يتعاوَرَانِ مِلاَةَ الْحَضَرِ<sup>(١)</sup>  
حتى إِذَا جَعَدَ الْجِرَاءُ وَقَدَّ      ساوَى هناك القدر بالقدر<sup>(٢)</sup>  
وَعَلَا صِيَاحُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا ؟      قال المجيب هناك : لا أَدْرِ  
برقت صحيفةً وَجْهَ والدِهِ      ومضى على غُلُوِّائه يَجْرِي  
أولى فأولى أَنْ يُساوِيَهُ      لولا جلالُ السنِّ والكِبَرِ  
وهما كأنهما وقد بَرَزَا      صَقْرَانِ قد حَطَّآ على وَكْرِ  
وقيل لأبي عبيدة : ليس هذا في شعر الخنساء . فقال : العامةُ أسقط من أن  
يجاد عليها بمثل هذا .

\*\*\*

وقد أحسن البحترى في نحو هذا ؛ إذ يقول في يوسف بن أبي سعيد ،  
[ ومحمد ] بن يوسف الطائى :

جَدُّ كَجَدِ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهُ      تَرَكَ السَّيَّاحَ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْرُفِ

(١) الحضرة - بالضم - شدة عدو الفرس (م) .

(٢) الجراء - بكسر الجيم - جرى الفرس (م) .

قاسمته أخلاقه وهي الردى للمعتدى وهي الندى للمعتنى  
وإذا جرى في غاية وجريته في أخرى التقى شأوا كما في المنصف<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قول الخنساء : \* يتعاوران ملاءة الحضر \*

أربع استعارة ، وأنصع عبارة ، وقد قال عدى بن الرقاع :

يتعاوران من الغبار ملاءة غبراء محكمة هما نسجها  
تطوى إذا وردا مكاناً جاسيا فإذا السنايك أسهلت نشرها<sup>(٢)</sup>  
وإلى هذا أشار الطائي في قوله :

تثير عجاجة في كل ثغر يهيم بها عدى بن الرقاع

وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر جاهلي من بني عقيل<sup>(٣)</sup> فقال :

ألا يا ديار الحى بالسبعان عفت حججا بعدى وهن ثمان  
فلم يبق منها غير نوى مهدم وغير أناف كالركي رعان  
وآيات هاب أورك اللون سافرت به الريح والأمطار كل مكان<sup>(٤)</sup>  
قفار مرورة تحار بها القطا وتمسى بها الجبان تقتربان<sup>(٥)</sup>  
يثيران من نسج الغبار عليهما قيصين أسمالاً ويرتدان

ومن مستحسن رثاء الخنساء وليلي وغيرهما من النساء

من رثاء  
الخنساء

قال أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى : أنشد أبو السائب الخزومي قول

الخنساء :

وإن صخرأ لمولانا وسيئدنا وإن صخرأ إذا نشئوا لنحار

(١) الشأو : الأمد والغاية ، والمنصف : النصف ، يريد نصف الطريق (م) .

(٢) فى نسخة « إذا وردا مكانا ناشزا » (م)

(٣) ينسب بعض الناس هذا الشعر لابن أحمر ، وبعضهم ينسبه لابن مقبل (م) .

(٤) فى نسخة « وآيات آب » (م) .

(٥) فى نسخة « ويمشى بها الجمان يعتركان » (م) .

وإن صخرًا لتأتُم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ  
فقال : الطلاق لي لازم إن لم تكن قالت هذا وهى تتبختر فى مشيها ،  
وتنظر فى عطفها .

من بديع  
رثاء الخنساء

ومن مستحسن رثاء الخنساء قولها ترفى أخاها صخرًا :  
أذهب فلا يبعدنك الله من رجل مناع ضميم وطلاب لأوتار  
قد كنت فينا صريحاً غير مؤشب مركباً فى نصاب غير خوار  
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة وما أضاعت نجوم الليل للشارى  
أبكى فتى الحى نالته منيته وكل نفس إلى وقت بمقدار  
وقولها [ تعنيه ] :

شهاد أنجيه شـــــــــــــداد أوهية . قطاع أودية للوتر طلابا  
سَمَّ العُداة وفكك العُناة إذا لاقى الوغى لم يكن الموت هيباً  
يهدى الرّعل إذا جار السبيل بهم نهّد التليل لزرق السمر ركابا  
[ من ترجمة الخنساء ، وليلى الأخيلية ]

من أخبار  
الخنساء

والخنساء اسمها تماضر بنت عمرو [ بن الحارث ] بن الشريد بن رياح بن  
[ يقظة بن عصية بن خفاف ] بن امرئ القيس ، وتكنى أم عمرو ، ومصدق ذلك  
قول أخيها [ صخر ] :

أرى أم عمرو لا تملّ عيادتى وملت سليمى مضجعى ومكانى

سليمى : امرأته ، وإنما لقبت الخنساء كناية عن الظبية ، وكذلك [ تسميتهم ]

الذلفاء . والذلف : قصر فى الأنف ؛ وإنما يريدون به أيضاً أن ذلك من صفات

الظباء ، وهى أشعر نساء العرب عند كثير من الرواة ؛ وكان الأصمعى يقدم ليلى

الأخيلية ، وهى ليلى بنت عبد الله بن كعب بن ذى الرحالة بن معاوية بن عبادة بن

عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل لها الأخيلية لقول جدها كعب :

نحن الأخيل ما يَزَالُ غلامُنَا حتى يَدِبَ على العصا مذكورا موازنة بينهما  
قال أبو زيد : [ هذا البيت لها فسُمِّيت به ، وليلى أغزر بحرا ] ، وأكثرتصرفاً ، وأقوى لفظاً ؛ والخنساء أذهب في عمود الرثاء .

قال المبرد : كانت الخنساء وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ،  
وقلما رأيت امرأة تتقدم في صناعة ، وإن قل ذلك ، فالجمل ما قال الله تعالى :  
« أَوْ مِنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ » .

ومن أحسن المرائي ما خلط فيه مدحٌ بتفجعٍ على المرنى ، فإذا وقع  
ذلك بكلام صحيح ، ولهجة معربة ، ونظام غير متفاوت ، فهو الغاية من  
كلام المخلوقين .

واعلم أن من أجل الكلام قول الخنساء :

يا صخرُ وِرَادٍ ماءٍ قد تَفَادَرَهُ أَهْلُ المِيَاهِ فما في وَرْدِهِ عَارُ  
مَسَى السَّبْتِىَّ إِلَى هَيْجَاءٍ مَعْضَلَةٍ لَهَا سِلَاحَانُ أُنْيَابٍ وَأُظْفَارُ<sup>(١)</sup>  
وما عَجُولٌ عَلَى بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارُ  
تَرْتَعُ فِي غَفْلَةٍ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَأَيْمًا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ<sup>(٢)</sup>  
يَوْمًا بِأَوْجَعِ مَنَى حَبِينٍ فَارَقْنِي صَخْرُ ، وَلِلْعَيْشِ إِحْلَاءٌ وَإِفْرَارُ  
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لَرِيْبَةٍ حَتَّى يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ  
قال : ومن كامل قولها :

فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لَقَلْتُ نَفْسِي  
وما يَبْكُونُ مِثْلَ أَخِي ، وَلَكِنْ أَسْلَى النَفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِ  
يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

(١) السبتى - بفتح السين والياء وسكون النون - الحرى ، المقدم ، وهو أيضاً

النمر (م) (٢) حفظى « ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت » (م)

يعنى أنها تذكره أول النهار للغارة ، ووقت الغيب للأضياف .

\*\*\*

لابن الرومي

وقد قال ابن الرومي فيما يتعلق بطرف من هذا المعنى :  
 رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَخْرُجُ ثُمَّ يَأْسُو وَيُؤْيِي أَوْ يَعْوِضُ أَوْ يُنْسِي  
 أَبَتْ نَفْسِي الْمَلَاعَ لِرُزْءِ شَيْءٍ كَفَى شَجْوًا لِنَفْسِي رُزْءَ نَفْسِي  
 أَنْجَزُ وَحْشَةً لِفِرَاقِ إِلْفٍ وَقَدْ وَطَنْتُمْ لِحُلُولِ رَمْسٍ  
 وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ تَعَلَّلَ بِالتَّأْسِي بِمَا قَالَ غَيْرُهُ (١) ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :  
 خَلِيلٌ قَدْ عَلَّلْتَنِي بِالْأَسَى فَاذْنَعْتَا لَوْ أَنَّنِي أَتَعَلَّلُ  
 النَّاسَ آثَارِي ، وَإِلَّا فَمَا الْأَسَى وَعَيْشُكُمَا إِلَّا ضَلَالٌ مَضَلُّ  
 وَمَا رَاحَةُ الْمَرْزُوءِ فِي رُزْءِ غَيْرِهِ أَيْحَمِلُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَتَحَمَّلُ  
 كَيْلًا حَامِلِي عِبَاءِ الرِّزْيَةِ مُثْقَلٌ وَلَيْسَ مَعِينًا مُثْقَلُ الظَّهِرِ مُثْقَلُ  
 وَضُرِبَ مِنَ الظُّلْمِ الْخَفِيُّ مَكَانُهُ تَعَزَّيْكَ بِالْمَرْزُوءِ حِينَ تَأْمَلُ  
 لِأَنَّكَ يَا سَوْكُ الَّذِي هُوَ كُلُّهُ بِلَا بَصَرٍ لَوْ أَنَّ جُورَكَ يَعْدِلُ  
 وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

للخنساء

وَقَائِلَةٌ وَالنَّعْشُ قَدْ فَاتَ خَطُوهَا لَتَذْرَكَ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ  
 أَلَا تَكَلَّتْ أُمُّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ ! مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ !  
 وَمَا ذِيَاوَارِي الْقَبْرِ تَحْتَ تَرَابِهِ مِنَ الْجُودِيَا بُوْسُ الْحَوَادِثِ وَالْدَهْرِ  
 فَشَانُ الْمَنَايَا إِذَا أَصَابَكَ رَيْبُهَا لَتَغْدَلِي الْفَتَيَانَ بَعْدَكَ أَوْ تَسْرِي

وهذا المعنى كثير قد مرّت منه قطعة جيدة ، ولم تزل الخنساء تبكي على أخويها صخر ومعاوية ، حتى أدركت الإسلام ؛ فأقبل بها بنو عمتها وهي عجوز كبيرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! هذه الخنساء ،

(١) في نسخة « بما قال عنتره » تطبيع (م) .

وقد قرّحت آماقها من البكاء في الجاهلية والإسلام ، فلو نهيتهم لرجونا أن تنتهى ، فقال لها عمر رضى الله عنه : اتقى الله وأيقنى بالموت ، قالت : أبكى أبى وخيرَ بنى مضر صخرًا ومعاوية ، وإني لموقنة بالموت ، قال : أتبكين عليهم وقد صاروا جمرّة في النار ؟ قالت : ذلك أشدّ لبكائي عليهم ! فرقّ لها عمر وقال : خلّوا عن عجوزكم لا أبا لكم ! فكل امرئ يبكى شجوه ، ونام الخليل عن بكاء الشجى .

وكان عمرو بن الشريد يأخذ بيد ابنه معاوية وصخر في الموسم ، ويقول : عمرو بن الشريد وأبناءه : أنا أبو خيرى مضر ، فمن أنكر فليغيّر ، فلا يغير ذلك عليه أحد ، وكان يقول : من أتى بمثلهما أخوين من قبل فله حكمه ، فتقرّ له العرب بذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا ابن الفواطم من قريش ، والعواتك من سليم ، وفي سليم شرف كثير .

وكان يقال لمعاوية : فارس الجون ، والجون من الأضداد ، يقال للأسود والأبيض ، وقتلته بنو مرة ، قتله هاشم بن حرّملة ، فطلبه دُرَيْد بن الصّمة حتى قتله ، وأما صخر ففزا أسد بن خزيمة فأصاب فيهم ، وطعنه ثور ابن ربيعة الأسدى ، فأدخل في جوفه حلقة من الدرع فاندمل عليه ، فنتأت قطعة من جنبه مثل اليد ، فمرض لها حولا ، ثم أشير عليه بقطعها ، فأحموا له شفرة ثم قطعوها ، فما عاش إلا قليلا .

ومن جيد شعر ليلى الأخيلية ترثى توبة بن الحمير الخفاجى ، وكان لها محبّا ، وله فيها شعر كثير ، وقتله بنو عوف بن عقيل ، قتله عبد الله بن سالم :

نظرتُ وركنٌ من عمّاية دوننا وأركان جسمى أى نظرة ناظر<sup>(١)</sup>  
فأنست خيلا بالرق مغيرة سوابقها مثل القطّ المتواتر

(١) عمّاية - بفتح العين - جبل في بلاد نجد من بلاد بنى كعب وقشير وعقيل (م)

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءَ فَإِنَّكُمْ  
فَلَا يُبْعِدَنَّكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا  
أَتَتْهُ الْمَنَآيَا بَيْنَ دِرْعِ حَصِينَةٍ  
كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخَ  
وَلَمْ يُدْعَ يَوْمًا لِلْحِفَاطِ وَلِلنَّهْيِ  
وَلِلْبَازِلِ الْكُومَاءِ يَرْغُو حُورًا رُهَا  
فَتَى لَا تَحْطَاهُ الرَّفَاقُ ، وَلَا يَرَى  
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَمِيمَةٍ  
فَتَى لَا تَرَاهُ النَّابُ الْفَغَا لِسَقِيمِهَا  
وَكُنْتَ إِذَا مَوْلَاهُ خَافَ ظَلَامَةَ  
وَقَدْ كُنْتَ مَرْهُوبَ السَّنَانِ وَبَيْنَ أَلْسَانِ  
وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا  
لِتَوْبَةٍ فِي حَدِّ الشَّتَاءِ الصَّنَابِرِ<sup>(٧)</sup>

وقال بعض الرواة : بينا معاوية يسير إذ رأى راكباً ، فقال لبعض شُرطته :  
اثنى به وإياك أن ترؤعه . فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردت ،  
فلما دنا الراكب حذر لثامه فإذا ليلي الأخيلية ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أكذ آتيك تهوى برحلى نحو ساحتك الركابُ

(١) بواء - بفتح الباء والواو - متكافئين متماثلين (م)

(٢) خطى : منسوب إلى الخط ، والمراد الرمح ، والجرداء : القصيرة الشعر ،  
والضامر : المهضم البطن ، والمراد الفرس (م)

(٣) - القلائص : جمع قلوص ، وهى الناقة الفتية ، والكرراكر : جمع كركرة ،  
وهى رحي زور البعير ، أو صدره (م) (٤) الحفاط - بالكسر - المحافظة على  
ماتجب المحافظة عليه ، وفى نسخة «ترمى نارها بالشرائر» (م) (٥) الحوار - بضم  
الحاء - ولد الناقة ، والكمأة : جمع كمى ، وهو الفارس المتكى فى سلاحه : أى

المستتر فيه ، والمساعر : جمع مسعر ، وهو الذى يوقد الحرب ويشعلها (م)

(٦) الليث : الأسد ، وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، وخادر : مقيم (م)

(٧) صنابر الشتاء : شدة برده .





أَتَتْهُ الْمَنَسَايَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قَرْنٍ يُنَاضِلُهُ  
وَصَارَ كَلِيشِ الْغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ فَتَرْضَى بِهِ أَشْبَاهَهُ وَحَلَائِلُهُ  
عَطُوفٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطَلَّبُ حَامَهُ وَسَمٌّ ذُعَافٌ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

فَأَمَرَهَا بِجَائِزَةٍ ، وَقَالَ : أَيُّ مَا قُلْتَ فِيهِ أَشْعَرُ ؟ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
مَا قُلْتَ شَيْئًا إِلَّا وَالَّذِي فِيهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ أَكْثَرُ ، وَلَقَدْ أَجَدْتُ حَيْثُ أَقُولُ  
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ فَتَى مِنْ عُقِيلٍ سَادَ غَيْرَ مَكْلَفٍ  
فَتَى كَانَتْ الدُّنْيَا تَهْوُنُ بِأَسْرِهَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْفَكْ جَمَّ التَّصَرُّفِ  
يُنَالُ عَلَيْهِاتِ الْأُمُورِ بِهَوْنَةٍ إِذَا هِيَ أَعْيَتْ كُلَّ خَرَقٍ مُسَوِّفٍ (١)  
هُوَ الْمَسْكُ بِالْأَرَى الضَّحَا كِي شَبْتِهِ بِدِرْيَاقَةٍ مِنْ خَرَّ يَيْسَانَ قَرَقَفٍ (٢)

وفود ليلي  
على مروان  
ابن الحكم

وَيُقَالُ : إِنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا لَيْلَى ! أَكَمَا نَعَمْ  
تَوْبَةٌ كَانَ ؟ قَالَتْ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ! وَاللَّهِ مَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا ، وَلَقَدْ قَصُرَتْ  
وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا يَقُطُّ كَانَ أَرْبَطَ عَلَى الْمَوْتِ جَأْشًا ، وَلَا أَقَلَّ انْجِمَاشًا حِينَ تَحْتَمِلُ  
بَرَاكَاءَ الْحَرْبِ ، وَيَحْمَى الْوُطَيْسُ بِالْقَطْعِنِ وَالضَّرْبِ ، كَانَ وَاللَّهِ كَمَا قُلْتَ :

فَتَى لَمْ يَزَلْ يَزْدَادُ خَيْرًا لَدُنْ نَشَا إِلَى أَنْ عَلَاهُ الشَّيْبُ فَوْقَ الْمَسَاحِ  
تَرَاهُ إِذَا مَا الْمَوْتُ حُلَّ بِوَرْدِهِ ضَرُوبًا عَلَى أَقْرَانِهِ بِالصَّفَاحِ  
شَجَاعٌ لَدَى الْهِجَاءِ ثَبَّتْ مُشَاحِ إِذَا انْحَاذَ عَنْ أَقْرَانِهِ كُلِّ سَابِحِ  
فَعَاشَ حَمِيدًا لَا ذَمِيمًا فَعَالَهُ وَصُولًا لِقُرْبَاهُ يُرَى غَيْرَ كَالْحِ

فَقَالَ لَهَا مَرْوَانُ : كَيْفَ يَكُونُ تَوْبَةٌ عَلَى مَا تَقُولِينَ وَكَانَ خَارِبًا ؟ « وَالْخَارِبُ  
سَارِقُ الْإِبِلِ خَاصَّةً » ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ خَارِبًا ، وَلَا لَهْوٌ هَائِبًا ، وَلَكِنْ

(١) هونة : أى سهولة ولين ورفق ، والخرق : الأحمق (م)

(٢) الأرى : العسل، وشبته : خلطته ، وييسان : من بلاد الشام مشهورة بالحمير

كان فتى له جاهلية ، ولو طال عمره وأنساء الموت لارغوى قلبه ، ولقضى في حب الله نَحْبَهُ ، وأقصر عن لهوه ، ولكنه كما قال ابن عمه مسلمة بن زيد :

فله قوم غادروا ابن حُجَيْرٍ      قتيلاً صريعاً للسيوف البواتر  
لقد غادروا حَزْماً وعزماً ونائلاً      وصَبْراً على اليوم العبوس القماطر  
إذا هاب ورَدَ الموت كلُّ غَضَنَفَرٍ      عظيم الحوايا لبُّهُ غيرُ حاضرٍ  
مضى قدماً حتى يلاقى ورَدَهُ      وجاد بسَيْبٍ في السنين القواشر<sup>(١)</sup>

فقال لها مروان : يا ليلي ، أعودُ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، فوالله لقد مات توبة ، وإن كان من فتيان العرب وأشدائهم ، ولكنه تركه الشقاء ، فهلك على أحوال الجاهلية ، وترك لقومه عداوة .

ثم بعث إلى ناس من عقيل فقال : والله لئن بلغني عنكم أمرٌ أكرهه من جهة توبة لأصلبكم على جذوع النخل ، إياكم ودَعَوَى الجاهلية ، فإن الله قد جاء بالإسلام ، وهدم ذلك كله .

قدوم ليلي  
على الحجاج

وروى أبو عبيدة عن محمد بن عمران المرزباني قال : قال أبو عمرو بن العلاء شيباني : قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج بن يوسف وعنده وجوه أصحابه أشرافهم ، فبينما هو جالسٌ معهم إذ أقبلت جارية فأشار إليها وأشارت إليه ؛ فلم يثبت أن جاءت جارية من أجل النساء وأكلهن ، وأتمهن خلفاً ، وأحسنهن عاورة ؛ فلما دنت منه سَلَّمَت ثم قالت : أتأذنُ أيها الأمير؟ قال : نعم ، أنشدت :

أحجاجُ إن الله أعطاك غايةً      يُقَصِّرُ عنها من أراد مداها .  
أحجاجُ لا يُفْلِلُ سِلاحُك إنما      المُنَايا بكفُّ الله حيث يراها

(١) القواشر : جمع قاشرة ، كأنها تنشر الجلد من جذعها ، وفي نسخة «الكواشر»

في أخرى «البواشر» (م)

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضَةً      تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا  
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعِيَاءِ الَّذِي بِهَا      غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ ثَنَاهَا  
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ صَوْتَ كَتِيْبَةٍ      أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا  
أَعَدَّ لَهَا مَصْـقُولَةً فَارِسِيَّةً      بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْمِلُونَ صَرَاهَا<sup>(١)</sup>

حتى أتت على آخرها . فقال الحجاج لمن عنده : أتعرفون من هذه؟ قالوا :  
ما نعرفها ، ولكن ما رأينا امرأة أطلقَ لسانا منها ، ولا أجمل وجهها ، ولا أحسن  
لفظاً ، فمن هي أصلح الله الأمير؟ قال : هي ليلى الأخيلىة صاحبة توبة بن  
الخير التي يقول فيها :

ولو أن ليلى الأخيلىة سَلَمَتْ      على ودوني جَنَدَلٌ وصفائحُ  
لَسَلَمْتُ تسليمَ البشاشة أوزَقَا      إليها صدًى من جانب القبر صَبَاحُ  
ثم قال لها : يا ليلى ، أنشدينا بعض ما قاله فيك توبة ، فأنشدته :

نَأْتِكَ بِلَيْلى دارها لا تَزُورُها      وشطَّتْ نواها واستمرَّ مَرِيرُها  
وكنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلى تَبَرَّقَعْتُ      وقد رَأَيْنى مِنْهَا الغَدَاةُ سَفُورُها  
على دِمَاءِ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُها      يَرَى لى ذَنْباً غَيْرَ أَنى أَرُورُها  
وأنى إِذَا مَا زُرْتُها قَلْتُ : يا اسْمى      فهل كان فى قولى اسْمى ما يَصِيرُها  
حَمَامَةً بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْنى      سَقَاكَ مِنَ العُرِّ الْغَوَادى مَطِيرُها  
أَيْبِنى لَنَا لا زَالَ رِيْشِكَ ناعِما      ولا زِلْتُ فى خُضراءِ دَانٍ بَرِيرُها<sup>(٢)</sup>  
وقد تَذَهَبُ الْحَاجَّاتُ يَطْلُبُها الْفَتى      شَعاعاً وَتَحْشَى النَفْسُ ما لا يَصِيرُها  
أَيَذْهَبُ رِيْعانُ الشَّبَابِ وَلَمْ أَزُرْ      عَرَّارَ مَنْ هَمْدانَ بَيْضاً مُحُورُها  
ولو أن لَيْلى فى ذُرَى مُتَمَنِّعٍ      بَنَجْرانَ لا لَتَفَّتْ على قُصورِها

(١) مصقولة فارسية : أراد السيف ، وأصل الصرى - بفتح الصاد - بقية اللبن  
فى الضرع ، وأرادت به أنهم يأتون بآخر ما يمكن من الضرب بها (م)  
(٢) البرير : ثمر الأراك (م)

يقرّ بعيني أن أرى العيسَ تَرْتَمِي بنا نحو ليلي وهي تجري صقورها  
وأشرفُ بالَغُورِ اليَفَاعِ لعلني أرى نَارَ ليلي أو يراني بصيرُها  
أرتنا حَمَامَ المَوْتِ ليلي ، وراقنا عيونُ نَقِيَّاتِ الحواشي تُدِيرُها  
حتى أنت على آخرها . فقال : يا ليلي ، ما رآبه من سفورك ؟ فقالت : أيها  
الأمير ؛ ما رآني قط إلا متبرقة ، فأرسل إليّ رسولاً إنه ملّمٌ بنا ، فنظر أهلُ الحَيِّ  
رسوله فأعدُّوا له وكنوا ؛ فَطَظِنْتُ لذلك من أمرهم ، فلما جاء ألفت برقي وسفرت  
فأنكر ذلك ، فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً . فقال لها الحجاج : لله درك ! فهل  
كانت بينكما ريبة قط ؟ قالت : لا والذي أسأله صلاحك ، إلا أني رأيت أنه  
قال قولاً فظننت أنه خضع لبعض الأمر ، فقلت :

وذى حاجة قلنا له : لا تَبْعُ بها فليس إليها ما حَيَّيتَ سبيلُ  
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نَخُونَهُ وأنت لأخرى صاحبٌ وخليل  
فما كلني بشيء بعد ذلك حتى فرّق الموت بيني وبينه . فقال لها : حاجتك !  
قالت : أن تحملني إلى قتيبة بن مسلم على البريد إلى خراسان ، لحملها فاستظرفها  
قتيبة ووصلها ، ثم رجعت فابت بساوة<sup>(١)</sup> ، وقبرها هناك .

وروى المبرد أنها لما أنشدته الأبيات «أحجاج إن الله أعطاك» .. إلى قولها «غلام  
إذا هز القناه ثناها» قال لها : لا تقولي غلام ، ولكن قولي : هام ، ثم قال لها :  
أي نسائي أحبُّ إليك أن أنزلك عندها ؟ قالت : ومن نسائك أيها الأمير ؟ قال :  
أم الجلاس بنتُ سعيد بن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية ،  
وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية<sup>(٢)</sup> . قالت : هذه أحب إلي . فلما كان  
الغد دخلت إليه فقال : يا غلام أعطها خمسمائة . قالت : أيها الأمير ، اجعلها أذماً<sup>(٣)</sup> .

(١) في الأغاني «فانت بالرى» (م) (٢) في نسخة «القيسية» (م)

(٣) الأدم : جمع آدماء ، وهي السمراء اللون (م)

قيل لها : إنما أمر لك بشاء ، فقالت : الأميرُ أكرم من ذلك ؛ فجعلها إبلا أذماً استحياء ؛ وإنما كان أمر لها بشاء [ أولاً ، والأدم أكرمها ] .

وأول هذا الحديث عن رجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له ورّقاء قال : كنت عند الحجاج فدخل الآذن<sup>(١)</sup> فقال : أصلح الله الأمير ! بالبواب امرأة تهذرُ كما يهذرُ البعير الناذ<sup>(٢)</sup> . قال : أدخلها ، فلما دخلت نَسبها فانتسبت له . فقال : ما أتى بك يا ليلي ؟ قالت : إخلافُ النجوم ، وقلةُ الغيوم ، وكَلَبُ البرد ، وشدة الجهدِ ، وكنت لنا بعد الله الرّقد .

قال لها : أخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُعَبَّرَةٌ ، والفِجَاجُ مقشعرةٌ ، وأصابتنا سنون مُجَحِّفَةٌ مُظْلِمَةٌ ، لم تدعْ لنا هُبَماً ولا رُبَماً ، ولا عافِطَةً ولا نافِطَةً<sup>(٣)</sup> . أهلك الرجال ، ومزّقت العِيَال ، وأفسدت الأموال ، وأنشدت الأبيات التي مضت آنفا ؛ فالتفت الحجاجُ [ إلى أصحابه ] . وقال : هل تعرفون هذه ؟ قالوا : لا . قال : هذه ليلي الأخيلية التي تقول :

نحن الأخاييلُ لا يزال غلامنا حتى يدبّ على العصا مذكورا  
تبكي الرياحُ إذا فقدن أكنفنا حزناً وتلقانا الرّفاقُ . ورا  
وفي آخر حديثها قال لها : أنشدنا بعض شعرك ، فأنشدته :

لعمرك ما بالموت عارٌّ على الفتى إذا لم تُصِبه في الحياة المعاييرُ  
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً فلا بدّ يوماً أن يُرى وهو صابر  
فلا يبعدنك الله ياتوبُ هالكا لدى الحرب إن دارت عليك المقاديرُ  
فكل جديد أو شباب إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صابرُ  
وكل قريني ألفةٍ لتفرّق شتاتٍ وإن ضنا وطال التماسُ

(١) الآذن : الذي ينقل الإذن بالدخول ، شبه الحاجب اليوم (م)

(٢) الناذ : الشroud (م) (٣) الهبع - بزنة سرد - ابن الناقة الذي ينتج آخر فصل النتاج . والرّبع : الذي ينتج في وقت الربيع . والعافطة : الضائنة . والنافطة : الماعزة (م)

فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا وأخفل من دارت عليه الدوائر  
فقال الحجاج لصاحب له : اذهب بها فاقطع عني لسانها ، فدعا لها بالحجام  
ليقطع لسانها . فقالت له : ويحك ! إنما قال لك الأمير : اقطع لساني بالعطاء ،  
فارجع إليه فاسأله ، فسأله فاستشاط غيظاً ، وهم بقطع لسانه ، [ ثم أمر بها فأدخلت ]  
فقال : أيها الأمير ، كاد يقطع منقولي ، وأنشدته :  
حِجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ  
حِجَّاجُ أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَا يَقْدُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

احتذى الحجاج في قوله : « اقطع لسانها » قول النبي صلى الله عليه وسلم  
لما أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حُذِنَ مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس  
أربعين فسخطها وقال :

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَقْرَعِ  
وَمَا كَانَ حِضْنٌ وَلَا حَابِسٌ بِفَوْقَانِ مِرْدَاسٍ فِي تَجْمَعِ  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا أَمْرًا مِنْهُمْ وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ<sup>(٢)</sup>  
العبيد : اسم فرسه ، وحصن [ الذي ذكره ] هو أبو عَيْنَيْهِ بن حِضْن بن حذيفة  
ابن بدر. سيد فزارة ، وحابس : أبو الأقرع بن حابس ، وقد تقدم نسبه . فأمر النبي  
صلى الله عليه وسلم بإحضاره ، فقال : أنت القائل :

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعَيْنَيْهِ  
وكان النبي عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل : « وما علمناه الشعرَ  
وما ينبغي له » . فقال : قم يا علي فاقطع لسانه . قال العباس : فقلت : يا علي ؛

(١) في نسخة « وأنت للناس نور ضوؤه يقد » (م)

(٢) مع هذه الأبيات قوله ، وهو من شواهد النحاة :

وقد كنت في الحرب ذا تدرا فلم أعط شيئا ولم أمنع

أي : فلم أعط شيئا عظيما ولم أمنع البتة (م)

وإنك لَقَارِطٌ لَّسَانِي ؟ قال : إني مُمَضٍ فِيك ما أُمِرت ، فمَضَى بِي حتَّى أَدخلَنِي  
الْحِطَّائِرَ ، فقال : اعتدَّ ما بَيْنَ الأَرَبَعِينَ إلى مائة ، قلت : بأبي أنت وأُمِّي !  
ما أَحلَّكُمْ وأَعَلَّكُمْ وأَعَدَّكُمْ وأَكْرَمَكُمْ ! فقال : إن رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ  
أَعْطَاكَ أَرَبَعِينَ ، وجعلَكَ مِنَ المَهاجِرِينَ [ فَإِنْ شئتَ ] فَخُذْهَا ، وإن شئتَ  
فَخُذْ مائة ، وكن مِنَ المُوَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ . فقلت : أَشْرُ عَلَى . فقال : إني آمُرُكَ أَنْ  
تأْخُذَ ما أَعْطَاكَ . فَأَخَذْتُهَا .

\*\*\*

وكانت ليلي الأخيلىة قد حاجت النابغة الجعدي فأخفتمه .  
ودخلت على عبد الملك ابن مروان وقد أسنت فقال: ما رأى توبة فيك حتى  
أحبك؟ قالت: رأى في ما رأى الناس فيك حين ولوك! فضحك عبد الملك حتى  
بدت له سن سوداء كان يخفيها .

[ عود إلى رثاء شواعر العرب ]

وقالت هند بنت أمند الضبابية :

لهند بنت  
أسد ترى  
أخاها

لقد مات بالبيضاء من جانب الحصى فتى كان زينا للمواكب والشرب  
يلوذ به الجاني مخافة ما جنى كما لاذت العصماء بالشاهق الصعب  
تغل بنات العم والخال حوله صوادي لا يروين بالبارد العذب  
وقالت أم خالد النميرية [ تشب بأثال السكابي <sup>(١)</sup> ] :

لأم خالد  
التميرية

إذا ما أتنا الريح من نحو أرضه أتنا برياه فطاب هبوبها <sup>(٢)</sup>  
أتنا بمسك خالط المسك عنبر وريح خزاي باكرتها جنوبها  
أحن لذكره إذا ما ذكرته وتنهل عبرات تفيض غروبها <sup>(٣)</sup>  
حنين أسير نازح شد قيده وإعوال نفس غاب عنها حبيبها

(٢) كذا وقع في نسخة ، والسياق يقضى بأن يكون هذا الشعر رثاء لاتشيبيا (م)

(٢) الريا : الرائحة الطيبة (م) (٣) العبرات : جمع عبرة ، وهى الدفعة (م)



لأم الضحاك  
المحارية

وأشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى [تعلم] ، لأم الضحاك المحارية وكانت  
تحب رجلا من الضُّباب حبًّا شديداً :

يأيها الراكب الغادى لطيفته  
ما عالَجَ الناسُ من وَجدِ تضمّنهم  
عرَّجَ أبثك عن بعض الذى أُجدُ  
إلا وَجَدْتُ به فوق الذى وَجدوا  
حسبى رِضاهُ وأنى فى مسرّته  
ووده آخِرَ الأيامِ أَجهدُ  
وقالت :

هل القلبُ إن لاقى الضُّبابيَ خالياً  
وأزعجنا قُربُ الفراقِ ، وبيننا  
لدى الرُّكنِ أو عند الصَّفَا يجرَّجُ  
حديثُ كتنفيسِ المريضِ مُزعج  
حديثُ لو أنّ اللحمَ يُشوى بحره  
غريضا أُنّى أصحابه وهو مُنضجُ  
وأشد الزبير بن بكار حليلة الخُضرية، وقد أشدها المبرد لنهبان العبشمي<sup>(١)</sup> حليلة الخُضرية  
وهو أشبه<sup>(٢)</sup> :

يقرُّ بعينى أن - أرى من مكانه  
وأن أريد الماء الذى شربت به  
ذرى عَقَدَاتِ الأجرع المتقَاودِ  
سَلَمَى وإن ملَّ الشرى كلُّ واحدٍ  
والصقَّ أخشائي يبرِّدُ ترابيه  
وإن كان مخلوطاً بسمِّ الأسودِ

وقالت الفارعة بنت شداد ترى أخاها مسعودا :

للفارعة بنت

شداد

يا عين بكى مسعود بن شدّا  
من لا يذاب له شحمُ السديف ولا  
بكاء ذى عَبرَاتِ شَجْوِهِ بَادِي  
يَخْفُو العِيَالِ إذ ما ضنَّ بالزادِ  
ولا يحلُّ إذ ما حلَّ مُنْتَبِذاً  
يخشى الرزية بين المالِ والنادي  
قوَالُ مُحْكَمَةٍ ، نقاضُ مَبْرَمَةٍ  
قتالُ مَسْغَبَةٍ ، وثابَ مَرْقَبَةٍ  
فتاحُ مُبْهَمَةٍ ، حبّاسُ أُوْرَادِ  
مَناعُ مَغْلَبَةٍ ، فكاكُ أقيادِ  
حلالُ مُمرِّعةٍ ، فرّاجُ مُفْطَعةٍ  
حَمالُ مُضْلِعةٍ ، طلاعُ أنجادِ

(١) العبشمي : المنسوب إلى عبد شمس ، وقالوا : عبد رى ، وعبسى ، فى النسبة  
إلى عبد الدار وعبد القيس (م) (٢) إنما كان ذلك أشبه لأن الشعرى امرأة كما ترى  
فى البيت الثانى ، وإن تأملت الثالث عرفت أنه الأشبه حقاً (م)

حَمَلُ أَلْوِيَّةِ ، شَهَادُ أُنْدِيَّةِ      شَدَادُ أَوْهِيَّةِ ، فَرَّاجُ أَسْدَادِ  
 جَمَاعُ كُلِّ خِصَالِ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا      زَيْنُ الْقَرَيْنِ وَنِكَالُ الظَّالِمِ الْعَادِي  
 أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَى      يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادِ  
 هَلَا سَقَيْتُمْ ، بَنَى جَزِيمٌ ، أُسِيرَ كُمْ      نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي كَرْبَةٍ صَادِي  
 نَعِمَ الْفَتَى ، وَبَيْنَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمُوا      يَخْلُو بِهِ الْحَيُّ أَوْ يَغْدُو بِهِ الْعَادِي  
 هُوَ الْفَتَى يَحْمَدُ الْجِيرَانُ مُشْهَدُهُ      عِنْدَ الشِّتَاءِ وَقَدْ هَمُّوا بِإِخْمَادِ  
 الطَّاعِنِ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ يَتْبَعُهَا      مُنْعَنْجِرًا بَعْدَ مَا تَعْلَى بِإِزْبَادِ  
 وَالسَّابِغُ الزَّقِّ لِلْأَضْيَافِ إِنْ نَزَلُوا      إِلَى ذَرَاهُ وَغَيْثُ الْمُخَوِّجِ الْعَادِي  
 وَالْحَسَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ كَثِيرٌ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ لَهَا فِي أَضْعَافِ هَذَا الْكِتَابِ مَا اخْتِيرَ .  
 [ عِبَرَاتُ الْحَبِيبِينَ ]

وَأَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ :  
 وَمُسْتَنْجِدٌ بِالْخَزْنِ دَمْعًا كَأَنَّهُ      عَلَى الْخَدِّ مِمَّا لَيْسَ يَرَقًا حَائِرُ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا دِيمَةٌ مِنْهُ اسْتَقَلَّتْ تَهَلَّتْ      أَوَانِلُ أُخْرَى مَا لَهَا أَوَاخِرُ  
 مَلَأَ مُقْلَتَيْهِ الدَّمْعُ حَتَّى كَأَنَّهُ      لِمَا أَنْهَلَ مِنْ عَيْنَيْهِ فِي الْمَاءِ نَاطِرُ<sup>(٢)</sup>  
 وَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدَّمُوعِ بِمُقْلَةٍ      رَمَى الشَّوْقُ فِي إِنْسَانِهَا فَهَوَّ سَاهِرُ  
 وَقَالَ آخِرُ — وَرُوِيَ لِقَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ :

مما أنشده ثعلب

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ      إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ  
 فَعَيْنَايَ طَوْرًا يَغْرِقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ      فَأَعْشَى ، وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ  
 وَقَالَ غِيلَانُ :

مما ينسب إلى  
قيس ابن الملوح

وَمَا شَتْنَا خَرَفَاءَ وَاهِيَةَ الْكَلَى      سَقَى بِهِمَا سَاقٍ وَلَمَّا تَبَلَّلَا  
 بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كَلَمَا      تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَوَسَّمْتَ مَنْزِلَا

لدى الرمة

(١) رَقَا الدَّمْعُ يَرَقًا — مِنْ مِثَالِ فَتَحٍ يَفْتَحُ — سَكَنَ ، وَ « مَا » فِي قَوْلِهِ « مِمَّا لَيْسَ يَرَقًا » هِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ : كَأَنَّهُ — مِنْ عَدَمِ سَكُونِهِ — حَائِرُ (م)  
 (٢) مَلَأَ : أَصْلُهُ مَلَأَ (م)

وقال آخر :

ومما شجاني أنها يوم ودعت      تولت وماء الجفن في العين حار<sup>(١)</sup>  
فلما أعادت من بعيد بنظرة      إلى التفاتاً أسلمته الحاجر<sup>(٢)</sup>

للبحري

أبو عبادة البحري :

وقفنا والعيون مشغلات      يُغالب طرفها نظراً كليل<sup>١</sup>  
نهته رقة الواشين حتى      تعلق لا يفيض ولا يسيل<sup>٢</sup>

مما أنشده

وأنشد أبو الحسن [ جحظة ] :

جحظة

ومن طاعتي إياه أمطر ناظري      إذا هو أبدى من ثناياه لي برقا<sup>١</sup>  
كأن دموعي تبصر الوصل هاربا      فمن أجله تجرّى لتدركه سينا<sup>٢</sup>

المتنبى

أخذ البيت الأول المتنبى فقال :

يبتلّ خدي كلما ابتسمت      من ماطر برقه ثناياها

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص ، واسمه محمد بن عبيد الله ، وهو ابن عم دعلج :

وقالته وقد بصرت بدمع      على الخدين منجدٍ سكب<sup>١</sup>  
أتكذب في البكاء وأنت جلد      قديماً ما جسرت على الذنوب<sup>٢</sup>  
قيصك والدموع تجول فيه      وقلبك ليس بالقلب الكئيب<sup>٣</sup>  
كمثل قيص يوسف حين جاءوا      عليه عشيّة بدّهم كذوب<sup>٤</sup>  
[ فقلت لها : فذاك أبي وأمي      رجحت بسوء ظنك في الغيوب ]<sup>٥</sup>  
أما والله لو فتشت قلبي      لسرك بالعويل وبالنجيب<sup>٦</sup>  
دموع العاشقين إذا تلاقوا      بظهر الغيب أسنة القلوب<sup>٧</sup>

(١) شجاني : أحزني (م)

(٢) أسلمته الحاجر : كناية عن إهمال الدمع (م)

[ من أخبار العباس بن الأحنف ]

وقال بشار بن برد : ما زال فتى من بنى حنيفة يُدْخِلُ نفسه فينا ويُخْرِجُها منا حتى قال :

نَزَفَ البكاء دموعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعَرْتُ عَيْنَا لَعِينِكَ دَمْعُهَا مِدْرَارُ  
مَنْ ذَا يَعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْسِكِي نَهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبِكَاءِ تُعَارُ ؟ !

قال : وهذا الذي عناه بشار هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن طلحة ابن هرون بن كادة بن خزيم بن شهاب [ بن سالم ] بن حبة بن كليب بن عدى ابن عبد الله بن حنيفة ، وكان كما قال بعض مَنْ وصفه : كان أحسن خلقِ الله إذا حَدَّثَ حديثًا ، وأحسنهم إذا حَدَّثَ استماعًا ، وأمسكهم عن مُلاحَاقِهِ إذا خُوِّفَ ، وكان ملوكي المذهب ، ظاهر النعمة ، حسن الهيئة ، وكانت فيه آلاتُ الظَّرْفِ ، كان جميل الوجه ، فأره المركب ، نظيف الثوب ، حسن الأنفاظ ، كثير النوادر ، رطيب الحديث ، باقياً على الشراب ، كثير المساعدة ، شديد الاحتمال ، ولم يكن هجاءً ، ولا مداحاً ، كان يتنزهُ عن ذلك ، وبُشْبَه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة .

وسُئِلَ أبو نواس عن العباس وقد ضَمَّهما مجلس فقال : هو أَرْق من الوَهْم ، وأحسن من الفهم .

وكان أبو الهذيل العلاف المعتزلي إذا ذكره لعنه وزَنَاهُ لأجل قوله :  
وَضَعْتُ خَدْيِي لِأَدْنَى مِنْ يُطِيفُ بَكَمْ حَتَّى اخْتَقَرْتُ وَمَا مِثْلِي بِمُحْتَقِرٍ <sup>(١)</sup>  
إِذَا أَرَدْتُ أَنْتَصَارًا كَانَ نَاصِرَ كَمْ قَلْبِي ، وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ  
فَأَكْثَرُوا أَوْ أَقَلُّوا مِنْ مَلَامِكُمْ فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدْرِ

(١) وضعت خدى : كناية عن الخضوع ، وأدنى : أقل ، ويطيف بكم : أراد من هو من خدمهم وحشمهم (م)

وقوله في البيت الأوسط كقوله :

قلبي إلى ما ضرني داعي      يُكثِرُ أسقامي وأوجاعي  
لقلما أبقى على ما أرى      يوشك أن ينعاني الناعي<sup>(١)</sup>  
كيف احتراسي من عدوي إذا      كان عدوي بين أضلاعي

وقيل [لعنان] جارية الناطفي : من أشعرُ الناس ؟ قالت : الذي يقول  
وأهجركم حتى يقولوا : لقد سَلَآ  
ولسكن إذا كان المحب على الذي      ولست بسالٍ عن هواك إلى الخشِرِ  
يحب شقيقاً نازع الناس بالهجرِ  
وقال [العباس] :

جری السیلُ فاستبكاني السيلُ إذ جرى      وفاضتْ له من مقلتي غروب  
وما ذاك إلا أن تيقنتُ أنه      يمرّ بوادٍ أنتِ منه قريب  
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى      إليكم تلقى طيبيكم فيطيب  
فياساكيني شَرِقيّ دجلةَ كلم      إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

موازنة  
بين العتّابي  
والعباس

وقال الصولي : ناظرَ أبو أحمد على بن يحيى المنجم رجلاً يُعرف بالمتفقه  
الموصلی فی العباس بن الأحنف والعتّابی ، فعمل علیّ فی ذلك رسالة أنفذها  
لعلی بن عیسی ؛ لأنّ الكلامَ فی مجلسه جرى . وكان مما خاطبه به أن قال :  
ما أهّل نفسه قطّ العتّابی لتقديمها على العباس فی الشعر ، ولو خاطبه مخاطبٌ لدفعه  
وأنكره ؛ لأنه كان عالماً لا يؤثني من قلة معرفة بالشعر ، ولم أرَ أحداً من العلماء  
بالشعر مثل العتّابی والعباس ، فضلاً عن تقديم العتّابی عليه لتباينهما [في ذلك] ،  
وإن العتّابی متكلف ، والعباس يتدفّق طبعاً ؛ وكلامُ هذا سهلٌ عذب ، وكلامُ  
ذاك متعقّدٌ كثرٌ ، وفي شعر هذا رقةٌ وحلاوة ، وفي شعر ذاك غِلظٌ وجسّاسة ،  
وشعرُ هذا في فنٍّ واحد وهو الغزل ؛ وأكثرَ فيه وأحسن ، وقد افتنَّ العتّابی فلم  
يخرج في شيء منه عمّا وصفناه .

(١) في ديوانه «يوشك أن ينعي بي الناعي» وأحسبه محرفاً عما هنا (م)

وإن من أحسن شعر العتابي قصيدته التي مدح بها الرشيد وأولها :  
يا ليلةً لى فى حوران ساهرةً حتى تكلم فى الصبح العصافيرُ  
وقال فيها :

أفى الأماق انقباضٌ عن جفونيهما أم فى الجفون عَنِ الأماقِ تَقْصِيرُ  
وهذا البيت أخذه من قول بشار الذى أحسن فيه كل الإحسان وهو قوله :  
جَفَتْ عَيْنِي عن التغميضِ حَتَّى كَانَّ جَفُونَهَا عنها قِصَارُ  
فمسخه العتابي ، على أن بشاراً أخذه من قول جميل :

كَانَ الْحَبَّ لِطَوْلِ الشَّهَادِ قَصِيرُ الْجَفُونِ وَلَمْ تَقْصُرِ  
إلا أن بشاراً أحسن فيه ؛ فنازعهما إياه فأساء ، وإن حق من أخذ معنى قد سبق  
إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه ، أو يزيد عليه ، حتى يستحقه ، وأما  
إذا قصر عنه فهو مسيءٌ مَعِيبٌ بالسرقة ، مذموم على التقصير .

ولقد هاجى أبا قابوس النصراني فقلَّبَ عليه فى كثير مما جرى بينهما على  
ضَعْفِ مُنَّةِ أبى قابوس فى الشعر ، ثم قال فى هذه القصيدة :

ماذا عسى مَادِحٌ يُثْنِي عليك وقد نَادَاكَ بِالْوَحْيِ تَقْدِيسُ وَتَطْهِيرُ  
فَتَ الْمَدَاحِ إِلَّا أَنَّ أَلْسِنَا مستعلنات بما تُخْفِي الضَّمَائِرُ<sup>(١)</sup>  
فختم البيت فيها بأثقل لفظة لو وقعت فى البحر لكدرته ، وهى صحيحة ،  
وما شئ أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حُسْنِ صِحَّةِ اللفظ ، وهذا عمل التكلف ،  
وسوء الطبع .

وللعباس بن الأحنف إحسان كثير ، ولولم يكن إلا قوله :

أنكر الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المِشَارِعَ طيباً

(١) الضمائر : أصله الضمائر ، فأشبع كسرة الهمزة فتولدت ياء ، ويقع ذلك فى  
شعر العرب الفحول وإن كان مستكرها ؛ فمن ذلك قول الفرزدق يصف ناقة :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف  
فالدراهم أصله الدراهم ، والصياريف أصله الصيارف ، فزاد الياء فى كل منهما (م)

فهمُ يَعَجُّونَ مِنْهُ وما يَدُ رُونُ أَنْ قد حَلَلْتُ مِنْهُ قَرِيبًا  
 قاسمِينِ هَذَا الْبَلَاءِ، وَإِلَّا فاجعِلِي لِي مِنَ التَّعْزِي نَصِيبًا  
 إِنَّ بَعْضَ الْعِتَابِ يَدْعُو إِلَى الْعَتَبِ، وَيُوْذِي بِهِ الْحُبَّ الْحَبِيبَا  
 وَإِذَا مَا الْقُلُوبُ لَمْ تُضْمِرِ الْعَطْفَ فَلَنْ يَعْطِفَ الْعِتَابُ الْقُلُوبَا<sup>(١)</sup>  
 وقوله :

قالت مرضتُ فَعُدْتُهَا فَتَبَرَّمتُ وهي الصَّحِيحَةُ والمريضُ العائِدُ  
 تالله لو أَنَّ الْقُلُوبَ كَقَلْبِهَا مَا رَقَّ لِلْوَلَدِ الصَّغِيرِ الْوَالِدُ  
 إِنَّ كَانَ ذَنْبِي فِي الزِّيَارَةِ فَأَعْلَمِي إني على كَسْبِ الذُّنُوبِ جَاهِدُ<sup>(٢)</sup>  
 أَلْقَيْتُ بَيْنَ جَفُونِ عَيْنِي فُرْقَةً فَإِلَى مَتَى أَنَا سَاهِرٌ يَارَاقِدُ  
 يَقَعُ الْبَلَاءُ وَيَنْقُضِي عَنْ أَهْلِهِ وَبَلَاءُ حُبِّكَ كُلَّ يَوْمٍ زَائِدُ  
 سَمَّاكَ لِي نَاسٌ وَقَالُوا : إِنِّهَا لَهِيَ الَّتِي تَشْقِي بِهَا وَتُسْكَابِدُ  
 فَجَدَّتْهُمْ لِيَكُونَ غَيْرَكَ ظَنَّهُمْ إني ليعجبني الْحُبُّ الْجَاهِدُ  
 وقوله :

إني وإن كنت قد أسأت بي الـيَوْمَ لَرَايَ لِلْعَطْفِ مِنْكَ غَدَا  
 أَسْتَمْتِعُ اللَّهَ بِالرَّجَاءِ وَإِنْ لَمْ أَرِ مِنْكُمْ مَا أُرْتَجِي أَبَدَا  
 وله :

أَهْدَيْتِي لَهُ أَحْبَابُهُ أَرْجَةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَاةِ زَاجِرٍ  
 مَطْطِيرًا مِنْهَا أَتَتْهُ وَجِسْمُهَا لُونَانٌ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ  
 وَلِئِنْ وَفَّى أَبُو أَحْمَدَ الْعَبَّاسَ حَقَّهُ ، لَقَدْ ظَلَمَ الْعِتَابِي مَا كَانَ مُسْتَحَقَّهُ ، مِنْ  
 مِرْ الْكَلَامِ ، وَجَوْدَةِ رِصْفِ النِّظَامِ . قَالَ الصُّوْلِيُّ فِي نَسَبِ الْعَبَّاسِ - وَكَانَ مِنْ

(١) لَنْ يَعْطِفَ الْعِتَابُ الْقُلُوبَ : لَنْ يَمِيلَهَا (م)

(٢) إني التي تقع اللام في خبرها مكسورة الهمزة البتة (م)

خُوْلته - : هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قُدّامة بن هيمان من بني [هَفّان بن

الحارث بن ] ذهل بن [ الدّيل بن ] حنيفة . وله يقول الصّريع يهيجوه :

بنو حنيفة لَا يَرْضَى الدّعى بهم      فأترك حنيفة وأطلب غيرها نسباً

أذهب إلى عَرَبٍ تَرْضَى بنسبتهم      إني أرى لك لونا يُشبهه الْعَرَبَا

وقال [ أبو أحمد : قال ] العباس :

حُرٌّ دعاهُ الهوى سِرّاً فلبّاهُ      طَوْعاً فأضْحَك مَوْلَاهُ وأبكاهُ

فشاهدتُ بالذى يُخفى لَوَاحِظُهُ      وعدّها بُقِيضُ الدمع عَيْنَاهُ

جازيتُني إذ رَعيتُ الوَدَّ بعدك أن      وكَلَّتْ طَرْفِي بنجم اللّيل رِعاهُ

اللهُ يشهدُ أني لم أخُنك هوًى      كفّاك بَيِّنَةٌ أن يشهد اللهُ

وقال :

يَا مَنْ يُكَاتِمُنِي تَغْيِيرَ قَلْبِهِ      سَأُكْفِ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ تَتَبَرَّما<sup>(١)</sup>

وَأَصْدُ عَنْكَ وَفِي يَدَيَّ بَقِيَّةٌ      مِنْ حَبْلٍ وَدَّكَ قَبْلَ أَنْ يَتَصَرَّما

يَا لِلرَّجَالِ لِعَاشِقِينَ تَوَاقِفَا      وَتَحَاطِبَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَسَكَلَمَا

حَتَّى إِذَا خَافَا الْعَيُونََ وَأَشْفَقَا      جَعَلَا الْإِشَارَةَ بِالْأَنَامِلِ سُلَمَمَا

وقال :

اللهُ يَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ بِهِجْرَكُمْ      إِلَّا مَسَاوِرَةَ الْعَدُوِّ الْكَاشِحِ

وَعَلِمْتُ أَنَّ تَسْتُرِي وَتَبَاعِدِي      أُبْقَى لَوْصَلِكَ مِنْ دُونِ فَاضِحِ

وقال :

يَهِيمُ بِمَحْرَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ      وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتِرُ الطَّرْفِ سَاحِرُهُ

بُؤَازِرُهُ قَلْبِي عَلَى وَلَيْسَ لِي      يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَى بُؤَازِرُهُ<sup>(٢)</sup>

(١) في ديوانه « قبل أن تتبرما » (م)

(٢) في نسخة « يامن يؤازرها قلبي - إلخ » (م)



## [ العين والقلب ]

وقد قال سهل بن هرون :

أعان طرقي على قلبي وأعضائي      بنظرة وقفت جسمي على دأني  
وكنت غرأ بما يحني على بدني      لا علم لي أن بعض أعدائي

وقال النظام :

إن العيون على القلوب إذا جفت      كانت بليتها على الأجساد

البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي      حقاً إذا كان قلبي فيك يعصيني

وقال الأصمعي : سمعت الرشيد يقول : قلبُ العاشق عليه مع مَشُوقِهِ .

فقلت : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عُروة بن حزام لعقراء في أبياته التي أنشدها :

وإني لتعروني لذكريك روعة      لها بين جلدِي والعظام ديبُ  
وما هو إلا أن أراها فيه فُجاءة      فأبهت حتى لا أكاد أُجيبُ<sup>(١)</sup>  
وأصرف عن دأني الذي كنت أرثي      ويقرب مني ذكرُهُ ويغيبُ  
ويضمّر قلبي غدرها ويُعينها      عليّ ، ومالي في الفؤاد نصيبُ  
فقال الرشيد : من قال ذلك وهما ، فقد قلته علماً .

## [ من ماثور الحكم ]

قال علي بن عبيدة الرياحي : احمِ ودك فإنه عِرْضُكَ ، وصُنْ الأنس بك فإنه يُغزِرُ<sup>(٢)</sup> حظك ، ولا تستكثر من الطمأنينة إلا بعد استحكام الثقة ؛ فإن الأنس سريرةُ العقل ، والطمأنينة بذلةُ المتحايين ، وليس لك بهدما تحفة تمنحها صاحبك ، ولا حياءُ تُوجب به الشكر على من اصطفت .

(١) تحفظي « حتى ما أكاد أجيب » (م) (٢) في نسخة « فإنه يد حظك » وإن لم تكن طبيعاً فهي معرفة عن « فإنه بدء حظك » (م)

وقال : ما أنصف مَنْ عاتب أخاه بالإعراض على ذَنْبٍ كان منه ، أو هجره خلاف بما يكره عنده ، إذا كان لا يعتدُّ في سالف أيام العشرة إلا بالرضا عنه ، ومشاكلته فيما يؤنس منه . فإن كان العاتب شكاً جميع ما ستره من أخيه أولاً ، فلقد تُتِمَّ الموافقة حظاً الاغتفار ، وإن لم يكن وفي له بكل ما استحق منه فليقتصر بما وجب منه عليه لأخيه بقدر ذنبه ، ثم العودة إلى الألفة أولى من تشتت الشمل ، وأشبهه بأهل التصافي ، وأكرم في الأحداث عذد الناس .

وقال : الحياء لبأسٌ سابغ ، وحجاب واق ، وستر من المساوى ، وأخو الغفاف ، وحليف الدين ، ومُصاحب بالصنع . ورقيب من العِصمة ، وعين كالألثة<sup>(١)</sup> تذود عن الفساد ، وتنهي عن الفحشاء والأدناس .

وقال : لا يخلو أحد من صَبْوةٍ إلا أن يكون جاسيَ الخَلقة<sup>(٢)</sup> ، منقوص البنية ، أو على خلاف تركيب الاعتدال .

### [ الهوى ]

ورأى سعيد بن سلم<sup>(٣)</sup> بن قتيبة ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته ، فأنكر عليه ، فتميل له : إنه قد عشق ، فقال : دُعُوهُ فإنه يلطف ، وينظف ، ويظرف . وقال الفضل بن أحمد بن أبي طاهر<sup>(٤)</sup> ، واسم أبي طاهر طيفور : وصف الهوى قوم وقالوا : إنه فضيلة ، وإنه ينتج الحيلة ، ويشجع قلب الجبان ، ويسخى قلب البخيل ، ويصفى ذهن النقي ، ويطلق بالشعر لسان المُفحِّم ، ويبعث حزم العاجز الضعيف ، وإنه عزيز تذلل له عزّة الملوك ، وتضرع فيه صَوْلُهُ الشجاع ، وتنفاد له طاعة كل ممتنع ، ويذل كل مستصعب ، ويبرز كل محتجب ، وهو داعية الأدب ، وأول باب تُفتق به لأذهان والفطن ،

(١) كالثة : حافظة ، كالأه يكلؤه - من باب فتح - حفظه ورعاه ، وذود :

تمنع وتدفع (م) (٢) جاسي الخَلقة : جافا غليظا (م) (٣) في نسخة « سعيد

ابن مسلم » (م) (٤) في نسخة « أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر » (م)

وتستخرج به دقائق المكايد والحيل ، وإليه تستريح الهمة ، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم<sup>(١)</sup> ، يُتمتع جليسه ، ويؤنس أليفه ، وله سرورٌ يحول في النفس ، وفرحٌ مستكن في القلب ، وبه يتعاطف أهلُ المودة ، ويتصل أهلُ الألفة ، وعليه تتألف الأشكال ، وله صولات على القدر ، ومكايد تُبطل لطائف الحيل ، وظرفٌ يظهر في الأخلاق والخلق ، وأرواح تسطع من أهلها ، وتغيب من ذويها .

وقال اليماني بن عمرو مولى ذي الرياستين : كان ذو الرياستين يبعث بي وبأحداث من أهله إلى شيخ بخراسان ويقول : تعلموا منه الحكمة ؛ فكنا نأنيه ، وإذا انصرفنا من عنده اعترضنا ذو الرياستين يسألنا عما أفادنا فنخبره ؛ فسيرنا إلى الشيخ يوماً فقال لنا : أنتم أدباء ، وقد سمعتم الحكمة ، وفيكم أحداث ، ولكم نعم ، فهل فيكم عاشق ؟ قلنا : لا ، قال : اعشقوا ؛ فإنَّ العشق يُطلق الغبي ، ويفتح جبهة البليد ، ويسخي كفة البخيل ، ويبعث على النظافة وحسن الهيئة ، ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وشرف الهمة ، وإياكم والحرام .

قال : فانصرفنا ، فسألنا عما أفادنا في يومنا ؛ فهبتنا أن نخبره ، فعزم علينا . فقلنا له : أمرنا بكذا وكذا ، قال : صدق ، أتعلمون من أين أخذ هذا الأذب ؟ قلنا : لا . قال : إن بهرام جور كان له ابن رشحته للملك من بعده ، فحشا ساقط الهمة ، حامل المروءة ، دنيء النفس ، سيئ الأدب ، قليل القريحة ، كهام الفكر<sup>(٢)</sup> ؛ فعمه ذلك ، ووكل به من المؤدبين والمنجمين والحكام من يلزمه ويعلمه ، وكان يسألهم فيخفون له ما يسوؤه ، إلى أن قال له بعض مؤدبيه : قد كنا نحاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا إلى اليأس منه ، قال : وما ذلك ؟ قال : رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فملبت عليه ، فهو لا يهذي إلا بأمرها ، ولا يتشاغل إلا بذكرها فقال بهرام جور : الآن رجوت صلاحه .

(١) الشيم : جمع شيمة - بكسر الشين - وهي الخصلة والحلة والسجية (م)

(٢) كهام الفكر : ضعيفه متبلده (م)

ثم دعا أبى الجارية فقال: إني مُسرٌّ لك سرّاً فلا يعدونك<sup>(١)</sup>. فضمن له ستره فأعلمه أن ابنته قد عشقَ ابنته ، وأنه يريد أن يُنكِحها إياه ، وأمره أن يأخذها بإطاعه بنفسها ، ومراسلته من غير أن يراها ، أو تقع عينه عليها؛ فإذا استحکم طمعه فيهما تجنّت عليه ، وهجرته ، فإذا استعجبها أعلامته أنها لا تصالح إلا الملك ، أو من همته همة ملك ، وأن ذلك يمنعها من مواصلته ، ثم ليعلمه خبرها وخبره ، ولا يُطْلِعها على ما أسرَّ إليه ، فقبل ذلك أبوها منه .

ثم قال للمؤدّب : خوِّفْ بى ، وشجِّعه على مراسلة الجارية ، ففعل ذلك ، وفعلت الجارية ما أمرها به أبوها ؛ فلما انتهت إلى التجنى عليه ، وعلم الفتى السبب الذى كرهته من أجله أخذ فى الأدب ، وطلب الحكمة ، والعلم ، والفروسية ، ولعب الصّوالجة ، والرماية ، حتى مَهَر فى ذلك ، وُرُفِع إلى أبيه أنه يحتاجُ من المطاعم والآلات والدواب والملابس والوزراء فوق الذى كان له ؛ فسرَّ الملكُ بذلك ، وأمر له بما أراد ، ودعا بمؤدّبٍ ، فقال : إنَّ الموضع الذى وَضَعَ ابْنى نفسه فيه بحبِّ هذه المرأة لا يُزْرِى به<sup>(٢)</sup> ؛ فتقدّم إليه أن يرفع أمرها إلىّ ويسألنى أن أزوّجَه إياها ، ففعل ؛ فزوَّجها منه ، وأمر بتعجيل نقلها إليه ، وقال له : إذا اجتمعت أنت وهى فلا تُحدِث شيئاً حتى أُصير إليك . فلما اجتمعا صار إليه فقال : يا بنى ، لا يضعنّ منها عندك مراسلتها إياك ، وليست فى حبالِكَ ، فأنا أمرتها بذلك ، وهى من أعظم الناس مَنّةً عليك ، بما دَعَتكَ إليه من طلب الحكمة ، والتخلُّق بأخلاق الملوك ، حتى بلغت الحدَّ الذى تصلحُ معه الملوك بعدى ؛ فزِدْها فى التشريف والإكرام بقدر ما تستحقُّ منك . ففعل الفتى ذلك ، وعاش مسروراً بالجارية ، وأبوه مسروراً به ، وزاد فى إكرام المرتبان ، ورفَع مرتبته وشرفه بصيانتِه لسره وطاعته ، وأحسن جائزته وجائزة المؤدّب

(١) لا يعدونك : لا يتجاوزنك إلى غيرك ، يأمره يكتمان السر (م)

(٢) لا يزرى به : لا يعيبه ولا ينقصه ولا يضع من قدره (م)

بامتناله أمره ، وعَقَدَ لابنه الملك من بعده . قال اليماني : وكان الشيخ الحسن بن مصعب .

ثم قال ذو الرياستين : قال علي بن بلال :  
 سبهلك في الدنيا شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ إِذَا غَالَهُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ غَائِلُهُ  
 وَيُخْفِي لَكُمْ حَبًّا شَدِيدًا وَرَهْنَةً وَلِلنَّاسِ أَشْغَالٌ ، وَحُبُّكَ شَاغِلُهُ  
 كَرِيمٌ يُمِيتُ السَّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ ، إِذَا اسْتَخْبَرُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ ، جَاهِلُهُ  
 يَوَدُّ بَأْنَ يُنْمِي عَلِيلًا لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسِلُهُ  
 وَيَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعِلَالِ لَتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهُ<sup>(١)</sup>  
 وذكر أعرابي الهوى فقال : هو أعظمُ مَسَلَكًا فِي الْقَلْبِ مِنَ الرُّوحِ فِي  
 الْحِسْمِ ، وَأَمْلَكَ بِالنَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ . يَنْظُرُ وَيَبْطِنُ ، وَيَكْتَفِ وَيُلْطَفُ ،  
 فَاِمْتَنَعَ عَنْ وَصْفِهِ اللِّسَانُ ، وَعَيَّى عَنْهُ الْبَيَانُ ! فَهُوَ بَيْنَ السَّحَرِ وَالْجَفُونِ ، لَطِيفُ  
 الْمَسَلِكِ وَالْكُؤُومِ . وَأَنْشَدَ :

يقولون لو دبرت بالعقل حبها ولا خير في حب يدبر بالعقل  
 [ من رسائل الميكالي ]

فصل للأمير أبي الفضل الميكالي :  
 لا زالت الأيام تَزِيدُ رُبَّتَهُ ارْتِفَاعًا ، وَبَاعَهُ اتِّسَاعًا ، وَعَزَّتْهُ غَلْبَةً وَأَمْتِنَاعًا ،  
 فَلَا يَبْقَى مَجْدٌ إِلَّا شَيْدَتْهُ مَعَالِيهِ وَمَكَارِمُهُ ، وَلَا مَلَكٌ إِلَّا أَفْتَرَعَتْهُ صَرَائِمُهُ وَصَوَارِمُهُ .  
 وله فصل : لا زالت حياة الأحرار بفضلها متسمة ، ووجوه المكارم بغيرر  
 أيامه مبتسمة ، وأهواء الصدور بخدمة وُدِّه مرتسمة ، [ وغنائم الشكر بين محاسن  
 قوله وفعله مقتسمة ] .

وله : الله يُدِيمُ رَايَةَ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مُحْفُوفَةً بِالْقَلَجِ وَالنَّصْرِ ، مَكْنُوفَةً<sup>(٢)</sup> بِالْعَلْبَةِ

(١) الشائيل : جمع شمال ، وهي الحُضَلَةُ ، وقال الشاعر \* وما لومي أخى من  
 شمالي \* (م) (٢) مكنوفة : محوطة (م)

والقهر ، حتى لا يزاول خطباً إلا تذلت به صمابه ، ولا يُمارس أمراً إلا تيسرت أسبابه ، ولا يروم<sup>(١)</sup> حلاً إلا أذعن لهيبته وسلطانه ، وخضع لسيفه وسنانه ، وذلل لمقعد لوائه ، ومنثنى عنانه ، إلى أن ينال من آماله أفاصيحها ، ويملك من بباغيه أزمته ونواصيحها [ ويسامى الثريا بعلو همته ويناصيحها ] .

وله فصل : إنما أشكو إليك زماناً سلب ضعف ما وهب ، وفجع بأكثر مما أمتع ، وأوحش فوق ما آنس ، وعنف في نزاع ما ألبس ؛ فإنه لم يُدِقْنَا حلالة الاجتماع ، حتى جرّعنا مرارة الفراق ، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء ، حتى غادرنا رهق التلهف والاشتياق ، والحمد لله تعالى على كل حال يسىء ويسر ، ويخلو ويُمِر ، ولا أياس من روح الله في إباحة صنع يجعل ربعة مُنلغى<sup>(٢)</sup> ، ويُقصر مدة البعاد والترأخي ، فألاحظ الزمان بعين راض ، ويُقبل إلى حظي بعد إعراض ، وأستأنف بعزته عيشاً سابغ الذبول والأعطاف ، رقيق المعاني والأوصاف ، عذب الموارد والمنال ، مأمون الآفات والغوائل .

وله فصل : أنا أسأل الله تعالى أن يردّ على برّد العيش الذي فقّدته ، وفسحة السرور الذي عهدته ؛ فيقصر من الفراق أمدّه ، ويعلو للالتقاء حكمه ويده ، ويرجع ذلك العهد الذي رقت غلائله ، وصفت من الأقداء مناهله ، فلم أتهنأ بعده بأنس مقيم ، ولا تعلقت يوماً إلا بعيش بهيم .

فلو ترجع الأيام بيني وبينه بذى الأثل صيفاً مثل صيفي ومزبى أشدّ بأعناق النوى بعد هذه مرائر إن جاذبها لم تقطع وما على الله بعز يز أن يقرب بعيداً ، ويهب طالعا سعيداً ، ويسهل عسيرا ، ويفك من رق الاشتياق أسيرا .

(١) لا يروم : لا يطلب ، وأذعن : خضع وذلل (م)

(٢) المناع : موضع الإناخة ، وأصلها بروك الإبل ، وأراد بها الإقامة (م)

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك الثعالبي :  
 قرأتُ خبرَ سلامته ، فسَرَى السرورُ في الجوانح ، واهتزَّت النفسُ له  
 اهتزازَ الغُصْن تحت البارح :  
 أليس لأخبارِ الأحبةِ فرحةٌ      ولا فرحةُ العطشانِ فاجأهُ القَطْرُ  
 يقولون : قد أوفَى لوقتِ كتابهِ      فتَنَشَّرَ البشري وينشرُ الصَّدْرُ  
 ثم سألت الله تعالى أن يحرسَ علينا سلامته سابعةَ الملائس والمطارف ، موصولة  
 الثالثِ بالطَّارِف .

وله فصل من كتاب تنزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب :  
 لئن كانت الرزية مُمِضَّة مؤلمة ، وطُرُقُ العزاء والسوة مُبْهِمة ، لقد حَلَّت بساحةِ  
 من لا تَنَقِصُ بأمثالها مَرَارُهُ ، ولا تَضَعُفُ عن احتمالها بَصَائِرُهُ ، قد يَتَلَقَّاهَا  
 بصَدْرٍ فسيح ، يحمى أن يبيح الحزن جنابه ، وصبر مشيح ، يحمى أن يُحِيطَ الجزعُ  
 أجره وثوابه ؛ كيف لا وآدابُ الدين من عنده تُلتَمَسُ ، وأحكامُ الشرع من  
 لسانه ويده تُستفاد وتُتَقَبَسُ ، والعيون تَرْمُقُهُ في هذه الحال لتَجْرِيَ على سننه ،  
 وتأخذ بأدابه وسننه ؛ فإن تعزَّت القلوب فبحسب تماسكه عزائوها ، وإن حسنت  
 الأفعال فإلى حميد أفعاله ومذاهبه اعتزائوها .

[ من شعر الميكالي ]

جملة من شعره في تحسين القوافي والغزل  
 قال :

عذيري من جفونِ رامياتِ      بَسْمِ السَّخْرِ من عيني غزالِ  
 غزاني طرفه حتى سَبَّابِي      لَأَتَصَرَّنَّ مِنْهُ بَمَنْ غَزَا لِي  
 وله أيضاً :

أما حان أن يشفى المُسْتَهَامُ      بزَوْرَةٍ وَضَلِ وتَأْوَى له<sup>(١)</sup>

(١) في نسخة «أن يشفى المستهام» ولا يستقيم عليها وزن البيت (م)

يجمعهم عن سُؤْلِهِ هَيِّمَةٌ      وعلم عِلْمِكَ تَأْوِيلُهُ

وقال أيضاً :

شكوتُ إليه ما أُلَاقِي فقال لي :      رويداً فني حكم الهوى أنت مؤنلي  
فلو كان حقاً ما ادَّعيتَ من الجوى      لقلّ بما أُلقي إذا أن تموت لي

وقال أيضاً :

تفرّق قلبي في هواه فعنده      فريقٌ وعندي شُعبة وفريقُ  
إذا ظمِمتُ نفسي أقول لها: أسقني      فإن لم يكن راحٌ لديك فريقٌ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

شافَهَ كَفِّي رَشَأُ      بَقْبُلَةٍ ما شَفَتِ  
فقلت إذ قَبَّلَهَا      ياليت كَفِّي شَفَتِي

وقال :

يا شادناً غاب نَجْمُ الحِسنِ لولاهُ      قد كان يوسفُ لما ماتَ ولأه  
ولأه رَقِي ظَرْفٌ في شَمِـــــــــــــــــائله      فاشتطّ في الحِكمِ لولا أن تولاهُ  
ارحم فتى مُدْنَقاً ما إن يُخَلِّصُهُ      من غَمْرَةِ الوَجْدِ إلا أنت واللهُ

[ الاهتزاز لقضاء حوائج الناس ]

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : حدثني أبو الهيثم بن السندی بن شاهك قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من أهلها لا يحفُّ قلمه ولا تستريح يده ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس ، وإدخال المنافع على الضعفاء ، وكان رجلاً مفوهاً : أخبرني عن الشيء الذي هوّن عليك النصب ، وقوّاك على التعب ، ماهو ؟

(١) الراح : الخمر ، وقوله « فريق » مؤلف من الفاء الواقعة في جواب الأمر ،

وكلمة « ريق » وهو ماء الفم ، ويتضمن تشبيه ريقه بالخمر (م)



قال : قد ، والله ، سمعتُ تغريدَ الأطيارِ بالأسحارِ على أفنانِ الأشجارِ ، وسمعتُ [خَفَقَ] أوتارَ العידانِ ، وترجيعَ أصواتِ القيّانِ ، فإطربْتُ من صوتِ قطٍّ طربّني من ثناءِ حسن ، على رجلٍ قد أحسن ، ومن شاكرٍ مُنعم ، ومن شفاعَةٍ شفيعٍ محتسبٍ لطالبٍ ذاكرٍ

فقال أبو الهيثم : فقلت له : لله أبوك ! لقد حُشيتَ كرماً ! فبأي شيءٍ سهّلتَ عليكِ المُعاوَدَةَ والطلب ؟ قال : لا أبلغُ المجهود ، ولا أسألُ إلا ما يجوز ، وليس صدقُ العذرِ بأكرهٍ إلىَّ من إنجازِ الوعد ، ولستُ لإكراهِ السائلِ بأكرهٍ مني لإجفافِ المستول ، ولا أرى الراغبَ أوجبَ حقاً علىَّ للذي قدم من حُسنِ ظنه من المرغوبِ إليه للذي احتمل من كله . قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قطَّ أشدَّ مؤالفةً لموضعه ، ولا أليقَ بمكانه ، من هذا الكلام .

[ بين عميلة الفزاري وأسيد بن عتقاء ]

وروى أبو بكر بن شقير النحوي عن أحمد بن عبيد قال : كان أسيد بن عتقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه <sup>(١)</sup> . وأشدّهم عارضةً ولساناً ، وطال عمره ، ونكبه دهره ؛ فاختلّت حاله ، فخرج يتقبل <sup>(٢)</sup> لأهله ؛ فمرَّ عليه عميلة الفزاري ، فسلم عليه ، وقال : يا عم ؛ ما أصاركَ إلى ما أرى ؟ قال : بخُلُّ مثلكِ بماله ، وصَوْنُ وجهي عن مسألة الناس . قال : أما والله لئن بقيتُ إلى غدٍ لأغيرنَّ من حالِكَ ما أرى ، فرجع ابن عتقاء إلى أهله فأخبرهم بما قال عميلة ، فقالوا له : غرّكَ كلامُ غلامٍ جُنَحَ ظلام فسكّانما ألقموا فاهُ حجراً ؛ فبات متمللاً بين رجاءٍ ويأسٍ ، فلما كان السحرَ سمِعَ رُغاءَ الإبل ، وثغاءَ الشاء ، وصهيل الخيل ، ولجَبَ الأموال ، فقال : ما هذا ؟

(١) في الأملی ( ٢٣٧/١ ) « من أكثر أهل زمانه » (م)

(٢) يتقبل لأهله : يطلب لهم البقل (م)

قالوا : عُمَيْلَةُ قد ساق إليك ماله ، فخرج ابنُ عَنقَاءَ له <sup>(١)</sup> ، فقسم ماله شَطْرَيْنِ ، وسأهم عليه ، فأنشأ ابنُ عَنقَاءَ يقول :

رَأَى عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةُ فَاشْتَكَى	إِلَى مَالِهِ حَالِي ، أَسْرَ كَمَا جَهَرَ
دَعَانِي فَوَاسَانِي ، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ يُلِمْ	عَلَى حِينٍ لَا بَدْوٌ يُرَجَّى وَلَا حَضَرَ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْتُ فِعْلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أَوْلَيْتَ مَنْ ذَمَّ أَوْ شَكَرَ <sup>(٢)</sup>
وَلَمَّا رَأَى الْجِدَا اسْتُعِيرْتُ ثِيَابُهُ	تَرَدَّى بِثَوْبٍ سَابِغٍ الذَّيْلُ وَاتَّرَزَ <sup>(٣)</sup>
غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافِعًا	لَهُ سَيْمِيَاءُ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصَرِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ	وَفِي أَنْفِهِ الشَّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ ، وَلَوْ شَاءَ لَا تَنْتَصِرُ

[ من غرر اللدائح ]

وأنشد أبو حاتم عن أبي عبيدة العرندس أحد بني بكر بن كلاب يمدح  
بني عمرو الغنويين ، وكان الأصمعي يقول : هذا من <sup>(٤)</sup> الحال ، كلابي يمدح غنويًا !

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ	سُوَّاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ
إِنْ يَسْأَلُوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ ، وَإِنْ خُبرُوا	فِي الْجَهْدِ أُدْرِكُ مِنْهُمْ طَيْبُ أَخْبَارٍ
لَا يَنْطَقُونَ عَنِ الْأَهْوَاءِ إِنْ نَطَقُوا	وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ	مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
مِنْهُمْ وَفِيهِمْ يُعَدُّ الْخَيْرُ مَتَلِدًا	وَلَا يُعَدُّ نَتَا خِزْيٍ وَلَا عَارٍ

[ صُرُوفُ الدَّهْرِ ]

فصل لبعض الكتاب — مات عجبتك مما لقيت من الخيفِ ! هل ضمن الدهرُ أن

(١) في الأُمالي « فاستخرج ابن عَنقَاءَ ثم قسم ماله شَطْرَيْنِ وسأهم عليه » (م)  
(٢) وفيه « وَأَوْفَاكَ مَا أْبَلَيْتَ » (م) (٣) وفيه « تَرَدَّى رِداءُ سَابِغٍ الذَّيْلُ » (م)  
(٤) في الأغاني (١/٢٣٩) : « هذا الحال »

يُنْصِفُ وَلَا يَحِيفُ<sup>(١)</sup> ، أَوْ يُزِيمُ فَلَا يَنْقُضُ ، أَوْ يُعَاقِبُ فَلَا يُمْرِضُ ، أَوْ يَصْفُو  
فَلَا يَكْدُرُ ، أَوْ يُفِي فَلَا يَعْدُرُ ؟ قَدَّرَ أَنْ تَعَذِّبَ لِي مَشَارِبُهُ ، وَتَلِينَ لِي جَوَابُهُ ،  
فَجَعَلَكُمْ الدُّنْيَا لَا تَتْرَكُ حَامِداً لَهَا إِلَّا أَسَكَّتَهُ ، وَلَا ضَاحِكاً إِلَّا أَبْكَتَهُ ،  
أَقْوَى مَا كَانَ بِهَا ثِقَةً ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ لَهَا مِقَّةً<sup>(٢)</sup> ، وَأَوْكَدُ مَا كَانَ رُكُوناً إِلَيْهَا ،  
وَأَعْظَمُ مَا كَانَ حِرْصاً عَلَيْهَا .

[ مِنْ لَا يُؤِي فِي النِّعَمِ حَقَّهَا ]

وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ رَجُلًا بِالذَّمِّ :  
مَا ظَنَنْتُكَ بِمَنْ يَعْنِفُ بِالنِّعَمِ عَنَفَ مَنْ سَاءَتْهُ مُجَاوِرُهَا ، وَيَسْتَخْفُ بِحَقِّهَا  
اسْتِخْفَافًا مِنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ حَمْلُهَا ، وَيَطْرَحُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَطْرَاحَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ  
الشُّكْرَ يَرْتَبِطُهَا .

\*\*\*

[ عَوْدٌ إِلَى غُرَرِ الْمَدَائِحِ ]

وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ :  
لَأَبِي الشَّيْصِ

يَا مَنْ تَمَنَّى عَلَى الدُّنْيَا مَبَالَغَهَا      هَلَا سَأَلْتَ أَبَا بَشَرٍ فُتَّعْطَاهَا  
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا هَبَّ نَائِلُهُ      وَلَا ارْتَقَى غَايَةَ إِلَّا تَحْطَّاهَا  
غَيْرُهُ :

طَلَّابُ الْعُلَا إِلَّا عَلَيْكَ سِيرٍ      وَبَاعُ الْأَعَادِي عَنْ مَدَاكَ قَصِيرٍ  
إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ كُنْتَ الَّذِي لَهُ      وَلِلْفَضْلِ فِيهِ أَوَّلٌ وَأَخِيرٌ

وَقَالَ أَبُو الْحِجْنَاءِ الْأَصْغَرُ نُصِيبُ يَصِفُ إِسْحَاقَ بْنَ صَبَاحٍ :  
لَأَبِي الْحِجْنَاءِ

كَأَنَّ ابْنَ صَبَاحٍ ، وَكَنْدَةً حَوْلَهُ      إِذَا مَا بَدَأَ ، بَدَرْتُ تَوَسَّطَ أَنْجَمَاهَا  
عَلَى أَنَّ فِي الْبَدْرِ الْحَاقِقَ ، وَإِنْ ذَا      تَمَّامٌ فَمَا يَزِدَادُ إِلَّا تَمَمَا

(١) يَحِيفُ : يَجُورُ وَيَظْلِمُ (م) (٢) اللَّقَّةُ : الْحُبُّ ، أَوْ أَشَدُّهُ (م)

نرى للنسر الغربي يهتزُّ تحتهُ إذا ما علا أغوادهُ وتكلما  
فأنت ابنُ خيرِ الناسِ إلا نبوةُ ومن قبلها كنت السنام المقدما  
ونصيب هو القاتل في البرامكة ، وكان منقطعاً إليهم :

لنصيب  
في البرامكة

عند الملوك مَضَرَّةٌ ومنافع  
إن العروق إذا استسرى بها البثرى  
فإذا جهلت من أمرى أغراقه  
أخذ هذا من قول سلم الخاسر :

لا تسأل المرء عن خلائقه  
وقال نصيب في بنى سليمان بن علي :

لنصيب  
في بنى سليمان  
بن علي

بنى سليمان حزتم كلَّ مَكْرُمَةٍ  
لا تسأل المرء يوماً عن خلائقه  
حسبُ أمرى شرفاً أن ساد أسرته  
سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجه ، فلم يقضها ،

وسأل آخر ، فقضاها ، فقال للأول :

دُمت ولم تحمد ، وأبْتُ بِحاجةٍ  
أبى لك فعلَ الخيرِ رأى مقصراً  
إذا ما أرادته على الخيرِ مرَّةً  
عصاها ، وإن همَّت بِشراً أطاعها

[ فَعَلَاتُ الْأَجْوَاد ]

قال رجلٌ لهشام بن عبد الملك : قد افتقرتُ يا أمير المؤمنين إلى ظهور  
حُسْن رأيك ، فإن رأيتَ إظهارهُ بسرور الصديق ، ورَغْم العدو ، فعلت ،

هشام بن  
عبد الملك

(١) في نسخة «أب النبات بها» تطبيع : وأث النبات : كثر والتنف. (م)

قال هشام : أوجزت وملحت فيما سألت ؛ فلا ترد لك طلبية ، فما سأله شيئاً إلا أعطاه أكثر منه .

عمرو بن  
مسعدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان ، فقال له بعض أصحابه : أيها الأمير ، لو كان الحياء يُظهر سؤالاً لدعاك حيائي من كرمك في جميع أهليك إلى الإقبال على بما يكثر به حسدُ عدوي ، دون أن أسألك ، فقال عمرو : لا تبغ ذلك بابتذالك ماء وجهك ، ونحن نُغنيك عن إداقته في خوض السؤال ، فأرفع ما تريده في رُقعة يصل إليك سراً ، ففعل .

محمد بن  
طيفور

وقال رجل من أهل فارس : قدم على محمد بن طيفور ، وهو عامل على بلاد أصبهان لبعض أهلها : كم تقدرون صلات محمد في كل سنةٍ للشعراء والمتوسلين ؟ قالوا : مائة ألف دينار ، سوى الخلع والحلجان<sup>(١)</sup> .

وورد عليه يوماً كتابٌ من بعض إخوانه في شأن رجل استباحه لفة في درجته<sup>(٢)</sup> : أنت أعزك الله تعالى أجل من أن يُتوسَّلَ بغيرك إليك ، وأن يُستباح جودك إلا بك ، غير أني أذكرك بكتابي في أمر حامله ، ما سارع كرمك [ من الشكر ] وزرع إحسانك من الأجر ، قبل الصادرين والواردين ؛ فهناك الله تعالى ذلك ، ولا زالت يدُ الله بحمिल إحسانه ونعمته متواترة عليك .

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ؛ فأخذ منه ألف دينار ، ولمن كتب له مثلها .

إبراهيم بن  
المهدى

وقال رجل لإبراهيم بن المهدي : قد أوحشني منك ترددُ غليل في صدري أهابك عن إظهاره ، وإجلك عن كشفه ، فقال له إبراهيم : لكني أكشف لك معروف ، وأظهر إحساني ؛ فإن يكن غير هذين في خلدك ، فأكتب رُقعة يخرج توقيعاً سراً لتقف على ماتحب ، فبلغ كلامه المهدي فقال : هذا والله غاية الكرم .

(١) في نسخة « سوى الخلع والهدايا » (م)

(٢) في نسخة « استباحه له في منزله » (م)

محمد بن طيفور

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمالي كثير وصدا به ، فكتب الرجل إليه : قد استغرقت نِعْمَتَكَ وجُودَ الشكر لك ، وغررَ الحمد فيما سلف منك ، ولولا فرطُ عجزى عن تلقى ما يجبُ لك من الحمد لقبلتُ ما أنفدته .

فكتب إليه محمد : قد صغرَ شكرُك لنا ما أسلفناه إليك ؛ فخذ ما أنفدناه ثوبا عن معرفتك بِشُكْرِ التافه<sup>(١)</sup> عندي ، وإلا سمح شكرُك بما رأيته لك له أهلا إلى أن يتسع قبول مثلك ما يستحق به جميل الدعاء ، وجزيل الثناء ، إن شاء الله تعالى .

[ من نوادر الرثاء ]

ولما مات قِرْدُ زُبَيْدة بنت جعفر ساءها ذلك ، ونالها من الغم ما عرفه الصغير والكبير من خاصتها ، فكتب إليها أبو هارون العبدى :

أيها السيدة الخطيرة ؛ إنَّ موقعَ الخطب بذهاب الصغير المعجب كموقع السرور بنيل الكثير المفرح ، ومن جهل قدرَ التعزية عن التافه الخفي ، عَمِيَ عن التهنية بالجليل السني ، فلا نقصك الله الزائد في سرورك ، ولا حرمك أجرَ الذهاب من صغيرك . فأمرت له بجائزة .

وكتب أبو إسحاق الصابي عن ابن بركة في أيام وزارته إلى أبي بكر بن قريمة يعزيه عن نور أبيض بقوله ، وجلس للعزاء عنه ترأفًا وتحامًا :

التعزية على المفقود أطال الله بقاء القاضى إنما تكون بحسب محله من فاقده ، من غير أن تراعى قيمته ولا قدره ، ولا ذاته ولا عينه ؛ إذ كان الغرض فيها تبريد الغلة ، وإحداث اللوعة ، وتسكين الزفرة ، وتنفيس الكربة ، فربَّ وَلَدٍ

(١) في نسخة « معرفتك بشكر ما أسديناه »

عاق ، وشقيق مُشَاق ، ودى رحم أصبح لها قاطعا ، [ ولأهله فاجعا ] ، ومريب قوم قد قلدّم عارا ، وناط بهم شَنَارا ، فلا لَوَم على تَرَك التعزية عنه ، وأخر بها أن تستخيل تهنةً بالراحة منه ؛ وربّ مالٍ صامتٍ غيرِ ناطقٍ ، قد كان صاحبه به مستظهِرا ، وله مستثمرا ، فالجميعُ به إذا فقد موضوعةً موضعها ، والتعزية عنه واقعةٌ منه موقعها . وقد بلغنى أن القاضى أصيب بشور كان له ، فجلس للعزاء عنه شاكياً ، وأجهش عليه باكياً ، والندم عليه والهاً<sup>(١)</sup> ، وحُكيت عنه حكاياتٌ فى التأين له ، وإقامة النّدبة عليه ، وتعيد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت فى غيره ، واجتمعت فيه وحده ؛ فصار كما قال أبو نواس ، فى مثله من الناس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد  
لأنه يكرُب الأرض مغمورة<sup>(٢)</sup> ، ويُثيرها مزروعة ، ويرقص فى الدواليب  
ساقياً وفى الأرحاء طاحنا ، ويحمل الغلات مستقلا ، والأثقال مستخفا ؛ فلا يؤوده  
عظيم ، ولا يعجزه جسيم ، ولا يجرى فى الحائط<sup>(٣)</sup> مع شقيقه ، ولا فى الطريق مع رفيقه ، إلا كان جَلدا لا يُسبِق ، ومبرِّزاً لا يُلحق ، وفائتاً لا يُنال شأوه  
وغايته ، ولا يبلغ مداه ونهايته . ويشهد الله أن ما ساء ساءنى ، وما آله آلمنى ، ولم يَجْزْ عندى فى حق ودّه استصغارُ خطبٍ جلّ عنده ، فأرقه وأمضه وأقلقه ، ولا تهوينُ صعبٍ بلغ منه وأرضه ، وشقّه وأرضه ؛ فكتبت هذه الرقعة ، قاضياً بها من الحق فى مصابه هذا بتدّرٍ ما أظهر من إكباره إياه ، وأبان من إعظامه له ؛ وأسأل الله تعالى أن يخصّه من المعوضة بأفضل ما خص به البشر ، عن البقر ، وأن يُفردَ هذه البهيمة العجاء بأثرةٍ من الثواب ، يضيفها إلى المكلفين من أهل

(١) فى نسخة « ولها » بدون ألف ، وليست بشيء . يقال : وله الرجل يله - مثل وعد بعيد ، ووله يوله - مثل وجل يوجل - فهو ولهان ، وواله ، وآله ، والواله : الشديد الحزن (م) (٢) يكرُب الأرض : يثيرها للزرع ، وفى نسخة « مغمورة » بالعين مهملة (م) (٣) الحائط : البستان (م)

الألباب<sup>(١)</sup>؛ فإنها وإن لم تكن منهم، فقد استحققت ألا تُفرد عنهم، بأن مسّ القاضى سببها، وصار إليه مُنْقَسِبُها، حتى إذا أنجز الله ما وعد به [عباده المؤمنين] من تمحيص سيئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التى رَضِيَهَا لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قَرَاراً؛ وأورد القاضى - أيدّه الله تعالى - مواردَ أهلِ النعيم، مع أهل الصراط المستقيم، جاء وتَوَزَّه هذا مجنوبٌ معه، مسموح له به؛ وكما أن الجنة لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنه عَرَقَ يجرى من أعراضهم، كذلك يجعلُ الله تَوَزَّ القاضى مركباً من العنبرِ الشَّخْرِى، وماءِ الوَرْدِ الجُورَى؛ [فيصير تَوَزّاً له طورا؛ وجُونةً عَطِرَ<sup>(٢)</sup> له طورا] وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر، ولا مستصعب ولا متعذر؛ إذ كانت قدرةُ الله بذلك محيطَةً، ومواعيدهُ لأمثاله ضامنة، بما أعدّه الله فى الجنة لعباده الصادقين، وأوليائه الصالحين؛ من شهوات أنفسهم وملأذ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه، بمانعه ذلك مع صالح مساعيه، ومحمود شيمه؛ وقلبي متعلق بمعرفة خبره، أدام الله عزّه فيما اذّرع من شعار الصبر، واحتفظ به من إيثار الأجر، ورفع إليه من السكون لأمرِ الله تعالى فى الذى طَرَقَه، والشكر له فيما أزعجه وأقلقه، فليعرفنى القاضى من ذلك ما أُكُونُ ضاربا معه بسهمِ المساعدة عليه، وآخذاً بقسطِ المشاركة فيه.

فصل من جواب أبى بكر: وصل توقيعُ سيدنا الوزير أطلال الله بقاه، وأدام تأييده ونعماءه، وأكمل رفعته وعُلاه، وحرّس مُهْجته ووَاقاه، بالتعزية عن الثور الأبيض، الذى كان للحَرْثِ مثيراً، وللدواليب مُدِيراً، وبالسبقِ إلى سائر المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان مُساعدا وظهيراً<sup>(٣)</sup>. لعمرُك لقد كان بِعَمَلِهِ

(١) فى نسخة « من ذوى الألباب » والألباب: العقول، واحدها لب (م)

(٢) الجونة - بضم الجيم - سلة صغيرة تغشى بالجلد، تكون مع العطارين (م)

(٣) ظهيراً: معينا



ناهضاً، ولحاقات البقر رافضاً، وأتى لنا بمثله وشرّواه<sup>(١)</sup>، ولا شروى له؛ فإنه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى خَلَاتٍ لولا خَوْفِي من تجدد الحزن عليه، وتهيبج الجزع وانصرافه إليه لمدِّتُها؛ ليعلم - أدام الله عزه - أن الحزينَ عليه غيرُ مَلُومٍ . وكيف يُلام امرؤٌ قدَّ من ماله قطعةً يجب في مثلها الزكاة، ومن خَدَمَ معيشته بهيمة تُعين على الصوم والصلاة، وقد احتذيتُ مأمثله الوزير من جميل الاحتساب، والصبر على المصائب؛ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون قول من علم أنه أملك لنفسه وماله وأهله<sup>(٢)</sup> وأنه لا يملك شيئاً دونه؛ إذ كان جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، هو الملك الوهاب، المرتجع ما ارتجع مما يعوض عليه نفيس الثواب . وقد وجدت - أيد الله الوزير - للبقر خاصةً فضيلةً على سائر بهيمة الأنعام، تشهد بها العقول والأفهام، وذَكَرَ جملة من فضائلها .

\*\*\*

وكانَ أبا نواس في قوله :

ليس على الله بمستفكر  
أن يجمع العالم في واحد

نظّر في هذا المعنى إلى قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم  
حسبت الناس كلهم غضابا

[عَوَّذَ إلى المختار من الرثاء]

وقالت امرأةٌ من العرب، يقال: إنها امرأةُ العباسِ عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ترضى بذيها<sup>(٣)</sup> :

رَعَوْا من الجدا كنفًا إلى أجل حتى إذا كملت أظاؤهم ورَدُّوا

مَيِّتٌ بِبَصْرٍ، وَمَيِّتٌ بِالْعِرَاقِ، وَمَيِّتٌ بِالْحِجَازِ، مَنَيا بينهم بَدَدٌ .

كانت لهم هِمَمٌ فَرَّقَ بينهم إذا القعا ديدٌ عن أمثالهم قعدوا

(١) الشروى - بفتح الشين وسكون الراء - اللثل، والنظير، وفي نسخة

« وأتى لنا بمثله وشرائه وهو لا يشري » تحريف (م)

(٢) في نسخة « قول من علم أن المرء لا يملك نفسه وماله وأهله . بل لا يملك

شيئاً دونه » (٣) تنسب هذه الآيات أيضا إلى فاطمة بنت الأحجم الخزاعية (م)

بَثَّ الجليل، وتفرّج الجليل، وإعطاء الجزيل الذي لم يُعطه أحدٌ  
وقال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم :

عليك سلام الله قيسُ بنَ عاصمٍ      ورحمتهُ ما شاء أن يترحمها  
تحية من ألبسته منك نعمة      إذا زار عن شَحَطِ بلادك سلماً<sup>(١)</sup>  
فما كان قيسٌ هُلكهُ هُلك واحدٍ      ولكنه بُغيانُ قومٍ تهدّما  
وقيس بن عاصم هو القائل :

إني امرؤٌ لا يَمْتَرِي حَسْبِي      دنسٌ يُغيّره ولا أفنُ  
من مِنقرٍ في بيتٍ مكرُمةٍ      والأصلُ يَنْبِتُ حوله الغُصنُ<sup>(٢)</sup>  
خُطباء حين يقول قائلهم      يبيضُ الوجوه أَعْفَةً لُسُنُ<sup>(٣)</sup>  
لا يَفْطِنُون لِعيبِ جارِهِمْ      وَهُمْ لِحَسَنِ جوارِهِ فُطُنُ

وقالت أختُ الوليد بن طريف الشيباني ترميه :

أيا شَجَرَ الخابورِ مالكُ مُورِقا      كأنك لم تَجْزَعْ على ابنِ طَريفٍ  
فَتَى لا يَمُدُّ الزادَ إلّا من التقي      ولا للمال إلّا من قنّا وسيوفِ  
عليك سلامُ الله وقفا؛ لأنّي      أرى الموتَ وَقاعاً بكلِّ شريفٍ  
فقدناك فَقَدانُ الربيعِ، وليتنا      فديناك من فتياننا بألوفٍ

وخرج الوليد في أيام الرشيد، فقتله يزيد بن مزيد، وفي ذلك يقول بكر

ابن النطاح الحنفي :

يا بني تغلب لقد فَجَمَتَكُمْ      من يزيدٍ سيوفُهُ بالوليدِ  
لَوْ سيوفُ سَوى سيوفِ يزيدٍ      قارَعَتْهُ لاقَتْ خِلافَ السَّوَدِ  
واترُ بعضهم يقتل بعضاً      لا يفلُ الحديدُ غيرُ الحديدِ

\*\*\*

(١) في نسخة « تحية من غادرته غرض الردى » (م)

(٢) في الأمالي ( ٢٣٩/١ ) « والقرع ينبت حوله » (م)

(٣) وفيه « مصاقع لسن » (م)

لأخت الوليد  
ابن طريف

بكر بن  
النطاح

[ من شعر بكر بن النطاح ]

وكان بكر كثير التعصب لريعة والمدح فيهم، وهو القائل:

ومن يفتقر منا يعيش بحسامه      ومن يفتقر من سائر الناس يسأل  
ونحن وُصفنا دون كل قبيلة      بشدة بأس في الكتاب المنزل  
وإنا لنمؤ بالسيوف كما لهت      فتاة بعقد أو سخاب قرنفل<sup>(١)</sup>  
يريد قول الله عز وجل: « سُدَّ عَوْنُ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ». جاء في  
بعض التفاسير أنهم بنو حنيفة قوم مُسيلة الكذاب.

وبكر القائل أيضا في أبي دلف:

يا عصمة العزب الذي لو لم يكن      حيا لقد كانت بغير عماد  
إن العيون إذا رأتك حدادها      رجعت من الإجلال غير حداد  
وإذا رميت الثغر منك بقرمة      فتحت منه مواضع الأسداد  
فكان رمحك منقع في عصفري      وكان سيفك سل من فرصاد  
له صال من غصب أبو دلف على      يبيض السيوف لذب في الأغداد  
أذكى وأوقد للعداوة والقرى      نارين نار وغى ونار زناد

نسب أبي دلف  
العجلي

وأبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شنج بن  
معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل  
ابن لجيم.

\*\*\*

وقد رُويت الأبيات التي مرت لأخت الوليد بن طريف لعبد الملك بن  
بجرة الميزرى.

وقال أبو هفان واسمه منصور بن بجرة، قال: أنشدني دعلب لنفسه:

وداعك مثل وداع الربيع      وققدك مثل افتقاد الدائم

(١) السخاب - بزة الكتاب - قلادة ليس فيها جوهر (م)

عليك السلام فكم من وفاء أفارق منك وكم من كرم فقلت : أحسنت ، ولكن سرقت البيتين من ربيعين : الأول من قول القطامي :

ما للكواعب ودّ عن الحياة كما ودّ عني واتخذني الشيب ميعادي  
والثاني من قول ابن بجرة :

\* فقدناك فقدان الربيع وليتنا \*

وأنشد البيت . فقال : بلى ، والله سرق الطائي من ابن بجرة بيتا كاملا فقال :  
عليك سلامُ الله وقفا فإني رأيت الكريم الحر ليس له عُمر  
كذا وردت الحكاية من غير وجه ، وكان يجب إذا كان من ربيعين  
أن يكون « فقدناك فقدان الربيع » لأخت الوليد .

وقد قال السموءل في قصر العمر :

يقرب حبّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ  
وقال ابن قتيبة : أخذ النخعي قوله : « أيا شجر الخابور » من قول الجن في  
عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

وفاء عمر  
ابن الخطاب

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتزّ العِصاه بأسواقِ  
وقد أنشده أبو تمام الطائي للشماخ في أبيات أولها :

جزى الله خيرا من أميرٍ وباركت يدُ الله في ذاك الأديم الممزق  
[ومن يسع أو يركب جناحي نعامة  
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها  
وما كنت أخشى أن تكون وفاته  
تظل الحصان البكر تلقى جنينها  
نشا خبر فوق المطى معلق  
ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق ]  
نوافج في أكامها لم تفتق<sup>(١)</sup>  
بكفّي سبنتي أزرق العين مطرق  
نشا خبر فوق المطى معلق

(١) النوافج : جمع ناخفة ، وهي وعاء السك ، والأكام : جمع كم - بكسر  
الكاف - وهو وعاء الطلع ، وهو أيضا الغلاف الذي ينشق عن الثمر ، وبرى  
« بوائقي أكامها » والبوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية والشر ، ولم تفتق : لم تفتح (م)

وقد قال بشار قريباً من قوله : [ ولا المال إلا من قنا وسيوف ] : لبشار

على جَنَبَاتِ الْمَلِكِ مِنْهُ مَهَابَةٌ      وفي الدرع عَيْلُ السَّاعِدِينَ قَرُوعٌ  
إذا اخْتَزَنَ الْمَالُ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا      خَزَائِنُهُمْ خَطِيئَةٌ      وَدُرُوعٌ  
وهذا كقول أبي الطيب المتنبي في فاتك الإخشيدي :

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً      ذَهَبًا      فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَمْعُ  
وَإِذَا الْمَكَارُمُ وَالصَّوَارِمُ      وَالْقَنَا      وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلِّ شَيْءٍ يَجْمَعُ<sup>(١)</sup>

ومن بارع هذا النحو قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :

وَإِنِّي لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لَغَاطِبٌ      لَسُكْنَى سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ  
وَإِنِّي لَمَفْجُوعٌ بِهِ إِذْ تَكَاثَرَتْ      عِدَاتِي وَلَمْ أَهْتَفِ سِوَاهُ بَنَاصِرِ  
وَكُنْتُ كَمَغْلُوبٍ عَلَى نَضْلِ سَيْفِهِ      وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَضْلُ حَرَّانٍ بَاتِرِ  
أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَجِدْنَا قَرَى      مِنَ الْبَثِّ وَالْدَاءِ الدَّخِيلِ الْخَامِرِ  
وَأُبْنًا يَرْزَعُ قَدْ نَمَا فِي صَدُورِنَا      مِنَ الْوَجْدِ يُسْقَى بِالْدمُوعِ الْبَوَادِرِ  
وَلَمَّا حَضَرْنَا لَا قِسَامَ تُرَاثِهِ      أَصْبِنَا عَظِيمَاتِ اللَّهِى وَالْمَآثِرِ<sup>(٢)</sup>  
أَي لَمْ نَصْبْ مَالًا ، وَلَكِنَّا أَصْبِنَا فَعَالًا .

[ من كلاب الأعراب ]

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة ، فوقفت بين السَّاطِئِينَ<sup>(٣)</sup> ،  
فَقَالَتْ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، وَأَمْتَعَ بِهِ ؛ حَدَرْتُنَا إِلَيْكَ سَنَةً أَشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ،  
وَانْكَشَفَ غَطَاؤُهَا ، أَقْوَدُ صَبِيَّةٍ صَغَارًا ، وَآخِرِينَ كِبَارًا ، فِي بِلَدٍ شَاسِعَةٍ ،  
تَحْفِضُنَا خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمَلَمَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ بَرَّيْنِ عَظْمَى ، وَأُذْهِبِ  
لَحْمَى ، وَتَرْكُنْنِي وَاهَةً أَدُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ  
فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فَضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَكْفِيُّ نَائِلُهُ<sup>(٤)</sup> ؛

(١) الصَّوَارِمُ : السيوف ، واحدها صارم ، وَبَنَاتُ أَعْوَجَ : الخيل العربية  
الأصيلية (م) (٢) اللها - بضم اللام - العطايا الجزيلة (م)  
(٣) السباط - بزنة الكتاب - الصف (م) (٤) في نسخة «الكافي نائله» (م)

فَدَلَّلتْ عَلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازَنَ ؛ وَقَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ،  
وْغَابَ الرَّافِدُ ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غِيَانِي ، وَمُنْتَهَى أَمَلِي ، فَافْعَلْ بِي إِحْدَى ثَلَاثَ :  
إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تَحْسَنَ صَفَدِي <sup>(١)</sup> . أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ! فَقَالَ : بَلْ أَجْعَلُهَا  
لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجَرِّى عَلَيْهَا كَمَا يُجَرِّى عَلَى عِيَالِهِ ، حَتَّى مَاتَتْ .

أعرابي يباب  
عبيد الله بن زياد

قَالَ الْعَتَبِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِيَابَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ  
الْفَضَارَةِ <sup>(٢)</sup> ، حَقَّبَ السَّحَابُ <sup>(٣)</sup> ، وَانْتَشَعَ الرَّبَابُ <sup>(٤)</sup> ، وَاسْتَأْسَدَتِ الذَّنَابُ ،  
وَرَدَمَ التَّمَدُّ ، وَقَلَّ الْحَقْدُ <sup>(٥)</sup> ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكَثُرَ الْعُقَاةُ ، صَخِبَ  
السَّقَاةُ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ <sup>(٦)</sup> ، لَا أَتَضَالُ لِلزَّمَانِ ، وَلَا أَحْفَلُ بِالْحَدَثَانِ ، حَتَّى  
حِلَالٍ <sup>(٧)</sup> ، وَعَدَدٌ وَمَالٌ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيْدِي سَبَاً ، بَعْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ؛ وَكَانَتْ  
حَسَنَ الشَّارَةِ ، خَصِيبَ الدَّارَةِ ، سَلِيمَ الْجَارَةِ ، وَكَانَ مَحَلِّي رَحْمِي ، وَقَوْمِي  
أُمِّي ، وَعَزَمِي جَدًّا ؛ قَضَى اللَّهُ وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى ، بِسَوَافِ الْمَالِ <sup>(٨)</sup> ،  
وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَقَرُّرِ الْحَالِ ، فَأَغِيثُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَلِسَانُهُ وَافِدُهُ ،  
وَقَفَرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ .

[ من مقامات بديع الزمان ]

المقامة البصرية

وَمِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكََنْدَرِيِّ مِنْ إِنْشَاءِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سَنِيٍّ فِي فِتَاءٍ <sup>(٩)</sup> ، وَمِنْ  
الزَّيِّ فِي حَبِيرٍ وَوِشَاءٍ <sup>(١٠)</sup> ، وَمِنْ الْغَنِيِّ فِي بَقَرٍ وَشَاءٍ ؛ فَأَتَيْتُ الْمِرْبَدَ مَعَ رُفْقَةٍ  
تَأْخُذُهُمُ الْعَيُونَ ، وَدَخَلْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمُنْتَزَهَاتِ ، وَمَشِينَا فِي تِلْكَ الْمَتَوَجَّهَاتِ ،  
وَمَلَكْتَنَا أَرْضٌ فَخْلَانَاهَا ، وَعَمَدْنَا لِقِدَاحِ اللَّهِو فَأَجْلَنَانَاهَا ، مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ ،

(١) الصَّفَدُ - بِالْتَّحْرِيكِ - الْعِطَاءُ ، وَالْأَوْدُ - بِالْتَّحْرِيكِ - الْعُوجُ (م)

(٢) الْفَضَارَةُ : النِّعْمَةُ (م) (٣) حَقَّبَ السَّحَابُ : احْتَبَسَ ، وَالرَّادُ الْمَطَرُ (م)

(٤) الرَّبَابُ : الْأَبْيَضُ مِنَ السَّحَابِ (م) (٥) الْحَقْدُ : الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ (م)

(٦) الدَّلَاةُ : جَمْعُ دَالٍ ، وَهُوَ الْمُسْتَقِيُّ بِالْأَلْوَانِ مِنَ الْبَرِّ (م) (٧) حَى حِلَالٍ : مُقِيمُونَ (م)

(٨) سَوَافِ الْمَالِ : هَلَكَ (م) (٩) فِتَاءُ السَّنِ : مِيعَتُهُ وَنِضَارَتُهُ (م)

(١٠) الْحَبِيرُ : جَمْعُ حَبْرَةٍ - يَوْزَنُ عِنَبَةً - وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْوَشْيِ ، وَالْوِشَاءُ :

نَوْعٌ مِنَ اللَّبَاسِ مَطْرُزٌ (م)

إذ لم يكن فينا إلا منّا ، فما كان إلّا بأسرّع من ارتداد الطرف حتى عنّا لنا  
 سوادٌ ، تحفّضه وهاد ، وترفعه نجاد ، وعلمنا أنه يهيم بنا ، فأتلعنا<sup>(١)</sup> له ، حتى  
 انتهى إلينا<sup>(٢)</sup> سيره ، ولقينا بتحية الإسلام ، ورددنا عليه مقتضى السلام ؛  
 ثم أجال فينا طّرفه وقال : يا قوم ؛ ما منكم إلّا من يلحظني شزراً ،  
 ويوسعي زَجْراً<sup>(٣)</sup> ، ولا ينبشكم عني ، بأصدق مني ؛ أنا رجل من أهل الإسكندرية ،  
 من الثغور الأموية ، قد وطأ لي الفضل كنفه ، ورحبت بي عبس ، وتماي  
 بيت ، ثم جمّع بي الدهر عن ثمة ورمة<sup>(٤)</sup> ، وأتلاّني زغاليل حمر<sup>(٥)</sup> الحواصل :  
 كأنهم حيّاتُ أرضٍ محلّةٍ فلو يَفْضُون لَدَيَّ سَمُّهُمْ  
 إذا نَزَلْنَا أُرْسَلُونِي كاسِباً وإن رَحَلْنَا رَكِبُونِي كَلَمُهُمْ  
 ونشزت علينا البيض<sup>(٦)</sup> ، وشمست منا الصفر ، وأكلتنا السّود<sup>(٧)</sup> ، وحطمتنا الحجر ،  
 وانتابنا أبو مالك ، فما تَلَقَّانَا أبو جابر إلّا عن عُفْر<sup>(٨)</sup> ، وهذه البصرة ماؤها هَضُوم ،  
 وفقيرها مهضوم ، والمرء من ضِرْمِهِ في شغل ، ومن نفسه في كلّ ، فكيف بمن :  
 يُطَوّف ما يُطَوّف ثم يَأْوِي إلى زُغْبٍ مُحَدَّدَةٍ العيونِ  
 كَسَاهُنَّ البَلْبَى شُعْثًا فَتَمُسِّي جِياعِ النَّابِ ضَامِرَةَ العيونِ  
 ولقد أَصْبَحْنَا اليَوْمَ وقد سَرَّخَنَ الطَّرْفَ في حَيٍّ كَمِيتٍ ، وفي بيت كَلا  
 بيت ، وقلبن الأ كَفَ على لَيْتٍ ، فَقَضَضَنَ عقدَ الضلوع ، وَأَفْضَنَ ماءَ الدموع ،  
 وتَدَا عَيْنَ بِاسْمِ الجوع :

والفقرُ في زَمَنِ المَشَا مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَةٌ

- (١) أتلعنا له : استشرقنا ومددنا أعناقنا نحوه (م) (٢) في نسخة «فأداه إلينا» (م)  
 (٣) في نسخة «ويوسعي حزرا» (م) (٤) ثمة ورمة : قليله وكثيره (م)  
 (٥) أتلاّني : أتبعني ، وزغاليل : أراد بهم أطهاله ، وحمر الحواصل : كناية  
 عن صغره (م) (٦) البيض : الدراهم لكونها من فضة ، والصفر : الدنانير لكونها  
 من ذهب ، والنشوز والشماس بمعنى القرائق (م) (٧) السّود : الليلي ، والحجر :  
 السنوات المجدبة ، وأبو مالك : الفقر (م) (٨) وأبو جابر : الخير ، وما نلقانا إلّا عن  
 عُفْر : يعني كل حين مرة (م)

وقد اخترتكم يا سادة ، ودلتني عليكم السعادة ، وقلت<sup>(١)</sup> : قسما ، إن فيهم  
شيمًا ، فهل من فتى يعشّيهن ، أو يُعشّيهن ؟ وهل من حرٍّ يغدّيهن ، أو يرّدّيهن ؟  
قال عيسى بن هشام : فوالله ما استأذن على سمعي كلامَ رائعٍ أروع مما سمعت ،  
لا جرمَ أنا استمخنا الأوساط ، ونفضنا الأكلام ، وبخشنا الجيوب<sup>(٢)</sup> ؛ وأنلتُهُ  
مُطرَني ، وأخذت الجماعةُ أخذى ، وقلنا له : الحق بأطفالك ، فأعرض عنا بعد  
شكر وفاء ، ونشر ملاً به فاه .

[ من رسائل البديع ]

ومن رسائله إلى بعض الرؤساء :

ورسالة منه  
لبعض الرؤساء

حُلقت - أطال الله بقاء السيد وأدام تأييده - مشروحَ جَنانِ الصدر ، جموحَ  
عنانِ الحلم<sup>(٣)</sup> ، فسيح رُقعة الصدر :

سَمَوًا صبوراً لو تَعَمَّدَنِي الردى لَسِرْتُ إِلَيْهِ مُشْرِقَ الْوَجْهِ راضياً  
أُلوفاً وفياً لو رُدِدْتُ إِلَى الصَّبَا لفارقتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِياً  
والله لا حيلَ للسيد على الأيام ، ولا كُنَّ استحالته رأيه فيَّ على الليالي ،  
ولا أزال أصفيه الولاء ، وأسنيه الثناء ، وأفرش له من صدرى الدّهْءاء ، وأعيده  
أذنا صماء ، حتى يعلم أىَّ علقٍ باع ، وأىَّ فتى أضاع ، وليقفن موقفَ اعتذار ،  
وليعلننَ بِنُصْحِ أُنَى الْوَاشُونَ أمَ بِجُبُولِ<sup>(٤)</sup> ، ولا أقول : يا حالف اذكر حلالاً ،  
ولكن يا عاقِدَ<sup>(٥)</sup> اذكر حلالاً ، ولست كمن يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أذى رَهْطِهِ ، وَيَسْتَأْذِنُ إِلَى رَمَى يَزِيدُ لِسَبْطِهِ<sup>(٥)</sup> ، ولكنى أقول :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

(١) في نسخة « ونحنتا الجيوب » تحريف ، وبحث الجيوب : تفتيشها (م)

(٢) في نسخة « جموح عنان القلم بحلم فسيح رُقعة الصدر » (م)

(٣) هذا عجز بيت لكثير عزة ، وصدره \* فلا تعجلي يا عَزْ أن تتفهمي \*

(٤) في نسخة « باعافر » تحريف (م) (٥) في نسخة « ويشناق » بالشين معجمة ،

وفي الرسائل ( بيروت ١٤٠ ) « لو يستاق إلى الكفر من يدى سبطه » وسبطه :

هو الحسين بن علي ، رضى الله عنهما ! (م)



وأنا أعلم أن السيد لا يخرج عن تلك الحلية ، بهذه الرقبة ، وأن جوابه أحسن من لقائه ، فإن نشط للجابة فلتكن المحاطبة قرأت رقعتك ، فهو أخف مؤنة ، وأقل تبعه .

رسالة منه  
إلى الشيخ  
العميد

وله إلى [ الشيخ ] العميد :

أنا - أطال الله بقاء الشيخ العميد - [ مع إخوان نيسابور ] في ضيعة لا فيها أعان ، ولا عنها أمان ، وشيعة ليست بي ثنأط ، ولا عني ثنأط ، وحرفة لا عني تزل ، ولا فيها أدال ، وهي الكذبة التي على تبعتها ، وليس لي منفعتها ، فهل للشيخ العميد أن يلطف بصنيعته لطفاً يحط عنه درن العار ، وشيعة التكمب بالأشعار<sup>(١)</sup> ، ليخف على القلوب طيله ، ويرتفع عن الأحرار كله<sup>(٢)</sup> ، ولا يشغل على الأجفان شخصه ، بإتمام ما كان عرضه عليه من أشغاله ، ليعلق بأذيله ، ويستفيد من خلاله ؛ فيكون قد صان العلم عن ابتذاله ، والفضل عن إذلاله<sup>(٣)</sup> ، واشترى حسن الثناء بجاهه ، كما يشتره بماله ، والشيخ العميد فيما يوجهه من وعد يعتمده ، ووفاء يتلو ما يعده ، عال رأيته إن شاء الله

[ عود إلى غور المديح ]

لأبي العباس  
الناشيء

وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو العباس الناشيء ، يمدح سعد الدولة أبا المعالي

شريف بن سيف الدولة . على بن عبد الله بن حمدان :

كأن مرآة فهم الدهر في يده يرى بها غائب الأشياء لم يغيب  
ما يرفع الفلك العالی سماء عللاً إلا علاها شريف كوكب العرب  
يا من بعين الرضا يلتقي مؤمله والبخل يطيق أجفانا على الغضب  
لو يكتب الملك أسماء الملوك إذا أعطاك موضع بسم الله في الكتب

(١) في الرسائل ( بيروت ١٦١ ) « وصمة التكمب بالأشعار » (م)

(٢) الكل - بفتح الكاف - النقل (م) (٣) في الرسائل « فيكون قد صان

الفضل عن ابتذاله ، والأدب عن إذلاله » (م)

غَرَبَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ      فَلَيْسَ ذِكْرُكَ فِي أَرْضٍ بِمَغْتَرِبٍ  
بَيْتُهُ الْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْقَائِلِ :

أُطِّلَ عَلَى الْأَشْيَاءِ حَتَّى كَأَنَّمَا      لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ مُقَالَةٌ شَاهِدٍ  
[ وَكَأَنَّ قَالَ ] أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي :

أُطِّلَ عَلَى كِلَا الْأَفْقَيْنِ حَتَّى      كَأَنَّ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارٌ <sup>(١)</sup>  
وَأَفْرَطُ ابْنِ الرُّومِيِّ فَقَالَ :

أَحَاطَ عِلْمًا بِكُلِّ خَافِيَةٍ      كَأَنَّمَا الْأَرْضُ فِي يَدَيْهِ كُرَّةٌ  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ :

عَلِمْتُ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ ، كَأَنَّمَا      يَخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ  
وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَقَوْفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ      أَقَرَّ الْخِلَافَةِ فِي دَارِهَا  
كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي الْقُلُوبِ      إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا  
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ لِلْفَتْحِ بْنِ خَافَانَ :

كَأَنَّكَ عَيْنٌ فِي الْقُلُوبِ بِصِيرَةٍ      تَرَى مَا عَلَيْهِ مُسْتَقِيمٌ وَمَائِلٌ  
وَقَالَ فِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

يُنَالُ بِالظَّنِّ مَا فَاتَ الْيَقِينَ بِهِ      إِذَا تَلَبَّسَ دُونَ الظَّنِّ إِيقَانٌ  
كَأَنَّ آرَاءَهُ وَالظَّنَّ يَجْمَعُهَا      تُرِيهِ كُلَّ خَفِيٍّ وَهُوَ إِعْلَانٌ <sup>(٢)</sup>  
مَا غَابَ عَنْ عَيْنِهِ فَالْقَلْبُ يَذْكُرُهُ      وَإِنْ تَنَمَّ عَيْنُهُ فَالْقَلْبُ يَقْظَانُ

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ يَمْدَحُ عَمِيدَ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ [ بْنِ

وَهَبِ الْوَزِيرِ ] :

لأحمد بن  
محمد يمدح  
ابن وهب

(١) يريد أن الأرض بالنظر إلى علمه بما يقع في أرجائها صغيرة الرقعة كأنها دار

(٢) في نسخة « والحزم يتبعها » (م)

واحدة (م)

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ  
لم يحمد الأجودان البحرُ والمطرُ  
وإن أضأت لنا أنوارُ غُرَّتِه  
تضاءل الأبوران الشمسُ والقمرُ  
وإن مضى رأيه أوحدُ عزمته  
تأخر الماضيان السيفُ والقدَرُ  
من لم يبت حذرًا من خوف سَطْوَتِه  
لم يدر ما للزَّ عجان الخوفُ والحذرُ  
ينال بالظن ما يعيَا العِيَانُ بهِ  
والشاهدان عليه العينُ والأثرُ  
كأنه الدهرُ في نُعمي وفي نعمٍ  
إذا تعاقب منه النفع والضررُ  
كأنه وزمامُ الدهرِ في يدهِ  
يرى عواقبَ ما يأتي وما يذرُ  
وأصل هذا قولُ أوس بن حجر:

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سَمِعَا

وهذا المعنى قد مرَّ في أثناء الكتاب .

قال أبو الحسن جحظة البرمكى : قلت لخالد الكاتب : كيف أصبحت ؟

لأعرابي

قال : أصبحت أرقَّ الناس شعراً ، قلت : أتعرف قولَ الأعرابي :

فما وَجَدَ أعرابيةً قَدَفَتْ بها  
صُروف الليالى حيث لم تَكْ ظَنَنْتِ  
تَمَنَّتْ أحوالِبَ الرعاء، وخَيْمَةً  
بنجدٍ ، فلم يُقَدِّرْ لها ما تَمَنَّتِ  
إذا ذَكَرْتَ ماءَ العِضَاهِ وطِيبَهُ  
وريح الصبا من نحو نجدٍ أَرَنْتِ<sup>(١)</sup>  
بأعْظَمَ من وجدٍ بليلٍ وَجَدْتَهُ  
غداة غَدَوْنَا غدوةً واطْمَأْنَنْتِ  
فَقَدَّرَ بَحَلَّتْ تلكَ الرياحُ وَضَنْتِ  
وكانت رِياحَ تَجْمَلُ الحاجَ بيننا  
فصاح خالد وقال : ويحك ! ويلك ! يا جحظة ! هذا واللهِ أَرَقُّ  
من شعري .

(١) أرنت : صوتت ، والرنين : الصوت ، وفي نسخة «وماء الصبا من نحو نجران

أنت » (٢)

[ تكاليف الجحد ]

## فصل لأبي العباس بن المعتز

إن تكسب - أعزك الله - الحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل على النفس والجلال<sup>(١)</sup> ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مثونة لاشارك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعاء مع ذوى الأخطار ؛ ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ، خفف عليهم حملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ، وبُعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقتصرارها منهم .

[ وقال أبو الطيب المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقرُ والإقدام قتالُ ]

وقال الطائي :

والحمد شهيد لا يردى مُشتارُهُ يَحْنِيهِ إِلَّا من نقيع الحنظل<sup>(٢)</sup>  
شرُّ الحامله ، ويحسبه الذى لم يؤذ عاتقه خفيف الحمل  
أخذه الطائي من قول مسلم بن الوليد ، وقيل غيره :

الجودُ أحسنُ مساً يا بنى مطرٍ من أن تبرز كموه كَفُ مُسْتَلَبِ  
ما أعلم الناس أن الجودَ مدفعٌ للذمِّ لكنه يأتى على النسب<sup>(٣)</sup>  
وقال بعض الأجواد : إنا لنجد كما يجد البخلاء ، ولكننا نصبر ولا يصبرون .

[ احتمال الغضب ]

وقال الجاحظ : قيل لأبي عباد وزير المأمون ، وكان أسرع الناس غضباً :  
إن لقمان الحكيم قال لابنه : ما الحمل الثقيل ؟ قال : الغضب . قال أبو عباد :

(١) فى نسخة « والحال » بالحاء مهملة - تحريف ، والجال : العقل والعزم (م)  
(٢) اشتار العسل : جناه من كوارته ، وهذا مثل قولهم « ولا بددون الشهد  
من إبر النحل » (م) (٣) يروى « ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للحمد »

لكنه والله أخفُّ على من الريش ! قيل له : إنما عني لقمان أن احتمال الغضب ثَقِيل ، فقال : لا ، والله لا يَقْوَى على احتمال الغضب من الناس إلا الجمل !  
وغضب يوماً على بعض كتّابه ، فرماه بدواةٍ كانت بين يديه فشقّه ، فقال أبو عبّاد : صدق الله تعالى في قوله : (والذين إذا ما غضبوا هم يَغفرون) .  
فبلغ ذلك المأمون فأحضره ، وقال له : ويحك ! ما تُحْسِنُ تقرأ آيةً من كتاب الله تعالى ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، إني لأحفظ من سورة واحدة ألف آية ؛ فضحك المأمون وأمر بإخراجه .

نبذة من لطائف ابن المعتز ، وفضل تحقّقه بالبدیع والاستعارات

مما تتعین العناية بمطالعتها

قال أبو بكر الصولي : اجتمعت مع جماعةٍ من الشعراء عند أبي العباس عبد الله بن المعتز ، وكان يتحقق بعلم البدیع تحقّقاً يَنْصُرُ دعواه فيه لسانُ مذاكرته ، فلم يَبْقَ مَسَلَكٌ من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شِعْباً من شِعَابِهِ ، وأوردنا أَحْسَنَ ما قيلَ في بابِهِ ، إلى أن قال أبو العباس : ما أحسن استعارة اشتعل عليها بيت واحد من الشعر ؟ قال الأسدی : قول لبيد :

وغداةٍ ریحٍ قد كَشَفَتْ وِقْرَةً إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

قال أبو العباس : هذا حسن ، وغيره أحمد منه ، وقد أخذه من قول ثعلبة ابن صُبَيْرَةَ المازني <sup>(١)</sup> :

فَتَذَاكِرًا تَقَلًّا رَثِيداً بعدما أَلْقَتْ ذُكَاهُ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ

(١) هكذا وقع في لسان العرب (٦/٤٦٣) ووقع في نسخة « بن صغير » بالعين مهملّة وبغير تاء ، وفي أخرى « بن صغير » بالعين معجمة وبغير تاء ، قال في اللسان « وذكر ابن السكيت أن لبنيداً سرق هذا المعنى فقال :

حتى إذا أَلْقَتْ يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها » اهـ  
والاستعارة في هذه الأبيات متقاربة (م)

وقول ذى الرمة أعجب إلى منه :

ألا طرقت مى هَيُومًا بِذِكْرِهَا وَأَيْدَى الثُّرَيَّا جُنْحٌ فِي الْمَغَارِبِ

وقال بعضنا: بل قول لبيد أيضا :

وَلَقَدْ تَحَمَّيْتُ الْخَلِيلَ تَحْمِلَ شِكَايَ فُرُطٍ، وَشَاخِي - إِنْ غَدَوْتُ - لِجَانِهَا

قال أبو العباس : هذا حسن ، ولكن تعدل عن لبيد .

وقال آخر : [ قول الهذلي ] :

وَلَوْ أَنَّنِي اسْتَوْدَعْتُ الشَّمْسَ لَاهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِيا غَيْرُهَا وَرَسُولُهَا

قال أبو العباس : هذا حسن ، وأحسن منه <sup>(١)</sup> - في استعارة لفظ الاستيداع -

قول الحُصَيْنِ بْنِ الْحُمَامِ ؛ لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قوله :

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَوْدِعُ الْبَيْضَ هَامَهُمْ وَيَسْتَوْدِعُونَا السَّمْعَ الْمَقْوَمَ <sup>(٢)</sup>

وقال آخر : بل قول ذى الرمة :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقَ الثُّرَيَّا فِي مُلَاءَتِهِ الْفَجْرُ

قال أبو العباس : هذا لعمري نهاية الخبرة ؛ وذو الرمة أبدع الناس استعارة ؛

وأبرعهم عبارة ، إلا أن الصواب حتى « ذوى العود والثرى » ؛ لأن العود لا يذوى

ما دام في الثرى ، وقد أنكره على ذى الرمة غير ابن المعتز . قال أبو عمرو

ابن العلاء : كانت يدي في يد الفرزدق فأشدته هذا البيت ، فقال : أرشدك أم

أدعك ؟ قال : فقلت : بل أرشدني ، فقال : إن العود لا يذوى في الثرى ،

والصواب « حتى ذوى العود والثرى » .

قال الصولي : وكأنه نبه على ذى الرمة ؛ فقلت : بل قوله :

وَلَمَّا رَأَيْتَ اللَّيْلَ وَالشَّمْسَ حَيَّةً حَيَاةَ الَّذِي يَقْضَى حُشَاةً نَازِعٍ

(١) في نسخة « هذا بديع ، وأبدع منه - إلخ » (م)

(٢) حذف نون الرفع من قوله « ويستودعوننا » من غير ناصب ولا جازم ،

وكان من حق العربية عليه أن يقول « ويستودعوننا » (م)

قال أبو العباس : اقتدختَ زَنَدَكَ يا أبا بكر فأورَى<sup>(١)</sup> ، هذا بارعٌ جدا ،  
وقد سبقه إلى هذه الاستعارة جرير حيث يقول :

تحى الروامسُ ربعا وتجدّه      بعد البلى فتميته الأمطار<sup>(٢)</sup>  
وهذا بيتٌ جمع الاستعارة والمطابقة ؛ لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، والبلى  
والجلدة ، ولَسَكِنَ ذو الرمة قد استوفى ذِكْرَ الإحياء والإماتة في موضعٍ آخر  
فأحسن ، وهو قوله :

وَنَشَوَانٌ مِنْ طُولِ النَّعَاسِ كَأَنَّهُ      بِحَبْلَيْنِ فِي مَشْطُونَةٍ يَتَرَجَّحُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا مَاتَ فَوْقَ الرَّحْلِ أَحْيَيْتُ رُوحَهُ      بِذِكْرِكَ وَالْعِيسُ الْمَرَايِلُ جُنْحُ  
فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبي  
العباس ما غاض معه مَعِينُهُ ، ولم ينهض حتى زودنا من برّه ولفظه نهاية ما اتسعت  
له حاله .

### [ كتمان الحب ]

وقال ابن المعتز :

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَبَّ يَفْضَحُنِي      وَنَمَتْ عَلَى شَوَاهِدِ الصَّبِّ  
أَلْقَيْتُ غَيْرَكَ فِي ظَنُونِهِمْ      وَسَتَرْتُ وَجْهَ الْحَبِّ بِالْحُبِّ

وقال العباس بن الأحنف في هذا المعنى :

قَدْ جَرَّرَ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بِنَا      وَفَرَّقَ النَّاسُ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرْقَا  
فَكَاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيْرَكُمْ      وَصَادِقٌ لَيْسَ يَذَرُ أَنَّهُ صَدَقَا

[ وقريب من هذا المعنى قول الفارسي رضي الله عنه ، وإن لم يكن منه :  
تخالفت الأقوال فينا تباينا      برجم أصول بيننا ما لها أصل<sup>(٤)</sup>  
للفارسي

(١) أورى : أخرج النار ، هذا أصله (م) (٢) الروامس : الرياح (م) .

(٣) في نسخة « في أنشودة يترجح » (٤) لعل الأصل « برجم ظنون » (م)

فَشَنَعَ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ ، وَلَمْ أَصْلُ  
وَمَا صَدَّقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لَشَقْوَتِي  
وَأَرْجَفَ بِالسُّلُوفِ قَوْمٌ وَلَمْ أَشْلُ  
وَقَدْ كَذَّبَتْ عَنِ الْأَرَاخِيفِ وَالنَّقْلِ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لَا بِنَ الْمُعْتَزِ

لَنَا عَزَمَةٌ صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ الرِّقَى  
وَأَنَا لِنَعْطَى الْحَقَّ مِنْ غَيْرِ حَاكِمٍ  
تُبَيْتَ أَنْوَفَ الْحَاسِدِينَ عَلَى رَغَمٍ  
عَلَيْنَا ، وَلَوْ شِئْنَا لَمَلْنَا مَعَ الظُّلَمِ  
وَقَدْ أَخَذَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ قَوْلِ أَعْرَابِي :

لَأَعْرَابِي

أَلَا يَا شِفَاءَ النَّفْسِ لَيْسَ بِعَالِمٍ  
سِوَى رَجْمِهِم بِالظَّنِّ وَالظَّنُّ كَاذِبٌ  
بَكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْلَمُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ  
مَرَارًا وَفِيهِمْ مَنْ يُصِيبُ وَلَا يَدْرِي  
وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرٍ :

لِلْحُسَيْنِ بْنِ  
مَطِيرٍ

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى  
وَلَوْ تَرَكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَضَرَّعْتُ  
عَلَى كَيْدِي نَارًا بَعْلِيًّا خَمُودُهَا  
وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي  
فَقَدْ جَعَلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا  
بِمَرْتَجَةِ الْأُرْدَافِ هَيْفَ خُصُورِهَا  
وَصَفْرَ تِرَاقِيهَا ، وَخُمْرَ أَكْفِهَا  
مُخَصَّرَةَ الْأَوْسَاطِ ، زَانَتْ عَقُودَهَا  
يَمْتَنِينَ حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا  
وَفِيهِمْ مِفْلَاقُ الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا  
مَهَاهُ بَثْرَانٍ طَوِيلٌ عَمُودُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ :

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ بَارِحًا  
أُحِبُّكَ حَتَّى يُغْمِضَ الْعَيْنَ مُغْمِضٌ

(١) هذه الأبيات ساقطة من أكثر الأصول ، وهو الوجه (م)

(٢) بثران : اسم مكان يعنيه ، ووقع في نسخة « بثران طويل عمودها » (م) .



غَبَّكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسْمُرُنِي      وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنْتَى لَكَ مُبْغِضٌ<sup>(١)</sup>  
فَوَاكَبِدَا مِنْ لَوَاعَةِ الْبَيْنِ كَلَّمَا      ذَكَرْتُ وَمِنْ رَفْضِ الْهَوَى حِينَ يَرْفُضُ  
وَمِنْ عِبْرَةٍ تُذْكَرَى الدَّمُوعُ وَزَفْرَةٌ      تَقْضِقُضُّ أَطْرَافَ الْحَشَاءِ ثُمَّ تَنْهَضُ<sup>(٢)</sup>  
فِيَالِيَتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي      وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُقْرِضُ  
إِذَا أَنَا رُضْتُ الْقَلْبُ فِي حُبِّ غَيْرِهَا      بَدَا حُبُّهَا مِنْ دُونِهِ يَتَعَرِّضُ  
وَكَانَ الْحَسِينُ قَوَى أَسْرِيَ الْكَلَامِ ،      جَزَلَ الْأَلْفَاظَ ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ ، وَهُوَ  
الْقَائِلُ فِي الْمَهْدَى :

لَهُ يَوْمَ بُوْسٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوْسٌ      وَيَوْمٌ نَعِيمٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمُ  
فَيُمِطِرُ. يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى      وَيَقْطُرُ يَوْمَ الْبُوْسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمُ  
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبُوْسِ خَلَّى عِقَابَهُ      عَلَى النَّاسِ لَمْ يَصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرَمُ  
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ خَلَّى نَوَالَهُ      عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُقَدِّمُ  
وَأَنْشَدَ أَبُو هَفَّانَ لَهُ :

أَيْنَ أَهْلُ الْعِتَابِ بِالْذَّهْنَاءِ      أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ  
جَاوَرُونَا وَالْأَرْضُ مَلْبَسَةٌ نَوَى      رَ الْأَفَاحِي تَجَادُّ بِالْأَنْوَاءِ<sup>(٣)</sup>  
كُلُّ يَوْمٍ بِأَقْوَانٍ جَدِيدٍ      تَضَحَّكَ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى دَعْبِلُ ، وَنَقَلَهُ إِلَى مَعْنَى آخَرَ ، فَقَالَ :

أَيْنَ الشَّبَابُ؟ وَأَيَّةَ سَلَكَا؟      أَمْ أَيْنَ يُطَلَّبُ؟ ضَلَّ ، بَلْ هَلَكَا  
لَا تَعْجِبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ      ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ قَبْلَكَ

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دَمْنَةٍ      وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ

(١) فِي نَسْخَةٍ « غَيْرَ أَنْ لَا يَسْمُرُنِي » وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةٍ « وَمِنْ عِنْدِهِ تَذْكَرُ الدَّمُوعُ » تَحْرِيفُ (م)

(٣) تَجَادُّ : يَسْقِيهَا الْجُودُ - بَفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْوَاوِ - وَهُوَ الْمَطَرُ (م)

## [ معالي الأخلاق ]

عما أنشد الزبير  
بن بكار

وأنشد الزبير بن بكار :

أحبّ معالي الأخلاق جهدي      وأكره أن أعيب وأن أعايا  
وأصفيح عن سباب الناس حِلماً      وشرُّ الناس من حبّ السبابا  
وأترك قائل العوراء غمداً      لا هلكه وما أعيا الجوابا  
ومن هاب الرجال تهيبوه      ومن حقر الرجال فلن يُهابا

[ رياضة النفس <sup>(١)</sup> على الفراق ]

وعلى ذكر قوله :

\* إذا أنا رُضْتُ <sup>(١)</sup> القلب في حُبِّ غيرها \*

أنشد الأصمعي لغلّام من بني فزارة :

وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أنما      بي الهَجْرُ ، لا والله ما بي لها هَجْرُ  
[ولكنْ أروضُ النفسَ أنظر هل لها      إذا فارقت يوماً أحبَّتها صَبْرُ] <sup>(١)</sup>

قال إسحاق الموصلي : قال لي الرشيد : ما أحسنُ ما قيل في رياضة النفس

على الفراق ؟ قلت : قول أعرابي :

وإني لأستخني عيونا ، وأتقي      كثيراً ، وأستبقي المودّة بالهَجْرِ  
فأنذرُ بالهجران نفسي أروضها      لأعلم عند الهَجْر هل لي من صَبْرٍ <sup>(١)</sup>  
[ فقال الرشيد : هذا مليح ، ولكنني أستمح قول أعرابي آخر :

خشيت عليها العين من طول وضيائها      فهاجرتها يومين خوفاً من الهَجْرِ  
وما كان هِجْراني لها عن بلالةٍ      ولكنني جرّبتُ نفسي بالصبرِ] <sup>(٢)</sup>

(١) راض نفسه يروضها : ذللها وعودها حتى تتخلق بما يريد ، (م)

(٢) اللالة : السأم والكراهية (م)

قال الصولي : قال لي المبرد : عمك إبراهيم بن العباس أحزمُ رأياً من خاله لابن الأحنف  
العباس بن الأحنف في قوله :

لإبراهيم  
الصولي

كان خروحي من عندي قدرأ  
من قبل أن أعرض الفراق على  
وفال عمك إبراهيم :  
وناجيتُ نفسي بالفراق أروضها  
فقلت لها : فالهجرُ والبينُ واحدٌ  
فقلت له : إنه نقل كلام خاله :  
عرضت على قلبي الفراق فقال لي  
إذا صد من أهوى رجوتُ وصاله  
وقال العباس بن الأحنف :

لابن الأحنف

أروض على الهجر أن نفسي لعلها  
وأعلم أن النفس تكذب وعدها  
وما عرضت لي نظرة مُدعرتها  
[ وقال المتنبي من المعنى :

للمتنبي

حببتك قلبي قبل حيي من نأى  
وأعلم أن البين يشكيك بعدها  
قال الخاتمي : والذي أراه وأذهب إليه أن أحسن من هذا المعنى قول أبي  
صحر الهذلي :

لأبي صحر  
الهذلي

ويعني من بعض إنكار ظلمها  
مخافة أني قد علمت لئن بدا  
إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذر  
لن الهجر منها ما على هجرها صبر

(١) في نسخة « لا أعيرك من صبري » وليس بذلك (م)

(٢) البين - بالفتح - الفراق ، وأمنى : يقدر الله ذلك على (م)

وَأَنَّى لَا أَدْرِي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى هَجْرِهَا مَا يَيْلُغُنَّ بِي الْهَجْرُ  
فِي أَحْبَابِهَا زِدْنِي جَوْيَ كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْأَحْزَانِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

### شذور من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق

ابن المعتز — العقلُ غريزةٌ تزينها التجارب . وله : العاقلُ من عقل لسانه <sup>(١)</sup> ،  
والجاهلُ من جهل قدره .

غيره : إذا تمَّ العقلُ نقص الكلام . حُسْنُ الصورة الجَمالُ الظاهر ، وحسن  
الخلق الجَمالُ الباطن . ما أبينَ وجوه الخيرِ والشرِّ في مِرْآةِ العقلِ إذا لم يُصْدِّقْهَا  
الهموى . العاقلُ لا يدَّعُهُ ما ستر الله من عيوبه أن يفرَّحَ بما أظهر من محاسنه .  
بأيدي العقولِ تُمْسِكُ أَعْنَةُ النفوسِ عن الهموى . آخر بمن كان عاقلاً أن يكونَ  
عما لا يَعتَنيه غافلاً . التواضعُ من مصاديد الشرف . من لم يَتَضَعُ عند نفسه  
لم يرتفع عند غيره .

يحيى بن معاذ — التكبرُ على التكبر تواضع . الحلمُ حجابُ الآفات .  
أحيوا الحياةَ بمجاورة من يُستَحْيَا منه . مَنْ كساه الحياة ثوبه ، ستر عن الناس  
عَيْبَهُ . الصبرُ تجرُّعُ القُصصِ ، وانتظارُ الفُرصِ . قلوبُ العقلاء حصون  
الأسرار . انفرِدْ بسرِّك ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون . الأناة <sup>(٢)</sup>  
حُسْنُ السلامة ، والعجلةُ مفتاحُ الندامة . من حَسَنَ خُلُقَهُ وَجَبَ مَعَهُ . إنما يستحق  
اسم الإنسانية مَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ . يكاد سِيءُ الخلقِ يُعَدُّ من البهائم والسباع .  
أرسطاطاليس — المروءة استحياؤه المرء نفسه . المعروف حُضْنُ النعم من  
صروف الزمن . للحازم كنزٌ في الآخرة من عمله ، وفي الدنيا من معرفته .  
لا تستحي من القليل فإنَّ الحرمان أقلُّ منه .

(١) عقل لسانه : حبسه ومنعه (م)

(٢) الأناة : التأني والتروي في الأمر قبل الإقدام عليه (م)

أبو بكر الخوارزمي - الطرف<sup>(١)</sup> يجرى وبه هُزَّال، [والسيف يمضي وبه  
انفلال]، والحُرُّ يُعْطَى وبه إقلال<sup>(٢)</sup>. بَذَلُ الجاهِ أحدُ المَالين. شِفاءُ اللسانِ  
أفضلُ زكاةِ الإنسانِ. بَذَلُ الجاهِ رِفْدٌ للمستعين<sup>(٣)</sup>. الشفيعُ جناحُ الطالبِ.  
التقوى هي العُدَّةُ الباقية، والجنةُ الواقعة. ظاهرُ التقوى شرفُ الدنيا، وباطنها  
شرفُ الآخرة. من عَفَّتْ أطرافه، حسنت أوصافه. قال أبو الطيب المتنبي:

ولا عِفَّةٌ في سيفِهِ وسِنَانِهِ ولكنْها في الكفِّ والفِرْجِ والْقَمِّ  
لَقِمْنا - الصَّمْتُ حُكْمٌ وقَلِيلُ فاعِلُهُ. أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ صَدَرَتْ عَنْ أَرْبَعَةِ  
مُلُوكٍ كَأَنَّمَا رُمِيَتْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ؛ قَالَ كَسْرَى: لَمْ أَندَمْ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ،  
وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مَراراً. قَيْصَرٌ: أَنَا عَلَى رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ  
مَا قُلْتُ. مَلِكُ الصِّينِ: إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي، وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا  
مَلَكَتْهَا. مَلِكُ الْهِنْدِ: عَجِبْتُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ إِنْ رُبِعَتْ ضَرَّتْهُ، وَإِنْ  
لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَنْفَعْهُ. مَا الدَّخَانُ عَلَى النَّارِ، وَلَا الْعَجَاجُ<sup>(٤)</sup> عَلَى الرِّيحِ، بَادِلٌ مِنْ  
ظَاهِرِ الرَّجُلِ عَلَى بَاطِنِهِ، وَأَنْشُدْ:

قَدْ يُسْتَدْرَكُ بِظَاهِرٍ عَنْ بَاطِنٍ حَيْثُ الدَّخَانُ فَتَمَّ مَوْقِدُ نَارٍ  
مَنْ أَصْلَحَ مَالُهُ فَقَدْ صَانَ الْأَكْرَمِينَ الْمَالَ وَالْعِرْضَ. مَنْ لَمْ يَحْمَدِ فِي التَّقْدِيرِ  
وَلَمْ يَذُبْ فِي التَّنْذِيرِ فَهُوَ سَدِيدُ التَّنْذِيرِ<sup>(٥)</sup>. عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ بَيْنَ الطَّارِفَيْنِ، لَا مَنَعَ  
وَلَا إِسْرَافٍ، وَلَا بَخْلٌ وَلَا إِتْرَافٍ. لَا تَكُنْ رَطْبًا فَتُعْصَرَ، وَلَا يَابِسًا فَتَكْسَرَ،  
وَلَا حُلُومًا فَتُسْتَرْطَ، وَلَا مَرًّا فَتُلْفَظَ.

الْمَأْمُونُ بْنُ الرَّشِيدِ - النَّهْأُ أَكْثَرُ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ وَهَذَرٌ، وَالتَّقْصِيرُ  
عِيٌّ وَحَصَرٌ.

(١) الطرف - بكسر الطاء - الفرس (م). (٢) الإقلال: قلة المال (م).

(٣) الرِّفْد - بالكسر - العطاء (م). (٤) العجاج: ما ثار من الغبار (م).

(٥) في نسخة «من لم يذم التقدير، ولم يحمد التنذير، فهو شديد التنذير» (م).

إكرامُ الأضياف ، من عادة الأشراف . وفي الخبر : لا تتكلفوا للضيف  
فنبعضوه ؛ فمن أبغض الضيف أبغضه الله . ينبغي لصاحب الكريمة أن يصبر  
عليه إذا جمعتهم نبوة الزمان ، فليس ينتفع بالجوهرية الكريمة من لم ينتظر نفاقها .

### مواعظ عقلها بمض أهل العصر تتعلق بهذا الفصل

أغض على القذى ، وإلا لم ترَضَ أبداً<sup>(١)</sup> . أجل الطلب فسأتيك [ما قدُر  
لك ، صنْ عرضك] ، وإلاً أخلفت وجهك . جاور الناس بالكفة عن  
مساويهم . انسَ رفدك ، ولا تنسَ وعدك ، كذب أسوء الظنون بأحسنها<sup>(٢)</sup> .  
أغن من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك من لم تكفه . لا تتكلف ما كُفيت  
فيضيع ما أوليت .

ابن المعتز — لا تسرعْ إلى أرفع موضع في المجلس ، فالموضع الذي تُرفعُ إليه  
خيرٌ من الموضع الذي تُحطُّ منه . لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكرم  
عليه منك . ينبغي للعاقل أن يدَارى زمانه مداراة الساج للماء الجاري .

العتابي — المداراةُ سياسة رقيقة تجلبُ للنفع ، وتُدفعُ الضررَ ، ولا  
يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، ولا يدعُ أحدٌ منها حظه إلا غمرته صروف  
المكاره .

### [من رسائل العتابي وأدبه]

وكتب العتابي إلى بعض إخوانه :

لواءتصم شوقي إليك بمثل سلوكك عني لم أبذل وجهَ الرغبة إليك ،

(١) هذا من قول بشار :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظممت ، وأى الناس تصفو مشاربه (م)

(٢) في نسخة « كذب سوء الظن بأحسنه » (م) .

ولم أنجسهم مرارة تماديك ، ولكن استخففتنا صبابتنا ، فاحتملنا قسوتك ، لعظيم  
 قدر مودتك ، وأنت أحق من اقتص<sup>(١)</sup> لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من إبطائه .  
 وله : كتبتُ إليك ونفسي رهينة بشكرك<sup>(٢)</sup> ، وسأني علق بالثناء عليك ،  
 والغالب على ضميري لائمة لنفسي ، واستقلال لجهدي في مكافأتك ، وأنت  
 - أصلحك الله ! - في عز الغنى غنى ، وأنا تحت ذل الفاقة إلى عطفك ، وليس  
 من أخلاقك أن تؤلى جانب النبوة منك من هو عان في الضراعة إليك .  
 ودخل العتابي على الرشيد فقال : تكلم يا عتابي ؛ فقال : الإبناس<sup>(٣)</sup> قبل  
 الإبناس ، لا يُحمد المرء بأول صوابه ، ولا يُذم بأول خطئه ؛ لأنه بين كلام  
 زوره ، أو عي حصره .

ومر العتابي بأبي نواس وهو ينشد الناس :  
 ذكر الكرخ نازح الأوطان فبكي صبرة ولات أوان  
 فلما رآه قام إليه ، وسأله الجلوس ، فأنى وقال : أين أنا منك وأنت القاتل ،  
 وقد أنصفك الزمان :

قد علقنا من الخصب حبلاً أمنتنا طوارق الحدائـ  
 وأنا القاتل وقد جار على ، وأساء إلى :

لفظتى البلاد ، وانطوت الأكفاء دوني ، وملئني جيرانى  
 والتمت حلقة على من الدهر فاجت بكنك كل وجران  
 نازعتني أحداثها منية النفس وهدت خطوبها أركاني  
 فاشع للهموم معترف القلب كئيب لنائب الزمان

(١) اقتص : أصله القصاص ، وهو قتل القاتل ، والمراد هنا الانتقام عامة (م) .

(٢) في نسخة « دعيت إليك ونفسي راغبة لشوقك بشكرك » (م) .

(٣) الإبناس : بعث الأنس إلى نفس الضيف واقتلاع الوحشة ، وأراد بالإبناس

تقديم الطعام والقرى ، وضرب ذلك مثلاً (م) .

## [ شعر الأعراب ]

قال عبد الرحمن بن أخى الأصمعى : سمعت عمى يحدث قال : أَرِقتُ أَيْلَةً  
 مِنَ اللَّيَالِي بِالْبَادِيَةِ ، وَكُنْتُ نَازِلًا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الصَّيْدَاءِ<sup>(١)</sup> ، وَكَانَ وَاسِعَ  
 الرَّحْلِ ، كَرِيمِ الْحُلِّ ، فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَأَتَيْتُ  
 أَبَا مَثْوَايَ<sup>(٢)</sup> ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ هَلَيْتُ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْغُرْبَةِ ، وَاشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي ،  
 وَلَمْ أَفِدْ فِي قَدَمَتِي هَذِهِ كَبِيرَ عِلْمٍ . وَإِنَّمَا كُنْتُ أَغْتَفِرُ وَحْشَةَ الْغُرْبَةِ وَجَفَاءَ الْبَادِيَةِ  
 لِلْفَائِدَةِ ؛ فَأَظْهَرَ الْجَفَاةَ حَتَّى أَبْرَزَ غَدَاءَ لَهَا فَتَغَدَّيْتُ ، وَأَمَرَ بِنَاقَةِ مَهْرِيَّةٍ<sup>(٤)</sup> كَأَنَّهَا سَبِيكَةٌ  
 لِبَجَلِينَ [فَارْتَحَلَهَا] وَاکْتَفَلَهَا ، ثُمَّ رَكِبَ وَأُرْدَفَنِي ، وَأَقْبَلَهَا مُطْلِعَ الشَّمْسِ ؛ فَامْسِرْنَا  
 كَبِيرَ مَسِيرٍ حَتَّى لَقَيْنَا شَيْخًا عَلَى حِمَارٍ ، لَهُ جُمَّةٌ قَدْ صَبَغَهَا بِالْوَرَسِ<sup>(٥)</sup> ، كَأَنَّهَا  
 قَبِيضَةٌ ، وَهُوَ يَتَرَنَّمُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ صَاحِبِي ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ نَسَبِهِ فَأَعْتَرَى أَسَدِيًّا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةٍ .  
 قَالَ : أَتُرَوِّى أَمْ تَقُولُ ؟ قَالَ : كَلًّا . قَالَ : أَيْنَ تَوْتُمُ ؟ فَأَشَارَ إِلَى مَوْضِعٍ قَرِيبٍ  
 مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ . فَأَنَاخَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ لِي : خُذْ يَدَ عَمِكَ فَأَنْزِلْهُ عَنْ  
 حِمَارِهِ ، فَفَعَلْتُ ، وَأَلْقَى لَهُ كِسَاءً قَدْ اكْتَفَلَ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدْنَا يَرْحِمُكَ اللَّهُ  
 وَتَصَدَّقْ عَلَى هَذَا الْغَرِيبِ بِأَيَّاتِ يَبْنِيَنَّ عَنْكَ ، وَيَذْكُرْكَ بِهِنَ ، فَأَنْشَدَنِي لَهُ :

لَقَدْ طَالَ يَا سَوْدَاءُ مِنْكَ الْمَوَاعِدُ      وَدُونَ الْجَدَا الْمَأْمُولِ مِنْكَ الْفَرَاقُ  
 تَمْنِينًا بِالْوَصْلِ وَغَدَاً ، وَغَيْمِكُمْ      ضَبَابٌ ، فَلَا صَحْوٌ ، وَلَا الْغَيْمُ جَانِدُ  
 إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ      بِفَضْلِ الْغِنَى الْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ  
 وَقُلْ غِنَاءَ عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ      إِذَا صَارَ مِيرَاثًا وَوَارَاكَ لِاحِدُ  
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكَ بِجَنِيكَ بَقِضَ مَا      يَرِيبُ مِنَ الْأَدْنَى رِمَاكَ الْأَبَاعِدُ

(١) فى نسخة « من بنى الصيد » وهذه عن الأمالى ( ١٦٩ / ١ ) ( م )

(٢) للشوى : الإقامة ، وأبو مثنوى : أى مضيئى ( م )

(٣) هلمت : جزعت ( م ) (٤) مهريّة : منسوبة إلى مهرة ( م )

(٥) الورس : نبت أصفر شبه الزعفران ، وفى نسخة « نغمها بالورس » ( م ) .



إذا الحلم لم يَغْلِبْ لك الجهل لم تزل  
إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل  
إذا أنت لم تترك طعاماً تحبّه  
تجملت عاراً لا يزال يشبهه  
وأشدني لنفسه :

تعزّ فإن الصبر بالحرّ أجمل  
فلو كان يُغنى أن يرى المرء جازعاً  
لكان التعزّي عند كل مصيبةٍ  
فكيف وكلّ ليس يعدّو حمامه  
فإن تكن الأيامُ فينا تبدّلتْ  
فما لتيّنت منا قنّاة صليمة  
ولكن رحلناها نفوساً كريمة  
وقيناً بحدّ العزم منا نفوسنا  
وليس على ريب الزمان مُعوّل  
لنازلةٍ أو كان يُغني التذلّل  
ونازلةٍ بالحرّ أولى وأجمل  
وما لأمريءٍ مما قضى الله مَزْحَل  
بنعمي وبؤسي والحوادثُ تفعلُ  
ولا دلّلتنا للذي ليس يَحْمِلُ  
تُحْمَلُ مالا يستطيع فتحْمِلُ  
فصحت لنا الأعراض والناس هزّل

قال : فقامت إليه ، وقد نسيت أهلي ، وهان على طول الغربة ، وضنكُ  
العيش ، سروراً بما سمعت ، ثم قال : يا بني ؛ من لم يكن الأدب والعلم أحبّ إليه  
من الأهل والولد لم ينجب .

### [ خصومة قرشية ]

خاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فأسرع  
إليه القرشي فقال : على رسلك ، فإنك لسريع الإيقاد<sup>(٢)</sup> وشيك الصريمة ، وإني  
والله ما أنا مكافئك دون أن تبلغ غاية التعدي ، فأبلغ غاية الإعذار .

(١) استتلى : استتبع ، وجعلها تالية ، والجنينة : الفرس ، مثلاً ، تقودها من غير أن

تركها (م) (٢) في نسخة « سريع الانتقال » (م) .

## [ ادعاء ]

قال عبد الله بن عبد العزيز ، وكان من أفاضل أهل زمانه : قال لى موسى ابن عيسى : أنهى<sup>(١)</sup> إلى أمير المؤمنين ، يعنى الرشيد ، أنك تشتمه ، وتدعو عليه ، فبأى شيء استجزت<sup>(٢)</sup> ذلك ؟ قال : أما شتمه فهو والله إذا أكرم على من نفسى ، وأما الدعاء عليه فوالله ما قلت « اللهم إنه أصبح عبثاً ثقيلاً على أكتافنا ، لا تطيقه أبداننا ، وقدى في عيوننا ، لا تنطبق عليه أجفاننا ، وشجى في حلوفا ، لا تسيغه أفواهنا ؛ فكفنا مؤنته ، وفرق بيننا وبينه » ! ولسكنى قلت : « اللهم إن كان تسعى الرشيد ليرشد فأرشدّه ، أو أتى غير ذلك<sup>(٣)</sup> فراجع به ، اللهم إن له فى الإسلام بالعباس حقاً على كل مسلم ، وله بنبيك قرابة ورحماً ، فقرّبه من كل خير ، وباعدّه من كل شر ، وأسعدنا به ، وأصلحنا لنفسه ولنا » . فقال له : يغفر الله لك يا عبد العزيز ، كذلك بلغنا .

## [ عزل وال ]

ولما حجّ الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة وعديله يحيى بن خالد ؛ فانهى إليه العمري فقال : يا أمير المؤمنين ، قف حتى أكلمك ! فقال : أرسلوا زمام الناقة ، فأرسلوه ، فوقفت فكأنما أوتدت ، فقال : [ أقول ؟ قال : ] قل ، فقال : اعزل عنا إسماعيل بن القاسم . [ قال : ولم ؟ قال : ] لأنه يقبل الرشوة ، ويُطيل النشوة ، ويضرب بالعشوة ، قال : قد عزلناه [ عنك ، ] ثم التفت إلى يحيى فقال : أعندك مثل هذه البديهة ؟ فقال : إنه ليجب أن يحسن إليه ، قال : إذا عزلنا عنه من يريد عزله فقد كافأناه .

(١) أنهى إليه : رفع إليه وبلغه ، وفى نسخة « أيتهى إلى أمير المؤمنين » وليس

بذلك (م) (٢) فى نسخة « فبأى شيء استحق ذلك » (م)

(٣) فى نسخة « وإن كان غير ذلك » (م)

## [ حُرْمَةُ الكَعْبَةِ ]

ولما وَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ بنُ سُرُوانَ الْحِجَاجَ بنَ يَوْسُفَ إلى عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزَّيْبِرِ وَأَوْصَاهُ بما أَرَادَ أَنْ يُوصِيَهُ ، قَالَ الْأَسْوَدُ بنُ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْصِ هَذَا الْغَلَامَ [ النَّفْقَى ] بِالْكَعْبَةِ إِلَّا يَهْدِمَ أَحْجَارَهَا ، وَلَا يَهْتِكَ أَسْتَارَهَا ، وَلَا يُنْفِرَ أَطْيَارَهَا ، وَلِيَأْخُذَ عَلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ شِعَابَهَا ، وَعِقَابَهَا ، وَأَنْقَابَهَا <sup>(١)</sup> ، حَتَّى يَمُوتَ فِيهَا جَوْعًا ، وَيَخْرُجَ مَخْلُوعًا .

## [ كِتَابُ يَنْصُرَ مُحَازِبًا ]

وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ طَاهِرٍ إِلَى نَصْرَ بنِ شَيْبٍ وَقَدْ نَزَلَ بِهِ لِيَحَارِبَهُ فِي جُنْدِهِ ، فَوَجَدَهُ <sup>(٢)</sup> مُتَحَصِّنًا مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : اعْتَصِمْ بِكَ بِالْقِلَالِ قَيْدَ عِزِّكَ عَنِ الْقِتَالِ ، وَالتَّجَاوُكِ إِلَى الْحِصُونِ <sup>(٣)</sup> ، لَيْسَ يَنْجِيكَ مِنَ الْمَنُونِ ، وَلَسْتَ بِمُفْلِتٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِيمَا فَارَسَ مُطَاعِينَ ، أَوْ رَاجِلَ مُسْتَأْمِنٍ . فَلَمَّا قَرَأَهُ حَصَرَهُ الرَّعْبُ عَنِ الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ خَرَجَ مُسْتَأْمِنًا .

## [ مِنْ حَكْمِ الْفَرَسِ ]

قَالَ نَزْرَجَمُ بنُ الْبَخْتِكَانِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : أَنْعَمَ تُشْكِرُ ، وَأَرْهَبُ تُحْذَرُ ، وَلَا تَمُوتُ زَلٌّ فَتُحَقَّرَ ، فَجَلَمُنَ الْمَلِكُ نَقْشَ خَاتَمِهِ بَدَلًا مِنْ اسْمِهِ وَامَمَ أَبِيهِ .  
وَلَمَّا قَتَلَ أَنْوَشُ شُرُوانَ بَزْرَجَمَ وَجَدَ فِي مَنْطَقَتِهِ رَقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ : إِذَا كَانَتْ الْحُظُوظُ بِالْجُدُودِ فَمَا الْحِرْصُ ؟ وَإِذَا كَانَتِ الْأُمُورُ لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ فَمَا السَّرُورُ ؟ وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا غَرَارَةً فَمَا الطَّمَأِينَةُ ؟

[ قَالَ سِقْرَاطُ ] : مِنْ كَثَرِ احْتِمَالِهِ وَظَهَرَ حِلْمُهُ قَلَّ ظَلَمُهُ وَكَثُرَ أَعْوَانُهُ ، وَمِنْ قَلَّ هُمُّهُ عَلَى مَا فَاتَهُ اسْتِرَاحَتِ نَفْسِهِ وَصَفَا ذِهْنُهُ وَطَالَ عَمْرُهُ . وَقَالَ : مَنْ تَعَاهَدَ  
(١) الْعَقَابُ : جَمْعُ عَقْبَةٍ ، وَهِيَ مَا صَعِبَ مَرْتَقَاهُ مِنَ الْجِبَالِ ، وَالْأَنْقَابُ : جَمْعُ نَقَبٍ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةِ «لِيَحَارِبَهُ فِي جَدَّةٍ مُتَحَصِّنًا مِنْهُ» (م)

(٣) الْقِلَالُ : قِمَمُ الْجِبَالِ وَاحِدُهَا قَلَّةٌ - بِضَمِّ الْقَافِ ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مِفْتُوحَةً (م) .

نفسه بالحساسة أمن عليها المداهنة . وقال : الأمانى حبال الجهل ، والعشرة الحسنة وقاية من الأسواء .

وشتمه بعض الملوك وكان على فرس وعليه حُلل وبزة فقال له سقراط : إنما تفخر علىّ بغير جنسك ، ولكن رد كل جنس إلى جنسه وتعال الآن فلنتكلم .  
وقال سقراط : من أعطى الحكمة فلا يجزع لفقد الذهب والفضة ؛ لأن من أعطى السلامة والدعة لا يجزع لفقد الألم والتعب ؛ لأن ثمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضة الألم والتعب ؛ وقال : القنية ينبوع الأحرزان ؛ فأقّلوا القنية تقلّ همومكم . وقال : القنية مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس بحر

وقال أبو الطيب :

أبدأً تسترّد ماتهبُ الدنيا فياليتَ جودها كان بخلاً  
وكفتَ كؤنَ فرجةٍ تورثُ الهَمَّ وخِلَ يُغادرُ الوجدَ خلاً  
[ حكم للهند ]

وفى كتاب الهند : العاقل حقيقٌ أن تسخو نفسه عن الدنيا ، علماً بأنه لا ينالُ أحدٌ منها شيئاً إلا قلّ إمتاعه به وكثُرَ عناؤه فيه ، ووبأله عليه ، واشتدّت مؤنته عند فراقه ، وعلى العاقل أن يدوم ذكره لما بعد هذه الدار ، ويتنزّه عما تسيره إليه نفسه من هذه العاجلة ، ويتجنّب عن مشاركة الكفرة والجهال في حبّ هذه الفانية التي لا يألّفها ولا ينخدع بها إلا المغترون .

وفيه : لا يجدنّ العاقلُ في صحبة الأحاب والأخلاء ، ولا يحرصنّ على ذلك كل الحرص . فإن صُحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة الأذى ، والمؤنات ، والأحزان ، ثم لا يفي<sup>(١)</sup> ذلك بعاقبة الفراق .

وفيه : ليس من شهوات الدنيا ولذاتها شيء إلا وهو مولدٌ أذى وحزناً ،

(١) لا يفي به : لا يعادله ولا يكون مكافئاً له (م) .

كلما المالح الذي كلما ازداد له صاحبه شربا ازداد عطشا ، وكالقطعة من العسل في أسفلها سم للذائق ؛ فيه حلاوة عاجلة ، وله في أسفلها سم ذعاف ، وكأحلام النائم التي تسره في منامه ، فإذا استيقظ انقطع السرور ، وكالبرق الذي يضيء قليلا ، ويذهب وشيكا<sup>(١)</sup> ، ويبقى صاحبه في الظلام مقيما ، وكدودة الإبريسم ما ازدادت عليه لقا إلا ازدادت من الخروج بعدا .

وفيه : صاحب الدين قد فكر ؛ فعلته السكينة ، وسكن فتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضى فلم يهتم ، وخلع الدنيا فتجأ من الشرور ، ورفض الشهوات فصار حرا ، وطرح الحسد فظهرت له المحبة ، وسخت نفسه عن كل فأن ، فاستكمل العقل ، وأبصر العاقبة ، فأمن الندامة ، ولم يؤذ الناس فيخافهم ، ولم يؤذنب إليهم فيألمهم العفو .

### [ وصية من عتبة بن أبي سفيان ]

وقال سعد القصر مولى عتبة بن أبي سفيان : ولأني عتبة أمواله بالحجاز ، فلما ودعته قال : يا سعد ، تعاهد صغير مالي فيكبر ، ولا تجف كبيره<sup>(٢)</sup> فيصغر ؛ فإنه ليس يمنعني كثير ما عندي ، من إصلاح قليل ما في يدي ، ولا يمنعني قليل ما عندي من كثير ما ينوبني<sup>(٣)</sup> . قال : فقدمت الحجاز ، لحدثت به رجلا من قريش ، فقرأوا به الكتب إلى الوكلاء .

### [ يزيد بن معاوية ]

وقال يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد : إن أباك كفى أخاه عظيما ، وقد استكفيتك صغيرا ، فلا تتسكلن مني على عذر ، فقد اتكلت منك على كفاية ، ولأن أقول لك : إياك ، أحب إلي من أن أقول : إياي ؛ فإن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك ، فلا ترح نفسك وأنت في أدنى حظك ، حتى تبلغ

(١) وشيكا : سريعا قريبا (م) . (٢) في نسخة « ولا تغفل كبيره » (م) .

(٣) ينوبني : يعتري وينزل بي (م) .

أَقْصَاهُ ؛ وَاذْكُرْ فِي يَوْمِكَ أَخْبَارَ غَدِكَ ، وَاسْتَزِدْنِي بِإِحْسَانِكَ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ ،  
وَإِسَاءَتِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ ، أُرِيدُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[ فضل العمامة ]

ذَكَرْتُ الْعِمَامَةَ عِنْدَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ فَقَالَ : جُئْتَهُ فِي الْحَرْبِ ، وَدِثَارٌ فِي  
الْبَرْدِ ، وَكِنْفَةٌ فِي الْحَرِّ ، وَوَقَّارٌ فِي النَّدَى ، وَشَرَفٌ فِي الْأَحْدُوْثَةِ ، وَزِيَادَةٌ فِي  
الْقَامَةِ ، وَهِيَ [ بَعْدَ ] عَادَةٍ مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ .

[ مِنْ رِسَائِلِ ابْنِ الْعَمِيدِ ]

مِنْ كِتَابِ لَهُ  
إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ  
الطَّبْرِيِّ

وَكُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيِّ :  
وَقَفْتُ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنْ بَرٍّ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ لَكَ ، وَتَوَقَّرُهُ بِالْفَضْلِ عَلَيْكَ ،  
وَإِظْهَارِ جَمِيلِ رَأْيِهِ فِيكَ ، وَمَا أَنْزَلَهُ مِنْ عَارِفَةٍ <sup>(١)</sup> لَدَيْكَ ؛ وَلَيْسَ الْعَجَبُ أَنْ يَتَنَاهَى  
مِثْلُهُ فِي السَّكْرَمِ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ أَنْ يَقْصُرَ شَيْءٌ مِنْ مَسَاعِيِهِ عَنْ  
ثَنِيلِ الْمَجْدِ كُلِّهِ ، وَحِيَازَةِ الْفَضْلِ بِأَجْمَعِهِ ؛ وَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ مَا يَغْرُسُهُ مِنْ  
صَنِيعَةٍ عِنْدَكَ أَجْدَرُ غَرْسٍ بِالزَّكَاةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَضْمَنَهُ لِلرَّيْعِ وَالنَّمَاءِ ؛ فَارْعَ ذَلِكَ ، وَارْكَبْ  
فِي الْخِدْمَةِ طَرِيقَةَ تَبْعْدِكَ مِنَ الْمَلَالِ ، وَتَوَسَّطِكَ فِي الْحُضُورِ بَيْنَ الْإِكْثَارِ وَالْإِقْلَالِ ،  
وَلَا تُسْتَرْسِلْ إِلَى حَسَنِ الْقَبُولِ كُلِّ اسْتِرْسَالٍ ؛ فَلَأَنْ تُدْعَى مِنْ بَعِيدٍ خَيْرٌ مِنْ  
أَنْ تُقْصَى <sup>(٣)</sup> مِنْ قَرِيبٍ ، وَلَيْسَ كُنْ كَلَامُكَ جَوَابًا تَتَحَرَّزُ فِيهِ مِنَ الْخَطَلِ وَمِنْ  
الْإِسْهَابِ ، وَلَا يَعْجِبُنِيكَ تَأْتِي كَلِمَةً مَحْمُودَةٌ فَيُلْجِ بِكَ الْإِطْنَابُ تَوَقُّعًا لِمِثْلِهَا ؛ فَرُبَّمَا  
هَدَمْتَ مَا بَنَيْتَهُ الْأَوَّلَى ، وَبَضَاعَتِكَ فِي الشَّرَفِ مُزْجَاةٌ ، وَبِالْعَقْلِ يَزِمُ اللِّسَانُ ، وَيَرَامُ  
السَّدَادُ ، فَلَا يَسْتَفِزُّ نَكَ طَرَبُ الْكَلَامِ عَلَى مَا يَفْسِدُ تَمْيِيزُكَ ؛ وَالشَّفَاعَةُ لَا تَعْرِضُ  
لَهَا فَإِنَّهَا مُخْلِقَةٌ لِلْجَاهِ ؛ فَإِنْ اضْطَرَّتْ إِلَيْهَا فَلَا تَهْجُمُ عَلَيْهَا حَتَّى تَعْرِفَ مَوْقِعَهَا .  
وَتَحْصُلَ وَزْنُهَا ، وَتَطَالَعَ مَوْضِعُهَا ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ النَّفْسَ بِالْإِجَابَةِ سَمِيحَةً ، وَإِلَى

(١) الْعَارِفَةُ : الْعَطِيَّةُ ، وَالْمَعْرُوفُ . وَلَيْسَ لَهَا فِعْلٌ (م) .

(٢) الزَّكَاةُ : النَّمَاءُ ، وَمِثْلُهُ الرِّيْعُ (م) (٣) تَقْصَى : تَبْعُدُ (م) .

الإسعاف هشة ، فأظهر ما في نفسك غير محقق ، ولا توهم أن عليك في الرد ما يوحشك ، ولا في المنع ما يغيظك ، وليكن انطلاق وجهك إذا دُفِعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخف كلامك ، ولا يثقل على سامعه منك . أقول ما أقول غير واعظ ولا مرشد ، فقد جعل الله خصالك ، وحسن خلالك ، وفضلك في ذلك كله ؛ لكنني أنبه تنبيه المشارك لك ، وأعلم أن للذكرى موضعا منك لطيفا .

وله أيضاً : سألتني عن شفتي<sup>(١)</sup> وجدي به ، وشغفني حتى له ، وزعت أني لو شئت لذهلت عنه ولو أردت لاعتصمت منه \* زعماً ، لعمري أيبك ، ليس بمزعم \* كيف أسألو عنه ، وأنا أراه ، وأنساء وهو لي تجاه ؛ هو أغلب عليّ ، وأقرب إليّ ، من أن يُرُخى لي عنائي ، أو يُخِلّيني واختياري ، بعد اختلاطي بملكه ، وانخرطي في سلكه ، وبعد أن ناط حُبّه بقلبي ناط ، وسأطه بدمي سأط<sup>(٢)</sup> . وهو جار مجرّى الرّوح في الأعضاء ، متنسم تنسم رّوح الهواء ؛ إن ذهبتُ عنه رجعت إليه ، وإن هربتُ منه وقفتُ عليه ، وما أحبّ السلو عنه مع هنائه ، وما أوتر الخلو منه مع ملّاته ؛ هذا عليّ أنه إن أقبل عليّ بهتني إقباله ، وإن أغرض عني لم يطرّفني خياله ، يبعد عني مثاله<sup>(٣)</sup> ، ويقرب من غيري نواله ، ويردّ عيني خاسئة ، ويثني يدي خالية ، وقد بسط آفات العيون المقاربة ، وصدق مراعي الظنون الكاذبة ، وصله يُنذرُ بصدّه ، وقربه يؤذِن ببعده ، يُثني عندما ينزع ، ويأسو<sup>(٤)</sup> مثل ما يجرح ، محالته أحوال<sup>(٥)</sup> ، وخلته خلال ، وحكمه سِجَال ، الحُسنُ في عوَارِفِه ، والجَمالُ من مناعه ، والبهاء من أصوله وصِفاته ، والسَّناه من نعوته وسِمانيه ، اسمه مطابق لمعناه ، وفَحواه موافق

(١) في نسخة « شغفني » و « شغفني » والمعنى متقارب (م)

(٢) ساط : خلطه (م) (٣) في نسخة « مقاله » (م)

(٤) يأسو : يداوى (م) (٥) في نسخة « محالته أحوال » .

لَتَجْوَاهُ ، يَتَشَابَهُ حَالَاهُ ، وَيَتَضَارَعُ قُطْرَاهُ ، مِنْ حَيْثُ تَلْقَاهُ يَسْتَنِيرُ ، وَمِنْ حَيْثُ  
تَنْسَاهُ يَسْتَذِيرُ .

[ هرب من الوباء ] .

وقع بالكوفة وبلاء ، فخرج الناس وتفرقوا بالنجف ، فكتب شريح إلى  
ضديق له خرج بخروج الناس : أما بعد ، فإنك بالمكان الذي أنت فيه بعين  
من لا يُعجزه هرب ، ولا يَقْوُته طلب ؛ وإن المكان الذي خلقت لا يعجل  
لأحد حماة<sup>(١)</sup> ، ولا يظلمه أيتامه ، وإنا وإياك لعلى بسايطر واحد ، وإن النجف من  
ذى قدرة لقريب .

وهرب أعرابي ليلاً على حمار حذاراً من الطاعون ، فينما هو سائر إذ سمع  
قائلاً يقول :

لَنْ يُسْبِقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْعَةٍ طَيَّارٍ  
أَوْ يَأْتِيَ الْخُتْفُ عَلَى مَقْدَارٍ قَدْ يَصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي<sup>(٢)</sup>  
فَكَرَّ رَاجِعاً ، وَقَالَ : إِذَا كَانَ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي فَلَا تَحِينَ مَهْرَبَ .

[ قتيل الحب ]

قال الأصمعي : أخبرني يونس بن حبيب قال : أتى قومٌ إلى ابن عباس  
بفتى محمول ضعفاً ، فقالوا : استشف لهذا الغلام ، فنظر إلى فتى حُلُو الوجه ،  
غارى العظام ؛ فقال له : ما بك ؟ فقال :

بنا من جوى الشوق المبرِّحِ لَوَعَةٌ تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنَّمَا أَتَبَقَى حُشَاةٌ مَا نَرَى عَلَى مَا بِهِ عُدُوٌّ هُنَاكَ صَلِيبُ<sup>(٤)</sup>  
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَرَأَيْتُمْ وَجْهًا أَعْتَقَ ، وَلِسَانًا أَذَلَّتْ ، وَعُودًا أَصْلَبَ ، وَهَوًى  
أَغْلَبَ ، مِمَّا رَأَيْتُمْ الْيَوْمَ ؟ هَذَا قَتِيلُ الْحَبِّ ، لَا قُوْدَ وَلَا دِيَّةَ !

(١) الحمام - بكسر الحاء - الموت (٢) الختف : الهلاك (م)

(٣) الجوى : الحزن ، والمبرح : البالغ الشدة في الإجهاد ، واللوعة : الحسرة (م)

(٤) الحشاشة - بضم الحاء - بقية الروح في الجسد ، و «عود» هو فاعل «أتبقى» (م)



وكان ابن عباس رضي الله عنهما خبر قريش وبحرها ، وله يقول رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : اللهم قمه في الدين وعلمه التأويل . وفيه يقول حسان  
ابن ثابت :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل      بملتقطات لا ترى بينها فضلاً  
شفي وكفى مافي النفوس ؛ فلم يدع      الذي لسن في القول جدًّا ولا هزلاً  
سموت إلى العليا بغير مشقة      فملت ذراها لا دنياً ولا غلاً  
[ مسلم بن الوليد صريع الغواني ]

وقال مسلم بن الوليد :

أعأود ما قدمته من رجائها      إذا عاودت بالأس فيها المطامع  
رأتني غني الطرف عنها غرضت      وهل خفت إلا أن تشير الأصابع <sup>(١)</sup>  
وما زينتها النفس لي عن لاجبة      ولكن جرى فيها الهوى وهو طامع  
فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا      وقد فاجأتها العين والستر واقع <sup>(٢)</sup>  
فغطت بأيديها ثمار نحورها      بكأيدى الأسارى أثقلتها الجوامع <sup>(٣)</sup>  
وكان مسلم أنصارياً صريحاً ، وشاعراً فصيحاً ، ولقب صريعاً أيضاً لقوله :

سأفقد للذات متبع الهوى      لأنضى هما أو أصيب فتى مثلى  
هل العيش إلا أن تروح مع الصبا      صريع حياء الكأس والأعين النجل  
واجتلب له هذا الاسم لأجل هذا البيت ؛ وقد قال القطامي :

صريع غوان راقن ورقة      لدن شب حتى شاب سود الذائب  
ومسلم أول من لطف البديع ، وكسا المعاني حلل اللفظ الرفيع ، وعليه يعول  
الطائي ، وعلى أبي نواس ، ومن بدع شعره الذي امتثله الطائي قوله :

تساقط يميناه الندى وشماله الردى      وعيون القول منطقته الفصل

(١) هكذا في جميع المطبوعات ، وفي ديوان مسلم « رأتني غنى الطرف » (م)

(٢) في نسخة « والسجف رافع » (م) (٣) الجوامع : الكبول والقيود ،

واحدتها جامعة (م)

كَأَنَّ نَعْمَ فِي فِيهِ تَجْرَى مَكَانَهَا  
لَهُ هَضْبَةٌ تَأْوِي إِلَى ظِلِّ بَرْمَكِ  
عَجُولٍ إِلَى أَنْ يُودَعَ الْحَدُّ مَالُهُ  
وَقَدْ حَرَّمَ الْأَغْرَاضَ بِالْبَيْضِ وَالنَّدَى  
حُبًّا لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي عَرَصَاتِهَا  
بَكْبَ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى  
مَتَى شُئْتُ رَفَعْتُ السُّتُورَ عَنِ الْغَنَى  
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ ذَا نَفْسٍ جَوَادٍ ضَمِيرُهَا  
رَأَى بَعَيْنَ الْجُودِ فَاتَهَزَّ الَّذِي  
ظَلَمْتُكَ إِنْ لَمْ أَجْزِلِ الشُّكْرَ بَعْدَمَا  
فَانِكَ لَمْ يَتْرَكَ نَدَاكَ ذَخِيرَةً  
وَقَالَ لِيَزِيدُ بْنُ مَرْزُودٍ :

مُوفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَاجٍ  
يُنَالُ بِالرَّقْصِ مَا يَتِيمًا الرِّجَالُ بِهِ  
لَا يَرَحُلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حَجَرَتِهِ  
يَقْرِئُ الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا  
يَكْسُو السُّيُوفَ رُءُوسَ الْكَافِرِينَ بِهِ  
قَدْ غَوَدَ الطَّيْرُ عَادَاتٍ وَثَقَنَ بِهَا  
وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ .

سُلَاقَةٌ مَا مَجَّتْ لِأَفْرَاحِهَا النَّحْلُ  
مَنْوُطٌ بِهَا الْأَمَالُ ، أَطْنَابُهَا السُّبُلُ  
يَعْدُ النَّدَى غَنَمًا إِذَا اغْتَنِمَ الْبَخْلُ (١)  
فَأَمْوَالُهُمْ نَهَبٌ وَأَعْرَاضُهُمْ بَسْلُ (٢)  
إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَفْتَ حَلْمَا دَخَلَ (٣)  
وَتَسْتَنْزِلُ النَّعْمَى وَيُسْتَرْغَفُ النَّصْلُ  
إِذَا أَنْتَ زُرْتَ الْفَضْلَ أَوْ أَذِنَ الْفَضْلُ

فَلَيْسَ يَضُرُّ الْجُودَ أَنْ كُنْتُ مُقَدِّمًا  
أَرَدْتُ فَلَمْ أَفْقِرْ إِلَيْهِ بِهِ فَمَا  
جَعَلْتَ إِلَى شُكْرِي نَوَالَكَ سُلْمًا  
لَعِيرِكَ مِنْ شُكْرِي وَلَا مَتْلُومًا

كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ  
كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ  
كَالْبَيْتِ يَضْحَى إِلَيْهِ مُلْتَقَى السُّبُلِ  
يَقْرِئُ الضُّيُوفَ شَحُومَ الْكُومِ وَالْبُزْلِ (٤)  
وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانِ الْقَنَاءِ الدُّبْلِ  
فَهِنْ يَنْتَبِهَنَّ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

\*\*\*

(١) فِي نَسْخَةِ « إِلَى أَنْ يُودَعَ الْحَرُّ مَالَهُ ، يَعْدُ النَّدَى بَخْلًا » (م) .

(٢) بَسْلٌ - بِالْفَتْحِ - أَيْ حَرَامٌ (م) . (٣) حَبَا : جَمْعُ حَوَّةٍ ، وَهِيَ أَنْ  
تَجْمَعَ الرَّجُلُ سَاقِيَهُ إِلَى ظَهْرِهِ بِشَوْهٍ أَوْ يَدَيْهِ ، وَوَقَعَ فِي نَسْخَةِ « حَبَالًا يَطِيرُ الْجَهْلُ »  
تَحْرِيفٌ ، وَالدَّخَلُ : الثَّأْرُ (م) . (٤) الْكُومَاءُ : النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامُ ،  
وَالْكُومُ جَمْعُهَا ، وَالْبَزْلُ : جَمْعُ بَازِلٍ وَهُوَ الْجَمَلُ الَّذِي تَمَّ لَهُ تَسْعَةُ أَهْوَامٍ (م) .

## [ من شعر أبي نواس ]

قال عمرو الوراق: سمعت أبا نواس ينشد قصيدته :

أيُّهَا الْمَتَابُ عَنْ عُفْرَةٍ      لستَ مِنْ لَيْلَى وَلَا سَمَرَةٍ  
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ      قد بلوتُ المرَّ من ثَمَرَةٍ  
فحسده عليها ، فلما بلغ إلى قوله :

وإذا ميجَ القنا علقاً      وتراعى الموتُ في صُورَةٍ  
راحَ في ثَنِيٍّ مُفَاضَتِهِ      أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظُفْرَةٍ  
تتأبى الطيرَ غَزْوَتِهِ      ثِقَّةٌ بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ  
تحت ظلِّ الرمحِ تتبعُهُ      فهي تلعوهُ على أثرِهِ

فقلت : ما تركت للنابعة شيئاً حيث يقول :

إذا ما غزَوْا بالجيشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ      عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ  
جَوَانِحٍ قَدْ أَيْقَنَ أَبَ قَبِيلُهُ      إذا ما التَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ  
فقال: اسكت ، فلئن أحسن الاختراع ، لما أسأت الاتباع .

أخذه الطائي فقال :

وقد ظُلِمْتُ عِشْبَانُ رَايَاتِهِ ضُحَى      بعقبانِ طَيْرٍ فِي الْأَمَاءِ نَوَاهِلِ  
أَقَامَتْ عَلَى الرَايَاتِ حَتَّى كَانَهَا      مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ تَقَاتِلِ  
[ وصف جيش ]

وقال المتنبي يصف جيشاً :

وَذِي جَلَبٍ لِأَذْوِ الْجَنَاحِ أَمَامُهُ      بِنَاجٍ ، وَلَا الْوَحْشُ الثَّارُ بِسَائِلِ  
تَمَرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ      تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيَشِ الْقَشَاعِمِ  
إِذَا ضَوْؤُهَا لَأَنَى مِنَ الطَّيْرِ فِرْجَةٍ      تَدَوَّرُ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

## [ شُعْبُ بَوَّان ]

ونظير قول أبي الطيب في هذا البيت وإن لم يكن في معناه قوله يصف  
شُعْبُ بَوَّان ، وسيأتي ، وفي هذا الشَّعْبُ يقول أبو العباس المبرد : كنت مع  
مع الحسين بن رجاء بفارس ؛ فخرجتُ إلى شُعْبِ بَوَّان ، فنظرتُ إلى تَرْبَةٍ كأنها  
الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشى ، وماء يتحدر كأنه سَلَّالُ الفضة ، على  
حصباء كأنها حصَى الدر ؛ فجعلت أطوف في حَنَابِئِهَا ، وأدور في عَرَصَاتِهَا ،  
فإذا في بعض جدرانها مكتوب :

إذا أشرف المَكْرُوبُ من رَأْسِ ثَلَمَةٍ      على شُعْبِ بَوَّان أفاق من السَّكْرِبِ  
وألهاه بطنٌ كالحرير لَطَافَةٍ      ومطرٌ دِيَجْرِي من البارد العَذْبِ <sup>(١)</sup>  
وطيبُ رِيَاصٍ في بلادِ مَرِيعةٍ      وأغصان أشجارٍ جَنَاهَا على قُرْبِ <sup>(٢)</sup>  
يُدِيرُ عَلَيْنَا الكَاسَ من لَوَحْظَتِهِ      بعينِكَ مالمتُ الحَسينَ في الحُبِ  
فبِاللهِ يَارِيجُ الشَّمالِ تَحْمَلِي      إلى شُعْبِ بَوَّان سلامَ فَتَى صَبِّ <sup>(٣)</sup>  
قال أبو العباس : فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت ، فقال : وقد رأيت  
نحت هذه الأبيات :

ليت شعري عن الذين تركنا      خَلَفْنَا بالعِراق هل ذَكَرُونَا؟  
أَمْ يَكُونُ المَدَى تَطَاوَلَ حَتَّى      قَدَّمَ العَهْدُ بَيْنَنَا فَذَسُونَا <sup>(٤)</sup>  
إِنْ جَفَوْا حَرَمَةَ الصَّفَاءِ فَإِنَا      لَهْمُ فِي الهَوَى كَمَا عَهَدُونَا  
وشعر المتنبي :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَبِيبًا فِي المَعَانِي      بِمَنْزِلَةِ الرِّبْعِ مِنَ الزَّمَانِ  
وَلَكِنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا      غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللَّسَانِ  
مَلَايِبُ حِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا      سُلَيْمَانُ لَسَارِ بَرْتِجَانِ  
طَمَتِ فُرْسَانُنَا وَالْخَيْلُ حَتَّى      خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَا مِنَ الحِرَانِ

(١) في الأمل ( ٣ / ١٢٨ ) « كالحريرة منه » (م) .

(٢) وفيه « وطيب نهار في رياض أريضة » (م) . وفيه « فباقة ياريج »

الجنوب (م) . (٤) وفيه « أم لعل المدى تطاول » (م) .

غَدُونَا تَنْفُضُ الْأَغْصَانِ فِيهِ      عَلَى أَعْرَافِهَا مِنْ لَلِ الْجُمَانِ  
 نَجِثْتُ وَقَدْ حَجَبَنِ الشَّمْسَ عَنِّي      وَجِثْنُ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي  
 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي بَنَانِي      دَنَانِيرًا تَقِرُّ مِنَ الْبَنَانِ  
 [ومنها :

يَقُولُ بِشُعْبِ بَوَّانِ حِصَانِي      أَعَنْ هَذَا يُسَارُّ إِلَى الطَّعَامِ؟  
 أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَّ الْمَعَاصِي      رَعَلَكُمْ مُفَارَقَةُ الْجِنَانِ [   
 إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا الْبَيْتَ . وَمِنْهَا :

لَهَا تَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ      بِأَشْرَبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِي  
 وَمَوَاةٌ يَصِلُ بِهَا حِصَاها      صَلِيلَ الْخَلْيِ فِي أَيْدِي الْغَوَايِ  
 [ رَجَعُ إِلَى وَصْفِ الْجَيْشِ ]

وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلَ الْأَفْوَهَ الْأَوْدَى فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا      رَأَى عَيْنٌ ثَقَّةً أَنْ سَتَمَارَ<sup>(١)</sup>  
 وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ وَذَكَرَ ذُبَابًا :  
 إِذَا بَاغِدَا يَوْمًا رَأَيْتُ غِيَابَةً      مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ<sup>(٢)</sup>  
 فَهَمَّ بِأَمْرِ تَمَّ أَرْمَعُ غَيْرُهُ      وَإِنْ ضَاقَ أَمْرٌ مَرَّةً فَهُوَ وَارِيعُ  
 وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

وَإِنِّي لَا سَتَجِي الْقُنُوعَ وَمَذْهَبِي      فَسَيْحٌ وَأَقْلَى الشَّحِّ إِلَّا عَلَى عِرْضِي  
 وَمَا كَانَ مِثْلِي يَعْتَرِيكَ رَجَاؤُهُ      وَلَكِنْ أَسَاءَتْ نِعْمَةٌ مِنْ فَتَى مَحْضِي  
 وَإِنِّي وَإِشْرَافِي عَلَيْكَ بِهِمَّتِي      لَكَابِتْنِي زُبْدًا مِنَ الْمَاءِ بِالْمَخْضِ  
 أَخَذَهُ أَبُو عُمَانَ النَّاجِمُ فَقَالَ :

لَمْ تُحْصَلْ بِمَخْضِكَ الْمَاءِ إِلَّا      زُبْدًا حِينَ رَمَتْ بِالْجَهْلِ زُبْدًا

(١) سَمَارٌ : أَيُّ سَتْنَالِ الْمَيْرَةِ ، وَالْمَيْرَةُ - بِكسر الهم - الطَّعَامُ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةِ « إِذَا مَا غَزَا يَوْمًا » ، وَفِي أُخْرَى « إِذَا مَا عَوَى يَوْمًا رَأَيْتُ

غَمَامَةً » (م) .

## [ وصف وسفينة ]

وقال مسلم أيضاً يصف السفينة :

كشفت أهاويل الدجى عن مهوول  
إذا أقبلت راعت بقنة قرهيب  
بجارية محمولة حاملي بكر  
وإن أدبرت راعت بقادمتي نسر<sup>(١)</sup>  
أطلت بمجدافين يعتورانها  
كان الصبا تحكى بها حين واجهت  
وقومها كبنح اللجام من الدبر  
نسيم الصبا مشى العروس إلى الخذر

[ مما قيل في وصف الأساطيل ]

وقال أبو القاسم بن هاني يصف أسطول المعز بالله :

لابن هاني  
يصف أسطول  
المعز الفاطمي

أما والجواري المنشآت التي سمرت  
قباب كما ترخى القباب على المما  
لقد ظاهرتها عدة وعديد  
ولكن من ضمت عليه أسود  
تنشر أعلام لها وبنود  
مسومة يجرى بها وجنود  
فن وقفت خلف الصفوف ردود<sup>(٢)</sup>  
وأن النجوم الطالعات سعود  
له بارقات جمّة ورعود<sup>(٣)</sup>  
لعزمك بأس أو لكفك جود  
بنالا على غير العراء مشيد  
وليس لها إلا النفوس مصيد  
وليس من الصفاح وهو صلود  
فمنها قبان شمع ورعود<sup>(٤)</sup>  
فليس لها يوم اللقاء خمود

من القادحات النار تضرّم للصلى

- (١) في نسخة « بقنة قرهد » والقرهد : الثور ، والقرهد : ولد الأسد أو ولد  
الوعل (م) . (٢) ردود : جمع ردس كسر الراء وهو كل ما اعتمدت عليه ورجعت إليه (م)  
(٣) الصير - بفتح الصاد - السحاب المتراكم بعضه فوق بعض (م)  
(٤) الريد : جمع ريد ، وهو القطعة من الجبل (م)

إِذَا زَفَرَتْ غِيظًا تَرَامَتْ بِمَارِجٍ  
تُعَانِقُ مَوْجَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ  
تَرَى الْمَاءَ فِيهَا وَهُوَ قَانَ خِضَابَهُ  
فَأَنفَاسُهُنَّ الْحَامِيَّاتُ صَوَاعِقُ  
يُشَبُّ لَالِ الْجَائِثِ لِيَقَ سَعِيرُهَا  
لَهَا شُعْلٌ فَوْقَ الْغِمَارِ كَأَنَّهَا  
وغير المذاكي تُجْرُهَا غَيْرَ أَنَّهَا  
فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الرِّيحَ أَغْنَى  
تَرَى كُلَّ قُودَاءِ التَّلِيلِ كَمَا انْثَدَتْ  
رَحِيبةٌ مَدَّ الْبَايَعِ وَهِيَ نَضِيجَةٌ  
تَكْتَبِرُنَّ عَنْ نَقْعٍ يُثَارِ كَأَنَّهَا  
لَهَا مِنْ شُفُوفِ الْعَبَقْرِ مَلَابِسُ  
كَمَا اشْتَمَلَتْ فَوْقَ الْأَرَائِكِ خُرْدُ  
لِبُوسٍ تَكْفُ الْمَوْجَ وَهُوَ غَطَّامِطُ  
فَنَّهُ دُرُوعٌ فَوْقَهَا وَجَوَاشُنُ  
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيُّ يَصِفُ أَسْطُولَ الْقَائِمِ فَأَجَادَ مَا أَرَادَ :

لعلَّ الإيادى  
يصف أسطول  
القائم

أَعْجَبَ لَأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ  
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ  
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ  
دَهْمَاءَ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ  
وَلِحْسُهُ وَزَمَانُهُ الْمُسْتَغْرِبُ  
يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاظِرِ الْمُتَعَجِّبِ  
إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ  
تَسْبِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرَهَّبِ

(١) السليط - بفتح السين - الزيت ، والذبال : جمع ذبالة (م)

(٢) الردع : الزعفران ، والخلوق - بفتح الخاء - ضرب من الطيب (م)

(٣) الكديد - بفتح الكاف - الأرض الصلبة (م) (٤) قوداء التليل : طويلة العنق (م)

من كل أبيض في الهواء منشَر  
 كملاءة في البر يقطع شدّها  
 محفوفة بمجاذف مصفوفة  
 كقوادم النسر المرفرف عُرِيت  
 تحتها أيدي الرجال إذا وُنت  
 خرقاء تذهب إن يدٌ لم تهدها  
 جوفاء تحمل موكباً في جوفها  
 ولها جناحٌ يستعار يُطيرُها  
 يغلو بها حدبُ العُباب مُطارّة  
 تسمو بأجرد في الهواء متوجّج  
 ينزل الملاحُ منه ذوابة  
 فكأنما رام استراقاً مقعدٍ  
 وكأنما جنّ ابن داود هم  
 سَجَرُوا جواحهم نارها فتقاذوا  
 من كل مسجور الحريق إذا انبرى  
 غريان يقدمه الدخان كأنه  
 ولواحق مثل الأهلة جَنَحُ  
 يذهبن فيما بينهن لطافة  
 كنضائض الحيات رُحن لواعباً  
 شرعوا جوانبها لمجادف أتعبت

منها وأسحَمَ في الخليج مُعَيَّب<sup>(١)</sup>  
 في البحر أنفاسُ الرياح الشدْب  
 في جانِبين دَوْنين صُلبِ صُلبِ  
 من كاسيات رِياشه المتهدّب  
 بمصعد منه بُعِيد مُصَوَّب<sup>(٢)</sup>  
 في كل أَوْبٍ للرياح ومَذْهَبِ  
 يومَ الرهان وتستقلّ بموكب  
 طوعَ الرياح وراحَةَ المتطربِ  
 في كل لج زاحِر مُغْلُولِ  
 عريان منسوج الذوابة شوذِب<sup>(٣)</sup>  
 لورام يركبها القطألم يزكِب  
 للسمع إلا أنه لم يُشْهَبِ<sup>(٤)</sup>  
 ركبوا جوانبها بأعنف مرْكَبِ  
 منها بالسُن مارج متلهب  
 من بجنه انصَلَّت انصلات الكوكبِ  
 صبحٌ يكرُّ على الظلام الغيْهَبِ  
 لحق المطالب فائدات المَهْرَبِ  
 ويحْنُ فعل الطائر المتغلبِ  
 حتّى يَقَعْنَ بِيْرِك ماء الميزبِ  
 شأَوَ الرياح لها ولما تَتْعَبِ

(١) الأسحَم : الأسود (م)

(٢) تحتها : تحملها على السرعة ، وونت : فترت (م)

(٣) الشوذب من الرجال : الطويل الحسن الخلق (م)

(٤) لم يشهب : لم يرم بالشهاب ، يشير إلى قوله تعالى : ( فاتبعه شهاب ثاقب



تنصاع من كُتِبَ كما نفر القطَا      طوراً ، وتجتمع اجتماعَ الربِّ (١)  
 والبحرُ يجمع بينها فكانه      ليلٌ يقرَّبُ عقرباً من عقرب  
 وعلى كواكبها أسود خِلافةٍ      تختالُ في عدد السلاح المذهب  
 فكانما البحرُ استعار بزيمهم      ثوبَ الجمال من الربيع المعجب

[من لطائف التودد]

كتب العباس (٢) بن جرير إلى الفضل بن يحيى :  
 لا أعلم منزلةً توحشني من الأمير ولا توحشه مني ؛ لأنني في المودة له كنفسه ،  
 وفي الطاعة ككيده ، وإنما أَلِطُهُ من فضله ، وقد بعثت بعض ما ظننت أنه يحتاج  
 إليه في سفره . وذكر ما بعث .

وكتب غيره في هذا المعنى : إذا كان اللَّطْفُ دليلَ محبةٍ ، وميسمُ قرابةٍ ،  
 كفى قليله عن كثيره ، وناب يسيره عن خطيره ، لا سيما إذا كان المقصودُ به  
 ذاهمةً لا يستعظم نفيساً ، ولا يستصغر خسباً ؛ وقد حُرِّتْ من هذه الصفة أجلُّ  
 فضائلها ، وأرفع منازلها .

وفي هذا المعنى : إن يد الأنس طويلة بكل ما بلغت ، منبسطة بكل  
 ما أدركت ، من حيث يد الحشمة قصيرة عن كل ما حوت ، مقبوضة دون  
 ما أملت ؛ لأن باب القول مطلق لذوى الخصوص (٣) ، محظور عند ذوى الموم ،  
 ولتسكن ما بيننا عاطيتك من لطفى ما لا دونه قلة . ثقةً منك بأنه يرد على  
 ما لا فوقه كثرة .

(١) الربرب — بوزن جعفر — جماعة بقر الوحش (م)

(٢) في نسخة « أبو العباس » (م) (٣) في نسخة « لذوى الخطوط » (م)

ومن ألقاظ أهل العصر في إقامة رسم الهدية في المهرجان والنيروز

لمثل هذا اليوم الجديد والأوان السعيد سنة ، وعلى مثلى فيها أن يتحف  
ويُلفظ ، وعلى مثل سيدنا ، ولا مثل له ، أن يَقْبَل ويشرف . لليوم رسمٌ إن  
أُخِلَ به الأولياء عُدَّ هفوة ، وإن منع منه الرؤساء حُسب جَفْوَة ، ومولاي  
يسوع غنى الدالة فيما اقترن بالرقعة ، ويكسبني بذلك الشرف والرفعة . الهدايا  
تكون من الرؤساء مكاثرة بالفضل ، ومن النظراء مقارضة بالمثل ، ومن الأولياء  
ملاطفة بالقل<sup>(١)</sup> ، وقد سلكت في هذا اليوم مع مولاي سبيل أهل طبقته من  
الأرباب ، وقد حملت إلى مولاي هدية [ الملائف ، لا هدية ] الْمُحْتَفِل ،  
والنفس له ، والمال منه .

ولهم في التهئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع .

هذا اليوم غُرَّة في أيام الدهر ، وتاج على مفترق القصر . أسعد الله مولانا  
بنوروزِه الوارد عليه ، وأعادَه ماشاء وكيف شاء إليه . أسعد الله تعالى سيدنا بالنوروز  
الطالع عليه ببركاته ، وأيمنَ طائرَه في جميع أيامه ومتصرفاته ؛ ولا يزالُ يلبس  
الأيام ويُبليها وهو جديد ، ويقطعُ مسافة نحسها وسعدها وهو سعيد . أقبل  
النيروزُ إلى سيدنا ناشراً حُلله التي استعارها من شيمته ، ومُبديا حالته<sup>(٢)</sup> التي  
اتخذها من سحيمته ، ومستصحبا من أنواره ما اكتسبه من محاسن فضله وإكرامه ،  
ومن أنظاره ما اقتبسه من جوده وإنعامه . ويؤكد الوعد بطُول بقاءه حتى يملَّ العمر ،  
ويستغرق الدهر . سيدنا هو الربيع الذي لا يذبل شجرُه ، [ ولا يزول سحرُه ]  
ولا ينقطع ثمرُه ، ولا يُقْلِعُ غَمَامُه ، ولا تبدلُ أيامُه ؛ فأسعده الله تعالى بهذا

(١) القل — بضم القاف وتشديد اللام — القليل (م)

(٢) في نسخة « ومبديا حلمته » (م)

الربيع المتشبه بأخلاقه ، وإن لم ينل قدرها ، ولم يحمل فضلها ، ولم يجد بداً من الإقرار بها . سيدنا هو الربيع الذى يتصل مطرُه ، من حيث يؤمن ضررُه ، ويدوم زهرُه ، من حيث يتعجل ثمرُه ؛ فلا زال آمراً ناهياً ، قاهراً عالياً ، تهياً الأعياد بمصادفة سلطانه ، وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه . أئتم الله سيدنا بهذا التوزُّوز الحاضر ، الجديد الناضر ، سعادة تستمرُّ له فى جميع أيامه على العموم دون الخصوص ، لتكون متشابهات [ فى اكتناف ] المواهب لها ، واتصال المسار فيها ، لا يفرق إلا بمقدار يزيد التالى على الخالى ، ويدرج الآنى على الماضى . عرف الله سيدنا بركة هذا المهرجَان ، وأسعدَه فيه ، وفى كل زمان وأوان ، وأبقاه ما شاء فى ظلال الأمان والأمان . هذا اليوم من محاسن الدهر المشهورة ، وفضائل الأزمنة المذكورة ، فلقى الله تعالى سيدنا بركة وروده ، وأجزل حظَه من أقسام سعوده ، هذا اليوم من غرر الدهور ، ومواسم السرور ، معظم فى الملك الفارسى ، مستظرف فى الملك العربى ؛ فوفر الله تعالى فيه على مولاي السعادات ، وعرفه فى أيامه البركات ، على الساعات واللمحظات .

### [ الصفات التى تلم فى رجل الشرطة ]

وقال الحجاج بن يوسف : دلّونى على رجل للشرطة ، فقيل : أى رجل تريد ؟ فقال : أريد رجلاً دائماً العُبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة ، أعجف الخيانة <sup>(١)</sup> ، يهون عليه سبّ الشريف فى الشفاعة <sup>(٢)</sup> ؛ فقالوا : عليك بعبد الرحمن [ بن عبد الله ] التميمى ، فأرسل إليه يستعمله ، فقال : لست أعمل لك عملاً إلا أن تكفينى ولدك ، وأهل بيتك ، وعيالك وحاشيتك ، فقال : يا غلام ناد : مَنْ طلب إليه حاجة منهم فقد برئت منه الذمة .

(١) أعجف الخيانة : مهزولها وضعيفها ، والمراد أنه عديم الخيانة (م)

(٢) فى نسخة «يهون عليه سبّ الشريف» وفى أخرى «سبّ الأشراف» (م)

لأشجع السلمي  
يمدح صاحب  
شرطة الرشيد  
وقال أشجع بن عمرو السلمي يمدح في هذا المعنى إبراهيم بن عثمان بن نهيك  
صاحب شرطة الرشيد، وكان جباراً عنيداً :

في سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ بدوى النفاق ، وفيه أمنُ المسلم  
وبييت بكلاً والعيونُ هواجعٌ مالَ المصيع ومُهْجَة المستسلم  
شدَّ الخطامَ بأنف كلِّ مخالفٍ حتى استقام له الذي لم يُخطم  
لا يَصْلِحُ السلطانَ إلا شدةٌ تغشى البرى بفضل ذنبِ الجرم  
ومنَ الولاة مُقَحَّمٌ لا يَتَّقِي والسيفُ تَقْطُرُ شَفَرَتَاهُ من الدم (١)  
منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

[ من كلام الأعراب ]

أعرابية تلوم  
أباها في الجود  
عذات أعرابية أباها في الجود وإتلاف ماله ، فقالت : حبس المال ، أنفعُ  
للعيال ، من بذل الوجه في السؤال ؛ فقد قلَّ النوال ، وكثر البُخَالُ ، وقد  
أتلفت الطارف والتلاد ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ  
ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضره .

دعوة أعرابية  
قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : اللهم ارزقني عمل الخائفين ، وخوف  
العاملين ، حتى أتنعم بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .  
وقال آخر : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق  
الولائد ، وأرسخه على هامته ، كرسوخ السجيل ، على هام أصحاب الفيل  
وقال بعض الأعراب : نالنا ونسي ، وخلفه ولّى (٢) ؛ فالأرضُ كأنها وشي  
[عقري] ؛ ثم أتنا غيوم جرّاد ، بمناجل حدّاد ؛ فخرّبت البلاد ، وأهلكت  
العباد ؛ فسبحان من يهلك القوى الأكل . بالضعيف المأكول .

(١) يروى « ومن الولاة مقحم » والمقحم - بزنة المعظم - الذي يقع نفسه في  
الأمر (م) (٢) الوسمى : أول المطر ، والولى : المطر يتبع المطر (م)

## [مع الولاة والخلفاء]

وقال عمار بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجواز نفيسة ، وكسوة  
وصلة ، وأذن مجلسه - : وصلت الله يا أمير المؤمنين وبرك ، فوالله لئن أردنا  
شكرك على كونه صلتك ، فإن الشكر ليقصر عن نعمتك ، كما قصرنا عن  
منزلتك ؛ غير أن الله تعالى جعل لك فضلا علينا بالتقصير منا ، ولم تحرمنا الزيادة  
منك لنقص شكرنا .

وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان : كيف علمك بأخوالي بني الحارث  
ابن كعب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هم هامة الشرف ، وعزّين الكرم ،  
وفيهم خصال ليست في غيرهم من قومهم ، هم أحسنهم أمما ، وأكرمهم شيئا ،  
وأهناهم طعا ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم همما ، هم الجُمرة في الحرب ، والرأس  
في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب <sup>(١)</sup> .

وعزّي خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأ بالخلافة ، فقال : الحمد لله  
الذي منّ على الخلق بك ، والحمد لله الذي جعل نبوتكم رجمة ، وخلافتكم  
عِصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قدوة .

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : قدمت وأعطيت كلاً بفسطه من  
نظرك ومجلسك ، في صوتك وعدلك ، حتى كأنك من كل أحد ، وحتى  
كأنك لست من أحد .

وقال رجل لخالد : إن أباك كان دَميا ، ولكنه كان حليما ، وإن أمك  
كانت حسناء ، ولكنها كانت رَغناء ، فيا جامع شرّ أبويه !

## شذور في المقامح ومساوي الأخلاق

على بن عبيدة الريحاني - أذنس شعار المرء جهله .

(١) العجب - بفتح العين وسكون الجيم - أصل الذنب ، وهو أيضا مؤخر كل شيء (م)

(٢) الدميم - بالداد المهملة - القبيح الشكل ، ووقع في نسخة «دميا» تطبيع (م)

ابن المعتز - نعم الجاهل ، كالرياض في المزابيل . كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحاً . لسان الجاهل مفتاح حثفه . لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً . الجاحظ - البخل والجبن غريزة واحدة ، يجمعهما سوء الظن بالله . البخل يهدم مباني الشرف .

وقال ابن المعتز : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى السكال ، استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ، ويرفع حقيراً ، وليس ينفع الطمع في وثاق الذل . الغضب يصدى العقل حتى لا يرى صاحبه صورة حسن فيتركبه ، ولا صورة قبيح فيجتنبه . الغضب يبنى عن كامن الحقد . من أطاع غضبه أضاع أدبه . حدة الغضب تعثر المنطق<sup>(١)</sup> ، وتقطع مادة الحجّة ، وتفرق الفهم<sup>(٢)</sup> . غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله . عقوبة الغضب تبدأ بالغضب : تقبح صورته ، وتلم دينه ، وتعجل ندمه . ما أقبح الاستطالة<sup>(٣)</sup> عند الفنى ، والخضوع عند الفقر . من يهتك ستر غيره تكشف عورات بيته . نفاق المرء من ذلة الشرير لا يظن بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبعه . من عدد نعمة بحق كرمه . خلف الوعد خلق الوغد ، من أسرع كثير عثاره .

### [ من المفخرات ]

بين كاتب  
ونديم

فاخر كاتب نديما ، فقال الكاتب : أنا معونة ، وأنت مؤنة ؛ وأنا للجد ، وأنت للهزل ؛ وأنا للشفة وأنت للذة ؛ وأنا للحزب ، وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ؛ وأنا للحضرة ، وأنت للمهنة ؛ تقوم وأنا جالس ، وتحتمس وأنا مؤانس ؛ تدأب لراحتي ، وتشقى لسعادتي ؛ فأنا شريك ، وأنت معين ، كما أنك تابع ، وأنا قرين .

(١) في نسخة « تغير المنطق » (م) (٢) تفرق الفهم : تبده (م)

(٣) الاستطالة : التكبر (م)

وفاخر صاحبُ سيفٍ صاحبُ قلمٍ ، فقال صاحبُ القلمِ : أنا أقتل بلا غَرَرٍ ،  
وأنت تقتل على خَطَرٍ . فقال صاحبُ السيفِ : القلمُ خادمُ السيفِ إن تم مراده ،  
وإلا فإلى السيفِ مَعَاذِهِ .  
قال أبو تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ      في حَدِّهِ الحدُّ بينَ الجَدِّ واللعبِ  
إبراهيم بن المهدي :

فقد تلينُ ببعضِ القولِ تَبَذُّلُهُ      والوصلُ في جبلٍ صَعْبٍ مَرَاقِيهِ  
كالخيزرانِ مَنيعٍ حينَ تَكْسِرُهُ      وقد يرى لَيْثًا في كَفِّ لَأْوِيهِ  
أبو الهيثم (١) عاصم بن عمار المرثي يرثي :

لأبي الهيثم  
المرثي يرثي

سأبكيك بالبيضِ الرِّقاقِ وبالْقَنَّا      فإن بها ما أدرك الواتِرُ الوِثْرَا  
ولسنا كمن يَبْكِي أخاه بَعْبِرَةً      يعصِّرها من ماء مُقْلَتِهِ عَصْرَا  
ولكنني أَشْفِي فَوَادِي بَغْمَرَةٍ      وأُلب في قُطْرَى جوانبه جَمْرَا  
وإنا أناسٌ ما تَفِيضُ دموعنا      على هَالِكٍ مِنَّا وإن قَصَمَ الظَّهْرَا

[ من وصايا الحكماء . ]

لقي رجلٌ حكيمًا فقال : كيف تَرَى الدهرَ ؟ قال : يُخْلِقُ الأبدانَ ، ويَجْدُدُ  
الآمالَ ، ويَقْرُبُ المنيَّةَ ، ويباعدُ الأُمْنِيَّةَ . قال : فما حالُ أهله ؟ قال : من ظفر  
به منهم تعبٌ ، ومن فاتته نَصَبٌ . قال : فما الغنى عنه ؟ قال : قَطْعُ الرجاءِ منه ،  
قال : فأىَ الأصحابِ أبردُ وأَوْفَى ؟ قال : العملُ الصالحُ والتقوى . قال : أيهم أضرُّ  
وأرْدَى (٢) ؟ قال : النفسُ والهوى ، قال : فأين الخُرُجُ ؟ قال : سلوكُ المُنْهَجِ . قال :  
وما هو ؟ قال : بَذْلُ المجهودِ ، وتركُ الراحةِ ، ومداومةُ الفكرةِ . قال : أَوْضَى .  
قال : قد فعلت .

(١) في نسخة «أبو الهندام» وفي أخرى «أبو الهيثم» (م)

(٢) أردى : أشدردى ، والردي - بوزن الفقى - الهلاك (م)

وقال بعضُ الملوكِ لحكيم من حكمائه : عِظْنِي بِعِظَةٍ تَنفِي عَنِّي الْخِيَلَاءَ<sup>(١)</sup> ،  
وترهّدني في الدنيا . قال : فَكُفِّرْ فِي خُلُقِكَ ، واذْكُرْ مَبْدَأَكَ وَمَصِيرَكَ ، فإذا  
فعلت ذلك صَغُرَتْ عِنْدَكَ نَفْسُكَ ، وَعَظُمَ بِصَغَرِهَا عِنْدَكَ عَقْلُكَ ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ  
أَنْفَعُهُمَا لَكَ عِظًا ، وَالنَّفْسُ أَرْزَنُهُمَا لَكَ صِغَرًا ؛ قال الملك : فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ يُعِينُ  
عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ فَصِفْتُكَ هَذِهِ . قال : صِفَتِي دَلِيلٌ ، وَفَهْمُكَ مَحْجَّةٌ ، وَالْعِلْمُ  
عَلَمِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> ، وَالْعَمَلُ مَطْيَةٌ ، وَالْإِخْلَاصُ زِمَامُهَا ، فَخُذْ لِعَقْلِكَ بِمَا يَزِينُهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَلِلْعَمَلِ  
بِمَا يَصُونُهُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِلْعَمَلِ بِمَا يَحْقُقُهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ ، وَأَنْتَ أَنْتَ !  
قال : صدقت .

[ من المدح ]

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

تَعْنُونَ عَنْ كُلِّ تَقْرِيطٍ بِمَجْدِكُمْ      غَنَى الطَّيَاءِ عَنِ التَّكْحِيلِ بِالسَّكْحَلِ  
تَلُوحُ فِي دُولِ الْأَيَّامِ دَوْلَتُكُمْ      كَأَنَّهَا مِثْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ  
وقال أيضاً :

كُلُّ الْإِخْلَاصِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ      تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ  
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَثْرِجِ طَابَ مَعَا      أَحْمَلًا وَنَوْرًا ، وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ  
وقال البستي [ في نحو هذا ] :

لأبي الفتح  
البستي

فَتَى جَمَعَ الْعُلَيَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً      وَبَأْسًا وَجَبُودًا لَا يَفِيقُ فُوقَا  
كَمَا جَمَعَ التَّفَاحُ حُسْنًا وَنَضْرَةً      وَرَأْحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقًا

قال أبو العباس المبرد : حدثني عجل بن أبي دلف قال : امتدح رجلٌ أبا  
بكلمةٍ ، فوصله بنحو مائة دينار ولم يره ، وهي :

في مدح  
أبي دلف

(١) الخيلاء : السكبر (م)

(٢) في نسخة « والعلم حيلة » وفي أخرى « والعلم حلية » (م)



مَالِي وَمَالِكَ قَدْ كَلَفْتَنِي شَطَطًا      حَمَلَ السِّلَاحَ وَقَوْلَ الدَّارَعِينَ قَفِ  
أَمِنْ رِجَالِ الْمَنَائِلِ خِلْتَنِي رَجُلًا      أُمْسَى وَأُصْبِحُ مُشْتَقًا إِلَى التَّلَفِ  
أَرَى الْمَنَائِلَ عَلَى غَيْرِي فَأَكْرَهَهَا      فَكَيْفَ أَمْشِي إِلَيْهَا بَارِزَ الْكَتِفِ  
أَخِلْتَ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ غَيَّرَنِي      وَأَنْ قَلْبِي فِي جَنْبِي أُنِي دَلَفِ  
قلت: هذا كحديث الذي دخل في قومٍ على شراب فسقوه غير الشراب الذي

يشربون ، فقال :

نَبِيْـذَانِ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ      لَا يَشَارُ مُنْزِعًا عَلَى مُقْتَرِ  
فَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فِعْلَ الْكَرَامِ      فَعَلْتَ كَفْعَلِ أَبِي الْبَخْتَرِ  
تَدْبِيعَ إِخْوَانِهِ فِي الْبِلَادِ      فَأَغْنَى الْمَقْلَ عَنِ الْمَكْرِ  
فاتصل شعره بأبي البختري فأعطاه ألف دينار ولم يره .

[ أحمد بن أبي فتن ]

والأبيات التي مُدِّح بها أبو دلف هي لأحمد بن أبي فتن<sup>(١)</sup> ، وكان شاعراً  
مجيداً ، وهو القائل :

وَلَا أَبْتَ عَيْنَايَ أَنْ تَمْلِكَ الْبُكْيَ      وَأَنْ تَحْبَسَ سَحَّ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ<sup>(٢)</sup>  
تَفَاءَبَتْ كَي لَا يُنْكِرُ الدَّمْعَ مَنَكِرُ      وَلَكِنْ قَلِيلاً مَا بَقَاءُ التَّشَاؤُبِ<sup>(٣)</sup>  
أَعَرَضْتَنِي لِلْهُوَى وَنَمَمْتَا      عَلَى ؟ لِبئْسَ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ  
وقال :

وَحَيَاةَ هَجْرِكَ غَيْرَ مَعْتَمِدٍ      إِلَّا لِقَصْدِ الْحِنْتِ فِي الْخَلْفِ  
مَا أَنْتَ أَمْلَحُ مَنْ رَأَيْتَ وَلَا      كَلَفِي بِحَبِّكَ مُنْتَهَى كَلَفِي

(١) في نسخة «أحمد بن أبي العيلاء» وانظر الآلي لأبي عبيد البكري (١٩٧) (م)

(٢) في الآلي «أن تملك البكي» ويروي «أن تقف البكي»

(٣) «ما» في قوله «قليلاً» صفة لقليل ، وفي نسخة «ما يفيد التشاؤب» وليس بشيء ، وكان من حق العربية أن يقول «ولكن قليل ما بقاء التشاؤب» ولما ذكر وجه ليس هو المهيح .

قال الصولي : كنا بحضرة أبي العباس المبرد فأنشد هذين البيتين فاستظرفهما  
وأنشدنا في ذلك :

وحياة غيرك غير معتمد به      حيناً ولكن مُعْظَماً لحياتكا<sup>(١)</sup>

ما ينقضي طمعي وإن أطمعتني      في الوعد منك إلى اقتضاء عِدَاتكا<sup>(٢)</sup>

وقال الخنمعي :

ولم أر مثلاً الصدّ أدعى إلى الهوى      إذا كان ممن لا يخافُ على وَصلِ

وآتٍ يميناً كالزجاج رقيقةً      وما حَلَفَتْ إلاَّ لتَحْنُثَ من أَجلي

وكان أحمد بن أبي فنن أسود ، ولذلك قال :

\* أخلت أن سَوَادَ الليل غيّرني \*

ولما أدخل على المعتز وامتدحه قال : هذا الشاعرُ الآدم<sup>(٣)</sup> ، قال بعض من حضر :

لا يَصِرْهُ سَوَادُهُ مع بياض أياديك عنده ، قال : أَجَلْ ، ووصله .

\*\*\*

أخذ قوله :

\* أرى المنايا على غيري فأكرهها \*

من قول أعرابي قيل له : ألا تغزو ؟ قال : أنا والله أكره الموت على فراشي ،  
فكيف أمشي إليه ركضاً ؟

[ الاستطراد ]

وهذا المذهب الذي سلكه أحمد ضربٌ من البديع يسمّى الاستطراد، وذلك  
أن الفارس يظهر أنه يستطرد شيئاً ويُبْطِنُ غيره ، فيكرّ عليه ، وكذلك هذا

(١) في نسخة «وحياة عزك» (م)

(٢) العِدَات : جمع عِدَة ، بمعنى الوعد ، واقتضاؤها : طلب إنجازها (م)

(٣) الآدم : وصف من الأدمة ، وهي السمرة (م)

الشاعر يظهر أنه يذهب لمعنى فيعين له آخر قِيَانِي به ، كأنه على غير قصد ، وعليه بناء ، وإليه كان مَعْرَاهُ <sup>(١)</sup> ، وقد أكثر المحدثون منه فأحسنوا في ذلك .

إسحاق  
الموصلی

قال الأصمعي : كنت عند الرشيد فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلی فقال : أنشدني من شعرك ، فأنشده :

وَأَمْرَةٌ بِالْبُخْلِ قَلَّتْ لَهَا : اقْصِرِي      فليس إلى ما تأمرين سبيلُ  
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الْجَوَادِ ، وَلَا أَرَى      بخيلاً له في العالمين خَلِيلُ  
وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمْتِهِ      إذا نال شيئاً أن يكونَ منيلُ  
فَعَالَى فَعَالُ الْمُسْكِرِينَ تَجْمُلاً      ومالي كما قد تعلمين قَلِيلُ  
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغَنَى      ورأى أمير المؤمنين جميلُ

فقال الرشيد : يا فضل ؛ أعطه عشرين ألف درهم . ثم قال : لله أبيات تأتينا بها يا إسحاق ما أتقن أصولها ، وأبين فصولها . وأقل فضولها ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لا قبلتُ منها درهما واحداً . قال : ولم ؟ قال : لأن كلامك ، والله ، خيرٌ من شعري . فقال : يا فضل ؛ ادفع إليه أربعين ألفاً . قال الأصمعي : فعلت أنه أصيد لندراهم الملوك مني .

لأبي تمام

صف فرسا

ومن ذلك <sup>(٢)</sup> قول أبي تمام يصف فرسا :

وسابح هَظَلِ التَّغْدَاءِ هَتَّانِ      على الجراءِ أمينٍ غيرِ خَوَّانِ  
أُظْمِيَ الْفُصُوصُ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ      فخلَّ عَيْنِيكَ فِي رِيَّانِ ظَمَّانِ  
فَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحًا وَالْحَصَى زَيْمٌ      بين السنايك من مَثْنَى وَوَحْدَانِ  
أَيَقْنَتُ - إِنْ لَمْ تَنْتَبَ - أَنْ حَافِرَهُ      من صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَمَانِ  
وقد احتذى البحتري هذا الحدو في حمدويه الأحول ، وكان حمدويه هذا

عدوا للمدوح ، فقال :

(١) معزاه - بالعين المهملة - اعتزأوه : أى انتسابه ، وفي نسخة «معزاه» بالعين

المعجمة (م) (٢) أى من الاستطراد (م)

للبحترى

وأغترَّ في الزمن البهيم مُحَجَّل      قد رُحْتُ منه على أغرَّ مُحَجَّل  
كالهيكَلِ المبني إلا أنه      في الحُسْنِ جاء كصورةٍ في هَيْكَلِ  
مَلَكَ العيون؛ فإن بدا أعطيه      نظر الحب إلى الحبيب المقبل  
ما إن يعاف قذى ولو أوردته      يوماً خلائقَ حَمْدِوَيْهِ الأَحُولِ

وفي قصيدته هذه يحكى أن البحترى قال له أصحابه : إلك سُتْعاب بهذا البيت ؛ لأنك سرقتَه من أبى تمام ، قال : أعاب من أخذى من أبى <sup>(١)</sup> تمام ؟! والله ما قلتُ شعراً قط إلا بعد أن أحضرت شعره في فكري ، قال : وأسقط البيت بعد ، فلا يوجد في أكثر النسخ .

[ سَبَقُ المتقدمين إلى الاستطراد ]

لفرزدق

وهذا معنى قد أعجب المُحَدِّثين ، وتخيّلوا أنهم لم يُسَبِّحُوا إليه ، وقد تقدّم لمن قبلهم ، قال الفرزدق :

الجرير

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ      إِذَا جَلَسُوا أَقْوَاهُ بِكَرٍ بنِ وائِلِ  
قال الجاهلي : وأنى جرير بهذا النوع خفنا <sup>(٢)</sup> في وَجْهِ السَّابِقِ إلى هذا المعنى فضلاً عن تلبّاه ؛ فإنه استطرد في بيت واحد ، فمجا فيه ثلاثة ، فقال :  
لما وضعت على الفرزدق مِيسَمِي      وعلى البعيث جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ  
وقيل هذا البيت مما يَرُدُّ على الجاهلي ، وهو قوله :

السموأل

مبتكر

الاستطراد

أعددت للشعراء كأساً مَرَّةً      فسقيت آخرهم بكأس الأولِ  
ذال أبو إسحاق : وأوّل من ابتكره سموأل بن عاديّاء اليهودي ، وكل أحد تابع له فقال :

وإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً      إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسُلُولُ  
يقرب حب الموتِ آجالنا لنا      وتكرهه آجالهم فتطوّلُ

(١) في نسخة «أعاب على أحد أخذى من أبى تمام ؟» (م)

(٢) حثا التراب يحثوه ويحثيه - مثل دعاه يدعوه ورماه يرميه - قبض قبضة

منه ورماه به (م)

لطرفة بن  
العبد البكري

وقد قال طرفة في هذا المعنى :

فلو شاء ربّي كنت قيسَ بن خالد      ولو شاء ربّي كنت عمرو بن مرثدٍ  
فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ ، وعادني      بنونَ كرامٍ سادةٍ لمسودٍ  
قيس بن خالد: ذو الجدين الشيباني . وعمرو بن مرثد: سيد بني قيس بن ثعلبة ،  
فدعا [ عمرو ] طرفة لما بلغه ذلك ، فقال : أما البنون فإن الله يعطيك ، ولكن  
لا تريمُ حتى تكون من أوسطنا حالا ؛ وأمر بنيه وكانوا عشرة ، فدفع إليه كلُّ  
واحد منهم عشراً من الإبل ؛ فانصرف بمائة ناقة .

ابن عبدل  
وابن بشر بن  
مروان

وكان ابن عبدل منقطعاً إلى عبد الله بن بشر بن مروان<sup>(١)</sup> ، فتأخر عنه برّه ،  
وغاب أياماً ، ثم أتاه فسأله عن غيبته ، فقال : خطبتُ ابنةَ عم لي بالسواد ،  
فزعمتُ أن لها ديوناً وأسلافاً<sup>(٢)</sup> هناك ، وأنى إذا جمعتها لها صارت إلى محبتي ، ففعلت  
ذلك ، فلما استنجزتها كتبت إلى :

سَيُخِطُّكَ الذّي أُمِلْتَ مِنّي      إذا انتقضت عليك قوَى حِبَالِي  
كما أخطأك معروفُ ابنِ بشر      وكنت تعدُّ ذلك رأسَ مالٍ<sup>(٣)</sup>  
فقال : ما أحسن ما ألطفت بالسؤال ! وأجزل صلته .

لبشار بن برد

ومن بديع هذا الباب قول لبشار بن برد :

خَلِيلِي مِنْ كَغَمِّ أَعِينَا أَخَاكَ      عَلَى دَهْرِهِ ؛ إِنْ الْكَرِيمَ مُعِينُ  
وَلَا تَبْخَلَا بِخُلِّ ابْنِ قَرْعَةٍ ؛ إِنَّهُ      خَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ  
إِذَا جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ      فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ  
فَقُلْ لِأَبْنِي يَحْيَى مَتَى تَبْلُغَ الْعُمَلَا      وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينُ

لبكر بن النطاح

وقال بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

(١) وردت هذه القصة في ذيل الأما إلى (٤٦) وذكر أنها بين ابن عبدل ومعرّوف  
ابن بشر (م) (٢) في الذيل « فأرسلت إلى أن لي أشاوي على الناس وديونا »  
والأشاوي : جمع أشياء التي هي جمع شيء (م) (٣) في الذيل « وكنت تعده لك  
رأس مال » (م)

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنْ الْمَنَى      لَتَرْضَى فَقَالَتْ: قُمْ فَجِئْنِي بِكُوكَبٍ  
 قُلْتُ لَهَا: هَذَا التَّعْنَتُ كُلُّهُ      كَمَنْ يَشْتَهِي لَحْمَ عُنُقَاءِ مُغْرِبٍ  
 سَلِي كُلِّ أَمِيرٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابُهُ      وَلَا تَذْهَبِي يَا دَرِّي فِي كُلِّ مَذْهَبٍ  
 فَأَقْسَمُ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي عَزِّ مَالِكٍ      وَقُدْرَتِهِ مَا رَامَ ذَلِكَ مَطْلَبِي  
 فَتَى شَقِيتَ أَمْوَالُهُ بِسَاحَةِ      كَمَا شَقِيتَ قَيْسٌ بِأَرْمَاحِ ثَعْلَبِ

واعتذر رجلٌ إلى رجل بحضرة عبد الأعلى بن عبد الله فلم يُقبلْ عذره ،  
 فقال عبد الأعلى : أَمَا والله لئن كان احتمل إثمَ الكذب ودناءته ، وخضوعِ  
 الاعتذارِ وذِلَّتِهِ ، فعاقبته على الذَّنْبِ الذَّاهِبِ ، ولم تشكر له إناة التائب ، إنك  
 لمن يُسَىء ولا يُحسن .

وقال الخطيئة :

للخطيئة

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتَهَا      وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجَدُّ  
 أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَأَيِّكُمْ      مِنَ اللُّومِ أَوْ سُدُّوا الْمَسْكَانَ الَّذِي سَدُّوا  
 أَوْلَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا      وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا  
 وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَّوْا بِهَا      وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا<sup>(١)</sup>  
 وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ      مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا  
 وَيَعْذِلْنِي أَبْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ      وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ<sup>(٢)</sup>

[ شاعر باهلي في حضرة الرشيد ]

وَوَصَلَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ إِلَى الرَّشِيدِ شَاعِرًا بَاهِلِيًّا ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً حَسَنَةً ،  
 فَاسْتَرَابَهُ الرَّشِيدُ ، وَقَالَ : أَسْمَعُكَ مُسْتَحْسِنًا ، وَأُنْكِرُكَ مَتَمًّا<sup>(٣)</sup> ؛ فَإِنْ كُنْتَ سَابِحَ  
 هَذَا الشَّعْرِ فَقُلْ فِي هَذَيْنِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَكَانَا جَالِسَيْنِ .

(١) يروى « النعما عليهم جزواها » (م)

(٢) ويروى « وقد لامني أفناء سعد عليهم » (م) (٣) في نسخة « وأكرمك متما » (م)

فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتني عل غير الجدّد : هيبة الخلافة ، ووخشة  
الغربة ، وروعة المفاجأة ، وجلالة المقام ، وصعوبة البديهة ، وشرود القوافي ، على  
غير الرويّة ، فليمنهني أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول .

فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ؛ قد جعلت اعتذارك عوض امتحالك .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ نفسُ الخناق ، وسهلتَ ميدان السباق ، ثم قال :

بنيت بعبد الله بعد محمد      ذرى قبة الإسلام فاخضر عودها  
هما طنبأها بآرك الله فيهما      وأنت - أمير المؤمنين - عمودها

فقال الرشيد : وأنت بآرك الله فيك ، سل ولا تكن مسألتك دون إحسانك

فقال : الهنيدة يا أمير المؤمنين<sup>(١)</sup> ! فأمر له بها ، وبخلع نفيسة ، وصلة جزيلة .

[ كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد الملك ]

دخل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبد الملك ، فازدراه  
ونبت عينه عنه ، فقال : مارأت عيني كالיום قط ، لعن الله امرأ أجرك رسته ،  
وحكمك في أمره . فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل ذلك ؛ فإنك رأيتني والأمر  
عني مدبر ، وعليك مقبل ؛ فلو رأيتني والأمر على مقبل ، وعنك مدبر ،  
لاستعظمت مني ما استصغرت ، واستكبرت ما استقلت .

قال : عزمت عليك يابن أبي مسلم لتخبرني عن الحجاج ، أترأه يهوى في  
جهنم أم قد قر بها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل هذا في الحجاج ، وقد بذل  
لكم النصيحة ، وأمن دولتكم ، وأخاف عدوكم ، وكأنني به يوم القيامة وهو  
عن يمين أبيك ، ويسار أخيك ، فاجعله حيث شئت .

فقال له سليمان : اعزب<sup>(٢)</sup> إلى لعنة الله ! فخرج ، فالتفت سليمان إلى جلسائه

(١) الهنيدة - يزنة التصغير - اسم للمائة من الإبل (م) . (٢) اعزب : ابعد (م)

فقال : قاتله الله ! ما أحسنَ بديهتهُ ، وترفعه لنفسه ولصاحبه ! وقد أحسنَ المكافأة في الصنعة ، خلّوا عنه .

[ من أدب إبراهيم بن العباس الموصلى ]

قال إبراهيم بن العباس الموصلى : والله ما اتَّكَلْتُ في مكاتبةٍ قط إلا على ما يجلبه خاطرى ، ولا يحبسُ به صدري ، إلا قولى فى فصل : وصار ما كان يُجرِّزُهُم يُبرزُهُم ، وما كان يعقلُهُم يعتقلُهُم . وقولى فى رسالة أخرى : « فأنزلوه من معقل إلى عُقال ، وبدّلوه آجالاً بآمال » ، فإني أُلِمْتُ فى هذا بقول الصريح <sup>(١)</sup> :  
مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يَسْتَعِى إلى أَمَلٍ  
وفى المعنى الأول يقول أبو تمام :

فإن يَبْنِ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَأِنَّمَا أُولَئِكَ عُقالاته لا مَعاقله  
وكان يقول : ما تَمَنَيْتُ كلامَ أحدٍ أن يكون لى إلّا قولَ عبد الحميد بن يحيى :  
الناس أصنافٌ متباينون ، وأطوار متفاوتون ، منهم علق مضنة لا يُباع ،  
وغل مظنة لا يُبتاع .

ورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بزم رجل ومدح آخر ؛ فوقع فى كتابه : إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُهُ ، وللمسيء من النَّسْكال ما يَقْمَعُهُ ، بذل المحسن الواجب عليه رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة . فوثب الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل مَتَّ إليه بِجُرْمَةٍ : تقدمت بجرمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم بواجبها ، وأزعاها من جميع جوانبها .

وإبراهيم بن العباس هو القائل :

لنا إِبِلٌ كُومٌ يَضْبِقُ بِها الفضا وَتَغْبِرُ مِنْها أَرْضُها وَسَمَؤُها

(١) الصريح : صريح الغوانى ، وهو مسلم بن الوليد ، وقد مضت له أبيات منها هذا البيت ( انظر ص ١٠٢٤ من هذا الكتاب )



فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن يُستدَمَّ دماؤها<sup>(١)</sup>  
 حتى وقرى فالموت دون مرامها وأيسرُ خطب يوم حُقَّ فنأوها  
 وقال الصولي : وجدت بخط عبد الله بن أبي سعيد إبراهيم بن العباس  
 أنشده لنفسه :

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي  
 وأعلم مالي عنكم فيردني هوائى إلى جهلى فأرجع عن علمي  
 فقلت : أسبقك إلى هذا أحد ؟ فقال : العباس بن الأحنف بقوله :  
 تجنب يرناد السلو فلم يجد له عنك في الأرض العريضة مذهباً  
 فعاد إلى أن راجع الوصل صاغراً وعاد إلى ما تشتهين وأعتباً<sup>(٢)</sup>  
 قال الصولي : وأظن أن ابن أبي سعيد غلط في هذه الرواية ؛ لأن الأشيبه  
 بقول ابن العباس : « فعاد إلى أن راجع الوصل صاغراً » قوله :

كم قد تجرعت من غيظ ومن حزن إذا تجدد حزن هون الماضي  
 وكم سخطت وما باليتم سخطي حتى رجعت بقلبٍ ساخطٍ راضٍ  
 وأنشد له :

لمن لا أرى أعرضت عن كل من أرى وصيرت على قلبي رقيباً لقاتله  
 أدافعه عن سلوة وأردته حياء إلى أوصابه وبلا بلة  
 وقال في هذا النحو :

وأنت هوى النفس من بينهم وأنت الحبيب وأنت المطاع  
 وما بك إن بعدوا وحدة ولا معهم إن بعدت اجتماع  
 وقال الطائي :

إذا جئت لم أحزن لبعد مفارق وإن غبت لم أفرح بقرب مقيم

(١) في نسخة « أن تستدام دماؤها » (م)

(٢) أعتباً : فعل ما يزول معه العتب (م)

فيا ليتني أفديك من غُرْبَةِ النوى بكلِّ أخ لي وأصلٍ وحميم  
وأصل هذا من قول مالك بن مسمع للأحنف بن قيس : « ما أشتاق للغائب  
إذا حَضَرْتَ ، ولا أنتفع بالحاضر إذا غِثْتَ » .

وقال إبراهيم بن العباس :  
تَدَانَتْ بِقَوْمٍ عَنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ      وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دَنَوِ مَزَارِهَا<sup>(١)</sup>  
وَإِنَّ مُقِيمَاتِ بَمَنْعِجِ اللَّوَى      لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارُهَا  
وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ يَنْفَعُ ضَوْؤُهَا      بَعِيداً نَأَى عَنْهَا وَيُحْرِقُ جَارُهَا  
كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ النَّظَارِ الْفَقْعَسِيِّ :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ      دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوُهَا وَسَمَاءُ  
أَلَا إِنَّمَا بَعْدُ الْخَلِيلِ وَقُرْبُهُ      إِذَا هُوَ لَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِ سَوَاءُ  
وَقَوْلُهُ : « وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ » كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

أَحْرَمَ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ      نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا  
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ      تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ  
وقال إبراهيم بن العباس :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ عَمِي      وَأَخَذَ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ  
وَإِنِ الْفَيْتَنِي حُرّاً مُطَاعاً      فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ  
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِي      وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ

[ رثاء مصلوب ]

قال العقيلي يَرِثُنِي صَدِيقًا لَهُ أَخَذَ فِي خَرَبَةٍ<sup>(٢)</sup> فَقَتَلَ وَصَلَبَ :  
لَعَمْرِي لَنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مَشْدَبٍ      طَوِيلٍ تُعَقِّيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ

(١) في ديوان إبراهيم بن العباس « دنت بأناس » والتثاني : البعد ، وشط : بعد (م)

(٢) في نسخة « أخذ في جزية » وفي أخرى « في خزية » (م)

لقد عشتَ مبسوطَ اليدين مرزاً      وعُوفيتَ عند الموت من ضَغْطَةِ القبرِ  
وأُفْلِتَ من ضيقِ الترابِ وَغَمِّهِ      ولم تفقد الدنيا ؛ فهل لك من شُكْرِ  
فما تشتفى عيناى من دائمِ البُكْيِ      عليك ، ولو أنى بكيتُ إلى الحشرِ  
فَطُوبَى لمن يبكى أخاه مُجَاهِراً      ولـسكنى أُنْـبكى لفقدك فى سِـثْرِ

[كلام لا يحتمل الجواب]

وكتب محمد بن كثير إلى هارون الرشيد :

يا أمير المؤمنين ؛ لولا حظ كرم الفعل فى مَطالِعِ السؤال ، لألهى المطل  
من محمد بن      كبير إلى الرشيد  
قلوبَ الشاكِرين ، ولصرف عيونَ الناظرين إلى حسنِ المحبة ، فأنى الحالين  
يُبْعِدُ قولَكَ عن مجازِ فعلِكَ ؟

فقال هارون الرشيد : هذا الكلامُ لا يحتمل الجواب ؛ إذ كان الإقرار  
به يمنعُ من الاحتجاج عليه .

[تعجيل الإحسان]

وقال يحيى بن أكرم للمأمون يذكر حاجة له قد وعده بقضاها ، واغفل  
بين المأمون      ويحيى بن أكرم  
ذلك :

أَنْتَ يا أمير المؤمنين أكرمُ من أن نعرِّضَ لك بالإستعْجاز ، وننايلك  
بالأدْكار ، وأنت شاهدى على وَعْدِكَ ، وأن تأمر بشئ لم تتقدَّمْ أيامه ، ولا يقدر  
زمانه ، ونحن أضعفُ من أن يستولى علينا صبرُ انتظارِ نعمتك ، وأنت الذى  
لا يؤوده<sup>(١)</sup> إحسان ، ولا يُعْجزُهُ كرم ؛ فعجِّلْ لنا يا أمير المؤمنين ما يزيدك كرمًا ،  
وتردادُ به نعمًا ، وتلقاه بالشكر الدائم .

فاستحسن المأمون هذا الكلام ، وأمر بقضاء حاجته :

قدم على المأمون رجلٌ من أبناء الدهاقين وعظائهم ، من أهل الشام ، على  
من بنى      الدهاقين  
عِدَّة سلفت له من المأمون<sup>(٢)</sup> ، من تَوَلَّيته بلديهِ ، وأن يضمَّ إليه مملكته ، فطال على

(١) لا يؤوده : لا يعجزه ولا يضعفه (م) (٢) عدة : وعد ، وسلفت : مضت (م)

الرجل انتظارُ خروجِ أمير المؤمنين بذلك ، فقصد عمرو بن مسعدة وسأله إيصالَ رقعةٍ إلى المأمون من ناحيته ، فقال : اكتب بما شئت فإني موصِّله ، قال : فتولَّ ذلك عني ، حتى تكون لك نعمتان . فكتب عمرو :

إن رأى أمير المؤمنين أن يَفكَّ أسرَ عِدَّتِهِ من رِبْقَةِ المَطلِ ، بقضاء حاجة عبيده ، والإذن له بالانصراف إلى بلده ، فعل مَوْفَقًا .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرو ، وجعل يعجب من حُسن لفظها ، وإيجازِ المراد فيها ، فقال له عمرو : فما نتیجتُها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتابة له في هذا الوقت بما سأل ؛ لئلا يتأخَّرَ فَضْلُ استحساننا كلامه ، وبجائزة تنفي دناءة المَطل . ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظمُ الناسِ أجراً ، وأنهبهم ذِكْراً ، من لم يرضَ بحياةِ العَدْلِ<sup>(١)</sup> في دولته ، وظهورِ الحِجَّةِ في سلطانه ، وإيصالِ المنافع إلى رُعيَّته في حياته ، حتى احتالَ في تخليدِ ذلك في الغابرين بعده ، عنايةً بالدين ، ورحمةً بالرَّعية ، وكفايةً لهم من ذلك مالو عنوا باستنباطه لكان يعرض أحد الأمرين ، إما الإلكداء<sup>(٢)</sup> عن إصابة الحق فيه لكثرة ما يعرض من الالتباس ، وإما إصابة الرأي بعد طول الفكر ، ومقاساة التجارب ، واستغلاق كثير من الطرق إلى دَرَكه ؛ وأسعد الرُّعاة من دامت سعادة الحق في أيامه ، وبعْدَ وفاته وانقراضه .

### [ فضل الإيجاز ]

وقال رجل لسويد بن منجوف ، وقد أطلال الخطبة بكلام افتتحه للصالح بين قومٍ من العرب :

« يا هذا ؛ أتيت مرعىً غيرَ مرعاك ، أفلا أدلك عليه ؟ قال : نعم . قال :

(١) في نسخة « بموت العدل » (م)

(٢) في نسخة « أما السكد » (م)

قل : « أما بعد ، فإنّ في الصلح بقاء الآجال ، وحفظ الأموال ، والسلام » .  
فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا الترات<sup>(١)</sup>

[ أبو مسلم ]

قال عبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup> : لما أمر أبو مسلم بمحاربة عبد الله بن علي<sup>(٣)</sup> دخلت عليه . فقلت : « أيها الأمير ، تريد عظيماً من الأمر » ؟ قال : وما هو ؟ قلت : عم أمير المؤمنين وهو شيخ قومه ، مع نجدة ، وبأس ، وحزم ، وحسن سياسة . فقال لي : يا ابن شبرمة ، أنت بحديث تعلم معانيه ، وشعرٍ توضح قوافيه ، أعلم منك بالحرب ؛ إن هذه دولة قد اطردت أعلامها ، وامتدت أيامها ، فليس لناؤها والطامع فيها يدّ تنيله شيئاً من الوثوب عليها ، فإذا ولت أيامها فدع الوزغ بذنبه فيها .

قال بعض حكماء خراسان : لما بلغني خروج أبي مسلم أتيت عسكره لأنظر إلى تدبيره وهيبته ، فأقت فيه أياماً ، فبلغني عنه شدة عجب ، وكبر ظاهر ، فظننت أنه تحلّى بذلك لعمى فيه أراد أن يستتره بالصمت ، فتوصلت إليه بحيث أسمع كلامه ، وأغيب عن بصره ، فسلمت فردّ رداً جميلاً ، وأمر بإدخال قوم يريد تنفيذهم في وجه من الوجوه ، وقد عقدوا لرجل منهم لواءً ، فنظر إليهم ساعة متأملاً لهم ، وقال : افهموا عني وصيتي إياكم ؛ فإنها أجدى عليكم من أكثر تدبيركم ، وبالله توفيقكم . قالوا : نعم أيها السالار ، ومعناه السيد بالفارسية ، فسمعتُه يقول ، ومترجم يحكي كلامه بالفارسية لمن عبّر له منهم بالعربية : « أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها سبب الظفر ، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزمو الطاعة فإنها حصن الحارب ، وعليكم بعصبة الأشراف ، ودعوا عصبية الدناءة ؛ فإن الأشراف تظهر بأفعالها ، والدناءة بأقوالها » .

(١) الترات : جمع ترة ، وهي - بوزن عدة - الثأر (م)

(٢) في نسخة «عبد الله بن شبرمة» (م) (٣) خرج عبد الله بن علي حين مات السفاح وولى الخلافة أبو جعفر المنصور في سنة ١٣٧ .

من أوصاف  
أبي مسلم

وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال : بمثل أبي مسلم يُدرك ثار ، ويُنفى عار ، ويُؤكد عهد ، ويُبرم عقد ، ويسهل وعر ، ويُخاض غمر ، ويُقلع ناب ، ويُفتح باب .

### [ حساب ]

وقال رجل لأبي جعفر المنصور : أين ما تحدث به في أيام بني أمية ؟ إن الخلاف إذا لم تقابل بإنصاف المظلومين ، ولم تعامل بالعدل في الرعية . وقسمة النية بالسوية ، صار عاقبة أمرها يواراً ، وحقاً بولائها سوء العذاب .  
قال : فتنفس ثم قال : قد كان ما تقول ، ولسكننا يا أخى استعجأنا الفانية على الباقية ، وكأن قد انقضت هذه الدار . فقال له الرجل : فانظر على أى حالة تنقضى .

وقال أبو الدوانيق وكان فصيحا بليغا : « عجباً لمن أصر عليه غرضاً ليسها م الخطايا ، وهو عارفٌ بسرِّ عَةِ المنايا ، اللهم إن تقض للمسيئين <sup>(١)</sup> صفحاً فاجعلنى منهم ، وإن تهب للظالمين فسحاً فلا تحرمنى ما يتطوّل به المولى على أخسّ عبيده » .

### [ من كلام الأحنف بن قيس ]

سُئِلَ الأحنف بن قيس عن العقل ؟ فقال : رأس الأشياء ؛ فيه قوامها ، وبه تمامها ؛ لأنه سراجٌ ما بطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجسد <sup>(٢)</sup> ، وزينة كل أحد ، لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .

الأحنف ابن  
قيس يصف  
العقل

ولما خطب زياد خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس ، فقال : الفرس بشدّه ، والسيف بجده ، والمرء بجده ، وقد بلغ بك جدك ما أرى ، وإنما الثناء بعد البلاء ، فإننا لا نُثْنِي حتى نَبْلُو <sup>(٣)</sup>

(١) فى نسخة « إن تقض للمسلمين » (م) (٢) فى نسخة « وسائس الجسد »

تطبيع (م) (٣) البلاء : الاختبار ، بلاء يبلوه : اختبره (م)

[ مما كتبه ابن الزيات ]

وكتب ابن الزيات عهدَ الواثق على مكة بحضرة المعتصم : أما بعد ، فإن  
أمير المؤمنين قد قلَّدك مكة وزمزم ، تُراثَ أبيك الأقدم ، وجدِّك الأكرم ،  
وركنَ جبريل<sup>(١)</sup> ، وسقياً إسماعيل ، وحَفَرَ عبد المطلب ، وسقاية الحارث ، فعليك  
بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .

وكتب : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة  
عليه ، وزيادة منتظرة له ، ثم قال لحمد بن رباح : كيف ترى ؟ قال : كأنهما  
قرطان بينهما وجه حسن ، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمرَ الحرَم بتعظيم وتفخيم  
ألفاظ لأهل المصر في التهئة بالحج ، وتفخيم [ أمر ] الحرم  
و [ تعظيم ] أمر المناسك والمشارع ، وما يتص بها من الأدعية

قصَد البيت العتيق ، والمطاف الكريم ، والملتزم النبى ، والمستلم الزية .  
[ وقف بالمعرف العظيم ، وورد زمزم والحطيم ] . حَرَّمَ الله الذى أوسع للناس  
كرامة ، وجعله لهم مثابة<sup>(٢)</sup> ، وللخليل خطة ، وللذبيح خلة ، ولحمد صلى الله عليه وسلم  
قبلة ، ولأُمَّته كعبة ، ودعا إليه حتى لبي من كل مكان سحيق ، وأسرع  
نحوه من كل فج عميق ، يعودُ عنه مَنْ وَفَّق وقد قبلت توبته ، وغُفرت  
حَوْبته<sup>(٣)</sup> ، وسعدت سفرته ، وأنجحت أَوْبته ، ومُجد سعيه ، وزكا حجته ، وتقبل  
عِبه ونَجته<sup>(٤)</sup> . انصرف مولاى عن الحج الذى انتضى له عزَّأمة ، وأنضى فيه  
رَواحله ، وأتمب نفسه بطلب راحتها ، وأنفق ذخائره بشراء سعة الجنة وساحتها ؛  
فقد زكَّت إن شاء الله تعالى أفعاله وتقبَّلت أعماله ، وشكر سعيه ، وبلغ هديه .

(١) يروى أن جبريل - عليه السلام - ضرب بقر زمزم فأنبط  
الماء (م) (٢) مثابة : أى مكانا يعود إليه من خرج منه (م)  
(٣) الحوبة - بالفتح - الذنب (م) (٤) العج : رفع الصوت بالتلبيه ، والتج :  
إراقة دم الهدى (م)

قد أسقطتَ عن ظَهْرِكَ النِّقْلَ العَظِيمَ ، وشَهِدْتَ المَوْفِقَ الكَرِيمَ ، ومَحَصْتَ عن  
نَفْسِكَ بالسَّعْيِ مِنَ الفَجِّ العَمِيقِ ، إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ . حَمْدًا لِمَنْ سَهَّلَ عَلَيْكَ قَضَاءَ  
فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، وَرُؤْيَا الشَّعَرِ وَالْمَقَامِ ، وَبَرَكَاتِ الْأَدْعِيَةِ وَالْمَوْسَمِ ، وَسَعَادَةِ أَفْنِيَةِ  
الْحَطِيمِ وَزَمَنِ قَصْدِ أَكْرَمِ الْمَقَاصِدِ ، وَشَهِدَ أَشْرَفَ الْمَشَاهِدِ ؛ فَوَرَدَ مَشَارِعَ  
الْجَنَّةِ ، وَخَيَّمَ بِمَنَازِلِ الرَّحْمَةِ . وَقَدْ جُمِعَتْ مَوَاهِبُ اللَّهِ لَدَيْكَ : فَالْحَجَّ أَدَيْتَ فَرَضَهُ ،  
وَحَرَّمَ اللَّهُ وَطِئْتَ أَرْضَهُ ، وَالْمَقَامَ الْكَرِيمَ قُمْتَهُ ، وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ اسْتَلَمْتَهُ ،  
وَزُرْتَ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشَافَهًا لِمَشْهَدِهِ ، وَمَشَاهِدًا لِمَسْجِدِهِ . وَمُبَاشِرًا  
بِأَيْدِيهِ وَمَحْضَرَهُ . وَمَاشِيًا بَيْنَ قَبْرِهِ وَمَنْبَرِهِ ، وَمَصْلِيًا عَلَيْهِ حَيْثُ صَلَّى ، وَمَتَقَرِّبًا إِلَيْهِ  
بِالْقُرَابَةِ الْعَظْمَى ، وَعَدْتَ وَسَعَيْكَ مَشْكُورًا ، وَذَنْبُكَ مَغْفُورًا ، وَتِجَارَتَكَ رَاجِحَةً ،  
وَالْبَرَكَاتِ عَلَيْكَ غَادِيَةً وَرَاحِمَةً . تَلَقَّى اللَّهُ دَعَاكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاسْتَغْفَارَكَ بِالرَّضَا ،  
وَأَمَلَكَ بِالنُّجْحِ ، وَجَعَلَ سَعْيِكَ مَشْكُورًا ، وَحُجَّتَكَ مَبْرُورًا . عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى  
مَوْلَايَ مِنْاهِجَ مَا نَوَاهُ ، وَقَصْدَهُ وَتَوَخَّاهُ ، مَا يَسْعِدُهُ فِي دُنْيَاهُ ، وَيُحْمَدُ عُقْبَاهُ .

[ مِنْ شَعْرِ قَطْرَى بْنِ الْفُجَّاءِ ]

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَتَيْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ وَمَعِيَ شَعْرُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ ، فَقَالَ لِي : مَا مَعَكَ ؟  
قُلْتُ : شَعْرُ عُرْوَةَ ، قَالَ : شَعْرُ فَقِيرٍ ، يَحْمِلُهُ فَقِيرٌ ، لِيَقْرَأَهُ عَلَى فَقِيرٍ ! قُلْتُ : مَا مَعِيَ  
[ شَعْرٌ ] غَيْرُهُ ؟ فَأَنْشَدَنِي أَنْتَ مَا شِئْتُ ، فَأَنْشَدَنِي :

يَا رَبُّ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهِ      مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ<sup>(١)</sup>  
وَرَبَّ يَوْمٍ حَتَّى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ      حَيْلِي اقْتَسَارًا وَأَطْرَافُ الْقَنَا قِصْدُ<sup>(٢)</sup>  
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلِّ بِهِ      لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَغَى وَنَارُهُ تَقْدُ

(١) العقاب ، هنا : الراية ، وتجتلد : يجالده بعضها بعضا (م)

(٢) العقوة - بالفتح - الساحة والمحلة ، وقصد : جمع قصدة - بالكسر - وهي  
القطعة مما يكسر (م)



مُشْتَهراً مَوْفِقِي والحربُ كاشِفَةٌ عنها القناعَ وبحرُ الموتِ يَطْرُدُ  
 وربُّها جِرَّةٌ تَفْلِي مَراجِلُها مَخْرَتُها بِمِطْلَايا غَارَةٍ تَخِدُ<sup>(١)</sup>  
 تَجْتَابُ أوديةَ الأفْزاعِ آمِنَةً كأنها أُسْدٌ يصطادُها أُسْدُ  
 فإن أُمْتُ حَتَفَ أنقى لا أُمْتُ كدأً على الطعانِ وقَصُرُ العاجِزِ الكَمَدُ<sup>(٢)</sup>  
 ولم أقل لم أساقِ الموتِ شاربَةٌ في كَأْسِهِ والمنايا شُرْعٌ وُردُ  
 ثم قال : هذا والله هو الشعر ، لا ما يتعلَّون به من أشعار الخناثين .

والشعرُ لَقَطْرِي بن الفجاءة المازني ، وكان يُسكني في السلم أبا محمد ، وفي  
 الحرب أبا نَعَامَةٍ ، وكان أطولَ الخوارج أياماً ، وأحدهم شوكة ، وكان شاعراً  
 جواداً ، وهو القائل أيضاً :

لا يركنن أحدٌ إلى الإحجام يوم الوغى متهيباً لِحِجامِ  
 فلقد أراي للرماحِ دريئةً من عن يميني تارةً وأمامي  
 حتى خضبتُ بما تحذر من دمي أكنافَ سَرَجِي أو عِنانَ لِحامِي  
 ثم انصرفتُ وقد أصبت ولم أصب جَذَعَ البصيرة قارِحَ الإقدام

[ من جَيْدِ اللدِّيح ]

وقال المسيب بن علس :

المسيب  
 ابن علس

تبَّيت الملوكة على عَتَبِها وشيخان إن غضبت تعتب  
 وكالشهد بالراح ألقاظهم وأخلاقهم منها أعذب  
 وكالمسك تُرْبُ مقاماتهم وترَبُّ أصولهم أطيبُ  
 وقال آخر :

اذكر مجالس من بنى أسد بعدوا فحنَّ إليهم القلبُ  
 الشرق منزلهم ، ومَنزِلُنَا غَرَبٌ ، وأين الشرق والغرب ؟

(١) المهاجرة : الوقت نصف النهار ، ومخرتها : قطعها ، وتخذ : مضارع وخذ

في سيره ، إذا أسرع (م) (٢) قصره كذا وقصاراه : أى غاية ما يطلب (م)

من كل أبيض جُل زينتَه      مسكٌ أحمٌ وصارم عَضْبُ<sup>(١)</sup>  
ومدججٌ يَسْمَى لِنَارَتِهِ      وعقيرةٌ بفنائِه تَحْبُو<sup>(٢)</sup>  
آخِر:

رَأَيْتُكُمْ بَقِيَّةَ آلِ حَرْبٍ      وَهَضْبَتَهَا الَّتِي فَوْقَ الْهَضَابِ  
تُبَارُونَ الرِّيحَ نَدَى وَجُوداً      وَتَمْتَلُونَ أَفْـالَ السَّحَابِ  
مَذَكَّرَنِي مَقَامِي الْيَوْمَ فَيْكُمْ      مَقَامِي أُمْسٍ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ

[ بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد ]

كتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

أكره — أطل الله بقاءك ! — أن أضعك ونفسي موضع العذر والقبول ،  
فيكون أحدنا معتذراً مقصراً ، والآخر قابلاً متفضلاً ، ولكن أذكر  
ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلّف من قلة الضبر ، وأسأل الله تعالى أن  
يوفقك وإيانا لما يكون منه عقبى الشكر

فأجابه : وصل كتابك — أكرمك الله تعالى ! — الحاضر سروره ،  
للطيف موقعه ، الجميل صدوره ومؤرّده ، الشاهد ظاهره على صدق باطنه ،  
ونحن — أعزك الله — نجعل جزاءك حسن الاعتراف بفضلك ، ومجاراتك التقصير  
دونك ؛ ونرى أن لا عُذر في التخلّف عنك ، وإن حالت الأشغال بيننا وبينك .  
وإن كنت ساحت في العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ، فلا  
زلت على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ؛ ولقد التقينا قبل وصول كتابك  
لقاءً أحدث وطراً ، وهاج شوقاً ، وأرجو أن تتسم لنا الجمعة بما ضاقت به الأيام ؛  
فننال حظاً من محادثتك والأنس بك

(١) الصارم : السيف . والعَضْب : القاطع ، وفي نسخة «وعارض هضب» (م)

(٢) في نسخة «وعقيرة تنثابه يحبو» (م)

[ منزله سعيد بن حميد ]

ولسعيد بن حميد حلاوة في منظومه ومنشوره ، لكنه قليل الاختراع ، كثير الإغارة على من سبقه ؛ وكان يقال : لو رجع كلام كل أحد إلى صاحبه لبقي سعيد ابن حميد ساكناً .

وفيه يقول أبو علي البصير :

رأس من يدعي البلاغة مني ومن الناس ، كلهم في حيرامة  
وأخونا ولست أكني سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه  
هذا المعنى ينظر إلى قول منصور الفقيه وإن لم يكن منه :

تضييق به الدنيا فينهض هاربا إذا نحن قلنا : خيرنا البازل السمع  
فإن قيل : من هذا الشقي ؟ أقل لهم على شرط كتمان الحديث : هو الفتاح  
وكان سعيد يهوى فضل الشاعرة ؛ فعزم مرة على سفر ، فقالت له :

كذبني الود أن صاحت مرتحلا كف الفراق بكف الصبر والجلد  
لا تذكر الهوى والشوق لو فجمت بالشوق نفسك لم تصبر على البعد  
وكان سعيد عند بعض إخوانه ، فنهض منصرفا وأخذ بمضادتي الباب ،  
وأنشأ يقول :

سلام عليكم ، حالت الكأس بيننا وولت بنا عن كل رأى ومسمع  
فلم يبق إلا أن يصابحنى الكرى فيجمع سكرأ بين جسمي ومضجعي  
وقال [ سعيد ] :

أرى السن الشكوى إليك كليلة وفيهن عن غير الثناء فتور<sup>(١)</sup>  
تقيم على العتب الذي ليس نافعاً وليس لها إلا إليك مصير  
وما أنت إلا كالزمان تلونت نواب من أحداه وأمور  
فإن قل إنصاف الزمان وجوده فمن ذا على جور الزمان يحيد

\*\*\*

(١) كليلة : ضعيفة متعبة ، وقوله « غير الثناء » وقع في مكانه « عين الثناء » (م)

## [ من السرقات الشعرية ]

أما قوله :

\* تقيمُ على العتبِ الذي ليس نافعاً \*

فمن قول المؤمل :

لا تغضبنَّ على قوم تحبهمُ      فليس منك عليهم ينفعُ الغضبُ  
يا جأزِينَ علينا في حُكومتهم      والجورُ أقبحُ ما يؤتى ويرتكبُ  
لسنا إلى غيركم منكم نفرًا إذا      جرتم، ولكن إليكم منكم الهربُ

وأول من تبه على هذا المعنى النابغة الذبياني في قوله للنعمان بن المنذر .

فإنك كالليل الذي هو مُدرِكِي      وإن خِلْتُ أنَّ المُنْتأَى عنك واسع  
خَطَاطِيفُ حُبْنٍ في حبال متينة      تمدُّ بها أيدٍ إليك نوازِع  
سرقه أشجع السلمي فقال لإدريس بن عبد الله بن الحسين بن علي ، وقد

بعث إليه الرشيد من أغتاله في المغرب :

أتظنُّ يا إدريس أنك مُفِلِتٌ      كَيْدَ الخلافة أو يقيقك حِذَارُ  
إنَّ السيوفَ إذا انتضاها عَزَمُهُ      طالتْ ، وتقصّر دونها الأعمارُ  
هيهات إلّا أن تحُلَّ ببلدٍ      لا يهتدى فيها إليك نَهَارُ

وقال سلم الخاسر يعتذر إلى المهدي :

إني أعز بخير الناس كلهم      وأنت ذاك لما يأتى ويحْتَبُ  
وأنت كالدهرِ مبثوثا حباثله      والدهرُ لا ملجأ منه ولا هَرَبُ  
ولو ملكْتَ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرَفُهُ      في كل ناحية ما فاتك الطَّلَبُ  
فليس إلّا انتظاري منك عارِفَةً      فيها من الخوفِ مَنجاةٌ ومُنْقَلَبُ

وقول سلم :

\* ولو ملكْتَ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرَفُهُ \*

كأنه من قول الفرزدق للحجاج :

ولو حملتني الريح ثم طلبتني  
لكنك كمود أدركته مقادير<sup>(١)</sup>

وقول علي بن جبلة لحמיד الطوسي :

وما لأمري حاولته منك مهرب  
ولو رفعت في السماء المطالع

أخذه البحتري فقال :

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم  
محرة فكانهم لم يسلبوا

فلو أنهم ركبوا السكواكب لم يكن  
ليجيرهم من حد بأسك مهرب

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في نحو قول النابغة :

وإني وإن حدثت نفسي بأنني  
أفوتك إن الرأي مني لعازب

لأنك لي مثل المكان المحيط بي  
من الأرض لولا استنصتني للذاهب

وأما قول سعيد : \* وما أنت إلا كالزمان \* والبيت الذي يليه ، فكانه

ألم فيه بقول شمعل الثعلبي وإن لم يكن المعنى بنفسه :

أمن جذبة بالرجل مني تباشرت  
عدائي ، ولا عتب علي ولا هجر

فإن أمير المؤمنين وقلله  
لكالدهر ، لا عار بما صنع الدهر

وقال رجل من طي<sup>١</sup> وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل

قتل رجلا اسمه زيد فأقاد منه السلطان ، فقال الطائي يفتخر على الأسديين :

علا زيدا يوما الحمى رأس زيدكم  
بأبيض مشحوذ الغرار يماي<sup>(٢)</sup>

فإن تقتلوا زيدا بزید فإنما  
أقادكم السلطان بعد زمان

وقول الثعلبي مأخوذ من قول النابغة ، وهو أول من ابتكره :

وعيرتني بنو ذبيان خشيتهم  
وما علي بأن أخشاك من عار

(١) في نسخة «وأن لوركبت الريح» وفي نسخة أخرى «لكنك كشيء أدركته

مقادره» (م) (٢) حفظى «بأسض ماضى الشفرتين يمان» (م)

ومن جيد شعر سعيد بن حميد :

أهابُ وأستحي وأرقبُ وعدهُ      فلا هو يبداني ولا أنا أسألُ  
هو الشمسُ مجراها بعيدُ وضوهِها      قريبُ ، وقلبي بالبعيدِ موكلُ  
وهذا المعنى وإن كان كثيراً مشهوراً فما يكادُ يداني في الإحسان فيه .

وقد قال أبو عيينة :

غزَتني جيوشُ الحبِّ من كلِّ جانب      إذا حان من جُنْدٍ قفولُ غزَا جُنْدُ  
أقول لأصحابي : هي الشمسُ ، وضوهِها      قريبُ ، ولكن في تناوُلِها بُعدُ  
وقال العباس بن الأحنف :

هي الشمسُ مسكنُها في السماء      فعزَّ الفؤادُ عزاءَ جميعِها  
فلنُستطيعَ إليها الصمودَ      وإنْ تستطيعَ إليك النزولُ  
وقال البحتري :

دنوتَ تواضعاً وعَلَوْتَ قَدراً      فشأنك انحدارُ وارتفاعُ  
كذلك الشمسُ تبعُدُ أنْ تداني      ويدنو الضوهُ منها والشعاعُ  
وقال ابن الرومي :

وذخَرَتْهُ للدهرِ أغلُمُ أنه      كالدهرِ فيه لمن يؤولُ مآلُ  
ورأيتُه كالشمسِ إنْ هي لم تَلُ      فالنورُ منها والضياءُ يُنالُ  
وقال المتنبي :

بيضاءُ تُطمعُ فيما تحت حُلَّتِها      وعزَّ ذلك مطلوباً لمن طلبها  
كأنها الشمسُ يُغيي كَفَّابِضِها      شعاعُها وتراه العينُ مقربا

وقال سعيد بن حميد ، ويروى لفضل الشاعرة :

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً      عني بذلك الرضا بمغتيطٍ  
 علماً بأن الرضا سـيـتـبـعـه      منك التجنى وكثرة السخطِ  
 فكلُّ ما ساءني فعن خلقٍ      منك وما سرّني فعن غلطِ

وفي هذا المعنى يقول أبو العباس الهاشمي من ولد عبد الصمد بن علي، ويُعرف بابي العبر .

أبكي إذا غضبتُ، حتى إذا رضيتُ      بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغضبِ  
 فالموت إن غضبتُ، والموت إن رضيتُ      إن لم يرُ حني سلو عشتُ في تعبِ

وقال العباس بن الأحنف :

إذا رضيت لم يهني ذلك الرضا      لصحة علمي أن سيتبعه عتبُ  
 وأبكي إذا ما أذنبتُ خوف عتبيها      فأسأله مرضاتها ولها الذنبُ  
 وصالكُم هجرٌ، وقرانكم قلى      وعطفكم صدفٌ وسألكُم حربُ  
 وأتم بحمد الله فيكم فظاظه      وكل ذلولٍ من أموركم صعبُ<sup>(١)</sup>

وقال :

قد كنتُ أبكي وأنت راضيةٌ      حذارَ هذا الصدود والغضبِ  
 إن تمّ ذا الهجرُ يا ظلوم ولا      تمّ فإلى في العيش من أربِ<sup>(٢)</sup>  
 وما أحسن قول القائل :

وما في الأرض أشقى من محبة      وإن وجد الهوى حلواً للذائقِ  
 تراه باكياً في كل حينٍ      مخافةً فرقةٍ أو لاشتياقِ<sup>(٣)</sup>  
 فيبكي إن نأوا حذراً عليهم      ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ

(١) ذلول : سهل المقادة ، وصعب : أي يعسر قياده ، وأصله في الخيل والإبل (م)

(٢) الأرب - بالتجريك - المقصد (م) (٣) يروى « في كل حال » (م)

وَتَسَخَّنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسَخَّنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

\*\*\*

[الاقْتَبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ]

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ: إِذَا نَزَعْتُ فِي كِتَابِي <sup>(١)</sup> بَايَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أُرَتِ إِظْلَامُهُ ، وَزَيَّنْتُ أَحْكَامَهُ ، وَأَعَذْتُ كَلَامَهُ .

أُمَثَالٌ لِلْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْعَامَةِ وَمَا يَنَائِلُهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى  
إِنَّمَا هُوَ أَجَلٌ مِنْهَا وَأَعْلَى [ أَخْرَجَهَا أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْمَلِكِ الثُّعَالِبِيُّ  
قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » ، وَفِي الْقُرْآنِ :  
« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ » .  
وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ يَعْتَرِ غَيْرَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ : « عَتِرَ بِجَيْرٍ مُجَرَّهٍ وَنَسِيَ بِجَيْرٍ  
خَبَرَهُ <sup>(٢)</sup> » ، وَفِي الْقُرْآنِ : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ » .  
وَفِي مُعَاوَدَةِ الْعُقُوبَةِ عِنْدَ مُعَاوَدَةِ الذَّنْبِ : « إِنْ عَادْتَ الْعُقُوبَ عُدْنَا لَهَا »  
وَفِي الْقُرْآنِ : « وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا » . « وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ » .  
وَفِي ذَوْقِ الْجَانِي وَبَالَ أَمْرِهِ : « يَذَّاكَ أَوْ كَتَا » ، وَفِي الْقُرْآنِ :  
« ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ » .

وَفِي قُرْبِ الْغَدِّ مِنَ الْيَوْمِ قَوْلُ الشَّاعِرِ \* وَإِنْ غَدًا لِنَظَاظِرِهِ قَرِيبٌ \* وَفِي  
الْقُرْآنِ : « أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » .  
وَفِي ظَهْرِ الْأَمْرِ : « قَدْ وَضَحَ الْأَمْرُ لَدَى عَيْنَيْنِ » ، وَفِي الْقُرْآنِ : « الْآنَ  
حَصَّصَ الْحَقُّ » .

وَفِي الْإِسَاءَةِ إِلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ الْإِحْسَانَ : « أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً ، فَإِنْ أَبَى فَجَمْرَةً » .

(١) فِي نَسْخَةٍ « إِذَا بَرَعْتَ فِي كِتَابِكَ » (م)

(٢) هَذَا مِثْلٌ ، يَضْرِبُ لِمَنْ يَعْتَرِ غَيْرَهُ بِالَّذِي هُوَ فِيهِ (م)



وفي القرآن : « ومن يَعِشْ عن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » .  
وفي قِوَتِ الأَمْرِ : « سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ » ، وفي القرآن العظيم : « قُضِيَ  
الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » .

وفي الوصول إلى المراد بِبَذْلِ الرغائب : « من يَنْكحِ الحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا »  
وفي القرآن : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » .  
وفي منع الرجل مُرَادَه :

\* وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْمَيْرِ وَالنِّزْوَانِ <sup>(١)</sup> \*

وفي القرآن : « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ » .

وفي تَلَاْفِي الإِسَاءَةِ : « عَادَ غِيْثٌ عَلَى مَا أَفْسَدَ » ، وفي القرآن : « ثُمَّ بَدَّلْنَا  
مَكَانَ السَّيْئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا » .

وفي الاختصاص : « كل مقام بمقال <sup>(٢)</sup> » . وفي القرآن « لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ » .

العجم : « من أَحْتَرَقَ كُدْسَه تَمْنَى إِحْرَاقَ أَكْدَاسِ النَّاسِ <sup>(٣)</sup> » ، وفي القرآن :  
« وَذُؤُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً » .

العامة : « مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بُئْرًا وَقَعَ فِيهَا » ، وفي القرآن : [ ولا يَحْقِيقُ الْمَسْكِرُ  
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » .

ومن الشعر :

يَكُلُّ أَمْرِيءَ يَشْبَهُهُ فَعَلَهُ مَا يَفْعَلُ الْمَرْءُ فَهُوَ أَهْلُهُ

وفي القرآن : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ » .

العامة : « كل البقل ولا تسأل عن الْمُبْقَلَةِ » .

وفي القرآن : « لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ » .

(١) هذا عجز بيت من كلام صخر بن عمرو أخى الحنساء ، من أبيات يقولها في  
امراته ، وصدره قوله : \* أَمْ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أُسْتَطِيعَ \* (م)

(٢) في نسخة « وفي اختصاص كل مقام بمقال : لكل مقام مقال » (م)

(٣) السكس - بوزن رطب أو بوزن حمل - الكومة من الطعام أو التمر أو  
الدراهم (م)

شعر :

كَمْ مَرَّةً حَفَّتْ بِكَ الْمَكَارَةُ خَارَ لَكَ اللَّهُ وَأَنْتَ كَارُهُ  
 وفي القرآن : « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .  
 العامة : « المأمول خيرٌ من المأكول » ، وفي القرآن : « وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ  
 الْأُولَى » . العامة : « لو كان في اليوم خيرٌ ما سلم على الصياد » ، وفي القرآن :  
 « وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ » . المتنبي : \* مصائب قوم عند قوم فوائد \*  
 وفي القرآن : « وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا » . \* عند الخنازير تنفق العذرة \*  
 وفي القرآن : « الْحَبِيبَاتُ لِلْحَبِيبِينَ وَالْحَبِيبُونَ لِلْحَبِيبَاتِ » . العجم : « لم يرد الله  
 بالحملة صلاحاً إذ أنبت لها جناحاً » ، وفي القرآن : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا  
 أخذناهم بغتة » . العامة : الكلب لا يصيد كارها ، وفي القرآن : « لَا إِكْرَاهَ  
 فِي الدِّينِ » . العجم : « كل شاة تناط برجلها » ، وفي القرآن : « كل نفس  
 بما كسبت رهينة » .

### جملة من مكاتبات [ بعض ] أهل العصر

أبو القاسم محمد بن علي الإسكافي عن الأمير نوح بن نصر وعن ابنه  
 عبد الملك لأبي طاهر وشكير بن زياد يشكره على حميد سيرته :  
 مَنْ حَمَدَنَاهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَعْيَانِ الْمَلَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ افْتِخَارُهَا ، وَأَعْوَانِ  
 الدَّوْلَةِ الَّذِينَ بِهِمْ اسْتِظْهَارُهَا ، بِخَلَّةٍ يَنْزِعُ فِيهَا مَنْ خِلَالِ<sup>(١)</sup> الْفَضْلِ ، وَخَصْلَةٍ يَكْمُلُ بِهَا مَنْ  
 خِصَالِ الْعَدْلِ . وَإِنَّكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ نَحْمَدُهُ بِالْارْتِقَاءِ فِي دَرَجِ الْفَضَائِلِ ، وَالِاسْتِوَاءِ  
 فِي كُلِّ الشَّوَاكِيلِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُحَمَّدَةٍ إِلَّا وَسْهُمُكَ فِيهَا فَائِزٌ ، [ وَلَا مِنْ شِدَّةٍ  
 إِلَّا وَمَهْلُكَ<sup>(٢)</sup> فِيهَا بَارِزٌ ] ، وَذَلِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى ! - أَمْرٌ قَدْ أَغْنَى صِدْقُ خَبْرِهِ  
 عَنِ الْعِيَانِ ، وَكَفَى بَيَانُ أَثَرِهِ تَكَلُّفَ الْامْتِحَانِ ، وَلَوْ أُعْطِينَا النُّفُوسَ مُنَاهَا ،

(١) الخلة - ضم الحاء - الخصلة ، وجمعها خلال (م)

(٢) المهل - بالفتح وبكسر - العمل بسكينة ورفق وغير عجلة ، وهو أيضا النودة

والرفق (م)

وسَوْغَنَاهَا هَوَاهَا ، لأوردنا عليك في ذرور<sup>(١)</sup> كلَّ شارقٍ جديدٍ شُكْرٍ ، وجددنا لك مع اعتراض كل خاطر جميلَ ذِكر ، لكننا للعادة في تَرْكِ الهوى ، والثقة بأنك مع صالح آدابك تحلّ الأدنى من الإجماد محلّ الأوفى ، فيقضى لك بأنه - وإن عظم قدره - يسير العدد ، وعلى ماهو - وإن تناهى لفظه - باقى الفخر مدى الأبد ، وكان مما اقتضانا الآن تناولك به أخبارٌ تواترت ، وأقوال تظاهرت ، يطابق سكان الحضرة ونيسابور من أهل عملك على شُكْرِ ما يتزَيّد لهم وفيهم من موادّ عدلك ، وحسن فضلك ، حتى لقد ظلّوا ولهم في شكر ذلك محافل تُتقدّ ، ومشاهد تشهد ، يعجب بها السامعُ والرأى ، ويقترنُ بها المؤمنُ والداعى ؛ فإن هذا - أعزّك الله - حال يطيب مَسْمَعه ، ويلدّ موقعه ، حتى لقد ملأ القلوب بهجاً ، والصدور ثلجاً ، حتى استفزّها فرطُ الارتياح ، وصدّقُ الانشراح ، إلى هذا الكتاب أن أعجلناه ، وهذا الشكر أن أجزلناه . بعد ذكر لك اتصل كل الاتصال ، وأجل كل الإجمال ، وتضاعف به حظك من الرأى أضعافاً ، وأشرف محلك على كل المحال إشرافاً ، ونحن نهنيك - أعزّك الله - على التوفيق الذى قسمه الله لك ، والتيسير الذى وكلّه بك ، ونبتغى على استدامتها بصلح النية ، وبصدق البنية ، لتدنو من العدل على ما ترعى ، وتحسن الهدى فيما تتولى . فرأيتك أبداً الله تعالى فى إحلال ذلك محله من استبشار به تستكمله ، واستثمار له تعجّله [ إن شاء الله تعالى ] .

وكتب إليه يعزّيه : « إن أحقّ من سلّم لأمر الله تعالى ورضى بقدره ، حتى يمحّضَ مصطنعاً<sup>(٢)</sup> ، ويخلصَ مضطرباً ، وحتى يكون بحيث أمر الله من الشكر إذا وهب ، والرضا إذا سلب ، أنت أعزّك الله تعالى ؛ لحلك من الشكر والحجّ ، وحظك من الصبر والثنى ، ثم لما ترجعُ إليه من ثبات الجنان<sup>(٣)</sup> عند النازلة ،

(١) ذرور : طلوع ، وأراد من كل شارق الشمس ، يعنى فى طلوع كل يوم (م)

(٢) فى نسخة « حتى يحضى مصطنعاً » (م) (٣) الجنان - بوزن السحاب - العقل (م)

وقوة الأركان لعز الدولة الفاضلة ، فإنَّ لك فيها وفي سَهْمِكَ الفَازَ ، ومَهْلِكَ البارز ، عَوْضًا عن كلِّ مَرْزُوءٍ ، ودَرَكًا لكلِّ مَرْجُوءٍ ، ونَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَكَ من الشَّاكِرِينَ لِفَضْلِهِ إِذَا أَبْلَى ، والصَّابِرِينَ لِحُكْمِهِ إِذَا أَبْتَلَى <sup>(١)</sup> ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَكَ لِابْتِكَ التَّعْزِيَةَ ، وَيَقِيكَ فِي نَفْسِكَ وَفِي ذَوِيكَ الرِّزْيَةَ ، بِمَنَّةٍ وَقَدْرَتِهِ .

وله إليه : تَرَامَى إِلَيْنَا خَبَرُ مُصَابِكَ بِفُلَانٍ ؛ فَخَلَصَ إِلَيْنَا مِنَ الْإِغْتِمَامِ بِهِ مَا يَحْصُلُ فِي مِثْلِهِ مِمَّنْ أَطَاعَ وَوَفَّى ، وَخَدِمَ وَوَالَى ، وَعَلِمْنَا أَنَّ لِفَقْدِكَ مِثْلَهُ لَوُوعَةً ، وَلِلْمَصَابِ بِهِ لَذْعَةً ؛ فَأَثَرْنَا كِتَابَنَا هَذَا إِلَيْكَ فِي تَعْزِيَتِكَ ، عَلَى يَقِينِنَا بِأَنَّ عَقْلَكَ يُغْنِي عَنْ عِظَمَتِكَ ، وَيَهْدِي إِلَى الْأَوَّلَى بِشِمَتِكَ ، وَالْأَزِيدَ فِي رُتْبَتِكَ ، فَلْيُحَسِّنْ - أَعَزَّكَ اللهُ - صَبْرَكَ عَلَى مَا أَخَذَهُ مِنْكَ ، وَشُكْرُكَ عَلَى مَا بَقِيَ لَكَ ، وَلِيَتِمَّكَ فِي نَفْسِكَ مَا وَفَّرَ لَكَ مِنْ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ ، وَأَجْزَلَ مِنْ ذُخْرِ الْحَسَنِينَ ، وَلِيَرِدْ كِتَابُكَ بِمَا أَهْلَكَ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِزَاءٍ ، وَأَبْلَاكَ <sup>(٢)</sup> مِنْ جَمِيلِ بَلَاءٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

وله إليه جواب : وَصَلَ كِتَابُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ تَعَالَى - مُفْتَحًا بِالتَّعْزِيَةِ عَنْ فُلَانٍ ، وَبَوَاصِفٍ تَوَجَّعَكَ لِلْمَصِيبَةِ ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللهُ تَعَالَى الَّذِي يُنْعِمُ فَضْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، وَيَهَبُ إِحْسَانًا ، وَيَسْلُبُ امْتِحَانًا ، عَلَى كِبَارِي قَضِيَّتِهِ كَيْفَ حَرَّتْ أَخْذَهُ وَمُعْطِيَهُ ، وَمَوَاقِعَ سَيِّئَتِهِ كَيْفَ مَضَتْ سَارَةً وَمُسِيئَةً ، حَتَّى عَلِمْنَا أَنَّ لَا حُكْمَ إِلَّا لَهُ ، وَلَا حَوْلَ إِلَّا بِهِ ، وَمُسْتَمْسِكِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ عِنْدَ الْمَسَاءَةِ مِنَ الصَّبْرِ ، وَالْمُسْرَةِ مِنَ الشُّكْرِ ، رَاجِينَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ لِلصَّابِرِينَ ، وَالْمَزِيدَ لِلشَّاكِرِينَ . وَمَا تَوَفَّقْنَا إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ نَتَيْبُ <sup>(٣)</sup> ، وَأَمَّا وَحَسْبُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ - لِلْحَادِثِ عَلَى الْمَاضِي ، عَفَا اللهُ عَنْهُ ، فَمِثْلُكَ مِنْ ذَوَى الصِّفَاءِ وَالْوَفَاءِ اخْتَصَّ بِذَلِكَ وَاهْتَمَّ لَهُ ، وَعَرَفَ مِثْلَهُ فَاغْتَمَّ بِهِ ؛ فَإِنْ الطَّاعَةَ نَسَبُ بَيْنَ أَوْلِيَائِهَا ، وَالنِّعْمَةَ سَبَبُ بَيْنَ أَبْنَائِهَا ،

(١) أبلى : أعطى ، وابتلى : اختبر وامتحان ، والاسم البلاء (م)

(٢) إليه نتيب : إليه نرجع (م)

فلا عجب أن يسك في هذا العارض ما يمس أولى المشاركة، ويخصك من الاهتمام ما خص ذوى الشائكة .

وله إليه أيضاً في أمر غزاة : ورد خبرك أكرمك الله تعالى بنفوذك لوجهك فيمن جمعهم الله تعالى للسعي في سبيله إلى جملتك ؛ فاملنا أن يكون ذلك موصولاً بأعظم الخيرة ، مؤدياً إلى أحسن المغبة . إلا أننا أحسنا من الغزاة الذين بهم تفتضد ، وإياهم تستنجد ، فتور نيّات ، وفساد طويّات ؛ وهذا كما علمت باب عظيم يجب الاطلاع بالفكر والرأى عليه ، والاحتراس بالجد والجهد من الخطل فيه . [فسبيلك أن تتأمل أمرك بعين استقصاء العورة ، واستدراك الآخرة ] ، فإن أنت وجدت في عدتك تمام القدرة ، وفي عدتك مقدار الكفاية ، ولم تجد نيّات أولئك الغزاة مذخولة ، ولا عراهم محلولة <sup>(١)</sup> ، استخرت الله تعالى في المسير بكل ما تقدر عليه من الحرّمْ في أمرك ، ثم إن تكن الأخرى ، وكان القوم على ما ذكرت من كلال البصائر ، وضعف المرائر <sup>(٢)</sup> ، علمت على التلوم لحديث يحدّثك به كتابنا هذا إن اجتليت ما ذكرته ، وإن لم تبلغ بلاغة ما اخترته ، فاعتلق بذيله <sup>(٣)</sup> .

[ من مقامات بديع الزمان ]

وهذه المقامة من إنشاء البديع ، قال عيسى بن هشام : غرّوت الثغر بقزوين سنة خمس وسبعين ، فما اجتزنا حرّناً ، إلّا هبطنا بطنا ، حتى وقف بنا المسير على بعض قرأها ، فمالت الهاجرة بنا إلى ظل أثلاث في حبرها عين كلسان الشمعة ، أصفى من الدمعة ، تسيع في الرضراض ، سيع النضناض <sup>(٤)</sup> ؛ فقلنا من المأكل ما نلنا ، ثم ملنا إلى الظل فقلنا ؛ فما ملكنا النوم حتى سمعنا صوتاً أنكر من صوت الحمار ، ورجعاً أضعف من رجع الحوار ، يشقعهما صوت طبل كأنه خارج

(١) المرى : جمع عروة ، وأصلها أخت الزرمن الثوب ، ويشبه به البنك من الناس (م)

(٢) الكلال : الضعف ، والبصائر : جمع بصيرة ، وهى العقل والفطنة ، والمرائر :

جمع مريرة وهى العزيمة ، وأصلها مالطف وطال واشتد قتله من الجبال (م)

(٣) اعتلق بذيله : تمسك به (م)

(٤) الرضراض : الحصى ، والنضناض : الحية التى تتلوى دائماً (م)

من ماصِفَى أسد ؛ فذَادَ عن<sup>(١)</sup> القوم رائد النوم ، وفتحت العيون إليه وقد حالت  
الأشجار دونه ، وأصغيتُ فإذا هو يقول على إيقاع صوت الطبل :

أَدْعُو إِلَى اللَّهِ فَهَلْ مِنْ مُجِيبٍ      إِلَى ذَرَى رَحْبٍ وَعَيْشٍ خَصِيبٍ  
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي      قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ مَا تَغِيبُ<sup>(٢)</sup>  
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ ثَائِبٌ      مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبُ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَكُ آمَنْتُ فَكَمْ لِي لَيْلَةٍ      جَعَدْتُ فِيهَا وَعَبَدْتُ الصَّلِيبَ  
يَا رَبَّ خِنْزِيرٍ تَمْشِيْتُهُ      وَمُسْكَرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبَ<sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ هَدَانِي اللَّهُ ، وَانْتَأَشَنِي      مِنْ زَلَّةِ الْكُفْرِ اجْتِهَادُ الْمَصِيبِ<sup>(٥)</sup>  
فَطَلْتُ أَخْفَى الدِّينِ فِي أَسْرَقِي      وَأَعْبَدُ اللَّهَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ  
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ الْعِدَى      وَلَا أَجِي الْكُمْبَةَ خَوْفَ الرَّقِيبِ  
وَأَسْأَلُ اللَّهَ إِذَا جَنَنِي      لَيْلِي وَأَضْنَانِي يَوْمَ عَصِيبِ  
رَبِّ كَلَّا أَنْكَ أَنْقَذْتَنِي      فَنَجِّنِي ؛ إِنِّي فِيهِمْ غَرِيبِ  
نَمْ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا      وَمَا سِوَى الْعِزِّ أَمَامِي نَجِيبِ  
وَقَدْ كَ مِنْ سِيرَى فِي لَيْلَةٍ      يَكَادُ رَأْسُ الْوَلَدِ فِيهَا بِشِيبِ  
حَتَّى إِذَا مَا جُرْتُ بِحَرِّ الْعَمَى      إِلَى حَمَى الدِّينِ نَفَضْتُ الْوَجِيبِ  
وَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَارُ الْمَهْدَى      نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبِ

ولما بلغ هذا البيت قال : يا قوم ؛ وطئت والله بلادكم بقلب لا العشق شاقه ،  
ولا الفقر ساقه ، وقد تركت وراء ظهري حقائق وأعنايا ، وكواعب أترابا ،  
وخيلاً مسوومة ، وقناطير ممتطرة ، وعدة وعديدا ، ومراكب وعبيدا ، وخرجتُ  
خروج الحية من جحره ، وبرزتُ بروز الطائر من وكره ، مؤثراً ديني على

(١) ذاد : منع (م) (٢) تنى : تفتر (م) (٣) ثائب : راجع (م)

(٤) تمششته : أكلت مشاشه - والمشاش - بزنة الغراب - طرف مالان من

العظام (م) (٥) انتأشنى : خلصنى وأنقذنى (م)

دُنْيَايَ . وَجَامِعًا يُنَمَّاى إِلَى يُسْرَاى ، وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَاى <sup>(١)</sup> ، فَلَوْ رَفَعْتُمُ النَّارَ  
بَشَرَهَا ، وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ بِحَجَرِهَا ، وَأَعْتَمْتُمُونِى عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعِدَةً وَإِسْعَادًا ،  
وَمِرَافِدَةً وَإِرْفَادًا ، وَلَا شَطَطًا ، فَكُلُّ قَادِرٍ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَحَسْبُ ثَرْوَتِهِ .  
وَلَا أُسْتَكْثِرُ الْبَذَرَةَ ، وَلَا أُرَدُّ الثَّمَرَةَ ، وَأَقْبِلُ الذَّرَّةَ ، وَلِكُلِّ مَنِ سَهْمَانٍ ،  
سَهْمٌ أَذْلَقَهُ لِلْقَاءِ <sup>(٢)</sup> ، وَسَهْمٌ أَفْوَقَهُ بِالْدَّعَاءِ ، وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، عَنْ  
قَوْسِ الظُّلَمَاءِ .

قال عيسى بن هشام : فاستغزنى رائعُ ألفاظه ، وسرّوتُ جِلْبَابِ النومِ ،  
وعدوتُ إلى القومِ ، وإذا والله شيخُنا أبو الفتح الإسكندري ، بسيفٍ قد شَمِهَره ،  
وزىٍّ قد نَكَره ؛ فَلَمَّا رَأَى غَمَزْنِي بِعَيْنِهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَحْسَنَ حَدْسِهِ ؛  
وَمَلِكٌ نَفْسِهِ ، وَأَغْنَانَا بِفَاضِلِ قَوْلِهِ ، وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ ! ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ ، فَقَمِئْتُ  
إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ بَنَاتِ الرُّومِ ؟ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مَعَ الزَّمَانِ كَحَالِي مَعَ النَّسَبِ  
نَسَبِي فِي يَدِ الزَّمَانِ إِذَا سَامَهُ انْقَلَبَ  
أَنَا أُمْسَى مِنَ النَّبِيسِ طَوَّأُضْحِي مِنَ الْعَرَبِ  
[ عاقبة السؤال بلفظ حسن ]

قال سليمان بن عبد الملك : مَا سَأَلْنِي أَحَدٌ قَطُّ مَسْأَلَةً يَثْقُلُ عَلَيَّ قَضَاؤُهَا ،  
وَلَا يَخْفُؤُ عَلَيَّ أَدَاؤُهَا ، بَلْفَظٍ حَسَنِ يَجْمَعُ لَهُ الْقَلْبُ فَهْمَهُ إِلَّا قَضَيْتُهَا ، وَإِنْ كَانَتْ  
الْعَزِيمَةُ نَفَذْتُ فِي مَنَعِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ الصَّوَابُ مُسْتَقَرًّا فِي دَفْعِهِ ، ضَمًّا بِالصَّوَابِ أَنْ يَرُدَّ  
سَائِلُهُ ، أَوْ يَحْرَمُ نَائِلُهُ .

[ ابن رفاعة يتحدث عن النعمان بن المنذر والحارث الغساني ]

وقال أبو عبيدة : كَانَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ رِفَاعَةَ يَفِدُ سَنَةً إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ

(١) السير : الذهاب في الأرض أى وقت كان ، والسرى - بالضم - سيرامة  
الليل (م) (٢) ذلق السكين : حدده ، وذلق السراج : أضاده وأوقده ، هذا أصل  
هذه العبارة (م) (٣) في نسخة «قصدت في منعه» ولها وجه (م)

اللعن وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، فقال له الحارث يوما وهو عنده :  
يا بن رفاة ، بلغني أنك تفضل النعمان عليّ ! قال : كيف أفضله عليك أبيت  
اللعن ! فوالله لفقاك أحسن من وجهه ، ولأتمك أشرف من أبيه ، [ولأباؤك  
أشرف من جميع قومه ] ، ولأمسك أفضل من يومه ، ولشمالك أجود من يمينه ،  
ولحرمانك أنفع من بذله ، ولأقليلك أكثر من كثيره ، [ولثمادك أغزر من  
غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك  
أفضل من شهره ، ولشهرك أشرف من حوله ، ولحولك خير من حقه ، ولزندك  
أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، ولهزلك أصوب من جدّه ، وإنك  
لعمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن نلهم كثيرى النوك ! فقلّام أفضله عليك ؟  
وقد روى مثل هذا الكلام للناطقة الذبياني مع النعمان بن المنذر ] .

### [ أربعة أبيات ]

وقال المفضل الضبي : دخلت على المهدي فقال قبل أن أجلس : أنشدني  
أربعة أبيات لاتزد عليهن ، وعنده عبد الله بن مالك الخراغي ، فأنشدته <sup>(١)</sup> :  
وأشعث قد قدّ السفارُ قيصره      يجرّ شواء بالعصا غير مُنضج  
دعوتُ إلى مانابني وأجابني      كريمٌ من الفتيان غير مزّج <sup>(٢)</sup>  
فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه      ويضرب فى رأس الكمي المدجج  
فتى ليس بالراضى بأذى معيشة      ولا فى بيوت الحى بالمتوج  
فقال المهدي : هذا هو ، وأشار إلى عبد الله بن مالك ، فلما انصرفت بعث  
إلى بألف دينار ، وبعث إلى عبد الله بأربعة آلاف .

### [ أبو الأسود الدؤلى وامراته ]

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامراته إلى زياد في ابنيهما ، وأراد أبو الأسود أخذه

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشماخ بن ضرار الغطفاني ( انظر ديوانه  
ص ٩٠ مصر ) (م) (٢) المزج : الرجل الناقص ، أو هو الدوت (م)



منها فأبَتْ ، وقالت المرأة : أصلح الله الأمير . هذا ابني ، كان بطني وعاؤه ، وحجري فناؤه ، ونديي سقاؤه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ؛ فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، فلما استوفى فصالهُ ، وكلت خصالهُ ، واستوكعت أوصالهُ <sup>(١)</sup> ، وأملتُ نفعهُ ، ورجوت عطفهُ ، أراد أن يأخذهُ مني كرها ، فأدنى أيها الأمير ؛ فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعتهُ قبل أن تضعهُ ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في تقويم أودِه <sup>(٢)</sup> ، وأمنحه علمي ، وألهمه حلمي ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل فتله .

فقلت المرأة : صدق أصلحك الله ؛ حملهُ خِفّاً ، وحملته ثِقَلًا ، ووضعه شهوة ، ووضعتهُ كرها .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولداها ؛ فهي أحقّ به منك ، ودعني من سجعك .

### [ عظات ووصايا ]

قال الأصمعي : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول : إني لأعظكم ، وإني لكثيرُ الذنوب ، مسرفٌ على نفسي ، غير حامد لها ، ولا حاملها على المسكروه في طاعة الله . وقد بلوتها فلم أجد لها شكراً في الرضاء ، ولا صبراً على البَلَوِ . ولو أن أحداً لا يعظ أخاه حتى يحكم أمره لترك الأمر . . . . . ولسكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أشحزان ، وإقبالها إدبار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يوماً لا يستكملهُ ، ومنتظر غداً لا يبلغهُ ؟ ولو تغفرون الأجل ومسيره لأبفضتم الأمل وغرورهُ .

جمع عبد الملك أهله وولده فقال : يا بني أمتية ، ابذلوا نذاكم ، وكفوا أذاكم ، عظة عبد الملك  
وأجلوا إذا طلبتم ، واغفروا إذا قدرتم ، ولا تلحفوا إذا سألتم ، ولا تبغلوا إذا  
سئلتهم ؛ فإن المغو بعد القدرة ، والثناء بعد الخبرة ، وخير المال ما أفاد حمداً  
ونقي ذماً

(١) استوكعت : كلت وتمت ، وأوصاله : أعضاؤه (م)

(٢) أوده : اعوجاجه وميله ، وتقويمه : تعديله (م)

[ وصف هشام بن عبد الملك بصفته ]

ودخل سعيد الجعفرى على هشام بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أصفك بصفتك ، فإن انحرف كلامى فلهيبة الإمام ، واجتماع الأقوام ، وتصرف الأعوام ، ولرب جوادٍ عثر فى أرسانه <sup>(١)</sup> وكبا فى ميدانه <sup>(٢)</sup> ، ورحم الله امرأ قصر من لفظه ، وألصق الأرض بلحظه ، ووعى قولى بحفظه . لخاف هشام أن يتكلم فيقصر عن جائزة مثله ، فعزم عليه فسكت .

[ حاتم الطائى يتحمل الديات عن عبد قيس البرجمى ]

قال عبد قيس بن خُفاف البرُجمى لحاتم الطائى وقد وفَدَ عليه فى دماء تحملها وعجز عن البعض : إنه وقعت بينى وبين قومى دماء فتواكلوها ، وإني حملتها فى مالى وأملى ، فقدّمت مالى ، وكُنْتُ أُملى ، فإن تحملها فربّ حق قضيتها ، وهمّ قد كفيته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمّ يومك ، ولم أياس من غدك .

[ وَصَفُ ثَقِيل ]

قال أبو على العتّابى : حدثنى الحمادونى قال : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة ، السماء فيها مُغيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة مُغطاة ؛ وقد واقت عُجاب المغنية ، فأكلنا جميعاً ، وجلسنا على شرابنا ، فما راعنا إلا داق يدق الباب ، فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان ؛ فقال لى : هو فتى من آل المهلب ، ظريف ، نظيف ، قللت : ما تريد غير ما نحن فيه ، فأذن له ، فجاء يتبختر وقدّامى قدَحُ شراب فكسره ، فإذا رجل <sup>(٣)</sup> آدم ضخم ، قال : وتكلم فإذا هو أعيان الناس ، فجلس بينى وبين عُجاب ، قال : فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد ابن حرب :

(١) الأرسان : جمع رسن - بالتحريك - وهو ما يقادبه الفرس ونحوه (م)

(٢) كبايكبو : عثر (م) (٣) آدم : وصف من الأدمة ، وهى السمرة (م)

كدر الله عيشَ من كدر العيش! فقد كان صافياً مُستطاباً  
 جاءنا والسماء تهطل بالغيث وقد طابق السماعُ الشرابا  
 كسر الكاس وهي كالكوكب الدرّ رى ضمت من المدام رُضابا  
 قلت لما رُميتُ منه بما أكره والدهر ما أفاد أصابا  
 عجل الله نعمة لابن حرب تدع الدار بعد شهر خرابا  
 ودفعت الرقعة إلى أحمد ، فقال : [ ويحك ] ألا نفستَ فقلت بعد حول ؟  
 فقلت : أردت أقول بعد يوم ، خفت أن تصيبنى مضرة ذلك ، وفطن الثقيل  
 فنهض ، فقال : آذيتَه ! فقلت : هو آذاني .

[ طيلسان ابن حرب ]

وقال الحمدوني في طيلسان ابن حرب :

ولى طيلسان إن تأملت شخصه      تيقنت أن الدهر يفتنى وينقرض  
 تصدّع حتى قد أمنت انصداءه      وأظهرت الأيام من عمره الغرض  
 كأنى لإشفاق عليه ممرض      أخا سقم بما تهادى به المرض  
 فلو أن أصحاب الكلام يرونه      لماروك فيه وادّعوا أنه عرض<sup>(١)</sup>  
 [ وقال فيه :

لطيلسان ابن حرب نعمة سبقت      بها تبين فضلى فهو متصل  
 قد كنت دهرًا جهولاً ثم جئتني      عليه خوفي من الأقوام إن جهلوا  
 أظل أجنب الإخوان من حذر      كأنما بى جرح ليس يندمل  
 يا طيلساناً إذا الأخطأ جُنَ به      فعلن فعل سهام فيه تنتضل  
 لئن بليت فكم أبليت من أم      تترى أبادتهم أيامك الأول

(١) أصحاب الكلام : أراد علماء الكلام (علم التوحيد = علم العقائد) وماروك :

أراد جادلوك وشككوك ، والعرض - بالتحريك - ما لا يقوم بنفسه ، وإنما يقوم  
 بغيره ، كالبياض (م)

وكم رآك أخ لي ثم أنشدني : ودع هريرة إن الركب مرتحل [ وقال فيه <sup>(١)</sup> .

يا بنَ حرب كسوتني طيلساناً أَمَرَضَتْهُ الأَوْجَاعُ فَهَوَّ سَقِيمٌ  
فَإِذَا مَا لَبَسَتْهُ قُلْتُ : سُبْحَا نَكَ مُجْهِبِي الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ  
طِيلَسَانُ لَهُ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ بِمَنْكَبِي هَمِيمٌ  
أَذْكَرْتَنِي بَيْتًا لِحِطَانٍ فِيهِ حُرُقٌ لِلْفَوَادِ حِينَ أَقُومُ  
لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الدَّ رَّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا السُّكُومُ <sup>(٢)</sup>  
وقال أيضاً :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ حَرْبٍ لَقَدْ أَطَالَ إِتْعَابِي عَلَى عَمْدٍ  
بَطِيلَسَانٍ خِلْتُ أَنَّ الْبَلَى يَطْلُبُهُ بِالْوَثْرِ وَالْحِقْدِ  
أَجْدُ فِي رَفْوِي لَهُ ، وَالْبَلَى يَلْهُو بِهِ فِي الْهَزْلِ وَالْجَدِ  
ذَكَرَنِي الْجَنَّةَ لِمَا غَدَا أَصْحَابُهَا مِنْهَا عَلَى حَزْدٍ <sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَتَاهُمُ الرِّفَاءُ فِي رَفْوِهِ مَضَى بِهِ التَّمْزِيقُ فِي نَجْدٍ  
غَنِيتهُ لِمَا مَضَى رَاحِلًا : يَا وَاحِدِي تَرَكْنِي وَحْدِي !  
وقال أيضاً فيه :

إِنَّ ابْنَ حَرْبٍ كَسَانِي ثَوْبًا يُطِيلُ انْحِرَاقَهُ  
أَظَلَّ أَدْفَعَ عَنْهُ وَأَتَقَى كُلَّ آفَةٍ  
فَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْ خَشْيَتِي عَلَيْهِ الثَّقَافَةَ  
وقال أيضاً :

طِيلَسَانُ مَا زَالَ أَقْدَمَ فِي الدَّهْرِ مِنَ الدَّهْرِ مَا لِرَفْوِيهِ حِيلُهُ

(١) البيتان الأول والثاني من هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان

(٢) (٩٣/٦ بتحقيقنا) (٢) أندبتها : جرحتها ، والكوم : جمع كلم - بالفتح - وهو الجرح (م)

(٣) يشير إلى القصة التي ذكرت في سورة القلم من الآية ١٦ إلى الآية ٢٦ (م)

وترى ضَعْفَهُ كضَعْفِ عَجُوز رَثَّةِ الْحَالِ ذَاتِ فَقْرٍ مُعِيلِهِ  
 غَمْرَتُهُ الرِّقَاعُ فَهُوَ كِمَضْرٍ مَسْكَنَتُهُ نَزَاعُ كُلِّ قَبِيلِهِ  
 إِنَّ أَرْيَقَهُ يَابِنَ حَرْبٍ بَذْمِي خَجِيرٍ قَدْ زَانَ قَبْلِي بِجَحِيلِهِ  
 جرير : أبْن عبد الله البجلي ، وله صحبة [رضى الله عنه ، وقد] قال غسان في  
 هجائه جريراً :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جريرٌ لقد أخزى كَثِيباً جريرُها  
 وقال الحدوني في معناه الأول<sup>(١)</sup> :

يَا بْنَ حَرْبٍ إِنِّي أَرَى فِي زَوَايَا بَيْنَنَا مِثْلَ مَا كَسَوْتَ جَمَاعَهُ  
 طَلِيلَسَانُ رَفَوْتُهُ وَرَفَوْتَ الرَّفْوَ مِنْهُ حَتَّى رَفَوْتُ رِقَاعَهُ  
 فَطَاعَ الْبَلَى وَصَارَ خَلِيعاً لَيْسَ يَعْطَى الرِّقَاءَ فِي الرِّفْوِ طَاعَهُ  
 فَإِذَا سَائِلٌ رَأَى فِيهِ ظَنُّ أَى فِتَى مِنْ أَهْلِ الضِّيَاعَةِ<sup>(٢)</sup>  
 وقال فيه :

طَلِيلَسَانُ لَابْنَ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مِسَاساً<sup>(٣)</sup>  
 قَدْ طَوَى قَرْنًا فَقَرْنَا وَأَنَاسَا فَأَنَاسَا  
 لَيْسَ الْأَيَّامُ حَتَّى لَمْ تَدْعَ فِيهِ لِبَاسَا  
 غَابَ تَحْتَ الْحَسِّ حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَاسَا

[ من رسائل ابن العميد ]

من ابن العميد  
 إلى الطبري

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :  
 كتابي وأنا بحالٍ لولم ينقص منها الشوقُ إليك ، ولم يُرْتَقِ صَفْوُهَا النِّزَاعُ نُحُوكُ ،  
 فَعَدَدْتُهَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْجَلِيلَةِ ، وَاعْتَدَدْتُ حَظِّي مِنْهَا فِي النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ ؛ فَقَدْ جُمِعَتْ  
 لَهَا بَيْنَ سَلَامَةٍ عَامَّةٍ ، وَنِعْمَةٍ تَامَةٍ ، وَحَظِّيتُ مِنْهَا فِي جِسْمِي بِصَلَاحٍ ، وَفِي سَقَمِي

(١) هذه الأبيات الأربعة في ابن خلكان (٩٤/٦) وثمة مقطعات ليست هنا (م)

(٢) في نسخة كما في ابن خلكان « من أهل الصناعة » (م)

(٣) لا ماس : أى لا تمسنى ، وهذه كناية عن شدة بلاه (م)

بنجاح ، لكن ما بقي أن يَصْفُوَ لى عيش مع بُعْدَى عنك ، ويخلو ذرعى مع  
خلوى منك ، ويسُوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع  
فى ذلك وأنت جزء من نفسى ، وناظم لشملى أنسى ، وقد حرمت رؤيتك ،  
وعَدِمْتُ مشاهدتك ، وهل تسكنُ نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس  
مُدَشَّتْ بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلنى الله تعالى فداك ؛ فامتلتُ  
سرورا بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك فى لفظك ، وما أقرظهما فكلُّ  
خصالك مقرظٌ عندى ، وما أمدحهما فكلُّ أمرك ممدوح فى ضميرى وعقدى ،  
وأرجو أن تكون حقيقةُ أمرك موافقةً لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك وإلا فقد  
غطى هواك وما ألقى على بصرى .

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين :

من ابن العميد  
إلى عضد الدولة

أطال الله بقاء الأمير الأجلّ عضد الدولة ، دام عزّه وتأييده ، وعلوّه وتمهيدّه ،  
وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيد ، وهنّاه ما اختصّه به على قُربِ  
الميلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثر الأمداد ، وتثمر الأولاد ، وأراه من النجابة فى  
البنين والأسباط <sup>(١)</sup> ، ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد ، ولا أخلى عينه من قرّة ،  
ونفسه من مسرّة ، ومتجدّد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة فى عدده ، وفَسَحَ فى  
أمدّه ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمّله ، ويستوفى ما بعد حُسْنِ ظنّه ؛ وعرفه  
الله السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعاثًا من نوره ، واستنارًا من  
دوره ، وحنًا بسريه ، وجعل وفودهما متلازمين ، وورودهما توائمين ، بشيرين  
بتظاهر النعم ، وتواتر القسم ، ومؤذنين بترادفِ بين [ يغصُّ ] بجمعهم مُنْخَرَقُ  
القضاء ، ويشرقُ بنورهم أفقُ العلاء ، وينتهى بهم أمدُ النماء <sup>(٢)</sup> ، إلى غاية نفوت

(١) الأسباط : جمع سبط - بكسر السين وسكون الباء - وهو ولد البنت (م)

(٢) النماء : الزيادة (م)

غاية الإحصاء ، ولا زالت السبلُ عامرة ، والمناهلُ غامرة ، يصافحُ صادرهم بالبشر  
[الوارد] ، وآملهم بالنيل القاصد .

\*\*\*

وقال أبو الطيب وذكر أبا دلف وأبا الفوارس ابني عضد الدولة :  
لأبي الطيب  
ابني عضد الدولة  
فلم أر قبله شَيْئاً هَزَبَ كَشْبِيهِ ، ولا فَرَسَ رَهَابِ  
فعاشا عيشة القمرين يحمي بضوءيهما ولا يتحاسدانِ  
ولا ملكاً سوى مُلْكِ الأعادي ولا ورثاً سوى مَنْ يَقْتُلَانِ  
[وكانا ابناً عدو كاتراه له ياءى حروف أنيسيان]  
دُعاه كالثناء بلا رياء يُؤدِّيهِ الجندانُ إلى الجنانِ

\*\*\*

وكتب أبو القاسم الإسكافي عن نوح بن نصر إلى وشمكير بن زياد في  
من الإسكافي في  
تهنئة واستبطاء  
استبطاء وتهنئة :

وصل كتابك ناطقاً مفتتحه بحميل العذر ، فيما نقل من المكاتبة ،  
وبعث من المطالعة ، ومغرباً مختتمه عن جملة خبر السلامة التي طبقت  
أعمالك ، والاستقامة التي عمت أحوالك ، وفهمناه ، ولولا أن مواتلك — أيديك  
الله تعالى — فيما تأتى وتذر ، وترثى وتدبر ، عادة لنا أورثتنا قرابة ما بين  
وفاقنا ووفاك ، وملاءمة حال ألبأتنا لحال استحقاقك ؛ لسكنا ربما ضايقتك  
في العذر الذي اعتذرت به ، وإن كان واضحاً طريقه ، وناقشناك فيه ، وإن  
كان واجباً تصديقه ، لفرط الأنس [يخلص إلينا] بكتابك ، والارتياح  
بخطابك ، اللذين لا يؤدیان إلا خبر سلامة توجب الإحماد ، فنحن نأبى  
إلا إجراء تلك العادة ، كما عودتنا ، وإلا التجافى عما تريد فيه من الزيادة  
التي أردتها ، ولا ندع مع ذلك أن يضل تسويقك<sup>(١)</sup> إلى الإقلال الذي اخترته  
ياحمادك على الكتاب إذا كتبته ، توخياً<sup>(٢)</sup> لأن تكون مؤهلاً في الحالين خلاصة

(١) سوف الأمر تسويفاً : أرجأه وأخره (م)

(٢) توخى الأمر يتوخاه توخياً : قصده (م)

التنويل ، مقدماً في درج التفضيل ، موفى حقائق الإيثار ، موفى لواحق الاستقصار ، ونستعين بالله على قضاء حقوقك ، وعلى جميل النية في أمورك ؛ فإن ذلك لا يُبَاغ إلا بقوة ، ولا يُدْرَك إلا بحَوْلِه ، وأما بعد فقد عفى <sup>(١)</sup> — أعزك الله تعالى — ما أفاد كتابك بخبر السلامة من أنسه ، على آثارٍ مِنْ سبقه بخبر العلة من وحشة ، فأوجبتنا مقابلة موهبة الله تعالى في المحبوب صنع ، والمكروه دفع ، نستقبلُ به إخلاص المواهب لنا ، ونستديمُ به أخص المراتب بنا ، فرأيتك — أعزك الله تعالى — في المطالعة بذكر تستمده في الفوة والصحة من مزيد ، والطاعة والكفاية من توفيق وتسديد ، موفقاً إن شاء الله تعالى ..

ألفاظ لأهل العصر في ضروب التهنائي وما ينخرط في سلكها

من ذلك في التهنئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية ،

وما يختص منها بالملوك أو الرؤساء

مرحباً بالفارس المصدق للظنون ، المقر للعيون ، المقبل بالطالع السعيد ، والخير القعيد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء . أما مستبشر بطلوع النجم الذي كنا منه على أمل ، ومن تطاول استسراجه [ الذي كنا منه ] على وجل ، إن يشأ الله يجعله مقدمة إخوة في نسق كالفرید المتسق <sup>(٢)</sup> . قد طلع في أفق الحرية أسعدُ نجم ، [ ونجم <sup>(٣)</sup> ] في حدائق المروءة أذكى نبت . يا بشرى بطلوع الفارس الميمون جدّه ، المضمون سَعْدَه ، عليه خاتم الفضل وطائعه ، وله سهم الخير وطالعه . الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي تراه إن شاء الله بدراً لا يضمُرُ السّرارُ بهاءه ، ولا يبلغ المحاق سناءه وسناه ، وقد بَشَرَتْ قوابله بالإقبال وعُلُوّ الجد <sup>(٤)</sup> ، واقترن قدومه بالطالع السعد . هنّاك الله تعالى بقوة الظاهر ،

(١) عفى : غطى وستر (م) (٢) الفرید : أراد الدر ، والمتسق : المنتظم (م)

(٣) نجم : طلع (م) (٤) الجد — بفتح الجيم — البخت والحظ (م)



واشتدَّاد الأزر . الفارس المسكتر لسواد الفضل ، الموفر لحال الأهل ، المستوفى شرف الأرومة ، بكرم الأبوة والأُمومة ، وأبقاه حتى نراه ، كما رأينا جدّه وأباه . عرفت أنّما ما كثر الله به عدده ، وشدّ عضدّه ، من طلوع الفارس الذى أضاء له الأفق ، وطال به باعُ السعادة ، فعظمت النعمى لدى ، وأوردت البشرى غاية المبنى على . مرحباً بالفارس القادم ، بأعظم المغنم ، سوى الخلق [ سامى العرق ] يلوح عليه سياء المجد ، وتتجاذبه أطراف الملك والحد . وردت البشرى بالفارس الذى أوسع رباع المجد تأهيلاً ، ومنّا كب الشرف ارتفاعاً ، وأعضاد العزّ اشتداداً . واتتني بشرى البشائر<sup>(١)</sup> ، والنعم المحروسة على النظائر ، فى سُلالة العز وسليله ، وابن منبر الملك وسريره ، والأمير القادم بغرّة المكارم ، الناهض إلى ذرّة العلياء ، بأباء أمراء ، وملوك عظام . مرحباً بالفارس المأمول لشدّ الظهور ، المرجو لسدّ النفور . الحمد لله الذى شدّ أزرّ الدولة ، ونظم قلادة الإمرة ، ودعم سرير العزّة ، ووطّد منابر المملكة ، بالقمر السعد ، وشبل الأسد الوزد . قد تنسّمت المكارم والمعالى ، وتباشرت الخطب والقوافى ، بالفارس المأمول لشدّ أزرّ الملك ، وسدّ نغز المجد ، وتطاول السرير شوقاً إليه ، واهتزّت المنابر حرصاً عليه . قد افتترّ جفنُ العالم عن العين البصيرة ، واستغرب مضحكّه عن اللّعة المنيرة ؛ أما الأمير فالتاج لجبينه يبعى ، والركاب بقدمه تزهى<sup>(٢)</sup> ، ألهم أرني هذا الهلال بذكراً قد علّا الأقدار قدراً ، وبلغه الله فيه من مناه ، حتى نراه وأخاه ، مُنيفين على ذرّة المجد ، آخذين من أوفر الخطوة بأعلى الحد .

ولهم : والله يتمتع به ، ويرزقُ الخير منه ، ويحقّقُ الأمل فيه . عرف الله تعالى آثار بركة الموبود المسعود ، وعضدّ الفضل بالزيادة فى عدده ، وأقرّ عين

(١) واتاه يواتيه : أسعفه وأنجده ، وتقرأ « وأتتني » بالهمز من الإتيان بمعنى

المجيء . (م) (٢) فى نسخة « هو آمال الأمير فالتاج بجبينه سما ، والركاب بمقدمه

زها » وليس كما ينبغي (م)

المجد بالسّادة من ولده . عرفه الله تعالى من سيادة مقدمه ، ما يجمعُ الأعداء تحت قدمه . عمرك الله تعالى حتى ترى هذا الهلال قرأ باهراً ، وبدراً زاهراً ، يكثرُ به عدد حَفَدَتِكَ ، ويعظم معه غُصَّة حَسَدَتِكَ ، من حيث لا تهتدي النوائبُ إلى أغراضكم ، ولا تطمع الحوادثُ <sup>(١)</sup> إلى انتقاصكم ، متّعك الله بالولد ، وجعله من أقوى العدَد ، ووصّله بإخوة متوافرى العدَد ، شادى الأزر والعُصْد . هناك الله تعالى مولده ، وقرن باليُمن مؤرِدَه ، وأراك من بنيه أولاداً برّره [ وأسباطاً وحفدة ، وعرفك بركة قُدومه ، ونجح مقدمه ، وسعد طالعه ، ويمن طائرَه ، وعمرك الله ] حتى ترى زيادة الله منه كما رأيتها به <sup>(٢)</sup> ، والله يبلّغك أفضل ما تنقسمه السعود ، وتعلوبه الجدود ، حتى يستغرق مع إخوته مساعى الفضل ، ويشيدوا قواعد الفخر ، ويزحوا صدور الدّهر ، ويضبطوا أطراف الأرض ؛ والله يحرسه من نواظر الأيام أن ترنو إليه <sup>(٣)</sup> ، وأطامع اللىالى أن تتوجه عليه ، حتى يستقلّ بأعباء الخدمة ، وينهض بأثقال الدعوة ، ويخف في الدفع عن البيضة ، ويسرع في حماية الحوزة ، والله يديم لمولانا من العمر أكلاه ، ومن العز أهناه ، ليطبق العالم بفضله وعدله ، ويدبرّ الأرض بالنجباء من نسله .

### ولهم في ذكر المولود العلوى

غُصْن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شجرُه أهل أن يحلّو نمره ، وفرّع بين الرسالة والإمامة مُنتَمَاه ، خَلِيق أن يُحمّد بدوّه وعُقباه . مرحباً بالطالع بأيمن طالع ، ومن هو من أشرف المناصب والمنايع ، حيث الرسالة والخلافة ، والإمامة والزّعامه ، أبقاه الله تعالى حتى يتهتأ فيه صوانع المن <sup>(٤)</sup> ، ويعد حسنه من بنى الحسن .

(١) في نسخة « ولا تطلع الحوادث - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « كما ترى مهابتَه » (م) (٣) ترنو : تنظر (م)

(٤) في نسخة « حتى يتهتأ منه صنائع المن » (م)

ولهم في التهنئة بالإملاك<sup>(١)</sup> والنفاس ، وما يقترن به من الأدعية

من اتصل بمولاي سببه ، وشرف به منصبه ، كان حقيقاً بالرغبة إلى الله تعالى في توفيره وتكثيره ، وزيادته وتثمينه ، لتزكو منابت الفضل ، وتنمي مغارس النبل والفخر ، وتطيب معادن المجد . بارك الله لمولاي في الأثر الذي عقده ، وأحمده إياه<sup>(٢)</sup> وأسعده ، وجعله موصولاً ببناء العدد ، وزكاء الولد ، واتصال الحبل ، وتكثير النسل . والله تعالى يخبرُ له في الوصلة السكريمة ، ويقرنها بالمِنْحة الجسيمة . قد عظم الله بهجتي ، وضاعف غبطتي ، بما أتاحه من سرورٍ مهّد ، بجمع شمل مجدّد ، فلا زالت النعم به محفوفة ، والمسارُ إليه مصروفة ، جعل الله هذه الوصلة أكيدة العقدة ، طويلة المدة ، سابعة البركة والفضل ، طيبة الذرية والنسل . وصل الله هذا الاتصال السعيد ، والعقد الحميد ، بأكمل المواهب ، وأحمد العواقب ، وجعل شمل مسرّتك ملتماً ، وسبب أنسك منتظماً . عرفك الله تعجّل البركات ، وتوالى الخيرات ، ولا أخلاك الله من هذه الوصلة [ من التهانى بنجباء الأولاد ، وكبت بكثرة عددك الحساد . هناك الله مولاي الوصلة ] بكثرة العدد ، ووفور الولد ، وانسباط الباع واليد ، عالي القدر والجد .

ولهم في التهنئة بالولاية والأعمال ، وما يتصل بها من الأدعية

للوزراء والقضاة والعمال

عرفت أخبار البلد الذي أحسن الله إلى أهله ، وعطف عليهم بفضله ، إذ أضيف إلى ما يلا حظه مولاي بعين إيلته ، ويشفي خلله بفضله أصالته . أنا من سرّ

---

(١) الإملاك : التزويج ، تقول « أملك الرجل ابنته » تريد أنه زوجها (م)  
 (٢) أحمد إياه : جملة يرى عاقبته محمودة ، ووقع في الأصول كلها « وأحمد إياه » ولا تراها إلا مصحفة عما أثبتناه (م).

بالولاية يلبس مولاى ظلّالها ، ويسحب أذيالها ، بنعم مستفادة ، ورُتب  
مستزادة ، سرورى بما أعلمه بكسبه<sup>(١)</sup> الثناء فى كل عمل يدبره ، من أحدىة جميلة ،  
ومثوبة جزيلة ، ويؤثره من إحياء عدل ، وإماتة جور ، وعمارة لسبل الخيرات ،  
وإيضاح لطرق المكرمات ، سيدى يوفى على الرتب التى يدعى لها بحلوله<sup>(٢)</sup> ؛  
فهنئنا لها بتجميلها بولايته ، وتحليها بكفايته . الأعمال إن بلغت أقصى الآمال ،  
فكفاية مولاى تتجاوزها وتتخطاها ، والرتب وإن جلت قدراً ، وكبرت  
ذكرًا ، فصناعاته تسبقها<sup>(٣)</sup> وتمسوها ، غير أن للتهانى رسماً لا بدّ من إقامته ،  
وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته . الأعمال وإن بلغت أقصى الآمال فكفاية  
سيدى توفى عليها إيفاء الشمس على النجوم ، وترتفع عنها ارتفاع السماء على التخوم .  
سيدى أرفع قدراً وأنبه ذكرًا ، من أن نهنته بولاية وإن جل أمرها وعظم  
قدرها . قد أعطيت قوس الوزارة باريها ، وأضيفت إلى كفيها وكافيتها ، وفسخ  
فيها شرط الدنيا الفاسد فى إهداء حظوظها إلى أوغادها ، ونقض بها حكمها الجائر  
فى العدول بها عن نجباء أولادها . الدنيا أعز الله الوزير مهنتاً بانحيازها<sup>(٤)</sup> إلى  
رأيه وتنفيذه ، والممالك مغبوبة باتصالها إلى أمره وتدريبه . قد كانت الدنيا  
مستشرفة لوزارته ، إلى أن سعدت بما كانت الأيام عنه مخيرة ، وحظيت  
بما كانت الظنون به مبشرة . أنا أهني الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها ،  
و بلوغها فى ظلّه إرادتها ، وانحيازها من إيالته إلى واضحة الفخر ، وتوشحها من  
كفايته بمرّة سائدة على وجه الدهر . الحمد لله الذى أقر عين الفضل ، ووطأ  
مهآد المجد ، وترك الحساد يتعثرون فى ذبول الخيمة ، ويتساقطون فى فضول  
الحسرة ؛ وأراني الوزارة وقد استكمل الشيخ إجلالها ، ووفى لها جلالها :

(١) فى نسخة « سرورى بما أعلمه يكسب الثناء - إلخ » (م)

(٢) فى نسخة « يدعى له بحولها فيهنأ لها بتجميلها » (م)

(٣) فى نسخة « تنسبها » (م) (٤) فى نسخة « بانحياز الولاية » (م)

فلم تَكُ تصلحُ إلَّا لهُ ولم يَكُ يصلحُ إلَّا لهاُ  
والقاضي عَلمَ العلمِ شرقًا وغربًا ، ونَجَمَ الفضلِ غورًا ونَجْدًا ، وشَمَسُ الأدبِ  
برًّا وبحرًا ، فسبيلُ الأعمالِ أن تهتأ إذا رُدَّتْ إلى نظره الميمون ، وعُصِبَتْ رأيه  
المأمون . [أسعد الله القاضي بما جدَّ] له من رأى مولانا وارتضاه ، واعتمده  
لأجل أمر الشريعة وأمضاه ، وأسعد المسلمين والدين بما أصاره إليه ، وجمع زمامه  
في يديه . عرف الله سيدي من سعادة عمله ، أفضَلَ ما ترقَّاه بأمله ، ولقاه من  
مناجح أمره ، أفضَلَ ما انتَحَاهُ بفكره . خار الله فيما تولَّاه وتطوَّقه ، وبلغه في  
كل حال أمله . وحققه ، وعرفه من يُمنِّ ما باشره تديره <sup>(١)</sup> الخير [والخيرَة]  
والبركات الحاضرة والمنظرة ، وجعل المناجح إليه أرسالًا ، لا تملَّ تواليًا واتصالًا .  
أسعده الله أفضَلَ سعادة قُسِمَتْ لوالِي عمل ، وأسهم له أخصَّ بركة أسهمت  
لمُسَامِي أهل <sup>(٢)</sup> ، أحضر الله السداد عزَّمه ، والرشادهم ، وكفنه العِصْمة وأيدَّه ،  
وقرَّنه بالتوفيق ولا أفردَه . هنأ الله تعالى الموهبة التي ساقها إليه ، ومدَّ رِواقها  
عليه ؛ إذ كانت من عقائل المواهب ، مُسْفِرة عن خصائص المراتب ، وحلَّت فيه  
محلَّ الاستحباب لا الإيجاب ، والاستحقاق دون الاتفاق . هنأ الله نعمته الفضل <sup>(٣)</sup>  
الذي الولاية أصغر آلائها ، والرياسة بعض صفاتها

### ولهم في التهنئة بذكر الخَلْع والأجبية

أهتَى سيدي مزيد الرِّفْعَةِ ، وجديد الخِلْعَةِ ، التي تَخْلَعُ قلوبَ المنازعين ،  
واللواء الذي يلوى أيدي المنابذين ، والحظَّ الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازها ،  
أو سامى به الجوزاء لحازها . بلغنى خبرُ ما تطوَّعت به سماه المجد ، وجادت به

(١) في نسخة « ما باشره وتديره » (م) (٢) في نسخة « لسامى أمل » (م)

(٣) في نسخة « هنأ الله همته بالفضل الذي - إلخ » (م)

أنواه الملك ، فصن من الخلع أسناها ، ومن المراكب أبهاها ، [ ومن السيوف أمضاها ، ومن الأفراس أجراها ، ومن الإقطاعات أنماها ] . لبس خلعتة متجمللاً منها ملابس العز ، وامتطى فرسه فارعا به ذروة المجد ، وتقلد سيفه حاصداً بحد . طلى أعدائه <sup>(١)</sup> وغامطى نعبائه ، واعتنق طوقه متطوقاً عزاً أبدياً ، واعتضد بالسوارين الموديين بقوة الساعد والقصد ، وسأس أوليائه ولواه العز عليه خافق ، وهو بلسان الظفر والنصر ناطق . قد لبس خلعتة التي تعمد بها [ رفعتة ] ، وامتطى حملانه الذي واصل به إحسانه <sup>(٢)</sup> ، تمنطق بحسامه الذي ظاهر أبواب إنعامه ، وتحتم بخاتميه ، اللذين بسطاً من يديه ؛ ووقع من دوائه ، التي أغلت من درجاته قد زررت عليه سماء الشرف عرى الخلعة ، التي تترأى صفحات العز على أعطافها ، وتمترى مزايا المجد من أطرافها ، وركب الحملان الذي تتناول قاصبتى المنى من ناصيته ، والركب الذى تستخذى <sup>(٣)</sup> حلى الثريا لحيته ، والسيف والمنطقة الناطقان عن نهاية الإكرام ، الناظران فلائد الإعظام . خلع تلحع قلوب الأعداء من مقارها <sup>(٤)</sup> ، وتعدر نفوس الأولياء بمسارها ، وسيف كالقضاء مضاء وحداً ، ولواه يخفق قلوب المنازعين إذا خفق ، وحملات تصدع منكب الدهر إذا انطاق <sup>(٥)</sup> .

### ولهم فى التهنئة بالقدوم من سفر

أهني سيدى ونفسي بما يسره الله من قدومه سالماً ، وأشكره على ذلك شكراً قائماً ؛ غنيمة المكارم مقرونة بغيتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ؛ فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة ، بأضفاف ما قرن به مسيرك من السلامة . وهناك أيامك ، وبلغك محابك ؛ ما زلت بالنية مسافراً ، وباتصال الذكر

(١) الطلى - بضم الطاء ، بوزن الهدى - الأعناق أو أصولها (م)

(٢) فى نسخة « وامتطى حملاته التى واصل بها إحسانه » (م)

(٣) فى نسخة « والراكب الذى يستعد بالجلية على السير » (م)

(٤) فى نسخة « عن مقارها » (م) (٥) فى نسخة « إذا نطق » (م)

والفكر لك ملاقيا ، إلى أن جمع الله شمل سرورى بأو بتك<sup>(١)</sup> ، وسكن نافر قلبى  
بعودتك ، فأسأل الله أن يسعدك بمقدمك سعادة تكون فيها [بالإقبال] مقابلا ،  
وبالأماني ظافرا ، ولا أوحش منك أوطان الفضل ، ورباع المجد ، بمنه وكرمه .  
[ من أحسن الشعر ]

قال الهيثم بن عدى : أنشدني مجالد بن سعيد شعراً أعجبنى ، فقلت : من  
أنشدك ؟ قال : كئنا يوما عند الشعبي فتناشدنا الشعر ، فلما فرغنا قال : أيُسكم يحسن  
أن يقولَ مثلَ هذا ، وأنشدنا :

خليلى مهلاً طالما لم أقل مهلاً      وما سرفايم الآن قلت ولا جهلاً<sup>(٢)</sup>  
وإن صيباً ابن الأربعين سفاهاً      فكيف مع اللاتي مُثِلْتُ بها مثلاً  
يقول لى المفتي وهنّ عشية      بمكة يسجنن المهذبة الشجلاً<sup>(٣)</sup>  
تق الله لا تنظرن إليهنّ يا فتى      وما خلّطني بالحج ملتصفاً وصلّا  
فوالله لا أنسى وإن شطّبت النوى      عرائنهنّ الشمّ والأعين النجلاً  
ولا المسك في أعرافهن ولا البرى      جواعل في أوساطها قصباً خدلاً  
خليلى لا والله ما قلت مرّحباً      لأول شيبات طلّعن ولا أهلاً<sup>(٤)</sup>  
خليلى إن الشيب داء كرهته      فما أحسن المرعى وما أقيح الحلا  
قال مجالد : فكتبت الشعر ، ثم قلنا للشعبي : من يقوله ؟ فسكت ، فحسبنا  
أنه قائله .

[ المرائى التى قيلت على قبر عمرو بن حمزة الدوسى ]

قال الشرقي بن القطامي : لما مات عمرو بن حمزة الدوسى - وكان أحد من  
تنحاهم العرب إليه - مرّ بقبيره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام : الهذم  
أبن امرئ القيس بن الحارث بن زيد ، وهو أبو كُثَوم بن الهذم الذى نزل عليه

(١) أوتيتك : رجوعك (م) (٢) فى نسخة «ولا سرفايمى المقال» (م)

(٣) فى نسخة «المهذبة النجلا» تصحيف ، وأراد بالمهذبة السجل الثياب البيض ،

واحد سجيل ، وانظر الأمالى ١٢٤/٢ (م) (٤) يروى «خليلى لولا الله» (م)

النبي صلى الله عليه وسلم ، وعتيك بن قيس بن هَيْشَةَ بن أمية بن معاوية ، وحاطب  
 ابن قيس بن هَيْشَةَ ابن معاوية . وحاطب بن هَيْشَةَ الذي كانت بسببه حرب .  
 حاطب ، فَعَقَرُوا رِوَاهُ لَهِمْ عَلَى قَبْرِهِ ، وَقَامَ الْهَذْمُ فَقَالَ :

لَقَدْ ضَمَمْتُ الْأَثْرَاءَ مِنْكَ مُرَرًّا عَظِيمَ رَمَادِ النَّارِ مُشْتَرِكِ الْقَدْرِ  
 إِذَا قُلْتُ لَمْ تَتْرَكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ وَإِنْ صَلَّتْ كُنْتُ اللَّيْثَ تَحْمِي حَتَّى الْأَجْرِ  
 حَلِيمًا إِذَا مَا الْحُلْمُ كَانَ حَزَامَةً وَقَوًّا إِذَا كَانَ الْوُقُوفُ عَلَى الْجُرِّ (١)  
 لِيَسِيكَ مَنْ كَانَتْ حَيَاتُكَ عِزَّهُ وَأَصْبَحَ لَمَامَتْ يَغْضَى عَلَى الصُّغْرِ  
 سَقَى الْأَرْضَ ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ مُنْجِمُ أَحْمَ الذَّرَى وَاهِيَ الْعَرَى دَائِمُ الْقَطْرِ (٢)  
 وَمَا يَسْقِي الْأَرْضَ لَكِنَّ تَرَبَّةً أَضَلَّكَ فِي أَحْشَائِهَا مَلْحَدَ الْقَبْرِ  
 وَقَامَ عَتِيكَ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ :

بَرَّغَمَ الْعَلَا وَالْجُودِ وَالْجُدَى وَالتَّنْدَى طَوَاكَ الرَّدَى يَا خَيْرَ حَافٍ وَنَاعِلٍ  
 لَقَدْ غَالِ صَرَفُ الدَّهْرِ مِنْكَ مُرَرًّا نَهَوْضًا بِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ الْأُنَاقِلِ  
 يَضُمُّ الْعُفَاةَ الطَّارِقِينَ فَنَاوُهُ كَا ضَمَّ أُمَّ الرَّأْسِ شَعْبَ الْقِبَائِلِ  
 وَيَسْرُو دَجَا الْهَيْجَا مِضَاهُ عَزِيمَةٍ كَمَا كَشَفَ الصَّبِيحُ أَطْرَاقَ الْغِيَاظِلِ (٣)  
 وَيُسْتَهْزِمُ الْجَيْشُ الْعَرِمَ بِاسْمِهِ وَإِنْ كَانَ جَرَّارًا كَثِيرَ الصَّوَاهِلِ  
 فَإِذَا تُصِيبُنَا الْحَادِثَاتُ بِنَسْكَبَةٍ رَمَتْكَ بِهَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الضَّائِلِ (٤)  
 فَلَا تَتَّبَعْدَنَّ إِنْ الْخَتُوفَ مَوَارِدُ وَكُلُّ فِتَى مِنْ صَرْفِهَا غَيْرُ وَائِلِ (٥)  
 وَقَامَ حَاطِبُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ :

سَلَامٌ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي ضَمَّ أَعْظَا تَحُومُ الْمَعَالِي نَحْوَهُ فَتَسَلَّمُ

- (١) فِي الْأَمَالِي ١٤٣/٢ « وَقَوًّا إِذَا كَانَ الْوُقُوفُ عَلَى الْجُرِّ » وَفِي نَسْخَةٍ مِنْ  
 نَسْخِ هَذَا الْكِتَابِ « حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحُلْمُ حَلَّ حَزَامَةً » تَحْرِيفٌ قَبِيحٌ (م)  
 (٢) فِي الْأَمَالِي « أَحْمَ الرِّحَا » وَالرِّحَا : وَسْطُ الْغَيْمِ وَمَعْظَمُهُ (م)  
 (٣) الْغِيَاظِلُ : جَمْعُ غَيْطَلَةٍ ، وَهِيَ الظِّلَّةُ وَاخْتِلَاطُ الْأَصْوَتِ ، وَالْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ (م)  
 (٤) الضَّائِلُ : جَمْعُ ضَائِلٍ ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ (م) (٥) غَيْرُ وَائِلٍ : غَيْرُ نَاجٍ (م)



سلام عليه كلما ذرَّ شارقٌ وما امتدَّ قطع من دُجَى الليل مُظْلِمٌ  
 [ فيا قَبْرَ عمرو جاداً لُصّاً تعطّفت عليك مِلْكٌ دائِمٌ القطرِ مرزُمٌ  
 تضمّنت جسماً طاب حياً وميتاً فأنت بما ضُمّنت في الأرض مُعَلِّمٌ  
 فلو نطقَت أرضٌ لقال ترابُها إلى قَبْرِ عمرو الأزدِ حلَّ التكرم  
 إلى مرّمسٍ قد حلَّ بين ترابه وأحجاره بذرٌّ وأضبط ضيّغٌ  
 فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً فقد كنت نور الخطب والخطب مُظْلِمٌ  
 لعمري الذي حطَّت إليه على ألوانا حدايرٌ عوجٌ نِيهاً مُتَهَمٌ ]  
 لقد هدم العلياء موتك جانباً وكان قديماً رُكنها لا يهدمُ  
 [ بلاغة الأعراب ]

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يذكر قومه فقال : كانوا إذا اصطَفَوْا تحت  
 القتّام ، مطرت بينهم السِّبْهَامُ ، بشَوْ بوب الحِمَامِ <sup>(١)</sup> ، وإذا تصاخوا بالسيف ، فغرت  
 أفواهها الحُتُوفُ ، فرب قرن عارِمٍ قد أحسنوا أدبه ، وحرب عبوسٍ قد أضحكتها  
 أسنتهم ، وخطب مُشَمِّزٌ ذلّوا منا كبه ، ويوم غمّاسٍ قد كشفوا ظلمته بالصبر  
 حتى تتجلى . كانوا البحر لا يُنكّشُ غماره ، ولا يُنَمُّه تيّاره .

قال العتبي : سئل أعرابي عن حاله [ عند موته ] فقال : أجدني مأخوذاً  
 بالنّقلة ، محجوجاً بالمهلة ، أفارق ما جمعت ، وأقدم على ما ضيّعت ، فيا حيائي من  
 كريم قدّم المَعْدرة ، وأطال النّظرة <sup>(٢)</sup> ، إن لم يتداركني بالمغفرة ، ثم قضى .  
 وقال بعضُ الرواة : كان يقال : الإخوان ثلاثة : أخ يخلصُ لك ودّه ، ويبلغ  
 لك في مهمّك جهده ، وأخ ذو نِيَّةٍ يقتصرُ بك على حسن نيته ، دون رِفْدِهِ <sup>(٣)</sup>  
 ومعونته ، وأخ يحاملك بلسانه ، ويشغل عنك بشأنه ، ويوسّعك من كذبه بأيمانه .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وقفت علينا أعرابية فقالت : يا قوم ، تمثر أعرابية تسأل  
 بنا الدهر ، إذ قلّ منا الشكر ، وفارقنا الغنى ، وحالفنا الفقر ، فرحم الله امرأ فهم

(١) القتّام : الغبار الذي أثارته الخيل في المعركة ، والشوّ بوب : الدفعة من المطر (م)

(٢) النظرة : التأخير والتأجيل (م) (٣) الرفد - بالكسر - الإطعام (م)

بعقل ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وأعان على عفاف .

[ ذل السؤال ]

قال أبو بكر الحنفي : حضرتُ مسجد الجماعة بالكوفة ، وقام سائلٌ يتكلم عند صلاة الظهر ثم عند العصر والمغرب ، فلم يُعْطَ شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجتي عالم غير معلم ، واسع غير مكلف ، وأنت الذي لا يرزؤك نائل ، ولا يُخفيك<sup>(١)</sup> سائل ، ولا يبلغ مدحَكَ قائل ، أنت كما قال المُثَنُّون ، وفوق ما يقولون ، أسألك صبراً جميلاً ، وفرجاً قريباً ، ونصراً بالهدى ، وقرّة عين فيما تحب وترضى ، ثم ولّى لينصرف ، فابتدره الناسُ يعطونه ، فلم يأخذ شيئاً ، ثم مضى وهو يقول :

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله عِوَضاً ، ولو نال الغنى بسؤال  
وإذا السؤالُ مع النوال وزنته رَجَحَ السؤالُ وخفَّ كلُّ نوالٍ

[ من مقامات بديع الزمان ]

القائمة  
الأهوازية  
(الكفوفية)

ومن مقامات الإسكندري إنشاء البديع : حدّثنا عيسى بن هشام قال : كنت في بلاد الأهواز ، وقصاراى لفظة شرود أُصيدها ، أو كلمة بايعة أُستفيدها ؛ فادّاني السير إلى رُقعة [ من البلاد ] فسيحة ، وإذا هناك قومٌ مجتمعون على رجل يستمعون إليه وهو يخبط الأرض بعصاً على إيقاع لا يختلف ، وعلبت أن مع الإيقاع لحناً ، ولم أبعدُ لأنال من السماع حظاً ، أو أسمع من البليغ لفظاً ، فما زلت بالنظارة ، أرحم هذا وأدفعُ ذاك ، حتى وصلتُ إلى الرجل ، وصرفت الطرف منه إلى حُرْقَةٍ كالقُرْنَب<sup>(٢)</sup> ، مكفوف في شَمْلَةٍ من صوف ، يدور كالخدروف<sup>(٣)</sup> ، مُتَهَيِّئاً بأطول منه ، معتمداً على عصا فيها جلاجل ، يضربُ الأرض بها على إيقاع غنّيج ، ولفظٍ هَزَج ، من صدرٍ حَرَج ، وهو يقول :  
يا قومُ قد أثقل ديني ظهري وطالبتني ظلمتي بالمهر<sup>(٤)</sup>

(١) لا يخفيك - بالحاء المهملة - لا يثقل عليك ، ووقع في نسخة « لا يخفيك » تحريف (م) (٢) الحزقة : القصير المتقارب الخطو ، والقرنب - بوزن جعفر - اليربوع أو الفارة (م) (٣) الخدروف : لعبة من لعب الصبيان (م) (٤) الطلة : الزوجة (م)

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غَنَى وَوَفْرِ      سَاكِنَ قَفَرٍ وَحَلِيفَ قَفَرٍ  
 يَا قَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ حُرٍّ      يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ  
 يَا قَوْمُ قَدْ عِيلَ بِقَفَرِي صَبْرِي      وَانْكَشَفَتْ عَنِّي ذِيولُ السَّيْرِ  
 وَفَضَّ ذَا الدَّهْرِ بِأَيْدِي الْبَثْرِ      مَا كَانَ لِي مِنْ فَضَّةٍ وَتَبْرِ  
 أَوَى إِلَى بَيْتِ كَقِيدِ الشَّيْرِ      خَامِلَ قَدَرٍ وَصَغِيرَ قَدَرٍ<sup>(١)</sup>  
 لَوْ خَتَمَ اللَّهُ بِخَيْرٍ أَمْرِي      أَعْقَبَنِي مِنْ عُسْرَةِ يَسْرِ  
 هَلْ مِنْ فَتَى فِيكُمْ كَرِيمِ النَّجْرِ      مُحْتَسِبٍ فِي عَظِيمِ الْأَجْرِ  
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مُقْتَنًا لِلشُّكْرِ

قال عيسى بن هشام : فرق له والله قلبي ، واغرورقت عيني ، وما لبثت أن أعطيته دينارا كان معي ، فأنشأ يقول :

يَا حُسْنَهَا فَاقِعَةٌ صَفْرَاهُ      مَعشُوقَةٌ مَنقُوشَةٌ قَوْرَاهُ  
 يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا الْمَاءُ      قَدْ أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلِيَاهُ  
 نَفْسُ فُتًى يَمْلِكُهُ السَّخَاهُ      يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ  
 يَا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا الثَّنَاءِ      مَا يَتَقَضَى قَدْرَكَ الْإِطْرَاهُ

فَامْضِ عَلَى اللَّهِ لَكَ الْجَزَاءُ

ورحم الله من شدها في قرن بمثلها ، وأنسها بأختها ، فناله الناس ما نالوه<sup>(٢)</sup> ؛ ثم فارقهم وتبعته ، وعلمت أنه متعالم لسرعة ما عرف الدينار ، فلما نظمتنا خلوة مددت بُمْنَايَ إِلَى يَسْرِ عَصْدِيهِ ، وقلت : والله لَتَرِنِّي سِرَّكَ ، أَوْ لَا كَشَفْنِ سِرَّكَ ؛ فَكَشَفَ عَنْ تَوَاطِي لُوزٍ<sup>(٣)</sup> ، وَحَدَّرَتْ لثَامَهُ ، فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ شَيْخِنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِي ، فَقُلْتُ : أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ ؟ فَقَالَ : لَا

أَنَا أَبُو قَلَمُونٍ فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ

(١) كَقِيدِ الشَّيْرِ : كَقْدَرِهِ (م) (٢) نَالَهُ النَّاسُ : أَعْطَوْهُ (م)

(٣) تَوَاطَى لُوز : كُنَايَةٌ عَنْ حُدَّةٍ عَيْنِيهِ .

اخْتَرْنَا مِنَ الْكَسْبِ دُونَنَا      فَإِنَّ ذَهَبَكَ دُونَ  
زَجَّ الزَّمانِ مُحْمَقٍ      إِنَّ الزَّمانَ زَبُونُ  
لَا تُخْبِدَعَنَّ بِعَقْلٍ      مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْجَنُونُ

[ من شعر كشاجم ]

وقال أبو الفتح كشاجم :

ما زال حرُّ الشوقِ يَغْلِبُ صَبْرَهَا      حتى تَحْدَرُ دُمْعُها الْمُتَعَلِّقُ  
وجرى من الكُحْلِ السَّحِيقِ بِخَدِّهَا      خَطٌّ تَوَثَّرُهُ الدَّمْعُ السَّابِقُ  
فَكَانَ مَجْرَى الدَّمْعِ حِلْيَةً فَضَّةً      فِي بَعْضِهِ ذَهَبٌ وَبَعْضُهُ مُعْرَقُ

وقال :

مالذَّةُ أَكْمَلُ فِي طَيِّبِهَا      مِنْ قُبْلَةٍ فِي إِثْرِهَا عَصَّةُ  
كَأَنَّما تَأْثِيرُهَا لَمْعَةٌ      مِنْ ذَهَبٍ أُجْرِيَ فِي فَضَّةِ  
خَلَسَتْهَا بِالْكَرِّهِ مِنْ شَادِنٍ      يَعْشَقُ بَعْضِي بِالْمَنَى بَعْضُهُ

وقال :

ومستهجنٌ مَدْحِي لَهُ إِنْ تَأَكَّدَتْ      لَهُ عُقْدُ الْإِخْلَاصِ ، وَالْحَرْثُ يُمَدِّحُ<sup>(١)</sup>  
وَيَأْتِي الَّذِي فِي الْقَلْبِ إِلَّا تَبَيَّنَا      وَكَلَّ إِنَاءٌ بِالَّذِي فِيهِ يَرْتَشِحُ

وقال :

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ      فَالنَّاسُ بَيْنَ مَكْذَبٍ وَمُصَدِّقٍ  
فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِسَابِكَ شَاهِدًا      بِحَدِيثِ مَجْدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقٍ

وقال :

يَا مُسْدِي الْعُرْفِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا      وَمُتَّبِعِ السَّبْرِ وَالْإِحْسَانَ إِحْسَانًا<sup>(١)</sup>  
أَقْلِعْ سَحَابَكَ قَدْ غَرَّقْتَنِي نِعْمًا      مَا أَدْمَنَ الْغَيْثُ إِلَّا كَانَ طُوفَانًا<sup>(٢)</sup>

(١) المسدي : المعطى ، أسدي يسدي : أعطى ، والعرف : المعروف (م)

(٢) أقلع سحابك : أراد أقطع معزوفك وعطاءك ، وأدمن : دام وتتابع (م)

هذا مولد من قول أبي نواس :  
لا تسدينَّ إلى عارفة  
حتى أقوم بشكرٍ ما سلفا

البحترى :

ألحَّ جوداً ولم تضرُّز سحائبه  
مواهبٌ ما تجشَّمنَا السؤالَ لها  
وقد أخذَ على ذى الرمة قوله :  
ألا يا اسلمى يا دارمىَّ على البلى  
قالوا : وأحسن منه قول طرفة :

فسقى ديارك غيرَ مفسدها  
صوبُ الربيع وديمةٌ تهيمى  
وقد تحرز ذو الرمة مما تؤول عليه بالسلامة فى أول البيت .

\*\*\*

وقال كشاجم :

أيا نَشوان من خمرٍ بفيه  
أرى بك ما أراه بذى انتشاء  
تورَّد وجنةً وفنورُ لحظٍ  
وقال :

وما زالَ يَبْرِى جملةَ الجسمِ خُبها  
وقد ذُبْتُ حتى صِرتُ إن أنا زرتها  
وينقصه حتى نَقَصْتُ عن النقصِ<sup>(٢)</sup>  
أمنتُ عليها أن يَرى أهلها شخصي

[ الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره ]

كتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء : نَبَتْ بى غرَّةُ الحداثة ، فردَّتني  
إليك التجربة ، وقادَّتني الضرورة ، ثِقَّةٌ بإسراعك إلى وإن أبطأتُ عنك ،

(١) تجشمنَا : تكلفنا ، والقلب : البثر (م) (٢) الخندريس : اسم من أسماء

الحر (م) (٣) يبرى : ينحل ويهزل ويضعف ، وفى نسخة « على النقص » (م)

وقبولك العذر وإن قصرتُ عن واجبك ، وإن كانت ذنوبى سَدَّتْ على مسالك الصّبح عني ، فراجع في مجدك وسؤددك ، وإني لا أعرف موقفاً أذل من موقفي ، لولا أن الخطابية فيه لك ، ولا خطّة أذنى من خطّتي ، لولا أنها في طلب رضاك .

وهذا المعنى الذى ذهب إليه من الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره قد أكثر الناس منه قديماً وحديثاً وسأفيض في طرف من ذلك :

وأنشد أبو عبيدة لزياد بن مُنْقِذ الحنظلي ، وهو أخو [ المرار العدوي ، نسب إلى أمة العدوية ، وهى فُكَيْهَة بنت تميم بن الدّؤل بن جَبَلَة بن عدى بن ] عبد مناة بن أد بن طابخة ؛ فولدت لمالك بن حنظلة عدياً ويربوعاً ؛ فهؤلاء من ولده يقال لهم [ بنو ] العدوية ، وكان زياد نزل بصنعاء فاجتواها <sup>(١)</sup> ومنزله بنجد ، فقال في ذلك قصيدة يقول فيها وذكر قومه :

مُحَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي مَجَالِسِهِمْ      وَفِي الرِّحَالِ إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمٌ <sup>(٢)</sup>  
لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبِرَهُمْ      إِلَّا يَزِيدُهُمْ حَبًّا إِلَى هُمْ  
[ وأراه أول من استشار هذا المعنى .

وكان ابنُ أبي عَرَادَةَ السَّعْدِيُّ مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما فتركه وصحب غيره فلم يحمد أمره ، فرجع إليه ، فقال :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ      وَجَرَبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ  
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَجْرِيْبٍ غَيْرِهِ      فَكَانَ كَبْرَاءَ بَعْدَ طَوِيلٍ مِنَ السَّقَمِ  
وقال مسلم بن الوليد :

حَيَاتِكَ يَا بَنَى سَعْدَانَ بْنِ يَحْيَى      حِيَامَةً لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي  
جَلِبْتَ لَكَ الثَّنَاءَ فِجَاءً عَفْوًا      وَنَفْسُ الشُّكْرِ مُطْلَقَةُ الْعِقَالِ

(١) اجتواها : كرهها واستوخمها (م)

(٢) مُحَدَّمُونَ : يكثر غيرهم خدمتهم ، وثقال في مجالسهم : كناية عن الحلم والثبات (م)

وترجعني إليك - وإن نأت بي ديارى عنك - تجربة الرجال  
وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد البرد للبحتري :

أخ لك عاداه الزمان فأصيحث مذمةً فيما لديه المطــــــــالبُ  
متى ما تذوقه التجاربُ صاحباً من الناس تردُّهُ إليك التجاربُ  
وأنشد :

حياةُ أبي العباس زَيْنٌ لقومه لكلِّ امرئٍ قَاسَى الأمور وجَرَباً  
ونعتِبُ أحياناً عليه ولو مَضَى لَكُنَّا على الباقي من الناس أَعْتَباً<sup>(١)</sup>  
قال الصولي : جرى ذِكْرُ المكثفي بحضرة الراضى فأطريته وأكثرتُ الثناء  
عليه ، فقال لى : يا صولى ؛ كنت أنشدتنى لجرير :

أسليك عن زيد لتسلى ، وقد أرى بعينيك من زيد قَدَى ليس يَبْرَحُ  
فقلت : يا أمير المؤمنين ، مَنْ شكر القليل كان للكثير أشدَّ شكراً ، وأعظم  
ذكراً ، قال : فأين أنا لك من المكثفي ؟ فأنشدته للطائي :

كم من وساعٍ الجودِ عندى والندى لَمَّا جرى وجريت كان قَطُوفاً<sup>(٢)</sup>  
أحسبُ صَفْدِي ، ولكن كنت لى مثلَ الربيع حَيّاً وكان خريقاً  
وَكَلَّا كَمَا اقْتَعَدَ الْعَلَا فَرَكَبْتُهَا فى الذروة العلياً وجاء رَدِيفاً<sup>(٣)</sup>  
إن غاض ما المزنِ فضتْ ، وإن قَسَتْ كَبِدُ الزمان على كنت رَهْ وِفا  
وكان المكثفي أول من ناداه الصولى ، واختلط به .

ولم يلِ الخلافة أحد اسمه على إلا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، من اسمه على  
وعلى بن المعتضد المكثفي بالله ، وكان سبب اتصاله به واقطاعه إليه أن رجلاً  
يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى نزع إلى المكثفي بالرفقة ، وكان أَلْعَبَ الناس

(١) أعتبا : أشد عتبا (م) (٢) الوساع : الواسع ، والقطوف : البطىء السير (م)

(٣) الرديف : الذى يركب خلف راكب (م)

بالشطنج ، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أعلم الناس بهذه الصناعة ، فأقطعني ما كان للرازي الشطنجي ؛ ففاظ ذلك المكتفى ، وندب له الصولى فلم يُرَ معه الماوردى شيئاً . فقال له المكتفى : صار ماء وردك بؤلاً ، قال الصولى : فأقبل المكتفى على ورتبني في الجلساء ، فحجبت يوماً ، واتصل بي أن خصمى شمت بي ، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها :

قد ساء ظنُّ الناس بي وتنكروا      لمّا رأوني دون غيري أُحجَبُ  
إن كان غليبه يُقَرَّبُ أمره      دوني فإني عن قريب أُغَلَبُ  
فضحك ، وأمر لي بمائتي دينار ، واندرجت في خدمته .

[ في بيعة يزيد بن معاوية ]

اجتمعت وفودُ العرب عند معاوية رحمه الله تعالى ، وكان إذا أراد أن يفعل شيئاً ألقى منه ذرءاً إلى الناس <sup>(١)</sup> ، فإذا امتنعوا كف ، وإن رَضُوا أمضى ، فعرض ببيعة يزيد ، فقامت خطباء معدة فشققوا الكلام ، وأطنبوا في الخطاب ، فوثب شاب من غسان قابضاً على قائم سيمه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الحيفَ في حكم السيف <sup>(٢)</sup> ، وبعْدَ النسيمِ الهيف <sup>(٣)</sup> ؛ فإنَّ هؤلاء عجزوا عن الصيال ، فعوتلوا على المَقال ، ونحن القاتلون إذا صُلْنَا ، والمعجبون إذا قلْنَا ، فمن مال عن القصدِ أقناه ، ومن قال بغير الحق وقمناه <sup>(٤)</sup> ، فليَنظر ناظرٌ إلى موطنِ قَدَمه ، قبل أن تدْحض فيهِ هوى هوى الحجر من رأس النيق <sup>(٥)</sup> ؛ فتفرق الناس عن قوله ، ونسوا ما كانوا فيه من الخطب .

(١) ذرءاً : أى شيئاً منه ، ووقع في نسخة « ألقى منه طرفاً » (م)

(٢) الحيف : الظلم والجور (م) (٣) الهيف : ريح حارة (م)

(٤) وقمناه : قهرناه وأذلناه (م) (٥) النيق : أرفع موضع في الجبل (م)



## [ في الإقدام حياة ]

وقال المهلب يوماً لجلسائه : أراكم تعنفونني في الإقدام ، قالوا له : إياي والله ،  
إنك لسقوط بنفسك في المهالك ، قال : إليكم عني ! فوالله لولا أن آتى الموت  
مسترسلاً ، لأتاني مستعجلاً ؛ إني لست آتى الموت من حُبِّه ، إنما آتته من بُغْضِهِ ،  
ثم تمثل بقول الحُصَيْن بن الحُطَّام المَرِي :

[ تأخرت أستبقى الحياة فلم أجدْ      لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدماً  
ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله ] :

أرى كلنا يَهْوِي الحياةَ لنفسِهِ      حريصاً عليها مستهماً بها صَباً  
فحبُّ الجبانِ النفسَ أوردته التُّقَى      وحبُّ الشجاعِ النفسَ أوردته الخُرباً  
وقال أبو دلف :

الحربُ تَضْحَكُ عن كَرِّى وإِقْدَامِى      والخيلُ تعرفُ آثارِى وأَيَّامِى  
سَيفِى مُدَامِى ، وَرِيحَانِى مُثَقِّفِى ،      وَهَمَّتْ مِقَّةُ التَّفْصِيلِ لِلْهَامِ (١)  
وقد تجرَّد لى بالحسن منفرداً      أَمْضَى وَأَشْجَعَ مِنِى يَوْمَ إِقْدَامِى (٢)  
سَلَّتْ لَوَاحِظُهُ سَيْفَ السَّقَامِ عَلَى      جَسْمِى فَأَصْبَحَ جَسْمِى رَبْعَ أَسْقَامِ

[ من أخبار أبي دلف وشعره ]

وكان أبو دلف شاعراً مجيداً ، وجواداً كريماً ، جامعاً لآلات الأدب والظرف ،  
وله شعرٌ جيد في كل فن ، وهو القائل :

أحبك يا جَنَانُ ؛ فَأَنْتَ مِنِى      محلَّ الروحِ من جسدِ الجبانِ  
ولو أنى أقول : مكانِ روحي      خَلِفْتُ عَلَيْكَ بِأَدْرَةِ الزمانِ

(١) اللقمة : المحبة ، ووقع في نسخة « وهمتي نية التفصيل » (م)

(٢) في نسخة « وقد تجرَّد بالحسن ذوبدع » (م)

لإِقْدَامِي إِذَا مَا الْخَيْلُ جَالَتْ وَهَابَ كَمَا تَهَا حَرَّ الطَّمَانِ (١)  
 وكان يتعشَّقُ جاريةً ببغداد فإذا شَخَّصَ إلى الحضرة زارها، فركب في بعض  
 قَدَمَاتِهِ إِلَيْهَا، فلما صار بالجسر مشى على طرف طيلسان بعض المارِّين، فخرقه،  
 فأخذ بعنانه، وقال: يا أبا دلف! ليست هذه كرخك، هذه مدينة السلام؛ الذئب  
 والشاة بهما في مَرَبَعٍ واحد! ففتى عنانه متوجِّهاً إلى السكرخ، وكتب إلى الجارية:

قَطَعْتُ عَنْ لِقَائِكَ الْأَشْغَالُ وَهَمُومٌ أَتَتْ عِبْلَى نَمَالُ  
 فِي بِلَادِ يَهَانَ فِيهَا عَزِيزُ الْقَوْمِ حَتَّى تَنَالَهُ الْأَنْذَالُ  
 حَيْثُ لَا مَدْفَعٌ بِسَيْفٍ عَنِ الضَّيِّمِ وَلَا لَلْكَمَاةِ فِيهَا مَجَالُ (١)  
 ومقام العزيز في بلد الهو. ن إذا أمكن الرحيل محال  
 فعليك السلام يا ظبيَّة السكركرخ أقمي وحان مِنَّا ارتحالُ

ودخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه، فسأله عن عبد الله بن طاهر، فقال:  
 خَلَّفْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِينٌ غَيْبٌ، نَصِيحٌ جَيِّبٌ، أَسَدٌ عَاتِيٌّ، قَائِمٌ عَلَى بَرَائِنِهِ،  
 يَسْعَدُ بِهِ وَلِيُّكَ، وَيَشْقَى بِهِ عَدُوُّكَ، رَحِبَ الْفَنَاءِ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ، ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ  
 لِمَنْ زَاغَ عَنْ قَصْدٍ مَحْجَتِكَ، قَدْ فَتَّهَ الْحَزْمَ، وَأَيَقَظَهُ الْعَزْمَ، قَامَ فِي نَحْرِ الْأُمُورِ  
 عَلَى سَاقِ التَّشْمِيرِ، يُبْرِمُهَا بِأَيْدِهِ (٢) وَكَيْدِهِ، وَيَقْلُهَا بِجَدِّهِ وَجَدِّهِ؛ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي  
 الْحَرْبِ إِلَّا بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ:

أَكْرُهُ عَلَى السَّكْتِيَّةِ لَا أَبَالِي أَحْتَقِي كَانَ فِيهَا أُمٌّ سِوَاهَا

[ فقال قائل: ما أفصحه على جَبَلِيَّتِهِ! فقال المأمون: وإن بالجبل قوما  
 أمجاداً، كراماً أنجاداً، وإنهم ليوَفُّونَ السيفَ حظه يوم النزال، والكلام  
 حقُّه يوم المقال، وإن أبا دلف منهم ] .

(١) الكَمَاة: جمع كَمَى، وهو الفارس التَّكْمَى في سلاحه. أى المستتر (م)

(٢) الأيد: القوة (م)

## [ من رسائل الميكالى ]

فصل لأبى الفضل الميكالى من كتاب تعزية عن أبى العباس بن الإمام أبى الطيب .

لئن كانت الرزية بمصيبة مؤلمة ، وطُرُقُ العزاء والسَّلَوة مبهمة ، لقد حلت بساحة من لا تُنتَقَضُ بأمالها مرائرُهُ ، ولا تَضَعُفُ عن احتمالها بصائرُهُ ، بل ينلقأها بصدْرٍ فسيحٍ يَحْمِي أن يَفْتَحَ الحزنُ بابَهُ ، وصبرٍ مشيحٍ يحمى أن يُحْبِطَ الجزعُ أجره وثوابه ، ولم لا وآدابُ الدين من عنده تُلتَمَسُ ، وأحكامُ الشرع من بَنَانِهِ ولسانه تستفاد وتُقْتَبَسُ ، والعيونُ تَرْمَقُهُ <sup>(١)</sup> فى هذه الحال لتجربى على سَلَنِهِ ، وتأخذَ بأدابه وسُنَنِهِ ؛ فإن تَعَزَّتْ القلوبُ فبحُسْنِ تَماسكه عزأوها ، وإن حُسُنَتْ الأفعالُ فإلى حميدِ أفعاله ومذاهبه اعزأوها .

وله من تعزية إلى أبى عمرو البحترى : قدس الله روحه ، وسقى ضريحه ؛ فلقد عاش نبيه الذِّكْرُ ، جليلَ القَدْرِ ، عَمِيقَ الثناء والنَّشْرِ ، يتجَلَّلُ به أهل بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودَّتِهِ ، ويفتخر الأثرُ وحاملوه بترأخى بقائه ومُدَّتِهِ ، حتى إذا تسنَّم ذِرْوَةُ <sup>(٢)</sup> الفضائل والمناقب ، وظهرت محاسنه كالنجوم النواقب ، اختطفته يدُ المِقْدَارِ ، ومُجِى أثره بين الآثار ، فالفضلُ خاشعُ الطَّرَفِ لِقَدْرِهِ ، والكرمُ خالى الرُّبْعِ من بعده ، والحديثُ يندبُ حَافِظَهُ ودَارِسَهُ ، وحُسْنُ العهدِ يبكى كافله وحارسه .

وله : فأما الشكرُ الذى أعارنى رداءه ، وقلدنى طَوْقَهُ وسنائه ؛ فهيهات أن ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله ، ولا يسيرَ إلا تحتَ رايات عُرفه ونوآله ، وهو ثوب لا يحلَّى إلا بذكره طِرَازِهِ ، واسمٌ له حقيقته ولسواه مجازُهُ ، ولو أنه

(١) ترمقه : تنظره وتطلع إليه (م)

(٢) تسنم : علا ، وأصله ركب فوق السنام ، وهو أعلى مكان فى الإبل ، وذروة

كل شىء : أعلاه (م)

حين ملكت رِقِّي بأياديهِ ، وأعجز وُسْعِي عن حقوق مكارِمِهِ ومُساوِيهِ ، خَلَى لِي  
مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمَيْدَانَهُ ، وَلَمْ يَجَازِبْنِي زِمَامُهُ وَعَنَانُهُ ، لَتَعَلَّقْتُ عَنْ بُلُوغِ بَعْضِ  
الْوَاجِبِ بِمُرُوءَةِ طَمَعٍ ، وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَمٍ <sup>(١)</sup> ، وَلَكِنَّهُ يَأْتِي إِلَّا أَنْ  
يَسْتَوِي عَلَى أَمَدِ الْفَضَائِلِ ، وَيَتَسَنَّمُ ذُرًّا الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكُوَاهِلِ ؛ فَلَا يَدْعُ فِي  
الْمَجْدِ غَايَةً إِلَّا يَسْبِقُ إِلَيْهَا فَارْطَا ، وَيُخَلِّفُ مِنْ سِوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا ؛ لِتَكُونَ  
الْمَعَالَى بِأَسْرِهَا نَجْمُوعَةً فِي مِلْكِهِ ، مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ ، خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى  
الْقَسِيمِ وَشِرْكِهِ .

وَلَهُ فِصْلٌ مِنْ كِتَابٍ إِلَى أَبِي سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ الْهَمْدَانِي : فَأَمَّا التَّخَفُّةُ الَّتِي  
شَفَعَهَا بِكِتَابِهِ فَقَدْ وَصَلَتْ ، فَكَانَتْ ضَرَّةَ لَزْهَرِ الرَّبِيعِ ، مَوْفِيَةً بِحُسْنِ الْخَطِّ عَلَى  
الْوَشْيِ الصَّنِيعِ ، وَلَيْسَ يَهْتَدِي لِمِثْلِ هَذِهِ اللَّطَائِفِ فِي مَبَرَّةِ الْإِخْوَانِ ، إِلَّا مَنْ  
يَعُدُّ مِنْ أَفْرَادِ الْأَقْرَانِ ، وَلَا يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ فِي إِقَامَةِ شِعَائِرِ الْبَرِّ دُونَ الْقُرْآنِ <sup>(٢)</sup> ،  
وَاللَّهُ يَمْتَعُهُ بِمَا مَنَحَهُ مِنْ خَصَائِصٍ هِيَ فِي آذَانِ الزَّمَانِ شُنُوفٌ <sup>(٣)</sup> ، وَفِي جِيدِهِ  
عَقْدٌ بِمَرْصُوفٍ .

### [ عتاب ]

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْخَرِيمِيُّ يَعَاتِبُ الْوَلِيدَ بْنَ أَبَانَ :  
أَتَعْجَبُ مِنِّي إِنْ صَبَرْتُ عَلَى الْأَذَى      وَكُنْتُ امْرَأً ذَا إِرْبَقٍ مُتَجَمِّلًا  
فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا رَأْيَ عَاجِزٍ      رَأَيْتُ ، وَلَا أَخْطَأْتُ لِلْحَقِّ مَفْصِلًا  
وَلَكِنْ تَدَبَّرْتُ الْأُمُورَ ؛ فَلَمْ أَجِدْ      سِوَى الْحِلْمِ وَالْإِغْضَاءِ خَيْرًا وَأَفْضَلًا  
وَأَقْسَمُ لَوْلَا سَالِفُ الْوَدِّ بَيْنَنَا      وَعَهْدُ أَبْتِ أَرْكَانِهِ أَنْ تَزِيلَا  
وَأَيَامُكَ الْغَرُّ اللَّوَاتِي تَقَدَّمَتْ      وَأُولِيَّتَيْنِهَا مُنْعِمًا مُتَطَوِّلًا

للخريمي  
يعاتب الوليد  
بن أبان

(١) الوهن : الضعف ، والظلم : أن تغمر في سيرك (م)

(٢) القرآن - بكسر القاف - أن تجمع الشيء إلى الشيء (م)

(٣) الشنوف : جمع شنف - بالكسر - وهي حلية تلبس في أعلى الأذن (م)

رحلتُ قُلُوصَ المَهِجَرِ نَمِ اقْتَعَدْتُهَا  
 وَأَكْرَمْتُ نَفْسِي وَالْكَرَامَةَ حَظُّهَا  
 وَعَارَضْتُ أَطْرَافَ الصَّبَا أُبْتَغِي أَخَا  
 أَخَا كُنَانِي عَمَزُو، وَأُنِّي بِمِثْلِهِ  
 جَزَى اللَّهُ عَثْمَانَ الْخُرَيْمِيَّ خَيْرَ مَا  
 أَخَا كَانَ إِنْ أَقْبَلْتُ بِالْوَدِّ زَادَنِي  
 أَخَا لَمْ يَخْنِي فِي الْحَيَاةِ وَلَمْ أُبْتَ  
 إِذَا حَاوَلُوهُ بِالسَّمَايَةِ حَاوَلُوا  
 يَحْكُمَنِي فِي مَالِهِ وَلِسَانِهِ  
 كَفَى جَفْوَةَ الْإِخْوَانِ طَوْلَ حَيَاتِهِ  
 وَبَاتَ حَيْثُ دَامَ لَمْ يَكْدُرْ صَنِيعُهُ  
 وَكُنْتُ أَخَا لَوْ دَامَ عَهْدُكَ وَاصِلًا  
 فَعَيَّرَكَ الْوَاشُونَ حَتَّى كَانَمَا  
 إِلَى الْبَعْدِ مَا أَلْفَيْتُ فِي الْأَرْضِ مَعْمَلًا  
 وَلَمْ تَرْنِي لَوْلَا الْمَوَى مِثْلًا  
 يُعِينُ إِذَا مَا أَلْهُمُ بِالْمَرْءِ أَغْضَلًا  
 إِذَا الْخُرُءُ بِالْجَبَدِ ارْتَدَى وَتَسَرَّ بَلَا  
 جَزَى صَاحِبًا جَزَلَ الْمَوَاهِبِ مُفْضِلًا  
 صَفَاءً وَإِنْ أُدْبِرْتُ حَنْ وَأَقْبَلًا  
 يَخَوْفَنِي الْأَعْدَاءُ مِنْهُ التَّنْقِلًا  
 بِهِ هَضْمَةٌ تَأْتِي بَأَنْ تَتَخَلَّخَلًا  
 وَيَرْكَبُ دُونِي الزَّاعِي الْمَوْلَا<sup>(١)</sup>  
 وَأَوْرَثَ مِمَّا كَانَ أُعْطِيَ وَأَحْزَلَا  
 وَلَمْ أَقْلِهِ طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَاقَلًا  
 نَصُورًا إِذَا مَا الشَّرُّ خَبَّ وَهَرَوَلَا  
 تَرَانِي شُجَاعًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُقْبِلًا

[ من ترجمة أبي يعقوب الخريمي ]

وأبو يعقوب هذا إسحاق بن حسان ، قال المبرد : كان أبو يعقوب جميل  
 الشعر ، مقبولا عند الكتاب ، وله كلامٌ قوى ، ومذهبٌ متوسط ، وكان يرجع  
 إلى نسب كريم في الضُّعْد ، وكان له ولّاء في غطفان ، وكان اتصاله بمولاه أبي  
 عثمان بن خُرَيْم المَرِي الذي يقال له خُرَيْم الناعم ، وكان أبو عثمان هذا قائداً  
 جليلاً ، وسيدا كريماً . وسُئِلَ [ خُرَيْم ] عن لَذَّةِ الدُّنْيَا ، فقال : الْأَمْنُ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ  
 لِنَاحِثٍ ، وَالْعَافِيَةُ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لِسَقِيمٍ ، وَالغَنَى فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لْفَقِيرٍ . وقيل له :

(١) ازاعي : الرمح الذي إن هزته تدافع كله ، والمؤلل : المحدد طرفه (م)

ما بلغ من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديداً في صيف ، ولا خلقتا في شتاء . وفي نسبه في الصُّغْد يقول :

أَبَا الصُّغْدِ بَاسٌ أَنْ تَعْبِرَنِي جُمْلُ      سَفَاها وَمِنْ أَخْلَاقِ جَارَتِنَا الْبَخْلُ<sup>(١)</sup>  
وَمَا ضَرَرَنِي أَنْ لَمْ تَلِدْنِي يُحَايِرُ      وَلَمْ تَشْتَمِلْ جَرْمَ عَلَيَّ وَلَا عُكْلُ<sup>(٢)</sup>  
يقول فيها :

[ودون الندى في كل قلب ثنيةٌ      لَهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ مَهْلُ]  
وودَّ الفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ      إِذَا مَا انْقَضَى لَوْ أَنْ نَائِلُهُ جَزَلُ  
وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ      لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ ضَرَائِبِهِمْ شَكْلُ  
وَأَنْ أَحِلَاءَ الزَّمَانِ غَنَّاؤُهُمْ      قَلِيلٌ إِذَا مَا الْمَرْءُ زَلَّتْ بِهِ النُّفْلُ  
تَزَوَّدَ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا فَيُرِيهَا      فَقَدْ شَمَّرَتْ حَدَّاءُ وَانْصَرَمَ الْخُبْلُ<sup>(٣)</sup>  
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ      لَأَمَّا مِنْ إِحْدَى طَوَارِقِهَا الشَّكْلُ  
وَقَالَ يَتَشَوَّقُ الْحَسَنُ بْنُ التَّخْتَانِ<sup>(٤)</sup> :

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي خَلِيلِي وَدُونُهُ      مَطَا سَقَرٍ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ طَالِبُهُ  
رِسَالَةً ثَاوٍ بِالْعِرَاقِ وَرُوحُهُ      بِنُفْسٍ طَاطٍ مَضْرُوحٍ حَيْثُ جَمَّتْ عَجَائِبُهُ  
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ حَنَّةٌ بَعْدَ رَنَّةٍ      يَجِيشُ بِهَا فِي الصَّدْرِ شَوْقٌ يَغَالِبُهُ  
إِلَى صَاحِبٍ لَا يُخْلِقُ النَّأْيُ عَهْدَهُ      لِنَاءٍ وَلَا يَشْقَى بِهِ مِنْ يُصَاقِبُهُ  
تَخَيَّرَهُ حَرًّا نَقِيًّا ضَمُّهُ يَرُهُ      جَمِيلًا مَحْيَا كَرِيمًا ضَرَائِبُهُ  
هُوَ الشَّهْدُ سَلَمًا ، وَالذَّعَافُ عَدَاوَةٌ      وَتَجَرُّهُ عَلَى الْوَرَادِ تَجَرُّهُ غَوَارِبُهُ  
فِي أَحْسَنِ الْحُسْنِ الَّذِي عَمَّ فَضْلُهُ      وَتَمَّتْ أَيْادِيهِ وَجَمَّتْ مَنَاقِبُهُ  
إِلَيْكَ عَلَى بُعْدِ الْمَرَارِ تَطْلَعْتُ      نَوَازِعُ شَوْقٍ مَا تُرَدُّ عَوَازِبُهُ  
أَرَى بِعَدِكَ الْإِخْوَانَ أَبْنَاءَ عَلِيٍّ      لَهُمْ نَسَبٌ فِي وَدَّهِمْ لَا أَنْاسُهُ

(١) في نسخة « أن يعبرني الجهل » وليس بذلك (م)

(٢) يحابر ، وجرم ، وعكل : من قبائل العرب (م)

(٣) في نسخة « فقد شممت حدباء » والحدباء : السريعة (م)

(٤) في نسخة « ابن المحتاج » وفي أخرى « ابن البهناج » (م)

فهل يرَجَعنْ عيشي وعيشك مرّة  
 ليالي أرغى في جنابك روضةً  
 وإذا أنت لي كالشهد بالراح صُفِّقاً  
 ماء رِصاف صَفَّقْتُهُ جَنَائِبُهُ (٢)  
 عني ولعلّ الله يجمعُ بيننا  
 كما لاءمت صدع الإناء مَشَاعِبُهُ

### فقر وفضول في معان شتى

قال العتّابي : حظّ الطالبين من الدّرك ، بحسب ما استصحبوا من الصّبر .  
 بعض الحكماء : الحلم عُدّة للسفيه ، وجُنّة من كَيْدِ العاو ، وإنك لن  
 تقابل سفيها بالإعراض عن قوله إلّا أذلتَ نفسه ، وفَلَّيتَ حدّه ، وسلّلتَ عليه  
 سيوفاً من شواهد حِلْمِكَ عنه ، فتولّوا لك الاتِّيقامَ منه .  
 وقال آخر : العجلة مكسبة للمذمة ، مجلبة للندامة ، منقّرة لأهل الثقة ،  
 مانعة من سدّادِ الرغبة .

وأنى العتّابيّ وهو بالرّوى رجلٌ يودّعه فقال : أين تريد ؟ قال : ببغداد ،  
 قال : إنك تريد بلداً أُصطلح أهلُه على صحّة العلانية ، وسَقَمَ السريّة ، كلُّهم  
 يعطيك كاه ، ويمنعك قُله

وقال يحيى بن خالد لرجل دخل عليه : ما كان خبرُك مع فلان ؟ قال : قد  
 افتديت مكاشفته واشتريت مكاشرتَه (٣) بألف درهم ، فقال يحيى : لا تبرح حتى  
 يكتبَ الفضلُ وجعفرُ عنك هذا القول .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يدعو ، ويقول : اللهم ارزقني عملَ الخائفين ،  
 وخوفَ العاملين ، حتى أتُنعِمَ بِتَرْكِ التّنعيم ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت .  
 وللعتّابي : أما بعد فإنه ليس بمستخلّص غَضَارَةُ عِيشٍ إلّا من خلال مَكْرُوهِه ،

(١) في نسخة «منيع ترائبه» (م) (٢) صفقا : خلطاً ، ورصاف : جمع رصفة -  
 بالتحريك . - وهى الحجارة للرصوف بعضها إلى بعض فى مسيل الماء ، والجنائب : جمع  
 جنوب ، وهى الريح التى تقابل ريح الشمال (م) (٣) مكاشرتَه : معالنته بالبعض (م)  
 (١٦ - زهر الآداب ٤)

ومن انتظر بمعالجة الدرك مؤجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته .  
 كتب بعض الكتاب إلى أخ له : إن رأيت أن تحدّد لي ميعاداً لزيارتك ،  
 أتقوته<sup>(١)</sup> إلى وقت رؤيتك ، ويؤنسني إلى حين لفائك ، فعلت إن شاء الله  
 فأجابه : أخاف أن أعدك وعداً يعترض دون الوفاء به مالا أقدر على  
 دفعه ، فتكون الحسرة أعظم من الفرقه .

فأجاب المبتدئ : أنا أسرموعدك ، وأكون جدلاً<sup>(٢)</sup> بانتظارك ، فإن عاق  
 عن الإنجاز عائق ، كنت قد ربحت السرور بالتوقع لما أحبه ، وأصبحت أجرى  
 على الحسرة بما حرمته .  
 وكتب أخ<sup>٣</sup> إلى أخ له يستدعيه : أما بعد فإنه من عانى الظماً بفراقك  
 استوجب الرى من رؤيتك ، والسلام .

وكتب آخر في بابه : يومنا يوم طاب أوله ، وحسن مستقبله ، وأتت  
 السماء بقطارها ، فخلت الأرض بأنوارها<sup>(٣)</sup> ، وبك تطيب الشمول ، ويشفى الغليل ،  
 فإن تأخرت عنا فرقت شملنا ، وإن تعجلت إلينا نظمت أمرنا .

قال إسحاق الموصلى : قال لى ثمامة بن أشرس ، وقد أصبت بمصيبة : لمصيبة  
 فى غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فىك لغيرك أجرها .

ومر عمر بن ذر بابن عياش المنتوف ، وكان سفيه عليه فأعرض عنه ، وتعلق  
 بشوبه ، وقال : يا هناه ؛ إنا لم نجد لك جزاء إذ عصيت الله فينا ، خيراً من أن  
 نطليه فىك . أخذه من قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما عاقبت من  
 عصى الله فىك بمثل أن تطيع الله فيه .

وكتب بعض الكتاب إلى رئيسه : ما رجائى عدلك بزائد على تأملى  
 فضلك ، كما أنه ليس خوفاً صيالك ، بأكثر من خشيتى نكالك ؛ لأنك

(١) أتقوته : أحمله قوتالى (م) (٢) جدلاً : مسروراً (م)

(٣) القطار - بكسر القاف - الطر . والأنوار : جمع نور - بالفتح - وهو نور الزهر (م)



لَا تَرْضَى الْمَحْسَنَ بِصَغِيرِ الْمُثُوبَةِ ، كَمَا لَا تَقْنَعُ لِلْمَسِيءِ إِلَّا بِمُوجِعِ الْعُقُوبَةِ .  
 وقال آخر : ما عسيت أن أشكرك عليه من مَوَاعِدَ لم تُشَبَّ بِمَظَلٍّ ، ومِرَافِدَ  
 لم تُشَنَّ بِمَنٍّ ، وعهد لم يَمازجه مَلَقٌ ، ووُدٌّ لم يشبهه مَذَقٌ .  
 وقال آخر : علقت به أسباب الجلالة غير مستشعر فيها بَنَخُوةٍ ، وترامت له  
 أحوالُ الصرامة غير مستعمل معها السطوة ، هذا مع دَمَائَةٍ في غير حَصَرٍ ، ولَبَنِ  
 جانب من غير خَوَرٍ <sup>(١)</sup> .

فصل لابن الرومي : إني لَوَلِيْتُكَ الذي لم تزل تنقادُ لك مودتُهُ من غير طمع  
 ولا جَزَعٍ ، وإن كنتَ لذي رغبة مَطْمَعاً ، ولذي رَهْبَةٍ مَهْرَباً .  
 أبو فراس الحمداني :

كَذَاكَ الْوِدَادُ الْمَخْضُ لَا يَرْجِي لَهُ ثَوَابٌ ، وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابُ  
 [ بين حنيفة ونمير ]

غَزَتْ حَنِيفَةٌ نَمِيرًا فَاتَّصَفَوْا مِنْهُمْ ، فَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ : كَيْفَ صَنَعَ قَوْمُكَ ؟  
 قَالَ : اتَّبَعُونِي وَقَدْ أَحْبَبُوا كُلُّ جُمَالِيَةِ خَيْفَانَةٍ <sup>(٢)</sup> ، فَاذْهَبُوا يَحْصِفُونَ [ أَخْفَافَ ]  
 الْمَطِيِّ بِحَوَافِرِ الْخَيْلِ ، حَتَّى لَحِقُوهُمْ ؛ فَعَمَلُوا الْمُرَّانَ أَرْشِيَةَ الْمَوْتِ ، فَاشْتَفَوْا بِهَا  
 أَرْوَاحَهُمْ .

### [ دعاء ]

ودعا أعرابي فقال : اللهم إن كان رزقي نائياً فقرِّبه ، أو قريباً فيسرِّه ،  
 أو ميسراً فعبِّله ، أو قليلاً فكثره ، أو كثيراً فثمِّره .

### [ من رسائل البلغاء ]

وكتب عَنبَسَةُ بْنُ إِسْحَاقَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الرَّقَّةِ ، يَصِفُ خُرُوجَ  
 الْأَعْرَابِ بِنَاحِيَةِ سَنَجَارَ وَعَيْشِهِمْ بِهَا <sup>(٣)</sup> : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قَطَعَ سُبُلَ الْمُجْتَازِينَ ، وَعَامِلُهُ عَلَى الرَّقَّةِ

- (١) الدَّمَائَةُ : اللَّيْنُ وَالسَّهْوَةُ ، وَالْحَصَرُ - بِالْتَحْرِيكِ - احْتِبَاسُ الْقَوْلِ وَالْعَمَى ،  
 وَالْحَوَرُ : الْجَبْنُ وَالضَّعْفُ (م) (٢) أَحَقَبَ الْبَعِيرُ : جَعَلَ عَلَيْهِ الْحَقَبَ ، وَهُوَ حَبْلٌ يَشُدُّ  
 بِهِ الرَّحْلَ ، وَالْجُمَالِيَةُ - بضم الجيم - النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ الْوَثِيقَةُ ، وَالْخَيْفَانَةُ : السَّرِيعَةُ (م)  
 (٣) عَيْشِهِمْ - بِالْفَتْحِ - إِفْسَادُهُمْ (م)

من المسلمين والمعاهدين ، نَفَر من شُدَّاذ الأعراب الذين لا يرقبون في مؤمنٍ إلا<sup>(١)</sup> ولا ذِمَّة ، ولا يخافون من الله حداً ولا عقوبة ، ولو لا نَفَقَتِ بسيف أمير المؤمنين وحَصَدَه هذه الطائفة ، وبلوغه في أعداء الله ما يَرُدُّع قاصيهم ودانِيهم ، لَأَذْنْتُ بالاستنجداء عليهم ، ولا بَتَمَعْتُ الخيل إليهم ، وأمير المؤمنين مُعَانٌ في أموره بالتأييد والنصر إن شاء الله .

فكتب إليه المأمون :

أَتَمَعْتُ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ والبصر لا يَقْطَعُ السِّيفُ إلا في يَدِ الحَذِرِ  
سيصبح القومُ من سيفي وضاربه مِثْلَ الهَشِيمِ ذَرْنَهُ الرِّيحُ بالمَطَرِ  
فوجه عنبسة بالبيتين إلى الأعراب ، فما بقي منهم اثنان .

وكتب المطلب بن عبد الله بن مالك إلى الحسن بن سهل في رجل توسل به :  
طَلَبُ العَافِينَ الوَسَائِلَ إلى الأمير - أعزّه الله - يُنْجِي عن شروع موارد  
إحسانه ، ويدْعُو إلى معرفة فضله ، وما أنصفه - أعزّه الله تعالى - مَنْ توسل  
إلى معروفه بغيره ؛ فَرَأَى الأمير - أعزّه الله - في التَّطَوُّلِ على مَنْ قَصُرَتْ معرفته  
عن ذلك بما يريد الله تعالى فيه موقفاً إن شاء الله تعالى .

بين الحسن  
بن سهل  
والمطلب  
بن عبد الله

فكتب إليه الحسن : وصلك الله بما وصلتني في صاحبك من الأجر والشكر ،  
وأراك الإحسان في قصْدِكَ إلى بأمثاله فرضاً يفيدك شكره ، ويعقبك أجره ،  
فرايك في إتمام ما ابتدأت به وإعلامي ذلك مشكوراً .

وكان المطلب ممدّحاً كريماً ، وقد حسد دعبل شرفه وإنعامه ، وغبط إحسانه  
وإكرامه ، إذ يقول :

أَضْرِبْ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلِحَاتِ معترفاً بلَوْثِ مُطْلَبٍ فِينَا وَكُنْ حَكِماً  
تَخْلُصُ خِزَاعَةً من لَوْثٍ ومن كَرَمٍ فلا تَعُدْ لها لَوْثاً ولا كَرَمًا  
وأمر طلحة أعرف من أن يُوصَف .

وما أبعد قول دعبيل من قول البحترى لصاعد بن مخلد وأهل بيته :  
 بنى مَحْدَلِدْ كَفَوْا تَدْفُقْ جُودَكُمْ      وَلَا تَبْخُسُونَا حِظْنًا فِي الْمَكَارِمِ  
 وَلَا تَنْصُرُوا مَجْدِي قَنَانٍ وَمَخْلَدٍ      بَأَنْ تَذْهَبُوا عَنَا بِسُمْعَةٍ حَاتِمٍ<sup>(١)</sup>  
 وَكَانَ لَنَا اسْمُ الْجُودِ حَتَّى جَعَلْتُمْ      تَغْضُونَ مِنَّا بِالْخِلَالِ الْكَرَامِ

[ رثاء يزيد بن مزيد ]

قال الزبير بن بكار : لما مات يزيد بن مزيد بأرمينية قام حبيب بن البراء خطيباً ، فقال : أيها الناس ، لا تَقْنَطُوا مِنْ مِثْلِهِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ النَّظِيرِ ، وَهَبُوهُ مِنْ صَالِحِ دَعَائِكُمْ مِثْلَ الَّذِي أَخْلَصَ فِيكُمْ مِنْ نَوَالِهِ ، وَاللَّهِ مَا تَفْعَلُ الدِّيمَةُ الْمَهْطَلَةَ فِي الْبَقْعَةِ الْجَدْبَةِ مَا عَمِلَتْ فِينَا يَدَاهُ مِنْ عَدْلِهِ وَنَدَاهُ .

فسرق هذا أبو لبابة [ الشاعر ] فقال :

مَا بَقَعَةٌ جَادَهَا غَيْثٌ وَقَرَّيَهَا      فَأَزْهَرَتْ بِأَقَاحِي النَّبْتِ أُلُوانَهَا  
 أَبْهَى وَأَحْسَنَ مِمَّا أَثَرَتْ يَدُهُ      فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَعْرُوفًا وَإِحْسَانًا

\*\*\*

[ وقال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة :  
 وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى      فَسَوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى  
 وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ      فِيهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَّمْتَهَا      بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاؤُهَا بِمَكْدَرٍ  
 وَإِذَا هَمَمْتَ لِمُعْتَفِيكَ بِسَائِلٍ      قَالَ النَّدَى - فَأَطَعْتَهُ - لَكَ : أَكْثَرُ<sup>(٣)</sup>  
 يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ      مِنْ مَعْدَلٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصَرٍ ]

(١) في نسخة « ولا تنصروا مجدي قيان ومخلد » وفي ديوان البحترى « قنان وخالد » (م) (٢) توَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ : صَعِبَتْ وَشَقَّتْ عَلَى سَالِكِيهَا ، وَالنَّدَى - بَزَنَةُ الْفَتَى - الْجُودُ وَالْكَرَمُ (م) (٣) الْمُعْتَفَى ، وَمِثْلُهُ الْعَافَى : طَالِبُ الْمَعْرُوفِ (م)

[ من رسائل بديع الزمان ]

كتب البديع أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن يحيى : أما أبو فلان فلا شك أن كتابي يردُّ منه على صدرٍ مَحْمَدٍ من صنيفته ، وقطع حَظِّي من وظيفته ، ونسي اجتماعنا على الحديث والفرز ، وتصرفنا في الجدِّ والهزل ، وتقلبنا في أعطاف العيش ، بين الوقار والطيش ، وارتضاعنا ثدي العشرة ؛ إذ الزمان رقيقُ القشرة ، وتواعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه ، وتصافحنا من قبل ألا نصرم الحبْل ، وتعاهدنا من بعد ألا ننقض العهد ، وكأني به وقد اتخذ إخواناً فلا بأس ، فإن كان للجديد لذة فللقديم حرمة ، والأخوة بُرْدَةٌ لا تضيق بين اثنين ، ولو شاء عاشرنا في البين ، وكان سألني أن أرتاد له <sup>(١)</sup> منزلاً ماؤه روي ، ومصرعه غذي ، وأكاتبه ليُنهِضَ إليه راحلته ؛ فهناك نيسابور <sup>(٢)</sup> ضالته التي نشدتها وقد وجدتها ، وخراسان أمنيته التي طلبتها وقد أصبته ، وهذه الدولة بغيته التي أرادها وقد وردتها ، فإن صدقني رائداً ، فليأتني قاصداً .

وله إلى بعض إخوانه يعزيه عن أبيه : وصلت رقعتك ياسيدي والمصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالعزاء أجدر ، والصبرُ عن الأحبة رشد كانه النفي ، وقد مات الميت فلم يخف الحى ، والآن فاشدّد على مالك بالחס ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، وكان الشيخ رحمه الله وكيلك ، تضحك ويبكي لك ، وقد موّلك ما أَلَّفَ في سراه <sup>(٣)</sup> وسيره ، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسمعجُمُ الشيطان عودك ، فإن استلانك رماك بقومٍ يقولون : خيرُ المال ما أُتِفَ بين الشراب والشباب ، وأنفق بين الحَبَابِ <sup>(٤)</sup> والأحباب ، والعيش بين القِدَاحِ والأقداح <sup>(٥)</sup> ، ولولا الاستعمال ، ما أريد المال ! فإن أطعتم فاليوم في الشراب ، وغداً في الخراب ، واليوم واطرَباً للكأس ، وغداً واحرباً من

(١) أرتاد: أطلب (م) (٢) في نسخة « فهاهى نيسابور » (م)

(٣) في نسخة « ما أَلَّفَ من سراه » (م) (٤) الحباب - بفتح الحاء - وهى

نفاخات الماء (م) (٥) القداح : أراد بها قداح الميسر . والأقداح : أراد بها كؤوس الخمر ، يعنى يضيع المال بين المقامرة والسكر (م)

الإفلاس ، يامولاي ذلك الخارجُ من العود يسميه الجاهل نَقْرًا ، ويسميه العاقل فقراً . وكذلك المسموع في الناي ، هو في الآذان زَمْراً ، وفي الأبواب سَمَرٌ ، فإن لم يجد الشيطان مغمراً في عودك من هذا الوجه ، رَمَاكَ بقوم يمثلون الفقرَ حِذَاءَ عَيْنَيْكَ ، فتجاهد قَلْبَكَ ، وتحاسب بَطْنَكَ ، وتناقش عِرْسَكَ<sup>(١)</sup> ، وتمنع نفسك ، وتتوقى دنياك بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك ، لا ، ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين ، لا مَنع ولا إسراف ، والبخل فقرٌ حاضر ، وضربٌ عاجل ، وإما يبخلُ المرء خيفة ما هو فيه .

ومن ينفق الساعات في جمع ماله نخافة فقرٍ فالذي صنع الفقرَ وليكن لله في مالك قسم ، وللمروءة قسم ؛ فصلِ الرَّحِم ما استطعت ، وقدّر إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خيرٌ من أن تكون في جانب التبذير .

وله إلى رئيس عناية برجل : كتابي أظال الله بقاء الرئيس ، والكتاب مجهول ، والكتاب فضول ، وبحسب الرأي موقعه ، فإن كان جميلاً فهو تطوّل ، وإن كان شيناً فهو تقوّل ، وأبنة سلاك الظنّ فله - أيده الله تعالى - المنّ ، من نيسابور عن سلامة شاملة نسأل الله تعالى ألاّ يُلهينا بسكرها ، عن شكرها ، والحمد لله رب العالمين . يقول الشيخ - أيده الله تعالى : من هذا الرجل ؟ وما هذا الكتاب ؟ فأما الرجلُ فخاطبٌ ودّ أولاً ، وموصل شكر ثانياً ؛ وأما الكتابُ فليحام أرحام الكرام ؛ فإن يُعِن الله الكرامَ تتصل الأرحام . هذا الشريف قد حارب به زمانُ السوء ؛ فأخرجه من البيت الذي بلغ السماء مفخراً ، ثم طلب فوقه مظهراً<sup>(٢)</sup> ؛ وله بعدُ جلالَةُ النسب ، وطهارةُ الأخلاق ، وكرمُ العهد ، وحضرني فسألته عما وراءه ، فأشار إلى ضالّة الأحرار ، وهو الكرم مع اليسار ،

(١) عرس الرجل - بكسر العين وسكون الراء - زوجه (م)

(٢) هاتان الفقرتان مأخوذتان من قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرنا

وَنَبَّهَ عَلَى قَيْدِ السَّكَامِ ، وَهُوَ الْبِشْرُ مَعَ الْإِنْعَامِ ، وَحَدَّثَ عَنْ بَرْدِ الْأَكْبَادِ ،  
 وَهُوَ مُسَاعِدَةُ الزَّمَانِ لِلْجَوَادِ ، وَدَلَّ عَلَى نَزْهَةِ الْأَبْصَارِ ، وَهُوَ الثَّرَاءُ ، وَمُتَمِّعُهُ  
 الْأَسْمَاعُ ، وَهُوَ الثَّنَاءُ ، وَقَلَمًا اجْتَمَعَا ، وَعَزَّ مَاؤُجِدًا مَعًا . وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْخَ  
 الرَّئِيسَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - جَمَاعُ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ ، وَسَأَلَنِي الشَّهَادَةَ لَهُ ، وَبَذَلَ  
 الْخَطَّ بِهَا ، فَفَعَلْتُ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ إِعَانَتَهُ عَلَى هِمَّتِهِ ؛ فَرَأَى الشَّيْخُ - أَيْدَهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَا كَتَبْتُ ، وَفِي الْإِجَابَةِ - إِنَّ نَشِطًا - الْمَوْفُوقَ إِنْ  
 شَاءَ اللَّهُ

وله إلى ابن أخته : وَصَلَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَّتْهُ مِنْ تَطَاهُرٍ نَعِمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَعَلَى  
 أَبِيكَ ، فَسَكَنْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ حَالِكَ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ بَقَاءَكَ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي  
 لِقَاءَكَ ، وَذَكَرْتُ مَصَابِكَ بِأَخِيكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَكَأَنَّمَا فَتَتْ عَضُدِي ،  
 وَطَعَنْتَ فِي كَبْدِي ، فَقَدْ كُنْتُ مَعْتَصِدًا بِمَكَانِهِ ، وَالْقَدْرُ جَارٍ لِشَانِهِ ، وَكَذَلِكَ  
 الْمَرْءُ يَدْبُرُ ، وَالْقَضَاءُ يَدْمُرُ ، وَالْأَمَالُ تَنْقَسِمُ ، وَالْأَجَالُ تَنْبَسِمُ ، فَاللَّهُ يُجْعَلُهُ لَكَ  
 فَرَطًا ، وَلَا يُرِينِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا ، وَأَنْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَارِثُ عَمْرِهِ ، وَسَدَادِ  
 قَفَرِهِ ، وَنِعَمَ الْعَوَاضُ بِقَاوُكَ .

إِنَّ الْأَشْءَ إِذَا أَصَابَ مُشَدَّبًا مِنْهُ أَتَمَّ ذُرًّا وَأَثَّ أَسَافِلًا<sup>(١)</sup>

وَأَبُولُكَ سَيَدِي أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْهَمُّ الْجَمِيلُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ ، وَأُنَالُهُ الْجَزِيلُ ،  
 وَهُوَ الْأَجْرُ ، وَأُمْتَمُّهُ بِكَ طَوِيلًا ، فَمَا سُوِّتَ بِدِيلًا ، وَأَنْتَ وَلَدِي مَا دَمْتُ  
 وَالْعِلْمُ شَانُكَ ، وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ ، وَالْدَفْتَرُ نَدِيمُكَ ، وَإِنْ قَصَّرْتُ ، وَلَا إِخْلَاكَ ،  
 فَغَيْرِي خَالِكَ .

وله من كتاب إلى أبي القاسم الداودي بسجستان :

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْفَقِيهِ - كِتَابٌ مَنْ يَنْسَى الْأَيَّامَ وَتَذَكَّرَهُ ، وَيَطْوِيهَا

(١) الْأَشْءَ - بَزَنَةُ السَّحَابِ - صَغَارُ النَّخْلِ ، وَالْمُشَدَّبُ : الَّذِي يَقْطَعُ الْقَشُورَ  
 وَالْعِيدَانَ الْمُتَفَرِّقَةَ مِنَ الشَّجَرِ ، وَأَتَمَّ : اعْتَدَلَ وَاتَّصَبَ ، وَالذَّرَا : الْأَعَالَى ، وَأَثَّ :  
 التَّفَّ وَكَثُرَ (م)

وتنشره ، ويبعد أبناء دهره ، وراء ظهره ، ويخرج أهل زمانه ، من ضلّانه ، فإذا  
 تناولهم بيمناه ، وتسلمهم بيسراه ، أقسم أن صفتته هي الراجحة ، وكفته هي  
 الراجحة ، وأنا - أيد الله الفقيه - على قُرب العهد ، بالمهد ، قد قطعت عَرْضَ  
 الأرض ، وعاشت أجناس الناس ، فما أحدٌ إلا بالجهل اتبعته ، وبالخبرة  
 بَعُثته ، وبالظن أخذته ، وباليقين نَبَذْتُهُ ، وما حَمدُ وضعتُهُ في أحدٍ إلا ضيَعْتُهُ ،  
 ولا مَدَحُ صَرَفْتُهُ إلى أحدٍ إلا غرَبْتُهُ ، ومن احتاج إلى الناس ، وزَنَمَهم  
 بالقِسْطِ ، ومن طاف نصف الشرق ، فقد لقي رُبْعَ الخلق ، ومن لم يجد في  
 النِّصْفِ لَمَحَّةً دَالَّةً ، لم يجد في الكل غَرَّةً لائِحةً ، وكان لنا صديقٌ يقول : إن  
 عشت تسعين عاماً مت ولم أملك ديناراً ؛ لأنني قد عشت ثلاثين ولم أملك ثلثها ،  
 وهذا لعمري ياس ، يُوجبُه قياس ، وقنوط ، بالحجة مَنُوط ، ودُعابة ستكون  
 جِدّاً ، ووراء هذه الجملة مَوْجِدَةٌ على قوم ، وعَزَبَةٌ إلى يوم ، والأمير السيد  
 واسعُ مجال الهمم ، ثابتُ مكان القدم ، وأنا في كَنَفِهِ صائبُ سَهْمِ الأمل ، وَافِرُ  
 الجدل ، والحمد لله على ما يُؤليه ، ويُولينا مَعَشَرَ مَوَالِيهِ ، وصلى الله على سيدنا محمد  
 وآله وضمخه وذُرِّيَّتِهِ .

وله إلى إبراهيم بن حمزة خادم الأستاذ الجليل : قد أتبع قدمه ، إلى الخِدْمَةِ  
 قلعة ، وأتلى لسانه ، في الحاجة بِنَاءً ، وقد كان استأذنه في توفير هذا اليوم في  
 مجلس السيد الجليل فَأَذِنَ له على عادته السليمة ، وشيَمَتِهِ القويمة ، وَمَنْ وَجَدَ  
 كَلَاماً رَتَعَ<sup>(١)</sup> ، وَمَنْ صادف غيماً انتَجَعَ<sup>(٢)</sup> ، ومن احتاج للحاجات سَأَلَ ، وبقي أن  
 يشفع الأستاذ الجليل بإزاء الحوض عَقَرَهُ<sup>(٣)</sup> ، وينظم إلى رَوْضِ الإحسان مطره ،  
 ويطرُّزُ أنسناً بأبي فلان ؛ فقد وُصِفَ لي حتى حننت شوقاً إليه ، ووَجَدْتُ به ،  
 وشَغَفًا له ، وغُلُوقًا فيه ، ورَأْيُهُ في الإضغاء إلى الكرم عالٍ ، إن شاء الله تعالى .

(١) الكَلَامُ - بوزن الجبل - العشب رطبه ويابس ، ورتع : رعى (م)

(٢) الانتجاع : طلب الرعى (م)

(٣) العَر - بوزن الجبل - وجه الأرض ، وأول سقية سقيها الزرع (م)

## [ من مقامات بدیع الزمان ]

المقامة  
السجستانية

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح السكندري :

حدثنا عيسى بن هشام قال: حدثني إلى سجستان أرب<sup>(١)</sup>، فاقتعدت طيئته، وامتطيت مطيئته، واستخرت الله تعالى في العزم حدوته أباي، والحزم جعلته قدأمي، حتى هداني إليهما، ووافيت دروبها<sup>(٢)</sup>، وقد وافت الشمس غروبها، واتفق المبيت حيث انتهيت؛ ولما انتضى نضل الصباح، وبرز جبين المصباح، مضيت إلى السوق أتحذ منزلا، فحيث انتهيت من دائرة البلد إلى نبطتها، ومن قلادة السوق إلى واسطتها، خرقت سمعي صوت له من كل عرق معنى، فانتحيت وفده، حتى وقفت عنده؛ فإذا رجل على فرسه، مختنق بنفسه، قد ولاني قذاله وهو يقول: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا باكورة الين، أنا أحدوتة الزمن، أنا أدعية الرجال، وأحجية ربات الحجال<sup>(٣)</sup>، سلوا عني الجبال وحزونها، والبحار وعيونها، والخيل ومتونها، من الذي ملك أسوارها، وعرف أسرارها، ونهج سمتها، وولج حررتها؟ وسلوا الملوك وخزائنها، والأغلاق ومعادنها، والعلوم وبواطنها، والخطوب ومغاليقها، والحروب ومضابقتها، من الذي أخذ مختزنها، ولم يؤد ثمنها؟ ومن الذي ملك مفاتيحها، وعرف مصالحها؟ أنا والله فعلت ذلك، وسفرت بين الملوك الصيد، وكشفت أبتار الخطوب السود. أنا والله شهدت حتى مصارع العشاق، ومرضت حتى لمرض الأحداق، وهصرت الفصون الناعمات، وجنيت جنى الخدود المورّدات، ونفرت عن الدنيات نفور طبع الكريم عن وجوه اللثام، ونبوت عن المحرمات نبو سمع الشريف عن قبيح الكلام، والآن لما أسفر صبح الشيب، وعلمتني أبهة الكبر، عمدت

(١) حداني: بعثني، والأرب - بالتحريك - الحاجة (م)

(٢) الدروب: جمع درب، وأصله الطريق الموصل إلى بلاد الروم (م)

(٣) الأدعية والأحجية: الكلام الذي يخالف معناه لفظه (م)



لإصلاح أمر المعاد ، بإعداد الزاد ، فلم أر طريقاً أهدي إلى الرشاد مما أنا سالكه ،  
 يراني أحدكم راكب فرس وهو<sup>(١)</sup> ، فيقول : هذا أبو العجب ، لا ، ولكني  
 أبو العجائب ، عاينتها وعانيتها ، وأُمُّ الكبائر قايستها وقايسيتها ، وأخو الأغلاق ،  
 صعباً أخذتها ، وهوناً أضعفها ، وغالياً اشتريتها ، ورخيصاً بعثها ؛ فقد والله صحبتُ  
 هذا الموكب ، وزاحمتُ المناكب ، ورعيتُ الكواكب ، وأنضيتُ الركائب ،  
 ولا منّ عليكم ، فما حصلتُها إلا لأمرى ، ولا أعددتُها إلا لأنفسي ، لسكني دُفعتُ  
 إلى مكاره نذرتُ معها ألا أدخر عن المسلمين نفقها ، ولا بد لي أن أخلع رُبقة  
 هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم ، وأعرض دوائى هذا فى أسواقكم ، فليشتره  
 منى من لا يتقزز من موقف العبيد ، ولا يأنف من كلمة التوحيد ، وليعشقه من  
 أنجبت جدوده ، وسقى بالماء الطاهر عوده .

قال عيسى بن هشام : فذرت إلى وجهه لأعلم علمه ، فإذا شيخنا أبو الفتح  
 الإسكندري ، وانتظرت إجمال النعمة بين يديه ، ثم تعرضت فقلت : كم يحل  
 دواءك هذا ؟ قال : يحل الكيس ما مست الحاجة ؛ فانصرف وتركته .

ومن إنشائه فى هذا الباب : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بمدينة المقامة القردية  
 السلام ، قافلاً من البيت الحرام<sup>(٢)</sup> ، أميس مئس الرجل<sup>(٣)</sup> ، على شاطئ الدجلة ،  
 تأمل تلك الطرائف ، وأنقصى تلك الزخارف ، إذ انتهيت إلى حلقة رجال  
 مردحين ، يلوى الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقنى الحرض  
 إلى ما ساقهم ، حتى وقفت بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه ، لشدة  
 الهجمة ، وفرط الزحمة ، وإذا هو قراد يرقص قرده ، ويضحك من عنده ،  
 فرقصت رقص الحرج ، وسرت سير الأرج ، فوق أعناق الناس ، يلفظنى  
 فأتق هذا سره ذاك ، حتى افترشت لحيه رجلين ، وقعدت بين اثنين ، وقد

(١) فى المقامات « راكب فرس ، نائر هوس » (م)

(٢) مدينة السلام : بغداد ، وقافلاً : راجعاً (م)

(٣) أميس : أتيجتر ، والرجلة : ضرب من البقول يقال له « البقلة الحقاء » (م)

أشرفني الخجل بريقه ، وأرهقني المكان لضيقه ، فلما فرغ القراء من شغلته ،  
واتفضل المجلس عن أهله ، قمت وقد كساني الرّيب حُلَّتته ، ووقفت لأرى صورته ،  
فإذا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : ما هذه الدناءة ؟ ويحك ! فقال :

الذنبُ للأيام لَا لي فاعْتَبِ على صَرْفِ اللَّيَالِي  
بالْحَقِّ أدركْتُ المُنَى ورَفَلْتُ في ثَوْبِ الجَمَالِ

ومن إنشائه في هذا الباب أيضاً : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت

المقامة  
الإصفهانية

بأصفهان أعتزم المسير إلى الرّميّ ، فخلتها حلول النّبي<sup>(١)</sup> ، أتوقّع الثّقلة كلّ لَمَحَةٍ ،  
وأترقب الرّحلة كلّ صَبْحَةٍ ؛ فلما حُمّ ما توقّعتُه ، وأزِف ما ترقّبته ، نُودِي  
للصلاة نداءً سمعته ، وتعيّن فرضُ الإجابة ؛ فانسللتُ من بين الصحابة ، أغتنم  
الجماعة أدركها ، وأخشى فوات القافلة أتركها ، لكنني استعنتُ ببركة الصلاة ، على  
وَعَثَاءِ القَلَاةِ ؛ فصرّنتُ إلى أول الصفوف ، ومثلتُ للوقوف ، وتقدّم الإمام  
للمِحْرَابِ ، وقرأ فاتحة الكتاب ، [وثنّى بالأحزاب<sup>(٢)</sup>] ، بقراءة حمزة ، مدّة وهمة ،  
وأتابع الفاتحة بالواقعة ، وأنا أتصلى بنار الصبر وأتصلّب ، وأتقلّى على جمر الغيظ  
وأثقلّب ، وليس إلا السكوت والصبر ، أو الكلام والقبر ، لِمَا عرفت من خشونة  
القوم في ذلك المقام ، أن لو قطعتُ الصلاة دون السلام ، فوقفتُ بقدّم الضرورة  
على تلك الصورة ، إلى انتهاء السورة ، وقد قنطتُ من القافلة ، ويئسْتُ من  
الراحلة ، ثم حتى قَوَّسَه للركوع ، بنوعٍ من الخشوع ، وضربٍ من الخضوع ،  
لم أعْهَدَه قبل ذلك ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال : سَمِعَ اللهُ مِنّ حَمْدِهِ ، وقام ،  
حتى ما شككتُ أنه نام ، ثم أَكْبَأَ لوجهه ، فرفعت رأسي أنتهز فُرْصَةً ،  
فلم أَرِ بين الصفوف فُرْجَةً ، فعُدْتُ للسجود ، حتى كَبُرَ للتعود ، وقام للركعة  
الثانية ، وقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءةً استَوَفَى فيها عُمَرُ الساعة ، واسترقّ أرواح

(١) النّبي : الظل ، وأصله النّبيء - بالهمز - فسهل الهمز (م)

(٢) هذه الكلمة ليست في المقامات ، والصواب تركها ؛ لأنه سيقول بعد ذلك

« وأتبع الفاتحة بالواقعة » ( م )

الجماعة ، فلما فرغ من ركعتيه ، مال للتحية بأُخْدَعِيهِ ، فقلت : قد قُرِبَ الفرج ،  
وَأَن الحرج ، فقام رجل فقال : مَنْ كان منكم يحبُّ الصحابة والجماعة ، فليُعرِنِي  
سَمْعَهُ ساعة .

قال عيسى بن هشام : فلزِمْتُ أَرْضِي ، صيانةً لِعَرْضِي ، فقال : حقيق على  
أَلَا أقولَ على الله إلا الحق ، قد جُئْتُكُمْ ببشارة من نبيكم ، لكني لا أُوَدِّعُهَا  
حتى يَطْهَرَ اللهُ هذا المسجد من نَذْلٍ جحد بُيُوتَهُ ، وعَادَى أُمَّتَهُ .

قال عيسى بن هشام : فَرَبَطْنِي بالقيود ، وشَدَّنِي بالحبال الشود ، ثم قال :  
رَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ فِي الْمَنَامِ ] كالشمس تحت الغمام ، والبدر ليلة التمام ،  
يسيرُ والنجمُ يَتَّبِعُهُ ، ويسحبُ الذَّيْلُ والملائكة تَرْفَعُهُ ، ثم علمني دعاءً ،  
وأوصاني أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ ، وقد كَتَبْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ بِخُلُقٍ <sup>(١)</sup> ومسك ،  
وزعفران وسُكٍّ ؛ فَمَنْ اسْتَوَهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ ، وَمَنْ أَعْطَى ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتَهُ .

قال عيسى بن هشام : فَاثْنَالَتْ عَلَيْهِ الدِّراهِمَ ، حتى حَيَّرْتَهُ ؛ ونظرت فإذا  
شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : كيف اهتديت إلى هذه الحيلة ؟ ومتى  
اندرجت في هذه القميلة ؟ فأنشأ يقول :

النَّاسُ مُخْمَرٌ فَجَوَّزْ      وَابْزُرْ عَلَيْهِمْ وَبَرِّزْ  
حتى إِذَا نِلْتَ مِنْهُمْ      مَا تَشْبِيهِ      ففَرَّوْزْ <sup>(٢)</sup>

[ جارية ذات أدب وجمال تبذُّ أبناء الخلفاء ]

وصفت لعبد الملك بن مروان جاريةً لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال ،  
فساومه في ابتياعها ، فامتنع وامتنعت ، وقالت : لا أحتاجُ للخلافة ولا أرغبُ في  
الخلافة ، والذي أنا في ملكه أحبُّ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا . فبلغ ذلك  
عبد الملك فأغراه بها ؛ فأضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسراً ، فما أعجب بشيء

(١) الخلق - بفتح الحاء - صرب من الطيب ، والسك - بضم السين - مثله (م)

(٢) فروز الرجل - بوزن دحرج - مات (م)

إعجابه بها ، فلما وصلت إليه ، وصارت في يديه ، أمرها بلزوم مجلسه ، والقيام على رأسه ؛ فبينما هي عنده ، ومعه ابنتاه الوليد وسليمان ، قد أخلاها للذاكرة ، فأقبل عليهما فقال : أئى بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال الوليد : قول جرير فيك :  
 أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ اللَّطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ نَطُونَ رَاحِ  
 وقال سليمان : بل قول الأخطل :

شُسُّ الْعَادَاةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا  
 فقالت الجارية : بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

يُفْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ  
 فأطرق ، ثم قال : أئى بيت قالته العرب أرق ؟ فقال الوليد : قول جرير :  
 إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا  
 فقال سليمان : بل قول عمر بن أبى ربيعة :

حَبِّذَا رَجَعُهَا يَدَيْهَا إِلَيْهَا مِنْ يَدَيَّ دِرْعِهَا تَحِلُّ الْإِزَارَا  
 فقالت الجارية : بل بيت يقوله حسان :

أَوْ يَدَبَ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عَلَيْهِمَا لَا نَدَبَ تَبَهَا الْكُلُومُ<sup>(١)</sup>  
 فأطرق ، ثم قال : أئى بيت قالته العرب أشجع ؟ فقال الوليد : قول عنتره :  
 إِذْ يَتَّقُونَ بَنَى الْأَسِنَّةِ لَمْ أَحْمِ عَنْهَا ، وَلَوْ أَنَّى تَضَاقِقَ مَقْدَمِي<sup>(٢)</sup>  
 فقال سليمان : بل قوله :

وَأَنَا الْمُنِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا فَاَلَمُوتُ مِنِّي سَابِقُ الْأَجَالِ  
 فقالت الجارية : بل بيت يقوله كعب بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قُدُمًا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ  
 فقال عبد الملك : أحسنت ، وما نرى شيئاً في الإحسان إليك أبْلَغَ مِنْ رَدِّكَ

(١) أندبها . جرحتها ، والكُلوم : جمع كلم ، وهو الجرح (م)

(٢) لم أحم : لم أجبن ، ولم أنكل ، ولم أحجم (م)

إلى أهلك . فأجل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردّها إلى أهلها .

\*\*\*

ومثل قول كعب بن مالك قول نهشل بن حرّى :  
 إنا بنى نهشل لا ندعى لأبٍ عنه ، ولا هو بالأبناء يشرينا  
 إن تبتدر غايه يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا  
 إنا لمن معشر أفتى أوائلهم قول الحكمة : ألا أين الحامونا  
 لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس خالهم إياه يعموننا  
 إذا الحكمة تأتوا أن ينالهم حدّ السيوف وصلناها بأيدينا<sup>(١)</sup>  
 إما أردت هذا البيت .

وقوله : \* لو كان في الألف منا واحد \* أخذه من قول طرفة بن العبد :  
 إذا القوم قالوا من فتى خلت أنى عنيبت فلم أكسل ولم أتبلد

\*\*\*

### [ نهشل بن حرّى ]

وكان نهشل شاعراً ظريفاً ، وهو نهشل بن حرّى بن ضمّرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، وكان اسم جده ضمّرة هذا : شقة ، ورد على النعمان بن المنذر فقال : من أنت ؟ فقال : أنا شقة ، وكان قضيفاً<sup>(٢)</sup> نحيفاً دميماً ، فقال له النعمان : نسمع بالمعيدي لا أن تراه ، والمعيدي : تصغير المعدي ، فذهبت مثلاً ، فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال لا تُكال بالقفران ، وليست بمسوك<sup>(٣)</sup> يستقى بها من الغدران ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إذا نطق نطق ببيان ، وإذا قاتل قاتل بجنان ، فقال : أنت ضمّرة ! ونهشل هو القاتل :

ويوم كأنّ المضطّلين بحرّه وإن لم يكن جمر قيام على الجمر  
 أقنأه حتى تجلّى ، وإمسا تُفرّج أيام الكريهة بالصّبر

(١) الذي أحفظه عن الحماسة « إذا الحكمة تنعوا أن يصيبهم \* حد النظابة » (م)

(٢) القضيف : النحيف (م) (٣) مسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد (م)

## [ أثر الشعر ]

وكان عبدُ الملك يقول : يا بني أمية ، أحسابُكم أعراضُكم ، لا تعرضوها على الجهال ، فإنَّ الذمَّ باقٍ ما بقى الدهر ؛ والله ما سرَّني أني هُجيت بيت الأعشى ، وأن لي طلاعَ الأرض ذهباً ، وهو قوله في علقمة بن علاثة :

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرنى يبيتن خائضاً  
والله ما يُبالي من مدح بهذين البيتين ألا يُمدح بغيرها ، وما قول زهير :  
هنالك إن يستخبِّلوا المالَ يُخْبِلُوا وإن يسألوا يعطوا وإن يذسروا يُغْلُوا<sup>(١)</sup>  
على مُكثريهم حقٌّ من يعترتهم وعند المقلين الساحة والبذل  
وقال ابنُ الأعرابي : أمدحُ بيتٍ قاله المحدثون قولُ أبي نواس :

أخذتُ بحبيلٍ من حبال محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الحديثانِ  
[تغطيت من دهرى بظل جناحه فعيني ترى دهرى وليس يرانى  
فلو تسأل الأيامُ عنى ما دَرَّتْ وأين مكاني ما عرفنَ مكاني  
وهذا كقول أعرابي ، ذكر بعضُ الرواة أن مالك بن طوقٍ كان جالساً في بهوٍ مطلٍّ على رحبته ومعه جنساؤه ، إذ أقبل أعرابيٌ تخبَّ به ناقتُهُ ، فقال : إياي أَراد ، وبحوى قصد ، ولعلَّ عنده أدباً يُنتفع به . فأمر حاحه بإدخاله ، فلما مثل بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : الأمل في سَيِّب الأمير والرحاء لناثله<sup>(٢)</sup> .  
قال : فهل قدَّمت أمامَ رغبتك وسيلة ؟ قال : نعم ، أربعة أبيات قلتها بظهر البرية ؛ فلما رأيت ما بباب الأمر من الأبهة والجلالة أستصغرتها ، قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتك ؟ ولك أربعة آلاف درهم ، فإن كانت أبياتك أحسن فقد ربحنا عليك ، والا قد نلتَ مرادك وربحتَ علينا ، قال : قد رضيت ، فأنشده :

(١) يستخبِّلوا المال : يطلب إليهم أن يعيروا إليهم ليشرَب المستعير ألبانها وينتفع بأوبارها ، ويسروا : يدخلوا في لعب الميسر (م)  
(٢) السيب : العطاء ، ومثله النائل (م)

وما زلتُ أخشى الدهر حتى تعلقت      يداي بمن لا يتقي الدهرَ صاحبه  
فلما رآني الدهر تحت جناحه      رأى مرَّتَي صعبا منيعا مطالبه  
وأني بحيث النجمُ في رأسِ باذخٍ      تُظِلُّ الوري أكنافه وجوانبه  
فتي كسواء الغيث والناسُ حوله      إذا أُجذبوا جادت عليهم سحائبه

قال : قد ظفرنا بك يا أعرابي ، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم .  
قال : فإن لي صاحباً شاركته فيها ما أراه يرضى بيبي ، قال : أتراك حدثت نفسك  
بالنكث ؟ قال : نعم ، وجدتُ النكث في البيع أيسرَ من خيانة الشريك ،  
فأسر له بها .

[أنصف بيت ، وأصدق بيت]

وأنصفُ بيتٍ قالته العربُ قولُ حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث في  
جوابه عما هجا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى محمد بن عمار عن أبيه  
قال : أنشد النبيَّ حسانُ بن ثابت قوله :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجِبْتُ عَنْهُ      وَعَبَدَ اللَّهُ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ  
فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَزَاؤُكَ الْجَنَّةُ يَا حَسَّانَ .  
فلما انتهى إلى قوله :

فإن أبي ووالده وعرضي      لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاهُ  
قال النبيَّ عليه السلام : وقاك الله حرَّ النار .  
فلما قال :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ      فَشَرَكَا خَيْرًا الْفِدَاءِ  
قال مَنْ حضر : هذا أنصفُ بيتٍ قالته العربُ .  
وأصدقُ بيتٍ قالته العربُ وأمدحه قولُ كعب بن زهير في رسول الله  
صلى الله عليه وسلم :

تحمله الناقة الأدماء معتجرا      بالبُرْدِ كالبدْرِ جَلَى لَيْلَةِ الظَّلمِ  
وفي عِطَافِيهِ أو أثناء برده      ما يعلم الله من دين ومن كرم  
( ١٧ — زهر الآداب : )

وقال الأصمعي : والجهال يروون هذا البيت لأبي دهب ، واسمه وهب بن ربيعة ، في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق وإلى القيامة ، والصواب ما ذكرناه ، وهو بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أغلقت ، وبمدحه أليق .

### ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

سليل أكرم نَبْعَة ، وقريع أشرف بَقْعَة . جاب بأمتة الظلمات إلى النور ، وأفاء عليهم بالظل بعد الحرور . وهو خَيْرَةُ الله من خلقه ، وحجَّتْهُ في أرضه . الهادي إلى حقّه ، والنُّبْه على حكمه . والداعى إلى رُشْدِهِ ، والآخذُ بفرضه . مباركٌ مولده ، سَمِيدَةٌ غَرْثُهُ ، قاطعةٌ حَبَّتُهُ ، ساميةٌ درجَتُهُ ، ساطعٌ صباحُهُ ، متوقِّدٌ مصباحُهُ ، مُظَفَّرَةٌ حُرُوبُهُ ، مُبَيَّسَةٌ خُطُوبُهُ ، قد أفرَدَ بالزعامة وحده ، وخُتِمَ بأن لا نبيَّ بعده . يُفَصِّحُ بِشِعَارِهِ على المنابر ، وبالصلاة عليه في المحاضر ، وتعمر بذكره صدورُ المساجد ، وتستوى في الانقياد له حالة المقرِّ والجاحد . آخرُ الأنبياء في الدنيا عمرا ، وأولهم يوم القيامة ذكرا ، وأرجحهم عند الله ميزانا ، وأوضحهم حجةً وبرهانا . صدعَ بالرسالة ، وبلغ بالدلالة ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم . أرسله الله قرأً للإسلام منيرا ، وقدراً على أهل الضلال مبيرا . صلى الله عليه وسلم . خير من افتتحت بذكره الدعوات ، واستنجمت بالصلاة عليه الطلبات . خير مبعوث ، وأفضل وارث وموروث . وخير مولود ، دعا إلى خير معبود . صلى الله على كاشف الغمة عن الأمة . الناطق فيهم بالحكمة ، الصادع بالحق ، الداعى إلى الصدق ، الذى ملك هَوَادِيَّ الهدى ، ودلَّ على ما هو خيرٌ وأبقى . صلى الله عليه بشير الرحمة والثواب ، ونذير السطوة والعقاب . صلى الله على أتمِّ بريته خيراً وفضلاً ، وأطيبهم فرعاً وأصلاً ، وأكرمهم عوداً ونجاراً ، وأعلامهم منصبا وفخارا ، وعلى أهله الذين عظمهم توقيرا ، وطهرهم تطهيرا هم مقاليد السعادة ومفاتيحها ، ومعارضُ البركة ومصاييحها . أعلام الإسلام وأيمان الإيَّان . الطيبون الأخيار ، الطاهرون الأبرار . الذين أذهب عنهم الأرجاس ، وجعل مودتهم واجبةً على الناس . هم حَبْلُ الهدى وشجرة الإيَّان ، أصلها نبوة ، وفرعها مروءة ، وأغصانها تنزيل ، وورقاتها تأويل ، وخدَمُها ميكال وجبريل .



لبديع الزمان  
الهمداني

ولبديع الزمان إلى بعض الأشراف في درج كلام تقدّم :

إن جعلنا نَعُدُّ خَارِجَكُمْ ، وَنَحُدُّ آثَارَكُمْ ، نَعِدُ الْحَصَى قَبْلَ نَفْوِهَا ، وَفَنَيْتِ الْخَوَاطِرُ ،  
قَبْلَ أَنْ تَفْنِيَ لِلْمَآثِرِ ، وَلَمْ لَا ، وَإِنْ ذُكِرَ الشَّرَفُ فَأَنْتُمْ بَنُو بَجْدَتِهِ ، أَوْ الْعِلْمُ فَأَنْتُمْ  
عَاقِدُو إِزْرَتِهِ . أَوْ الدِّينُ فَأَنْتُمْ سَاكِنُو بِلَدَتِهِ ، أَوِ الْجُودُ فَأَنْتُمْ لَابِسُو جِلْدَتِهِ ، أَوِ التَّوَاضُعُ  
صَبَرْتُمْ لَشِدَّتِهِ ، أَوْ الرَّأْيُ صُلِّمْتُمْ بِجِدَّتِهِ ، وَإِنْ بَيَّنَّا تَوَلَّى اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِنَاءَهُ ، وَمَهْدَ  
الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَاءَهُ ، وَأَقَامَ الْوَصِيُّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ عِمَادَهُ ، وَخَدِمَ جَبْرِيلُ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلَهُ ، لِحَقِيقِ أَنْ يُضَانَ عَنْ مَدَحِ لِسَانِ قَصِيرِ .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيًّا فقال : بأبي وأمي رسول رب  
العالمين ، ختمت به الدنيا ، وفنحت به الآخرة ، صلى الله عليه وسلم ، به يبدأ  
الذكرُ الجميلُ ويختم .

إلى هذا المكان أمسكت العنان . والإطنابُ في هذا الكتاب يعظم ويتسع ، خاتمة المؤلف  
بل يتصل ولا ينقطع ؛ إذ كان غرضي فيه أن ألمح المعنى من معانيه ، ثم أنجز معه  
حيث أنجز ، وأمر فيهِ كيف مرّ ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا  
مقرون بمثله ، وقد أدخل نظاماً ، وأفرد تَوْأَمًا ، نُشِرَ البَسَاطُ الانبساط ، ورغبة في  
استدعائه النشاط . وهذا التصنيف لا تدرك غايته ، ولا تبلغ نهايته ؛ إذ المعاني غير  
محصورة بعدد ، ولا مقصورة إلى أمد . وقد أبرزت في الصدر ، صفحة العُذْر ، يحولُ  
فِرْنْدُهَا ، ويثقبُ زَنْدُهَا ، وذلك أني ما ادّعتُ فيما أتيتُ إلا ما [ لا ] يكون ما  
تركته أفضل مما أدركته ، وأنّي لم أسلك مذهباً مخترعاً لم أسبق إليه ، ولا قصدت  
غرضاً مبتدعاً لم أغلب عليه ، ومن ركب مطيّة الاعتذار ، واجتنب خطيّة الإصرار  
فقد خرج من تَبِعَةِ التَّقْصِيرِ ، وبرئ من عهدَةِ العَاذِرِ .

وأما بعد فإن أحق من احتكّم إليه واقتصر عليه الاعترافُ بفضل الإنصاف ،  
وليعلم من يُنْصِفُ أن الاختيارَ ليس يعلم ضرورة ، ولا يوقف له على صورة ، فيكثر  
الإغماض ، ويقل الاعتراض ، ويعلم أن ما لا يقع بهواه ، قد يختاره سواء ، وكلُّ يُفْعَلُ  
اقتداره ، ويحسن اختياره ، فلو وقع الاجتماع على ما يُرْضَى ويُسَخِطُ ، ويثبتُ ويسقطُ ،  
لارتفع حجاجُ المختلفين ، في أمر الدنيا والدين .

وقال المتنبي :

تخالف الناسُ حتى لا اتفاقَ لهم      إلا على شَجَبٍ والخلف في الشَجَبِ  
 فقيل : تخلص نفسُ المرءِ سالمةً      وقيل : تشرك جسمُ المرءِ في العطبِ  
 الشجب : الموت ، وهي لفظة معروفة ، وإن كانت غير بالوفة عند أهل النقد .  
 وقد أنكرها البحرى على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مجاذبته إياه حيث يقول :  
 وَلَوْ أَنَّ الْحَكِيمَ وَازَنَ فِي الْإِلْفَظِ      واختار لم يقل شجبه  
 وكان أبو الطيب نظر إلى مارواه أبو ظبيان ، قال : اجتمع نفرٌ من أهل الكلام  
 على رجل من الملحدين ، فجعلوا لا يأتون بمسألة إلا سألهم الدليلَ عليها ، وناقضهم  
 فيها ، فأعيامهم كثرة ما يقول ويقولون ، فقال بعضهم : أما بعد فإن الموت لاشك فيه  
 فقال الملحِد : ما رأيتُ خاطباً وواعظاً وشاهداً لا يُردُّ أوجز منه ، ولما ترى معنى  
 إلا وهو يدافع أو يناقض ويحار به عن سواء الحجة . وقيل : من طلب عيباً وجدّه . قال  
 أبو عمرو بن سعيد الطُّرْبُلِي : ليس من بيتٍ إلا وفيه لطاعنٌ مطعنٌ ، إلا قول الخطيئة :  
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه      لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ  
 وقول طارفة بن العبد :  
 ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً      ويأتيك بالأخبار من لم تزود  
 وقول علي بن زيد :  
 عن المرء لا تسَلْ وسلْ عن قرينه      فكل قرينٍ بالمقارنِ مُقتَدِرِ  
 وللعلم بذلك قال قتيبة بن مسلم لأبي عتياش المنتوف ، وقد دخل عليه وبين  
 يديه سلة زعفران : أنشدني بيتاً لا يصارف ولا يكذب وهي لك ، فأنشده ما ليس  
 لطاعن فيه مطعن :

فما حَمَلَتْ من ناقةٍ فوق كورها      أبَرَّ وأوفى ذمّةً من محمدٍ  
 [صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرّم ، وشرف وعظم ، وعلى آله الطيبين ، وسلم تسليماً]

قد تم كتاب « زهر الآداب ، لأبي إسحاق الحصرى »  
 والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على كريم الآباء والأمهات

# فهرس الجزء الرابع من كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٧	فاتحة الجزء	١٢١	قعر في تهوين العلة
١٠٨	نماذج من الشعر الجيد	—	جل في شكاة أهل الفضل
١٠٨	لابن المعتز	١٣٠	جل في تنسم الإقبال وذكر الإبلال
١٠٩	لعلى بن الحليل أمام الرشيد	١٣٢	قعر في أدعية العيادة
١١١	وصف دعوة لمحمد بن حازم	—	من كلام الأطباء والفلاسفة
١١١	من مستحسن الأجوبة	١٣٣	قعر في ذكر المرض والصحة
١١٢	من ترجمة معن بن زائدة وأخباره	١٣٥	من الأجوبة المفحمة
١١٢	الرأى والشجاعة	—	رثاء قدح انكسر
١١٣	قضاء الله وعدله	١٣٨	لكشاجم في رثاء منديل
١١٣	بنو كليب	—	وله يصف سقوط الثلج
١١٣	من جيد كلام الأعراب	١٣٩	للصنوبرى
١١٦	جل من ألوان المديح	١٤٠	لأبي الفتح البستي
١١٧	ألفاظ لأهل العصر في ضروب المادح	—	لأبي الفضل الميكالى
١٢٠	أدعية في صدور الكتب	١٤٠	لأهل العصر في وصف الثلج والبرد
١٢١	لابن المعتز في القاسم بن عبيد الله	١٤١	لهم في وصف الفيظ والحر
١٢١	منزلة صناعة الكلام	١٤٢	العجلة أم الندامة
١٢٣	بعض ما قيل في النسب	—	تأميل ورد جاء
١٢٣	لأبي كبير الهذلي	١٤٢	من حسن التقسيم
١٢٤	عمران بن حطان والحجاج	١٤٥	بين قينة وأرملة من عشاقها
١٢٥	من ترجمة عمران بن حطان	١٤٧	بين ابن المعتز وقينة
١٢٦	بين أعمرابى وبعض الولاة	١٤٨	بين ابن المعتز وبعض الوزراء
—	الدنيا وأهلها	—	من شعر ابن المعتز
—	أربع كلمات طيبات	١٥٠	جرير في المدينة يغرى بشعر قيس
١٢٧	بين معاوية وعمرو بن سعيد	—	ابن الخطيم
—	من تواضع الرشيد	—	يعقوب بن داود
١٢٨	للمتنبى في حمى أصابته بمصر	١٥٢	بين أحمد بن أبي دواد والوائق
—	ألفاظ لأهل العصر في العيادة	١٥٣	من خطباء العرب شبيب بن شبة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من رسائل البديع	١٨٩	ومنهم خالد بن صفوان	١٥٤
عفو عن ذى جريرة	١٩١	سحبان وائل	—
لأهل العصر في التهنية بالإطلاق	١٩٢	عجلان بن سحبان	١٥٥
لأبي نواس في مدح الأسيين	—	دغفل بن حنظلة النسابة	—
بين الأخطل ومعاوية	١٩٤	عزة الخليل بن أحمد	١٥٦
بين السفاح وأبي نخيلة	١٩٥	من رسائل الصابي	١٥٧
من شعر الحنساء	١٩٦	من رسائل بديع الزمان	١٥٩
مما يستحسن من رثاء الحنساء	١٩٧	المقامة الأذر يجانية للبديع	١٦١
ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحجير	١٩٨	مختار من الشعر في أيام الشباب والمشيبي	١٦٣
موازنة بين الحنساء وليلى	١٩٩	شدور لأهل العصر في وصف الشيب	١٦٨
الأبن الرومي	٢٠٠	قعر لغير واحد في المشيب	١٧٠
— للحنساء	—	بعض مآقالوه في الحضاب	١٧٢
عمرو بن الشريد وأبناء صخر ومعاوية	٢٠١	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١٧٤
من رثاء ليلى الأخيلية لتوبة	—	بين الحجاج وأهل العراق	١٧٥
وفود ليلى على معاوية	٢٠٢	جامع المحاربي	١٧٦
وفودها على مروان بن الحكم	٢٠٤	أيوب بن القرية	—
وفودها على الحجاج الثقفي	٢٠٥	كثير بن أبي كثير والحجاج	١٧٧
العباس بن مرداس السلمي	٢٠٩	— مختار مما قالوه في المديح	—
عود إلى رثاء شواعر العرب	٢١٠	الشراب وخطره	١٧٨
عبرات المحبين	٢١٢	من اعتلال الطفيليين وحيلهم	١٧٩
من أخبار العباس بن الأحنف	٢١٤	وصف طائر	١٨١
موازنة بين العتابي والعباس	٢١٥	— أحظى النساء عند المهدي	—
الأحنف	—	وصف غلام	١٨٢
العين والقلب	٢١٩	بين خالد بن صفوان وعلى بن الجهم	١٨٣
من مأثور الحكم	—	كرة الحدنان	١٨٤
الهوى	٢٢٠	— مختار مما قالوه في الرثاء	—
من رسائل أبي الفضل الميكالي	٢٢٣	من أخبار حارثة بن بدر الغداني	١٨٥
من شعر الميكالي	٢٢٥	وصف امرأة	١٨٧
الارتياح لقضاء حوائج الناس	٢٢٦	— من كلام الأعراب	—
بين عميلة الفزاري وأسيد بن	٢٢٧	المقامة الأزادية لبديع الزمان	١٨٨

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٢٨	من غرر المدائح	١٠٦٤	فضل العمامة
—	صروف الدهر	—	من رسائل ابن العميد
١٠٢٩	من لا يوفي النعم جفعها	١٠٦٦	أهرب من الوباء
—	عود إلى غرر المدائح	—	قتيل الهوى
١٠٣٠	فعلات الأجواد	١٠٦٧	ابن عباس جبر قریش
١٠٣٢	من نوادر الرثاء	—	مسلم بن الوليد صريع الغواني
—	رثاء قرد	١٠٦٩	من شعر أبي نواس
—	رثاء ثور	—	وصف جيش للفتني
١٠٣٥	عود إلى اختار من الرثاء	١٠٧٠	شعب بوان
١٠٣٩	من كلام الأعراب	١٠٧١	عود إلى وصف الجيش
١٠٤٠	المقامة البصرية لبديع الزمان	١٠٧٢	وصف سفينة
١٠٤٢	من رسائل بديع الزمان	—	نما قيل في وصف الأساطيل
١٠٤٣	عود إلى غرر المدائح	١٠٧٥	من لطائف التودد
١٠٤٦	تكاليف المحب لابن المعتز	١٠٧٦	لأهل العصر في الإهداء في المهرجان
—	احتمال الغضب	—	وفي التهنئة بالنيروز وفصل الربيع
١٠٤٧	نبذة من لطائف ابن المعتز	١٠٧٧	الصفات التي تلزم في رجن الشرطة
١٠٤٩	كتان الحب	١٠٧٨	من كلام الأعراب
١٠٥٢	معالي الأخلاق	١٠٧٩	مع الولاة والحلفاء
—	رياضة النفس على الفراق	—	شذرات في مساوئ الأخلاق
١٠٥٤	من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق	١٠٨٠	من المفاحرات
١٠٥٦	من رسائل العتابي وأديه	١٠٨١	من وصايا الحكماء
١٠٥٩	خصومة قرشية	١٠٨٢	من المدح
١٠٦٠	دعاء	١٠٨٤	الاستطراد ، وأمثلة منه
—	عزل وال	١٠٨٦	سبق المتقدمين إلى الاستطراد
١٠٦١	حرمة الكعبة	١٠٨٨	شاعر باهلي في حضرة الرشيد
—	من حكم الفرس	١٠٨٩	كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد المطلب
١٠٦٢	من حكم الهند	١٠٩٠	من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي
١٠٦٣	وصية عتبة بن أبي سفيان لبعض ولاته	١٠٩٢	رثاء مصلوب
—	يزيد بن معاوية		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
١٠٩٣ كلام لا يحتمل الجواب، تعجيل الإحسان	١١٢٧	١٠٩٤ فضل الإيجاز	١١٢٨
١٠٩٤ فضل الإيجاز	١١٢٨	١٠٩٥ أبو مسلم الخراساني	١١٢٩
١٠٩٥ حساب، من كلام الأحنف بن قيس	١١٢٩	١٠٩٦ نحا كتبه ابن الزيات	١١٣١
١٠٩٦ نحا كتبه ابن الزيات	١١٢٩	١٠٩٧ — لأهل العصر في التهنته بالحج	١١٣٢
١٠٩٧ — لأهل العصر في التهنته بالحج	١١٣١	١٠٩٨ من شعر قطري بن الفجاءة	١١٣٢
١٠٩٨ من شعر قطري بن الفجاءة	١١٣٢	١٠٩٩ من جيد المديح	١١٣٤
١٠٩٩ من جيد المديح	١١٣٢	١١٠٠ بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد	١١٣٥
١١٠٠ بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد	١١٣٢	١١٠١ منزلة سعيد بن حميد الأدبية	١١٣٧
١١٠١ منزلة سعيد بن حميد الأدبية	١١٣٢	١١٠٢ نماذج من السرقات الشعرية	١١٣٨
١١٠٢ نماذج من السرقات الشعرية	١١٣٢	١١٠٦ الاقتباس من القرآن الكريم	١١٣٩
١١٠٦ الاقتباس من القرآن الكريم	١١٣٢	— أمثال للعرب والعجم وما يقابلها	١١٤١
— أمثال للعرب والعجم وما يقابلها	١١٣٢	من القرآن الكريم	١١٤١
من القرآن الكريم	١١٣٢	١١٠٨ جملة من مكاتبات بعض أهل العصر	١١٤٢
١١٠٨ جملة من مكاتبات بعض أهل العصر	١١٣٢	١١١١ المقامة القزوينية لبديع الزمان	١١٤٣
١١١١ المقامة القزوينية لبديع الزمان	١١٣٢	١١١٣ عاقبة السؤال بلفظ حسن	١١٤٥
١١١٣ عاقبة السؤال بلفظ حسن	١١٣٢	١١١٤ أربعة أبيات ، أبو الأسود وامراته	١١٤٧
١١١٤ أربعة أبيات ، أبو الأسود وامراته	١١٣٢	١١١٥ عظات ووصايا	١١٤٩
١١١٥ عظات ووصايا	١١٣٢	١١١٦ وصف هشام بن عبد الملك بصفته	١١٥٠
١١١٦ وصف هشام بن عبد الملك بصفته	١١٣٢	— حاتم الطائي يتحمل ديات، وصف ثقيل	١١٥٤
— حاتم الطائي يتحمل ديات، وصف ثقيل	١١٣٢	١١١٧ طيلسان ابن حرب	١١٥٧
١١١٧ طيلسان ابن حرب	١١٣٢	١١١٩ من رسائل ابن العميد	١١٥٩
١١١٩ من رسائل ابن العميد	١١٣٢	١١٢١ لأبي الطيب في ابني عضد الدولة	١١٦٠
١١٢١ لأبي الطيب في ابني عضد الدولة	١١٣٢	— للإسكافي في استبطاء وتهنته	١١٦١
— للإسكافي في استبطاء وتهنته	١١٣٢	١١٢٢ لأهل العصر في ضروب للتهاني	١١٦٢
١١٢٢ لأهل العصر في ضروب للتهاني	١١٣٢	١١٢٤ في ذكر المولود العلوي	١١٦٣
١١٢٤ في ذكر المولود العلوي	١١٣٢	١١٢٥ في التهنته بالإملاك والنفاس	١١٦٣
١١٢٥ في التهنته بالإملاك والنفاس	١١٣٢	— في التهنته بالولاية والأعمال	١١٦٣
— في التهنته بالولاية والأعمال	١١٣٢		